الجواب الصحيح

لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم

ابن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر　　د. حمدان بن محمد الحمدان

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

الجواب الصحيح
لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد الأول

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

(١)

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين: وبعد:

فقد منَّ الله تعالى بإتمام تحقيق هذا السفر الضخم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لمؤلفه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رحمه الله. وتمَّ تحقيقه بفضل الله على هيئة ثلاث أطروحات للدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد أتم الباحثون رسائلهم، وتمت مناقشتها جميعاً. وحصل الباحثون على درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى.

ورغبة في إخراج هذا الجهد العلمي المبارك للناس، اتفق الباحثون على طبعه بالتحقيق فقط دون الدراسة وذلك تخفيفاً لحجمه حيث بلغ حجمه بالدراسة والتحقيق للرسائل الثلاث ستة مجلدات.

ولكن للفائدة تم تقديم تمهيدٍ مختصرٍ بين يدي الكتاب يشتمل على أربع فقرات هي:

(أ) ترجمة موجزة للمؤلف.

(ب) سبب تأليف الكتاب.

(ج) عرض مجمل لمحتوى الكتاب.

(ح) وصف النسخ المخطوطة وخطوات تحقيق الكتاب.

ولا شك أن هذا الكتاب قد ظهر بحمد الله تعالى في صورة جيدة من التحقيق والضبط وخدمة النص إلى درجة كبيرة تجعل القارىء يحس بالفرق الشاسع بين الكتاب في طبعته القديمة المتداولة، وطبعته الحالية بعد التحقيق.

وقد مر هذا العمل بمراحل من العمل والجد والمثابرة قدمها الباحثون طيلة سنوات إعداد رسائلهم على مدى ثلاثة أعوام لكل منهم. كان للمشرف على الجميع الأستاذ الدكتور عبد السلام محمد عبده، فضل كبير في ذلك بعد الله تعالى.

ولا نملك بعد هذا سوى الدعاء إلى الله تعالى أن يجزي الأستاذ المشرف كل خير، ويجزي خيراً كل من أسهم في هذا العمل العلمي العظيم، بجهدٍ وتوجيه في كلية أصول الدين، ممثلةً بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة. كما نخص بالشكر أصحاب الفضيلة الأساتذة الذين شرفونا بمناقشة البحوث وتفضلوا بتوجيه الباحثين.

ونأمل أن نكون بإخراج هذا الكتاب للناس قد قدمنا خدمة للإسلام والمسلمين. والله حسبنا ونعم الوكيل وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحققون:

د. علي بن حسن بن ناصر،

د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر،

د. حمدان بن محمد الحمدان

القسم الأول
مختصـر الدراسـة

* ترجمة موجزة للشيخ المؤلف.
* وفاته وشيء من ثناء الناس له.
* سبب تأليف الكتاب.
* عرض مجمل لمحتوى الكتاب.
* وصف النسخ المخطوطة وخطوات تحقيق الكتاب.

ترجمة موجزة للشيخ المؤلف

*** اسمه ونسبه :**

هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد الناقد، نادرة العصر، ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة، شيخ الإسلام وعلم الأعلام.

والده: هو العالم المفتي شهاب الدين عبد الحليم.

وجده: هو الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات مؤلف كتاب (الأحكام).

وتيمية: لقب جده الأعلى. أما سبب هذا اللقب فقد نقل ابن عبد الهادي، عن ابن النجار قال: «ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية) وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها»[1]، قلت: وهذا أمر مألوف جداً، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. من تشابه الأسماء وتشابك الأعلام، فإن الناس يكونون في أمس الحاجة إلى ما يُقَرِّب الشخص إلى أذهانهم فتتصوره بسرعة، وتأمن من اختلاطه بغيره، وأبرز شاهد على ذلك محمد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حيث يسمى: محمد بن الحنفية.

أما أرومة الشيخ فهي عربية نِمْرية، كما نقل ذلك الشيخ زهير الشاويش عن
نميرية

---

(١) العقود الدّرية، في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٢، للشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ـ ٧٤٤هـ ت: محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م.

شيخه محمد بن مانع، قوله: ... إنه عربي نُميري، وذلك مذكور في مصورة (شرح بديعة البيان) لابن ناصر الدين، وبخطه عند ترجمة جده في الصفحة (٤١٠) وعند ترجمته في الصفحة (٤٢٤)[١].

* مولده ونشأته:

ولد ــ رحمه الله ــ بحران، يوم الاثنين، العاشر، وقيل: الثاني عشر، من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ وبعد ست سنين اضطرت عائلته إلى الرحيل عن حران، بسبب جور التتار، وكاد العدو أن يدركهم، لولا لطف الله بهم واستغاثتهم به ــ سبحانه ــ وقد كانوا يحملون كتبهم على عجلة لعدم وجود الدواب[٢]، ثم قدموا دمشق سنة ٦٦٧هـ .

وقد نشأ في جو من الصفاء والطهارة والعفاف والتنسك، وفي اقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير معه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله ١٩ سنة أو أقل، وبدأ في الكتابة والتأليف من ذلك الحين، ثم مات والده، وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم، فدرَّس بعده بوظائفه وله ٢١ سنة، واشتهر أمره وذاع صيته في العالم. ثم انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم، والإنابة والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه والمراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الناس والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه، والدعاء له، واجتمع له سائر أنواع الخير.

---

(١) شرح حديث النزول، ترجمة المؤلف لزهير الشاويش: ص ٦، هامش ١، ط ٣، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.

(٢) لم يثنهم جو الرعب والخوف عن حمل الكتب على عربة تدفع باليد!

* شيوخه وتلامذته :

سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي.
وسمع من ابن أبي اليسر.
والكمال بن عبد.
والشيخ شمس الدين الحنبلي.
والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي.
والشيخ جمال الدين بن الصيرفي.
ومجد الدين بن عساكر.
والنجيب بن المقداد.
وابن أبي الخير.
وابن علان.
وأبي بكر الهروي.
والكمال عبد الرحيم.
وفخر الدين بن البخاري.
وابن شيبان.
والشرف بن القواس.
وزينب بنت مكي.
وغيرهم كثير، ينوفون على مائتي شيخ، منهم ابن عبد القوي.

أما تلاميذه فمنهم:
محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية.
ومحمد بن شاكر الكُتْبي.
ومحمد بن أحمد الذهبي.
ومحمد بن أحمد بن عبد الهادي.
وإسماعيل بن عمر بن كثير.
وعمر بن علي البزار.

وأحمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامة.
وسليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري البغدادي.
وعمر بن مظفر الوردي المصري الحلبي.
وعمر بن سعد الله الحراني.
ومحمد بن مفلح المقدسي.
ومحمد بن المنجا التنوخي الدمشقي. وغيرهم.

*** جهاده ومناقبه:**

العلم وراثة النبوة، والنبوة وحي وعمل لإنفاذ هذا الوحي وتطبيقه، ولكن العلماء ـ أحياناً ـ يحسن مَنْ حولهم بأنهم ملكوا العلم، فمتى شاءوا سمحوا له بالتأثير في سلوكهم وسلوك غيرهم، أو حجبوه وحبسوه داخل صدورهم وقراطيسهم، فهؤلاء يزيد حظهم من إرث النبوة ويقل بمقدار استفادتهم وإفادتهم من علمهم أو عدمها. وهناك قلة من العلماء الربانيين هم الذين ملكهم العلم فلم يُبقِ لهم من أهوائهم ورغباتهم شيئاً، فكانوا ـ بحق ـ وارثي نبوة، وحملة رسالة، وهذا ما ينطبق على الشيخ المترجَم، حيث لم يترك طريقاً ينفع أمة الإسلام إلاَّ سلكه، ولم يدع ضرراً واقعاً تعاني منه، أو محتملاً يهددها، إلاَّ بذل قصارى جهده، ونهاية قوته في مقاومته ودفعه، فلقد نفع أمته بالعلم، وفي مقدمته علوم الوحي حيث تفقَّه وتعلَّم وأتقن، ثم نفعها بالتعليم ونشر الفقه بمعناه الشامل بين المسلمين بل وغيرهم، كما قال ابن الزملكاني: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله...»[1].

ثم تصدى لأهل الضلال والانحراف من المسلمين وغيرهم، فأخذ يكشف زيفهم، ويرد باطلهم، ويهتك أستارهم، ولا يخاف في الله لومة لائم. بل إنه لم يكتفِ بالقول والكتابة والمناظرة فحسب وإنما حمل السلاح ـ بنفسه ـ لقتالهم، ومقارعتهم بالسيف، كما فعل مع الكسروانيين (النصيرية) وذلك في شمالي الشام.

---

(١) العقود الدرية: ص ٧.

وكان متواضعاً للناس، باذلاً نفسه لهم، لا يزيده علمه إلَّا تواضعاً واستصغاراً لنفسه ووقوفاً إلى جانب الضعفاء والمساكين، من طلبة العلم ومن عامة المسلمين، وكان قدوة لهم في علمه وعمله وجهاده.

يقول الذهبي: «وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر ــ هو ــ عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكرة، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة رموه عن قوس واحدة فينجيه الله».

ويعلل الذهبي سر قوته وسبب صموده وثباته بقوله: «فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدْمِنُها بكيفية وَجَعِيَّة»[1].

ثم يذكر أن مقابل هؤلاء الذين ناصبوه وآذوه جمهور عريض من أنصاره ومحبيه فيقول: «وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه»[2].

ثم ذكر جهاده بنفسه وعلمه ولسانه، عندما واجه الملك (غازان) المغولي، واجتمع به مرتين، وكذلك ما فعله مع (قطلوشاه) و(ببولاي)، وأن (قبجق) كان يتعجب من جرأته على المغول.

ثم ذكر ما فعله سنة ٧٠٠هـ لما أراد التتار غزو دمشق، حيث انطلق من دمشق إلى مصر في سبعة أيام على البريد، حيث اجتمع بالملك الناصر وأركان الدولة فاستصرخ بهم، وحضَّهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث،

---

(١) أي أنه يكون في حالة حزن وتضرع وتذلل.

(٢) العقود الدرية: ص ١١٧ ــ ١١٨.

وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقوا، وقويت هممهم. فكان ذلك من أهم الأسباب في حماية دمشق من إفساد المغول ودمارهم، حيث انتصر عليهم المسلمون وقهروهم في معركة (شقحب) سنة ٧٠٢هـ[١] .

* آثاره العلمية :

لقد كان شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ غزير الإنتاج وافر العطاء في شتى صنوف المعرفة، المتعلقة مباشرة أو غير مباشرة بعلوم الوحي، والتي كانت إما مؤلفات مستقلة، أو دفاعاً وحماية لعقيدة الإسلام وملته، أو أجوبة على مسائل تورد إليه.

وقد قُدرت أعماله الكاملة في التأليف من ثلاثمائة مجلد إلى خمسمائة مجلد، وقد ذكر ابن شاكر كثيراً من هذه الكتب مرتبة حسب موضوعها، من كتب التفسير إلى كتب الأصول، إلى كتب أصول الفقه ثم الكتب الشتى في أنواع شتى، ومن المناسب هنا أن نورد ما ذكره من كتب الأصول (أي العقيدة) حيث ذكر ابن شاكر:

١ ـ الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية. أربع مجلدات.
٢ ـ ما أملاه في الجُبّ، رداً على تأسيس التقديس.
٣ ـ شرح أول المُحَصّل. مجلد.
٤ ـ شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للفخر الرازي.
٥ ـ درء تعارض العقل والنقل. أربع مجلدات.
٦ ـ جواب ما أورده كمال الدين ابن الشربيني. مجلد.
٧ ـ الجواب الصحيح، رد على النصارى، ثلاث مجلدات.
٨ ـ منهاج الاستقامة.
٩ ـ شرح عقيدة الأصفهاني. مجلد.

---

(١) انظر رسالة الشيخ ـ يرحمه الله ـ في هذا الشأن والتي أوردها بطولها ابن عبد الهادي، من ص ١٢٠ إلى ١٧٥ من العقود الدرية.

١٠ ـ شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين. مجلد.
١١ ـ الرد على المنطق. مجلد.
١٢ ـ رد آخر لطيف.
١٣ ـ الرد على الفلاسفة. أربع مجلدات.
١٤ ـ قاعدة في القضايا الوهمية.
١٥ ـ قاعدة في تناهي ما لا يتناهى.
١٦ ـ جواب الرسالة الصفدية.
١٧ ـ جواب في نقض قول الفلاسفة: أن معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قوى نفسانية. مجلد كبير.
١٨ ـ إثبات المعاد والرد على ابن سينا.
١٩ ـ شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول.
٢٠ ـ ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات. مجلدان.
٢١ ـ قاعدة في الكليات. مجلد لطيف.
٢٢ ـ الرسالة القبرصية.
٢٣ ـ رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور.
٢٤ ـ الرسالة البعلبكية.
٢٥ ـ الرسالة الأزهرية.
٢٦ ـ القادرية.
٢٧ ـ البغدادية.
٢٨ ـ أجوبة الشكل والنقط.
٢٩ ـ إبطال الكلام النفساني (أبطله من نحو ثمانين وجهاً).
٣٠ ـ جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت.
٣١ ـ إثبات الصفات والعلو والاستواء. مجلدان.
٣٢ ـ المراكشية.
٣٣ ـ صفات الكمال والضابط فيها.
٣٤ ـ جواب في الاستواء، وإبطال تأويله بالاستيلاء.

٣٥ ـ جواب من قال: لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه.
٣٦ ـ أجوبة كون العرش والسموات كُرِّيَّة، وسبب قصد القلوب جهة العلو.
٣٧ ـ جواب كون الشيء في جهة العلو، مع أنه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل.
٣٨ ـ جواب: هل الاستواء والنزول حقيقة؟ وهل لازم المذهب مذهب، سماه الأربلية.
٣٩ ـ مسألة النزول، واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع. مجلد لطيف.
٤٠ ـ شرح حديث النزول. مجلد كبير.
٤١ ـ بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث.
٤٢ ـ قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه. مجلد.
٤٣ ـ الكلام على نقض المرشدة.
٤٤ ـ المسائل الاسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية.
٤٥ ـ ما تضمنه فصوص الحكم.
٤٦ ـ جواب في لقاء الله.
٤٧ ـ جواب رؤية النساء ربهم في الجنة.
٤٨ ـ الرسالة المدنية في إثبات الصفات النقلية.
٤٩ ـ الهلاوونية.
٥٠ ـ جواب ورد على لسان ملك التتار. مجلد.
٥١ ـ قواعد في إثبات القدر، والرد على القدرية والجبرية. مجلد.
٥٢ ـ رد على الروافض في الإمامة: علي (ابن مطهر).
٥٣ ـ جواب في حسن إرادة الله ـ تعالى ـ لخلق الخلق، وإنشاء الأنام لعلة أم لغير علة؟
٥٤ ـ شرح حديث: «... فحج آدم موسى».
٥٥ ـ تنبيه الرجل الفاضل على تمويه المجادل. مجلد.
٥٦ ـ تناسي الشدائد، في اختلاف العقائد. مجلد.

٥٧ ـ كتاب الإيمان. مجلد.

٥٨ ـ شرح حديث جبريل في حديث الإيمان والإسلام. مجلد.

٥٩ ـ عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيما يبلغونه.

٦٠ ـ مسألة في العقل والروح.

٦١ ـ مسألة في المقربين: هل يسألهم منكر ونكير.

٦٢ ـ مسألة: هل يعذب الجسد على الروح في القبر.

٦٣ ـ الرد على أهل الكسروان. مجلدان.

٦٤ ـ في فضل أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على غيرهما.

٦٥ ـ قاعدة في فضل معاوية، وفي فضل ابنه يزيد: لا يسب.

٦٦ ـ في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس.

٦٧ ـ مختصر في كفر النصيرية.

٦٨ ـ في جواز قتال الرافضة (كراسة).

٦٩ ـ في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما، رد على السبكي[1].

وأخيراً هذا نموذج من رواية شيخ الإسلام للحديث:

قال الذهبي: «أخبرنا أحمد بن عبد الحليم الحافظ غير مرة، ومحمد بن

---

(١) فوات الوفيات: ١/٧٦ ـ ٧٧.

* ذكر زهير الشاويش أن في رسالة ابن القيم ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين كتاباً ورسالة وقاعدة، ثم ظهر أن لشيخ الإسلام كتباً ورسائل لم يرد لها ذكر في رسالة ابن القيم (مؤلفات شيخ الإسلام). انظر ترجمة شيخ الإسلام: ص ٢٨، هامش ١، لمحمد كرد علي، تعليق: زهير الشاويش.

* نقل المنجد عن الصفدي في كتابه المخطوط (أعيان العصر) قوله: «وضَيَّع الزمان في ردِه على النصارى والرافضة، ومن عاند الدين أو ناقضه، ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم لقلد أعناق أهل العلم بدر كلامه النظيم». ويمكن أن يقال للصفدي: لعل عذر الشيخ في ذلك وأكرم به من عذر، أنه كان رجل علم ودعوة وهداية، ولم تكن الناحية العلمية (الأكاديمية) هي الغالبة، إذاً لفعل هذا وأكثر. انظر شيخ الإسلام للمنجد: ص ٤٩.

أحمد بن عثمان، وابن فرح، وابن أبـي الفتح وخلق.
قالوا: أنا[1] أحمد بن عبد الدائم.
أنا عبد المنعم بن كليب.
(ح)[2] وأنبأنا أحمد بن سلامة.
عن ابن كليب.
أنا علي بن بيان.
أنا محمد بن محمد.
أنا إسماعيل بن الصفار.
ثنا[3] الحسن بن عرفة.
ثنا خلف بن خليفة.
عن حميد الأعرج.
عن عبد الله بن الحارث.
عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قـال: قال لي رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتنتهبه[4]، فيخر بين يديك مشوياً»[5].

---

(١) أنا: تعني عند المحدثين أخبرنا. تدريب الراوي: ٢/٨٧.
(٢) هذا الرمز (ح) يستعمل في تحويل الإسناد. المصدر السابق: ٢/٨٨.
(٣) ثنا: رمز لكلمة حدثنا. المصدر السابق: ٢/٨٧.
(٤) هكذا (تنتهبه) من النهب وهو الغنيمة، أو من الانتهاب: وهو أن يأخذهـا من شاء. مختـار: ص ٦٨١.
(٥) تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٩٧ (١١٧٥).

[illegible]

هذا والله أعلم

كتبه أحمد بن تيمية

الصفحة الأخيرة من رسالة كلها بخط « ابن تيمية » محفوظة في مخلفات الشيخ عبد القادر المغربي ، في دمشق .

(نموذج من خط الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ نقلاً عن الأعلام للزركلي: ١/١٤٣)

وفاته وشيء من ثناء الناس عليه

نقل ابن كثير عن علم الدين البرزالي قوله في تاريخه: «وفي ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة (أي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية)، توفي الشيخ . . . أحمد . . . ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، بالقاعة التي كان محبوساً بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأُذن لهم في الدخول عليه، . . . فلما فُرغ من غسله أُخرج، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع، وامتلأ الجامع ـ أيضاً ـ وصحنه والكلاسة، وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة، وحضرت الجنازة الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك، ووضعت في الجامع، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلّى عليه أولاً بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام، ثم صُلي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس، على ما تقدم ذكره، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حُمل بعد أن صُلي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب، والترحم عليه والثناء، والدعاء له، وألقى الناس على نعشه، مناديلهم وعمائمهم وثيابهم[1]. وذهبت النعال

---

(١) الظاهر أن هذا العمل لأجل التبرك بملامسة المنديل أو العمامة أو الثوب للنعش، وهذا أمر خاص برسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أعني التبرك بآثاره الطاهرة، أما غيره ـ عليه السلام ـ فلا ينبغي التبرك بشيء من ذلك منهم، حيث أنه مخالف لهدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حيث لم يؤثر عنهم أنهم تبركوا بأحد غيره ـ عليه السلام ـ فلم يتبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولا عثمان ولا علي ولا العباس ولا غيرهم، ولو كان مشروعاً لما أهملوه. راجع التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع: ص ١٩٨ ـ ٣٤٢، لمحمد نسيب الرفاعي، ط ٣، دار لبنان، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

من أرجل الناس وقباقيبهم، ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرؤوس، تارة يتقدم، وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها، وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها. . . وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك، وتقدم للصلاة عليه أخوه (زين الدين، عبد الرحمن)، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه (شرف الدين، عبد الله) ــ رحمهما الله تعالى ــ وكان دفنه قبل العصر بيسير. . .»[١].

وقد قُدر الذين حضروا جنازته بأنهم أكثر من خمسمائة ألف (نصف مليون) وقيل: لم يُسمع في جنازة بمثل هذا الجمع إلاَّ في جنازة الإمام أحمد بن حنبل[٢].

أما ثناء الناس عليه فإنني هنا أكتفي بأربعة من الأبيات الستة التي قالها فيه أبو حيان ــ صاحب تفسير البحر المحيط، ــ رحمه الله تعالى ــ عندما التقى به، والتي قالها على البديهة، وذكر ابن رجب قولهم: إن أبا حيان لم يقل أبياتاً خيراً منها ولا أفحل[٣]:

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داعٍ إلى الله فرد ماله وَزَر
علي محياه من سيما الألى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حَبْر تسربل منه دهره حِبَراً ... بَحْر تقاذف من أمواجه الدرر

---

(١) البداية والنهاية: ٤/١٣٥، ١٣٦. وقد ذكر ابن كثير هنا نقلاً عن البرزالي أنه لم يتخلف عن جنازة شيخ الإسلام سوى ثلاثة هم: ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وذلك خوفاً على أنفسهم من الهلاك لمعرفة الناس بمعاداتهم له ــ رحمهم الله جميعاً ــ.

(٢) الشهادة الزكية: ص ٦٦.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، لعبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي ٧٩٥هـ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، ١٣٧٢هـ.

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تَيْمٍ[1] إذ عصت مضر[2]

هذا وإن قبره معروف المكان، إلى يومنا هذا، وبجواره صاحبه الحافظ المِزّي، مؤلف (تهذيب الكمال) وذلك في ساحة كلية الطب، بجامعة دمشق داخل سياج من حديد يحيط بالقبرين، وقد كتب اسم كل واحد منهما على شاخص قبره[3].

وقد ذكر ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه (الرد الوافر) سبعة وثمانين عالماً أثنوا على شيخ الإسلام، وأضفوا عليه الألقاب الفخمة، ونعتوه بالأوصاف الجميلة، والخلال الكريمة، أولهم ابن سيد الناس[4]، وآخرهم الرحبي[5]، وذلك مما

---

(١) سيد تيم: هو أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ.

(٢) الأبيات من بحر البسيط، من شعر أبي حيان: ص ٤٤٧. ت: د. أحمد مطلوب وزميلته، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

* وقد ذكر محقق كتاب الشهادة الزكية: ص ٦٤، هامش ١، أن الشيخ مرعي أورد فصلاً كبيراً في كتابه الكواكب الدرية (المخطوط): من ص ٣٥ إلى ٤٩ أ، وفيه أحد عشر قصيدة من القصائد الطوال، وانظر ما أورده الشيخ ابن عبد الهادي من الأشعار والقصائد في رثاء الشيخ، في كتابه العقود الدرية: ص ٣٧٣، وما بعدها.

(٣) انظر الكتاب الطريف: العلماء العزاب: ص ١٠٠، هامش ١، للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ولعل هذا من إكرام الله لهذين الرجلين ببقاء قبريهما محترمين معلومين بعد ما يقارب الثمانية قرون، مثلما أن قبر شيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي ــ ١٢٠٦هـ موجود معروف بمقبرة قريوة بالدرعية. ــ رحمه الله ــ ويستطيع من أراد زيارته أن يتعرف عليه عن طريق أعيان بلدة الدرعية.

(٤) ابن سيد الناس: هو محمد بن محمد بن محمد، الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث. فتح الدين اليعمري، له كتاب: (عيون الأثر، في فنون المغازي والشمائل والسير)، توفي سنة ٧٣٤هـ، فوات الوفيات: ٢٨٧/٣ ــ ٢٩٢، دار صادر، بيروت.

(٥) هو أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الكناني، الشيخ العالم المحدث زين الدين، توفي سنة ٧٤٩هـ، ذيل تذكرة الحفاظ: ص ١٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سمعه من كلامهم، أو نقل إليه، أو وجده بخطوطهم.

كما أورد الشيخ مرعي الكرمي في كتابه (الشهادة الزكية، في ثناء الأئمة على ابن تيمية) سبعة عشر عالماً أثنوا على شيخ الإسلام، وقدروه قدره، آخرهم الشيخ قاسم بن قلطوبغا بن عبد الله. المصري الحنفي[1].

---

(١) الشيخ قاسم: هو الزين، وربما لقب الشرف، أبو العدل السودوني، ولد سنة ٨٠٢هـ بالقاهرة، وأخذ الكثير من العلوم عن كثيرين وأقبل على التأليف وأكثر منه، له كتاب (شرح منظومة ابن الجزري) و (إتحاف الأحياء بما فات من تخريج الإحياء)، مات سنة ٨٧٩هـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٦/١٨٤ ـ ١٩٠، لمحمد السخاوي: ص ٩٠٢هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت.

* يراجع في ترجمة شيخ الإسلام المصادر التالية:

١ ـ العقود الدرية، من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن عبد الهادي: ص ٧٤٤هـ.

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/١٣٥ وما بعدها.

٣ ـ الكواكب الدرية، في مناقب المجتهد ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي ـ ١٠٣٣هـ، طبع مع الرد الوافر في مصر سنة ١٣٢٩هـ، ومنه نسخة خطية في لاندبيرج برقم (٢٤٣)[1].

٤ ـ ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٨٧ ـ ٤٠٨، لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ٧٩٥هـ ت: حامد الفقي، مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢هـ..

٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١/١٥٤ ـ ١٧٠، لأحمد بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ ت: محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٦ ـ تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر): ٢/٤٠٦ ـ ٤١٣، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩م.

٧ ـ الوافي بالوفيات: ٧/١٥ ـ ٣٣، للصفدي. نشر هلموت ريتر، ط ٢، ١٣٨١هـ.

٨ ـ دول الإسلام للذهبي: ٢/١٨٠، دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٦٥هـ.

٩ ـ بيان زَغَل العلم والطلب للذهبي: ص ١٧ ـ ١٨، نشر القدسي، دمشق ١٣٤٧هـ. =

....

(١) ذكر ذلك الأستاذ: نجم عبد الرحمن خلف، في فهرس مراجع تحقيقه لكتاب الشهادة الزكية: ١٠٢.

. . . .

=

١٠ ــ النصيحة الذهبية، بذيل بيان زغل العلم والطلب.

١١ ــ ذيل العبر: ص ١٥٧ ــ ١٥٨، سلسلة التراث العربي، الكويت.

١٢ ــ تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٤٩٦/٤.

١٣ ــ معجم الشيوخ للذهبي.

١٤ ــ فوات الوفيات، لابن شاكر: ١٥/٧ ــ ٣٣.

١٥ ــ نهاية الأدب للنويري.

١٦ ــ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأحمد بن فضل الله العمري.

١٧ ــ القول الجلي في ترجمة الشيخ ابن تيمية الحنبلي، لصفي الدين الحنفي البخاري.

١٨ ــ السلوك للمقريزي: ٢٧٣/٢ و ٣٠٤.

١٩ ــ مرآة الجنان لليافعي: ٢٧٧/٤، ٢٧٨.

٢٠ ــ أعيان العصر للصفدي (مخطوط) وهو موجود في (أمانة خزينة برقم ١٢١٤) بتركيا[1].

٢١ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٢٧١/٩، لابن تغري بردي ــ ٨٧٤هـ مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية، القاهرة.

٢٢ ــ محنة شيخ الإسلام: ص ٣ ــ ٣٣، ضمن مجموعة علمية لشيخ الإسلام نفسه ــ ت: حامد الفقي، مطبعة السنَّة المحمدية، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م.

٢٣ ــ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر بن علي البزار ــ ٤٧٩هـ، ت: زهير الشاويش، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ــ دمشق ١٣٩٦هـ.

٢٤ ــ الأعلام العلية (طبعة أخرى) ت: الشيخ إسماعيل الأنصاري، مطابع القصيم ١٣٩٠هـ.

٢٥ ــ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي (مؤلف الكواكب الدرية) ــ ١٠٣٣هـ، ت: نجم عبد الرحمن خلف، ط ٢، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢٦ ــ الرد الوافر، على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ــ ٨٤٢هـ، ت: زهير الشاويش، ط ١، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م. =

. . . .

(١) ذكر ذلك المنجد في كتابه (شيخ الإسلام. . .) ص ٥١، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت.

=

٢٧ ـ درة الأسلاك في دولة الأتراك (مخطوط)[1].
٢٨ ـ طبقات المفسرين: ص ٤٥، للداودي ـ ٩٤٥هـ مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٩ ـ شذرات الذهب: ٦/٨٠ ـ ٨٢.
٣٠ ـ المنهل الصافي: ص ٣٣٦، لابن تغري بردي.
٣١ ـ الدارس: ١/٧٥ ـ ٧٧، للنعيمي.
٣٢ ـ أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم.
٣٣ ـ الزيارات للعدوي.
٣٤ ـ البدر الطالع: ١/٦٣، للشوكاني.
٣٥ ـ طبقات الحفاظ: ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ (١١٤٢) للسيوطي ـ ٩١١هـ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٣٦ ـ المعين في طبقات المحدثين: ص ٢٣٧ للذهبي ـ ٧٤٨هـ، ت: د. همام سعيد، دار الفرقان، ط ١، الأردن، عمان ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
٣٧ ـ محنة شيخ الإسلام للذهبي.
٣٨ ـ المنهج الأحمد للعليمي.
٣٩ ـ كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون: ١/١٣٥.
٤٠ ـ إيضاح المكنون: ١/٢٣ ـ ٢٥؛ و٢/٥٨؛ و١٥٨٧.
٤١ ـ الحمية الإسلامية في مذهب ابن تيمية، للشيخ يوسف بن محمد السرمري.
٤٢ ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي البغدادي ـ ١٣١٧هـ (ابن الألوسي المفسر صاحب روح المعاني)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣ ـ البدر الطالع: ١/٦٣ ـ ٧٣، للشوكاني.
٤٤ ـ الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ: ص ٤٧٨، ٤٧٩، عبد الرحمن السخاوي ـ ٩٠٢هـ، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٤٩هـ.

أما الكتب والرسائل المتأخرة التي ترجمت لشيخ الإسلام أو ضمت شيئاً منها فأُورد منها ما يلي:

=

(١) وهو موجود بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٣١١. وهو بخط مؤلفه: ابن حبيب. ذكره المنجد في كتابه (شيخ الإسلام...).

. . . .

= ١ ــ ابن تيمية: حياته وعصره، آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة ــ ١٤٠٠هـ تقريباً، ط ١، دار الفكر العربي.
٢ ــ شيخ الإسلام ابن تيمية: سيرته وأخباره عند المؤرخين. د. صلاح الدين المنجد، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت.
٣ ــ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
٤ ــ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، لمحمد السيد الجلينـد، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٥ ــ شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم، لسعد صادق محمد، دار اللواء بالرياض، ط ١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
٦ ــ إشارات لطيفة لابن تيمية، لمحمد العبدة، ط ١، دار الثقافة للجميع، دمشق ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٧ ــ الأعلام للزركلي: ١٤٤/١، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
٨ ــ العلماء العزاب: ص ٩٩ ــ ١١٢، لعبد الفتاح أبي غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ــ بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٩ ــ معجم المؤلفين: ٢٦١/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠ ــ نوابع الفكر الإسلامي، لأنور الجندي: ص ٣٠٩ ــ ٣٥٦، ط ١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٢م.
١١ ــ المجددون في الإسلام: ص ٢٦٢ ــ ٢٦٦، لعبد المتعال الصعيدي.
١٢ ــ ابن تيمية، د. محمد يوسف موسى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.
١٣ ــ منادمة الماضي، لأحمد رمزي.
١٤ ــ بيني وبين الشيخ حامد الفقي، لأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
١٥ ــ ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، لمحمود مهدي الإستانبولي، دار الخياط للطباعة والنشر، دمشق.
١٦ ــ مقدمة د. محمد رشاد سالم لمنهاج السنّة النبوية. طبع سنة ١٣٨٢هـ.
١٧ ــ الإمام ابن تيمية، لعبد السلام هاشم حافظ، ط ١، شركة مصطفى الحلبي بمصر، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م[1]. =

. . . .

(١) ذكر حافظ في كتابه هذا: ص ١٧٠، أن ابن خلكان ممن ترجم لابن تيمية وهو وَهْم من الكاتب،

=
١٨ ــ ترجمة شيخ الإسلام لمحمد كرد علي، ط ٢، المكتب الإسلامي دمشق ١٣٩١هـ وهي مُسْتَلَّة من كتابه: كنوز الأجداد.

١٩ ــ ابن تيمية وفكره السياسي لقمر الدين خان، ترجمة وتعليق د. أحمد البغدادي، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢٠ ــ ابن تيمية والتصوف، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية.

٢١ ــ نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، للمستشرق الفرنسي هنري لاووست، ترجمة محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق د. مصطفى حلمي، دار الأنصار، القاهرة.

٢٢ ــ ابن القيم من آثاره العلمية، لأحمد البقري: ١١٥ ــ ١٥٨ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٢٣ ــ ابن تيمية، لعبد العزيز المراغي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٤ ــ ابن تيمية السلفي، لمحمد خليل هراس، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٢٥ ــ ابن تيمية وجهوده في التفسير، لإبراهيم بركة، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق ــ بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.

٢٦ ــ ابن تيمية المفترى عليه، لسليم الهلالي، ط ١، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٥هـ.

٢٧ ــ العقل ومجاله عند ابن تيمية، لمحمد دكروري.

٢٨ ــ الدولة عند ابن تيمية، لمحمد المبارك.

٢٩ ــ ابن تيمية: المصلح الاجتماعي، لأحمد الغسيري.

٣٠ ــ منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، لمحمد حسني الزين.

٣١ ــ النشأة العلمية عند ابن تيمية، لهنري لاووست.

٣٢ ــ معجم طبقات الحفاظ والمفسرين... : ص ٥٣ و ٢١٢، لعبد العزيز السيروان، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
=

حيث أن ابن خلكان قد توفي سنة ٦٨١هـ، أي أن ابن تيمية كان سِنُّه آنذاك ٢٠ سنة فقط، وليس عند ابن خلكان إلَّا ترجمة محمد بن الخضر، جد شيخ الإسلام الأعلى، انظر وفيات الأعيان ٤: ٣٨٦ ــ ٣٨٨.

=

٣٣ ـ عقود الجوهر: ص ١٦٦ ـ ١٨٠، للعظم.
٣٤ ـ ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لإبراهيم الغياني.
٣٥ ـ صلح الإخوان، من أهل الإيمان، لداود النقشبندي[1].

بالإضافة إلى عشرات أو مئات الدراسات والمقالات التي صدرت وتصدر من حين لآخر عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

● ● ●

(١) لا ندعي الاطلاع على كل ما ذُكر، من الكتب القديمة والمحدثة المذكورة هنا، وما لم نطلع عليه التقطنا اسمه من كتاب المنجد: ابن تيمية: سيرته وأخباره عند المؤرخين، أو من قائمة مراجع ترجمة كحالة في معجم المؤلفين لشيخ الإسلام، أو من كتاب عبد السلام حافظ: ابن تيمية. أو من نوابغ الفكر الإسلامي، لأنور الجندي، وهي محاولة إحصائية.

سبب تأليف الكتاب

* السبب المباشر:

لقد نص الشيخ ـ رحمه الله ـ على سبب مباشر لتأليف هذا الكتاب، وذكر فيه أنه جواب على كتاب ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم من الحجج السمعية والعقلية.

قال الإمام ـ رحمه الله ـ: «فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولوا الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب»[1].

قلت: حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالة، فظفرنا ببعضها، ولم نظفر بها كاملة وقد وجدناها ضمن مخطوطات مكتبة المتحف القبطي في كنيسة ماري[2] جرجس بمصر القديمة بالقاهرة برقم (٩٥) والرقم العام (١٢٥٤).

وهذه النسخة الوحيدة الناقصة بها رطوبات وفيها خرم، حتى أن بعض الصفحات غير واضحة على الإطلاق، والموجود منها يقع في ثلاث عشرة ورقة «أي ست وعشرين صفحة» من القطع الصغير وعدد مسطرتها (١٦) سطراً بخط معتاد، وسأصور نموذجاً منها وأرفقه بالكتاب.

وعندما تتبعت النص الذي كان يورده الشيخ ابن تيمية وقارنته بهذه الرسالة

---

(١) انظر: ١/١٩، من أصل الكتاب المطبوع (ط المدني).

(٢) ذكر الدكتور رؤوف حبيب مدير المتحف القبطي سابقاً أنها بنيت في القرن السابع الميلادي حوالي عام (٦٨٤)م بواسطة أحد أثرياء القبط، ثم ذكر وصفاً عنها كاملاً في كتابه الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ص ٣٩ ـ ٤٢.

وجدت فيها اختلافاً في الألفاظ، فلعل النسخة التي وردت للشيخ نسخة أخرى، أو لعل الشيخ ذكرها بمعناها، وليس بين النصين اختلاف من حيث المحتوى والمضمون.

والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليه بانتهاء صفحة ٢٠٢ من الجزء الثالث من الكتاب المطبوع، ط (المدني).

والنص من الرسالة يوافق آخره (ص ١٣٩) من الجزء المطبوع، حيث كان آخر الموضوعات اعتراض النصراني على المسلمين بإثباتهم الصفات لله عز وجل، ليجعل من ذلك دليلاً على صحة معتقداتهم في الأقانيم الثلاثة، وانتفاء التجسيم كما انتفى مع وجود الصفات التي يثبتها المسلمون، وقد ناقش الشيخ هذه الدعوى، وأجاب عليها بخمسة عشر وجهاً في ثلاث وستين صفحة.

والكاتب هو بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، الذي ولد في أنطاكية، وصار أحد الرهبان فيها، واشتهر بذلك، وكان هذا في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وفي أخريات حياته عيِّن أسقفاً لصيدا، وقد كان منتمياً للكنيسة الملكية، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته، وقد ذكر الدكتور مزّمل صديقي[1] أن بولص خوري ــ أحد نصارى لبنان ــ حقق ونشر كثيراً من أعماله ومن بينها هذا الخطاب[2]، ثم ذكر أنه ينسب إليه أربع وعشرون رسالة لكن خوري يعتقد أن خمساً منها فقط هي من عمله.

---

(١) ذكر ذلك في رسالته التي كتبها لنيل درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد بأمريكا بعنوان «موقف الإسلام من المسيحية في القرون الوسطى: دراسة تحليلية لآراء الإمام ابن تيمية في المسيحية ص ١٣٥ قدمها سنة ١٩٧٨م، وقد طلبنا منه بالمراسلة نسخة فأرسل لنا جزاه الله خيراً صورة منها، ثم ترجمنا بعض ما ورد فيها، وأفادنا بهذه المعلومة الطيبة عن بولص الأنطاكي نقلاً عن بولص خوري.

(٢) لم نستطع إلى الآن الحصول عليه بتحقيق بولص خوري على الرغم من محاولة ذلك ولكن لبنان في هذا الزمن تعيش فترة حالكة، ومجابهات بالأسلحة بين المسلمين والنصارى وسائر الفرق والأحزاب وكل ذلك تخطّى حدود المواجهة الفكرية والنظرية، وهذا يجعلنا نعي =

وقد اشتملت هذه الرسالة على اعتراضات ودعاوى ضد الإسلام والقرآن الكريم، ونبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهي محاولة من هذا النصراني لحصر رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقصرها على العرب وحدهم، ويستشهد لذلك بآيات من القرآن الكريم.

وقد استهل بولص رسالته بالحديث عن نفسه، وذكر أنه قد سافر كثيراً إلى بلاد الفرنجة وروما، وتنقل في أراضي الإمبراطورية البيزنطية، ولأنه صاحب مرتبة عالية (أسقف) فقد تمكَّن من مقابلة رؤساء وعلماء تلك البلاد، ومفاوضتهم، ثم ذكر أنه ألَّف هذه الرسالة بناء على طلب من أحد أصدقائه، وعلى كثرة الأسئلة التي تتردد في الوسط الذي كان يعيشه عن عدم إيمان النصارى بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وغير ذلك.

لذا فقد ركَّز في أول الرسالة على هذه القضية وهي حصر الرسالة بالعرب وحشد لها الأدلة من القرآن الكريم، تاركاً النصوص الأخرى الكثيرة التي تصرح بعموم رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ثم عقب ببيان أن القرآن نفسه مدح المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه، والإنجيل، والحواريين، ليأخذ من ذلك دليلاً على صحة ما هم عليه، وأن ذلك المدح مدح لهم ولما هم عليه، وبالتالي فهم على حق ـ بزعمه ـ ولا حاجة في نظره إلى رسالة الإسلام.

ثم هو يزعم أنه ليس من عدل الله أن يطالبهم باتباع إنسان لم يأت إليهم، وأنه لا حاجة لهم باتباع رسول وهم مستغنون بمن أتوا قبله إليهم.

وقد تطرق إلى معتقدات النصارى الرئيسة، فبين أن التثليث، وتناسخ

= حقيقة الأمور، وأنها ليست مجرد كلام، واختلاف في وجهات النظر، وإنما هي حرب عقيدة ومواجهة، وأحقاد دفينة يكنُّها أهل الكتاب: من اليهود والنصارى للمسلمين، والأمر بحاجة إلى مضاعفة الجهود ليحكم دين الإسلام: دين العدل والرحمة والرأفة على جميع البلاد فيعيش الكل في أمن وطمأنينة وسلام كما حصل في القرون الأولى من تاريخ الإسلام والمسلمين.

الأرواح، واتحاد روح القدس مع الصفة البشرية في شخص عيسى ـ عليه السلام ـ كل هذه المعتقدات لا تعارض عقيدة التوحيد في الإسلام، وأن كتب الأنبياء المتقدمين تشهد لما هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد، وغير ذلك، وأنه يجب التمسك به، وأن ما هم عليه ثابت بالعقل والشرع، متفق مع الأصول، وأن ما عندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم إنما هي من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه والتجسيم، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال فلا حاجة إلى شرع آخر. إلى آخر ما جاء في الرسالة، وهذا أهم ما ورد فيها.

*** سبب آخر:**

وعندما تكلم الشيخ محمد أبو زهرة عن الجواب الصحيح في معرض الحديث عن كتب الإمام أضاف سبباً آخر لم ينص عليه المؤلف، وإنما هو استنباط من أبي زهرة ـ رحمه الله ـ نوافقه عليه وهو «رغبة الشيخ في إعلان الإسلام بين النصارى، وبيان حقائقه مقارناً بما عندهم، ليتبين لهم الحق، وبيان حقيقة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ودعوته»[1].

قلت: يؤكد هذه اللفتة الواعية ما عرف عن شيخ الإسلام، وما اشتهر به من الدعوة إلى الله، فهو إمام السيف والقلم، وباعث العزائم والهمم، وداعية الإصلاح والتوجيه، لم يأل جهداً في دعوة الناس على اختلاف مللهم، وتباين سبلهم، وتعدد مشاربهم إلى دين الإسلام، الدين الخالص، والمنهج القويم، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

ولقد كان هناك احتكاك بين المسلمين والنصارى، وتحريضات سياسية،

(١) انظر كتابه القيم ابن تيمية: حياته وعصره: ص ٥١٥، (ط مطابع الدجوى ـ القاهرة).
(٢) سورة الرعد: الآية ١٩.

وصراع فكري، كل هذه عوامل جعلت الشيخ يجاهد بالقلم والبيان، كما جاهد بالسيف والسنان، ليوضح ما التبس، ويقيم ما اعوج، وينقض الدعاوى الباطلة، وينشر دين الإسلام بين الناس فينعم الجميع بعدله، ويستقر الكل تحت سماحته وفضله.

ولقد أسلم على يديه نفر من أهل الكتاب كما ذكر المترجمون له كالبزار وابن كثير، فقد ذكر البزار[1] ــ رحمه الله ــ وهو من تلاميذه «أن الشيخ ــ رضي الله عنه ــ في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل يسأله عنها لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عنها سريعاً حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه...»[2].

وذكر ابن كثير أن ديان اليهودي بدمشق (بهاء الدين عبد السيد بن المهذب الطبيب) قد أسلم مع جماعة كبيرة من أهله وأصحابه على يديه سنة ٧٠١هـ»[3].

وقد كان ابن تيمية يفهم الكثير من اللغة العبرية، وسمع التوراة التي بين

---

(١) هو سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن موسى البزار، فقيه محدث حافظ، ولد سنة ٦٨٨هـ تقريباً في بغداد، ورحل إلى دمشق والتقى بالإمام ابن تيمية ثم رجع إلى بغداد، ثم تردد على دمشق مرات كثيرة، له مؤلفات متعددة، ذكر المحقق الشيخ زهير الشاويش أنه لم يعثر له حتى الآن على شيء منها سوى رسالته هذه، مات البزار ــ رحمه الله ــ سنة ٧٤٩هـ في رحلته إلى الحج بالطاعون الذي أفنى الكثير من الناس.
انظر مقدمة الأعلام العلية للبزار بتحقيق الشيخ زهير الشاويش: ص ١٢، ١٣، وانظر ترجمة للبزار في الرد الوافر على من زعم بأن من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لابن ناصر الدين الدمشقي: ص ١٩٥، رقم (٧٥)، بتحقيق زهير الشاويش (ط المكتب الإسلامي)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤/٤٤٤ (٥٤٥) (دار المعرفة)، وشذرات الذهب: ٦/١٦٣؛ ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: ٧/٣٠٢.

(٢) انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: ص ١٩.

(٣) انظر البداية والنهاية: ١٤/١٩، ٧٥.

أيديهم كما كان يعرف اللغة التركية[1].

وهـذه الأمور كلهـا توضـح لنا مـدى اهتمـام ابن تيميـة ـ رحمـه الله ـ بنشـر الإسلام، وحرصـه على دعوة النـاس إليه، ودفـاعه عنـه بما آتـاه الله من علم غزيـر وغيرة على الدين دفعته ليبين أصول الشرائع الربانيـة والكتب المنزلـة، وأنها واحـدة كما ذكر في هذا الكتاب الجواب الصحيح بقوله: «فهـذا دين الأوَّلين والآخرين من الأنبيـاء وأتباعهم هـو دين الإسلام، وهـو عبادة الله وحـده لا شريـك لـه، وعبـادتـه ـ تعـالى ـ في كل زمـان ومكان بـطاعة رسله ـ عليهم السـلام ـ ، ثم قال: «ومن فرَّق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً»[2].



(١) انظر نقض المنطق، لابن تيمية: ص ٩٣؛ ومجموع الرسائل الكبرى: ١/١٢٤.

(٢) انظر الجواب الصحيح: ١/١٢، ١٣، (ط المدني).

عرض مجمل لمحتوى الكتاب

بدأ المؤلف ــ رحمه الله ــ كتابه بمقدمة علمية ضافية بيَّن فيها هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة، وتصديقه لما فيها من الأخبار الصحيحة، وتقريره لأصول الدين، وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر سورة الأنعام، وأول سورة الأعراف، وسورة سبحان.

ثم بيَّن اختصاص محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشريعة هي أفضل شرعة، وأكمل منهاج، واختصاص أمته بأن جعلها خير أمة، وخصها بالوسطية في كل أمر.

ثم أشار إلى أن دين الأنبياء واحد هو الإسلام، وبيَّن أنهم متفقون في أصل الإيمان، وإن اختلفت شرائعهم، ثم قال ــ رحمه الله ــ : ومن فرق بينهم فآمن بالبعض ولم يؤمن بالجميع فهو كافر.

وبعد هذا ذكر السبب الباعث له على تأليف الكتاب، وأنه جاء رداً على كتاب ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية.

وبعد ذلك بيَّن ــ رحمه الله ــ الطريقة التي أقام عليها مناقشته للنصارى، وأنه سلك معهم مسلك أتباع الأنبياء القائم على أمرين: العدل، والعلم.

وبعد المقدمة تناول الشبه التي أوردها الكاتب النصراني بالمناقشة والرد، مبيناً قبل المناقشة أن مدارها على ستة أمور:

الأول: دعواهم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يبعث إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.

الثاني: دعواهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك بأنه حق وصوابٌ فيجب التمسك به.

الرابع: تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول موافق للأصول.

الخامس: دعواهم أنهم موحِّدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم، فإن ذلك من جنس ما عند المسلمين ـ في زعمهم ـ من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

السادس: أن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع يزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

وقد فنَّد ـ رحمه الله ـ في القسم الأول من الكتاب الدعوى الأولى، وبيَّن أنها على وجهين:

ـ إما أن يقولوا: ـ يعني الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يدَّعِ أنه رسول إلى الجميع، وإنما أمته ادعوا ذلك.

ـ وإما أن يقولوا: أنه ادعى ذلك وهو كاذب في هذه الدعوى.

فهنا وجهان للقضية ذكر بعد ذلك أن رسالتهم تتضمن الأول.

وقد ختم المناقشة بتقرير أصلٍ مهم وهو: عدم جواز احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ لأنه إن كان صادقاً في كل ما يخبر به فقد جاء بما يخالف دينهم، وإن كذبوه ولو في كلمةٍ واحدة كانوا مكذبين له في قوله أنه رسول الله.

وقد بيَّن أن هذا إلزام واضح لعقلائهم. أما جهالهم الذين يزعمون أن

الرسول ﷺ رسول غضب فرسالته كونية وليست دينية فقد فنَّد دعواهم وبيَّن أنهم أعظم كفراً ممن سبق، وقد جعل من هذا الاختلاف بينهم دليلاً على تفرقهم، وهذا التفرق هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله تعالى بقوله:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: الآية ١١٩].

وبهذا الاختلاف يتبيَّن مدى تناقض الكفار في شأن الأنبياء.

ثم ساق الأدلة على عموم رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من واقع التاريخ الذي يُعدّ سجلاً حافلاً لأعمال الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهي معلومة حتى عند مؤرِّخي النصارى كابن البطريق وغيره.

ورد زعمهم بأن القرآن نزل باللسان العربي وحده، فهو على ذلك خاص بالعرب وبهذا يصلون إلى مطلبهم وهو حصر رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالعرب وحدهم، وقد فنَّد هذه الدعوى من وجوه كثيرة بيَّن فيها أن سائر الكتب كذلك كانت بلسان واحد؛ لأن قوم النبي هم المخاطبون أولاً، ثم هم مكلفون بعد ذلك بالتبليغ، وذكر أن ألْسنة الحواريين أتباع المسيح عليه السلام كانت عبرية كلسانه، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم، ويترجمون لهم ما قاله المسيح ــ عليه السلام ــ.

وقد زعموا في رسالتهم أن القرآن متناقض إذ فيه ما يقتضي عموم الرسالة وفيه ما يقتضي خصوصها، فأبطل هذا الزعم الفاسد، وبيَّن أن في الكتب السابقة مما يظن أنه متعارض أضعاف ما في القرآن، وأقرب إلى التناقض، فإذا كانت متفقة فكيف القرآن الذي هو أفضل الكتب؟ أليس أولى بالاتفاق؟!

ثم بيَّن أنهم يتمسكون بالمتشابه، ويتركون المحكم، وذكر أنه إذا كان ما جاء به الرسول ﷺ متناقضاً لم يكن ــ والحالة هذه ــ رسول الله؛ لأن ما جاء به من عند الله لا يكون متناقضاً، وحينئذٍ فإذا كان متناقضاً لم يجز لهم الاحتجاج بشيءٍ منه؛ لأنه ليس من عند الله، وإن لم يكن متناقضاً ثبت أنه من عند الله وأنه ورد فيه ما يدل على العموم، وأنه رسول إليهم، وهذا هو الحق.

ثم دفع ــ رحمه الله ــ الوهم الوارد على بعض الآيات والأحاديث التي فيها خصوصية، وناقش القوم في مسائل عديدة متعلقة بهذه المسألة: منها نفيهم البشارة بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الكتب السابقة، وقد أصَّل لهذه المسألة في القسم الأول إلَّا أنه توسع فيها في القسم الأخير من الكتاب، ورد عليهم تمثيلهم القرآن بالوثيقة التي كتب في ظهرها الوفاء، وبيَّن أن هذا تمثيل باطل، وناقش دعواهم بأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت عيسى ــ عليه السلام ــ بوجوه أربعة، ذكر منها أن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة، والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا، ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن.

ثم نقض زعمهم بأن الحواريين المترجمين للإنجيل معصومون عن الخطأ بوجوه ثلاثة ذكر منها أن الحواريين رسل المسيح وليسوا رسل الله، والعصمة لرسل الله فقط.

وقد جاء في رسالتهم دعواهم بأنه لا حاجة لهم إلى نبي؛ لأنه قد أتاهم رسل من قبله خاطبوهم بألسنتهم، وسلموا لهم التوراة والإنجيل فأبطل هذه الدعوى بسبعة وجوه ذكر في مستهلها أن مجيء رسول قبله لا يمنع مجيء رسولٍ ثان، فلم يمنع مجيءُ موسى مجيءَ عيسى بعده، وهكذا مضى رحمه الله في حججٍ قوية كل وجهٍ منها كافٍ لدحض زعمهم.

وزعموا في الرسالة أن من لازم عدل الله أن لا يطلبهم باتباع إنسان لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، فدحض هذه الفرية بوجوهٍ أربعة بيَّن فيها أنه لا يجوز أن يقول هذا من كتب هذا الكتاب؛ لأنهم يفهمونه ويقرأونه وإلَّا فكيف كتبوا هذه الاعتراضات.

وعندما فسروا قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، تفسيراً يوافق مذهبهم الفاسد نقض عليهم ذلك بكلام رصين مبني على قواعد ثابتة، وأسس متينة.

ثم سردوا آيات أخرى وفسروها بما يوافق هواهم فأبطل عليهم ذلك، وقد جاء في رسالتهم الاحتجاج بأن القرآن مدحهم في قوله تعالى:

﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٣].

فبيَّن ــ رحمه الله ــ أن الثناء هنا على من آمن منهم، وذكر لذلك شواهد من القرآن والسنَّة.

وزعموا أن القرآن عظم صوامعهم، وإنجيلهم في قوله تعالى:

﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾ [سورة الحج: الآية ٤٠].

وقوله تعالى:

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٣، ٤].

وعظَّم القرآن الحواريين في آية من سورة الصف فنقض هذه المزاعم، وبيَّن أن المراد بالصوامع والبيع قبل أن يبعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فكان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل، وهكذا في التوراة والإنجيل، وأن التعظيم لها قبل أن يعبثوا بها ويحرفوها.

وقد أثبت المؤلف ــ رحمه الله ــ من خلال الرد على هذه الدعاوى أن ما ورد من مدح لموسى ــ عليه السلام ــ وللتوراة ليس مدحاً لليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ولا مدح فيه لدين اليهود المبدل، وهذا يتفق فيه النصارى مع المسلمين، فكذلك ما ورد من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح للنصارى الذين كذبوا محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، وهذا يتفق فيه اليهود مع المسلمين، ويلزم من كل ما ورد اتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب.

وقد أتبع الرد على هذه المسائل بفصلٍ بيَّن فيه سبب ضلال النصارى وأمثالهم من أهل البدع في المسلمين، وحددها بثلاثة أمور رئيسة:

الأول: تمسكهم بالألفاظ المتشابهة المجملة المشكلة.

الثاني: اعتمادهم على خوارق وأحوال شيطانية ظنوها آيات.

الثالث: اعتمادهم على أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب.

ثم عقد ــ رحمه الله ــ فصلاً بيَّن فيه معنى تصديق القرآن لما سبقه من الكتب، وعقد بعده فصلاً متمماً له بيَّن فيه وقوع التبديل في ألفاظ الكتب السابقة، وانقطاع سند التوراة بعد خراب بيت المقدس، وانقطاع سند الإنجيل باعتراف النصارى بأنهم هم الكاتبون له، وليس عيسى ــ عليه السلام ــ هو الكاتب له. ثم أثبت الاختلاف والاضطراب في كتبهم، ورد بعد ذلك دعواهم بأن المسلمين يقولون: إن التحريف وقع بعد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وقد بيَّن أنهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن الرسول أثبت ما معهم، ونفى عن كتبهم التي بأيديهم التهم والتبديل.

الثاني: ظنهم أن المسلمين يقولون أن هذه الكتب حرَّفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

قال: وهذا مما لا يقوله المسلمون، وقد بيَّن أن هناك بعض الألفاظ الصحيحة في كتبهم من حكم الله لتكون شاهداً وحجة عليهم، ومثل بقضية الرجم للزاني المحصن.

وفي القسم الثاني من الكتاب تتمة للرد على زعمهم بأنه لم يطرأ على كتبهم تحريف ولا تغيير فهي بهذا كالقرآن، ولو عُقِل أن يدب التبديل إلى القرآن الكريم، فإنه يمكن أن يحصل في كتبهم، وهذا قياس منهم فاسد أبطله المؤلف رحمه الله ببيان أن المسلمين رزقهم الله العلم والبصيرة، وطرق المعارف الصحيحة، فعندهم الإسناد الذي لا يوجد عند غيرهم من الأمم، وبهذا حفظ الله لهم دينهم وسلم من التحريف.

وأبطل احتجاجهم على سلامة كتبهم من التحريف بكونها كتبت بإثنين

وسبعين لساناً، وبيَّن أن هذا أحرى لوقوع التبديل فيها، فمن الذي يستطيع الحكم عليها بالسلامة من التحريف والتبديل مع انتشارها وجهل الناس بنسخها.

وبيَّن أن من الفوارق بين القرآن الكريم وكتب اليهود والنصارى أن القرآن محفوظ في الصدور، ويحفظه بعض صبيان المسلمين، ولو أراد شخص تحريفه لاكتشف بسهولة من غير رجوع إلى المصاحف في حين أن ذلك لا ينكشف في التوراة والإنجيل إلاَّ بالرجوع إلى المنسوخ منها في كتب وقد تكون هي الأخرى مغيَّرة ومبدَّلة.

واستمر رحمه الله في تأييد اتجاهه لإبطال قياس كتبهم على القرآن الكريم في خمسة فصول كان آخرها كلامه عن ثبوت الاختلاف والتغيير في نسخ أهل الكتاب، ثم عاد مرة أخرى لينقض دعواهم أن القرآن أقرهم على ما هم عليه من دين، وقرابين، وطقوس مستشهدين ببعض الآيات في ذلك. وقد جاء الرد عليها مرة أخرى لكونها وردت في الرسالة مرة ثانية، وقد جعل من ذلك إلزاماً لهم بأخذ القرآن كله لكونهم يحتجون ببعضه فهم إن قالوا بصحتها لزمهم أخذ ما في القرآن من آيات أخرى، وإن طعنوا في شيء منها فلا دليل لهم في بقيتها وهكذا.

ثم ناقش زعمهم الباطل بأنه لا تجوز محاجتهم إلاَّ بالتي هي أحسن، وأن اليهود هم الذين يجادلون بغير ذلك؛ لأنهم ظالمون كما ذكر القرآن الكريم، واحتجوا بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾
[سورة العنكبوت: الآية ٤٦].

وقد بيَّن ــ رحمه الله ــ وجوب محاجة الظالمين من مشركين وأهل كتاب وبيَّن خطأ الاستدلال ببعض الدليل دون بعض.

ثم بيَّن أن الإسلام هو نفس الدعوة التي دعا إليها الأنبياء جميعاً، وأن المسلمين مأمورون ببيانه لتقوم به الحجة على المخالف، ثم نقض دعوى النصارى بأن المراد بالذين ظلموا المذكورين في آية العنكبوت هم اليهود فقط ووضح أن

النصارى فيهم ظلم كذلك، وساق في فصول متتالية كلاماً عظيماً حول هـذه القضية مقـرراً تطرف الـطائفتين، فاليهـود فرطـوا، والنصـارى غلوا على حين أن المسلمين توسطوا، وهم أمة وسط في كل الأمور في التوحيد، والأنبياء، والشرائع.

وعنـدما أعـادوا استدلالهم ببعض نصـوص القـرآن على مـدح مـا هم عليـه، وذكـروا أن القرآن سـوّى بين الأديان، وأن قـرابينهم قد مـدحت على ألسنة الأنبيـاء السابقين، ونقلوا عن أشعيا، ودانيال، وميخا، وعاموص نصوصاً يبـرّرون بها قـولهم هذا، عندما ذكروا ذلك أبطل الشيخ ــ رحمه الله ــ مزاعمهم وتصدّى لتلك النقـول بالتحليل والدراسة التي خرج منها بإبطال استدلالهم بها.

وقد بيَّن ــ رحمه الله ــ أنه يلزمهم لصحة الاستدلال أربعُ مقدمات مهمة:

الأولى: ثبوت نبوة هؤلاء الأشخاص.

الثانية: العلم بلفظ المتكلم.

الثالثة: العلم بصحة الترجمة.

الرابعة: أن يُعلم هل ما ذكروه يدل على ما قصده هؤلاء.

وقد بيَّن أن ما في تلك النقول لا يزيد عن كونـه إخباراً بمجيء المسيـح عليه السلام، وهذا أمر لا نزاع فيه بين النصارى والمسلمين.

وفي فصول ثلاثة متتابعة بعدما سبق أبطل الشيخ رحمه الله ما زعموه في بداية الرسالة من أن رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خاصة بالعـرب، وقد أضـافوا فـرية قبيحـة مضمـونهـا أن محمـداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ متشكـك في أمـره، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٤].

وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٩].

فرد هذه الفِرية القبيحة وأوضح الحق في هذه النصوص، ودفع الباطـل الذي جاؤا به.

وعندما أرادوا وضع تفسير مقبول في زعمهم للتثليث القبيح الذي هو دينهم ليخففوا بذلك من شناعته وبعده عن الحق، فنَّد المؤلف تفسيرهم وزعمهم الباطل باثني عشر وجهاً أوضح فيها أنهم لا يؤيدون التثليث بالعقل؛ لأنهم يعرفون نفوره منه، لكنهم يزعمون أن الكتب الإلٓهية جاءت به.

وزعموا أيضاً أن الله تعالى سمّى لاهوته بهذا التثليث، ونقلوا نصوصاً زعموا أنها أدلة لهم على الأقانيم، واستدلوا بآية من القرآن الكريم فدحض جميع ما ذكروه بالنقل والعقل في فصول متعددة من هذا الكتاب النفيس.

ثم تحدث ـ رحمه الله ـ عن تناقضهم في عقيدة إيمانهم بقولهم: «نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إلٓه حق من إلٓه حق من جوهر أبيه مساوٍ للأب في الجوهر».

وناقشهم في ذلك مناقشة قوية مستفيضة مدعومة بالأدلة النقلية، والحجج العقلية وكل ذلك في فصول متتابعة أظهر فيها طول باعه، وقوة حجته مما قطع معه كل حجة لمخاصم، وأوضح مدى التشابه بين عقائد أهل الباطل من النصارى واليهود وأهل البدع والضلالات المنتسبين للإسلام.

وعندما حاول بولص في رسالته أن يثبت أن لديه أدلة على ما يزعمه من معتقدات في التثليث والمسيح من الكتب التي بأيدي اليهود وإن كفروا بالمسيح رد الشيخ رحمه الله بأن كفر اليهود بالمسيح معروف لا يحتاج إلى دليل، ولكنه شبيه بكفر النصارى بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تماماً، فكل فريق أسوأ حالاً من الآخر، وهكذا في فصول متتالية يناقش المؤلف ما ورد في رسالة بولص من الاستدلال بما في الكتب السابقة، وخصوصاً قضية التثليث التي تكرر ذكرها، والاستدلال عليها في هذا الجزء من الكتاب، وكذلك قضية الأقانيم وظهور اللاهوت في عيسى بن مريم عليه السلام.

وعندما فسَّروا تجسّم كلمة الله في المسيح، وزعموا أن هذا اتحاد بريء من الاختلاط، أو التغير أو الاستحالة ناقشهم المؤلف بتسعة عشر وجهاً بيَّن فيها تناقضهم، وفساد قولهم، وأنه لا يوجد معهم منقول صحيح ولا معقول صريح.

وفيما بقي من فصول هـذا القسم يبيِّن تناقض النصـارى في عقيدة إيمـانهم، ويستـدل بأقـوال من أسلم منهم كالحسن بن أيـوب ــ رحمه الله ــ حيث كتب كتـاباً لأخيه علي بن أيوب يبيِّن فيـه سبب إسلامـه، ويوضـح فيه اختـلاف دين النصارى، وتناقض عقائدهم ليجعل من هذا حجة على بطلان ما هم عليه ما دام قـد جاء ذلـك من رجل خبير بما يعتقدونه، ثم يستشهد بما كتبه سعيد بن البطريق من كبار مؤرِّخي النصارى (بطرك الإسكندرية في عصـره)، في تأريخـه المعروف بنـظم الجوهـر عن مجامع النصارى التي تبين مدى اختلافهم، ولعن بعضهم بعضاً، وأن غـالب آرائهم يخضع للسلطان والهوى، وإن كان ابن البطريق يـريد أن يـرد على النسطوريـة التي خالفت عقيدته لأنه من الملكانية.

ثم لم يـدع ابن تيميـة ــ رحمـه الله ــ قـول ابن البـطريق، وعقيـدة فـرقتـه الملكانية؛ بل رد ذلك، وناقشهم مناقشة قوية بيَّن فيها أن قول الملكية أشـد بطلانـاً من قول النسطورية، وأعظم كفراً وتناقضاً.

وقد خرج الشيخ ــ رحمه الله ــ من كلام ابن البطريق بفائدة مهمـة، وهي أن أول ملك أظهر دين النصارى هو قسطنطين بعد المسيح بحوالي ثلاثمائة سنة وبذلك اختلط دينهم بالأوهام والخرافات، وضـرب لذلـك مثلاً بقصـة تعظيم الصليب حيث رأى قسطنطين في نومه صورة صليب من الكواكب، وكذلك ما فعله أحد بـطاركتهم في كنيسة المشركين بالإسكندرية التي فيها صنم باسم (ميكائيـل) فجعلها النصـارى كنيسة باسم ميكائيل الملك وهكذا.

وفي آخر هذا الجزء من الكتاب يحاول الكاتب أن يلبِّس بقوله أن قـولهم في آب، وابن، وروح قـدس مثل مـا عند المسلمين من عقيـدة في صفات الله تعـالى، وأنـه إذا كان قـول النصارى المشـار إليه فيـه تعـدد، فقـول المسلمين في الصفـات يقتضي التشبيه والتجسيم.

وقد توسع المؤلف ــ رحمه الله ــ في الجواب عن هذا القول الباطل وامتد به الحـديث عدة فصـول تعرض فيهـا إلى مذاهب المسلمين في الصفـات، والمذهب الموافق للدليل والذي عليه أهـل السنَّة والجمـاعة من الإيمـان بصفات الله من غيـر

تشبيه ولا تعطيل، وهو في هذا يدعم ما يذهب إليه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم يسوق أقوال أهل العلم في تفسير هذه النصوص ليوضح لكل ذي لب أن مسائل العقيدة عند المسلمين ليست وليدة آراء مجامع، ولا قرارات كنائس، ولا وجهات نظر لبعض الناس دون بعض وهو مع هذا يربط الكلام بالرد على تفاسير النصارى للألفاظ التي وردت في النصوص من القرآن الكريم أو التوراة أو الإنجيل.

وفي القسم الثالث من هذا الكتاب النفيس عقد المؤلف فصلاً يعد آخر حلقة في سلسلة قضية التعدد، والتثليث التي حللها تحليلاً دقيقاً، واستعرض جميع جزئياتها، وآخر هذه الأجزاء هو موضوع الجوهر، والعرض وإطلاقهما، واستخدامهما في مسائل الألوهية عند الفلاسفة، وأهل الكتاب، وعلماء المسلمين وعلاقتها بالذات، والصفات.

فقد نقل الواسطة بين شيخ الإسلام، والنصارى تسميتهم الباري ـ تعالى ـ بالجوهر، فناقش الشيخ هذه المسألة من وجوهٍ بيَّن فيها أن هذه التسمية من قبل النصارى هي أقل المآخذ خطورة في عقيدتهم، وأنها جاءتهم من قبل الفلاسفة، وأما اللغة العربية فليست هذه التسمية أصلية فيها.

ثم بيَّن موقف الرسل عليهم السلام، وأتباعهم من ذلك فقال ـ رحمه الله ـ : «إن نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته سبحانه، وليست صفاته خارجة عن مسمى اسم، ولا زائدة على مسمى اسمه».

ثم كشف الشيخ وهْماً يقع فيه أولئك، وهو أنهم قدروا ذاتاً مجردة عن الصفات مع أن هذا التقدير خيالي فقط، ولا يمكن أن يوجد في الواقع، والمناقشة إذا لم تكن ذهنية عينية فإنها تؤدي إلى الشطط والضلال.

ثم بيَّن عدم تصريح الرسل بهذه التسمية فكان ينبغي لهم إن كانوا متبِّعين للرسل ألا يخترعوا شيئاً في عقيدتهم من تلقاء أنفسهم.

ثم ذكر الشيخ أن عمدتهم في إطلاق الجوهر هو زعمهم أن هناك نوعين من الجواهر: جوهراً لطيفاً، وجوهراً كثيفاً. مع أنهم لم يثبتوا ذلك بالدليل، ثم جزم بأنهم لن يجدوا دليلاً لو أرادوا ذلك، ثم ناقشهم في تمثيلهم بجوهر الضوء، وأمثاله

وأنه مثال محتمل لأكثر من معنى، وكل معنى له حكم مستقل فلا حاجة لهم فيه.

ثم أوضح ــ رحمه الله ــ التناقض بين عباراتهم التي تقرر أن الموجود إما جوهر وإما عَرَض، وأن الجوهر هو القائم بذاته، والعرض هو القائم بغيره، وبين إقرارهم بأنه تعالى موجود حي ناطق له حياة، ونطق؛ لأن الحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما؛ بل بغيرهما ثم تظهر ثمرة هذا البحث الدقيق في هذا الفصل عندما تطبق نتائجه على قضية الابن (المؤله) عندهم، فإن كان ــ في نظرهم ــ جوهراً فيكون هناك جوهر الآب، وجوهر الابن، وهذا يبطل قولهم: «إنه إله واحد، وأنه أحَدَي الذات، ثلاثي الصفات، وأنه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم...».

وإن قالوا بأنه عَرَضٌ فقد صرَّحوا بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض مع أنهم قد أنكروا هذا في كلامهم، وقالوا: «هو جوهر لا تقوم به الأعراض».

ثم عقد فصلاً هاماً وموسعاً بشأن مقالة النصارى بعدم ضرورة وجود هذا الدين ــ الإسلام ــ وهو يناقش جزءاً من كتاب النصارى ــ أهل قبرص ــ فأجاب عليهم باثني عشر وجهاً بيَّن فيها ضعف رأيهم، وسقوطه بشأن تقسيم الشرائع إلى شريعتين: شريعة عدل، وشريعة فضل، وأفاد رحمه الله بأن الشرائع ثلاث: شريعة عدل فقط، وشريعة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل وهي الشريعة الكاملة، واتخذ من سورة البقرة أمثلة على ما يقول.

ثم أوضح وجوهاً من عدم الكمال في التوراة والإنجيل بالنسبة للإسلام، ومع هذا فلم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل؛ بل أحدثوا شريعة خارجة عنهما، يغلب عليها الطابع البشري التأليفي، وحوَّلوها إلى ما يشبه الوثنية كنصب الصور، وتعظيمها والتماثيل ونحو ذلك، وقرر كذلك أنه لو افترض أن شريعة الكتابين كافية فإنما يكون ذلك لو كانت محفوظة، وهذا غير ما هو حاصل، وبيَّن أيضاً غلبة الشدة على شريعة التوراة، وغلبة اللين على شريعة الإنجيل، وأما شريعة القرآن فجاءت معتدلة جامعة بين هذا وهذا، وختم الفصل بقول بعضهم: بعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالكمال.

وعندما أوردوا أدلة ينسبونها إلى الأنبياء بيَّن الشيخ من وجوه عدة أن

احتجاجهم بتلك المنقولات ليس لهم فيه حجة، ففي هؤلاء من لم تثبت نبوته أو لم يثبت نسبة هذا الكلام المنقول إليه، ولا بد من التسليم بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل التسليم بنبوة غيره... إلخ ما قال.

ثم عقد فصلاً أثبت فيه الفضل والكمال لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولشريعته وأمته، وبيَّن أنه لا يمكن أن يحتجوا بشيء من كلام محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أو غيره من الأنبياء على ما يخالف دين المسلمين من دينهم؛ لأنه لا يمكن أن يقوم على الباطل دليل صحيح، وأما ما وقع على خلاف ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو إما منسوخ، أو مما حرفوا معناه وتأويله، وإن كان المحرف بلفظه قليلاً، وهذا التحريف واقع إما عمداً، وإما بسبب الترجمة أو في التفسير والشرح أو التأويل، ويمتنع قطعاً أن يخبر نبي بشيء، ويخبر محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنقيضه.

وقد انتقل بعد ذلك إلى قضية كبيرة هي قضية البشارات، حيث أن من النصارى من يجحد بشارات النبوات بمحمد ويثبتها للمسيح فقط. وعلى هذا فقد قرروا أن من لم تبشر به النبوات فليس بنبي، وقد ناقش هذه الفكرة، وحللها، واستدل بالأدلة الكثيرة العقلية والنقلية من القرآن والسنَّة والنصوص الكتابية والآثار المتعددة على إثبات بشارة الأنبياء والكتب السابقة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقد سرد مجموعة من الحجج المنطقية القوية وحشداً كبيراً من النصوص الكتابية، وشرحها وبيَّن اتفاقها مع واقع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وواقع الإسلام.

فقد أورد بشارات من العهد القديم، من مزامير داود ومن نبوة أشعيا ومن نبوة دانيال، ثم من العهد الجديد، من سفر يوحنا، ومن سفر متى، ومن كلام شمعون ومن كلام المسيح ـ عليه السلام ـ، ثم أخذ في شرح عبارات مختارة من هذه النقول، ثم أردف ذلك بنصوص وأمثلة من أخبار القرآن الكريم الغيبية، واستحالة معرفة غير رسول بها، وامتناع حصوله عليها من مصدر غير إخبار الله ـ سبحانه ـ وذلك من خمسة أوجه. وقد مرَّ في أثناء ذلك بما يزعمه الفلاسفة بشأن النبوة فدحضه وأبطله، وكذلك بمزاعم المشركين حيال النبوة ـ أيضاً ـ فردها رداً منطقياً ونقلياً.

ثم أنشأ فصلاً واسعاً أثبت فيه اعتراف المشركين وأهل الكتاب في قرارة نفوسهم بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وإن أنكروها أو أنكرها بعضهم بلسانه، بالإضافة إلى الأدلة الواقعية الكثيرة التي تؤيد ذلك.

ثم انتقل إلى الحديث المباشر عن آيات النبوة ودلائلها بحديث شامل، ودراسة عامة، في فصول متتابعة، بيَّن في أولها وضوح دلائل النبوة وتنوعها وكثرتها، ثم تناول تسمية الدلائل بالمعجزات، وكذلك الكرامات وعالجها وتوصل إلى نتيجة واضحة بشأن ذلك، ثم اتبع ذلك بمبحث في إعجاز القرآن من أكثر ــ إن لم يكن من جميع ــ جوانبه، وبعده تحدث عن علامات النبوة في سيرته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : في أخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته، وقرر أن أمته من آياته، وعِلْم أمته ودينهم من آياته ــ أيضاً ــ ، وإن كرامات صالحي أمته من آياته ــ كذلك .

وبعد هذا عقد فصلاً أورد فيه مجموعة كبيرة من النصوص التي تتحدث عن صفاته الخَلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ والمعيشية والاجتماعية ودلالتها على نبوته ورسالته. ثم كتب فصلاً في إثباته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لليوم الآخر والمعاد، وأن ذلك من دلائل نبوته، حيث أن الإيمان به هو الثمرة العملية للإيمان بالله ــ تعالى ــ وبالإيمان بالله وبالمعاد يستقيم المرء على شرع الله ــ تعالى ــ وتقبل نفسه على عبادته والتقرب إليه، ويتم بذلك صلاح الحال والمآل.

ثم بيَّن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن من ادَّعى النبوة لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

الأول: إما أن يكون نبياً صادقاً مرسلاً من الله كما أخبر عن نفسه.

الثاني: وإما أن يكون ملكاً عادلاً وضع ناموساً سياسياً وقانوناً عدلياً ينتفع به الخلق.

الثالث: وإما أن يكون رجلاً كاذباً فاجراً أفاكاً أثيماً يتعهد الكذب والظلم أو يتكلم بلا علم.

وبعد مناقشتها يتضح للمرء ــ وضوح الشمس في رائعة النهار ــ صدقه وأهليته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للنبوة والرسالة.

وفي فصول تالية تحدث عن قصة الفيل ودلالتها على النبوة، وعن حراسة السماء إبان البعثة. وذكر السبب في ابتدائه بذكر نصوص من القرآن في مجال آيات النبوة (لأن من أهل الكتاب من يقول: «لا نصدق إلَّا بما في القرآن كما في التوراة والإنجيل»).

وفي فصل بعده قرر أن آياته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الفعلية والخبرية، وأورد لذلك طائفة كبيرة جداً من نصوص السنَّة النبوية. واتبعه بفصل آخر في آياته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير، وقسمها إلى ستة أنواع:

الأول: ما كان في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب.

والثاني: آيات الجو كاستسقائه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ واسصحائه.

والثالث: آثاره في الأشجار والخشب.

والرابع: تكثير الماء والطعام والثمار ببركته فوق العادة.

والخامس: تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له.

والسادس: تأييد الله له بملائكته.

ثم كتب فصلاً يشرح فيه: كيف أن هذه الأخبار التي أوردها في أنواع الآيات الستة تفيد العلم، وفيه تحقيق رائع لهذا الأمر الهام، وتجلية لمعالمه وأسسه. وذلك من طرق ستة هي: التواتر العام والتواتر الخاص والتواتر المعنوي، وشهادة الجماهير الكثيرة للآيات، وسماعهم لنقلها، وإقرارهم للناقل، وعدم الإنكار، وتواتر ما فيه كفاية من هذه الآيات عند كل صنف من العلماء، كعلماء التفسير والحديث والفقه وعلماء الأصول والكلام وغيرهم. والطريق السادس: اهتمام العلماء بذلك الأمر وتصنيف المصنفات المجردة فضلاً عما ضمنوه في مصنفاتهم ولم يجردوه.

وقـرر في فصل تـالٍ عدم اختصـاص آيات النبـي ــ صلّى الله عليـه وسلَّم ــ بزمن حياته فقط، بل هي في زمنـه وقبل مـولده وبعـد مماتـه، فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبـوة أو حال التحـدي ــ كما ظنـه بعض أهل الكـلام، ثم ذكر أن من آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم. وقد فصل القول في ذلك ودلل وأكثر من الشواهد وإيراد الاحتمالات وردها.

ثم انتقـل إلى ذكر نـوعي الأدلة، وأثبت أن أدلـة الأنبياء هي من جنس الأدلـة التي تدل على العلم بالمدلول عليه، مع الحـرص على الرغبـة فيه أو الـرهبة منـه، وليست من النـوع الـذي يـدل على مجـرد العلم بـالمـدلـول عليـه. ثم اتبع ذلـك بالحديث عن مسألة طلب آية ثانية وثالثة على نبوة النبـي، وقـرر أنه لا يجب إجـابة الطالب لآية ثانية ثم بيَّن أنه قد يكون من الحكمة تتـابع الآيـات كما هـو الحال في نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نظراً لعموم دعوته وشمولها، وقد عرض الشيخ ــ رحمه الله ــ إلى أن هناك نـوعاً من الآيـات توجب عـذاب الاستئصال، كمـا كان الكفار يقترحون على الأنبياء آيـات غير التي جـاءوا بها، فتـارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من المصلحة والحكمة، وتارة لا يجيبهم لما في ذلـك من المضرة والمفسـدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم ممن يعلل أفعاله ــ تعـالى ــ ، وممن لا يعللهابـرد الأمر إلى محض المشيئة.

وفي آخر فصلين من الكتاب تحدث في أولهما عن طبيعة الخبر حديثاً موسعاً مدعماً بالأدلة الشرعية، والقواعد الأصولية، حـديث العالم المتبحـر الجامـع لأنواع الفنون والعلوم، وهذا ما فعله في الفصل الثاني في حديثه عن طبيعة المخبر وصفاته وأحـواله، وأحكـام العلم بصفات هـذا المخبر، وكيفيـات هـذا العلم وبعض الآراء الكلامية، وأنواع الناس في الحاجة إلى معرفة النبـي المعين وبذلك ختم الكتاب.



وصف النسخ المخطوطة
وخطوات تحقيق الكتاب

* أولاً ــ مخطوطات الكتاب ونسخه:

لم يتوفر للكتاب كله نسخٌ كاملة سوى نسخة دار الكتب المصرية (٥)، المطبوعة.

ولقد يسر الله تبارك وتعالى، لنا الحصول على أربع نسخ مخطوطة للكتاب، منها ما هو كامل، ومنها ما يكمل بعضه بعضاً، وهي كما يلي:

النسخة الأولى ــ ورمزها (أ):

وهي نسخة (طبقبوسراي) من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول بتركيا، برقم (٢٨٧)، وهي أقدم نسخة حصلنا عليها، وقد كتبت على أول ورقة منها عبارة تملك هذا نصها: (انتقل بالبيع الشرعي إلى أحمد بن محمد بن زيد على يد شمس الدين اللولوي، وعلى يد ولده، في أوائل شعبان سنة إحدى وستين وثمان مائة).

وهذا يدل على أنها قريبة جداً من عصر المؤلف.

وهي تمثل نصف الكتاب تماماً، فعدد أوراقها يمثل ٣٩٢ ورقة، أي ٧٨٤ صفحة، وقد كتبت بقلم معتاد واضح، وفي الصفحة ٢٣ سطراً. وقد رمزنا لها بحرف (أ).

٢ ــ النسخة الثانية ــ ورمزها (س):

وهي مصورة عن نسخة بالمكتبة السليمانية (كتبخانة ياني جامع)، أي مكتبة الجامع الجديد، بإستانبول، برقم ٧٣٢، وفي آخرها ذكر أن تاريخ نسخها في رجب سنة ١٠٩٤هـ، بدون ذكر اسم الناسخ.

وعدد أوراقها ٣٢١ ورقة، وهي تمثل نصف الكتاب تماماً مثل نسخة طبقبوسراي، أي تساوي ٦٤٢ صفحة تقريباً، وهي قريبة الشبه في خطها المعتاد بالنسخة (أ)، إلَّا أن أسطرها أقل بـ ٢٥ فقط . ولا تخلو من بعض السقط والأخطاء الإملائية، بعكس النسخة السابقة.

٣ ـ النسخة الثالثة ـ ورمزها (هـ):

وهي نسخة أحضرناها من مكتبة جامعة ليدن بهولندا، وهي برقم ٤٠، وهي في ١٨٢ ورقة، أي ٣٦٤ صفحة تقريباً، وهي تعد تكملة لنسخة طبقبوسراي، لأنها تبدأ حيث انتهت تلك، وكذلك على أول ورقة منها كتب (الجزء الثاني من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . . .)، وعليها نفس التملك الذي على نسخة طبقبوسراي (انتقل بالبيع الشرعي إلى أحمد بن محمد بن زيد، على يد شمس الدين اللولوي . . . في أوائل شعبان سنة إحدى وستين وثمانمائة). ولذلك اعتبرناها نسخة واحدة، لتقارب القلم الذي كتبتا به وتساوي الأسطر، وتاريخ نسخها سنة ٧٣٠هـ مذكور في آخرها، ولم يذكر اسم الناسخ، ولكنها ـ كما في آخرها ـ قوبلت على أصل صحيح بخط المؤلف.

٤ ـ النسخة الرابعة: ورمزها (ك):

وهي نسخة مصورة عن نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٣٧٨، وقد كتبت بخط نسخي مختلف في بعض الصفحات، وتاريخ نسخها متأخر، حيث كتب في آخرها (آخر الجواب الصحيح . . . بقلم الحاج علي اللبدي الحنبلي، وذلك ليلة الأربعاء غرة ربيع الأول المبارك من شهور سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين من الهجرة النبوية.

وهي نسخة كاملة لهذا الكتاب، وعدد صفحاتها ٨٣٢ صفحة، وفي كل صفحة من ٣١ إلى ٣٤ سطراً.

وهذه النسخة كثيرة الأخطاء، مختلفة الخطوط، فيها بعض خروم وسقط يصل إلى أكثر من صفحة أحياناً، وهي غالباً ما تتفق مع المطبوعة في أخطائها.

٥ ـ النسخة المطبوعة ـ ورمزها (ط):

وهي طبعة المدني، ذات الأربعة أجزاء في مجلدين، وطبعت عام ١٩٦١م وقد سبقتها طبعة النيل سنة ١٩٠٥م بمصر بمعرفة الشيخ فرج الله زكي الكردي، والشيخ مصطفى القباني الدمشقي، ولم يكن لها ـ أي طبعة النيل ـ مقدمة ولا عليها أي تعليق وإنما وضعوا لها خاتمة تقارب صفحة، ذكروا أنه لا يوجد لها مخطوطة كاملة في أي قطر من الأقطار، إنما هم طبعوها على أجزاء متفرقة عند بعض أعيان مصر وبغداد.

أما طبعة المدني، فإنها مطابقة لطبعة الكردي، إلَّا أن المدني جعل لها مقدمة تكلم فيها عن أهمية الكتاب وموضوعاته باختصار، ولم يشر إلى المخطوطة أو النسخة التي طبع عليها، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه اعتمد على طبعة الكردي السابقة.

وقد زاد المدني أيضاً بجعل عناوين لبعض الفصول، وليته لم يفعل، إذ أنه زاد الكتاب غموضاً، حيث أن العناوين ليست مطابقة لما تحتها، لأنه يأخذ أول كلمة في الفصل فيجعلها عنواناً له وهكذا.

ثم لا نعلم على أي أساس اعتمد المدني والكردي من قبله في تقسيم الكتاب إلى أربعة أجزاء، إذ أن جميع المخطوطات التي أحضرناها لم تُقسَّم أبداً.

ويلاحظ على المطبوعة أنها كثيرة الأخطاء، حتى في الآيات القرآنية، وفيها سقط يصل إلى السطر أحياناً، وفيها أغلاط طباعية كثيرة، علاوة على عدم تخريج الأحاديث والآثار ونحوها.

بقي أن نذكِّر القرّاء الكرام أن الجزء الأول من الكتاب تمَّت مقابلته على ثلاث نسخ مخطوطة هي: (أ) طبقبوسراي و (س) السليمانية و (ك) دار الكتب المصرية، إضافة إلى المطبوعة (ط).

والجزء الثاني تمَّت مقابلته على أربع نسخ مخطوطة هي الثلاث السابقة ومخطوطة جامعة ليدن بهولنده (هـ)، إضافة إلى المطبوعة.

وأما الجزء الثالث والأخير، فإنه تمَّت مقابلته على نسختين مخطوطتين هما (هـ) ليدن و (ك) دار الكتب، إضافة إلى المطبوعة.

وسبب هـذا التفاوت كـون نسختي تركيـا (أ) و (س) أخذتـا نصف الكتاب وتوقفتا في منتصف الجزء الثاني تقريباً، ثم بدأت نسخة جـامعة ليـدن (هـ). ولهذا صارت النسخ الكاملة ثلاث المطبوعة، ونسخة دار الكتب، ونسختـا تركيـا + نسخة ليدن، وبالله التوفيق.

* ثانياً ــ خطوات التحقيق:

(أ) تحقيق النص:

اختـرنـا طريقـة انتخاب النص، وتبيَّن لنـا بعد المقـابلة أن هنـاك فـروقـاً بين النسخ، وعندما تختلف النسخ نثبت ما نراه صواباً ونشير في الهامش إلى الفروق.

وكذلك إذا حصل اختلاف بين النسخ في التقديم والتأخير نثبت ما نراه مناسباً للسيـاق، ونشير إلى المـرجوح في الهـامش، وإذا سقطت جملة أو كلمـة من بعض النسخ نضعها بين نجمتين ونضع لها رقماً، ثم نشير إلى سقوطها من النسخ الأخرى في الهـامش، وذلك إذا تبين ضـرورتها، أو وجـود فائـدة بإضـافتها بشـرط مناسبتهـا للسياق، أما إذا كـانت زائدة فـإننا نشيـر إليها في الهـامش، ونبين أنها زائـدة، وإذا اجتمعت النسخ على خطأ نحوي فإننا نصححه ونشيـر إليه في الهـامش، أما الخـطأ في الآيـات فإننـا نصححه بـدون إشارة في أغلب الأحيـان، وإذا سقطت كلمـة من جميع النسخ، ورأينا أن الكلام لا يستقيم بدونها فإننا نثبتها بين قوسين.

(ب) رقَّمنا الآيات وأشرنا إلى سورها، وخـرَّجنا الأحـاديث والآثار واجتهـدنا في تخريج الأحاديث والآثار التي يـوردها المؤلف من عـدة أماكن قـدر استطاعتنـا، ونعترف بأنـه مَرّ بنـا نصوص، وأقـوال ــ قليلة ولله الحمد ــ لم نجـد مراجعهـا على الرغم من البحث الطويـل والاستعانـة بالمتخصصين في بعض الأحيـان، ومع ذلـك لم نوفق إليها، إما لأن مصادرها مفقودة، وإما لعدم استطاعتنا، وقصر باعنا، وحسبنا أننا بذلنا الجهد في سبيل ذلك.

(ج) أشرنا إلى مواضع النصوص التي نقلها المؤلف من كتب العهـد القديم والجديد، وبسبب اختلاف الترجمات للتوراة والإنجيل، ووجود التنـاقض بينها فـإنه

يوجد فـروق بين النسخ التي نقـل منها الشيـخ ابن تيمية ـ رحمـه الله ـ وبين ما في أيدي الناس اليـوم، كما هـو معلوم عند أهـل الاختصاص، كـذلك فقـد أبقينا على النص الذي ساقه المؤلف، وذكرنا النص الذي وجدناه قريباً منه بلفظ في الهامش.

أما إذا كان بعينه، فإننا نكتفي بذكر رقم الإصحاح ومكانه.

(ح) وضعنـا عناوين جـانبية لفصـول الكتاب لتسهـل مـطالعتـه، وقـد يـورد المؤلف كلمـة (فصل) بين كـلام في مـوضـع واحـد، فنبقي على الكلمـة لضـرورة المحافظة على النص، ولا نضع عنواناً جديداً.

(هـ) ترجمنا للأعلام، وأحلنا على مصادر الترجمة، وعندما يتكرر العلم فإننا نكتفي بالإشارة إلى أنها سبقت ترجمته، بدون تحـديد المكـان لأن فهرس الأعـلام هـو الكاشف لمكـانه، وقـد وضعنا فيـه رقم الصفحة التي وردت فيهـا ترجمتـه بين قوسين، وأشرنا إلى ذلك، ثم عرفنا بـالفرق، واجتهـدنا في الإحـالة على مـواضعها من كتب الفرق، ثم عرفنا بالأماكن والغزوات والقبـائل والأمم، وكـذلك أشـرنا إلى مواضع الأبيات الشعرية قدر استطاعتنا. والله أعلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الجواب الصحيح
لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمّد الحمدان

المجلّد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

لاإلـه إلّا الله محمد رسول الله، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

و(1) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (2).

و(3) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ... ﴾(4).

والله أكبر(5)، الله أكبر، لا إلـه إلّا الله، و(6)الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (1) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (4) مَّا

---

(١) في ط: (الحمد لله)، بدون واو.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١.
(٣) في ط: (الحمد لله)، بدون واو.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١١١.
(٥) في ط زيادة (وكبره تكبيراً)، قبل والله أكبر.
(٦) سقطت الواو من ط، ك.

لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ (١).

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (٢).

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم:

﴿ ... لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٤) (٥).

الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الأول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز

---

(١) سورة الكهف: الآيات ١ ــ ٥.
(٢) سورة سبأ: الآيتان ١، ٢.
(٣) سورة فاطر: الآية ١، ٢.
(٤) سقطت لفظة: (العلي) من نسخة ك.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، وأنزل عليه:

﴿... أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[1].

كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم:

﴿... إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ ...﴾[2].

* هداهم به إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض *[3]، وهو صراط الذين[4] أنعم الله عليهم من

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١، ٢.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من ك، ط.

(٤) في أ، س: (وهو الصراط المستقيم الذي)، وما أثبتناه من ك، ط أولى مع سياق الكلام.

(٥) في ك، ط جاءت الجملة هكذا: (وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم...) إلخ الجملة، وسقطت منهما جملة: (هداهم به إلى صراط مستقيم...) إلخ.

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله.

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ . . . ﴾[1] الآية.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

وقال[3] في الآية الأخرى: ﴿ . . . وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4].

﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٣) في نسخة ك بإسقاط قال، وفي ط (كما) بدل (و).

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٢ ــ هكذا ذكرت آية الأنبياء بين آيتي (المؤمنون) ونص آيتي الأنبياء هو: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾ ٩١، ٩٢.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فصدق[3] كتابه ما بين يديه من كتب السماء، وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4](*).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) في ط (فمصدق).

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(*) الأسباط: هم ولد يعقوب ـ عليه السلام ـ، وهم اثنا عشر ولداً. ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر. أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطه.

والأسباط هم: رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، إخوة أشقاء، ويوسف، وبنيامين شقيقان. ودان، ونفتالي شقيقان، وجاد وأشير شقيقان.

انظر: سفر التكوين: الإصحاح: ٢٩ فقرة ٣١ ـ ٣٥. =

وهيمن على[1] ما بين يديه من الكتاب، وذلك يعم[2] الكتب كلها، شاهداً وحاكماً ومؤتمناً، يشهد[3] بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة.

وقرر ما في الكتاب الأول[4] من أصول الدين وشرائعه الجامعة، التي اتفقت عليها الرسل: كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام، وأول[5] الأعراف، وسورة سبحان، ونحوها من السور المكية.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ

= وانظر في تفسير الأسباط: تفسير الإمام الطبري ١/٤٤٢، ٤٤٣ (المجلد الأول) ط دار الفكر؛ وتفسير القرطبي ٢/١٤١ (المجلد الأول) [البقرة: ١٣٦]، وتفسير ابن كثير ١/١٨٧؛ والبداية والنهاية ١/١٩٥، وتاريخ الطبري ١/٣١٧؛ وقصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار ص ١٢٠؛ والقاموس المحيط؛ باب الطاء، فصل السين ٢/٣٦٢؛ والمصباح المنير ١/٣٥٩.

(١) في أ، س (عليه) وصوابه ما أثبتاه من ك، ط.
والقرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب، ومهيمن عليه كما قال ـ تعالى ـ في [سورة المائدة: ٤٨]: **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**... الآية، والخطاب لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعنى الكتاب الثانية جنس الكتاب. والمهيمن: الشاهد، وقيل: الحافظ، وقيل: المصدق، وقيل: الغالب المرتفع، وقيل: الأمين، وقيل: المؤتمن. قاله ابن عباس.
وقال ابن جبير: القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، وهذه الأقوال كلها متقاربة. قال المفسِّرون: والمعنى أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ. وناسخاً لما خالفه منها، ورقيباً عليها، وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع، وغالباً لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ. ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك.
انظر تفسير ابن جرير الطبري ٦/١٦٢ ـ ١٧٣ مجلد (٤)، وتفسير القرطبي ٦/٢٠٩ (المجلد الثالث)، وابن كثير ٢/٦٥، وفتح القدير ٢/٤٧ ـ ٤٨.

(٢) في س (نعم).
(٣) في ط (شهد)، وفي ك (فشهد).
(٤) في ط (الكتب المتقدمة).
(٥) في ط زيادة (سورة).

وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا
تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟
مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ
وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ
إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾
۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ١٥٠ ــ ١٥٣.

(٢) سورة الأعراف: الآيات ٢٩ ــ ٣٢.

ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟
إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن
رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا
تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا
يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ
لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا
مَّدْحُورًا ﴾[1].

فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن[2] شرعة ومنهاج[3]، ولهذا قال ـ صلَّى الله عليه

(١) سورة الإسراء: الآيات ٢٣ ـ ٣٩.
(٢) سقطت (والقرآن) من ط.
(٣) في ط، س (منهاجاً)، وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه من أ، ك.

وسلَّم ــ في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إنّا معاشر[1] الأنبياء ديننا واحد، وإن أَوْلى الناس بابن مريم لأَنا[2]، إنه ليس بيني وبينه نبي»[3].

فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين، الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً.

---

(١) في ط (معشر).

(٢) في ط، ك بدل جملة (وإن أولى الناس بابن مريم لأنا) وأنا أولى الناس بابن مريم، وفي ط (لأنه) بدل (إنه).

(٣) الحديث ورد في صحيح البخاري هكذا عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». ورواه من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ مقارب في الأنبياء/ باب واذكر في الكتاب مريم ١٤٢/٤، وأخرجه مسلم بنحوه في الفضائل، باب فضائل عيسى ــ عليه السلام ــ صحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/١٥ (مجلد ٨)، ورواه أبو داود في السنة، باب التخيير بين الأنبياء ٥٥/٥ (٤٦٧٥)، ورواه أحمد في المسند ٣١٩/٢٥، ٤٣٧. وفيه زيادة (وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض. . .) الحديث، ورواه في ٤٦٣/٢، ٤٥١، وأخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه/ كتاب التاريخ/ باب ذكر عيسى بن مريم ٥٩٢/٢.
قال النووي ــ رحمه الله ــ : «أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام ــ هم الأخوة لأب من أمهات شتى ــ قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، وأنهم متفقون في أصول التوحيد. وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.
وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٣٥٤/٦، حيث قال: «العلات الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فإنه عل منها. والعلل الشرب بعد الشرب».

قال ـ تعالى ـ :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

و[2]قال ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[4].

وقد خص الله ـ تبارك وتعالى[5] ـ محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

(١) سورة الروم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٥٠ ـ ٥٣، وفي ط، ك زيادة: وقال في الآية الأخرى ﴿فاعبدون﴾ وهي إشارة إلى آية الأنبياء ٩٢.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٥) سقطت (تبارك) من ك، ط.

بخصائص ميزه[1] بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجاً، أفضل شرعة وأكمل منهاج[2].

كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله[3] من جميع الأجناس، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم، وجعلهم وسطاً عدلاً خياراً، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حرم على اليهود، ولم يحل لهم شيئاً من الخبائث[4] كما استحلتها النصارى، ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة[5] النجاسات من أنواع القرب والطاعات، حتى يقال في فضائل الراهب: «له أربعون سنة ما مس الماء»[6]، ولهذا تركوا الختان

(١) في ط، زيادة لفظة الجلالة (الله).
(٢) في ط، ك زيادة لفظة (مبين).
(٣) سيأتي تخريج الحديث، وبيان المراد به.
(٤) في س (ولم يحل لهم من الخبائث شيئاً).
(٥) في أ، س (مباشرات)، وفي ط (مباشر)، وماأثبتناه من ك.
(٦) ذكر الدكتور رؤوف حبيب أحد كتاب النصارى في كتابه تاريخ الرهبنة والديريه في مصر ص ٣٩ (ط العالم العربي بالقاهرة)، ذكر هذا الكاتب في معرض حديثه عن القديس أنطونيوس أنه «لم يغتسل طوال حياته الرهبانية أبداً، كما أنه لم يدهن جسده بالزيت، وكان رداؤه عبارة عن فروة غير مدبوغة يلبسها مقلوبة لكي يقع شعرها على جسده إمعاناً في تعذيب نفسه بخشونتها. . .» إلخ. ما ذكر، وقد ذكر أموراً كثيرة في =

مع أنه شرع[1] إبراهيم الخليل ـ عليه السلام[2] ـ وأتباعه[3].

واليهود إذا حاضت عندهم[4] المرأة، لا يؤاكلونها ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يحرمون وطء الحائض[5].

وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة، بل إذا أصاب[6] ثوب أحدهم[7] قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله أو تحرم الصلاة معه.

= هذا الشأن وهو يسوقها في معرض الثناء والمدح للرهبان والراهبات فتأمل في هؤلاء القوم كيف لعبت الشياطين بعقولهم فنسأل الله العفو والعافية ونعوذ به من الخذلان والضلال.

(١) في أ (شرع المؤمن إبراهيم).

(٢) في ط (عليه الصلاة والسلام).

(٣) جاء في صحيح مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/١٨٣٩ (١٥١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اختتن إبراهيم. النبي ـ عليه السلام ـ، وهو ابن ثمانين سنة، بالقدوم». ورواه أحمد في المسند ٢/٣٢٢. والقدوم، بالتخفيف: آلة النجار، وبالتشديد: مكان بالشام. والأكثرون على التخفيف والله أعلم.

(٤) في ط تقديم وتأخير في الجملة، وفي س (وأتباعه اليهود).

(٥) جاء في صحيح مسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت. فسأل أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأنزل الله تعالى ـ: ﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وذكر تمام الحديث، في كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ١/٢٤٦ (١٦).

ورواه الترمذي في التفسير ٥/٢١٤ (٢٩٧٧)، وقال حديث حسن صحيح.

ورواه أحمد في المسند ٣/٢٤٦؛ وابن ماجه في كتاب الطهارة ١/٢١١ (٦٤٤).

(٦) هكذا في جميع النسخ (أصاب).

(٧) في ط (أحد منهم).

ولذلك[1] المسلمون وسط في الشريعة؛ فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا شرعاً لم يأذن به الله كما فعلت النصارى، ولا غلوا في الأنبياء والصالحين[2] كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق ـ سبحانه[3] ـ متصفاً بخصائص المخلوق ونقائصه ومعايبه: من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوق متصفاً بخصائص الخالق ـ سبحانه ـ، التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته أحداً كفعل النصارى.

وأهل السنة والجماعة في الإسلام ـ كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله ـ عز وجل ـ، بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل ـ يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه[4] به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً[5] لصفات الكمال، وتنزيهاً[6] له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال،[7] إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ...﴾[8].

رد[9] على الممثلة: ﴿... وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ...﴾[10].

(١) في ط، ك (وكذلك).
(٢) (والصالحين) ساقطة من س.
(٣) في ط زيادة (وتعالى).
(٤) في ط (وصفته).
(٥) في أ، س، ك (إثبات)، والأصح ما أثبتناه من ط.
(٦) في أ، س، ك (تنزيه)، والأصح ما أثبتناه من ط.
(٧) في س (أنداداً وأمثالاً) وهو خطأ.
(٨) سورة الشورى: الآية ١١.
(٩) في ط (وهو رد).
(١٠) سورة الشورى: الآية ١١.

رد على المعطلة(١).

---

(١) **المعطلة**: هم كل من نفي صفات الله ـ تعالى ـ من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم وقالوا عن نصوص الصفات: بأنها ألفاظ لا تعقل معانيها، وبنوا ذلك على أصلين فاسدين:
أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.
الثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله.
وقد أطلق عليهم ابن القيم (أهل التجهيل) وألزمهم في معرض الرد عليهم بأنهم يجهِّلون السابقين الأولين من الصحابة والتابعين، بل يلزم على قولهم إن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه. ثم ألزمهم بالتناقض فيما اعتقدوه.
وانظر تفصيل الرد عليهم ومناقشتهم في كتاب (مختصر الصواعق المرسلة)، للموصلي ١/٨٢؛ وجامع الرسائل، لابن تيمية ص ١٥٣؛ ولوامع الأنوار البهية ١/١٢٨(بحث طويل ومفيد)؛ ومعارج القبول ١/٣١٨.
والممثلة: هم الذين شبهوا صفات الخالق ـ تعالى ـ بصفات المخلوق. وفهموا من نصوص الصفات مثل ما للمخلوق، وظنوا أن لا حقيقة لها إلاَّ ذلك، قال الإسفراييني: «وجملة المشبهة صنفان: صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات، وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره». ثم بين أن أول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة السبأية أتباع عبد الله بن سبأ، وأولى فرق الشيعة، ثم بيان بن سمعان، والمغيرة بن سعيد العجلي، وأبي منصور العجلي، وأبو الخطاب الأسدي، وهشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي وهذان قالا: بأن الله ـ تعالى ـ على صورة إنسان وغير ذلك من خصائص البشر ـ تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، وكذلك زرارة بن أعين ويونس القمي، وداود الجواربي من المشبهة، وأقوالهم مفصلة في كتب الفرق.
انظر: التبصير في الدين، للإسفراييني ص ٧٠ ـ ٧١؛ والملل والنحل، للشهرستاني ١/١٠٥؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ص ٦٣ ـ ٦٦؛ والفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٢٥؛ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٩١ (وهو يقسمهم إلى ثلاث فرق ـ مشبهة غلاة الشيعة، ومشبهة الحشوية، والكرامية).
وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، للدكتور النشار ١/٢٨٥؛ ورسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن عثيمين، وضح فيها معاني التحريف، والتعطيل والتكييف؛ والتمثيل والتشبيه ص ٥٤ ـ ٥٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1].

فالصمد: السيد المستوجب لصفات الكمال، والأحد الذي ليس له كفو ولا مثال. وهم وسط في باب أفعال الله ـ عز وجل ـ ، بين المعتزلة[2] المكذبين للقدر[3]، والجبرية[4] النافين لحكمة الله ورحمته

(١) سورة الإخلاص كلها.

(٢) **المعتزلة**: إحدى الفرق الكبار التي ينطوي تحتها عدة فرق أوصلها بعض كتاب الفرق إلى عشرين فرقة، ومن أبرزها: الواصلية، والعمروية، والهذيلية، والنظامية، والجبائية، والجاحظية وسموا معتزلة ـ على الأرجح ـ لأن أولهم (واصل بن عطاء) ٨١ ـ ١٣١هـ خالف الإمام الحسن البصري في حكم مرتكب الكبيرة، وقرر بأنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين ـ لا مؤمن ولا كافر ـ وفي الآخرة في النار من الخالدين فيها إن مات بدون توبة ـ ولذلك هم وعيدية في هذا لكنهم يقولون هو في عذاب دون عذاب الكفار وقد اعتزل واصل مجلس الحسن فسمي هو وأتباعه بالمعتزلة. ولهم أصول خمسة ـ العدل، والتوحيد، والوعيد، والمنزلة بين منزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتفصيلها في كتبهم، وكتب الفرق معروف.
والمعتزلة ينكرون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وشفاعة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأهل الكبائر من أمته، وكثيراً من قضايا الغيب كعذاب القبر ونعيمه، ولهم خبط عظيم في باب القدر ويقولون: القرآن مخلوق، مع وضوح النصوص، وكثرتها. وصحتها.
انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٢٠١، ٣٠١، ٣٢٣، ٧٤٥؛ ومقالات الإسلاميين، للأشعري ١/٢٩٨؛ والملل والنحل ١/٤٣؛ والتبصير في الدين، للإسفراييني ص ٣٧؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٣٨؛ والفرق بين الفرق ص ١١٤؛ والتنبيه والرد للملطي ص ١٣٧؛ ومجموع الفتاوى ٦/٥٥، ١٣/٣٨٦؛ ولوامع الأنوار البهية ١/٧٦؛ ونشأة الفكر الفلسفي ١/٣٧٣.

(٣) في ط، ك (بالقدر).

(٤) الجبرية: الجبر في اصطلاح المتكلمين: نفي الفعل حقيقة عن الإنسان وإضافته =

وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه.

وفي باب الوعد[1] والوعيد، بين الوعيدية[2] الذين يقولـون بتخليد

= إلى الله، والجبرية يـزعمون أن الله يجبـر العبد على فعـل المعاصي وأن العبـد ليس قـادراً على فعلها، وهم: متـوسطة: يسنـدون الفعل إلى الله، ويثبتـون للعبد كسبـاً. وخالصة: لا تثبت للعبد شيئاً؛ كالجهمية أصحاب الجهم بن صفوان. قـالوا لا قـدرة للعبد أصلاً، والله ـ سبحانه ـ لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وعلمه ـ تعالى ـ حادث لا في محـل، ووافقوا المعتـزلة في نفي الـرؤية، وخلق الكـلام، وإيجاب المعـرفـة بالعقل.

انظر: مقالات الإسلاميين ١/٢١٣، ٣٣٨؛ والتبصيـر للإسفراييني ص ٦٣؛ والملل والنحـل ١/٨٥؛ والفـرق بين الفـرق ص ٢٠٢، ٢١١؛ واعتقـادات فـرق المسليمن والمشركين ص ٦٨؛ وأصول الـدين ص ١٣٥؛ والفصل ٤/٢٠٤؛ ولـوامع الأنـوار البهيـة ١/٩٠؛ ومعـارج القبـول، للشيـخ حـافظ الحكمي ١/٣٣٧؛ ونشـأة الفكـر الفلسفي في الإسلام ١/٣٤٣؛ والمعتزلة لزهدي جار الله (الكتاب كله في المعتزلة) وكاتبه يميـل لأفكارهم وهـو معاصـر، وانظر كتـاب الإمام أحمـد بن حنبل الـرد على الزنادقة والجهمية.

(١) سقطت الواو من نسخة ط.

(٢) **الوعيدية**: مصطلح يطلق على الخوارج، والمعتزلة؛ لقولهم بتخليد عصاة المسلمين في النار، وقد عرف القاضي عبد الجبار في كتـابه شـرح الأصول الخمسـة ص ١٢٤ الوعد، والوعيد، وانتهى به القول إلى أنه ـ تعالى ـ وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصـاة بالعقـاب، وأنه يفعـل ما وعـد به وتـوعد عليـه، لا محالـة، ولا يجـوز عليـه التخلف والكذب.

قلت: هذا يمثل مذهب المعتزلة في هذه المسألة، وهي مسألة غلط فيها المبتدعـة، وهم فيها على طرفي نقيض كما ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وأهل السنة وسط فيها؛ كما أنهم وسط في غيرها، هداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومذهب أهل السنة أن مرتكب المعـاصي ـ التي لا توجب كفـراً غير مخلد في النـار، وأمره إلى الله، وهـو تحت مشيئتـه: إن شـاء عفـا عنـه، وأدخله الجنة من أول وهلة برحمتـه، وفضله، وإن شاء أخـذه بقدر ذنبـه الذي مـات مصراً عليه كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وليس هذا موضع بسط هذه المسألة.

فـانظر مجمـوع الفتاوي ٧/٥٠١، ٦٧٠ ـ ٦٧٦؛ وكتـاب التوحيـد وإثبـات صفـات =

عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة[1] الذين يجحدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار.

وهم وسط في أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بين الغالي في بعضهم، الذي يقول[2] بإلهيةٍ أو نبوةٍ أو عصمة[3]؛ والجافي فيهم[4]: الذي يكفر بعضهم أو يفسقه. وهم خيار هذه الأمة.

= الرب، لابن خزيمة ص ٣٢٧؛ ولوامع الأنوار البهية ١/٣٢٧؛ ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي ٢/٣٢١.

(١) **المرجئة**: الإرجاء لغة: التأخير، وسمو مرجئة؛ لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان على معنى أنهم يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، والمرجئة ثلاثة أصناف: منهم من يقول الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن تبعه كالصالحي وغيره، والصنف الثاني: من يقول بأن الإيمان مجرد قول اللسان، وهم الكرامية، ومن تبعهم. والصنف الثالث: من يقول بأن الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم.
وهم على هذه الأقسام فرق كثيرة من أشهرها الجهمية، والكرامية، واليونسية، والغسانية، والتومنية، والمريسية.
انظر: الملل والنحل ١/١٣٩؛ والتبصير في الدين، للإسفراييني ص ٥٩؛ ومقالات الإسلاميين ١/٢١٣؛ والفصل ٤/٢٠٤؛ والفرق بين الفرق ص ٢٠٢؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٠؛ والإيمان لابن تيمية ص ١٨٤؛ ولوامع الأنوار البهية ١/٨٩؛ وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/١٣٣؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (رسالة ماجستير) ص ١٥١، ٤٣١.

(٢) في ط (يقول فيه).

(٣) هم غلاة الشيعة، وتفصيل أقوالهم في كتب الفرق التي ذكرناها آنفاً في مواضع مختلفة منها.

(٤) هم الذين خرجوا على الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بعد مسألة التحكيم وانحازوا إلى حروراء، وولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وتبرأوا من علي، ومعاوية، والحكمين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد كفر كتاب الفرق بعض فرقهم، ووردت الإشارة إلى خروجهم في صحيح البخاري ٤/١٠٨ (كتاب الأنبياء، باب قول الله =

والله ــ سبحانه[1] ــ أرسل محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للناس رحمة، وأنعم به نعمة يا لها من نعمة.

قال ــ تعالى ــ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾[3].

وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ؛ فإرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده. يجمع[4] الله لأمته بخاتم المرسلين[5] وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين ما فرَّقه في غيرهم من الفضائل. وزادهم من فضله أنواع الفواضل، بل أتاهم كِفْلين[6] من رحمته، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ

= ــ تعالى ــ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً. . .).

وانظر: الملل والنحل ١/١٥٧؛ مقالات الإسلاميين ١/٢٠٤؛ والفرق بين الفرق ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٢٦؛ ومجموع الفتاوي ١٣/٣٢، ٣/٢٧٩؛ والفصل، لابن حزم ٤/١٨٨.

(١) في ط زيادة (وتعالى).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٨ تمامها: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارْ﴾.

(٤) في ط، ك (فجمع).

(٥) في ط (النبيين).

(٦) كفلين: نصيبين، وحظّين، وضعفين.

انظر تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة ص ٤٥٥؛ وتفسير الطبري ٢٧/١٣٨ (مجلد ٩)؛ وابن كثير ٤/٣١٧؛ والنسفي ٥/١٩٥.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[1].

وفي الصحيحين عن ابن عمر، وأبي موسى، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟

فعملت اليهود إلى نصف النهار[2]، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟.

فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟.

ألا فأنتم الذين يعملون[3] من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجر مرتين.

فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء!

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨، ٢٩.

(٢) في ط، ك زيادة جملة (على قيراط قيراط) بعد الجملة إلى نصف النهار الثانية
والقيراط: أصله قراط، لكنه أبدل من أحد المضعفين ياء للتخفيف.
قال في المصباح المنير ٢/٦٨٣: «قال بعض الحساب: القيراط في لغة اليونان: حبة خرنوب، وهو نصف دانق، والدرهم عندهم اثنتا عشرة حبة والحُسَّاب يُقسِّمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطاً؛ لأنه أول عدد له ثمن وربع، ونصف، وثلث صحيحات من غير كسر».
وانظر القاموس المحيط، باب الطاء، فصل القاف ٢/٣٧٩.

(٣) في ط، ك (تعملون) بالمثناة الفوقية.

فقال الله ــ تعالى ــ فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: «لا. قال الله ــ تعالى ــ: فإنه[1] فضلي أعطيه من شئت»[2].

أما بعد: فإن الله ــ تبارك وتعالى ــ جعل محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خاتم النبيين، وأكمل له ولأمته الدين، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل، فأحيا به ما درس من معالم الإيمان، وقمع به أهل الشرك[3] من عباد[4] الأوثان والنيران والصلبان، وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشك[5] والأرتياب، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه، وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب، وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب، وحقق به صدق التوراة والزبور والإنجيل، وأماط به عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل.

---

(١) في س (فان).

(٢) رواه البخاري من حديث ابن عمر في عدة مواضع: مواقيت الصلاة/ باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ١/١٣٩؛ وفي كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار؛ وباب الإجارة إلى صلاة العصر ٣/٤٩؛ وفي كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٤٥؛ وفي كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٦/١٠٧؛ ورواه من حديث أبي موسى بلفظ مقارب في كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل ٣/٥٠؛ ورواه الترمذي من حديث ابن عمر في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله ٥/١٥٣، ثم قال هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسند ابن عمر بألفاظ متقاربة ٢/٦، ١١١، ١٢١، ١٢٩؛ وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١/٣٩٢ (٢٥٦٨).
ولم أجده في صحيح مسلم.

(٣) في ط زيادة لفظة (الكفر) بعد (الشرك).

(٤) في ط (عبدة).

(٥) في ط (الشرك).

وكان من سنة الله ـ تبارك وتعالى ـ مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم، بحيث يبعث في كل أمة رسولاً ليقيم هداه وحجته(١)، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا . . .﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ(٥):

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ولما أهبط آدم(٧) إلى الأرض قال ـ تعالى ـ :

---

(١) في أ، س، ك (ليعم هداه حجته) والعبارة مضطربة ولذلك صححناها من ط.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٤٤.

(٥) سقطت لفظة (تعالى) من ط.

(٦) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٧) سقطت (إلى) من أ، ومن س وزدناها من ط.

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى
هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ
مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ
كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ
أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (١) .

وقال ــ تعالى ــ عن أهل النار:

﴿ ... كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا
وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ
أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢) .

وقال ــ تعالى ــ : ﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ
وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (٤) .

● ● ●

---

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ ــ ١٢٧ وفي ط زيادة آية البقرة قبل هذه الآيات وهي قوله ــ تعالى ــ : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تبعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونْ﴾ [البقرة: ٣٨].

(٢) سورة الملك: الآيات ٨ ــ ١٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ١٣٠، ١٣١.

فصل(١)

وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام: الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد ديناً غيره: لا من الأولين، ولا من الآخرين.

دِينُ الأنبياء واحد: هو الإسلام

وهو دين الأنبياء، وأتباعهم؛ كما أخبر الله(٢) ــ تعالى ــ بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين.

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ عن إبراهيم:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

---

(١) في أ (مطلب) وليست في س، ك.

(٢) سقطت (تعالى) من أ، ك، ط.

(٣) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ــ ١٣٢.

وقال ـ تعالى ـ عن يوسف الصديق:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ عن موسى أنه قال:

﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(2).

وأخبر ـ تعالى ـ عن السحرة، أنهم قالوا لفرعون(3):

﴿... وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(4).

وقال ـ تعالى ـ عن بلقيس(5) ملكة اليمن:

---

(1) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(2) سورة يونس: الآية ٨٤.

(3) هو الوليد بن مصعب. (فرعون موسى). قيل أنه من العمالقة، وقيل: هو فرعون يوسف، وعمر إلى أيام موسى. وقيل: هو من القبط، وقد ادعى الربوبية، كما نص على ذلك القرآن: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾. وقد كان له دولة عظيمة، وكان وزيره هامان. قتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل عندما أخبر بظهور موسى ـ ونجا الله موسى ـ عليه السلام ـ بأن التقطته آسية امرأة فرعون. وحمته منه. هلك فرعون بالغرق كما ورد في القرآن الكريم بعد ملك طويل.
انظر: البداية والنهاية ٢٦٨/١؛ وتاريخ ابن جرير ٤٠٥/١ فما بعدها؛ وتتمة المختصر، لابن الوردي ٧٨/١.

(4) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.

(5) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من حمير. ملكة سبأ، يمانية، من أهل مأرب، تولت الملك بعد أبيها، وقيل بعد رجل عم به الفساد؛ قتلته، ثم ملكوها بعده. أسلمت في نهاية أمرها، بعد خطاب النبي سليمان ـ عليه السلام ـ الذي ورد ذكره في سورة النمل. وقد قيل أنه تزوجها ولبثت عنده، وقيل بل أمرها على ملك اليمن. والله أعلم. =

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ عن أنبياء بني إسرائيل:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا . . . ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ عن المسيح:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4].

فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته ــ تعالى ــ في كل زمان ومكان، بطاعة رسله ــ عليهم السلام ــ.

فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله: كالذين قال[5] فيهم:

= راجع: تاريخ الطبري ٤٨٩/١؛ والبداية والنهاية ٢١/٢ ــ ٢٤؛ وتفسير القرطبي ١٨٢/١٣ (مجلد ٧)؛ والأعلام، للزركلي ٧٣/٢.

(١) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ٥٢. وفي ط، ك زيادة آية (٥٣) من آل عمران.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٥) في ط زيادة لفظ (تعالى).

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[1] .

فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا من آمن بجميع رسله وأطاع من أرسل إليه، فيطاع[2] كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده، فتكون الطاعة للرسول الثاني.

قال[3] ــ تعالى ــ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ . . .﴾[4] .

حُكْمُ مَنْ فَرَّقَ بين الرُّسُل ــ عليهم السلام

ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً كما قال ــ تعالى ــ [5] :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

فلما كان محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خاتم النبيين، ولم يكن بعده رسول ولا من يجدِّد الدين، لم يزل الله ــ سبحانه (وتعالى)[6] ــ

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.
(٢) في ك (ليطاع).
(٣) في ط زيادة جملة (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله).
(٤) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٥) في سورة النساء: الآيات ١٥٠ ــ ١٥٢.
(٦) سقطت (وتعالى) من أ، ك.

يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضياً لظهوره؛ كما وعد به في الكتاب؛ فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده، ويعرف به مساوىء الكفر ومفاسده.

من أسباب ظهور الإيمان: أولاً ـ ظهور المعارضين للحق

ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[2].

وذلك أن الحق ـ إذا جحد وعورض بالشبهات ـ أقام الله ـ تعالى ـ له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات[3]

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ١١٢ ـ ١١٥.

(٢) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ ـ ٣١.

(٣) في ط (والبينات).

بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة.

فالقرآن لما كذب به المشركون، واجتهدوا على أبطاله بكل طريق ـ مع أنه تحداهم بالإتيان بمثله، ثم بالإتيان بعشر سور، ثم بالإتيان بسورة واحدة ـ كان ذلك مما دل ذوي الألباب على عجزهم عن المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب، ولو اتبعوه ـ من غير معارضة وإصرار[1] على التبطيل ـ لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتم الدليل.

وكذلك السحرة لما عارضوا موسى ـ عليه[2] السلام ـ وأبطل الله ما جاؤا به، كان ذلك مما بين الله ـ تبارك وتعالى ـ به صدق ما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات، وبين ما قد يشتبه بها من خوارق السحرة وما للشيطان من التصرفات، فإن بين هذين فروقاً متعددة، منها ما ذكره الله ـ تعالى ـ في قوله:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

ومنها ما بينه في آيات التحدي، من أن آيات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يمكن أن تعارض بالمثل فضلاً عن الأقوى، ولا يمكن أحداً إبطالها، بخلاف خوارق السحرة والشياطين؛ فإنه يمكن معارضتها بمثلها، وأقوى منها، ويمكن إبطالها.

(١) في أ، س، ك، (وصد).
(٢) في س (عليه الصلاة والسلام).
(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

ثانياً - معارضة أعداء الحق بدعاويهم الكاذبة

وكذلك سائر أعداء الأنبياء من المجرمين شياطين الإنس والجن: الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ إذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول، ويموهون في ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقول ـ كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان الذي وعد[1] بظهوره على الدين كله؛ بالبيان والحجة والبرهان، ثم بالسيف واليد والسنان[2].

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

وذلك بما يقيمه الله ـ تبارك وتعالى ـ من الآيات والدلائل التي يطهر بها الحق من الباطل، والخالي من العاطل، والهدى من الضلال، والصدق من المحال، والغي من الرشاد، والصلاح من الفساد، والخطأ من السداد، وهذا كالمحنة للرجال التي تميز بين الخبيث والطيب[4]، قال ـ تعالى ـ :

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾[5].

---

(١) تفردت نسخة ط بزيادة (الله تعالى) بعد وعد.
(٢) في ك (واللسان) والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ.
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٤) في س (بين الطيب والخبيث).
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

والفتنة هي الامتحان والاختبار، كما قال موسى ــ عليه السلام ــ[٢]:

﴿... إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ ...﴾[٣].

أي امتحانك واختبارك، تضل بها من خالف الرسل، وتهدي بها من اتبعهم.

والفتنة للإنسان كفتنة الذهب إذا أدخل كير الامتحان، فإنها تميز جيده من رديئه؛ فالحق كالذهب الخالص، كلما امتحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المضيء[٤]، إذا امتحن ظهر فساده.

فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله ــ تبارك[٥] وتعالى ــ من يقذف بالحق على الباطل

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات ١ ــ ٤.

(٢) في ط (عليه الصلاة والسلام) والأولى أن يكون النص هكذا (كما قال الله ــ تعالى ــ فيما أخبره به عن موسى).

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٤) في ط، ك (المغشي) وسقطت من (س).

(٥) سقطت (تبارك) من س.

فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين[1] أن صاحبه الأحمق[2] كاذب مائق[3]. وظهر فيه ــ من القبح والفساد،والحلول [4] والاتحاد[5]،والتناقض

---

(١) في ط (ويبين) بالتحتية المثناة.

(٢) سقطت (الأحمق) من أ، س.

(٣) في س (مائل) قال في القاموس المحيط ٣/٢٨٤ (فصل الميم، مادة القاف) مائق «الحمق في غباوة، يقال: أحمق مائق، جمعه موقى كسكرى، وماق مواقة ومؤوقاً وموقاً بضمهما حمق».

(٤) الحلول: يقسم الجرجاني في كتابه التعريفات الحلول إلى قسمين:
الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً، والمسري محلاً والحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز.
والعقيدة الحلولية من أبرز عقائد غلاة الصوفية، وغلاة الشيعة، وهي مكتسبة من النصارى الذين قالوا بحلول الله ــ سبحانه وتعالى ــ في جسد المسيح، وقد ذكر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق أن الحلولية في الجملة عشر فرق كانت في دولة الإسلام وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، ثم عد من فرق الحلولية السبئية والبيانية، والخطابية، والنميرية، والجناحية وهؤلاء من غلاة الروافض، والحلاجية، والمقنعية، والرزامية، والعذافرة، وهؤلاء من غلاة الصوفية.

انظر التعريفات، للجرجاني ص ٩٨؛ والفرق بين الفرق ص ٢٥٤ ــ ٢٦٦؛ ودائرة معارف القرن العشرين ٣/٤٧٩، ١٠/٣٥١؛ والتصوف بين الحق والخلق ص ٦١؛ ودائرة معارف الإسلامية (مادة الحلول) ٨/٥٥، ٥٦.

(٥) الاتحاد: هو عقيدة وحدة الوجود، وهي من أبرز عقائد غلاة الصوفية ويختلفون في تصويرها إلى فريقين: فريق يرى الله روحاً ويرى العالم جسماً لذلك الروح، فالله هو كل شيء، وفريق يرى جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شيء هو الله. ــ تعالى الله عن قولهم ــ وهذه النظرية اصطنعها كثير من أقطاب الصوفية منهم ابن الفارض الذي يقول:

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تجلت تحلت
وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت =

والإلحاد[1]، والكفر والضلال، والجهل والمحال ـ ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أضل الضلال، حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد، ويتنبه بذلك[2] من سنة الرقاد، من كان لا يميز[3] الغي من الرشاد، ويحيى بالعلم والإيمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين، فإن ما ذم الله به اليهود والنصارى في كتابه ـ مثل تكذيب الحق المخالف للهوى، والاستكبار عن قبوله، وحسد أهله، والبغي عليهم، واتباع سبيل الغي، والبخل والجبن وقسوة القلوب[4]، ووصف الله ـ سبحانه[5] وتعالى ـ بمثل عيوب المخلوقين ونقائصهم، وجحد ما وصف به نفسه من صفات

= ومنهم ابن عربي يقول:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ربي ... أو قلت رب أنَّى يكلف

انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، للدكتور زكي مبارك ١/١٣٣؛ والتعريفات، للجرجاني ص ٦؛ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة ص ٦٤؛ والمؤامرة على الإسلام لأنور الجندي ص ٤٩.

(١) الإلحاد: هو الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط. وهو اليوم ظاهرة عالمية تحدث الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق عن أسبابها وآثارها وطرق علاجها في كتاب جيد مختصر يقع في ٤٤ صفحة بعنوان: (الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها)، وانظر التعريف السابق فيه ص ٦؛ وانظر كتاب الأدلة القواطع والبراهين في أبطال أصول الملحدين، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٧٢ وغيرها.

(٢) في ط زيادة جملة (من كان غافلاً).

(٣) في ك زيادة (بين) بعد يميز.

(٤) في ك (القلب).

(٥) سقطت (سبحانه) من ك.

الكمال المختصة به، التي لا يماثله فيها مخلوق، وبمثل الغلو في الأنبياء والصالحين، والإشراك في العبادة لرب العالمين، والقول بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبد المخلوق هو رب العباد[1]، والخروج في أعمال الدين عن شرائع الأنبياء والمرسلين، والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده في الدين، من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين، واتخاذ أكابر العلماء والعباد أرباباً يتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للأنبياء ــ عليهم السلام ــ كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

ومخالفة صريح المعقول وصحيح[3] المنقول، بما يظن أنه من التنزلات[4] الإلهية والفتوحات القدسية، مع كونه من وساوس[5] اللعين، حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ[7].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا

---

(١) في ط (العالمين) بدل العباد.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.
(٣) في ط (وصريح)، والأصح ما أثبتناه من النسخ الثلاث.
(٤) في أ (المتنزلات). وفي ك (المنزلات)، وما أثبتناه من س، ط.
(٥) في أ (وسايس)، وفي ط (وساويس)، وصححناه من س، ك.
(٦) سورة الملك: الآية ١٠.
(٧) في ط (وقال تعالى فيه).

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ . . . ﴾[1].

إلى غير ذلك من أنواع البدع والضلالات التي ذم الله بها أهل الكتابين ــ فإنها مما حذر الله منه هذه الأمة الأخيار، وجعل ما حل بها[2] عبرة لأولي الأبصار.

ثالثاً ـ التحذير من اتباع بِدَع اليهود والنصارى

وقد أخبر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه لا بد من وقوعها في بعض هذه الأمة، وإن كان قد أخبر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه لا يزال في أمته أمَّة قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة، وأن أمته لا تجتمع على ضلالة، ولا يغلبها من سواها من الأمم، بل لا تزال منصورة متبعة لنبيها المهدي المنصور[3].

لكن[4] لا بد أن يكون فيها من يتتبع[5] سنن اليهود والنصارى والروم والمجوس، كما في الصحيحين عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه[6] ــ، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «لتتبعن سنن

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٢) في ط (بهما)، وفي ك (باهلها).
(٣) حديث: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك». أخرجه البخاري من حديث معاوية والمغيرة بن شعبة في المناقب ٤/١٨٧ و٨/١٤٩، ٨/١٨٩؛ ورواه مسلم من حديث جابر في الإيمان ١/١٣٧ بنحوه وفي الإمارة من حديث ثوبان ٣/١٥٢٣؛ ورواه أبو داود من حديث ثوبان بنحوه في الفتن ٤/٤٥٢ والترمذي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه في الفتن ٤/٤٨٥؛ وابن ماجه من حديث ثوبان في الفتن ٢/١٣٠٤ وأحمد في مسند أبي هريرة بمعناه ٢/٣٢١ وفي ٤/٩٣ برواية معاوية؛ وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ آخر ص ٤٥٨ (١٨٥١).
(٤) في ط (ولكن).
(٥) في ط، ك، (يتبع).
(٦) سقطت جملة ــ رضي الله عنه ــ من نسخة ط.

من كـان[1] قبلكم حذو القـذة بالقـذة حتى لـو دخلوا في[2] جحـر ضب لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[3].

وفي الصحيحين أيضاً، عن أبـي سعيد ـ رضي الله عنـه ـ، عن النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ أنه قـال: «لتأخـذ[4] أمتي مأخـذ الأمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع»، قالوا يا رسـول الله، فارس والـروم قال: «فمن الناس إلا أولئك»[5].

---

(١) سقطت (كان) من س.

(٢) سقطت (في) من ك.

(٣) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة/ باب قول النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، وليس فيه «حذو القذة بالقذة» وإنما مكانها «شبراً شبراً وذراعاً بذراع»، ١٥١/٨، وروى حديثاً قبله عن أبـي هـريرة بلفظ «لا تقـوم الساعـة حتى تأخذ أمتي . . . وذكره وفيه كفارس والروم؟ فقال من الناس إلا أولئك؟».
وأخـرجه ابن مـاجـه في الفتن/ بـاب افتـراق الاسم ١٣٢٢/٢ (٣٩٩٤)، وقـال في الـزوائد إسنـاده صحيح، رجـاله ثقـات. ورواه أحمد من حـديث أبـي هريـرة بنحوه ٣٢٥/٢، ٣٢٧. ورواه ابن أبـي عـاصم في السنة ٣٦/١ (٧٢) بسنـد حسن رجالـه رجال الشيخين كما قال المحقق لكنهما لم يحتجا بمحمد بن عمر أحد رجـال السند وهو حسن الحديث، وجاء في موارد الظمآن من حديث أبـي واقد الليثي وفيـه «إنكم ستركبون سنن من قبلكم» باب في افتراق الأمـم حديث رقم (١٨٣٥) ص ٤٥٤.
ولم أقف على الحديث برواية أبـي هريرة في صحيح مسلم وإنما هو فيـه من حديث أبـي سعيد الخدري وسيـأتي تخريجـه فلعل شيـخ الإسلام ابن تيميـة أراد بقولـه في الصحيحن أصل الحديث ومعناه. والله أعلم.

(٤) في ط، ك (لتأخذن).

(٥) أخـرجه البخـاري من حـديث أبـي سعيـد بلفظ «لتتبعن سنن من قبلكم شبـراً شبـراً وذراعـاً بـذراع حتى لـو سلكـوا جحـر ضب لسلكتمـوه قلنـا يـا رسـول الله اليهـود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخـرجه في كتـاب الأنبياء/ بـاب ما ذكـر عن بني إسرائيـل ١٤٤/٤ وفي البخاري حديث أبـي هريرة الأول ولفظه أقرب وسبق تخريجه.
وأخـرجه مسلم من حـديث أبـي سعيد بـاللفظ الـذي ورد في البخـاري/ في كتـاب العلم/ باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٢٠٥٤/٤ (٢٦٦٩). =

وفي المظهرين للإسلام منافقون، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، تحت اليهود والنصارى؛ فلهذا كان ما ذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للإسلام[1]: الذين يظهرون الإيمان بجميع ما جاء به[2] الرسول، ويبطنون خلاف ذلك: كالملاحدة الباطنية[3] فضلاً عمن يظهر الإلحاد منهم.

= ورواه أحمد من حديث أبي سعيد أيضاً ٣/٨٤، ٨٩ بنحوه. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ١/٣٧ من طريقين عن أبي سعيد رقم ٧٤، ٧٥ بإسناد صحيح.

(١) في ك (إلى الإسلام).

(٢) سقطت (به) من ط.

(٣) في ط (والباطنية) زيادة (واو).

والباطنية: لقب اصطلاحي يندرج تحته عدة فرق من فرق الشيعة الغلاة، يجمعهم القول بتأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، وهو مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم. ويجمع هذا اللقب: القرامطة، والخرمية، والبابكية، والإسماعيلية، والسبعية، والمحمرة، والتعليمية. ولكل اسم سبب تسمية كما ذكر علماء الفرق. ومذهبهم في الإلهيات القول بإلهية اثنين الأول علة والثاني معلول، وفي النبوات يزعمون بأن النبي شخص فاضت عليه من الإله السابق قوة قدسية بواسطة الإله التالي وهو قريب من مذهب الفلاسفة، وفي الإمامة يعتقدون أنه لا بد لكل عصر من إمام يرجع إليه في تفسير الظاهر بالباطن. ولهم منهج يسلكونه في دعوتهم الغير مبني على مراحل تسمى ـ عندهم ـ: ١ ـ التفرس والخداع ٢ ـ التأنيس ٣ ـ التشكيك ٤ ـ التعليق ٥ ـ الربط ٦ ـ التدليس ٧ ـ التأسيس ٨ ـ الخلع ٩ ـ الانسلاخ وهذه آخر المراحل.

راجع: فضائح الباطنية للغزالي ص ٨؛ والفصل لابن حزم ٢/١١٦؛ والملل والنحل ٢/٥؛ والفرق بين الفرق ص ٢٨١؛ وبيان مذهب الباطنية وبطلانه؛ وقواعد عقائد آل محمد (الباطنية) ص ٧٧، وكلا الكتابين للفقيه المؤرخ اليمني محمد بن الحسن الديلمي؛ وكتاب مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار؛ وكتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، وكلا الكتابين ليحيى بن حمزة العلوي؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٢؛ والمؤامرة على الإسلام ص ٨٩، وقد ناقش الإمام =

ويوجد بعض[1] ذلك في أهل البدع، ممن هو مقر بعموم رسالة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باطناً وظاهراً، لكن اشتبه عليه بعض ما اشتبه على هؤلاء، فاتبع المتشابه وترك المحكم، كالخوارج وغيرهم من أهل الأهواء.

وللنصارى ـ في صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ، واتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء، بل من الملاحدة من هو أعظم ضلالاً من النصارى.

والحلول والاتحاد نوعان: عام، وخاص.

فالعام: كالذين يقولون إن الله بذاته حال في كل مكان، أو أن وجوده عين وجود المخلوقات.

والخاص: كالذين يقولون بالحلول والاتحاد في بعض أهل البيت، كعلي، وغيره، مثل النصيرية[2] وأمثالهم، أو بعض من ينتسب

= ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٤/٣٦١ آراء الباطنية، وركز على جانب الإلحاد عند هذه الفرقة، وبين أنهم انسلخوا من مبادىء الإسلام جملة وتفصيلاً يقول ـ رحمه الله ـ «مذهب الملاحدة الباطنية مأخوذ من قول المجوس بالأصلين، ومن قول فلاسفة اليونان بالعقول والنفوس. . .» إلخ. ما ذكر.

(١) في س (في بعض).

(٢) النصيرية: أصح الأقوال في نسبتها أنها تنسب إلى محمد بن نصير النميري العابدي. وهو من فقهاء الشيعة، ومن أعيان البصرة، وقد أعلن عن نفسه عام ٢٤٥هـ. بابا للإمام العاشر (علي التقي).

وهي فرقة: شيعية، غالية، متطرفة، وطائفة ملحدة تهدم الإسلام، وتقتل أبناء المسلمين، وتذيقهم صنوف العذاب والبلاء ولها وجود قوي في هذا الزمن. وقد أكدّت فرنسا الصليبية على لقبهم «العلوية» وأظهرته عندما أقامت لهم دولة عام ١٩٢٠م. ووافق هذا هوى في نفوسهم جميعاً، فعن طريقه يحققون آمالهم، وبه يخفون مقاصدهم السيئة، ومعتقداتهم الباطلة، التي من أهمها: =

إلى أهل البيت، كالحاكم[1]، وغيره، مثل الدرزية[2] وأمثالهم،

= قولهم بإلهية علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ واستحلالهم الخمر، وإنكار البعث، والجنة والنار، وقولهم بقدم العالم، وتناسخ الأرواح، والصلاة عندهم عبارة عن خمسة أسماء علي، والحسن، والحسين، ومحسن، وفاطمة ويترحمون على ابن ملجم؛ لأنه خلص ــ في زعمهم ــ روح اللاهوت من الناسوت ويشاركون في أعياد النصارى، كعيد الميلاد، وعيد الصليب، وذلك راجع إلى معايشتهم لهم وحبهم ومعاونتهم. ويقيمون عيد الفرس الشيعة وهو النيروز عيد الربيع. ومن أشهر رجالهم في هذا العصر سلمان المرشد، الذي ادعى الربوبية وأعدم شنقاً عام ١٩٥٠م. في دمشق.

راجع: مقالات الإسلاميين ٨٦/١؛ والفرق بين الفرق ص ٢٥٢؛ والملل والنحل ٢٤/٢ ــ ٢٥؛ والفصل لابن حزم ١٨٨/٤؛ ومختصر الفتاوي المصرية ص ٤٣٧، فيه رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية جواباً على سائل سأل عنهم، وكتاب الجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبد الله، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٠٩.

(١) الحاكم: منصور بن نزار العبيدي الفاطمي. الحاكم بأمر الله، ثالث خلفاء الفاطميين بمصر والسادس منهم ممن ولي من أجداده المغرب، تولى سنة ٣٨٦هـ. عني بالفلسفة، والنجوم، وأعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧هـ. بإشارة الداعية الفارسي حمزة بن علي. ولما قتل سنة ٤١١هـ. أعلن حمزة أنه غاب ليظهر مرة ثانية، والإسماعيلية والدروز يعتقدون ذلك. كان الحاكم شيطاناً مريداً خبيث النفس، متلون الاعتقاد كما ذكر الذهبي. وذكر ابن خلكان أنه كان سفاكاً للدماء قتل عدداً كثيراً من أماثل دولته.

انظر: وفيات الأعيان ٢٩٢/٥(٧٤٢)؛ والعبر ١٠٤/٣ ــ ١٠٦؛ وشذرات الذهب ١٩٢/٣ ــ ١٩٥؛ والنجوم الزاهرة ١٧٦/٤؛ والأعلام ٣٠٥/٧.

(٢) الدرزية: فرقة غالية من فرق الإسماعيلية من غلاة الشيعة. ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر في عهد الدولة الفاطمية، واتسمت بطابع الباطنية. وهم ينتسبون إلى رجلين أحدهما: من الدعاة إلى تأليه الحاكم وهو محمد بن إسماعيل تشتكين الدَّرَزي، والآخر منصور أنوشتكين الدُّرْزي، أحد قواد الحاكم وصلتهم بالأخير أقوى، ويتجمعون اليوم في سوريا، ولبنان، وفلسطين والمغرب العربي. وعقيدتهم مستمدة من عقيدة الإسماعيلية، وقد بنى الجميع عقيدتهم على أمرين: ظاهر، وباطن. وما من شيء ــ عندهم ــ إلّا وله باطن هو المقصود. فيتأولون =

أو بعض من يعتقد فيه المشيخة، كالحلاجية[1] وأمثالهم.

فمن قال: إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ حل أو[2] اتحد بأحد من الصحابة، أو القرابة أو المشايخ، فهو من هذا الوجه أكفر من النصارى الذين قالوا بالاتحاد، والحلول في المسيح؛ فإن المسيح ــ عليه السلام ــ أفضل من هؤلاء كلهم.

= الصلاة بأنها الاتجاه القلبي للإمام فقط، والصيام عدم إفشاء أسرار الدعوة، والحج زيارة الإمام، وهكذا... في سائر الفرائض والواجبات، وأمور الغيب.
راجع في هذه الطائفة، الكتب التالية: طائفة الدروز، محمد كامل حسين؛ والدروز، لمحمد علي الزعبي؛ والحركات السرية في تاريخ الإسلام؛ لمحمد عبد الله عنان؛ والفرق بين الفرق ص ٢٨١ حديث عن الباطنية كلهم؛ والتبصير في الدين ص ٨٣؛ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٨٣ ومشكاة الأنوار ص ٦٥ فما بعدها. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٢٢١.

(١) الحلاجية: نسبة إلى شيخهم، أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاج. من أهل البيضاء، وهي بلدة بفارس. نشأ بواسط العراق، وانتقل إلى البصرة. ادعى حلول الإلهية فيه فقبض عليه المقتدر العباسي، ثم قتله بفتوى الفقهاء على ذلك سنة ٣٠٩. وادعى أصحابه أنه لم يقتل، وإنما ألقي شبهه على عدو له. وقد وصف بأنه كان محتالاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، ويدعي كل علم، كما وصفه ابن النديم في الفهرست، وقال عنه بأنه يظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة، ولا علم له بالقرآن وعلومه، والفقه، والحديث، والشعر، وعلوم العرب، ثم ذكر له تصانيف غريبة في الأسماء والأوضاع.
انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ٢٦٩ ــ ٢٧٢؛ ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٠ ــ ١٤٤؛ والبداية والنهاية ١١/ ١٣٢؛ وميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨، وفيه قال: «ما روى ــ ولله الحمد ــ شيئاً من العلم... انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق».
وانظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٦٠؛ والتصوف بين الحق والخلق ص ٦١؛ وهذه هي الصوفية ص ٤٩.

(٢) في س (واتحد).

ومن قال بالحلول والاتحاد العام فضلاله أعم من ضلال النصارى، وكذلك من قال بقدم أرواح بني آدم، أو أعمالهم، أو كلامهم، أو أصواتهم، أو مداد[1] مصاحفهم، أو نحو ذلك، ففي قوله شعبة من قول النصارى.

فبمعرفة[2] حقيقة دين النصارى وبطلانه، يعرف به[3] بطلان ما يشبه أقوالهم، من أقوال أهل الإلحاد والبدع.

فإذا جاء نور الإيمان والقرآن أزهق الله به ما خالفه، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[4].

وأبان الله ـ سبحانه[5] وتعالى ـ من فضائل الحق ومحاسنه ما كان به محقوقاً.

سبب تأليف الكتاب

وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أن[6] نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو[7] الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب.

---

(١) في س (مزاد) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) في س (ومعرفة)، وفي ك (فمعرفة).
(٣) سقطت (به) من ط.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٨١.
(٥) في ك (تبارك) بدل (سبحانه).
(٦) في أ، س (واقتضى) وسقطت (ذلك) من ط.
(٧) في أ، س (أولي).

وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقداً وحلاً.

وما ذكروه في هذا الكتاب[١] هو عمدتهم[٢] التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض، بحسب الأحوال؛ فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها[٣] علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى «بولص»[٤] الراهب أسقف[٥]

---

(١) في س الزمان بدل الكتاب.

(٢) سقطت جملة هو عمدتهم إلى قوله وقبل هذا الزمان من نسخة س.
وفي ك (فهو عمدتهم).

(٣) في س (وتتناقلها) بالمثناة الفوقية. وفي ك (وتناقلها).

(٤) بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، عاش في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وولد في أنطاكية، وعاش كراهب فيها واشتهر بذلك، وفي أخريات أيام حياته عين أسقفاً لصيدا، وقد كان منتمياً للكنيسة الملكية، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته، وقد ذكر الدكتور مزمل صديقي أنه بولص خوري ـ أحد نصارى لبنان ـ حقق ونشر كثيراً من رسائله ومن بينها هذه الرسالة، وذكر أنه ينسب إليه أربع وعشرون رسالة، لكن خوري يعتقد أن خمساً منها فقط هي من أعماله.
وبولص هذا ليس صاحب الرسائل المشهور في كتب النصارى وهو شاول اليهودي الذي دخل في النصرانية فأفسدها، لأن المشهور متقدم على الإسلام بعدة قرون، وصاحب هذه الرسالة يسوق للدعاوي التي أوردها آيات من القرآن الكريم.
انظر: موقف الإسلام من المسيحية في القرون الوسطى دراسة تحليلية لآراء الإمام ابن تيمية في المسيحية رسالة دكتوراة بالانجليزية، للدكتور مزمل صديقي من جامعة هارفارد بأمريكا.

(٥) **الأسقف**: الدرجة العليا في الكهنوت، وهو كاهن ذو درجة ورتبة أولى موكول إليه كما للكاهن أن يقدم القرابين، وهو ـ في الكنيسة ـ نائب المسيح فله حق الرياسة على الكهنة الذين هم تحت رياسته، وسيأتي زيادة إيضاح للدرجات الأخرى في الكهنوت عند النصارى، وانظر تفصيل ذلك وبيان درجات الكهنوت في كتاب أسرار =

صيدا[1] الأنطاكي[2]، كتبها إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية، وذكر أنه لما سافر إلى بلاد الروم[3]، والقسطنطينية[4] وبلاد الملافطة[5] وبعض أعمال الافرنج ______

= الكنيسة السبعة ص ١٨٤ تأليف الأرشيد ياكون حبيب جرجس (ط) ٦ نشر مكتبة المحبة بالقاهرة، وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٩١وقد ذكر أنه يختلف من كنيسة إلى كنيسة.

(١) صيدا: بالفتح، ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، شرقي صور بينهما ستة فراسخ، وهي اليوم إحدى مدن لبنان في الجنوب منه. انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٩٥، ومعجم البلدان ٣/٤٣٨.

(٢) الأنطاكي نسبة إلى أنطاكية، وأنطاكية: بالفتح، ثم السكون، والياء مخففة مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، بينها وبين حلب يوم وليلة وبها كانت مملكة الروم.
انظر معجم البلدان ١/٢٦٦ ـ ٢٧٠؛ ومراصد الاطلاع ١/١٢٤ ـ ١٢٥؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٤٦.

(٣) الروم: جيل معروف، كالعرب، والفرس، والزنج وغيرهم. من ولد روم بن عيصو بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم فصار كالاسم للقبيلة، كانت لهم بلاد واسعة تضاف إليهم، فيقال: بلاد الروم، ومشارق بلادهم، وشمالهم الترك والروس والخزر. وجنوبهم: الشام والاسكندرية. وغربهم: البحر والأندلس وكانت أنطاكية دار ملكهم إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/١٣٠، ومراصد الاطلاع ٢/٦٤٢.

(٤) القسطنطينية. ويقال قسطنطينية بإسقاط ياء النسبة. كان اسمها بزنطية. فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سوراً، وسماها باسمه. واسمها الآن. كما يقول صفي الدين البغدادي أسطنبول. قلت: وهي إحدى مدن تركيا اليوم، وكانت عاصمة الدولة العثمانية بعد أن انتقلت عاصمتهم من بورصة إلى اسطنبول.
انظر معجم البلدان ٤/٣٤٧؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٠٩٢؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٥٠.

(٥) بلاد الملافطة: هكذا في جميع النسخ، وجاءت في نص الرسالة في موضعين ص ١، ص ٢ (بلاد الملاطفة) بتقديم الطاء المهملة على الفاء، ولم أقف لها على ذكر فيما اطلعت عليه من مراجع الأماكن، والأنساب.

ورومية(1)، واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية، وفاوض أفاضلهم وعلماءهم، وقد عظم هذه الرسالة، وسماها: «الكتاب المنطيقي الدولة خاني(2) المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم».

مجمل ما جاء برسالة بولس من دعاوى

ومضمون ذلك ستة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور والإنجيل(3)، وغير ذلك من

---

(1) رومية: مخففة الياء. وهي ببلاد الروم، مدينة رياستهم وعلمهم قديماً من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق، وهناك رومية أخرى، بلد بالمدائن خرب.
انظر مراصد الاطلاع ٢/٦٤٢؛ والروض المعطار ص ٢٧٤؛ وفتح الباري لابن حجر ١/٤٠؛ ومعجم البلدان ٣/١٠٠؛ والمسلك والممالك للاصطخري ص ٥١.

(2) خان كلمة فارسية تعني زعيم القوم الكبير وملكهم المقدم فيهم، والكتاب منسوب إليه على سبيل التعظيم له.

(3) التوراة أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ، والزبور على داود ـ عليه السلام ـ، والإنجيل على عيسى ـ عليه السلام ـ.
وسيأتي توضيح للتحريف الذي طرأ على هذه الكتب، وبيان لانقطاع أسانيدها، في نهاية الجزء الأول من هذا الكتاب، وفي الجزء الثاني، لكنه يحسن الإشارة هنا إلى أن الموجود اليوم يتكوَّن من: العهد القديم، والعهد الجديد.
أما العهد القديم ـ وهو التوراة ـ فينقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ ـ التوراة ـ وهي الأسفار الخمسة. التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. =

النبوات[1]، تشهد لدينهم الـذي هم عليه من: الأقانيم[2]، ______

---

٢ ـ أسفار الأنبياء المتقدمين. يشوع، قضاة، صموئيل... إلخ.
٣ ـ الكتابات: وهي ثلاثة أقسام:
(أ) المزامير ـ الزبور، الأمثال.
(ب) المجلات الخمس ـ نشيد الإنشاد، الجامعة.... إلخ.
(ج) الكتب ـ دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، الثاني... إلخ.
والمجموع تسعة وثلاثون سفراً (وهذه كلها ـ العهد القديم).
والعهد الجديد ـ يطلق على مجموعة: الإنجيل وهي: كلمة يونانية تعني الحلوان، وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد بالكلمة البشرى عينها، ويتكون من سبعة وعشرين سفراً. وينقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ ـ قسم الأسفار التاريخية ـ الأناجيل الأربعة: متى، مرقص، لوقا، يوحنا، وأعمال الرسل التي كتبها لوقا، وتحوي قصصاً تاريخية لحياة عيسى ومعجزاته، وأعمال الرسل لحياة معلمي المسيحية.
٢ ـ الأسفار التعليمية. وتشمل إحدى وعشرين رسالة، كتب منها بولس أربعة عشر رسالة، وثلاث ليوحنا، وثنتان لبطرس، وواحدة ليعقوب، وواحدة ليهوذا.
٣ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام، ولكنه رآها في اليقظة، وتتحدث عن المسيح بعد رفعه، وهي أوهام وأساطير.
ويذكر المؤرخون أن هناك أناجيل أخرى مثل إنجيل عيسى، وإنجيل السبعين، وإنجيل برنابا، والتذكرة. ولكن مصيرها حدده مجمع ـ نيقية ـ الذي رفض كل إنجيل لا يقر بألوهية المسيح، وأثبت الأناجيل التي تقول بألوهيته.
راجع فهرس الكتاب المقدس ص ١٣٦٠، طبعة دار حلمي ـ نشر دار الكتاب المقدس بالقاهرة. والبداية والنهاية ١/٢٨٥؛ ٢/١١، ٤٦، ١٠٠، ١٤٩؛ ٦/٦٠، ١٨١، والمسيحية للدكتور شلبي ص ٢٠١؛ واليهودية ص ٢٣٤ ـ ٢٧١؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣.

(١) في ط (يشهد) بالمثناة التحتية.
(٢) الأقانيم: جمع أقنوم وهي كلمة سريانية. معناها شخص أساسي، أو شخص رئيس، وهي قريبة من الكلمة اليونانية ـ Nomos ـ ومعناها: قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص؛ لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي أو في الذات. =

والتثليث[1]، والاتحاد[2]، وغير ذلك، بأنه حق وصواب فيجب التمسك به، ولا يجوز العدول عنه، إذا[3] لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه.

والفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول[4].

والفصل[5] الخامس: دعواهم أنهم موحدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر[6] منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم، فإن[7] ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم[8].

= انظر أقانيم النصارى ـ د. أحمد السقا ص ٩. نقلاً عن كتاب دراسات في الكتاب المقدس. وكتاب بين المسيحية والإسلام لأبي عبيدة الخزرجي بتحقيق د. محمد شامة ص ٧٥ في الهامش.

(١) التثليث: هو اعتقاد النصارى أن الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ مثلث الأقانيم واحد الجوهر، وقد ناقشهم الشيخ في هذه العقيدة، وبيَّن بطلانها في كثير من موضوعات هذا الكتاب، والتثليث ليس خاصاً بالنصارى، فإن بعض الأديان القديمة فيها تثليث خاص بها.
وانظر كلاماً مفصلاً عن التثليث في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٢/٧٥٩ ـ ٧٦١ مادة ثلث.

(٢) سبق توضيح الاتحاد.

(٣) في أ، س: (إذ)، وما أثبتناه من ك، ط .

(٤) في س (الأصول).

(٥) سقطت (والفصل) من أ.

(٦) في ط (يظهرا)، وهو خطأ.

(٧) في ك، ط (بأن) وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه من أ، س.

(٨) التشبيه والتجسيم من الألفاظ المجملة، والموهمة التي تحتمل حقاً وباطلاً، وقد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلمين وغيرهم، وكل طائفة تعني بهذه الأسماء ما لا يعنيه غيرهم. فمثلاً نفاة الصفات يعنون بالتشبيه والتجسيم =

والفصل [1] السادس: أن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال، فلا حاجة ـ بعد النهاية ـ إلى شرع يزيد[2] على الغاية، بل يكون ما بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

نهج المؤلف في ردِّ دعاويهم الباطلة

ونحن ـ ولله الحمد والمنَّة ـ نبيِّن أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية: من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن، أو عقلية، فلا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع[3] القرآن، والعقل حجة عليهم، لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية.

وهكذا يوجد[4] عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله ـ عز وجل ـ ففي تلك النصوص ما يتبين[5] أنه لا حجة لهم فيها، بل

= إثباتها، فمن أثبت الصفات لله ـ تعالى ـ فهو ـ عندهم ـ مشبه مجسم، ولفظ التجسيم لم يوجد في كلام السلف لا نفياً ولا إثباتاً، وهو يحتمل حقاً وباطلاً، فإذا أطلق فإنه يجب الاستفصال من قائله، فإن أراد به حقاً قبل، وإن أراد به باطلاً رد.

وأما التشبيه فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «نعم موجود في كلام بعضهم، وتفسيره معه، ـ كما قد كتبناه عنهم ـ، وأنهم أرادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه، دون نفي الصفات التي في القرآن والحديث...».

انظر نقض المنطق لابن تيمية ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

(١) في س، ط (والفصل).

(٢) في ط (مزيد).

(٣) في س (من) بدل (مع).

(٤) سقطت (يوجد) من ك.

(٥) في س (نبين)، وفي ك (يبين)، وفي ط (تبين).

هي بعينها حجة عليهم، كمـا ذكر أمثـال ذلك في الـرد على أهل البـدع والأهواء، وغيرهم من أهل القبلة.

وإنما عامة ما عند القوم ألفاظ متشابهة، تمسكوا بما[1] ظنوها تدل عليه، وعدلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة، مع ما يقترن بذلك من الأهواء.

وهذه حال[2] أهل الباطل، كما قال ـ تعالى ـ فيهم:

﴿... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[3].

فهم في جهل وظلم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿... وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[4].

فالمؤمنون الـذين تاب الله عليهم من الجهـل والظلم هم[5] أتبـاع الأنبياء ـ عليهم السلام[6] ـ، فإن الأنبياء[7] بعثوا بالعلم والعـدل، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[8].

---

(١) في ك، ط (بها).

(٢) في ك، ط زيادة لفظة (جميع) بعد (حال).

(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٧٢ ـ ٧٣.

(٥) في س (هو) وهو خطأ.

(٦) في س (عليهم الصلاة والسلام).

(٧) في ك: زيادة جملة (الذين تـاب الله عليهم) بعد لفـظة الأنبياء، وهي زائـدة لا محل لها.

(٨) سورة النجم: الآيات ١ ـ ٤.

فبيَّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنه ليس ضالاً جاهلاً، ولا غاوياً متبعاً هواه[1]، ولا ينطق عن هواه، إنما نطقه وحي أوحاه الله ـ سبحانه[2] وتعالى ـ .

وقال ـ تعالى[3] ـ :

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾[4].

فالهدى يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح، ومبناه على العدل، كما قال[5] ـ تعالى ـ :

﴿. . . وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ . . .﴾[6].

وأصل العدل: العدل[7] في حق الله ـ تعالى ـ : وهو[8] عبادته[9] وحده لا شريك له؛ فإن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه:

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[10].

---

(1) في ك (فلا ينطق).
(2) سقطت (سبحانه) من س.
(3) في س (وقال سبحانه وتعالى).
(4) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(5) في س (كما قال الله تعالى).
(6) سورة الحديد: الآية ٢٥، وقد وردت في ك، ط من أولها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ. . .﴾ الآية.
(7) سقطت (العدل) من ك، ط.
(8) سقطت (الواو) من ك، ط.
(9) في ط (عبادة الله).
(10) سورة لقمان: الآية ١٣.

وفي الصحيحين: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، لما نزلت:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ . . .﴾ الآية.

شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟»[1].

ولما كان[2] أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنَّة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس؛ ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة. رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ مقارب في كتاب الإيمان/ باب ظلم دون ظلم ١/١٣ ـ ١٤ وهو في فتح الباري ١/٨١؛ ٨/٢٢٠، وأخرجه مسلم (شرح النووي) باللفظ الذي ذكره الشيخ باب صدق الإيمان وإخلاصه ٢/١٤٣ (المجلد الأول)، ط دار الفكر، وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «فهاتان الروايتان إحداهما تبين الأخرى».
وأخرجه أبو عوانة في مسنده من ثلاث طرق/ باب أن الكافر لا يبطل معروفه في كفره إذا أسلم وكان على ذلك وإن الشرك يسمى ظلماً ١/٧٣ ـ ٧٤، ط دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٦٢هـ.
وأخرجه ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير آية: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...﴾** [سورة الأنعام: الآية ٨٢]، من حديث عبد الله بن مسعود، ج ٧، ص ١٦٨ (المجلد الخامس) طبعة دار الفكر.

(٢) سقط من نسخة (ك) من قوله: (**إن الشرك لظلم عظيم**... ص ١٤ سطر ٩ إلى قوله وكفر النصارى بتكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)، ولقد نبه على هذا السقط في هامش النسخة المذكورة، وذكر أن النقص أكثر من خمسين سطراً.

للناس على جهل فهو في النار»[1]. رواه أبو داود وغيره.

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض ـ إذا لم يكن عالماً عادلاً ـ كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية، بلا علم، ولا عدل؟ كحال أهل البدع والأهواء، الذين يتمسكون بالمتشابه[2] المشكوك، ويدعون المحكم[3] الصريح من نصوص

---

(١) رواه أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه/ كتاب الأقضية/ باب في القاضي يخطىء ٤/٥ (٣٥٧٣)، ثم قال أبو داود ـ رحمه الله ـ : وهذا أصح شيء فيه يعني حديث ابن بريدة. وأخرجه الترمذي في الأحكام/ باب ما جاء عن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في القاضي ٦١٣/٣ بلفظ مقارب. وأخرجه ابن ماجه في الأحكام باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ٧٧٦/٢ (٢٣١٥). وأخرجه الحاكم في الأحكام ٤/٩٠، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم وذكره وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ٤ / ١٨٥ (٢٠٨) رواه أصحاب السنن والحاكم والبيهقي من حديث بريدة ثم ذكر أنه قد جمع طرقه في جزء مفرد، وذكره محمد بن السيد درويش الحوت في حسن الأثر ص ٥٤٠.

(٢) المتشابه. من حيث معناه العام هو: تماثل الكلام، وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضاً، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى. فقال ـ تعالى ـ : ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً...**﴾ الآية ٢٣ من سورة الزمر. فالقرآن كله متشابه، أي: يشبه بعضه بعضاً، في الكمال، والجودة، ويصدق بعضه بعضاً في المعنى، ويماثله، وهذا هو التشابه العام.

(٣) والمحكم هو: إتقان الكلام؛ بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره. والمحكم منه ما كان كذلك، وقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم على هذا المعنى. فقال ـ تعالى ـ : ﴿**آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيْرٍ**﴾ [هود: ١].
فهو محكم؛ أي: كلام متقن فصيح، يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب.
وهذا هو الإحكام العام.
أما من حيث المعنى الخاص:
فالمحكم: ما عرف المراد منه. =

الأنبياء، ويتمسكون بالقدر المشترك المتشابه في المقاييس والآراء، ويعرضون عما بينهما[1] من الفروق المانعة من الإلحاق والاستواء، كحال الكفار وسائر أهل البدع والأهواء، الذين يمثِّلون المخلوق بالخالق، والخالق بالمخلوق، ويضربون لله المثل[2] بالقول الهزء[3].

ما كَفَرَتْ به النَّصارى

وذلك أن دين النصارى الباطل إنما هو دين مبتدع، ابتدعوه بعد المسيح ـ عليه السلام ـ، وغيروا به دين المسيح، فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه.

= والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه. والمحكم: ما لا يحتمل إلَّا وجهاً واحداً.
والمتشابه: ما احتمل أوجهاً. والمحكم: ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان.
والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه؛ ويحتاج إلى بيان يرده إلى غيره. ومثلوا للمحكم: بناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، ووعده، ووعيده.
ومثلوا للمتشابه: بمنسوخه، وكيفيات أسماء الله وصفاته.
انظر: الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ضمن (مجموعة الرسائل الكبرى) ٢/٧ ـ ٩، والقائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي ص ١٦١، والرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٦٣ ـ ٧٠؛ ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٢١٥.

(١) في ط (بينها).
(٢) في ط (مثل).
(٣) لله ـ سبحانه ـ المثل الأعلى، كما قال في كتابه العزيز: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].
قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: «فجعل ـ سبحانه ـ مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال ـ لأعدائه المشركين، وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى ـ المتضمن لإثبات الكمال كله ـ لله وحده، فمن سلب صفة الكمال عن الله ـ تعالى ـ فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى...».
انظر ص ٨٥ (بتحقيق شعيب الأرنؤوط) ط ١٤٠١هـ، نشر مكتبة دار البيان بدمشق.

ثم لما بعث الله[1] محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ كفروا به، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني.

كما كان كفر اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح، ثم تكذيبهم المسيح ـ عليه السلام ـ.

ونبيِّن ـ إن شاء الله[3] ـ أن ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد، لم يدل عليه شيء من كتب الله: لا الإنجيل، ولا غيره، بل دلت على نقيض ذلك، ولا دل على ذلك عقل؛ بل العقل الصريح، مع نصوص الأنبياء، تدل على نقيض ذلك، بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثة مبتدعة، لم يشرعها المسيح ـ عليه السلام ـ.

ثم التكذيب لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ هو كفرهم[5] المعلوم لكل مسلم، مثل كفر اليهود بالمسيح ـ عليه السلام ـ وأبلغ.

وهم يبالغون في تكفير اليهود بأعظم مما يستحقه اليهود من التكفير؛ إذ كان اليهود يزعمون أن المسيح ساحر كذاب، بل يقولون: إنه ولد غية[6]؛ كما أخبر الله[7] عنهم بقوله[8]:

---

(١) في ط (الله تعالى).
(٢) في ط (عليه أفضل الصلاة والسلام).
(٣) في ط زيادة (تعالى).
(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.
(٥) في النسخ عدا ط لفظة (مثل) بعد (كفرهم) وهي زائدة.
(٦) في ط (بقية)، وما أثبتناه من باقي النسخ أولى. قال في القاموس ٤/٣٧٢ باب الواو والياء: «ولد غَيَّة، ويكسر زنية».
وانظر المصباح المنير ٢/٦٢٦.
(٧) في ط (الله تعالى).
(٨) في ط (بقوله سبحانه).

﴿ . . . وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[1] .

والنصارى يدعون أن الله الذي خلق الأولين والآخرين، وأنه ديان يوم الدين، فكانت الأمتان فيه على غاية التناقض[2] والتعادي[3] والتقابل[4]؛ ولهذا كل أمة تذم الأخرى بأكثر مما[5] تستحقه، كما قال[6] ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[7] .

ذكر محمد بن إسحاق[8]، عن محمد بن أبي ـــــــــــــــ

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٦ .

(٢) التناقض: الأمران المتناقضان هما: الأمران اللذان لا يجتمعان في شيء واحد، في وقت واحد، ولا يرتفعان عن ذلك الشيء. مثل الوجود والعدم.
انظر: كتاب المنطق والفكر الإنساني للدكتور عبد السلام محمد عبده من ص ٨٤ ـ ص ٨٩، وكتاب المنطق لمحمد رضا المظفر من ص ٥١ ـ ص ٥٢ .

(٣) في ط (التعادل) وهو خطأ.

(٤) التقابل: الأمران المتقابلان هما: الأمران المتواجهان. والتقابل صور متعددة منها: التناقض، والتضاد، وغير ذلك.
النظر: المنطق والفكر الإنساني من ص ٨٤ ـ ص ٨٩. وكتاب المنطق لابن تيمية من ص ٥١ ـ ٥٣ .

(٥) في س (ما).

(٦) في س، ط (كما قال الله تعالى).

(٧) سورة البقرة: الآية ١١٣ .

(٨) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، من تصانيفه «السيرة النبوية» مطبوعة هذبها ابن هشام، ومن الأصل أجزاء مخطوطة في خزانة القرويين كما أفاد بذلك الزركلي =

محمد[1] مولى زيد بن ثابت[2].

عن عكرمة[3]، أو سعيد بن جبير[4]، عن ابن عباس[5]

= ـ رحمه الله ـ ومن تصانيفه كتاب «الخلفاء»، وكتاب «المبدأ». مات سنة ١٥١هـ .
انظر: تهذيب التهذيب ٣٨/٩ ـ ٤٦؛ وميزان الاعتدال ٤٦٨/٣؛ وتذكرة الحفاظ ١٧٢/١ والأعلام للزركلي ٢٨/٦.

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، ولد سنة ١١ قبل الهجرة في المدينة، ونشأ بمكة، صحابي جليل، من أكابرهم، وكان كاتب وحي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهاجر مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو ابن ١١ سنة وتعلَّم، وتفقه في الدين، فكان رأساً في المدينة في القضاء، والفتوى والفرائض، مات ـ رحمه الله ـ سنة ٤٥هـ .
انظر الإصابة: ٥٤٣/١ (٢٨٨٠)؛ والبداية والنهاية ٢٩/٨؛ وطبقات ابن سعد ٣٥٨/٢؛ والأعلام ٥٧/٣.

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري، المدني، مولى ابن عباس، تابعي ثقة ثبت، عالم بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعياً مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٧هـ . وقيل بعد ذلك.
انظر تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧؛ وتقريبه ٣٠/٢؛ والبداية والنهاية ٢٤٤/٩ ـ ٢٥٠؛ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص ٢٢٩؛ والأعلام ٢٤٤/٤.

(٤) سعيد بن جبير، الأسدي بالولاء، الكوفي ولد سنة ٤٥هـ ، تابعي، ثقة ثبت فقيه، كان حبشي الأصل أخذ العلم عن ابن عباس وغيره، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ . ـ رحمه الله تعالى ـ .
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٤؛ وتقريبه ٢٩٢/١؛ وطبقات ابن سعد ١٧٨/٦؛ والبداية والنهاية ٩٨/٩؛ والأعلام ٩٣/٣.

(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي.
ولد سنة ٣ قبل الهجرة، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، صحابي جليل، لازم الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، وسكن الطائف، وتوفى بها سنة ٨٦هـ . له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. وجمع له بعض أهل العلم تفسيراً سماه «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس» مطبوع. =

ـ رضي الله عنهما[1] ـ أنه قال[2] لما قدم وفد نجران[3] من النصارى على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ـ فقال رافع بن حريملة[6]: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل جميعاً، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة[7] موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله[8] ذلك في قولهما:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ . . .﴾[9].

= انظر: الإصابة ٣٢٢/٢ (٤٧٨١؛ والاستيعاب (هامش الإصابة) ٣٤٢/٢؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٥/٢؛ والبداية والنهاية ٢٩٥/٨ ـ ٣٠٧؛ والأعلام ٩٥/٤.

(١) في ط (عنه).

(٢) سقطت (قال) من ط.

(٣) نجران: بالفتح، ثم السكون، وآخره نون، وهو في عدة مواضع والمقصود بها نجران الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، وهي إحدى مدن المملكة العربية السعودية، وبها كان خبر الأخدود.
انظر معجم البلدان ٢٦٦/٥ ـ ٢٧١؛ ومراصد الأطلاع ١٣٥٩/٣؛ والمسالك والممالك للإصطخري ص ٢٦ (ط دار القلم بالقاهرة).

(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٥) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٦) في جميع النسخ (ربيع بن حرملة) وصححته من تفسير ابن جرير، ولم أقف له على ترجمة.

(٧) في ط (بنبوة).

(٨) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٩) أخرجها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده، قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة ـ يعني الأبرش ـ وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير قالا جميعاً: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، =

قـال كل يتلو في كتـابـه تصـديق مـا كفـر[1]: أي تكفـر[2] اليهـود بعيسى، وعنـدهم التوراة فيهـا ما أخـذ الله[3] عليهم على لسـان مـوسى بالتصديق بعيسى ــ عليه السلام ــ، وفي الإنجيل بإجابة عيسى بتصديق موسى[4]، وبما جاء به من التوراة من عند الله[5] وكل يكفر بما في يدي صاحبه.

قـال قتادة: «وقـالت اليهود: ليست النصـارى على شيء»، قـال: بلى، قد كان أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا.

= قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس وذكره بـاللفظ الذي أشـار إليه المؤلف.

انظر تفسير ابن جـرير عنـد آية ١١٣: البقـرة ١/٣٩٤، قلت: وفي السند سلمـة بن الفضل الأبرش، قـال ابن حجر في تقـريب التهذيب ١/٣١٨: صـدوق كثير الخـطأ ووردت ترجمته في ميزان الاعتدال ٢/١٩٢.

وفيه محمد بن أبـي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثـابت مدني، روى عن سعيـد بن جبير وعكرمة وعنه ابن إسحاق، قال الحافظ ابن حجر: «مجهـول من السادسـة تفرد عنـه ابن إسحاق»، تقـريب التهذيب ٢/٢٠٥ (٦٧٩)؛ وانـظر ترجمتـه في التهـذيب ٩/٤٣٣؛ وميزان الاعتدال ٤/٢٦ (٨١٢٩)، وقال عنه: لا يُعرف.

وقد ذكر الواحدي هذه القصة في أسباب النزول ص ٢٤ عند قولـه تعالى: ﴿**وقـالت اليهـود ليست النصارى على شيء**﴾، وذكـرها السيـوطي في لباب النقـول ص ١٦، وعـزاها لابن أبـي حـاتم. وانظر تفسيـر ابن كثير ١/١٥٥؛ وفتـح القديـر للشوكاني ١/١٣٠.

أمـا قصة وفـد نجران، فهي صحيحـة مشهورة وسيـأتي تخريجهـا في موضعـه ــ إن شاء الله ــ والآية ١١٣ من سورة البقرة.

(١) في ط زيادة (به).
(٢) في ط (تفكير).
(٣) في ط زيادة (تعالى).
(٤) في ط (عليه السلام).
(٥) في ط (من الله تعالى)، وفي س (من الله).

«وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء»، قال: بلى، قد كانت[1] أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا»[2].

تكفير كلٍّ من الفريقين للآخر

فاليهود كذبوا بدين النصارى، وقالوا: ليسوا على شيء، والنصارى كذبوا بجميع ما تميز[3] به اليهود عنهم، حتى في شرائع التوراة التي لم ينسخها المسيح، بل أمرهم بالعمل بها، وكذبوا[4] بكثير من الذين تميزوا به عنهم، حتى كذبوا بما جاء به عيسى ـ عليه السلام ـ، من الحق.

لكن النصارى ـ وإن بالغوا في تكفير اليهود ومعاداتهم على[5] الحد الواجب عما ابتدعوه من الغلو والضلال ـ فلا ريب أن اليهود لما كذبوا المسيح صاروا كفاراً، كما قال[6] ـ تعالى ـ للمسيح:

﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾[7].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[8].

---

(١) في س، ط (كان).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/٣٩٥ مجلد (١) عند آية ١١٣ من سورة البقرة بسند رجاله ثقات.
(٣) في ط (يتميز).
(٤) في ط (واليهود كذبوا).
(٥) في ط عن وكررت لفظة الحد.
(٦) في س، ط (كما قال الله تعالى).
(٧) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٨) سورة الصف: الآية ١٤.

وكفر النصارى ـ بتكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وبمخالفة المسلمين ـ أعظم من كفر اليهود بمجرد تكذيب المسيح؛ فإن المسيح لم ينسخ من شرع التوراة إلا قليلاً، وسائر شرعه إحالة على التوراة، ولكن عامة دين النصارى أحدثوه بعد المسيح. فلم يكن في مجرد تكذيب اليهود له ـ من مخالفة شرع الله ـ، الذي جاء بكتاب مستقل من عند الله، لم يحل شيئاً[1] من شرعه على شرع غيره.

قال الله[2] ـ تعالى ـ:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

والقرآن أصل كالتوراة، وإن كان أعظم منها، ولهذا[4] علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ـ صلَّى الله عليه[5] وسلَّم ـ كما قال النجاشي[6] ملك النصارى لما سمع القرآن: «إن هذا والذي جاء به

(١) في ك، ط شيء.
(٢) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٥١.
(٤) في ك، ط، (ولهذا كان).
(٥) في ك، ط (عليهما).
(٦) النجاشي بفتح النون على المشهور وقيل تكسر وبتشديد آخره وهو: أصحمة بن أبحر ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له؛ أسلم على عهد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولم يهاجر إليه وكان رِدْءاً للمسلمين نافعاً وقصته مشهورة في إحسانه إلى المهاجرين إليه من المسلمين وعندما توفي صلَّى عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونفر من الصحابة صلاة الغائب.
انظر ترجمته في الإصابة ١/١١٧؛ ومسلم بشرح النووي ٧/٢٢ (مجلد ٤)؛ والفتح الرباني ٢٢/٤٤٨؛ والبداية والنهاية ٣/٧٨.

موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[1].

وكذلك قال ورقة بن نوفل[2]، وهو من أحبار نصارى العرب[3]، لما سمع كلام النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال له[4] أنه يأتيك الناموس[5] الذي يأتي موسى، يا ليتني فيها جذعاً[6] حين يخرجك

---

(١) هذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في مسند أم سلمة زوج النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ١/٢٠١، ٢٠٣، ٥/٢٩٠ ــ ٢٩٣ وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ١/٢٩٠ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٤، ٢٧ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي. من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، وقد ورد ما يدل على ذلك في صحيح البخاري في الحديث الذي ساقه المؤلف. وسيأتي تخريجه. مات ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة.
انظر الإصابة للحافظ ابن حجر ٣/٥٩٧ (٩١٣٣)؛ والبداية والنهاية لابن كثير في مواضع مختلفة في ٢/٢٣٩؛ ٣/٣ ــ ١٦؛ ٣/١٧؛ والأعلام للزركلي ٨/١١٤، ١١٥.

(٣) الأحبار: جمع حبر بكسر الحاء المهملة، والفتح لغة فيه، والحبر العالم.
انظر المصباح المنير ١/١٦١؛ والقاموس المحيط ٢/٢؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٦٢.

(٤) سقطت لفظة (له) من ك، ط.

(٥) الناموس: صاحب السر. وقيل صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر قال ابن حجر: «والأول الصحيح الذي عليه الجمهور... ثم قال والمراد بالناموس هنا جبريل ــ عليه السلام ــ» ا هـ.
انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/٢٤/ باب بدء الوحي. والروض الأنف للسهيلي ١/٢٧٣ ط دار المعرفة بيروت.

(٦) جذعاً: بالنصب على أنه خبر كان المقدرة قاله الخطابي وهو مذهب الكوفيين وقيل النصب على الحال والجذع هو: الصغير من البهائم، كأنه عني أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً؛ ليكون أمكن لنصره. =

قـومـك، فقـال النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ : «أو مخـــرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي، وإن يدركني يـومك أنصرك نصراً مؤزراً[1].

ولهـذا يقرن ـ سبحـانه[2] ـ بين التـوراة والقرآن في مثـل قولـه: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفـروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران[3] تظاهرا...)، ويعني التوراة والقـرآن، وفي القـراءة الأخـرى: «قـالـوا سـاحـران»، أي: محمـد

= انظر فتح الباري ١/٢٥، باب بدء الوحي؛ وتفسير غريب الحديث ص ٥٣ وكلاهما (لابن حجـر). وقـد وجـه ابن حجـر ـ رحمـه الله ـ سبب ذكـره مـوسى دون عيسى بقوله: «لأنه كتاب موسى ـ عليه السلام ـ مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى وكذلك النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه بخلاف عيسى وكذلك وقعت النقمة على يدي النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بفـرعـون هـذه الأمـة وهـو أبـو جهـل بن هشـام وذكـر غـيـر ذلـك انـظـر الـفـتـح ١/٢٤ ـ ٢٥.

(١) هذا قطعة من حديث طويل ورد في صحيـح البخاري من روايـة عائشـة ـ رضي الله عنهـا ـ كتاب بـدء الوحي ١/٣؛ وورد في كتـاب التعبيـر ٨/٦٧ من روايـة عـائشـة أيضـاً؛ ورواه مسلم في الإيمان بـاب بـدء الـوحي ١/١٣٩ ـ ١٤٢ (٢٥٢)؛ وانـظر سيرة ابن هشام ١/١٧٥؛ والوفا بأحوال المصـطفى ١/١٦٣؛ ودلائل النبـوة للبيهقي ١/٤٠٤ فقد وردت فيها هذه القصة بألفاظ متقاربة.

(٢) في ك، ط (سبحانه وتعالى).

(٣) في س (ساحران) صـوابه (سحـران) وهو تصحيف لأنـه أشار بعـد ذلك إلى القـراءة الثانية وورد ذكرها في نسخة (س).
جـاء في التبصرة في القـراءات السبع لمكي بن أبـي طـالب: «قرأ الكـوفيون «قـالوا سحران»، على أنه تثنية سحر، وقرأ الباقون «ساحران» على أنه تثنية ساحر».
انـظر ص ٤٥٧؛ وانظر النشـر ٢/٣٤١، ٣٤٢؛ وفتـح القـديـر للشـوكـاني ٤/١٧٧ والتيسيـر في القراءات السبع لأبـي عمرو الـداني ص ١٧٢؛ والغايـة في القـراءات العشر للنيسابوري ص ٢٣١.

وموسى[1].

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ۝٤٨ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2].

فلم ينزل كتاب من عند الله أهدى من التوراة والقرآن.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٠﴾[3].

وهؤلاء النصارى، ذكر كاتب كتابهم في كتابه: أنه لما سأله سائل[4] أن يفحص له فحصاً بيناً عما يعتقده النصارى المسيحيون المختلفة ألسنتهم، المتفرقة في أربع زوايا العالم، من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، والقاطنون بجزائر البحر[5]، والمقيمون بالبر المتصل إلى مغيب الشمس، وإن[6] الأسقف

---

(١) في ط (موسى ومحمد صلّى الله عليهما وسلّم) وفي ك (موسى ومحمد).

(٢) سورة القصص: الآية ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٤) سقطت (سائل) من ط.

(٥) ذكر الاصطخري في المسالك والممالك ص ٥١ أنه يوجد في بحر الروم (الأبيض المتوسط الآن) جزائر صغار، وكبار، وجبال. قال فأما المعمور بالناس فهي صقلية، وهي أكبرها، وأقريطش، وقبرص، وجبل القلال، فأما صقلية فهي قريبة من الافرنجة وأقريطش، دونها، وسكانها جميعاً مسلمون، وبين أظهرهم نبذ من النصارى، وقبرص أهلها نصارى... وقد فتحها معاوية صلحاً، وهادن أهلها، وهم نصارى من الروم.
انظر المسالك والممالك ص ٥١ بتصرف.

(٦) في ط، ك (فان).

دميان[1] الملك[2] الرومي اجتمع بمن اجتمع به من أجلائهم ورؤسائهم[3]، وفاوض من فاوض من أفاضلهم وعلمائهم، فيما[4] علمه من رأى القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله إلى قبرص[5]، وخاطبهم في دينهم وما يعتقدونه ويحتجون به عن أنفسهم، قال الكاتب على لسان الأسقف: إنهم يقولون[6]: إنا سمعنا أن قد ظهر إنسان من العرب اسمه محمد، يقول[7]: إنه رسول الله، وأتى بكتاب فذكر أنه منزل عليه من الله، فلم نزل إلى أن حصل الكتاب عندنا، قال: فقلت لهم: إذا كنتم قد سمعتم بهذا الكتاب وهذا الإنسان، واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذي أتى به عندكم، فلأي حال لم تتبعوه، ولا سيما وفي[8] الكتاب يقول:

شبهات النصارى على دعواهم خصوصيَّة رسالة محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعرب

---

(١) في ك، ط (ديان)، وقد جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية للكاتبة أ.ل. بتشر الانجليزية أن هناك رجلاً يدعى (دميان) كان بطريركاً، وعين في صومعة في دير وادي النطرون. انظر ٢/٩٥ ـ ٩٦، ولكن هذا لا يعني أنه الذي نص عليه المؤلف لأنه ذكر أنه من ملوك الروم، ولم أقف عليه فيما اطلعت عليه من المراجع التي تتحدث عن ملوك الرومان حتى أجزم به.

(٢) في أ، س (المللي).

(٣) في أ، س (ورشاهم) وهو تصحيف ظاهر.

(٤) في ك (ميها).

(٥) قبرص: جزيرة كبيرة من جزر شرق البحر المتوسط، وهي الثالثة في المساحة والثانية في القيمة التاريخية والاقتصادية لها في التاريخ ذكر واسع كذكر صقلية.
انظر: دائرة معارف القرن العشرين ٧/٦٠٣ (فيه حديث واسع عنها)؛ وانظر معجم البلدان ٤/٣٠٥؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٠٦٣؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٥١ (ط دار القلم بالقاهرة).

(٦) سقطت جملة (انهم يقولون) من س.

(٧) في ك، ط (ويقول).

(٨) في ك، ط (وفي هذا الكتاب).

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[1]

أجابوا قائلين: لأحوال شتى. قال: فقلت: وما هي؟ قالوا: منها أن الكتاب عربي وليس بلساننا، حسب ما جاء فيه يقول:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا... ﴾[2].

وقال: ﴿... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[3].

وقال في سورة الشعراء:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقال في سورة البقرة:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[5].

وقال في سورة آل عمران:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ في سورة القصص:

﴿... لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٢) سورة يوسف: الآية ٢.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٥.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٨، ١٩٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٥١.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
(٧) سورة القصص: الآية ٤٦.

وقال في سورة السجدة:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقال في سورة يس:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[2].

قالوا: فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا، بل إلى جاهلية العرب، الذين قال:[3] إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله، وإنه لا يلزمنا اتباعه، لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله: خاطبونا بألستنا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا، وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا[4]، على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل، حيث يقول في سورة إبراهيم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . . ﴾[5].

وقال في سورة النحل:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾[6].

وقال في سورة الروم:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ . . . ﴾[7].

---

(١) سورة السجدة الآية ٣ وقد سقطت آية السجدة من ك، ط وما أثبتناه من أ، س.

(٢) سورة يس: الآية ٦.

(٣) في ك، ط قالوا والصواب ما أثبتناه من أ، س والمقصود الذين قال الله أنه لم يأتهم رسول ولا نذير. . .

(٤) في ط بلغتنا وقد تفردت بذلك عن باقي النسخ.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٦) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٧) سورة الروم: الآية ٤٧.

فقد صح في[1] هذا الكتاب أنه لم يأت إلا إلى الجاهلية من العرب، وأما قوله:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2].

فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم، لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه[3].

ونعلم أن الله عدل، وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داع من قبله[4].

هذه[5] ألفاظهم بأعيانها في الفصل الأول، وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا لتكذيبه، بل زعموا أن[6] في نفس هذا الكتاب أنه لم يقل: إنه مرسل إليهم، بل إلى جاهلية العرب، وإن العقل أيضاً يمنع أن يرسل إليهم.

فنحن نبدأ بالجواب عن[7] هذا، ونبين أنه ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في أ، س (أن) وماأثبتناه من ك، ط هو الصواب.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) من أول كلام النصراني إلى هذا الموضع يوافق من أول الرسالة المخطوطة التي عندنا (برقم ١٢٥٤) من المتحف القبطي إلى ورقة رقم (٣) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٤) هذه الجملة من قوله (ونعلم أن الله عدل) إلى آخرها، وقعت في المخطوط في ورقة رقم (٧)، أي سبقها كلام آخر جاء عند الشيخ متأخراً.

(٥) في ك، ط (وهذه).

(٦) في ك، ط (أنه).

(٧) في ك، ط (على) بدل (عن).

وسلَّم ـ أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الأنس والجن، وأنه لم يقل قط: أنه لم يرسل إليهم، ولا في كتابه ما يدل على ذلك.

الرّدّعلى شبهة النّصارى في خصوصيّة رسالة محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأن ما احتجوا به[1] من الآيات التي غلطوا في معرفة معناها، فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة في كتابه، التي تبين أنه مرسل إليهم، من جنس ما فعلوه في التوراة والإنجيل والزبور. وكلام الأنبياء، حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة، وتمسكوا بقليل من المتشابه الذي لم يفهموا معناه.

ومعلوم أن الكلام في صدق مدعي الرسالة وكذبه، متقدم على الكلام في عموم رسالته وخصوصها، وإن كان قد يعلم أحدهما قبل الآخر، لكن هؤلاء القوم ادعوا خصوص رسالته، وذكروا أن القرآن يدل على ذلك، فنجيب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلاً فصلاً، فنقول وبالله التوفيق:

الكلام[2] فيمن خاطب الخلق بأنه رسول الله إليهم، كما فعل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وغيره ممن قال: أنه رسول الله كإبراهيم، وموسى، ونحوهما من الرسل[3]، الصادقين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وآل كل من الصالحين ـ، وكمسيلمة الكذاب[4]

---

(١) سقطت (به) من ك.

(٢) في هامش نسخة (أ) كلام زائد هذا نصه: «مطلب: الجواب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلاً فصلاً، ومن الله الهداية والإعانة بفضله».

(٣) في ك، ط (الأنبياء).

(٤) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي، الوائلي، أبو ثمامة، متنبىء كذاب من المعمرين، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة، في نجد. عرف برحمان اليمامة، ارتد قبل موت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولحق الرسول بالرفيق الأعلى قبل القضاء على فتنته. ثم تولى أبو بكر قتال المرتدين، وقتل هذا الخبيث سنة ١٢هـ . =

والأسود العنسي[1]، ونحوهما، من المتنبئين الكذابين[2]، ينبني على أصلين:

أحدهما: أن نعرف[3] ما يقوله في خبره وأمره، فنعرف[4] ما يخبر به ويأمر به، وهل قال: إنه رسول الله إلى جميع الناس؟ أو قال: إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة، لا إلى غيرها؟.

والثاني: أن يعرف[5] هل هو صادق أو كاذب؟.

وبهذين الأصلين يتم الإيمان المفصل، وهو معرفة صدق الرسول، ومعرفة ما جاء به.

وأما الإيمان المجمل، فيحصل بالأول: وهو معرفة صدقه فيما جاء به، كإيماننا بالرسل المتقدمة، وقد نعلم[6] صدقه أو كذبه.

= في المعركة التي دارت بين الصحابة والمرتدين.
انظر: سيرة ابن هشام ٤/١٨٢؛ وفتوح البلدان ٩٧/١٠٣؛ والطبري ٣/٢٨١ – ٣٠١؛ وابن الوردي ١/٢١٦؛ والبداية والنهاية ٦/٣٢٣؛ وشذرات الذهب ١/٢٣.

(١) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، المذحجي، ذو الخمار، متنبىء مشعوذ، من أهل اليمن، كان جباراً، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها. ولم يلبث إلا أربعة أشهر ثم وثب عليه فيروز الديلمي ومعه معاونوه فقتلوه، وذلك قبل وفاة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشهر واحد فقط.
راجع: تاريخ الطبري ٣/٢٢٧ ـ ٢٤٠؛ وفتوح البلدان ص ١١٣؛ وابن الوردي ١/٢١٣؛ والبداية والنهاية ٦/٣١٠؛ وفتح الباري ٨/٧٢ ـ ٧٣؛ والأعلام ٥/١١١.

(٢) في ك، ط (الكاذبين).

(٣) في ك، ط (يعرف بالمثناة التحتية).

(٤) في ك، ط (يعرف بالمثناة التحتية).

(٥) في ك، ط (نعرف) بالنون.

(٦) في ك، ط بالياء المثناة التحتية.

وهؤلاء بدأوا في كتابهم هذا بما[1] ذكره الرسول، مما زعموا أنه حجة لهم على عدم وجوب اتباعه، وعلى مدح دينهم الذي هم اليوم عليه، بعد النسخ والتبديل، ثم ذكروا حججاً مستقلة على صحة دينهم، ثم ذكروا ما يقدح فيه وفي دينه، فلهذا قدمنا الجواب عما احتجوا به من القرآن، كما قدموه في كتابهم.



(١) في س، ك (ما).

فصل[1]

ودلائل صدق النبي الصادق، وكذب المتنبي الكذاب[2] كثيرة جداً، فإن من ادعى النبوة ــ وكان صادقاً[3] ــ فهو من أفضل خلق الله[4]، وأكملهم في العلم[5] والدين، فإنه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه، ــ صلوات الله عليهم وسلامه[6] ــ ، وإن كان بعضهم أفضل من بعض، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[7].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[8].

وإن كان المدعي للنبوة كاذباً فهو من أكفر خلق الله، وشرهم، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[9].

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(٢) في ط (الكاذب).

(٣) في س (صادق) وهو خطأ.

(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٥) في ك (العدل) بدل (العلم).

(٦) في س تقديم وتأخير يسير.

(٧) سورة البقرة: ص ٢٥٣.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٩) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2].

فالكذب أصل للشر، وأعظمه الكذب على الله ــ عز وجل ــ ، والصدق أصل للخير، وأعظمه الصدق على الله ــ تبارك وتعالى ــ .

وفي الصحيحين: عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ ، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[3].

---

(١) سورة الزمر: الآيات ٣٢ ــ ٣٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب «قول الله ــ تعالى ــ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ٧/٩٥، ورواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/٢٠١٣ (١٠٥)، ورواه أبو داوود في الأدب/ باب التشديد في الكذب ٥/٢٦٤؛ والترمذي في البر والصلة/ باب ما جاء في الصدق والكذب ٤/٣٤٧ وقال عنه حديث حسن صحيح، وابن ماجه بلفظ مقارب في =

ولما كان هذا من أعلى الدرجات، وهذا في أسفل الدركات، كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين، التي تدل على صدق أحدها وكذب الآخر ـ ما يظهر لكل من عرف حالهما. ولهذا كانت دلائل الأنبياء وأعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة، كما أن دلائل كذب المتنبئين كثيرة متنوعة، كما قد[1] بسط في موضع آخر.



= المقدمة ١/١٨، ومالك في الموطأ/ باب ما جاء في الصدق والكذب ٢/٢٥٤، وأحمد في مسند ابن مسعود بلفظ مقارب ١/٣٨٤، ٤٠٥.

(١) سقطت (قد) من أ، وقد بسط المؤلف ـ رحمه الله ـ الكلام على هذا في كتابه الذي ألفه بعنوان (النبوات)، كما تحدث في أماكن متفرقة من هذا الكتاب عن بعض دلائل النبوة وأعلامها، وفي الجزء الرابع من هذا الكتاب مباحث مهمة حول هذا الموضوع.

فصل

توضيح الدّعوى والردّ عليها

إذا عرف هذا، فهؤلاء القوم ـ في هذا المقام ـ ادعوا أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يرسل إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، فهذه الدعوى على وجهين:

إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم، ولكن أمته ادعوا له ذلك.

وإما أن يقولوا: إنه ادعى أنه أرسل إليهم، وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول.

وفي آخره قد يقال: أنهم[1] أشاروا إلى الوجه الثاني، لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب، وإنما أنكروا رسالته إليهم.

وأما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه، * وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلى العرب[2] * بل صدقوا بما وافق قولهم، وكذبوا بما خالف قولهم.

ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم نتكلم على الوجهين جميعاً، ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن على صحة دينهم، بوجه من

(١) في ط (أنهم قد).

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، س، ك وزدناه من ط.

الوجوه، ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم، ولا فيه تناقض.

وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين، التي يحتجون بها، هي حجة عليهم، ليس في شيء منها حجة لهم، ولو لم يبعث محمدٌ[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ موافق لسائر كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في إبطال دينهم، وقولهم في التثليث. والاتحاد، وغير ذلك، مع العقل الصريح.

فهم احتجوا في كتابهم هذا بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء، قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، مع العقل.

ونحن نبين أنه لا حجة لهم فيما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا فيما جاءت به الأنبياء قبله، ولا في العقل، بل ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وما جاءت به الأنبياء قبله، مع صريح العقل، كلها براهين قطعية على فساد دينهم، ولكن نذكر قبل ذلك: أن احتجاجهم بما جاء عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يصح بوجه من الوجوه، وأنه لا يجوز أن يحتج بمجرد المنقول عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به.

وكذلك[2] سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، بخلاف الاحتجاج بكلام غير الأنبياء؛ فإن ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض، وأما ما أخبرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، أو من قال: إنه نبي،

---

(١) في جميع النسخ عدا ط (محمداً).

(٢) في س، ط (وكذلك كلام سائر...).

فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض، سواء[1] قدر صدقهم أو كذبهم.

فيقال لهم: على كل تقدير، سواء[1] أقروا بنبوته إلى العرب أو غيرهم[2]، أو كذبوه في قوله: إنه رسول الله[3] أو سكتوا عن هذا وهذا، أو صدقوه في البعض دون البعض.

إن احتجاجكم[4] على صحة ما تخالفون[5] فيه المسلمين[6]، مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لا يصح بوجه من الوجوه. فاحتجاجكم على أنه لم يرسل إليكم، أو على صحة دينكم بشيء من القرآن، حجة داحضة، على كل تقدير.

مع أنّا سنبيِّن، ـ إن شاء الله تعالى ـ، أن الكتب الإلّهية كلها، مع المعقول لا حجة لكم في[7] شيء منها، بل كلها حجة عليكم.

وهذا بخلاف المسلمين، فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب: اليهود والنصارى، بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأهل الكتاب لا يصح احتجاجهم بما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وذلك أن المسلمين مقرون بنبوة موسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله، وهذا أصل دين المسلمين؛ فمن كفر بنبي واحد، أو كتاب واحد، فهو ـ عندهم ـ كافر، بل من سب[8] نبياً من الأنبياء فهو ـ عندهم ـ كافر

(١) في ط (سواء إن أقروا).
(٢) في ط (أو إلى غيرهم).
(٣) في ط (رسول الله مطلقاً).
(٤) في س، ك، ط (احتجاجهم).
(٥) في س، ك، ط (يخالفون) بالمثناة التحتية.
(٦) في ط (المسلمون) وهو خطأ.
(٧) سقطت (في) من ط.
(٨) في ك، ط (يسب) بالمثناة التحتية.

مباح الدم، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3] .

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله، يتناول التوراة والإنجيل، كما يتناول القرآن، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾[4] .

وقوله ــ تعالى[5] ــ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ . . . ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.
(٥) سقطت (تعالى) من س، ك.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وفي القراءة الأخرى: «وكتابه»، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ. . .﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

فذكر أن هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والذين يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله وبالآخرة هم يوقنون، ثم أخبر[3] أن هؤلاء هم المفلحون، فحصر الفلاح في هؤلاء، فلا يكون مفلحاً إلَّا من كان من هؤلاء.

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿. . . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ. . .﴾.

هو صفة للمذكورين ليس هؤلاء صنفاً[4] آخر؛ فإن عطف الشيء على الشيء قد يكون لتغاير الصفات وإن كانت الذات واحدة، هذا هو الصحيح هنا، وإن كان قد قيل: إن الصنف الثاني مؤمنو أهل الكتاب،

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١ ــ ٥.

(٣) في ط (ثم أخبر تعالى).

(٤) في س، ك (صنف).

والأول هم المسلمـون، فهـذا ضعيف[1]. وأفســد منــه، قــول هؤلاء

(١) للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:
الأول: أن هـذه الآيات الأربـع وصف لجميع المؤمنين، الـذين تلك صفـاتهم، من العـرب، والعجم، وأهل الكتـابين. وقد عـزاه ابن جريـر في تفسيـره إلى مجـاهـد، والربيع بن أنس.
وهذا هو الذي رجحه ابن تيمية، وابن كثير، والشوكاني.
قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ: «والحق أن هـذه الآية: ﴿وَالَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ...﴾ الآية في المؤمنين كالتي قبلها، وليس مجـرد ذكر الإيمـان بما أنـزل إلى النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وما أنـزل إلى من قبله بمقتضى لجعل ذلـك وصفاً لمؤمني أهـل الكتـاب. ولم يـأتِ ما يـوجب المخالفـة لهذا، ولا في النـظم القرآني ما يقتضي ذلك، وقـد ثبت الثناء على من جمـع بين الأمرين، من المؤمنين في غيـر آية. فمن ذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِـاللَّهِ وَرَسُولِـه وَالْكِتَابِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْـزِلَ مِنْ قَبْل...﴾ الآيـة ثم ساق غيـرها من الآيات. في تفسيره فتح القدير ١/٣٧.
الثـاني: أن الآيتين: الأولى، والثـامنـة، في مؤمني العـرب خـاصـة، دون غيـرهـم. والثـالثة، والـرابعة، في مؤمني أهـل الكتاب. وكـل صنف غير الآخـر. فـالمؤمنـون بـالغيب، نوع غيـر النوع المصـدق بالكتـابين. وقد عـزا ابن جريـر هـذا القـول إلى السـدي في تفسيـره، ونقله السـدي عن: ابن عبـاس، وابن مسعـود، وأنـاس من الصحابة.
ثم انتصـر لهذا القـول ابن جريـر ــ رحمـه الله ــ وذكـر أن هـذا عنـده أولى الأقـوال بالصواب، وأشبهها بتأويل الكتاب. وعلل بأنه قد صير الكفار بعد ذلك جنسين كافراً مختوماً على قلبه؛ ومنافقـاً، مرائيـاً بإظهـار الإيمان، وإبـطان النفاق. فكـذلك صيـر المؤمنين، في أول السـورة صنفين. جـاء هـذا في تفسيـره ١/٧٩، وقـال الحـافظ ابن كثيـر في تفسيـره ١/٤٣ رداً على هـذا: «هـذه منـاسبـة بين الآيـات، لا تستقيم شاهداً قوياً له ــ رحمه الله ــ على ما ذكر».
الثالث: أنها نزلت هذه الآيـات الأربع: في مؤمني أهـل الكتاب خـاصة، لإيمـانهم بالقرآن، عند إخبار الله فيه بالغيـوب التي كانـوا يخفونهـا بينهم. ذكره ابن جـرير في ١/٧٩ بدون أن يعزوه إلى أحد.
قلت وأحسن هـذه الأقـوال: القـول الأول المتضمن أن هـذه الآيـات وصف لجميـع =

النصارى: إن الكتاب المراد به الإنجيل، كما سيأتي الكلام على ذلك، ـ إن شاء الله تعالى ـ .

والعطف لتغاير الصفات كقوله ـ تعالى ـ :

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾(١).

وهو ـ سبحانه ـ الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾(٢).

إلى آخر الآيات.

وكذلك قوله:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . .﴾(٣).

= المؤمنين وأن آية ﴿والذين يؤمنون. . .﴾ معطوفة على التي قبلها؛ صفة للمتقين بعد صفة والعطف لتغاير الصفات، كما استشهد لذلك ابن تيمية بآيات كثيرة من القرآن على هذا النحو. والله أعلم.

وانظر بالإضافة لما سبق أسباب النزول للواحدي ص ١٣ ولباب النقول للسيوطي ص ٧؛ وتفسير القرطبي ١/ ١٨٠؛ وتفسير النسفي ١٢/١.

(١) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١ ـ ٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤.

هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وهم الذين على هدى من ربهم، وهم المفلحون.

ولكن فصَّل إيمانهم بعد أن أجمله؛ لئلا يظن ظان أن مجرد دعوى الإيمان بالغيب ينفع، وإن لم يؤمن بما أنزل إلى محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وما أنزل إلى من قبله: فلو قال أحد من الناس: أنا أؤمن بالغيب، وهو مع ذلك لا يؤمن ببعض ما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أو ببعض ما أنزل على من قبله لم يكن مؤمناً، حتى يؤمن بجميع ما أنزل إليه، وما أنزل إلى من قبله. ولو كانوا صنفاً آخر لكان المفلحون قسمين: قسماً يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل إلى من قبله، وقسماً يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل إلى من قبله، ولا يؤمنون بالغيب وهذا باطل عند جميع الأمم: المؤمنين، واليهود، والنصارى؛ فإن الإيمان بما أنزل إليه وإلى من قبله، يتضمن الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب لا يتم إلَّا بالإيمان[1] بجميع ما أنزله الله ـ تبارك وتعالى ـ.

ما يثبت به ـ متى ثَبَت ـ الاحتجاج على المسلمين

والمسلمون لا يستجيز أحد منهم التكذيب بشيء مما أنزل على من[2] قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج إلى ثلاث مقدمات:

إحداها[3]: ثبوت ذلك عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والثانية[4]: صحة الترجمة إلى اللسان العربي، أو اللسان الذي

(١) في س، ك (إلَّا بأن يؤمن) بدل (إلَّا بالإيمان).
(٢) في ط (من كان قبل).
(٣) في أ، س، ط (أحدها).
(٤) في أ، س، (والثاني).

يخاطب به، كالرومي، والسرياني، فإن لسان موسى وداود، والمسيح، وغيرهم، من أنبياء بني إسرائيل، كانت عبرانية[1]: ومن قال إن لسان المسيح كان سريانياً أو رومياً فقط غلط.

والثالثة[2]: تفسير ذلك الكلام، ومعرفة معناه.

فلهذا كان المسلمون لا يردون شيئاً من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله، ولكن قد يكذبون الناقل عنهم، أو يفسرون المنقول عنهم بما أرادوه أو[3] بمعنى آخر، على وجه الغلط.

وإن كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل، أو تأويل بعض المنقول عنهم، فهو كما يغلط من يغلط منهم، ومن سائر أهل الملل، في التكذيب على وجه الغلط ببعض ما ينقل عمن يقر بنبوته، أو في تأويل المنقول عنه.

وهذا بخلاف تكذيب نفس النبي، فإنه كفر صريح[4] بخلاف أهل الكتاب، فإنه لا يتم مرادهم إلَّا بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله، ومتى كذب بكلمة واحدة مما أخبر به من قال: إنه رسول الله، بطل احتجاجه بسائر كلامه، فكانت حجتهم التي يحتجون بها داحضة؛ وذلك أن الذي يقول: إنه رسول الله، إما أن يكون صادقاً في قوله: إني رسول الله، وفي جميع ما يخبر به عن الله، وإما أن يكون كاذباً، ولو في كلمة واحدة عن الله.

فإن كان صادقاً في ذلك، امتنع أن يكذب على الله في شيء مما يبلغه عن الله؛ فإن من كذب على الله، ولو في كلمة واحدة، كان ممن

---

(١) في ط (كان عبرانياً).

(٢) في أ، س، (والثالث).

(٣) سقطت (أو) من ط.

(٤) في س، ك زيادة: (به).

افترى على الله الكذب، ولم يكن رسولاً من رسل الله، ومن افترى على الله الكذب تبين أنه من المتنبئين الكذابين.

ومثل هذا لا يجوز أن يحتج بخبره عن الله؛ فإنه قد علم أن الله لم يرسله، وإذا قال هو قولاً، وكان صدقاً، كان كما يقوله غيره * يقبل لا *[1] لأنه بلغه عن الله، ولا لأنه رسول عن الله، بل كما يقبل من المشركين وسائر الكفار ما يقولونه من الحق؛ فإن عباد الأوثان، إذا قالوا عن الله ما هو حق مثل إقرار مشركي العرب بأن الله خلق السموات والأرض لم نكذبهم في ذلك، وإن كانوا كفاراً. وكذلك إذا قال الكافر: إن الله حي قادر خالق، لم نكذبه في هذا القول.

فمن كذب على الله في كلمة واحدة، قال: إن الله أنزلها عليه، ولم يكن الله أنزلها عليه، فهو من الكذابين، الذين لا يجوز أن يحتج بشيء من أقوالهم، التي يقولون: إنهم يبلغونها عن الله ـ تبارك وتعالى ـ، وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس، بل كأمثالهم من الكذابين إن عرف صحة ذلك القول من جهة غيرهم قُبِل؛ لقيام الدليل على صحته، لا لكونهم قالوه، وإن لم يعرف صحته من جهة غيرهم، لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجة.

وحينئذٍ، فهؤلاء إن أقروا برسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة، وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة، كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل.

وإن كذبوه في كلمة واحدة، أو شكوا في صدقه فيها، امتنع مع

(١) ما بين النجمتين انفردت به ط عن سائر النسخ.

ذلك أن يقروا بأنه رسول الله. وإذا لم يقروا بأنه رسول الله، كان احتجاجهم بما قاله[1]، كاحتجاجهم بسائر ما يقوله من ليس من الأنبياء، بل من الكذابين، أو من المشكوك في صدقهم.

ومعلوم أن من عرف كذبه على الله فيما يقول: إنه يبلغه عن الله، أو شك في صدقه. لا[2] يعلم أنه رسول الله ولا أنه صادق في كل ما يقوله ويبلغه عن الله. وإذا لم يعلم ذلك منه، لم يعرف أن الله أنزل إليه شيئاً، بل إذا عرف كذبه، عرف أن الله لم ينزل إليه شيئاً، ولا أرسله، كما عرف كذب مسيلمة الكذاب[3]، والأسود العنسي[4]، وطليحة الأسدي[5][6]، وكما عرف كذب ماني[7] وأمثاله

(١) في س (بما قالوه له) وفي الهامش (بما قالوه هم).

(٢) في س، ك، ط (لم).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، كان شجاعاً، فصيحاً، قدم على النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في وفد بني أسد سنة ٩هـ. ولما رجعوا ارتد طليحة، وادَّعى النبوة في عهد الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وكثر أتباعه بعد وفاة الرسول من قبائل أسد، وغطفان، وطيء. سير إليه أبو بكر جيشاً بقيادة خالد فانهزم طليحة ثم فر إلى الشام ثم أسلم، ووفد على عمر فبايعه في المدينة، وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند سنة ٢١هـ.

راجع: الإصابة ٢/٢٢٦ (٤٢٩٠)؛ والبداية والنهاية ٦/٣١١؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٢٥٤؛ والأعلام للزركلي ٣/٢٣٠.

(٦) في س، ك (وغيرهم).

(٧) ماني بن فاتك الحكيم، ثنوي تنسب إليه طائفة المانوية، زعم أن للعالم صانعين أحدهما فاعل الخير وهو نور، والثاني فاعل الشر وهو ظلمة، وهما قديمان، لم يزلا، ولن يزالا، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، وقد ظهر ماني في زمان شابور بن أزدشير، وذلك بعد عيسى ـ عليه السلام ـ وقد تبعه خلق كثير من المجوس، وادعوا له النبوة. قتل زمان سابور بن بهرام.

راجع: الملل والنحل ١/٢٤٤؛ والفرق بين الفرق ٢٧١؛ وابن الوردي ١/٦١؛ وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ ـ ١٥٩.

وغيرهم[1] من المتنبئين الكذابين.

وإذا شك في صدقه في كلمة واحدة، بل جوز أن يكون كذبها عمداً أو خطأ، لم يجز تصديقه مع ذلك، في سائر ما يبلغه عن الله؛ لأن تصديقه فيما يخبر به عن الله، إنما يكون إذا كان رسولاً صادقاً، لا يكذب عمداً ولا خطأ؛ فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقاً في كل ما يبلغه عن الله، لا يكذب فيه عمداً ولا خطأ.

صدق الرسول وعصمته من الكذب

وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم: المسلمون واليهود، والنصارى وغيرهم، اتفقوا على أن الرسول لا بد أن يكون صادقاً معصوماً فيما يبلغه عن الله، لا يكذب على الله خطأ ولا عمداً؛ فإن مقصود الرسالة لا يحصل[2] بدون ذلك، كما قال موسى ـ عليهم السلام ـ لفرعون:

﴿... يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ...﴾[3].

وفي القراءة المشهورة: يخبر أنه جدير وحرى وثابت ومستقر على أن لا يقول[4] على الله إلَّا الحق، وعلى القراءة الأخرى: أخبر أنه واجب عليه أن لا يقول على الله إلَّا الحق[5].

---

(١) سقطت (وغيرهم) من ط وقدمت في س. (٢) سورة الأعراف: الآيتان ١٠٤ ــ ١٠٥.

(٣) في ط بالمثناة التحتية. (٤) في س، ك (أقول).

(٥) انظر التبصرة لمكي بن أبي طالب ص ٣٤٢؛ والنشر في القراءات العشر ٢/٢٧٠، والقراءة المشهورة هي قراءة الجمهور عدا نافع. وقراءة الجمهور وهي المشهورة (حقيق على) بألف في اللفظ في كلمة على، والمعنى كما ذكر الشيخ أي: جدير، وحري وثابت ومستقر على أن لا يقول على الله إلَّا الحق، وقراءة نافع بتشديد الياء في (علي) والمعنى أنه واجب عليه... إلخ. وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/٢٣١؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ١٥٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ . . .﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(3).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾(4) الآية.

وهذا لبسطه موضع آخر(5).

وإنما المقصود هنا: أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به

(1) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.
(2) سورة الشورى: الآية ٢٤.
(3) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.
(4) سورة يونس: ص ١٥.
(5) في س، ك، وهذا بسطه في موضع آخر.
وقد بسط الكلام على هذا في كتابه النبوات. انظر ص ١٦٦، ١٦٧ وفي مجموع الفتاوى ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢؛ و ٤/١٦٨، ١٦٩؛ وتحدث في هذا الكتاب بالتفصيل عن دلائل صدق النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الجزء الرابع منه.

محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، لا يصح بوجه من الوجوه؛ فإنه إن كان رسولاً صادقاً في كل ما يخبر به عن الله ـ عز وجل ـ ، فقد علم كل واحد[1] أنه جاء بما يخالف دين النصارى، فيلزم إذا كان رسولاً صادقاً أن يكون دين النصارى باطلاً: وإن قالوا في كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة، لزم أن لا[2] يكون عندهم رسولاً صادقاً مبلغاً عن الله، وحينئذٍ فسواء قالوا: هو ملك عادل، أو هو عالم من العلماء، أو هو رجل صالح من الصالحين، أو جعلوه قديساً عظيماً من أعظم القديسين[3] فمهما عظموه به، ومدحوه به، لما رأوه من محاسنه الباهرة، وفضائله الظاهرة، وشريعته الطاهرة، متى كذبوه في كلمة واحدة مما جاء به، أو شكوا فيها، كانوا مكذبين له في قوله: إنه رسول الله، وأنه بلغ هذا القرآن عن الله، ومن كان كاذباً في قوله: إنه رسول الله، لم يكن من الأنبياء والمرسلين، ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة[4]، لكن له أسوة أمثاله.

فإن عرف صحة ما يقوله بدليل منفصل، قُبِل القول؛ لأنه عرف صدقه من غير جهته، لا لأنه قاله، وإن لم يعرف صحة القول لم يقبل.

فتبيَّن أنه[5] ـ إن لم يقر المقر لمن ذكر أنه رسول الله بأنه صادق في كل ما يبلغه عن الله، معصوم عن استقرار الكذب، خطأ أو[6] عمداً ـ لم يصح احتجاجهم بقوله.

---

(١) في س، كل (أحد).
(٢) في ط (لزم أن يكون) وقد انفردت بإسقاط لا النافية عن سائر النسخ.
(٣) في جميع النسخ عدا ط (القداديس).
(٤) سقطت (البتة) من أ.
(٥) في هامش أ (مطلب فتبين أنه إن لم يقر).
(٦) في س، ك (وعمدا).

وهذا الأصل يبطل قول عقلاء أهل الكتاب[1]، وهو لقول جهالهم أعظم إبطالاً، فإن كثيراً من عقلاء أهل الكتاب، وأكثرهم[2]، يعظمون محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، لما دعا إليه من توحيد الله ــ تعالى ــ، ولما نهى عنه من عبادة الأوثان، ولما صدق التوراة والإنجيل والمرسلين قبله، ولما ظهر من عظمة القرآن الذي جاء به، ومحاسن الشريعة التي جاء بها، وفضائل أمته التي آمنت به، ولما ظهر عنه وعنهم من الآيات والبراهين والمعجزات والكرامات. لكن يقولون ــ مع ذلك ــ: إنه بعث إلى غيرنا، وإنه[3] ملك عادل له سياسة عادلة، وإنه[4] ــ مع ذلك ــ حصل علوماً من علوم أهل الكتاب، وغيرهم، ووضع لهم ناموساً بعلمه، ورتَّبه[5]، كما وضع أكابرهم لهم القوانين والنواميس التي بأيديهم.

ومهما قالوه من هذا فإنهم لا يصيرون به مؤمنين به ولا يسوغ لهم بمجرد ذلك الاحتجاج بشيء مما قاله؛ لأنه قد عرف بالنقل المتواتر، الذي يعلمه جميع الأمم من جميع الطوائف أنه قال: إنه رسول الله إلى جميع الناس، وأن الله أنزل عليه القرآن، فإن كان صادقاً في ذلك فمن كذبه في كلمة واحدة فقد كذب رسول الله، ومن كذب رسول الله فهو كافر، وإن لم يكن صادقاً في ذلك لم يكن رسولاً لله، بل كان كاذباً ومن كان كاذباً على الله، يقول: الله[6] أرسلني بذلك، ولم يرسله به لا يجوز أن يحتج بشيء من أقواله.

---

(١) في هامش أ تعليق مقابل هذه الجملة نصه (قف على قول عقلاء أهل الكتاب).

(٢) في س، ك، ط (أو أكثرهم).

(٣) في س، ك، ط (أو أنه).

(٤) في س، ك، (أو أنه).

(٥) في جميع النسخ عدا ط (ودينه).

(٦) في س، ك (يقول إن الله).

الردّ على أهل الكتاب في قولهم: بالإرسال الكوني

وأما من كان من جهلاء[1] أهل الكتاب، الذين يقولون: أنه كان ملكاً مسلطاً عليهم، وأنه رسول غضب أرسله الله إرسالاً كونياً، لينتقم به منهم، كما أرسل بختنصر[2] وسنحاريب[3] على بني إسرائيل، وكما أرسل جنكس خان[4]، وغيره من الملوك الكافرين والظالمين، مما

---

(١) في ط (جهال)، وفي هامش أ تعليق هذا نصه «قف على مكان من كان جاهلاً من أهل الكتاب، وقولهم في النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وأنه رسول كوني لا ديني».

(٢) بختنصر: من ملوك الفرس ببابل. قيل كان مستقلاً بنفسه، وقيل: كان نائباً للفرس ثم استقل بالملك بعد موت لهراسف، وملك الفرس سبعاً وخمسين سنة، كان بدايتها سنة ٧٧٩ لوفاة موسى، وقد سالمه العرب فأحسن إليهم. أما بنو إسرائيل فقد صالحوه، لكنهم غدروا به فقاتلهم حتى أبادهم، وخرب بيت المقدس، وأحرقه، ولجأ من بقي منهم إلى فرعون مصر في عهده فاتبعهم، وقاتل فرعون وأتباعه حتى قتله وصلبه، وحاز ذخائر مصر وسبي القبط وغيرهم.
راجع: تاريخ الطبري ١/٥٣٨، وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٦٠، ٤٤، ٤٥؛ والبداية والنهاية ١/٥٣٨، ٢/٣٤؛ وتفسير الطبري ١٥/٢٢ (مجلد٤)؛ وسفر عزرا الإصحاح الأول/ فقرة ٧؛ وسفر دانيال الإصحاح الأول/ الفقرة ١ ـ ٧.

(٣) سنحاريب: ملك من ملوك بابل. اتجه بجيشه لغزو ملك بني إسرائيل «حزقيا» ببلاد بيت المقدس فنصر الله حزقيا الذي كان سامعاً مطيعاً للنبي «أشعيا» وقد أسر سنحاريب، ثم أطلق فرجع إلى بلاده، ثم مات بعد سبع سنين. وقيل قتله ابنان من أولاده في نينوى ثم هربا إلى جبال الموصل، ثم إلى القدس فآمنا بحزقيا.
راجع: تاريخ الطبري ١/٥٣٢ ـ ٥٣٥؛ والبداية والنهاية ٢/٣٢ ـ ٣٣؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٤٣.

(٤) جنكس خان: هو الجبار المغولي، والطاغية التتري المشهور وهو ابن «ياسو كاي بها درخان المغول»، ولد سنة ١١٦٢م في القرن السادس الهجري عندما كان أبوه يحارب أحد الرؤساء واسمه «تموجين» فانتصر عليه فسمى ولده بهذا الاسم تذكاراً لذلك النصر، ثم سمي بعد ذلك «جنكز خان» ويعني هذا «سلطان الأقوياء»، استولى على جميع بلاد التتر والصين وعدة ولايات. وأولاده هم الذين استولوا على =

ينتقم[1] به ممن عصاه، فهؤلاء أعظم تكذيباً له، وكفرا به، من أولئك؛ فإن هؤلاء الملوك لم يقل أحد منهم: إن الله أنزل عليه كتاباً، ولا أن هذا الكلام الذي أبلغه إليكم هو كلام الله، ولا أن الله أمركم أن تصدقوني فيما أخبرتكم به، وتطيعوني فيما أمرتكم به، ومن لم يصدقني باطناً وظاهراً، فإن الله يعذبه في الدنيا والآخرة، بل هؤلاء أرسلهم إرسالاً كونياً قدره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب، وكما يرسل الشياطين.

قال[2] ـ تعالى ـ:

﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾[4].

وهذا بخلاف قوله:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ...﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾[6].

= بغداد، وخربوا البلاد، وقتلوا العباد، وامتد ملكه من البحر الأسود إلى بحر الصين، مات هذا الطاغية سنة ١٢٢٧م في الصين.

راجع: دائرة المعارف للبستاني ٦/٥٥٠ (باب الجيم) ط مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان.

(١) في ط (مما ينتقم الله به) بزيادة لفظ الجلالة.

(٢) في ط (زيادة لفظ الجلالة بعد قال).

(٣) سورة مريم: الآية ٨٣.

(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٤، ٥.

(٥) سورة نوح: الآية ١.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٥.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[1] .

فإن هذا يعني به الإرسال الديني، الذي يحبه[2] ـ تعالى ـ ويرضاه، الذي هدى به من اتبعهم، وأدخله في رحمته، وعاقب من عصاهم، وجعله من المستوجبين للعذاب وهو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ . . . ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ . . . ﴾[4] .

وهذه الرسالة التي أقام بها[5] الحجة على الخلق، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[6] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾[7] .

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥ .
(٢) في س (يحبه الله تعالى).
(٣) سورة النساء: الآية ٦٤ .
(٤) سورة النساء: الآية ٨٠ .
(٥) في ط (أقام الله بها).
(٦) سورة النساء: الآية ١٦٥ .
(٧) سورة الحج: الآية ٧٥ .

وهذا كما اصطفى روح القدس جبريل ـ عليه السلام ـ، لنزوله بالقرآن على من اصطفاه من البشر، وهو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

قال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فأخبر أنه نزل به جبريل، وسماه الروح الأمين، وسماه روح القدس، وقد ذكره أيضاً في قوله:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[4].

ثم قال:

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٤) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢١.

بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(١).

فهذا الرسول جبريل ــ عليه السلام ــ . وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾(٢).

فهذا الرسول محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وأما الإرسال الكوني الذي قدره وقضاه مثل إرسال الرياح وإرسال الشياطين، فذلك نوع آخر. قال ــ تعالى ــ :

﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ . . . ﴾(٤).

والله ــ تعالى ــ له الخلق والأمر فلفظ الإرسال، والبعث، والإرادة، والأمر، والأذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام ينقسم إلى: خلقي، وأمري، وكوني، وديني، وقد ذكرنا الإرسال.

وأما البعث، فقال ــ تعالى ــ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(٥).

---

(١) سورة التكوير: الآيات ٢٢ ــ ٢٩.
(٢) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٤٧.
(٣) سورة مريم: الآية ٨٣.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٧.
(٥) سورة الجمعة: الآية٢.

وقال في الكوني:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾[2].

وأما الإرادة، فقال ـ تعالى ـ في الكونية:

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا . . . ﴾[3].

وقال نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ في الإرادة الدينية:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) . . . ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ . . . ﴾[7].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣١.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٤) سورة هود: الآية ٣٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٦) سورة النساء: الآيات ٢٦ ـ ٢٨.
(٧) سورة المائدة: الآية ٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ في الأمر الكوني :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(2).

وكذلك في(3) أظهر القولين قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾(4)، (5).

---

(1) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(2) سورة يس: الآية ٨٢.

(3) سقطت (في) من ط.

(4) سورة الإسراء: الآية ١٦.

(5) للمفسرين في تفسير (أمرنا) قولان:

أحدهما: أن المراد به الأمر الذي هو نقيض النهي، أي: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش، فاستحقوا العقوبة.

الثاني: أمرنا مترفيها، أكثرنا فساقها. قال الواحدي: تقول العرب، أمر القوم إذا كثروا. وأمرهم الله إذا كثرهم. (وأمر) من باب نصر، وهذا أمر قدري كقوله ـ تعالى ـ : «أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً» وقوله: «إن الله لا يأمر بالفحشاء». قالوا معناه: إنه سخرهم إلى فعل الفواحش، فاستحقوا العذاب.

وقد رجح ابن جرير الأول ثم عقب بقوله: «لأن الأغلب من معنى أمرنا، الأمر الذي هو خلاف النهي، دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى، ما وجد إليه سبيل من غيره».

انظر كلامه في التفسير ١٥/٤٣ (المجلد ٧)، وانظر تفسير القرطبي ١٠/٢٣٢ ـ ٢٣٤ (المجلد ٥)، وتفسير ابن كثير ٣/٣٢، وفتح القدير ٣/٢١٤.

وقد قرأ الجمهور: أمرنا من الأمر وهو على المعنى الأول، وقرىء بتشديد الميم في أمرنا أي: جعلناهم أمراء مسلطين، وقرىء آمرنا بالمد والتخفيف أي: أكثرنا جبابرتها، وأمراءَها. انظر الغاية في القراءات العشر ص ١٩٠.

وأما الأمر الديني مثل قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا . . .﴾[1].

وأما الأذن الكوني مثل قوله في السحرة:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾[2].

والديني مثل قوله:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[3].

والكتاب الكوني مثل قوله:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ . . .﴾[4].

وقوله:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا . . .﴾[5].

والديني مثل قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ . . .﴾[6].

وقوله:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . .﴾[7].

وقوله[8]: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ . . .﴾[9].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦.
(٤) سورة المجادلة: الآية ٢١.
(٥) سورة التوبة: الآية ٥١.
(٦) سورة النساء: الآية ٢٤.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٨) أضفنا (قوله) من ط، وأما في النسخ الأخرى فقد أدمجت آية الصيام في آية القصاص.
(٩) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

والقضاء الكوني كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ...﴾[1].

والديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2].

أي: أمر.

والتحريم الكوني مثل قوله:

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ...﴾[3].

وقوله:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[4].

وقوله[5]:

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

والديني مثل قوله[7]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ...﴾[8].

وقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾[9].

والكلمات الكونية مثل قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن[10] بر ولا فاجر»[11]، ومنه

---

(1) سورة فصلت: الآية ١٢.
(2) سورة الإسراء: الآية ٢٣.
(3) سورة القصص: الآية ١٢.
(4) سورة المائدة: الآية ٢٦.
(5) أضفنا (وقوله) من ط، وقد أدمجت الآيتين في باقي النسخ وإضافتها لازمة.
(6) سورة الأنبياء: الآية ٩٥.
(7) سقطت (قوله) من أ.
(8) سورة المائدة: الآية ٣.
(9) سورة النساء: الآية ٢٣.
(10) في أ (يتجاوزها) وصححناه من سائر النسخ.
(11) هذا قطعة من حديث رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٥٠ ـ ٩٥٢ في كتاب الشعر/ باب ما يؤمر به من التعوذ من طريقين الأولى مرسلة والثانية موقوفة على كعب =

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ . . .﴾[1].

والدينية: مثل قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[2]، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾[3].

= الأحبار، ونص الأولى عن يحيى بن سعيد، أنه قال: أسري برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار. كلما التفت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رآه. فقال له جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن. إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «بلى» فقال جبريل: فقل: أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات. . . وذكره وفيه زيادة. ورواه مالك من طريق آخرى عن كعب ولم يرفعه. حديث رقم (١٢) الموطأ ٩٥١/٢، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤١٩/٢ موصولاً. قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث في جامع الأصول ورواه أحمد في المسند، وهو حديث حسن. انظر جامع الأصول ٣٦٧/٤، حديث رقم (٢٤١٠).

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج/ باب حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو قطعة من حديث طويل رواه جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وفيه ذكر حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ووصيته الطويلة في خطبة حجة الوداع، ورواه أبو داوود أيضاً في المناسك/ باب صفة حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤٥٥/٢ (١٩٠٥)، ورواه أحمد من حديث عم أبي حمزة الرقاشي بلفظ مقارب ٧٣/٥.
وكلمة الله: قيل معناه قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانْ﴾ وقيل كلمة التوحيد وهي لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ. . .﴾.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

وهذا مبسوط في موضع آخر(١).

تفرُّق أهل الكتاب في النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ

والمقصود هنا أنه(٢) تفرق أهل الكتاب في النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، كل يقول فيه قولاً هو نظير تفرق سائر الكفار، فإن الكفار بالأنبياء من عاداتهم أن تقول كل طائفة فيه قولاً يناقض قول الطائفة الأخرى، وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل عليه، وأقوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة، وهذا هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله ــ تعالى ــ في قوله:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ . . . ﴾(٣).

وفي قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾(٤).

وقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٥).

وقوله:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ . . . ﴾(٦).

وقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(٧).

---

(١) بسط الكلام على هذا في مواضع منها مجموع الفتاوى ٨/٥٨ ــ ٦٢، وذلك رداً على سؤال ورده عن تفصيل الإرادة، والأذن. . . إلخ، مما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه، وأمره شرعي، وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية.

(٢) سقطت أنه من ط، وأثبتت في س، ك، (أن) وقد أضيفت في أ في الهامش.

(٣) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٤) سورة الذاريات: الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٦.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

(٧) سورة المائدة: الآية ١٤.

ومثـال أقـوال الكفـار في الأنبيـاء مـا ذكـره ـ تعـالى ـ في قـولـه ـ تعالى[1] ـ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[2].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن الكفار ضربوا له أمثالاً كلها بـاطلة ضلوا فيها عن الحق، فلا يستطيعون مع الضلال سبيلاً إلى الحق، وضرب الأمثال له يتضمن تمثيله بأناس آخرين، وجعله في تلك الأنواع التي ليس هـو منها ولا مماثلاً لأفرادها مثل قولهم:

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ . . . ﴾[3].

مثلوه بـالكاذب المستعين بمن يعينـه على ما يفتـريـه، ومثلوه بمن

(١) سقطت (تعالى) من ط.
(٢) سورة الفرقان: الآيات ١ ـ ٩.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٤.

يستكتب أساطير الأولين من غيره، فتقرأ[1] عليه طرفي النهار وهو يتعلم من أولئك ما يقوله ومثلوه بالمسحور، وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

قال كثير من السلف: الذين جعلو القرآن عضين[4]: هم الذين

(١) في ك، ط بالمثناة التحتية.
(٢) سورة الإسراء: الآيات ٤٥ ـ ٤٨.
(٣) سورة الحجر: الآيات ٨٧ ـ ٩٦.
(٤) عضين: قال ابن قتيبة: أي: فرقوه، وعضوه. قال رؤبة: وليس دين الله بالمعضي.
ويقال: فرقوا القول فيه، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين.
وقال عكرمة: العضة: السحر بلسان قريش، يقولون للساحرة: عاضهة.
راجع: تفسير غريب القرآن ص ٢٣٩، وتفسير ابن جرير الطبري ١٤/٤٥، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي ٤/١٠٧.

عضهوه، فقالوا سحر، وشعر، وكهانة ونحو ذلك، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾(1) .

وقال(2) :

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾(3) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ۝١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٠٩﴾(4) .

---

(1) سورة الحاقة: الآيات ٣٨ ـ ٥٢ .

(2) في س، ك، ط (وقال ـ تعالى ـ).

(3) سورة الطور: الآيات ٢٩ ـ ٣٤ .

(4) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ٢٠٩ .

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ
عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ
فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾
تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ
ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(١) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ
وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ
مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟
مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ
بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ـ ٢٢٧ .

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ
الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَٰتٍ وَادْعُوا مَنِ
اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا
أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣).

وقال(٤) ــ تعالى ــ :

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات ٤٦ ــ ٥٥.

(٢) سورة الطور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٣) الآيتان من سورة هود: ١٣، ١٤، وقد حصل في المطبوعة خطأ بالتفريق بين الآيتين، حيث جعل الأولى من سورة يونس والثانية من سورة هود، وهو خطأ فآية يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينْ﴾: ٣٨.

(٤) سقطت (الواو) من ط.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(١).

وقد أخبر ـ تعالى(٢) ـ أن هذه سنة الكفار في الأنبياء قبله كما قال:

﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ . . . ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(٥).

وقد أخبر ـ سبحانه ـ أن الكفار قالوا عن موسى ـ عليه السلام ـ أنه ساحر، وأنه مجنون، فقال فرعون:

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾(٦).

وقوله(٧) : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . . . ﴾(٨).

وقال(٩) :

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٤٩ ـ ٥١.

(٢) في ط (سبحانه وتعالى).

(٣) سورة الذاريات: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٦) سورة الشعراء: الآية ٢٧.

(٧) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وأثبتناه من ط.

(٨) سورة الزخرف: الآية ٤٩.

(٩) في ط (وقوله).

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ . . . ﴾[1].

وكذلك قالوا عن المسيح بن مريم كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

وذكر ــ تعالى ــ عن اليهود أنهم قالوا على مريم بهتاناً عظيماً: فقول اليهود في المسيح من جنس أقوال الكفار[3] في الأنبياء، وكذلك قول كفار أهل الكتاب في خاتم الأنبياء محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً ــ.

الردّ على دعوى قصر الرسالة على العرب بالتفصيل

فإذا علم هذا فنقول بعد ذلك لمن قال أنه رسول أرسل إلى العرب الجاهلية دون أهل الكتاب:

إنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه وسنّته المتواترة عنه، وسنّة خلفائه الراشدين من بعده، أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين[4]، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم: عربهم وعجمهم من الروم[5]، والفرس[6]،

(١) سورة طه: الآية ٧١.

(٢) سورة الصف: الآية ٦.

(٣) سقطت كلمة (الكفار) من أ، س وأثبتناها من نسختي ك، ط.

(٤) في ط زيادة (رسولاً) بعد (الأميين).

(٥) سبق التعريف بهم.

(٦) الفرس: من ولد فارس بن أرم بن سام، وقيل من ولد يافث، وهم يقولون أنهم من ولد كيومرث، وهو عندهم الذي ابتدأ من النسل مثل آدم عندنا، وهم بفارس ومنها =

والترك[1]، والهند[2]، والبربر[3]، والحبشة[4]، وسائر الأمم، بل إنه أرسل إلى الثقلين: الجن والإنس جميعاً.

وهذا كله من الأمور الظاهرة المتواترة عنه، التي اتفق على نقلها عنه أصحابه ـ مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم ـ وقد صحبه عشرات ألوف لا يحصى عددهم على الحقيقة إلاَّ الله ـ تعالى ـ، ونقل ذلك عنهم التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً، ثم ذلك منقول قرناً بعد قرن

= كرمان، والأهواز، وبإيران وهي أرض الفرس، ولهم ملة قديمة هي المجوسية، وأصل دينهم مبني على تعظيم النور، وهو يزدان، والتحرز من الظلمة وهو أهرمن، ثم عبدوا النار، ولهم أعياد منها النوروز، والمهرجان وغيرهما وهم أربع طبقات كما ذكر صاحب كتاب نخبة الدهر.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣٠؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١١٦؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر للأنصاري ص ٢٥٥؛ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني ص ٩.

(١) الترك: من ولد عابور بن سوير بن يافث، وقيل: من ولد ترك، منهم من يسكن المدن، ومنهم من يسكن الجبال، وهم قبائل كثيرة.
انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٧.

(٢) الهند: أمة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة. فمنهم: البراهمة، وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم الدهرية، ومنهم عبَدَة الشمس، وعبَدَة النار وعبَدَة الأصنام، وأصحاب التناسخ.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٥٠ ـ ٢٦٥؛ وابن الوردي ١/١٣٢.

(٣) البربر: قيل من ولد كنعان، وقيل: من ولد بربر بن قفط، استقروا بناحية إفريقيا بالمغرب وما حولها.
انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٧.

(٤) الحبشة: جيل معروف، يرجع نسبهم إلى حام بن نوح ـ عليه السلام ـ وهم أمة كبيرة، ويذكرهم المؤرخون في عداد أمم السودان، والحبشة ـ اليوم ـ دولة من دول إفريقيا تقع في الشرق منها.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٢٨٨؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١٣٥.

إلى زمننا مع كثرة المسلمين وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها، كما أخبر بذلك قبل أن يكون، فقال في الحديث الصحيح: «زويت لي[1] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»[2] وكان كما أخبر، فبلغ ملك أمته طرفي العمارة شرقاً وغرباً[3]، وانتشرت دعوته في وسط الأرض، كالإقليم الثالث والرابع والخامس؛ لأنهم أكمل عقولاً وأخلاقاً، وأعدل أمزجة، بخلاف طرفي الجنوب والشمال، فإن هؤلاء نقصت عقولهم وأخلاقهم، وانحرفت أمزجتهم.

أما طرف الجنوب، فإنه لقوة الحرارة احترقت أخلاطهم، فاسودت ألوانهم وتجعدت شعورهم.

---

(١) في ط (إلى) وهو خلاف نص الحديث.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن/ باب هلاك الأمة بعضهم ببعض من حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ ٤/٢٢١٥(رقم: ٢٨٨٩)؛ ورواه الترمذي في الفتن أيضاً/ باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثاً في أمته ٤/٤٧٢حديث رقم ٢١٧٦؛ ورواه أبو داود في الفتن والملاحم/ باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٤٥٠ ـ ٤٥٢ (٤٢٥٢)؛ ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن/ باب ما يكون من الفتن ٢/١٣٠٤ (٣٩٥٢)؛ ورواه أحمد في مسند ثوبان ٥/٢٧٨؛ وفي مسند شداد بن أوس بنحوه ٤/١٢٣؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك/ في الفتن والملاحم ٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠بنحوه.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ في معالم السنن: «زوى لي الأرض معناه قبضها وجمعها ويقال انزوى الشيء إذا انقبض وتجمع». اهـ ٤/٤٥٠.

ونص الحديث في صحيح مسلم: عن ثوبان، قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «إن الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض... إلخ الحديث.

قال النووي ـ رحمه الله ـ «هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ـ صلّى الله عليه وسلم ـ».

(٣) في ط (مشرقاً ومغرباً).

وأما أهل طرف الشمال فلقوة البرد لم تنضج أخلاطهم، بل صارت فجة فأفرطوا في سبوطة الشعر والبياض البارد الذي لا يستحسن(١).

ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم أعدل بني آدم وأكملهم، والنصارى الذين تربوا تحت ذمة المسلمين أكمل من غيرهم من النصارى عقولاً وأخلاقاً، وأما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقص عقولاً وأخلاقاً، ولما فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام(٢).

توجيه الدعوة من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أهل الكتاب وغيرهم

والمقصود: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو نفسه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبما جاء به، كما دعا من لا كتاب له من العرب وسائر الأمم.

---

(١) انظر: تفصيل هذا في مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ ـ ٨٧، ومن كلامه قوله ـ بعد أن تحدث عن طرفي الشمال والجنوب ـ : «... وتوسطت بينهما الأقاليم الثلاثة الخامس، والرابع، والثالث، فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر، والرابع أبلغها في الاعتدال غاية؛ لنهايته في التوسط...».
انظر ص ٨٤.
قلت: ينبغي مراعاة تبدل الأحوال وتقلبها، وما يصاحب ذلك من تغير في طباع البشر، فذلك التغير والتبدل سنَّة الله في عباده، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً. وما يذكره علماء الاجتماع هو حكم على الغالب وهو بحسب ما يبدو لهم في حينه، ولا شك أن وسط الأرض مهد الرسالات، ومنطلق الخير والله أعلم بغيبه، وله في خلقه شؤون وهو على كل شيء قدير.

(٢) أفاض ابن خلدون في مقدمته في الحديث حول هذا، وما ذكره المؤلف موافق لما فصله ابن خلدون، فانظر ص ٨٤، ٨٥، ٨٦. (طبعة دار القلم ـ بيروت).

وهو الذي أخبر عن الله ــ تبارك وتعالى ــ بكفر من لم يؤمن بـه[1] من أهـل الكتاب وغيـرهـم، وبأنهم يصلون جهنم وسـاءت مصيراً، وهـو الذي أمر بجهـادهـم ودعاهم بنفسـه ونوابـه، وحينئذٍ فقـولهم في الكتاب لم يأتِ إلينا، بل إلى الجاهلية[2] من العرب، سواء أرادوا[3] أن الله بعثه إلى العـرب ولم يبعثه إلينـا، أو أرادوا أنـه ادَّعى أنـه أرسـل إلى العـرب لا إلينا؛ فإنه قد علم[4] جميع الطوائف أن محمداً دعا اليهـود والنصارى إلى الإيمان به، وذكر أن الله أرسله إليهم وأمره[5] بجهـاد من لم يؤمن به منهم، فإذا قيل مع هذا أنه قال: لم أبعث[6] إلَّا إلى العرب كان كاذباً[7] كذباً ظاهراً عليه، سواء صدقة الإنسـان أو كذبـه؛ فإن المقصـود هنا أنـه نفسه دعا جميع أهل الأرض إلى الإيمان به[8]، فدعا أهـل الكتاب كمـا دعا الأميين.

أما اليهود: فـإنهم كانـوا جيرانـه في الحجاز بـالمدينـة وما حـولها وخيبر، فإن المهاجرين والأنصار كلهم آمنوا بـه من غير سيف ولا قتـال، بل لما ظهر لهم من براهين نبوته ودلائل صدقه آمنوا به، وقد حصـل من الأذى في الله لمن آمن بالله ما هـو معروف في السيـرة، وقد آمن بـه في حياته كثير من اليهود والنصارى: بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينـة، وكثير

---

(١) سقطت (به) من أ.
(٢) في س، ك (الجاهلين).
(٣) في ط (أرادوا به).
(٤) في س، ك (فإنه قد ثبت وعلم).
(٥) في س، ك (وأمر).
(٦) في س، ك (فإذا قيل مع هذا إنه لم يبعث).
(٧) سقطت (كاذباً) من س، ك، ط.
(٨) سقطت (به) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

منهم كانوا بغير مكة والمدينة، فلما قدم المدينة عاهد من[1] لم يؤمن به من اليهود، ثم نقضوا العهد، فأجلى بعضهم وقتل بعضهم لمحاربتهم لله ورسوله[2].

وقد قاتلهم مرة بعد مرة، قاتل بني النضير[3]، وأنزل الله ـ تعالى ـ فيهم سورة الحشر، وقاتل قريظة[4] عام الأحزاب، وذكرهم الله في سورة الأحزاب، وقاتل قبلهم بني قينقاع[5]، وبعد هؤلاء

---

(١) في س، ك، ط (لمن).

(٢) في س، ك (ولرسوله).

(٣) النضير: بالفتح ثم الكسر، ثم ياء ساكنة، وراء مهملة. قبيلة من قبائل اليهود الذين كانوا بالمدينة. كانوا هم وقريظة بظاهر المدينة في حدائقهم وذلك أنهم غدروا بالرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأرادوا قتله، فغزاهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في منازلهم بوادي بطحان، وموضع يقال له البويرة، فأحرق نخلهم، واستصفى أموالهم لنفسه؛ لأنه لم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب. وكان ذلك سنة أربع للهجرة.

انظر مراصد الاطلاع ١٣٧٥/٣؛ وراجع في خبر بني النضير، سيرة ابن هشام ١٠٨/٣؛ والطبقات لابن سعد ٥٧/٢؛ وتاريخ الطبري ٥٥٠/٢؛ والبداية والنهاية ٧٤/٤؛ وزاد المعاد ١٢٧/٣؛ وصحيح البخاري ٢٢/٥.

(٤) في ك (بني قريظة) وقريظة: قبيلة من قبائل اليهود.

وقد وقعت سنة ٥هـ. وسببها: أنهم نقضوا العهد مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد كان نهايتها أن حكَّموا سعد بن معاذ. فحكم فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات بقتل الرجال، وسبى الذرية، وقسَّم الأموال، راجع صحيح البخاري ٤٩/٥.

وانظر في خبرها سيرة ابن هشام ١٤٠/٣؛ وابن سعد ٧٤/٢؛ وابن جرير الطبري ٥٨١/٢؛ والبداية والنهاية ١١٦/٤؛ وزاد المعاد ١٢٩/٣.

(٥) قينقاع: بالفتح، ثم السكون، وضم النون، وفتح القاف، وآخره عين مهملة شعب من اليهود، كانوا يسكنون بالمدينة، يضاف إليهم سوق بها. وقد غزاهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى نزلوا على حكمه =

غزا خيبر[1] هو وأهل بيعة الرضوان[2]، الذين بايعوه تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة[3]. ففتح الله عليهم خيبر وأقر اليهود فيها فلاحين، وأنزل الله ــ تعالى ــ سورة الفتح يذكر فيها ذلك، فكيف يقال: إنه لم يذكر أنه أرسل إلاَّ إلى مشركي العرب وهذه حال[4] اليهود معه؟!

= وسبب ذلك أنه اعتدى رجل من اليهود على امرأة فقتله رجل من المسلمين فقتل اليهود المسلم، وكان هذا نقضاً لما بينهم وبين الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقد وقعت على رأس عشرين شهراً من مهاجره ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر سيرة ابن هشام ٣/٥؛ وطبقات ابن سعد ٢/٢٨؛ وتاريخ ابن جرير ٢/٤٧٩؛ وتاريخ ابن كثير ٤/٣؛ وزاد المعاد ٣/١٩٠.

(١) خيبر: هو موضع مشهور، على ثمانية برد من المدينة، من جهة الشام. وكان بها سبعة حصون لليهود، وحولها مزارع ونخل.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٩٤، وقد وقعت غزوة خيبر سنة ٧ للهجرة، وقد وعد الله نبيه إياها وهو بالحديبية، وقاتلهم الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الزرع والنخل والأرض، فصالحوه على أن يجلوا منها. ولهم ما حملت ركابهم. راجع صحيح البخاري ٥/٨٣.
وانظر فيها سيرة ابن هشام ٣/٢١١؛ وابن سعد ٢/١٠٦؛ وابن جرير الطبري ٣/٩؛ والبداية والنهاية ٤/١٨١؛ وزاد المعاد ٣/٣١٦.

(٢) بيعة الرضوان: وسببها أنه بلغ النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن عثمان قد قتل، فقال لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان، تحت الشجرة، وبايعوه على الموت وعدم الفرار. ثم أتى الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. وقد نزلت آيات من سورة الفتح، في هذه البيعة.
وانظر في خبرها: سيرة ابن هشام ٣/٢٠٢؛ وابن سعد ٢/١٠٠؛ والطبري ٢/٦٣٢؛ والبداية والنهاية ٤/١٧٢؛ وصحيح البخاري ٥/٦٣؛ وصحيح مسلم ٣/١٤٨٣.

(٣) في صحيح البخاري من حديث جابر أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ٥/٦٣؛ وفي صحيح مسلم كذلك ٣/١٤٨٣ (١٨٥٦).

(٤) في ك، س (حالة).

قدوم الوفود على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دليل على عموم رسالته

وأما النصارى: فإن أهل نجران ـ التي باليمن ـ كانوا نصارى. فقدم عليه وفدهم ستون راكباً وناظرهم في مسجده وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران، ولما ظهرت حجته عليهم، وتبين لهم أنه رسول الله إليهم[1]، أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلى المباهلة، فقال ـ تعالى ـ:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

فلما دعاهم إلى المباهلة[3] طالبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا

---

(1) سقط (إليهم) من ك.

(2) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(3) بهله بهلاً من باب نفع: لعنه واسم الفاعل باهل والأنثى باهلة. وباهله مباهلة من باب قاتل؛ لعن كل منهما الآخر. وابتهل إلى الله ـ تعالى ـ ضرع إليه. والبهلة ويضم: اللعنة. فالمباهلة هي مفاعلة من الابتهال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد.
انظر القاموس المحيط ٣/٣٣٩ باب اللام فصل الباء والمصباح المنير ١/٨٩؛ ومختار الصحاح ص ٦٧.
ونأخذ من هذه المباهلة الأدلة الآتية:
أولاً: أن هذا دليل محسوس على أن القرآن من عند الله. وأنه كلام القادر على إنزال العذاب والهلاك على الكاذبين.
ثانياً: أن قبول النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للمباهلة وامتناع مخالفيه منها دليل على أن صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في نبوته كان أمراً معروفاً وثابتاً حتى في نفوس مخالفيه. من أهل الكتاب. حيث نكصوا عن قبول المباهلة خوفاً من نزول العذاب بهم. وأما لماذا لم يؤمنوا مع ذلك فإنما حجبهم حقدهم وكبرياؤهم وحسدهم والله يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾... الآية. =

فاشتوروا، فقال بعضهم لبعض: تعلمون[1] أنه نبي وأنه[2] ما باهل قوم نبياً إلّا نزل بهم العذاب.

فاستعفوا من المباهلة فصالحوه وأقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون؛ لما خافوا من دعائه عليهم، لعلمهم أنه نبي فدخلوا تحت حكمه كما يدخل أهل الذمة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله، وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون، وهم أول من أدّى الجزية من النصارى.

واستعمل عليهم وعلى من أسلم منهم[3] عمرو بن حزم الأنصاري[4]، وكتب له كتاباً مشهوراً يذكر فيه شرائع الدين، فكانوا في ذمة المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونائب رسوله عمرو بن حزم الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وقصتهم مشهورة متواترة نقلها أهل السير،

= وأما سبب ضم الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ الأبناء والنساء مع أن المباهلة مختصة به ويمن كذبه. فلأن ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه. حتى يجرؤ على تعريض أعز الناس عليه لهذه المباهلة. وخصهم لأنهم أعز الأهل وقدمهم لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم كما قال ذلك المفسرون والله أعلم.

(١) في النسخ عدا ط (تعلموا).

(٢) في ك (وأن).

(٣) سقطت (منهم) من س، ك.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري، يكنّى أبا الضحاك، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويأخذ منهم الصدقات وذلك سنة عشر للهجرة. مات ـ رضي الله عنه ـ . في خلافة عمر. ورجح ابن حجر أنه مات بعد الخمسين، والله أعلم.
انظر في ترجمته: الإصابة ٢/٥٢٥؛ والاستيعاب ٢/٥١٠؛ وتهذيب التهذيب ٨/٢٠. وسيأتي تخريج كتاب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ له في موضعه ـ إن شاء الله ـ .

وأهل الحديث، وأهل الفقه، وأصل حديثهم معروف في الصحاح[1] والسنن كما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ[2].

ووفد نجران لما قدموا أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ بسبب ما جرى صدر سورة آل عمران، وذكر ـ تعالى ـ فرض الحج بقوله:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[3].

وهذا نزل[4] إما سنة تسع وإما سنة عشر، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء منهم: القاضي أبو يعلى[5] وغيره.

قالوا وجوب الحج ثبت بقوله: ﴿... و[6] لله على الناس حج البيت...﴾.

---

(١) في ط (وفي).

(٢) سيأتي تخريجه بحسب إيراد المؤلف له في مواضع متعددة ـ إن شاء الله ـ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٤) في ط (أنزل).

(٥) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، ولد سنة ٣٨٠هـ. وهو شيخ الحنابلة في عصره له شهرة واسعة، ومؤلفات كثيرة، واختيارات في مسائل عديدة، اشتهر بجرأته في الحق، وولي القضاء بشرط أن لا يحضر أيام المواكب، والاستقبالات ولا يقصد السلطان. من تصانيفه: أحكام القرآن، والعدة في أصول الفقه، وغيرهما فقد عدَّ له ابنه في طبقات الحنابلة سبعة وخمسين مصنفاً مات رحمه الله سنة ٤٥٨هـ.

انظر: طبقات الحنابلة ٢/١٩٣؛ والبداية والنهاية ١٢/٩٤ ـ ٩٥؛ والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٠٤، ومناقب الإمام أحمد ص ٦٢٧؛ والمنهج الأحمد في تراجم رجال الإمام أحمد ٢/١٠٥؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور السعيد القسم الأول ص ٥٠ ـ ٥١؛ والأعلام ٦/٣٣١.

(٦) سقطت الواو من س، ك، ط.

وروي أنه نزل في سنة عشر، وروي أنه نزل في سنة تسع، وهذا قول جمهور العلماء[1].

قالوا: إن فرض الحج إنما ثبت بهذه الآية، وقال بعضهم: بل ثبت ذلك بقوله ــ تعالى ــ: ﴿... وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ...﴾[2].

وهذه الآية نزلت سنة ست عام الحديبية لما صد المشركون رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عن البيت وصالحهم ذلك العام وبايع المسلمين تحت الشجرة، وأنزل الله فيها سورة الفتح، ثم رجع إلى المدينة وفتح الله عليهم خيبر سنة سبع، وفيها قدم عليه جعفر بن أبي طالب[3] مع وفد الحبشة، ثم أرسل جعفراً، ــــــــــــــ

---

(١) اختلف العلماء في ذلك فقالت طائفة فرض سنة ست من الهجرة عام الحديبية. وقال الأكثرون إنما وجب الحج متأخراً، قيل: سنة تسع، وقيل: سنة عشر. قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ وهذا هو الصحيح؛ فإن آية الإيجاب إنما هي قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...﴾ الآية، وهذه الآية في آل عمران في سياق مخاطبته لأهل الكتاب، وصدر آل عمران وما فيها من مخاطبة أهل الكتاب نزل لما قدم على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفد نجران النصارى... وهم أول من أدّى الجزية من أهل الكتاب، وكان ذلك بعد إنزال سورة براءة التي شرع فيها الجزية.
انظر مجموع الفتاوى ٦٠٦/٧؛ ٢٦/٧، ٨؛ وتفسير القرطبي ١٤٤/٤ (مجلد ٢)؛ وفتح الباري ٣٠٠/٣؛ وبذل المجهود في حل سنن أبي داود ٢٩٦/٨؛ والبداية والنهاية ١٠٩/٥؛ والفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد البنا ٢/١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٣) جعفر بن أبي طالب، ابن عم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وأشبه الناس به، يكبر علياً بعشر سنين؛ وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة، وقدم على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين فتح خيبر. ثم غزا غزوة مؤتة سنة ٨هـ. وفيها استشهد ــ رضي الله عنه ــ. =

وزيداً[1]، وعبد الله بن رواحة[2]، لغزو النصارى لمؤتة، ثم فتح مكة سنة ثمانٍ في رمضان، ثم في أثناء سنة تسع غزا[3] النصارى إلى تبوك، وفيها حج أبو بكر الصديق[4] ـ رضي الله عنه ـ وأمر أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[5].

= راجع: الاستيعاب ١/٢١٠؛ والإصابة ١/٢٣٩؛ والتهذيب ٢/٩٢؛ وصحيح البخاري ٤/٢٠٩.

(١) زيد بن حارثة، الكلبي. مولى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شهد المشاهد كلها، وكان رامياً مشهوراً، وكان حب رسول الله، اتخذه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ابناً له، ثم أبطل الإسلام التبني ـ كما في سورة الأحزاب ـ أولها. واستشهد في مؤتة سنة ٨هـ.

راجع: الاستيعاب ١/٥٢٥؛ والإصابة ١/٥٤٥؛ والتهذيب ٣/٤٠١؛ وصحيح البخاري ٤/٢١٣، ومسلم ٤/١٨٨٤.

(٢) عبد الله بن رواحة الأنصاري. شاعر مشهور، من السابقين الأولين من الأنصار، وأحد النقباء السبعة ليلة العقبة. شهد بدراً وما بعدها، كان يذب عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشعره، وله مواقف في الإسلام عظيمة، استشهد في مؤتة سنة ٨هـ.

راجع: الاستيعاب ٢/٢٨٤؛ والإصابة ٢/٢٩٨؛ والتهذيب ٥/٢١٢.

(٣) في ط (غزو).

(٤) أبو بكر الصديق؛ عبد الله بن عثمان القرشي، صاحب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل البعثة وبعدها. ورفيقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها. تولى الخلافة بعد الرسول بإجماع الصحابة على بيعته. مناقبه أكثر من أن تحصى. توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٣هـ، بعد خلافة دامت سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة.

راجع في ترجمته: الاستيعاب ٢/٢٣٤؛ والإصابة ٢/٣٣٣؛ والتهذيب ٥/٣١٥؛ والرياض المستطابة ص ١٤٠؛ وصحيح البخاري ٤/١٩١؛ وصحيح مسلم ٤/١٨٥٤.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير؛ باب قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني أبو بكر في =

وأردفه بعلي بن أبي طالب[1] ـ رضي الله عنه ـ لنبذ العهود، وأنزل الله آية السيف المطلقة بجهاد المشركين وجهاد أهل الكتاب، فقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[3][4].

= تلك الحجة، في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن ـ أحد رجال السند ـ ثم أردف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

رواه البخاري في ٥/٢٠٢، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٢٣٩ بعد قوله: «قال حميد»: «هذا القدر من الحديث مرسل، لأن حميداً لم يدرك ذلك ولا صرح بسماعه له من أبي هريرة». لكن ثبت إرسال علي من عدة طرق، ثم ساقها برواية الطبري، والترمذي، والنسائي، وذكر عدة أحاديث في ذلك.

(١) علي بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي. ابن عم الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأبويه، من العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، وأول من أسلم من الصبيان، شهد المشاهد كلها إلَّا تبوك، استعمله النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيها على المدينة، وفضائله كثيرة مشهورة، استشهد سنة ٤٠هـ. في شهر رمضان، قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، ومدة خلافته خمس سنين إلَّا ثلاثة أشهر ونصف.

راجع: الاستيعاب ٣/٢٦؛ والإصابة ٢/٥٠١؛ والتهذيب ٧/٣٣٤؛ والرياض المستطابة ص ١٦٣؛ وصحيح البخاري ٤/٢٠٧؛ وصحيح مسلم ٤/١٨٧٠.

(٢) سقطت (تعالى) من ك.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري ٥/٢٠٢ كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾.

وهـذه الأشهـر عنـد جمهـور العلمـاء هي المـذكـورة في قـولـه ـ تعالى ـ :

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(١)(٢).

فـإن المشركين كـانوا على(٣) نـوعين: نوعـاً لهم عهد مـطلق غيـر مؤقت، وهو عقد جائز غير لازم، ونوعاً لهـم عهد مؤقت فـأمر الله رسـوله أن ينبـذ إلى المشركين أهـل العهد المـطلق؛ لأن هذا العهـد جائـز غير لازم، وأمره أن يسيرهم أربعة أشهر، ومن كـان له عهـد مؤقت فهو عهـد لازم، فأمره الله أن يوفى له إذا كان(٤) مؤقتاً، وقد ذهب بعض الفقهاء

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢.

(٢) الأشهر الحرم للعلماء فيها قولان:

١ ــ قيل: هي الأشهر المعروفة؛ ثلاثة سرد، وواحد فرد.

٢ ــ وقيل: شهور العهد أربعة: قـاله مجـاهد، وابن إسحـاق وابن زيد، وعمـرو بن شعيب. وقيل لها حرم؛ لأن الله حرم على المؤمنين فيهـا دماء المشـركين والمتعرض لهم إلاَّ على سبيـل الخير، قـال ابن جـريـر: «وكـان ابتـداؤهـا يـوم الحج الأكبـر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة»، وقـد أجاب عن قوله ــ تعالى ــ : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ بأن انسلاخ الأشهـر الحرم إنمـا كان أجل من لا عهد لـه من المشركين من رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والأشهـر الأربعة لمن له عهد. . .».

انـظر تفسير الإمـام ابن جريـر ٤٨/١٠ (مجلد ٦)، ط دار الفكر؛ وتفسيـر القرطبـي ٧٢/٨ (مجلد ٤)، ط دار الفكر؛ وتفسير ابن كثير ٣٣٥/٢، وفتح القـدير للشـوكاني ٣٣٧/٢؛ وانـظر كتـاب أحكـام أهـل الـذمـة لابن القيم (بتحقيق الـدكتـور صبحي الصالح) ٤٨١/٢، وقد رجح فيه القول الثاني.

(٣) سقطت (على) من ط.

(٤) في جميع النسخ عدا ك (إذا كان هو).

إلى أن الهدنة[1] لا تجوز إلاَّ مؤقتة[2]. وذهب بعضهم إلى أنه يجوز للإمام أن يفسخ الهدنة مع قيامهم بالواجب، والصواب هو القول الثالث، وهو أنها تجوز مطلقة ومؤقتة.

فأما المطلقة فجائزة غير لازمة يخير بين إمضائها وبين نقضها.

والمؤقتة لازمة، قال ـ تعالى ـ :

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

---

(١) معنى الهدنة: أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة بعوض، وبغير عوض، وتسمى مهادنة، وموادعة، ومعاهدة. وهي جائزة بدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾... الآية ١: التوبة. وكذلك: النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية، على وضع القتال عشر سنين.

(٢) جاء في المغني لابن قدامة ما نصه: «ولا يجوز عقد الهدنة إلَّا على مدة مقدرة معلومة... قال القاضي: وظاهر كلام أحمد أنها لا تجوز أكثر من عشر سنين. وهو اختيار أبي بكر، ومذهب الشافعي... وقال أبو الخطاب: ظاهر كلام أحمد أنه يجوز على أكثر من عشر، على ما يراه الإمام من المصلحة. وبهذا قال أبو حنيفة. لأنه عقد يجوز في العشر، فجازت الزيادة عليها، كعقد الإجارة...». راجع المغني ٨/٤٦٠ كتاب الجهاد.
وانظر الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص ٣١٥ فقد فصل القول فيها؛ والمقنع في فقه الإمام أحمد لابن قدامة ١/٥٢٠؛ والكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر ١/٤٦٨؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٤٧٥.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا
سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ
يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم
بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[١].

والمقصود هنا ذكر قدوم وفد نجران النصارى: السيد والعاقب ومن معهما[٢].

قال أبو الفرج بن الجوزي[٣]: «ثم دخلت سنة عشر من الهجرة

---

(١) سورة التوبة: ١ ــ ١٣.

(٢) في أ، س، ك (معهم).

(٣) أبو الفرج: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، القرشي، البغدادي، ولد سنة ٥٠٨هـ. ببغداد، ونسبته إلى «مشرعة الجوز» من محالها. الإمام الحافظ، عالم =

فمن الحوادث فيها: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعث خالد بن الوليد[1] إلى بني الحارث بن كعب[2]، فروى ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالداً في ربيع الآخر أو جمادى الأول[3] في[4] سنة عشر إلى بني[5] الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم»، وذكر القصة ثم قال: «وفيها قدم وفد الأزد[6]، وفيها قدم

= العراق، وواعظ الآفاق، علامة عصره في التاريخ والحديث له نحو ثلاثمائة مصنف منها المنتظم، طبع منه ستة أجزاء فقط، وزاد المسير، وتلقيح فهوم أهل الأثر، وتلبيس إبليس، والذهب المسبوك، وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة ٥٩٧هـ.

انظر: طبقات الحفاظ ص ٤٨٠ (١٠٦٣)؛ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢؛ وذيل طبقات الحنابلة ٣/٣٩٩ (٢٠٥)؛ والبداية والنهاية ١٣/٢٨ ـ ٣٠؛ والأعلام ٣/٣١٧.

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة، المخزومي، القرشي، سيف الله الفاتح، الصحابي الجليل، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ. فسر به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وولاه الخيل، قاتل في حروب الردة في عهد أبي بكر، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرة. مات بحمص، وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ.

انظر: الإصابة ١/٤١٢ (٢٢٠١)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١/٤٠٥؛ والبداية والنهاية ٧/١١٣؛ والأعلام للزركلي ٢/٣٠٠.

(٢) بني الحارث بن كعب، بن علة ينتسبون إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، والنسبة إليهم الحارثي، ومنهم شريح بن هانىء الحارثي صاحب علي ـ رضي الله عنه ـ، وابنه المقدام بن شريح، وغيرهم.

انظر اللباب ١/٣٢٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٤١٦، ٤١٧؛ والأنساب المتفقه ص ٣٥.

(٣) في ك (الأولى).

(٤) في ط (من).

(٥) سقطت (بني) من أ، س، ك.

(٦) الأزد: هم أزد شنوءة بفتح الألف، وسكون الزاي، وكسر الدال المهملة، وهو =

وفـد غسان[١]، وفيها قدم وفد زبيد[٢]،وفيها قدم وفد عبد القيس[٣]، قال ابن إسحاق: قـدم على رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ الجارود بن عمـرو[٤] في وفـد عبد القيس وكان نصرانياً فأسلموا، وفيها قدم وفد

= أزد بن الغـوث إلى سبأ، وينتسب إليـه عدة قبـائل منهـا خزاعـة، والدواسـر، وألمـع وغيرهم.
انـظر: المنتخب في ذكر قبـائل العـرب لعبد الـرحمن المغيـري ص ٦٣، ٦٧، ٧٠ (ط المدني ١٣٨٢)؛ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري ١/٤٦ (ط دار صادر بيـروت)؛ والأنساب المتفقـة لابن الفضل محمـد بن طاهـر القيسـراني ص ٦ (نشـر مكتبة المثنى)؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حـزم ص ٣٣٠، ٣٧٤ (ط دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ).

(١) غسان: بفتح الغين المعجمة، والسين المشددة، وبعد الألف نون، وهي قبيلة كبيـرة من الأزد وهم بـطون كثيرة. انـظر اللباب لابن الجـزري ٢/٣٨١؛ وجمهـرة أنسـاب العرب لابن حزم ص ٤٧٢ ــ ٤٧٤.

(٢) زبيـد: بضم الزاي، وفتـح الباء، وسكـون الياء المثنـاة، وهي قبيلة من مـذجـح من بني سعـد العشيـرة، وينسب إليهـا خلق كثيـر من الصحـابـة، ومن بعـدهم من العلماء... انظر اللبـاب ٢/٦٠؛ وجمهرة أنسـاب العرب ٤١١ ــ ٤١٢؛والمنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١١٦.

(٣) عبد القيس بن أقصى، من ربيعة بن نزار، والنسبة إليه (عبدي) بفتح العين، وسكون الباء الموحدة، وفي آخرها دال مهملة، ينسب إليه خلق كثير منهم الجارود بن عمرو العبدي وستأتي ترجمته.
انظر اللباب ٢/٣١٤؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦.

(٤) هو الجارود بن المعلى ــ ويقال بن عمرو بن المعلى أبو المنذر. العبـدي، وفد على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وكان سيد عبد القيس واسمه بشـر، والجارود لقب، قتل في خلافـة الفاروق بـأرض فارس مجـاهداً ــ رضي الله عنـه ــ وقد كـان نصرانياً، فأسلم وحسن إسلامه، وسر النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذلك، وكان وفوده سنة عشر للهجرة.
اللباب لابن الجزري ٢/٣١٤؛ وانظر البداية والنهايـة لابن كثير ٢/٢٣٢؛ والإصـابة ١/٢١٧، ٢١٨ (١٠٤٢).

كندة[1] فأسلموا، وفيها قدم وفد بني حنيفة[2]، وفيها قدم وفد بجيلة[3] قال: وفيها قدم العاقب والسيد من نجران، فكتب لهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتاب صلح»[4].

وذكر محمد بن سعد(*)[5] في الطبقات قدومهم في[6]

---

(1) كندة: بكسر أوله، وسكون النون، وكسر الدال المهملة، قبيلة مشهورة من اليمن والنسبة إليها كندي، واسم كندة الذي تنتسب إليه ثور بن مرتع من سبأ، وينسب إليها كثيرون من الصحابة ومن بعدهم.
انظر اللباب ١١٥/٣، ١١٦؛ والمنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١٣٠؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٤٢٥.

(2) بني حنيفة: هم قبيلة كبيرة، من ربيعة بن نزار، نزلوا باليمامة (في نجد)، وينسب إليهم خلق كثير، منهم ثمامة بن أثال الحنفي ـ رضي الله عنه ـ، وغيره. والنسبة إليهم (حنفي) بفتح الحاء والنون.
انظر الباب ٣٩٦/١؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٩.

(3) بجيلة: قبيلة كبيرة من الأزد، والنسبة إليها بجلي بفتح الباء الموحدة والجيم، وينتسب إليها خلق كثير منهم الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، وغيره.
انظر اللباب ١٢١/١؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٨٧.

(4) انظر سيرة ابن هشام ١٧٧/٤؛ وتاريخ الطبري ١٢٦/٣، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ذكره ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق. وأما تاريخ ابن الجوزي (المنتظم) فالأجزاء الأربعة الأولى منه غير موجودة ـ حسب علمي ـ وما أشار إليه الشيخ ـ رحمه الله ـ في الأجزاء الأول، وابن الجوزي معتمد في نقله على ابن إسحاق وقد أشرنا إلى مكانه في سيرة ابن هشام وهذه الحوادث مشهورة، ومذكورة في كتب السيرة.
وانظر: الكتاب القيم لابن القيم، زاد المعاد ٥٩٥/٣ ـ ٦٩٧ بتحقيق الأرناؤوط عن الوفود كلها وفي ذلك حديث مفيد، وبيان لما في هذه الحوادث، وما يستنتج منها من فوائد.

(5) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/١ ـ ٣٥٨ (وفد نجران).

(6) في س، ك، ط (في ذكر الوفود).

(*) محمد سعد بن منيع الهاشمي، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، وأحد الحفاظ الكبار =

الوفود فقال:

«ذكر[١] بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب ذكره بإسناده: أنبأنا[٢] محمد بن عمر[٣]، حدثني إبراهيم بن موسى المخزومي[٤]، عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث[٥]، عن أبيه[٦]، ثم ذكر قدوم نصارى نجران من طريق علي بن محمد[٧] فقال: أنا[٨] علي بن محمد[٩] وهو المدائني[١٠] عن[١١] أبي[١٢] معشر[*]، عن يزيد بن

= الثقات، صدوق فاضل، مات سنة ٢٣٠هـ.
راجع: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٠؛ والتهذيب ١٨٢/٩؛ والتقريب ١٦٣/٢ (٢٤٤).

(١) سقطت (ذكر) من ط.
(٢) في س، ك (حدثنا).
(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدي. قال ابن حجر: متروك مع سعة علمه. وقال الذهبي: استقر الإجماع على وهن الواقدي. مات سنة ٢٠٧هـ.
تقريب التهذيب ٢/ ١٩٤ (٥٦٧)؛ وميزان الاعتدال ٦٦٢/٣؛ وتهذيب التهذيب ٣٦٣/٩.
(٤) إبراهيم بن موسى المخزومي: لم أقف له على ترجمة.
(٥) عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن: لم أقف له على ترجمة.
(٦) عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي، المدني، ثقة، مقل. مات سنة ١٠٣هـ.
تقريب التهذيب ٢/ ٣٠ (٢٧٥)؛ والتهذيب ٧/ ٢٦٠.
(٧) علي بن محمد القرشي، المدائني، المشهور. الأخباري، نقل الذهبي عن يحيى بن معين قوله: ثقة ثقة ثقة. له تصانيف كثيرة، ونسبته إلى المدائن، بلدة قديمة على نهر دجلة. مات سنة ٢٢٤، وقيل: ٢٢٥هـ.
راجع: ميزان الاعتدال ١٥٣/٣؛ والأنساب للسمعاني ص ٥١٥.
(٨) في ط (أنبأنا) وما أثبتناه من سائر النسخ والطبقات وهو اختصار لكلمة أنبأنا.
(٩) في ط (علي بن محمد القرشي).
(١٠) في ط: جملة زائدة لا مكان لها «فقال: أخبرنا علي بن محمد».
(١١) في ط (المدائني المشهور).
(١٢) في ك (ابن أبي معشر)، وهو خطأ.
(*) أبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندي، كان بصيراً بالمغازي. قال =

رومـان[1] ومحمـد بن كعب[2] قـال: وأنـا[3] علي بن مجـاهـد[4]، عن محمد بن إسحاق[5]، عن الزهري[6]، وعكرمة بن خالد[7]، وعـاصم بن عمر[8] بن قتادة، أنـا[9] يزيـد بن عايض بن جعـدية[10]، عن عبد الله بن

= ابن حجر: ضعيف من السادسة؛ أسن واختلط مات سنة ١٧٠هـ.
ميزان الاعتدال ٤/٢٤٦؛ والتقريب ٢/٢٩٨ (٤٦)؛ والتهذيب ١٠/٤١٩.

(١) يزيد بن رومان الأسدي، وثقه النسائي وغيره. مات سنة ١٣٠هـ.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٣/١٥٣٢، وقد جاء في ط (يزيد بن رمان) وهو خطأ.

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي. ثقـة، عالم من الثـالثة، ولـد سنة ٤٠هـ. مـات سنة ١٢٠هـ.
انظر تقريب التهذيب ٢/٢٠٣؛ والبداية والنهاية ٩/٢٥٧.

(٣) في ط (أنبأنا).

(٤) علي بن مجـاهـد بن مسلم، الكنـدي، العبـدي، متـروك من التـاسعـة مـات سنـة ١٨٢هـ.
تهـذيب التهذيب ٧/٣٧٧؛ والتقـريب ٢/٤٣؛ وميزان الاعتـدال ٣/١٥٢؛ وقد ورد في أ، س (بن محمد) وهو خطأ.

(٥) محمد بن إسحاق. صدوق يدلس، وسبقت ترجمته.

(٦) الزهري ستأتي ترجمته.

(٧) عكرمة بن خالد القرشي. ثقة من الثالثة، مات قبل العشرين ومائة. تقريب التهـذيب ٢/٢٩؛ والتهذيب ٧/٢٥٨؛ وميزان الاعتدال ٣/٩٠.

(٨) عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، أحد علماء التابعين، ثقة عالم بالمغـازي. مات بعد العشرين ومائة.
ميزان الاعتدال ٢/٣٥٥؛ وتقريب التهذيب ١/٣٨٥؛ والتهذيب ٥/٥٣.

(٩) في ط (وأنبأنا).

(١٠) يزيد بن عياض بن جعدبة، بضم الجيم. المدني، قـال البخاري: منكـر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن حجر (كذبه مالك وغيره).
انظر: ميزان الاعتدال ٤/٤٣٦؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٦٩؛ والتهذيب ١١/٣٥٢.

أبي بكر بن حزم[1]، وعن غيرهم من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض قالوا: ووفد فلان وفلان في رجال من خثعم[2] إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعدما هدم[3] جرير بن عبد الله[4] ــ رضي الله عنه ــ ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم[5]، فقالوا: آمنا بالله ورسوله

---

(1) عبد الله بن أبي بكر بن حزم، الأنصاري، المدني، ثقة من الخامسة مات سنة ١٣٥هـ. الخلاصة للخزرجي ص ٢٩٢؛ وتقريب التهذيب ١/٢١٥؛ والتهذيب ٥/١٦٤.

(2) خثعم: بفتح الخاء المعجمة، وإسكان المثلثة، وفتح العين المهملة، وخثعم بن أنمار، يلتحق بزيد بن كهلان بن سبأ، وهم إخوة بجيلة، وقيل خثعم جبل تحالفوا عنده، وهم بطون كثيرة، منازلهم اليوم في جنوب المملكة.
انظر: المنتخب في ذكر قبائل العرب ص ٧٥، ٧٦؛ واللباب ١/٤٢٣؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٣٠ (ط دار المعارف بمصر ١٣٨٢).

(3) في أ(قدم).

(4) جرير بن عبد الله البجلي، سيد قبيلته بجيلة، أسلم في العام الذي توفى فيه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ورجح ابن حجر أنه أسلم قبل ذلك، أي: قبل السنة العاشرة... وكان جرير جميلاً، وكان يقول فيه عمر أنه «يوسف هذه الأمة». وقد بعثه الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى صنم ذي الخلصة فهدمها، وردت مناقبه في البخاري ٤/٢٣٢، مات ــ رضي الله عنه ــ سنة ٥١هـ.
راجع في ترجمته الإصابة ١/٢٣٣؛ والاستيعاب ١/٢٣٤؛ وتهذيب التهذيب ٢/٧٣؛ وصحيح البخاري ٤/٢٣٢ وغيرها.

(5) ورد ذلك في صحيح البخاري، كتاب المغازي، (غزوة ذي الخلصة)، وفيه أنه نفر في مائة وخمسين راكباً وكسروه... صحيح البخاري ٥/١١١. وانظر: البداية والنهاية ٥/٧٩. وضبطت (الخلصة) بفتحات ثلاث؛ وهذا أصح ما قيل في ذلك، وهو بيت أصنام كان لدوس، وخثعم، وبجيلة... وقيل: كان يسمى الكعبة اليمانية؛ وهو على أربع مراحل من مكة.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٧٨.

فاكتب لنا كتاباً». وذكروا القصة؛ وقدوم وفود متعددة[1].

قالوا: وقدم وفد نجران، وكتب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل نجران، فخرج إليه أربعة عشر من أشرافهم نصارى، وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم:

العاقب، واسمه عبد المسيح رجل من كندة وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه، وأبو الحارث[2] أسقفهم وإمامهم وصاحب[3] مدراسهم[4]، والسيد وهو صاحب رحلتهم، فدخلوا

---

(١) في ط زيادة في هذا الموضع عن سائر النسخ «قالوا: وقدم وفد الأشعريين على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهم خمسون رجلاً فيهم أبو موسى، وذكر قصتهم، قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وذكر قصتهم، قالوا: وقدم وفد أزد عمان، قالوا: وقدم وفد غافق، قالوا: وقدم وفد دوس، ووفد حزام، ووفد حمير».
هذا كله ساقط من أ، س، وشطب عليه في ك.

(٢) في أ، ط (حارثة).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧٣/٨: «أما السيد فكان اسمه: الأيهم بتحتانية ساكنة؛ ويقال: شرحبيل. وكان صاحب رحالهم، ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك، وأما العاقب، فاسمه عبد المسيح، وكان صاحب مشورتهم، وكان معهم أيضاً أبو الحرث بن علقمة، وكان أسقفهم، وحبرهم، وصاحب مدارسهم».
قلت: والأسقف: درجة من درجات الكهنوت في النصرانية تعني المعلم، الواعظ، والقارىء. وسيأتي زيادة توضيح لها ولغيرها من المراتب فيما بعد.

(٤) في ط (مدارسهم) وهو تصحيفه. والمدارش: في الأصل بالشين المعجمة. مأخوذة من أصل عبري، يعني التعمق في الدراسة. وهو التعليم الشفهي للتوراة.

المسجد[1] وعليهم ثياب الحبرة[2] وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا

---

(١) اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد، والمسجد الحرام.
فقال أهل المدينة: الآية ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...**﴾ [التوبة: ٢٨]، هذه الآية عامة في سائر المشركين، وسائر المساجد، قالوا: ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها والله يقول: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...**﴾ [النور: ٣٦]، ولهم أدلة أخرى قوية ليس هذا موضع بسطها.
وقال الشافعي ــ رحمه الله ــ آية التوبة عامة في سائر المشركين، خاصة في المسجد الحرام ولا يمنعون من دخول غيره، وقد رد ابن العربي هذا وقال: إن وصف المشركين بأنهم نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة. ثم رد أصحاب القول الأول على من استدل بحديث ثمامة بن أثال حيث ربط بسارية من سواري المسجد، وقد ورد في صحيح البخاري (في الصلاة، باب دخول المشرك المسجد ١/١٢٠) ردوا بأجوبة:
أحدها ــ أنه كان متقدماً على نزول الآية.
الثاني ــ أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان قد علم بإسلامه.
الثالث ــ أن ذلك قضية في عين فلا ينبغي أن تدفع بها الأدلة التي ذكرت لكونها مقيدة بحكم القاعدة الكلية.
وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره، ولا يمنع من دخول المسجد الحرام إلَّا المشركون وأهل الأوثان، قال القرطبي: وهذا قول يرده كل ما ذكرناه من الآية وغيرها.
أما ابن القيم في زاد المعاد ٣/٦٣٨، فإنه قد أخذ من قصة نجران جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتماد ذلك. قلت: وهذا هو القول الوسط في هذه المسألة، وهو الذي تشهد له الأدلة والله أعلم.
انظر تفسير القرطبي ٨/١٠٤، ١٠٥ (مجلد ٤)؛ وتفسير ابن جرير ١٠/٧٤ (٦)؛ وابن كثير ٢/٣٤٦؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٤٩.
(٢) الحبرة بكسر الحاء: ثوب يماني من قطن أو كتان مخطط:
انظر القاموس المحيط ٢/٢، والمصباح المنير ١/١٦٢؛ ومختار الصحاح ص ١٢٠.

يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «دعوهم» ثم أتوا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأعرض عنهم فلم يكلمهم، فقال لهم عثمان. ذلك من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان، فسلموا عليه، فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إن أنكرتم ما أقول فهلمَّ أباهلكم»، فانصرفوا على ذلك فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقالوا: قد بدا لنا أن لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك[1] ونصالحك، فصالحهم على ألفي حلة في رجب، وألف في صفر، أو قيمة كل حلة من الأواقي، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رمحاً، وثلاثين بعيراً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد[2].

ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبيعهم، لا يغير أسقف من سقيفاه[3]، ولا راهب من رهبانيته، ولا واقف[4] من وقفانيته، وأشهد على ذلك شهوداً منهم:

---

(١) في أ، س، ك (نعطيك)، وصوابه ما أثبتناه من ط؛ لأنها مجزومة في جواب الطلب.

(٢) أي: حرب، وسيأتي زيادة توضيح بعد قليل.

(٣) سيأتي توضيح للأسقف وغيره من درجات الكهنوت في النصرانية.

(٤) الواقف: هو خادم البيعة قال في القاموس المحيط ٢٠٥/٣ (فصل الواو، باب الفاء)، «والنصراني وقيفي كخليفي: خدم البيعة».

أبو سفيان بن حرب[1] والأقرع بن حابس[2]، والمغيرة بن شعبة[3]، فرجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلَّا يسيراً حتى رجعا إلى النبي[4] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأسلما وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري[5]، وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي ــ صلَّى الله

---

(١) أبو سفيان بن حرب ــ صخر بن أمية القرشي، والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، ابنته أم حبيبة ــ رضي الله عنهما ــ إحدى أمهات المؤمنين. قيل: إن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ استعمله على نجران، وضعف ذلك ابن حجر. مات لست خلون من خلافة عثمان ــ رضي الله عنه ــ وعمره ٩٣ سنة وقيل غير ذلك.

راجع: الإصابة لابن حجر ١٧٢/٢؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١٨٣/٢؛ التهذيب ٤١١/٤؛ والرياض المستطابة ص ١٢٩.

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي، وفد على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وشهد فتح مكة، وحنيناً، والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم. وقد حسن إسلامه، ثم شهد مع خالد حرب العراق، وفتح الأنبار. استشهد بخراسان، وقيل: باليرموك. والله أعلم.

انظر: الاستيعاب هامش الإصابة ٧٨/١ ــ ٧٩، والإصابة ٧٢/١.

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم عام الخندق، كان داهية، يضرب برأيه، ودهائه الأمثال. ولي في عهد عمر البصرة، ثم الكوفة، وشهد قتال الردة، وفتح الشام، وذهبت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسية، ونهاوند، وافتتح أذربيجان، مات سنة ٥٠هـ في عهد معاوية وقيل: ٥١هـ.

الاستيعاب ٣٦٨/٣؛ والإصابة ٤٣٢/٣؛ والتهذيب ٢٦٢/١٠؛ والرياض المستطابة ص ٢٥٣.

(٤) في ط (رسول الله).

(٥) أبو أيوب: خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها. ونزل عنده رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين قدم المدينة شهراً حتى بنى المسجد، استخلفه علي ــ رضي الله عنه ــ على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لحق به، وشهد قتال الخوارج مات غازياً ببلاد الروم في خلافة معاوية، قيل: سنة ٥٠هـ. وقيل: ٥١هـ. وقيل: ٥٢هـ. =

عليه وسلَّم ـ، حتى قبضه الله صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه[1].

ثم ولِّي أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه[2] ـ فكتب بالوصاة بهم عند وفاته، ثم أصابوا ربا فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران أنه[3] من سار منهم أنه آمن بأمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين، ووفى لهم بما كتب لهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبو بكر، أما بعد[4] فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب[5] الأرض فما اعتملوا[6] من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة[7] لهم، فكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم[8].

= راجع: الاستيعاب ١/٤٠٢؛ والإصابة ١/٤٠٤؛ وتهذيب التهذيب ٣/٩٠؛ والرياض المستطابة ص ٦٠.

(١) في ط زيادة (وسلم) قبل (ورحمته)، وفي الطبقات ١/٣٥٨ (ورحمته ورضوانه وسلامه).

(٢) جملة ـ رضي الله عنه ـ زدناها من ط.

(٣) في س (أن).

(٤) سقطت جملة (أما بعد) من ط، وهي في النسخ الأخرى وفي الطبقات ١/٣٥٨.

(٥) جاء في جميع النسخ (خراب) وهو خطأ صححناه من طبقات ابن سعد ١/٣٥٨. (والجريب) هو من الطعام والأرض مقدار معلوم وجمعه أجربة وجربان، والجريب أيضاً: مكيال وهو أربعة أقفزة والجريب من الأرض مبذر الجريب الذي هو المكيال. انظر مختار الصحاح ص ٩٨/ باب الجيم والمصباح المنير ١/١٣٠؛ والقاموس المحيط ١/٤٥/ فصل الجيم باب الباء.

(٦) قال في المصباح المنير ٢/٥٨٨: «عملت على الصدقة؛ سعيت في جمعها... واستعملته أي: جعلته عاملاً...».

(٧) قال في المصباح المنير ٢/٥٧٣ «عاقبة كل شيء آخره».
قلت: والمراد هنا أنه يأخذها من يجيء بعدهم من ذريتهم.

(٨) قال في القاموس المحيط باب الميم، فصل الغين ٤/١٥٦: «المغرم كمكرم أسير الحب، والدين... والغرامة ما يلزم أداؤه كالغرم بالضم...».

أما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين[1] شهراً بعد أن يقدموا[2]، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف [3] عليهم، شهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه[4] ـ ومعيقيب ابن أبي فاطمة[5] فوقع ناس منهم العراق، فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة[6].

---

(١) في النسخ كلها عدا ط (وعشرون) وصححناه من ط ومن الطبقات ١/٣٥٨.

(٢) في ط بالمثناة الفوقية (تقدموا).

(٣) في جميع النسخ (معسوف)، وصححناه من الطبقات ١/٣٥٨، قال في المصباح المنير ٢/٥٩١ «عنف به وعليه عنفاً من باب قرب، إذا لم يرفق به فهو عنيف...» وانظر القاموس المحيط ٣/١٧٨؛ ومختار الصحاح ص ٤٥٨.

(٤) وجملة (رضي الله عنه) ساقطة من أ، ك، ط.

وعثمان بن عفان بن أبي العاص. القرشي، أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مات وهو عنهم راض. كان صواماً، قواماً، باذلاً ماله في سبيل الله، وهو أول من هاجر إلى الحبشة. وفضائله أكثر من أن تعد وتحصى. ورد في صحيح البخاري ٤/١٩٦ أنه يقتل مظلوماً. استشهد ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٥هـ.

راجع الاستيعاب ٣/٦٩؛ والإصابة ٢/٤٥٧؛ والتهذيب ٧/١٣٩؛ وصحيح البخاري ٤/٢٠٢؛ صحيح مسلم ٤/١٨٦٦؛ وغيرها.

(٥) معيقيب بن أبي فاطمة، الدوسي، الأزدي. (معيقيب) بقاف مكسورة، وبعدها مثناة تحتانية، وآخره موحدة، مصغر. صحابي، من مهاجرة الحبشة، ومن أهل بدر. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين. مات في خلافة عثمان، وقيل بل في خلافة علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

راجع الإصابة ٣/٤٣٠؛ والنجوم الزاهرة ١/٩٠ وفيات سنة ٣٢هـ؛ والتهذيب ١٠/٢٥٤؛ والأعلام للزركلي ٧/٢٧٤.

(٦) جاء هذا النص في طبقات ابن سعد ١/٣٥٧ ـ ٣٥٨ (وفد نجران) وقد نقله الشيخ ـ رحمه الله ـ بتصرف يسير. =

وما ذكره ابن سعد عن علي بن محمد المدائني عن أشياخه في حديث وفد نجران فهو يوافق ما ذكره ابن إسحاق فإن قوله أربعة عشر من أشرافهم يوافق قول ابن إسحاق[1] عن محمد بن جعفر[2] قال:

«قدم على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر من أشرافهم في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح. والسيد ثمالهم[3] وصاحب رحلهم ونجعتهم واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم[4]، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وملوه وأخدموه وبنوا له الكنائس، وبسطوا له الكرامات، لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم. فلما وجهوا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من نجران، جلس

= والنجرانية: موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط على الطريق. سكنه أهل نجران لما أجلاهم عمر؛ فسموا الموضع باسم بلدهم وابتنوا كنيسة سموها الأكيراج. انظر مراصد الاطلاع ٣/١٣٦٠.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني ثقة من السادسة مات سنة بضع عشرة ومائة.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٥٠ (١٠٣)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٣٠. والسند منقطع.

(٣) ثمالهم: من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم. انظر القاموس ٣/٣٤٤.

(٤) في ط (مدارسهم) والصواب ما أثبتناه من أ وسائر النسخ ومن سيرة ابن هشام.
والمدراس: هو التعليم الشفهي للتوراة. والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه: تعمق في الدراسة، وسبق بيانه.

أبو حارثة على بغلة له موجهاً وإلى جنبه أخ له يقال له كرز ابن علقمة[1] فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز تعس الأبعد يريد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: لم يا أخي؟ قال: والله، إنه للنبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز: فما منعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك. وهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني»[2].

قال ابن هشام[3]:

«وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتاباً عندهم فكلما مات

---

(١) كرز بن علقمة البكري من بني بكر بن وائل، النجراني، ذكره ابن حجر، وأنه أسلم ولم يذكر أخاه (أبا حارثة)، وقد ساق في الإصابة قصة الوفد، ولم يذكر عنه شيئاً إلا ما ذكر من أنه ينبغي التفريق بين هذا وبين كرز بن علقمة الخزاعي.
انظر الإصابة لابن حجر ٣/٢٧٦ (٧٤٠٠)؛ وسيرة ابن هشام ٢/١٥٩؛ وطبقات ابن سعد ١/٣٥٧؛ وورد ذكر أبي حارثة بن علقمة في فتح الباري ٨/٧٣، وسبقت الإشارة إليه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ وقد ساق ذلك تحت عنوان «ذكر نصارى نجران وما نزَّل الله فيهم».

(٣) ابن هشام هو: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري أبو محمد جمال الدين، مؤرخ عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، ومات بمصر سنة ٢١٣هـ له تصانيف عديدة من أشهرها «السيرة النبوية»، المعروف بسيرة ابن هشام (مطبوع) رواه عن ابن إسحاق وله كتب أخرى.
انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٩٠؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٦٧ وفيه (والصحيح أنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في تأريخ مصر).
وانظر: أنباه الرواة ٢/٢١١؛ والأعلام ٤/١٦٦.

رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمشي فعثر، فقال ابنه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبي، واسمه في الوضائع، ـ يعني: الكتب ـ.

فلما مات لم تكن[1] لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأسلم فحسن إسلامه وحج وهو[2] يقول:

«إليك تغدو قلقاً وضينها * معترضاً في بطنها جنينها * مخالفاً دين النصارى دينها *»[3].

قال ابن إسحاق[4]:

«وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير[5] قال: قدموا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات[6] جبب وأردية في جمال رجال بني

---

(١) في ط (بالمثناة التحتية) يكن.
(٢) في س، ك وهو الذي يقول.
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١٥٩/٢ قال ابن هشام ـ رحمه الله ـ: الوضين: الحزام، حزام الناقة وقال هشام بن عروة: وزاد فيه أهل العراق: معترضات في بطنها جنينها. فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه.
(٤) سبقت ترجمة ابن إسحاق في القصة السابقة.
(٥) سبقت ترجمة محمد بن جعفر في القصة السابقة.
(٦) الحبرات جمع حبرة على وزن عنبة وتجمع أيضاً حبر مثل عنب وعنبات والحبرة ثوب يماني من قطن أو كتان مخطط.
انظر المصباح المنير ١٦٢/١؛ والقاموس المحيط ٢/٢؛ ومختار الصحاح ص ١٢٠.

الحارث بن كعب، قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يومئذ ـ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: دعوهم؛ فصلوا إلى المشرق. قال ابن إسحاق: وكان تسمية الأربعة عشر الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبد المسيح؛ والسيد وهو الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل. وأوس؛ والحارث؛ وزيد؛ وقيس؛ ويزيد؛ ونبيه؛ وخويلد؛ وعمر؛ وخالد؛ وعبد الله؛ ويحنس في ستين راكباً. فكلم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منهم أبو حارثة بن علقمة. والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيد. وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلافهم من[1] أمرهم يقولون: هو الله ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، و[2]كذلك قول النصرانية[3].

فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويبرىء الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً[4]، وذلك كله بأمر الله وليجعله آية الناس.[5].

ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله[6] فإنهم يقولون لم يكن له أب

---

(١) في ط (في).

(٢) في س، ك بدون واو.

(٣) في ط (النصارى) وهو مخالف لسائر النسخ ولما في سيرة ابن هشام.

(٤) في ط (طيراً).

(٥) في سيرة ابن هشام ٢/١٦٠: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، وهذا لفظ الآية الكريمة في سورة مريم: ٢١؛ وتمامها: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا﴾.

(٦) سقط لفظ الجلالة من أ وزدناه من سائر النسخ ومن سيرة ابن هشام ٢/١٦٠.

يعلم، وقد تكلم في المهد وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم[1].

ويحتجون في قولهم: «ثالث ثلاثة» بقول الله فعلمنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت؛ ولكنه هو عيسى ومريم[2]. ففي كل ذلك من قولهم[3] قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:

«أسلما» قالا قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما». قالا: بلى[4] قد أسلمنا قبلك، قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولد[5]، وعبادتكما للصليب، وأكلكما الخنزير». قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم، واختلافهم، في أمرهم كله صدراً من سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية.

---

(١) ذِكْر ابن إسحاق لاحتجاجهم بكلام عيسى ـ عليه السلام ـ في المهد على أنه ابن الله إطلاق فيه نظر؛ ذلك لأن النصارى لا يقرون كلامه في المهد، فلا يوجد في أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم، ولا في كتبهم التي تناولت عقائدهم ما يشير من قريب أو بعيد إلى كلامه في المهد.

(٢) ليست مريم داخلة في الثالوث الأقدس عندهم فليست واحداً من الأقانيم الثلاثة، وإنما الأقانيم هي الآب وهو ما وردت الإشارة إليه في النص بـ: (هو)، وأقنوم الابن وهو ما أشير إليه (بعيسى) والأقنوم الثالث وهو أقنوم الروح القدس وليست مريم فالأقانيم الثلاثة عندهم هي الآب والابن والروح القدس، والجوهر واحد، وكتبهم بين أيدينا شاهدة بذلك، وسيناقشهم المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب في مواضع مختلفة في هذه القضية في الجزء الثاني والثالث.

(٣) في ط (أقوالهم).

(٤) في أ، ط (بل) وما أثبته من س، ك، والسيرة ٢/١٦٠.

(٥) في ط (ولداً).

وذكر نزول الآيات بسببهم غير واحد مثلما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره؛ قال: حدثنا المثنى[1]، حدثنا إسحاق[2]، حدثنا ابن أبي جعفر ـ يعني عبد الله بن أبي جعفر الرازي[3] ـ عن أبيه[4] عن الربيع[5] في قوله ـ تعالى ـ :

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[6].

قال: إن النصارى أتوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب

---

(١) المثنى بن إبراهيم الآملي. شيخ الطبري، يروي عنه كثيراً في التفسير والتأريخ ولم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من الكتب، وعلق الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ بقوله «لم أعثر له على ترجمة».
انظر تفسير ابن جرير الطبري بتحقيقه ١/١٧٦ (ت: على الأثر رقم ١).

(٢) إسحاق بن الحجاج الطاحوني المقزي. روى عن أبي زهير عبد الرحمن بن مفراء وعبد الله بن أبي جعفر... سمعت أبا زرعة يقول: (كتب عبد الرحمن الدشتكي تفسير عبد الرزاق عن إسحاق بن الحجاج).
انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٢ ق ٢ ص ٢١٧ (ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد) ١٣٧١هـ .

(٣) عبد الله بن أبي جعفر بن عيسى بن ماهان. قال ابن حجر: «صدوق يخطيء» وقال ابن عدي: من حديثه ما لا يتابع عليه. وذكر له حديثاً منكراً تفرد به.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٤٠٧ (٢٣٤)؛ وتهذيب التهذيب ٥/١٧٦ وميزان الاعتدال ٢/٤٠٤.

(٤) عيسى بن أبي عيسى بن ماهان: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة. مات في حدود الستين ومائة. تقريب التهذيب ٢/٤٠٦.

(٥) الربيع بن أنس البكري: قال ابن حجر «أرسل عن أم سلمة» وقال: صدوق له أوهام، رمي بالتشيع. مات سنة ١٣٩هـ .
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٢٤٣ وتهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ١، ٢.

والبهتان لا إلٰه إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال لهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد[1] إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا: نعم، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم؟» قالوا: لا. قال: «فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟»، قالوا: بلى. قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذى كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم[2] الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث[3]؟» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً. فأنزل الله:

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[4]، [5].

---

(١) في ط (ولداً).
(٢) في ك (يأكل).
(٣) في ك (يحرث الحرث).
(٤) سورة آل عمران: الآيتان ١، ٢.
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير الآية التي ورد ذكرها ٣/١٠٨ ـ ١٠٩ (المجلد الثالث) ط دار الفكر.
وقد أورده الواحدي في أسباب النزول في أول سورة آل عمران ص ٦٨ وعزاه السيوطي في لباب النقول ص ٤٣ ط ٢ البابي الحلبي إلى ابن أبي حاتم عن الربيع وذكره مختصراً وإلى ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل. وسند ابن إسحاق مرسل كما قال ابن حجر في الفتح ٨/٧٣.
وانظر تفسير ابن كثير ١/٣٦٨؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٣٤٦؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣/١٣١.

وقد ثبت في الصحاح حديث وفد نجران ففي البخاري ومسلم:
عن حذيفة وأخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ...﴾[1].

دعا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال[2]: «اللهم هؤلاء أهلي»[3].

وفي البخاري عن حذيفة بن اليمان قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا[4] لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنما نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا[5] تبعث معنا إلا أميناً، قال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٢) في ك (قال).
(٣) الحديث: أخرجه الإمام مسلم وهو قطعة من حديث طويل، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ في فضائل الصحابة/ باب من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٨٧١ ورواه الترمذي في التفسير/ تفسير سورة آل عمران ٥/٢٢٥ (٢٩٩٩) وفي المناقب ٥/٦٣٨.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره من طرق متعددة عند آية ٦١: آل عمران ٣/٢٠٩ ـ ٢١٢ (المجلد الثالث).
أما حديث حذيفة في قصة الوفد فسيأتي تخريجه من البخاري بعد هذا الحديث.
(٤) ورد في البخاري بتشديد النون وأما إظهار النون كما ورد أعلاه فهي رواية كما قال ابن حجر في الفتح ٨/٧٤.
(٥) في ط (فلا).

قال فاستشرف لها[1] أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هذا أمين هذه الأمة»[2].

وفي سنن أبي داوود وغيره قال أبو داوود أخبرنا مصرِّف بن عمرو اليامي[3]، حدثنا يونس[4] ـ يعني ابن بكير ـ حدثنا أسباط بن نصر[5] الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي[6]، عن ابن عباس قال: صالح رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أهل نجران على ألفي حلة:

---

(١) في البخاري (له).

(٢) رواه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠ ووردت قصة الملاعنة في سيرة ابن هشام ٢/١٦٥.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/٧٤: «وفي قصة أهل نجران من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام. وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته. وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة...» ثم ساق فوائد أخرى من هذه القصة.

(٣) مصرف بن عمرو اليامي الهمذاني. ثقة من العاشرة مات سنة ١٤٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥١ (١١٤٨).

(٤) يونس بن بكير بن واصل الشيباني قال ابن معين صدوق. وقال ثقة إلا أنه مرجي يتبع السلطان. قال الذهبي هو أوثق من يحيى الحماني. وقال ابن حجر يخطىء من التاسعة. مات سنة ٩٩هـ.
تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ (٤٧٢) وميزان الاعتدال ٤/٤٧٧.

(٥) في ك، ط (نصير) وهو خطأ وأسباط بن نصر الهمداني. قال ابن حجر صدوق كثير الخطأ يغرب من الثامنة.
تقريب التهذيب ١/٥٣ (٣٦٢).

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي السدي صدوق يهم ورمي بالتشيع. مات سنة ١٢٧هـ.
تقريب التهذيب ١/٧٢ (٥٣١).

النصف في صفر، والنصف في رجب، يؤدونها إلى المسلمين: وعارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها[1] عليهم إن كان باليمين كيد * ذات غدر[2] * على أن لا يهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنون[3] عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً، أو يأكلوا الربا.

قال إسماعيل: فقد أكلوا الربا، قال أبو داوود: إذاً نقضوا بعض ما شرط عليهم، فقد أحدثوا[4].

وما ذكره أبو داوود وأهل السير من مصالحته لأهل نجران على

---

(١) في أ، س (يؤدونها) وصححناه من ك، ط وسنن أبي داوود.

(٢) سقطت جملة (ذات غدر) من أ، وألحقناها من سائر النسخ ومن سنن أبي داوود ووقع في رواية (كيد أو غدرة) وصوب الخطابي الرواية الأولى في معالم السنن ٣/٤٣٠.
قال الخطابي: قوله: كيد ذات غدر: يريد الحرب أخبرني عمر قال: قال ابن الأعرابي: الكيد: الحرب، ومنه ما جاء في بعض الحديث أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خرج في بعض مغازيه فلم يلق كيداً: أي حرباً.
انظر: معالم السنن ٣/٤٣٠.

(٣) في رواية (يفتنوا) ذكرها الخطابي في ٣/٤٣٠ (معالم السنن)، وكلا الأمرين له وجهته.

(٤) رواه أبو داوود في سننه. كتاب الخراج والإمارة والفيء/ باب في أخذ الجزية ٣/٤٣٠ (٣٠٤١). الحديث حسن لغيره ويدل على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر ــ يرحمه الله ــ قال: «في سماع السدي من ابن عباس نظر لكن له شواهد وساق شاهداً عند ابن أبي شيبة بسنده عن الشعبي وذكره... وعن سالم وذكره».
انظر: تلخيص الحبير ٤/١٢٥.
قال الخطابي ــ رحمه الله ــ: «وفي هذا دليل على أن للإمام أن يزيد وينقص فيما يقع عليه الصلح من دينار وأكثر على قدر طاقتهم ووقوع الرضا منهم به...».
انظر معالم السنن هامش سنن أبي داوود ٣/٤٣٠.

الجزية المذكورة معروف عند أهل العلم، وقد ذكر ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الأموال» ذكره من طريقين:

قال أبو عبيد[1] ـ رحمه الله ـ حدثنا أبو أيوب الدمشقي قال حدثني سعدان بن يحيى عن عبد الله بن أبي حميد[2] عن أبي المليح الهذلي[3](*) : «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صالح أهل نجران فكتب له كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأهل نجران إذ[5] كان له

---

(١) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخُزاعي.
إمام مشهور ثقة فاضل من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. ولد سنة ١٥٧هـ. في هراة ورحل إلى بغداد ومصر ومكة ثم توفي بها سنة ٢٢٤هـ. له تصانيف كثيرة منها غريب الحديث، وفضائل القرآن، والأموال، وغيرها.
انظر تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨؛ وتقريب التهذيب ١١٧/٢؛ وطبقات الحفاظ ص ١٨٢ ـ ١٨٣؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢٥٧/٢؛ وطبقات الحنابلة ٢٥٩/١؛ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص ٣١٢؛ والبداية والنهاية ٢٩١/١٠؛ والأعلام للزركلي ١٧٦/٥.

(٢) لم أقف على ترجمة لهؤلاء الثلاثة فيما اطلعت عليه من كتب الرجال، وقد بذلت جهدي في ذلك، وبحثت طويلاً فلم أقف عليهم سوى ما ذكر ابن حجر أن ممن أخذ عن أبي المليح (عبد الله بن أبي حميد) في تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٢ ولكني لم أقف له على ترجمة في تهذيب التهذيب ولا في غيره من الكتب التي اطلعت عليها والله أعلم.

(٣) أبو المليح بن أسامة بن عمير الهذلي. اسمه عامر وقيل زيد وقيل زياد، ثقة من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين هـ. وقيل ١٠٨هـ.
تقريب التهذيب ٤٧٦/٢ (١٢٩) والخلاصة للخزرجي ص ٤٦١.

(*) هذا السند مرسل لأن أبا المليح تابعي.

(٤) في ط والأموال (النبي رسول الله).

(٥) في أ (إذا) وصححناه من سائر النسخ ومن الأموال ص ١٨٨ وسقطت (له) من ط.

حكمه عليهم أن في كل سوداء وبيضاء وصفراء وحمراء أو ثمرة ورقيق وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، ألفي حلة: في كل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة، كل حلة أوقية ما زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب[(١)]، وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بالحساب، وعلى أهل نجران مقرى[(٢)] رسلي عشرين ليلة فما دونها، وعليهم عارية ثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين درعاً، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة[(٣)]، وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه إليهم ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانهم[(٤)] وأساقفهم وشاهدهم وغائبهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه، ولا واقها من وقيهاه، ولا راهباً من رهابنه[(٥)] وعلى أن لا يخسروا ولا يعشروا ولا يطأ أرضهم جيش ومن ملك منهم حقاً فالنصف بينهم بنجران[(٦)] على أن لا يأكلوا الربا فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منهم[(٧)] بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف[(٨)] عليهم). شهد عثمان بن عفان ومعيقيب».

---

(١) في أ (فليحتسب) وفي س (فليحتسب) وصححناه من ك، ط والأموال ص ١٨٨.

(٢) في أ، س (يقروا) بدون أن وفي ك، ط (أن يقروا) وما أثبتناه من الأموال ص ١٨٨.
وهي كلمة تعني الضيافة من قرى الضيف يقريه (قرى) بالكسر.
انظر مختار الصحاح ص ٥٣٣.

(٣) في ط (معذرة).

(٤) في س، ك (ورهبانيتهم).

(٥) في س، ك، ط (رهبانيته).

(٦) في ط (وهذا لنجران).

(٧) في ك، ط (منه).

(٨) في جميع النسخ (معسوف) وصححناه من الأموال ص ١٨٨، وسبق إيضاح الكلمة.

قال أبو عبيد: الواقة ولي العهد في لغة بلحارث بن كعب يقول إذا مات هذا الأسقف قام الآخر مكانه[1].

قال أبو عبيد: قال أبو أيوب، وحدثني عيسى بن يونس، عن عبد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل ذلك وزاد في حديثه قال: فلما توفي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أتوا أبا بكر فوفى لهم بذلك وكتب لهم كتاباً نحواً من كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فلما ولى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أصابوا الربا في زمانه فأجلاهم عمر وكتب لهم أما بعد: فمن وقعوا به من أمراء الشام أو العراق فليوسعهم من جريب[2] الأرض، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقبى من أرضهم، قال فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية، قال أبو عبيد: وهي قرية بالكوفة[3].

وكتب عثمان إلى الوليد بن عقبة[4]. أما بعد: فإن العاقب

---

(١) الجملة (يقول إذا مات هذا الأسقف قام الآخر مكانه) لم أجدها في الأموال ص ١٨٨. ولعلها تفسير لما قبلها من المؤلف ـ رحمه الله ـ.
وانظر ما أورده المؤلف في كتاب الأموال لأبي عبيد ص ١٨٧ ـ ١٨٨ رقم (٥٠٢).

(٢) في جميع النسخ (خراب) وفي الأموال (خريب) والصواب ما أثبتناه إذ أن المقصود به مقدار معلوم من الطعام والأرض ـ وقد سبقت الإشارة إليه، حيث خرجناه هناك من طبقات بن سعد وهو فيها (جريب) ١/٣٥٨.
وانظر القاموس المحيط ١/٤٥ والمصباح المنير ١/١٣٠ وغيرهما.

(٣) النجرانية: سبقت الإشارة إليها.
وانظر الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٩ (٥٠٣).

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم هو وأخوه عمارة يوم الفتح، وقتل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر صبراً، وكان (عقبة) شديد الأذى للمسلمين، وقد كان الوليد شجاعاً شاعراً جواداً وله صحبة، ولاه عثمان ـ رضي الله عنه ـ الكوفة ثم عزله عنها مات سنة ٦١هـ. وقيل: ٦٧هـ. =

والأسقف وسراة أهل نجران أتوني بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأروني شرط[1] عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد سألت عثمان بن حنيف[2]، فأنبأني أنه قد كان بحث على ذلك فوجده صار للدهاقين[3] ليردعهم[4] عن أرضهم، وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله، وعقبي لهم من أرضهم وإني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة[5].

قال أبو عبيد: وحدثنا عثمان بن صالح[6]، عن عبد الله بن

= انظر: البداية والنهاية ٨/٢١٤، ٢٩٣، ٧/١٥١، ١٥٥؛ والإصابة ٣/٦٠١ (٩١٤٩)؛ وتقريب التهذيب لابن حجر ٢/٣٣٤ (٧٤).

(١) في ك، س (بشرط).

(٢) عثمان بن حنيف (بالحاء المهملة والنون مصغر)، الأنصاري الأوسي، أبو عمرو المدني، صحابي مشهور، أول مشاهده أُحُد، كما قال الجمهور، وقال الترمذي أنه شهد بدراً. استعمله عمر على مساحة أرض الكوفة، واستعمله عليٌّ على البصرة قبل الجمل مات ـ رضي الله عنه ـ في خلافة معاوية.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٥٢ (٥٤٣٧)؛ وتقريب التهذيب ٢/٨، (٤٩)؛ والبداية والنهاية ٨/٨١، ٧/٢٣١ ـ ٢٣٥.

(٣) الدهقان: بالكسر، والضم: القوي على التصرف مع حدة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، وهو معرب، وجمعه دهاقنة ودهاقين.
انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الدال ٤/٢٢٤؛ والمصباح المنير ١/٢٧٤.

(٤) في ك، ط (فنرعهم) وفي أ، س (فيردعهم)، وصححته من الأموال ص ١٨٩.

(٥) انظر الأموال لأبي عبيد ص ١٨٩ (٥٠٤).

(٦) عثمان بن صالح بن صفوان السهمي. صدوق من كبار العاشرة، مات سنة ١١٩هـ. تقريب التهذيب ٢/١٠ (٧٣)؛ وتهذيب التهذيب ٧/١١٢.

لهيعة(١)، عن أبي(٢) الأسود(٣)، عن عروة بن الزبير(٤) أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، كتب لأهل نجران من محمد النبي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثم ذكر نحو هذه النسخة(*). . . وليس في حديثه قصة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، وفي آخره، شهد أبو سفيان بن حرب(٥)، وغيلان بن عمرو(٦)، ومالك بن

---

(١) عبد الله بن لهيعة الحضرمي. صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه، مات سنة ١٧٤هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/١٤٤ (٥٧٤)؛ وميزان الاعتدال ٢/٤٧٥ ـ ٤٨٣؛ وتهذيب التهذيب ٥/٣٧٣ ـ ٣٧٩.

(٢) سقطت (أبي) من ك.

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي أبو الأسود. ثقة من السادسة مات سنة بضع وثلاثين ومائة.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٨٥ (٤٦٥)؛ وتهذيب التهذيب ٩/٣٠٧.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي. أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور من كبار التابعين، مات سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩٥هـ.
انظر تهذيب التهذيب ٧/١٨٠ ـ ١٨٥؛ وتقريب التهذيب ٢/١٩ (١٥٧).

(*) أخرجه أبو عبيد: في كتاب الأموال ص ١٨٩ رقم (٥٠٥) بسند رجاله ثقات ما عدا عثمان بن صالح، وعبد الله بن لهيعة كلاهما صدوق، والحديث مرسل، لأن عروة تابعي.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) غيلان بن عمرو. قال ابن حجر له ذكر في حديث رواه عمر بن شيبة في الصحابة له، وابن منده. (يعني روى له كذلك). وساق القصة المذكورة، وذكره الأموي في المغازي ليونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، فذكر قصة أسقف نجران. . . إلخ.
قلت لم أقف له على ترجمة وافية، ولا بيان لنسبه عدا ما ذكره ابن سعد في الطبقات ١/٢٨٨ حيث ساق القصة المذكورة وذكره فقط، وما أشرت إليه عن ابن حجر في الإصابة ٣/١٨٨ (٦٩٢٧).

عوف[1] من بني نضر، والأقرع بن حابس الحنظلي[2]، والمغيرة بن شعبة[3].

قال أبو عبيد: حدثني سعيد بن عفير[4]، عن يحيى بن أيوب[5]، عن يونس بن يزيد الأيلي[6]، عن ابن شهاب قال: «أول من أعطى الجزية أهل نجران وكانوا نصارى»[7].

---

(1) مالك بن عوف بن سعد النضري، من هوازن، صحابي من أهل الطائف كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد هوازن كلها لحرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية، وفتح دمشق، وكان شاعراً مات نحو سنة ٢٠هـ.
انظر الإصابة لابن حجر ٣٣١/٣ (٧٦٧٥)؛ وطبقات ابن سعد ١٤٩/٢، ١٥٠؛ والبداية والنهاية ٣٢٢/٤، ٣٦١، ٣٥٩؛ والأعلام للزركلي ٢٦٤/٥.

(2) سبقت ترجمته.

(3) سبقت ترجمته.

(4) سعيد بن عفير: هو سعيد بن كثير بن عفير، الأنصاري، مولاهم، أبو عثمان المصري. قال الحافظ ابن حجر: وقد ينسب إلى جده. (وعفير بالمهلة، والفاء، مصغراً). وهو صدوق، عالم بالأنساب وغيرها. مات سنة ٢٢٦هـ.
راجع: تقريب التهذيب ٣٠٤/١ (٢٤٤)؛ والتهذيب ٧٤/٤؛ والخلاصة ص ١٤٢.

(5) يحيى بن أيوب الغافقي. بمعجمة، وفاء، وقاف، أبو العباس المصري صدوق ربما أخطأ، من السابعة مات سنة ١٦٨هـ.
تقريب التهذيب ٣٤٣/٢ (٢٢)؛ والتهذيب ١٨٦/١١؛ والخلاصة ص ٤٢١.

(6) يونس بن يزيد الأيلي ـ بفتح الهمزة، وسكون التحتانية، بعدها لام. مولى آل أبي سفيان، ثقة، إلَّا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأ مات سنة ١٥٩هـ.
راجع: تقريب التهذيب ٣٨٦/٢ (٤٩٦)؛ والتهذيب ٤٥٠/١١؛ والخلاصة ص ٤٤١.

(7) رواه أبو عبيد في الأموال ص ٣٣.
قال الشوكاني في نيل الأوطار ٦٨/٨: «حديث ابن شهاب هذا مرسل».

فإن قيل قوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا . . .﴾[1] .

وقد ثبت في الصحيحين[2] أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
والجزية: هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً. انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٣٢ (مادة جزية)؛ وأحكام أهل الذمة ١/٢٢، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «الجزية غير مقدرة بالشرع تقديراً لا يقبل الزيادة والنقصان ولا معينة الجنس»، أحكام أهل الذمة ١/٣٠، وقد أفاض ـ رحمه الله ـ فيما يتعلق بمسائل الجزية في كتابه هذا ويقع في مجلدين. بتحقيق د. صبحي الصالح.
وعقد مجد الدين بن تيمية فصلاً في أخذ الجزية وعقد الذمة. ثم ذكر نحو خمسة عشر دليلاً على أخذها وذلك في المنتقى من أخبار المصطفى ٢/٨٣٦ ـ ٨٣٩.
قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ في المغني ٨/٣٦٢ ـ ٣٦٣: «الكفار ثلاثة أقسام:
قسم: أهل كتاب. وهم اليهود والنصارى، ومن اتخذ التوراة والإنجيل كتاباً كالسامرة والفرنج ونحوهم، فهؤلاء تقبل منهم الجزية، ويقرون على دينهم إذا بذلوها.
وقسم: لهم شبهة كتاب. وهم المجوس، فحكمهم حكم أهل الكتاب. . . ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً في هذين القسمين.
وقسم: لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب. وهم من عدا هذين القسمين من عبدة الأوثان ومن عبد ما استحسن، وسائر الكفار. فلا تقبل منهم الجزية، ولا يقبل منهم سوى الإسلام، هذا ظاهر المذهب، وهو مذهب الشافعي، وروى عن أحمد: أن الجزية تقبل من جميع الكفار إلَّا عبدة الأوثان من العرب، وهو مذهب أبي حنيفة. . . وحكى عن مالك أنها تقبل من جميع الكفار إلَّا كفار قريش. . .».
وانظر المحلى لابن حزم ٧/٣٤٥.
قال أبو عبيده ـ رحمه الله ـ في الأموال ص ٣٣: «الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنة»، وساق نحو أربعة عشر حديثاً في ذلك.

(٢) سيأتي ـ إن شاء الله ـ تخريج ذلك من الصحيحين وغيرهما عند تقرير المؤلف ـ رحمه الله ـ لعموم رسالة النبي ـ محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

قد[1] كتب إلى هرقل[2] مع دحية الكلبي[3] مدة هدنته للمشركين وكان أبو سفيان إذ ذاك لم يسلم وقد حضر عند هرقل وسأله[4] هرقل عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأبو سفيان أسلم عام الفتح فدل ذلك على أن هذا الكتاب كان قبل الفتح، ونزول آية الجزية كان بعد الفتح * سنة تسع *[5] فدل ذلك على أن هذه الآية نزلت قبل آية الجزية وقبل آية المباهلة، وآية المباهلة[6] ـ قد علم يقيناً أنها نزلت في قصة قدوم وفد نجران ـ والمفسرون وأهل السير ذكروا أن آل عمران نزلت بسبب مناظرة أهل نجران، وقد ذكرناه من نقل أهل الحديث بالإسناد المتصل[7].

---

(1) سقطت (قد) من س، ط وشطب عليها في ك.

(2) هرقل: قال النووي في شرح مسلم ١١/١٠٣: «بكسر الهاء وفتح الراء وإسكان القاف، هذا هو المشهور ويقال: هرقل بكسر الهاء وإسكان الراء وكسر القاف حكاه الجوهري... وهو اسم علم له ولقبه قيصر وكذا كل من ملك الروم يقال فيه قيصر».
وانظر فتح الباري ١/٣٠؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٦٥.

(3) دحية بن خليفة الكلبي. ودحية بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان، كما قال النووي وهو من كلب بن دبرة في قضاعة، صحابي مشهور من كبارهم أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً وأول مشاهده الخندق وقيل أحد، كان أجمل الناس وجهاً، حتى كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل ـ عليه السلام ـ ينزل على صورته. وهو رسول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى قيصر فلقيه بحمص أول سنة سبع. توفي في خلافة معاوية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.
انظر في ترجمته الاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٦٣؛ والإصابة لابن حجر ١/٤٦٣؛ وتهذيب التهذيب ٣/٢٠٦؛ وشرح النووي ١١/١٠٣.

(4) في س، ك (وسأل).

(5) ما بين النجمتين ساقط من أ، س، ك، وزدناه من ط.

(6) في ط (وقبل آية المباهلة، وقدوم وفد نجران قبل آية المباهلة)، وقد اضطرب الكلام بذلك.

(7) سبقت الإشارة إلى ذلك.

ونقل أهل المغازي والسير أن وفد نجران صالحهم على الجزية وهم أول من أداها، فعلم أن قدومهم كان بعد نزول آية الجزية. وآية الجزية نزلت بعد فتح مكة، فعلم أن قدوم وفد نجران كان بعد آية السيف التي هي آية الجزية.

قال الزهري[1]: أهل نجران أول من أدى الجزية[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿... تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[3].

بعدها آيات نزلت قبل ذلك كقوله:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

فيكون هذا مما تقدم نزوله وتلك مما تأخر نزوله، وجمع بينهما[5]

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري. من بني زهرة بن كلاب من قريش، ولد سنة ٥٨هـ، من كبار التابعين من أهل المدينة، حافظ، فقيه، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، وهو أول من دون الحديث، كان يحفظ ألفين ومائتي حديثاً نصفها مسند كما ذكر ابن حجر. مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٤هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/١٠٨ ـ ١١٣، ووفيات الأعيان ٤/١٧٧ ـ ١٧٩؛ والبداية والنهاية ٩/٤٤٥؛ وتهذيب التهذيب ٩/٤٤٥؛ وطبقات الحفاظ ص ٤٩؛ والأعلام ٧/٩٧.

(٢) رواه أبو عبيد في الأموال ص ٣٣، وسبق تخريجه.

(٣) في س، ك، ط ﴿قل يا أهل الكتاب﴾... إلخ، والآية من سورة آل عمران: ٦٣ وتمامها: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم...﴾ الآية.

(٤) سورة آل عمران: ٧٠، ٧١.

(٥) في ط (بينها).

للمناسبة كما في نظائره فإن الآيات كانت[1] إذا نزلت يأمر[2] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يضعها في مواضع تناسبها، وإن كان ذلك مما تقدم. ومما يبين ذلك أن هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.

لفظها يعم اليهود والنصارى[3]، وكذلك ذكر أهل العلم أنها دعاء لطائفتين، وأن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا بها اليهود، فدل ذلك على أن نزولها متقدم فإن دعاءه لليهود كان قبل نزول آية الجزية؛ ولهذا لم يضرب الجزية على أهل خيبر وغيرهم من يهود الحجاز ولكن لما بعث معاذاً إلى[4] اليمن ـ وكان كثيراً[5] من أهلها يهود[6] ـ أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو[7] عدله معافراً[8]، وهذا كان متأخراً[9] بعد غزوة تبوك، وتوفي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعاذ باليمن. قال ابن أبي حاتم[10]

(١) سقطت (كانت) من س، ك.
(٢) في جميع النسخ عدا ط (يؤمر).
(٣) سقطت الواو من ط.
(٤) في ط (لليمن) وهي مصححة في أ في الهامش وكذلك في س، ك.
(٥) في ك، ط (كثير).
(٦) في ك، ط (وكان كثير من أهلها يهودا) وكلا الأمرين صحيح.
(٧) في جميع النسخ عدا ط (و).
(٨) المعافر: بفتح الميم، حي من همدان... وإليهم تنسب الثياب (المعافرية) تقول ثوب (معافري) (ممنوعاً من الصرف). انظر مختار الصحاح ص ٤٤٢.
(٩) في ط (متأخر).
(١٠) ابن أبي حاتم: هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي. عالم محدث عارف بالرجال، فقيه، أصولي متكلم، مفسر، من تصانيفه/ تفسير القرآن، الجرح والتعديل، مناقب الشافعي، الرد على الجهمية، المسند في ١٢ مجلداً توفي بالري سنة ٣٢٧هـ. =

في تفسيره: حدثنا أبـي[1]، حدثنا هشـام بن عمار[2]، حدثنا الوليد[3]، حدثنا الضحـاك بن عبد الـرحمن بن أبـي[*][4] حوشب وغيره، أن عمر ابن عبد العزيـز[5] ـــــــــــــــ

= انـظر في ترجمتـه: طبقات الشـافعية ١/٧٢؛ وتـذكـرة الحفـاظ ٣/٨٢٩؛ وطبقـات الحنابلة ٢/٥٥؛ وفوات الوفيات ٢/٢٨٧؛ والأعلام ٣/٣٢٤.

(١) أبو حاتم: محمد بن إدريس الرازي التميمي. حـافظ للحديث، من أقـران البخاري ومسلم، ولـد بالـري ورحل إلى الشـام ومصر وبـلاد الروم. لـه كتاب في التفسيـر، وكتاب أعلام النبوة، مات في بغداد سنة ٢٧٧هـ.
انـظر تـرجمتـه في: تهـذيب التهـذيب ٩/٣١؛ خـلاصـة تـذهيب تهــذيب الكمـال للخزرجي ص ٣٢٦؛ والأعلام ٦/٢٧.

(٢) هشـام بن عمار بن نصيـر. بنون مصغـراً، السلمي الدمشقي، صـدوق مقـرىء كبـر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح. مات سنة ١٤٥هـ على الصحيح.
انـظر: تقـريب التهـذيب ٢/٣٢٠ (٩٣)؛ تهـذيب التهـذيب ١١/٥١؛ والخـلاصـة للخزرجي ص ٤١٠.

(٣) الـوليـد بن مسلم القـرشي، الـدمشقي، عـالم الشـام، ثقـة، لكنـه كثيـر التـدليس والتسوية، مات سنة ١٩٥هـ.
تقــريب التهــذيب ٢/٣٣٦ (٨٩)؛ تهــذيب التهــذيب ١١/١٥١؛ والـخــلاصــة للخزرجي: ص ٤١٧.

(*) سقطت (أبـي) من جميع النسخ.

(٤) الضحـاك بن عبد الـرحمن بن أبـي حوشب الـدمشقي، ثقة من السـادسة، ولم أقف على تاريخ وفاته.
انـظر تقـريب التهــذيب ١/٣٧٢ (٩)؛ وتهـذيب التهــذيب ٤/٤٤٦، والخـلاصــة للخزرجي: ١٧٦.

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. الخليفة الصـالح، العـادل خامس الخلفاء الـراشدين كمـا قيل فيـه تشبيهاً لـه بهم، ولد بـالمدينـة سنة ٦١هـ، وولي الخلافة سنة ٩٩هـ، مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٠١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٤٧٥ ــ ٤٧٨؛ وتقريب التهـذيب ٢/٥٨ (٤٧٦)؛ وفوات الوفيات: ٣/١٣٣؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/١٧ ــ ٢٤؛ والأعلام ٥/٥٠.

كتب إلى (أليون)[1] طاغية الروم قال فيما أنزل الله على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ـ يعني اليهود والنصارى ـ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[2].

وروى[*] بإسناده عن ابن جريج[3] في قوله ـ تعالى ـ :

---

(١) اليون: هو ملك الروم، وقد ملكهم سبع سنين، ثم قتلوه سنة ٢٠٠هـ .
انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٤٦، ٩/١٧٤، ١٨٥، وفيه ذكر قصة خداعه للمسلمين سنة ٩٨هـ .

(٢) الآية من سورة آل عمران: الآية ٦٤.
وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب. . .﴾ الآية، الجزء الثاني ورقة رقم ٦٠ مخطوط بجامعة الإمام، فيلم رقم «٢٦٧٦». ورجال إسناد هذا الأثر ثقات ما عدا هشام بن عمار فهو صدوق.

(*) أما حديث بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً، أو عدله معافراً، فقد أخرجه أبو داود في الخراج/ باب في أخذ الجزية ٣/٤٢٨، وفي باب الزكاة ٢/٢٣٤، وأخرجه الترمذي مطولاً في الزكاة/ باب زكاة البقر ٢/٢٣٤ (٦٢٣)، وقال هذا حديث حسن. وذكره من طريق أخرى مرسلاً، ثم قال: وهذا أصح، وأخرجه النسائي في الزكاة ٥/٢٥ (باب زكاة البقر)، وابن ماجه في الزكاة ١/٥٧٦ بلفظ آخر ولم يرد فيه (من كل حالم ديناراً أو عدله معافراً)، ورواه أحمد من طريق مسروق في المسند ٥/٢٣٠، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد حديث رقم (١٢٦٨١) ١٢/٢٣٩، وقد أخذ الخطابي ـ رحمه الله ـ من قوله: من كل حالم. دليلاً على أن الجزية إنما تجب على الذكران منهم دون الإناث، لأن الحالم عبارة عن الرجل. فلا وجوب لها على النساء، ولا على المجانين، والصبيان.
انظر: سنن أبي داود ٣/٤٢٨ (هامش).

(٣) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. فقيه الحرم المكي، وإمام أهل الحجاز في عصره، وأول من صنف التصانيف بمكة. قال الذهبي: كان ثبتاً لكنه يدلس مات ـ رحمه الله ـ بمكة سنة ١٥٠هـ . وكانت ولادته سنة ٨٠هـ .
انظر تذكرة الحفاظ ١/١٦٩؛ وتهذيب التهذيب: ٦/٤٠٢؛ والأعلام ٤/١٦٠.

﴿ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ﴾ .

قال: بلغني أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا يهود أهل الكتاب[١] فأبوا عليه فجاهدهم[٢]. وكذلك سائر الآيات التي فيها خطاب للطائفتين، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣] .

ومما ينبغي أن يعلم، أن أهل نجران[٤] كان منهم نصارى أهل ذمة، وكان منهم مسلمون ـ وهم الأكثرون ـ والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعث أبا عبيدة لهؤلاء وهؤلاء، واستعمل عمرو بن حزم على هؤلاء وهؤلاء، كما أخرجا في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إن لكل أمة أميناً وإن أميننا أيتها[٥] الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٦] .

---

(١) في ط (اليهود أهل المدينة).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية مخطوط رقم (٢٦٧٦)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية ٣/٢١٣ ـ ٢١٤ (مجلد ٣)، وقد أورده السيوطي ـ رحمه الله ـ في الدر المنثور وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.
انظر الدر المنثور ٢/٤٠. عند تفسير الآية.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٦٥ ـ ٦٧.

(٤) في هامش نسخة ك (نجران المذكورة نجران اليمن لا نجران الشام وأهل نجران)، وأثبتت كذلك في ط.

(٥) في س، ك (أمين هذه. . .) وفي ط أيهما بدل (أيتها).

(٦) رواه البخاري في المناقب/ باب مناقب أبي عبيدة ٤/٢١٦. ومسلم في فضائل الصحابة/ باب فضائل أبي عبيدة ٤/١٨٨١ (٥٣). والترمذي في المناقب ٥/٦٦٧ =

وعن أنس أيضاً: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: ابعث معنا رجلاً أميناً يعلمنا السنَّة والإسلام، فأخذ بيد أبـي عبيدة بن الجراح، فقال: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: جـاء أهل نجـران إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: يا[2] رسول الله، ابعث إلينـا رجـلاً أميناً فقـال: «لأبعثن إليكم[3] رجلاً أمينـاً حق أمين حق أمين»[4]،

= (٣٧٩٦)، وقال: هذا حـديث حسن صحيح، وابن مـاجه في المقـدمة من طـريقين ٤٨/١، ٤٩ (١٣٥)، (١٣٦)، وأحمـد في مسنـد أنس ١٢٥/٣، ١٣٣. وجـاء في مسنـد أبـي بكر الصـديق ص ١٦١ رقم (١٢٨) أن أبا بكـر ــ رضي الله عنـه ــ قـال لأبـي عبيدة: هلمَّ فلأبايعك فإني سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ يقول إنك أمين هذه الأمة. قال المحقق: رجال السند كلهم ثقات إلَّا أنه مـرسل على ابن أبـي كثير لم يسمع من أبـي بكر.
وانظر الجامع الصغير للسيوطي ٣٦٨/١ (٢٤٠٥).

(١) رواه مسلم في الفضـائـل/ بـاب فضـائـل أبـي عبيـدة ١٨٨١/٤ (٥٣)، وأخـرجه البخـاري من حـديث أنس بلفظ «لكـل أمـة أمين، وأمين هـذه الأمـة أبـو عبيـدة بن الجراح» ١٢٠/٥ في المغازي/ باب قصة أهل نجران.
وأبـو عبيدة بن الجـراح. هو عـامر بن عبـد الله بن الجراح القـرشي. مشهور بكنيتـه وبـالنسبة إلى جـده، أسلم قديمـاً قبـل دخـول النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ دار الأرقم شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد ولاه عمر الشام وفتح الله عليه اليرمـوك والجابيـة، وله فضائل جمة، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. بـالأردن وبها قبـره وصلَّى عليه معاذ ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ.
انـظر تـرجمتـه في: الاستيعـاب ١٢٠/٤؛ والإصـابـة ٢٤٣/٢؛ وتهـذيب التهـذيب ٧٣/٥؛ ومناقبه في البخاري والترمذي وابن ماجه ومسند أحمد وغيرها.

(٢) في ط (أيا).

(٣) في س (عليكم).

(٤) سقـطت (حق أمين) الثـانيـة من أ، س، ك وألحقنـاهـا من ط، ومن صحيـح مسلم وليست في البخـاري، وقـد ورد الحـديث في البخـاري من طـريقين عن حـذيفـة =

قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح[1].

وللبخاري عن حذيفة قال: جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه[2]: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا[3] لا نفلح نحن[4] ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»[5] فاستشرف لها أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «هذا أمين هذه الأمة»[6].

وكذلك استعمل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عليهم عمرو بن حزم وكتب له الكتاب المشهور الذي فيه الفرائض والسنن، وقد رواه النسائي بطوله[7]، وروى الناس بعضه مفرقاً.

= ولم تذكر فيه الجملة الثانية.

(١) أخرجه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠، وأخرجه مسلم في الفضائل/ باب فضائل أبي عبيدة ٤/١٨٨٢ (٥٥).

(٢) في ط (للآخر).

(٣) في أ، ط (فلاعناه) وما أثبتناه من س، ك وصحيح البخاري.

(٤) سقطت (نحن) من أ وزدناها من سائر النسخ ومن صحيح البخاري.

(٥) في جميع النسخ عدا ط تكررت جملة (حق أمين)، وهي بذلك مخالفة لما في البخاري.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠.

(٧) عمرو بن حزم بن زيد سبقت ترجمته.

وكتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له رواه النسائي بطوله في القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له ٨/٥٧ ـ ٦١.

رواه بأسانيد متعددة، ثم قال: وقد روى هذا الحديث يونس بن يزيد، عن الزهري مرسلاً. قلت: ورواه مالك في الموطأ (مختصراً) في كتاب العقول، ٢/٨٤٩... =

ومحمد بن سعد لم يذكر بعد وفد نجران إلَّا وفد جيشان[1]، فدل على أن قدومهم كان متأخراً، ومحمد بن إسحاق ذكر قدومهم في أوائل السيرة مع قصة اليهود ليجمع بين خبر اليهود والنصارى[2]. وذكر في سنة عشر فتح نجران وإرسال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد، وإرسال خالد ذكروا أنه كان متأخراً قبل وفاته ـ صلَّى الله عليه

= وروى الدارمي جزءاً منه في كتاب الديات ٢/١٩٤، ١٩٥. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في الزكاة ٤/٨٩ ـ ٩٠ (ط دائرة المعارف العثمانية). وفي كنز العمال/ باب الأمارة وتوابعها ٥/٨٦٤ ـ ٨٦٦ (١٤٥٧٢) من طريقين: إحداهما منقطعة والأخرى متصلة. وأخرجه الحاكم في المستدرك في الزكاة ١/٣٩٥ ـ ٣٩٧ ثم قال ـ رحمه الله ـ : هذا حديث كبير مفسر في هذا الباب، يشهد له أمير المؤمنين عمر بن العزيز، وإمام العلماء في عصره الزهري بالصحة قال: «وسليمان بن داود الدمشقي الخولاني (أحد رجال السند) معروف بالزهري. وإن كان يحيى بن معين قد غمزه فقد عدله غيره. كما أخبرنيه أبو أحمد الحسين بن علي، ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سمعت أبي، وسئل عن حديث عمرو بن حزم في كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذي كتبه له في الصدقات، فقال: سليمان بن داود الخولاني عندنا ممن لا بأس به. قال أبو محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول ذلك» اهـ . كلام الحاكم، ووافقه الذهبي.

قلت: وقد نقل في كنز العمال قول يحيى بن معين، عندما سئل عن كتاب عمرو بن حزم: هل هو مسند؟

فقال: لا، ولكنه صالح. قيل: فكتاب علي بن أبي طالب؛ فقال: كتاب علي هذا أثبت من كتاب عمرو بن حزم. انظر كنز العمال ٥/٨٧٠.

وانظر إرواء الغليل ٧/٢٦٨، ١/١٥٨؛ ونيل الأوطار للشوكاني ٧/٢١؛ وتفسير الطبري ٢/٣٨٨؛ وتنوير الحوالك في شرح موطأ مالك للسيوطي ١/١٥٧.

(١) جيشان: مخلاف باليمن، ويلقب به عبدان بن حجر بن ذي رعين، وإليه ينسب الجيشانيون ومنهم أبو تميم الجيشاني، تابعي من اليمن. انظر القاموس المحيط باب الشين، فصل الجيم ٢/٢٦٦.

(٢) في أ (اليهود والنصارى).

وسلَّم ـ بأربعة أشهر، وأنه قدم وفد منهم بالإسلام، وهذا إنما كان بعد قدوم وفد النصارى؛ فإنه قد ذكر ابن سعد أن العاقب والسيد أسلما بعد ذلك، والعهد بالجزية إنما كان مع النصارى، وآية[1] الجزية هي قوله تعالى:

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[2].

وهذه آية السيف مع أهل الكتاب، وقد ذكر فيها قتالهم إذا لم[3] يؤمنوا حتى يعطوا الجزية، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يأخذ من أحد الجزية إلَّا بعد هذه الآية. بل[4] وقالوا: إن أهل نجران أول من أخذت منهم الجزية، كما ذكر ذلك أهل العلم، كالزهري وغيره[5]، فإنه باتفاق أهل العلم لم يضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أحد قبل نزول هذه الآية جزية[6]، لا من الأميين، ولا من أهل الكتاب، ولهذا لم يضربها على يهود قينقاع، والنضير، وقريظة، ولا ضربها على أهل خيبر. فإنها فتحت سنة سبع قبل نزول آية

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) في ط (إذ لم).

(٤) سقطت الواو من (ط).

(٥) في س تقديم وتأخير في الجملة من قوله: (بل وقالوا... إلى قوله: فإنه باتفاق أهل العلم)، ولم يخل بالمعنى.

(٦) في س، ك، ط (لم يضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجزية على أحد قبل نزول هذه الآية)، وقد سقطت من أ كلمة (جزية)، وأثبتت في الهامش فصححناها منه.

الجـزية، وأقـرهم فلاحين وهـادنهم هـدنـة مـطلقـة قـال فيهـا: «نقـركم ما أقركم الله»[1].

فـإذا كان أول مـا أخذهـا من وفد نجـران علم أن قدومهم عليـه، ومناظرته لهم، ومحاجتـه إياهم، وطلبـه المباهلة معهم، كـانت بعد آيـة السيف التي فيها قتالهم.

وعلم بذلك أن مـا ذكره الله ـ تعـالى ـ من مجادلـة أهل الكتـاب بالتي هي أحسن إلاَّ الذين ظلمـوا[2]، محكم لم ينسخه شيء، وكـذلك ما ذكره ـ تعالى ـ من مجادلة الخلق مطلقاً بقوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . .﴾[3].

---

(١) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به في الجزية ٤/٦٥؛ وبوَّب بقوله: «باب إخراج اليهود من جزيـرة العـرب، وقـال عمـر، عن النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ : أقـركم ما أقركم الله به. وبوب في كتاب الجزية أيضاً/ باب الموادعـة من غير وقت، وقـول النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : أقركم ما أقركم الله به ٤/٧١.
ورواه بسنده من حديث عمر يرفعه بلفظ «نقركم بها على ذلك ما شئنا» وذكر تمامـه. في كتاب الحرث والمزارعة/ باب إذا قال رب الأرض: أقرك ما أقـرك الله، ٣/٧١.
ورواه من حديث ابن عمر قال: قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «نقركم ما أقركم الله».
أخـرجـه في كتـاب الشـروط ٣/١٧٧. ورواه مسلم بلفظ: «نقـركم بهـا على ذلـك ما شئنا» في المساقاة باب/ المساقاة والمعاملة بجزء من الثمرة والـزرع، ٣/١١٨٧؛ ورواه مـالك ـ مرسـلاً ـ عن سعيـد بن المسيب، أن رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ قال ليهود خيبر يوم افتتح خيبر: (أقركم فيها ما أقركم الله ـ عز وجل ـ على أن الثمر بيننا وبينكم). قال ابن عبد البر: أرسله جميع رواة الموطأ، وأكثـر أصحاب ابن شهاب في كتاب المساقاة؛ ٢/٧٠٣.
(٢) في س، ك، ط (ظلموا منهم).
(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

فإن من الناس من يقول: آيات المجادلة والمحاجة للكفار، منسوخات بآية السيف، لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة وهذا غلط؛ فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام[1]، ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمقيم للتخيير بين الصيام وبين إطعام[2] كل يوم مسكيناً، ومناقضة نهيه عن تعدي الحدود التي فرضها للورثة للأمر بالوصية للوالدين والأقربين، ومناقضة قوله لهم: كفوا أيديكم عن القتال لقوله[3] قاتلوهم، كما قال ـ تعالى[4] ـ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً . . .﴾[5].

فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم[6]، فأما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . .﴾[7].

وقوله:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ . . .﴾[8].

---

(١) سقطت لفظة (بالشام) من س، ك.
(٢) في س (الطعام).
(٣) في س كقوله.
(٤) ساقطة من أ، وأثبتناها من سائر النسخ.
(٥) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٦) في س، ك (عنه).
(٧) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٨) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

فهـذا لا يناقضـه الأمر بجهـاد من أمـر بجهـاده منهم، ولكن الأمـر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة.

وجوه الجمع بين مجـادلة أهـل الكتـاب وقتـــالهم

فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المـأمور بـه، فلا منافاة بينهما وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسـخ، ومعلوم أن كلًا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخـر، وأن استعمالهمـا جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق، ومما يبين ذلك وجوه:

أحـدهـا: أن من كـان من أهـل الـذمـة والعهـد والمستـأمن منهم لا يجاهد بالقتال، فهو داخـل فيمن أمر الله بـدعوتـه ومجادلتـه بالتي هي أحسن، وليـس هـو داخلًا فيمن أمر الله بقتاله.

الثاني: أنه قال:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ. . .﴾[1].

فـالظالم لم يؤمـر بجدالـه بالتي هي أحسن، فمن كـان ظـالمـاً[2] مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والـدين، فهو من هؤلاء الـظالمين الذين لا يُجَادَلُون بالتي هي أحسن، بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهـر منه ظلم، سواء كـان قصده الاسترشاد أو كـان يظن أنـه على حق يقصد نصر ما يظنه حقـاً، ومن كان قصـده العناد يعلم أنـه على باطـل ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلتـه بالتي هي أحسن، لكن قـد نجادلـه بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله.

الثالث: أنه ـ سبحانه[3] ـ قال:

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سقطت (ظالماً) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (سبحانه وتعالى).

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ . . . ﴾[1].

فهـذا مستجير مستـأمن وهو من أهـل الحرب أمــر[2] الله بإجـارته حتى تقوم حجة الله عليه، ثم يبلغه مأمنه وهذا في سورة بـراءة التي فيها نقض العهـود وفيها آيـة السيف، وذكر هـذه الآية في ضمن الأمـر بنقض العهـود؛ ليبين ــ سبحانـه ــ أنه مثـل هذا يجب أمـانـه حتى تقـوم عليـه الحجـة، لا تجوز محـاربتـه كمحـاربـة من لم يـطلب أن يبلغ حجـة الله عليه.

قـال عبد الـرحمن بن زيد بن أسلم[3]: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْـهُ مَـأْمَنَـهُ﴾: إن لم يـوافقه مـا نَقُصُّ عليـه ونخبـر بـه فـأبلغـه مــأمنـه قــال: وليس هـذا بمنسوخ[4].

وقال مجاهد[5]: من جاءك واستمـع ما أنـزل إليك فهـو آمن حتى

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦.

(٢) في جميع النسخ (أمره).

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، العدوي مولاهم، قال ابن حجر: مات سنة ١٨٢هـ. انـظر تـرجمتـه في تقـريب التهـذيب ١/٤٨٠(٩٤١)، وميـزان الاعتــدال ٢/٥٦٤، والتهذيب ٦/١٧٧.

(٤) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره للآية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ. . .﴾ الآية، في الجزء ١٠/٥٧ (مجلد ٦). أخـرجه بسنـده، قال: حـدثني يونس، قـال: أخبـرنا ابن وهب، قـال: قال ابن زيـد ــ يعني عبد الـرحمن بن زيـد بن أسلم ــ في قوله: ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ قال: إن لـم يوافقه ما تقول عليه، وتحدثه فابلغه. قال: وليس هذا بمنسوخ. وقد رجح هذا ابن جرير ــ رحمه الله ــ في تفسيره.

(٥) مجاهد بن جبر، أبو الحجـاج المكي، مولى بني مخـزوم، تابعي، مفسـر، من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مـرات، يقف عند كل آية، يسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال النووي: متفق على جلالتـه، =

يأتيك[1].

وقال عطاء[2] في الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد قال: تخيره[3] إما أن تقره، وإما أن تبلغه مأمنه.

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿... فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ...﴾[4].

قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب[5] أن يترجم له ما يقوم[6] به عليه الحجة،

= وإمامته، وله مناقب كثيرة مشهورة. ونقل الذهبي عن قتادة قوله: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد تنقل ــ رحمه الله ــ في الأسفار، ورحل، واستقر بالكوفة. ومات سنة ١٠١هـ وقيل ١٠٤هـ. راجع في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١، وتهذيب الأسماء واللغات ٨٣/٢، وتقريب التهذيب ٢٢٩/٢ (٩٢٢)، والبداية والنهاية ٢٢٤/٩.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٧/١٠ (مجلد ٦) بسنده عن مجاهد: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره**﴾. قال: إنسان يأتيك فيسمع ما تقول، ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن؛ حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء».
وأخرجه من طريق آخر بنحوه.

(٢) عطاء بن أبي رباح أبو محمد بن أسلم بن صفوان القرشي (مولاهم) المكي تابعي جليل مفتي أهل مكة ومحدثهم، ثقة، فقيه، لكنه كثير الإرسال، وُلد في خلافة عثمان سنة ٢٧هـ في (جند) باليمن، ونشأ بمكة، وكان فصيحاً كثير العلم. مات ــ رحمه الله ــ سنة ١١٤هـ.
انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١ (٩٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٩٩/٧، وميزان الاعتدال ٧٠/٣، وتقريب التهذيب ٢٢/٢، والبداية والنهاية ٣٠٦/٩.

(٣) في ط (خيره).

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

(٥) في س، ك، ط (لوجب).

(٦) في ط (تقوم) بالمثناة الفوقية.

ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ غـريبة ليست لغتـه، وجب أن يبين[1] له معنـاها، ولـو سمع اللفظ كمـا يسمعه كثيـر من النـاس ولم يفقـه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه[2]، فعلينا[3] ذلك.

وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه، كمـا كان النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتـاب أو المسلمين سؤالاً يوردونه[4] على القرآن. فإنـه كان يجيبـه[5] عنه كمـا أجـاب ابن الزبعـري[6] لما قـاس المسيح على آلهـة المشركين وظن أن العلة في الأصل بمجرد[7] كونهم معبودين، وأن ذلـك يقتضي كل معبـود غيـر الله فإنـه يعذب في الآخـرة، فجعل المسيـح مثلاً لآلهـة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع على الأصل[8].

---

(١) في ط (نبين).

(٢) الجملة من قوله: ﴿ولو سمع ــ إلى ــ فعلينا ذلك﴾ساقطة من س.

(٣) في س (فقلنا).

(٤) في ك (يؤذونه).

(٥) في ط (يجيبهم).

(٦) هو عبد الله بن الـزبعري ــ بتشـديد الـزاي مكسورة وفتـح الباء وإسكـان العين ــ بن قيس القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران. وقد ذكر ابن كثير أنه عاد إلى الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وأسلم وقال شعراً معتذراً فيما حصل منه.
انظر: البداية والنهاية ٤/٣٠٨ ــ ٣٠٩، ٣/٨٩؛ والأعلام ٤/٨٧.

(٧) في س، ك (مجرد).

(٨) أخرج الحاكم في التفسير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لها وَارِدُوْنْ﴾. قـال ابن الزبعري: عبد الشمس، والقمر، والملائكة، وعزير، فكل هؤلاء في النار مـع آلهتنا. فنـزلت: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَـا مُبْعَدُوْنْ﴾، ونـزلت ﴿وَلَمَّا ضُـرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَـلاً ــ إلى ــ خَصِمُـونْ﴾. قـال الحـاكم: هـذا حـديث صحيـح الإسنـاد ولم يخـرجـاه، ووافقـه =

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[1].

فبيَّن سبحانه الفرق المانع من الإلحاق بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[2].

وبين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلاً محضاً لا يوجب علماً؛ لأن الفرق حاصل بين الفرع والأصل، فإن الأصنام إذا جعلوا حصباً لجهنم، كان ذلك إهانة وخزياً لعابديها من غير تعذيب من لا يستحق التعذيب، بخلاف ما إذا عذب عباد الله الصالحون بذنب غيرهم، فإن هذا لا يفعله الله ـ تعالى ـ، لا سيما عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل ـ سلفهم وخلفهم ـ الذين يقولون: إن الله لا يخلق ويأمر إلاَّ لحكمة ولا يظلم أحداً فينقصه شيئاً من حسناته، ولا يحمل عليه سيئات غيره، بل ولا يعذب أحداً إلاَّ بعد إرسال رسول إليه، كما قال ـ تعالى ـ:

= الذهبي. المستدرك ٢/٣٨٥، وقد ورد في سيرة ابن هشام أنه لما ذكر ذلك لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان؛ ومن أمرهم بعبادته». فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى...﴾ الآية.

انظر سيرة ابن هشام ٢/٨ ـ ٩؛ وتفسير ابن كثير ٤/١٣١؛ وفتح القدير للشوكاني ٣/٤٣١، وقد عزاه إلى ابن مردويه والضياء في المختارة. وانظر لباب النقول للسيوطي ص ١٥٠. وانظر أسباب النزول للواحدي فقد أورده بسنده عن ابن عباس في ذكر سبب نزول آية ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ص ٢٣٠.

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

و[4] قال ـ تعالى ـ:

﴿ ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[5]،

ومن قال من المسلمين وغيرهم من أهل الملل: إنه يجوز منه ـ تعالى[6] ـ فعل كل شيء، وأن الظلم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة[7]، فهؤلاء يقولون: إنما يعلم ما يفعله وما لا يفعله بدلالة خبر الصادق أو بالعادة وإن كان الجمهور يستدلون بخبر الصادق وبغيره على ما يمتنع من الله.

---

(١) سورة طه: الآية ١١٢.

(٢) سورة الجن: الآية ١٣.

(٣) سورة النمل: الآية ٩٠.

(٤) سقطت الواو من جميع النسخ عدا ط.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٥.

(٦) سقطت من س، وأثبتت في ك في الهامش.

(٧) هذه مقالة القدرية، وأما أهل السنة فالظلم عندهم: هو وضع الشيء في غير موضعه والله ـ تعالى ـ عدل، ولا يضع شيئاً إلَّا في موضعه المناسب وهو سبحانه ـ لا يعاقب إلَّا من يستحق العقوبة، وأهل البر والتقوى لا يعاقبهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنْ﴾ سورة القلم: الآيتان ٣٥، ٣٦.

وقد بسط الشيخ ـ رحمه الله ـ هذه المسألة في مواضع كثيرة من كتبه ومنها جامع الرسائل ص ١٢١ ـ ١٤٢. بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. وفيه رسالة في معنى كون الرب عادلاً وتنزهه عن الظلم، وعَرْضٌ لأقوال الناس في ذلك وتقرير مذهب أهل السنة بالأدلة النقلية والعقلية.

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أن عباده الصالحين في الجنة لا يعذبهم في النار، بل يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، فضلاً أن يعاقبهم بذنب غيرهم(١) مع كراهية(٢) لفعلهم ونهيهم عن ذلك، ومن زعم أن لفظ(٣) «ما» كانت تتناول المسيح وأَخَّر بيان العام(*)، أو أجاب بأن لفظ «ما» لا يتناول إلا ما لا يعقل فالقولان(٤) ضعيفان، كما قد بسط في موضعه(٥).

وإنما المشركون عارضوا النص الصحيح بقياس فاسد، فبين الله ـ تعالى ـ فساد القياس وذكر الفرق بين الأصل والفرع.

وكذلك لما أورد بعض النصارى على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ . . . ﴾(٦) ظناً منه أن هارون هذا: هو هارون أخو موسى بن

---

(١) في س، ك (من غيرهم).

(٢) في ط (كراهته).

(٣) سقطت (لفظ) من أ.

(*) أي تأخير البيان عن وقت الخطاب.

(٤) في ط (بالقولان) وهو خطأ.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ١٦/٤٠ ـ ٤٣ و ١٤/٦٧؛ وانظر أيضاً كتابه النفيس درء تعارض العقل والنقل ٧/٥٦، ٥٩، وانظر كلاماً جيداً لشيخنا الدكتور زاهر بن عواض الألمعي في كتابه القيم مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٢٠٩ ـ ٢١٥ حيث فنَّد القول بأن (ما) لا تتناول إلَّا ما لا يعقل، وبين أن (ما) استعملت في الآية بلفظ العموم وأنه يدخل في عمومها كل ما عبد من دون الله فشمل كل طاغوت دعا الناس إلى عبادة نفسه أو رضي بذلك، وتدخل معبودات المشركين من الأصنام في هذا دخولاً أولياً، أما عيسى والعزير والملائكة وكل من عبد من دون الله بغير رضىً منه بذلك فإن نصوص الشرائع العامة، وأدلة العقل تخرجهم من هذا العموم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ سورة فاطر: الآية ١٨ سورة الأنعام: الآية ١٦٤ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ سورة التوبة: الآية ٩١.

(٦) سورة مريم: الآية ٢٨.

عمران، وأن عمران هذا: هو عمران أبو مريم أم المسيح، فسئل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن ذلك. أجاب: بأن هارون هذا ليس هو ذاك، ولكنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء[1] والصالحين.

وبعض جهال النصاري يقدح في القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المفرط في جهله أن آحاد الناس يعلمون أن بين موسى وعيسى مدة طويلة جداً يمتنع معها أن يكون موسى وهارون خالي المسيح، وأن هذا مما لا يخفى على أقل أتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فضلاً عن أن يخفى على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وهذا السؤال مما أورده أهل نجران، كما ثبت عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرأون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخبرته فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم؟»[2].

وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لمّا أورده[3] أهل نجران الكفار على رسول[4] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولم يجبهم

---

(١) سقطت الواو من أ، س.

(٢) رواه مسلم من حديث المغيرة مع اختلاف يسير في اللفظ، وليس فيه «ألا أخبرتهم» ولفظه «أنهم كانوا يسمونهم بأنبيائهم والصالحين قبلهم». رواه في الأداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان مايستحب من الأسماء. ٣/١٦٨٥ حديث رقم (٩) ورواه الترمذي بنحوه في التفسير/ باب من سورة مريم ٥/٣١٥؛ ورواه أحمد في مسنده ٤/٢٥٢.

(٣) في أ، س (أوردوه).

(٤) في س، ك، ط (على المغيرة..).

عنه أجاب عنه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولاً إلا والجهاد مأمور به.

وكان المسلمون يوردون الأسئلة[1] عليه كما أورد عليه عمر عام الحديبية لما صالح المشركين ولم يدخل مكة فقال له: ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أقلت لك أنك تأتيه في هذا العام؟» قال: لا قال: «فإنك آتيه ومطوف به»[2].

وكذلك أجابه أبو بكر ولم يكن سمع[3] جواب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ له، ومعلوم أنه ليس في ظاهر اللفظ توقيت ذلك بعام، ولكن السائل ظن ما لا يدل اللفظ عليه.

وكذلك لما قال «من نوقش الحساب عذب» قالت له عائشة: ألم يقل الله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4].

---

(١) في أ، س، ك (الأسئولة).

(٢) رواه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحروب، وكتابة الشروط. وهو قطعة من حديث طويل ساقه الإمام البخاري في نحو ست صفحات وفيه صلح الحديبية، وهو من حديث المسور بن مخرمة، ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه. قالا: خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق. وذكر الحديث بطوله.. في ٣/١٧٨ ــ ١٨٤ ورواه أحمد في مسنده ٤/ ٣٣٠؛ وفي ص ٣٣١.

(٣) في أ،ك (يسمع).

(٤) سورة الانشقاق: الآيتان ٧، ٨.

فقال: «ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب»[1].

ومعلوم أن الحساب اليسير لا يتناول من نوقش، وقد زادها بياناً، فأخبر أنه العرض لا المقابلة المتضمنة للمناقشة.

وكذلك لما قال: «إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». قالت له حفصة: ألم يقل الله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾[2].

فأجابها بأنه قال:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[3]، [4].

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن أبي مليكة، أن عائشة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلَّا راجعت فيه حتى تعرفه. وأن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال من حوسب عذب. قالت عائشة: فقلت؛ أوليس يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾. قالت، فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك». أخرجه البخاري في كتاب العلم/ باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ٣٤/١ وفي الرقائق / باب من نوقش الحساب عذب ١٩٧/٧. ورواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب ٢٢٠٤/٤(٢٨٧٦) بنحوه. ورواه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة إذا السماء انشقت ٣٣٥/٥ وقال هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في الجنائز ٤٧٢/٣. وأحمد في المسند في مواضع متعددة في ٤٧/٦ ـ ٩١ ـ ١٠٨، ١٢٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) سورة مريم: الآية ٧١.

(٣) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٤) رواه مسلم في الفضائل، باب من فضائل أصحاب الشجرة، ١٩٤٢/٤(٢٤٩٦) من حديث جابر عن أم مبشر، بلفظ أنها سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلَّا واردها»، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.

=

فبين ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ أن هؤلاء هم الــذيـن يــدخلون جهنم، وهذا الدخول هو الذي نفاه عن أهل الحديبية، وأما الورود: فهو مـرور الناس على الصـراط كما فسره في الحـديث الصحيـح: حـديث جـابر بن عبـد الله[1]، وهذا المـرور لا يطلق عليـه اسم الدخـول الـذي يجزي[2] به العصاة وينفي عن المتقين ومثل هذا كثير.

وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجـوابها، فهـذا كثير جداً، فإنه يجادلهم تارة في التوحيد، وتـارة في النبوات، وتـارة في المعــاد، وتـارة في الشــرائع بــأحسن الحجـج وأكملهــا، كما قــال ــ تعالى ــ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3].

= ورواه أبـو داود بنحـوه في السنـة بـاب في الخلفـاء ٥/٤١(٤٦٥٣)، والتـرمـذي في المنـاقب ٥/٦٩٥ وقـال حسن صحيـح. وأحمـد في المسنــد ٣/٣٥٠، ٦/٤٢٠، ٢٦٢؛ ورواه الخـطيب البغـدادي في الجـامـع لأخـلاق الـراوي وآداب الســامـع ٢/٢٩٢(١٨٩٢) ورواه ابن أبـي عاصم بنحوه في السنة/ باب ذكر الورود على النـار ٢/٤١٤(٨٦٠).

(١) هو الحديث الذي سبقت الإشارة إليه. وقد ورد أيضاً في صحيح مسلم حـديث آخر عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ وفيه زيادة توضيح وهو حديث طويل: أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمـان، باب أدنى أهـل الجنة منـزلةً فيهـا ١/١٧٧(٣١٦)؛ ورواه أحمد في المسند ٣/٣٨٣.

(٢) في ك، ط (تجزي) بالمثناة الفوقية.

(٣) سورة الفرقان: الآيتان ٣٢، ٣٣.

وقد أخبر ــ سبحـانه ــ في هـذه الآية أن الكفـار لا يأتـونه بقيـاس عقلي لباطلهم إلَّا جاءه الله بالحق، وجاءه من البيان والـدليل، وضـرب المثل بمـا هو أحسن تفسيـراً، =

وقد أخبر الله ــ تبارك وتعالى ــ عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار، فقال ــ تعالى ــ عن قوم نوح:

﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا . . . ﴾(١).

وقال عن الخليل:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ . . . ﴾.

إلى قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ . . . ﴾(٢)، (*).

وأمر ــ تعالى ــ محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالمجادلة بالتي هي أحسن، وذم ــ سبحانه ــ من جادل بغير علم أو في الحق بعدما تبين ومن جادل بالباطل، فقال ــ تعالى ــ:

﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ: ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ . . . ﴾(٤).

وقال ــ تعالى(٥) ــ:

= وكشفاً، وإيضاحاً للحق من قياسهم.
انظر مجموع الفتاوى ٤/١٠٦، وقد أفاض في بيان معنى التفسير في ٤/١١٥ ــ ١١٧.

(١) سورة هود: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ٨٠ ــ ٨٣.

(*) وهذه مجادلة شرعية، وقد تكون واجبة أو مستحبة، انظر درء تعارض العقل والنقل ٧/١٥٦، ١٦٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦.

(٥) سقطت (تعالى) من س، ك.

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[1].

وهذا هو الجدال المذكور[2] في قوله:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . .﴾[3].

وإذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره[4] الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغ[5] رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة؛ وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب[6].

---

(١) سورة غافر: الآية ٥.

(٢) وهذا الجدل نهى عنه الكتاب والسنة، وهو على أنواع:

١ ـ القول على الله بلا علم.

٢ ـ أن يقال على الله غير الحق.

٣ ـ الجدل بغير علم.

٤ ـ الجدل في الحق بعد ظهوره.

٥ ـ الجدل بالباطل.

٦ ـ الجدل في آياته.

وقد فصل المؤلف ـ رحمه الله ـ القول في هذا وساق الآيات القرآنية على كل نوع في كتابه درء تعارض العقل والنقل ١/٤٦ ـ ٤٨؛ وانظر الرد على المنطقيين للمؤلف ص٤٦٧ـ٤٦٨؛ وتحدث شيخنا الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ـ حفظه الله ـ في كتابه مناهج الجدل في القرآن الكريم عن الجدال الممدوح، والجدال المذموم والفرق بينهما في مبحث جيد ص ٤٤ ـ ٦٠.

(٣) سورة غافر: ٤.

(٤) في أ (أمر).

(٥) في ط (تبليغه).

(٦) هذه قاعدة أصولية مفادها أنه إذا توقف فعل المأمور به على شيء كان ذلك الشيء مأموراً به. فإن كان المأمور به واجباً كان ذلك الشيء واجباً، ومثاله: ستر العورة فإذا =

علم[1] بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ الأمر[2] بالمجادلة مطلقاً.

الوجه الرابع: إن القائل إذا قال: إن آية[3] مجادلة الكفار أو[4] غيرها مما يدعي نسخه منسوخة بآية السيف قيل له: ما تعني بآية السيف؟ أتعني آية بعينها أم تعني كل آية فيها الأمر بالجهاد؟

فإن أراد الأول، كان جوابه من وجهين:

أحدهما: أن الآيات التي فيها ذكر الجهاد متعددة، فلا يجوز تخصيص بعضها.

وإن قال: أريد قوله ــ تعالى ــ:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ . . . ﴾[5].

قيل له: هذه[6] في قتال المشركين، وقد قال بعدها في قتال أهل الكتاب:

= توقف على شراء ثوب كان ذلك الشراء واجباً. وإذا كان المأمور به مستحباً كان ذلك الشيء الذي لا يتم المأمور به إلاّ به مستحباً. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «وهذه القاعدة في ضمن قاعدة أعم منها، وهي: الوسائل لها أحكام المقاصد، فوسائل المأمورات مأمور بها، ووسائل المنهيات منهي عنها».
انظر كتاب الأصول من علم الأصول ص ٣١. وللاستزادة في هذا انظر مجموع الفتاوى ٢٠/١٥٩ ــ ١٦٠؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية لشيخنا الدكتور عبد العزيز السعيد القسم الثاني/ ٣٣.

(١) هذا جواب قوله: «وإذا كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يحاج الكفار»... «علم بطلان...».
(٢) في س، ك، ط (للأمر).
(٣) سقطت لفظة (آية) من أ ومن س وأثبتناها من ك، وهذا هو المناسب لسياق الكلام.
(٤) في أ (و).
(٥) سورة التوبة: الآية ٥.
(٦) في أ (هذا).

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(١).

فلو لم تكن آية السيف إلا واحدة لم تكن هذه أولى من هذه.

وإن قال: كل آية فيها ذكر الجهاد.

قيل له: الجهاد شرع على مراتب، فأول ما أنزل الله ـ تعالى ـ فيه الأذن(٢) بقوله:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾(٣).

فقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه أول آية نزلت في الجهاد(٤)، ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله:

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ . . . ﴾(٥).

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) في ط فيه (الأذن فيه).

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٤) ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره ١٢٣/١٧ (مجلد ٧) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. وفي زاد المسير لابن الجوزي عن ابن عباس قال: كان مشركو أهل مكة، يؤذون أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . . فانزل الله هذه الآية ﴿أذن للذين يقاتلون. . .﴾ الآية وهي أول آية أنزلت في القتال.

راجع تفسير ابن جرير ١٢٣/١٧(مجلد ٧)؛ وتفسير ابن الجوزي زاد المسير ٤٣٦/٥؛ والكشاف للزمخشري ١٥/٣؛ وتفسير أبي السعود ١٨/٤؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٧٧؛ والبداية والنهاية لابن كثير١٦٤/٣ (في بيعة العقبة الثانية) وتفسير ابن كثير ٢٢٥/٣؛ وفتح القدير للشوكاني ٤٥٦/٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[1].

وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقداً جائزاً غير لازم.

ثم أنزل[2] في «براءة» الأمر بنبذ العهود، وأمرهم بقتال المشركين كافة، وأمرهم بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ولم يبح لهم ترك قتالهم وإن سالموهم وهادنوهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم[3].

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٨٩، ٩٠.

(٢) في ك زيادة (تعالى).

(٣) من الجدير بالذكر أن تشريع الجهاد كان على مراحل ذكرها العلماء على النحو التالي:

أولاً: كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسلمون بمكة قلة، ولا قدرة لهم على مقاتلة الكفار فنزل النهي عن ذلك في أكثر من سبعين آية.

ثانياً: هاجر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وصحابته، إلى المدينة، وكثر أنصاره، وقويت شوكته، فأذن الله لهم في القتال، ونزلت أول آية في ذلك وهي قول الله ـ تعالى ـ: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾** الآية. قال العلماء: ولم يكن هذا أمراً وإيجاباً.

ثالثاً: أوجب الله قتال من قاتل المسلمين، دون من كف عنهم. قال ـ تعالى ـ: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا...﴾** الآية.

رابعاً: فرض الله في هذه المرحلة، وهي آخر مراحل تشريع الجهاد، فرض قتال المشركين كافة، حتى يكون الدين كله لله، قال ـ تعالى ـ: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ** =

فإن قال: آية السيف[1] التي نسخت المجادلة هي آية الأذن.

قيل. فآية الأذن نزلت في أول مقدمه المدينة قبل أن يبعث شيئاً من السرايا، وقد جادل ــ بعد هذا ــ الكفار[2].

وكذلك إن قيل: آيات فرض القتال قيل: فقوله[3]:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾[4].

نزلت في أول الأمر[5] قبل بدر. ولا ريب[6] أن الجهاد كان واجباً يوم أحد[7] ــــــــــــــــــــــــــــــــ

= لَا تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّه...﴾ الآية ٣٩: سورة الأنفال، ثم نزلت الآيات في ذلك [التوبة: ٥، ٣٦]؛ [والبقرة: ١٩٣] وغيرها. والله أعلم.

(١) في ط (للسيف).

(٢) قال بعض أهل العلم إن هذا الأذن كان بمكة والسورة مكية وقد رد ابن القيم رحمه الله هذا القول من عدة وجوه منها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة، وأن سياق الآية يدل على أن الأذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ [الحج: ٤٠]، وهؤلاء هم المهاجرون ثم ساق وجوهاً في كتابه القيم زاد المعاد ٣/٧٠ ــ ٧١.

(٣) في ط (كقوله). (٤) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٥) في س، ك، ط (نزلت في أول الأمر في سورة البقرة) مع تقديم وتأخير في العبارة في هذه النسخ، وما أثبتناه من أ.

(٦) في ط(وقيل ولا ريب).

(٧) أحد: وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة، بعد وقعة بدر الكبرى. وقد انكشف المسلمون فيها، وكانت يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله من أكرم فيها من المسلمين بالشهادة، حتى خلص إلى رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فرث بالحجارة، وأصيبت رباعيته، وشج وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه.

انظر في خبرها: ابن هشام ٢/٤٧؛ وابن سعد ٢/٣٦؛ وابن جرير ٢/٤٩٩ ــ ٥٣٣؛ وابن كثير ٤/٩؛ وزاد المعاد ٣/١٩٢؛ وصحيح البخاري ٥/٢٨.

والخندق[1] وفتح خيبر[2] ومكة[3]. وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد في هؤلاء المغازي، كما ذكر ذلك في سورة آل عمران والأحزاب، وإن[4] قيل بل الجدال إنما نسخ لما أمر بجهاد من سالم ومن لم يسالم.

قيل: هذا باطل، فإن الجدال إن كان منافياً للجهاد، فهو مناف لإباحته ولإيجابه ولو للمسالم، وإن لم يناف الجهاد لم يناف إيجاب الجهاد للمسالمين، كما لم يناف إيجاب جهاد غيرهم.

فإن المسالم قد لا يجادل ولا يجالد[5]، وقد[6] يجادل ولا يجالد، كما أن غيره قد يجالد ويجادل[7] وقد يفعل أحدهما.

---

(١) وقعت سنة خمس، تحزب فيها اليهود والمشركون من قريش وغطفان وغيرهم، وقد ضرب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الخندق على المدينة من جهة السهل بمشورة سلمان ـ رضي الله عنه ـ وانتصر فيها المسلمون بإذن الله، ونزل فيها جزء من سورة الأحزاب انظر في خبرها: ابن هشام ٢/١٢٧؛ وابن سعد ٢/٦٥؛ وابن جرير ٢/٥٦٤ ـ ٥٨١ وابن كثير ٤/٩٢؛ وزاد المعاد ٣/٢٦٩؛ وصحيح البخاري ٥/٤٤.

(٢) فتح خيبر: سنة سبع وسبقت الإشارة إليها.

(٣) فتح مكة: سنة ثمان، عندما نقض الكفار الصلح، بتظاهرهم مع بني بكر على خزاعة، الذين دخلوا في الحلف مع المسلمين، وبعد ذلك توجه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكتائب المسلمين، وكان الفتح العظيم.
انظر في خبره: ابن هشام ٤/٢٢ فما بعدها؛ وابن سعد ٢/١٣٤؛ وابن جرير ٣/٣٨ ـ ٦١ وابن كثير ٤/١٦٤ وزاد المعاد ٣/١١٩، ٢٨٦؛ وصحيح البخاري ٥/٦١.

(٤) في ط (فان).

(٥) في نسخة س (فإن المسالم قد لا يجالد ولا يجادل).

(٦) سقطت (قد) من أ.

(٧) في ط (يجادل ويجالد).

فإن[1] كان إيجابه لجهاد المحارب المبتدىء بالقتال لا ينافي مجادلته، فلأن يكون جهاد من لا يبدأ القتال لا ينافي مجادلته أولى وأحرى، فإن من كان أبعد عن القتال كانت مجادلته أقل منافاة للقتال ممن يكون أعظم قتالاً. يبين هذا:

الوجه الخامس: و[2] هو أن يقال المنسوخ هو الاقتصار على الجدال، فكان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده، فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً قال ـ تعالى ـ في سورة الفرقان وهي مكية:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[3].

وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار.

فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله ـ تعالى ـ بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت، وأمره بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال.

وأما مجاهدة الكفار باللسان، فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره،

---

(١) في ط (فإذا).

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة الفرقان: ٥١، ٥٢.

فإنه إذا شرع جهادهم باليد، فباللسان أولى، وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم»[1].

وكان ينصب لحسان منبراً في مسجده يجاهد فيه المشركين بلسانه جهاد هجو[2] وهذا كان بعد نزول آيات القتال، وأين منفعة الهجو من منفعة إقامة الدلائل والبراهين على صحة الإسلام وإبطال[3] حجج الكفار من المشركين وأهل الكتاب؟

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة، ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج إلى القتال، فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقاً وجوباً أصلياً.

وأما الجهاد: فمشروع للضرورة، فكيف يكون هذا مانعاً من ذلك؟

فإن قيل: الإسلام قد ظهرت أعلامه وآياته فلم يبق[4] حاجة إلى

---

(١) رواه أبو داوود في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو ٣/ ٢٢ (٢٥٠٤) من حديث أنس بن مالك ولفظه: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». ورواه النسائي في الجهاد، باب وجوب الجهاد بلفظه، من حديث أنس ٦/ ٧ ورواه أحمد ٣/ ١٥٣، ٢٥١، ١٢٤. وليس فيه لفظة (وبأيديكم). ورواه الدارمي في الجهاد/ باب جهاد المشركين باللسان واليد ٢/ ٢١٣ وفيه (وأنفسكم) بدل (بأيديكم) والمعنى واحد وقد صححه الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين/ كتاب الجهاد ص ٦٠٢ فقال: «رواه أبو داوود بإسناد صحيح». وكذلك صححه ابن حبان حديث (١٦١٨)؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٨١؛ كتاب الجهاد، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) سيأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ في المواضع التي ذكر المؤلف فيها الأحاديث صريحة في ذلك.

(٣) سقطت (وإبطال) من أ.

(٤) في ك، ط بالمثناة الفوقية.

إظهار آياته، وإنما يحتاج إلى السيف.

قيل: معلوم أن الله وعد بإظهاره على الدين كله ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان، فقال ــ تعالى ــ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[1].

وقد فسَّر العلماء ظهوره بهذا وهذا. ولفظ الظهور يتناولهما فإن ظهور الهدى بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل، والله ــ تعالى ــ أرسل[2] رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الذين كله.

ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعاً واختياراً بغير سيف؛ لما بان لهم من الآيات البينات، والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعاً، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى.

فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته، ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين، مع أن كثيراً من الكفار لم يقهره سيفه[3]، فكذلك كثير

---

(١) سورة الصف: الآية ٩.

(٢) في ك (أرسله بالهدي).

(٣) في س، ك (بسيفه).

من الناس لم يظهر لهم آياته وبراهينه، بل قد يقدحون فيه ويقيمون الحجج[1] على بطلانه، لا[2] سيما ـ والمقهور[3] بالسيف ـ فيهم منافقون كثيرون، فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان يؤكد هذا:

الوجه السابع: وهو أن القتال لا يكون إلا لظالم، فإن من قاتل المسلمين لم يكن إلا ظالماً معتدياً[4]، ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن إلا ظالماً.

وأما المجادلة فقد تكون لظالم: إما طاعن في الدين بالظلم، وإما من قامت عليه الحجة الظاهرة. فامتنع من قبولها، وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه.

و[5]إما من بلغه بعض أعلام نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودلائل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافي ذلك، فاحتاج[6] إلى جواب تلك المعارضات.

وإما طالب لمعرفة دلائل النبوة على الوجه الذي يعلم به ذلك.

فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعاً،

---

(١) في ط (حججهم).
(٢) في ط (ولا).
(٣) في ط (والمقهورون).
(٤) في ط (متعدياً).
(٥) سقطت الواو من ط.
(٦) أي: فهو محتاج إلى جواب تلك المعارضات.

فالمجادلة التي تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع[1] غيره مشروعة بطريق الأولى.

قال مجاهد[2]:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[3].

قال: الذين ظلموا: من قاتلك ولم يعطك الجزية، وفي لفظ آخر عنه قال: الذين ظلموا: منهم أهل الحرب من لا عهد لهم[4] المجادلة لهم بالسيف.

وفي رواية عنه قال: لا تقاتل[5] إلا من قاتلك[6] ولم يعطك[7] الجزية.

وفي رواية عنه قال: من أدى[8] منهم الجزية فلا تقولوا له[9] إلا خيراً، وعن مجاهد: إلا بالتي هي أحسن، فإن قالوا: شراً فقولوا: خيراً[10]. فهذا مجاهد لا يجعلها منسوخة وهي قول أكثرالمفسرين.

---

(١) في ط (وامتناع) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٢) في س: قال مجاهد: في قوله ــ تعالى ــ ... (٣) الآية من سورة العنكبوت: ٤٦.

(٤) في س، ك (له).

(٥) في س، ك (تقاتل) كما أثبتناه وفي ط (تقاتلوا).

(٦) في س، ك (قاتلك) وفي ط (قاتلكم).

(٧) في س، ك (يعطيك) وفي ط (يعط).

(٨) في س (من أعطى).

(٩) في ط(لهم).

(١٠) أخرج هذه الأقوال كلها عن مجاهد الإمام ابن جرير في تفسير آية: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...﴾ الآية من سورة العنكبوت: ٤٦ في ٢/٢١ (المجلد ٨) وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ إلى الفريابي وابن المنذر؛ وابن أبي حاتم. عن مجاهد.

قال عبد الرحمن بن [1] زيد بن أسلم:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ . . .﴾[2].

ليست منسوخة[3]، ولكن عن قتادة قال: نسختها: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولا مجادلة أشد من السيف[4].

والأول أصح[5]؛ لأن هؤلاء من الذين ظلموا فلا ________

---

(١) في ط(يزيد) وهو خطأ، وسبقت ترجمته.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده، وقال: حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ﴾. قال: ليست بمنسوخة... وذكر تمام الكلام في ٣/٢١ (مجلد ٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/٢١ (مجلد ٨) بسنده. قال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشد من السيف، أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أو يقروا بالخراج. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، وأبي داوود في ناسخه.

(٥) قال ابن جرير ــ رحمه الله ــ: «لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة. لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته، من فطرة وعقل. وقد بينا في غير موضع من كتابنا: أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه، بأنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل.
راجع تفسير ابن جرير ٣/٢١ مجلد ٨.
وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٧٦/٦؛ والقرطبي ٣٥٠/١٣ (مجلد ٧) وابن كثير ٤١٥/٣؛ والشوكاني ٢٠٥/٤؛ وفي ظلال القرآن ٢٧٤٥/٥.
قلت: وما رجحه ابن جرير، وابن تيمية هو قول أكثر المفسرين. وهو الذي يطمئن إليه القلب، فمجادلة الذين لم يظلموا من أهل الكتاب بالتي هي أحسن، هي التي يتم بها تقرير الحق، ودحض الباطل، وإزالة الشبهات، وإقامة الحجة؛ وإقناع الآخرين بضرورة الأخذ بدين الإسلام، والتنبيه على حججه وبراهينه. فإنه لا نجاة ولا طمأنينة إلا به، إذن فالمجادلة أمر مطلوب، على سبيل الدعوة إلى الله، وذلك =

نسخ[1].

ومما يعجب منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلائل النبوة نجده[2] هو ومن يعظمه من شيوخه الذين يعتمد في أصول الدين على نظرهم ومناظرتهم، ويزعمون أنهم قرروا دلائل النبوة قد[3] أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين.

وهم كما مثلهم الغزالي[4] وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها، وكثير من أئمة هؤلاء مضطرب في الإيمان بالنبوة اضطراباً ليس هذا موضع بسطه[5]، وهم مع ذلك يدعون

= مع من لم يظلم منهم، بأن نصب القتال، وأعلن العداء، فجدال هؤلاء بالسيف حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون، والله أعلم.

(١) من قوله: قال مجاهد... إلى قوله فلا نسخ. ساقط من أو ألحقناه من باقي النسخ.

(٢) في ك (تجده) بالمثناة الفوقية.

(٣) في أ (وقد) بزيادة واو، وما أثبتناه من سائر النسخ أولى.

(٤) هو محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، يكنى بأبي حامد، والغزالي، نسبة إلى غزالة، من قرى طوس. والغزالي فيلسوف، متصوف، ولد سنة ٤٥٠هـ في طوس بخراسان، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فالشام فمصر؛ ثم عاد إلى بلده ومات بها سنة ٥٠٥هـ.

له مصنفات كثيرة. منها: إحياء علوم الدين. في أربعة مجلدات، والاقتصاد في الاعتقاد؛ وتهافت الفلاسفة، وغيرها.

راجع في ترجمته: الوافي بالوفيات ١/٢٧٧؛ ووفيات الأعيان ٤/٢١٦؛ وشذرات الذهب ٤/١٠؛ والعبر في خبر من غبر ٤/١٠.

(٥) يعني المؤلف ــ رحمه الله ــ بهؤلاء الفلاسفة الذين رد عليهم أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة.

أنه قد ظهر عند أهل الكتاب ما لم يظهر عند شيوخ هؤلاء النظار وينهون عن إظهار آيات الله وبراهينه التي هي غاية مطالب مشايخهم وهم لم يعطوها حقها، إما عجزاً وإما تفريطاً.

الوجه الثامن(١): أن كثيراً من أهل الكتاب يزعم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف لا بالهدى والعلم والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة فقيل لهم: ليس لكم جواب إلا السيف، كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، وأنه ليس دين رسول من عند الله، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف(٢).

---

(١) في أ (السابع) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) شبهة قيام الإسلام وانتشاره بالسيف شبهة يرددها الخصوم إلى اليوم. وهي متهافتة عند من له أدنى علم بتاريخ المسلمين وحروبهم، والجواب عنها يتلخص في النقاط التالية:

أولاً: أنه إنما جاهد المسلمون ليدفعوا عن أنفسهم الأذى والفتنة؛ وليحقق لهم الأمن على أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم. فالقتال إنما هو لتقرير حرية العقيدة.

وثانياً: لتقرير حرية الدعوة إلى الله. فلقد جاء الإسلام بأرقى نظام للحياة البشرية، وعندما يبلغ هذا النظام إلى أسماع البشر فمن شاء بعد البلاغ والبيان فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين. ولكنه ينبغي إزالة العقبات والحواجز في طريق هذا الدين.

ثالثاً: ثم جاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص، ويقرره، ويحميه وهو وحده الذي يكفل للإنسان الحرية التامة تجاه أخيه الإنسان حينما يقرر أن العبودية لله وحده، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : «لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناقه عقيدة، ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه إنما جاهد ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً. . . وكانت قوة الإسلام ضرورية لوجوده، وانتشاره، واطمئنان أهله على عقيدتهم، واطمئنان من يريدون اعتناقه على أنفسهم، وإقامة هذا النظام الصالح، وحمايته، ولم يكن الجهاد =

الوجه التاسع[1]: أنه من المعلوم أن السيف ــ لا سيما سيف المسلمين وأهل الكتاب ــ هو تابع للعلم والحجة، بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم، والسيف[2] من جنس العمل، والعمل ــ أبداً ــ تابع للعلم والرأي.

وحينئذ فبيان دين الإسلام بالعلم وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام، واجتناب لأصل غيره من الأديان التي يقاتل عليها أهلها، ومتى ظهر[3] صحته وفساد غيره كان الناس أحد رجلين:

إما رجل تبين له الحق فاتبعه، فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل.

وإما رجل لم يتبعه، فهذا[4] قامت عليه الحجة: إما لكونه لم ينظر في أعلام الإسلام، أو نظر وعلم فاتبع هواه، أو قصر.

وإذا قامت عليه الحجة كان أرضى لله ولرسوله وأنصر لسيف الإسلام وأذل لسيف الكفار، وإذاقدر أن فيهم من يعجز عن فهم الحجة، فهذا إذا(*) لم يكن معذوراً مع عدم قيامها فهو مع قيامها أولى أن لا يعذر، وإن كان معذوراً مع قيامها فهو مع عدمها أعذر، فعلى

= أداة قليلة الأهمية، ولا معدومة الضرورة في حاضره، ومستقبله، كما يريد أخبث أعدائه أن يوحوا للمسلمين...».

انظر في ظلال القرآن ١/٢٩٥ وله حديث في هذا جيد من ص ٢٩٣ إلى ص ٢٩٦.

(١) في أ (الثامن) وهو خطأ صححناه من سائر النسخ.

(٢) في ك (فالسيف).

(٣) في ط (ظهرت).

(٤) في ط (فهذا رجل).

(*) في ط (إذاً) ولا يستقيم الكلام بذلك.

التقديرين قيام الحجة أنصر وأعذر، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1] .

وقال[2] ـ تعالى ـ :

﴿ . . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾[4] .

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين»[5] .

• • •

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٢) في ك (وقد قال) وفي ط(قال) بدون (واو) وبدون (قد).

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٥ وقد جاءت في ط، من أولها: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين . . . الآية﴾.

(٤) سورة المرسلات: الآيتان ٥، ٦.

(٥) هذا قطعة من حديث ورد في صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا شخص أغير من الله برواية المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ ٨/١٧٤؛ ورواه مسلم في كتاب اللعان ٢/١١٣٦ (١٧)؛ ورواه في التوبة/ باب غيرة الله تعالى؛ من طرق متعددة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ٤/٢١١٤؛ ورواه أحمد من حديث المغيرة في المسند ٤/٢٤٨.

فصل

من أدلّة عموم رسالة محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ١ ـ إسلام النجاشي رحمه الله

وكان قبل قصة نجران قد آمن به[١] كثير من اليهود[٢] والنصارى رؤساؤهم وغير رؤسائهم[٣] لما تبيَّن لهم أنه رسول الله إليهم: كما آمن به النجاشي ملك الحبشة، وكان نصرانياً هو وقومه، وكان إيمانه به في أول أمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما كان أصحابه مستضعفين بمكة[٤]، وكان الكفار يظلمونهم ويؤذونهم ويعاقبونهم على الإيمان بالله ورسوله، فهاجر منهم طائفة مثل عثمان بن عفان، وعبد الرحمن[٥] بن عوف، والزبير بن العوام[٦]، وعبد الله بن مسعود[٧]، وجعفر بن

---

(١) في ك، ط (بالنبي).

(٢) سقطت (اليهود) من أ.

(٣) في ك (رؤساهم وغير رؤساهم) وفي أ، س (رؤسهم وغير رؤسهم).

(٤) سقطت (بمكة) من أ.

(٥) عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو عنهم راضٍ، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، كان باذلاً ماله في سبيل الله مات سنة ٣٢هـ .
راجع الاستيعاب ٢/٣٨٥؛ والإصابة ٢/٤٠٨ (٥١٨١)؛ والتهذيب ٦/٢٤٤.

(٦) الزبير بن العوام القرشي الأسدي. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة. وأول من سل سيفاً في سبيل الله. وورد في البخاري ٤/٢١١؛ ومسلم ٤/١٨٧٩، أنه حواري رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ .
راجع: الاستيعاب ١/٥٦٠؛ والإصابة ١/٥٢٦؛ والتهذيب ٣/٣١٨؛ والرياض المستطابة ٧٤؛ وصحيحي البخاري ومسلم ٤/٢١٠، ٤/١٨٧٩.

(٧) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد =

أبـي طالب[1]، وغيرهم من الـرجال والنسـاء إليه[2] وكـان ملكاً عـادلاً، فأرسل الكفار خلفهم رسلاً[3] بهدايا ليردهم[4] إليهم. فامتنـع من عدلـه أن يسلمهم إليهم حتى يسمع كلامهم، فلما سمع كلامهم وما أخبـروه به من أمـر النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ آمن بـالنبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وآواهم.

ولما سمع القرآن قال: إن هـذا والذي جـاء به مـوسى ليخرج من مشكـاة واحدة. ولمـا سألهم عن قـولهم في المسيـح ــ عليـه السـلام ــ قالوا: نشهد أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـريم العذراء البتـول التي لم يمسهـا رجل[5]، فقـال النجـاشي لجعفـر بن أبـي طـالب: والله ما زاد عيسى بن مريم على ما قلت هذا العـود فنخرت أصحـابه، فقـال: وإن نخرتم، وإن نخرتم[6]. وبعث ابنه وطائفـة من أصحابـه إلى النبـي

= المشاهد كلها، ولازم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحدث عنه كثيراً، كان فقيهـاً من فقهاء الصحابة، وقارئاً وهو أحد العشرة، وأحد الستة. ومناقبه كثيـرة جداً، مـات سنة ٣٢هـ بالمدينة.

راجـع: الاستيعـاب ٢/٣٠٨؛ والإصـابـة ٢/٣٦٠؛ والتهـذيب ٦/٢٧؛ وصحيح البخاري ٤/٣١٨؛ وصحيح مسلم ٤/١٩١٠.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سقطت (إليه) من أ، س، وزدناها من ك لكـون السياق يقتضي ذلـك وجاءت في ط (إلى بلده).

(٣) في ك، ط (رسلاً إلى أرض الحبشة، أرض النجاشي)، وهي زيادة يستغنى عنها.

(٤) في س (ليردوهم).

(٥) في أ (فحـل) والفحل الـذكر من كـل حيوان جمعـه فحول ورجـل فحيـل فحـل بين الفحولة والفحالة، وفحل فحيل كريم منجب في ضرابه.

انـظر: القـامـوس المحيط ٤/٢٨، بـاب الـلام، فصـل الفـاء والمصبـاح المنيـر ٢/٦٣٣ ــ ٦٣٤.

(٦) سقطت (الجملة الثانية) من س، ونخر (بفتح النون والخاء) ينخر نخيراً: مد الصوت في خياشيمه. =

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع جعفر بن أبي طالب، وقدم جعفر على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عام خيبر[1]، وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ، كأحمد بن حنبل في المسند[2]، وابن سعد في الطبقات[3]، وأبي نعيم في الحلية[4] وغيرهم، وذكرها أهل التفسير، والحديث، والفقه، وهي متواترة عند العلماء.

قال أحمد: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعيد[5]، عن أبيه[6] قال: حدثنا محمد بن إسحاق[7]، حدثني محمد بن مسلم بن عبد

= انظر: القاموس المحيط، باب الراء، فصل النون ٢/١٣٩.

(١) هذا كله من أول الفصل إلى هذا الموضع، إجمال من الشيخ ـ رحمه الله ـ لهذه الأحداث التي حدثت في السيرة، سيورد تفصيلاً لبعضها فيما بعد.

(٢) رواها الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنه ـ ١/٢٠١، ٢٠٣، وسيأتي تخريجها عند ذكر الشيخ لها بعد أسطر قليلة وكذلك ترجمة رجال السند.

(٣) رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/٢٠٧.

(٤) رواها أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي بردة عن أبيه؛ وذكر القصة بتمامها في ١/١١٤ ـ ١١٧ (ط دار الكتاب العربي)؛ كذلك رواها في دلائل النبوة ص ١٩٩ ـ ٢٠٣.

(٥) في ك (سعد)، وهو خطأ ويعقوب هو: يعقوب بن إبراهيم بن سعيد الزهري، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٢/٣٧٤ (٣٦٩): «ثقة فاضل مات سنة ٢٠٨.
وانظر تهذيب التهذيب ١١/٣٨٠.

(٦) إبراهيم بن سعيد الزهري. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٣٥ (٢٠٢): «ثقة حجة؛ تكلم فيه بلا قادح مات سنة ١٨٥هـ».

(٧) محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي مولاهم. نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة. مات سنة ١٥٠هـ. وقيل بعدها.
تقريب التهذيب ٢/١٤٤ (٤٠)؛ وميزان الاعتدال ٣/٤٦٨؛ وتهذيب التهذيب ٩/٣٨ ـ ٤٦.

الله بن شهاب الزهري[1]، عن أبي بكر[2] بن عبد الرحمن بن الحارث بن[3] هشام المخزومي، عن أم سلمة[4] بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ـ ورضي الله[5] عنها ـ قالت[6]: لما نزلنا[*] أرض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم[7] فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته[8] بطريقاً إلاَّ أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. فقيه حافظ متقن وسبقت ترجمته كاملة.
(٢) أبو بكر قيل اسمه محمد وقيل المغيرة، وقيل أبو بكر اسمه. ثقة فقيه عابد، مات سنة ٩٤هـ. انظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٨ (٥٤).
(٣) سقطت (ابن) من س.
(٤) أم سلمة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة، المخزومية. أم المؤمنين، تزوجها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة ماتت سنة ٦٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦١٧؛ والإصابة ٤/٤٠٧ (١٠٩٢)؛ والاستيعاب ٤/٤٠٥؛ حاشية الإصابة.
(٥) سقط لفظ الجلالة من أ، ط.
(٦) في أ، س زيادة (أنها) وليست في المسند.
(*) رجال السند كلهم رجال الصحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٤، ٢٧: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».
وانظر: الفتح الرباني ٢٠/٢٢٩ وفيه قال: (الحديث صحيح).
(٧) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ، وجمعه أدم بفتحتين أو ضمتين.
انظر المصباح المنير ١/١٢.
(٨) البطارقة: جمع بطريق، والبطريق قال في القاموس المحيط ٣/٢١٤، باب القاف فصل الباء: القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل، وجاء في تفسير =

المخزومي[1]، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي[2]، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا[3] إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بطريق إلَّا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: أنه قد صبأ[4]

= غريب الحديث لابن حجر ص ٣٥ أنه الحاذق بالحرب بلغة الروم.

قلت: هذا معنى من معانيه، والمعروف أنه يعني عند النصارى مرتبة دينية هي عندهم ــ بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب لنا، (والمطارنة) كالقضاة، (والأساقفة) كالمفتين (والقسيسون) كالقراء، (والجاثليق) كإمام الصلاة، (والشمامسة) كالمؤذنين والقائمين بالمساجد. انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١٢٧، ١٢٨.

(١) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي؛ والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور. كان اسمه بجيراً، بالموحدة والجيم المعجمة مصغراً فغيره النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أسلم يوم الفتح؛ وكان من أحسن قريش وجهاً. ولاه عمر على اليمن واستمر على ذلك في عهد عثمان، ثم لما حصر عثمان ــ رضي الله عنه ــ جاء لينصره، فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات ــ رضي الله عنه ــ.

راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٢٨٩؛ هامش الإصابة؛ والإصابة ٢/٢٩٧؛ والتهذيب ٥/٢٠٨.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل القرشي، السهمي. أسلم قبل الفتح في صفر سنة ٨هـ. وقيل: بين الحديبية وخيبر. كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقربه، ويدنيه، وتولى غزوة ذات السلاسل ثم استعمله على عمان، افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب، ومنبج، وأنطاكية؛ وولاه عمر فلسطين. ثم تولى أمرة مصر، وهو الذي افتتحها. وكان من دهاة العرب المعدودين. مات ــ رضي الله عنه ــ سنة ٤٣هـ بعد عمر دام ٩٠ سنة.

راجع: الاستيعاب ٢/٥٠١؛ والإصابة ٣/٢ ــ ٣؛ والتهذيب ٨/٥٦ ــ ٥٧.

(٣) في أ، س، ك (ادفعوا) وصححناه من المسند، و ط.

(٤) صبأ أي: خرج من دين إلى دين، مهموز وقد يسهل. انظر المصباح المنير ١/٤٥٤؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ١٣٩ ــ ١٤٠.

إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم[1] لنردهم إليهم، * فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا[2] * عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم[3]، فإن قومهم أعلى بهم عيناً[4]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم ثم إنهما قرَّبا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له[5]: (أيها الملك، إنه قد صبا[6] إلى بلدك منا[7] غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع[8] لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم[9]، فهم أعلا بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه)[10].

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة[11] وعمرو بن العاص[12] من أن يسمع النجاشي كلامنا.

---

(١) في جميع النسخ زيادة ليست في المسند (قومهم من آبائهم وأعمالهم وعشائرهم).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من جميع النسخ وهو في المسند.
(٣) جملة (فتشيروا عليهم أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم) ساقطة من أ، س.
(٤) أعلى بهم عيناً. أي: أبصر بهم، فعينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم. انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٧.
(٥) جملة (ثم كلماه فقالا له) ساقطة من أ، س.
(٦) في جميع النسخ (ضوى)، وما أثبتناه من المسند.
(٧) في جميع النسخ (منك)، صوابه ما أثبتناه من المسند.
(٨) في جميع النسخ (ابتدعوه)، وما أثبتناه من المسند.
(٩) في جميع النسخ (عليهم)، وصوبناه من المسند.
(١٠) ما بين القوسين ساقط من أ، س.
(١١) سبقت ترجمته. (١٢) سبقت ترجمته.

فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرادهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت[1]: فغضب النجاشي، ثم قال لا ها[2] الله أيم الله إذاً لا أسلمهم إليهما ولا أكاد[3] قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه[4]؟ قالوا[5]: نقول: والله ما علمنا وما أمرنا[6] به نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه * زاد أبو نعيم[7] * وقد دعى النجاشي أساقفته

---

(١) في جميع النسخ وفي المسند (قال)، وما أثبتناه من ط، أصح لأن الراوية أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) سقطت (ها ولفظ الجلالة) من ط ومكانها (و)، والصواب ما أثبته من سائر النسخ ومن المسند؛ ولاه الله الخلق خلقهم، كأنه يقسم بخالق الخلق، (وأيم الله) من ألفاظ القسم كقولك لعمر الله وعهد الله.
انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٧.

(٣) بضم الهمزة، فعل مبني للمجهول، أي: ولا يقدر أحد على أن يكيدني بسبب منعهم، والمعنى أنه لا يسلمهم أبداً، ولا يهمه في ذلك شيء، ولا يخشى أن يلقى فيه كيداً.
انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

(٤) في ط (إذا أجبتموه).

(٥) في أ، ط (قال)، وصوابه ما أثبتناه من س، ك، وهو الموافق للمسند.

(٦) في جميع النسخ (جاء)، وما أثبته من المسند.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من أ، وأثبتناه من سائر النسخ وليس في المسند.

ومعهم[1] مصاحفهم حوله[2]، فلما جاءوه[3] ـ فسألهم فقال: ما هذا الدين الذي[4] فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟[5].

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال:

أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، نخلع ما كنا نحن نعبد[6] وآباؤنا[7] من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات[8]، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة[9]، والصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به

---

(١) سقطت (معهم) من أ.
(٢) سقطت (حوله) من س.
(٣) سقطت (فلما جاءوه) من س، ك.
(٤) سقطت (الذي) من ط.
(٥) في ط (الأمة).
(٦) في ط (نعبد نحن).
(٧) في أ، س (وأبانا) وفي ط وأباءنا، والصواب ما أثبتناه من ك.
(٨) في ط (المحصنة).
(٩) سقطت (والزكاة) من ط.

شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا[1] علينا قومنا فعذبونا[2] وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن[3] عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له[4] النجاشي: فأقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم:

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ
أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ
رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ
سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ
مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن
قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ
ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن
سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾

---

(١) في ط (فعدنا) وهو تحريف.
(٢) في ط (فعذبوا).
(٣) في أ (من).
(٤) سقطت له من (ط).

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ
ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا
رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ
يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ
ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ
سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي
وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ
ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ
كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ
حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ
يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ
مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾[1] .

(١) سورة مريم: الآيات ١ ــ ٤٠. =

قالت أم سلمة ــ رضي الله عنها[1] ــ فبكى ــ والله ــ النجاشي حتى أخضل[2] لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من[3] مشكاة واحدة[4]، ثم قال لعبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرج من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده، ثم استأصل به خضراءهم[5].

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ــ وكان أتقى الرجلين فينا ــ لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في

= ولم ترد الآيات في المسند وإنما اكتفي فيه بقوله: «فقرأ عليه صدراً من سورة مريم، كهيعص». ولعل الشيخ ــ رحمه الله ــ ذكرها لأنه يقرأ كتابه هذا المسلم وغير المسلم. فلعل غير المسلم ــ وخصوصاً النصارى ــ الذين ألف هذا الكتاب من أجل الرد عليهم؛ لعلهم يقرأون بعين الإنصاف فيهتدون إلى دين الإسلام الذي لم يغمط المسيح ــ عليه السلام ــ ولا أمه الطاهرة حقها، بل وضعهما في المنزلة العالية اللائقة بهما، ولم يتجاوز الحدود كما فعلت النصارى.

(١) سقطت جملة (رضي الله عنها) من ك.

(٢) أي: بلها بالدموع.

(٣) سقطت (من) من ط.

(٤) قوله: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»، سبق تخريجه في أول الكتاب.

(٥) في أ، ط (حضراهم) بإهمال الخاء المعجمة، وصوابه ما أثبته من س، ك، والمسند (بالخاء والضاد المعجمتين وألف ممدودة وهمزة بعد الألف)، أي: دهماءهم، وسوادهم. انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها[1]، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ فيه ما قاله الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي يده إلى[2] الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدى عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، والسيوم: الآمنون. من سبكم غرم. ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبراً[3] ذهباً وإني[4] آذيت رجلاً منكم ـ والدبر بلسان الحبشة: الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

(١) مثلها أي: شدة مثل هذه الشدة.

(٢) في ط (على).

(٣) في أ، ط (ديراً) بالمثناة التحتية وصححناه من س، ك، وهو الباء الموحدة، هذا هو الصواب وهو بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة، وقد سألت واحداً من أهل تلك البلاد، فأفاد أن الدبر ـ بالباء الموحدة ـ تعني الجبل في لغتهم فوافق قوله ما ذكر في المسند.
وانظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

(٤) في أ، ك (وأن).

قـالت: فخرجـا[1] من عنده مقبـوحين مردود عليهمـا ما جـاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به. يعني: من ينازعه في ملكه.

قالت: فوالله مـا علمنا حـزناً قط كـان أشد من حـزن حزنـاه، عند ذلـك تخوفنـا أن يظهـر ذلك على النجـاشي فيأتي رجـل[2] لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

وروى عبـد الله بن عامـر بن الزبيـر[3]، عن أبيـه قـال: لمـا نـزل بالنجاشي عـدوه من أرضه جـاء المهاجـرون فقالـوا: إنا[4] نحن نخـرج إليهم فنقاتل معك وترى جـزاءنا[5] ونجـزيك بمـا صنعت بنـا فقـال: ذو ينصره الله خير من الذي ينصره الناس، يقول: الذي ينصره الله خيـر من الذي ينصره الناس فأبـى ذلك عليهم.

(رجعنـا إلى) حديث أم سلمـة قالت: وسـار النجاشي ــ وبينهمـا عـرض النيـل ــ قـالت: فقـال أصحــاب رسـول الله ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

---

(١) في س (فخرجنا) وهو خطأ.
(٢) في ط (رجلاً).
(٣) اتفقت النسخ كلها على هـذا الاسم، ولم أقف عليه. فلعله انقلب على النسـاخ وهو عامر بن عبد الله بن الزبيـر بن العوام، وقـد وردت الإشارة إليـه في تاريـخ خليفة بن خياط في موضعين منه ص ٥٢٤، ص ٥٣٢، وفيه ذكر اسمه وتاريخ وفاته وأنـه مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٢١هـ . كما ورد أيضاً في طبقات ابن سعد ١٨٣/٥. ولم أقف عليه في البداية والنهاية، ولا في غيره مما اطلعت عليه من كتب التراجم.
أما أبوه فهو الصحابـي الجليل الزبير بن العوام، وقد سبقت ترجمته.
(٤) سقطت (إنا) من س، ك.
(٥) في ط (حربنا).

قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا.

قالت: وكان من أحدث القوم سناً، قالت: فنفخنا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده.

قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعين لما هو كائن إذ طلع الزبير[1] يسعى ويلوح بثوبه ويقول. ألا أبشروا قد ظهر النجاشي وقد أهلك الله عدوه.

فوالله[2] ما علمت فرحنا فرحة مثلها قط.

قالت: فرجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده واستوثق[3] عليه أمر الحبشة، فكنا[4] عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[5].

وقد روى جمل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى[6].

---

(١) في ط (الزبير بن العوام).

(٢) في ك، ط (قالت: فوالله).

(٣) في ك، س، ط (واستوسق).

(٤) في ك (وكنا).

(٥) انظر مسند الإمام أحمد ١/٢٠١ ـ ٢٠٣، وتقدم الحكم على رجال السند في أول الحديث، عند الترجمة لهم.
ووردت أيضاً في ٥/٢٩٠ ـ ٢٩٣، من المسند.
وفي سيرة ابن هشام ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢.

(٦) رواه أبو داود عن أبي موسى ـ مختصراً ـ في كتاب الجنائز، باب في الصلاة على =

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى[1] قال: بلغنا مخرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه: أنا وأخوان لي أنا أصغرهما في اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، قال جعفر: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعثنا وأمرنا ـ يعني بالإقامة ـ فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً. قال[2]: فوافقنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حين فتح خيبر فأسهم لنا منها، وما قسم لأحد غائب عن فتح خيبر غيرنا إلَّا لمن شهد معنا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم.

قال: فلما رأى ناس من الناس يقولون لنا ـ يعني أهل السفينة ـ سبقناكم[3] لهجرة، قال: ودخلت أسماء بنت عميس[4] ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة[5] زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن

= المسلم يموت في بلاد الشرك ٣/٥٤٣ (٣٢٠٥).
وأخرجها الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، من حديث أبي موسى الأشعري. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر المستدرك ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠ (كتاب التفسير).

(١) في س، ك (من حديث أبي موسى، عن أبي موسى).
(٢) في ك (حتى قدمنا جميعاً على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ... إلخ).
(٣) في أ، س، ك (سبقنا لهم) وهو تحريف، وصححناه من صحيح البخاري ٥/٨٠.
(٤) أسماء بنت عميس الخثعمية، أخت ميمونة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأمها. أسلمت قبل دخول دار الأرقم، وبايعت، ثم هاجرت مع المهاجرين إلى أرض الحبشة، مع زوجها جعفر بن أبي طالب؛ فولدت له هناك أولاده. ولما استشهد تزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.
راجع: الاستيعاب ٤/٢٣٠؛ والإصابة ٤/٢٢٥؛ والتهذيب ١٢/٣٩٨.
(٥) حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية. أم المؤمنين، تزوجها النبي ـ صلَّى الله عليه =

هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء. من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، فقال عمر: الحبشية هذه[1]؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم: فقال عمر سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ فغضبت وقالت: يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في أرض البعداء البغضاء[3] بالحبشة، وذلك في الله ــ تبارك وتعالى ــ ، وفي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأسأله، و[4]الله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قالت: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا، قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : فماذا

= وسلَّم ــ بعد خنيس بن حذافة السهمي سنة ٣هـ. وقيل: ٢هـ. قيل: ولدت قبل المبعث بخمسة أعوام، وتوفيت ــ رضي الله عنها ــ سنة ٤٥هـ.

راجع: الاستيعاب ٤/٢٦٠؛ والإصابة ٤/٢٦٤؛ والتهذيب ١٢/٤١٠، والرياض المستطابة ص ٣١٢.

(١) سقطت (هذه) من ك.

(٢) في ط (منكم).

(٣) في جميع النسخ (البعد البغضاء)، وصوابه ما أثبتناه من الصحيحين «البعداء» بضم الباء الموحدة وفتح العين المهملة وألف ممدودة وكذلك «البغضاء» بضم الباء الموحدة وفتح الغين المعجمة وألف ممدودة.

قال العلماء: البعداء في النسب، والبغضاء في الدين. لأنهم كفار إلَّا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم.

(٤) سقطت (الواو) من ط.

قلت لـه؟ قالت[1]: قلت كـذا وكذا، قـال: «ليس بـأحق بـي منكم ولـه ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني[2] أرسالاً[3] يسألوني عن هذا الحديث مـا من الدنيـا شيء هم به أفـرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

قال أبو بردة[4]: قالت أسماء: فلقد رأيت أبـا موسى وإنـه ليستعيد هذا الحديث مني. أخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم[5].

وأخـرجا[6] في الصحيحين عن أبـي هـريرة أن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه

---

(١) في س (قال) وهو خطأ.

(٢) في س، ك، ط (يأتوني).

(٣) إرسالاً أي: أفواجاً، فوجاً بعد فوج.

(٤) أبو بردة بن أبـي موسى الأشعري. اسم أبـي بردة: الحارث، وقيل: عامر. وقيـل: اسمه كنيتـه، وثقه العجلي، وابن حبـان، وابن سعد، وغيـرهم. وهو فقيـه، عـالم، كثير الحـديث. تولى قضـاء الكـوفـة قبـل الشعبـي في زمن الحجـاج، ولـد لأبـي موسى عندما كان أميراً على البصرة من قبل عمر، ومات سنة ١٠٣هـ . وقيل: ١٠٤هـ . وعمره ٨٢ سنة.
راجـع: البدايـة والنهـايـة ٢/٣٩٤؛ وتهـذيب التهـذيب ١٢/١٨ ــ ١٩؛ والتقـريب ٢/٣٩٤؛ والأعلام للزركلي ٣/٢٥٣.

(٥) أخــرجه البخــاري في صحيحـه عن أبـي مــوسى ــ رضي الله عنـه ــ في كتــاب المغازي/ باب غزوة خيبر ٥/٨٠؛ ورواه مختصـراً في مناقب الأنصـار، باب هجـرة الحبشـة ٤/٢٤٤؛ وأخـرجـه مسلم في الفضـائـل، بـاب من فضـائـل جعفـر بن أبـي طـالب، وأسماء بنت عميس، وأهـل سفينتهم، ــ رضي الله عنهم ــ ٤/١٩٤٦، ١٩٤٧ حديث رقم (١٦٩).

(٦) في أ، ط (وأخرجاه)، والصواب ما أثبتناه من س، ك.

قال: «استغفروا لأخيكم»[1].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: نعى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ النجاشي يوم توفي وقال: «استغفروا لأخيكم»، ثم خرج بالناس إلى المصلى فصفوا وراءه[2] وصلّى عليه وكبر أربع تكبيرات. أخرجاه[3].

وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صلّى على أصحمة النجاشي فكبر عليه

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٤/٢٤٦؛ ومسلم في الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ٢/٦٥٧ (٦٣)؛ ورواه أحمد بلفظ «أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لما مات النجاشي، أخبرهم أنه قد مات فاستغفروا لله». مسند أبي هريرة ٢/٢٤١. وأخرجه الحميدي في مسنده من حديث أبي هريرة بلفظ (لما مات النجاشي ـ قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «استغفروا له». (٢/٤٤٥) رقم (١٠٢٣).

(٢) في ط (واءه) وهو تصحيف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٤/٢٤٦ بنحوه ومسلم في الجنائز بنحوه، باب في التكبير على الجنازة ٢/٦٥٦ (٦٢). وليس فيها «استغفروا لأخيكم»، وإنما هي في الحديث السابق.
وأخرجه الترمذي بلفظ مقارب في الجنائز، باب ما جاء في التكبير على الجنازة ٣/٣٤٢ (١٠٢٢)؛ وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، ٣/٥٤١ (٣٢٠٤). ورواه النسائي في باب الصفوف على الجنازة ٤/٦٩؛ وابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على النجاشي ١/٤٩٠ (١٥٣٤). ورواه ابن جرير الطبري من طرق متعددة عند آية: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله...﴾ الآية ١٩٩: سورة آل عمران، ٤/١٤٦، ١٤٧ (المجلد الثالث).

أربعاً[1]. أخرجاه في الصحيحين.



(١) حديث جابر: أخرجه البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٤/٢٤٦؛ ومسلم في الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ٢/٦٥٧ حديث رقم (٦٤)، (٦٥).
وقال الترمذي وفي الباب عن ابن عباس وابن أبي أوفى وجابر... (٣/٣٤٢)، وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر: أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صلّى على النجاشي فكبر أربعاً. (١/٤٩١) (١٥٣٨). وروى أحمد من حديث جابر بلفظ: (قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، هلم فصفوا فصففنا فصلّى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عليه ونحن. رواه في مسند جابر ٣/٢٩٥. ورواه الحميدي في مسنده من حديث جابر بنحوه، وليس فيه ذكر التكبير ٢/٥٤٠ (١٢٩١).

فصـل

٢ ـ إسلام من أسلم مِنْ نصارى العرب

وكان أول ما أنـزل الله ـ تعالى ـ عليـه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الـوحي، عرضت خـديجـة[١] امـرأتـه أمـره على عـالم كبيـر من علمـاء النصارى يقال له ورقة بن نوفل، وكان من العرب المتنصرة، فقال: «هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى بن عمران يا ليتني أكون[٢] فيها جذعاً حين يخرجك قومك ـ يعني ليتني أكوب شاباً ـ فإنه كان شيخاً كبيراً قـد كف بصره، فقال لـه النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «أو مخـرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي. وأن يدركني يـومك أنصرك نصراً مؤزراً»[٣]. رواه أصحاب الصحيح.

وقدم إليه بمكة طائفـة من أهل الكتـاب من النصارى فـآمنوا بـه، فآذاهم المشركون فصبروا واحتملوا أذاهم، فأنزل الله فيهم:

---

(١) خـديجة بنت خـويلد القرشيـة الأسديـة. أم المؤمنين، كـانت تـدعى في الجـاهليـة الطاهرة، تزوجها النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي ابنة ٤٠ سنـة، وولد لـه منها ولده كلهم ما عدا إبراهيم. وهم القاسم، وزينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم.
أقامت مع النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ أربعاً وعشـرين سنة وستـة أشهر. وكـان الـرسول حين تـزوجها ابن إحـدى وعشرين سنـة. وهي أول من آمن بـالله ورسـولـه وصدق بما جاءه به. ورد في فضلهـا أحاديث كثيـرة في صحيح البخـاري ٤/٢٣٠؛ وصحيـح مسلم ٤/١٨٨٦؛ وانـظر تـرجمتهـا في الاستيعـاب ٤/٢٧١؛ والإصـابـة ٤/٢٧٣.

(٢) سقطت (أكون) من أ، س، ك.

(٣) سبق تخريجه في أول الكتاب عند كلام الشيخ عن القرآن وأنه أصـل كالتـوراة، وأن علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1](*).

وروى[2] البيهقي في كتاب دلائل النبوة وأعلام الرسالة فقال: أنبأنا[3] أبو عبد الله الحافظ[4]، أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب[5]،

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ــ ٥٥.

(*) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن آيات القصص ٢٠/٥٦ (مجلد ٨) بإسناده عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة ــ يعني أباه ــ إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فآمنوا، فأوذوا، فنزلت: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية، وقد ذكر ذلك السيوطي في لباب النقول ص ١٦٨، وعزاه إلى ابن جرير والطبراني.

(٢) في ط (وقصتهم مشهورة في كتب التفسير وغيرها وروى. . . إلخ).

(٣) في أ جاءت صيغة التحديث بلفظ (ثنا) إلى يونس، ثم قال عن ابن إسحاق وفي س، ك (عن أبي عبد الله الحاكم. . . ثم ساق السند كما في أ. وما أثبتناه من ط، دلائل النبوة ٢/٧٦.

(٤) أبو عبد الله الحافظ ــ هو محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ولد في نيسابور سنة ٣٢١ وتوفي بها سنة ٤٠٥هـ من تصانيفه (المستدرك على الصحيحين) والإكليل، والمدخل، وغيرها. (ترجمته في طبقات الحفاظ ص ٤١٠ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/١٠٣٩ ــ ١٠٤٦ (٩٦٢)؛ وميزان الاعتدال ٣/٦٠٨، ولسان الميزان ٥/٢٣٢ ــ ٢٣٣ (٨١٣).

(٥) هو شيخ الحاكم: الإمام المفيد الثقة محدث المشرق أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري كان يكره أن يقال له الأصم، وكان محدث عصره بلا مدافعة، قال الحاكم حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة، توفي سنة ٣٤٦هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ (٨٣٥).

أنبأنا أحمد بن عبد الجبار[1]، أنبأنا يونس[2] عن ابن إسحاق[3] قال: ثم قدم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشرون رجلاً ـ وهو بمكة أو قريب من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الله[4] وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون[5] لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم. ما نعلم[6] ركباً أحمق منكم أو كما قال لهم، فقالوا[7]: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا لأنفسنا إلا خيراً، ويقال ـ والله أعلم ـ أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات[8]:

---

(١) أحمد بن عبد الجبار بن محمد العطاردي أبو عمر الكوفي. ولد سنة ١٧٧هـ قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف وسماعه للسيرة صحيح». وقال الذهبي: «ضعفه غير واحد». مات سنة ٢٧٢هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/١٩ (٧٥)؛ وتهذيب التهذيب ١/٥١؛ ميزان الاعتدال ١/١١٢.

(٢) يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الكوفي. وذكر ابن حجر أن ابن معين وثقه، وقال في تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ (٤٧٢): «يخطىء، من التاسعة مات سنة ١٩٩هـ»، وحسن الذهبي في ميزان الاعتدال حديثه. انظر ٤/٤٧٨؛ وانظر تهذيب التهذيب ١١/٤٣٤.

(٣) ابن إسحاق سبقت ترجمته. وسند هذا الخبر منقطع لم يصله ابن إسحاق.

(٤) سقطت (إلى الله) من س، ك، ط.

(٥) في س، ك، (لترتادوا).

(٦) في ك (لا نعلم).

(٧) في س، ك (قالوا).

(٨) في س، ك يقال فيهم نزلت هذه الآيات.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

إلى قوله: ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [١] [٢] .

٣ ـ إرسال الرُّسُل إلى جميع الطوائف الموجودة في عهده

ولمَّا كان بعد عام الحديبية ومهادنة قريش أرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسله [٣] إلى جميع الطوائف، فأرسل إلى [٤] النصارى: نصارى الشام ومصر، فأرسل إلى هرقل ملك الروم، وقد قيل: إن هرقل هذا هو الذي زادت النصارى [٥] له في صومهم عشرة أيام لما اقتتلت الروم

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٧٦ ـ ٧٧ (باب الهجرة الأولى إلى الحبشة)، ط دار الفكر، وانظر سيرة ابن هشام ٢/٢٨ ـ ٢٩؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٩٤، وكلهم ساق القصة عن ابن إسحاق ـ رحمه الله ـ ثم قال ابن كثير: ويقال أن النفر النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. وانظر الدر المنثور للسيوطي ٥/١٣٣.
وذكرابن الجوزي فيهم ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد.
الثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فشهدوا معه أحداً، فنزلت فيهم هذه الآية.
الثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن سلام، وغيره. قاله السدي.
ذكر ابن الجوزي هذه الأقوال في تفسيره: زاد المسير ٦/٢٢٨ ـ ٢٢٩. قال النيسابوري ـ رحمه الله ـ : «والتحقيق أن كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلاً في الآية. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب». انظر تفسيره المسمى: غرائب القرآن/ على هامش تفسير ابن جرير، ط دار الفكر ٢٠/٥٦ (المجلد ٨).

(٣) في س (أرسل الله عليه رسله) وسقطت جملة ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أ، ط وزدناها من ك.

(٤) في ط (إلى الجميع).

(٥) في ك (زادت له النصارى).

والفرس وقتل اليهود بعد أن كان قد أمنهم فطلبت منه النصارى قتلهم وضمنوا له أن يكفروا خطيئته(١) بما زادوه في الصوم، وكانت الفرس مجوساً والروم نصارى، وكانت المجوس الفرس غلبت النصارى أولاً، وكان هذا في أوائل مبعث النبي(٢) ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو بمكة وأتباعه قليل، ففرح المشركون بانتصار الفرس، لأنهم أقرب إليهم من أهل الكتاب واستاء(٣) المسلمون لذلك؛ لأن أهل الكتاب أقرب إليهم، فدخل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخبره بانتصار الفرس على الروم، فأنزل الله ـ تعالى(٤) ـ :

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾(٥).

وكان هذا مما أخبر به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل(٦) أن يكون، فكان(٧) كما أخبر، ولما ذكر أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه(٨) ـ كذبوه فراهنهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ(٩) كما ذكر هذا المفسرون والمحدثون.

---

(١) في ك، ط (يكفروا له خطيئته).
(٢) في س (الرسول).
(٣) في أ (وايتسا) وفي ط (وساء المسلمين ذلك) وما أثبتناه من ك، س.
(٤) سقطت (تعالى) من ك.
(٥) الآيات من سورة الروم: ١ ـ ٥ وتمام الآية الآخيرة: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمْ﴾.
(٦) في ك (من قبل).
(٧) في ك (وكان).
(٨) سقطت جملة رضي الله عنه من أ، س.
(٩) في ط (على ذلك).

قال سنيد[1] في تفسيره ــ وهو شيخ البخاري ــ حدثنا حجاج[2]، عن ابن [3] أبي الزناد[4]، عن أبيه[5]، عن عروة بن الزبير[6]، عن نيار بن مكرم الأسلمي[7] أنه قال: لما أنزل الله على رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾.

---

(١) في ك (سفيان) بدل سنيد وفي ط (سفيان بن سنيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من أ، س، وكما هو في الترجمة هكذا:
سنيد بن داوود المُصِّيصي، أبو علي المحتسب. واسمه الحسين وسنيد لقب قال ابن حجر: «ضعيف، مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه، مات سنة ٢٢٠هـ. وذكر الذهبي: «إن له تفسيراً وله ما ينكر».
انظر تقريب التهذيب ١/٣٣٥ (٥٤٣)؛ وميزان الاعتدال ٢/٢٣٦ وتهذيب التهذيب ٤/٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبو محمد الترمذي الأصل. قال ابن حجر: ثقة ثبت؛ لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد، وقبل موته. مات سنة ٢٠٦هـ ترجمته: في تقريب التهذيب ١/١٥٤ (١٦١)؛ وميزان الاعتدال ١/٤٦٤؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢٠٥.

(٣) سقط (ابن) من س، ط.

(٤) ابن أبي الزناد. هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله بن ذكوان) القرشي المدني قال ابن حجر: «صدوق، تغير حفظه لما قدم بغداد». وذكر الذهبي «أنه قد مشاه جماعة وعدلوه» مات سنة ١٧٤هـ.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٤٨٠ (٩٣٦)؛ وميزان الاعتدال ٢/٥٧٥.

(٥) أبو الزناد. هو عبد الله بن ذكوان القرشي. ثقة فقيه، وثقة أحمد وابن معين والعجلي وأبو حاتم وابن حبان والنسائي وغيرهم. مات سنة ١٣٠هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/٤١٣ (٢٨٦)؛ وميزان الاعتدال ٢/٤١٨.

(٦) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي. ثقة فقيه مشهور، ولد في أوائل خلافة عمر الفاروق ومات سنة ٩٤هـ. على الصحيح.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٩ (١٥٧)؛ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص ٢٦٥.

(٧) نيار بن مكرم الأسلمي بكسر أوله وتخفيف التحتانية في (نيار) وضم أوله وسكون ثانيه وفتح الراء في (مكرم) صحابي عاش إلى أول خلافة معاوية... كان ثقة قليل الحديث قال ابن حجر وأنكر ابن سعد أن يكون له صحبة. =

إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

خرج أبو بكر وهو يقرؤها بمكة رافعاً بها صوته:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾[2].

فقال له رؤوس أهل مكة: ما هذا يا ابن أبي قحافة لعله[3] مما يأتي به صاحبك؟ قال: لا والله، ولكنه كلام الله وقوله[4] ــ تبارك وتعالى ــ؛ قالوا: فذلك بيننا وبينك إن ظهرت الروم على فارس في بضع سنين، فراهنهم أبو بكر ففتح[5] الله للروم[6] على فارس دون التسع[7]، فأسلم عند ذلك خلق كثير من المشركين.

قال ابن مكرم: وإنما كانت قريش تستفتح ــ يومئذ ــ بالفرس؛ لأنهم وإياهم أهل تكذيب بالبعث، وأهل أصنام، وإنما كان[8] المؤمنون يستفتحون يومئذ بالروم؛ لأنهم وإياهم أهل نبوة وتصديق بالبعث، فأنزل الله ــ تعالى ــ:

= انظر ترجمته في الإصابة ٣/٥٤٨ (٨٨٣٨)؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٤٩٣ وتقريب التهذيب ٢/٣١٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٠٥.
والخبر جاء من طريق سنيد، وهو ضعيف كما قال ابن حجر.
والمؤلف ــ رحمه الله ــ أحال على تفسير سنيد، ولكني لم أعثر عليه، وليس موجوداً حسب علمي، وقد رجعت إلى كتب التفاسير التي تعني بالآثار فلم أقف عليه من طريق سنيد، أما القصة فهي متواترة كما ذكر المؤلف وسيأتي زيادة تخريج لها.

(١) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٥.
(٢) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٤.
(٣) في ك (لعل هذا).
(٤) في ك (وقول الله).
(٥) في ط (بفتح) وهو خطأ.
(٦) في ط (الروم).
(٧) في ك (على فارس في بضع سنين).
(٨) في أ، س (كانوا).

﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ...﴾[1].

وهذا الحديث رواه الترمذي في جامعه فقال: حدثنا محمد بن إسماعيل[2]، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس[3] قال: حدثني ابن أبي الزناد[4] عن أبي الزناد[5] عن عروة بن الزبير[6] عن نيار بن مكرم الأسلمي[7] قال: لما نزلت:

﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ . . .﴾[8].

فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب.

وذلك قوله تعالى:

﴿. . . وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[9].

---

(١) سورة الروم: الآيتان ٤، ٥.

(٢) محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي، أبو إسماعيل الترمذي، نزيل بغداد ثقة حافظ، قال ابن حجر. لم يتضح كلام ابن أبي حاتم فيه مات سنة ٢٨٠هـ؛ انظر تقريب التهذيب ٢/١٤٥ (٥٤)؛ وتهذيب التهذيب ٩/٦٢.

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن أويس، أبو عبد الله بن أبي أويس المدني. صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه مات سنة ٢٢٦هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/٧١ (٥٢٧) وتهذيب التهذيب ١/٣١٠.

(٤) ابن أبي الزناد. سبق ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو صدوق.

(٥) أبو الزناد. سبق ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو ثقة.

(٦) عروة بن الزبير. سبقت ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو ثقة مشهور.

(٧) نيار بن مكرم. سبقت ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو صحابي.

(٨) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.

(٩) سورة الروم: الآيتان ٤، ٥.

وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يصيح في نواحي مكة:

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ . . .﴾[(1)].

قال ناس من قريش[(2)] لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارساً في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ فارتهن أبو بكر والمشركون فظهرت الروم على فارس في بضع سنين، وأسلم عند ذلك ناس كثير من المشركين[(3)].

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد[(4)] ـ يعني غريباً من هذا الوجه ـ وإلا فهو مشهور متواتر عن أهل التفسير، والمغازي، والحديث، والفقه[(5)]؛ والقصة متواترة عند الناس[(6)].

---

(١) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.

(٢) سقطت (من قريش) من ك.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه في التفسير، تفسير سورة الروم ٥/٣٤٣، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد.
قلت: ابن أبي الزناد: صدوق كما قال ابن حجر، وقال الذهبي: قد مشاه جماعة وعدلوه، وكان من الحفاظ المكثرين، ولا سيما عن أبيه
انظر ميزان الاعتدال ٢/٥٧٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٨٠.

(٤) في أ (الزياد) بالمثناة التحتية وهو خطأ صححناه من سائر النسخ ومن الترجمة حيث ورد بالنون الموحدة كما سبق.

(٥) في ك: تقديم وتأخير لا يضر بالمعنى.

(٦) رواها الترمذي من طرق متعددة في سننه ٥/٣٤٣ (تفسير سورة الروم)؛ وأحمد في المسند من حديث ابن عباس ١/٢٧٦، ٣٠٤؛ والحاكم في التفسير من حديث =

وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيره: عن سفيان[1]، عن حبيب بن أبي عمرة[2]، عن سعيد بن جبير[3]، عن ابن عباس أنه قال: كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان. قال: فذكروا ذلك لأبي بكر فذكره[4] أبو بكر للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأنزل الله:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

= ابن عباس؛ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرك ٢/٤١٠ ووافقه الذهبي؛ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٩١؛ باب ما جاء في آية الروم؛ وابن جرير الطبري ٢١/١٢ (مجلد ٨)، وسيأتي سنده ومتنه. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/١٥١ (تفسير الآيات من سورة الروم). وعزاه إلى الترمذي، والدارقطني في الأفراد، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث نيار بن مكرم؛ وانظر فتح القدير للشوكاني ٤/٢١٦.

(١) سفيان بن سعيد الثوري الكوفي. ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حجة كان ربما دلّس مات سنة ١٦١هـ.
(تقريب التهذيب ١/٣١١ (٣١٢).

(٢) في ك (عن حبيب عن أبي عمرة) وهو خطأ، وحبيب بن أبي عمرة القصاب أبو عبد الله الحماني، بكسر الحاء المهملة، الكوفي، ثقة، مات سنة ١٤٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٥٠ (١٢٦).

(٣) سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، ثقة، ثبت، فقيه، قتله الحجاج سنة (٩٥)هـ. ولم يكمل الخمسين.
تقريب التهذيب ١/٢٩٢ (١٣٣).

(٤) في ك (فذكر ذلك).

سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1].

فذكره أبو بكر للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبوا كان لنا كذا وكذا، فجعلوا بينهم أجلاً خمس سنين، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال له[2]: «هلا احتطت، أفلا جعلته دون العشر؟» قال سعيد بن جبير. والبضع ما دون العشر[3] قال: فَغُلِبت الروم ثم غَلَبَت[4] فذلك قوله: ﴿ألم غلبت الروم...﴾ الآية[5].

وهذا أيضاً أخرجه الترمذي[6]: حدثنا الحسين[7] بن حريث، حدثنا[8] معاوية بن عمرو[9] عن أبي إسحاق الفزاري[10]، عن

---

(١) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.
(٣) في ط (العشرة).
(٢) سقطت (له) من ك.
(٤) في ك (فغلبت ثم غلبت).
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٢ (مجلد ٨) ط دار الفكر.
(٦) أخرجه الترمذي في التفسير/ باب ومن سورة الروم ٣٤٣/٥ حديث رقم (٣١٩٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وانظر السيرة النبوة للإمام الذهبي ص ١٤٧ ط دار الكتب العلمية.
(٧) في أ، س، ك (عن الحسن بن حريث) وفي ط (حدثنا حسن بن حريث) وقد صحف الاسم وصوابه: الحسين بن حريث، الخزاعي، مولاهم؛ أبو عمار المروزي: ثقة من العاشرة مات سنة ٢٤٤هـ.
تهذيب التهذيب ٣٣٤/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٨٢ وتقريب التهذيب ١٧٥/١ (٣٣٥).
(٨) في ط (أنبأنا) وما أثبتناه من سائر النسخ ومن سنن الترمذي.
(٩) معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي الكوفي. ثقة من صغار التاسعة مات سنة ١٤٤.
انظر: تقريب التهذيب ٢٦٠/٢ (١٢٣٨)؛ وتهذيب التهذيب ٢١٥/١٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٨٢.
(١٠) أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد الفزاري. ثقة، حافظ. له تصانيف مات سنة ٨٥هـ. =

سفيــان[1]، عن حبيب بن أبـي عمــرة[2]، عن سعيــد بن جبيــر، عن ابن عبـاس، وقال: هـذا حديث حسن صحيـح غريب، إنمـا نعرفـه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبـي عمرة[3].

ورواه أيضاً من حديث الزهري عن عبيد[4] الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وقال. هذا[5] حديث غريب من هذا الوجه.

ورواه أيـضــاً من حــديـث الأعـمش[6]، عــن عــطيــة[7]، عــن أبـي سعيد[8]،

= انـظر تقـريب التهـذيب ١/٤١ (٢٥٦)؛ وتهـذيب التهـذيب ١/١٥١؛ والخـلاصـة للخزرجي ص ٢٠.

(١) سبقت ترجمة سفيان الثوري. ثقة حافظ. إمام حجة.

(٢) في ك (بن) وهو تصحيف ظاهر.

(٣) سبقت ترجمة حبيب. وكذلك سعيد بن جبير، وابن عباس، والزهري.

(٤) في النسخ كلها عدا ط (عبد الله) وهـو تحريف (عبيـد الله) وهو عبيـد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلي المدني. ثقة، فقيه، ثبت. مات سنة ٩٤هـ.
تقريب التهذيب ١/٥٣٥ (١٤٦٩) وخلاصة الخزرجي ص ٢٥١.

(٥) سقطت (هذا) من أ، س، وأثبتناها من ك، ط. ومن سنن الترمذي ٥/٣٤٣.

(٦) الأعمش: سليمـان بن مهران الأسـدي. ثقة حـافظ، عارف بـالقـراءة، ورع، لكنـه يدلس، مات سنة ١٤٧هـ. وقيل ١٤٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣١ (٥٠٠)؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٥٥.

(٧) عطية بن سعد بن جنادة، بضم الجيم بعـدها نـون خفيفة العـوفي الجدلي. صـدوق يخطيء كثيراً. كان شيعياً مدلساً مات سنة ١١١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٤ (٢١٦)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٦٨.

(٨) أبـو سعيد الخـدري: سعد بن ملك بن سنـان الخـزرجي الأنصـاري، من مشـاهيـر الصحابة، وفضـلائهم، المكثرين في الـرواية، ومن أهـل الصفة. كـان ــ رضي الله عنه ــ فقيهاً نبيلاً. غزا مـع رسول الله ــ صلّى الله عليـه وسلّم ــ اثنتي عشرة غـزوة، أولها الخندق. سكن المدينة؛ ومات بها سنة ٧٤هـ. وعمره ٩٤ سنة.
انظر الإصابة ٢/٣٢ (٣١٩٦)؛ والرياض المستطابـة ص ١٠٠ ــ ١٠١؛ والاستيعاب ٢/٤٤ هامش الإصابة.

وقال: هذا حديث[1] حسن غريب من هذا الوجه.

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الخبر جاء بظهور الروم على فارس يوم بدر، وذهب آخرون أنه[2] يوم الحديبية ـ وهذا هو الصحيح ـ وهرقل كان قد مشى ـ شكراً لله ـ من حمص إلى بيت المقدس[3] لما نصره[4] على الفرس، فوافاه كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يدعوه إلى الإسلام عقب[5] نصر الله للروم على فارس، ففرح النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومن معه من المؤمنين[6].

قال علماء السير: فلما انتصرت الروم، وخرج هرقل ملك الروم من منزله من حمص[7] ماشياً على قدميه إلى بيت المقدس متشكراً لله

---

(١) سقطت (حديث) من ك.

(٢) في ك (إلى أنه).

(٣) في أ، س، ك زيادة (شكراً لله) وهي تكرار.

(٤) في ط (نصره الله).

(٥) في أ (عقيب).

(٦) **أصحاب القول الأول** ـ بأنه يوم بدر ـ هم: ابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم. واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري؛ الذي أخرجه الترمذي وغيره. وفيه «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس...» وذكره.
وأصحاب القول الثاني ـ بأنه عام الحديبية ـ هم: عكرمة، والزهري، وقتادة، وغير واحد. واستدلوا بما ذكره المؤلف. وتوجيه ذلك أن هرقل إنما وفى بنذره بعد الحديبية. والله أعلم.
انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٢٦، السيرة النبوية للإمام الذهبي ص ١٤٦؛ وتفسير القرطبي ١٤/٥ (المجلد السابع).

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة، بلد كبير مشهور بين دمشق وحلب في نصف الطريق، وهي إحدى مدن سوريا اليوم.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٢٥.

ـ عز وجل ـ حين رد عليه ما رد[1] ليصلي فيه، فلما انتهى إلى بيت المقدس وصلّى فيه، قدم عليه حينئذٍ كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع دحية الكلبي يدعوه إلى الإسلام.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[2]، عن عبد الله بن عباس قال: حدثني أبو سفيان قال: كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد حصرتنا حتى[3] هلكت أموالنا، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعني التي عقدت يوم الحديبية ـ فلما عقدت الهدنة أَمِنّا[4]، فخرجت في نفر من قريش تاجراً إلى الشام، وكان وجه متجرنا فقدمتها حين ظهر هرقل على من كان عارضه من فارس، فأخرجهم منها، وانتزع له صليبه الأعظم[5] وقد كانوا سلبوه[6] إياه، فلما بلغه ذلك منهم، وبلغه أن صليبه قد استنقذ[7] له، وكانت حمص منزله، فخرج منها على قدميه ـ متشكراً لله عز وجل ـ حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس وبسط له الطريق بالبسط ويلقى[8] عليها الرياحين، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته وأساقفته الروم، قال[9]: وقدم عليه كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في س (ورد عليه ما ورد).
(٢) رجال السند كلهم ثقات. وسبقت ترجمتهم، وابن إسحاق هنا قد صرح بالسماع.
(٣) في ك وهامش س (حتى قد).
(٤) في ط (آمناً) وهو غير متفق مع السياق.
(٥) في ط (لأعظم) وهو خطأ.
(٦) في ط (صلبوه) وهو خطأ ظاهر.
(٧) في ك (استعيد) والمعنى واحد.
(٨) في ك (وتلقى) بالمثناة الفوقية.
(٩) سقطت (قال) من ط .

وسلَّم ــ مع دحية بن خليفة الكلبي فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن[1] عليك إثم الأريسيين»[2] ــ يعني[3] الأكارين ــ[4].

---

(١) في ك (فإنما) وفي س (فإن إثم الأريسيين عليك).

(٢) الأريسيين: هذه الرواية هي المشهورة في روايات الحديث، وفي كتب أهل اللغة.
قال الإمام النووي: «اختلف في ضبطه على أوجه:
أحدها: بيائين بعد السين.
والثاني: بياء واحدة بعد السين.
وعلى هذين الوجهين، الهمزة مفتوحة، والراء مكسورة مخففة.
والثالث: الإرِّيسين، بكسر الهمزة، وتشديد الراء، وبياء واحدة بعد السين. ووقع في الرواية الثانية في مسلم وفي أول صحيح البخاري اليرسيين. بياء مفتوحة في أوله، وبياءين بعد السين. قال ــ رحمه الله ــ: واختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحها وأشهرها، إنهم الأكارون. أي: الفلاحون، والزراعون. ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبَّه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً. فإذا أسلم أسلموا؛ وإذا امتنع امتنعوا. وهذا القول هو الصحيح. وقيل غير ذلك. والله أعلم.
انظر: شرح النووي ١٢/١٠٩ ــ ١١٠.

(٣) سقطت جملة (يعني الأكارين) من س، ك.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٦٤٦ ــ ٦٤٧ قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني أبو سفيان بن حرب. . . وذكره كما أورده المؤلف.
وفي السند ابن حميد حافظ، ضعيف. كما قال ابن حجر؛ وسلمة بن الفضل الأبرش، صدوق كثير الخطأ. وقد سبقت ترجمتهما. وابن إسحاق لم يصرح بالسماع، وقد عنعن. لكن القصة مشهورة في البخاري ومسلم وغيرهما وسيأتي تخريجها.

قال ابن إسحاق[1]، وقال ابن شهاب: حدثني أسقف النصارى في زمان عبد الملك بن مروان[2] زعم لي أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمر هرقل وعقله، قال: لما قدم عليه كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع دحية أخذه فجعله على خاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يذكر له أمره ويصف له شأنه، ويخبره ما جاء منه، قال: فكتب إليه صاحب رومية أنه النبي الذي[3] ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه، فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه، وأمر بها فأشرجت[4] عليهم أبوابها، ثم اطلع[5] عليهم من عِلِّية وخافهم على نفسه، وقال: يا معشر الروم إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٦٤٩، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: ابن شهاب الزهري: حدثني أسقف للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان... وساق الخبر بنحو ما ذكره المؤلف رحمه الله.
قلت: في السند، سلمة بن الفضل الأبرش، وابن حميد، والأول صدوق كثير الخطأ، والثاني ضعيف.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. ولد سنة ٢٦هـ. ونشأ بالمدينة، وكان فقيهاً، واسع العلم، متعبداً، ناسكاً. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ. وكان قوياً، اجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج. مات ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة ٨٦هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٦/٤١٨؛ وميزان الاعتدال ٢/٦٦٤؛ وفوات الوفيات ٢/٤٠٢؛ والبداية والنهاية ٩/٦١ ـ ٧٠؛ وتقريب التهذيب ١/٥٢٣ (١٣٤٧)؛ والأعلام للزركلي ٤/١٦٥.

(٣) في س (الذي كنا).

(٤) في ك، ط (فاسترخت) وفي س (فاسترحب) وما أثبتناه من أ، وتاريخ ابن جرير الطبري ٢/٦٤٩، ومعنى أشرجت: سدت أبوابها.

(٥) في ط (ثم طلع).

دينـه، وإنه ـ والله ـ للرجـل الذي كنـا ننتـظره ونجـده في كتبنـا، فهلمَّ فلنتبعـه[1] لنصدقـه[2]، فتسلم لنا دنيـانا وآخـرتنا، فنخـروا نخـرة رجـل واحد، ثم ابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجـوا منها، فـوجدوهـا قد أغلقت دونهم فقـال: كروهم علي وخـافهم[3] على نفسه فكـروا عليـه، وقـال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم هـذه المقالـة التي قلت لكم؛ لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا[4] الأمر الذي حدث، فقد رأيت منكم الـذي أسر به فوقعوا سجوداً وأمر بأبواب الدسكرة[5] ففتحت لهم فانطلقوا[6].

وهذا حديث مشهور من حديث محمـد بن إسحاق ـ وهـو ذو علم وبصيرة بهذا الشـأن، حفظ ما لا يحفـظه غيره قـال ابن إسحاق: «وأخـذ هـرقل كتـاب رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فجعله في قصبـة من ذهب وأمسكها عنده تعظيماً له»، وهذه القصـة مشهورة ذكـرها أصحـاب الصحاح.

ففي البخاري ومسلم والسياق للبخاري «عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليـه في ركب من قريش، وكـانوا

---

(١) في ط (فلم فلنبعه) وهو خطأ ظاهر.

(٢) في ك (ونصدقه).

(٣) في ط (وخالفهم) وهو خطأ ظاهر، وكروهم أي: أرجعوهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٦٧؛ والمصباح المنير ٢/٧٢٧.

(٤) سقطت (لهذا) من ط .

(٥) الدسكرة: واحـدة من الدسـاكر. وهي القصـور. قال في المصبـاح المنير ١/٢٦٣: «الدسكرة بناء شبه القصر حوله بيوت ويكون للملوك، قال الأزهري وأحسبه معرباً».
وانظر: جامع الأصول ١/٢٧٤؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٩١.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه: ٢/٦٤٩ كما تقدم.

تجـاراً بالشـام في المدة التي كـان رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ هادن فيها أبا سفيان بن حرب وكفار قريش فأتـوه وهو بـإيليا فـدعاهـم في مجلسه وحوله عظمـاء الروم ثم دعـاهم بالتـرجمان، فقـال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنـه نبـي؟ فقال أبـو[1] سفيان: فقلت: أنـا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه وقربوا أصحابه فـاجعلوهم عند ظهـره، ثم قال لترجمانـه: إني سائـل هذا عن هـذا الرجـل، فإن كـذبني فكذبـوه. قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ الكذب لكذبت عليه، ثم كـان أول مـا سـألني عنـه أن قـال: كيف نسبـه فيكم؟ قلت: هـو فينـا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قط[2] قبله؟ قلت: لا، قال: فهـل كان من آبـائه من ملك؟ قلت: لا، قـال: فأشـراف النـاس اتبعـوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. فقال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيـه؟ قلت: لا. قـال: فهل كنتم تتهمـونـه بـالكـذب قبـل أن يقـول مـا قـال؟ قلت: لا. قـال: فهل يغـدر؟؟ قلت: لا. ونحن منـه في مـدة لا نـدري مـا هو فـاعل فيهـا. قال: ولـم يمكنني كلمـة أدخل فيهـا شيئـاً غيـر هـذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إيـاه؟ قلت: الحـرب بيننا وبينـه سجال، ينـال منا ونـنـال منـه. قـال: بمـاذا[3] يـأمركم؟ قلت: يقـول: اعبدوا الله وحـده ولا تشركـوا به شيئـاً واتـركـوا ما يقول آبـاؤكم، ويأمـرنا بـالصلاة، والصـدق والعفاف، والصلة. فقـال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكـذلك الرسل تبعث في أنساب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هـذا القول

---

(١) في ط (أبا).

(٢) في س، ك، ط منكم أحد قبله قط؟

(٣) في ك (بماذا) وفي ط (فبماذا).

قبله فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسّى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان في آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون؛ وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين يخالط[1] بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن[2] أنه منكم، فلو أني أعلم أني[3] أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعى بكتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الذي بعث به مع دحية[4] الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل[5]

---

(١) في ك، ط (تخالط) بالمثناة الفوقية.

(٢) في ط (أظنه).

(٣) في ك، ط (فلو أعلم أني أخلص).

(٤) تقدمت ترجمة (دحية) وضبط اسمه.

(٥) تقدمت ترجمة هرقل وضبط اسمه. وقد ورد في تهذيب الأسماء واللغات للإمام =

فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أَمْرُ[1] ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى[2] أدخل الله عليَّ الإسلام[3].

= النووي ٢/٦٥، أنه يقال لكل من ملك الروم قيصر؛ والقبط فرعون؛ ومصر العزيز؛ وحمير تبع.
قلت: المعروف أن من يتولى عرش مصر قديماً يسمى فرعون، ومن يتولى القبط في مصر يسمى المقوقس.

(١) سقطت أمر الثانية من ط وفي ك (أمن) وهو تصحيف: ومعنى العبارة: عظم أمره واتسع شأنه. وهذا نسبة من المشركين للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى ابن أبي كبشة الخزاعي، الذي خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى فقالوا ذلك تشبيهاً.
وقيل: كان جد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأمه. وقيل: عداوة له بأن نسب إلى غير نسبه المشهور.
انظر: جامع الأصول ١١/٢٧٣؛ وشرح النووي ١٢/١١٠ (مجلد ٦).

(٢) في ط (حفي) وهو تصحيف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في بدء الوحي على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ١/٤ ــ ٧، قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ في الفتح ١/٤٣: «انتهى حديث البخاري عند قول أبي سفيان حتى أدخل الله علي الإسلام، ولم يذكر قصة ابن الناطور. وكذا أخرجه مسلم بدونها. . . ولم يسقه بتمامه. وقد ساقه بتمامه =

وكان ابن الناطور[1] صاحب إيليا[2] أسقفاً[3] على نصارى أهل

= الطبراني من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، وذكر فيه قصة ابن الناطور» اهـ. كلامه ـ رحمه الله ـ.

وأخرجه مسلم في الجهاد، باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٣/٣ ـ ١٣٩٧.

ورواه أحمد في مسنده ٢٦٢/١ ـ ٢٦٣؛ ورواه من طريق أخرى ٤٤١/٣ ـ ٤٤٢؛ ورواه الترمذي ـ مختصراً ـ في الاستئذان ٦٩/٥ (٢٧١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وأبو داود في الأدب ٣٤٩/٥. وابن الأثير في جامع الأصول ٣٢/١٢ ـ ٣٧، ٢٦٥/١١ ـ ٢٧٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى في السير ١٧٧/٩، وانظر القصة في طبقات ابن سعد ٢٥٩/١؛ والروض الأنف للسهيلي ٣٥٥/٢؛ وصبح الأعشى ٣٧٦/٦؛ وزاد المعاد ٦٨٨/٣؛ وأعلام السائلين ص ٦٤ ـ ٧٦؛ ومجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٠٩.

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ٣٨/١: «هو بالطاء المهملة، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة، وهو بالعربية حارس البستان. وهو اسم أعجمي.

(٢) إيلياء: بكسر أوله، واللام، وياء وألف ممدودة وحكي بالقصر: اسم مدينة بيت المقدس، عبري، قيل معناه: بيت الله؛ وهي على جبل، وتحيط بها الجبال وماؤها من الأمطار، فتحت في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: مراصد الاطلاع ١٣٨/١؛ وفتح الباري ٣١/١؛ والروض المعطار ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) يقسم النصارى درجات الكهنوت إلى ثلاث درجات:
الأول: الشماس: لفظة سريانية، ومعناها خادم. ومن واجباته، توزيع الصدقات على الفقراء. كما يقولون. ولفظه باليونانية (دياكون).
الثانية: القسيس: لفظة سريانية، وباليونانية (إبريسفيتروس) وهذه الدرجة أعلى من التي قبلها. ووظيفة القسيس، تقديس القرابين، وعماد المعتمدين وتزويج المتزوجين، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليمهم ووعظهم.
الثالثة: الأسقف: وهي أعلى درجات الكهنوت، كما يذكرون في كتبهم التي بين يدي، والأسقف: كاهن، موكول إليه الأمر. وهو كما يزعمون: في كنيسته نائب عن المسيح، ومن ثم له حق الرياسة على الكهنة، الذين هم تحت إدارته، ويقيم =

الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء[1] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم، أن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا[2]: ليس يختتن إلَّا اليهود فلا يهمنَّك شأنهم واكتب[3] إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبيناهم[4] على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب قال: هم مختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية[5] وكان هرقل نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص[6] حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ـ صلَّى الله عليه

= الكهنة لشعبه، والمعلمين، ويدبر أمورهم.
انظر: أسرار الكنيسة السبعة ص ١٨٤ للأرشيدياكون حبيب جرجس. وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٩١.
وفي تتمة المختصر لابن الوردي: إن البطريق: إمام كبير عندهم، ومطران: قاضي، والأسقف: مفتي، والقسيس: قارىء، والجاثليق: إمام الصلاة، والشماس: مؤذن ومقيم وخادم... انظر تتمة المختصر ١/١٢٧ ـ ١٢٨.

(١) حزاء هو الذي يحزر الأشياء ويقدرها بظنه. ويقال للذي ينظر في النجوم حزاء من قبل هذا؛ لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه، وتقديره، فربما أصاب.
انظر جامع الأصول لابن الأثير ١١/٢٧٤؛ والمصباح المنير ١/١٨٤؛ ومقدمة فتح الباري ص ١٠٥.
(٢) في ط (فقالوا).
(٣) في ك (وابعث).
(٤) في ط (فبينما).
(٥) رومية سبق التعريف بها.
(٦) سبق التعريف بها.

وسلَّم ــ وأنه نبـي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع عليهم فقال: يا معشر الروم، هـل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبـي، فحاصوا[1] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت[2]، فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من الإيمان منهم قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عليه، فكان هذا آخر شأن هرقل[3].

قلت[4]: وكـان هرقـل من أجل ملوك النصـارى في ذلك الـوقت، وقد أخبر غير واحد أن هذا الكتاب إلى الآن باقٍ[5] عند ذريـة هرقـل في أرفع صوان وأعز مكان يتوارثونه كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هـذا الكتاب باقٍ إلى[6] الآن عند الفنش[7]

(١) فحاصوا: نفروا. انظر تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٧٨.
(٢) في ط زيادة (دونهم).
(٣) قـال ابن حجـر ــ رحمــه الله ــ في فتـح البـاري ١/٣٨ عن هـذه القصـة بـأنهـا «. . . موصولة إلى ابن الناطور لا معلقة كمـا زعم بعض من لا عنايـة له بهـذا الشأن وكذلك أغرب بعض المغاربة فزعم أن قصة ابن الناطور مروية بالإسناد المذكـور عن أبـي سفيان عنه؛ لأنه لما رآها لا تصريح فيها بـالسماع حملهـا على ذلك، وقـد بين أبـو نعيم في دلائل النبـوة أن الزهـري قـال: لقيتـه بـدمشق في زمن عبـد الملك بن مروان، وأظنه لم يتحمل عنه ذلك إلاَّ بعد أن أسلم، وإنمـا وصفه بكـونه كـان أسقفاً لينبه على أنه كان مطلعاً على أسرارهم عالماً بحقائق أخبارهم. . .».
وانظر دلائل النبوة لأبـي نعيم ص ٢٩١.
(٤) سقطت (قلت) من أ.
(٥) في ط (باقٍ إلى الآن).
(٦) سقطت من س جملة (باقٍ إلى) وفي ك، ط (باقٍ الآن).
(٧) الفنش: هـو الفونس السـادس بن فردينـاند، أحـد ملوك النصـارى شن حـروبـاً على =

صاحب قشتالة[1]، وبلاد الأندلس يفتخرون به وهذا أمر مشهور معروف[2].

وقد روى سنيد[3] ــ وهو شيخ البخاري ــ في تفسيره قال: حدثنا هشام[4] قال: أخبرنا حصين[5] عن[6] عبد الله بن شداد بن الهاد[7] قال: لما كتب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى هرقل فقرأ كتابه وجمع الروم فأبوا عليه قال: فلما كان يوم الأحد لم يحضر أسقفهم

= المسلمين في القرن الخامس الهجري، فاستولى على قشتالة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم دارت بينه وبين المسلمين معركة (الزلاقة) في سبته سنة ٤٧٩هـ، انتهت بانتصار المسلمين عليه، عندما اتحدت جيوشهم فاجتمع ابن عباد مع ابن تاشفين، وحقق الله لهم النصر عليه.

انظر: المقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان ص ١٨٨ (ط: سميا، نشر دار الثقافة بيروت)؛ دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان ٢٠٧/١ ــ ٢٢٢ (ط ٤، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة).

(١) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، عاصمته طليطلة.
انظر مراصد الاطلاع ١٠٩٤/٣.

(٢) انظر تخريجنا السابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) هشام: لعله تصحيف (هشيم) فلم أجد فيمن اسمه هشام من روى عن حصين، والذي روى عن حصين هو: هشيم ــ بالتصغير ــ بن القاسم بن دينار السلمي ثقة ثبت. كثير التدليس، والإرسال الخفي مات سنة ١٨٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٣٢٠/٢ (١٠٣)، وتهذيب التهذيب ٥٩/١١.

(٥) حصين بن عبد الرحمن السملي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، تغير حفظه في الآخر. مات سنة ١٣٦هـ.
انظر تقريب التهذيب ١٨٢/١ (٤١١)؛ وتهذيب التهذيب ٣٨١/٢.

(٦) سقطت (عن) من ط.

(٧) عبد الله بن شداد بن الهاد، الليثي، المدني. ولد على عهد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، مات بالكوفة مقتولاً سنة ٨١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٤٢٢/١ (٣٧٤)؛ وتهذيب التهذيب ٢٥١/٥، والخبر مرسل.

الكبير وتمارض، فأرسل إليه فأبى، ثم أرسل إليه، فأبى ثلاث مرات فركب إليه فقال له: أليس قد عرفت أنه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ قال: بلى، قال: أليس قد رأيت ما ركبوا مني فأنت أطوع فيهم مني فتعال فادعهم. قال: وتأذن[1] لي في ذلك؟ قال: نعم. قال: اذهب هو ذا أجيء، قال: فجاء بسواده إلى كنيستهم العظمى، فلما رأوه خروا له سجداً الملك وغيره، فقام في المذبح فقال: يا أبناء الموتى، هذا النبي الذي بشر به عيسى، وأنا أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، فنخروا[2] ووثبوا إليه فعضوه بأفواههم حتى قتلوه، قال: وجعلوا يخرجون أضلاعه بالكلبتين حتى مات.



(١) في ط (أو).
(٢) قال في القاموس المحيط ٢/١٣٩ مادة (نخر): نخر ينخر وينخر نخيراً: مد الصوت في خياشيمه».

فصل

٣ ـ إرسال الرُسُل إلى جميع الطوائف الموجودة في عهده.

وأرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً أيضاً[1] إلى ملك مصر المقوقس[2] ـ ملك النصارى في ذلك الوقت بالإسكندرية ـ وكان رسوله إليه حاطب بن أبي بلتعة[3] ـ رضي الله عنه ـ قال حاطب: قدمت على المقوقس ـ واسمه جريح بن مينا ـ بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر

---

(١) في س، ك (أيضاً رسولاً).

(٢) المقوقس: هو جريج بن مينا القبطي. ملك النصارى بالإسكندرية. وكان قد بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إليه حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ؛ برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، وتذكر الكاتبة الإنجليزية ا. ل. بتشر: أن اسمه جرجس بن مينا بركوبوس. وقد تحدثت عنه حديثاً واسعاً تحاملت فيه على هذا الرجل، واتهمته بالخيانة مع المسلمين، ثم واصلت حديثها الذي زورت فيه الحقائق، وجعلت من الباطل حقاً، ومن الحق باطلاً. وذلك مع كتابها: تاريخ الأمة القبطية وكنسيتها ٢/١٢٣، ط مطبعة مصر بالفجالة سنة ١٩٠١م. وانظر في القصة: طبقات ابن سعد ١/١٣٤، ٢٦٠، والبداية والنهاية ٤/٢٧٢ وتتمة المختصر لابن النووي: ١/١٩٥.

(٣) حاطب بن أبي بلتعة (بفتح الباء الموحدة) بن عمرو اللخمي. يكنى أبا عبد الله؛ أسلم قديماً، شهد بدراً، والحديبية، ونزل فيه أول سورة الممتحنة لأنه كتب لأهل مكة يخبرهم بتجهيز الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ واعتذر وقبل الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عذره. مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٠هـ. في خلافة عثمان.

انظر: الاستيعاب ١/٣٤٧؛ والإصابة ١/٢٩٩؛ وتهذيب التهذيب ٢/١٢٨. =

بغيرك ولا يعتبر بك. قال: هات، قلت: إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي بعد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس إلى الله، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلَّا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلَّا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل من أدرك نبياً فهو من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركت[1] هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به، ثم ناوله كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما قرأه قال: خيراً قد نظرت في هذا فوجدته لا يأمر[2] بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة، ثم جعل الكتاب في حق من[3] عاج وختم عليه ودفعه إلى خازنه، وكتب جوابه إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: فقد علمت أن نبياً قد بقي وقد أكرمت رسولك[4]، وأهدى للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جاريتين وبغلة تسمى الدلدل. فقبل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هديته، واصطفى الجارية الواحدة ـ واسمها مارية القبطية ـ لنفسه فولدت منه إبراهيم، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت، فولدت منه عبد الرحمن، وعاشت البغلة إلى زمن[5] معاوية فقال النبي ـ صلَّى الله

---

(١) في ك، ط (أدرك). وفي س (فأنت ممن أدركت هذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)، وهو غير متفق مع سياق الكلام.
(٢) في ط (فوجدته قد لا يأمر) بزيادة (قد).
(٣) سقطت (من) من أ، س، ك وزدناها من ط؛ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٦٠.
(٤) في ط (رسلك).
(٥) في ط (زمان).

عليه وسلَّم ـ: «ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه»[1][2].

قال محمد بن سعد[3]: حدثنا محمد بن عمر[4] قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر[5] عن أبيه[6]، قال: لما رجع رسول الله[7] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الحديبية في[8] ذي القعدة سنة ست من

---

(١) في س، ك (للمملكة).

(٢) قصة إرسال حاطب إلى المقوقس مشهورة في كتب السيرة، ورد المقوقس عليه، وقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه». فقد وردت في الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٠؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/١٨٨؛ والسيرة الحلبية ٣/٢٨٠ ـ ٢٨٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٧٤ بسند حسن غير أن عبد الله بن عبد الله القارىء ـ راوي القصة ـ مختلف في صحبته. كما قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥/٣٠٥، ٦/٢٢٣ ـ ٢٢٤. كما عزاه في ٤/٢٧٢ إلى البيهقي. وانظر صبح الأعشى ٦/٤٦٧؛ والوفا لابن الجوزي ٢/٧١٧؛ وابن سيد الناس ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٦؛ وشرح المواهب اللدنية ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠؛ وسيرة ابن دحلان ٣/٦٤ ـ ٦٦؛ ونصب الراية للزيلعي ٤/٤٢١ ـ ٤٢٢. وأعلام السائلين ص ٨٠ ـ ٨١؛ وزاد المعاد ١/١٢٢.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٠؛ باب ذكر بعثة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الرسل بكتبه إلى الملوك، يدعوهم إلى الإسلام.

(٤) محمد بن عمر بن واقد، الواقدي، قال ابن حجر: «متروك مع سعة علمه». وسبقت ترجمته.

(٥) عبد الحميد بن جعفر الأنصاري. صدوق، رمي بالقدر، ربما وهم، مات سنة ١٥٣هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/٤٦٧(٨٠٧).

(٦) جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: «قيل: له صحبة». ثم ذكر أن البخاري قال عن حديثه: مرسل.

انظر: الإصابة ١/٢٣٨(١١٦٤)؛ وتقريب التهذيب ١/١٣١(٨٥)، والقصة مشهورة، وسبق تخريجها.

(٧) في ط (النبي).

(٨) في س، ك (من) بدل (في).

الهجرة، بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية، وكتب إليه معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قرأ الكتاب قال له. خيراً وأخذ الكتاب ـ وكان مختوماً ـ فجعله في حق من[1] عاج، وختم عليه، ودفعه إلى خازنه[2] وكتب إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جواب كتابه ولم يسلم، وأهدى إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما تقدم ذكره.

فكل من الملكين عظم أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتواضع له ولكتابه، واعترف بأنه الرسول المنتظر الذي بشرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

وقد كان المقوقس يعرف أنه حق بما يسمع من صفاته من أهل الكتاب، ولكن ضن بملكه ولم يؤمن، وكان قد خرج إليه المغيرة[3] قبل إسلام المغيرة فحدثه بذلك.

قال محمد بن عمر الوقدي: حدثني محمد بن سعد[4] الثقفي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز[5]، وعبد الملك بن عيسى[6]، وعبد الله بن

(١) سقطت (من) من أ، س، ك وزدناها من ط، ومن الطبقات ١/٢٦٠.
والعاج: ظهر السلحفاة البحري، كما قال في المصباح المنير ٢/٥٩٦.
(٢) في س (جاريته).
(٣) في ط (المغيرة بن شعبة) وسبقت ترجمته.
(٤) في أ، س (سعيد)، وهو خطأ.
(٥) في ط زيادة (بن عبد الله بن عثمان بن سهل بن حنيف)، وهي زيادة صحيحة ونسبه الأنصاري، الأوسي، المدني. صدوق، يخطىء، وجاء في الخلاصة: مضطرب الحديث. مات سنة ١٦٢هـ.
تقريب التهذيب ١/٤٨٩(١٠٢٥)، والتهذيب ٦/٢٢٠، والخلاصة للخزرجي ص ٢٣٠.
(٦) عبد الملك بن عيسى الثقفي. مقبول من السادسة.
تقريب التهذيب ١/٥٢١؛ والتهذيب ٦/٤١٣؛ والخلاصة ٢٤٥.

عبد الرحمن[1]، ومحمد بن يعقوب بن عتبة[2]، عن أبيه[3] وغيرهم، كل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة منه[4] قال: قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك وأنهم لما دخلوا على المقوقس قال: كيف خلصتم إليَّ من طائفتكم ومحمد وأصحابه بيني وبينكم؟ قالوا: لصقنا[5] بالبحر وقد خفناه على ذلك. قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا: ما تبعه منا رجل واحد.

قال: ولم ذاك[6]؟ قالوا: جاءنا بدين مجدد لا تدين به الآباء، ولا يدين به الملك، ونحن على ما كان عليه آباؤنا. قال: فكيف صنع قومه؟ قالوا: تبعه أحداثهم وقد لاقاه من خلفه من قومه وغيرهم من العرب في مواطن، مرة تكون عليهم الدائرة ومرة تكون له. قال: ألا تخبروني إلى ماذا يدعو إليه؟ قالوا: يدعونا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونخلع ما كان يعبد الآباء[7]، ويدعو إلى الصلاة والزكاة. قال: وما الصلاة والزكاة؟ ألها وقت يعرف وعدد تنتهي إليه؟ قالوا: يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد قد[8] سموه

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي. صدوق يخطىء، ويهم من السابعة.
التقريب ١/٤٢٩؛ التهذيب ٥/٢٩٨؛ والخلاصة ٢٠٥.

(٢) محمد بن يعقوب بن عتبة الثقفي. لم أقف له على ترجمة.

(٣) يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي. ثقة من السادسة، مات سنة ١٢٨هـ.
التقريب ٢/٣٧٦، التهذيب ١١/٣٩٢، والخلاصة ص ٤٣٧.

(٤) سقطت (منه) من س، ك.

(٥) في ط (ألصقنا).

(*) السند جاء من طريق الواقدي، وهو متروك.

(٦) في ط (ذلك).

(٧) في ك، ط (آباؤنا).

(٨) سقطت (قد) من ط.

له، ويؤدون من كل مال بلغ[1] عشرين مثقالاً[2] نصف مثقال، وأخبروه بصدقة الأموال كلها. قال: أفرأيتم إذا أخذها أين يضعها؟ قالوا: يردها على فقرائهم، ويأمر بصلة الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا والخمر، ولا يأكل مما ذبح لغير الله فقال المقوقس: هذا نبي مرسل إلى الناس، ولو أصاب القبط[3] والروم اتبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم، وهذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له[4] العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دنيه[5] إلى منتهى الخف والحافر ومنقطع البحور، ويوشك قومه أن يدافعوه بالراح[6]. قالوا: فلو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا، قال المغيرة: فأنغض المقوقس رأسه وقال: أنتم في اللعب، ثم قال: كيف نسبه في قومه؟ قلنا: هو أوسطهم نسباً. قال كذلك والمسيح، الأنبياء تبعث في نسب قومها، ثم قال: فكيف حديثه[7]؟ قال: قلنا: ما يسمى إلاَّ الأمين من صدقه، قال: انظروا في أمركم أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله. قال: فمن تبعه؟ قلنا: الأحداث. قال: هم والمسيح أتباع الأنبياء قبله. قال: فما فعلت

---

(١) في س، ك، ط (ما) بدل (مال).

(٢) المثقال وزن درهم وثلاثة أسباع درهم.
انظر المصباح المنير ١/١١٤، ومختار الصحاح ص ٨٥.

(٣) القبط: من ولد حام، أهل ملك بديار مصر، واختلط بهم طوائف من اليونان، والعماليق، والروم، وغيرهم، وكانوا سالفاً صابئة ذوي هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة، ولقبت ملوكهم بالفراعنة.
انظر: البداية والنهاية ١٠/٣١٧؛ وابن الوردي ١/١١٦؛ والمصباح المنير ٢/٦٦٩ وفيه (القبط بالكسر: نصارى مصر. الواحد قبطي).

(٤) في ك، ط (وسيكون) بالمثناة التحتية.

(٥) (دنيه) ساقطة من ط.

(٦) الراح جمع راحة، وهي الكف. مختار الصحاح ص ٢٦٢.

(٧) في ط (صدق حديثه).

يهـود يثرب فهم أهـل التوراة؟ قلنـا: خالفـوه فأوقـع بهم فقتلهـم وسباهم وتفـرقوا في كـل وجه[1]. قـال: هم قـوم حسـدة[2] حسـدوه، أمـا إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف؟ قال المغيرة: فقمنـا من عنده وقـد سمعنا كلاماً ذللنا لمحمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وخضعنا لـه، وقلنا: ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بعد أرحامهم منـه، ونحن أقربـاؤه وجيرانـه ولم ندخل معه، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا. قال المغيـرة: فرجعت إلى منزلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسـألت أساقفتهـا من قبطها وروموها عما يجـدون من صفة محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة يـوحنـا[3]، كانوا يأتونه بمرضاهم فيـدعو لهم لم أر قط أشد اجتهاداً منـه فأتيتـه فقلت: هـل بقي أحـد من الأنبياء؟ قال: نعم، هو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحد، وهـو نبـي مرسـل وقد أمـرنا عيسى بـاتباعـه، وهو النبـي الأمي العـربـي اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، وليس بالأبيض ولا بالآدم[4]، يعـفي شعره، ويلبس ما غلظ من الثياب، ويجتزي[5] بما

---

(١) في ط (ناحية) بدل (وجه). (٢) في س، ك (حشد).

(٣) ذكـر الدكتـور رؤوف حبيب (مـديـر المتحف القبـطي الأسبق) في كتـابـه (المـوجـز التاريخي عن الكنائس القبـطية القـديمة بـالقاهـرة) ص ٤٩ ذكر من ضمن الكنـائس الصغرى بمصر القديمة «كنيسة أبا كير ويوحنا» قال: ويسميـان أيضاً بـاسم «سيروس وجون» وهما من مدينة دمنهور، وتحتفل الكنيسة القبطية بعيد موتهما في يوم ٤ أبيب يوم ٢٠ يونيه.
انظر ص ٤٩ من الكتاب السـابق (ط مكتبة المحبـة) بالقـاهرة، وهي مكتبـة خاصـة بالكتب النصرانية.

(٤) الآدم جمعه أدم بالضم وسكون الدال، وهو اللون الذي بين البياض والسواد.
انظر: تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٣ حرف الألف.

(٥) أي يكتفي.

لقي من الطعام، سيفه على عاتقه، ولا يبالي من[1] لاقى، يباشر القتال بنفسه، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم، هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم، يخرج[2] من أرض حرم ويأتي إلى حرم، يهاجر إلى أرض سباخ[3] ونخل، يدين بدين إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ. قال المغيرة[4]: فقلت له: زدني في[5] صفته. قال: يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، ويخصّ بما لا تخصّ به الأنبياء قبله، كان[6] النبي يبعث إلى قومه، ويبعث هو إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى، ومن كان قبله[7] مشدداً عليهم لا يصلون إلاَّ في الكنائس والبيع. قال المغيرة بن شعبة: فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره، وما سمعت من ذلك[8].

فذكر الواقدي حديثاً طويلاً في رجوعه وإسلامه، وما أخبر به من

---

(١) في ك، ط (بمن).

(٢) في ط (يخرجهم).

(٣) سباخ جمع سبخة بفتحتين وخاء معجمة، وهي أرض مالحة.
انظر تفسير غريب الحديث ص ١١٤، والمصباح المنير ١/٣٥٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في ك (من) بدل (في).

(٦) في ك، ط (ومكان).

(٧) في ك (ومن قبله كان)، وفي ط (ومن كان قبله كان).

(٨) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٤٧ ـ ٥٠ من طريق محمد بن عمر الواقدي قال: حدثنا محمد بن سعد الثقفي.. وذكره كاملاً. وقد وجدت في مغازي الواقدي، إشارة إلى ذهاب بني مالك إلى المقوقس، وكان المغيرة بن شعبة معهم، ورد ذلك في ٣/٩٦٥ وفي ٢/٥٩٥ فما بعدها. ولم أجد في المغازي للواقدي ذكراً مفصلاً لها، وإنما وجدته مفصلاً في الدلائل لأبي نعيم ٤٧ ـ ٥٠؛ وكذلك في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢/٧١٨ ـ ٧٢٠، وسبقت ترجمة رجال السند الذين ذكرهم المؤلف، ومدار السند على الواقدي.

صفات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكان ذلك[1] يعجب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ويحب أن يسمعه أصحابه. قال المغيرة: فكنت أحدثهم بذلك، وهذا أمر معروف عند علماء أهل الكتاب وعظمائهم.

وقد أخرج أبو حاتم في صحيحه عن عمرو بن العاص أنه قال: خرج جيش من المسلمين ـ أنا أميرهم ـ حتى نزلنا الإسكندرية، فقال عظيم من عظمائهم: أخرجوا إليّ رجلاً يكلمني وأكلمه. فقلت: لا يخرج إليه غيري. قال، فخرجت إليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه. فقال: ما أنتم؟ فقلت: نحن العرب، ونحن أهل الشوك، ونحن أهل بيت الله الحرام، كنا أضيق الناس أرضاً، وأجهدهم عيشاً، نأكل[2] الميتة والدم، ويغير بعضنا على بعض، حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ، ولا بأكثرنا مالاً، فقال: أنا رسول الله إليكم، فأمرنا بما لا نعرف، ونهانا عما كنا عليه، وكان عليه آباؤنا، فكذبناه، ورددنا عليه مقالته، حتى خرج إليه قوم غيرنا، فقاتلنا وظهر علينا: وغلبنا وتناول من يليه من العرب فقاتلهم حتى ظهر عليهم ولو يعلم من ورائي من العرب ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلاَّ جاءكم حتى يشرككم فيما أنتم فيه من العيش فضحك ثم قال: إن رسولكم قد صدق، قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاء به رسولكم، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلاَّ غلبتموه، ولن يشارككم أحد إلاَّ ظهرتم عليه، وإن فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر نبيكم، لم تكونوا أكثر عدداً منا ولا أشد منا قوة[3].



(١) في ك، ط (وكان ذلك مما يعجب).

(٢) في ك (ونأكل).

(٣) أخرجه أبو حاتم بن حبان في كتاب المغازي، باب فتح الإسكندرية. =

فصل

٤ ـ قتاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النَّصارى

ثم بعد الإرسال إلى الملوك، أخذ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزو النصارى، فأرسل أولاً زيد بن حارثة[١]، وجعفر بن أبي طالب[٢]، وعبد الله بن رواحة[٣] في جيش، فقاتلوا النصارى بمؤتة[٤] من أرض الكرك[٥]، وقال لأصحابه: «أميركم زيد، فإن قتل، فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فقتل الثلاثة، وأخبر النبي[٦] ـ صلَّى الله عليه

= انظر موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٢٠ حديث رقم (١٧١١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٨/٦، باب وقعة الإسكندرية، كتاب المغازي والسير، قال: «رواه الطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) مؤتة: بالضم، ثم واو مهموزة ساكنة، وتاء مثناة فوقية، وبعضهم لا يهمزه: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر معجم البلدان ٢١٩/٥؛ ومراصد الاطلاع ١٣٣٠/٣.
ووقعت فيها موقعة مؤتة سنة ٨هـ. وانظر في خبر مؤتة صحيح البخاري ـ كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة ٨٦/٥.

(٥) الكرك: بفتحتين: قلعة حصينة جداً في طرف الشام، من نواحي البلقاء في جبالها. بين أيلة، وبحر القلزم (البحر الأحمر الآن) وبيت المقدس، وهي على جبل عال. انظر مراصد الاطلاع ١١٥٩/٣.

(٦) أخرج البخاري في صحيحه في المغازي، باب غزوة مؤتة ٨٧/٥ من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ، أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: نعى زيداً وجعفراً، =

وسلَّم ـ بقتل الثلاثة في اليوم الذي قتلوا فيه، وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد[1]، ففتح الله على يديه، ثم أنه بعد هذا غزا النصارى بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة، ولم يأذن في التخلف عنه لأحد، وغزا ـ في عشرات ألوف غزوة تبوك[2] فقدم تبوك، وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى: عربهم وورومهم، وغيرهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله، ولم يقدموا عليه.

وأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك أكثر سورة براءة، وذم ـ تعالى ـ الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذماً عظيماً.

والذين لم يروا جهادهم طاعة جعلهم منافقين كافرين، لا يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، وقال لنبيّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

= وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان. حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم.

قلت: وهذا من علائم النبوة، ودلائلها الواضحة. وقد ذكر ذلك البيهقي في دلائل النبوة.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تبوك بالفتح، ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف، قال في مراصد الاطلاع ٢٥٣/١ قرية بين وادي القرى والشام، بها عين ماء ونخل، وكان لها حصن خرب، وانظر معجم البلدان ١٤/٢.

قلت: وهي إحدى مدن الدولة السعودية اليوم ومركزالمنطقة الشمالية منها وقد وقعت بها غزوة تبوك سنة تسع للهجرة، عام الرمادة. وتسمى غزوة العسرة، لما أصاب المسلمين في عامها من جدب وقحط. وقد ورد ذكرها في صحيح البخاري ١٢٨/٥. باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة.

وانظر في خبرها ابن هشام ١١٨/٤؛ وابن سعد ١٦٥/٢؛ وابن جرير ١٠٠/٣ ـ ١١١؛ وابن كثير ٢/٥؛ وزاد المعاد ٥٢٦/٣.

﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ . . . ﴾[2].

الآية.

فإذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلف عن جهادهم إذ لم يره طاعة، ولا رآه[3] واجباً، فكيف حكمه فيهم أنفسهم؟ حتى قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ . . . ﴾[4].

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٤.

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب التفسير بقوله: باب قوله: «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» وساق في ذلك حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ وفيه أنه لما مات عبد الله بن أبي صلّى عليه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال ابن عمر وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونْ﴾.

انظر صحيح البخاري ٥/٢٠٧؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٩٢ ـ ١٩٣؛ ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٢٢.

(٣) في ط (يراه).

(٤) سورة التوبة: الآية ٢٤.

ثم عند موته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمرنا[1] بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

ففي صحيح مسلم: أن عمر بن الخطاب[2] قال سمعت النبي[3] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»[4].

وروى الإمام أحمد، وأبو عبيد عن أبي عبيدة بن الجراح ــ رضي الله عنه ــ قال: آخر ما تكلم به رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «أخرجوا يهود أهل الحجاز، ونصارى أهل نجران من جزيرة العرب»[5] (*).

---

(١) في س، ك (أمر).

(٢) في س (رضي الله عنه).

(٣) في ط (رسول الله).

(٤) رواه مسلم في الجهاد، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٣٨٨/٣ (١٧٦٧). ورواه أبو داوود في الخراج، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٤٢٤/٣. ورواه الترمذي في السير، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٥٦٠/٤ (١٦٠٦). وبسند آخر من حديث عمر أيضاً بلفظ: «لأخرجن اليهود والنصارى...» وذكره ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في مسند عمر ٢٩/١ بلفظ: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن... إلخ»، في ٣٢/١. وأخرجه أبو عوانة في مسنده، باب الخبر الموجب إخراج اليهود والنصارى من حديث عمر ١٦٥/٤، ورواه أبو عبيد في الأموال ص ٩٨ من حديث جابر ــ رضي الله عنه ــ.

(٥) من قوله: «وروى الإمام أحمد إلى هذا الموضع ساقط من أ، س، ك وألحقناه من ط.

(*) وهذا الحديث رواه أحمد في مسند أبي عبيدة ١٩٥/١؛ وتتمته: «واعلموا أن شرار =

وقـام خلفاؤه ـ رضي الله عنهم ـ بعـده بـدينـه ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فأرسل أبو بكرٍ الصديق الجيوش لغزو النصارى بالشام، وجـرت بين المسلمين وبينهم عـدة غـزوات، ومـات أبـو بكـر وهم محـاصـرو دمشق[1]. ثم ولي عمـر بن الخطاب ففتـح عامـة الشام ومصـر والعـراق وبعض خراسان[2] في خلافته، وقدم إلى الشام في خـلافته، وسلم إليـه النصارى بيت المقدس لما رأوه من صفته عندهم.

قـال أبو عبـد الله محمد بن عـائذ[3] في كتـاب الفتوح قـال: قـال

= النـاس الذين اتخـذوا قبور أنبيـائهم مسـاجـد، وأبـو عبيـد في الأمـوال ص ٩٩ رقم (٢٧٦)، ورواه الحميـدي بسنده عن أبـي عبيـده بلفظ: «اخرجـوا يهود الحجاز من الحجـاز». ١/٤٦ (٨٥)؛ والـدارمي بلفـظه ٢/٢٣٣ (بـاب إخـراج المشـركين من جـزيرة العـرب)، وانظر كشف الخفـا ومزيـل الإلباس ١/٦٩ (١٥٥) وعـزاه للإمـام مسلم من حـديث ابن عمـر، وأبـي يعلى في الكنى، وأبـي نعيم وابن عســاكـر عن أبـي عبيدة وذكره باللفظ الذي ساقه المؤلف.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢، ١٤، ٢٣ (وفيها أن الصديق ـ رضي الله عنه ـ توفي قبل فتح دمشق)، وانظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٧.

(٢) خراسان: بلاد واسعة. أول حدودها ممـا يلي العراق أزاذورد قصبـة جوين، وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان، وغزنة، وسجستان. وليس ذلك منها. ومن أمهات بلادها: نيسابور، وهراة، ومرو. انظر مراصد الاطلاع ١/٤٥٥.

(٣) محمد بن عائذ بن أحمد القـرشي، أبو أحمـد، ويقال: أبـو عبد الله، الـدمشقي ولد سنة ١٥٠هـ صاحب المغازي، وثقه ابن معين، وابن حبان، وقال النسـائي: ليس به بأس وذكره أبـو زرعة في أهـل الفتوى، وولي خـراج الغوطـة بدمشق، للمـأمون. من مصنفاته الصوائف، والسير، والمغازي.
مات سنة ٢٣٤هـ.
راجـع: شذرات الـذهـب ٢/٧٨؛ والـوافي بـالـوفيـات ٣/١٨١؛ والنجـوم الـزاهـرة ٢/٢٦٥؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٤١ (٣٨٨)؛ والأعلام ٦/١٧٩.

عطاء الخراساني[1]: لما نزل المسلمون بيت[2] المقدس، قال لهم رؤساؤهم: إنا قد أجمعنا لمصالحتكم وقد عرفتم منزل بيت المقدس. وأنه المسجد الذي أسرى بنبيكم إليه ونحن نحب أن يفتحها ملككم ـ وكان ـ[3] الخليفة عمر بن الخطاب ـ فبعث المسلمون وفداً، وبعث الروم أيضاً وفداً مع المسلمين حتى أتوا[4] المدينة، فجعلوا[5] يسألون عن أمير المؤمنين، فقال الروم لترجمانهم: عمن يسألون؟ قالوا: عن أمير المؤمنين، فاشتد عجبهم وقالوا: هذا الذي[6] غلب فارس والروم، وأخذ كنوز كسرى وقيصر، وليس له مكان يعرف به. بهذا غلب الأمم، فوجدوه قد ألقى نفسه حين أصابه الحر نائماً، فازدادوا تعجباً، فلما قرأ كتاب أبي عبيدة أقبل حتى نزل بيت المقدس وفيها اثنا[7] عشر ألفاً من الروم وخمسون ألفاً من أهل الأرض فصالحهم، وكان من جملة المصالحة أن لا يدخل عليهم من اليهود أحد، ثم دخل المسجد فوجد

---

(١) عطاء بن عبد الله الخراساني. وهو عطاء بن أبي مسلم ولد سنة ٥٠هـ، من كبار العلماء، رحل وطاف بالبلاد، وسكن الشام، قال ابن حجر: صدوق، يهم كثيراً، ويرسل، ويدلس.
مات سنة ١٣٥هـ. وله تصانيف منها التفسير، والناسخ والنسوخ، مخطوط أجزاء منها.
راجع: تقريب التهذيب ٢/ ٢٣ (١٩٩)؛ وميزان الاعتدال ٣/ ٧٣؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٦٧؛ والأعلام للزركلي ٤/ ٢٣٥.

(٢) في ك (ببيت).

(٣) في ط (وكمان) وهو تصحيف.

(٤) في ط (أوتوا) وهو تصحيف.

(٥) في ك (وجعلوا).

(٦) سقطت (الذي) من أ وزدناها من باقي النسخ.

(٧) في ط (اثني).

زبالة عظيمة على الصخرة، فأمر بكنس[1] الزبالة، وتنظيف المسجد وأمر ببنائه وجعل مصلاه في مقدمه، ثم رجع إلى المدينة، وقصته مشهورة في كتاب الفتوحات، ثم قدم مرة ثانية إلى أرض الشام لما تم فتحه فشارط بوضع الخراج، وفرض الأموال، وشارط أهل الذمة على شروط المسلمين فأتم بها المسلمون[2] بعده.

وقد ذكرها أهل السير وغيرهم، فروى[3] سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال: كتبت لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا [4] ما حولها ديراً [5]، ولا كنيسة [6]

(١) في ط (بنكس) وهو تصحيف ظاهر.

(٢) لم أقف على كتاب الفتوح لمحمد بن عائذ، ولكن قصة فتح بيت المقدس، والمصالحة التي جرت، وإعطاء الأمان، وسائر ما ذكره المؤلف عن محمد بن عائذ مشهور في كتب التاريخ فانظر منها.
تاريخ ابن جرير الطبري ٣/٦٠٧ ـ ٦١٣؛ وتاريخ خليفة بن خياط القسم الأول/ ص ١١٢، ١٢٤؛ وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٢٧ ـ ١٣٢؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٥٥ ـ ٥٨.

(٣) في أ (قال).

(٤) سقطت (لا) من ك.

(٥) الدير: هو دور الرهبان والراهبات من النصارى، وجمعه أديار وديارات، وصاحبه ديار، ويبنى خارج البلد ينفردون فيه عن الناس.
انظر المعجم الوسيط ١/٣٠٦؛ والقاموس المحيط ٢/٣٣ (فصل الدال باب الراء)؛ والمصباح المنير ١/٢٧٩؛ وانظر كتاب تاريخ الرهبنة والديرية للنصراني د. رؤوف حبيب فيه حديث مفصل عن الأديرة في مصر، وأسمائها انظر ص ١٠٥ إلى آخر الكتاب (مطبعة العالم العربي بالقاهرة)، نشر مكتبة المحبة النصرانية في القاهرة، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦٨.

(٦) الكنيسة: هي متعبد اليهود والنصارى، وقد تحدث الدكتور رؤوف حبيب، النصراني =

ولا قـلاية[1] ولا صـومعة[2] راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينـزلها أحـد من المسلمين ثلاث ليال يطعمـونهم، ولا يؤوا جاسوسـاً، ولا يكتمـوا غشـاً للمسلمين، ولا يعلمـوا أولادهم القـرآن، ولا يـظهـروا شـركـاً، ولا يمنعـوا ذوي قـرابتهم من الإسـلام أن أرادوه، وأن يـوقــروا المسلميـن، وأن يقــومــوا[3] لـهم إذا أرادوا الـجلوس، ولا يـتشـبهــوا بـالمسلمين بشيء من لبـاسهم في قلنســوة[4] ولا عمـامــة، ولا نعلين، ولا فـرق شعـر، ولا يتسمـوا بـأسمـاء المسلمين، ولا يكتنـوا بكنــاهم، ولا يـركبوا سـرجاً[5]، ولا يتقلدوا سيفـاً، ولا يتخـذوا شيئـاً من سـلاح،

= عن الكنائس القبطيـة، وبين أن لها طـابعاً خـاصاً في كتـابه (المـوجز التـاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقـاهرة) انـظر ص ١١ ــ ١٤ (مطبعـة دار العالم العـربي) نشر مكتبة المحبة النصرانية بالقاهرة.

وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ــ رحمه الله ــ ٢/٦٦٩.

والبيعة هي الكنيسة، وجمعها بيع، انظر القامـوس المحيط ٣/٨؛ ومختار الصحـاح ص ٧١؛ والمصباح المنير ١/٩٧.

(١) القـلاية: مبنى يبنيـه النصارى كـالمنارة، ولا تكـون إلا لـواحـد ينفـرد فيهـا بنفسـه، ولا يكون لها باب، بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرابه وما يحتاج إليه. انظر كتاب أحكام أهل الذمة ٢/٦٦٨.

(٢) الصومعة كالقلاية تكون للراهب وحده، معبد صغير، وقيل القلاية تكون منقطعـة في فلاة من الأرض، والصومعة تكون على الطرق، وهي دقيقة الرأس انظر أحكـام أهل الـذمة لابن القيم ٢/٦٦٨ ــ ٦٦٩؛ والقـامـوس المحيط ٣/٥٢؛ ومختـار الصحـاح ص ٣٦٩.

(٣) في ط (يقيموا).

(٤) القلنسوة: بفتح القـاف واللام، وسكـون النون، وضم السين، وهي لبـاس يلبس في الرأس يكون تحت العمامة يشبه الطاقية. وجمعه قلانس، وقلانيس.
انـظر القـامـوس المحيط ٢/٢٤٢؛ والمصبـاح المنيـر ٢/٧٠٤؛ ومختـار الصحــاح ص ٥٤٨.

(٥) سـرج الدابـة معروف، وجمعـه سـروج، وأسـرجت الفـرس شـدت عليـه سـرجـه، أو عملت له سرجاً. انظر المصباح المنير ١/٣٧١.

ولا ينقشـوا خواتيمهم بـالعربيـة، ولا يبيعوا الخمـور، وأن يجـذوا مقـادم رؤوسهم، وأن يلزمـوا زيهم حيث مـا كـانـوا، وأن يشـدوا الـزنـانيـر[1] ولا يجـاوروا المسلمين بموتـاهـم، ولا يضربـوا بالنـاقـوس[2] إلا ضـربـاً خفيفاً.

ولا يـرفعوا أصـواتهم بـالقـراءة في كنـائسهم في شيء من حضـرة المسلمين، ولا يخـرجوا شعَـانين[3] ولا يرفعـوا مع مـوتـاهـم أصـواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من[4] الـرقيق ما جـرت عليه سهـام المسلمين، فـإن خالفـوا في شيء مما شـرطوه، فـلا ذمة لهم وقـد حـل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. أخرجه أبو داوود في سننه[5].

---

(١) الزنانير: جمع زنار، وهو حزام يشده النصارى على أوساطهم.
انظر مختار الصحاح ص ٢٧٦، والمصباح المنير ١/٣٤٩.

(٢) الناقوس: خشبة طويلة يضربها النصارى إعلاماً للدخول في صلاتهم.
انظر المصباح المنير ٢/٨٥٤؛ والقاموس المحيط ٢/٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) في س (سغـانين) بـالسين المهملة والغين المعجمـة وفي ك، ط (سعـانين) بـالسين والعين المهملتين، والصـواب ما أثبتنـاه من أ والشعـانين بـالشين المعجمـة، والعين المهلة، عيـد كبير من أعيـاد النصارى، يقـع في يـوم الأحـد، الثـاني والأربعين من الصـوم، ويسمى أيضاً عيـد الزيتـونة، وهـو يعني التسبيح. قـالوا: وهـو يوم ركـوب المسيح الحمار، ودخوله القدس.
انـظر تاريـخ ابن الوردي ١/١٢٨؛ ونخبـة الدهـر في عجائب البـر والبحر، لشمس الدين الأنصاري ص ٢٨٠.

(٤) سقطت (من) من س.

(٥) لم أقف عليه في سنن أبـي داوود، وإنما هو في سنن البيهقي ـ مع اختلاف يسير في الألفاظ ـ أخرجه بسنده في السنن الكبرى(كتاب الجزية)، بـاب الإمام يكتب (كتـاب الصلح على الجزية) ٩/٢٠٢؛ وذكرها ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ في اقتضـاء الصراط المستقيم ١/٣٢٠ ـ ٣٢١ (تحقيق الدكتور ناصر العقـل) وقال شيـخ الإسلام: «رواه حـرب بإسنـاد جيد» ثم ذكـر رواية الخـلال، وقال بعـد أن ساق بقيـة المتن: «وهـذه =

وقال أبو عبيد[1] في كتاب الأموال[2]: «حدثنا النضر بن إسماعيل[3] عن عبد الرحمن ابن إسحاق[4] عن خليفة بن

= الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم، وسائر الأئمة».

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها». انظر كتابه أحكام أهل الذمة ٢/٦٤٣ ــ ٦٤٤؛ بتحقيق الدكتور صبحي الصالح وقد بنى عليها كتابه هذا كله، فلو كان عنده أدنى شك في صحتها لما فعل ذلك على ما نظنه بابن القيم ــ رحمه الله ــ ، وحسبنا أن ابن تيمية قال: «رواه حرب بإسناد جيد» وانظر المحلى لابن حزم حيث ساقها بسنده عن عبد الرحمن بن غنم ٧/٣٤٦ ــ ٣٤٧.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «وقد كان هذا التمييز بين الناس تبعاً لأديانهم أمراً ضرورياً في ذلك الوقت، وكان أهل الأديان أنفسهم حريصين عليه، ولم يكن هناك وسيلة للتمييز غير الزي، حيث لم يكن لديهم نظام البطاقات الشخصية في عصرنا التي يسجل فيها مع اسم الشخص ولقبه دينه، وحتى مذهبه، فالحاجة إلى التمييز وحدها هي التي دفعت إلى إصدار تلك الأوامر والقرارات، ولهذا لا ترى في عصرنا أحداً من فقهاء المسلمين يرى ما رآه الأولون من وجوب التمييز في الزي لعدم الحاجة إليه...». انظر كتابه غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٦٠. وفيه أيضاً إجابة على الشبه التي أوردها أصحابها للطعن بها في معاملة المسلمين للنصارى. فانظر من ص ٥٨ ــ ٧٨ آخر الكتاب تحت عنوان «رد شبهات».

(١) في ط (عبيدة) وهو خطأ.

(٢) انظر الأموال ص ٥٣ خبر رقم (١٣٨) باب الجزية كيف تجتبى، وما يؤخذ به أهلها من الزي.

(٣) النضر بن إسماعيل بن حازم البجلي، الكوفي، القاص، ليس بالقوي، مات سنة ١٨٢هـ (والنضر) بالضاد المعجمة كما في التقريب. راجع تقريب التهذيب ٢/٣٠١ (٨٢)؛ والتهذيب ١٠/٤٣٤.

(٤) عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي، أبو شيبة، ويقال كوفي، ضعيف. من السادسة، ولم يذكر تاريخ وفاته. =

قيس[1] قال: كان[2] عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يأمر فأكتب إلى أهل الأمصار في أهل الكتاب أن يجزوا نواصيهم، وأن يربطوا الكستيجات[3] في أوساطهم ليعرف[4] زيهم من زي أهل الكتاب.

وحدثنا أبو المنذر[5]، ومصعب بن المقدام[6] كلاهما عن سفيان[7]

انظر في ترجمته تقريب التهذيب ١/٤٧٢ (٨٦٤)؛ وميزان الاعتدال ٢/٥٤٨؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٢٤.

(١) خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة: مولاه. قال البخاري: لم يصح حديثه.
وقال أبو حاتم: خليفة بن قيس، شيخ ليس بالمعروف، وذكره العقيلي في الضعفاء.
ولم أقف على تاريخ وفاته.
انظر ترجمته في لسان الميزان ٢/٤٠٨ (١٦٧٧)؛ وميزان الاعتدال ١/٦٦٥ (٢٥٦٢).
قلت: وهذا سند ضعيف: خليفة «ليس بالمعروف» كما قال أبو حاتم.
وعبد الرحمن بن إسحاق: هو أبو شيبة الواسطي: ضعيف.

(٢) في أ، س (قال)، وصححناه من ك، ط.

(٣) في ط (الكستنجات)، صوابه ما أثبتناه من سائر النسخ ومن الأموال وهي جمع (كستيج): بالضم خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه، دون الزنار، معرب كستي.
انظر القاموس المحيط، باب الجيم، فصل الكاف واللام ١/٢٠٥.
وجاء في أحكام أهل الذمة بتحقيق د. صبحي الصالح ٢/٧٦٢ أنها لفظة فارسية الأصل انتقلت إلى بلاد الشام انظر التعليق رقم (٤).

(٤) في ط (لعرف) وهو خطأ.

(٥) أبو المنذر: هو إسماعيل بن عمر الواسطي نزيل بغداد قال الحافظ: «ثقة من التاسعة. مات بعد المائتين».
تقريب التهذيب ١/٧٢ (٥٣٧)؛ والتهذيب ١/٣١٩.

(٦) مصعب بن المقدام الخثعمي، الكوفي، صدوق له أوهام، من التاسعة.
مات سنة ٢٠٣هـ.
التقريب ٢/٢٥٢ (١١٦٠)؛ والتهذيب ١٠/١٦٥؛ والخلاصة ص ٣٧٨.

((٧)) سفيان الثوري (سبقت ترجمته)، وهو ثقة، حافظ، فقيه، عابد.

عن عبيد الله بن عمر[1]، عن نافع[2]، عن أسلم[3] قال: كتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يختموا رقاب أهل الذمة[4].

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن[5]، عن عبد الله[6] بن عمر، عن نافع، عن أسلم[7] أن عمر أمر في[8] أهل الذمة أن يجزوا[9] نواصيهم، وأن يركبوا على الأكف، وأن يركبوا عرضاً لا يركبوا كما يركب المسلمون، وأن يوثقوا المناطق[10].

قال أبو عبيد: يعني الزنانير.

---

(١) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، العمري، المدني، ثقة ثبت. مات سنة ١٤٧هـ.
التقريب ١/٥٣٧ (١٤٨٨)؛ والخلاصة ص ٢٥٢؛ والتهذيب ٧/٣٨.

(٢) نافع الفقيه، مولى ابن عمر، أبو عبد الله المدني، ثقة، ثبت، فقيه، مشهور من الثالثة، مات سنة ١١٧هـ.
التقريب ٢/٢٩٦ (٣٠)؛ والتهذيب ١٠/٤١٢؛ والخلاصة ص ٤٠٠.

(٣) أسلم العدوي، مولاهم، أبو خالد، قيل أنه حبشي، أدرك زمن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثقة، مات سنة ٨٠هـ. وهو ابن ١١٤ سنة.
انظر التقريب ١/٦٤ (٤٦٥)؛ والتهذيب ١/٢٦٦؛ والخلاصة ص ٣١.

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٥٣ رقم (١٣٦) بسند حسن.

(٥) عبد الرحمن بن إسحاق: سبقت ترجمته وهو ضعيف.

(٦) في أ، س، ك (عبيد الله) وصححناه من كتاب الأموال ص ٥٣ ومن ط. وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، العمري، أخو عبيد الله الذي تقدم ذكره رقم (١) قال الحافظ: ضعيف، عابد من السابعة مات سنة ١٧١هـ.
انظر التقريب ١/٤٣٤ (٤٩٠)؛ والتهذيب ٥/٣٢٦؛ والخلاصة ص ٢٠٧.

(٧) نافع وأسلم سبقت ترجمتها.

(٨) سقطت (في) من ط.

(٩) في س، ك (تجز).

(١٠) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٥٣ (١٣٧) بسند فيه عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق كذلك ضعيف.

وكما[1] كتب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ على[2] أهل الذمة هذه الشروط والتزموها، أوصى بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم، وهذا هو العدل الذي أمر الله به ورسوله.

ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته: وأوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم[3].

وهذا امتثال لقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه من حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس. فأنا حجيجه يوم القيامة»[4] رواه أبو داود.

---

(١) في ط (ولما).

(٢) سقطت (على) من ط.

(٣) هذا قطعة من خبر طويل أخرجه الإمام البخاري: في فضائل أصحاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ــ رضي الله عنه ــ وفيه مقتل عمر ــ رضي الله عنه ــ . وفيه وصية عمر لمن بعده في ٤/ ٢٠٦.
قلت: وقد وردت الوصية بدون ذكر النص السابق: مختصرة في صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٤؛ وفي سنن أبي داوود ٣/ ٣٥٠؛ وفي سنن الترمذي رقم (٢٢٢٦)؛ وفي مسند أحمد في ١/ ٢٠، ٤٦.

(٤) رواه أبو داوود في الخراج، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات ٣/ ٤٣٧ قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٩٢ (١٠٤٤) «وسنده لا بأس به، ولا يضر جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة، فإنهم عدد تجبر به جهالتهم، ولذا سكت عليه أبو داوود. قال السخاوي: وهو عند البيهقي في سننه من هذا الوجه، وقال عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، عن آبائهم، عن دُنْيَةٍ وذكره... ثم قال، وله شواهد بينتها في جزء وأفردته لهذا الحديث...». اهـ كلام السخاوي.
وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٢٨. وكشف الخفا =

فكان هذا في النصارى الذين[1] أدوا إليه الجزية.

وعمر[2] بن الخطاب لما فتح الشام وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون، أسلم منهم خلق كثير لا يحصي[3] عددهم إلا الله[4] ــ تبارك وتعالى ــ فإن العامة[5] والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى، ولم يكن في المسلمين من يعمل فلاحة ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجد يصلون فيه إلا مسجد واحد لقلتهم، ثم صار أكثر أهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لا كرهاً، فإن إكراه أهل الذمة على الإسلام غير جائز، كما قال[6] ــ تعالى ــ :

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[7].

= ومزيل الإلباس ٢/٢٨٥. وراجع تعليق شيخنا: عبد الفتاح أبو غدة ــ حفظه الله ــ في كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن القيم. عند حديث «من آذى ذمياً فقد آذاني» ص ١٢٣ ــ ١٢٤ (رقم: ٢٧٨).

(١) في س (الذي).
(٢) سقطت الواو من ط.
(٣) في ط (تحصى) بالمثناة الفوقية.
(٤) سقط لفظ الجلالة من ط.
(٥) سقطت الواو من ك.
(٦) في ط (كما قال الله تعالى).
(٧) سورة البقرة: الآيتان ٢٥٦، ٢٥٧.

قال أبو عبيد في كتاب الأموال: عن ابن الزبير قال: كتب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى أهل اليمن: «أنه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهودية أو نصرانية، فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية»[1].



(١) أخرجه أبو عبيد وفيه اختلاف يسير في اللفظ في كتاب الأموال ص ٢٧؛ والبيهقي ١٩٤/٩ من طريق عثمان بن صالح، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود (محمد بن عبد الرحمن)، عن عروة بن الزبير. وهذا السند حسن لكنه مرسل وسبقت ترجمة رجال السند.
قال الشيخ ناصر الدين الألباني في أرواء الغليل، ٩٧/٥: «ويقويه شاهد آخر، رواه ابن زنجوية في الأموال، عن النضر بن شميل، عن عوف، عن الحسن، قال: كتب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ . . .» ثم ذكره. قال الشيخ: وهذان الحديثان مرسلان يقوي أحدهما الآخر.

فصل

٥ ـ إرسال الكتب والرُّسُل إلى ملوك الفُرس

وقاتل عمر بن الخطاب الفرس المجوس، وفتح أرضهم وظهر تصديق خبر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حيث قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ»[1] أخرجاه في الصحيحين.

وهذا، بعد أن بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسوله إلى المجوس، وكتب كتاباً إلى كسرى ملك الفرس، كما كتب إلى ملوك النصارى كما تقدم عن قيصر والمقوقس، ولكن ملوك النصارى تأدبوا معه وخضعوا له[2] فبقي ملكهم. وأما ملك الفرس فمزق كتابه، فدعا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه/ المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٨٢/٤ من حديث جابر بن سمرة، وليس فيه جملة «والذي نفسي بيده».
ورواه من حديث أبي هريرة في/ الإيمان، باب كيف كانت يمين النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢١٨/٧ ولفظه «والذي نفس محمد بيده» وذكر تمام الحديث.
ورواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «قد مات كسرى فلا كسرى بعده... الحديث. ٢٢٣٦/٤(٧٥) كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... إلخ، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة في الفتن ٤٩٧/٤ وقال: حديث حسن صحيح.
ورواه أحمد ٢٣٣/٢، ٢٤٠، ومن حديث جابر ٩٢/٥، ص ٩٩.
ورواه الشافعي في مسنده كتاب الجزية ص ٢٠٨، والحميدي في مسنده من حديث أبي هريرة ٤٦٧/٢(١٠٩٤).

(٢) سقطت (له) من س، ك.

عليهم فقال: «اللهم مزق ملكهم كل ممزق»[1] فلم يبق لهم ملك.

قال ابن عباس: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى فدفعه[2] إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه ـ يعني كسرى ـ مزقه[3] فدعا عليهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يمزقوا كل ممزق[4].

وقال ابن إسحاق: كتب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى: فلما[5] قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر: لما[6] قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده، فبلغ ذلك رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أما هؤلاء ـ يعني كسرى ـ فيمزقون[7]، وأما هؤلاء، فستكون لهم بقية».

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) سيأتي تخريج ذلك بحسب إيراد المؤلف له في الصفحات التالية.

(٢) في ك، ط (يدفعه).

(٣) في أ، س (حرقه)، وفي ك (خرقه) وصححناه من ط، ومن صحيح البخاري.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ١/٢٤ وفيه «فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يمزقوا كل ممزق، ورواه البخاري في الجهاد، باب دعوة اليهودي والنصراني، وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر ٣/٢٣٥، ورواه في المغازي باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر ٥/١٣٦، ورواه في أخبار الآحاد ٨/١٣٦.

ورواه أحمد من حديث ابن عباس في ١/٢٤٣، ٢٤٤/٣٠٥.

(٥) في س، ك (لما).

(٦) في ط (فلما).

(٧) في س (ممزقون).

عبد الله بن حذافة[1] بن قيس السهمي إلى كسرى[2] بن هرمز ملك الفرس[3]، وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتَّبع الهدى، آمن بالله ورسوله، واشهد أن لا إلـه إلَّا الله ــ وحده لا شريك له ــ، وأن محمداً عبده ورسوله، فإني أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم وإن أبيت، فإن إثم المجوس[4] عليك».

فلما قرأ كتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شققه وقال: يكتب إلي بهذا الكتاب وهو عبدي؟[5].

---

(١) عبد الله بن حذافة، القرشي، السهمي، أبو حذافة:
من السابقين الأولين، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، مع أخيه قيس بن حذافة. وكان رسول رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى، وشهد بدراً وغيرها من المشاهد. وذكر له ابن حجر قصة عظيمة، مع ملك الروم لما عرض عليه التنصر تدل على قوة إيمانه بالله، توفي ــ رضي الله عنه ــ في خلافة عثمان. راجع في ترجمته: الإصابة ٢/٢٨٧، والاستيعاب ٢/٢٧٤، وتهذيب التهذيب ٥/١٨٥، وتأريخ الإسلام للذهبي ٢/٨٧، والأعلام ٤/٧٨.

(٢) كسرى هو:
إبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ، وهو الذي غلب الروم، في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾، وقد قتله ابنه ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة. قال فيه خالد بن حق الشيباني:

وكسرى إذ تقسمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم ... ألا ولكل حاملة تمام

راجع: تاريخ الطبري ٢/١٧٦، والبداية والنهاية ٢/١٨٠، وتتمة المختصر ١/٧٢ ــ ٧٤.

(٣) في س، ك (فارس).

(٤) في ط (المجوسية).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ، ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك، ٢/٦٥٤ ــ ٦٥٥.

=

قلت: وسبب قول كسرى هذا واستعلائه: أن الحبشة كانوا قد ملكوا اليمن، وملكهم سار إلى مكة بالفيل ليخرب البيت وكانوا نصارى، فأرسل الله عليهم من ناحية البحر طيراً أبابيل ـ وهي جماعات في تفرقة ـ تحمل حجارة من طين، فألقتها على الحبشة النصارى فأهلكتهم[1]، وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الأمم للبيت وجيران البيت.

وعلم العقلاء أن هذا لم يكن نصراً من الله لمشركي العرب؛ فإن دين النصارى خير من دينهم، وإنما كان نصراً للبيت وللأمة المسلمة التي تعظمه وللنبي المبعوث من البيت، وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأنزل[2] الله في ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[3].

ثم إن سيف بن ذي يزن[4] ذهب إلى كسرى، وطلب منه جيشاً

= وقد ورد الكتاب في صحيح البخاري كما تقدم تخريجه في مواضع متعددة، وفي مسند أحمد ١/٢٤٣، ٣٠٥، ٤/٧٥، وفي السنن الكبرى ٩/١٧٧، وفي كنز العمال ١٠/٦٣٢(٣٠٣٣٠) كتاب الغزوات، والكامل ٢/٨١، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢٩٣، والوفا بأحوال المصطفى ٢/٧٣٢، والسيرة الحلبية ٣/٢٧٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٥٨، والبداية والنهاية ٤/٢٧٠، والأموال لأبي عبيد ص ٢٣، وصبح الأعشى ٥/٣٧٧. وغيرها.

(١) في س، ك (فأهلكهم الله).
(٢) في س، ك (وأنزل).
(٣) سورة الفيل.
(٤) سيف بن ذي يزن ذي أصبح الحميري: =

يغزو به الحبشة، فأرسل معه عسكراً من الفرس المجوس، فأخرجوا الحبشة من اليمن، وصارت[1] اليمن بيد العرب، وبها نائب كسرى، وسيف بن ذي يزن هذا ممن بشَّر بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل ظهوره، وأخبر بذلك جده عبد المطلب[2] لما وفد عليه.

فلما كانت اليمن مطيعة لكسرى، لهذا أرسل إلى نائبه على اليمن[3] أن يأتيه بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؛ لأن عسكر اليمن في العادة يقهر أهل مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «مزق الله ملكه» حين بلغه أنه شقق كتابه.

ثم كتب كسرى إلى باذان[4] وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتياني به. قال: فبعث

= من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. وقد قيل أن اسمه: معد يكرب. ولد نحو سنة ١١٠ قبل الهجرة، وتوفي سنة ٥٠ قبل الهجرة، ونشأ بصنعاء وقد استعان بملك الفرس كسرى، على ملوك الحبشة، وقتل ملك الحبشة مسروق بن أبرهة. ثم قتله طائفة من الأحباش بصنعاء وهو آخر من ملك اليمن من قحطان.

راجع في ترجمته: الكامل لابن الأثير: ١/١٥٨، وسيرة ابن هشام ١/٥٥.

والروض الأنف ١/٥١، والبداية والنهاية ٢/١٧٧، والأعلام ٣/١٤٩.

(١) في س (فصارت). وانظر تفصيل القصة في سيرة ابن هشام ١/٥٦.

(٢) في أ (عمه أبا طالب) وهو خطأ. صوابه ما أثبته من سائر النسخ ومن كتب التاريخ لابن جرير ولابن كثير وغيرهما.

(٣) في ك، ط (باليمن).

(٤) باذان: آخره نون، ويقال ميم. الفارسي من الأبناء الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وكان ملك اليمن في زمانه، وأسلم لما هلك كسرى، وبعث بإسلامه إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فاستعمله على بلاده. ثم مات فاستعمل ابنه شهر بن باذان على بعض عمله.

انظر الإصابة ١/١٧٣(٧٥٩)، والبداية والنهاية ٢/١٨٠.

باذان قهرمانه[1]: وهو بابويه[2]. وقال غيره: فيروز الديلمي ــ وكان حاسباً كاتباً ــ وبعث معه برجل من الفرس، وكتب معهما إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبابويه: ويلك، أنظر ما الرجل وكلمه وائتني بخبره.

قال: فخرجا حتى قدما إلى الطائف، فسألا عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: هو بالمدينة واستبشروا ــ يعني الكفار ــ وقالوا: قد نصب له كسرى كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فكلمه بابويه، وقال[3]: إن شاهنشاه ــ ملك الملوك ــ كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك فانطلق معي، فإن فعلت كتب[4] معك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وقد[5] حلقا لحاهما، وأبقيا شواربهما، فكره النظر إليهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وقال لهما: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا بهذا ربنا ــ يعنيان كسرى ــ فقال لهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ:

---

(١) قهرمانه: أي القائم بأموره. انظر تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٠٤.

(٢) في ط (بانويه) وصوابه ما أثبتناه من سائر النسخ ومن الإصابة لابن حجر، وتأريخ الطبري ٢/٦٥٥. وبابويه الفارسي، الكاتب، وهو الذي بعثه باذان إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما ذكر المؤلف. وقد أسلم وذكره ابن حجر في الإصابة ١/١٧٣(٧٥٧). ثم ذكر قصته.

(٣) في ك، ط (فقال).

(٤) في ك، ط (كتبت).

(٥) في ك، ط (وكانا قد).

«لكن ربي ـ عَزَّ وجَلَّ[1] ـ أمرني بإعفاء لحيتي وبقص شاربي[2]»، ثم قال لهما: «ارجعا حتى تأتياني الغد».

قال: وجاء الخبر من السماء، أن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ سلَّط على كسرى ابنه[3] شيرويه، فقتله في شهر كذا، في ليلة كذا، في ساعة كذا، فلما أتيا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لهما: «إن ربي قتل ربكما ليلة كذا، في شهر كذا، بعدما مضى من الليل كذا، سلَّط عليه ابنه شيرويه فقتله»، فقالا له: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بهذا عنك، ونخبر الملك به. قال: «نعم، أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي[4] إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك[5]، وملكتك[6] على قومك[7] من الأبناء» وأعطى رفيقه منطقة من[8] ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر.

---

(١) سقطت (عز وجل) من ك.

(٢) في ك (شواربي).

(٣) في ط (ولده) وما أثبتناه من سائر النسخ هو الموافق لما في تاريخ ابن حجر ٦٥٦/٢.

(٤) في أ، س (ينتهي) بدون واو، وما أثبتناه من ك، ط؛ وتاريخ ابن جرير ٦٥٦/٢.

(٥) في س (قدمك)، وفي أ (قدميك)، وما أثبته من ك، ط؛ وابن جرير ٦٥٦/٢.

(٦) في س (وملاك).

(٧) في أ، س (قريتك) وما أثبته من ك، ط، وابن جرير ٦٥٦/٢.

(٨) جاء في آخر الكلام في تاريخ ابن جرير ٦٥٧/٢ تفسير المنطقة: بأنها المعجزة بلسان حمير. ورفيقه هذا ورد اسمه «خرخسره» وكان يقال له: ذو المعجزة وجاء في المصباح المنير ٨٤٠/٢ «انتطق شد المنطق على وسطه، والمنطقة: اسم لما يسميه الناس الحياصة». وقال في القاموس ٢٨٥/٣ «المنطقة كمكنسة ما ينتطق به، وكمنبر وكتاب، شُقَّةٌ تلبسها المرأة وتشد وسطها مترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض والأسفل ينجر على الأرض...».

فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، ولننظرن[1] ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقاً ما بقي فيه كلام إنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا، فلم يلبث[2] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه.

أما بعد، فإنني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلَّا غضباً لفارس لما كان قد[3] استحل من قتل أشرافهم وتجهيزهم في بعوثهم[4]، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة[5] ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك[6] فيه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب[7] شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول الله، وأسلم لله وأسلمت أبناء فارس من كان منهم باليمن[8].

---

(١) في أ، ك (ولننتظرن) وما أثبتناه من س، ط هو المتفق مع تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦.
(٢) في س (يكتب) وفي تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦ (ينشب).
(٣) سقطت (قد) من س، ك.
(٤) هكذا في جميع النسخ وفي تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦ جاءت العبارة هكذا: (وتجميرهم في ثغورهم) والتجمير هو الحبس في الثغور. وهذه العبارة أولى وهي الأقرب للسياق.
(٥) في س (بالطاعة).
(٦) في س (إليه).
(٧) في ط (الكتاب ـ كتاب شيرويه ـ)، وما أثبته من سائر النسخ ومن تاريخ ابن جرير. وشيرويه هو ابن كسرى بن هرمز، كان شعاره وشياً أحمر، وتاجه أخضر قائماً بيمناه سيف مخروط، وأحس من أخوته نبواً عنه فقتل ثمانية عشر نفراً منهم ومن أولادهم. انظر: تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ص ٤٧.
(٨) انظر تأريخ ابن جرير الطبري ٢/٦٥٥ ـ ٦٥٧ أخرجه بسنده قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ـ يعني ابن الفضل الأبرش ـ، عن محمد بن إسحٰق، عن يزيد بن حبيب، قال ثم كتب كسرى إلى باذان... وساق الخبر كما ساقه المؤلف مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال أبو معشر[1]: حدثني المقبري[2] قال: جاء فيروز الديلمي[3] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال إن كسرى كتب إلى باذان: بلغني أن في أرضك رجلاً تنبأ[4] فاربطه وابعث به إلي، فقال له

= قلت: والسند فيه سلمة بن الفضل الأبرش: صدوق كثير الخطأ، وقال البخاري: عنده مناكير، وقال ابن عدي: عنده غرائب... انظر ترجمته في التقريب ١/٣١٨، وميزان الاعتدال ٢/١٩٢، وفي السند محمد بن إسحاق، ولم يصرح بالتحديث، والقصة مشهورة في السير ذكرها ابن كثير في تاريخه، وعزاها إلى ابن جرير بالسند السابق ٤/٢٧٠، وذكرها صاحب السيرة الحلبية ٣/٢٧٨، وسيرة ابن دحلان هامش السيرة الحلبية ٣/٦٥، ومحمد بن سعد في الطبقات ١/٢٦٠، وابن حجر في الإصابة ١/١٧٣ وعزاها لابن أبي الدنيا في دلائل النبوة من طريقين وأخرجهما أبو نعيم في الدلائل ص ٢٩٣.

(١) أبو معشر: نجيح بن عبد الرحمن السندي:
ضعيف أسن، واختلط. ونقل ابن حجر عن أحمد: أنه كان بصيراً بالمغازي، ونقل الذهبي عن ابن المديني، قوله: كان يحدث عن المقبري، ونافع بأحاديث منكرة.
راجع: التقريب ٢/٢٩٨(٤٦)، وميزان الاعتدال ٤/٢٤٦، والتهذيب ١٠/٤١٩.

(٢) المقبري: هو سعيد بن أبي سعيد المقبري:
نسبة إلى مقبرة بالمدينة، كان مجاوراً لها. وهو صاحب أبي هريرة، وابن صاحبه، قال الذهبي: ثقة حجة.
وقال ابن حجر، تغير قبل موته بأربع سنين، مات سنة ١٢٥هـ.
التقريب ١/٢٩٧(١٧٩)، وميزان الاعتدال ٢/١٣٩، والتهذيب ٤/٣٨.

(٣) فيروز الديلمي:
يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، ويقال له الحميري لنزوله بحمير، وهو من أبناء فارس، فرس صنعاء، وفد على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو قاتل الأسود العنسي، الذي ادَّعى النبوَّة بصنعاء سنة ١١هـ على الصحيح مات في خلافة عثمان، وقيل في خلافة معاوية باليمن سنة ٥٣هـ.
راجع الاستيعاب ٣/١٩٩، والإصابة ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٥، وطبقات ابن سعد ٥/٥٣٣، وتقريب التهذيب ٢/١١٤.

(٤) في (ك) نبياً، وفي ط (تنبأ تنبؤا).

رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إن ربي غضب على ربك فقتله فدمه بنحره[1] سخن[*] الساعة فخرج من عنده فسمع الخبر فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلاً صالحاً، له في الإسلام آثار جميلة، منها: قتل الأسود العنسي الكذاب[2] الذي ادَّعى النبوة في عهد النبي[3] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكان الأسود جباراً، استدعى بأبي مسلم الخولاني[4] فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم: ما أسمع، فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فردد ذلك عليه مراراً، فأمر بنار عظيمة فأضرمت، ثم أمر بإلقاء أبي مسلم فيها فلم تضره، فأخمدها الله ــ تعالى ــ حين ألقي فيها، فقيل له: أخرج هذا عنك[5] من أرضك[6] لئلا يفسد عليك أتباعك، فأخرجه.

فقدم أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) سقطت (بنحره) من ك.

(*) سخن: تقول العرب يوم سخن وساخن وسخنان، أي: حار وليلة سخنة.
انظر مختار الصحاح ص ٢٩١، والمصباح المنير ١/٣٦٧، والقاموس المحيط ٤/٢٣٣.

(٢) سبقت ترجمة الأسود العنسي وهو متنبىءٌ كذاب.

(٣) في ط (رسول الله).

(٤) أبو مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب الخولاني:
تابعي، فقيه، عابد، ثقة، زاهد. أصله من اليمن، أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولم يره. قدم المدينة في خلافة أبي بكر، ثم رحل إلى الشام، ومات بها. قال ابن حجر: عاش إلى زمن يزيد بن معاوية. قال الذهبي: مات قريباً من اثنتين وستين هـ. والله أعلم.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٤٩، وتهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥، والتقريب ٢/٤٧٣، والاستيعاب (هامش الإصابة) ٢/٢٦٣، ٤/١٩٠، وفوات الوفيات ٢/١٦٩، والأعلام ٤/٧٥.

(٥) سقطت (عنك) من ك. (٦) في ك (عندك).

وسلَّم ــ واستخلف أبو بكر، فأناخ راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد فقام يصلي[1] إلى سارية فبصر به عمر فقام إليه فقال[2] ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الذي حرقه الكذاب؟ قال: ذلك[3] عبد الله بن ثوب. قال نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن[4].

---

(١) في س، ك (يصلي في المسجد).

(٢) سقطت (فقال) من ط.

(٣) في س، ك (ذاك).

(٤) السند الذي ذكره المؤلف فيه أبو معشر وهو ضعيف.

وهنا قصتان: الأولى مقتل كسرى ووصول خبره في ليلته إلى نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسبق تخريج هذه القصة.

أما الأخرى، فهي: قصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي، وقد وردت في كتب التراجم ــ في ترجمة أبي مسلم الخولاني.

أخرجها ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده من طريق إسماعيل بن عياش قال: أخبرنا شرحبيل بن أبي مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبأ باليمن. . . وذكرها كما ساقها المؤلف بتمامها. ثم قال: «وإسماعيل بن عياش ليس بحجة في غير الشاميين، وهو فيما حدث به عن الشاميين ــ أهل بلده ــ لا بأس به.

انظر الاستيعاب (هامش الإصابة) ١٩٤/٤ (ترجمة أبي مسلم)، وذكرها الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤٩/١(٢٥)، وعزاها لشرحبيل ولم يذكر السند، وذكرها الحافظ ابن عساكر في تاريخه ١٢/٩ من غير وجه في ترجمة (أبي مسلم) ومدارها على (إسماعيل بن عياش)، وليس بحجة كما قال ابن عبد البر، وقال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ٧٣/١(٥٤١): «صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم. . . مات سنة ١٨١هـ».

وانظر البداية والنهاية ٢٦٧/٦، وقد ساق عدة روايات وفهمت من كلامه أنه يرى أن بعضها يشد بعضاً ويقويه والله أعلم.

ثم خرج فيروز الديلمي على الأسود العنسي فقتله، وجاء الخبر إلى[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقتله وهو في مرض موته، فخرج فأخبر أصحابه[2]. وقال: «قتل الأسود العنسي الليلة رجل صالح من قوم صالحين»[3]، وقصته مشهورة. وكذلك قصة مسيلمة الكذاب، ونحوهما من المتنبئين الكذابين.



---

(١) سقطت (إلى) من أ، س، ك.

(٢) في ط (أصحابه بذلك).

(٣) قصة مقتل الأسود العنسي على يد فيروز الديلمي ومن معه وردت في صحيح البخاري (كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي) ٥/١٢٠، ولكن الخلاف وقع في تحديد زمان القتل، هل كان على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أو بعد وفاته؟

قال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ساق قصة قتله: «قال أبو الأسود، عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيوم وليلة فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. اهـ. انظر فتح الباري ٨/٧٣ (كتاب المغازي، قصة الأسود العنسي)، وساق خبراً في الإصابة ٣/٢٠٥ (في ترجمة: فيروز) مفاده أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشَّر بقتل الأسود قبل أن يموت، وقد عزاها الحافظ ـ رحمه الله ـ إلى سيف بن عمر التميمي في الفتوح من طريق ابن عمر، وقد أخرجها ابن جرير الطبري في تاريخه ٣/٢٣٦ بسنده عن سيف بن عمر، عن أبي القاسم الشنوي، عن العلاء بن زياد، عن ابن عمر: أتى الخبر إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من السماء الليلة التي قتل فيها الأسود العنسي يبشرنا، فقال: «قتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين». قيل: ومن؟ قال: «فيروز فاز فيروز». وساقها ابن كثير في قصة طويلة في تاريخه ٦/٣١٠ وساق ابن عبد البر هذا الخبر في الاستيعاب بالسند الذي ذكره ابن كثير، وبنفس اللفظ في الجزء الثالث (هامش الإصابة) ص ٢٠٢. =

. . . .

= قلت: ولم أقف على هذا الخبر إلَّا من طريق سيف بن عمر كما ذكر ابن جرير وابن عبد البر، وابن كثير، وابن حجر، وسيف بن عمر هو التميمي السعدي. ويقال: الضبي، ويقال: الأسدي الكوفي، صاحب كتاب الردة، والفتوح، قال عنه ابن معين: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم متروك الحديث، وقال أبو داود: وليس بشيء، وضعفه النسائي والدارقطني، وقيل: كان يضع الحديث، ونقل ابن حبان والحاكم أنه متهم بالزندقة. انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٩٥، وميزان الاعتدال ٢/٢٥٥، وعلى هذا فسند هذا الأثر ضعيف. لكن ابن عبد البر قال في الاستيعاب (هامش الإصابة) ٣/٢٠١: «وأهل العلم لا يختلفون أن الأسود العنسي الكذاب المتنبي بصنعاء قتل في سنة إحدى عشرة، ومنهم من يقول في خلافة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ وليس في ذلك عندي بشيء، والصحيح أنه قتل قبل وفاة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأتاه خبره وهو في مرض موته الذي مات منه». اهـ. وانظر تاريخ خليفة بن خياط القسم الأول/ ص ٩٩، والبداية والنهاية ٦/٣١٠، والله أعلم.

فصل

ولمَّا فتح خلفاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، عمر وعثمان

٦ ـ ضربه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزية على المجوس

العراق وخراسان ضربوا الجزية على المجوس(١)، كما ضربوها على النصارى بعد أن دعوهم إلى الإسلام، كما دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وكما ضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجزية على اليهود والنصارى والمجوس بعد أن دعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ فإنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعث العلاء بن الحضرمي(٢)، إلى

---

(١) المجوس: هم عبدة النيران القائلون بأن للعالم إلٓهين اثنين، أحدهما إلٓه الخير وهو بالفارسية يزدان، والثاني الظلمة وهو بالفارسية أهرمن، وظهروا في أيام الملك كشتاسب أحد ملوك الفرس على يد زرادشت كما ذكر الشهرستاني، وقد اعتنقها ابنه أردشير، وبني لهم بيت نار، واستولى على بعض مدن فارس. وظهر ماني في أيام سابور بن أردشير حيث ادعى النبوة، وتبعه خلق، ولهم شبهة كتاب ويسن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ومن معتقداتهم السجود للنار وللشمس، واستحلال نكاح المحرمات، والاغتسال بالنجاسات.

انظر: الملل والنحل ٢/٢٣٦؛ والفصل لابن حزم ١/٣٥؛ وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٤٤؛ وتفسير القرطبي ١٢/٢٣؛ وتاريخ ابن الوردي ١/٦١؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١ ـ ٢؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٧٦؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (رسالة ماجستير) ص ٣٤٦، ٥١٠.

(٢) العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي:
بعثه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى المنذر ملك البحرين، ثم ولاه على البحرين إذا فتحها الله عليه، وأقره عليها أبو بكر، ثم عمر من بعده، ثم ولاه عمر =

المنذر بن ساوى[1] العبدي صاحب هجر[2] ـ وهي قرية بالبحرين ـ بكتابه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يدعوه إلى الإسلام، قال العلاء: فلما دخلت عليه قلت: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن[3] هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحى من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم[4] عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة. ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن تصدقه؟ ولمن لا يخون أن تأمنه؟ ولمن لا يخلف أن تتثق[5] به؟ فإن كان هذا هكذا فهذا هو

= البصرة فمات قبل أن يصل إليها، وذلك سنة ١٤هـ. له مناقب كثيرة منها أنه كان مجاب الدعوة، وغير ذلك.

راجع: الإصابة ٢/٤٩١؛ والاستيعاب، هامش الإصابة ٣/١٤٦؛ وتهذيب التهذيب ٨/١٧٨.

(١) في ك (ساوا) وهو الأقرب أما في سائر النسخ فهو (ساري) وذلك تصحيف.
المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي:
من عبد القيس، التميمي، الداري أمير في الجاهلية، وكان صاحب البحرين. أسلم بعد كتاب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إليه، واستمر في عمله، مات قبل ردة أهل البحرين، ولم يصح خبر وفوده على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ.
راجع: الإصابة ٣/٤٣٩ (٨٢١٨)؛ وابن جرير الطبري ٢/٦٤٥؛ والطبقات لابن سعد ١/٢٦٣، ٢٧٠، ٤/٣٦٠؛ والأعلام ٧/٢٩٣.

(٢) هجر: بفتح أوله وثانيه: مدينة هي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. انظر مراصد الاطلاع ٣/١٤٥٢، وقال صاحب الوثائق السياسية ص ١٥٠، هي الاحساء اليوم.

(٣) في ط (فإن).

(٤) في ط (تكرم).

(٥) في س، ك، ط (تثق).

النبـي[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقـل أن يقول: ليت ما أمر[2] به نهى عنـه، أو[3] ما نهى عنـه أمر بـه، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هـذا الذي في يـدي، فوجـدته للدنيـا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيـا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الممات، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام من[4] جاء به أن يعظم رسـوله، وسـأنـظر، ثم أسلم المنـذر وكتب إلى النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بالإسلام والتصديق[5].

وقــال عمـرو[6] بن عــوف: بعث رســول الله ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ أبـا عبيـدة إلى البحـرين فـأتى بجـزيتهـا[7]، وكــان رسـول الله

---

(١) في ط (النبـي رسول الله) وسقطت جملة الدعاء من س، ك.

(٢) في ط (أمره).

(٣) في ط (و) بدون همزة.

(٤) في ط (ما) بدل (من).

(٥) انـظر عيون الأثـر في فنون المغـازي والشمائـل والسير، لابن سيـد الناس ٢/٣٣٩؛ وشـرح المواهب اللدنيـة بالمنـح المحمـديـة للزرقـاني ٣/٤٢٠؛ وأعـلام السـائلين لابن طولون ص ٥٥ ــ ٥٩، وجاء ذكر إرسال العلاء في مسند الإمام أحمـد ٥/٥٢؛ وطبقـات ابن سعـد ١/٢٧٦؛ والـوفا بـأحـوال المصــطفى ٢/٧٤٢، وزاد المعـاد ٣/٦٩٣، والإصـابـة في تمييـز الصحـابـة في تـرجمــة المنـذر ٣/٤٣٩ (٨٢١٨)، والوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٥٠.

(٦) عمرو بن عوف الأنصاري، حليف بني عامر بن لؤي، صحابـي، بـدري، ويقال لـه عمر، مات في خلافة عمر. وقد جاء في نسخة ط (عمر).
راجع في ترجمته: تقريب التهذيب ٢/٧٦ (٦٤٦)؛ والإصابة ٣/٩ ــ ١٠.

(٧) في أ (بجزيتهما). وصححناه من سائر النسخ.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي[1] عبيدة[2] فوافوا صلاة الصبح مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له[3]، فتبسم رسول الله[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حين رآهم وقال[5]: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[6]، أخرجاه في الصحيحين.

وأخرج البخاري عن بجالة بن عبدة[7] أنه قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: «فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس»، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس، حتى شهد عبد

---

(١) في أ، س (أبو).

(٢) في أ (عبيد الله)، وفي س (عبيد). وصححناه من ك، ط، ومن ترجمته وقد سبقت.

(٣) سقطت (له) من أ وزدناها من سائر النسخ ومن صحيح البخاري.

(٤) في ط (النبي).

(٥) في س (فقال).

(٦) رواه البخاري في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٤/٦٢ ـ ٦٣. ورواه مسلم في الزهد حديث رقم (٢٩٦١) ٤/٢٢٧٣؛ ورواه الترمذي في صفة القيامة حديث رقم (٢٤٦٢) ٤/٦٤٠؛ ورواه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة المال حديث رقم (٣٩٩٧) ٢/١٣٢٤؛ ورواه أحمد من حديث عمرو بن عوف في ٤/١٣٧؛ والشافعي في الرسالة ٤٣٠ ـ ٤٣١ (١١٨٣)، وأبو عبيد في الأموال ١/٧٧.

(٧) بَجَالة بن عَبَدة التميمي، العنبري، البصري وبجالة: بفتح الباء الموحدة والجيم المعجمة، وعبدة: بفتحتين. قال ابن حجر ثقة من الثانية.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٤١٧ ـ ٤١٨؛ وتقريب التهذيب ١/٩٣ (٣).

الـرحمن بن عوف أن رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أخـذهـا من مجوس هجر[1].

وقـال ابن شهـاب: أخــذ رسـول الله ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ الجـزية من مجـوس هجر، وأخـذ عمر بن الخـطاب الجزيـة من مجوس فارس، وأخذها عثمان بن عفان من البربر[2].

قـال ابن شهاب: أول من أعـطى الجزيـة من أهـل الكتـاب أهـل نجـران فيما بلغنـا وكانـوا نصـارى، وقبـل رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً، ثم أدّى أهـل (أيلة)[3]

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٦٢/٤، وأخرجه الترمذي في السير، باب في أخذ الجزيـة من المجوس (١٥٨٦) ١٤٦/٤، ١٤٧، وأخرجه أبو داود وفيه زيادة «اقتلوا كل ساحر. . . إلخ».
في الخـراج، باب في أخـذ الجزيـة من المجـوس حـديث رقم (٣٠٤٣) ٤٣١/٣، ورواه أحمد في المسند ١/ ١٩٠، ١٩١.

(٢) أخـرجه التـرمذي بسنـده عن الزهـري، عن السائب بن يـزيد، وذكـره إلَّا أنه قـال: وأخذها عثمان من الفرس، ولم يقل البربـر. ثم قال وسـألت محمداً عن هـذا؟ فقال هو مالك، عن الزهري، عن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قلت: وسنده حسن.
انـظر: سنن الترمـذي، كتاب السيـر، باب مـا جاء في أخـذ الجـزيـة من المجـوس ١٤٧/٤ (١٥٨٨).
وروى الإمام مالك في الموطأ (٢٧٨/١، كتاب الـزكاة، بـاب جزيـة أهل الكتـاب والمجوس، روى بسنده عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أخذ الجزية من مجوس البحرين.

(٣) أيلة: مدينة على سـاحر بحـر القلزم ــ البحر الأحمـر الآن ــ مما يلي الشـام. قيل: هي آخر الحجاز، وأول الشام. وهي مدينة كان بها اليهود الذين اعتدوا في السبت، وإليها يجتاز حجاج مصر.
انظر مراصد الاطلاع ١٣٨/١.

وأهـل (أذرح)[1] إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ الجـزيـة في غزوة تبوك، وبعث خالد بن الوليد إلى أهـل دومة الجنـدل[2] * فأسـروا رئيسهم أكيدر *[3](*) فبايعوه على الجزية[4].

---

(١) أذرح: بالفتح، ثم السكون، وضم الراء، والحاء المهملة: جمع ذرح: اسم بلد في أطراف الشام، من نواحي بلقاء وعمان.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٧.

(٢) دومـة الجندل: بـالضم في دومة، وبـالفتح. من أعمـال المـدينـة، تقـع بينهـا وبين دمشق، وهي على سبع مراحل من دمشق. ودومة من القريات، وعليها سور يتحصن بـه، وفي داخله حصن منيع يقـال له مـارد، وهو حصن أكيـدر بن عبد الملك الـذي صالحه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثم أجلاه عمر إلى الحيرة.
انظر مراصد الاطلاع ٢/٥٤٢ ــ ٥٤٣.

(٣) سقط ما بين النجمتين من أ، وألحقناه من سائر النسخ.

(*) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجنـدل في الجاهليـة. كان شجـاعاً، لـه حصن وثيق، وجـه له النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ خـالـد بن الـوليـد في ٤٢٠ فارساً فأحاطوا به وهو يصيد وأسروه، وذهبوا بـه إلى المدينـة بعد أن فتحـوا الحصن صلحاً. وكتب له الرسول كتاباً ورده فنقض العهد بعد موت الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأرسل أبو بكر خالداً إليه، فقتله وفتح دومة الجندل.
راجـع: تهذيب الأسمـاء واللغات ١/١٢٤ (٦٤)، وقـد نفى فيـه النـووي أن يكـون أكيدر قد أسلم، وقال من قال أنه أسلم فقد أخطأ.
وانظر: اللباب ١/٥٥٤؛ والأعلام للزركلي ٢/٦.

(٤) أخـرجه أبـو عبيد في الأمـوال ص ٣٣ بسنـده، قـال: حـدثنـا سعيـد بن عفيـر، عن يحيـى بن أيـوب ــ الغـافقي ــ عن يـونس ــ بن يـزيـد الأيلي ــ عن ابن شهـاب الزهري ــ قال: أول من أعطى الجزية. . . وذكره بتمامه.
قلت: سبقت تـرجمـة رجـال السنـد، وفيـه يحيـى بن أيـوب «صـدوق ربمـا أخـطأ» ويـونس بن يزيـد الأيلي، «في روايته عن الـزهري وهم قليـل» وفي روايته عن غيـره خطأ، كما قال العلماء بالجرح والتعديل.
وقـال الإمام الشـوكاني رحمـه الله في نيل الأوطـار ٨/٦٨: (حديث ابن شهـاب هذا مرسل).

قـال أبو عبيـد: الجزيـة مأخـوذة من أهل الكتـاب بالتنـزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنَّة[1].



(١) انظر كتابه الأموال ص ٣٣، وقد ذكر نحـواً من أربعة عشـر حديثـاً في ذلك. وراجـع تعليقنا السابق.

فصل

٧ ـ أدلة الكتاب والسُّنَّة على عموم رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأخرج مسلم عن أنس: أن النبي[١] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ وليس بالنجاشي الذي نعاه لأصحابه في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف وصلّى عليه ـ بل نجاشي آخر تملك بعده[٢].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة[٣] أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون»[٤].

(١) في س (نبي الله)، وفي، ك ط (رسول الله).

(٢) رواه مسلم عن أنس بلفظ: «أن نبي الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله ـ تعالى ـ وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ».
أخرجه مسلم في الجهاد، باب كتب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ ، حديث رقم (١٧٧٤) ٣/١٣٩٧ .
ورواه الترمذي في كتاب الاستئذان، باب في مكاتبة المشركين، حديث رقم (٢٧١٦) ٥/٦٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) في س(رضي الله عنه).

(٤) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢٣) ١/٣٧١؛ ورواه الترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في الغنيمة، حديث رقم (١٥٥٣) ٤/١٢٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٤١٢، =

وقـال ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «كـان النبـي يبعث إلى قـومـه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا . . .﴾[3].

وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن مـا لا يحصى إلَّا بكلفة،

= وفيـه زيادة «مثلي ومثـل الأنبياء ــ عليهم الصـلاة والسلام ــ كمثـل رجل بنى قصـراً فـأكمل بنـاءه، وأحسن بنيانـه إلَّا موضـع لبنة. فنـظر النـاس إلى القصـر، فقـالـوا: ما أحسن بنيان هذا القصر، لـو تمت هذه اللبنـة! ألا فكنت أنا اللبنـة، ألا فكنت أنا اللبنة».

وأخرجه أبو عوانة في مسنده ١/٣٩٥؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٢١ (٩٤٥).

(١) هذا قطعة من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب التيمم ١/٨٦ ــ أوله ــ ولفـظه: عن جـابـر ــ رضي الله عنـه ــ أن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال: «أعـطيت خمسـاً لم يعطهن أحـد قبلي، نصـرت بـالـرعب مسيـرة شهـر، وجعلت لي الأرض مسجـداً وطهوراً، فـأيما رجـل من أمتي أدركته الصـلاة فليصل، وأحلت لي الغنـائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبـي يبعث إلى قومه خـاصة وبعثت إلى النـاس عامـة». ورواه في كتاب الصـلاة ١/١١٣، وفيه تقـديم وتـأخيـر، ورواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٧٠، وفيه «وبعثت إلى كل أحمر وأسـود»، ورواه النسـائي في الغسل والتيمم، بـاب التيمم بـالصعيـد ١/٢٠٩ ــ ٢١١، ورواه الدارمي في باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبـرة والحمام ١/٣٢٢، ٣٢٣، ورواه أبو عوانة في مسنده ١/٣٩٦. والله أعلم.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨. (٣) سورة سبأ: الآية ٢٨.

وهـذا كله معلوم بـالاضــطرار من دين الإسـلام[1]، فكيف يقــال: إنـه لم يذكر أنه بعث إلاَّ إلى العرب خاصة وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصـارى والمجـوس بعـد المشـركين وهـذه سيـرتـه ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فيهم؟

وأيضاً فالكتاب المتواتر عنه ـ وهو القرآن ـ يذكر فيه دعاءه لأهـل الكتـاب إلى الإيمان بـه في مواضـع كثيرة جـداً، بل يـذكر الله ـ تبـارك وتعالى ـ فيه كفر من كفر من اليهود والنصارى، ويأمر فيه بقتالهم كقـوله ـ تعالى ـ:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقوله في هذه السورة أيضاً:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

---

(١) في أ، ك زيادة (كله).

(٢) سورة المائدة: الآية ١٧.

ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ
لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ
وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ
إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ
مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ
ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢ ـ ٧٧.
(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ ـ ١٧٣.
(٣) سورة التوبة: الآية ٢٩.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ
ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟
إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ
أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

• • •

(1) سورة التوبة : الآية ٣٠ ـ ٣٢.

فصل

٨ ـ ابتداع اليهود والنصارى في دينهم

فهذه الدلائل وأضعافها مما تبين أنه نفسه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من أهل الكتاب، وأنه دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم، وليس هذا مما فعلته أمته بعده بدعة ابتدعوها، كما فعلت النصارى بعد المسيح ـ عليه السلام ـ فإن المسلمين لا يجوزون لأحد بعد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يغيروا[1] شيئاً من شريعته، فلا يحلل ما حرم، ولا يحرم ما حلل، ولا يوجب ما أسقط، ولا يسقط ما أوجب، بل الحلال عندهم ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرم الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، بخلاف النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح بدعاً لم يشرعها المسيح ـ عليه السلام ـ ولا نطق بها شيء[2] من الأناجيل ولا كتب الأنبياء المتقدمة، وزعموا أن ما شرعه أكابرهم من الدين فإن المسيح يمضيه لهم، وهذا موضع تنازع فيه الملل[3] الثلاث: المسلمون، واليهود، والنصارى، كما تنازعوا في المسيح ـ عليه السلام ـ وغير ذلك.

---

(١) في ك، ط (يغير) وهو الأولى.

(٢) في أ (شيئاً) وهو خطأ صححناه من النسخ الثلاث.

(٣) الشيخ ـ رحمه الله ـ يعني أصحاب الملل الثلاث، وإلَّا فإنه لا نزاع بين ملة الإسلام، واليهودية الحقة، والنصرانية الحقة، فالمنازعة بين المسلمين، وما ابتدعه اليهود والنصارى من عند أنفسهم لأنفسهم، وزعموه وحياً تنزل على يدي موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وهو ما لم يأذن به الله.

فاليهود: لا يجوِّزون لله ــ سبحانه وتعالى ــ أن ينسخ شيئاً شرعه.

والنصارى: يجوِّزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله بآرائهم.

وأما المسلمون: فعندهم أن الله له الخلق والأمر، لا شرع[1] إلَّا ما شرع الله على ألسنة رسله، وله أن ينسخ ما شاء كما نسخ بالمسيح ما كان شرعه للأنبياء قبله.

فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح كما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر الذين كانوا في زمن قسطنطين[2] الملك الأمانة التي اتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتاباً، بل تخالف ما أنزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح، فقالوا فيها: «نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل[3] ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد

---

(١) في أ، ك (يشرع).

(٢) قسطنطين بن قسطنديوس كلورس: ولد في نيش من أعمال يوغسلافية حوالي السنة ٢٨٠ بعد الميلاد، ونشأ في حاشية الإمبراطور الروماني، والتحق بالجيش في سن ١٥ من عمره، ثم أصبح قائداً وعمره ١٨ سنة، ثم استقل بالسلطة بعد صراع عسكري عنيف سنة ٣٢٤م، واعتنق النصرانية بتأثير والدته عليه، ثم عقد مجمع نيقية في عهده وانتهى الأمر فيه بتأليه المسيح.

مات سنة ٣٣٧م بالحمى، ودفن في إحدى الكنائس، واتخذ له تمثال نصب فوق عمود من الرخام وعبده الشعب الوثني.

انظر ترجمته: في ابن الوردي ٨٧/١، الإمبراطورية البيزنطية للدكتور عبد القادر أحمد يوسف ص ١٢، والروم في سياستهم وحضارتهم للدكتور أسد رستم ٥١/١ ــ ٧٣، والإمبراطورية البيزنطية ــ تاريخها، وحضارتها وعلاقتها بالإسلام. تأليف نورمان منير ص ٤٠.

(٣) نص الأرثوذكس في كتاب (خلاصة الأصول الإيمانية) ليس فيه كلمة (كل).

يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور[1]، إلـه حق من إلـه حق مولود غير مخلوق مساوي الأب[2] في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس[3] وصلب على عهد بيلاطس البنطي[4] وتألم وقبر، وقام[5] في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب[6]، وأيضاً فسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه[7]، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الأب

---

(١) في ط (من نور الله)، وليس لفظ الجلالة في سائر النسخ ولا في النص كما ورد في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية.

(٢) في خلاصة الأصول الإيمانية (مساوٍ للأب).

(٣) تأنس، أي: صار إنسياً.

(٤) أحد ولاة الرومان على اليهود. كان والياً من قبل الإمبراطور الروماني (طيباريوس) الذي تولى سنة ١٤م. وقد دامت ولاية (البنطي) عشرين سنة. ذكر عنه المؤرخون أنه كان قاسياً، وفظاً غليظاً، ومتغطرساً. ذبح عدداً كبيراً، وفرض الضرائب.
راجع حديثاً طويلاً عنه في كتاب «اليهود: نشأتهم، وعقيدتهم، ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة»، للمحامي زكي شنودة ص ٢٠٣ ــ ٢٠٦؛ وكتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، لمحمد عزة دروزة ص ٣٥٢ ــ ٣٥٣.
وإنجيل لوقا: في مواضع كثيرة منه. ومنها الإصحاح: ٢٣.

(٥) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية: (وقام من الأموات...).

(٦) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية (وجلس على يمين أبيه).

(٧) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية: (الذي ليس لملكه انقضاء).
وإلى هذا الموضع ينتهي النص في مجمع (نيقية). الذي انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية. وهو المجمع المسكوني (العالمي) الأول. ومن قوله: (وبروح القدس إلى آخر النص، زيادة مجمع القسطنطينية الثاني، الذي عقده النصارى سنة ٣٨١م حيث زاد على النص السابق بما ذكره المؤلف ــ رحمه الله ــ.

والابن مسجود له وبمجد الناطق في الأنبياء، وبكنيسة[1] واحدة جامعة مقدسة رسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى[2] قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي آمين»[3].

ووضعوا لهم من القوانين والناموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء ولا تدل عليه، بل يوجد بعضه في كتب الأنبياء، وزاد أكابرهم أشياء من عندهم لا توجد في كتب الأنبياء وغيروا كثيراً مما شرعه الأنبياء، فما عند النصارى من القوانين والنواميس التي هي شرائع دينهم، وبعضه عن الحواريين، وكثير منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء، فدينهم من جنس دين اليهود، قد لبسوا الحق بالباطل[*].

وكان المسيح ـ عليه السلام ـ بعث بدين الله الذي بعث به الأنبياء قبله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة كل ما سواه، وأحل لهم بعض ما حرم[4] الله في التوراة، فنسخ بعض شرع التوراة.

---

(١) في أ، س، ك (كنيسة) بدون واو، وحرف جر وفي ط (واعتقد بكنيسة)، وما أثبتناه من كتاب (خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية).

(٢) في جميع النسخ (آرجا)، وصححناه من الكتاب السابق.

(٣) هذا نص الأرثوذكس كما ورد في كتاب «خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية» ص ٩٩ ـ ١٠١.
وأما نص الكاثوليك فانظره في كتاب (إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى للقس الياس مقار ص ٦٥ ـ ٦٦، وهو يختلف عن نص الأرثوذكس.
وانظر: كتاب الدكتور أحمد السقا (أقانيم النصارى ص ٥٩ ـ ٦٠.

(*) ناقش الدكتور السقا في كتابه أقانيم النصارى «قانون الأمانة».
واستشهد بما تقوم به الحجة عليهم من كتبهم، ويثبت به اختراع هذا القانون من أكابرهم الذين يضعون لهم، ويشرعون، بما لم يرد به نص في كتب الأنبياء السابقين ولا يدل عليه دليل. انظر ص ٥٩ ـ ٦٧.

(٤) في س، ك، ط (حرمه الله).

وكان الروم واليونان[1] وغيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والأصنام الأرضية فبعث المسيح ـ عليه السلام ـ رسله يدعونهم إلى دين الله ـ تعالى ـ، فذهب بعضهم في حياته في الأرض، وبعضهم بعد رفعه إلى السماء، فدعوهم[2] إلى دين الله ـ تعالى ـ، فدخل من دخل في دين الله، وأقاموا على ذلك مدة، ثم زيَّن الشيطان[3] لمن زيَّن له أن يغير دين المسيح، فابتدعوا ديناً مركباً من دين الله ورسله: دين[4] المسيح ـ عليه السلام ـ، ومن دين المشركين.

وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل، وهذا كان دين الروم واليونان، وهو دين الفلاسفة أهل مقدونية[5] وأثينة[6]

---

(١) اليونان: جيل معروف، وهم من رجل اسمه (اللن)، ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى ـ عليه السلام ـ وهم من ولد يافث، وقيل: من جملة الروم.
وهم فرقتان: فرقة يقال لهم (الإغريقيون)، وفرقة يقال لهم (اللطينيون). وقد ظهر منهم فلاسفة ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل منهم بقراط، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس، وغيرهم.

انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/١١٩؛ وابن الوردي ١/١١٨؛ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، لحمزة بن الحسن الأصفهاني ص ٦٤، ٦٥.

(٢) في ط (فدعاهم) وهو خطأ.

(٣) في س (الشياطين).

(٤) في أ (ورسوله المسيح).

(٥) مقذونية: بفتح أوله وثانيه، وضم الذال المعجمة، وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة. اسم مصر باليونانية القديمة، وجاء ذكر حدودها في المعاجم.
انظر مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٧.

(٦) أثينة: هي اليوم عاصمة اليونان إحدى دول أوروبا، بنيت قديماً ويرجع تاريخ بنائها إلى سنة ١٥٨٢ قبل الميلاد، وكانت منبع الفلسفة وبها إلى الآن آثار وتماثيل كثيرة، ولها موان ثلاثة بيرية، ومونيسي، وظير، وهذه المواني متصلة بالمدينة بحائط طويل.
انظر دائرة معارف القرن العشرين ١/٤٩.

كأرسطو[1] وأمثاله من الفلاسفة المشائين[2] وغيرهم، وكان أرسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الإسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني[3] التي[4] تؤرخ له التاريخ الرومي من اليهود والنصارى، وهذا كان مشركاً يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمى ذا القرنين، ولا هو ذا القرنين[5] المذكور في القرآن، ولا وصل هذا المقدوني إلى أرض

---

(١) أرسطو بن نيقوماخس الفيثاغوري: تتلمذ على أفلاطون، ثم صار بعده أستاذاً انتهت إليه فلسفة اليونان، فكان هو خاتمهم وكان مشركاً يعبد الأصنام، وهو الذي جعل المنطق آلة العلوم النظرية، وكان معلماً للإسكندر الذي ستأتي ترجمته، وقد عنى فلاسفة المسلمين بفلسفة أرسطو، وسموه معلمهم الأول، وله كتاب في الحيوان تسع عشرة مقالة، نقله ابن البطريق إلى العربية.

راجع: تاريخ الحكماء ٢٧ ـ ٥٣؛ وفهرس ابن النديم ٣٥٩، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ٢/٢٥٩؛ والفرق بين الفرق ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) سمو مشائين لأنهم كانوا في بعض الأحيان يتلقون العلم وهم سائرون في الطريق.

(٣) هو الإسكندر بن فيلبس بن مصريم المقدوني، اليوناني، المصري، باني الإسكندرية، وأحد ملوك اليونان. ملك مقدونية، وكان في عهده أرسطوطاليس من حكماء اليونان، وهو معلمه حتى قيل: إنه سار على آدابه وعمل بها في سياسة ـ رعيته، وسيرة ملكه. قال ابن كثير: وكان الإسكندر متأخراً عن ذي القرنين المذكور في القرآن بدهر طويل.

انظر: أخبار العلماء ص ٢٢ (مطبعة السعادة بمصر)، وتاريخ الحكماء المختصر من كتاب أخبار العلماء ص ٣٩؛ والبداية والنهاية ٢/١٠٥؛ وتاريخ ابن جرير الطبري ١/٥٧٣، ٥٧٧؛ وخطط المقريزي ١/١٥٠.

(٤) الأولى (الذي) بدل (التي).

(٥) ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن اختلف في اسمه. فقيل: عبد الله بن الضحاك، وينتهي نسبه إلى زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان، وكان من حمير.

وقيل: اسمه مرزبان بن مرزبة، وقيل: الصعب بن ذي مرائد، وهو أول التبابعة.

وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض. قال الحافظ ابن كثير: «وهذا أشبه من غيره». ثم قال والصحيح إنه كان ملكاً من الملوك العادلين. وقيل: كان نبياً رسولاً. وأغرب من قال ملكاً من الملائكة. =

الترك ولا بنى السد، وإنما وصل إلى بلاد الفرس.

ومن ظن أن أرسطو كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن، فقد غلط غلطاً يتبيَّن أنه ليس بعارف بأديان هؤلاء القوم ولا بأزمانهم.

(أ) ابتداء ظهور البدع في دين النصارى

فلما ظهر دين المسيح ــ عليه السلام ــ بعد أرسطو بنحو ثلاثمائة سنة في بلاد الروم واليونان، كانوا على التوحيد إلى أن ظهرت فيهم البدع، فصوروا الصور المرقومة في الحيطان، جعلوا هذه الصور عوضاً عن تلك الصور.

وكان أولئك يسجدون للشمس والقمر والكواكب، فصار هؤلاء يسجدون إليها إلى جهة الشرق[1] التي تظهر منها الشمس والقمر والكواكب، وجعلوا السجود إليها بدلاً عن السجود لها؛ ولهذا جاء خاتم الرسل ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ الذي ختم الله به الرسالة، وأظهر به من كمال[2] التوحيد ما لم يظهر بمن[3] قبله، فأمر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن لا يتحرّى أحد بصلاته طلوع الشمس ولا غروبها[4]؛ لأن

= انظر: ترجمة طويلة له في البداية والنهاية ٢/١٠٢ ــ ١٠٥؛ والخطط المقريزية ١/١٥٣.

(١) في ط (المشرق).

(٢) في س (كلام).

(٣) في ط (ما لم يظهره من) وفي س (ما لم يظهر من).

(٤) روى البخاري من حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها». في كتاب مواقيت الصلاة، باب لا يتحرى الصلاة قبل الغروب ١/١٤٥.
ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات المنهي عنها.
انظر مسلم بشرح النووي ٦/١١١ المجلد الثالث. وقد ورد في حديث بعده زيادة قوله: (فإنها تطلع بقرني شيطان).

المشـــركين يسجـدون لهــا تلك الســاعــة، فـإذا صلّى المــوحـدون لله ــ عز وجل ــ في تلك الساعة، صـار في ذلك نـوع مشابهـة لهم، فيتخذ ذريعـة إلى السجود لهـا، وكان من أعـظم أسباب عبـادة الأصنام تصـوير الصور وتعظيم القبور.

ففي صحيـح مسلم وغيره عن أبـي الهيـاج الأسدي قـال: قال لي علي بن أبـي طــالب: «ألا أبعثــك على مــا بعثني عـليــه رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، فأمـرني أن لا أدع قبراً مشـرفاً إلَّا سـويتـه، ولا تمثالاً إلَّا طمسته»[1].

وفي الصحيحين أنــه ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قــال في مـرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيـائهم مساجـد»[2] يحذر ما فعلوا.

---

(١) رواه مسلم في الجنـائـز، بـاب الأمـر بتسـويـة القبـر ٢/٦٦٦ (٩٦٩)، وأبو داود في الجنـائز، بـاب في تسويـة القبر ٣/٥٤٨ (٣٢١٨)، والتـرمذي في الجنـائز ٣/٣٦٦ (١٠٤٩)، والنسائي في باب تسوية القبور إذا رفعت ٤/٨٨ ــ ٨٩، وأحمد ١/٩٦، ١٢٩ وفي ١/١٤٥ من حـديث حنش بن المعتمـر أن عليـاً ــ رضي الله عنـه ــ بعث صاحب شرطة فقال: أبعثـك. . . وذكره. ورواه الحـاكم في المستدرك ١/٣٦٩ من طريق حبيب بن أبـي ثابت، عن أبـي الهيـاج الأسدي، أخـرجه في كتـاب الجنائـز، وقال على شرطهما ووافقه الذهبـي.

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة في الصلاة، باب هـل تنبش قبور مشـركي الجاهليـة ويتخذ مكانها مساجد ١/١١٠، وفي الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجـد على القبـور ٢/٩٠ ــ ٩١، وفي ص ١٠٦ باب مـا جـاء في قبـر النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأبـي بكر وعمر. وفي الأنبياء، باب مـا ذكر عن بني إسـرائيل، من حـديث عائشة وابن عبـاس بلفظ قالا: لمـا نزل بـرسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ طفق يـطرح خميصته على وجهـه فإذا اغتم كشفهـا عن وجهـه فقـال. . . وذكـر الحـديث ٤/١٤٤، ورواه في المغـازي ٥/١٤٠، وأخرجـه مسلم في المساجـد، بـاب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٦ (٥٢٩)، وفيه قالت عـائشة: «فلولا ذاك أبـرز =

وفي الصحيحين أنه قال قبل موته بخمس ليالٍ: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون[1] القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، وإني أنهاكم عن ذلك»[2].

ولما ذكروا[3] الكنيسة بأرض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «إن أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[4].

= قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»، وأخرجه من حديث عائشة وابن عباس في ١/٣٧٧ (٥٣١)، وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في البناء على القبر من حديث أبي هريرة ٤/٥٥٣ (٣٢٢٧) بلفظ: «قاتل الله اليهود والنصارى... الحديث. ورواه النسائي في المساجد ٢/٤٠؛ والدارمي في الصلاة ١/٣٢٦؛ وأحمد في المسند ١/٢١٨؛ وفي ٦/٣٤، ٨٠.

(١) في أ، س (يتخذوا) وهو خطأ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٧ ــ ٣٧٨ (٥٣٢) من حديث جندب ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله ــ تعالى ــ قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. إني أنهاكم عن ذلك.
ولم أجده في البخاري.

(٣) في س، ك (ذكروا له كنيسة)، وفي ط (ذكروا له الكنيسة).

(٤) رواه البخاري في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد ١/١١٠ من حديث عائشة أن أم حبيبة، وأم سلمة، ذكرتا كنيسة... الحديث وفي ص ١١٢، باب الصلاة في البيعة، ورواه في الجنائز، باب بناء المساجد على القبر ٢/٩٣، وفي مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ٤/٢٤٥؛ ورواه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٥ =

ونهى أن يستقبل الرجل القبر في الصلاة حتى لا يتشبه بالمشركين الذين يسجدون للقبور، ففي الصحيح أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[1]. إلى أمثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله.

فأين هذا ممن يصور صور المخلوقين في الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته؟ وهل كان أصل عبادة الأصنام في بني آدم من عهد نوح ـ عليه السلام ـ إلاَّ هذا؟ والصلاة[2] إلى الشمس والقمر والكواكب والسجود إليها ذريعة إلى السجود لها، ولم يأمر أحد من الأنبياء باتخاذ الصور والاستشفاع بأصحابها، ولا بالسجود إلى الشمس والقمر والكواكب، وإن كان يذكر عن بعض الأنبياء تصوير صورة لمصلحة[3]، فإن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع

= (٥٢٨)؛ والنسائي في المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٢/٤١، ٤٢؛ وأحمد في المسند ٦/٥١ ـ ٥٢؛ وأبو عوانة في صحيحه ١/٤٠٠ ـ ٤٠١.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر من حديث أبي مرثد الغنوي بهذا اللفظ ٢/٦٦٨ (٩٧٢)، ورواه بلفظ آخر من حديث أبي مرثد أيضاً قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها».

ورواه أبو داود في الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر ٣/٥٥٤ (٣٢٢٩)؛ والترمذي في الجنائز، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور... ٣/٣٦٧ (١٠٥٠)؛ وأحمد في المسند ٤/١٣٥.

(٢) في أ، س (ويصلي)، وفي ك (ولا يصلي)، وما أثبتناه من ط أولى.

(٣) روى الحاكم بسنده عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي، أنه خرج هو ورجل معه إلى هرقل ملك الروم فذكر قصة طويلة، ومنها أنه أراهم صور الأنبياء على حرائر بيض، فسألوه من أين لك هذه الصور؟ فقال: إن آدم ـ عليه السلام ـ سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم ـ عليه السلام ـ عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى =

بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها، فإن هذا لم يشرعه نبي من الأنبياء، ولا أمر قط أحد من الأنبياء أن يدعى غير الله ــ عز وجل ــ لا عند قبره ولا في مغيبه، ولا يشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في حياته ويوم القيامة، وبالتوسل به[1] بدعائه والإيمان به، فهذا من شرع الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ . . . ﴾[4].

= دانيال. . . وذكره في قصة طويلة.

وأورده الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة ١/٢٨٧ ــ ٢٩٢، باب ما وجد من صورة نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مقرونة بصور الأنبياء صلوات الله عليهم عن شيخه الحاكم إجازة وذكره، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٥٣ آية ١٥٧: سورة الأعراف) بعد ذكره له «وإسناده لا بأس به».

قلت: لعل المؤلف ــ رحمه الله ــ يقصد هذا الذي ورد، وقد أشار إليه بصيغة التمريض (يذكر) فإن صح هذا فقد أجاب عليه بقوله: (إن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع). . . إلخ ما قال والله أعلم.

(١) سقطت (به) من س.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[2].

وذلك أن المشركين من جميع الأمم لم يكن أحد منهم يقول: إن للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين في الصفات، فإن هذا لم يقله[3] طائفة معروفة من بني آدم ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون: إن العالم صادر عن أصلين: النور والظلمة، والنور عندهم: هو إله الخير المحمود، والظلمة: هي الإله[4] الشرير المذموم.

وبعضهم يقول: أن الظلمة هي الشيطان، وهذا ليجعلوا ما في العالم من الشر صادراً[5] عن الظلمة.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨.

(٢) سورة الزمر: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) انفردت ط بكتابتها (تقله) بالمثناة الفوقية.

(٤) في أ (إلاه) وما أثبتناه من سائر النسخ أولى.

(٥) في أ، س (صادر) وصححناه من ك، ط.

ومنهم من قال: إن الظلمة قديمة أزلية مع أنها مذمومة عندهم ليست مماثلة للنور.

ومنهم من قال: بل هي حادثة، وأن النور فكر[1] فكرة رديئة فحدثت الظلمة عن تلك الفكرة الرديئة.

فقال لهم أهل التوحيد: أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا إلى الرب ـ سبحانه وتعالى ـ خلق ما في العالم من الشر، وجعلتموه خالقاً لأصل الشر، وهؤلاء مع إثباتهم اثنين وتسمية الناس لهم بالثنوية، فهم لا يقولون: إن الشرير[2] مماثل للخيّر.

وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم، منهم من ينكر الصانع للعالم، كالقول الذي أظهره فرعون ـ لعنه الله ـ ومنهم من يقر بعلة يتحرك[3] الفلك للتشبه بها كأرسطو[4] وأتباعه، ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا[5] ــــــــ

---

(١) سقطت (فكر) من ط.

(٢) في ط (الشر) وكلاهما صحيح، فالشرير في مقابل الخيّر أو الشر في مقابل الخير.

(٣) في ط (بتحرك) بالباء الموحدة وهؤلاء يرون الفلك يتحرك بحركة محركة كما يتحرك الخاتم في الأصبع.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) هوأبوعلي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي، ثم البخاري، يلقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، طبيب، شاعر، ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بمعاد، ولا رب ولا رسول، وقد حكى ابن القيم ـ رحمه الله ـ جملاً كثيرة من ضلالاته وأباطيله. له تصانيف منها الإشارات في جزءين، والقانون في الطب وتقاسيم الحكمة وغيرها. مات سنة ٤٢٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/١٥٧ ـ ١٦٢، والعبر في خبر من غبر ٣/١٦٥، وشذرات الذهب ٣/٢٣٤، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/٤٠١، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤/٢٠.

والسهروردي[1] المقتول بحلب وأمثالهما من متفلسفة الملل.

وأما مشركو العرب وأمثالهم فكانوا مقرين بالصانع، وبأنه خلق السموات والأرض، فكانت عقيدة مشركي العرب خيراً من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية؛ إذ كانوا مقرين بأن هذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد أن لم تكن، وهذا مذهب جماهير أهل الأرض ومن أهل الملل الثلاثة: المسلمون[2]، واليهود، والنصارى، ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل، وكان[3] مشركو العرب يقرون بأن الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعي إذا دعاه، وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم أن الله لا يفعل شيئاً بمشيئته، ولا يجيب دعاء الداعي، بل ولا يعلم الجزئيات، ولا[4] يعرف هذا الداعي من هذا الداعي، ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله، بل منهم من ينكر علمه مطلقاً كأرسطو وأتباعه، ومنهم من يقول: إنما يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله.

---

(١) هو يحيى بن محمد بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي فيلسوف متصوف، ولد سنة ٥٤٩هـ في سهرورد، بالضم ثم السكون، وفتح الراء والواو، وسكون الراء الأخرى، من قرى زنجان ونشأ بمراغه، وسافر إلى حلب فنسب إلى انحلال العقيدة فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب سنة ٥٨٧هـ من مؤلفاته التلويحات مخطوط وهياكل النور مطبوع ومقامات الصوفية...
انظر وفيات الأعيان ٢٦٨/٦ ـ ٢٧٤؛ والعبر ٢٦٣/٤ ـ ٢٦٤؛ وشذرات الذهب ٢٩٠/٤؛ ولسان الميزان ١٥٦/٣؛ والأعلام ١٤٠/٨.

(٢) في ط (المسلمين).

(٣) في أ، س، ك (وكانوا) وهي صحيحة على لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة)، ولكن الأصح ما أثبتناه من ط.

(٤) في س، ك (فلا).

ومعلوم: أن كل موجود في الخارج فهو جزء معين، فإن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات المعينة لا الأفلاك ولا الأملاك ولا غير ذلك من الموجودات بأعيانها، والدعاء عندهم: هو تصرف النفس القوية في هيولى[1] العالم كما ذكر ذلك ابن سينا وأمثاله، وزعموا أن اللوح المحفوظ: هو النفس الفلكية، وأن حوادث الأرض كلها إنما تحدث عن حركة الفلك، كما قد بسط الرد عليهم في غير هذا الموضع[2].

والمقصود هنا: أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلٰهاً آخر مساوياً له في الصفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم، ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب[3] العالمين، أو أن الخليل ـ عليه السلام ـ لما قال: «هَٰذَا رَبِّي» أراد به رب العالمين[4] فقد غلط غلطاً بيناً، بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع، وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين.

---

(١) في ط (هيول)، وما أثبتناه هو الصحيح.
والهيولى: تقال عند الفلاسفة على مراتب:
فمنها (الهيولى الأولى) وهي غير الصورة ـ عندهم، ومنها ما هي ذوات صور، والصورة تقال على أوجه: فمنها صورة الأجسام البسائط، وهي غير آلية، ومنها صورة الأجسام الآلية وهي النفوس، وغير ذلك. . .
انظر كتاب: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج يوسف المكلاتي المتوفي سنة ٦٢٦هـ ص ٥٥.

(٢) تناول الفلاسفة بالرد في مواضع كثيرة من كتبه ومنها بغية المرتاد في الرد على الفلاسفة، والرد على المنطقيين، وغيرهما.

(٣) في س وهامش ك (هو رب).

(٤) في ط (العالم).

قال(١) ـ تعالى ـ عن الخليل:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ
يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾
أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ
لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ
لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ
يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ
وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾
وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾(٢).

فأخبر ـ تعالى ـ عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين، وأخبر أنهم(٣) يقولون يوم القيامة:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٤).

---

(١) في ط(قال الله تعالى).

(٢) سورة الشعراء: الآيات ٦٩ ـ ٩٩ وورد ذكر الثلاث الآيات التي بعدها في ك في الهامش وفي نسخة ط.

(٣) في ط (وأخبر عنهم أنهم).

(٤) في ط (إذ نسويكم ـ يعني آلهتهم ـ)، والآيات من سورة الشعراء: الآيتان ٩٧، ٩٨.

كما قال ــ تعالى ــ في الموضع الآخر[1] :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[1][2] .

وقال[3] :

﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4] .

ولم يقل: من المعطلين، فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين، فلم يكونوا جاحدين للصانع، بل عدلوا به وجعلوا له أنداداً في العبادة والمحبة والدعاء، وهذا كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[5] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ . . . ﴾[6] .

وقال ــ تعالى ــ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ . . . ﴾[7] .

---

(١) وردت هنا في ط جملة (فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به. . .) إلخ. وانفردت بذلك عن سائر النسخ وقد جاءت هذه الجملة كاملة بعد ستة أسطر في جميع النسخ.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) في ط (ولهذا قال).

(٤) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٦٨.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ (١).

وقال(٢) :

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (٣).

وقال ـ تعالى ـ فيما حكاه عن قوم نوح :

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ (٤).

قال ابن عباس وغيره من العلماء: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوها(٥).

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٣.

(٢) في ط (وقال تعالى).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٢.

(٤) سورة نوح: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٥) روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم، عبدت. انظر صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة إنا أرسلنا ٧٣/٦.

وانظر فتح الباري لابن حجر ٥١١/٨ ـ ٥١٣.

قال ابن كثير في التفسير ٤٢٦/٤: وكذا روى عن عكرمة، والضحاك، وقتادة وابن إسحاق نحو هذا. وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩/٦ إلى البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

وهكذا عند النصارى عن المسيح ـ عليه السلام ـ في كتاب سر بطرس[(١)] ـ الذي يسمى بشمعون، وسمعان[(٢)]، والصفا، وبطرس، والأربعة لمسمى واحد عندهم ـ عنه كتاب عن المسيح فيه أسرار العلوم، وهذا فيه عندهم[(٣)] عن المسيح.

فالذي تفعله النصارى أصل عبادة الأوثان، وهكذا قال عالمهم الكبير الذي يسمونه فم الذهب[(٤)] ـ وهو من أكبر علمائهم ـ لما ذكر

---

(١) بطرس: أحد تلامذة المسيح ـ عليه السلام ـ أو من حوارييه، بناء على ما ورد في عدة مواضع من العهد الجديد وفي ـ رسالتيه: الرسالة الأولى، والرسالة الثانية، ففيها النص «بطرس رسول يسوع المسيح» الإصحاح الأول من الرسالة الأولى ص ٣٧٥ (مطبعة دار الكتاب المقدس) ص ٣٢٥ (مطبعة دار العالم العربي القاهرة)، واسمه أيضاً سمعان بالسين المهملة فقد ورد في الإصحاح الأول من الرسالة الثانية لبطرس «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله. . .» ص ٣٨١ (مطبعة دار الكتاب المقدس)، وورد اسمه شمعون بن الحمام في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر/ فقرة ١٧ «طوبى لك يا شمعون بن الحمام».
وجاء في كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لعلي بن رتين الطبري ما نصه: «هو سمعان بن يونا، كان صياد سمك فدعاه المسيح وسماه كيفا أو الصخرة»، قال في قاموس الكتاب المقدس: صفا باليونانية كيفاس، علم مأخوذ عن الآرامية كيفا أي: صخرة أو حجر. . . وهو اسم أعطاه يسوع المسيح لسمعان، ويقابله باليونانية بطرس وهو الاسم المعروف به الآن.

(٢) في أ، س، ك (شمعان) بالشين المعجمة، وصححته من ط، ومن ترجمته.

(٣) سقطت (عندهم) من أ، س، ك.

(٤) فم الذهب: ذكر ابن البطريق في تاريخه نظم الجوهر ص ١٥١ ـ ١٥٤: أن اسمه يوحنا، وأنه أصبح بطريكاً على القسطنطينية في سنة سبع عشرة من تاريخ تملك الملك ثاوذوسيوس، الذي ظهر في عهده الفتية أهل الكهف.
وقد أقام البطريرك يوحنا ـ فم الذهب ـ على هذا المنصب خمس سنين وستة أشهر، ثم نفي، ومات في النفي. وقد وصفه ابن البطريق المسيحي بأنه عالم كبير. ثم ذكر أن سبب تسميته «فم الذهب»، أن امرأة ندبته عند موته فقالت: يا يوحنا يا فم الذهب، فسمى فم الذهب.
=

تولد الذنوب الكبار عن الصغار. قال: وهكذا هجمت عبادة الأصنام فيما سلف لما أكرم[1] الناس أشخاصاً يعظم بعضهم بعضاً فوق المقدار الذي ينبغي، الأحياء منهم والأموات.

وقد[2] قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[3].

قال[4] طائفة من العلماء: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح وغيرهما، فبين الله ـ تبارك وتعالى ـ: أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده، يرجون رحمته كما ترجون رحمته، ويخافون عذابه، كما تخافون عذابه، ويتقربون إليه كما تتقربون إليه، وقال ـ تعالى ـ:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5].

فبين[6] ـ تعالى ـ: أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر مع اعتقاده أنهم مخلوقون[7]، فإنه لم يقل أحد قط: أن جميع الملائكة

= وانظر ترجمة له في كتاب أنطاكية العظمى للدكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٢٥٩.

(١) في س (أكبر).

(٢) في ط (وقال) بدون (قد).

(٣) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦، ٥٧.

(٤) في ط (قالت).

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٦) في ط (فتبين الله تعالى).

(٧) في س (مخلوقين) وهو خطأ.

والنبيين[1] مشاركون لله ـ سبحانه[2] ـ في خلق العالم، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[3].

قال ابن عباس ومجاهد[4] وغيرهما: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ يقولون. الله، وهم يعبدون غيره، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ. . .﴾[5].

في غير موضع فأخبر ـ تعالى ـ عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه ـ سبحانه ـ يتخذونهم شفعاء إليه[6] ويتقربون بهم إليه.



---

(١) في س، ك (والأنبياء).

(٢) في ط (سبحانه وتعالى).

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٤) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ومجاهد، وذلك بعد بحث طويل في مظانه كتفسير ابن عباس، وكتب التفسير عموماً مثل تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير السيوطي: الدر المنثور، وغيرها، وقد وقف الشيخ ـ رحمه الله ـ كما قال عن نفسه على مائة وعشرين تفسيراً يستخلص منها الصحيح، فأين هذا من الموجود لدينا الآن؟

(٥) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٦) في س، ك، ط (أو).

فصل

وكذلك تعظيمهم للصليب، واستحلالهم لحم الخنزير وتعبدهم بالرهبانية، وامتناعهم من الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوءاً[1]، ولا يوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم لا عذرة ولا بولاً ولا غير ذلك من الخبائث إلى غير ذلك.

كلها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح ـ عليه السلام ـ، ودان بها أئمتهم وجمهورهم، ولعنوا من خالفهم فيها، حتى صار المتمسك فيهم بدين المسيح المحض مغلوباً مقموعاً[2] قبل أن يبعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجد منصوصاً عن المسيح ـ عليه السلام ـ.

(ب) اجتماع المسلمين بإجماعهم، وتفرُّق النَّصارى بابتداعهم

وأما المسلمون: فكل ما أجمعوا عليه إجماعاً ظاهراً يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يحدث ذلك أحد لا باجتهاده ولا بغير اجتهاده، بل ما قطعنا بإجماع أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه يوجد مأخوذاً عن نبيهم.

وأما ما يظن فيه إجماعهم ولا يقطع به:

---

(١) في ط (وضوء).

(٢) في س (ومقموعاً). وقمعه ضربه. وأقمعه قهره وأذله فانقمع. انظر مختار الصحاح ص ٥٥١.

فمنه ما يكـون ذلك[1] الـظن خطأ ويكـون بينهم فيه نـزاع، ثم قد يكـون نص[2] الرسـول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مـع هذا القـول، وقد يكون مع هذا القول.

ومنه ما يكون ظن[3] الإجماع عليه صواباً، ويكون فيـه عن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أثـر خفيت دلالتـه أو معـرفتــه[4] على بعض الناس.

وذلك أن الله ــ تبارك وتعـالى ــ أكمل الـدين بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خاتم النبيين، وبيَّنه وبلَّغه البلاغ المبين، فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئاً من دينه، وإنمـا تحتاج[5] إلى معـرفة دينـه الذي بعث بـه فقط، وأمتـه لا تجتمع على ضـلالة، بـل لا يزال في أمتـه طائفـة قائمـة بالحق حتى تقوم الساعة، فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأظهره بالحجة والبيان، وأظهره باليد والسنان. ولا يـزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة.

والمقصـود هنا: أن مـا أجمعت عليه الأمـة إجماعـاً ظاهـراً تعرفـه العامة والخاصة، فهـو منقول عن نبيهم ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ونحن لا نشهد بالعصمة إلَّا لمجموع الأمة، وأما كثير من طوائف الأمـة، ففيهم بدع مخالفة للرسول، وبعضهـا من جنس بدع اليهـود والنصارى، وفيهم فجور ومعاصي، لكن[6] رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بـريء من ذلك، كما قال ــ تعالى ــ له:

---

(١) سقطت ذلك من أ، س، ك وزدناها من ط.
(٢) في أ (ثم قد نقول يكون).
(٣) في أ، س، ك (الظن).
(٤) في س، ك (معرفته أو دلالته).
(٥) في أ (يحتاج) بالمثناة التحتية.
(٦) في ط (ولكن).

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ... ﴾[2].

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رغب عن سنتي فليس مني»[3] وذلك مثل إجماعهم على أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرسل إلى جميع الأمم ـ أهل الكتاب وغير أهل الكتاب ـ فإن هذا تلقوه عن نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهو منقول عندهم نقلاً متواتراً يعلمونه بالضرورة.

وكذلك إجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم، فإن هذا الإجماع منهم على ذلك مستند[4] إلى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور في كتابهم.

وكذلك الإجماع على وجوب الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم خليل الرحمن، ودعا الناس إلى حجه وحجته الأنبياء حتى حجه موسى بن عمران ويونس بن

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) هذا قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري، في أول النكاح، باب الترغيب في النكاح ٦/١١٦ من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، ورواه مسلم من حديث أنس بنحوه في النكاح، باب استحبابه لمن تاقت إليه نفسه ٢/١٠٢٠ (١٤٠١)، وأحمد من حديث أنس في المسند ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، ورواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في ٢/١٥٨.

(٤) في أ، س، ك (مستنداً) وصححناه من ط.

متى[1] وغيرهما، وإجماعهم[2] على وجوب الاغتسال من الجنابة، وتحريم الخبائث، وإيجاب الطهارة للصلاة، فإن هذا كله مما تلقوه[3] عن نبيهم، وهو منقول عنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نقلاً متوتراً، وهو مذكور في القرآن.

وأما النصارى، فليست الصلوات التي يصلونها منقولة عن المسيح ــ عليه السلام ــ ولا الصوم الذي يصومونه منقولاً عن المسيح، بل جعل أولهم[4] الصوم أربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه إلى الربيع، وليس هذا منقولاً عندهم عن المسيح ــ عليه السلام ــ.

وكذلك حجهم للقمامة[5]، وبيت لحم[6]، وكنيسة ــــــ

(١) يونس بن متى: اشتهر بأمه متى. كما اشتهر عيسى ــ عليه السلام ــ بأمه مريم. وهو من أنبياء بني إسرائيل، بعث إلى أهل نينوى فنهاهم عن الأصنام، وأوعدهم بالعذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه ــ عز وجل ــ فلما أظلهم العذاب آمنوا فكشفه الله عنهم، وجاء يونس لذلك اليوم فلم يرَ العذاب حل، ولا علم بإيمانهم فذهب مغاضباً، قال ــ تعالى ــ: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً. . .﴾ الآية من سورة الأنبياء. ثم دخل السفينة بدجلة فوقفت السفينة، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب، وتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به، وكان من شأنه ما ذكره الله في كتابه.
انظر: تاريخ الطبري ٢/١١ ــ ١٧؛ وابن الوردي ١/٤٧؛ والبداية والنهاية ١/٢٣١.

(٢) في أ (وإجماعهما) وصححته من سائر النسخ.

(٣) في ط (نقلوه).

(٤) في أ، س، ك (أولوهم) وصححناه من ط.

(٥) في ط (لقمامه) وقمامه: بالضم، كنيسة للنصارى ببيت المقدس في وسط البلد، فيها قبة، تحتها قبر. يزعمون: أن المسيح دفن فيه، ومنه قام. ولذلك تسميها النصارى القيامة.
انظر: معجم البلدان ٤/٣٩٦؛ ومراصد الاطلاع ٣/١١٢١.

(٦) بيت لحم، بالفتح، وسكون الحاء المهملة: بليدة قرب بيت المقدس المشهور أن =

صيدنـايا[1]، ليس شيء من ذلك منقولاً عن المسيـح ـ عليه السـلام ـ ، بل وكذلك عامة أعيادهم مثل عيد القلندس[2]، وعيد الميلاد[3]، وعيد الغطاس[4] ـ وهو القداس ـ وعيـد الخميس[5]، ـــــــــــــــــ

= عيسى ـ عليه السلام ـ ولد به، وقيل: (لخم) بالخاء المعجمة. وقيل: لغتان.
انظر: معجم البلدان ٥٢١/١، ومراصد الاطلاع ٢٣٨/١.

(١) صيدنايا. بعد الدال المهملة نون، وبعد الألف ياء: بلد من أعمال دمشق مشهورة بكثرة الكروم. وهي من مزارات النصارى.
انظر: مراصد الاطلاع ٨٥٩/٢.

(٢) عيد القلندس: جاء في مخطوط جواب الأنصاري الدمشقي على رسالة بولص أن هذا العيد يعني الختان، وقد ذكر أنه مما كان في إنجيل الصبوة أن المسيح لم يكن له آلة النسل بل كان أمسحاً، قال: وقد عملوا القلندس الذي معناه الختان لئلا ينسب إلى ناسوته نقص خلق، ولأن الإنجيلات شاهدة بأن أم المسيح ختنته ثامن يوم ولادته. انظر ورقة ٦٩، السطر الثاني من المخطوط السابق، ويوجد صورة منه لدى زميلنا الأخ الدكتور عبد العزيز العسكر حيث قام بتصويره من جامعة يورخنا بهولندا برقم (١٤٤٩)، وتقع في (١٠٨) ورقات.

(٣) عيد الميلاد: هو اليوم الذي ولد فيه المسيح ـ عليه السلام ـ والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً، وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لأهل مصر به اعتناء.
قال المقريزي: «وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرق الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية. . . وغيرها».
انظر: الخطط المقريزية ٤٩٤/١؛ وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الأنصاري ص ٢٨١، وفيه من أعياد النصارى الكبار؛ وتاريخ ابن الوردي ١٢٨/١.

(٤) عيد الغطاس: من مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس، ولهذه الليلة ـ عندهم ـ شأن عظيم، لا ينام الناس فيها، وسميت الغطاس لأنهم يغطسون في الماء في تلك الليلة ويزعمون أن ذلك أمان من المرض.
انظر: الخطط المقريزية ٤٩٤/١؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨١.

(٥) عيد الخميس: اسمه خميس العهد. قال المقريزي: «ويسميه أهل مصر من العامة خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه، وكان =

وعيد الصليب[1] الذي جعلوه في وقت ظهور الصليب، لما أظهرته هيلانة الحرانية[2] الفندقانية أم قسطنطين بعد المسيح ـ عليه السلام ـ[3] بمائتين من السنين. وعيد الخميس والجمعة والسبت التي

= من جملة رسوم الفاطمية ضرب خمسمائة دينار ذهباً، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم فيه».
انظر: الخطط المقريزية ٤٩٥/١؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١) عيد الصليب: تعيد الكنيسة القبطية للصليب المقدس مرتين. الأولى في ١٠ برمهات، والأخرى في ١٧ توت، يقول الأب متى المسكين: «أما العيد الرسمي في كنيستنا حسب التقليد فهو الواقع في ١٠ برمهات، ولكن الكنائس الأخرى في الشرق حددت ١٤ سبتمبر كتذكار دائم لتمجيد الصليب، والتعييد لظهوره، ويوافق الآن بعد التعديل ٢٧ سبتمبر».
انظر: كتاب «الصليب المقدس» للأب متى المسكين ص ٤؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨٢.
وقد ذكر صاحب (نخبة الدهر) أربعة عشر عيداً للنصارى سبعة كبار وسبعة صغار، ولم أقف من بينها على عيد القلندس.

(٢) هيلانة: هي والدة الإمبراطور قسطنطين، قيل: أنها أناضولية بلقانية، وقيل: سورية، وهي قديسة كما يقول الأب متى المسكين: تكبدت أتعاب السفر إلى أورشليم، وهي بالغة من العمر أكثر من سبعين سنة، وذلك لتكشف القبر المقدس، وتبني كنيسة هناك. وقد بنت كنيستين إحداهما: على القبر، وعرفت بكنيسة القيامة. والأخرى: في بيت لحم.
قال ابن كثير: ويعنون بالقيامة: التي يقوم جسد المسيح منها، ثم أمرت بأن توضع القمامة على الصخرة التي هي قبلة اليهود، فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بيت المقدس، فكنس عنها القمامة... ووضع المسجد أمامها حيث صلّى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ليلة الإسراء بالأنبياء وهو بالأقصى.
انظر: البداية والنهاية ٩٦/٢؛ والصليب المقدس للأب متى المسكين ص ٥؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ٨٧/١.

(٣) سقطت جملة (المسيح عليه السلام) من أ، س، ك. وقد وردت العبارة في النسخ الثلاث هكذا (بعد المائتين) وكلاهما صحيح، ولكن الزيادة توضيح أكثر.

في آخر صومهم، وغير ذلك من أعيادهم التي رتبوها على أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم، فإن ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله ــ تعالى ــ، بل هم يبنون الكنائس على اسم بعض من يعظمونه، كما في السنن[1] عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :«أنهم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[2]، وهذا بخلاف المساجد التي تبنى لله ــ عز وجل ــ كما قال ــ تعالى ــ :

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3].

وقال[4]: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ . . .﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[7].

والنصارى كأشباههم من المشركين يخشون غير الله، ويدعون غير الله.



(١) في س، وهامش ك، ط (الصحيحين).

(٢) سبق تخريجه. . . والحديث في البخاري، ومسلم، والنسائي، ومسند أحمد، وأبي عوانة، والبيهقي.

(٣) سورة الجن: الآية ١٨.

(٤) في ط (وقال ــ تعالى ــ).

(٥) سورة النور: الآية ٣٦.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٧) سورة التوبة: الآية ١٨.

فصل

والمقصود هنا: أن الذي يدين به المسلمون من أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسول[1] إلى الثقلين: الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد، وهو[2] مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه؛ لأن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه وبينه الرسول أيضاً في الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب، فإنه ـ تعالى ـ أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولم يبتدع المسلمون شيئاً من ذلك من تلقاء أنفسهم، كما ابتدعت النصارى كثيراً من دينهم، بل أكثر دينهم.

وبدلوا دين المسيح وغيروه؛ ولهذا كان كفر النصارى لما بعث محمد[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل كفر اليهود لما بعث المسيح ـ عليه السلام ـ ؛ فإن اليهود كانوا قد بدلوا شرع التوراة قبل مجيء المسيح فكفروا بذلك، ولما بعث المسيح إليهم[4] كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وبتكذيب الكتاب الثاني.

وكذلك النصارى كانوا[5] بدلوا دين المسيح قبل أن يبعث محمد[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الإنجيل أشياء لم يبعث بها المسيح ـ عليه السلام ـ ، بل

(١) في س وهامش ك، ط (بعث رسولاً).
(٢) في أ (كما) وهو تصحيف.
(٣) في س، ك (محمداً) بالنصب.
(٤) سقطت (إليهم) من أ.
(٥) في ط (كانوا قد بدلوا).
(٦) في س (محمداً).

تخالف ما بعث به، وافترقوا في ذلك فرقاً متعددة وكفر فيها بعضهم بعضاً، فلما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كذبوه، فصاروا كفاراً بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وتكذيب الكتاب الثاني، كما يقول علماء المسلمين: إن دينهم مبدل منسوخ، وإن كان قليل من النصارى كانوا[1] عند مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ متمسكين بدين المسيح، كما كان الذين لم يبدلوا دين المسيح كله على الحق، فهذا كما أن من كان متبعاً شرع التوراة عند مبعث المسيح، كان متمسكاً بالحق كسائر من اتبع موسى، فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به كافراً، وكذلك لما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صار كل من لم يؤمن به كافراً.

والمقصود في هذا المقام: بيان ما بعث به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من عموم رسالته، وأنه[2] نفسه الذي أخبر أن الله ـ تعالى ـ أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم، وأنه نفسه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا أهل الكتاب وجاهدهم وأمر بجهادهم، فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب ـ اليهود[3] والنصارى ـ: أنه لم يبعث إلينا بمعنى أنه لم يقل: إنه مبعوث إلينا، كان مكابراً جاحداً للضرورة مفتريا على الرسول فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة.

وكان جحده لهذا[4] كما لو جحد أنه جاء بالقرآن، أو شرع الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وجَحْدُ محمدٍ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وما تواتر عنه أعظم من جحد أتباع الحواريين

(١) في س (كانوا على عند) و(على)، زائدة لا مكان لها.
(٢) في س، ك، ط (وأنه هو).
(٣) في ط (واليهود).
(٤) في ط (لها).

المسيح[1] ـ عليه السلام ـ، وإرساله لهم إلى الأمم، ومجيئه بالإنجيل، وجحد[2] مجيء موسى ـ عليه السلام ـ بالتوراة، وجحد أنه كان يسبت؛ فإن النقل عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مدته[3] قريبة، والناقلون عنه أضعاف أضعاف من نقل دين المسيح عنه، وأضعاف أضعاف أضعاف من اتصل به نقل دين موسى ـ عليه السلام ـ فإن أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما زالوا كثيرين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها، وما زال فيهم من هو ظاهر بالدين منصور على الأعداء، بخلاف بني إسرائيل، فإنهم زال ملكهم في أثناء الأمر[4] لما خرب بيت المقدس[5] الخراب الأول بعد داود ـ عليه السلام ـ، ونقص عدد من نقل دينهم حتى قد قيل: إنه لم يبقَ من يحفظ التوراة إلَّا واحد.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم ينقل دينه عنه إلَّا عدد قليل، لكن[6] النصارى يزعمون أنهم رسل الله معصمون مثل: إبراهيم وموسى، وسيأتي الكلام على هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ إذا وصلنا إليه، إذ المقصود هنا بيان من زعم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يقول: إنه لم يبعث إلَّا إلى مشركي العرب، فإنه في غاية الجهل والضلال أو غاية المكابرة والمعاندة، فإن هذا أعظم جهلاً وعناداً ممن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة والغسل من الجنابة، ويحرم الخمر والخنزير، وأعظم جهلاً وعناداً ممن ينكر ما تواتر من أمر المسيح وموسى ـ عليهما السلام ـ، وقد ظهر بهذا بطلان قولهم: علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب.



(١) في س، ك، ط (للمسيح).
(٢) سقطت (جحد) من أ، س، ك.
(٣) في س، ك (مدة).
(٤) في ط (المدة).
(٥) في ط (القدس).
(٦) في ط (ولكن).

فصل

فإذا عرف هذا[1] فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنوا دلالتها على أن[2] نبوته خاصة بالعرب، تدل على أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحد على مقصوده ومراده، وأنهم ممن قيل فيه:

شبهات النّصارى على رسالة محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وردّها

﴿... فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾[3].

فليسوا أهلاً أن يحتجوا بالتوراة والإنجيل والزبور على مراد الأنبياء[4]، وسائر الكلام المنقول عن الأنبياء على مراد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بل ولا يحتجون بكلام الأطباء، والفلاسفة، والنحاة، وعلم أهل الحساب، والهيئة، على مقاصدهم.

فإن الناس كلهم متفقون على أن لغة العرب من أفصح[5] لغات الآدميين وأوضحها[6]، ومتفقون على أن القرآن في أعلا درجات البيان، والبلاغة، والفصاحة، وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ التي يذكر فيها: أن الله ـ تعالى ـ أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم ما لا يحصى إلاّ بكلفة ثم مع ذلك من

---

(١) سقطت (هذا) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.
(٢) سقطت (إن) من ط.
(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.
(٤) في هامش ك (عليهم السلام).
(٥) في ط (أنصح).
(٦) في س، ك (وأفصحها) وهو تكرار، وفي ط (وأصحها).

النقول المتواترة عن سيرته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في دعائه لأهل الكتاب، وأمره لهم بالإيمان به، وجهاده لهم إذ كفروا به ما لا يخفى على من له أدنى خبرة بسيرته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وهذا أمر قد امتلأ العالم به وسمعه القاصي[1] والداني، فإذا كان الناس ــ المؤمن به وغير المؤمن به ــ يعلمون أنه كان يقول: إنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم، وأن ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة، ثم شرعوا يظنون أنه كان يقول: إني لم أبعث إلَّا إلى العرب واستمر على ذلك حتى مات، دل على فساد نظرهم وعقلهم أو على عنادهم ومكابرتهم، وكان الواجب ــ إذ[2] لم يكن له معرفة معاني[3] هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسالته ــ، أن يعتقدوا أحد أمرين:

إما أن لها معاني توافق[4] ما كان يقوله. أو أنها من المنسوخ، فقد علمت الخاصة والعامة[5] أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يصلي بعد هجرته إلى بيت المقدس نحو سنة ونصف[6]، ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة البيت الحرام، والنصارى يوافقون على أن شرائع

(١) في ط (القاضي)، وهو تصحيف.
(٢) في ط (إذا) منفردة عن سائر النسخ.
(٣) في ط (بمعاني).
(٤) في أ (موافق) وصححناه من س، وهامش ك، ط.
(٥) في س، ك (العامة والخاصة).
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة ١/١٠٤، وفي أخبار الآحاد ٨/١٣٤، ومسلم في المساجد، باب تحويل القبلة ١/٣٧٤(٥٢٥)، والترمذي في التفسير رقم (٢٩٦٢) ٥/٢٠٧، والنسائي، باب فرض القبلة ١/٢٤٢، وابن ماجه في الصلاة، باب القبلة ١/٣٢٢، وأحمد ٤/٣٠٤، وأبو عوانة، باب أول مسجد وضع في الأرض ١/٣٩٣.

الأنبياء فيها ناسخ ومنسوخ، مع أن ما ذكروه من الآيات ليس منسوخاً، ولكن المقصود: أن المعلوم من حال الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ علماً ضرورياً يقينياً متواتراً لا يجوز دفعه فإن العلم بأنه كان يقول: إنه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] إلى جميع الخلق معلوم لكل من عرف أخباره ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سواء صدقه أو كذبه، والعلم بأنه كان يقول: إنه رسول الله إلى جميع الناس ممكن قبل أن يعلم أنه نبي أو ليس بنبي، كما أن العلم بنبوته وصدقه ممكن قبل [أن][2] يعلم عموم رسالته، فليس العلم بأحدهما موقوفاً على الآخر، ولهذا كان كثير ممن يكذبه يعلم أنه كان يقول: إنه رسول الله إلى جميع الخلق، وطائفة ممن تقر[3] بنبوته وصدقه لا تقر[4] بأنه رسول إلى جميع الخلق.

والمقصود هنا: الكلام مع هؤلاء بأن العلم بعموم دعوته لجميع[5] الخلق ـ أهل الكتاب وغيرهم ـ هو متواتر معلوم بالاضطرار، كالعلم بنفس مبعثه، ودعائه الخلق إلى الإيمان به وطاعته، وكالعلم بهجرته من مكة إلى المدينة، ومجيئه بهذا القرآن، والصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الظلم والفواحش، وغير ذلك مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وإن[6] قيل: بل في القرآن ما يقتضي أن رسالته خاصة وفيه ما يقتضي أن رسالته عامة وهذا تناقض.

---

(١) سقطت جملة الدعاء من س، ك.
(٢) سقطت (أن) من جميع النسخ، وزدناها ليستقيم الكلام.
(٣) في ط (يقر) بالمثناة التحتية.
(٤) في ك (يقر) بالمثناة التحتية.
(٥) في س (بجميع).
(٦) في ك، ط (فإن).

قيل: هذا باطل[1] ويعلم بطلانه قبل العلم بنبوته؛ فإنه من المعلوم لكل أحد آمن به أو كذبه، أنه كان من أعظم الناس عقلاً وسياسة وخبرة، وكان مقصوده: دعوة الخلق إلى طاعته واتباعه، وكان يقرأ القرآن[2] على جميع الناس، ويأمر بتبليغه إلى جميع[3] الأمم، وكان من طلب منه أنه يؤمنه حتى يقرأ عليه القرآن من الكفار وجب عليه أن يجيبه ولو كان مشركاً، فكيف إذا كان كتابياً كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وكان قد أظهر أنه مبعوث إلى أهل الكتاب وسائر الخلق، وأنه رسول[5] إلى الثقلين[6]: الجن والإنس، فيمتنع مع هذا أن يظهر ما يدل على أنه لم يبعث إليهم؛ فإن هذا لا يفعله من له أدنى عقل لمناقضته لمراده، فكيف يفعله من اتفقت[7] عقلاء الأمم على أنه أعقل الخلق وأحسنهم سياسة وشريعة؟.

وأيضاً فكان أصحابه والمقاتلون معه بعد ذلك[8] ينفرون عنه، وقد كان عادتهم أن يستشكلوا ما هو دون هذا، وهذا لم يستشكله أحد، ثم بعد هذا[9] فلو قدر أن في القرآن ما يدل على أنه لم يبعث إلاَّ إلى

(١) في ط (هذا يعلم بطلانه)، وسقطت منها (باطل و).
(٢) في س، هامش ك (وهذا القرآن).
(٣) في ك (لجميع).
(٤) سورة التوبة: الآية ٦.
(٥) في ط (رسول الله).
(٦) في ط (المثقلين).
(٧) في س، وهامش ك (مثل من اتفقت)، وفي ط (مثل هذا الذي اتفقت).
(٨) في س، ك، ط (لعدوه) بدل (بعد ذلك).
(٩) سقطت جملة (ثم بعد هذا) من س.

العرب وفيه ما يدل على أنه بعث إلى سائر الخلق، كان هذا دليلاً على أنه أرسل إلى غيرهم بعد أن لم يرسل إلاَّ إليهم، وأن الله عمَّ بدعوته بعد أن كانت خاصة فلا مناقضة بين هذا وهذا، فكيف وليس في القرآن آية واحدة تدل على اختصاص رسالته بالعرب؟ وإنما فيه إثبات رسالته إليهم، كما أن فيه إثبات رسالته إلى قريش، وليس هذا مناقضاً لهذا، وفيه إثبات رسالته إلى أهل الكتاب، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا . . . ﴾[1].

كما فيه إثبات رسالته إلى بني إسرائيل كقوله:

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴾[2]

وليس[3] هذا التخصص لليهود[4] منافياً لذلك التعميم وفي رسالته خطاب لليهود تارة وللنصارى تارة، وليس خطابه[5] لإحدى الطائفتين ودعوته لها مناقضاً[6] لخطابه للأخرى ودعوته لها، وفي كتابه خطاب للذين آمنوا من أمته في دعوته لهم إلى شرائع دينه، وليس في ذلك مناقضة بأن يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم وفي كتابه أمر بقتال أهل الكتاب النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

قال ـ تعالى ـ:

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٧، وأخطأ النساخ في هذه الآية في جميع النسخ فكتبت: ﴿يا أهل الكتاب آمنوا بما أنزلنا﴾، وجاءت في ط أيضاً كما في النسخ المخطوطة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٠، والآية ٤٧، والآية ١٢٢؛ وسورة طه: الآية ٨٠.

(٣) في ط (ليس) بدون واو.

(٤) سقطت كلمة (لليهود) من س، وشطب عليها في نسخة: ك.

(٥) في ط (خطاب).

(٦) في أ، س (مناقض)، وصححناه من ك، ط.

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1].

ثم لم يكن هذا مانعاً أن يأمر بقتال غيرهم من اليهود والمجوس حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، بل هذا الحكم ثابت في المجوس بسنته واتفاق أمته[2].

وإن قيل إنهم ليسوا من أهل الكتاب، فهذا كله مما يعلم بالاضطرار من دينه قبل العلم بنبوته، فكيف ونحن نتكلم على تقدير نبوته والنبي لا يتناقض قوله؟ وإذا كان العلم بعموم دعوته ورسالته معلوماً بالاضطرار قبل العلم بنبوته وبعد العلم بنبوته، فالعلم الضروري اليقيني لا يعارضه شيء، ولكن هذا شأن الذين في قلوبهم زيغ من أهل البدع: النصارى وغيرهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم[3]؟ وبسبب مناظرة النصارى للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمتشابه وعدولهم عن المحكم أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ فيهم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) تقدم توضيح ذلك في الحديث عن الجزية.

(٣) سبق التعريف بالمتشابه والمحكم في أول الكتاب.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧، وسبقت الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية وما قبلها من صدر سورة آل عمران.

فالتأويل[1]: يراد به تفسير القرآن، ومعرفة معانيه، وهذا يعلمه الراسخون ويراد به ما استأثر الرب ـ سبحانه وتعالى ـ[2] بعلمه من معرفة كنهه وكنه[3] ما وعد به ووقت الساعة، ونحو ذلك مما لا يعلمه إلاَّ الله.

---

(۱) في ت (والتأويل).
والتأويل: لغة مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً، ومآلاً، رجع. ويقال: أول الكلام، تأويلاً، تأوله: دبره وقدره.
وتأويل الكلام له معنيان:
١ ـ تأويل الكلام بمعنى: ما أوله إليه المتكلم، أو ما يؤول إليه الكلام، ويرجع. والكلام إنما يرجع إلى حقيقته التي هي عين المقصود. والكلام إنشاء وإخبار، ومن الإنشاء: الأمر، وتأويل الأمر: فعل المأمور به، وتأويل الإخبار: هو عين المخبر به إذا وقع.
٢ ـ تأويل الكلام: تفسيره، وبيان معناه، وهذا ما عناه ابن جرير في تفسيره بقوله: القول في تأويل قوله ـ تعالى ـ كذا وكذا.. وهذا هو معنى التأويل عند السلف.
أما في عرف المتأخرين فهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا الاصطلاح غير متفق مع ما يراد بلفظ التأويل في القرآن عند السلف.
وملخص ما مضى أن التأويل يستعمل في ثلاثة معانٍ:
الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.
الثاني: بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين.
الثالث: اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين والأصوليين وهو صرف اللفظ... إلخ ما ذكرناه سابقاً.
راجع: البرهان للزركشي ٢/١٤٦ فما بعدها، ومباحث في علوم القرآن ٣٢٥، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١/١٦٤، ولشيخ الإسلام رسالة بعنوان الإكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى في ج ٢ من ص ١ ـ ص ٣٧.
(٢) سقطت جملة (سبحانه وتعالى) من س، ك، ط.
(٣) في ط (معرفة وكنه معرفة).

والضُّلال: يذكرون آيات تشتبه عليهم معرفة معانيها، فيتبعون تأويلها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، وليسوا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلها، مع أن هؤلاء[1] الآيات[2] من أوضح الآيات.

وهذا الذي سلكوه في القرآن هو نظير ما سلكوه في الكتب المتقدمة وكلام الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، فإن فيها من النصوص الكثيرة الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح ما لا يحصى إلَّا بكلفة، وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفي المشكل من الكتب المتقدمة، وتركوا الكثير المحكم المبين[3] الواضح فهم سلكوا في القرآن ما سلكوه في الكتب المتقدمة، لكن تلك الكتب يقرون بنبوة أصحابها ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هم فيه مضطربون متناقضون، فأي قول قالوه فيه، ظهر فساده وكذبهم فيه إذا لم يؤمنوا بجميع ما أنزل إليه.

وإن قالوا: كلامه متناقض ونحن نحتج بما يوافق قولنا، إذ[4] مقصودنا بيان تناقضه.

الردّ على النَّصارى في دعواهم أنَّ كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متناقض

قيل لهم[5] عن هذا أجوبة:

أحدها: أنه في الكتب المتقدمة مما يظن أنه متعارض أضعاف ما في القرآن وأقرب إلى التناقض، فإذا كانت تلك الكتب متفقة لا تناقض فيها، وإنما يظن تناقضها من يجهل معانيها ومراد الرسل فيكون كما قيل:

---

(١) في ط (هذه).

(٢) جاء بعدها في س، ك (التي ذكروها).

(٣) في س، ك (البين).

(٤) في ط (إذا).

(٥) في س، ك (كان) بدل (قيل لهم).

وكم من عائب قولاً صحيحاً... وآفته من الفهم السقيم[1] فكيف القرآن الذي هو أفضل الكتب؟

الثاني: أنهم متمسكون بالمتشابه في تلك الكتب ومخالفون المحكم منها كما فعلوه بالقرآن وأبلغ.

الثالث: أنه إذا[2] كان ما جاء به متناقضاً لم يكن رسول الله، فإن ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفاً متناقضاً، وأنما يتناقض ما جاء من عند[3] غير الله، قال ـ تعالى ـ:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[4]

فكل كتاب ليس من عند الله لا بد أن يكون فيه تناقض، وما كان من عند الله لا يتناقض، وحينئذٍ فإن كان[5] متناقضاً لم يجز لهم الاحتجاج بشيء منه، فإنه ليس من عند الله، وإن لم يكن متناقضاً ثبت أن ما فيه من عموم رسالته، وأنه رسول إليهم فليس فيه شيء يناقضه، فإن ما جاء من عند الله لا يتناقض.

الرابع: أنا نبين أن ما فيه من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى العرب، كما أن ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين، وأمر قريش لا ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن تخصيص بعض العام بالذكر

---

(١) بيت من البحر الوافر لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

شرح ديوان المتنبي ٤/٢٤٥، ٢٤٦ لعبد الرحمن البرقوقي، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) في س، ك (من) بدل (إذا).

(٣) في ط (ما جاء به من غير الله).

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥) في ط (كل) بدل (كان)، وهو خطأ ظاهر.

إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفة، وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب[1].

والناس كلهم متفقون على أن التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن للاسم[2] اللقب مفهوم بل ولا للصفة، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ . . . ﴾[3].

---

(١) يقسم علماء الأصول دلالة غير المنظوم إلى أربعة أقسام:

١ ـ دلالة الاقتضاء. وهي ما كان المدلول فيه مضمراً إما لضرورة صدق المتكلم، أو لصحة الملفوظ به عليه.

٢ ـ دلالة التنبيه والإيماء. وهي في القياس.

٣ ـ دلالة الإشارة. ومثالها: دلالة قوله ـ تعالى ـ: **﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾** على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

٤ ـ دلالة المفهوم، وينقسم إلى قسمين:

(أ) مفهوم موافقة.

(ب) ومفهوم مخالفة.

أما مفهوم الموافقة: فما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل الظن، ويسمى أيضاً: فحوى الخطاب، ولحن الخطاب. والمراد به معنى الخطاب، وهذا مما اتفق على صحة الاحتجاج به. إلاّ ما نقل عن داود الظاهري أنه قال ليس بحجة.

أما مفهوم المخالفة: فهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق، ويسمى دليل الخطاب أيضاً. وهو عند القائلين به منقسم إلى عشرة أصناف متفاوتة في القوة والضعف. وقد ذكروا لمفهوم المخالفة شروطاً كثيرة منها ما يرجع للمسكوت، ومنها ما يرجع للمنطوق.

راجع في ذلك: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣/٦٤ ـ ٧١، وشرح الكوكب المنير ٢٤٣، وأصول مذهب الإمام أحمد ١٢٥، ١٢٨.

(٢) في ط (الاسم).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣١.

فإنه نهاهم عن ذلك؛ لأنه هو الذي كانوا يفعلونه، وقد حرم في موضع آخر[1] قتل النفس بغير حق، سواء كان ولداً أو غيره، ولم يكن ذلك مناقضاً لتخصيص الولد بالذكر.

الخامس: أنه في ذلك أسوة بالمسيح[2] ـ عليه السلام ـ فإن المسيح خص أولاً بالدعوة، ثم عم[3]، كما قيل في الإنجيل: «ما بعثت وأرسلت إلَّا لبني إسرائيل»[3]. وقال أيضاً في الإنجيل: «ما بعثت إلَّا

---

(١) في ط (مواضع أخر).

(٢) في أ، س، ك (بالمسيح)، وما أثبتناه من ط.

(٣) في إنجيل متى، الإصحاح الخامس عشر، فقرة ٢٤ «فأجاب، وقال: لم أرسل إلَّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

قلت: لعل الشيخ ـ رحمه الله ـ يقصد بالعموم هنا: العموم المقيد ببني إسرائيل، فإن المسيح ـ عليه السلام ـ في أول الأمر خاطب الحواريين التلاميذ ثم أمرهم بعد ذلك أن يدعوا بني إسرائيل وحدهم. وليس في الأناجيل ما يدل على عموم رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الناس كافة بل إن فيها ما يدل على الخصوصية ببني إسرائيل، وهذا واضح من قوله: «ما بعثت وأرسلت إلَّا لبني إسرائيل»، وقوله: «إلَّا لهذا الشعب الخبيث». عدا ما ورد في إنجيل متى، الإصحاح الثامن والعشرون: «وتلمذوا جميع الأمم». وقد أجيب عنها بأجوبة، منها:

١ ـ إن هذه الوصية لم ترد عنه قبل رفعه، ولم يسمعها منه تلاميذه، لذلك فهي إن زعم صدورها منه بعد رفعه ـ فتكون من قبل الرؤى والأحلام أو الأوهام، مما يدعو إلى الشك فيها.

٢ ـ تتضمن عبارات التثليث: الأب، الابن، الروح القدس؛ فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث، وألوهية المسيح لم تتقرر إلَّا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م.

مما يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألفت وأضيفت بعد ذلك إلى الإنجيل المذكور.

وهناك أجوبة أخرى ساقها محمد عزت الطهطاوي في كتابه القيم «النصرانية والإسلام»، وأثبت فيه بأدلة كثيرة خصوصية دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ من الأناجيل نفسها، ثم بيَّن أن أول من قال بعالمية المسيحية بولس في رسائله، وأثبت ذلك بأقوال علمائهم نفسهم. فانظر الكتاب المذكور ص ٢٨٩ ـ ٣٠٢. =

لهـذا الشعب الخبيث»[1] ثم عمَّ فقال لتـلامذتـه[2] حين أرسلهم[3] كما في الإنجيـل: «كمـا بعثني أبـي أبعث بكم فمن قبلكم فقـد قبلني»[4]. وقال: «أرسلني أبـي وأنا أرسلكم»[5]. وقال: «كما أفعل أنا بكم كذلك افعلوا أنتم بعبـاد الله، فسيـروا في البـلاد، وعمـدوا النـاس بـاسم الأب والابن والروح[6] القدس، ولا يكون لأحدكم ثوبان، ولا يحمل معه فضة ولا ذهباً، ولا عصا ولا حرابة»[7]. ونحو ذلك ممـا هو في الأنـاجيل التي بين أيديهم من تخصيص الدعوة ثم تعميمها، وهو صادق في ذلـك كله، فكيف يسوغ لهم إنكار ما في الإنجيل[8] عن المسيح نظيره؟

ثم يقـال في بيـان الحـال: إن الله ـ تعـالى ـ بعـث محمـداً

= وانظر المسيحية نشأتها وتطورها/ شارل جنيبر ص ١٣٦؛ وانظر كتاب: المسيح إنسان أم إلـه، للدكتـور محمد مجـدي مرجـان ص ١٢٥، ١٢٧ فما بعـدها، ولـه في هذه المسألة كلام جيد.

(١) في إنجيـل متى، الإصحاح العـاشر/ فقـرة ٦ «بل اذهبـوا بالحـري إلى خـراف بيت إسرائيل الضالة».

(٢) في ط (لتلاميذه).

(٣) في س (أرسلتم).

(٤) في إنجيل يوحنا، الإصحاح العشرون/ فقرة ٢١ «فقال لهم يسوع أيضـاً سلام لكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا».

(٥) إنجيـل يـوحنـا، الإصحـاح العشـرون/ فقـرة ٢١. وقـد جـاءت في ط (قـد أرسلني. . . إلخ).

(٦) في ط (وروح).

(٧) النص في إنجيل متى، الإصحاح الثامن والعشرون/ فقـرات ١٦ ـ ٢٠ «وأما الأحـد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا لـه، ولكن بعضهم شكوا، فتقـدم يسوع، وكلمهم قـائلاً. دُفِـعَ إليَّ كـل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بـاسم الآب والابن والـروح القدس، وعلمـوهم أن يحفظوا جميـع ما أوصيتكم بـه. وها أنـا معكم كـل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.

(٨) سقطت (عن المسيح) من أ.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، كما بعث المسيح وغيره، وإن كانت رسالته أكمل وأشمل كما نذكر[1] في موضعه، فأمره بتبليغ رسالته بحسب الإمكان إلى طائفة بعد طائفة، وأمر بتبليغ الأقرب منه مكاناً ونسباً، ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ . . .﴾[2].

أي: من بلغه القرآن ـ فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

ونبين[3] هنا أن النذارة ليست مختصة بمن شافههم بالخطاب، بل ينذرهم به، وينذر من بلغهم القرآن، فأمره الله ـ تبارك وتعالى ـ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين وهم قريش، فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[4].

ولما أنزل الله عليه هذه الآية انطلق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى مكان عال فعلا عليه، ثم جعل ينادي «يا بني عبد مناف: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه يا صباحاه»[5].

(١) في ط (يذكر) بالمثناة التحتية، وسيذكر ذلك بالتفصيل في الجزء الرابع من الجواب الصحيح.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٣) في أ، س (ويبين) بالمثناة التحتية.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٥) أخرجه مسلم بنحوه من حديث قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو في كتاب الإيمان، باب في قوله ـ تعالى ـ **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** ١/١٩٣(٣٥٣)، =

وهذه القصة رواها ابن عباس وأبو هريرة وعائشة وغيرهم[1] في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن[2] والمسانيد والتفسير.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3].

ورهطك منهم المخلصين[4] خرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى صعد الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

= وأحمد في المسند ٣/٤٧٦، ٥/٦٠، وأبو عوانة في مسنده ١/٩٣.
وسيأتي زيادة تخريج للقصة من طرق متعددة.

(١) في ط (رضي الله عنهم).

(٢) في ط (السنة).

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) جملة (ورهطك منهم المخلصين) وقعت عند البخاري في سورة تبت، وليست في آية الشعراء. وقد تعقب الحافظ ابن حجر، الإمام النووي حين قال أن البخاري لم يخرجها اعتماداً على ما في هذه السورة، ورد عليه بأن البخاري أخرجها في سورة تبت. انظر فتح الباري ٨/٣٨٥ (باب وأنذر عشيرتك الأقربين).
وانظر الزيادة من رواية أبي أسامة قال: حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وذكره انظر صحيح البخاري ٦/٩٤ تفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب. قال القرطبي في تفسيره: ١٣/١٤٣ (مجلد ٧): «وظاهر هذا أنه كان قرآناً يتلى، وأنه نسخ، إذ لم يثبت نقله في المصحف، ولا تواتر» ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن. وقد أجاب الحافظ ابن حجر على هذا بقوله: «لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله: «وأنذر عشيرتك» عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن، ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم، وتأكيداً». اهـ.
انظر فتح الباري ٨/٣٨٥.

أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فاجتمعوا إليه[1] فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم[2] بين يدي عذاب شديد[3]».

وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

دعا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن[4] لؤي: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد[5]: أنقذي نفسك من النار.

---

(١) في البخاري «فجاء أبو لهب وقريش».

(٢) سقطت (لكم) من أ، س، ك وهي في ط والبخاري.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في التفسير (سورة الشعراء)، باب قوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) ٦/١٦ ـ ١٧ وفيه تتمة هذا نصها: «فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب». اهـ. وأخرجه من رواية أبي أسامة عن الأعمش بسنده في سورة تبت يدا أبي لهب وتب، بنحوه انظر صحيح البخاري ٦/٩٤.
وأخرجه أيضاً في تفسير سورة سبأ، باب «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ٦/٢٩. ورواه مسلم في الإيمان، باب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١/١٩٤ (٣٥٥)، والترمذي في التفسير، سورة المسد ٥/٤٥١ (٣٣٦٣) قال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد في المسند ١/٢٨١، ٣٠٧، وأبو عوانة في مسنده ١/٩٢ باب أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٤) في ط (ابن).

(٥) قوله (بنت محمد) ليست في صحيح مسلم.

فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها[1]».

وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ لما نزلت هذه الآية:

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

قام رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية[2] عمة رسول الله، يا عباس[3] عم رسول الله: لا أملك لكم من الله شيئاً[4]».

وقال ابن إسحاق: لما نزلت هذه الآية جعل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ينادي: «يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة ــ حتى عدد الأفخاذ من قريش ــ ثم قال: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ١٩٢/١ (٣٤٨)، والبخاري من حديث أبي هريرة بألفاظ مختلفة والمعنى واحد. في سورة الشعراء ١٧/٦، والدارمي في باب **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ٣٠٥/٢. وأبو عوانة ٩٥/١ من ثلاث طرق.

ومعنى قوله: «سأبلها ببلالها» قال العلماء: بفتح الباء وكسرها، في كلمة (بلالها) وهما وجهان مشهوران. والبلال: الماء، ومعنى الحديث، سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه: بلوا أرحامكم. أي: صلوها.

(٢) في صحيح مسلم (يا صفية بنت عبد المطلب).

(٣) في صحيح مسلم (يا بني عبد المطلب) وليس فيه من رواية عائشة (يا عباس عم رسول الله). وإنما وقع في مسلم: من رواية أبي هريرة (يا عباس بن عبد المطلب).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله ــ تعالى ــ: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ١٩٢/١ (٣٥٠). وله تتمة وهي «سلوني من مالي ما شئتم».
وأخرجه أبو عوانة في مسنده ٩٥/١.

تبا لك سائر اليوم، فأنزل الله:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

ودعا قريشاً إلى الله وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له[2]، وأنزل[3] ـ تعالى ـ:

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[4].

وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمر جميع الخلق بعبادته، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[6].

وقريش هم قومه الذين كذبه جمهورهم أولاً كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ . . .﴾[7].

---

(١) سورة المسد كلها.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٣٧؛ تاريخ ابن جرير الطبري ٢/٣١٨، ٣١٩.
وانظر تفسير ابن جرير الطبري ١٩/٧٢ ـ ٧٥ (مجلد ٨)؛ وتفسير القرطبي ١٣/١٤٣ (مجلد ٧)؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٤٩؛ وفتح القدير للشوكاني ٤/١٢٢.
وغيرها من كتب التفاسير.

(٣) في ك، ط (وأنزل الله تعالى).

(٤) سورة قريش: الآيات ١ ـ ٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٦٦.

كما أن جمهور بني إسرائيل وهم قوم المسيح كذبوه أولاً.

ثم أمره الله ـ تعالى ـ أن يدعو سائر العرب، فكان يخرج بنفسه ومعه[1] أبو بكر صديقه إلى قبائل العرب قبيلة قبيلة، وكانت العرب لم تزل تحج البيت من عهد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فكان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يأتيهم في منازلهم بمنى[2] وعكاظ[3] ومجنة[4] وذي المجاز[5]، فلا يجد أحداً إلا دعاه إلى الله ويقول: «يا أيها الناس إني رسول الله[6] آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، يا أيها الناس إن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي. فمن يمنعني أن أبلغ[7] كلام ربي إلا رجل[8]

(١) سقطت (معه) من ك.

(٢) (منى) بالكسر، وبنون. في درج الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم. سمي بذلك لما يمنى فيه من الدماء، أي: يراق. وحدُّه من مهبط العقبة إلى محسر...، ومسجدها مسجد الخيف، وبينها وبين مكة فرسخ.
انظر مراصد الاطلاع ١٣١٢/٣ ـ ١٣١٣.

(٣) عكاظ: بضم أوله، آخرها ظاء معجمة، وهو نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ـ كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له: الأثيداء، وهو أعظم أسواق الجاهلية. انظر معجم البلدان ١٤٢/٤؛ ومراصد الاطلاع ٩٥٣/٢.

(٤) مجنة: بالفتح، وتشديد النون: اسم سوق للعرب كانت في الجاهلية، قيل: بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر. كانت تقوم العشر الأواخر من ذي القعدة، وقبلها من أوله عكاظ. وقيل بلد على أميال من مكة...
انظر: معجم البلدان ٥٨/٥؛ ومراصد الاطلاع ١٢٣١/٣.

(٥) ذي المجاز: من أسواق العرب في الجاهلية، ويقع خلف عرفة. وكانت تقيم بعكاظ شهر شوال إذا حجت، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم به عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج.
انظر: معجم البلدان ٥٥/٥؛ ومراصد الاطلاع ٩٥٣/٢.

(٦) في س (إليكم جميعاً) وفي ط (إليكم).

(٧) في س، ك (لأبلغ).

(٨) في ط (رجلًا) وهو خطأ.

يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي[1]، يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم بها العجم، فيقولون: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك هذا لعجب»[2].

وما زال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يعلن دعوته، ويظهر رسالته، ويدعو الخلق إليها: وهم يؤذونه ويجادلونه ويكلمونه ويردون عليه بأقبح الرد وهو صابر على أذاهم، ويقول: «اللهم لك الحمد[3] لو شئت لم يكونوا هكذا»[4].

فلما اشتد عليه أمر قريش خرج إلى الطائف ــ وهي مدينة معروفة

---

(١) اتفقت النسخ جميعها على تكرار هذه الجملة. «فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي».

(٢) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت رجلاً يقال له: ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو يمر في فجاج ذي المجاز، وساقه مختصراً في المسند ٣/٤٩٢؛ ورواه من طريق آخر عن ربيعة بن عباد في ٣/٤٩٢؛ ورواه مختصراً في ٤/٦٣ من حديث شيخ من بني مالك بن كنانة، وفي ص ٣٤١ من حديث ربيعة.
قال محقق زاد المعاد بعد أن ساقه من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد (سنده حسن) وله شاهد عند ابن حبان (١٦٨٣) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي. اهـ. قلت: هو في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ص ٤٠٦ ــ ٤٠٧ رقم (١٦٨٣) كتاب المغازي والسير، باب دعاء النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الناس إلى الإسلام وما لقيه.
وأورده ابن سعد في الطبقات بلفظ مقارب ١/٢١٦، ٢١٧ من طريق الواقدي، وهو مجمع على أنه واه.
وانظر زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط... ٣/٤٣ ــ ٤٤.

(٣) سقطت (الحمد) من ك.

(٤) هو قطعة من الخبر السابق. وسبق تخريجه.

شرقي مكة بينهما نحو ليلتين ـ ومعه زيد بن حارثة[1] ومكث بها عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه في منزله وكلمه ودعاه إلى التوحيد: فلم يجبه أحد منهم، وخافوه على أحداثهم وأغروا[2] به[3] سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة إذا مشى، حتى أن رجليه لتدميان وزيد مولاه يقيه بنفسه، حتى ألجأوا إلى ظل كرمة في حائط لعتبة وشيبة ابني[4] ربيعة فرجع عنه[5] ما كان تبعه[6] من سفهائهم، فدعا فقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين[7]، أنت رب المستضعفين، وأنت[8] ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رأى ابنا ربيعة ما صنع به رثيا له وقالا لغلام لهما يقال له[9]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في ك، ط (فأغروا).

(٣) سقطت (به) من ط.

(٤) في س (ابنا) وعتبة، وشيبة، ابنا ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، شهدا بدراً مع المشركين وقتلا سنة ٢ للهجرة.
انظر ترجمتها في الأعلام للزركلي: عتبة في ٤/٢٠٠؛ وشيبة في ٣/١٨١.

(٥) في ك (من).

(٦) سقطت (تبعه) من ط.

(٧) في أ (الناس).

(٨) في أ (فأنت).

(٩) سقطت (له) من أ، س.

عداس[1] ــ وكان نصرانياً ــ : خذ قطفاً من عنب ثم اجعله في طبق ثم اذهب إلى ذلك الرجل يأكله، ففعل عداس وأقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فلما وضع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ يده قال: «بسم الله» ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال له: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «من أي البلاد أنت وما دينك؟» فقال عداس: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى[3]. فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[4]: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟»[5] فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون متى، من أين عرفت أنت متى وأنت أميّ وفي أمة أمية؟ فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هو أخي، كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس على رسول الله ــ صلَّى الله

---

(١) عداس: مولى شيبة بن ربيعة. كان نصرانياً من أهل نينوى قرية من قرى الموصل، ولقي النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما ورد.
جاء في الإصابة نقلاً عن الواقدي أنه خرج مع سيديه إلى بدر فقتل بها، وقيل: أنه لم يقتل بها بل رجع فمات. والله أعلم.
انظر الإصابة لابن حجر ٢/٤٥٩ ــ ٤٦٠ (٥٤٧٠)؛ وسيرة ابن هشام ٢/٤٨؛ ومغازي الواقدي ١/٣٣، وقد ذكر في ١/٣٥ «أن عداساً عندما سئل (وأن محمداً رسول الله)؟ انتفض واقشعر جلده، ثم بكى وقال: أي والله، إنه لرسول الله إلى الناس كافة».

(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.

(٣) نينوى: بالكسر، ثم بالسكون وفتح النون والواو. قرية يونس بن متى ــ عليه السلام ــ بالموصل، تقابلهما من الجانب الشرقي.
انظر مراصد الاطلاع ٣/١٤١٤.

(٤) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.

(٥) سبقت ترجمته ــ عليه السلام ــ.

عليـه وسلَّم ـ يقبل رأسـه ويديـه ورجليه، فلمـا رجع عـداس فقالا[1]: ويلك يا عداس[2]، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويـديه ورجليـه؟ فقال: يا سيدي ما في الأرض خير[3] من هـذا الرجـل[4]، لقد خبـرني[5] بأمـر لا يعلمه إلا نبـي.

ثم انصرف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون، إذ[6] لم يستجب له رجـل واحد ولا امـرأة. فقال لـه زيد بن حـارثة: كيف تـدخل عليهم يـا رسول الله وقـد فعلوا وفعلوا؟ فقـال: «يا زيـد إن الله ـ عز وجـل ـ جاعـل لما تـرى فرجـاً ومخرجـاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»[7].

---

(1) في س، ك، ط (فقالا له).

(2) في أ (يا عدو) وفي ط (ومالك).

(3) في ك (خيراً) وهو خطأ.

(4) سقطت (الرجل) من س، ك.

(5) في ك (أخبرني).

(6) سقطت (إذ) من أ.

(7) أخـرج القصة ابن هشـام، عن ابن إسحاق عن يـزيد بن زيـاد، عن محمـد بن كعب القرظي مرسلاً، ورجاله ثقات. وابن إسحاق قد صرح بالتحديث.
انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٧ ـ ٤٩.
وتـاريخ ابن جـرير الـطبري ٢/٣٤٤ ـ ٣٤٦ من طـريق ابن إسحـاق، قـال حـدثني يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي وذكره.
وانظر دلائل النبـوة للبيهقي ٢/١٥٨ ـ ١٦٠؛ والبدايـة والنهايـة لابن كثير ٣/١٣٥؛ فصل في ذهابه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله.
وانـظر: السيرة النبـوية للذهبـي ١٨٥ ـ ١٨٧؛ وزاد المعـاد لابن القيم ٣/٣١ فصل في نقض الصحيفة.
وقد ساق الإمام السيوطي الدعاء في الجامع الصغير ١/٢٢١، وقال أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر. ثم قال السيوطي: «حديث حسن».
كذلك أورده الهيثمي في مجمع الزوائـد ٦/٣٥ من حديث عبـد الله بن جعفر وعـزاه للطبراني. ثم قال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق، وبقية رجاله ثقات.

ثم ذكر ابن إسحاق دخوله إلى مكة. وكان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما لقي من أهل مكة والطائف ما لقي[1]، و[2] دعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال ـ كما في صحيح البخاري ـ : أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : هل أتى عليك يوم كان[3] أشد من يوم[4] أحد؟ فقال[5]: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل[6] بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن[7] الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد[8] أظلتني فنظرت، فإذا فيها

---

(١) في ط (لما لقي) وهو خطأ.
(٢) سقطت (الواو) من أ.
(٣) سقطت (كان) من ط.
(٤) سقطت (يوم) من ط.
(٥) في أ (فقد) وهو خطأ.
(٦) (عبد ياليل): بتحتانية، وبعد الألف لام مكسورة، ثم تحتانية ساكنة ثم لام (ابن كلال) بضم الكاف، وتخفيف اللام، وآخره لام، قال ابن حجر: «واسمه كنانة... وقيل مسعود... وكان من أكابر أهل الطائف من ثقيف رجل من القريتين عظيم» والآخر عتبة بن ربيعة، وقيل غيرهما؛ وقد وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا قاله ابن حجر نقلاً عن موسى بن عقبة وابن إسحاق قال وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك، لكن ذكر المديني ـ كما قال ابن حجر ـ أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم، ومات بها بعد ذلك والله أعلم.
انظر فتح الباري ٦/٢٢٤؛ والاستيعاب لابن عبد البر ـ هامش الإصابة ٣/٣٠١ (كنانة).
(٧) في ط (بقرب) وانفردت عن سائر النسخ وهو خطأ.
وقرن الثعالب: هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، تلقاء مكة على يوم وليلة والقرن جبل صغير منقطع من جبل كبير. انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٨٢؛ وفتح الباري ٦/٢٢٥.
(٨) في أ (وقد) وليست الواو في سائر النسخ ولا في البخاري.

جبريل فناداني[1]: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، قد[2] بعثني ربك[3] إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[4]. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له[5]»[6].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: أنه قيل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ادع الله على المشركين. فقال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»[7].

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت[8] أنه قال: لما اشتد البلاء

---

(١) في صحيح البخاري (فناداني: فقال...). (٢) في ط (وقد).

(٣) في ك، ط (ربي) وجملة (قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك) ليست في صحيح البخاري ووقعت هذه الجملة في صحيح مسلم.

(٤) الأخشبان: هما جبلا مكة، قعيقعان، وأبو قبيس، سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما. انظر تفسير غريب الحديث ص ١٠؛ وفتح الباري ٦/٢٢٥. وشرح مسلم للنووي ١١/١٥٥ (مجلد ٦).

(٥) في البخاري ومسلم (يشرك به شيئاً).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين ٤/٨٣، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ (١٧٩٥)؛ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٦٠.

(٧) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/٢٠٠٧ (٢٥٩٩). وهو في شرح النووي ١٦/١٥٠ (مجلد ٨).

(٨) خباب: بموحدتين: الأولى مثقلة، ابن الأرت، بفتح أوله وثانيه وتشديد التاء، التميمي أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، وكان يعذب في الله، شهد بدراً والمشاهد كلها. مات رضي الله عنه بالكوفة سنة ٣٧هـ.
انظر: الرياض المستطابة ص ٦٤؛ وتقريب التهذيب ١/٢٢١ (١٠٦)؛ والإصابة ١/١٤٦ (٢٢١٠).

علينا من المشركين أتينا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا[1] تستنصر الله لنا؟ فقال: «لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه حتى يجعل فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله، ولكنكم تستعجلون[2]».

وذكر ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من قومه من الأذى والاستهزاء والإغراء وهو صابر محتسب، مظهر لأمر الله بتبليغ[3] رسالته لا تأخذه في الله لومة لائم، مواجه[4] لقومه بما يكرهون من عيب دينهم وآلهتهم، وتضليل آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وإظهار عداوته[5] وقتاله إياهم ما بلغ مبلغ القطع.

---

(١) في س (أن لا) وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/١٨٠ وفيه (فيشق باثنتين) بدل (حتى يجعل فرقتين). ورواه في مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه من المشركين بمكة) ٤/٢٣٨، ٢٣٩.
ورواه في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٨/٥٦. وفيه (فيجعل نصفين)، ورواه أبو داود في الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر وفيه (فيجعل فرقتين) ٣/١٠٨ (٢٦٤٩)؛ ورواه أحمد في المسند ٥/١١١، ٦/٣٩٥ بنحوه وفي الروايتين (حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ـ عز وجل ـ والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون). اهـ.
ولم أقف عليه في صحيح مسلم بعد البحث الطويل.

(٣) في ك (مبلغ).

(٤) في ط (مواجهة).

(٥) في س، ك (عداوتهم) وفي ط (عداوته).

قال عكرمة عن ابن عباس: ولما رجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى مكة فلما[1] حضر الموسم حج نفر من الأنصار، فانتهى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى فريق منهم، فقرأ عليهم[2] القرآن، ودعاهم إلى الله[3]، وأخبرهم بالذي آتاه الله فأيقنوا واطمأنت قلوبهم إلى دعوته، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إياه بصفته، وما يدعوهم إليه فصدقوه وآمنوا به، وكان من أسباب الخير الذي ساق الله للأنصار[4] إلى ما كانوا[5] يسمعون من الأخبار في صفته، فلما رجعوا إلى قومهم جعلوا يدعونهم سراً ويخبرونهم بأقوال[6] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والذي[7] بعثه الله به من النور والهدى والقرآن، فأسلموا حتى قل أن يوجد[8] دار من دورهم إلا أسلم فيها ناس[9] لا محالة.

وقد[10] ذكر الله ذلك في القرآن وأخبر أن أهل الكتاب كانوا يخبرون العرب به ويستفتحون به عليهم، فكان أهل الكتاب مقرين بنبوته مخبرين بها مبشرين بها قبل أن يبعث فقال ـ تعالى ـ فيما يخاطب[11] به أهل الكتاب:

---

(١) سقطت (فلما) من س، ك.
(٢) في ط (عليه).
(٣) في س (عز وجل).
(٤) في أ (وكان الخير الذي ساق الله به الأنصار).
(٥) في س (وما كانوا) بدون (إلى) وسقطت (إلى) من أ، ك.
(٦) في ك (بأحوال).
(٧) في س (الذي) بدون واو.
(٨) في س، ك (حتى قل دار من دورهم) وفي ط (حتى قل دور من دورهم).
(٩) في ك (أناس).
(١٠) في ك (قال وقد).
(١١) في ك (خاطب).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى
ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ
بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟
بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ
عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) (*).

فقد أخبر ــ تعالى ــ أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على العرب بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل أن يبعث، أي يستنصرون به، وكانوا هم والعرب يقتتلون فيغلبهم (٢) العرب، فيقولون: سوف يبعث

(١) سورة البقرة: الآيات ٨٧ ــ ٩١.
(*) قصة إسلام هؤلاء النفر من الأنصار وردت مفصلة في كتب السيرة: سيرة ابن هشام ٢/٥٤؛ وطبقات ابن سعد ١/٢١٧؛ وتاريخ الطبري ٢/٣٥٣؛ والوفا بأحوال المصطفى ١/٢١٦؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٧٠ ــ ١٧١؛ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٥٣؛ واتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/٣١٥ ــ ٣١٦؛ والسيرة النبوية لابن حزم ص ٥٥؛ والبداية والنهاية ٣/١٤٨؛ والسيرة النبوية للذهبي ص ١٩٣؛ وتفسير ابن جرير ١/٣٢٥ (مجلد ١)؛ وتفسير ابن كثير ١/١٢٤، الآية ٨٩ من سورة البقرة، وغيرها من كتب السير والتفاسير.
ولم أقف عليها من طريق عكرمة عن ابن عباس، وقد رجعت لمظنة ذلك في معجم الطبراني (جزء ١١)، وفي تفسير ابن جرير: وتاريخه وفي جامع الأصول، وفي تنوير المقباس وغيرها ولم أقف على ذلك والله ــ تعالى ــ أعلم.
(٢) في س، ط (فتغلبهم) بالمثناة الفوقية.

النبي الأمي من ولد إسماعيل فنتبعه ونقتلكم معه شر قتلة، وكانوا ينعتونه[1] بنعوته.

وأخبارهم بذلك كثيرة متواترة، وكما قال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وأخبر بما كانت عليه اليهود من أنه كلما جاءهم رسول الله بما لا تهوى أنفسهم كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم، وأخبر أنهم باءوا بغضب على غضب، فإنهم ما زالوا يفعلون ما يغضب الله عليهم، فأما أن يراد بالتثنية تأكيد[3] غضب الله عليهم، وأما أن يراد به مرتان والغضب[4] الأول: تكذيبهم[5] المسيح والإنجيل. والغضب الثاني: لمحمد والقرآن.



(١) في ط (ينعتوته).

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

وانظر تفسير ابن جرير الطبري ١/٣٢٥ (مجلد ١)؛ وتفسير ابن كثير ١/١٢٤؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٨؛ ولباب النقول للسيوطي وعزاه لابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ص ١١.

(٣) سقطت (تأكيد) من أ، س، ك.

(٤) في ط (فالغضب).

(٥) في ط (بتكذيبهم).

فصل

وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعجزاته[1] تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة

معجزات محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) معجزات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قسمان:

الأول: حسية. وهي ثلاثة أنواع:

١ ـ خارجة عن ذاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي المعجزات التي أجراها الله على يديه.

٢ ـ في ذاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كخاتم النبوة الذي بين كتفيه، وما شوهد من خلقته وصورته الدالة على نبوته.

٣ ـ في صفاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كصدقه، وأمانته، وشجاعته... إلخ.

الثاني: عقلية. وهي ستة أنواع:

١ ـ أنه من قبيلة ليست من أهل العلم، ولم يرحل إلَّا إلى الشام مرتين.

فلا يتهم والحالة هذه بأنه ادعى النبوة من عنده.

٢ ـ انقضى من عمره أربعون سنة، ولم يخض في ذلك، والشباب هو سن الحماس والاندفاع لمثل هذه الأمور.

٣ ـ تحمله في أداء الرسالة أنواع المشاق، وصنوف المتاعب.

٤ ـ كان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مجاب الدعوة فما دعا الله في شيء إلَّا وأجاب دعوته.

٥ ـ جاءت البشارة به في الكتب السابقة، والنصوص في ذلك كثيرة وموجودة.

٦ ـ أخبر عليه السلام ـ عن الغيوب بما يشهد أنه نبي من عند الله، وإلَّا فمن أخبره بذلك؟

انظر: إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني من ص ٧٩ ـ ٨٥؛ وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة ص ١٣٠.

الأنبياء به، ومثل أخبار الكهـان والهواتف بـه، ومثل قصـة الفيل[1] التي جعلها الله آية عام مولده، وما جرى عام مولده من العجـائب الدالـة على نبـوته، ومثـل امتلاء السمـاء ورميها بـالشهب التي ترجم بهـا الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلاَّ[2] بتعليم الله ـ عز وجل ـ، من[3] غير أن يعلمه إياها بشر.

فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وإبراهيم ومـوسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم، وبالمستقبلات[4] وكان قومـه يعلمون أنـه لم يتعلم من أهـل الكتاب ولا غيـرهم، ولـم يكن بمكـة أحـد من علمـاء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، بـل ولا كان يجتمـع بأحـد منهم يعرف اللسان العربـي، ولا كان هو يحسن لساناً غيـر العربـي، ولا كـان يكتب كتاباً، ولا يقرأ كتاباً مكتوباً.

ولا سافر قبل نبوته إلاَّ سفرتين سفرة وهو صغير مع عمه أبـي طالب[5]

(١) لعل الشيخ يقصد بذكره قصة الفيل وهو يتحدث عن المعجزات أنه يعني بها خـوارق العـادات التي أجراهـا الله ـ تعـالى ـ لمحمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ والعلمـاء يقـولون أن مـا قبل البعثـة يسمى إرهاصاً وليس معجزة، أمـا المعجزة فهي مقـرونـة بالنبوة.

(٢) سقطت (إلَّا) من ط.

(٣) في ط (ومن).

(٤) في ط بالمستقبلات بدون واو.

(٥) أخرج القصة الإمام الترمذي في جامعه، كتاب المنـاقب، باب مـا جاء في بـدء نبوة النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ٥/٥٩٠ ـ ٥٩١، ثم قـال: هـذا حـديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وذكره ابن إسحاق بدون ذكر السند.
انظر: سيرة ابن هشـام ١/١٦٥؛ وأخرجـه ابن جريـر الطبـري بسنده، قـال: حدثنـا ابن حميـد، قال: حـدثنا سلمـة، قال: حـدثني محمد بن إسحـاق، عن عبد الله بن =

لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش[1] لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.

وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بحيرى[2] الراهب بنبوته، وما ظهر لهم منه[3] مما دلهم على نبوته، ولهذا تزوجت

= أبي بكر. وساق القصة في التاريخ ٢/ ٢٧٧.

وانظر: طبقات ابن سعد ١/ ١١٩؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٠٧؛ وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ١٣؛ والوفا بأحوال المصطفى ١/ ١٣١؛ والبداية والنهاية ٢/ ٢٨٥، وقال: رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح (قراد)، وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ، ولم أرَ أحداً جرحه، ومع هذا في حديثه هذا غرابة، وساق من غرائبه أنه من مرسلات الصحابة، فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة... ثم قال: وعلى كل تقدير فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ من العمر فيما ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة...

ثم ساق ــ رحمه الله ــ للقصة غرائب أخرى في تاريخه ٢/ ٢٨٥.

(١) قصة خروجه من قبل خديجة رضي الله عنها مشهورة في كتب السيرة.

انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٧٢؛ وابن جرير الطبري ٢/ ٢٨٠؛ والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ١٤٣؛ وطبقات ابن سعد ١/ ١٢٩؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٣٧؛ والبداية والنهاية ٢/ ٢٩٣.

(٢) كان حبراً من أحبار اليهود قال ابن كثير: والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً، ثم نقل عن المسعودي أنه كان من عبد القيس، وكان اسمه جرجس، انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٨٦. وقد ذكر المؤرخون أن الراهب في القصة الأولى اسمه بحيرى، وفي القصة الثانية اسمه نسطوراً (جرجيس).

وانظر: دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٢١٧؛ وابن الوردي ١/ ١٥٧؛ والمراجع السابقة التي أشرنا إليهاآنفاً.

(٣) في أ (ما).

به خديجة[1] قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن المقصود[2] هنا التنبيه بأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له معجزات كثيرة، مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة، ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم، وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير.

وهذا قد جرى غير مرة له[3]. ولأمته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي الله له[4] الموتى من الناس والدواب[5]، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا إلى الناحية الأخرى[6]، ـــــــ

(١) في هامش ك، ط (بنت خويلد). (٢) في ط (المقصور) وهو خطأ واضح.

(٣) في أ، س، ك (مرة وله لأمته)، وصححناه من ط.

(٤) سقطت له من س، وهي ثابتة في سائر النسخ.

(٥) ساق المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أموراً كثيرة في هذا الشأن، وذكر قصة صلة بن أشيم التابعي أحد زهاد البصرة وعبادهم، قتل بكابل في ولاية الحجاج سنة ٧٥هـ وقصته أنه مات فرسه وهو بالغزو فدعا الله ـ عز وجل ـ فأحيا له فرسه، وذكر قصة رجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فدعا الله فأحيا له حماره.
قلت: فإن صحت أسانيد هذه الأخبار فتلك كرامة من الله ـ عز وجل ـ، وهذا ليس من الأحوال الشيطانية، وليس بعيداً أن يحصل هذا وأكبر منه فالله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير.
وانظر: كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان... لابن تيمية مطبعة المكتب الإسلامي ص ١٣٠ فما بعدها.

(٦) يشير ـ رحمه الله ـ إلى قصة الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ الذين عبروا بأمره نهر دجلة، وساروا بخيولهم على الماء، فهرب منهم الفرس، وفتحوا البلاد، بنصر الله ووعده للمؤمنين.
أخرج القصة أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٥٠٢.
وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٦٤.

ومنهم من ألقي في[1] النار فصارت عليه برداً وسلاماً[2]، وأمثال ذلك كثير[3].

ولكن المقصود هنا ذكر بعض ما في القرآن من أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصلاً لا يعلمه أحد إلَّا أن يكون نبياً أو من أخبره نبي، وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحد من البشر، وهذا مما قامت به الحجة عليهم، وهم مع قوة عداوتهم[4] له وحصرهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم، وكان علم سائر الأمم بأن قومه المعادين له، المجتهدين في الطعن عليه، لم[5] يمكنهم أن يقولوا: إن هذه الغيوب علمها إياه[6] بشر، فوجب[7] على[8] جميع الخلق أن هذا لم يعلمه إياها بشر؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا... ﴾[9].

فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه. وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه، ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر

---

(١) سقطت (في) من ط.
(٢) يشير إلى قصة أبي مسلم الخولاني ـ رضي الله عنه ـ وفي ثبوت ذلك نظر كما سيأتي زيادة إيضاح لذلك إن شاء الله.
(٣) في ط (كثيرة).
(٤) في ط (عدواتهم).
(٥) في ط (وهم) وفي س (وهم لم).
(٦) في س، ك، ط (علمه إياها) وكلا الأمرين صحيح.
(٧) في ط (يوجب).
(٨) في ط (على علم جميع).
(٩) سورة هود: الآية ٤٩.

كذبه لكل أحد كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

فكان[2] بمكة رجل أعجمي[3] مملوك لبعض قريش، فادعى بعض الناس أن محمداً كان يتعلم من ذلك الأعجمي[4]، فبين الله أن هذا كذب ظاهر، فإن ذلك رجل أعجمي لا يمكنه أن يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربي، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عربي لا يعرف شيئاً من ألسنة العجم، فمن كلمه بغير العربية لا يفقه كلامه، فلا ذلك

---

(١) سورة النحل: الآيات ٩٨ ــ ١٠٣.

(٢) في س، ط (وكان).

(٣) ذكر المفسرون أقوالاً متعددة في اسم هذا الغلام الأعجمي. فقيل: اسمه بلعام، وكان قيناً نصرانياً، وقيل: اسمه يعيش، وكان غلاماً لبني المغيرة وقيل غير ذلك.
وقد ذكروا سبب نزول هذه الآية كما أشار إليه المؤلف ــ رحمه الله ــ ذكره ابن جرير الطبري في التفسير ١٤/١١٩ (مجلد ٧)، وقد عزاه السيوطي في لباب النقول إلى ابن جرير وقال: (سنده ضعيف)، ص ١٣٤؛ ثم ساقه من تفسير ابن أبي حاتم بلفظ آخر ولم يتكلم عليه ص ١٣٥، ولم أجده في أسباب النزول للواحدي ولا في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي.
وانظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٨٦؛ وفتح القدير للشوكاني ٣/١٩٧.

(٤) في هامش ك، وفي ط (الرجل الأعمى).

الـرجل يحسن التكلم بـالعربيـة، ولا محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يفهم كلاماً بغير العربية، فلهذا قال تعالى:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾(1).

أي(2) يميلون إليه ويضيفون إليه أنه علم محمـداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم(3) ـ:

﴿أَعۡجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(4).

وكذلك قال بعض الناس عن القرآن:

﴿إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ . . .﴾(5).

قال ـ تعالى ـ:

﴿... فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِىَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(6).

فبين سبحـانه أن قـول هذا من الكـذب الظاهـر المعلوم لأعـدائـه فضـلاً عن أوليائـه فإنهم يعلمـون أنه ليس عنـده أحد يعينـه على ذلـك،

(1) سورة النحل: الآية ١٠٣.
(2) سقطت (أي) من س.
(3) أضفنا الجملة الدعائية من (ط).
(4) سورة النحل: الآية ١٠٣.
(5) سورة الفرقان: الآية ٤.
(6) سورة الفرقان: الآيات ٤ ـ ٦.
وانظر تفسير ابن جرير الطبري ١٨/١٣٧ (مجلد ٨)، وفيه بسنده عن مجـاهد: أنهم كانوا يقولون إنما يعلم محمداً هذا الذي يجيئنا به اليهود. فذلك قوله: «وَأَعَانَـهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُوْنَ».

وليس * في قومه ولا في بلده *[1] من يحسن ذلك ليعينه عليه فلهذا قال ـ تعالى ـ : ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

فإن جميع أهل بلده وقومه المعادين له يعلمون أن هذا ظلم له وزور؛ ولهذا لم يقل هذا أحد من عقلائهم المعروفين، وكذلك قولهم أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، فإن قومه المكذبين له[2] يعلمون أنه ليس عنده من يملي عليه كتاباً وقد بيَّن ما يظهر كذبهم بقوله ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فإن في القرآن من الأسرار ما لا يعلمه بشر إلَّا بإعلام الله إياه، فإن الله يعلم السر في السموات والأرض، ثم لما تبيَّن بطلان قولهم هذا، ذكر ما قدحوا به في نبوته فقال ـ تعالى[3] ـ :

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[4].

فهذا كلام المعارضين له الذين أنكروا أكله ومشيه في الأسواق التي يباع فيها ما يؤكل وما يلبس، وقالوا هلا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يستغني عن ذلك بكنز ينفق منه أو جنة يأكل منها، وقال الظالمون: إن تتبعون إلَّا رجلاً مسحوراً.

---

(١) ما بين النجمتين أثبتناه من س، ك، ط، وقد جاءت الجملة مرتبكة في أ، هكذا (وليس ولا في بلده في قومه).
(٢) في ط (المعادين).
(٣) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .
(٤) سورة الفرقان: الآيتان ٧، ٨.

قال[1] ـ تعالى ـ :

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[2].

يقول مثلوك بالكاذب والمسحور والناقل عن غيره، وكل من[3] هذه الأقوال يظهر كذبه[4] لكل من عرفك؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿... فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

والضال الجاهل العادل عن الطريق فلا يستطيع الطريق الموصلة إلى المقصود، بل ظهر عجزهم وانقطاعهم في المناظرة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾[5].

* فإنه أتاهم بجلية ما في الصحف الأولى *[6] كالتوراة والإنجيل مع علمهم بأنه لم يأخذ عن أهل الكتاب شيئاً. فإذا أخبرهم بالغيوب التي لا يعلمها إلاَّ نبي أو من أخبره نبي، وهم يعلمون أنه لم يعلم ذلك بخبر أحد من الأنبياء تبين لهم أنه نبي وتبين ذلك لسائر الأمم؛ فإنه إذا

---

(١) في س (وقال تعالى).
(٢) سورة الفرقان: الآية ٩.
(٣) في ط (وكل من قال هذه).
(٤) في س (كذبها).
(٥) سورة طه: الآية ١٣٣.
(٦) سقط ما بين النجمتين من أ.

كان قومه المعادون[1] وغير المعادين لـه مقرين[2] بـأنه لم يجتمـع بأحـد يعلمـه ذلك صـار هذا منقـولاً بالتـواتر، وكـان مما أقـر به مخـالفـوه مـع حرصهم على الطعـن لو أمكن.

فهذه الأخبار بالغيوب المتقدمة قامت بها الحجـة على قومـه وعلى جميع من بلغه خبر ذلك، وقـد أخبر بـالغيوب المستقبلة وهـذه تقوم بهـا الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر كما قال ـ تعالى ـ:

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ. . .﴾[3].

ثم قال:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ. . .﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ. . .﴾[5].

فأخبر أنهم لن[6] يفعلوا ذلك في المستقبل، وكان كما أخبر.

وقال ـ تعالى ـ:

---

(١) في أ، س، ك (المعادين) وهو خطأ صححناه من ط.
(٢) في ط (مقربين) وهو خطأ لا يتفق مع السياق.
(٣) في س (ألم. . . الآيات).
(٤) سورة الروم: الآيات ٢ ـ ٥.
(٥) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.
(٦) في أ (لم) وصححناه من سائر النسخ.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1] .

فأخبر أنه لا يقدر الإنس والجن إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثل هـذا القرآن، وهذا الخبر قد مضى له أكثر من سبعمائة سنة، ولم يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقال عن الكفار وهو بمكة:

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2] .

وظهر تصديق ذلك يوم بدر وغيره[3]، وبعد ذلك بسنين كثيرة.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ . . . ﴾[4] .

وكان الأمر كما وعده وظهر تصديق ذلك بعد سنين كثيرة، وكذلك قوله[5]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6] .

فأظهر الله ما بعثه به بالآيات والبرهان واليد والسنان.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[7] .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
(٣) سقطت الواو من س، ط.
(٤) سورة النور: الآية ٥٥.
(٥) في ط (قوله تعالى).
(٦) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢.

فكان كما أخبرهم غلبوا في الدنيا كما شاهده الناس، وهذا يصدق الخبر الأخير[1] وهو أنهم يحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.

وقد أيده تأييداً لا يؤيد به[2] إلاَّ الأنبياء بل لم يؤيد أحد من الأنبياء، كما أيد به[3] كما أنه بعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع، وجعله سيد ولد آدم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ فلا يعرف قط أحد ادعى النبوة وهو كاذب إلاَّ قطع الله دابره وأذله وأظهر كذبه وفجوره.

وكل من أيده الله من المدعين للنبوة لم يكن إلاَّ صادقاً كما أيد نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، بل وأيد شعيباً وهوداً وصالحاً. فإن سنَّة الله أن[5] ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وهذا هو الواقع، فمن كان لا يعلم ما يفعله الله إلاَّ بالعادة فهذه عادة الله وسنته يعرف[6] بها ما يصنع ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فإنه يعلم أنه لا[7] يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه

---

(١) في س، ك، ط (الآخر).

(٢) سقطت (به) من ط وفيها (يؤيده).

(٣) في س (أيد) بدون (به) وفي هامش ك (كما أيد)، وفي ط (كما أيده).

(٤) في سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر. وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر». قال الترمذي: حديث حسن صحيح أخرجه في المناقب، باب في فضل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٥/٥٨٧ (٣٦١٥).
ورواه ابن ماجه في الزهد ٢/١٤٤٠ (٤٣٠٨)؛ ومسلم من حديث أبي هريرة بنحوه في المناقب ٤/١٧٨٢ (٢٢٧٨)؛ وأبو داود في السنة ٥/٥٤ (٤٦٧٣).
وانظر جامع الأصول ٨/٥٢٨؛ والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/٣٦٥.

(٥) في س، ك (أنه).

(٦) في ك، ط (تعرف) بالمثناة الفوقية.

(٧) سقطت (لا) من س وهو خطأ واضح.

تأييداً لا يمكن أحداً معارضته، وهكذا أخبرت الأنبياء قبله أن الكذاب لا يتم الله أمره ولا ينصره ولا[1] يؤيده فصار هذا معلوماً من هذه الجهات ولهذا أمر ــ سبحانه ــ أن نعتبر[2] بما فعله في الأمم الماضية من جعل العاقبة للأنبياء وأتباعهم، وانتقامه ممن كذبهم وعصاهم.

قال[3] ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[4].

وقال ــ تعالى :

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[6].

وقال[7] ــ تعالى ــ :

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ

---

(١) سقطت (لا) من س، ك، ط.
(٢) في أ، س (يعتبر) بالمثناة التحتية.
(٣) في ط (وقال).
(٤) سورة غافر: الآية ٥١.
(٥) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.
(٦) سورة غافر: الآية ٥.
(٧) سقطت الواو من ط.

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ
ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا
وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[4].

---

(١) سورة الحج: الآيات ٤٠ ــ ٤٦.

(٢) سورة الروم: الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة غافر: الآيتان ٤، ٥. (٤) سورة غافر: الآيتان ٢١، ٢٢.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(3).

فأخبر بأن المكذبين له سيأتيهم في المستقبل أخبار القرآن الذي استهزءوا به وبين أن ما أخبرهم به حق بوقوع الخبر مطابقاً للخبر، وكان الأمر كذلك ومثله قوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(4).

---

(1) سورة غافر: الآيات ٨٢ ـ ٨٥.
(2) سورة ص: الآيات ١٢ ـ ١٤.
(3) سورة الشعراء: الآيتان ٥، ٦.
(4) سورة فصلت: الآية ٥٣.

أخبر أنه سيريهم[1] في أنفسهم وفي الآفاق ما يبين أن القرآن حق، بأن يروا ما أخبر به كما أخبر به، ثم قال:

﴿ . . . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فإنه قد يشهد[1] للقرآن بأنه[3] حق بالآيات[4] البينات والبراهين الدالة على صدقه التي تتبين بشهادة الرب ـ تعالى ـ[5] بأنه حق فلا يحتاج مع الشهادة الحاضرة إلى انتظار الآيات المستقبلة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[6].

أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان[7] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة. ثم ذكر حال الأنبياء ومكذبيهم، فقال:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى

---

(1) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(2) في ك (شهد).
(3) في س (أنه).
(4) في ك (فالآيات).
(5) سقطت (تعالي) من س، ك، ط.
(6) سورة القمر: الآيات ١ ـ ٥.
(7) سيأتي تخريج ذلك.

ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1].

فأخبر أنه أبقى السفن آية على قدرة الرب وعلى ما جرى لنوح مع قومه ثم قال: فكيف كان عذابي لمن كذب ونذري؟ وكذلك ذكر قصة عاد وثمود ولوط وغيرهم، يقول في عقب كل قصة: فكيف كان عذابي ونذر؟ ونذره وإنذاره[2] وهو ما بلغته عنه الرسل من الإنذار وكيف كانت عقوبته للمنذرين.

والإنذار: هو الإعلام بالمخوف، فتبين بذلك صدق ما أخبرت به الرسل من الإنذار وشدة عذابه لمن كذب رسله، وذكر قصة فرعون، فقال:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3].

وذكر في قصة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع الناس أنواعاً من ذلك فقال:

---

(١) سورة القمر: الآيات ٩ ـ ١٥.

(٢) في س، ك، ط (ونذره إنذاره)، وكلا العبارتين مستقيم ويؤدي المعنى المراد. قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: (النذر يجوز أن تكون بمعنى الإنذار ويجوز أن تكون جمع نذير). وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: (والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو بمعنى الإنذار على أنه مصدر). انظر تفسير القرطبي ١٧/١٢٩ (مجلد ٩)، وفتح القدير ٥/١٢١. وقال في مختار الصحاح ص ٦٥٣ باب (نذر): (الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلاَّ في التخويف والاسم النذر بضمتين، ومنه قوله ـ تعالى ـ: **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾** أي إنذاري. اهـ.

(٣) سورة القمر: الآيات ٤١ ـ ٤٥.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾(1).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(2).

ومثل هذا كثير في القرآن من ذكر(3) دلائل النبوة، وأعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه(*)، وإنما المقصود هنا التنبيه على جنس(4) ذلك. وما يذكره بعض أهل الكتاب أو غيرهم من أنه نصر فرعون(5) ونمرود(6)

(1) سورة آل عمران: الآية ١٣.
(2) سورة الحشر: الآيات ٢ ــ ٤.
(3) سقطت (ذكر) من س.
(*) سيبسط المؤلف ــ رحمه الله ــ الحديث في هذا في الجزء الرابع إلى نهايته من هذا الكتاب النفيس.
(4) في أ (جزء).
(5) سبقت ترجمته في أول الكتاب.
(6) نمرود بن كنعان بن كوس بن سام بن نوح. ملك بابل، وكان أحد ملوك الدنيا. قال الحافظ ابن كثير: «ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان، وكافران.
فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان. والكافران: النمرود، وبختنصر؛ وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا، وبغا، وعتا وآثر الحياة الدنيا. وقد سلَّط الله عليه ذباباً من البعوض هو وجيوشه فأكلت لحومهم وتركتهم عظاماً بادية، ودخلت واحدة منها في منخر الملك فعذَّبه الله بها حتى هلك. وقد قصَّ الله =

وسنحاريب وجنكسان[1] وغيرهم من الملوك الكافرين جوابه ظاهر، فإن هؤلاء لم يدَّعِ أحد منهم النبوة، وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادة الله[2] وطاعته، ومن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، بخلاف من ادَّعى أن الله أرسله بذلك فإنه لا يكون إلَّا رسولاً صادقاً ينصره الله ويؤيده وينصر أتباعه ويجعل العاقبة لهم، أو يكون كذاباً[3] فينتقم الله منه ويقطع دابره، ويتبين أن ما جاءه به ليست من الآيات والبراهين التي لا تقبل المعارضة، بل هي من جنس مخارق السحرة والكهان والكذابين التي تقبل المعارضة، فإن معجزات الأنبياء من خواصها أنه لا يقدر أحد أن يعارضها ويأتي بمثلها بخلاف غيرها، فإن معارضتها ممكنة فيبطل دلالتها[4].

والمسيح الدجال يدَّعي الإلَـهية[5] ويأتي بخوارق، ولكن نفس دعواه الإلاهية[6] دعوى ممتنعة في نفسها، ويرسل الله عليه المسيح بن مريم فيقتله ويظهر كذبه، ومعه ما يدل على كذبه من وجوه:

منها: أنه مكتوب بين عينيه كافر.

ومنها: أنه أعور والله ليس بأعور[7].

= في سورة البقرة المحاجة التي دارت بينه وبين أبينا إبراهيم ــ عليه السلام ــ وكيف بهت فيها وانتصر الحق على باطله.
انظر البداية والنهاية ١/١٤٨ ــ ١٤٩، وتاريخ الأمم والملوك ١/٢٣٣ ــ ٢٣٤.

(١) سبقت ترجمته في أول الكتاب.

(٢) في ط (عبادته).

(٣) في أ (كذاب)، وصححته من سائر النسخ.

(٤) في ط (فتبطل بدلالتها).

(٥) في ط (الألوهية).

(٦) في ط (الألوهية).

(٧) سيأتي تخريج الأحاديث المتعلقة بالمسيح الدجال في آخر الجزء الأول من الكتاب.

ومنها: أن أحداً لن يرى ربه حتى يموت، ويريد أن يقتل الذي قتله أولاً فيعجز عن قتله.

فمعه من الدلائل الدالة على كذبه ما يبين أن ما معه ليس آية على صدقه، بخلاف معجزات الأنبياء[1]، فإنه لا يمكن أحد من الإنس والجن أن يأتي بنظيرها ولا يبطلها مثل قلب العصا حية لموسى، وإخراج ناقة لصالح من الأرض، وإحياء الموتى للمسيح، وانشقاق القمر وإنزال القرآن وغير ذلك لمحمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ، فإن المشركين لما سألوا النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ آية واقترحوا عليه انشقاق القمر فأراهم ذلك.

وقد أخبر الله ــ تعالى ــ بذلك في القرآن، فقال ــ تعالى ــ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾[2].

ثم ذكر ــ تعالى ــ ما جرى قبله للمكذبين فذكر قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط ثم فرعون وهذه السورة كان النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ يقرأ بها في أعظم اجتماعات الناس عنده وهي الأعياد، والناس كلهم يسمعون ما يذكره من انشقاق القمر. وقول المكذبين أنه سحر

---

(١) سيتحدث المؤلف عن هذا بالتفصيل في الجزء الرابع من الجواب الصحيح.

(٢) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٧، وفي ط بزيادة الآية ٨: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

والناس كلهم المؤمن به، والمنافق، والكافر، يقرون على هـذا، لم يقل أحد منهم أن القمر لم ينشق ولا أنكره أحد.

وفي صحيح مسلم، أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[1]، سأل أبا واقد الليثي ما يقرأ به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الأضحى والفطر، فقال: «كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد. واقتربت الساعة وانشق القمر»[2].

ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع الناس المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه من الكفار والمنافقين، لا سيما وهو يقرأ عليهم ذلك في أعظم مجامعهم.

وأيضاً فمعلوم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم إياه مع أنه كان أخبر الناس بسياسة الخلق، فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا ويقرأه[3] على جميع الخلق ويستدل به ويجعله آية له، فإن من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لا يتعمد إلى ما يعلم جميع الناس أنه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه ويقرأه على الناس في أعظم المجاميع.

---

(١) سقطت (رضي الله عنه) من جميع النسخ ما عدا س.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين حديث رقم (٨٩١)٢/٦٠٧، وأبو داود في الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ١/٦٨٣(١١٥٤)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في قراءة العيدين ٢/٤١٥(٥٣٤) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ٣/١٨٣، ١٨٤، وابن ماجه في الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ١/٤٠٨(١٢٨٢)، ورواه مالك في الموطأ، كتاب العيدين، باب ما جاء في التكبير والقراءة في صلاة العيدين ١/١٨٠.

(٣) في ط (ويقرأ).

وقال[1] اقتربت الساعة وانشق القمر بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل قامت الساعة ولا ستقوم[2] بل قال[3] اقتربت ـ أي دنت ـ وقربت[4] وانشق القمر الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى إمكان انحراق الفلك الذي هو[5] قيام القيامة، وهو سبحانه ـ قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر، فإن مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو من أشراط الساعة وهو دليل على قربها، كما قال[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح «بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى[7][8] وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[9].

وعلم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه، كما يذكر ذلك عن

---

(١) في س، ط (وهي) بدل (وقال).

(٢) في ط (تقوم).

(٣) سقطت (قال) من ط.

(٤) في ك، ط (اقتربت).

(٥) سقطت (هو) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.

(٦) في س (كما قال النبي).

(٧) في ط (والواسطي)، وهو خطأ.

(٨) رواه البخاري من ثلاث طرق في كتاب الرقاق، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين...» ٧/١٩٠ من حديث أبي هريرة، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك بألفاظ متقاربة، ومسلم من حديث سهل، ومن حديث أنس في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ٤/٢٢٦٨، ٢٢٦٩. وابن ماجه من حديث أبي هريرة في الفتن، باب أشراط الساعة ٢/١٣٤١(٤٠٤٠)، والترمذي من حديث أنس. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح في الفتن، باب ما جاء في قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعث أنا والساعة كهاتين...» ٤/٤٩٦(٢٢١٤)، وأحمد من حديث أنس ٣/١٣٠، ١٣١. وكلها بألفاظ متقاربة.

(٩) سورة محمد: الآية ١٨.

المسيح في الإنجيل أنه لما سئل عنها فقال: «إنها لا يعلمها أحد من الناس ولا الملائكة ولا الابن وإنما يعلمها الآب وحده»[١]. وهذا مما يدل على أنه ليس هو رب العالم وكذلك محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخبر بذلك لما سئل عنها.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾.

أي: خفيت على أهل السموات والأرض:

﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وفي الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه[٣] قال: «تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله»[٤]، فانشقاق القمر كان آية

---

(١) جاء في إنجيل متى، إصحاح ٢٤: فقرة ٣٦ ما نصه: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلَّا أبي وحده».

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

(٣) سقطت (أنه) من ط.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، ٤/١٩٦٦(٢٥٣٨).
ونص الحديث عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول ـ قبل أن يموت بشهر ـ: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة».
وقد ساق الإمام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ أحاديث كثيرة في تفسيره عند آية الأعراف السابقة: الآية ١٨٧ في الجزء الثاني ص ٢٧٢. وأجاب عن الإشكال حيث ورد قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن يعش هذا فعسى أن لا يدركه الهرم حتى =

على شيئين: على صدق الرسول، وعلى مجيء الساعة وإمكان انشقاق الفلك؛ فإن[1] المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سواء أقروا بالقيامة الصغرى وأن الأرواح بعد الموت تنعم[2] أو تعذب، كما هو قول الفلاسفة اللاإلَهيين[3]، أو أنكروا المعاد مطلقاً كما أنكر ذلك من أنكره من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيين[4]، وغيرهم ينكرون انشقاق السموات

= تقوم الساعة»، فقال ابن كثير: (وهذا محمول على التقييد بساعتكم كما ورد في حديث عائشة الآخر: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم». اهـ. قلت: والمقصود بساعتكم كما بيَّن شراح الحديث: موتكم). ومعناه: يموت ذلك القرن أو أولئك المخاطبون. والله أعلم.

وعلم الساعة استأثر الله به فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، وإنما أخبر الكتاب والسنة بأشراطها وهي علاماتها. قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٤/٣٤٢: «ومن تكلم في وقتها المعين مثل الذي صنف كتاباً سماه (الدر المنظم في معرفة الأعظم)، وذكر فيه عشر دلالات بيَّن منها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من (حروف المعجم)، والذي تكلم في (عنقاء مغرب) وأمثال هؤلاء. فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم، وإن ادعوا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار».

(١) في س (وإن).

(٢) في ك، ط (تتنعم) بتاءين.

(٣) في س (الإلَهين)، ولعل لما أثبتناه وجهته لدى الشيخ، فقد أراد أن يبين أن هؤلاء تكلموا في الألوهية بنقيض ما ينبغي أن يتكلم به في الألوهية.

(٤) بسط الشيخ ـ رحمه الله ـ الكلام في المعاد في فصل مستقل من هذا الكتاب النفيس في الجزء الرابع، وذكر أقوال الناس عامة فيه. وملخص ذلك أنهم على أربعة أقوال:

١ ـ قول جمهور المسلمين بمعاد الأرواح والأبدان.

٢ ـ قول كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة بأن المعاد على الأبدان فقط.

٣ ـ قول بعض الفلاسفة بأن المعاد للأرواح فقط.

٤ ـ إنكار المعادين جميعاً. كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك، وغيرهم.

ويزعم هؤلاء الدهرية[1] أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق، كما ذكر ذلك أرسطو وأتباعه وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم في الفلك المحدد إذ[2] لا خلاء وراءه عندهم، وهذا لو دل فإنما يدل على ذلك في الفلك الأطلس لا فيما دونه فكيف وهو باطل، فإن الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الأفلاك ابتداء في هذه الأحياز[3] التي هي فيها سواء سمي خلاء أو لم يسمّ كما هو مذكور في غير هذا الموضع[4].

---

(١) الدهرية: سموا دهرية نسبة إلى الدهر، حيث ينسبون النوازل إليه، والفلاسفة الدهرية، ومشركوا العرب، والفلاسفة الإلٓهيون، يتفقون جميعاً على إنكار المعاد كما ذكر المؤلف ــ رحمه الله ــ والدهرية ينكرون ابتداء العالم، وينكرون وجود الله، وينفون الرسالة والأمر والنهي، ويجعلونها من الأمور المستحيلة في العقول، ثم هم بعد ذلك ينكرون الثواب، والعقاب، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع، وخالق ومخلوق. وقد ذكر ابن القيم أن الدهرية فرقتان:

١ ــ فرقة قالت: ان الخالق ــ سبحانه ــ لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها، وإمساك حركاتها.

٢ ــ وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول ألبتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء مركباتها، وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر، وقالوا إن العالم دائم لم يزل، ولا يتغير ولا يضمحل. اهـ.

راجع إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/٢٥٥، وانظر في الدهرية الملل والنحل للشهرستاني ٣/٢٣٧، والأصول والفروع لابن حزم ص ٣٢، وتفسير ابن كثير ٤/١٥٠، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٢٢٧، وقد ناقش ــ رحمه الله ــ الفلاسفة الدهرية في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل)، فانظر ٩/٢٥٥، ٢٥٦؛ ٨/٩٤، ١٠٣، ١٠٤ وغيرها.

(٢) سقطت (إذ) من س.

(٣) في س (الأخبار)، وهو خطأ.

(٤) راجع كتابه النفيس (درء تعارض العقل والنقل) ١/٢٢٢، ٢٢٣؛ ٢/٣٧٦ ــ ٣٧٧، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

والمقصود هنا أنه ـ تعالى ـ أخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة؛ لأنه دليل على إمكان انشقاق الأفلاك وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى، وهو آية على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذي هو من أشراط الساعة والله ـ تعالى ـ في كتابه يجمع بين ذكر القيامة الكبرى والصغرى كما في سورة الواقعة ذكر في أولها القيامة الكبرى وفي آخرها القيامة الصغرى، وذلك كثير في سور القرآن مثل سورة قٓ، وسورة القيامة، وسورة التكاثر، وسورة الفجر، وغير ذلك.

وقد استفاضت الأحاديث بانشقاق القمر ففي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: انشق القمر[١] على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اشهدوا»[٢] وفي لفظ: «ونحن معه بمنى»[٣]، فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر[٤] القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك[٥].

---

(١) سقطت (القمر) من أ، وأثبتناها من سائر النسخ، ومن نص الحديث.

(٢) رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة اقتربت الساعة، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ ٦/٥٢، ورواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر بنحوه ٤/٢١٥٨، ٢١٥٩(٢٨٠٠).

وقد ساقه من طرق متعددة كلها عن ابن مسعود، ورواه الترمذي في التفسير، ثم قال حديث حسن صحيح: ٥/٣٩٧(٣٢٨٥)، وأحمد في المسند ١/٤٤٧، وابن جرير الطبري في التفسير ٢٧/٥٠ تفسير سورة القمر.

(٣) في ط (بمعنى)، وهو تصحيف ظاهر.　　(٤) في س، ك، ط (ساحر).

(٥) هذا اللفظ ورد في تفسير ابن جرير الطبري ٢٧/٥٠ ـ ٥١ وليس فيه «ونحن معه بمنى» وهذه الجملة وردت في صحيح مسلم ٤/٢١٥٨ في الحديث رقم (٤٤) من أحاديث الباب. وليس فيه (فقال كفار قريش... إلخ).

وعن أنس بن مالك أنه قال: (سأل أهل مكة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، فنزلت:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1](*).

وهذا حديث صحيح مستفيض، رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس، وهو أيضاً معروف، عن حذيفة[2] قال: أبو الفرج بن[3] الجوزي: والروايات في الصحيح بانشقاق القمر، عن ابن[4] عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم[5] ـ .

---

(1) الآيتان ١، ٢ من سورة القمر.

(*) والحديث برواية أنس. رواه البخاري في التفسير ٥٣/٦، ومسلم في صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، رقم (٣٨٠٢) ٢١٥٩/٤ من عدة طرق، ورواه الترمذي في التفسير ٣٩٧/٥(٣٢٨٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره ٥١/٢٧.

(2) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٥١/٢٧، وقد ورد الحديث من رواية الصحابة الذين أشار إليهم المؤلف ومن رواية ابن عمر. فانظر المراجع السابقة التي أشرنا إليها.
قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ : «انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ »، وقد رواها عدة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٣/١٧ (مجلد ٩)، ط دار الفكر.

(3) سقطت (ابن) من أ، س، ك، وأثبتناها من ط .

(4) سقطت (ابن) من ط .

(5) ساقها أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ كلها في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ٢٧٢/١ ـ ٢٧٣، ط دار المعرفة بيروت. بتحقيق مصطفى عبد الواحد.
وانظر: أسباب النزول ٢٩٩؛ ولباب النقول للسيوطي ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
وانظر: تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) ٨٨/٨ أول سورة القمر، ط المكتب الإسلامي، قال ـ رحمه الله ـ : «وقد روى حديث الانشقاق جماعة منهم =

ولما زعموا أن هذا القرآن هو ألفه:

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[1].

ثم تحداهم بعشر سور فقال ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

ثم تحداهم بسورة واحدة فقال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟...﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[4].

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به ثم سجل[5] على جميع الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله:

= عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جمع المفسرين، إلَّا أن قوماً شذوا. فقالوا: سينشق يوم القيامة، وقد روى عثمان بن عطاء، عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع».

(١) سورة الطور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة هود: الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٣٨.

(٥) في أ، س، ك (أسجل)، وصححناه من ط.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

فأخبر من ذلك الزمان أن الإنس والجن إذا اجتمعوا لا يقدرون على معارضة القرآن بمثله، فعجز لفظه ومعناه ومعارفه وعلومه أكمل معجزة وأعظم شأناً والأمر كذلك فإنه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم[2] وحرصهم[3] على إبطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام أن يأتوا بمثله، وأنزل الله إذ ذاك آيات بيَّن فيها أنه رسول[4] إليهم ولم يذكر فيها أنه لم يرسل إلى غيرهم.

فقال ــ تعالى ــ في سورة القصص:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] (*).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) في ط (عدواتهم) وهو خطأ.

(٣) في ط (وحصرهم) وهو خطأ.

(٤) في ط (رسول الله إليهم).

(٥) سورة القصص: الآيات ٤٣ ــ ٤٧.

(*) قال ابن سعدي ــ رحمه الله ــ في تفسيره: «والمقصود أن المجريات، التي جرت =

وقال في سورة السجدة:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

وقال في سورة يس[2]:

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[3].

ذكر ــ تعالى[4] ــ في هذه الآيات الثلاث[5] نعمته على هؤلاء وحجته عليهم بإرساله، وذكر بعض حكمته في إرساله، وذلك لا يقتضي أنه لم يرسل إلَّا لهذا بل مثل هذا كثير معروف في لسان العرب وغيرهم.

= لموسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ، في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها. فحينئذٍ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقَّن أنه ما كان وما صار. فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فتعين الأمر الثاني وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله. فثبت بالدليل القطعي صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد ولهذا قال: ﴿. . . ولكن رحمة من ربك. . .﴾ الآية. . . قال ــ رحمه الله ــ: «وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلاً لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي نزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب. فكانت رسالة لهم أصلاً، ولغيرهم تبعاً. . .».

انظر: تفسيره المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/٢٩، ٣٠).

(١) سورة السجدة: الآية ٣.

(٢) سقطت (يس) من أ وهي في سائر النسخ.

(٣) سورة يس: الآيات ١ ــ ٦.

(٤) في ط (الله تعالى).

(٥) في جميع النسخ (الثلاثة)، وهو خطأ.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

ومعلوم أن في هذه الدواب منافع غير الركوب، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ . . . ﴾[2] .

فقد أخبر أنه ينزل الملائكة بالوحي على الأنبياء لينذروا يوم القيامة وذلك لا يمنع أن يكونوا نزلوا بالبشارة للمؤمنين والأمر والنهي بالشرائع .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[3] .

فأخبر ـ تعالى ـ أنه خلق العالم العلوي والسفلي ليعلم العباد قدرته وعلمه. ومع هذا ففي خلق ذلك له من الحكمة أمور أخرى غير علم العباد ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4] .

ومعلوم أن في جعل الكعبة قياماً للناس والهدى والقلائد حكماً ومنافع أخرى.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨.

(٢) سورة غافر: الآيتان ١٥، ١٦.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[1].

ومعلوم أن في ملك الله حكماً أخرى غير جزاء المحسن والمسيء، وكذلك قوله:

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ . . . ﴾ إلى قوله:

﴿ . . . رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[3].

ومعلوم أن في إرسال الرسل سعادة[4] من آمن بهم، وغيرها حكم[5] أخرى غير دفع حجة الخلق على الله، وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ . . . ﴾[6].

ومعلوم أن في تسخيرها حكماً ومنافع غير التكبير، وقوله:

﴿ . . . وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ . . . ﴾[7].

---

(1) سورة النجم: الآية ٣١.
(2) سورة الجاثية: الآية ٢٢.
(3) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.
(4) في س، ك (من سعادة).
(5) في أ، س، ك (حكمة).
(6) سورة الحج: الآية ٣٧.
(7) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

ومعلوم أن لله حكماً في خلق الشمس والقمر، والليل والنهار، غير انتفاع بني آدم وكذلك قوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[3].

وفيها حكم أخرى.

وقال[4]:

﴿ ... وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ . . ﴾[5].

وفي إنزال الكتاب من هدى من اهتدى به واتعاظه وغير ذلك مقاصد غير الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

(١) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢ ـ ٣٤.
(٢) سورة يونس: الآية ٦٧.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٢.
(٤) في ط (وقال تعالى).
(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾[1].

ومعلوم أن في مبعث[2] الخلق يوم القيامة مقاصد غير بيان المختلف في علم هؤلاء، ومما يبين ذلك أنه قال في الآية التي احتجوا بها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ . . .﴾[3].

ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار، بل وليبشر من آمن به، ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، وغير ذلك من مقاصد الرسل كما قال ـ تعالى ـ :

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .﴾[4].

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .﴾[5].

لا ينافي كونه لم يصفهم في موضع آخر إلاَّ بالإنذار، وقد قال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[6].

وكان المسلمون مرة صلوا صلاة العيد بحضرة حصار النصارى فقام[7] خطيبهم فخطب بهذه الآية، ولما قرأ قوله:

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٣٨، ٣٩.
(٢) في ك، ط (بعث).
(٣) سورة يس: الآية ٦.
(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٤٨، وسورة الكهف: الآية ٥٦.
(٦) سورة الكهف: الآيات ١ ــ ٥.
(٧) في س (قام)، وفي ط (فلقم).

﴿. . . وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ. . .﴾[1].

أشار إلى جند الإيمان، ولما قرأ قوله:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[2].

أشار إلى جند الصلبان.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ. . .﴾[3].

وفي إنزال الكتاب والميزان حكم أخرى من البشارة والإنذار وغير ذلك، وكذلك قوله عن أهل الكهف:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾[4].

وفي بعثهم حكم أخرى بدليل قوله:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ. . .﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿. . . فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ. . .﴾[6].

ومعلوم أن في ذلك مقاصد أخرى من[7] هداية الخلق، وقيام

(١) سورة الكهف: الآية ٢.
(٢) سورة الكهف: الآية ٤.
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٢.
(٥) سورة الكهف: الآية ٢١.
(٦) سورة الجن: الآيتان ٢٧، ٢٨.
(٧) في أ (بين).

الحجة على من بلغهم وغير ذلك. وقوله:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(1).

وفيه حكم أخرى من قيام الحجة على الخلق وضلال من ضل به، ومثله قوله:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(2).

ومعلوم أن في ذلك مقاصد أخرى من البشارة والأمر والنهي وغير ذلك، وكذلك قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾(3).

ومعلوم أن في جزاء المؤمنين مقاصد أخرى غير علم أهل الكتاب وما معه. وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ... ﴾(4).

ومعلوم أن فيه حكماً(5) أخرى مثل تبشير من آمن به، والأمر، والنهي، وإنذار غير(6) هؤلاء من العرب.

---

(1) سورة ص: الآية ٢٩.

(2) سورة إبراهيم: الآية ٥٢.

(3) سورة الحديد: الآية ٢٨، ٢٩.

(4) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

(5) في س، ك (إن فيه حكمة)، وفي أ (إن الله حكمة).

(6) سقطت (غير) من ط.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى غير الإنذار.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى من إنذار الخلق كلهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتبشير المؤمنين، فقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ...﴾[3].

ومعلوم أن في أخذ الميثاق حكماً[4] أخرى.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[5].

---

(١) سورة يس: الآيتان ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧، ٨.
(٤) في أ، س، ك (حكم) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من ط (حكماً) اسم ان مؤخر.
(٥) سورة الفتح: الآيتان ١، ٢.

وقوله:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا . . . ﴾.

إلى قوله: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا . . . ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ . . . ﴾.

إلى قوله:

﴿ لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . . . ﴾[2].

وكذلك قوله:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . . . ﴾[3].

وفي ذلك كله حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا . . . ﴾[4].

وإن كانت هذه[5] لام العاقبة، فليست العاقبة منحصرة في ذلك، بل في ذلك من الإحسان إلى موسى وتربيته وغير ذلك حكم أخرى، ومثل قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ . . . ﴾[6] الآية.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة يونس: الآية ٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٨.

(٥) سقطت كلمة (هذه) من ك، وفي ط زيادة (اللام) بعد كلمة (هذه).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

وقال[1] ـ تعالى ـ :

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ . . .﴾[2] .

وفي إرساله حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ...﴾[3] .

وفي إنزاله تبشير وإنذار وأمر ونهي، ووعد ووعيد، وكذلك قوله في عيسى بن مريم:

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[4] .

وكذلك قوله:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ . . .﴾[5] .

وفيه حكم أخرى، كما قال[6] في الآية الأخرى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا . . .﴾[7] .

وقال[8] :

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[9] .

---

(١) في س (وقوله).
(٢) سورة الصف: الآية ٩.
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٥.
(٤) سورة مريم: الآية ٢١.
(٥) سورة الجاثية: الآية ١٢.
(٦) في س، ط (قال تعالى).
(٧) سورة النحل: الآية ١٤.
(٨) في ط (قال تعالى).
(٩) سورة فاطر الآية ١٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ . . . ﴾[1].

إلى قوله:

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[2].

وكذلك قوله[3]:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[4].

وفي كونهم وسطاً حكم[5] أخرى.

وقوله[6]: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ . . . ﴾[7].

وفيهما حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[8].

وفي ذلك حكم أخرى من البشارة والأمر والنهي.

---

(١) سقطت (ولو شاء ربك) من س، ك، ، ط.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١١٢، ١١٣.

(٣) في ط (قوله تعالى).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٥) في س، ك (حكماً) وهو خطأ. وقد صححه أيضاً في هامش ك.

(٦) في هامش س، وهامش ك، ط (وكذلك قوله).

(٧) سورة الملك: الآية ٢.

(٨) سورة الفرقان: الآية ١.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾.

إلى قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . . ﴾(١).

وفي ذلك حكم أخرى، ومثل ذلك كثير في كلام الله ـ عز وجل ـ وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى، لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته(٢)، وهذا كالمناسبة في قوله:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ . . . ﴾(٣).

فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين، وأحقهم بالإنذار، فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾(٤).

ومعلوم أنه نزل به ليكون بشيراً، وليأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات، ويحرم الخبائث، ويضع الآصار والأغلال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

• • •

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٤٠، ١٤١.
(٢) في ط (مناسبة).
(٣) سورة يس: الآية ٦.
(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥.

فصل

رَدُّ احتجاجهم ببعض الآيات على خصوصيَّة الرسالة

وأما احتجاجهم بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا . . . ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ . . . ﴾[2].

فهذا كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وهذا في عمومه نزاع، فإنه إما أن يكون خطاباً لجميع الناس، ويكون المراد إنا بعثنا إليكم رسولاً من البشر، إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملك من الملائكة، فمنَّ الله عليكم بأن أرسل إليكم رسولاً بشرياً.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥١.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٤) سورة الأنعام: الآيتان ٨، ٩.

وإما أن يكون الخطاب للعرب، وعلى التقديرين، فإن ما تضمن ذكر أنعامه على المخاطبين بإرساله رسولاً من جنسهم، وليس في هذا ما يمنع أن يكون مرسلاً إلى غيرهم، فإنه إن كان خطاباً للإنس كلهم، فهو أيضاً مرسل إلى الجن، وليس من جنسهم، فكيف يمتنع إذا كان خطاباً[1] للعرب بما امتن به عليهم، أن يكون قد امتن على غيرهم بذلك، فالعجم أقرب إلى العرب من الجن إلى الإنس، وقد أخبر في الكتاب العزيز أن الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟
أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ
مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ
أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن
لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ. . . ﴾[2].

وقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[3]

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ

---

(١) في ط (إذا كان الخطاب خطاباً).
(٢) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ ـ ٣٢.
(٣) سقطت التسمية من نسخة (س).

ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا
رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ
لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾
وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ
أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ (١).

ونظير هذا قوله:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢).

وقومه قريش، ولا يمنع أنه ذكر(٣) لسائر العرب بل لسائر النـاس،

(١) سورة الجن كلها.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٣) في س، ك، ط (ولا يمنع أن يكون ذكراً).

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(1) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(2) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾(3) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(4) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(5) .

وهذا على أصح القولين، وأن المراد بقوله :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ .

---

(1) سورة القلم : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(2) سورة الفرقان : الآية ١ .

(3) سورة ص : الآيات ٨٦ ــ ٨٨ .

(4) سورة التكوير : الآيات ١٩ ــ ٢٩ .

(5) سورة النساء : الآية ٧٩ .

أنه ذكر لهم[1] يذكرونه فيهتدون به.

وقيل: أن المراد أنه شرف لهم وليس بشيء، فإن القرآن هو شرف لمن آمن به من قومه وغيرهم وليس شرفاً لجميع قومه، بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال ـ تعالى ـ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ... ﴾[3].

بخلاف كونه تذكرة وذكرى فإنه تذكرة لهم ولغيرهم، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ... ﴾[4].

فعم العالمين جميعهم، فقال:

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].



---

(١) سقطت (لهم) من س، ك.
(٢) سورة المسد: الآية ١.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٦٦.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٠.
(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٤.

فصل

هذا الكلام على الوجه الأول، وهو قول من يقول أنه لم يقل أنه أرسل إلا إلى العرب.

وأما **الوجه الثاني**: وهو أن نقول: هو ذكر أنه رسول إلى الناس كافة كما نطق به القرآن في غير موضع، كقوله[1] ـ تعالى ـ

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا . . .﴾[2].

وقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[3].

وقد صرح فيه بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجن في غير موضع فإذا سلموا أنه ذكر ذلك ولكن كذبوه في ذلك:

فإما أن يقروا برسالته إلى العرب، أو لا يقروا.

فإن أقروا بأنه رسول أرسله الله لم يمكن[4] مع ذلك، تكذيبه كما تقدم، بل يجب الإقرار برسالته إلى جميع الخلق كما أخبر بذلك، كما تقدم أن من ذكر أنه رسول الله لا يكون إلا من أفضل الخلق وأصدقهم، أو من شر الخلق وأكذبهم، فإنه إن كان صادقاً فهو من أفضلهم وإن كان

---

(١) في أ (لقوله).
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٤) في ط (يكن).

كاذباً فهو من شرهم، وإذا كان الله قد أرسله ـ ولو إلى قرية[1] كما أرسل يونس بن متى إلى أهل نينوى، كان من أفضل الخلق، وكان صادقاً لا يكذب على الله، ولا يقول عليه إلا الحق، ولو كذب على الله ولو في كلمة واحدة، لكان من الكاذبين، لم يكن من رسل الله الصادقين؛ فإن الكاذب لا يكذب في كل شيء، بل في البعض فمن كذب على الله في كلمة واحدة، فقد افترى على الله الكذب، وكان من القسم الكاذبين في دعوى الرسالة لا من الصادقين.

وأيضاً فإن مقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها، فإذا خلط الكذب بالصدق لم يحصل مقصود الرسالة.

وأيضاً فإذا علم أنه كذب في بعضها لم يتميز ما صدق فيه مما كذب فيه إلا بدليل آخر غير رسالته، فلا يحصل المقصود برسالته.

ولهذا أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه، وقد قال ـ تعالى ـ ما يبين أنه لا يقر كاذباً عليه قال[2] ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[3].

---

(١) في أ (قومه).

(٢) في ط (بقوله).

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

عقد أبو الحجاج يوسف محمد المكلاتي المتوفى سنة ٦٢٦هـ فصلاً في وجوب =

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ . . . ﴾[1].

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ . . . ﴾[2].

فقوله ــ تعالى ــ : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾.

كلام مستأنف ليس داخلاً[3] في جواب[4] الشرط، فإنه لو كان معطوفاً على جواب الشرط لقال: ويحق الحق بالكسر لالتقاء الساكنين، كما في قوله:

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾.

فلما قال: ويحق الحق، بالضم دل على أنه جملة مستأنفة أخبر فيها أنه ــ تعالى ــ يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه، ويحق الحق كحق الصادقين عليه، فمحو الباطل نظير إحقاق الحق ليس مما علق بالمشيئة بل لا بد منه، بخلاف الختم على قلبه، فإنه معلق بالمشيئة ولا يجوز أن يعلق بالمشيئة محو الباطل كتعليق الختم، بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه.

= عصمة الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ في كتابه (لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول) وذلك في ص ٣٧٢ ــ ٣٧٥ (تحقيق الدكتورة فوقية حسين. ط الأولى دار الأنصار القاهرة، وانظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص ٣٥٦، وكتاب شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة شرحه الملا على القاريء ص ٨٨، وشرح العقيدة الطحاوية، وألف الرازي كتاباً سماه «عصمة الأنبياء» نشرته دار الكتب العلمية بيروت، ويقع في ١٤٤ صفحة.

(١) سورة الشورى: الآية ٢٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٤. والآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ويُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

(٣) في أ (داخل) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) في أ (جزاء) وما أثبتناه من سائر النسخ.

وقال ـ تعالى ـ : في صيانته وإحكامه لما تبلغه رسله :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

وأيضاً: فإذا لم يكن أرسل إلا إلى العرب وقد دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان به، وكفرهم إذا لم يؤمنوا به، وجاهدهم وقتل مقاتلهم، وسبى ذرياتهم[٢] كان ذلك ظلماً لا يفعله إلا من هو من أظلم الناس، ومن كان نبياً قد أرسله الله فهو منزه عن هذا وهذا.

فالإقرار برسالته إلى العرب دون غيرهم ـ مع ما ظهر من عموم دعوته للخلق كلهم ـ قول متناقض ظاهر الفساد، وكل ما دل عليه أنه رسول فإنه يستلزم رسالته إلى جميع الخلق، وكل من اعترف بأنه رسول لزمه الاعتراف بأنه رسول إلى جميع الخلق، وإلا لزم أن يكون الله أرسل رسولاً يفتري عليه الكذب، ويقول للناس: إن الله أمركم باتباعي وأمرني

(١) سورة الحج: الآيات ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) في ط (ذراريهم).
والذرية فعلية من الذروهم الصغار وتكون الذرية واحداً وجمعاً وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال والثانية كسرها والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء قال في المصباح المنير ٢٨٢/١: «وتجمع على ذريات وقد تجمع على الذراري، وقد أطلقت الذرية على الآباء أيضاً مجازاً. وانظر مختار الصحاح ص ٢٢٠ باب ذرأ.

بجهادكم إذا لم تفعلوا وهو كـاذب في ذلك، ومعلوم أن كـل ما دل على أن الله أرسله فإنه يدل على أنه صـادق في الرسـالة وإلا فـلا، فالـرسول الكـاذب لا يحصل بـه مقصود الـرسـالـة بـل يكـون من جملة المفتـرين على الله الكـذب، وأولئك ليسـوا من رسل الله، ولا يجـوز تصديقهم في قولهم: إن الله أرسلهم.



انتهى المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وأوَّله:

فصل: [وأما أن لا يقروا برسالته]

فهرس الجزء الأول

القسم الثاني : التحقيق



الجواب الصحيح
لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمّد الحمدان

المجلّد الثّاني

دار العاصمة
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

(٢)

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

فصل

وإما أن لا[1] يقروا برسالته إلى العرب ولا غيرهم، بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركو العرب من أنه شاعر، أو ساحر، أو مفتر كاذب، ونحو ذلك. فيقال لهم على هذا التقدير: فدليلكم أيضاً باطل، ولا يجوز أن تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشيء من كلام الأنبياء قبله، سواء صدقتم محمداً[2] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في جميع ما يقوله أو في بعضه، أو كذبتموه فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير، وما ثبت بطلانه على كل تقدير، فهو باطل في نفس الأمر، فيثبت أنه باطل في نفس الأمر، وذلك أنكم إذا كذبتم محمداً لم يبقَ لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء، فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره، بل من اعتقد كذبه وصدق غيره، لم يكن عالماً بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم: وإذا لم يكن عالماً بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم، ومحاجة فيما[3] لا علم له بها، فإن الدلائل الدالة على صدق محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى، ومعجزاته أعظم من معجزات غيره، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره، والشريعة التي جاء بها

(١) في س، ك، ط (وأما إن لم).

(٢) في أ (محمد)، وصححناه من سائر النسخ.

(٣) سقطت (فيما) من أ وألحقناها من سائر النسخ.

أكمل من شريعة موسى وعيسى ـ عليهما[1] السلام ـ وأمته أكمل في جميع الفضائل من أمة هذا وهذا. ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلاَّ وهو في القرآن أو[2] مثله أو منه، وفي[3] القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، فما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يطعن به على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلاَّ ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه على موسى وعيسى.

وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها[4] هنا، لأن جواب كلامهم لا يحتاج إلى ذلك، فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ مع التكذيب بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا يفعل ذلك إلاَّ من هو من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً واتباعاً لهواه، وذلك أن[5] هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الأنبياء، ولم يذكروا الأدلة الدالة على صدقهم[6]، بل أخذوا ذلك مسلماً وطلبوا أن يحتجوا بما نقلوه عن الأنبياء قبله، وبما نقلوه عنه على صحة دينهم،

---

(١) في س، ك (عليه).

(٢) سقطت (أو) من ط .

(٣) سقطت من س (الواو).

(٤) تحدث بالتفصيل عن هذا في الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب.

(٥) سقطت جملة (وذلك أن) من أ وزدناها من سائر النسخ .

(٦) تحدث الشيخ رحمه الله في الجزء الثالث من الكتاب عن هذه المسألة بالتفصيل وبين أن فيمن ذكره أهل الكتاب على أنه نبي ليس بنبي عند المسلمين كمليخا، وعاموص وأن من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود، وسليمان، لم يثبت عند المسلمين أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام وأن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلاَّ بإخبار محمد بنبوتهم. . . إلخ ما ذكره من الحجج القوية في هذا.

وهذه حجة داحضة سواء صدقوه أو كذبوه، فإن صدقوه بطل دينهم وإن كذبوه بطل دينهم، فإنهم إن صدقوه فقد علم أنه دعاهم وجميع أهل الأرض إلى الإيمان به وطاعته، كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وأنه أبطل ما هم عليه من الاتحاد وغيره، وكفرهم في غير موضع، ولهذا كان مجرد التصديق بأن محمداً رسول الله ولو إلى العرب يوجب[1] بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه. فإن من كان رسولاً لله فإنه لا يكذب على الله، ومحمد[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد علم منه أنه دعا النصارى واليهود إلى الإيمان به وطاعته كما دعا غيرهم، وأنه كفر من لم يؤمن به ووعده النار، وهذا متواتر عنه تواتراً[3] تعلمه العامة والخاصة وفي القرآن من ذلك ما يكثر ذكره، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[4].

---

(١) في أ(فوجب)، والصواب ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٢) في ط (ومحمد رسول الله).

(٣) في أ، س، ك (التواتر)، وصححناه من ط.

(٤) سورة البيِّنة كلها.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(١) .

وقد ذكر كفر اليهود والنصارى في غير(٢) موضع، كقوله ـ تعالى ـ عن النصارى:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ . . . ﴾(٣) .

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

(٢) سقطت (غير) من ط.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧.

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(1) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(2) .

وقال ــ تعالى ــ :

---

(1) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ــ ٧٧.

(2) سورة النساء الآيات ١٧١ ــ ١٧٥.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

فقد قال ــ تعالى ــ:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ...﴾[3].

في الموضعين.

وقال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ...﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿... وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ...﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٣٠ ــ ٣١.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧، وتكررت في المائدة نفسها رقم ٧٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٣. (٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ . . . ﴾[1].

والنصارى قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال[2] لكن من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم.

كما ذكره طائفة من المفسرين[3]، كابن جرير الطبري[4] والثعلبي[*] وغيرهما ثم تارة يحكون عن اليعقوبية[5]: أن عيسى هو الله،

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٢) في الجملة من قوله: (والنصارى إلى قوله ـ الأقوال) تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر.

(٣) ورد كلام قبل هذه الجملة في نسختي ك، ط . وهو كلام زائد ومرتبك لا مكان له قد أخل بالمعنى وقد سقط من أ، ومن س. ونصه: «وقولهم ثالث ثلاثة قول النسطورية. وقولهم: إنه ابن الله قول الملكانية، ومنهم من يقول قوله: إن الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم والآية وروح القدس، وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية».

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ـ رحمه الله ـ ٦/٢٠٢ (مجلد ٤) عند آية المائدة: ٧٣.
وانظر: ١٠/٤٨٠ ـ ٤٨١، ط دار المعارف بمصر، وانظر: تفسير القرطبي ٦/٢٤٩ ـ ٢٥٠، ط دار الكتاب العربي.

(*) الثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ من كتبه «الكشف والبيان في تفسير القرآن» مخطوط، وقد ذكر الذهبي صاحب كتاب التفسير والمفسرون ١/٢٢٩ أنه يوجد منه نسخة غير كاملة في مكتبة الأزهر برقم (١٣١) ٥٥٦١، ويعرف بتفسير الثعلبي توفي رحمه الله سنة ٤٢٧هـ .
انظر: البداية والنهاية ١٢/٤٠؛ وإنباه الرواة ١/١١٩؛ والأعلام ١/٢١٢.

(٥) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البرذعاني، وكان راهباً بالقسطنطينية.

وعن النسطورية[1]: أنـه ابن الله، وعن المريـوسية[2]: أنـه ثالث ثـلاثة، وتـارة يحكـون عن النسـطوريـة: أنـه ثـالث ثـلاثـة، وعن الملكيـة[3]: أنه الله، ويفسرون قولهم: ثالث ثلاثة بالأب والابن، وروح القدس.

والصـواب: أن هـذه الأقـوال جميعهـا قـول طـوائف النصـارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية، فإن هذه الطوائف كلها تقول بـالأقـانيم الثـلاثـة: الآب والإبن وروح القـدس، فتقـول: إن الله ثـالث ثـلاثة، وتقـول عن المسيح: إنـه الله، وتقول إنـه ابن الله، وهم متفقون على اتحـاد اللاهـوت[4] والنـاسـوت[5] وأن المتحـد هـو الكلمـة، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك، وهـو قولهم: «نؤمن بـإله واحـد أب ضـابط الكـل، خـالق السمـوات والأرض، كـل مـا يـرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب

---

(١) النسطورية: نسبة إلى نسطور، وسبق بيان مذهبهم في قسم الدراسة.

(٢) المـريـوسيـة: لعلهـا منسـوبـة إلى «بـريمـوس» من القـرن الثـاني الميـلادي ولـد بالإسكندريـة، وانتخب بطريـركاً، وكـان واعظاً، يقيم الأسـاقفة والقسـاوسة، ومكث اثني عشر عاماً، وكانت وفاته سنة ١٢١م كما ذكر النصارى.
انظر تاريخ الكنيسة القبطية تـأليف منسي القمص ص ٣٤، (ط ٣، القاهـرة الحديثـة ١٩٨٢م).

(٣) الملكية: هي المسيحية الـرسمية وهي أسبق من النسـطورية واليعقـوبية، وتنسب إلى ملوك النصارى، وقيل إلى ملكا، الذي ظهر بأرض الـروم واستولى عليهـا، ومذهبهم أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم.
انـظر: الفصـل لابن حـزم ٤٨/١؛ والملل والنحـل ١//٢٢٢؛ والمغني للقـاضي عبـد الجبـار ٨٤/٥؛ وتـاريـخ ابن البـطريق ص ٢٠١، ونشـأت الفكـر الفلسفي في الإسلام ٩٥/١.

(٤) اللاهوت: تعني الجانب الإلّهي من عيسى في معتقد النصارى.

(٥) الناسوت: يعنون به الجانب البشري من عيسى.

قبل كل الدهور، نور من نور إلّه حق من إلّه حق مولود غير مخلوق»[١].

وأما قوله ــ تعالى ــ :

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ . . .﴾.

وقوله:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ . . .﴾.

فقد فسروه[٢] بالتثليث المشهور عنهم، المذكور في أمانتهم، ومن الناس من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم قول اليعقوبية، وقولهم[٣]: ثالث ثلاثة هو قول النصارى الذين يقولون بالآب والابن[٤] والروح القدس[٥] وهم[٦] قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة، وسموا كل واحد من الثلاثة بالإلّه والرب، وقد فسره طائفة بجعلهم عيسى وأمه إلٰهين يعبدان من دون الله.

قال السدي[٧] في قوله ــ تعالى ــ :

---

(١) سبقت الإشارة إلى قانون الأمانة عند الطائفتين الرئيستين: الكاثوليك، والأرثوذكس والمقارنة بين النصوص.

(٢) في أ (فسره) وصححناه من سائر النسخ.

(٣) سقطت (وقولهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقطت (الابن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٥) سقطت (والروح القدس) من أ، ك، ط وزدناها من س.

(٦) في س زيادة جملة لا مكان لها، نصها: «وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية» حيث سبقت الإشارة إليها.

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/٢٠٢ ــ ٢٠٣ (مجلد ٤)، قال ابن كثير بعد أن ساق تفسير السدي: «وهذا القول هو الأظهر والله أعلم». تفسير ابن كثير ٢/٨١ عند آية المائدة: ٨٣.

والسدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، تابعي، حجازي الأصل، =

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . . .﴾.

قال: قالت النصارى: إن الله هو المسيح وأمه. فذلك قوله:

﴿. . . ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ . . .﴾.

وقد قيل قول[1] ثالث أغرب من ذلك عن أبي صخر[2]، قال:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . . .﴾.

قال: هو قول اليهود عزير[3] ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، وهذا ضعيف، وقد ذكر سعيد بن البطريق[4] في أخبار النصارى أن منهم طائفة ـ يقال لهم

= صاحب التفسير، والمغازي والسير. قال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيّع، مات سنة ١٢٧هـ، وقيل: سنة ١٢٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٧١ (٥٣١)؛ وتهذيب التهذيب ١/٣١٣؛ والأعلام للزركلي ١/٣١٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٥.

(١) في ك (قولاً).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٨١؛ وعزاه لابن أبي حاتم بسنده، عن أبي صخر. . . وذكره قال الحافظ ابن كثير: «وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى، والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد». انتهى كلامه رحمه الله.
وأبو صخر، لعله: حميد بن زياد أبو صخر بن أبي المخارق الخراط، مدني سكن مصر، قال ابن حجر: «صدوق يهم من السادسة مات سنة ١٨٩هـ».
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٢ (٥٩٤)؛ وتهذيب التهذيب ٣/٤١.

(٣) عزير بن جروة، ويقال بن سوريق، ويقال بن سروخا. من نسل هارون بن عمران. قال الحافظ بن كثير: والمشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود، وسليمان، وبين زكريا، ويحيى.
انظر: ترجمة له في البداية والنهاية ٢/٤٦؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٤٦؛ ورجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٢٩٧.

(٤) سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريكاً في =

المريميون[1] ـ يقولون: إن مريم إله وإن عيسى إله.

وأما الأول فمتوجه، فإن النصارى المتفقين على الأمانة، كلهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، والله ـ تعالى ـ قد نهاهم عن أن يقولوا ذلك، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ... ﴾[2].

فذكر ـ سبحانه ـ في هذه الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما، وبيَّن أن المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وقال:

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

ثم قال:

﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ... ﴾.

= الإسكندرية سنة ٣٢١هـ، من مؤلفاته كتاب «نظم الجوهر» في التاريخ، وهو مطبوع.
انظر في ترجمته: طبقات الأطباء ٢/٨٦؛ والأعلام للزركلي ٣/٩٢.

(١) في أ، س، ك (المريسية) وفي ط (المرسية)، وكلها خطأ، وما أثبته من تاريخ ابن البطريق حيث ورد ما نصه: «فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية، ويسمون المريميين».
انظر: ص ١٢٦ من كتابه نظم الجوهر (ط الأباء اليسوعيين).
قلت: وهم منسوبون إلى مريم لزعمهم بأنها إله، كما ورد في مذهبهم.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

لم[1] يذكر هنا أمه. وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾.

قال معمر[2] عن قتادة[3]: «وكلمته ألقاها إلى مريم هو[4] قوله: كن فكان.

وكذلك قال قتادة: «ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى»[5].

وكذلك قال الإمام أحمد[6] في مصنفه الذي صنفه في كتابه في الرد على الجهمية، وذكره عنه الخلال[7] والقاضي أبو يعلى[8]. قال أحمد:

---

(1) في ط (ولم).

(2) معمر بن راشد الأزدي (مولاهم)، ثقة، ثبت، فاضل من كبار الطبقة السابعة، مات سنة ١٥٤هـ. وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٦ (١٢٨٤)؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣؛ وميزان الاعتدال ٤/١٥٤.

(3) قتادة: سبقت ترجمته.

(4) في ط (وهو).

(5) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ٦/٢٥ (مجلد ٤)، قال: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وذكره وانظر تفسير ابن كثير ١/٥٩٠ عند آية ١٧١ من سورة النساء.

(6) في ك، ط (أحمد بن حنبل).

(7) الخلال: أحمد بن هارون أبو بكر الخلال: مفسر عالم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، جامع علم أحمد ومرتبه كما قال الذهبي، من كتبه تفسير الغريب، وطبقات أصحاب ابن حنبل، والسنّة، والعلل وغيرها.
توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٣١١هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٢/١٢؛ والبداية والنهاية ١١/١٤٨؛ وتذكرة الحفاظ ٣/٧٨٥؛ ومناقب الإمام أحمد ٦١٨؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور السعيد ١/٤٦ ـ ٤٧؛ والأعلام ١/٢٠٦.

(8) سبقت ترجمته.

ثم إن الجهم ادعى أمراً فقال: إنّا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق. قلنا: أي آية؟ قال: قول الله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ . . .﴾[1].

فقلنا: إن الله منعكم الفهم في القرآن، عيسى ـ عليه السلام ـ تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأن عيسى * يجري عليه نسمة *[2] ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب[3] وهو يخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد، هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال عيسى؟ ولكن المعنى في قوله ـ جل ثناؤه ـ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . .﴾.

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى[4] بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قوله[5]: وليس الكن مخلوقاً، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته؛ لأن الكلمة مخلوقة.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١، وفي س وط (ألقاها إلى مريم).

(٢) مابين النجمتين ساقط من أ وزدناه من س، ك، ط وفي س (تسمية) بدل (نسمة).

(٣) في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية: «لأنه يسميه مولوداً وطفلاً وصبياً وغلاماً يأكل ويشرب» ص ١٢٤.

(٤) في أ (فكان) مكررة وهو خلاف النسخ الأخرى وخلاف ما جاء في كتاب الرد على الزنادقة ص ١٢٤.

(٥) في كتاب الرد ص ١٢٤ (قول).

و[1] قالت النصارى: روح الله من ذات الله، وكلمة الله[2] من ذات الله، كما يقال: هذه[3] الخرقة من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

قال أحمد[4]: ـ وأما قوله ـ جلَّ ثناؤه ـ :

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.

يقول من أمره كان الروح فيه كقوله:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ . . .﴾[5].

يقول[6] من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقهم الله[7]، كما يقال: عبد الله وسماء الله[8]، وفي نسخة روح يملكها الله خلقها الله[9].

وقال الشعبي[10] في قوله ـ تعالى ـ :

---

(1) سقطت الواو من ط وهي ثابتة في سائر النسخ وفي الرد على الزنادقة، ص ١٢٤.

(2) في (الرد) «وكلمته من ذات الله».

(3) في الرد: (إن هذه).

(4) سقطت (قال أحمد) من س.

(5) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(6) في ك، ط (يقول) بالمثناة التحتية.

(7) في أ، س، ك (خلقياً) وصححته من ط ومن الرد: ص ١٢٥.

(8) في الرد: (عبد الله وسماء الله وأرض الله) ص ١٢٥.

(9) ورد النص الذي نقله الشيخ بتصرف يسير في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية»، للإمام أحمد في ص ١٢٣ ــ ١٢٥، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، نشر دار اللواء.

(10) هو عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة من شعب همدان، وكنيته أبو عمرو، ولد سنة عشرين للهجرة، وهو من التابعين، اشتهر بكثرة علمه وسعة حلمه، كان =

﴿ . . . وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ . . . ﴾.

الكلمة حين قال له: كن فكان عيسى بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان[1].

وقال ليث[2] عن مجاهد[3]: روح منه. قال: رسول منه[4] يريد مجاهد قوله:

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ . . . ﴾[5].

= حافظاً، تقياً، فقيهاً، شاعراً، ثقة، مشهوراً، نقل عنه قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلَّا حفظته، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليَّ، له مراسيل صحيحة، مات رحمه الله سنة تسع ومائة ١٠٩هـ.

انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ــ ٦٩؛ وتقريبه ١/٣٨٧؛ والبداية والنهاية ٩/٢٣٠.

(١) بحثت عن هذا الأثر من طريق الشعبي في كتب التفسير بالمأثور: تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، والدر المنثور، وغيرها فلم أقف عليه، وإنما جاء بتفسير قتادة وسبق تخريجه.

(٢) هو ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم أحد العلماء والنساك، قال ابن حجر صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك. . . مات سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية. وقيل: سنة (١٤٣) هجرية.

انظر: تقريب التهذيب ٢/١٣٨ (٩)؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٦٥ ــ ٤٦٨؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٣/٤٢٠ (٦٩٩٧).

والخلاصة للخزرجي ص ٣٢٣.

(٣) سبقت ترجمة مجاهد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن ليث، عن مجاهد، في تفسير آية النساء: ١٧٣ في الجزء الثاني من تفسيره ورقة ٢٠٤، آخر الجزء، مخطوط بمكتبات جامعة الإمام، رقم الفيلم (٢٦٧٦).

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ــ ١٩.

والمعنى أن عيسى خلق من الروح وهو جبريل روح القدس، سمي روحاً كما سمي كلمة؛ لأنه خلق بالكلمة والنصارى يقولون في أمانتهم: تجسد من مريم ومن[1] روح القدس؛ لأنه كذلك[2] في الكتب المتقدمة، لكن ظنوا أن روح القدس هو صفة لله[3] وجعلوها حياته وقدرته وهو رب، وهذا غلط منهم فإنه لم يسم أحد من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئاً من صفاته روح القدس، بل روح القدس في غير موضع من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يراد بها ما ينزله الله على قلوب الأنبياء، كالوحي، والهدى، والتأييد ويراد بها الملك، وهكذا في تفسير ابن السائب[4] عن أبي صالح[5] عن ابن عباس: أن عيسى بن مريم استقبل رهطاً من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه وأمه، فلما سمع عيسى ذلك

---

(١) سقطت (ومن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (لأنه جاء كذلك).

(٣) في أ (الله).

(٤) محمد بن السائب الكلبي، الكوفي، المفسر، النسابة، الأخباري. كان سبئياً من أصحاب ابن سبأ، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال الدارقطني وجماعة: متروك وقال الجوزجاني وغيره: كذاب صنف كتاباً في تفسير القرآن وسئل الإمام أحمد هل يحل النظر في تفسيره؟ فقال: لا. وقال الذهبي لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به. مات سنة ١٤٦هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦؛ وتهذيب التهذيب ٩/١٧٨؛ والأعلام ٦/١٣٣.

(٥) أبو صالح: باذام، بالذال المعجمة، ويقال: باذان: مولى أم هانىء بنت أبي طالب. تابعي وهو ضعيف مدلس كما قال ابن حجر، وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.

انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٩٦؛ وتهذيب التهذيب ١/٤١٦؛ وتقريبه ١/٩٣ (٢).

قال: اللهم أنت ربي، وأنا من روحك خرجت، وبكلمتك خلقتني[1]، ولم آتهم من تلقاء نفسي[2]. وذكر تمام الحديث.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا... ﴾[4].

فهذا يوافق قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ... ﴾[5].

والمقصود هنا: أنهم سواء صدقوا محمداً أو كذبوه، فإنه يلزم بطلان دينهم على التقديرين، فإنه إن كان نبياً صادقاً، فقد بلغ عن الله

---

(١) في أ (خلقت).

(٢) هذه الطريق عن ابن عباس من أضعف الطرق؛ لأن الكلبي ضعيف ومتهم بالكذب وأبا صالح ضعيف مدلس، قال السيوطي في الاتقان ٢/٢٤٢ «وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب»، وقال في الدرالمنثور ٦/٤٢٣ «وقد مرض الكلبي مرة فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب».
قلت: ولم أجد من خرج هذه القصة وقد بحثت في التفاسير، وفي كتب النصارى وفي كتب الآثار وفي تفسير ابن عباس فلم أعثر عليها، والله أعلم.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

في هذا الكتاب كفر النصارى في غير موضع، ودعاهم إلى الإيمان به، وأمر بجهادهم، فمن علم أنه نبي ولو إلى طائفة معينة، يجب[١] تصديقه في كل ما أخبر به، وقد أخبر بكفر النصارى وضلالهم، وإذا[٢] ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول، بل يعلم من حيث الجملة أن كل ما يحتجون به على صحة دينهم فهو باطل، وإن لم يبين فساد حججهم على التفصيل؛ لأن الأنبياء لا يقولون إلا حقاً، كما أن المسيح ـ عليه السلام ـ لما حكم بكفر من كذبه من اليهود، كان كل ما يحتج به اليهود على خلاف ذلك باطلاً، فكل ما عارض قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٣] ـ المعصوم فهو باطل، وإن كذبوا محمداً[٤] تكذيباً عاماً مطلقاً وقالوا: ليس هو نبي أصلاً، ولا أرسل إلى أحد لا إلى العرب ولا إلى غيرهم بل كان كذاباً[٥]، امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره؛ فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد بطريق الأولى[٦]، فإذا قالوا: علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا. قيل لهم: معجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٧] ـ أعظم، وتواترها أبلغ، والكتاب الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكمل، وأمته أفضل، وشرائع دينه أحسن، وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل، وهو

---

(١) في ك، ط (فيجب).

(٢) في ك، ط (فإذا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك.

(٤) سقطت (محمداً) من أو فيها (وإن كذبوه).

(٥) في ك، ط (من الكذابين).

(٦) في ط (الأرض) بدل (الأولى) وهو خطأ واضح.

(٧) أضفنا جملة الدعاء من ط.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد جمع في شريعته بين[1] العدل والفضل.

فإن ساغ لقائل أن يقول: هو مع هذا كاذب مفتر، كان على هذا التقدير الباطل غيره أولى أن يقال فيه ذلك[2]. فيبطل بتكذيبهم محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جميع ما معهم من النبوات إذ[3] حكم أحد الشيئين حكم مثله، فكيف بما هو أولى منه؟ فلو قال قائل: إن هارون ويوشع[4] وداوود وسليمان كانوا أنبياء وموسى لم يكن نبياً. أو أن داوود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبياً. أو قال ما تقوله السامرة[5]: أن يوشع كان نبياً ومن بعده كداوود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء. أو قال ما يقوله اليهود: إن داوود وسليمان

(١) سقطت (بين) من أ، وفي س (به) وألحقناها من ك، ط.

(٢) سقطت (ذلك) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (إذا) وهو خطأ.

(٤) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف، ولد بمصر، وخرج مع موسى إلى البحر لما سار ببني إسرائيل، ومتفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإن السامرة لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلا يوشع، لأنه مصرح به في التوراة، ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم.
انظر البداية والنهاية ١/٣١٩؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ١/٥٣.

(٥) السامرة: طائفة من اليهود اختلفوا عن سائر اليهود بأنهم آمنوا بموسى، وهارون، ويوشع ـ عليه السلام ـ وأنكروا نبوة من بعدهم إلا نبياً واحداً يأتي من بعد موسى، وقد افترقوا في تعيينه، ولهم توراة غير التي بأيدي سائر اليهود (التوراة السامرية) ولهم زيادة تقشف عن باقي اليهود، وقبلتهم جبل يقال له (غريزيم)، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس، وتبعد ثمانية عشر ميلاً عن بيت المقدس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولغتهم غير لغة اليهود، قالوا والتوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السامرية.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢١٨؛ والفصل لابن حزم ١/٩٩؛ وتفسير ابن جرير ٢/٦٦؛ والقرطبي ٧/٢٨٥؛ وزاد المسير ٣/٢٦١.

وأشعيا[1] وحبقوق[2] ومليخا[3] وعاموص[4] ودانيال[5] كانوا أنبياء،

---

(١) في أ، س (وأشيعا)، وفي ط (وشيعا)، وصوابه ما أثبتناه من ك (أشعيا). حيث ورد في التوراة التي بين يدي القوم كذلك وفي التراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ١٧٢ أنه «أشعيا بن آموص»، ومعنى الاسم: (خلاص يهوه) أو خلاص الرب.
قال الدكتور صابر «ومع أن أشعيا من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لم يعرف عنه إلاَّ القليل من سيرته، وفي مقدمات أسفار هوشع، وعاموص، وميخا ما يدل على أن هؤلاء كانوا معاصرين لأشعيا. . .» إلخ ما ذكر حيث أفاض في الحديث عنه وعن سفره الذي اختلف فيه اليهود والنصارى.
وانظر الكتاب المقدس عندهم ص ٩٩٢ من العهد القديم، ورجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار (ط: دار الثقافة) ٢/٣٣٩.

(٢) حبقوق: معناه في التراث الإسرائيلي (المعانق) ويزعمون أنه كان كيعقوب يصارع الله بالصلاة، ويقرون أنه كان لاوياً، من سبط لاوي بن يعقوب. وله سفره المسمى باسمه ويتألف من ثلاثة إصحاحات.
انظر العهد القديم ص ١٣٢٩؛ والتراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ٢٤٩.

(٣) مليخا أو ملاخي. يذكر الدكتور صابر في التراث الإسرائيلي ص ٢٦٣ «أنه لا توجد دراسات حول ملاخي تفصح عن شخصيته، وسلسلة نسب آبائه، كذلك في كل كتابات العهد القديم لا يعثر على أثر يذكر من قريب أو بعيد، وملاخي لعلها اختصار لكلمة «ملاخيا» التي تعبر في العبرية عند شراح التراث عن ملاك الرب أو مرسل الرب.
وانظر سفره في العهد القديم ص ١٣٥٤، وله ترجمة في رجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٥٧١.

(٤) عاموص: أحد أنبياء بني إسرائيل، ولد كما في سفره في قرية (تقوع) الواقعة في جنوب (أورشليم)، كان راعياً للغنم كما ورد في سفره. ويذكر الدكتور طعيمه أن ظهوره كان في أيام الملك (يربعام الثاني) ملك إسرائيل. ويتكون سفر عاموص من تسعة إصحاحات.
انظر العهد القديم ص ١٣٠٣؛ والتراث الإسرائيلي ص ٢٢٨؛ ورجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٤٦٣.

(٥) دانيال: من سبط يهوذا، ويمتد نسبه إلى عائلة داوود بن يسي، ويعني اسمه في =

والمسيح بن مريم لم يكن نبياً، كان هـذا قولاً متنـاقضاً معلوم البـطلان، فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن أثبتوها له. ودلائل نبوة الأكمل أفضل[1] فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل أن زفر[2] وابن القاسم[3] والمزني[4]

= العبـرية (الله ديـاني أو قاضي)، عـاش عصر المحنـة الكبرى التي تعـرض لها شعب يهوذا وقد أسر في غزو بابل، وهو الذي فسر حلم ملك بابل عن التمثال العـظيم كما ورد في سفر دانيال.

انظر العهد القديم ص ١٢٦٠؛ والتراث الإسـرائيلي ص ٢١١ وورد شيء من إخباره في البداية والنهاية ٢/٤٠؛ ووردت ترجمته في رجال الكتاب المقـدس للياس مقـار ٢/٤٠٣.

(١) في أ، س (الأفضل أكمل) وما أثبتناه أولى بسياق الجملة.

(٢) في س (رقم) وهو خطأ.

وزفر هو ابن الهذيل بن قيس العنبـري من تميم. فقيه كبيـر من أصحاب أبـي حنيفـة ولي قضـاء البصرة، وهـو أحـد العشـرة الـذين دونـوا الكتب. وقـد جمـع بين العلم والعبادة مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٥٨هـ وكانت ولادته سنة ١١٠هـ.

انظر شذرات الذهب ١/٢٤٣؛ والعبر ١/٢٢٩؛ والانتقاء في فضائـل الثلاثـة الأئمة الفقهاء ص ١٧٣ ــ ١٧٤؛ والأعلام ٣/٤٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم المصري، ولد سنة ١٣٢هـ تفقه بالإمام مـالك، وصحبـه عشـرين سنة، وهـو صاحب المـدونة طبعت في ستـة عشر جـزءاً، رواها عن الإمـام مـالـك قـال في الانتقـاء روايتـه صحيحـة قليلة الخـطأ مـات بمصـر سنـة ١٩١هـ. ــ رحمه الله ــ.

انـظر: وفيـات الأعيـان ٣/١٢٩؛ وحسن المحـاضـرة ١/٣٠٣؛ والعبـر ١/٣٠٧ والانتقاء ص ٥٠ والأعلام ٣/٣٢٣.

(٤) هو إسماعيل بن يحيـى المزني، من مزينه قبيلة من مضر، صاحب الإمـام الشافعي، كان عالماً زاهداً مجتهداً محجاجاً. صنف كتباً كثيرة في مذهب الشافعي منها الجامع الكبير؛ والجامع الصغير ومختصر المختصر، وغيرها كانت ولادته سنة ١٧٥هـ ووفاته سنة ٢٦٤هـ. =

والأثرم[1] كانوا فقهاء، وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، لم يكونوا فقهاء، أو قال: إن الأخفش[2] وابن الأنباري[3] والمبرد[4] كانوا نحاة،

= انظر: وفيات الأعيان ١/٢١٧؛ وطبقات السبكي ٢/٩٣؛ والانتقاء ص ١١٠؛ والأعلام للزركلي ١/٣٢٩.

(١) هو أحمد بن محمد بن هانىء الطائي، أبو بكر الأثرم، من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وآخرين، له كتاب في علل الحديث، وآخر في السنن، وناسخ الحديث ومنسوخه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٦١هـ.

انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٠؛ وتاريخ بغداد ٥/١١٠؛ ومناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٦١٢؛ والأعلام للزركلي ١/٢٠٥.

(٢) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعده المجاشعي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط لقب به لصغر عينيه مع سوء بصرهما. نحوي من علماء البصرة، متكلم حاذق، صحب الخليل قبل صحبته لسيبويه، له تصانيف كثيرة في النحو وغيره، أضاف في العروض بحر الخبب توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢١٥هـ.

انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٧٤ ـ ٧٦؛ ومراتب النحويين ص ١١١؛ وبغية الوعاة ص ٤٣٦؛ وأنباه الرواة على أنباء النحاة ٢/٣٦.

(٣) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ولد في الأنبار سنة ٢٧١هـ، من أعلم أهل زمانه بالأدب، واللغة، كان حافظاً للشعر، والأخبار. كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد، وكان ثقة صدوقاً، له تصانيف في اللغة، وعلوم القرآن وغريب الحديث وغيرها توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد.
انظر: طبقات النحويين ص ١٧١؛ وأنباه الرواة ٣/٢٠١؛ والأعلام ٧/٢٢٦.

(٤) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر كما قال الزبيدي ولد سنة ٢١٠هـ. بالبصرة، وهو إمام في الأدب والعربية ببغداد في زمنه، له تصانيف منها الكامل، وإعراب القرآن، وغيرهما توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ.
انظر: طبقات النحويين ص ١٠٨ ـ ١٢٠؛ ومراتب النحويين ص ١٣٥؛ وأنباه الرواة ٣/٢٤١.

والخليل[1] وسيبويه[2] والفراء[3] لم يكونوا نحاة. أو قال: إن صاحب الملكي والمسيحي[4] ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء، وبقراط[5]

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن من فراهيد حي من الأزد باليمن ولد سنة ١٠٠هـ إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وشيخ سيبويه، كان شاعراً، وذكياً وورعاً زاهداً له تصانيف كثيرة منها (العين) في اللغة، ومعاني الحروف، والعروض، وغيرها. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٧٠هـ .
انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ٤٣ ـ ٤٧؛ ومراتب النحويين ص ٥٤ ـ ٧٢؛ وأنباه الرواة على أبناء النحاة ٣٤١/١؛ والأعلام ٣٦٣/٢.

(٢) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ومعنى سيبويه رائحة التفاح وهي كلمة فارسية، ولد سنة ١٤٨هـ إمام النحاة، واعلم الناس بالنحو بعد الخليل كما قال البغوي، ألف كتابه في النحو فكان فريداً في بابه توفي ـ رحمه الله ـ بالأهواز، وقيل بشيراز سنة ١٨٠هـ .
انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ١٠٦؛ وطبقات النحويين ص ٦٦ ـ ٧٤؛ وأنباه الرواة ٣٤٦/٢؛ والأعلام ٢٥٢/٥.

(٣) الفراء: يحيى بن زياد، الديلمي مولى بني أسد، أبو زكريا ولد سنة ١٤٤هـ ، لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام. إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو، واللغة، وفنون الأدب، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو، كان فقيهاً، متكلماً، يميل إلى الاعتزال، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة، توفي سنة ٢٠٧هـ . في طريق مكة.
انظر وفيات الأعيان ١٧٦/٦؛ وطبقات النحويين ص ١٤٣؛ ومراتب النحويين ص ١٣٩؛ والأعلام ١٤٥/٨.

(٤) صاحب الملكي لم أقف عليه، أما المسيحي فهكذا ورد في جميع النسخ، ولعل المقصود المسيحي بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة المشددة في آخره حاء مهملة واسمه عز الملك محمد بن عبد الله، أمير مؤرخ مات سنة ٤٢٠هـ ، كما في وفيات الأعيان ٣٧٧/٤ ولكنه يرد أشكال، وهو أن الشيخ ساقه في معرض الأطباء، وهذا مؤرخ فلا نستطيع الجزم به ولم أقف على غير هذا الاسم.

(٥) بقراط بن أبراقلس. فيلسوف مشهور من فلاسفة اليونان، وطبيب من أطبائهم له في الطب تآليف عديدة كما ذكر القفطي، كان في زمان أردشير من ملوك الفرس.
انظر ترجمته في أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٦٤.

وجالينوس[1] ونحوهما لم يكونوا أطباء. أو قال: إن كوشيار[2] والخرقي[3] ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة، وبطليموس[4] ونحوه لم يكن لهم[5] علم بالهيئة.

ومن قال: إن داوود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمد بن عبد الله لم يكن نبياً. فتناقضه أظهر، وفساد قوله أبين من هذا جميعه، بل وكذلك من قال: إن موسى وعيسى[6] رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله، ومحمد[7] ليس برسول، والقرآن

---

(١) جالينوس. حكيم فيلسوف، طبيب بارع، وعالم بالطبيعيات والهندسة، كان بعد المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو مائتي سنة، له تصانيف عديدة.
انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٥؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١٢١/١.

(٢) كوشيار بن لبان الجيلي، أبو الحسن، مهندس، من علماء الهيئة، صنف مجمل الأصول في أحكام النجوم؛ والزيج الجامع، أو البالغ في حساب الكواكب. توفي سنة ٣٥٠هـ.
انظر ذيل كشف الظنون ٩٦٨/٢؛ والأعلام للزركلي ٢٣٦/٥.

(٣) هو محمد بن أحمد الحنفي، الخرقي، نسبة إلى (خرق) من قرى مرو، فلكي رياضي، ولد سنة ٤٦٩هـ، وتوفي سنة ٥٣٣هـ، من آثاره: التبصرة في الهيئة، الرسالة الشاملة في الحساب، ومنتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك.
انظر كشف الظنون ص ٣٣٨؛ وهدية العارفين ٨٨/٢؛ ومعجم المؤلفين ٢٣٨/٨.

(٤) بطليموس القلوذي. صاحب كتاب المجسطي وغيره، إمام في الرياضة، وعالم في النجوم، وقد شرح كتابه «المجسطي» جماعة من علماء الفلك وكلهم عالة على بطليموس وأول من عني بكتابه وترجمه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك.
انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٧؛ وتاريخ الحكماء ص ٩٥؛ وتاريخ ابن الوردي ١٢١/١. وذكر فيه أنه كان في زمان الروم هو وجالينوس.

(٥) في س، ك، ط (له).

(٦) في أ، س (عيسى وموسى).

(٧) في ك، ط (ومحمداً) وكلا الأمرين له وجه.

لم ينزل من الله، فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وما جاء به من قبله، وتدبر كتابه والكتب التي قبله، وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضع[1]. لكن المقصود هنا: التنبيه على مجامع جوابهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضاً على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.

وأيضاً فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم، فكذلك تعلم نبوة محمد[2] بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحد من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمة مما جاء به.



(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في الجزء الثالث من هذا الكتاب.
(٢) سقطت (محمد) من ط.

فـصـل(1)

الـردّ عـلـى النّصـارى في زعـمـهـم أن محمّـداً ـ صـلى الله عليه وسلم ـ لم يُبَشَّـر بـه

ومما ينبغي أن(2) يعلم: أن كثيراً من النصارى إنما يعتمدون في النبوات على بشارة الأنبياء بمن يأتي بعدهم، فيقولون: المسيح ـ عليه السلام ـ بشرت به الأنبياء قبله، بخلاف محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنه لم يبشر به نبي، وجواب هؤلاء من وجهين:

أحدهما: أن يقال: بل البشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب المتقدمة أعظم من البشارة بالمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ(3)، وكما أن اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على أنه ليس هو عيسى بن مريم بل هو آخر ينتظرونه، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود، ويخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان(4) ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر

(1) سقطت كلمة (فصل) من أ، وأثبتناه من س، ك، ط .

(2) سقطت (ينبغي أن) من س.

(3) في ك، ط (عليه السلام).

(4) روى مسلم في صحيحه عن أنس: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة». رواه مسلم في كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال ٤/٢٢٦٦ (٢٩٤٤)، ورواه أحمد بنحوه في مسند أنس ٣/٢٢٤ ، وروى ابن ماجه من حديث أبي إمامة الباهلي يرفعه «أن مع الدجال سبعين ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى، وساج» ٢/١٣٦١ ، والطيالسة جمع طيلسان: أعجمي معرب أصله تالسان، والطيلسان الأسود.
انظر: القاموس ٢/٢٢٦ فصل الطاء باب السين، وجاء في المصباح المنير ٢/٥١٣ «والطيلسان من لباس العجم». اهـ .

والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله[1]. كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وثبت أيضاً في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل مسيح الهدى عيسى بن مريم مسيح الضلالة الأعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لد»[2]؛ ليتبين

---

(١) روى البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود ٣/٢٣٢، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله». وروى من حديث أبي هريرة يرفعه بلفظ يا مسلم... إلخ، وروى مسلم من حديث ابن عمر بأسانيد متعددة في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل... إلخ ٤/٢٢٣٨.

انظر: سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال ٤/٥٠٨؛ وابن ماجه، في الفتن ٢/١٣٦٢؛ ومسند أحمد ٢/٦٧، ١٣١.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ٣/١٠٧؛ وفي كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ. ونصه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» الحديث. ورواه مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/١٣٥؛ والترمذي في الفتن ٤/٥٠٦؛ وأبو داود في الملاحم ٤/٤٩٨، حديث رقم (٤٣٢٤)؛ وابن ماجه في الفتن ٢/١٣٦٣؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٦٨؛ وأحمد ٢/٢٤٠. وليس في هذه الأحاديث ذكر نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، ولا ذكر قتله عند باب اللد. ولكن هذه الجملة وردت في أحاديث أخرى فقد وردت في الحديث الطويل الذي فيه خروج الدجال، رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته ٤/٢٢٥٣ (٢١٣٧)؛ ورواه ابن ماجه في الفتن ٢/١٣٥٧ (٤٠٧٥). =

للناس أن البشر لا يكون إلّهاً، فيقتل من ادعى فيه أنه الله وهو بريء مما ادعى فيه لمن ادعى في نفسه أنه الله وهو دجال كذاب، فهكذا البشارات بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الكتب المتقدمة، وقد يتأولها بعض أهل الكتاب على غير تأويلها، كما قد بسط في موضع آخر، فإن بسط الكلام في ذكر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب له موضع آخر[1].

الجواب الثاني: أن يقال: ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه، كما أن موسى كان رسولاً إلى فرعون، ولم يتقدم لفرعون به بشارة، وكذلك الخليل ــ عليه السلام ــ أرسل إلى نمرود[2]، ولم يتقدم به بشارة نبي إليه، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم هؤلاء[3] بشارة إلى قومهم بهم[4] مع كونهم أنبياء صادقين؛ فإن دلائل نبوة النبي لا تنحصر في أخبار من تقدمه، بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات كما قد بسط في موضع آخر[5]، وهؤلاء النصارى إنما مستند دينهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك هو السمع وهو دعواهم أن الكتب الإلّهية جاءت بذلك، ليس مستندهم فيه العقل، فإذا تبين أنهم مع تكذيبهم بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يمتنع أن

= وانظر رياض الصالحين، كتاب المنثورات والملح ص ٧٩٥.

(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في نهاية الجزء الثالث ويستمر في حديثه عن هذه المسألة إلى بداية الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ك، ط (لم يتقدم بواحد من هؤلاء).

(٤) في س (فيهم) بدل (بهم).

(٥) سيتحدث المؤلف ــ رحمه الله ــ بالتفصيل عن هذه المسألة في كتابه هذا الجواب الصحيح في الجزء الرابع.

تثبت نبوة غيره امتنع استدلالهم بالسمعيات، وأما العقليات فإن تشبثوا ببعضها فهم معترفون بأن حجتهم فيها ضعيفة، وأنها على نقيض مذهبهم أدل منها على مذهبهم، وسنبين ـ إن شاء الله تعالى[1] ـ أن لا حجة لهم في سمع ولا عقل، بل ذلك كله حجة عليهم.

وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيلٌ باطل غير مطابق؛ لأن الإقرار بالوفاء إقرار بسقوط الدين ولا مناقضة بين ثبوت الدين أولاً وسقوطه آخراً بالوفاء، بل أمكن مع هذا دعواه، وأما من يذكر أنه رسول الله فلا يمكن أن يقر بأنه رسول الله في بعض ما أنبأ به عن الله دون بعض، ولا يمكن اتباع بعض كتابه الذي ذكر أنه منزل من عند الله دون بعض، فإنه إن كان صادقاً في قوله: إنه رسول الله، كان معصوماً في ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطأ، ووجب اتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر أنه جاء به من الله، وإن كان كاذباً في كلمة واحدة مما أخبر به عن الله، فهو من الكاذبين المفترين، فلا يجوز أن يحتج بشيء من دينهم ولا دين غيرهم بمجرد إخباره عن الله، بل ولا بمجرد خبره وقوله[2] وإن لم يذكر أنه خبر عن الله، كما لا يجوز مثل ذلك في سائر من عرف أنه كاذب في قوله: إني رسول الله، كمسيلمة الحنفي، والأسود[3] العنسي، وطليحة الأسدي[4]، والحارث الدمشقي[5]، وبابا

(١) سقطت (تعالى) من ك، ط.
(٢) في أ (أنه)، وصححناه من س، ط.
(٣) سقطت الواو من ط.
(٤) سبقت ترجمة الأسود، وطليحة، ومسيلمة.
(٥) هو الحارث بن سعيد. متنبّىء كذاب من أهل دمشق، وله أتباع يعرفون بالحارثية. كان مولى لأحد القرشيين، ونشأ متعبداً زاهداً ثم ادَّعى النبوة، ثم لبس على الناس =

الرومي[1] وأمثالهم من الكذابين.

والواحد من المسلمين، وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسيان والخطأ، بل والرسول أيضاً وإن لم يكن يؤاخذ[2] بالنسيان والخطأ في غير ما يبلغه عن الله عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين، لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ، فإنه لو جاز[3] أن يبلغ عن الله ما لم يقله[4] ويستقر ذلك ويأخذه الناس عنه معتقدين أن الله قاله ــ ولم يقله الله ــ كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسولاً لله في ذلك، بل كان كاذباً في ذلك وإن لم يتعمده[5]، وإذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في ذلك، كان قد صدق من قال على الله غير الحق، ومن تقول عليه ما لم يقله، وإن لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا أن يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه أو أن يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه مع أن الأمر ليس كذلك، ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأ، وهذا مما اتفق عليه جميع الناس[6] من المسلمين واليهود والنصارى

= بما يظهر لهم من أوهام وضلالات. ذكر المؤرخون منها أنه يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، ويطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء وغير ذلك من الأوهام حتى تبعه خلق كثير فتنوا به ووصل خبره إلى عبد الملك بن مروان لكنه لم يدركه حيث اختفى في بيت المقدس فأرسل من احتال عليه حتى أتى به فصلبه وقتله.

انظر: ميزان الاعتدال ١/٤٣٤ (١٦٢١)؛ والأعلام للزركلي ٢/١٥٥. وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ «وقد حكى جملاً كثيرة من مخاريقه وأباطيله».

(١) بابا الرومي. لم أقف له على ترجمة.

(٢) في س، ط (مؤاخذاً).

(٣) سقطت (لو) من س.

(٤) في س، ك (يقله الله).

(٥) في ط (يعتمده).

(٦) سقطت (جميع الناس) من س.

وغيرهم لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقر في خبره عن الله خطأ، وإنما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبيِّنه، فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر «تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتها لترتجى»[1]، هذا فيه قولان للناس: منهم من

---

(١) رواها ابن جرير في التفسير ١٣١/١٧، مجلد (٧)، ط دار الفكر. تفسير آيات سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٤ من طرق متعددة ولكنها كلها مرسلة، ورواها في التاريخ ٣٣٨/٢، ورواها ابن سعد في الطبقات ٢٠٥/١؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٥٩/٢ باب الهجرة الأولى إلى الحبشة... إلخ، وقد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. لكنها كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة».
تفسير ابن كثير ٢٢٩/٣ عند آية ٥٢: من سورة الحج. وقد عزاها ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وابن جرير، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، والبغوي في تفسيره وقال الإمام الشوكاني في تفسيره ٦٦٣/٣ بعد سياق الروايات: (والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها). أما الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ فقد ساق الروايات في فتح الباري ٣٣٣/٨ تفسير سورة الحج، ونقل أقوال العلماء الذين أنكروها ثم تعقبهم بقوله: «... فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لايحتج به، لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان... فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته... وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً... وقيل: لعله قالها توبيخاً للكفار... ثم ذكر غير ذلك في كلام طويل فانظره، وانظر القصة في السيرة النبوية للذهبي ص ١١٢؛ وعيون الأثر ١٢١/١؛ =

يمنع[1] ذلـك أيضاً وطعن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم.

ومن جـوز ذلك قـال: إذا حصل البيـان ونسـخ مـا ألقى الشيـطان لم يكن في ذلك محذور، وكان ذلك دليلاً على صدقـه وأمانتـه وديانتـه، وأنه غير متبع هواه ولا مصر على غير الحق، كفعل طالب الرياسة المصر على خطئه.

وإذا كان نسخ ما جزم[2] بأن الله أنزله لا محذور فيـه، فنسخ مثـل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور، واستدل على ذلك بقوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[3].

= وشرح المواهب اللدنية ١/ ٢٨٠ ــ ٢٨٦ وغيرهـا، ولعل القـول بعدم صحـة القصة أقرب إلى الصواب، وأما إذا كان للمسألة أصل كما ذكر الحافظ ابن حجر فإني أجزم بأن ذلك من الشيطان حيث أوقع في مسامع القوم ذلك فتوهموا أنه صدر من الرسول ــ عليـه الصـلاة والسـلام ــ وهـذا هـو الـلائق بـرسـولنـا ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى والله ــ تعالى ــ أعلم.

الغرنيق: بضم الغين المعجمة، وفتح النون طائر من طير الماء الـطويل العنق، كمـا قال في مختار الصحاح ص ٤٧٢.

(١) في س، ط (منع).

(٢) في س زيادة لفظ الجلالة بعد (جزم)، فالعبارة كذا (ما جزم الله بأن الله).

(٣) سورة الحج: الآيات ٥٢ ــ ٥٤.

وعلى كل قول فالناس متفقون على أن من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله: لم يكن ما يبلغه عنه إلَّا حقاً. وإلَّا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من ليس بصادق، وبطلان مدلول الأدلة اليقينية ممتنع.

والصدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو أن يكون خبره عن الله مطابقاً لمخبره[1]، لا يخالفه عمداً ولا خطأ، ولو قال قائل: أنا لا[2] أسمي الخطأ كذباً، أو قال: إن المخطىء لا إثم عليه في خطئه[3].

قيل له: هذا لا ينفع هنا؛ فإن الآيات دلت على أن الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته والله لا يرسل من يعلم أنه يخبر عنه بخلاف ما قال له، كما لا يجوز إرسال من يتعمَّد عليه الكذب، بل الواحد من الناس لا يرسل من يعلم أنه يبلغ خلاف ما أرسله به، ولو علم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك، لكان جاهلاً سفيهاً، ليس بعليم حكيم، فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين؟

وأيضاً: فإن الآيات والبراهين دلت على صدقه في كل ما يبلغه عن الله، وأن الله مصدقه في كل ما يبلغه عنه، فيمتنع أن لا يكون صادقاً في شيء من ذلك، ويمتنع أن يصدق الله في كل ذلك من لا يصدق في كل ذلك، فإن تصديق من لا يصدق كذب، والكذب ممتنع على الله.

وإذا تبيَّن أن من ذكر أنه رسول الله إما أن يكون رسولاً صادقاً في

---

(١) في س (لخبره).

(٢) في أ، س (ألا)، وصححناه من ط (أنا لا).

(٣) في ط (خطابه).

جميع ما يبلغه فيمتنع مع هذا تناقض أخباره؛ لأنها كلها صادقة، وإما أن يكون غير صادق ولو في كلمة فلا يكون رسولاً لله، فلا يحتج بشيء مما يخبر به عن الله كان تمثيل من ذكر أنه رسول الله بالمقر باستيفاء وثيقته تمثيلاً باطلاً؛ فإن صاحب الوثيقة الذي أقر بوفائها بعد، كانت له حجة ثم استوفاها.

ومن ذكر أنه رسول الله إما صادق، وإما كاذب، وعلى التقديرين لا يجوز أن يحتج ببعض كلامه دون بعض[1]، وإذا قال القائل: مقصودي أبين[2] أنه متناقض، وأن نفس كلامه يبين أنه لم يرسل إلينا، وأن ديننا حق، كما أن نفس كلام الذي كان له الحق هو المقر بالوفاء، قيل: إن كان كلامه متناقضاً فليس برسول، وحينئذٍ فلا يجوز لك[3] أن تحتج بشيء مما بلغه عن الله، بخلاف المقر بالوفاء، فإن إقراره مقبول على نفسه، فإنه شاهد على نفسه بالوفاء وإقرار المقر على نفسه[4]، وشهادته على نفسه مقبولة، ولو كان كافراً وفاسقاً، بخلاف شهادته وخبره عن الله[5].

فمن شبه إقرار المقر على نفسه بقول الذي يقول: إنه رسول الله، دل ذلك على غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل. فإن[6] إقرار المقر

---

(١) سقطت الواو من س.

(٢) في ط (أن أبين).

(٣) في أ (ذلك)، وصححناه من سائر النسخ.

(٤) سقطت جملة (بالوفاء وإقرار المقر على نفسه) من ط، وهي في سائر النسخ.

(٥) في س، ط جملة زائدة هذا نصها «بخلاف شهادته على الله أن الله أرسله إذا كذب في كلمة واحدة لم يكن الله أرسله فلا يقبل شيء من شهادته وخبره عن الله».

(٦) سقط من النسخة ك بعد تنبيه الناسخ على سقوطه النص من قوله: «وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيل والتمثيل» ص ١١١ في =

على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب، ليس هو مثل شهادة الإنسان على غيره. فإن شهادته على غيره لا تقبل إذا كان معروفاً بالكذب، فكيف بمن شهد على الله بأن الله أرسله؟ فالمقر على نفسه يمكن قبول إقراره على نفسه ولا يقبل دعواه على غيره، وكذلك الشاهد قد تقبل شهادته فيما ليس هو خصماً فيه، ولا تقبل شهادته بما ادعاه.

وأما من يقول: إنه رسول الله، فلا يمكن أن يصدق في بعض ما يخبر به عن الله ويكذب في بعض، بل إن كان كاذباً في كلمة واحدة، فليس هو رسولاً لله، فلا يحتج بكلامه، وإن قدر أن الكلام في نفسه صدق لكن نسبته إلى الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقاً فيه إذا كذب في كلمة واحدة؛ لأن الله لا يرسل كاذباً.

وإن لم يكن كاذباً في كلمة واحدة وجب تصديقه في كل ما يخبر به، فلا يمكن تصديقه في بعض ما يخبر به عن الله دون بعض، بخلاف المقر والشاهد.

وإن كان المقصود: بيان تناقضه، كان هذا احتجاجاً على أنه ليس برسول، فلا ينفعهم ذلك، مع أنه تبين أنه ليس بمتناقض.

وإن كان المقصود: إلزام المسلمين به، فقد بيّنا أنه لا يلزمهم[1] من وجوه متعددة، فهذا بيان أنهم[2] لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من كلام محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ سواء صدقوه أو كذبوه.

= المخطوطة إلى قوله: «فإن إقرار المقر على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب» ص ١١٤ من نفس المخطوطة ولا توجد الصحيفتان ص ١١٢، ١١٣ في نفس النسخة.

(١) في ك، ط (يلزمه).

(٢) في ط (أنه).

ثم يقال لهم ثانياً: في[1] الجواب عن التمثيل بالوثيقة: إن الإقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحق، وأما القرآن الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2]، فليس في إخباره بأنه أرسل إلى قريش، ثم إلى العرب، ما يناقض إخباره بأنه أرسل إلى جميع الناس: أهل[3] الكتاب، وغيرهم.

كما أنه ليس في إخباره أنه أرسل إلى بني إسرائيل ومخاطبة[4] الله لهم بقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيْلَ﴾ ما يمنعه[5] أن يكون مرسلاً إلى اليهود من غير بني إسرائيل وإلى النصارى والمشركين، وهو[6] لم يقل قط: إني[7] لم أرسل إلاَّ إلى العرب، ولا قال ما يدل على هذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال: إنه مرسل إلى جميع الجن والإنس، إلى أهل الكتاب وغيرهم، ولو قدر أنه قال: إنه لم يرسل إلاَّ إلى العرب، ثم قال: إني أرسلت إلى أهل الكتاب، لكان قد أرسل إلى أهل الكتاب بعد إرساله إلى العرب، كما قال:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ . . .﴾[8].

---

(١) في ك، ط (فالجواب).

(٢) في س جاءت الجملة هكذا (وأما محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٣) في أ (وأهل) والواو زائدة لا مكان لها.

(٤) في س (ويخاطبه).

(٥) في س، ك، ط (ما يمنع)، وقد ورد هذا الخطاب في سورة البقرة: الآيات ٤٠، ٤٧، ١٢٢، وسورة طه: الآية ٨٠.

(٦) في س (ولم يقل قط)، وفي ك، ط (وهو أنه لم يقل قط).

(٧) في س (أن) بدل (أني).

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

وقال أيضاً:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ...﴾[1].

ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين[2] نفي تحريمها في الزمن الأول، وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة.

ولكن يظهر[3] الدين إذا أوجب شيئاً ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة بين يدي النجوى[4]، ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ، كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار[5] بالدين.



(١) سورة النحل: الآية ١١٥.

(٢) في س (من) بدل (بين).

(٣) في ك، ط (نظير).

(٤) قال المفسرون في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾ [الآية ١٢ من سورة المجادلة]. قال المفسرون: نهوا عن مناجاة رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلّا علي ـ رضي الله عنه ـ قدم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة في ذلك، ونسخت لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾ [الآية ١٣ من سورة المجادلة].
انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨؛ والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص ٢٩٨ ـ ٣٠١، (هامش الكتاب السابق (ط عالم الكتب، بيروت)؛ ولباب النقول للسيوطي ص ٢٠٧؛ وسنن الترمذي كتاب التفسير ٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧ (٣٣٠٠)، وقد روى القصة عن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وحسنها مع الغرابة والله أعلم.

(٥) في س (بالإقراب) وهو خطأ.

فـصـل

إبطال استدلال النَّصارى على صحَّة دِينهم بما جاء عن الأنبياء السَّابِقِينَ .

وقد ذكرنا[1] أنه لا يجوز أن يحتجوا بشيء من القرآن، وما نقل عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ إلَّا مع التصديق برسالته، وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرار بنبوة غيره، ولا الاحتجاج بشيء من كلام الأنبياء، فتكذيبهم يستلزم تكذيبهم بغيره، فإذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته، وذلك يستلزم بطلان دينهم، فكان صحة دليلهم يستلزم بطلان المدلول وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل؛ فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه، وإذا تحقق الملزوم تحقق اللازم[3]، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، فإذا ثبت[4] الدليل ثبت المدلول عليه، وإذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل؛ فإن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح.

فإن كان محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رسول الله لزم بطلان دينهم، وإذا بطل دينهم لم يجز أن يقوم دليل صحيح على صحته، وإن[5] لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله فثبت أن استدلالهم بقوله باطل على التقديرين.

---

(١) في ط (ذكر).
(٢) في أ (صلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم).
(٣) في س (الملازم).
(٤) في س (صح).
(٥) في ك، ط (وإذا).

ونحن نـذكر هنـا: أنه لا يجـوز استدلالهم بقـول أحد من الأنبيـاء أو الـرسل على صحـة دينهم، وأيضاً فـإن الذين احتجـوا بقـولهم: مثـل موسى وداود والمسيح وغيرهم، إما أن يكـونوا عـرفوا أنهم أنبيـاء بدليـل على نبوتهم، كالاستـدلال بآيـاتهم وبراهينهم التي تسمى بـالمعجزات، وإمـا أن يكونـوا قد اعتقـدوا ذلك بـلا علم ولا دليـل، وإمـا أن يكـونـوا احتجـوا بذلـك على المسلمين؛ لإنهم يسلمون نبـوة[1] هؤلاء وعلى كل تقدير لا يصح استدلالهم بقولهم.

أمـا على[2] الأول؛ فلأنـه: أي طريق ثبتت بها[3] نبـوة واحـد من هؤلاء الأنبيـاء ــ عليهم السلام ــ ، فـإنـه تثبت نبـوة محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بمثلها وأعظم منها، وحينئذ فإن لم يقروا بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع أن كل دليل يدل على نبوة موسى وداود وعيسى وغيـرهم، يـدل على نبـوة محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، لـزم أن يكونوا قـد نقضوا دليلهم فجعلوه قـائماً مـع انتفاء مـدلولـه، وإذا انتقض الدليل بطلت دلالته، فإنه إنما يدل إذا كان مستلزماً للمدلول.

فإذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لا يوجد، لم يكن مستلزماً له فلا يكون دليلاً؛ فإن من جعل المعجزات دليـلاً على نبوة نبـي، وقـال: المعجـزة هي الفعل الخـارق للعادة، المقـرون بـالتحـدي، السـالم من المعارضة، ونحو ذلك مما يذكر في هذا المقـام وجعلوا ذلك دليـلاً على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

قيل له: إن كان هذا دليلاً، فهو دليل على نبوة محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، وإن لم يكن دليـلاً لم يكن دليـلاً على نبـوة مـوسى

(١) في ط (بنبوة).
(٢) سقطت (على) من أ، وزدناها من سائر النسخ.
(٣) في ك (ثبت بها) وفي ط (ثبت به)، وما أثبتناه من أ، س.

وعيسى؛ فإنه قد ثبت عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره، ونقل معجزاته متواتر أعظم من نقل معجزات عيسى وغيره، فيمتنع التصديق بآياته مع التكذيب بآيات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وإن قالوا معجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم تتواتر[١] عندنا. قيل: ليس من شرط التواتر أن يتواتر[٢] عند طائفة معينة، بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم لم يتواتر عندنا معجزات[٣] موسى والمسيح ـ عليهما السلام ـ ، وإنما تتواتر أخبار كل إنسان[٤] عند من رأى المشاهدين له أو رأى من رآهم وهلم جراً.

ومعلوم: أن أصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذين رأوه ونقلوا معجزاته أضعاف أصحاب المسيح ـ عليه السلام ـ ، والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح ـ عليه السلام ـ التصديق بمعجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح.

وإن قالوا عرفت نبوة المسيح ببشارات الأنبياء قبله. قيل: وفي الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل ما فيها من البشارات بالمسيح وأكثر كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى[٥].

---

(١) في ط (تتوافر).
(٢) في ط (تتواتر) بالمثناة الفوقية.
(٣) سقطت (معجزات) من أ، وزدناها من سائر النسخ.
(٤) في هامش ك، ط (عند كل من).
(٥) سقطت جملة (كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

وإن تأولوا[1] تلك البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بما يمنع دلالتها. قيل لهم: واليهود يتأولون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح.

فإذا قالوا: تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة، بين لهم أن هذه باطلة أيضاً بمثل تلك الوجوه وأقوى. فما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح، إلَّا ودلالته على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ أقوى وأكثر فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ، ومن الطعن في نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الطعن في نبوة موسى والمسيح.

وإن قالوا: إن المسيح إله. قيل لهم: ثبوت كونه إلهاً ـ لو كان ممكناً ـ أبعد من ثبوت كونه رسولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وذلك أنه ليس معهم ما يدل على إلهيته إلَّا ما ينقلونه من أقوال الأنبياء، أو الخوارق، والخوارق لا تدل على الإلهية فإن الأنبياء ما زالوا يأتون بالآيات الخارقة للعادة ولم تدل على إلهية أحد منهم.

وأما أقوال الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فلا ريب أن دلالتها على رسالته ورسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أظهر من دلالتها على إلهية المسيح، فيمتنع الاحتجاج بها على إلهية المسيح دون رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ ورسالة المسيح، ومتى ثبت أن

---

(١) في س (قاولوا) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٤) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

محمداً رسول الله بطلت[1] إلٓهية المسيح، فإنه كفر من قال: إنه الله أو ابن الله بل وكذلك متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه إلٓهاً، فإن كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض.

إبطال دعوى النصارى إلٓهيَّة المسيح ـ عليه السلام

وقولهم: إنه إلٓه بلاهوته، ورسول بناسوته، كلام باطل من وجوه:

منها: أن الذي كان يكلم الناس، إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله، بطل كونه[2] رسول الله، وإن كان[3] رسول الله، بطل كونه[4] هو الله.

ولهذا لما كان الذي كلم موسى ـ عليه السلام ـ من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بأنه رسول الله، وهذا وارد بأي وجه فسروا الاتحاد؛ فإنه من المعلوم أن الناس كانوا يسمعون من المسيح كلاماً بصوته المعروف، وصوته لم يختلف[5] ولا حاله عند الكلام تغيرت، كما يختلف الإنسان وحاله عند الكلام إذا حل[6] فيه الجني، وإذا فارقه الجني، فإن الجني إذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس، بل[7] اختلف حال المصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه وغاب عقله بحيث

(١) في ط (يطلب).
(٢) في س، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين، وقد صححت في هامش ك.
(٣) في ط (وإن كان هو رسول الله).
(٤) في س، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين، وقد صححت في هامش ك.
(٥) في ط (لم يختلف عليهم).
(٦) في ط (دخل).
(٧) جملة (ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس بل) ساقطة من س وهي في سائر النسخ.

يـظهر ذلـك للحاضـرين واختلف صوتـه ونغمته، فكيف بمن يكـون رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه؟.

فإنه لا بد أن يكون بين كلامه وصوته وكـلام سائـر البشر وصـوتهم من الفـرق أعظم من الفـرق الـذي بين المصـروع وغيـر المصـروع بمـا لا نسبة بينهما.

يبين هـذا: أن موسى لمـا سمع كـلامه سمـع صوتـاً خارقـاً للعادة مخـالفاً لمـا يعهد من الأصـوات، ورأى من الآيات الخـارقة والعجـائب مـا يبين أن ذلك الـذي سمعـه[1] لا يقـدر على التكلم بـه إلَّا الله، وأمـا المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته مع[2] طول عمره، وكلام سائر الناس فرق يدل على أنه نبـي فضلاً عن أن يـدل على أنه إلّـه، وإنما علم أنـه نبـي بأدلة منفصلة ولم يكن حـاله يختلف مـع أنهم يقولـون: أن الاتحاد ملازم له من حين خلق نـاسوتـه في بطن أمـه مريم وإلى الأبـد لا يفارق اللاهوت لذلك الناسوت أبـداً وحينئذ فمن المعلوم أن خـطابه للنـاس إن كان خطاب رب العـالمين لم يكن هو رسـوله، وإن كـان خطاب رسـوله لم يكن ذلك صوت رب العالمين.

الوجه الثاني: أن[3] خطابه خطاب رسـول ونبـي، كما ثبت ذلـك عنه في عامة المواضع[4].

---

(١) في ط (نسمعه).

(٢) سقطت (مع) من س، ك، ط.

(٣) في أ (أنه) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) النصوص في أناجيلهم التي تصرح بذلـك كثيرة انـظر على سبيل المثـال إنجيل متى إصحاح ١٥/ فقرة ٢٤، وإنجيل برنابا ص ٥٣/ الفصل ١٥، تحقيق سيف الله أحمد فـاضل (ط. ــ دار القلم الكـويت). وأعمال الـرسل إصحـاح ١٠/ فقرة ٣٧، وقـد تحـدث الدكتـور محمد مجـدي مرجـان في كتابـه المسيح إنسـان أم إلّـه «عن هـذه =

الثـالـث: أن مصير الشيئين شيئـاً واحداً مـع بقائهمـا على حالهمـا بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مـع الاتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مـع الخمر واللبن، فـإنهما إذا صـار شيئاً واحداً، استحالا واختلطا.

الرابع: أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئاً واحداً، فيكون الإلّه هو الرسول والرسول هو الإلّه؛ إذ هذا هو هذا، وإن كان الإلّه غير الرسول، فهمـا شيئان ومهمـا مثلوا به قـولهم كتشبيههم ذلـك بـالنـار في الحـديـد والروح في البدن، فإنه يـدل على فساد قـولهم، فإن الحـديد متى طـرق أو وضـع في الماء، كـان ذلـك مصيبـاً للنـار، وكـذلـك البـدن إذا جـاع أو صلب وتـألم، كـان ذلــك الألـم مصيبـاً للروح، فيلزم أن يكــون رب العالمين قد أصابه ألـم الجوع والعطش، وكذلك الضـرب والصلب على قـولهم وهذا شـر من قول اليهـود: أنـه فقيـر وأنـه بخيـل[1]، وأنـه مسـه اللغوب[2].



= القضيـة وأبطل دعـواهم الإلّهية في عيسى ــ عليـه السلام ــ ويقـع هذا الكتـاب في مائتين وإحدى وثلاثين صفحة من القطع الصغير (نشر دار النهضة العربية بالقاهـرة)، كذلك ألف الغزالي كتاباً بعنوان الرد الجميل لإلّهية عيسى بصريـح الإنجيل، حققـه الدكتور محمد الشرقاوي (نشر دار أمية، الرياض) انظر: ص ١٤٧، ص ١٧١. وانظر: كتاب مقامع هامات الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي بتحقيق د. محمد شـامة ص ٢١٦.

(١) في ط (إنه بخيل).

(٢) قـول اليهود بـأن الله فقير، ونسبـة اللغوب أي التعب إلى الله بعـد خلق الخلق نزلت بسببه آيات من سورة آل عمران: الآية ١٨١: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوْا إِنَّ اللَّهَ فَقِيْرٌ...﴾ الآية. وقـوله ــ تعـالى ــ في سورة ق: الآيـة ٣٨: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوْبٍ﴾. وانـظر: في أسباب النزول لبـاب النقول للسيـوطي ص ٥٥، ص ٢٠٥ (طبعة الحلبـي ــ الـطبعة الثانية)، وأسباب النزول للواحدي ص ٩٨، ص ٢٩٧.

فصل

وإن كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين. قيل لهم:

أولاً: هذه حجة جدلية، فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر، مع أن دلالة الصدق فيهما واحدة، بل هي في الذي كذبتموه أظهر؟ فإن كانت حقاً لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم. وإن كانت باطلة، بطل استدلالكم بها على دينكم، فثبت أنهم مع تكذيب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا يستقيم لهم الاستدلال بكلام أحد من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ.

وقيل لهم ثانياً: المسلمون إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بما دلهم على صدق محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فإن لم يكن محمد صادقاً لم يعرفوا صدق هؤلاء فيبطل دليلكم، وإن كان صادقاً بطل دين النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير.

وقيل لهم ثالثاً: المسلمون لم يصدقوا نبوة أحد من هؤلاء إلَّا مع نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وإن قيل أنهم عرفوا ذلك بطريق آخر، فإن الدليل الذي يدل على صدق واحد منهم يدل على صدق محمد بطريق الأولى، فلا يمكنهم تصديق نبيٍّ[1] مع تكذيب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم:

(١) في أ (موسى) وفي ط (شى).

وقيل لهم رابعاً: هم إنما يصدقون موسى[1] وعيسى اللذين بشرا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن كانا قد بشرا به[2] فثبتت[3] نبوته، وإن لم يكونا بشرا به، فهم لا يؤمنون إلَّا بالمبشرين به، وبالتوراة والإنجيل اللذين[4] هو مكتوب فيهما.

فإن قدر عدم ذلك فهم لا يسلمون وجود موسى وعيسى وتوراة وإنجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلَّى الله عليه وسلَّم.

وإن قالوا: نحن صدقنا هؤلاء الأنبياء بلا علم لنا بصدقهم وطريق يدل على صدقهم؛ لأن هذا دين آبائنا وجدناهم يعظمون هؤلاء ويقولون هم أنبياء، فاتبعنا آباءنا في ذلك من غير علم، وهذا هو الواقع من أكثرهم. قيل: فإذا كان هذا قولكم في الأنبياء وفيما شهدوا به ـ إن كانوا شهدوا ـ فيلزم أن لا يكونوا عالمين به، بل متبعين فيه لآبائهم بغير علم بطريق الأولى، وبهذا يحصل المقصود، وهو أن ما أنتم عليه من اعتقاد دين النصرانية لا علم لكم ولا دليل لكم على صحته، بل أنتم فيه متبعون لآبائكم كاتباع اليهود والمشركين لآبائهم.

ولا ريب أن هذا حال النصارى، ولهذا سماهم الله ضلالاً في قوله:

﴿ ... وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[5].

---

(١) في ط (بموسى).
(٢) سقطت (به) من أ، ك وزدناها من س، ط.
(٣) في ط (فتثبت).
(٤) في أ، س، ك (التي) وصححناه من ط.
(٥) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ . . . ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[3].

ولهذا كان النصارى معروفين بالجهل والضلال، كما أن اليهود معروفون[4] بالظلم والقسوة والعناد، فتبين بما ذكرناه أنه لا يمكنهم مع تكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في كلمة واحدة الاحتجاج بقول واحد[5] من الأنبياء على شيء من دينهم ولا دين غيرهم.

• • •

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٤.

(٤) في أ، س، ك (معروفين) وهو خطأ.

(٥) في س، ك، ط (أحد).

فصل

ردّ دعوى النصارى خصوصيّة الإسلام لِكَوْن كتابه باللّسان العربي

وأما كون القرآن أنزل باللسان العربي وحده فعنه أجوبة:

أحدها: أن يقال: والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده، وموسى ــ عليه السلام ــ لم يكن يتكلم إلا بالعبرية، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية، وكذلك[1] سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد: بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم[2]: إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه، وإما بأن يبين للمرسل[3] إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به.

وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم، وما[4] قالوا لهم

---

(١) في أ، ك، ط زيادة (ثم).
(٢) لعل الشيخ يقصد هنا بتبليغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم الإعلام دون الدعوة، وإلا فإنه ليست هناك رسالة عامة في دعوتها إلا رسالة الإسلام.
(٣) في س، ك، ط (المرسل).
(٤) سقطت (ما) من أ.

ــ وأكثرهم لم يكونوا عرباً ــ ، وأنزله[1] الله باللسان العربي، وحينئذ فإن شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه، وهذا مقدور للعباد، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التي أرسل بها، وجب عليه ذلك؛ فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب * بخلاف ما لا يتم الوجوب إلا به. فإنه ليس بواجب *[2] ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لا في الأصل ولا في التمام. فلا نحتاج أن نقول ما لا يتم الواجب إلا به، ــ وكان مقدوراً للمكلف ــ فهو واجب؛ فإن ما ليس مقدوراً عليه لا يكلف به العباد، بل وقد يكون مقدوراً عليه ولا يكلفون به.

فلما كانت الاستطاعة شرطاً في وجوب الحج لم يجب[3] تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافات[4]، فإنه ليس شرطاً في الوجوب؛ فلهذا يجب الحج على الإنسان[5] من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعاً.

وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والقرآن إلا بمن يبينها[6] ويفسرها لهم، وإن كانوا يعرفون اللغة، فهؤلاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، وهذا

---

(١) في أ، س، ك (وأنزل).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٣) مكان هذه الكلمة في أ (يحصره).

(٤) في س، ك، ط (المسافة).

(٥) في س، ك، ط (فلهذا يجب على الإنسان الحج).

(٦) في ط (أو).

هـو طلب العلم المفـروض على الخلق، وكـذلـك مـا بينـه الـرسـول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من معاني الكتاب الذي أنـزله الله عليـه يجب على الخلق طلب علم ذلك ممن يعرفه، إذا كان معـرفة ذلـك لا تحصل بمجرد اللسان.

كما يروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما[1] ـ أنه قال: تفسيـر القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالتـه، وتفسير يعلمـه العلماء، وتفسيـر لا يعلمه إلا الله ـ تبـارك وتعالى ـ، فمن ادعى علمه فهو كاذب[2].

والله ـ تعالى ـ قال:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[3].

لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولاً ليبين لقومه، فإذا بين[4] لقومه[5] ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم؛ فإن قومه الذين بلغ إليهم أولاً يمكنهم أن

---

(١) سقطت (رضي الله عنهما) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٧ عند آية: ﴿هـو الذي أنـزل عليك الكتـاب منه آيـات محكمات...﴾ الآيـة من سورة آل عمـران: الآيـة ٧، وعـزاه السيـوطي إلى ابن المنذر من طريق الكلبـي، عن أبـي صالح، عن ابن عباس وذكره...
قلت: وسبقت تـرجمة الكلبـي، وأبـي صـالح. وخـلاصة القـول فيهمـا أن الكلبـي متهم بالكذب ورمي بالرفض، وأبو صالح باذام ضعيف مدلس.
انظر تقريب التهـذيب (الكلبـي) ٢/١٦٣؛ (وأبو صـالح) ١/٩٣؛ وهـذه الطريق من أضعف الطرق عن ابن عباس وتقدم الكلام عليها، وما ذكره السيوطي ـ رحمه الله ـ في شأنها في الدر المنثور، والاتقان.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في أ (تبين).

(٥) سقطت (لقومه) من أ وزدناها من سائر النسخ.

يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة، ويمكن غيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده، فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن[1] ينقل عن الرسول: تارة المعنى، وتارة اللفظ؛ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن يجوز[2] ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء[3].

---

(١) في أ (ثم) بدل (بمن).

(٢) في ك، ط (تجوز) بالمثناة الفوقية.

(٣) ذكر العلماء أن الترجمة على أربعة أنواع، ثلاثة منها جائزة، والرابع محال ومحرم شرعاً وهي:

١ ــ ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه، فالرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يقرأ القرآن ويسمعه للغير، وكذلك أتباعه من بعده، بل وعدم القيام. بهذا كتمان للعلم، وهذا محرم شرعاً، قال ــ تعالى ــ: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى...**﴾ الآية.

٢ ــ ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية، ودليله قوله ــ تعالى ــ آمراً نبيه: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...**﴾ الآية. ولقد بينه الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسار على نهجه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

٣ ــ ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية، وهذا ما يجري مجرى تفسيره بلسان عربي، وكلاهما توضيح وبيان لما يستطاع من المعاني والمقاصد لا لجميع المقاصد.

٤ ــ ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى، وهي التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد، وهذه الترجمة الحرفية تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً، ولا يقال فيها أنها كلام الله، فلا يشك عاقل في أنها حرام، كما لا تخفى آثارها السيئة على أمة الإسلام، بل قد يصل الأمر إلى كتاب الله وهذا خطر كبير، وشر عظيم. وقد انجر الحكم إلى قراءة الترجمة، والصلاة بها فاتفقت كلمة الفقهاء على منع ذلك، وحرمته. بل وبطلان الصلاة به لأنه ليس كلام الله.

راجع في هذه المسألة: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/٢٧ فما بعدها؛ =

وجوز بعضهم أن يقرأ بغير العربية عند العجز عن قراءته بالعربية وبعضهم[1] جوزه مطلقاً، وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير العربية وإن جاز أن يترجم للتفهم[2] بغير العربية، كما يجوز تفسيره وبيان معانيه. وإن كان التفسير ليس قرآناً متلواً وكذلك الترجمة، وقد قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3].

= ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٣١٢ فما بعدها؛ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٤٦٤؛ ونقض المنطق لابن تيمية ص ٩٧ ـ ٩٩؛ والمغني لابن قدامة ١/٥٢٦؛ والمدونة في الفقه المالكي ١/٦٢؛ والمجموع في الفقه الشافعي ٣/٣٧٩.

(١) في ط (بعضهم) وقد علق في أ، فوق هذه الكلمة بقوله (كأبي حنيفة).

(٢) في س، ك، ط (للتفهيم).

(٣) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم من حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بلفظ، قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: نَضَّر اللَّهُ امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه. سنن أبي داود ٤/٦٨ ـ ٦٩ (٣٦٦٠)، والترمذي في كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع ٥/٣٣ ـ ٣٤ (٢٦٥٦)، وقال (حديث حسن). ثم ذكر في الباب عن ابن مسعود، ومعاذ، وجبير بن مطعم وأبي الدرداء، وأنس؛ وأخرجه ابن ماجه من حديث عباد الأنصاري، عن زيد ابن ثابت في المقدمة ١/٨٤ (٢٣٠) باب من بلغ علماً، وأخرجه من حديث جبير بن مطعم بنحوه في المقدمة ١/ ٨٥ (٢٣١)؛ وأخرجه في المناسك، باب الخطبة يوم النحر ٢/١٠١٥ (٣٠٥٦). ورواه أحمد من حديث أنس ٣/٢٢٥ وفيه زيادة؛ ورواه من حديث جبير بن مطعم ٤/٨٠، ٨٢؛ والدارمي ١/٧٦؛ باب الاقتداء بالعلماء؛ والإمام الشافعي في الرسالة ص ٤٠١ (١١٠٢).
وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص ١٦ (رقم ١٧) ثم قال ـ رحمه الله ـ هذا الحديث متواتر. وقد أحصى المحقق بدر البدر طرق الحديث عن خمسة عشر صحابياً في تعليقه، ونبه إلى أن هناك اختلافاً في بعض ألفاظ =

وقال أيضاً في الحديث الصحيح: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء، فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

فدعا النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لمن يبلغ حديثه وإن لم يتفقه[2] فيه وقال: «رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

وقد كان[3] العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها، كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق، ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة العربية، حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض يتكلمون بالعربية، كما يتكلم بها أكثر[4] المسلمين بل

= الحديث في بعض الطرق. انظر: مفتاح الجنة للسيوطي بتحقيق بدر البدر (ط مؤسسة الخليج بالكويت) ص ١٦ ــ ١٨.

(١) رواه البخاري في كتاب العلم؛ باب فضل من علم وعلم ٢٨/١ من حديث أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ؛ مسلم في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الهدي والعلم ١٧٨٧/٤؛ أحمد في مسند أبي موسى الأشعري ٣٩٩/٤.

(٢) سقطت (فيه) من س، ك، ط.

(٣) في أ، س، ك (كانت).

(٤) سقطت (أكثر) من أ، وفي س، ك (أكثر المسلمون).

كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب، ومن كتب الفرس والهند، واليونان، والقبط[١] وغيرهم عربت بهذه اللغة.

ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي أيسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية؛ فإن اللسان العبري[٢]، والسرياني[٣]، والرومي[٤]، والقبطي[٥]، وغيرها وإن عرفه طائفة من الناس، فالذين يعرفون اللسان العربي أكثر ممن يعرف لساناً من هذه الألسنة.

وأيضاً فمعرفة ما أمر الله عباده أمراً عاماً هو مما نقله الأمة عن نبيها[٦] ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ نقلاً متواتراً، وأجمعت عليه مثل الأمر

---

(١) سقطت (القبط) من أ.

(٢) في جميع النسخ (العربي) وهو خطأ واضح صححناه من هامش ك، ط والعبري بكسر العين المهملة، ويقال العبراني: لغة اليهود.
انظر القاموس المحيط ٢/٨٣، (فصل العين، باب الراء).

(٣) السرياني هو لسان السريان، وهم أمة قديمة، قيل: تكلم آدم وبنوه بالسرياني، وملتهم ملة الصابئين، ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يسمونه صحف شيث، والله أعلم.
انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١١٣.

(٤) اللسان الرومي هو لسان الروم، وسبق في أول الكتاب التعريف بالروم.

(٥) القبطي هو لسان الأقباط، وهم من ولد حام، أهل ملك بديار مصر منهم الفراعنة، وهم ملوكهم، وكانوا سالفاً صابئة ذوي هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة.
انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١١٦؛ والبداية والنهاية ١/٢٣٧ عند حديثه عن فرعون الذي أرسل إليه موسى ـ عليه السلام ـ.

(٦) في ط (نبيها محمد) وسقطت كلمة (محمد) من نسخة ك.

بشهادة أن[1] لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه أرسل إلى جميع الناس: أميهم وغير أميهم، وإقام الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، * وحج البيت العتيق من استطاع إليه سبيلاً *[2] وإيجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم، والأمر بالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت هو ما يعرفه المسلمون معرفة عامة، ولا يحتاج الإنسان في معرفة ذلك إلى أن يحفظ القرآن، بل يمكن الإنسان[3] معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وإن لم يعرف اللغة العربية، ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسوراً معها يصلي بهن، وكثير من الفرس، والروم، والترك، والهند، والحبشة، والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد، وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتقين، ومنهم من يحفظ القرآن كله وإذا كلم الناس لا يستطيع أن يكلمهم إلا بلسانه لا بالعربية، وإذا خوطب بالعربية لم يفقه ما قيل له.

الوجه الثاني: أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان لسانه عبرياً، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولاً، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح ـ عليه السلام ـ، فإن قالوا: إن رسل المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم.

قيل: هذا منقول في رسل المسيح، وفي رسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ الذين أرسلهم إلى الأمم، ولا ريب أن رسل رسل الله،

---

(١) سقطت (أن) من أ.
(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، س.
(٣) في ط (للإنسان).
(٤) في س (عليهم) وفي ك و ط (عليهما).

كرسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسيح ـ عليه السلام[1] ـ إلى الأمم، لا بد أن يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول إليهم، أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم، فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعربية، فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم.

وكذلك رسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذين أرسلهم إلى الأمم؛ فإن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما رجع من الحديبية أرسل رسله إلى أهل الأرض، فبعث إلى ملوك العرب باليمن، والحجاز، والشام، والعراق، وأرسل إلى ملوك النصارى بالشام ومصر: قبطهم، ورومهم، وعربهم[2]، وغيرهم، وأرسل إلى الفرس المجوس: ملوك العراق وخراسان.

قال محمد بن سعد في الطبقات: ذكر بعثة[3] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الرسل بكتبه إلى الملوك وغيرهم يدعوهم، وذكر ما كتب به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لناس من العرب وغيرهم. ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر[4] الأسلمي قال: حدثني معمر[5]

---

(١) في س ك، ط (كرسل محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام).
(٢) في ط (وعروبهم) وزاد في ط (وعبرهم).
(٣) في ط (بعث).
(٤) في ط (عمرو) وهو خطأ وما أثبتناه من أ، س، هامش ك ومن الطبقات ٢٥٨/١ وسبقت ترجمته.
(٥) في ط زيادة (محمد بن) وهو خطأ ومعمر بن راشد هو أبو عروة الأزدي مولاهم عالم اليمن، اثنى عليه الإمام أحمد توفي سنة ١٥٣هـ. وقد وثقه الذهبي غير أنه ذكر أن له أوهاماً معروفة، وقال ابن حجر ثقة ثبت فاضل.
انظر ترجمته في: الكاشف للذهبي ١٦٤/٣ (٥٦٦٢)؛ وميزان الاعتدال ١٥٤/٤؛ تقريب التهذيب ٢٦٦/٢ (١٢٨٤).

بن راشد، ومحمد بن عبد الله[1]، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله[2]، عن ابن عباس قال: وعن الواقدي: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة[3]، عن المسور بن رفاعة[4]، وحدثنا عبد الحميد بن جعفر[5] عن أبيه[6] عن جدته[7] ________________

---

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري، روى عن عمه الزهري، لينه ابن معين ووثقه أبو داود، وقال بن حجر صدوق له أوهام مات سنة ١٥٧هـ . وقيل ١٥٢.
انظر: الكاشف للذهبي ٣/٦٥؛ وميزان الاعتدال ٣/٥٩٢؛ وتقريب التهذيب ٢/١٨٠؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٧٨؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٤٦.

(٢) عبيد الله عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد فقهاء المدينة، تابعي ثقة فقيه ثبت، مات سنة ٩٤هـ .
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٢٣؛ وتقريب التهذيب ١/٥٣٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥١.

(٣) في أ (قيسره) وما أثبته من سائر النسخ، ومن الطبقات وهو الصواب، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة (بفتح السين المهملة، وسكون الموحدة) القرشي قال ابن حجر رموه بالوضع، مات سنة ١٦٢هـ .
انظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٧ (٥١)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٢٧.

(٤) المسور بن رفاعة بن أبي مالك القرضي قال الحافظ ابن حجر: مقبول من الرابعة.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٢/٢٤٩؛ وتهذيب التهذيب ١٠/١٥٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٧٧.

(٥) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، صدوق، رمي بالقدر ربما وهم، مات سنة ١٥٣هـ .
انظر: تهذيب التهذيب ٦/١١١، ١١٢؛ وتقريبه ١/٤٦٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٢١.

(٦) جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، والد عبد الحميد، ثقة من الثامنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٣١ (٨٥)؛ وتهذيب التهذيب ٢/٩٩؛ والخلاصة ص ٦٣.

(٧) حصل هنا إسقاط بعض رجال السند. حيث ورد في طبقات ابن سعد ١/٢٥٨ =

الشفاء[1]، وحدثنا أبو بكر(*) بن عبد الله ابن أبي سبرة[2]، عن محمد بن يوسف[3]، عن السائب بن يزيد[4]، عن العلاء بن الحضرمي[5]، وحدثنا ابن محمد[6] الأنصاري، عن جعفر بن عمرو (بن جعفر بن

= كالآتي: «وحدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه. قال وحدثنا عمر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن جدته الشفاء» اهـ.
قلت فعلى هذا: الشفاء جدة أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة كما سيأتي في الترجمة وهو الصحيح.

(١) الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، العدوية، القرشية، صحابية، لها أحاديث وقد روى عنها ابنها سليمان بن أبي حثمة وابن ابنها أبو بكر قيل اسمها ليلى، وغلب عليها الشفاء أسلمت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول.
انظر ترجمتها في: تهذيب التهذيب ٤٢٨/١٢؛ وتقريبه ٦٠٢/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٩٢.

(*) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، ثقة عارف بالنسب، قال في الخلاصة: روى عن جدته الشفاء. انظر ترجمته في: الخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتقريب التهذيب ٣٩٧/٢ (٤٣).
عمر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي (الذي وجدته عثمان، ولم أقف على عمر) مقبول روى عن جدته الشفاء.
انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢٠/٧؛ وتقريبه ٩/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٩.

(٢) في أ (قيسرة) وهو خطأ، وسبقت ترجمته رقم (٧).

(٣) محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي، المدني، الأعرج، ثقة ثبت مات سنة ١٤٠هـ تقريباً. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٥٣٤/٩؛ وتقريبه ٢٢١/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٦٥.

(٤) السائب بن يزيد بن سعيد الكندي، صحابي صغير كما قال ابن حجر، وله أحاديث قليلة، مات سنة ٩١هـ وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٤٥٠/٣؛ وتقريبه ٢٨٣/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٣٢.

(٥) سبقت ترجمة العلاء بن الحضرمي، وهو صحابي جليل.

(٦) في الطبقات ٢٥٨/١ (معاذ بن محمد الأنصاري) بن معاذ، مقبول من الطبقة =

عمرو)[1] بن أمية الضمري[2]، عن أهله، عن عمرو[3] بن أمية الضمري دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. وكتب إليهم كتباً فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يومئذ خاتماً من فضة، فصه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

= الثامنة، وقال الذهبي، ذكره ابن حبان في الثقات. ولم أجد تاريخ وفاته.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ١٠/١٩٣؛ وتقريبه ٢/٢٩٧؛ وميزان الاعتدال ٤/١٣٢ والخلاصة للخزرجي ص ٣٨٠.

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة أ وزدناه من سائر النسخ، ومن الطبقات ١/٢٥٨ وهو المدني، أخو عبد الملك بن مروان من الرضاعة من كبار التابعين، مات في خلافة الوليد، ويذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ما نصه: «روى إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جده حديثاً فقال ابن المديني في العلل: جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، هذا ليس هو جعفر بن عمرو بن أمية لصلبه بل هو جعفر بن عمرو بن فلان بن عمرو بن أمية... قال ابن حجر وهذا غاية في التحقيق...».

انظر: تهذيب التهذيب ٢/١٠٠؛ وتقريبه ١/١٣١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٦٣.

(٢) عمرو بن أمية الضمري، صحابي مشهور، روى عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وعنه أولاده وغيرهم، أسلم بعد أحد، كان شجاعاً له إقدام، وبعثه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في أمور مهمة، مات بالمدينة في خلافة معاوية ــ رضي الله عنه ــ.
انظر: تهذيب التهذيب ٨/٦؛ وتقريبه ٢/٦٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٨٧.

(٣) في أ (عمر) وهو خطأ.

أرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل[1]: دحية بن خليفة الكلبي[2]، و[3] إلى المقوقس[4] صاحب مصر والاسكندرية حاطب بن أبي بلتعة[5]، وإلى كسرى[6]: عبد الله بن حذافة السهمي[7]، وأرسل إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني[8] ـ وكان نصرانياً بظاهر دمشق ـ فبعث إليه شجاع بن وهب[9] الأسدي، وأرسل إلى غير هؤلاء[10].

وقال أيضاً: أخبرنا الهيثم بن عدي[11] قال: أخبرنا دلهم بن

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سقطت الواو من س.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) الحارث بن أبي شمر الغساني. من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام فأرسل إليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتاباً مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح.
انظر: في ترجمته أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون ص ٣٢؛ والأعلام للزركلي ٢/١٥٥.

(٩) في ط (ذهب) وهو خطأ، وشجاع بن وهب يقال ابن أبي وهب بن ربيعة الأسدي، من المهاجرين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، الهجرة الثانية، وشهد بدراً، والمشاهد كلها، استشهد يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة ـ رضي الله عنه ـ.
انظر في ترجمته: الإصابة لابن حجر ٢/١٣٧؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ٢/١٥٧ ـ ١٥٨.

(١٠) ورد هذا مفصلاً في طبقات ابن سعد ١/٢٥٨ ـ ٢٩١.
وقد ساق عدة طرق مدارها كلها على الواقدي، وهو متروك مع سعة علمه كما قال أهل الجرح والتعديل، وسبقت ترجمته.

(١١) الهيثم بن عدي الطائي المنبجي، الكوفي، نقل الذهبي وابن حجر عن البخاري =

صالح[1] وأبو بكر الهذلي[2] عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي[3] قال: وحدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان والزهري[4]، وحدثنا الحسن بن عمارة[5]، عن فراس[6]، عن الشعبي[7] دخل حديث بعضهم في حديث بعض: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لأصحابه: «أئتوني[8] بأجمعكم بالغداة»، وكان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلاً[9] يسبح ويدعو، ثم التفت إليهم فبعث عدة إلى عدة، وقال

= وابن معين وأبي داود وغيرهم أنه كذاب وليس بثقة، وقال الذهبي كان أخبارياً علامة. مات سنة ٢٠٧هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٤/٣٢٤ (٩٣١١)؛ ولسان الميزان ٦/٢٠٩ (٧٤٠).

(١) دلهم بن صالح الكندي، الكوفي. ضعيف من الطبقة السادسة ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٣/٢١٢؛ وتقريب التهذيب ١/٢٣٦ (٦٠)؛ وميزان الاعتدال ٢/٢٨.

(٢) أبو بكر الهذلي. قيل اسمه سلمي بضم المهملة ابن عبد الله، وقيل روح كما ذكر ابن حجر وقال عنه أخباري متروك الحديث مات سنة ١٦٧هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٠١ (٩٤)؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٥.

(٣) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضيها ثقة مات سنة ١٠٥هـ. وقيل ١١٥هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٣ (٢٠٣)؛ وتهذيب التهذيب ٥/١٥٧.

(٤) محمد بن إسحاق، ويزيد بن رومان، والزهري سبقت ترجمتهم.

(٥) الحسن بن عمارة البجلي، مولاهم قاضي بغداد متروك مات سنة ١٥٣هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١/١٦٩ (٢٩٨)؛ وتهذيب التهذيب ٢/٣٠٤ ـ ٣٠٨.

(٦) فراس في ط (فراش) بالشين المعجمة وهو خطأ. وفراس بكسر أوله وبسين مهملة ابن يحيى الهمداني، صدوق ربما وهم مات سنة ١٢٩هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/١٠٨ (١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٨/٢٥٩.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) في الطبقات ١/٢٦٤ (وافوني) والمعنى واحد.

(٩) في ط (ليلاً) وهو تصحيف.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ : «انصحوا لله في أمر عباده، فإن من أخبر عن شيء من أمور المسلمين، ثم لم ينصح، حرم الله عليه الجنة، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم، فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد فأصبحوا ـ يعني الرسل ـ وكل منهم يعرف بلسان القوم الذين أرسل إليهم» وذكر ذلك النبي[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «هذا أعظم ما كان من حق الله ـ عز وجل ـ عليهم[3] في أمر عباده».

الوجه الثالث: أن النصارى فيهم عرب كثير من[4] زمن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكل من يفهم اللسان العربي، فإنه يمكن فهمه للقرآن، وإن كان أصل لسانه فارسياً أو رومياً أو تركياً أو هندياً أو قبطياً، وهؤلاء الذين أرسلوا هذا الكتاب من علماء النصارى قد قرأوا المصحف وفهموا منه ما فهموا وهم يفهمونه بالعربية واحتجوا بآيات من القرآن، فكيف يسوغ لهم مع هذا أن يقولوا: كيف تقوم الحجة علينا بكتاب لم نفهمه؟.

الوجه الرابع: أن حكم أهل الكتاب في ذلك حكم المشركين، ومعلوم[5] أن المشركين فيهم عرب وفيهم عجم ـ ترك وهند وغيرهما ـ

---

(١) في س (وقال صلَّى الله عليه وسلَّم لهم).

(٢) في ط (لنبي).

(٣) سقطت (عليهم) من أ وقد نقل الشيخ هذا النص من الطبقات لابن سعد ١/٢٦٤ بتصرف يسير، وسنده (متروك) لأن فيه الهيثم بن عدي (كذاب)، ودلهم بن صالح (ضعيف)، وأبو بكر الهذلي متروك الحديث، والحسن بن عمارة متروك أيضاً، والمتروك من أسوأ أنواع الضعيف كما قال المحدثون.

(٤) في ط (في).

(٥) سقطت الواو من ط.

فكما أن جميع المشركين كمشركي العرب، وكذلك جميع أهـل الكتاب كـأهل الكتـاب من العرب وفي اليهـود والنصارى ممن يعـرف بلسـان[1] العرب من لا يحصيه إلا الله ـ عزو جل ـ .

الوجه الخامس: أنه ليس فهم كل آية من القـرآن فرضـاً على كل مسلم، وإنما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به[2]، وما نهاه عنـه بأي عبارة كانت، و[3]هذا ممكن لجميع الأمم، ولهذا دخل في الإسلام جميـع أصنـاف العجم من الفـرس، والتـرك، والهنـد، والصقـالبـة[4]، والبـربـر، ومن هؤلاء من يعلم اللسـان العـربـي، ومـنهـم من يـعلم ما فرض الله عليه الترجمة، وقد قـدمنا أنـه يجوز تـرجمة القـرآن في غير الصلاة والتعبير[5]، كمـا يجوز تفسيـره باتفـاق المسلمين، وإنما تنـازعوا هـل يقرأ بغيـر العربيـة تلاوة كمـا يقرأ في الصـلاة[6]؟ فجمهور العلمـاء منعوا من ذلك، وحينئذ فإذ قـرأ الأعجمي فاتحـة الكتاب وسـورتين معها

---

(١) في ط (لسان).

(٢) (الله به) سقطت من أ.

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) الصقـالبـة: من ولـد صقلب، وينتسبـون إلى يـافث، كـانـوا قبـل أن تغلبهم الـروم منبسطين ما بين بحر الروم، والبحـر المحيط، وهم عشرة أصنـاف ولكل صنف منهم ملك.
انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبـي عبد الله الأنصاري ص ٢٥٩. وسبق التعريف بالأمم التي ورد ذكرها مع الصقالبة.

(٥) التعبيـر هو التفسيـر، ومنه عبـر الـرؤيا يعبرهـا عبراً وعبـارة، وعبرهـا فسرهـا، وأخبر بما يؤول إليه أمرها. . والعابر الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي: «يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه».
انظر: لسان العرب ٤/٥٢٩؛ والقاموس المحيط ٢/٨٣ (فصل العين، باب الراء).

(٦) تقدم الكلام على هذه المسألة، والتي قبلها، وسبق التعليق عليهما في موضعه.

بالعربية أجزأه، وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا أمر يسير أيسر من أكثر الواجبات، فكيف يمتنع أن يأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده بذلك؟.

وأما جمل ما أمر به الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الصلاة، والزكاة، والصوم[1]، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وما حرمه الله[2] من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك، فهذا مما يمكن أن يعرفه كل واحد[3] بتعريف من يعرفه، إما باللسان العربي، وإما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب.



(١) سقطت (والصوم) من أ، س، ك.

(٢) سقط لفظ الجلالة من س.

(٣) في س، ك، ط (أحد).

فصل

وأما قوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقوله:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ...﴾[2].

دفع ما يُوهم الخصوصيَّة لِكَوْن القرآن عربياً

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا...﴾[3].

فهذا يتضمن إنعام الله[4] على عباده، لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني، فنزول الكتاب به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره، وهو إنما خوطب به أولاً العرب ليفهموه، ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه، ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم، وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً والإنعام به عليهم أولاً لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم.

قال ــ تعالى ــ :

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٤) في س، ك، ط (إنعام الله به).

(٥) سورة الدخان: الآية ٥٨.

وقال:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1].

واللد جمع الألد، وهو الأعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق، كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[2]، وأما قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[3].

فهو كما قال ـ تعالى ـ وقوم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هم قريش، وبلسانهم أرسل، وهو ـ سبحانه ـ لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلاَّ إلى قومه، بل الرسول يبعثه الله إلى قومه وغير قومه، كما تقول النصارى: أنه بعث المسيح ـ عليه السلام ـ، والحواريين[4] إلى غير بني إسرائيل، وليسوا من قومه، فكذلك[5] بعث محمداً[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى قومه وغير قومه. ولكن إنما يبعث بلسان[7] قومه، ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم: اما بلغتهم،

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في التفسير، تفسير سورة البقرة ١٥٩/٥، ورواه في المظالم، باب قول الله ـ تعالى ـ وهو ألد الخصام ١٠١/٣ ورواه مسلم في العلم، باب في الألد الخصم ٢٠٥٤/٤ (٢٦٦٨)، ورواه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة ٢١٤/٥ (٢٩٧٦)، ورواه النسائي في كتاب آداب القضاة، باب الألد الخصم ٢٤٧/٨، ورواه أحمد في مسند عائشة ـ رضي الله عنها ـ ٥٥/٦، ٦٣، ٢٠٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في س (أو الحواريين) وفي ط (أو الحواريون) وسقطت من ك.

(٥) في س، ك، ط (وكذلك).

(٦) في س، ك، ط (محمد).

(٧) في س (بلساني).

ولسانهم، وإما بالترجمة لهم ولو لم يتبين[1] لقومه أولاً لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم، وإذا تبين لقومه أولاً حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسطهم، * وقومه إليهم بعث أولاً ولهم دعا أولاً، وأنذر أولاً *[2]، وليس في هذا أنه لم يرسل إلى غيرهم، لكن إذا تبين لقومه لكونه بلسانهم، أمكن بعد هذا أن يعرفه غير قومه: إما بتعلمه بلسانهم، وإما بتعريف بلسان يفهم به، والرجل يكتب كتاب علم في طب أو نحو أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب، وينقل إلى لغات أخر وينتفع به أقوام آخرون، كما ترجمت كتب الطب والحساب، التي صنفت[3] بغير العربي وانتفع بها العرب، وعرفوا مراد أصحابها، وإن كان المصنف لها أولاً إنما صنفها بلسان قومه، وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلق[4] بها سعادة الآخرة، والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التي يتعلق[5] بها سعادة الآخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان إلى لسان حتى يفهم أهل اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلم بها أولاً باللسان الأول.

وأبناء فارس المسلمون لما كان لهم من عناية بهذا، ترجموا مصاحف كثيرة، فيكتبونها بالعربي، ويكتبون الترجمة بالفارسية، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم؟ وعامة الأصول التي

(١) في ط (يبين).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من هامش س، وهامش ك، ط.
(٣) في ك، ط (صنعت).
(٤) في ط (تتعلق) بالمثناة الفوقية.
(٥) في ط (تتعلق) بالمثناة الفوقية.

يـذكرهـا القرآن عنـدهم شواهـدها ونـظائـرهـا في التـوراة، والإنجيـل، والزبور، وغير ذلك من النبوات، بل كل من تدبر نبوات[1] الأنبياء وتدبـر القرآن جزم يقيناً[2] بأن محمداً[3] رسول الله حقاً. وأن موسى رسـول الله صـدقاً، لمـا يرى من تصـادق الكتابين: التـوراة والقرآن مـع العلم بـأن موسى ـ عليه السـلام ـ لم يأخـذ عن محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يأخذ عن موسى، فإن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باتفاق أهـل المعرفـة بحاله[4] كان أمياً، من قوم أميِّين، مقيماً بمكة، ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل[5]، ولا الزبور، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يخرج من بين ظهـرانيهم ولم يسافـر قط إلاَّ سفـرتين: إلى الشام خـرج مـرة مـع عمـه أبـي طـالب قبـل الاحتـلام، ولم يكن يفارقه، ومرة أخرى مـع ميسرة[6] في تجـارته، وكـان ابن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميـع أحوالـه ولم يجتمع قط بعـالم أخـذ عنـه شيئـاً، لا من علمـاء اليهـود ولا النصـارى ولا من غيـرهـم، لا بحيرى ولا غيره[7]، ولكن كان بحيرى الراهب لمّا رآه عـرفه لمـا كان عنـده من ذكره ونعتـه، فأخبـر أهله بذلـك، وأمـرهـم بحفـظه من اليهـود ولم يتعلم لا من بحيـرى ولا من غيـره كلمــة واحــدة، وسنبـين ــ إن

---

(١) في ط (بنبوات). (٢) في ط (يقينيا).

(٣) في أ (محمد) وما أثبتناه من سائر النسخ هو الصواب.

(٤) سقطت (بحاله) من أ وزدناه من س، ك، ط.

(٥) في س، ك، ط (ولا الإنجيل).

(٦) ميسرة: غلام خـديجة ـ رضي الله عنهـا ـ قال الحـافظ ابن حجر: «ذكـر في السيرة وكـان رفيق النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في تجـارة خديجـة قبـل أن يتـزوجهـا، وحكى بعض أدلة نبوته، وترجم لـه ابن عساكـر، ولم أقف على رواية صـريحة بـأنه بقي إلى البعثـة فكتبتـه على الاحتمـال». اهـ انـظر: الإصـابـة في تمييـز الصحـابـة ٣/٤٤٩ (٨٢٨٦).

(٧) في أ (ولا يحبر ولا غيره) وفي س (لا يحبر أو لا غيره) وما أثبتناه من ك، ط.

شاء الله ـ الدلائل الكثيرة على أنه لم يأخذ عن أحد[1] من أهل الكتاب كلمة واحدة، وقصة بحيرى مذكورة ذكرها أرباب السير وأصحاب المسانيد والسنن.

قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في جامعه[2]: حدثنا الفضل أبو العباس البغدادي[3]، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح[4] أنا يونس بن أبي إسحاق[5] عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري[6] عن أبيه[7] قال: خرج أبو طالب

---

(١) سقطت (عن أحد) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) ٥/٥٩٠ ـ ٥٩١ وسيأتي تخريجه والترمذي هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري وقام برحلات كثيرة، وكان يضرب به المثل في الحفظ، عمي في آخر عمره. له تصانيف منها الجامع الكبير (سنن الترمذي)، والعلل، والشمائل النبوية، والتاريخ. كان مولده سنة ٢٠٩. ووفاته سنة ٢٧٩هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٣٨٧/٩، وتذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢ (٦٥٨) والأعلام ٣٢٢/٦.

(٣) الفضل بن سهل الأعرج أبو العباس البغدادي، من خراسان، صدوق مات سنة ٢٥٥هـ. انظر: تقريب التهذيب ١١٠/٢ (٣٧)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٠٩.

(٤) عبد الرحمن بن غزوان (بمعجمه مفتوحة وزاي ساكنة) الضبي أبو نوح، المعروف بقراد (بضم القاف وتخفيف الراء) ثقة له أفراد، مات سنة ١٨٧هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٤٩٤/١ (١٠٧٥)، والخلاصة للخزرجي ص ٢٣٣ وتهذيب التهذيب ١٨٥/٦.

(٥) يونس بن أبي إسحاق السبعي، أبو إسرائيل الكوفي، صدوق يهم قليلاً مات سنة ١٥٢هـ. على الصحيح.

انظر: تقريب التهذيب ٣٨٤/٢ (٤٧١)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٠.

(٦) اسمه عمرو أو عامر، اشتهر بكنيته، ثقة مات سنة ١٠٦هـ. وكان أسن من أخيه أبي بردة.

انظر: تقريب التهذيب ٤٠٠/٢ (٧٤)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٥.

(٧) سبقت ترجمة أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ.

إلى الشام وخرج معه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أشياخ من قريش: فلما أشرفوا على الراهب هبطوا، فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجر ولا حجر إلَّا خرَّ ساجداً[1]، ولا يسجدن[2] إلَّا لنبي وإني[3] أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غرضوف[4] كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رعية الإبل ـ فقال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم أن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن[5] هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبقَ طريق إلَّا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذه.

---

(١) في ط (ساجد).
(٢) في ط (يسجدون).
(٣) في أ (وأنه).
(٤) الغرضوف بوزن عصفور: مالان من اللحم، قاله الفارابي، وبعضهم يقول كل مالان من العظم، وقد يقال غضروف بتقديم الضاد على الراء لغة على القلب. انظر: المصباح المنير: ٢/٦٠٩.
(٥) في أ، س، ك (أن).

فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فتابعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم الله يا معشر العرب أيكم وليه؟ فقال أبو طالب: أنا. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وزوده الراهب من الكعك والزيت(١).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه ورواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة(٢) من حديث العباس بن محمد عن قراد(٣) بن نوح. وقال العباس: لم يحدث به ــ يعني بهذا الإسناد ــ غير قراد وسمعه يحيى وأحمد من(٤) قراد.

قال البيهقي(٥): أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء، فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٥/٥٩٠ ــ ٥٩١ (حديث رقم ٣٦٢٠). ورواه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢٧٨/٢، والحاكم في كتاب التاريخ ٦١٥/٢ ــ ٦١٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله «أظنه موضوعاً فبعضه باطل» انظر: التلخيص (حاشية المستدرك) ٦١٥/٢ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣٠٧/١ ــ ٣١٢، باب ما جاء في خروج النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع أبي طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجراً... إلخ وساقه الحافظ الذهبي في كتابه السيرة النبوية ص ٢٦ ــ ٣٠ تحت عنوان (سفره مع عمه ــ ان صح) ثم قال: تفرد به قراد واسمه عبد الرحمن بن غزوان، ثقة احتج به البخاري والنسائي ورواه الناس عن قراد، وحسنه الترمذي. ثم قال ــ رحمه الله ــ وهو حديث منكر جداً، ثم ذكر الألفاظ المنكرة في الحديث، ثم ساق للقصة شواهد عند أصحاب السير وذكرها.

(٢) انظر: ٣٠٧/١، ٣١٢.

(٣) في س (براد) وهو خطأ.

(٤) في ط (بن) وهو خطأ.

(٥) انظر: دلائل النبوة ٣٠٩/١.

وقال[1] ابن سعد[2] في الطبقات: حدثنا محمد بن عمر قال: حدَّثني محمد بن صالح[3] وعبد الله بن جعفر[4] وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة[5] عن داود بن الحصين[6] قال لما بلغ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ اثني عشرة[7] سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة، فنزلوا بالراهب

---

(١) في ط (قال).

(٢) في أ، س، ك (سعيد) وهو خطأ. وسبقت ترجمة ابن سعد، والواقدي.

(٣) محمد بن صالح بن دينار التمار المدني قال ابن سعد، كان جيد العقل، قد لقي الناس، وعلم العلم والمغازي، وقال ابن حجر صدوق يخطىء مات سنة ١٦٨هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٢٥/٩، وتقريبه ١٧٠/٢ (٣١٢)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٤١.

(٤) عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، المدني قال ابن حجر ليس به بأس مات سنة ١٧٠هـ، وعمره بضع وسبعون سنة.
انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ١٧١/٥ ـ ١٧٣، وتقريبه ٤٠٦/١ (٢٢٩)، وميزان الاعتدال ٤٠٣/٢.

(٥) إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأشهلي، المدني أبو إسماعيل، قال ابن حجر ضعيف من السابعة، وفي ميزان الاعتدال للذهبي قال البخاري عنده مناكير مات سنة ١٦٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠٤/١ (٨٠)، وميزان الاعتدال ١٩/١ (٣٦)، وتقريب التهذيب ٣١/١.

(٦) داود بن الحصين الأموي، أبو سليمان المدني، محدث مشهور، وثقه ابن معين وغيره. قال الحافظ ابن حجر ثقة إلاَّ في عكرمة، ورمي برأي الخوارج مات سنة ١٣٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٨١/٣، وتقريبه ٢٣١/١ (٥)، وميزان الاعتدال للذهبي ٦٠٥/٢ (٢٦٠٠)، والخلاصة للخزرجي ص ١٠٩.
وإسناد القصة ضعيف فيه إبراهيم بن أبي حبيبة وهو ضعيف والواقدي متروك وهو منقطع من هذا الطريق وسبق تخريجها وسيأتي زيادة بيان لها.

(٧) في أ، س، ك (عشر).

بحيرى فقال بحيرى لأبي طالب في النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما قال، وأمره أن يحتفظ به فرده أبو طالب معه إلى مكة، وشب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها لما يريده به من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى فما[1] رؤي ملاحياً ولا مماريا أحداً حتى سماه قومه الأمين لما جمع فيه من الأمور الصالحة[2].

وقال ابن الجوزي: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو ابن اثنتي[3] عشرة[4] سنة وشهرين وعشرة أيام[5] فنزل الركب ببصرى وبها راهب ــ يقال له بحيرى[6] ــ في صومعة له. وكان ذا علمٍ بالنصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب تنتهي إليه علم النصرانية صاغراً عن كابر وفيها كتب يدرسونها، وكان كثيراً ما[7] يمر الركب فلا يكلمهم[8] حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا منزلاً قريباً من الصومعة، فصنع لهم الراهب طعاماً ودعاهم. وإنما حمله على ذلك لشيء[9] رآه فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وأرسل إلى القوم فقال: يا معشر قريش. أحب أن

(١) في ك، ط (مما رؤي) وفي الطبقات ١/ ١٢١ (وما رؤي).
(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠ ــ ١٢١ بتصرف.
(٣) في جميع النسخ (اثني) وما أثبتناه من الوفا بأحوال المصطفى ١/ ١٣١.
(٤) في أ (عشر).
(٥) جملة (وشهرين وعشرة أيام) ليست في الوفا بأحوال المصطفى.
(٦) سبقت ترجمته.
(٧) في أ، س، ك (مما).
(٨) في ط (يكلمه).
(٩) في ط (شيء).

تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم أحد، فقال: وهذا شيء تكرموني[1]، فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لحظاً شديداً، وينظر إلى جسده، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، ثم قال الراهب لأبي طالب: أرجع بابن أخيك، فإنه كائن له شأن عظيم، فإنا نجد صفته في كتبنا ويروونه[2] عن آبائنا. فلما فرغوا من التجارة رجع به أبو طالب سريعاً إلى مكة، فما خرج بعدها به أبو طالب خوفاً عليه»[3].

هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل دعواهم أن المسيح ــ عليه السلام ــ صلب. وقول بعضهم: أنه إله. وقول بعضهم: أنه ساحر. وطعنهم على سليمان ــ عليه السلام ــ وقولهم: أنه كان ساحراً وأمثال ذلك ما[4] يبين أنه لم يأخذ عنهم.

وفي القرآن من قصص الأنبياء ــ عليه السلام ــ ما لا يوجد في التوراة والإنجيل[5] مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك.

---

(١) في ط (تكرموني به).

(٢) في س، ك، ط (ويرونه).

(٣) انظر: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/١٣١ ــ ١٣٤ باب في ذكر خروج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى الشام مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى (ط. السعادة بمصر). تحقيق ــ مصطفى عبد الواحد.
وذكر ابن الجوزي القصة مختصرة في كتابه ــ تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣ (ط. النموذجية بمصر). وقال البيهقي عن هذه القصة (هي عند أهل المغازي مشهورة. انظر: دلائل النبوة ١/٣٠٩. وأما الذهبي فقد قال هو حديث منكر جداً (السيرة النبوية للذهبي ص ٢٨)، وسبق مزيد تخريج لهذه القصة.

(٤) في ط (مما).

(٥) في س، ك (ولا الإنجيل) وفي ط (ولا في الإنجيل).

وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد، فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر، والعاقبة، والوعيد بالقحط والأمراض، والأعداء. وإن كان ذكر المعاد موجوداً[1] في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد، وقيام القيامة[2] الكبرى، وقد قيل: إن ذلك مذكور في التوراة أيضاً، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة[3].



---

(١) في أ (موجود) وهو خطأ.

(٢) في س (النصرانية) وهو تحريف ظاهر.

(٣) الراجح عدم التصريح بالثواب والعقاب، أما المعاد فقد ورد ذكره وإن لم يصرح به فيها. وقد أورد ابن كمونة اليهودي في كتابه «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» ص ٤٠ ـ ٤٣ من جملة الاعتراضات على التوراة عدم تصريحها بالثواب والعقاب الأخرويين، وعندما دافع عن ذلك لم ينفه، وإنما قال ـ وهو منهزم أما هذا الاعتراض ـ «إن خلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ وخاطب به بني إسرائيل، واستفاض منهم، فإن قيل فلم لم يكتبه في التوراة مصرحاً؟ قيل إن الأمور الإلّهية لا يجوز المعارضة فيها ثم ولا السؤال عنها، فلربما يكون لذلك حكمة لا نعرفها... إلخ كلامه.
ونحن نقول: إن خلو التوراة الموجودة من هذا الأصل العظيم من أبلغ الأدلة على تحريفها، وأنها ليست التوراة الأصلية التي أنزلت على موسى، وإذا ثبت هذا فإنها ليست من الأمور الإلّهية، وتسقط دعواه عدم جواز الاعتراض بل يبقى الاعتراض قائماً ومعه غيره من الاعتراضات الكثيرة التي تحط من قدر هذه الكتب المحرفة، وتضعف قيمتها، وتفقد الثقة بها مطلقاً.
وانظر: سلسلة مقارنة الأديان للدكتور شلبي (اليهودية) ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ تحت عنوان الآخرة والبعث.

فصـل

ردّ زَعْم النّصارى عصمة الحواريين المترجِمين للإنجيل

فإن قالوا: إن الكتب التي عندنا من[1] التوراة والإنجيل وغيرهما ترجمها لنا الحواريون، وهم عندنا رسل معصومون، و[2]ترجموها لجميع الأمم بخلاف القرآن فإنه إنما يترجمه من ليس بمعصوم، فعن هذا أجوبة:

أحدها: أن هذا كذب بَيِّن فإن من العرب من النصارى من لا يحصي عدده إلَّا الله ــ تعالى ــ ، وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وكان فيهم قوم على دين المسيح الذي لم يبدل وهم مؤمنون من أهل الجنة، كسائر من كان على دين المسيح ــ عليه السلام ــ ، فإن كل من كان على دين المسيح الذي لم يبدل قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فإنه مؤمن مسلم من أهل الجنة.

ومع هذا فليس على وجه الأرض توراة ولا إنجيل معرب من عهد الحواريين، بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبري أو غيره إلى العربية، وكذلك الإنجيل ينقل من اللسان الرومي، أو السرياني،

---

(١) في س (في).

(٢) سقطت الواو من ط.

أو اليوناني[1] أو غيرها[2] إلى اللغة[3] العربية، فلو كان عند كل أمة من الأمم توراة وإنجيل ونبوات بلسانهم، لكان نصارى العرب أحق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند[4]، فإنهم جيران البيت المقدس، وهم بنو إسماعيل ــ عليه السلام ــ والأناجيل عندهم أربعة، وهم يدعون أن كل واحد كتبها بلسان، كتبت بلسان العبري[5]، والرومي، واليوناني، مع أن في بعض الأناجيل ما ليس في بعض. مثل قولهم: «عمدوا الناس باسم الآب، والابن وروح القدس»[6] الذي جعلوه أصل دينهم. وهذا إنما هو قوله في إنجيل متى، وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب إنجيلاً بلسانه، لم يكن هناك إنجيل واحد[7] أصلي ترجع إليه الأناجيل كلها، ثم هم[8] (مع) هذا يدعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لساناً. وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سننبِّه ــ إن شاء الله ـ على بعضها، لكن غاية ما يدعون أنه ترجم باثنين وسبعين لساناً، ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا وقبل[9] زماننا أكثر من هذا، كما يعرفه من عرف أحوال العالم، بل اللسان الواحد كالعربي، والفارسي، والتركي، جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم لسان

---

(١) في س (والسرياني أو غير اليوناني وغيرها)، وفي أ، ك (أو السرياني أو غيرها إلى العربية أو اليوناني).

(٢) في أ، ك (أو غيره).

(٣) سقطت (اللغة) من أ، س، ك.

(٤) سبق التعريف بهذه الأمم.

(٥) في أ، س (العربي)، وصححناه من ك، ط.

(٦) إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرون: ص ١٩.

(٧) سقطت (واحد) من ك.

(٨) في ط (إنهم).

(٩) في ط (وقيل).

بعض إلَّا أن يتعلمه منهم[1]، والعرب أقرب الأمم إلى بني إسحاق: بني إسرائيل[2]، والعيص فإنهم بنو إسماعيل وجيرانهم، فإن أهل الحجاز جيران الشام، ومكة لم تزل تحج إليها العرب، ولم يكن قط عند العرب توراة ولا إنجيل عربيان من عهد المسيح ـ عليه السلام ـ، بل ولا كان بمكة لا توراة ولا إنجيل، لا معرب ولا غير معرب، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ . . .﴾[3].

فكيف يدعي أن التوراة، والإنجيل ترجمها[4] الحواريون لكل قوم من جميع[5] بني آدم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بلسان يفهمونه به، وهل يقول هذا إلَّا من هو من أكذب الناس وأجهلهم؟

الوجه الثاني: أن يقال ترجمة الكلام من لغة إلى لغة لا تحتاج إلى معصوم بل هذا أمر تعلمه الأمم، فكل من عرف اللسانين أمكنه الترجمة ويحصل العلم بذلك إذا كان المترجمون كثيرين متفرقين

---

(١) لعل الشيخ يقصد اختلاف اللهجات التي في اللغة الواحدة بحيث تجعل أبناءها يحتاجون إلى تفهيم بعض كلماتها، أما اللسان كله فإنه غير مراد هنا.

(٢) إسرائيل لقب على نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ وهي كلمة عبرية مركبة من إسرا وإيل ومعنى إسرا: عبد، ومعنى إيل: الله، فمعناها إذن عبد الله.
وانظر ترجمته ـ عليه السلام ـ : في البداية والنهاية ١/١٩٤؛ وابن الوردي ١/٢٨؛ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب نجار ص ١١٩.
والعيص هو أخو يعقوب الأكبر، هو الذي تناسل منه الروم، والعيص ويعقوب ابنا إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.
وجاءت ترجمته في البداية والنهاية ١/١٩٤؛ وابن الوردي ١/٢٨.

(٣) سورة القصص: الآية ٤٦.

(٤) في ط (ترجمهما).

(٥) سقطت (جميع) من ك.

لا يتواطؤون على الكذب، و[1] بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك، وهذا موجود معلوم، بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف ما يقوله الآخر ولم[2] يتواطؤوا حصل بذلك المقصود في الغالب، وهم يذكرون أن التوراة ترجمها اثنان وسبعون حبراً من اليهود، ولم يكونوا معصومين، وأن[3] الملك فرقهم لئلا يتواطؤوا على الكذب، واتفقوا على ترجمة واحدة، وهذا كان بعد الخراب الأول، فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة.

وهذه التوراة في زماننا والإنجيل والزبور يترجم باللغة العربية، ويعرف المقصود به بلا ريب، فكيف بالقرآن الذي يفهم أهله معناه ويفسرونه ويترجمونه أكمل وأحسن مما يترجم أهل التوراة والإنجيل، التوراة والإنجيل؟

الوجه الثالث: أن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ دعوى ممنوعة وهي باطلة، وإنما هم رسل المسيح ـ عليه السلام ـ بمنزلة رسل موسى ورسل إبراهيم ورسل محمد ـ صلَّى الله عليهم[4] وسلَّم ـ، وأكثر النصارى أو كثير منهم[5] أو كلهم يقولون: هم رسل الله وليسوا بأنبياء، وكل من ليس بنبي، فليس برسول الله وليس بمعصوم، و[6] إن كانت له خوارق عادات، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم؛ فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق، فليسوا معصومين من الخطأ،

(١) سقطت الواو من ط .
(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.
(٣) في س (فإن).
(٤) في أ (عليه).
(٥) في أ (أو أكثرهم).
(٦) سقطت (الواو) من ط.

والخوارق التي تجري على يدي[1] غير الأنبياء، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء، فضلاً عن كونهم معصومين، فإن ولي الله من يموت على الإيمان * ومجرد الخارق لا يدل على أنه يموت على الإيمان[2] * بل قد يتغير عن ذلك الحال، وإذا قطعنا بأن الرجل ولي الله كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة، فلا يجب[3] الإيمان بكل ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء بخلاف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقر فيما يبلغونه خطأ، ولهذا أوجب الله الإيمان بهم، ومن كفر بواحد منهم فهو كافر، ومن يسب واحداً منهم، وجب قتله في شرع الإسلام، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[5].

---

(١) في ط (أيدي).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك، وزدناه من س، ط ، وفي ط (الخوارق) بدل (الخارق).

(٣) من قوله (والخوارق التي تجري على يدي. . . إلى: قوله فلا يجب الإيمان) ساقط كله من نسخة ك، أي حوالي أربعة أسطر.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وهذا مبسوط في موضع آخر[1].



(١) ألف الشيخ ــ رحمه الله ــ كتاباً عظيماً في هذا الموضوع وما يدور حوله تحت عنوان «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ويقع في قرابة ستمائة صفحة (طبعة/ مجلس دائرة المعارف/ حيدر أباد، سنة ١٣٢٢هـ .
وانظر من هذا الكتاب صفحات ٤، ٢٨، ١١٦، ١٢٤، ٥٧٠ فما بعدها بيَّن أن من سبَّ النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله قال ــ رحمه الله ــ : «هذا مذهب عليه عامة أهل العلم، قال ابن المنذر: أجمع عامة أهل العلم على أن حد من سب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ القتل، وممن قاله: مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. وقال الخطابي: لا أعلم أحداً اختلف في وجوب قتله. . .».
وقد ساق ــ رحمه الله ــ الآيات الدالة على كفر الشاتم وقتله، وذكر أن الساب أعظم جرماً من المرتد، وذلك أن جماعة ارتدوا على عهد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثم دعوا إلى التوبة، وعرضت عليهم حتى تابوا فقبلت توبتهم. أما الذين شتموا فقد أهدرت دماؤهم، ولم تقبل توبتهم ثم ذكر من قتلوا أو امر بقتلهم كابن أبي سرح، وابن خطل، والحويرث بن معبد، وغيرهم. وكذلك حكم سب سائر الأنبياء كحكم سب نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأن الإيمان بهم واجب عموماً، وواجب خصوصاً بمن قصَّه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر، ورده إن كان من مسلم، ومحاربته إن كان من ذمي. قال ــ رحمه الله ــ : «وما أعلم أحداً فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء، إنما فيه ذكر من سب نبينا، فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه. . .».
انظر الصارم المسلول ص ١١٦، وغيرها.
وانظر في هذه المسألة: المحلى لابن حزم ٤٠٩/١١؛ وحاشية الروض المربع ٤٠١/٧؛ والعدة شرح العمدة ص ٥٧٩؛ والكافي ١٠٩١/٢؛ والمقنع لابن قدامة ١٥٣/٤.

فصل

الردّ على زعمهم الاستغناء برُسُل الله إليهم عن رسالة محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأما قولهم: لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغتنا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا الرجل[1] حيث يقول في سورة إبراهيم:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ . . .﴾[2].

وقال في سورة[3] النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا . . .﴾[4].

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن إثبات رسول من قبله إليكم لا يمنع إتيان رسول ثان، فإن بني إسرائيل قد بعث الله إليهم موسى ـ عليه السلام ـ وكانوا على شريعة التوراة، ثم بعث الله ـ تبارك وتعالى ـ إليهم المسيح ـ عليه السلام ـ ووجب[5] عليهم الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً وإن قال

(١) سقطت (الرجل) من س، ك، ط.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٣) سقطت (سورة) من أ، س، ك.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٥) في س، ك (وجب) وفي ط (فوجب).

إني متمسك بالكتاب الذي أنزل إليَّ.

فكذلك إذا أرسل الله رسولاً بعد المسيح وجب الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً، كما أن من لم يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل كان كافراً.

وبنوا إسرائيل أكثر اختصاصاً بموسى والتوراة من الروم وغيرهم، فالمسيح والإنجيل فإنهم كانوا عبرانيين والتوراة عبرانية[1].

الوجه الثاني: دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح ـ عليه السلام ـ كذب ظاهر، بل هم عامة ما هم عليه من الدين: عقائده وشرائعه، كالأمانة، والصلاة إلى المشرق، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يوماً، والصلوات والقرابين والناموس[2]

---

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في جميع النسخ، وأرى أن فيها اضطراباً، وصحتها هكذا: (فالمسيح والإنجيل كانا عبرانيين، والتوراة عبرانية).

(٢) يطلق الناموس على صاحب السر، وقد يقيد بصاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، والأول قول الجمهور كما قال ابن حجر، وفي المعاجم اللغوية كذلك، ويقال للحاذق ومن يلطف مدخله، وجبريل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد اشتهرت هذه الكلمة عند اليهود والنصارى، ويعنون بها الشريعة، انظر: إنجيل متى الإصحاح الخامس/ فقرة ١٧؛ ويوحنا ١/١٧؛ وسفر الخروج ١٦/١٩؛ ويقسمه القس برسوم شحاته في كتابه (الخلاص) ص ٧٣ إلى ثلاثة أقسام: الناموس الأدبي، والناموس المدني، والناموس الطقسي ثم قال أي: الوصايا، والأحكام، والفرائض، وفي الكتاب حديث واسع عن الناموس فانظره بطبعة دار نوبار.

وانظر: في المعنى الأول فتح الباري ١/٢٤؛ وتفسير غريب الحديث ص ٢٤٦؛ والقاموس المحيط ٢/٥٦.

لم ينقله الحواريون عن المسيح ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الأنبياء، وأما كفرياتهم وبدعهم فكثيرة جداً لم[1] ينقل أحد عن المسيح والحواريين أنهم أمروهم أن يقولوا ما يقولونه في صلاتهم السحرية[2] : «تعالوا بنا

---

(١) في ط (ولم).

(٢) صلواتهم تنقسم إلى سبع صلوات منها صلاة السحر كما ذكر كاتبهم الآب متى المسكين في كتابه «التسبحة اليومية ومزامير السواعي» ص ٧٣، أما القس فايز فارس فيقسمها في كتابه «حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ الصلاة السرية: وتعني ساعات الاختلاء مع الله.

٢ ـ الصلاة العائلية: رب الأسرة مع أفراد أسرته يجتمعون كل يوم لقراءة كتاب.

٣ ـ الصلاة الجمهورية: يقوم بها البعض في اجتماعات العبادة العمومية نيابة عن جمهور العابدين.

ويبدو أن الأول تحديد لأوقاتها ـ عندهم ـ والثاني بيان لأنواعها، ولم أجد النصوص التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ بنصها ولكني وجدتها بمعناها في كتاب «الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإلّه» لمجموعة من مؤلفيهم ص ٤١ تحت عنوان الصلوات اليومية، وذكروا أنها تتضمن أناشيد وابتهالات عدة موجهة إلى والدة الإلّه... ومنها: «أيتها السيدة العذراء النقية عروس الله... إلخ»، ومنها: «أيتها المجيدة المباركة والدة الإلّه الدائمة البتولية مريم قدمي صلاتنا إلى ابنك وإلّهنا متوسلة إليه لكي يخلص نفوسنا»، قالوا وهذه من صلاة النوم الصغرى ثم ذكروا أناشيد وابتهالات أخرى ص ٤٢ «الكتاب المذكور» وانظر كتبهم التي تحدثت عن ذلك ومنها الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية لأفلاطون، تعريب الخوري يوحنا ص ٢٠٠ ـ ٢١٦ (ط. كرم بيروت)، وكتاب (أو من حوار من الباب المملوكي) للمطران أغناطيوس ص ١٠٥ من منشورات النور، بيروت.

فانظر مدى ما وصلوا إليه من الكفر والإشراك بالله، والحكم على هذه النصوص، وعلى أصحابها لا يحتاج إلى كبير فطنة، وعظيم ذكاء، فالأمر واضح جلي فنسأل الله العافية والسلامة من الزيغ والضلال.

ملاحظة: الكتب التي أشرت إليها موجودة بين يدي وسأشير إلى طبعاتها في الفهارس إن شاء الله.

نسجد للمسيح إلٓهنا»، وفي الصلاة الثانية والثالثة: «يا والدة الإلٓه مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة».

الوجه الثالث: قولهم أنهم سلموا إليهم[1] التوراة والإنجيل بلغاتهم إنما يستقيم إن كان صحيحاً في بعض النصارى لا في جميعهم، فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم أحد إليهم توراة ولا[2] إنجيلاً بلسانهم، وهذا أمر معروف ولا توجد[3] قط توراة ولا إنجيل معرب من زمن الحواريين، وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم[4] عليهم الحجة قبل محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم، فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم؟.

الوجه الرابع: أن يقال: الأمة إذا غيرت دين رسولها الذي أرسل إليها وبدلته أرسل الله إليها من يدعوها إلى الدين الذي يحبه الله ويرضاه، كما أن بني إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم المسيح بالدين الذي يحبه ويرضاه[5]، وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالدين الذي يحبه ويرضاه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم إلَّا بقايا

---

(١) في ك (إلينا).

(٢) سقطت (لا) من أ، س، ك، وزدناها من ط.

(٣) في ك، ط (يوجد) بالمثناة التحتية.

(٤) في س (من تقوم).

(٥) في ك، ط (يحبه الله).

من أهل الكتاب»[1].

وأولئك البقايا الذين كانوا[2] متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانوا على دين الله ـ عز وجل ـ ، وأما من حين بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فمن لم يؤمن به فهو من أهل النار، كما قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار»[3].

الوجه الخامس: أن يقال: دعواهم أن الرسل سلموا إليهم التوراة والإنجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لساناً، وأنها باقية إلى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم أن قائلها يتكلم بلا علم بل مفتر كذاب[4]، وذلك أن هذا يقتضي أنه الآن في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا[5] أربع دعاوى: أنها موجودة باثنين وسبعين لساناً، وأنها متفقة، وأنها كلها منقولة عن الحواريين، الرابعة أنهم معصومون.

فيقال: من الذي منكم لو قدر أن هذه الكتب التي باثنين

---

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي في كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ (رقم ٢٨٦٥)، ورواه أحمد في مسنده ١٦٢/٤.

(٢) في س (إن كانوا).

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته في الجزء الأول ص ١٣٤ حديث رقم (١٥٣).

(٤) في س، ك، ط (كاذب).

(٥) في جميع النسخ (فهذا)، والأولى (فهذه).

وسبعين لساناً هي عن الحواريين، وهي موجودة اليوم، فمن الذي يمكنه أن يشهد بموافقة بعضها بعضاً؟ وذلك لا يمكن إلَّا لمن يعلم الاثنين وسبعين لساناً ويكون ما عنده من الكتب يعلم أنها[1] مأخوذة عن الحواريين ويعلم أن كل نسخة في العالم بهذا اللسان توافق النسخة التي عنده وإلَّا فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لساناً لم يعلم أن كل نسخة من هذه هي المأخوذة عن الحواريين إن قدر أنه أخذ عنهم اثنان وسبعون[2] لساناً. * ولا يعلم أن كل نسخة في العالم توافق تلك النسخة[3] *، فإنه من المعلوم أنه في زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتب تنقل من لسان إلى لسان كما يترجم من العبرانية إلى العربية ومن السريانية والرومية واليونانية إلى العربية وغيرها.

وحينئذ فإذا وجدت نسخة بالعربية لم يعلم أنها مما عربت بعد الحواريين أو هي من المأخوذ عن الحواريين إذا قدر أنه أخذ عنهم نسخة بالعربية ولا يمكن لأحد[4] أن يجمع جميع النسخ المعربة ويقابل بينها، بل و[5]قد وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً في الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها، وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط وما يشهد بأنها مبدلة مغيرة لا يوثق بها، ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من أهل الكتاب، فكيف يمكنه أن يجمع جميع النسخ التي بالاثنين وسبعين لساناً ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة

---

(١) في ك، ط (إنما هي).

(٢) في ك، ط (اثنين وسبعين) والوجهان صحيحان.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ، س، وزدناه من ك، ط.

(٤) في أ، س (أحداً) وفي ك (أحد)، وما أثبتناه من ط أولى.

(٥) سقطت الواو من ط.

القديمة المأخوذة عن الحـواريين؟ ثم يقابـل بين نسخ جميـع الألسنة ولا يمكن ذلك إلاَّ لمن يكون عارفاً بالاثنين وسبعين لساناً معرفة تامة، وليس في بني آدم من يقدر على ذلك، ولو قدر وجود ذلك فلم يعرف أن القادر على ذلك فعل ذلك وأخبرنا باتفاقها.

ولو وجد ذلك لكان هـذا خبر واحـد أو[1] أن يترجم كـل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهي الترجمـة إلى لسان واحـد كالعـربـي مثلاً ويعلم حينئذ اتفاقها، وإلاَّ فإذا ترجم هذا الكتاب بلسان أو لسانين أو أكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفـاقها إن لم يعلم أن المعنى بهـذا اللسان هـو المعنى بهذا اللســان وهذا لا يكـون إلاَّ ممن يعـرف اللســانين أو من يترجم له اللسانين[2] باللسان الذي يعرفه.

ومعلوم أن أحداً[3] لم يترجم له الاثنان وسبعون لساناً بلسان واحد أو ألسنة يعرفها ولا يعرف أحد باثنين وسبعين لساناً.

وحينئذ فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانـاً أو الجزم بأن نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لو لم يكن في الأرض اليـوم الاثنان وسبعـون لسـانـاً منقـولـة عن الحـواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك، فكيف وأكثر ما بأيدي النـاس هو ممـا ترجم[4] بعـد ذلك بالعربـي وغيره؟.

هذا إذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً وأنها بـاقية

---

(١) في ك، ط (وأن يترجم).
(٢) في ك، ط (ترجم له اللسانان)، وفي س (يترجم له اللسانان).
(٣) في أ، س (أحد).
(٤) في ك، ط (يترجم).

إلى اليوم وهذا أمر لا يمكن أحداً[1] معرفته، فليس اليوم توراة، وإنجيل، ونبوات يشهد لها أحد أنها مترجمة باللسان العربي من عهد الحواريين، بل ولا بأكثر الألسنة، وإلاَّ فإذا قدر أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات أمكن وقوع التغيير في بعض المترجمات، وحينئذ فالعلم بأن تلك النسخ القديمة[2] لا تتغير فيها لا يمنع وقوع التغيير في بعض ما ترجم بعدها أو في بعض ما نسخ منها[3]، ولا سبيل إلى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لساناً بخلاف القرآن الذي هو بلسان العرب وخط العرب، فإن العلم باتفاق ما يوجد من نسخة ممكن وهو محفوظ في الصدور و[4]لا يحتاج إلى حفظ في الكتب فهو منقول بالتواتر لفظاً وخطاً.

الوجه السادس: قولهم وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا على ما يشهد لهما[5] الكتاب الذي أتى به هذا الرجل[6]، فيقال لهم: ليس في القرآن ما يشهد لكم بأن التوراة والإنجيل سلمت إليكم بلسانكم فاستشهادكم بالقرآن على هذه الدعوى من جنس استشهادكم به على أن دينكم حق.

ومن جنس استشهادكم بالنبوات على ما أحدثتموه وغيرتم به دين

---

(١) في ط (لأحد).
(٢) سقطت (القديمة) من ك.
(٣) في ك، ط (بعدها).
(٤) سقطت (الواو) من س، ك، ط.
(٥) بياض في أ، وأثبتناه من سائر النسخ.
(٦) سقطت (الرجل) من س، ك، ط.

المسيح ــ عليه السلام ــ من التثليث والاتحاد وغير ذلك وقولهم حيث يقول الله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ . . . ﴾[1].

وقال[2] ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا . . . ﴾[3].

فيقال: لا ريب أن قوم موسى ــ عليه السلام ــ هم بنو إسرائيل وبلسانهم نزلت التوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح ــ عليه السلام ــ وبلسانهم كان المسيح يتكلم فلم يخاطب أحد[4] من الرسولين أحد إلَّا باللسان العبراني، لم يتكلم أحد منهما لا برومية، ولا سريانية، ولا يونانية، ولا قبطية.

وقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا . . . ﴾[5].

كلام مطلق عام، كقوله:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ . . . ﴾[6].

ليس في هذا تعرض لكون التوراة والإنجيل سلمت إليهم بألسنتهم.

الوجه السابع: أن يقال عمدتهم في هذه الحجة أنهم يقولون:

---

(1) سورة إبراهيم: الآية ٤.
(2) في ط (وقوله).
(3) سورة النحل: الآية ٣٦.
(4) في س، ك، ط (واحد).
(5) سورة النحل: الآية ٣٦.
(6) سورة فاطر: الآية ٢٤.

الحواريون هم عندنا رسل الله كإبراهيم وموسى، والمسيح عندنا هو الله وهو أرسل إلينا هؤلاء[1] فيجب أن يكونوا أرسلوا إلينا بلساننا، وأن يكونوا سلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا.

فيقال لهم: هب أنكم تدعون هذا وتعتقدونه ونحن سنبين[2] ـ إن شاء الله تعالى ـ أن هذه دعاوى باطلة لكن أنتم في هذا المقام تذكرون أن هذا الكتاب الذي هو القرآن الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يشهد لكم بذلك وهذا كذب ظاهر على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعلى كتابه وأنتم صدرتم كتابكم بأن كتابه يشهد لكم، ونحن نبين كذبكم وافتراءكم عليه سواء أقررتم بنبوته أو لم تقروا بها: فإنه[3] من المعلوم يقيناً عنه أنه لم يشهد للمسيح بأنه الله، بل كفر من قال ذلك، ولا يشهد للحواريين بأنهم رسل أرسلهم الله، بل إنما شهد للحواريين بأنهم قالوا إنا مؤمنون مسلمون وأنهم قالوا نحن أنصار الله كما شهد لمن آمن به بأنهم مؤمنون مسلمون ينصرون الله ورسوله، بل وأنهم أفضل من الحواريين لكون أمته خير الأمم كما قال ـ تعالى ـ :

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) في س، ك، ط (هؤلاء إلينا).

(٢) سيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن هذا في موضعه المناسب من هذا الجزء، وسيبين مدى بطلان هذه الدعوى، بما يثبت أن الحواريين ليسوا رسلاً وإنما هم مبلغون كغيرهم من أصحاب الرسل، وأنه ليس معهم على دعواهم دليل من نقل أو عقل، بل هي دعاوى باطلة، ومزاعم كاذبة.

(٣) في ط (فإن).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾[2] .

وسيأتي الكلام على هذا مبسوطاً ونبين أن الرسل المذكورين في سورة «يس» ليس هم الحواريين[3] ولا كانوا رسلاً للمسيح ، بل كان هذا الإرسال قبل المسيح وأهل القرية كذبوا أولئك الرسل فأهلكهم الله كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾[4] ، (*) .

والرسل المذكورون في سورة «يس» هم ثلاثة ، وكان في القرية رجل آمن بهم وهذه وإن كانت أنطاكية فكان هذا الارسال قبل المسيح ، والمسيح ـ عليه السلام ـ ذهب إلى أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١١ .

(٢) سورة الصف: الآية ١٤ .

(٣) في أ، س، ك (الحواريون) وصححناه من ط .

(٤) سورة يس: الآية ٢٨ ، ٢٩ .

(*) سيبسط الكلام على هذه المسألة، ويبين خطأ من ظن من المفسرين أن الرسل المذكورين في سورة يس هم الحواريون.

إلى السماء ولم يعززوا بثالث ولا كان حبيب النجار[1] موجوداً إذ ذاك[2]، وآمن أهل أنطاكية[3] بالمسيح ـ عليه السلام ـ وهي[4] أول مدينة آمنت به كما قد بسط في غير هذا الموضع[5].

والمقصود هنا: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يشهد للمسيح بالألاهية[6] ولا للحواريين بأنهم رسل الله ولا أنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل بلسانهم ولا بأنهم معصومون وما ذكروه من قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ...﴾[7].

إنما يتناول رسل الله لا رسل رسل الله بل رسل رسل الله يجوز أن يبلغوا رسالات الرسل بلسان الرسل إذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان، وإن لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رسل الرسل

---

(١) اسمه حبيب بن مري، ثم قيل: كان نجاراً، وقيل: حبالاً، وقيل: إسكافاً ــ خرازاً ــ، وقيل: قصاراً، وقيل كان يتعبد في غار هناك فالله أعلم، قال ابن كثير: «وعن ابن عباس: أنه قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، قتله قومه، ولهذا قال الله ــ تعالى ــ: ﴿قيل ادخل الجنة﴾، يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة، رواه ابن أبي حاتم». انظر: البداية والنهاية ١/ ٢٣٠؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ٣٣٧ (كتاب الأنبياء، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية... الآية).

(٢) في س بدل (ذاك) جملة زائدة لا مكان لها هذا نصها: «إذ أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه إذ ذاك».

(٣) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة. مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد، وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والطيب والفواكه، وبينها وبين حلب يوم وليلة، وبها كانت مملكة الروم. انظر: مراصد الاطلاع ١/ ١٢٥.

(٤) في أ، س، ك (وهم) وصححناه من ط.

(٥) بسط في ص ٢٤٤ فما بعدها من هذا الجزء.

(٦) في ط (بالألوهية).

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٤.

تخاطبهم بلسانهم لكن لا يلزم من هذا أن يكونوا قد كتبوا الكتب الإلٓهية بلسانهم بل يكفي أن يقرأوها بلسان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ثم يترجموها بلسان أولئك وهو ـ سبحانه ـ قال:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ . . .﴾[1].

ولم يقل وما أرسلنا من رسول إلَّا إلى قومه بل محمد أرسل بلسان قومه وهم قريش وأرسل إلى قومه وغير قومه كما يذكرون[2] ذلك عن المسيح عليه السلام.



(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) في ك، ط (يذكرون هم ذلك).

فصل

وأما قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا . . . ﴾ .

فحق[1] . وتمام[2] الآية :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[3] .

وهذا كقوله ـ تعالى ـ في الآية الأخرى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[4] .

وقوله :

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[5] .

ـ في أصح الأقوال ـ أي : ولكل قوم داعٍ يدعوهم إلى توحيد الله

---

(١) سقطت (فحق) من ط .

(٢) في ك، ط (فتمام).

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦ .

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٤ .

(٥) سورة الرعد: الآية ٧ .

وعبادته كما أنت هادٍ أي داعٍ لمن أرسلت إليه، والهادي: بمعنى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ . . . ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ . . . ﴾[2].

ومعلوم أن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء، بعث إليهم موسى، وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل: إنهم ألف[3] نبي وكلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً، ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غيَّر فيها بعض شرع التوراة بأمر الله عز وجل.

فإذا كان إرسال موسى والأنبياء بعده إليهم لم يمنع إرسال المسيح إليهم فكيف يمتنع إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولهم[4] من حين المسيح لم يأتهم رسول من الله كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ

---

(١) سورة الشورى: الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٣) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: في تاريخه البداية والنهاية ٢/١٥٢: روى البزار قال: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إني لخاتم ألف نبي أو أكثر، وإنه ليس منهم نبي إلَّا وقد أنذر قومه الدجال، وأنه قد تبين لي فيه ما لم يتبين لأحد منهم، وأنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور. ثم قال ـ رحمه الله ـ: وهذا إسناد حسن. . . إلخ. وسيأتي زيادة بيان لعدد الأنبياء وتحديده.

(٤) في ط (وهم).

مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

وهـذه[2] الفترة التي كـانت بين المسيح و[3]محمـد ـ صلوات الله عليهمـا وسـلامـه ـ وهي فيمـا ذكـره غيـر واحـد من العلمـاء كسلمـان الفارسي[4] وغيره كانت ستمائة سنة وقـد قيل: ستمـائة سنـة[5] شمسية وهي ستمائة وعشرون أو ثمانيـة عشر هـلالية وذلـك أن كل مـائة سنـة[6] شمسية تكون مائة وثلاث سنين هلالية. كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾[7].

وهـذه التسع وبعض العـاشرة، والتـاريـخ قـد تحسب فيـه التـامـة وتحسب فيه الناقصة، فمن قال عشرين حسب الناقصة، ومن قال ثمـانية عشر حسب التامة فقط.



(1) سورة المائدة: الآية ١٩.

(2) سقطت الواو من ط.

(3) في ط (وبين) وهي منفردة عن سائر النسخ، والصـواب عدم تكـرار بين إلاَّ إذا كانت الأولى مضافة إلى ضمير فإنها تكرر بين في هذه الحالة كقوله بينه وبين محمد.

(4) أبو عبد الله سلمان الخير الفارسي، مولى رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أصله من فارس كان أبوه دهقان رامهرمز وسيدها وسادن نارها.
روى أصحاب التراجم قصـة إسلامـه العجيبة، وتـدرجه من دينـه إلى النصرانيـة إلى الإسلام حتى أطلق عليه الباحث عن الحقيقة، وأول مشاهده مع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم الخنـدق، وهو الـذي أشار بحفـره، ولم يتخلف عن مشهد بعـده، فضـائله كثيرة، مـات ـ رضي الله عنه ـ سنـة ٣٥هـ في خلافـة عثمـان ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٦٠؛ والاستيعاب: هـامش الإصابـة ٢/٥٣؛ وتهذيب التهذيب ٤/١٣٧؛ والرياض المستطابة ص ١٠٣.

(5) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(6) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(7) سورة الكهف: الآية ٢٥.

فصل

ردّ زعمهم بأنَّ عَـدْل الله يقتضي أن لا يطالبوا باتباع إنسان لم يأتِ إليهم

وأما قولهم: نعلم(١) أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع إنسان لم يأتِ إليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داعٍ من قبله، فيقال الجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا الكلام لا يجوز أن يقوله من كتب هذا الكتاب ولا أحد يفهم بالعربية * فإن هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربية *(٢) وقد قرءوه وناظروا بما فيه، وإذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كان ذلك أبلغ في قيام الحجة عليهم، فإنهم يمكنهم فهم ما قال بالعربية وتفهيم(٣) ذلك لقومهم باللسان الآخر.

الثاني(٤): كما(٥) أنهم يفهمون ما في كتبهم الرومية، والسريانية والقبطية، وغيرها ويترجمونها للعرب من النصارى بالعربية، فإذا قامت الحجة على عرب النصارى باللسان الرومي فلأن تقوم على الروم باللسان العربي أولى، فإن اللسان العربي أكثر انتشاراً في العالم من اللسان الرومي، والناطقون به بعد ظهور الإسلام أكثر من الناطقين بغيره وهو أكمل بياناً وأتم تفهماً.

---

(١) في ك، ط (ونعلم).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من هامش النسختين س، ك، ومن ط .
(٣) في س، ك (ويفهم).
(٤) في ط (الوجه الثاني).
(٥) سقطت (كما) من س، ك، ط .

وحينئذٍ فيكون وصول المعاني به إلى غير أهل لسانه أيسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به، وهؤلاء علماء النصارى يقرءون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع أن مصنفيها كانوا عجماً من رومي ويوناني وغير ذلك، فما المانع أن يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باللسان العبري؟ مع أنه أخذ عن الرسول بالعربي فهو أولى بأن يعرف به مراد المتكلم به.

الوجه الثالث: أن يقال الناس لهم في عدل الله ثلاثة أقوال، قيل: كل ما يكون مقدوراً فهو عدل، وقيل: العدل منه نظير العدل من عباده، وهما قولان ضعيفان وقيل: من عدله أن يجزي المحسن بحسناته لا[1] ينقصه شيئاً منها ولا يعاقبه بلا ذنب.

ومعلوم أنه إذا أمر العبد بما يقدر عليه كان جائزاً باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإن كان الفعل مكروهاً للإنسان فإن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وقد كلفت بنو إسرائيل والنصارى من الأعمال ما هو مكروه لهم وشاق عليهم، فكيف يمتنع أن يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم[2] والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقوا الأرض، ومنهم نصارى لا يحصون، فكل من عرف بالعربية من النصارى أمكنه فهم ما يقال بالعربي، ومن كان منهم رومياً كان له أسوة من أسلم من سائر طوائف الأعاجم كالفرس، والترك، والهند، والبربر، والحبشة، وغيرهم وهو متمكن من معرفة ما أمره الله[3] والعمل به، كما يمكن هؤلاء كلهم، بل

---

(١) في ط (ولا).

(٢) سقطت (لهم) من أ.

(٣) في ط (أمره الله به).

الـروم أقدر على ذلـك من غيـرهم، فـلأي وجـه يمتنـع أن يـأمـرهم الله بذلك؟ وما لا يتم الواجب إلاَّ به إذا كان مقـدوراً للعبد، فعليـه أن يفعله باتفاق أهل الملل: المسلمين، واليهود، والنصارى.

وإنما[1] تنازع الناس فيه هـل يسمى واجباً؟ فقيـل: يسمى واجباً، وقيل: لا يسمى واجباً، فإن الآمر لم يقصده بالأمر وقد لا يخطر ببالـه إذا كان الآمر مخلوقاً.

قال هؤلاء[2]: ولأن الواجب ما يذم تاركه شرعاً، أو يعـاقب تاركـه شـرعـاً، أو مـا يستحق تـاركـه الـذم[3]، أو مـا يكـون تـركـه سببـاً للذم أو العقاب، وقالـوا[4]: وما لا يتم الـواجب إلاَّ به لا يستحق تـاركه الـذم والعقاب، فإن الحج إذا وجب على شخصين أحدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة البعيد على الترك أعظم من عقوبة القريب، مع أن المسافة التي لا بد لهما من قطعها أكثر.

وكـذلك من وجب عليـه قضاء دينـه من غير احتيـاج إلى بيع شيء من ماله ليست عقـوبته على التـرك بأقـل من عقوبـة من يحتاج إلى بيع مال له ليقضي به دينه.

وفصـل الخطاب أن مـا لا يتم الواجب إلاَّ بـه هو من لـوازم وجود الواجب، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، فالمـأمور بـه لا يمكن فعله إلاَّ بلوازمـه، والمنهي عنه لا يمكن تـركه إلاَّ بتـرك ملزوماتـه، لكن هـذا الملزوم لزوم عقلي أو عادي، فوجوبـه وجوب عقلي عـادي، لا أن الآمر

---

(١) في س، ك (وإنما ما)، وفي ط (وإن ما).

(٢) سقطت (هؤلاء) من ط.

(٣) في هامش نسختي س، ك، وفي ط زيادة (أو العقاب).

(٤) في س، ك، ط (قالوا) بدون واو.

نفسه قصد إيجابه والذم والعقاب على تركه.

وتنازع الناس هل يقال ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، سواء كان وجوبه شرعياً أو عقلياً؟ أو يحتاج أن يقال ما لا يتم الواجب إلَّا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب؟

فالجمهور أطلقوا العبارة الأولى، وبعض المتأخرين قيدوها بالقدرة[1] ولا حاجة إلى ذلك. فإن ما لم يكن مقدوراً ينتفي الوجوب مع انتفائه فيكون شرطاً في الوجوب لا في فعل الواجب والجمهور قالوا: ما لا يتم الواجب إلَّا به فإنه يجب.

والمقصود هنا: أن الله إذا أوجب على العباد شيئاً واحتاج أداء[2] الواجب إلى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً فإذا كان معرفة العبد لما أمره[3] الله به تتوقف على أن يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الألفاظ التي ليست بلغته أو على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك.

ولو جاءت رسالة من ملك إلى ملك بغير لسانه، لطلب من يترجم مقصود الملك المرسل ولم يجز أن يقول: أنت لم تبعث إليَّ من يخاطبني بلغتي مع[4] قدرته على أن يفهم مراده بالترجمة، فكيف يجوز أن يقال ذلك لرب العالمين؟ ولو أمر به[5] بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته وهم قادرون على معرفة ما أمرهم به إما بتعلم لغته وإما

---

(١) في ط (بالمقدور).
(٢) سقطت (أداء) من ك.
(٣) في أ (أمر).
(٤) في ط (من) بدل (مع).
(٥) سقطت (به) من ك، ط .

بمن يترجم لهم ما قاله لم يكن ذلك ظلماً[1]، فكيف يكون ظلماً من رب العالمين مع أنه ليس بظلم من المخلوقين؟

ولو وجب لبعض الرعية حق على بعض أو ظلم بعضهم بعضاً لوجب على الملك أن ينصف المظلوم ويرسل إلى الظالم من يأمره بالعدل والإنصاف، ويعاقبه إذا لم ينصف إذا كان الظالم متمكناً من معرفة أمر الملك بالترجمة أو غيرها وهذا هو العدل، ليس العدل أن يترك الناس ظالمين في حق الله وحق عباده والله ـ تعالى ـ أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كما قال ـ تعالى ـ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ... ﴾[2].

فليس لأحد ممن أرسل إليه رسول وهو قادر على معرفة ما أرسل به إليه بالترجمة أو[3] غير الترجمة أن يمتنع من شرع الله الذي أنزله[4]، وهو القسط الذي بعث به رسوله لكون الرسول ليس لغته لغته، مع قدرته على أن يعرف مراده بطرق متعددة.

والناس في مصالح دنياهم يتوسل أحدهم إلى معرفة مراد الآخر بالترجمة وغيرها فيتبايعون، وبينهم ترجمان يبلغ بعضهم عن بعض، ويتراسلون في عمارة بلادهم، وأغراض نفوسهم بالتراجم الذين يترجمون لهم، وأمر الدين أعظم من أمر الدنيا، فكيف لا يتوسلون إلى معرفة مراد بعضهم من بعض؟! وكيف يكون أمر الدنيا أهم من أمر الدين إلاّ عند من أغفل الله قلبه عن ذكر ربه، واتبع هواه وأعرض عن

---

(١) في ط (لم يكن ظلماً ذلك).
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٣) في أ (و).
(٤) في أ (نزله).

ذكر ربه[1]، ولم يرد إلَّا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2].

وقال[3] ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[4].

الوجه الرابع: أنه من العجب أن تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجاً عن العدل، وهم قد نسبوا إلى الله من الظلم العظيم على هذا الأصل ما لم ينسبه إليه أحد من الأمم كما سبوه وشتموه، مسبة ما سبه إياها أحد من الأمم فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده، وحمده، والثناء عليه؛ وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه، وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب، وأنه كانت الذرية في حبس إبليس، فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء: نوح وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وغيرهم.

ومعلوم أن إبراهيم كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه فكيف

---

(١) سقطت جملة (واتبع هواه وأعرض عن ذكر ربه) من ك.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٩، وفي س، ك (ذلك مبلغهم من العلم).

(٣) في ك (قال).

(٤) سورة الكهف: الآية ٢٨. وانظر في سبب نزول هذه الآية في أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٤، ٢٢٥؛ ولباب النقول للسيوطي ص ٩٩.

ردّ عقيدة النّصارى في الصَّلْب والفِداء

يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد هذا لو قُدِّر أن آدم لم يتب، فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة؟ ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدام وذريته من عذاب الجحيم، وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصياً لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم إلى حين مبعث المسيح والرب قادر على عقوبته، وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر على تعلمه، وفيه صلاح معاشه، ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجباً لتكذيب كتابه، ورسله، والإصرار على تبديل الكتاب الأول، وتكذيب الكتاب الآخر وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى، وعيسى، وسائر الأنبياء والرسل؟

والنصارى يقولون: إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً إنما مكن[1] الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس، قالوا: فأخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلم، و[2]مكن أعداءه من أخذه وضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وأظهر الجزع من الموت وصار يقول: يا إلّهي لم سلطت أعدائي علي ليختفي[3] بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليس أنه الله أو ابن الله ويريد إبليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح، وإبراهيم،

(١) في س (تمكن).
(٢) في ك، ط (قالوا أو أمكن)، وفي س (تمكن).
(٣) في ك، ط (ليخفي).

وموسى وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين[1]، فيحتج عليه الرب، حينئذٍ ويقول: بماذا استحللت يا إبليس أن تأخذ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك، فيقول ناسوتي: لا خطيئة له كنواسيت الأنبياء، فإنه كان لهم خطايا استحقوا بها أن تؤخذ[2] أرواحهم إلى جهنم، وأنا لا خطيئة لي.

وقالوا: فلما أقام الله الحجة على إبليس جاز للرب حينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من إذهابهم إلى الجحيم، وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم إلى الله ما يطول وصفه، فمن هذا قوله: فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحاً ما قدحه فيه أحد، وذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال: إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، وإن كان بخطاياهم فَلَمْ يأخذهم بذنب أبيهم، وهم قالوا: إنما أخذهم بذنب آدم.

الثاني: أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين، وكلهم بالنسبة إلى آدم سواء، وهم أيضاً يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين، فكيف جاز تمكين[3] إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين، ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح؟

الوجه الثالث: أن يقال أخذ إبليس لذرية آدم وإدخالهم جهنم: إما أن يكون ظلماً من إبليس، وإما أن يكون عدلاً، فإن كان عدلاً

---

(١) في س (والمتقين).

(٢) في س، ك، ط (تأخذ).

(٣) في أ، س، ك (تمكن).

فلا لوم على إبليس، ولا يجوز أن يحتال عليه ليمتنع من العدل الذي يستحقه بل يجب تمكينه من المتأخرين والمتقدمين[1].

وإن كان ظلماً فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح؟

فإن قيل: لم يقدر فقد نسبوه إلى العجز، وإن قيل: قدر على دفع ظلم إبليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان، إن[2] جاز ذلك جاز في كل زمان وإن امتنع امتنع في كل زمان.

الوجه الرابع: أن إبليس إن كان معذوراً قبل المسيح فلا حاجة إلى عقوبته ولا ملام[3] عليه، وإن لم يكن معذوراً استحق العقوبة ولا حاجة إلى[4] أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه.

الوجه الخامس: إنه بتقدير أنه لم يقم عليه الحجة[5] قبل الصلب فلم يقم عليه حجة[6] بالصلب، فإنه يمكنه أن يقول أنا ما علمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب، وأنت يا رب قد أذنت لي أن آخذ جميع ذرية آدم فأوديهم إلى الجحيم، فهذا واحد منهم، وما علمت أنك أو ابنك اتحد به، ولو علمت ذلك لعظمته فأنا معذور في ذلك فلا يجوز أن تظلمني.

الوجه السادس: أن نقول[7] أن إبليس يقول حينئذٍ: يا رب فهذا

(١) في ك، ط (من المتقدمين والمتأخرين).
(٢) في ك، ط (أو).
(٣) في س، ك، ط (يلام).
(٤) سقطت (إلى) من ك، ط.
(٥) في س، ك، ط (حجة).
(٦) سقطت (حجة) من س، ك، ط.
(٧) (أن نقول) ساقطة من أ، س.

الناسوت الواحد أخطأت في أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحهم في جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح، إمابذنب أبيهم، وإما بخطاياهم أنفسهم وحينئذٍ فإن كان ما يقوله النصارى حقاً فلا حجة لله على إبليس.

الوجه السابع: أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان، فعقوبة[1] بني آدم على ذنوبهم هي[2] إلى الله أو إلى إبليس؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعاً بغير إذن من الله في ذلك[3]، وهل هذا القول إلّا من[4] قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك، ولا عاقب الله أحداً على ذنب؟

ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس، لهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ولهذا كان المانوية دينهم مركباً من دين النصارى والمجوس، وكان رأسهم ماني[5] نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس[6]، بل وسائر المشركين نسب معروف[7].

---

(١) في س (وعقوبة).

(٢) في أ، س (هو)، وصححناه من ك، ط.

(٣) في س، ك، ط (له في ذلك).

(٤) في س (من جنس قول).

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سقطت (المجوس) من ك.

(٧) عقد الشيخ محمد أبو زهرة فصلاً في كتابه (مقارنة الأديان ـ الديانات القديمة) قارن فيه بين البوذية والنصرانية، وبيَّن أوجه الاتفاق، والصلة القائمة بينهما من ص ٥٣ ـ =

الوجه الثامن: أن يقال إبليس عاقب بني آدم وأدخلهم جهنم بإذن الله أو بغير إذنه؟

إن قالوا بإذنه، فلا ذنب له ولا يستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع، وإن كان بغير إذنه فهل جاز في عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز؟ فإن جاز ذلك في زمان جاز في جميع الأزمنة، وإن لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة، فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال هل كان الله قادراً[1] على منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلاً منه لو فعله أم لا؟ فإن كان ذلك مقدوراً له وهو عدل منه لم يحتج أن يحتال على إبليس ولا يصلب نفسه أو ابنه، ثم إن كان هذا العدل واجباً عليه وجب منع إبليس وإن لم يكن واجباً جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان.

وإن قيل: لم يكن قادراً على منع إبليس فهو تعجيز للرب عن[2] منع إبليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول

= ٦٨. وهذا يعطينا صورة واضحة على مدى ما وصلت إليه النصرانية من تحريف وصل بها إلى درجة كبيرة من الأوهام والأساطير التي لا يقرها عقل ولا شرع، ويبيِّن مدى عبث العابثين، وتحريف المحرفين، وانتحال المبطلين حيث تحولت إلى عقيدة وثنية منافية لملة أبينا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ، وجميع الرسل من قبل ومن بعد، ولذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
وانظر: كتاب أديان الهند الكبرى في سلسلة مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي، الجزء الرابع ص ٢٠٣، ٢٠٦ ـ ٢٢٣، وكتاب الشيخ محمد رشيد رضا «عقيدة الصلب والفداء» ص ١٦٣، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص ١٢٧.

(١) في أ (قادر)، وصوبناه من سائر النسخ. (٢) في ك، ط (على).

الثنوية الذين يقولون: لم يكن يقدر النور أن يمنع الظلمة[1] من الشر، ومن جنس قول ديمقراطيس[2] والحنانين[3] الذين يقولون: لم يمكن[4] واجب الوجود أن[5] يمنع النفس من[6] ملابسه الهيولي[7] بل تعلقت النفس بها بغير اختياره.

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفار اليهود الذين صلبوه[8] طاعة لله أو معصية فإن كان طاعة لله: استحق اليهود الذين صلبوه أن يثيبهم ويكرمهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له، والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثماً ـ وهم من شر الخلق ـ وهم يستحلون من[9] دمهم ولعنتهم ما لا يستحلونه من غيرهم، بل

---

(١) في ك، ط (العالم)، وفي س (الظلم)، وما أثبتناه من أ.

(٢) فيلسوف من فلاسفة اليونان، وحكمائهم، وأطبائهم. ولد حوالي ٤٦٠ق. م، درس الفلسفة وأنشأ جيلاً من تلامذته، وكان ذا مال وثروة، ثم طوف في أنحاء الديار، واستقر به المقام أخيراً في أثينا له تصانيف في الطبعيات، وعلم الفلك، والسلوك والرياضيات والهندسة.
انظر: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٤ (ط السعادة بمصر)، وكتاب فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط للدكتور جعفر آل ياسين ص ١٢٨، ط ٢، ١٩٧٥م.

(٣) هكذا ورد في جميع النسخ، ولم أقف له على ترجمة، فلعل الاسم محرف والله أعلم.

(٤) في ك، ط (يكن).

(٥) في ك، ط (الذي) بدل (أن).

(٦) في س، ك، ط (عن).

(٧) سبق توضيح معنى الهيولي.

(٨) في س (صلبوه هل كان) وفي ك، ط (صلبوه قد كان).

(٩) سقطت (من) من ط.

يبالغون في طلب اليهود، وعقوبتهم في آخر[1] صومهم الأيام التي تشبه أيام الصليب، وإن كان أولئك اليهود عصاة لله فهل كان قادراً على منعهم من هذه المعصية أم لا؟ فإن لم يكن قادراً لم يكن قادراً على منع إبليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل وإن كان قادراً على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع إبليس بدون هذه الحيلة، وإذا[2] كان حسناً منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسناً منه تمكين إبليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل فلا حاجة إلى الحيلة عليه.

واعلم: أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً، وكلما تصور العاقل مذهبهم، وتصور لوازمه، تبين له فساده، لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه ـ سبحانه ـ عدلاً لا يأمر[3] الناس بما يعجزون عنه، وهو ـ سبحانه ـ لم يأمرهم إلَّا بما يقدرون عليه وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من بني آدم يوضح هذا:

الوجه الحادي عشر: وهو أنه[4] إما أن يقال[5] في الظلم بقول[6] الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل ما يشاء بلا حكمة ولا سبب

---

(١) زاد في أ هنا جملة سبق الإتيان بها قبل أسطر ولا مكان لها وهي (في آخر رأسهم ماني نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين معروف)، ويبدو أن هذا سهو من الناسخ.

(٢) في ك، ط (وإن).

(٣) في س (لا يأمرون).

(٤) سقطت (أنه) من ك، ط.

(٥) في ك، ط (تقول).

(٦) في ك، ط (كما تقول).

ولا مراعاة عدل، وإما أن يقال بقول القدرية أنه يجب عليه العدل الذي يجب على المخلوقين، وإما أن يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوق، فهذه أقوال الناس الثلاثة.

فإن قيل بالأول: جاز أن يسلط إبليس على جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعاً بلا ذنب، ولا حاجة حينئذٍ إلى الحيلة على إبليس.

وإن قيل بالثاني: فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمر[1] غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الآمر والمأمور جميعاً.

وأما تسليطه للآمر على عقوبة المأمور فليس من العدل وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل.

وإن قيل: بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه قيل: فحينئذٍ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتيال عليه.

وإن قيل: إنما يستحق أخذهم خطاياهم، قيل: فله أن يأخذ الأولين والآخرين.

وإن قيل: هو لما طلب أخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب؟ قيل: هذا إن كان ذنباً فهو أخف ذنوبه فإنه لم يعلم أنه[2] ناسوت الإله وإذا[3] استحق الرجل أن يسترق أولاد غيره فطلب رجلاً

---

(١) في ك، ط (أمره).

(٢) سقطت (أنه) من س.

(٣) في ط (فإذا).

ليسترقه لظنه أنه منهم، ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنباً يمنع استرقاق الباقين.

وإن قيل: إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله أن لا ينقص أحداً من حسناته ولا يعاقبه إلاَّ بذنبه لم يجز حينئذٍ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم، ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلاَّ ذنب تابوا منه بذنب غيرهم فإن[1] الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب، فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصراً على الذنب مع أن هذا تقدير باطل، ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل، فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك، فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين[2] المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من[3] هو من الكفار؟

الوجه الثاني عشر: أن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم، فإن المنع من الشر الكثير أولى من المنع من الشر القليل، أتراه ما كان يعلم أن إبليس يعمل هذا الشر كله؟ فهذا تجهيل له، أو كان يعرف[4] وعجز عن دفعه فهذا تعجيز له، ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ أم كان ترك منعه عدلاً منه فهو عدل في كل زمان؟



(١) في س (وأن) وفي ك، ط (بأن).

(٢) في أ (مـن)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الصواب.

(٣) سقطت (من) من س.

(٤) في ك، ط (يعترف).

فصل

الردّ على النصارى في دعواهم أنَّ مَنْ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يبتغ غَيْرَ الإسْلَامِ دِيناً . . . ﴾ تقتضي العرب وحدهم

وأما تفسيرهم لقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1].

بأن مراده قومه كما قالوا.

وأما قوله[2] ـ تعالى ـ :

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

يريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه[3].

فيقال لهم من فسر مراد متكلم: أي متكلم كان بما يعلم الناس أنه خلاف مراده فهو كاذب مفتر عليه، وإن كان المتكلم من آحاد العامة، ولو كان المتكلم من المتنبئين الكذابين، فإن من عرف كذبه إذا تكلم بكلام وعرف مراده به لم يجز أن يكذب عليه، فيقال: أراد كذا

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) من قوله: (وأما قوله ـ تعالى ـ إلى آخر الآية/ ساقط من س).

(٣) في ط (به).

وكذا فإن الكذب حرام قبيح على كل أحد سواء كان صادقاً أو كاذباً، فكيف بمن يفسر مراد الله ورسوله بما يعلم كل من خبر حاله علماً ضرورياً أنه لم يرد ذلك بل يعلم علماً ضرورياً أنه أراد العموم؟

فإن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[2]. . .﴾ صيغة عامة، وصيغة «من» الشرطية من أبلغ صيغ العموم كقوله ـ تعالى ـ :

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[1].

ثم إن سياق الكلام يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم، فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارى، فإنها نزلت لما قدم على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفد نجران النصارى، وروى أنهم كانوا ستين راكباً، وفيهم السيد، والأيهم، والعاقب، وقصتهم مشهورة معروفة كما تقدم ذكرها[3].

وقد قال قبل هذا الكلام بذم دين النصارى الذي[4] ابتدعوه وغيروا به * دين المسيح ولبسوا الحق الذي بعث به المسيح بالباطل الذي ابتدعوه

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

(٢) جاءت هذه الآية: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام. . .﴾ الآية بعد قوله ـ تعالى ـ : ﴿أفغير دين الله يبغون. . .﴾ الآية ٨٣ من آل عمران، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا، وقالوا والله ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿أفغير دين الله يبغون. . .﴾.
انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٨٢، ٨٣.

(٣) تقدم ذكرها، وتخريجها من مظانها في أول الكتاب.

(٤) في ط (الذين).

حتى صار دينهم مركباً من حق وباطل، واختلط أحدهما بالآخر فلا يكاد يوجد معه من يعرف ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره والمسيح قرر أكثر شرع التوراة، وغير المعنى، وعامة النصارى لا يميزون ما قرره مما غيره فلا يعرف دين المسيح *[1].

قال ــ تعالى ــ :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

فقد بين أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر، فمن اتخذ من دونهم أرباباً كان أولى بالكفر، وقد ذكر أن النصارى اتخذوا من هو دونهم أرباباً بقوله ــ تعالى ــ :

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

ثم قال ــ تعالى ــ في سورة[4] آل عمران:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

---

(١) ما بين النجمتين من قوله (دين المسيح ولبسوا به الحق... إلى قوله فلا يعرف دين المسيح) ساقط من أ وبعضه ساقط من ك، وما أثبتناه من نسخة س، ط.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) سقطت (سورة) من أ، س، ك.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(1) .

قال ابن عباس وغيره من السلف: ما بعث الله نبياً إلَّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه(*)، والآية تدل على ما قالوا، فإن قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾: يتناول جميع النبيين.

﴿ . . . لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ . . . ﴾(2) .

وهذه اللام الأولى تسمى: اللام الموطئة للقسم، واللام الثانية تسمى: لام جواب القسم، والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط، والقسم كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(3) .

ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(4) .

---

(1) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(*) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وعن علي بن أبي طالب، وعن عكرمة، وعن السدي. انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٣٦ ـ ٢٣٧ (مجلد ٣)؛ وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨، تفسير آية ٨١: آل عمران، وفتح القدير للشوكاني ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(2) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(3) سورة الحشر: الآية ١٢.

(4) سورة التوبة: الآية ٧٥.

وقوله:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا... ﴾[1].

وقوله:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا... ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ... ﴾[3].

ومنه قوله:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... ﴾[4].

(وقوله)[5]:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ... ﴾[6].

(وقوله)[7]:

﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ... ﴾[8].

وقوله:

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ... ﴾[9].

---

(1) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.

(2) سورة النور: الآية ٥٣.

(3) سورة فاطر: الآية ٤٢.

(4) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(5) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.

(6) سورة التوبة: الآية ٦٥.

(7) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.

(8) سورة الأعراف: الآية ١٤٩.

(9) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.

وقوله[1] :

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾[2] .

وقوله :

﴿ . . . وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

وقوله :

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ . . . ﴾[4] .

وقوله[5] :

﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[6] .

وقوله :

﴿ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ . . . ﴾[7] .

وقوله :

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ . . . ﴾[8] .

ومثل هذا كثير وحيث لم[9] يذكر القسم فهو محذوف مراد تقدير

---

(١) (وقوله) ساقطة من جميع النسخ عدا ط.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٥) في ط (قوله تعالى).

(٦) سورة الروم: الآية ٥٨.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٨) سورة هود: الآية ٨.

(٩) سقطت (لم) من أ، وجاءت الجملة هكذا (وحيث ذكر القسم فهو محذوف مراد) وهي لازمة للسياق كما أثبتناها من س، ك، ط.

الكلام ـ والله ـ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ ـ والله ـ ﴿...وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ...﴾[1].

ومن محاسن لغة العرب أنها تحذف من الكلام ما يدل المذكور عليه اختصاراً وإيجازاً، لا سيما فيما يكثر استعماله[2] كالقسم، (وقوله)[3]:

﴿... لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ...﴾[4].

هي ما الشرطية والتقدير، أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، ولا تكتفوا بما عندكم عما جاء به ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه، وإن كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا يغنيكم[5] ما آتيتكم عما جاء به فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله.

فدل ذلك على أنه[6] من أدرك محمداً من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره كما قال:

﴿... لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ...﴾[7].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٢.

(٢) في س (استحاله) وهو تصحيف ظاهر.

(٣) سقطت (وقوله) من أ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٥) في س، ط (فلا تستغنوا بما) وسقط من قوله: (فلا يغنيكم) إلى (عذاب الله) من ك.

(٦) في ط (أن).

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨١.

وقد أقر الأنبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ... ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(١).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(٣).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٤).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٢. وسقطت هذه الآية من أ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

قالت[1] طائفة من السلف[2]: لما أنزل الله هذه الآية قال من قال من اليهود والنصارى نحن مسلمون. فقال ــ تعالى ــ:

﴿... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾[3].

فقالوا: لا نحج. فقال ــ تعالى ــ:

﴿... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

فكل من لم ير[5] حج البيت واجباً عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن.

واليهود والنصارى لا يرونه واجباً عليهم فهم من الكفار حتى أنه روى في حديث مرفوع إلى النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ: «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فليمت إن شاء[6] يهودياً وإن شاء نصرانياً»[7].

---

(1) في أ، س، ك (قال).

(2) أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة، قال: لما نزلت: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً...﴾ الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله ــ عز وجل ــ: لنبيه ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ قل لهم إن لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر من أهل الملل فإن الله غني عن العالمين.
انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٤١ (المجلد الثالث) عند آية ٨٥ آل عمران.

(3) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(4) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(5) في س، ك (يرا).

(6) في ط (إن شاء الله).

(7) رواه الترمذي في كتاب الحج، باب التغليظ في ترك الحج ٣/١٧٦ (٨١٢) بسنده عن علي بن أبي طالب يرفعه. ثم قال: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله ــ أحد رجال السند ــ مجهول والحارث يضعف في الحديث، وقد ذكر هذا ابن حجر أيضاً في كتابه تلخيص الحبير ٢/٢٢٢، ثم ذكر عدة طرق كلها ضعيفة، ثم قال: «وله طريق صحيحة إلّا =

وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وقد اتفق المسلمون على أن من جحد وجوب *مباني الإسلام الخمس*[2]: الشهادتين، والصلوات الخمس، والزكاة وصيام شهر رمضان، وحج البيت فإنه كافر.

وأيضاً فقد قال ــ تعالى ــ في أول السورة[3]:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4].

= أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور، والبيهقي عن عمر بن الخطاب..» ولفظ البيهقي أن عمر قال: ليمت يهودياً أو نصرانياً ــ يقولها ثلاث مرات ــ رجل مات ولم يحج، ووجد لذلك سعة، وخليت سبيله. قال الحافظ ابن حجر: «وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط (وهي إحدى الطرق التي ذكرها في مستهل كلامه عن هذا الحديث) علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحل الترك، وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع، والله أعلم.

وقد: أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٠٩ ــ ٢١٠ وذكر طرق الحديث كلها، ونقل أقوال العلماء من أئمة الجرح والتعديل في رجال أسانيده.

وانظر سنن البيهقي الكبرى ٤/٣٣٤، وحسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر، لمحمد بن السيد درويش الحوت ص ٢٢٣.

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه في سنن الترمذي ٣/١٧٦: «لم يخرج هذا الحديث من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي».

(١) سقطت (رضي الله عنه) من أ، ك، ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في س، ط (في أول سورة آل عمران).

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ــ ٢٠.

فقد أمره[1] ــ تعالى ــ بعد قوله:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ . . . ﴾[2].

أن يقول أسلمت وجهي لله، ومن اتبعن، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب: وهم اليهود والنصارى، والأميين، وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم أأسلمتم فالعرب الأميون[3] يدخلون في لفظ الأميين باتفاق الناس.

وأما من سواهم: فإما أن يشمله هذا اللفظ أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبينة أنه أرسل إلى جميع الناس.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ . . . فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4].

فقد أمر أهل الكتاب بالإسلام كما أمر به الأميين وجعلهم إذا أسلموا مهتدين، وإن لم يسلموا فقد قال: إنما عليك البلاغ، أي: تبلغهم رسالات ربك إليهم والله هو الذي يحاسبهم، فدل هذا[5] كله على أنه عليه أن يبلغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام كما يبلغ الأميين، وأن الله يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسب الأميين.

وفي الصحيحين عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الكتاب الذي كتبه إلى هرقل ملك النصارى: «من محمد رسول الله[6] إلى هرقل

---

(١) في س (أمره الله).
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) في أ (الأميين) وصححناه من سائر النسخ.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٠.
(٥) في س، ك، ط (بهذا).
(٦) سقط لفظ الجلالة من ط.

عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»(١).

و(٢) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾(٣).

وأبلغ من ذلك أن الله ــ تعالى ــ أخبر في كتابه أن الإسلام دين الأنبياء كنوح وإبراهيم، ويعقوب، وأتباعهم إلى الحواريين، وهذا تحقيق لقوله ــ تعالى ــ:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ...﴾(٤).

وإن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان.

قال ــ تعالى ــ عن نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾(٥).

فهذا نوح الذي غرق أهل الأرض بدعوته، وجعل جميع الآدميين

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث في أول الكتاب.

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٥) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

من ذريته يذكر أنه أمر أن يكون[1] من المسلمين.

وأما الخليل فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3].

فقد أخبر ـ تعالى ـ أنه أمر الخليل بالإسلام، وأنه قال أسلمت لرب العالمين وأن إبراهيم وصى بنيه، * ويعقوب وصى بنيه *[4] أن لا يموتن إلاّ وهم مسلمون.

وقال ـ تعالى[5] ـ:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ عن يوسف الصديق بن يعقوب أنه قال:

---

(١) في أ، س، ك (أكون) وصححناه من ط.
(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢٧، ١٢٨.
(٣) سورة البقرة: الآيات ١٣٠، ١٣٢.
(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ.
(٥) سقطت (تعالى) من أ، س.
(٦) سورة آل عمران: الآيتان ٦٧، ٦٨.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ عن موسى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[2].

وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى:

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقالوا أيضاً[4]:

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[5].

وقال[6] ــ تعالى ــ في قصة سليمان:

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[7].

وقال:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[8].

وقال[9]:

﴿... وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ...﴾[10].

---

(1) سورة يوسف: الآية ١٠١.
(2) سورة يونس: الآية ٨٤.
(3) سورة الشعراء: الآيتان ٥٠، ٥١.
(4) في ك، ط (وقال تعالى).
(5) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.
(6) سقطت الواو من ط.
(7) سورة النمل: الآيتان ٣٠، ٣١.
(8) سورة النمل: الآية ٣٨.
(9) في ط (وقال تعالى).
(10) سورة النمل: الآية ٤٢.

وقال عن[1] بلقيس التي آمنت بسليمان:

﴿ . . . رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

وقال ـ عن أنبياء بني إسرائيل ـ:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا . . . ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ عن الحواريين:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4].

* وقال ـ تعالى ـ *[5]:

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[6].

فهؤلاء الأنبياء[7] وأتباعهم. كلهم يذكر[8] تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . . . ﴾[9].

وقوله:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . . ﴾[10].

لا يختص بمن بعث إليه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بل

---

(١) في ط (وقال تعالى).

(٢) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٥) سقط ما بين النجمتين من جميع النسخ وزدناه من ط.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٧) في ك، ط (الأنبياء كلهم).

(٨) في ط (يذكر الله).

(٩) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(١٠) سورة آل عمران: الآية ١٩.

هو حكم عام في الأولين والآخرين، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

● ● ●

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١١١، ١١٢.

فصل

توسُّط المسلمين بين تقصير اليهود وغلوّ النّصارى

قولهم: ثم وجدنا في هذا الكتاب من تعظيم السيد[1] المسيح وأمه حيث يقول في سورة الأنبياء[2]:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقال في سورة آل عمران:

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة[5] الله لأمه، وأنه تكلم في المهد، وأحيا[6] الميت، وأبرأ[7] الأكمه، ونقى الأبرص وأنه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طائراً[8] بإذن الله. أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، ووجدنا أيضاً في الكتاب أن الله رفعه إليه.

وقال في سورة النساء:

---

(١) سقطت (السيد) من أ.
(٢) في ط زيادة (هذا) بعد الأنبياء.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٥) في أ، س، ك (ملاك).
(٦) في ط (وإحياء).
(٧) في ط (وإبراء).
(٨) في ك، ط (طيراً).

﴿... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ...﴾(1).

وفي سورة آل عمران:

﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ...﴾(2).

وقال في سورة البقرة:

﴿... وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ...﴾(3).

وقال في سورة الحديد:

﴿وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ ...﴾(4).

وقال في سورة آل عمران:

﴿... مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(5).

ثم وجدناه يعظِّم إنجيلنا(6).

الجواب: أما تعظيم المسيح وأمه فهو حق، وكذلك مدح من كان

---

(1) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(2) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(3) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(4) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(5) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.

(6) من أول الفصل إلى هذا الموضع يوافق ورقة (٣) من نص المخطوط الذي وجدناه في المتحف القبطي برقم (١٢٥٤). مع اختلاف يسير في ألفاظه.

على دينه الذي لم يبدل قبل أن يبعث[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أو بقي على ذلك إلى أن بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ فآمن به، فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وكذلك من كان على دين موسى الذي لم يبدل إلى أن بعث المسيح فآمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وقد قدمنا أن المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون إلى [3] غلو، ولا إلى تقصير[4].

وأما اليهود والنصارى: فهم على طرفي نقيض، هؤلاء ينحرفون إلى جهة، وهؤلاء إلى الجهة[5] التي تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ، وكذلك تقابلهم في التحريم، والتحليل، والطهارة، والنجاسة. فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون في اجتناب النجاسات

---

(١) في ك، ط (انبعث).

(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من أ، س.

(٣) في س، ك، ط (لا إلى غلو).

(٤) قال القرافي ـ رحمه الله ـ الجواب على هذا من وجوه:

١ ـ أن تعظيمهما لا نزاع فيه، ولم تكفر النصارى بالتعظيم، وإنما كفرت بنسبة أمور إليهما لا يليق بجلال الربوبية، ولا بدناة البشرية من الأبوة والبنوة، والحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والأولاد. . .

٢ ـ أنه إذا اعترف بأن القرآن العظيم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكد الحق. بل المؤكد للحق حق جزماً فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى.

٣ ـ أن هذا برهان ناطق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان، فإنه مشتمل على تعظيم جميع الرسل، وجميع الكتب المنزلة.

انظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي (رسالة ماجستير/ تحقيق زميلنا د. سالم بن محمد القرني) القسم الأول ص ١٥٣.

(٥) في س، ك (جهة).

حتى أن الحائض لا يؤاكلونها، ولا يساكنونها[1]، ولا يجامعونها[2]، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها، ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الآصار، والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارى: ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراماً، ولا نجساً إلَّا ما كرهه الإنسان بطبعه، ويصلون مع الجنابة، والحدث، وحمل النجاسات، ويأكلون الخبائث: كالدم، والميتة، ولحم الخنزير، إلَّا من كره منهم شيئاً فتركه، والمسلمون وسط كما قال ـ تعالى ـ فيهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3].

أي: عدلاً خياراً، قال[4] ـ تعالى ـ:

﴿ . . . وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(1) في ك، ط (يشاربونها).

(2) ذكر السيوطي في لباب النقول ص ٣٥ ما نصه «روى مسلم والترمذي عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأنزل الله ﴿ويسألونك عن المحيض. . .﴾ الآية فقال اصنعوا كل شيء إلَّا النكاح.
رواه مسلم في كتاب الحيض، باب في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض. . . .﴾ الآية. انظر مختصر صحيح مسلم ص ٥٤ حديث رقم (١٧١)؛ ورواه الترمذي في كتاب التفسير حديث رقم (٢٩٧٧) ٥/٢١٤.

(3) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(4) في ك، ط (كما قال).

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ولهذا كان من انحرف من المسلمين إلى[2] شبه اليهود والنصارى، مأموراً بترك ذلك الانحراف، واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم كاليهود، وغير[3] الضالين كالنصارى.

وذلك مثل من يبالغ[4] في اجتناب النجاسات فينجس ما لم ينجسه الله ورسوله، ويحرم ما لم يحرمه الله ورسوله، ويأخذه الوسواس في اجتناب النجاسات، ويحرم طيبات[5] أحلها الله للمسلمين، مثل: من يرى أن القياس أن النجاسة لا تزول لا بماء ولا بغيره، أو يرى أنها وإن زالت فلم يبقَ[6] لها أثر فالمحل نجس إذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء أو غيره[7]، أو يرى أن الطيبات التي

---

(1) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(2) في أ (كما).

(3) في ك، ط (ولا).

(4) في ك، ط (بالغ).

(5) في ط (الطيبات التي).

(6) في أ (يبقى).

(7) مذهب مالك، والشافعي، ومحمد بن الحسن، وزفر، ورواية عن أحمد أن الطهارة من النجاسة لا تحصل إلّا بما يحصل به طهارة الحدث لدخوله في عموم الطهارة ورجح هذا ابن قدامة في المغني ١/٩؛ والمقنع ١/٧٩.
وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل، وماء الورد، وماء الشجر، وهذه رواية عن الإمام أحمد، واختارها الشيخ تقي الدين (ابن تيمية) وابن عقيل، قالوا لأن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً» فأطلق الغسل، وتقييده بالماء يحتاج إلى دليل، ولأنه مائع طاهر مزيل فزالت النجاسة به. =

أحلهـا الله حرام خبيثـة لأنها مستحيلة عن المحـرم مع أن الخـل حلال، وإن كان قد كان خمراً باتفاق المسلمين إذا بدا إلى حالته[1]، أو يرى أن المـاء الطيب، والمـائعات الـطيبة التي ليس فيهـا أثر من الخبيث حـرام لكـون الخبيث لاقاهـا، أو[2] استهلك فيها مـع أنها من الـطيبـات لا من الخبائث، أو يرى تحريم ما سوى موضـع الدم الـذي هو أذى، إلى غيـر ذلك من أقوال قالها بعض العلماء، ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبـع ما دلَّ عليه الكتاب والسنة.

وأعظم من ذلك من يكفر من خالفه من المسلمين، ويرى نجـاسة الكفار كما[3] عليه كثير من أهل البدع من الـرافضة والخـوارج وغيرهم، فإذا أكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم، وأما ما يفعله كثيـر من الناس من غير أن يقوله عالم مثل من يغسل يـديه، وثيـابه، وحصـر بيته بتـوهم نجـاستهـا، أو يـأمـر الحـائض إذا طهـرت أن تبـدل ثيـابهـا الأول أو[4] تغسلها، أو يمنع الجنب أن يـأكل * أو يشـرب حتى يغتسل *[5]، فهـذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود[6].

وأما من يشبه النصارى: فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر، ولا

= انظر: المغني ١/٩ ـ ١٠ والمقنع ١/٧٩ والكافي لابن عبد البـر ١/١٦٢ ومجموع الفتاوى ٢١/٤٧٤.

(١) في أ، س (بد الله بإحالته) وهي جملة مضطربة.

(٢) سقطت (أو) من ط.

(٣) في ك، ط (كما دل عليه)، ولا مكان لكلمة (دل) في هذه الجملة.

(٤) في س (و).

(٥) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٦) ذكر ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ جملاً مفيـدة ـ في كتابـه القيم تلبيس إبليس ـ فيما يتعلق بتلبيس الشيـطان على العباد في الـوضوء وغيـره في ص ١٣٥ ـ ١٣٧ وأرجـع ذلك إلى الجهل وقال: «اعلم أن الباب الأعظم الذي يـدخل منـه إبليس على الناس هـو الجهل، فهـو يدخـل منه على الجهـال بأمـان، وأما العـالم فلا يـدخل عليـه إلاَّ مسـارقـة، وقـد لبس إبليس على كثيـر من المتعبـدين بقلة علمهم؛ لأن جمهـورهم يشتغل بالتعبد، ولم يحكم العلم. . . » إلخ. ما ذكره من كلام مفيد في هذا الباب.

يصلي من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة[1]، مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات. كالحمام، والأتاتين[2]، والمزابل وهو متلوث[3] بالبول والعذرة ويعاشر[4] الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة، بل ولا يصلي أو[5] يصلي بلا وضوء، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل أحد، وأن الوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة فرض لا[6] يصلي إلَّا به مع القدرة، ولا[7] يتيمم مع القدرة. فمن أنكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين.

---

(١) يشير المؤلف إلى الصوفية الذين ابتدعوا في دين الله، وأحدثوا فيه ما ليس منه، واتبعوا ما رتبه لهم مشائخهم الجهال، الذين رتبوا لهم ترتيبات في المطاعم، وصنفوا مصنفات في رياضة النفوس، وابتدعوا كثيراً من الأقوال والأعمال التي لم يرد بها كتاب ولا سنَّة ولا إجماع من سلف الأمة، يقول ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ «وكان أصل تلبيس إبليس عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. . .» وقد مرت الصوفية بمراحل عديدة كان آخرها مرحلة وحدة الوجود التي يبطن أصحابها الكفر والإلحاد، ويبيحون المحظورات، بل يجعلونها عبادة يدينون بها ويؤثرونها على الصلوات، أعاذنا الله من الزيغ والضلال.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/١٩٥؛ وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٢٥ بتحقيق محمد الفاخوري، ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور مصطفى كامل الشيبي ص ٣٧٦؛ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفه، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

(٢) الأتاتين: قال في المصباح المنير: ٤/١ «الأتون وزان رسول قال الأزهري هو للحمام والجصاصة وجمعته العرب أتاتين بتاءين نقلا عن الفراء. . .». وجاء في مختار الصحاح ص ٤ «الأتون بالتشديد الموقد والعامة تخففه وجمعه أتاتين».
وانظر القاموس المحيط ١٩٤/٤/ باب النون فصل الهمزة.

(٣) في ط (ملوث).

(٤) في ط (ويباشر).

(٥) في ك، ط (أو و).

(٦) في ك، ط (ولا).

(٧) في س، ك، ط (وأن لا).

ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف الذي يكون من الشياطين[1]، والجهال يظنون أنه من كرامات أولياء الله إذا لم يكن يصلي الصلوات الخمس ويتوضأ ويغتسل من الجنابة من المؤمنين، أو من أولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن لم يحرم الخبائث التي حرمها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميتة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن جعل مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول ولياً لله فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك فيمن ينتحل الإسلام ويذم أهل الكتاب من يكون منافقاً في الدرك الأسفل من النار، ويكون كثير من اليهود والنصارى أخف عذاباً في الآخرة منه. قال الله[2] ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

وكذلك المسلمون وأهل السنة في المسلمين وكذلك[4] في التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق، وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها. والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق، وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلَّا الله ـ تبارك تعالى ـ : فقال من قال من اليهود:

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ ذكر حكايات كثيرة موضوعة في الكرامات، وذكر المخاريق الشيطانية التي لبس بها الحلاج وغيره على كثير من الناس.

(٢) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(٣) سورة النساء: الآيتان ١٤٥، ١٤٦.

(٤) سقطت (وكذلك) من ك، ط.

﴿. . . إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[1].

وقالوا:

﴿. . . يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ. . .﴾[2].

وهو بخيل، وقالوا: إنه خلق العالم فتعب فاستراح.

وحكى عن بعضهم أنه قال: بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، وأنه ناح على بعض من أهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته[3]، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس ـ سبحانه وتعالى ـ.

وأيضاً فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله، ويعصون أمره ويتعدون حدوده، ولا يجوزون له أن ينسخ ما شرعه بل يحجرون عليه.

والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه[4] رب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) ورد في سفر التكوين: إصحاح ٦:٦ ـ ٨ ما نصه «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. . . إلخ.
وجاء في التلمود ـ الذي هو كتاب تشريعاتهم وأخلاقهم ـ أن الله ندم، وحزن بعد خراب هيكل أورشليم. وأنه من ذلك الوقت لم يعد له جلد على اللعب والرقص، كما كان يصنع في الأزمان السالفة. وأول رقصة رقصها مع حواء، أما من بعد تدمير الهيكل فإنه لم ينقطع عن البكاء والنحيب؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته مالئاً الدنيا زئيراً كالأسد الصريع، ثم يصرخ الويل لي لأني تركت بيتي ينهب، وهيكلي يحرق، وأولادي يتشتتون». تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.
انظر: كتاب همجية التعاليم الصهيونية ص ٣١.

(٤) في ك، (فجعلوه) وفي أ، س (فيجعلوه).

العالمين خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلَّا هو ــ سبحانه ــ عما يشركون واتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً(١) وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعل(٢) عباد الأوثان كما قال الله(٣) ــ تعالى ــ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾(٤).

ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(٥).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ . . . ﴾(٦).

والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، وينزهونه عن النقائص التي تمتنع على الخالق ولا يتصف بها

(١) في ك، ط (أرباباً من دون الله).
(٢) في س، ك، ط (فعلت).
(٣) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.
(٤) سورة يونس: الآية ١٨.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٥١.
(٦) سورة السجدة: الآية ٤.

إلاَّ[1] المخلوق، فيصفونه بالحياة والعلم[2] والقدرة، والرحمة والعدل، والإحسان وينزهونه عن الموت. والنوم، والجهل، والعجز، والظلم، والفناء، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه، ولا يقدر كقدرته، ولا يرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره، ولا يخلق كخلقه، ولا يستوي كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله كما قال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3].

ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق ــ جل جلاله ــ ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير إليه عبد له، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ويسأله كل أحد، وهو غني بنفسه لا يحتاج إلى أحد في شيء من الأشياء كما قال ــ تعالى ــ :

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ

---

(١) سقطت (إلَّا) من س، ك، ط وهي في أ ولازمة للسياق.

(٢) سقطت لفظة (العلم) من ك، ط.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة مريم: الآيات ٨٨ ــ ٩٥.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

وكذلك هم في المسيح، فالنصارى يقولون: هو الله، ويقولون: أيضاً هو[2]: ابن الله وهو إله تام وإنسان تام، واليهود يقولون: هو ولد زنا، وهو ابن يوسف النجار، * ويقولون عن مريم: إنها بغي بعيسى كما قال ــ تعالى ــ: ﴿ . . . وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾ *[3].

ويقولون[4] هو ساحر كذاب.

وأما المسلمون فيقولون: هو عبد الله ورسوله * وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه *[5]، وهو وجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيه غلو النصارى، ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود، وكذلك قولهم في سائر الأنبياء والمرسلين: وفي أولياء الله. فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

(٢) سقطت (هو) من ك، ط.

(٣) الآية من سورة النساء: ١٥٦ وما بين النجمتين ساقط من أ.

(٤) في س، ك، ط (ويقولون عنه).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك وزدناه من س، ط.

دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلّهاً واحداً لا إلّه إلَّا هو ــ سبحانه ــ عما يشركون، ومع هذا فقد شارك النصارى اليهود في نقص حق كثير من الأنبياء فيقولون أن سليمان لم يكن نبياً[1]، ويقولون: إن الحواريين مثل موسى وإبراهيم، ويقولون: إن من عمل بوصايا الله من غير الأنبياء صار مثل الأنبياء، وكان له أن يشرع شريعة، وبعض اليهود غلوا في العزير[2] حتى قالوا ــ إنه ابن الله.

ولهذا قال نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح «لا تطروني كما أطرت النصارى[3] عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله»[4].

---

(١) ويرجع ذلك إلى أن كتَّاب العهد القديم قد خلعوا صوراً مقيتة على أنبياء الله جميعاً، وقد صور النبي الكريم سليمان ــ عليه السلام ــ في سفر الملوك الأول في الإصحاح الأول منه بأنه رجل ملك وسياسة صارع (أدونيا بن حجيث) الذي حاول أن يتولى الملك بعد داود ــ عليه السلام ــ، فأخذ سليمان يقتل ويبطش... إلخ ما وصفه به الكاتب كعادتهم في وصف كثير من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، وقبح الله أعداءه وأعداء أنبيائه.

وانظر تفصيلاً عن النبي سليمان ــ عليه السلام ــ في كتاب التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه للدكتور صابر طعيمه ص ٥١٧ ــ ٥٤٥، ص ٧٦٤ حيث تحدث عن النبي سليمان في رؤية العهد القديم، وعنه في عطاء القرآن الكريم.

(٢) في ط (العزيز) بالزاي المعجمة، وسبقت ترجمته.

(٣) في أ زيادة (المسيح) بعد كلمة النصارى، وليست في الحديث.

(٤) رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، عن ابن عباس أنه سمع عمر ــ رضي الله عنه ــ يقول على المنبر: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لا تطروني... الحديث في البخاري ٤/١٤٢، وأحمد في المسند ١/٢٣، ٢٤، ٥٥ وفيه بقية خطبة عمر ــ رضي الله عنه ــ. والدارمي في السنن، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا تطروني ٢/٣٢٠ كتاب الرقائق؛ والحميدي في مسنده ١/١٦ (٢٧).

والله ـ تعالى ـ ذكر في القرآن في سورة (كهيعص) قصة ابني الخالة يحيى وعيسى. ويحيى يسمونه النصارى يوحنا وهو يوحنا[1] المعمداني عندهم فقال ـ تعالى ـ بعد أن ذكر قصة يحيى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ
مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا
زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ
كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ
أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ
قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا
كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾
قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ

---

(١) سقطت جملة (وهو يوحنا) من س، ط.
ويوحنا هو يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، وفي سورة الأنبياء، وهو ابن خالة عيسى ـ عليه السلام ـ على قول الجمهور، وقد أورد ابن كثير في تاريخه ٢/٥٢ ـ ٥٥ له ترجمة طويلة، وذكر سبب مقتله، وورد ذكره في كتب العهد الجديد في إنجيل مرقس ٦/٢٠؛ ومتى ١٤/١ ـ ٢؛ ولوقا الإصحاح الأول منه.
وانظر تفصيلاً عنه في: كتاب مستقل للدكتور أحمد السقا بعنوان: يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية.

وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[1].

ثم قال الله ــ تعالى ــ :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن
يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴾[2].

فذكر ــ سبحانه ــ قصة مريم والمسيح في هذه السورة المكية التي أنزلها في أول الأمر بمكة في السور التي ذكر فيها أصول الدين المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب فقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾
ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ
أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3].

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «ما من مولود إلَّا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً من

---

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ ــ ٣٣.
(٢) سورة مريم: الآيات ٣٤ ــ ٣٨.
(٣) سورة آل عمران: الآيات ٣٣ ــ ٣٦.

الشيطان إلاَّ مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) *[1].

قال ـ تعالى[2] ـ :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

ثم ذكر قصة زكريا ويحيى ثم قال:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى

(*) ما بين النجمتين ساقط من جميع النسخ عدا نسخة ط.

(١) والحديث: رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله ـ تعالى ـ واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ٤/١٣٨؛ ورواه في التفسير، سورة آل عمران، باب وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٥/١٦٦؛ ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤/١٨٣٨ (٢٣٦٦)؛ ورواه أحمد في المسند ٢/٢٣٣، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢؛ وابن جرير الطبري في تفسيره من طرق متعددة من حديث أبي هريرة عند آية ﴿وإني أعيذها بك وذريتها...﴾ الآية ٣/١٦٠ (المجلد الثالث) ط. دار الفكر.

(٢) سقطت جملة (قال تعالى) من أ، س.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ
أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي
ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ
أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ
وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾
إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا
مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ
فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ
ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ

مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ
وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ
هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

فهو ـ سبحانه ـ قد ذكر قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين: إحداهما: مكية نزلت في أول الأمر مع السور الممهدة لأصول الدين، وهي سورة (كهيعص) والثانية: مدنية نزلت بعد أن أمر بالهجرة والجهاد، ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب ومباهلتهم، كما نزلت في «براءة» مجاهدتهم، فأخبر في السورة[2] المكية أنها لما انفردت للعبادة أرسل الله إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً. فقالت:

﴿. . . إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[3].

قال أبو وائل: علمت أن المتقي ذو نهية[4]، أي: تقواه ينهاه عن الفاحشة. وأنها خافت منه أن يكون قصده الفاحشة، فقالت: أعوذ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٣٨ ـ ٦٨.

(٢) في ط (السور).

(٣) سورة مريم: الآية ١٨.

(٤) رواه البخاري موقوفاً مجزوماً به في كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم =

بالرحمن منك إن كنت تقيا، أي[1]: تتقي الله، وما يقول بعض الجهال من أنه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقي فهو من نوع الهذيان وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلاّ جاهل، ثم قال:

﴿... إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكيّاً﴾[2].

وفي القراءة الأخرى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها[3] بشراً سوياً أنه رسول ربها، فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها،

= ٤/١٤٠ بلفظ «قال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت إن كنت تقياً». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٤٤ «وصله عبد بن حميد من طريق عاصم، وذكره». ثم بيَّن ـ رحمه الله ـ معنى نهيه فقال: وقوله نهية بضم النون، وسكون الهاء، أي: ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح وأغرب من قال أنه اسم رجل يقال له تقي. كان مشهوراً بالفساد فاستعاذت منه» وأخرجه ابن جرير الطبرى بسنده عن أبي وائل في تفسيره ١٦/٤٧ (المجلد السابع) وانظر تفسير ابن كثير ٣/١١٥ سورة مريم.

وأبو وائل هو:

شقيق بن سلمة الأسدي، الكوفي أحد سادة التابعين، ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١/٣٥٤ (٩٦)؛ وتهذيب التهذيب ٤/٣٦١ ـ ٣٦٣؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٦٧.

(١) سقطت (تقياً أي) من أ، ك، وألحقناها من س، ط.

(٢) سورة مريم: الآية ١٩. وفي ط (لأهب) وهذا مخالف لسائر النسخ والصحيح ذكرها بلفظ (ليهب) لأنه أوردها فيما بعد بلفظ (لأهب) على القراءة الأخرى. وقراءة (ليهب) هي قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع على معنى أرسلني ليهب لك. أما بالهمز (لأهب) فهي قراءة الباقين.

انظر: فتح القدير للعلامة الشوكاني ٣/٣٢٨؛ والغاية في القراءات العشر للحافظ النيسابوري ص ٢٠٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٤٨.

(٣) في ط (له).

وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله؛ ولهذا قال جماهير العلماء: أنه جبريل ــ عليه السلام ــ فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس، وسماه جبريل، وهكذا عند أهل الكتاب أنه تجسد من مريم ومن روح القدس، لكن ضلالهم حيث يظنون أن روح القدس حياة الله وأنه إلّه يخلق ويرزق ويعبد وليس في شيء من الكتب الإلّهية ولا في كلام الأنبياء أن الله سمى صفته القائمة به روح القدس، ولا سمى كلامه، ولا شيئاً من صفاته ابناً، وهذا أحد ما يثبت[1] به ضلال النصارى، وأنهم[2] حرفوا كلام الأنبياء وتأولوه على غير ما أرادت[3] الأنبياء؛ فإن أصل تثليثهم مبني على ما في أحد الأناجيل[4] من أن المسيح ــ عليه السلام ــ قال لهم: «عمدوا الناس باسم الآب والإبن وروح القدس». فيقال لهم: هذا إذا كان قد قاله المسيح، وليس في لغة المسيح ولا لغة أحد من الأنبياء، أنهم يسمون صفة الله القائمة به و[5]لا كلمته ولا حياته لا[6] ابنا ولا روح قدس، ولا يسمون كلمته ابناً، ولا يسمونه نفسه ابناً، ولا روح قدس، ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يصفون[7] المصطفى المكرم ابناً، وهذا موجود في حق المسيح وغيره كما يذكرون أنه قال ــ تعالى ــ لإسرائيل: «أنت ابني بكرى[8]».

(١) في س، ك (يتبين) وفي ط (تبين).

(٢) سقطت (وأنهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (أرادت به).

(٤) في إنجيل متى: إصحاح ٢٨: ١٩ وسبق تخريجها.

(٥) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٦) في أ (ولا) والواو زائدة.

(٧) في س، ك، ط (يسمون).

(٨) في سفر الخروج، الإصحاح ٤: فقرة ٢٢ ــ ٢٣ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر... إلخ.

وفي سفر التكوين إصحاح ٤٩: ٣ «رأو بين أنت بكري، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة، وفضل العز».

وفي إرميا إصحاح ٣١: ٩ «إني صرت ابنا لإسرائيل، وأفرام هو بكري».

أي: بني إسرائيل[١].

وروح القدس. يراد به الروح التي تنزل على الأنبياء كما نزلت على داود وغيره، فإن في كتبهم أن روح القدس كانت في داود وغيره، وأن المسيح قال لهم: «أبي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم» فسماه أبا للجميع، لم يكن المسيح مخصوصاً عندهم باسم الابن، ولا يوجد عندهم لفظ[٢] الابن إلّا اسماً للمصطفى المكرم[٣] لا اسماً لشيء من صفات الله[٤]، ولا في كتب الأنبياء أن صفة الله تولدت منه.

وإذا كان كذلك كان في هذا ما يبين أنه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون أنها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية، ولا بروح القدس حياة الله، بل المراد بالابن ناسوت[٥] المسيح، وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله، وبرسوله، وبما أنزله على رسوله، والملك الذي نزل به[٦]، وبهذا أمرت الأنبياء كلهم وليس للمسيح خاصة استحق بها أن يكون فيه شيء من اللاهوت، لكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كما ظهر في غيره من الأنبياء والرسل؛ فإن[٧] غيره أيضاً فيما

---

(١) لعل الشيخ يقصد دعوى بني إسرائيل التي ذكرها القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه...﴾ الآية ١٨ من سورة المائدة.

(٢) في س (لغة).

(٣) في أ، س، ك (المخلوق) بدل (المصطفى المكرم).

(٤) في ط: بعد لفظ الجلالة جاءت العبارة هكذا (القديمة حتى يكون الابن صفة الله التي تولدت منه) وسقطت الجملة وما قبلها ابتداءً من قوله: (فإن في كتبهم أن روح القدس) من نسخة ك، وما أثبتناه من أ، س.

(٥) في أ (بشر).

(٦) في ط (وبهذا الذي نزل به) بعد جملة (والملك الذي نزل به).

(٧) في س، ك، ط (ومعلوم أن).

ينقلونه عن الأنبياء يسمى إبنا وروح القدس حلت فيه، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع[1].

والمقصود هنا: التنبيه على أن كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يصدق بعضه بعضاً، وأنه ليس مع النصارى لا[2]حجة سمعية، ولا عقلية توافق ما ابتدعوه، ولكن فسروا كلام الأنبياء بما لا يدل عليه، وعندهم في الإنجيل أنه قال: «إن الساعة لا يعلمها الملائكة ولا الإبن وإنما يعلمها الأب وحده»[3] فبين أن الإبن لا يعلم الساعة فعلم أن الإبن ليس هو القديم الأزلي وإنما هو المحدث الزماني.



---

(١) سيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن هذا بتوسع أكثر في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(٢) سقطت (لا) من ط.

(٣) إنجيل متى إصحاح ٢٤: ٣٦. وسبق تخريجها

فصل (1)

الفرق بين ما يُضاف إلى الله من صفاته، وما يُضاف إليه من مملوكاته

والمضاف إلى الله نوعان: فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، وإما أن يكون عيناً قائمة بنفسها.

فالأول: إضافة صفة كقوله:

﴿. . . وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ . . .﴾(2).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(3).

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً . . .﴾(4).

وقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح حديث الاستخارة: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك»(5).

---

(1) سقطت كلمة (فصل) من أ، وزدناها من س، ك، ط.

(2) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(3) سورة الذاريات: الآية ٥٨.

(4) سورة فصلت: الآية ١٥.

(5) تمامه: وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري =

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿... وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا...﴾[1].

وقوله: ﴿... ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ...﴾[2].

وقوله: ﴿... ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ...﴾[3].

والثاني: إضافة عين، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ...﴾[4].

وقوله: ﴿... نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[5].

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ...﴾[6].

فالمضاف في الأول: صفة لله قائمة به ليست مخلوقة[7] له بائنة[8] عنه والمضاف في الثاني: مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله

= وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به. قال ويسمي حاجته.

الحديث رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ٢/٥١، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ٧/١٦٢، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله ـ تعالى ـ «قل هو القادر» ٨/١٦٨.

ورواه الترمذي في أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٢/٣٤٦ (٤٨٠).

ورواه أبو داود في الصلاة، باب في الاستخارة ٢/١٨٧، ١٨٨ (١٥٣٨)، والنسائي في النكاح، باب كيف الاستخارة ٦/٨٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ١/٤٤٠ (١٣٨٣)، وأحمد في مسند جابر ٣/٣٤٤. وانظر: فتح الباري ١١/١٥٥، ١٥٩ تجد الكلام عليه هناك.

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٥) سورة الشمس: الآية ١٣.

(٦) سورة الإنسان: الآية ٦.

(٧) في س، ك (مخلوق) وفي ط (مخلوقاً).

(٨) في س، ك، ط (بائن).

ـ تبارك وتعالى ـ ، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، و[1]كما خص عباده الصالحين من بين الخلق، ومن هذا الباب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا . . . ﴾[2].

فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها[3] بشراً سوياً، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقياً وأنه قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها، وهي التي تسمى في اصطلاح النظار جوهراً، وقد تسمى جسماً إذا كانت مشاراً إليها مع اختلاف الناس في الجسم، هل هو مركب من الجواهر المفردة، أم من المادة والصورة، أم ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا؟ وإذا كان الله قد بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك لله مخلوق له، لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة، وقد ذكرت فيما كنت كتبته[4] قبل هذا من الرد على النصارى، الكلام في ذلك وغيره وبينت أن المضافات إلى الله نوعان: أعيان، وصفات.

---

(١) سقطت (الواو) من ط.

(٢) سورة مريم: الآية ١٧.

(٣) سقطت (لها) من أ، س، ك.

(٤) لعله يقصد بذلك ما ورد في مجموع الفتاوى ١٧/٢٧٣ ـ ٢٨٥ فقد بسط الكلام هناك كما رد على النصارى في مواضع متعددة من هذا القسم (قسم التفسير) الجزء الرابع منه، والشيخ ـ رحمه الله ـ يعرض لهذه القضية في مواضع كثيرة من كتبه التي رد فيها على غلاة المبتدعة المنتسبين إلى الإسلام، ويعقد مقارنة بينهم وبين النصارى في هذه القضية وغيرها كما ورد في منهاج السنة النبوية.

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى[1] المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلاماً، والمعلوم علماً، والمرحوم به رحمة كقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»[2].

وقوله ـ تعالى ـ فيما يروي عنه[3] نبيه أنه قال للجنة: (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)[4].

---

(١) في س، ك، ط (يسمى).

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».
أخرجه في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ١٨٣/٧، ورواه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وأنها سبقت غضبه ٢١٠٨/٤ (٢٧٥٢) بلفظ مقارب، ومن حديث سلمان الفارسي (٢٧٥٣) بنحوه.
وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة بلفظ مقارب ١٤٣٥/٢، ومن حديث أبي سعيد الخدري بنحوه (٤٢٩٣)، (٤٢٩٤)، وأحمد في مسند سلمان الفارسي ٤٣٩/٥.

(٣) في ط (عن). وهو خطأ.

(٤) هذا قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في كتاب التفسير، تفسير سورة ق، باب قوله تعالى: (وتقول هل من مزيد) ٤٨/٦، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٦/٤ (٣٥)، (٣٦)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار ٦٩٤/٤ (٢٥٦١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ويقال للمطر والسحاب: هذه قدرة قادر، وهذه قدرة عظيمة، ويقال في الدعاء: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه.

وأما الأعيان إذا أضيفت إلى الله ـ تعالى ـ فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة، ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾،

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، وروح الله، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله وأطاع أمره، وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الأرواح؛ فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاؤه وقدره، وهذه الإضافة لا اختصاص فيها، ولا فضيلة للمضاف على غيره.

وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه إليه، ويأمر به، أو يعظمه ويحبه فهذه الإضافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة البيت، والناقة، والروح، وعباد الله من هذا الباب[1].

وقد قال ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا

وأحمد في المسند ٢/٢٧٦، ٣١٤، ٤٥٠، ٥٠٧. وفي مسند أبي سعيد الخدري ولفظه: «وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء»، ٣/١٣، ٧٨، ٧٩.

(١) انظر الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافي ص ١٦١ (رسالة ماجستير، تحقيق سالم القرني، كلية أصول الدين بالرياض).

وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقال في سورة التحريم:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

فذكر امـرأة فرعـون[3] التي ربت موسى بن عمـران، وجمعت بينه وبين أمـه حتى أرضعته أمـه عندهـا. وذكر مـريم أم المسيح التي ولـدته وربته فهاتـان المرأتـان ربتا هـذين الرسـولين الكريمين، فلمـا قال هنـا: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾، أي: في المرأة، ﴿وفيه﴾، أي: في فرجها من روحنا،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٢) سورة التحريم: الآية ١١، ١٢.

(٣) هي آسية بنت مزاحم، آمنت بدعوة موسى ـ عليه السلام ـ فعذبهـا فرعـون زوجها أشـد العذاب، ولكنهـا كانت مثـلاً يستحق أن يضرب في كتـاب الله في الثبات على الطاعة، والصبر في الشدة، والتمسك بدين الله... وهذه المرأة صـارت بذلـك في جنـات النعيم... قال المفسـرون استجاب الله لهـا فبنى لها بيتـاً في الجنة، وذلـك حينمـا قالت: ﴿رب ابن لي عنـدك بيتاً في الجنـة...﴾ الآيـة، وصـدق رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ يقول في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري، «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاَّ آسية امرأة فرعـون، ومريم بنت عمـران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أخرجاه في الصحيحين.
وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٨/١١٠ (مجلد ١٠)؛ وتفسير القرطبي ١٨/٢٠٣ (مجلد ٩) مطبعة دار الكتاب العربـي.
وتفسير ابن كثير ٤/٣٩٣؛ وفتح القدير ٥/٢٥٦؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٨/٣٨٢؛ وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/٤٢٦.

وقال هنا: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِنَّمَا أَنَاْ رَسُوْلُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[1] لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا﴾، دل على أن قوله: روحنا ليس المراد به أنه صفة لله لا الحياة، ولا غيرها، ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق، ولا صفة الرب الخالق، بل هو روح من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها كما تقدم في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا﴾، وأن الأكثرين على أنه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين[2] صفاته، وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم؛ فإن كتب الأنبياء: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه: فاختلف الناس في هذه الإضافة، فقالت المعطِّلة نفاة الصفات من أهل الملل: إن الجميع إضافة ملك وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعته في الإسلام الجهمية وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين لهم بإحسان وكان مقدمهم رجل يقال له: الجهم بن صفوان[3]،

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش عن نافع، أما قراءة الجمهور فهي (لأهب) وسبق بيان ذلك.

(٢) في ك، ط (من).

(٣) هو أبو محرز الجهم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية من أبرز أقواله القول بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وقوله بنفي الصفات وبالجبر والاضطرار في الأعمال، هلك في زمان صغار التابعين، قتل سنة ١٢٨هـ، وسببه أنه كان يقضي في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء =

فنسبت(1) الجهمية إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتبعهم المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الأسماء، ووافقهم طائفة من الفلاسفة أتباع(2) أرسطو.

وقالت الحلولية: بل ما يضاف إلى الله قد يكون(3) هو صفة له وإن كان بائناً عنه، بل(4) قالوا: هو قديم أزلي، فقالوا: روح الله قديمة أزلية صفة لله، حتى قال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزلية وصفة لله(5)، وقالوا: إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد المصاحف قديم أزلي، وهو صفة لله.

وقال حذاق هؤلاء بل غضبه، ورضاه، وحبه، وبغضه، وإرادته لما يخلقه قديم أزلي، * وهو صفة الله *(6) وكلامه الذي سمعه موسى قديم أزلي، وأنه لم يزل راضياً محباً لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق، ولم يزل غضباناً ساخطاً على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق، ولم يزل

= خراسان فقبض عليه نصر بن سيار، فقال له: استبقني، فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله فقتل. انظر: لسان الميزان لابن حجر ٢/١٤٢؛ وميزان الاعتدال ١/٤٢٦؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٩؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٢٤؛ والفصل في الملل والنحل ٤/٢٠٤؛ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٢؛ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٣٧٤؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي رسالة ماجستير ص ١٥٥؛ وأصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣.

(١) في أ، س (فنسب).

(٢) في س (واتباع).

(٣) سقطت (قد يكون) من أ.

(٤) في أ (قالوا بل).

(٥) (صفة لله) ساقط من أ.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من أ، ط، وزدناه من س.

ولا يزال قائلاً: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم، ولم يزل ولا يزال يقول: يا معشر الجن والإنس، قبل أن يخلقوا وبعد ما يدخلون الجنة والنار.

وأما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم[١] كالأربعة، وغيرهم، وأهل العلم بالكتاب و[٢]السنة، فيفرقون بين مملوكاته، وبين صفاته، فيعلمون أن العباد مخلوقون، وصفات العباد مخلوقة، وأجسادهم، وأرواحهم، وكلامهم، وأصواتهم[٣] بالكتب الإلّهية وغيرها، ومدادهم، وأوراقهم، والملائكة[٤]، والأنبياء وغيرها، ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست مخلوقة كعلمه، وقدرته، وكلامه[٥]، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره، ورضاه، وغضبه، وحبه وبغضه، بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفته[٦] به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف[٧] ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به[٨] رسله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا[٩] يتأولون كلام الله بغير ما أراده، ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق، بل يعلمون أن الله

(١) في ط (فيها).
(٢) سقطت الواو من ط.
(٣) في ك، ط (وأصواتهم وكلامهم).
(٤) في أ (المكتبة) وفي ك (والأنبياء والملائكة).
(٥) سقطت (وكلامه) من أ، وزدناها من سائر النسخ.
(٦) في ك، ط (وصفه).
(٧) في ط (تكيف).
(٨) في ك، ط (ولا بما وصفه).
(٩) سقطت (لا) من أ، وزدناها من ط وفي س (وسياق كون كلام الله).

ـ سبحـانه ـ ليس كمثله شيء لا في ذاتـه، ولا في صفـاتـه، ولا في[1] أفعاله بل هو موصوف بصفات الكمال، منزه عن النقائص، وليس له مثل في شيء من صفاته، ويقولون: إنه لم يزل[2] ولا يزال موصـوفاً بصفـات الكمال، لم يزل متكلمـاً إذا شاء بمشيئته وقدرتـه، ولم يزل عـالماً، ولم يـزل قادراً، ولم يـزل حياً سميعـاً بصيراً، ولم يـزل مريـداً، فكل كمـال لا نقص فيه يمكن اتصافـه به فهـو موصـوف به لم يـزل ولا يزال متصفـاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام سبحانه وتعالى.

والنصـارى من أعظم النـاس اضـطرابـاً في هـذا الأصـل، فتـارة: يجعلون كـلامه الـذي تكلم به كـالتوراة والإنجيـل مخلوقاً منفصـلاً عنـه وينفون عنه الصفات، وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال، ثم يقولون هذه الكلمة هي ابنه، ويجعلون هذه الكلمة علمه، أو حكمتـه ويقولـون: إن هـذه الكلمـة هي إلّـه خـالق وهـو الـذي خلق السموات والأرض وأن[3] هذه الكلمة هي المسيح والمسيح إلّه[4] خـالق العالم.

ويقـولون: مـع هذا أن هـذه الكلمـة ليست هي الآب الـذي خلق السموات والأرض فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية، ويجعلونها ابناً له، ويجعلون الصفـة إلّهـاً خـالقـاً، ويجعلون المسيـح هـو الإلّــه الخـالق، ويقولون مع هذا: هو إلّه حق من إلّه حق من جوهر أبيه.

ولهم في كـلام الله وصفاتـه من التناقض والاضـطراب، ومخالفـة كـلام الأنبياء، وتفسيـره بغير مـا أرادوه[5]، ومخـالفـة صـريـح المعقـول

(١) سقطت (في) من أ، س.
(٢) سقطت (يزل) من ط.
(٣) في ط (ويقولون) بدل (أن).
(٤) سقطت (إلّه) من أ، س.
(٥) في ط (أراده).

وصحيح المنقول ما سنذكر ـ إن شاء الله[1] ـ منه ما ييسره الله، سبحانه وتعالى[2]، إذ بيان فساد أقوال[3] النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب، ولما قص[4] ـ تعالى ـ قصة المسيح قال:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . . .﴾[5].

أي: يشكون ويتمارون كتماري اليهود والنصارى.

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ . . .﴾[6].

فاختلف اليهود والنصارى فيه[7]، ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا أحزاباً كثيرة جداً، كالنسطورية، واليعقوبية، والملكية، * والباروبية، والمريمانية، والسمياطية. وأمثال هذه الطوائف، كما سنذكر ـ إن شاء الله ـ كثيراً من طوائفهم واختلافهم في مجامعهم كما حكى ذلك عنهم أحد أكابرهم سعيد بن البطريق وغيره، فإنه ليس في الأمم أكثر اختلافاً في رب العالمين منهم *[8]، فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم:

---

(١) في ك، ط (إن شاء الله تعالى) وسيتناول هذا في مواضع متعددة من كتاب الجواب الصحيح وخصوصاً الجزء الثاني منه.

(٢) في أ، س (ما ننزه الله) وسقطت (سبحانه وتعالى) من س و ط.

(٣) في ك، ط (دين).

(٤) في ط (قص الله).

(٥) سورة مريم: الآية ٣٤.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٦٥.

(٧) سقطت (فيه) من أ.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من س، ك، ط.

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا . . . ﴾[1] .

يقـول ـ تعالى ـ : مـا أسمعهم وما أبصـرهـم يوم يـأتـوننـا، لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا بإفكهم وشـركهم في ضلال مبين ضلوا عن الحق في المسيح، وقد وصـف الله النصارى بالضـلال في مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[3] .

لأن الغـالـب عليهم الجهـل بـالـدين، وأنهم يتكلمـون بكـلام لا يعقلون معنـاه * ليس منقـولاً عن الأنبيـاء حتى يسلم لقـائله بـل هم ابتدعوه، وإذا سألتهم عن معناه قالوا: هـذا لا يعرف بـالعقول فيبتـدعون كـلاماً يعـرفون بـأنهم لا يعقلونه *[4]، وهـو كـلام متنـاقض ينقض أولـه آخره؛ ولهذا لا تجـدهم يتفقون على قـول واحد في معبـودهم حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشـر قولاً .

وقـال الربعي[5] : النصـارى أشد النـاس اختـلافـاً في مـذاهبهم،

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٣) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من سائر النسخ.

(٥) لعله: محمد بن عبد الله بن أحمد الربعي: مؤرخ من حفاظ الحديث، كـان محدث =

وأقلهم تحصيلاً لها، لا يمكن أن[1] يعرف لهم مذهب، ولو سألت قسًّا من أقسائهم عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه وأمه لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كل واحد منهم قولاً لا يشبه قول الآخر.

وقال بعض النظار: و[2]ما من قول يقوله طائفة من العقلاء إلَّا إذا تأملته تصورت[3] منه معنى[4] معقولاً وإن كان باطلاً، إلَّا قول النصارى فإنك كلما تأملته لم[5] تتصور له حقيقة تعقل لكن غايتهم أن يحفظوا الأمانة أو غيرها، وإذا طولبوا[6] بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر، كما يكفر اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية بعضهم بعضاً لاختلافهم في أصل التوحيد والرسالة إذ كان قولهم في التوحيد. والرسالة من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضاً كما بين في موضع آخر.



= دمشق وابن قاضيها، له تصانيف منها: أخبار ابن أبي ذئب، وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ووصايا العلماء عند حضور الموت، مات سنة ٣٧٩هـ.
انظر: شذرات الذهب ٣/٩٥؛ والعبر للذهبي ٣/١٢؛ وتذكرة الحفاظ ٣/١٧٩؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٢٥؛ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠/١٩٦.
أما النص الذي ذكره المؤلف ــ رحمه الله ــ فلم أقف عليه، فلعله ورد في كتاب له لم ير النور والله أعلم.

(١) سقطت (أن) من أ، وألحقتها من سائر النسخ.
(٢) في س، ك، ط (ما) بدون واو.
(٣) في ط (لم تصورت) وهو خطأ.
(٤) في س، ك (يعني) وهو تصحيف.
(٥) سقطت (لم) من ط.
(٦) في ط (طيولبوا).

فصل

إبطال دعواهم اتحاد كلمة الله بجسد المسيح

وأما قولهم: فكان طيراً بإذن الله. أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا أن محمداً أراده تكلمنا معهم في ذلك وبينا فساد ذلك عقلاً ونقلاً.

وأما قولهم: أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يقول: أن المراد إذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، فهذا من البهتان الظاهر على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وهو من جنس قولهم أن قوله:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ﴾[1].

أراد به: النصارى. ومن جنس قولهم أن قوله:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا... ﴾[2].

أراد به: العرب[3]، ومن جنس قولهم:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ... ﴾[4].

أراد بهم: الحواريين، ومن جنس قولهم:

---

(١) سورة الفاتحة: الآيتان ٦، ٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٣) في أ، س، ك زيادة (من).
(٤) سورة الحديد: الآية ٢٥.

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

أراد به الإنجيل، فهذه المواضع التي فسروا بها القرآن وزعموا أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذي بين للناس ما أنزل إليهم، كان يريد بما[2] يتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها هي[3] من الكذب الظاهر الذي يدل على غاية جهل قائلها، أو غاية معاندته، ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى، فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والإنجيل، والزبور، والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء عن مواضعه تحريفاً ظاهراً، فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدلوا، وإن اختلفت جهة التحريف والتبديل، فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والإنجيل وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ما نشأ به منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن في هذه المواضع حرفوا المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحداً فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه، وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه كان يقول: أن المسيح عبد الله[4] مخلوق كسائر المرسلين وأنه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله أو[5] ابن الله.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ

(1) سورة البقرة: الآيتان ١، ٢.
(2) في س، ك، ط (بها ما).
(3) في ط (وهي).
(4) في ط (عند الله).
(5) في ط (و).

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ (1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّٗا وَلَا نَفْعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (2).

فقد ذكر كفر النصارى في قولهم: هو الله مرتين، وذكر أنه ليس المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فغايته الرسالة كما قال في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ. . . ﴾ (3).

---

(1) سورة المائدة: الآية ١٧.

(2) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ـ ٧٧.

(3) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وغاية أمه أن تكون صديقة ودل بهذا أنها ليست بنبيه[1]، ثم قال: (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ).

وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية؛ لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات.

والرب ـ تعالى ـ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) قول جمهور العلماء أن مريم ـ رضي الله عنها ـ ليست نبية، وإنما هي صديقة. أما ابن حزم في كتابه الفصل ١٧/٥ ـ ١٩، فقد عقد فصلاً بعنوان «نبوة النساء» وانتصر فيه للقول بأنها نبية، كذلك فعل القرطبي في تفسيره ورجح أنها نبية ٩٠/١١ (مجلد ٦) [الآية ١٦ من سورة مريم]، فقال: «واختلف الناس في نبوة مريم، فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال والمحاورة للملك، وقيل: لم تكن نبية، وإنما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رؤي جبريل ـ عليه السلام ـ في صفة دحية الكلبي... والأول أظهر»، وقد تناول هذا أكثر وذكر أدلته في تفسير سورة آل عمران ٨٣/٤ ـ ٨٤.

وقد زاد عليه ابن حزم بإثبات نبوة أم موسى ـ عليه السلام ـ في الفصل ١٨/٥، والصحيح قول جمهور العلماء ـ رحمهم الله ـ أن مريم لم تكن نبية، وكذلك أم موسى جاء في شرح مسلم للنووي: «قال القاضي عياض: هذا الحديث ـ كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية...» إلخ. هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء، ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهما ليستا بنبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله ـ تعالى ـ، ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء، وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل، وخصال البر والتقوى.

ثم قال النووي: وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف، وقد نقل عن جماعة الإجماع على عدمها والله أعلم.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٨/١٥ ـ ١٩٩ (مجلد ٨)؛ باب فضائل خديجة رضي الله عنها؛ وتفسير القرطبي ٨٣/٤ ـ ٨٤، ٩٠/١١؛ والفصل لابن حزم ١٨/٥؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٤٤/٢ ـ ٦٤٥؛ والنبوة والأنبياء للصابوني ص ١٢.

والنصارى يقولون[1]: إنه يلد، وأنه يولد، وأن له كفواً كما قد بين في موضع آخر، وقد أخبر بعبودية المسيح في غير موضع كقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴾[2].

وأخبر ـ تعالى ـ أن أول شيء نطق به المسيح قوله:

﴿ . . . إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ . . . ﴾

الآيات ـ إلى قوله: ﴿ . . . شَهِيدٌ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾[5] الآيات كلها.

فإذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وبالنقل المتواتر عنه، وبإجماع أمته إجماعاً يستندون فيه

---

(١) في س، ك، ط (تقول).
(٢) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ ـ ٥٩.
(٣) سورة مريم: الآية ٣٠.
(٤) سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ـ ١١٧.
(٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

إلى النقل عنه، وبكتابه المنزل عليه وسنته المعروفة عنه[١] أنه كان يقول: أن المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلا رسول، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله وهو ابن الله، والذين يقولون: ثالث ثلاثة وأمثال ذلك، كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذي بلغه نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيكون طيراً بإذن الله، أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذباً ظاهراً على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وهذا مما يعرف كذبهم فيه على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جميع أهل الأرض العالم بحال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، سواء أقروا بنبوته أو أنكروها.

فالمقصود في هذا المقام: أن هؤلاء كذبوا على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كذباً ظاهراً معلوماً للخلق المؤمنين به والمكذبين له ليس هو كذباً خفياً.

وإن قدر أن[٢] ما قالوه يكون معقولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً في صرائح العقول؟ بل هو قول غير معقول، أي: غير معقول ثبوته في الخارج، وإن كان يعقل ما يختلفون ويعلم به فساد عقولهم لمن قال سائر الأقوال المتناقضة الفاسدة التي يمتنع ثبوتها في الخارج، وذلك كما قد بسط في موضع آخر[٣]، فإن قولهم: بإذن اللاهوت الذي هو

---

(١) جملة (وبكتابه المنزل وسنته المعروفة عنه) ساقطة من ك.

(٢) سقطت (أن) من أ.

(٣) سبق الحديث عن افترائهم على النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وزعمهم بأن كلامه متناقض والرد على هذه الفرية في أول الكتاب.
وفي غير ذلك الموضع في مواضع متعددة من هذا الكتاب وفي مجموع الفتاوى الجزء السابع عشر منه تحدث فيه عن هذه القضية في مواضع متفرقة.

كلمة الله المتحدة في الناسوت باطل من وجوه:

منهـا: أن تلك الكلمة إمـا أن تكون هي الله أو صفـة لذاته، أو لا هي ذاته ولا[1] صفة له، أو الذات والصفة جميعاً.

فإن لم تكن هي ذات الله ولا صفته، ولا الذات والصفة كانت بائنة عنـه مخلوقة لـه، ولم يكن لاهوتـاً، بل ولا خـالقـه، وحينئـذ فلم يتحـد بالمسيح لاهوت، بل إن لم يتحد به إنه كان اتحد به إلا مخلوق.

وإن كـانت الكلمـة هي الـذات أو الـذات والصفـة فـهي رب العـالمين، وهي الآب عندهم، وهم متفقـون على أن المسيـح ليس هـو الآب، ولم يتحد به الآب بل الابن.

وإن كـانت الكلمة صفـة لله ـ عز وجـل ـ ، فصفة الله ليست هي الإله الخالق والمسيح عندهم هو الإله الخـالق، وأيضاً فصفـة الله قائمـة بـذاته لا تفـارق ذاته وتحـل بغيره وتتحـد به وكلمـة الله عندهم اتحـدت بالمسيح.

وإن قالوا: قولنا هذا كما تقول[2] طائفة من المسلمين: إن القرآن أو التوراة، أو الإنجيل حل في القراء أو اتحـد بهم، وأن القديم حـل في المخلوق أو اتحد به، ونحو ذلك.

قيل: لو كان قول هؤلاء صـواباً لم يكن لهم فيـه حجة، فـإنه على هذا التقدير لا فرق بين المسيح وبين سائـر من يقرأ التـوراة، والإنجيل، والزبور والقرآن، وأنتم تدعـون أن المسيح هـو الله أو ابن الله مخصوصـاً بـذلـك دون غيـره، وأيضـاً فهؤلاء وجميـع الأمم متفقـون على أن قــراء

---

(١) في ط (ولا هي).

(٢) في ط (يقول) بالمثناة التحتية.

القرآن، وسائر الكتب الإلهية ليس واحد منهم هو الله، ولا هو ابن الله، ولا أنه خالق للعالم، فإذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلاء لزمكم أن لا يكون المسيح هو الله، ولا ابن الله، ولا ربا للعالم، وأيضاً فلم نعلم أحداً من هؤلاء قال: أن اللاهوت اتحد بالناسوت ولا أن القديم اتحد بالمحدث، ولا أن كلام الله صار هو والمخلوق شيئاً واحداً، فالاتحاد باطل باتفاق هؤلاء وغيرهم.

ولكن طائفة منهم أطلقت لفظ الحلول، وطائفة أنكرت لفظ الحلول، وقالوا: إنما نقول ظهر القديم في المحدث لا حل فيه، لكن قالوا ما يستلزم الحلول.

وسلف المسلمين وجمهورهم يخطئون هؤلاء، ويبينون خطأهم عقلاً ونقلاً، وقولهم ليس هو قول أحد من أئمة المسلمين، ولا قول طائفة مشهورة من طوائف المسلمين كالمالكية[1] والشافعية[2]،

---

(١) نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة ولد في المدينة سنة ٩٣هـ. وتوفي بها سنة ١٧٩هـ. كان قوياً صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، صنف الموطأ، وله رسالة في الوعظ وفي الرد على القدرية، وتفسير غريب القرآن وغيرها.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٥؛ والانتقاء لابن عبد البر ص ٨ ـ ٣٦ وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٧؛ وطبقات الحفاظ ص ٩٦ (١٨٩)؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٥٧.

(٢) نسبة إلى محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المطلبي الشافعي، أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ وحمل إلى مكة وهو صغير، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ برع في العلوم، وصنف وأفتى وهو ابن عشرين سنة، ومن تصانيفه الأم في سبع مجلدات وهو في الفقه، والرسالة، والمسند وغيرها.
انظر: تهذيب التهذيب ٩/٢٥؛ وتذكرة الحفاظ ١/٣٦١؛ والانتقاء ص ٦٦؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٤٤؛ وطبقات الحفاظ ص ١٥٧ (٣٣٦)؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٦.

والحنفية(١)، والحنبلية(٢)، والثورية(٣)، والـداودية(٤)، والإسحـاقية(٥)،

(١) نسبة إلى أبـي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، الفقيه المجتهـد أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠هـ بـالكوفـة ونشأ بهـا من تصانيفـه المسند في الحـديث والمخارج في الفقه، والفقه الأكبر، مات ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة ١٥٠هـ.
انـظر: البـدايـة والنهـايـة ١٠/٩٧، ١٠٧؛ والانتقـاء ص ١٢٢؛ والأعـلام ٨/٣٦؛ وطبقات الحفاظ ص ٨٠ (١٥٦)؛ وتذكرة الحفاظ ١/١٦٨.

(٢) نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل أبـو عبد الله الشيبـاني، إمام المـذهب الحنبلي وأحد الأئمـة الأربعة، أصله من مـرو، ولد ببغـداد سنـة ١٦٤هـ، رحـل في سبيـل العلم رحلات طويلة وكثيرة، امتحن بالقـول بخلق القرآن في زمن المعتصم وسجن سنتين وأربعة أشهر ـ رضي الله عنه ـ. من تصانيفـه المسند في ستـة مجلدات، والناسـخ والمنسوخ والرد على الزنادقة والجهمية، وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٤١هـ. في زمان المتوكل.
انـظر: البدايـة والنهايـة ١٠/٣٢٥ ـ ٣٣٠؛ وطبقات الحنـابلة ١/٤ ـ ٢٠؛ طبقات الحفاظ ص ١٨٩ (٤١٧)؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٤٣١.

(٣) نسبة إلى سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، سيد أهل زمانه ولد سنة ٩٧هـ في الكـوفة، مـات بالبصـرة سنة ١٦١هـ ومن تصـانيفه الجـامع الكبير والجامع الصغير في الحديث وكتاب في الفرائض.
انظر: طبقات الحفاظ ص ٩٥ (١٨٨)؛ وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٢.

(٤) نسبـة إلى داود بـن علي الأصبهاني الملقب بـالـظاهـري، تنسب إليـه الـظاهـريـة، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة، دون التأويل والرأي والقياس، ولـد في الكوفة سنة ٢٠١هـ، له تصـانيف كثيرة ذكـرها ابن النـديم في زهاء صفحتين تـوفي ببغداد سنة ٢٧٠هـ.
انظر: الفهرست لابن النـديم ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥؛ ولسان الميـزان ٢/٤٢٢؛ وتذكـرة الحفـاظ ٢/٥٧٢؛ وميزان الاعتـدال ٢/١٤؛ وطبقـات الحفـاظ ص ٢٥٧ (٥٧١)؛ والأعلام ٢/٣٣٣.

(٥) نسبـة إلى إسحـاق بن إبـراهيم بن راهـويـه الحنـظلي التيمي المـروزي، ولـد سنـة ١٦١هـ، عالم خراسان في عصره من سكان مرو، أحد كبار الحفـاظ، طاف البـلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه أحمد والبخاري ومسلم والتـرمذي والنسـائي وغيرهم من تصانيفه المسند وغيره مات رحمه الله سنة ٢٣٨هـ بنيسابور.

وغيـرهم، ولا قـول طـائفـةٍ من طـوائف المتكلمين من المسلميـن، لا المنتسبين إلى السنـة كالأشعـرية، والكـرامية ولا غيـرهم كـالمعتـزلـة والشيعة، وأمثالهم وإنما قال ذلـك طائفـة قليلة انتسبت إلى بعض علماء المسلمين مثل قليل من المالكية، والشافعية، والحنبليـة، وهؤلاء غايتهم أن يقولوا بحلول صفـة من صفات الله، وكـذلـك من قـال بحلول الـرب واتحـاده في العبد من طـوائف الغلاة المنتسبين إلى التشيـع، والتصـوف أو غيرهم، فهم ضلال كالنصارى مع أنه لا حجـة للنصارى على هؤلاء؛ إذ كان ما يقولونه لا يختص به المسيح، بل هو مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، والصالحين.

والنصـارى تـدعي اختصـاص المسيح بـالاتحـاد مـع أن المتحـد بـالناسـوت صار هـو[1] والناسـوت شيئاً واحـداً، ومع الاتحـاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعل أو صفة خارج عن الآخر، والنصارى يدعون الاتحاد ثم يتنـاقضـون. فمنهم من يقـول: جـوهـر واحـد، ومنهم من يقـول: جوهران، ومنهم من يقـول: مشيئة واحـدة، ومنهم من يقول: مشيئتـان، كما سيأتي الكلام ــ إن شاء الله تعالى ــ على ذلك[2].



= انظر: تهـذيب التهـذيب ١/٢١٦؛ وطبقـات الحنـابلة ١/١٠٩؛ وطبقـات الحفـاظ ص ١٩١ (٤١٨)؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٤٣٣.

(١) في جميع النسخ زيادة (هو).

(٢) سيتحدث عن ذلك في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، وخصـوصاً في الجـزء الثاني منه.

فصل

ردّ دعواهم الفضل لهم على المسلمين بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

وأما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ... يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... ﴾[1].

فهذا حق كما أخبر الله به، فمن اتبع المسيح ـ عليه السلام ـ جعله الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وكان الذين اتبعوه على دينه الذي لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضاً فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة.

وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به بل لما بدل النصارى دينه وبعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمداً وأمته فوق النصارى إلى يوم القيامة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه[2] ليس بيني وبينه نبي»[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٢) في ط (لأنه).
(٣) سبق تخريجه في أول الكتاب.
(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1].

فكل من كان أتم إيماناً بالله ورسله، كان أحق بنصر الله ـ تعالى ـ ؛ فإن الله[2] يقول في كتابه:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[3].

وقال في كتابه:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[4].

واليهود كذبوا المسيح ومحمداً ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ كما قال الله فيهم:

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ . . . ﴾[5].

فالغضب الأول: بتكذيبهم[6] المسيح، والثاني: بتكذيبهم لمحمد[7] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والنصارى لم يكذبوا المسيح، فكانوا[8] منصورين على اليهود، والمسلمون منصورون على اليهود

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.
(٢) في ط (فإن الله تعالى).
(٣) سورة غافر: الآية ٥١.
(٤) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٩٠.
(٦) في ك، ط (تكذيبهم).
(٧) في ك، ط (محمداً) وسقطت (بتكذيبهم) منها.
(٨) في ك، ط (وكانوا).

والنصارى، فإنهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله، ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحداً من رسله، بل اتبعوا ما قال الله لهم، حيث قال:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

ولما[3] كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر[4] الرسل وأتباعهم قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»[5].

وقال أيضاً: «سألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها»[6] الحديث.

فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم.



---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٣) في س (فلما).
(٤) سقطت (أن ينصر) من ك، ط.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

فصل

وأما قوله ـ تعالى ـ (1):

﴿ . . . وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ . . . ﴾(2).

بيان معنى الروح القُدُس ودفع اعتقاد النَّصارى ألوهيَّته

فهو(3) حق كما أخبر الله به، وقد ذكر ـ تعالى ـ تأييد عيسى بن مريم بروح القدس في عدة مواضع، فقال ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ . . . ﴾(4).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(5).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ . . . يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

---

(1) في ك، ط (وأما قولهم).
(2) سورة البقرة: الآية ٨٧.
(3) في س (فهذا) وفي ك، ط (فهذا حق كما قال تعالى).
(4) سورة البقرة: الآية ٨٧.
(5) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي . . . ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ في القرآن:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا﴾[4].

فروح القدس الذي نزل[5] بالقرآن من الله هو الروح الأمين، وهو جبريل.

وثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لحسان بن ثابت: «أجب عني اللهم أيده بروح القدس»[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٥) في س (ينزل).

(٦) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد ١/١٦٦، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ــ صلوات الله عليهم ــ ٤/٧٩؛ ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان ــ رضي الله عنه ــ ٤/١٩٣٣ (١٥١)، (١٥٢)؛ وأحمد في مسند أبي هريرة ٢/٢٦٩، ٥/٢٢٢؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٧٠ (١١٠٥).

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لحسان بن ثابت[1]: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»[2].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»[3].

---

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شاعر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش في الجاهلية ٦٠ سنة ومثلها في الإسلام وعمي قبل وفاته، مات ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة سنة ٥٤هـ، حُفظ بعض شعره في ديوان مطبوع.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٤٧/٢؛ والإصابة لابن حجر ٣٢٥/١ (١٧٠٤)؛ والأعلام ١٧٥/٢.

(2) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان ١٩٣٦/٤ (١٥٧)؛ ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ٢٨٠/٥ (٥٠١٥)، ورواه الترمذي في الأدب، باب إنشاد الشعر ١٣٨/٥ (٢٨٤٦)، ورواه أحمد في مسنده من حديث عائشة ٧٢/٦.
المنافحة: المدافعة، ومنه قولهم نفحت الرجل بالسيف إذا تناولته من بعد ونفحته الدابة إذا أصابته بحد حافرها.
انظر: معالم السنن للخطابي ٢٨٠/٥، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، رواه البخاري في كتاب المغازي ٦١/٥؛ وفي المناقب ١٦٢/٤.

(3) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ٥١/٥؛ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ١٩٣٣/٤ (١٥٣)؛ وأحمد في مسنده ٢٨٦/٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣ من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل ـ عليه السلام ـ وأهل الأرض يعلمون أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت[1] حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس، كداود وغيره، بل يقولون إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح، بل في غير الأنبياء كما سيأتي إن شاء الله[2].

وإنما المقصود في هذا المقام، بيان كذبهم على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا التأييد نظير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾[3].

فهذا التأييد بروح منه عام لكل من لم يحب أعداء الرسل وإن كانوا أقاربه، بل يحب من يؤمن بالرسل وإن كانوا أجانب، ويبغض من لم يؤمن بالرسل وإن كانوا أقارب وهذه ملة إبراهيم.

---

(١) في ط (بناسبون) وهو خطأ ظاهر.

(٢) في ك، ط (إن شاء الله تعالى).

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

وقال[3]: ﴿ . . . فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . . . ﴾[4].

وهذا التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب كما تقدم[5] وليس في القرآن، ولا في الإنجيل، ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القدس الذي أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهي حياته ولا أن روح القدس رب[6] يخلق ويرزق فليس روح القدس هي الله، ولا صفة من صفات الله، بل ليس في شيء من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمى ابناً، ولا روح القدس.

فإذا تأول النصارى قول المسيح[*] عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس على أن الابن صفته التي هي العلم، وروح

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤.
(٢) سورة الزخرف: الآيات ٢٦ ـ ٢٨.
(٣) في ط (وقال تعالى).
(٤) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٥) في س (كما كان تقدم).
(٦) سقطت (رب) من ك. ط .

(*) هذا على التسليم بأنه قال ذلك، وإلاَّ فإنه لم يثبت بطريق صحيح كما سيوضح الشيخ ـ رحمه الله ـ في مواضع عديدة.

القدس صفته التي هي الحياة، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، فلا[1] يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً، ولا حياته روح القدس.

وأيضاً: فهم يذكرون في الأمانة أن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس وهذا يوافق ما أخبر الله به من أنه أرسل روحه الذي هو جبريل، وهو روح القدس فنفخ في مريم فحملت بالمسيح، فكان المسيح متجسداً[2] مخلوقاً من أمه ومن[3] ذلك الروح ـ وهذا الروح ليس صفة لله[4]، لا حياته ولا غيرها، بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً في كلام الأنبياء، ويراد بها إما الملك، وإما ما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال ـ تعالى ـ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾[6].

---

(١) في ك، د (ولا).

(٢) في س (متحداً).

(٣) في ك، ط (من) بدون واو.

(٤) في ك، ط (الله).

(٥) سورة المجادلة: الآية ٢٢، وفي التفسير قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا، وسمّى نصره لهم روحاً لأن به يحيا أمرهم، وقيل: هو نور القلب، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن والحجة، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإيمان، وقيل: برحمة.
انظر: فتح القدير ٥/١٩٣.

(٦) سورة الشورى: الآية ٥٢. قال ابن كثير الوحي هنا: القرآن ٤/١٢٢ من تفسيره.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[2] .

فسمى الملك روحاً وسمى ما ينزل به الملك روحاً وهما متلازمان، والمسيح ــ عليه السلام ــ مؤيد بهذا وهذا.

ولهذا قال كثير من المفسرين: إنه جبريل، وقال بعضهم: إنه الوحي، وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد بالجاسوس صاحب سر الشر فيكون الناموس جبريل، ويراد به الكتاب الذي نزل به وما فيه من الأمر والنهي والشرع، ولما[3] قال ورقة بن نوفل للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى»[4]، فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان.



---

(١) سورة النحل: الآية ٢.
المراد بالروح هنا الوحي كما ذكر المفسرون قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ سمّى الوحي روحاً، لأنه يحيي قلوب المؤمنين، فإن من جملة الوحي القرآن، وهو نازل من الدين منزلة الروح من الجسد. انظر: فتح القدير ١٤٧/٣.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) في أ (قلما) وفي س (فلما)، وصححناه من ك، ط .

(٤) سبق تخريجه في أول الكتاب.

فصل

الردّ على النصارى في احتجاجهم بآية سورة الحديد على مدح الرهبانية

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾[١].

فهو حق كما قال ـ تعالى ـ وليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾.

ثم قال: ﴿ . . . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾.

أي وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم «وهذه الرهبانية لم يشرعها الله[٢] ولم يجعلها مشروعة لهم، بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[٣].

(١) سورة الحديد: الآيات ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) في أ، س (لهم) بدل (الله). (٣) سورة المائدة: الآية ١٠٣.

وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبته للمشروع بقوله ـ تعالى ـ : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

وقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[2].

فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله. وللناس في قوله: «ورهبانية» قولان:

أحدهما: أنها منصوبة[3]: يعني ابتدعوها إما بفعل مضمر[4] يفسره ما بعده، أو يقال هذا الفعل عمل[5] في المضمر والمظهر كما هو

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٧.

(٣) إذا نصبت كان في إعرابها وجهان:

١ ـ رهبانية: معطوف على ما قبله، وابتدعوها (الجملة) في موضع صفة رهبانية.

٢ ـ ذهب أبو علي الفارسي، والزمخشري إلى أنها منصوبة على إضمار فعل يفسره ما بعده فهي من باب الاشتغال. قال أبو حيان في البحر المحيط ٨/٢٢٨: «وهذا إعراب المعتزلة، وكان أبو علي معتزلياً، وهم يقولون ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للعبد، فالرأفة، والرحمة من خلق الله، والرهبانية من ابتداع الإنسان فهي مخلوقة له، وهذا الإعراب ليس بجيد...». وقال ابن هشام في مغني اللبيب ٢/٦٣٩: «والمشهور أنه عطف على ما قبله، وابتدعوها صفة، ولا بد من تقدير مضاف أي: وحب رهبانية، وإنما لم يحمل أبو علي الآية على ذلك لاعتزاله فقال: لأنما يبتدعونه لا يخلقه الله ـ عز وجل ـ». اهـ.

وانظر في هذا زيادة على ما تقدم: التبيان في إعراب القرآن للعكبري ص ١٢١١؛ ومغني اللبيب لابن هشام ٢/٦٣٩؛ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عضيمة/ القسم الثالث/ ٢/١٦ ـ ١٧؛ وتفسير القرطبي ١٧/٢٦٣ (مجلد ٩).

(٤) في أ، س جملة زائدة بعد كلمة (مضمر)، وجاءت هكذا (بفعل مضمر على قوله وأصحابه يفسره...) إلخ، ويبدو لي أن جملة (على قوله وأصحابه) زائدة لا مكان لها.

(٥) في ط (يعمل).

قول الكوفيين[1]. حكاه عنهم ابن جرير[2] وثعلب[3] وغيرهما ونظيره قوله: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾[4].

وقوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ... ﴾[5].

وعلى هذا القول، فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة، والرحمة.

والقول الثاني: * إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم[6] * الرأفة والرحمة والرهبانية[7] المبتدعة، ويكون هذا جعلاً

---

(١) قال ابن يعيش في باب الاشتغال: «وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بالفعل الظاهر، وإن كان قد اشتغل بضميره؛ لأن ضميره ليس غيره، وإذا تعدى إلى ضميره كان متعدياً إليه». انظر: شرح المفصل ٢/٣٠.

(٢) ابن جرير: سبقت ترجمته.

(٣) ثعلب: هو أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، مولاهم، اشتهر بالحفظ ومعرفة الغريب، ورواية الشعر القديم، وكان محدثاً، ولد سنة ٢٠٠هـ ببغداد، ومات بها سنة ٢٩١هـ، له تصانيف كثيرة منها: معاني القرآن، وإعراب القرآن والفصيح، وقواعد الشعر، وغيرها.
انظر ترجمته في: مراتب النحويين ص ١٥١؛ وطبقات النحويين أو اللغويين ص ١٥٥ ــ ١٦٧؛ وإنباه الرواة ١/١٣٨؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٦١٢؛ والأعلام ١/٢٥٢.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٠.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من س، وجاءت الجملة هكذا (القول الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة)، وهو ثابت في أ، ط، وأما في ك فسقط كلام كثير سنحدده فيما بعد بعدة أسطر.

(٧) نقل القرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٣ (مجلد ٩)، عن الماوردي أن في (رهبانية) قراءتين: إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب، الثانية بضم الراء، وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان.
وانظر: لسان العرب ١/٤٢١؛ والنهاية ٢/١١٣.

خلقياً كونياً والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ . . . ﴾[1] .

وعلى هذا القول: فلا مدح للرهبانية بجعلها[2] في القلوب، فثبت على التقديرين أنه[3] ليس في القرآن مدح للرهبانية[4] .

ثم قال: (إلاَّ ابتغاء رضوان الله).

أي لم يكتب عليهم إلاَّ ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع، وهذا يسمّى استثناء منقطعاً[5] .

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١ .

(٢) في س، ط (لأنها) بدل (بجعلها).

(٣) في س، ط (فثبت أنه على التقديرين).

(٤) سقطت (للرهبانية) من ط .

(٥) إذا استثنى بإلا وكان الكلام غير تام وهو الذي لم يذكر فيه المستثنى منه فلا عمل لإلاَّ، وهذا يسمى مُفرَّغاً. وشرطه أن يكون الكلام غير إيجاب. أي سبقه نفي أو نهي أو استفهام إنكاري نحو: وما محمد إلاَّ رسول، ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق، فهل يهلك إلاَّ القوم الفاسقون. وإن كان الكلام تاماً أي ذكر فيه المستثنى منه: فإن كان موجباً نصب المستثنى نحو فشربوا منه إلاَّ قليلاً، وإن كان الكلام غير موجب فله حالان: إما أن يكون الاستثناء متصلاً، والأرجح في ذلك اتباع المستثنى للمستثنى منه، بدل بعض عند البصريين أو عطف نسق عند الكوفيين، نحو ما فعلوه إلاَّ قليل منهم أي لكن قليل منهم.

وأما أن يكون الاستثناء منقطعاً فإن لم يمكن تسليط العامل على المستثنى وجب النصب بالاتفاق نحو ما زاد هذا المال إلاَّ ما نقص. وإن أمكن التسليط فالحجازيون ينصبون وجوباً نحو ما لهم به من علم إلاَّ اتباع الظن، وتميم يرجحونه ويجيزون الاتباع، نحو وبلدة ليس بها أنيس: إلاَّ اليعافير وإلاَّ العيس.

هذا ملخص ما ورد عن الاستثناء المفرغ والمتصل، والمنقطع.

وانظر: أوضح المسالك ص ٣٠٧؛ وشذور الذهب ص ٢٦٠ .

كما في قوله:

﴿ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا ... ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ... ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾[5].

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾[6].

وهذا أصح الأقوال في هذه الآية كما هو مبسوط في موضع آخر[7].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.
(٢) سورة النساء: الآية ٢٩.
(٣) سورة الدخان: الآية ٥٦.
(٤) سورة الانشقاق: الآيات ٢٠ ـ ٢٥.
(٥) سورة الواقعة: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.
(٦) سورة النساء: الآية ٩٢.
(٧) في ط جملة زائدة هكذا (وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية) ولا مكان لها هنا حيث ستأتي بعد أسطر قليلة في موضعها المناسب.

ولا يجوز أن يكون المعنى أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن الله لا يفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه، ولا أن المعنى أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا وهذا بعض الغالطين، كما قد بسط في موضع آخر.

وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية، وما رعوها حق رعايتها[1]، وليس في ذلك مدح لهم بل هو ذم، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ . . .﴾[2].

وهم الذين آمنوا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكثير منهم فاسقون، ولو أريد الذين آمنوا بالمسيح أيضاً فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل وإلاَّ[3] فكلهم يقولون إنهم مؤمنون بالمسيح، وبكل حال فلم يمدح ـ سبحانه ـ إلاَّ من اتبع المسيح على دينه الذي لم يبدل، ومن آمن بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد صلَّى الله عليه وسلَّم[4].

فإن قيل: قد قال بعض الناس: إن قوله ـ تعالى ـ : ورهبانية ابتدعوها عطف على رأفة ورحمة، وإن المعنى أن الله جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضاً[5] ابتدعوها وجعلوا الجعل شرعياً

---

(١) من قوله: ولم يجعلها مشروعة لهم بل نفى جعله عنها ـ إلى هذا الموضع ساقط كله من نسخة ك، أي من بعد بداية الفصل بأربعة أسطر إلى هذا الموضع، أي حوالي (٣٠) سطراً.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) في ك، ط (والآن)، وهو خطأ.

(٤) جملة (لم يمدح إلى آخرها) ساقطة من س.

(٥) سقطت (أيضاً) من س، ك، ط .

ممدوحاً. قيل: هذا غلط لوجوه:

منها: أن الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب، وإنما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة، فإنهم لم يبتدعوها، وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم، فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرهبانية في ذلك[1]، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك.

ومنها: أن الرأفة والرحمة جعلها في القلوب، والرهبانية لا تختص بالقلوب بل الرهبانية ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك، وقد كان طائفة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هموا بالرهبانية[2]، فأنزل الله ـ تعالى ـ نهيهم عن ذلك بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

وثبت في الصحيحين: أن نفراً من أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال آخر: أما أنا

(١) سقطت جملة (فلم تدخل الرهبانية في ذلك) من ك.

(٢) في س، ك، ط (بالترهب).

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٧.
انظر أسباب النزول للواحدي ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛ وتفسير ابن جرير الطبري ٧/٧ ـ ٩ (مجلد ٥)؛ وتفسير ابن كثير ٨٧/٢؛ وفتح القدير للشوكاني ٧٠/٢.

فأقوم لا أنام. وقال آخر[1]: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر[2]: أما أنا فلا آكل اللحم.

فقام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خطيباً فقال: «ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].

وفي صحيح البخاري أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا أبو[4] إسرائيل[5] نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»[6].

---

(١) في ط (الآخر).

(٢) في س، ك، ط (الآخر).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك في أول كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح وليس فيه «فقام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خطيباً» ٦/١١٦، وأخرجه مسلم من حديث أنس أيضاً في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤونة ٢/١٠٢٠، وفيه اختلاف يسير في اللفظ لا يضر بالمعنى وقد ورد فيه «فحمد الله وأثنى عليه»... الحديث، ورواه أحمد في مسند أنس ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، ورواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه ٢/١٥٨.

(٤) سقطت (أبو) من أ.

(٥) هو أبو إسرائيل الأنصاري أو القرشي العامري، قال ابن حجر: «ذكره البغوي وغيره في الصحابة، وقال أبو عمر: قيل اسمه يسير بتحتانية ومهملة مصغراً، وأورده ابن السكن والباوردي في حرف القاف وفي قشير بقاف ومعجمة». اهـ. قلت: هذا ما ذكره ابن حجر ولم نقف على مولده ووفاته وشيء من حياته غير هذه الإشارة من ابن حجر في الإصابة في موضعين ٣/٢٢٧ (٧١١٢)، ٤/٦ (٢٦).

(٦) رواه البخاري من حديث ابن عباس في كتاب الأَيْمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصيته ٧/٢٣٤، وأبو داود في كتاب الأَيْمان والنذور، باب من رأى =

وثبت في صحيح مسلم عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه كان[1] يقول في خطبته: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[2].

وفي السنن عن العرباض بن سارية[3] أن النبي ـ صلَّى الله عليه

= عليه كفارة إذا كان في معصية ٣/٥٩٩، وابن ماجه في الكفارات ١/٦٩٠ (٢١٣٦)، ومالك في الموطأ، كتاب النذور والأَيْمَان (مرسلًا) بسنده عن حميد بن قيس، وثور بن زيد الديلي، ٢/٤٧٥، ورواه أحمد في المسند ٤/١٦٨ من حديث ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي إسرائيل. ورواه الإمام الشافعي في مسنده، عن طاووس ص ٣٣٩.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ في معالم السنن ٣/٥٩٩: «قد تضمن نذره نوعين من طاعة ومعصية فأمره النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالوفاء بما كان منهما طاعة وهو الصوم، وأن يترك ما ليس بطاعة من القيام في الشمس، وترك الكلام، وترك الاستظلال بالظل، وذلك لأن هذه الأمور مشاق تتعب البدن وتؤذيه، وليس في شيء منها قربة إلى الله ـ سبحانه ـ وقد وضعت عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

(١) سقطت (أنه كان) من أ.

(٢) هذا قطعة من حديث رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ من حديث جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ».

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ١/١٧ (٤٥).

(٣) العرباض (بكسر أوله وسكون الراء بعدها موحدة) ابن سارية السلمي أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة، أسلم قديماً، وهو ممن نزل فيه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾. حديثه في السنن الأربعة نزل حمص، ومات بعد السبعين، قيل: سنة ٧٥هـ، وقيل: في فتنة ابن الزبير. =

وسلَّم ــ قال: «عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلالة، وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى، ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها، كما لم يجعل الله ما شرعه المشركون من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام[2].

= انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٦٦ (٥٥٠٣)؛ وتقريب التهذيب ٢/١٧؛ وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٣٣٠ (٤٠٢).

(١) هذا جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة واجتناب البدع ٥/٤٤ (٢٦٧٦)، وفيه تقديم وتأخير، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين ١/١٥ (٤٢)، ورواه بلفظ مقارب من طريق أخرى وفيه زيادة (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها)، حديث (٤٣)، ورواه أبو داود في كتاب السنَّة باب في لزوم السنة ٥/١٣ (٤٦٠٧)، وأحمد في مسنده ٤/١٢٦، ١٢٧.

(٢) **البحيرة**: هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن عمد إلى الخامس فما لم يكن ذكراً شق آذانها ثم لا يجز لها وبراً، ولا يذوق لها لبناً، وسماها لآلهتهم.

والسائبة: ما يسيب من ماله، ولا يمنع من حوض ولا حمى.

والوصيلة: الشاة إذا ولدت سبعاً عمد إلى السابع فإن كان ذكراً ذبح لآلهتهم وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فيتركان جميعاً لا يذبحان، وقالوا: وصلت أخاها.

والحام: الفحل يكون عند الرجل فإذا لقح عشر سنين قيل: قد حمى ظهره وسمي بحام.

انظر: تفسير ابن جرير ٧/٥٦ ــ ٦٠ (مجلد ٥)؛ وتفسير ابن كثير ٢/١٠٧ ــ ١٠٨؛ وفتح القدير ٢/٨٢؛ وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما جعل الله من بحيرة... ، ٥/١٩١.

فإن قيل: قد قال طائفة: معناها ما فعلوها إلَّا ابتغاء رضوان الله ما كتبناها عليهم إلَّا ابتغاء رضوان الله[1].

وقالت طائفة: ما فعلوها أو[2] ما ابتدعوها إلَّا ابتغاء رضوان الله.

قيل: كلا القولين خطأ والأول أظهر خطأ؛ فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم، بل لم يشرعها لا إيجاباً ولا استحباباً، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها وليس في الآية ما يدل على ذلك فإنه قال:

﴿... مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ...﴾[3].

فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا إتمامها ولا رعايتها، بل أخبر أنهم ابتدعوا بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها.

فإن قيل: قوله ــ تعالى ــ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

يدل على أنهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين.

قيل: ليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يدل على أنهم ــ مع عدم الرعاية ــ يستحقون من الذم ما لا يستحقونه بدون ذلك، فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها، وإن لم يكن واحد منهما محموداً، بل مذموماً مثل نصارى بني تغلب[4]

---

(1) سقطت جملة (ما كتبناها... إلخ) من س. (2) في أ (و).

(3) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(4) بني تغلب بن وائل بن قاسط يتصل نسبهم إلى أسد بن ربيعة بن نزار ومنهم بنو جشم، وبنو مالك ابني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل. وقد =

ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم، فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شراً منهم والنار دركات كما أن الجنة درجات.

وأيضاً: فالله تعالى إذا كتب شيئاً على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه، بل العباد يفعلون ما يفعلون ابتغاء رضوان الله.

وأيضاً: فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب، فإن ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانية؟

وأما قول من قال: ما فعلوها إلَّا ابتغاء رضوان الله، فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية، فإن من فعل ما لم يأمر الله به، بل نهاه عنه مع حسن مقصده، غايته أن يثاب على قصده لا يثاب على ما نهى عنه، ولا على ما ليس بواجب، ولا مستحب، فكيف والكلام لا يدل عليه فإن الله قال[1]:

﴿... مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ...﴾[2].

ولم[3] يقل ما فعلوها إلَّا ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلَّا ابتغاء رضوان الله، ولو كان المراد ما فعلوها أو ما ابتدعوها[4] إلَّا

= ذكر السمعاني في الأنساب نفراً من الصحابة والتابعين من بني تغلب.
انظر: الأنساب ص ١٠٨؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٢، ٤٦٩.

(١) في س، ك، ط (فإنه قال).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) في ك، ط (لم) بدون واو، وسقطت الجملة من قوله ولم يقل إلى قوله ولو كان المراد من نسخة س.

(٤) سقطت (أو ما ابتدعوها) من ك.

ابتغـاء رضوان الله، لكـان منصـوبـاً على المفعـوليـة[1]، ولـم يتقـدم لفظ الفعـل ليعمل فيـه ولا نفي الابتداع[2]، بـل أثبته لهم، وإنمـا تقـدم لفظ الكتابة فعلم أن القـول الذي ذكـرناه هـو الصواب، وأنـه استثناء منقـطع فتقـديره وابتـدعوا رهبـانية مـا كتبنـاهـا عليهم، لكن كتبنـا عليهم ابتغـاء رضوان الله، فإن إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينهَ[3] عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر[4] به وترك ما لم ينهَ[5] عنه.



(١) في أ، س، ك (المفعول).
(٢) في ط (ابتداع) وسقطت جملة (الابتداع بل أثبته لهم) من ك.
(٣) في س، ك، ط (ينهه).
(٤) في س، ك، ط (يأمر).
(٥) في س، ك، ط (ينهه).

فصل

وأما قوله ــ تعالى ــ :

الردّ على النصارى في احتجاجهم بأنّ الله مَدَحهم في قوله ــ تعالى ــ : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ الآية.

﴿. . . مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1].

فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى، بل هي مذكورة بعد قوله ــ تعالى ــ :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2].

ثم قال[3]:

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ . . .﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.
(٢) سورة آل عمران: الآيات ١١٠ ــ ١١٢.
(٣) في أ (قالوا) وصححناه من سائر النسخ.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

ومعلوم أن الصفة المذكورة في قوله:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

صفة اليهود[1]، وكذلك قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

فقوله: عقب ذلك: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾.

لا بد أن يكون متناولاً لليهود، ثم قد اتفق المسلمون والنصارى على أن اليهود مع كفرهم بالمسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليس فيهم مؤمن، وهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والآية إذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود، والله ـ تعالى ـ إنما أثنى على من آمن من[2] أهل الكتاب، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3].

وقد ذكر أكثر العلماء أن هذه * الآية الأخرى في آل عمران *[4] نزلت في النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لكنه لم تمكنه الهجرة إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا العمل

---

(١) في ط (لليهود).

(٢) سقطت (من) من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ.
وانظر في سبب النزول لباب النقول للسيوطي ص ٥٧ ـ ٥٨؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٠٣؛ والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص ٣٨ ـ ٣٩.

بشرائع الإسلام لكون[1] أهل بلده نصارى لا يوافقونه على إظهار شرائع الإسلام، وقد قيل[2]: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إنما صلَّى عليه لما مات؛ لأجل هذا، فإنه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه في جماعة كثيرة ظاهرة، كما يصلي المسلمون على جنائزهم.

ولهذا جعل من أهل الكتاب مع كونه آمن بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمنزلة من يؤمن[3] بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في بلاد الحرب، ولا يتمكن من الهجرة إلى دار الإسلام، ولا يمكنه العمل بشرائع الإسلام الظاهرة، بل يعمل ما يمكنه ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال ـ تعالى ـ

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ . . . ﴾[4].

فقد يكون الرجل في الظاهر من الكفار، وهو في الباطن مؤمن، كما كان مؤمن آل فرعون.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ

---

(١) في س، ك، (لكونه).

(٢) جاء في معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ٥٤٢/٣: «النجاشي رجل مسلم قد آمن برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وصدقه على نبوته إلا أنه كان يكتم إيمانه، والمسلم إذا مات وجب على المسلمين أن يصلوا عليه، إلا أنه كان بين ظهراني أهل الكفر، ولم يكن بحضرته من يقوم بحقه في الصلاة عليه، فلزم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يفعل ذلك إذ هو نبيه ووليه وأحق الناس به، فهذا ـ والله أعلم ـ هو السبب الذي دعاه إلى الصلاة عليه بظهر الغيب».

(٣) في س (من لم يؤمن) وهو خطأ.

(٤) سورة النساء: الآية ٩٢.

وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾
وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ
هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم
بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ
وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ
وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى
ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٣﴾

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾(1).

فقد أخبر ــ سبحانه(2) ــ أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب، وأخبر أنه كان من آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه وأنه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره، فهو من آل فرعون(3) باعتبار النسب والجنس والظاهر، وليس هو من آل فرعون الذين يدخلون أشد العذاب وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء. قال الله(4) ــ تعالى ــ :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(5).

وامرأة الرجل من آله بدليل قوله:

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾(6).

وهكذا أهل الكتاب فيهم من هو في الظاهر منهم، وهو في الباطن يؤمن بالله ورسوله محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه ما يعجز عنه علماً وعملاً: و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، وهو عاجز عن الهجرة إلى دار الإسلام، كعجز النجاشي،

---

(1) سورة غافر: الآيات ٢٨ ــ ٤٦.
(2) في ط (سبحانه وتعالى).
(3) سقطت (فرعون) من س.
(4) سقط لفظ الجلالة من س، ك، ط.
(5) سورة التحريم: الآية ١١.
(6) سورة الحجر: الآيتان ٥٩، ٦٠.

وكما أن الذين يظهرون الإسلام فيهم من هم[1] في الظاهر مسلمون، وفيهم من هو منافق كافر في الباطن، إما يهودي، وإما نصراني، وإما مشرك، وإما معطل.

كذلك في أهل الكتاب والمشركين، من هو في الظاهر منهم، ومن[2] هو في الباطن من[3] أهل الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، يفعل ما يقدر على علمه وعمله، ويسقط[4] ما يعجز عنه في ذلك.

وفي[5] حديث حماد بن سلمة عن ثابت[6]، عن أنس قال: لما مات النجاشي قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «استغفروا لأخيكم» فقال بعض القوم: تأمرنا أن نستغفر لهذا العلج[7]، يموت بأرض الحبشة. فنزلت:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ... ﴾[8].

---

(١) في أ (من هو) وسقطت (فيهم من) من س، وما أثبتناه من ك، ط.

(٢) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٣) سقطت (من) من ط.

(٤) في س، ك، ط (ويسقط عنه).

(٥) في ك (إلى).

(٦) سيأتي بعد أسطر ترجمة حماد وثابت.

(٧) العلج: بكسر العين المهملة، العير، والحمار، والرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً، وجمعه علوج، وأعلاج. انظر: القاموس المحيط؛ فصل العين؛ باب الجيم ١/ ٢٠٠؛ والمصباح المنير ٢/ ٥٨١.

(٨) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران، وسبق تخريج الحديث، وجميع الأحاديث المتعلقة بموت النجاشي، ونعي الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له.

ذكره ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم[١]، وذكره حماد بن سلمة[٢]، عن ثابت[٣]، عن الحسن البصري[٤] أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٥] ـ قال: «استغفروا لأخيكم النجاشي» فذكر مثله[*].

وكذلك ذكر[٦] طائفة من المفسرين، عن جابر بن عبد الله[٧] وابن عباس وأنس وقتادة أنهم قالوا: نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة. وهو بالعربية عطية. وذلك أنه لما مات نعاه جبريل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في اليوم الذي مات فيه، فقال

---

(١) جاء ذلك في تفسير ابن أبي حاتم الجزء الثاني مخطوط رقم (٢٦٧٦) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ المكتبة المركزية قسم المخطوطات. عند تفسير الآية ١٩٩ من سورة آل عمران. بسند رجاله ثقات.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره مات سنة ١٦٧هـ.
انظر تهذيب التهذيب ٣/١١ـ ١٦؛ وتقريبه ١/١٩٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٩٢.

(٣) ثابت بن أسلم البناني: بضم الباء الموحدة، ونونين مخففتين، أبو محمد البصري ثقة، عابد مات رحمه الله سنة ١٢٧هـ وقيل ١٢٣هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢ ـ ٤؛ وتقريبه ١/١١٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٥٦.

(٤) الحسن بن يسار (أبي الحسن) البصري الأنصاري مولاهم، من كبار التابعين ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس مات ـ رحمه الله ـ سنة ١١٠هـ، وقد قارب التسعين.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ـ ٢٧١؛ وتقريبه ١/١٦٥ (٢٦٣)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٧٧.

(٥) سقطت (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.

(*) مرسل، وجاء موصولاً من عدة طرق في الصحيحن وغيرهما وسبق تخريجه.

(٦) سقطت (ذكر) من أ.

(٧) سقطت جملة (بن عبد الله) من س، ك، ط.

رسول الله[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأصحابه: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» قالوا[2]: من هو؟ قال: «النجاشي» فخرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى البقيع. وزاد بعضهم وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه، وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، وقال لأصحابه: «استغفروا له». فقال المنافقون: انظروا[3] إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط: وليس على دينه. فأنزل الله ــ تعالى ــ:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[4].

وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنها نزلت فيمن كان على دين المسيح ــ عليه السلام ــ إلى أن بعث محمد[5] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فآمن به، كما نقل ذلك عن عطاء.

وذهبت طائفة إلى أنها نزلت في مؤمني[6] أهل الكتاب كلهم[7].

---

(١) سقط لفظ الجلالة من ك.

(٢) في ط (فقالوا).

(٣) في س، ك، ط (أبصروا).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٥) في ط (بعث الله محمد).

(٦) في أ، س، ك (مؤمن) وما أثبتناه من ط أولى.

(٧) أصحاب القول الأول جابر وأنس، وابن عباس، وقتادة. وأصحاب القول الثاني مجاهد، وابن جريج، وابن زيد.
وقد رجح ابن جرير ــ بعد أن ساق الأقوال كلها ــ القول بأنها في عموم مؤمني أهل الكتاب مبيناً أنه لا داعي للتخصيص لأن الله ــ جل ثناؤه ــ عم بقوله: **﴿وإن من أهل الكتاب﴾** أهل الكتاب جميعاً فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى، ثم ذكر أن الخبر الذي ساقه دليلاً للأول عن جابر فيه نظر، ولو لم يكن كذلك لما كان في معنى الآية خلاف. =

والقول الأول أجود، فإن من آمن بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأظهر الإيمان به، وهو من أهل دار الإسلام، يعمل ما[1] يعمله المسلمون ظاهراً وباطناً فهذا من المؤمنين وإن كان قبل ذلك مشركاً[2] بعبد الأوثان، فكيف إذا كان كتابياً؟ وهذا مثل عبد الله بن سلام[3]، وسلمان الفارسي[4] وغيرهما، وهؤلاء لا يقال: إنهم من أهل الكتاب، كما لا يقال في المهاجرين والأنصار: إنهم من المشركين وعباد الأوثان، ولا يُمكَّن أحد من[5] المنافقين ولا من[6] غيرهم من أن يصلي على واحد منهم، بخلاف من هو في الظاهر منهم، وفي الباطن من المؤمنين.

وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير، يكتمون إيمانهم، إما مطلقاً، وإما يكتمونه[7] عن العامة ويظهرونه لخاصتهم، وهؤلاء قد

= انظر: تفسيره ٤/١٤٦ ــ ١٤٧ (مجلد ٣) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران، وأسباب النزول للواحدي ص ١٠٣؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٤١٥؛ وتفسير ابن كثير ١/٤٤٣.

(١) في ط (بما).

(٢) في أ (من المشركين).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث من ذرية يوسف ــ عليه السلام ــ الإسرائيلي ثم الأنصاري كان من بني قينقاع، وأسلم أول ما قدم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المدينة على الصحيح وكان اسمه الحصين فغيره النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفضائله معلومة مشهورة مات ــ رضي الله عنه ــ سنة ٤٣هـ بالمدينة.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٣١٢؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٢/٣٧٤.
وانظر في فضائله: صحيح البخاري كتاب المناقب ٤/٢٩٩؛ وصحيح مسلم ٤/١٩٣٠.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في أ (ولا يمكن أحداً) وصححنا العبارة من سائر النسخ.

(٦) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٧) سقطت (يكتمونه)، (ويظهرونه لخاصتهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.
وجاءت الجملة في أ هكذا (اما مطلقاً واما عن العامة).

يتناولهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ . . . ﴾ الآية .

فهؤلاء لا يدعون الإيمان بكتاب الله ورسوله لأجل مال يأخذونه، كما يفعل كثير من الأحبار والرهبان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدونهم عن سبيل الله، فيمنعونهم[1] الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وأما قوله ـ تعالى[2] ـ :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] .

فهذه الآية تتناول اليهود أقوى مما تتناول النصارى، ونظيرها[4] قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[5] .

وهذا[6] مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة، ليس في ذلك مدح لمن كذب المسيح، ولا فيها مدح لمن كذب محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وهذا الكلام يفسره[7] سياق الكلام، فإنه قال ـ تعالى ـ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ . . . ﴾ .

---

(١) في س، ك، ط (ويمنعونهم من).
(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.
(٣) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣ ـ ١١٤ .
(٤) في س، ك، ط (ونظيره).
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٩ .
(٦) في س، ك، ط (هذا).
(٧) في ك، ط (تفسيره).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

فقد جعلهم نوعين: نوعاً مؤمنين ونوعاً فاسقين وهم أكثرهم وقوله[2] ـ تعالى ـ : ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

يتناول من كان منهم[3] مؤمناً قبل مبعث[4] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كما يتناولهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾

إلى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5].

وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[6].

وقوله عن إبراهيم الخليل:

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾[7].

ثم لما قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[8].

قال:

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) في ك، ط (لقوله).
(٣) سقطت (منهم) من ك، ط.
(٤) في ك زيادة (قبل من كان قبل مبعث).
(٥) سورة الحديد: الآية ٢٧.
(٦) سورة الحديد: الآية ٢٦.
(٧) سورة الصافات: الآية ١١٣.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1].

* وضرب الذلة عليهم أينما ثقفوا ومباؤهم بغضب الله *[2] ــ وما ذكر معه من قتل الأنبياء بغير حق وعصيانهم واعتداؤهم[3] كان اليهود متصفين به قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما قال ــ تعالى ــ في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

ثم قال بعد ذلك:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه[5] الملل الأربع متمسكاً بها[6] قبل النسخ بغير تبديل، كذلك آية آل عمران لما وصف أهل

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١١ ــ ١١٢.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، وفي النسخ الثلاث الأخرى زيادة لفظ الآية وسط الكلام في غير موضعها.

(٣) في س (واعداهم).

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٦١، ٦٢.

(٥) سقطت (هذه) من س، ط.

(٦) سقطت (متمسكاً بها) من أ وزدناها من سائر النسخ.

الكتاب بما كانوا متصفاً به أكثرهم قبل محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من الكفر، قال(١):

﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٢).

وهذا يتناول من كان متصفاً منهم بهذا قبل النسخ، فإنهم كانوا على الدين الحق الذي(٣) لم يبدل ولم ينسخ، كما قال في الأعراف.

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

وقوله(٤):

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾(٥)

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾(٦).

فهذا خبر من الله عمن كان متصفاً بهذا(٧) الوصف قبل مبعث محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ومن أدرك من هؤلاء محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فآمن به كان له أجره مرتين.

● ● ●

(١) في أ، س (قالوا) وصححناه من ك، ط.
(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.
(٣) سقطت (الذي) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٤) سقطت (وقوله) من جميع النسخ.
(٥) سورة الأعراف: الآيات ١٥٩، ١٦٨ ـ ١٧٠.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٨١.
(٧) في أ (به بهذا) وهي زائدة.

فصل

قالوا: ثم وجدناه يعظم إنجيلنا، ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا ويشهد[1] بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً وذلك مثل قوله ـ تعالى ـ[2]: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا. . .﴾[3].

ردّ دعواهم تعظيم الإسلام لمعابدهم

والجواب: أن فيها ذكر الصوامع والبيع، وأما قوله: ﴿ويذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ فإنما ذكره عقب ذكره[4] المساجد، والمساجد للمسلمين، وليس المراد بها كنائس النصارى، فإنها[5] هي البيع. ثم قوله ـ تعالى ـ[6]: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾:

إما أن يكون مختصاً بالمساجد، فلا يكون في ذلك اخبار بأن اسم الله[7] يذكر كثيراً في البيع والصوامع[8]، وإما أن يكون ذكر اسم[9] الله في الجميع، فلا ريب أن الصوامع والبيع قبل أن يبعث الله[10] محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل ويذكر فيها اسم الله كثيراً. وقد قيل: إنها بعد النسخ والتبديل

---

(١) في أ (وشهد).

(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٤) في س، ك، ط (ذكر).

(٥) في ط (فإنما).

(٦) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٧) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٨) في س، ك، ط (في الصوامع والبيع).

(٩) سقطت (اسم) من س.

(١٠) في س، ك (قبل أن بعث محمداً) وفي ط (قبل أن يبعث محمد).

يذكر فيها اسم الله[1] كثيراً وإن الله يحب أن يذكر اسمه.

قال الضحاك[2]: «إن الله يحب أن يذكر اسمه[3] وإن كان يشرك به»[4] يعني: أن المشرك به خير من المعطل الجاحد الذي لا يذكر اسم الله بحال.

وأهل الكتاب خير من المشركين، وقد ذكرنا أنه لما اقتتل فارس والروم وانتصرت الفرس، ساء ذلك أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكرهوا انتصار الفرس على النصارى؛ لأن النصارى أقرب إلى دين الله من المجوس، والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتقديم خير الخيرين على أدناهما حسب الإمكان، ودفع شر الشرين بخيرهما، فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد إذا هدمها المجوس والمشركون، وأما إذا هدمها المسلمون وجعلوا

---

(١) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، البلخي الخراساني، صاحب التفسير قال الذهبي في العبر: «وثقه الإمام أحمد وغيره»، وقال ابن حجر: «صدوق كثير الإرسال». كان آية في التفسير له فيه كتاب، توفي ـ رحمه الله ـ بخراسان سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٥هـ.

انظر: العبر في خبر من غبر ١/١٢٤؛ وشذرات الذهب ١/١٢٤؛ وتقريب التهذيب ١/٣٧٣؛ والأعلام للزركلي ٣/٢١٥.

(٣) سقطت (اسمه) من ك.

(٤) أخرجه ابن جرير بنحوه في تفسيره ١٧/١٢٦ (مجلد ٧)، ولفظه هكذا: «في كل هذا يذكر اسم الله كثيراً ولم يخص المساجد».

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «قيل: الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد، لأنها أقرب المذكورات، وقال الضحاك: الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً».

انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٢٦؛ وانظر: تفسير ابن جرير ١٧/١٢٦؛ وفتح القدير ٣/٤٥٨.

أماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، فهذا خير وصلاح.

وهذه الآية ذكرت في سياق الإذن للمسلمين بالجهاد بقوله ـ تعالى ـ:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1].

وهذه الآية أول آية نزلت في الجهاد، ولهذا قال:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾[2].

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾[3].

فيدفع بالمؤمنين الكفار ويدفع شر الطائفتين بخيرهما، كما دفع المجوس بالروم النصارى[4]، ثم دفع النصارى بالمؤمنين أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهذا كما قال ـ تعالى ـ[5] في سورة البقرة:

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[6].

وأما التقديم في اللفظ، فإنه يكون للانتقال من الأدنى إلى الأعلى، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[7].

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٩.
(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٤) في ط (والنصارى).
(٥) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

وقولـه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[1].

وقولـه:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[2].

ونظائره متعددة.

وكذلك في قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿... لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[4].

فبيَّن[5] ـ سبحانه ـ أنه[6] لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت مواضع العبادات، وهدمها فساد إذا هدمها من لا يبدلها بخير منها وأدناها هي الصوامع، فإن الصومعة تكون لـواحد أو لـطائفة[7] قليلة فبـدأ بأدنى المعابد، و ختم بأشرفهـا وهي المساجـد التي يذكـر فيها اسم الله كثيـراً. ففي الجملة حكم هذه المعابد حكم أهلها، وأهلها قبل النسخ والتبديـل مؤمنون مسلمون[8]، وهدم معابد المؤمنين المسلمين فساد، وبعد النسخ والتبـديـل، إذا غلب أهـل الكتـاب من هـو شر منهم، كـالمجـوس والمشركين، وهدموا معابدهم، كان ذلك فساداً وإذا هـدمها من هـو خير منهم كأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبدلوهـا مساجـد يذكـر فيها

(١) سورة عبس: الآيات ٣٤ ـ ٣٦، وسقطت هذه الآيات من ك.
(٢) سورة الذاريات: الآيات ١ ـ ٤.
(٣) سقطت (تعالى) من أ.
(٤) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٥) في س، ك، ط (بين).
(٦) في أ (أن) وصححناه من سائر النسخ.
(٧) في س، ك، ط (أو طائفة).
(٨) في أ (مسلمون يؤمنون).

اسم الله كثيراً، ولا يشرك به، ويذكر فيها الإيمان بجميع كتبه ورسله، كان ذلك صلاحاً لا فساداً.

ولهذا أمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يتخذ[1] المساجد مواضع معابد الكفار كما كان لثقيف أهل الطائف[2] معبد يعبدون فيه اللات، التي قال الله فيها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[3].

فأمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يهدم ذلك المعبد، ويتخذ مكانه المسجد الذي يعبد الله وحده فيه[4]؛ فإن المساجد هي

---

(١) في ك، ط (يتخذ) بالمثناة التحتية.

(٢) ثقيف قبيلة من قبائل قيس عيلان بن مضر، وثقيف هم بنو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ينتهي نسبه إلى قيس عيلان.
وكان لهم معبد بالطائف يقال له اللات مبني على صخرة، وكانوا يحرمون واديه ويكسونه، وسدنته آل أبي العاص من بني مالك بن ثقيف، هدم الصنم أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما. وقيل: خالد والمغيرة والأول أصح على ما سنذكره بعد قليل.
انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٨٢، ٤٩١؛ وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٣١؛ والإصابة لابن حجر ٣/ ٤٣٢.

(٣) سورة النجم: الآية ١٩.

(٤) اخرج ابن جرير الطبري في تاريخه ٣/ ٩٩ ـ ١٠٠ بسنده. قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة (يعني بن الفضل الأبرش)، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة... قال: «بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أبا سفيان والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية... وساق بقية القصة ولم يرد فيها أن الرسول اتخذ مكانها مسجداً»، ولكن ابن كثير في تاريخه ٥/ ٣٣، ٣٤؛ وفي تفسيره ٤/ ٢٥٤ ذكر أنهما هدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف، وذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/ ٢١٣، «أن اللات كانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم». والله أعلم. أما ابن حجر فقد ساق القصة في الإصابة ٣/ ٤٣٢ (في ترجمة المغيرة) وعزاها لابن جرير ولم يتعقبها، ووردت في سيرة ابن هشام بدون ذكر الأمر ببناء المسجد ٤/ ١٣٧، ١٣٨. =

بيوت الله في الأرض قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ . . . ﴾ الآية إلى قوله ﴿ . . . الْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ . . . ﴾ الآية. إلى قوله: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ . . . ﴾[4].

ثم لما ذكر المؤمنين ذكر الكفار من أهل الكتاب والمشركين، فذكر أهل الجهل المركب والبسيط[5]، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ

= وسند ابن جرير الطبري فيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، ولكن القصة مشهورة عند أهل السير وقد ساقها المحققون الذين تقدم ذكرهم، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ١٧، ١٨.

(٤) سورة النور: الآيات ٣٥ ـ ٣٨.

(٥) الجهل البسيط: عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً.
والجهل المركب: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.
انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٤.

فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[1] .

فقد تبيَّن أنه ليس لهم حجة في شيء مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، بل ما جاء به حجة عليهم من وجوه متعددة .



(1) سورة النور: الآيتان ٣٩، ٤٠. وقد جاء في أ (يحسبه الظمآن ماء، الآية إلى قوله: ﴿فما له من نور﴾.

فصل

رفض دعواهم وجوب التمسُّك بدينهم بعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قالوا: وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا وأن لا نهمل ما معنا ولا نرفض مذهبنا، ولا نتبع غير السيد المسيح، كلمة الله، وروحه وحوارييه الذين أرسلهم إلينا.

والجواب: إنهم احتجوا بحجتين باطلتين:

إحداهما[1]: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] لم يرسل إليهم بل إلى العرب، وقد تبيَّن أن الاحتجاج بها من أعظم الكذب والافتراء على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه لم يقل قط: إني لم أرسل إلى أهل الكتاب، ولا قال قط: إني لم أرسل إلَّا إلى العرب، بل نصوصه المتواترة عنه وأفعاله تبيِّن أنه مرسل إلى جميع أهل الأرض: أميهم، وكتابيهم.

والحجة الثانية: قولهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ، وهي أيضاً أعظم كذباً عليه من التي قبلها، كيف[3] يثني عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم، ويصف من لم يرَ طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر، ويذكر أنه

---

(١) في س، ك، ط (أحدهما).

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط .

(٣) في ط (فكيف).

يدخل جهنم، وهذا كله يخبر به عن الله[1] ويذكره تبليغاً[2] لرسالة ربه، وإنما يضاف إليه لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأه وابتدأه.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3].

وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه، وكان على دينه الذي لم يبدل، فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على من بعث إليه[4]، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل، وأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثنى على كل من اتبعها، وقال مع ذلك إن الله أرسلني إليكم، لم يكن ذلك[5] متناقضاً، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه.

---

(١) في ط (عز وجل).

(٢) في س(يبلغنا) وهو تصحيف.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ـ ٥٢.

(٤) في هامش نسخة أ تعليق بخط مغاير لخط النسخة نصه ما يأتي: «بل يجب عليهم اتباعه، ولو نكث عن دعوتهم، لأمر الله ـ تعالى ـ لهم في كتبه السابقة باتباعه، بل ولو لم يؤمروا في الكتب السابقة، لظهور معجزاته الخارقة، وتحديهم بالقرآن وصدق ما أخبر فيه مما تقدم، وما تأخر، وعزبه المؤمنين من الفتوح، والنصر، والظفر والظهور على الدين كله». اهـ. ولعله استطراد من ناسخ النسخة.

(٥) سقطت(ذلك) من س، ط.

فكيف وهو إنما مدح من اتبع ديناً لم يبدل؟ وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم، كما قال:

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(1).

وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود(*): كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الأول، وكفروا(2) بتكذيبهم بالكتاب الثاني.

وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ(3) فآمن به، فهؤلاء مؤمنون، ومما يبيِّن ذلك: أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها، وعمله(4) بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للإنجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه؟(5).



(1) سورة المائدة: الآية ١٤.

(*) هنا ورد في نسخة أ تعليق بهامش النسخة نصه هكذا: «وكفى بها معجزة دالة على صدقه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن العداوة من حين نزولها إلى قيام الساعة قائمة ... كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ....».

(2) في أ، س (كفراً).

(3) سقطت الجملة الدعائية من س، ط.

(4) في س (وعلمه).

(5) من قوله: (وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه) إلى هذا الموضع ساقط كله من نسخة ك.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنّ الإسلام عَظّم الحواريين

وأما قولهم: وحوارييه الذين أرسلهم إلينا أنذرونا بلغتنا، وسلموا لنا ديننا[1] الذين قد عظموا في هذا الكتاب، بقوله في سورة الحديد:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ . . . ﴾[2].

وقال في سورة البقرة:

﴿ . . . فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[3].

فأعني[4] بقوله أنبياءه المبشرين، ورسله ينحو بذلك الحواريين الذين[5] داروا في سبعة أقاليم العالم، وبشروا بالكتاب الواحد، الذي هو الإنجيل الطاهر؛ لأنه لو عني عن[6] إبراهيم وداود، وموسى ومحمد، لكان قال: معهم الكتب؛ لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون

---

(١) سقطت جملة (وسلموا لنا ديننا) من أ، ك.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وبرجوعي إلى نص الرسالة وهو مخطوط وعندي منه نسخة وجدت الكلمة هكذا (فعني).

(٥) في س (الذي).

(٦) هكذا وردت في جميع النسخ، وأحسبها زائدة، وبرجوعي إلى النص الأصلي لم أجدها فيه فالعبارة هكذا (لأنه لو كان أعني إبراهيم... إلخ).

غيره، ولم يقل: إلا الكتاب الواحد؛ لأنه ما أتى جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر. وجاء أيضاً في الكتاب:

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(1).

* يعني الحواريين ـ لم يقل: رسول، إنما قال: المرسلين *(2)، والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس فيما ذكر ولا في غيره، ما يوجب تكذيب الرسول الذي أرسل إليكم و(3)إلى غيركم وتمسككم بدين مبدل منسوخ، كما أنه ليس فيما يعظم به موسى والتوراة ومن اتبع موسى ما يوجب لليهود تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، وتمسكهم بدين مبدل منسوخ.

الثاني: أن قولهم: ولا نتبع غير المسيح وحوارييه، قول باطل، فإنهم ليسوا متبعين، لا للمسيح ولا لحوارييه، لوجهين:

أحدهما: أن دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين، بل أكثر شرائعهم أو كثير منها ليست عن المسيح والحواريين.

الثاني: أن المسيح بشر بأحمد، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ . . .﴾(4).

(1) سورة يس: الآية ٢٠.
(2) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.
(3) في ط (أو).
(4) سورة الصف: الآية ٦.

فإذا لم يتبعوا أحمد، كانوا مكذبين للمسيح، وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الأنبياء بأحمد، ما هو مبسوط في موضع آخر * كما سيأتي إن شاء الله *[1].

وإنما المقصود هنا منع احتجاجهم بشيء مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وبيان أنه حجة عليهم لا لهم، إذ زعموا أن في بعضه حجة لهم.

الثالث: أن قولهم عن الحواريين: أنهم الرسل الذين عظموا في هذا الكتاب قول باطل، فسروا به القرآن تفسيراً باطلاً من جنس تفسيرهم ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ بالنصارى. وتفسيرهم ﴿**بإذني**﴾ أي: ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، وتفسيرهم:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ . . . ﴾[2].

بالإنجيل، وتفسيرهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[3] هم النصارى.

وتفسيرهم قوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ . . . ﴾[4] هم النصارى.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.
وسيتحدث عن ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث وأول الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٣، ٤.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

﴿إلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا. . .﴾ هم اليهود.

وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن، مثل[1] ما يفسرون به التوراة، والإنجيل، والزبور، من التفاسير التي هي من تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، والكذب على أنبيائه بما يظهر أنه كذب على الأنبياء[2] لكل من تدبر ذلك. وبطلان ذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله قال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾.

اسم جمع مضاف، يعم جميع من أرسله الله ـ تعالى ـ.

الثاني: أن أحق[4] الرسل بهذا الحكم الذين سماهم[5] في القرآن كما قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ

(١) في س، ك، ط (بمثل).
(٢) في أ (أنبيائه).
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٤) في أ (جعل) بدل (أحق) وصوابه ما أثبتناه من سائر النسخ.
(٥) في ط (سماهم الله تعالى).

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

وقال[2] في سورة الشعراء:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

(وقوله)[4]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

(وقوله)[6]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7].

وقوله[8]:

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ــ ١٦٥.

(٢) في س، ك، ط (وقال تعالى).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٠٥ ــ ١١٠.

(٤) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٢٣ ــ ١٢٧.

(٦) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٧) سورة الشعراء: الآيات ١٤١ ــ ١٤٥.

(٨) سقطت (وقوله) من أ، س، ك، وزدناه من ط.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقوله[2]:

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5]:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٦٠ ـ ١٦٤.

(٢) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٧٦ ـ ١٨٠.

(٤) سورة المزمل: الآيتان ١٥، ١٦.

(٥) سقطت هذه الجملة من ك.

(٦) سورة غافر: الآية ٥.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.

وذكر قصته ثم قال[1] بعد ذلك:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2].

ثم لمّا قضى قصته قال ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾[3].

فذكر إرسال رسله تترى ـ أي متواترة ـ ثم ذكر إرسال موسى، وهارون، وإرسال موسى وهارون قبل[4] المسيح بمدة طويلة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[5].

فهذا إخبار منه ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وقال ـ تعالى ـ في المسيح ـ صلوات الله عليه ـ:

---

(١) في ط (ثم قال من بعد).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٣١، ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٤٢ ـ ٤٦.

(٤) في ط (قبل إرسال المسيح).

(٥) سورة النحل: الآية ٣٦.

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ . . . ﴾[1].

فأخبر أن المسيح رسول من هؤلاء الرسل:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾.

وقبله قد بعث في كل أمة رسولاً[2].

وقد روى في حديث أبي[3] ذر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أن الأنبياء مائة ألف نبي، وأن الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر»[4]. وبعض الناس يصحح هذا الحديث وبعضهم يضعفه، فإن

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) في أ (رسول) وكلا الأمرين صحيح فيخرج على أن بعث مبني للمجهول في حال الرفع.

(٣) في س (ابن) وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن حبان بسنده قال: أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني، والحسين بن عبد الله القطان، وابن سلم قالوا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جالس وحده. وفيه أن أبا ذر سأله أسئلة كثيرة ومنها قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألف». قلت يا رسول الله: كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» . . . ثم ذكر الحديث بطوله.

قال الهيثمي ـ رحمه الله ـ «في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» فيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني قال أبو حاتم وغيره: كذاب. انظر: موارد الظمآن ص ٥٢ ـ ٥٤ حديث رقم (٩٤). وجاء في ميزان الاعتدال ١/٧٢ ـ ٧٣ «هو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جده. قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده وهم ثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم ينبغي ألا يحدث عنه وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب». وقد أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٢٦٢ من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، معلم، مكلم» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون» قال: كم كان بينه وبين إبراهيم؟ قال: =

كان صحيحاً، فالرسل ثلثمائة وثلاثة[1] عشر، وإن لم تعرف صحته أمكن أن يكونوا بقدر ذلك وأن يكونوا أكثر، كما يمكن أن يكونوا أقل، فإن الله ـ تعالى ـ[2] أخبر أنه بعث في كل أمة رسولاً.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[3].

وروى أن[4] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال[5]: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها على الله»[6] * وهو حديث جيد *[7].

وقد[8] قال ـ تعالى ـ في سورة الزمر:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ

= «عشرة قرون» قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وخمس عشرة جماً غفيراً». قال الحاكم: سنده صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(١) في س، ك (ثلاث).

(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٤) في س، ك، ط (عن).

(٥) في س، ك، ط (أنه قال).

(٦) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة آل عمران ٥/٢٦٦ (٣٠٠١) بلفظ «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله». وقال هذا حديث حسن ثم قال وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا، ورواه ابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢/١٤٣٣ (٤٢٨٨)؛ ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/٥؛ وجاء في مسند عبد الله بن عمر ص ٢٧ رقم (٢٤) بلفظ أن أمتي هذه توفي سبعين أمة نحن آخرها وخيرها.

(٧) سقط ما بين النجمتين من أ، س وزدناه من ك، ط.

(٨) سقطت (قد) من ك، ط.

لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ في سورة تبارك:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾(٢).

فهذا إخبار منه بأن كل فوج يلقى في النار، وقد جاءهم نذير كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٣).

وقد قال ــ تعالى(٤) ــ:

﴿ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾(٥).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾(٦).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٢) سورة الملك الآيات ٦ ــ ٩، وقد سقطت آية ٧ من س، ك، ط ومكانها (وقال تعالى).

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤) سقطت (تعالى) من ط.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

فقد أرسل الله قبل المسيح رسلاً كثيرين إلى جميع الأمم، فكيف يجوز أن يدعي أن المراد بقوله ـ تعالى[1] ـ : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ هم الحواريون فقط، الذين أرسلهم المسيح، مع أن الحواريين رسل المسيح بمنزلة رسل موسى، وإبراهيم، ورسل محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومن أرسله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجبت طاعته على الناس[2] فيما يبلغه عن رسول الله[3]، كما في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني»[4].

فبين أن أميره إنما تجب طاعته في المعروف الذي أمر الله به[5] ورسوله. لا في كل ما يأمر به، ففي الصحيحين عن علي[6]: «أن

(١) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.
(٢) في س، ك، ط (وجبت على الناس طاعته).
(٣) في س (صلَّى الله عليه وسلَّم).
(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأحكام، أول حديث في الباب ٨/١٠٤ بلفظ مقارب.
باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصيته وتحريمها في المعصية ٣/١٤٦٦ (٣٢) (٣٣)؛ ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب الترغيب في طاعة الإمام ٧/١٥٤؛ ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧ باب ذكر السمع والطاعة بسنده من طرق متعددة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رقم (١٠٦٥)، (١٠٦٦)، (١٠٦٧)، ورواه أبو عوانة في مسنده من حديث أبي هريرة بطرق متعددة ٤/٤٤٤ ـ ٤٤٦.
(٥) سقطت (الواو) من ط.
(٦) في ط (عن علي عليه السلام).

رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بعث جيشـاً وأمـر عليهم رجــلاً، وأمـرهم أن يسمعوا ويـطيعوا، فـأغضبوه. فقـال[1]: اجمعـوا لي حـطبـاً فجمعـوا له. ثم قـال: أوقدوا نـاراً فأوقـدوا ناراً، ثم قـال: ألم يـأمـركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قـالوا: بلى. قـال: فادخلوهـا، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا[2]: إنما فررنا إلى رسول الله من النـار، فكانـوا كذلك حتى سكن غضبه، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ــ، وقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً» وقال: «لا طاعة في معصيـة الله، إنمـا الـطاعـة في المعـروف»[4]. وفي الصحيحين عن عبـد الله بن عمر، عن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أنه قـال: «على المرء[5] المسلم السمع والـطاعة فيمـا أحب وكره إلا أن يؤمـر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع وطاعة»[6].

---

(١) في أ، (فقالوا) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (فقالوا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٤) رواه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مـا لم تكن معصية ١٠٦/٨؛ ورواه في أخبـار الآحاد، أول البـاب ١٣٤/٨، ١٣٥؛ وفي المغازي، بـاب سـريـة عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة ويقال أنها سرية الأنصار ١٠٧/٥؛ ورواه مسلم في الإمـارة، باب وجـوب طاعـة الأمـراء في غيـر معصيـة وتحـريمهـا في المعصيـة ١٤٦٩/٣ (٤٠)، وأبـو داود في الجهاد، بـاب في الطاعـة ٩٢/٣ ــ ٩٣ (٢٦٢٥)، والنسائي في البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع ١٥٩/٣، وأحمـد في المسند ٨٢/١، ٩٤، ١٢٤، وأخـرجه أبـو عوانـة في مسنده من حـديث أبـي عبد الـرحمن السلمي عن علي ــ رضي الله عنـه ــ بـطرق متعـددة وفيهـا أن الـرجـل من الأنصـار ٤٥١/٤.

(٥) في س، ك، (المؤمن).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية بلفظ السمع والطاعـة على المرء المسلم. . . الحـديث ١٠٥/٨، ورواه في الجهاد بـاب =

وفي مسلم عن أم الحصين سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حجة الوداع يقول: «ولو استعمل عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»(١).

وفي الصحيحين عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ليبلغ الشاهد(٢) الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع»(٣).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي

= السمع والطاعة للإمام ٤/٧، ورواه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ٣/١٤٦٩ (١٨٣٩)، وأبو داود في الجهاد، باب في الطاعة ٣/٩٣ (٢٦٢٦)، والترمذي في الجهاد، باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٤/٢٠٩ (١٧٠٧) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في البيعة باب جزاء من أمر بمعصية ٧/١٥٩، ١٦٠، وابن ماجه في الجهاد، باب لا طاعة في معصية ٢/٩٥٦ (٢٨٦٤)، وأحمد ٢/١٧، ١٤٢، وأبو عوانة في مسنده من حديث ابن عمر ٤/٤٥٠ ومن حديث نافع بنحوه.

(١) جاءت جملة (فاسمعوا وأطيعوا) في أول الكلام في نسخة أ بخلاف سائر النسخ ونص الحديث وهو في صحيح مسلم بلفظ: سمعته يقول: «إن أمر عليكم عبد مجدع ـ حسبتها قالت أسود ـ يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا». رواه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، ٢/٩٤٤ (٣١١)، ورواه أبو عوانة في مسنده من حديث أم الحصين الأحمسية ٤/٤٤٦، ورواه من حديث أبي ذر، وعبادة بن الصامت بألفاظ متقاربة ٤/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) في س، ك، ط (فليبلغ) وما أثبتناه من أ، ومن نص الحديث.

(٣) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤، ٢٥، وفي موضع آخر من كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/٣٥، ورواه في الأضاحي ٦/٢٣٥، وفي الفتن ٨/٩١، وفي التوحيد ٨/١٨٦، ورواه مسلم في الحج، باب تحريم مكة، ٢/٩٨٦ (٤٤٦)، وفي القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٥ (٢٩)، (٣٠)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علماً ١/٨٥ (٢٣٣)، وأحمد في مسنده ٥/٣٧، ٣٩، ٤٠ وكلهم رواه من حديث أبي بكرة عن أبيه.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٤٥، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ٥/٤٠ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في السنن، باب البلاغ عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتعليم السنن ١/١٣٦، وأخرجه الخطيب البغدادي في باب كراهة رواية أحاديث بني إسرائيل المأثورة عن أهل الكتاب ٢/١١٧ (١٣٥٠) وأحمد في مسنده ٢/١٥٩، ٢٠٢، وأبو داود في كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل ٤/٧٠ (٣٦٦٢) مقتصراً على قوله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

وأخرجه في كتاب العلم، باب التشديد في الكذب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/٦٣ مقتصراً على قوله «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ـ من حديث الزبير رضي الله عنه ـ وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود مقتصراً على هذه الجملة في المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/١٣.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ «ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل، ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب، ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمر قد تعذر في أخبارهم لبعد المسافة، وطول المدة، ووقوع الفترة بين زماني النبوة، وفيه دليل على أن الحديث لا يجوز عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلا بنقل الإسناد والتثبت فيه» انظر: معالم السنن ٤/٧٠.

قلت: أما عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم في أخبارهم فالأمر على ثلاثة أوجه:

الأول: ما وافق صريح ما جاءنا به الإسلام فهذا مقبول قولاً واحداً من منطلق إيماننا بديننا.

الثاني: ما خالف صريح ما جاء به الإسلام فهذا مرفوض قولاً واحداً من منطلق اعتقادنا في صدق ديننا.

الثالث: ما لا يوافق، ولا يخالف صريح ما جاء به ديننا فهذا علمنا الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم ونقول لهم: ﴿آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

وفي السنن عنه أنه قال: «نَضَّر الله امرأً سمع[1] منا حديثاً فبلَّغه[2] إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3].

فالحواريون في تبليغهم عن المسيح كسائر أصحاب الأنبياء في تبليغهم عنهم، وقال الله ـ تعالى ـ في كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[4].

وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء، فإذا أمروا بما أمر الله به ورسوله، وجبت طاعتهم، وإن تنازع الناس في شيء وجب رده إلى الله والرسول، لا يرد إلى أحد دون الرسل الذين أرسلهم الله، كما قال في الآية الأخرى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾[5].

---

(١) في س، ك، ط (استمع فسمع).
(٢) في س، ك، ط (ويبلغه).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

والكتـاب اسم جنس لكل كتـاب أنزلـه الله ليس المـراد بـه كتـابـاً معيناً، كما قال[1] ــ تعالى ــ :

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[2].

ولم يـرد بهذا أن يؤمن بكتـاب معين واحد، بـل و[3] هذا يتضمن الإيمان بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وكل ما أنزلـه الله من كتاب، كمـا قال في سورة الشورى:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ . . .﴾[4].

فـأمره الله ــ تعـالى ــ أن يؤمن بكل مـا أنزلـه الله من كتـاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالته، كما قال:

﴿. . . لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ . . .﴾[5].

فكل[6] من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خـطاب القرآن وفي الصحيحين عن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أنه قـال: «بلغـوا عني ولو آية»[7].

(١) في ط (كما قال الله تعالى).
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) سقطت الواو من س، ك، ط.
(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٦) هنا تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر بالسياق.
(٧) الحديث قطعة من حديث طويل سبق تخريجه من الصحيحين ومن كتب السنن قبل صفحات قليلة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ . . . ﴾[1] .

وفي القــراءة الأخـرى وكتــابـه ورسله وكــلا القـرائتين مــوافقـة للأخرى[2] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ . . . ﴾[3] .

أي فاختلفوا بعد ذلك. كما قال في السورة الأخرى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ . . . ﴾[4] .

فلمـا اختلف بنو آدم بعث النبيين مبشـرين ومنـذرين وأنـزل معهم الكتاب .

وذلـك يتناول كـل كتاب أنـزله الله ليحكم الله ، ويحكم كتـابه بين الناس بالحق فالحاكم بين النـاس هو الله ـ تعـالى ـ ، وحكمه في كتبـه المنـزلة ، فلهـذا أمر الله المؤمنين إذا تنـازعوا في شيء أن يـردوه إلى الله والرسول .

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، فأمرهم بالرد إلى كتابه ورسولـه ، وقد ذم ـ تعالى ـ من لم يتحاكم إلى كتابه ورسوله فقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٢) في س، ك (الأخرى) وسيأتي في تخريج القراءتين بعد عدة صفحات.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣ .

(٤) سورة يونس: الآية ١٩ .

ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

فقد تبيَّن أن الرسل الذين ذكرهم الله في قوله:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ. . . ﴾.

يتناول الرسل الذين أرسلهم الله ـ تعالى ـ[2] كلهم، ومن أحقهم بذلك الرسل الذين أخبر في القرآن أنه أرسلهم إلى عباده، فظهر بطلان قولهم أنهم الحواريون.

الوجه الثالث: أنه قال:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

فذكر أنه أنزل الحديد أيضاً؛ ليتبين من يجاهد في سبيل الله بالحديد.

(١) سورة النساء: الآيات ٦٠ ـ ٦٥.
(٢) سقطت (تعالى) من ك، ط.
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

والنصارى يزعمون أن الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال أحد بالحديد.

الوجه الرابع: أنه قال بعد ذلك:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً...﴾[1].

وإخباره بإرسال نوح وإبراهيم بعد قوله: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات من باب ذكر الخاص بعد العام، وبيان ما اختص به الخاص من الأحكام التي امتاز بها عن غيره، مما دخل في العام كما يأمر السلطان العسكر بالجهاد، ويأمر فلاناً وفلاناً بأن يفعلوا كذا وكذا، ومثل أن يقال[2] أرسل رسله إلى فلان، وأرسل إليهم فلاناً، وأمره بكذا وكذا، قال ــ تعالى ــ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾[3].

فنوح هو أبو الآدميين الذين حدثوا بعد الطوفان، فإن الله أغرق ولد آدم إلاَّ أهل السفينة، وقال في نوح: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[4][5].

---

(١) سورة الحديد: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سقطت (يقال) من ط.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٤) سورة الصافات: الآية ٧٧.

(٥) قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ: «كل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم سامٍ وحامٍ ويافث». =

وإبـراهيم جعل الأنبيـاء بعده من ذريتـه، كما قـال ـ تعالى ـ في إبراهيم:

﴿ووَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

ثم قال بعد أن ذكـر إرسال نـوح وإبراهيم وأنـه جعل في ذريتهمـا النبوة والكتاب:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ...﴾[2].

فـأخبر أنـه قفى على آثارهم بـرسله وقفى بعيسى بن مريم، وآتـاه الإنجيـل، وهؤلاء رسل قبـل المسيح، وآخـرهم المسيح ولم يـذكـر أنـه أرسـل أحداً من أتبـاع المسيح، بـل أخبر[3] أنـه جعل في قلوب الـذين اتبعـوه رأفة ورحمـة، فكيف يجوز أن يقـال: أن مراده بـالـرسـل الـذين أرسلهم بالبينات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان، هم الحواريون، دون الرسل الذين ذكرهم وأرسلهم قبل المسيح.

= وقد نقل إجماع أهل الأديان، الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمـان، عـلى وقوع الـطوفان، وأنـه عمَّ جميع البـلاد، ولم يبقِ الله أحداً من كفـرة العباد، استجـابة لـدعوة نبيـه المؤيد المعصـوم، وتنفيـذاً لمـا سبق في القـدر المحتوم». وقد ذكر قبل هذا أنه لم ينكـره إلاَّ طائفـة من جهلة الفرس وأهـل الهند، وبيَّن أن هذا سفسطة منهم وجهل فضيع، ومكابرة للمحسوسات.

انظر البداية والنهاية ١/١١٨.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) سقطت (أخبر) من ط.

الوجه الخامس: أنه ليس في القرآن آية تنطق بأن الحواريين رسل[1] الله، بل[2] ولا صرح في القرآن بأنه أرسلهم، لكن قال في سورة يس:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ
ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ
لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ
أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ
ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ
ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾
يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[3].

فهذا كلام الله ليس فيه ذكر أن هؤلاء المرسلين كانوا من الحواريين، ولا أن الذين أرسلوا[4] إليهم آمنوا بهم، وفيه أن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم هؤلاء الثلاثة أنزل الله عليهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون.

---

(١) في ط (هم رسل الله).
(٢) سقطت (بل) من س.
(٣) سورة يس: الآيات ١٣ ــ ٣٠.
(٤) في ك، ط (أرسل).

وقد ذكر طائفة من المفسرين، أن هؤلاء كانوا من الحواريين، وأن القرية أنطاكية وأن هذا الرجل اسمه حبيب النجار[1]، ثم إن بعضهم يقول: إن المسيح أرسلهم في حياته، لكن المعروف عند النصارى، أن أهل إنطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم لم يهلك الله أهل إنطاكية.

والقرآن يدل على أن الله أهلك قوم هذا الرجل الذي آمن بالرسل.

وأيضاً فالنصارى يقولون: إنما جاءوا إلى أهل إنطاكية بعد رفع المسيح، وأن الذين جاءوا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث. قيل: أحدهما: شمعون الصفا. والآخر بولص[2]. ويقولون: إن أهل إنطاكية آمنوا بهم، ولا يذكرون حبيب النجار، ولا مجيء رجل من أقصى المدينة، بل يقولون: إن شمعون وبولص، دعوا الله حتى أحيا ابن الملك، فالأمر المنقول عند النصارى، أن هؤلاء[3] المذكورين[4] في القرآن، ليسوا من الحواريين، وهذا أصح[5] القولين عند علماء

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) جاء في تفسير ابن الجوزي ٧/١٠ ـ ١١ [سورة يس: آية/١٤]: «وفي اسميهما ثلاثة أقوال: أحدها ـ صادق، وصدوق، قاله ابن عباس، وكعب.
والثاني: يوحنا وبولس، قاله وهب بن منبه.
والثالث: تومان وبولس، قاله مقاتل.
قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ، قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى ـ عليه السلام ـ، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٣٧/ كتاب الأنبياء، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية.

(٣) في هامش ك، ط (هؤلاء الرسل).

(٤) في أ، س، ك (المذكورون) وهو خطأ صوابه ما أثبته من ط.

(٥) في ط (أصل) وهو تصحيف.

المسلمين، وأئمة المفسرين و[1]ذكروا أن[2] المذكورين في القرآن في سورة يس، ليسوا من الحواريين، بل كانوا قبل المسيح، وسموهم بأسماء غير[3] الحواريين، كما ذكر محمد بن إسحاق، قال: سلمة بن الفضل[4]: كان من حديث صاحب يس فيما حدثني محمد بن إسحاق، عن ابن عباس، وعن كعب[5]، وعن وهب[6] بن منبه، أنه كان رجلاً[7] من أهل إنطاكية، وكان اسمه حبيباً، وكان يعمل الحرير[8]، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة،

---

(١) سقطت (الواو) من ك، ط.

(٢) في ك (أن الرسل المذكورين).

(٣) في ك، ط (غير أسماء).

(٤) سقطت (ابن الفضل) من ك، وسبقت ترجمته.

(٥) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري، كان يهودياً يمنياً، ثم أسلم، وقدم المدينة أيام عمر، ثم خرج إلى الشام فاختاره معاوية وجعله من مستشاريه، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام، وهو من رواة الحديث، مات في حمص سنة ٣٢هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ١/٥٢ (٣٣)؛ وحلية الأولياء ٥/٣٦٤ (٣٢٥)؛ والإصابة لابن حجر ٣/٢٩٧ (٧٤٩٨)؛ والأعلام ٥/٢٢٨.

(٦) سقطت (وعن وهب) من ط، وجاءت الجملة فيها هكذا (وعن كعب بن منبه) وهو خطأ.
ووهب بن منبه: هو أبو عبد الله وهب اليماني الصنعاني، ولد سنة ٣٤هـ في اليمن، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة، وروى عنه ابناه عبد الله وعبد الرحمن، وأخرج له البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، مات سنة ١١٤هـ.
انظر: معجم المؤلفين ١٣/١٧٤؛ ووفيات الأعيان ٢/٢٣٨؛ والأعلام ٩/١٥٠.

(٧) في ط (رجل).

(٨) في ط (بالحرث).

يتاجر[1]، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين، فيطعم نصفه عياله، ويتصدق بنصفه وكان بالمدينة التي هو بها، مدينة إنطاكية، فرعون من الفراعنة، يقال له: إنطخس بن أنطنخس، يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله إليه المرسلين وهم ثلاثة: صادق، وصدوق، وشلوم[2]، فقدم الله إليه وإلى أهل المدينة منهم اثنين فكذبوهما، ثم عزز الله بالثالث[3].

وروى الربيع بن أنس، عن أبـي العالية في قوله ـ تعالى ـ[4]:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ . . .﴾[5].

لكي تكون الحجة عليهم أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده، وعبادته لا شريك له، فكذبوهم، فأتوا على رجل في ناحية القرية في زرع له فسألهم الرجل: ما أنتم؟ قالوا[6]: نحن رسل رب العالمين،

---

(١) في ط (يتآخر).

(٢) في س، ك، ط (سلوم) بالسين المهملة.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه. وذكره. في التفسير ٢٢/١٠١ (مجلد ٨).
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٣٦، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية. . . الآية: «القرية المراد بها إنطاكية فيما ذكر ابن إسحاق، ووهب ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة، لأن الله أخبر أنه أهلك أهلها، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن، ولم يذكر المصنف ـ يعني البخاري في ذلك حديثاً مرفوعاً». اهـ.

(٤) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٥) سورة يس: الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٦) في أ (قال) وصححناه من سائر النسخ.

أرسلنا إلى أهل هذه القرية ندعـوهم إلى عبادة الله وحـده لا شريـك له. قـال لهم: أتسألـون على ذلك أجـراً؟ قالـوا: لا. قال[1]: فـألقى ما في يده، ثم أتى أهل المدينة فقال:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[2][*].

وهذا القول هو الصواب، وأن هؤلاء المرسلين كانوا رسلاً لله قبـل المسيح، وأنهم[3] كانوا قد أرسلوا إلى إنطاكية وآمن بهم حبيب النجار، فهم كانوا قبل المسيح، ولم تؤمن أهل المدينة[4] بالـرسل. بـل أهلكهم الله ـ تعالى ـ كما أخبر في القرآن ثم بعـد هذا عمـرت إنطاكيـة. وكان أهلها مشركين حتى جـاءهم من جاءهم من الحـواريين فآمنـوا بالمسيـح على أيديهم. ودخلوا في دين المسيح.

ويقـال: إن إنطاكيـة أول المـدائن الكبـار الـذين آمنـوا بـالمسيـح ـ عليه السلام ـ، وذلك بعد رفعـه إلى السماء. ولكن ظن من ظن من المفسـرين أن المـذكـورين في القـرآن هم رسـل المسيـح[5]. وهم من

(١) سقطت (قال) من س.

(٢) سورة يس: الآيتان ٢٠، ٢١.

(*) وقد جاء في الدر المنثور للسيـوطي ٥/٢٦١ ما نصـه: «أخرج ابن أبـي حـاتم، عن أبـي العالية ـ رضي الله عنـه ـ في قولـه: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكـذبوهمـا فعززنـا بثالث» قال: لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده لا شريك له فكذبوهم».

(٣) في س، ك، ط (وإن).

(٤) في س، ك، ط (القرية).

(٥) عـزاه ابن الجوزي في تفسيـره زاد المسيـر ٧/١١، ١٤، (ط. المكتب الإسـلامي) «إلى قتادة، وابن جريج». اهـ. وهذا قول ضعيف كما سيأتي زيادة بيان له.

الحواريين وهذا[1] غلط لوجوه:

منها: أن الله قد ذكر في كتابه أنه أهلك الذين جاءتهم الرسل، وأهل إنطاكية لما جاءهم من دعاهم إلى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا.

ومنها: أن الرسل في القرآن ثلاثة، وجاءهم رجل من أقصى[2] المدينة يسعى، والذين جاءوا من أتباع المسيح كانوا اثنين، ولم يأتهم رجل يسعى، لا حبيب ولا غيره.

ومنها: أن هؤلاء جاءوا بعد المسيح فلم يكن الله أرسلهم، وهذا كما أن الله ذكر في القرآن أنه أهلك أهل[3] مدين بالظلة لما جاءهم شعيب. وذكر في القرآن أن موسى أتاها وتزوج ببنت واحد منها فظن بعض الناس أنه شعيب النبي، وهذا غلط عند علماء المسلمين مثل ابن عباس، والحسن البصري، وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا أن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً النبي، وحكى أنه شعيب عمن لا يعرف من العلماء[4] ولم يثبت[5] عن أحد من الصحابة والتابعين، كما[6] بسطناه في[7] موضعه[8].

---

(١) في س، ك، ط (فهذا).

(٢) في س، ك، ط (أهل).

(٣) سقطت (أهل) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقطت (من العلماء) من س، ك، ط وسقطت (ولم) من س.

(٥) في س، ك، ط (ثبت ذلك).

(٦) في س، ك، ط (كما قد).

(٧) في ط (في موضع آخر).

(٨) ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال، فقيل: إنه شعيب النبي، وقيل: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ــ عليه السلام ــ بمدة طويلة لأنه قال: «وما قوم لوط منكم =

وأهل الكتاب يقرون بأن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً بل رجل من أهل مدين، ومنهم من يقول: إنها غير مدين التي أهلك الله أهلها، والله أعلم.

وكذلك ذكر المفسرون في المرسلين هل أرسلهم الله، أو أرسلهم المسيح؟ قولين:

أحدهما: أن الله هو الذي أرسلهم[1].

قال أبو الفرج ابن الجوزي. وهذا ظاهر القرآن، وهو مروي[2] عن ابن عباس وكعب، ووهب بن منبه. قال: وقال المفسرون في قوله[3]:

= ببعيد»، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ــ عليه السلام ــ بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد، وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال كما ذكر الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ، قال: ومن المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ها هنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده. . . وقد ذكر ابن جرير ــ رحمه الله ــ الصواب في هذا أنه لا يدرك إلاَّ بخبر تجب به الحجة في ذلك.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٠/٤٠ (مجلد ٨)؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٨٤؛ وفتح القدير للشوكاني ٤/١٦٨.

ومدين اسم قبيلة، وقيل: اسم بلد، قال الشوكاني: والأول أولى، وسميت المدينة باسم أبيهم: وهو مدين بن إبراهيم كما يقال بكر وتميم. انظر فتح القدير ٢/٢٢٣.

(١) ذكر الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره ٣/ ٥٦٩ أن هؤلاء رسل الله وليسوا رسل المسيح، وأجاب عن القول بأنهم رسل المسيح من عدة وجوه.
وانظر أيضاً البداية والنهاية ١/٢٢٩.

(٢) في س، ك (يروي).

(٣) في ط (قوله تعالى).

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ . . .﴾[1].

أخذ جبريل بعضادتي[2] باب المدينة و[3]صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم ميِّتون لا يُسمع لهم حس كالنار إذا أطفئت وذلك قوله:

﴿. . . فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾[4].

أي: ساكنون كهيئة الرماد الخامد[5].

ومعلوم عند الناس أن أهل إنطاكية لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح بل آمنوا قبل أن يبدل دينه، وكانوا مسلمين مؤمنين به على دينه إلى أن تبدل دينه بعد ذلك، ومما يبيِّن ذلك أن المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب من السماء[6] يعمهم، كما أهلك قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار، كما أمر بني إسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة، وهذه القرية أهلك الله أهلها بعذاب من السماء، فدل ذلك على أن هؤلاء الرسل[7] المذكورين في يس كانوا قبل موسى ــ عليه السلام ــ، وأيضاً فإن الله لم يذكر في القرآن رسولاً

---

(١) سورة يس: الآية ٢٩.

(٢) في س (بعضاً دين).

(٣) في س، ك، ط (ثم).

(٤) سورة يس: الآية ٢٩.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١/٧، ١٤، (ط. المكتب الإسلامي)، وقد جاء القول الثاني فيه منسوباً إلى قتادة وابن جريج وهو أن عيسى أرسلهم وسبق التحقيق في ذلك، وأن هذا القول ضعيف والأصح أنهم رسل الله.

(٦) في س، ك، ط (سماوي).

(٧) سقطت (الرسل) من أ وزدناها من سائر النسخ.

أرسله غيره، وإنما ذكر الرسل الذين أرسلهم هو[1]، وأيضاً فإنه قال:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ . . .﴾[2].

فأخبر أنه أرسلهم، كما أخبر أنه أرسل نوحاً وموسى وغيرهما[3]، وفي الآية: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ . . .﴾[4].

---

(١) روى ابن جرير في تفسير قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾** [الآية ٤٣ من سورة القصص] ٢٠/٥٠ (مجلد ٨)، روى من حديث عوف الأعرابي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء أو من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة، ألم ترَ أن الله تعالى ــ يقول: **﴿ولقد أتينا موسى. . .﴾** الآية.
وقد عزاه ابن كثير ــ رحمه الله ــ في البداية والنهاية ١/٢٢٧؛ والتفسير ٣/٣٩٠ من هذا الطريق إلى ابن أبي حاتم، والبزار، وابن جرير ثم قال: ورفعه البزار في رواية له، والأشبه ــ والله أعلم ــ وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى ــ عليه السلام ــ فمنهم أصحاب الرس، قال ــ تعالى ــ في سورة الفرقان: **﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكلًا ضربنا له الأمثال﴾** الآية. وقال ــ تعالى ــ في سورة ق: **﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾** إلى قوله تعالى: **﴿فحق وعيد﴾**، وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك.
وقال الشوكاني في فتح القدير ٤/١٧٤: «أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخت قردة» ألم ترَ قوله وذكر الآية السابقة ٤٣ من سورة القصص».
قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠٨ تفسير آية القصص ٤٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي. والله أعلم.

(٢) سورة يس: الآية ١٤.

(٣) في ط (وغيرها).

(٤) سورة يس: الآية ١٥.

ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال: إن الله أرسله وأنزل عليه الوحي لا لمن[1] جاء رسولاً من عند رسول، وقد قال بعد هذا:

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2].

وهذا إنما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله. وأيضاً: فإن الله ضرب هذا مثلاً لمن أرسل إليه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يحذرهم أن ينتقم الله منهم، كما انتقم من هؤلاء، ومحمد إنما يضرب له المثل برسول نظيره لا بمن أصحابه أفضل منهم، فإن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً أفضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين، ولم يبعث الله بعد المسيح رسولاً بل جعل ذلك الزمان زمان فترة كقوله:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾[3].

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا . . . ﴾[4].

ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن أرسلهم، ولم يكن في قولهم: إن أنتم إلاَّ بشر مثلنا شبهة، فإن أحداً لا ينكر أن يكون رسل[5] رسل الله بشراً، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشراً، وأيضاً فلو كان

(١) في س، ك، ط (من).
(٢) سورة يس: الآية ٣٠.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٩.
(٤) سورة يس: الآيتان ١٤، ١٥.
(٥) سقطت (رسل) من ط .

التكذيب لهما وهما رسل الرسول لأمكنهما أن يقولا: فأرسلوا إلى من أرسلنا، أو إلى أصحابه فإنهم يعلمون صدقنا في البلاغ عنه، بخلاف ما إذا كانا رسل الله وأيضاً فقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾.

صريح في أن الله هو المرسل ومن أرسلهم غيره إنما أرسلهم ذلك لم يرسلهم الله كما لا يقال لمن أرسله محمد بن عبد الله أنهم رسل الله فلا يقال لدحية بن خليفة[1] الكلبي أن الله أرسله، ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن حذافة وأمثالهما[2] ممن أرسلهم الرسول وذلك أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرسل رسله إلى ملوك الأرض، كما أرسل دحية بن خليفة إلى قيصر وأرسل عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، كما تقدم ذكر ذلك.

ومعلوم أنه لا يقال في هؤلاء إن الله أرسلهم، ولا يسمون عند المسلمين رسل الله، ولا يجوز باتفاق المسلمين أن يقال هؤلاء داخلون في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[3].

فإذا كانت رسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يتناولهم اسم رسل الله في الكتاب الذي جاء به. فكيف يجوز أن يقال: إن هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره، والمقصود هنا بيان معاني القرآن وما أراده الله ـ تبارك وتعالى ـ بقوله:

﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ . . .﴾[4].

---

(١) سقطت (ابن خليفة) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ط (وأمثالهم).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥. (٤) سورة يس: الآيتان ١٣، ١٤.

هــل مـراد الله ورســولـه محمــد ـ صلَّى الله عليــه وسلَّم ـ من أرسلهم الله، أو من أرسلهم رسوله، وقد علم يقيناً أن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يدخـل في مثل هـذا فمن قال: إن محمـداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1]، أراد بذلك من أرسله رسول[2] فقد كذب على محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عمداً أو خطأ.



(١) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٢) في ط (رسولاً).

فصل

وقد تبيَّن بما ذكرناه فساد قولهم في تفسير آية البقرة، فإنهم قالوا:

وقال في سورة البقرة:

﴿... فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ...﴾[1].

قالوا: فأعني بقوله أنبياءه المبشرين ورسله ينحو بذلك عن الحواريين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم وبشروا بالكتاب الذي هو الإنجيل الطاهر، لأنه لو كان أعني عن إبراهيم وموسى وداود ومحمد لكان قال: ومعهم الكتب لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل إلَّا الكتاب الواحد، لأنه ما أتي جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر[2].

فيقال لهم: قد تقدم بعض ما يدل على فساد هذا التفسير.

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾.

أي: فاختلفوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

والحواريون ليسوا من النبيين، وإن كان المسيح أرسلهم ولا يلزم من إرساله لهم أن يكونوا أنبياء كمن أرسلهم موسى ومحمد وغيرهما ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلاً ولا يسمونهم أنبياء.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) هكذا نص رسالتهم وفيه أخطاء وضعف في الأسلوب واضح.

وأيضاً فإنه قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والحواريون لم ينزل معهم الكتاب إنما أنزل الكتاب مع المسيح، ولكن الأنبياء أنزل معهم جنس الكتاب؛ فإن الكتاب اسم جنس فيدخل فيه الكتب المنزلة كلها كما في قوله:

﴿... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ...﴾[1].

وفي قوله: ﴿... كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

* وفي القراءة الأخرى (وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ) *[3]، وكذلك قوله عن مريم: ﴿... وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ...﴾[4].

وفي القراءة الأخرى: (وَكِتَابِهِ)[5]، وأيضاً قال ـ تعالى ـ:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر (في آية البقرة) وكتبه بالجمع، وقرأوا في التحريم وكتابه. وقرأ ابن عباس هنا (يقصد آية البقرة) وكتابه، وكذلك قرأ حمزة والكسائي، وروي عنه أنه قال: الكتاب أكثر من الكتب، وبيَّن الزمخشري في الكشاف أنه إذا أريد بالواحد الجنس لم يخرج منه شيء».
انظر: فتح القدير ١/٣٠٧؛ والتبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٥٣٣؛ والغاية في القراءات العشر ص ١٢٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٨٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

وقال ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ...﴾[1].

وهذا يدل أنه لما اختلفت بنو آدم بعث الله النبيين، واختلافهم كان[2] قبل المسيح بل قبل موسى، بل قبل الخليل، بل قبل نوح، كما قال ابن عباس[3]: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم حدث فيهم الشرك والاختلاف على وجهين: تارة يختلفون فيؤمن بعضهم، ويكفر بعضهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ...﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ...﴾[5].

يعني: أهل الإيمان والكفر، وقد يكون المختلفون كلهم على باطل كقوله:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٩.

(٢) في س، ك، ط (وكان اختلافهم).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح ـ عليه السلام ـ ٥٤٦/٢، ٥٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وجاء في مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٦/١، عن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيٌ كان آدم؟ قال: «نعم» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون» قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «عشرة قرون» قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر». قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. وانظر: تفسير ابن كثير ٢٢٣/٢؛ وفتح القدير للشوكاني ٢١٧/٢، وقد عزاه فيه إلى ابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٥) سورة الحج: الآية ١٩.

﴿ . . . وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[1].

وقولـه:

﴿ . . . وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ . . . ﴾[2].

وأيضاً: فالإنجيـل ليس فيه حكم بين النـاس فيما اختلفـوا فيه بـل عامته مـواعظ ووصايـا وأخبار المسيـح[3]. بخلاف التـوراة والقرآن فـإن فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الإنجيل.

وأيضاً فإنه قال:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ . . . ﴾[4].

وذلك يقتضي أن الله هدى الـذين آمنوا بعـد اختلاف الـذين أوتوا الكتاب بغياً بينهم لما اختلفوا فيه من الحق، وهذا ذم لمن أوتـوا الكتاب فاختلفوا.

والنصـارى داخلون في هذا الـذم. ولـو كـان المـراد الإنجيـل[5] لكانوا[6] هم المذمومين دون غيرهم، وليس كذلـك، بل اليهـود وغيرهـم من المختلفين مذمومون أيضاً، وإنمـا الممدوح هم المؤمنـون الـذين[7] هداهم الله لما اختلف أولئك فيه من الحق بإذنه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٦.

(٢) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٣) سبق بيان التوراة والإنجيل في أول الكتاب.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٥) في ط (بالإنجيل).

(٦) في س، ك، ط (كانوا).

(٧) في أ والذين.

وهذا يتناول أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قطعاً، وقد يتناول كل من آمن من الأمم المتقدمة، كالذين كانوا على دين موسى، والمسيح، وإبراهيم الخليل، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وأما أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأمم قبلهم من الحق بإذنه، وهذا بيِّن فإنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذي اختلفت[2] فيه اليهود والنصارى في التوحيد والأنبياء والأخبار، والتشريع، والنسخ، والحلال والحرام، والتصديق، والتكذيب[3]، وغير ذلك.

أما التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب ــ سبحانه ــ بصفات النقص الذي يختص بها المخلوق، فقالوا: إن الله[4] فقير وبخيل، وإنه يتعب وغير ذلك.

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال الذي[5] يختص بها الخالق، فقالوا عن المسيح: إنه خالق السموات والأرض القديم الأزلي علّام الغيوب القادر على كل شيء، و :

(١) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٢) في أ (اختلف).

(٣) في أ (وغير ذلك من التصديق والتكذيب)، وما أثبتناه من سائر النسخ أصح.

(٤) في س، ك، ط (إنه فقير).

(٥) في س، ك، ط (التي).

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية.

والمسلمون هداهم الله لما اختلفوا[2] فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال، ونزَّهوه عن النقائص وأقروا بأنه أحد ليس كمثله شيء وليس له كفواً أحد في شيء من صفات الكمال فنزهوه عن النقائص خلافاً لليهود[3]، وعن مماثلة المخلوق له خلافاً للنصارى.

وأما الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإن اليهود قتلوا بعضاً وكذبوا بعضاً كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[4].

والنصارى أشركوا بهم وبمن هو دونهم[5] فعبدوا المسيح بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وجعلوا الحواريين رسلاً لله وزعموا أن الإنسان يصير بطاعته[6] بمنزلة الأنبياء، وصوروا تماثيل الأنبياء والصالحين، وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم، وإذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيلهم.

وفي الصحيحين أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذكر له كنيسة

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١، وليس في س، ك، ط لفظ (الآية).
(٢) في س، ك، ط (اختلف).
(٣) في أ (خلاف اليهود)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأولى.
(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.
(٥) في س (دنهم).
(٦) في س، ك، ط (إن الإنسان بطاعته يصير).

بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[1].

وأما المسلمون فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فآمنوا بأنبياء الله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا في حقهم تقصير اليهود، وكذلك قتل اليهود الذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى يطيعون من يأمر بالشرك. وإن الشرك لظلم عظيم، ويطيعون من يحرم الحلال ويحلل الحرام. والمسلمون يطيعون من يأمر بطاعة الله، ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله. والنصارى فيهم الشرك بالله. واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال - تعالى - في النصارى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

وقال في اليهود:

﴿ ... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[3].

والإسلام هو أن يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما أمره به. فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، والله لا يغفر أن يشرك به. ومن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٧.

لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه:

﴿... ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[1].

فلهذا كان جميع الأنبياء وأممهم مسلمين لله يعبدونه وحده بما أمرهم به وإن تنوعت شرائعهم. فالمسيح لم يزل مسلماً لما كان متبعاً لشرع التوراة ولما نسخ الله له نسخة منها.

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يزل مسلماً لما كان يصلي إلى بيت المقدس ثم لما صلى إلى الكعبة ولما بعثه الله إلى الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته، فمن لم يطعه لم يكن عابداً لله فلم يكن مسلماً.

وأما التشريع فإن اليهود زعموا أن ما أمر الله[2] به يمتنع منه أن ينسخه.

والنصارى زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه فهدى الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق، فقالوا: إن الله ــ سبحانه ــ له أن ينسخ ما شرعه خلافاً لليهود، وليس للمخلوق[3] أن يغير شيئاً من شرع الخالق خلافاً للنصارى.

وأما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وشددت[4] عليهم من[5] أمر النجاسات، حتى منعوا[6] من

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) في س، ك، ط (أمره).

(٣) في س (المخلوق) وفي ك، ط (لمخلوق).

(٤) في س، ك، ط (وشدد).

(٥) في س، ك، ط (في).

(٦) في س، ك، ط (فمنعوا).

مؤاكلة الحائض، والجلوس معها في بيت ومن إزالة النجاسة، وحرم عليهم شحم الثرب[1] والكليتين، وكل ذي ظفر وغير ذلك.

والمسيح ــ عليه السلام ــ أحل لهم بعض الذي حرم عليهم فقابلهم النصارى، فقالوا: ليس شيء محرم، لا الخنزير ولا غيره. بل ولا شيء نجس، لا البول، ولا غيره وزعموا أن بعض أكابرهم رأى ملاءة[2] صور له فيها صور الحيوان وقيل له: كل ما طابت نفسك ودع ما تكره * وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك *[3]. فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم. والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم[4]. فهدى الله[5] الذين آمنوا لما اختلف[6] فيه من الحق فأحل لهم[7] الله الطيبات وحرم عليهم الخبائث وأزال عنهم الآصار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل خلافاً لليهود وأمرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافاً للنصارى. والمسيح ــ عليه السلام ــ جعلته اليهود ولد زناً كذاباً ساحراً، وجعلته النصارى هو الله خالق السموات والأرض، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا[8] فيه من الحق بإذنه

---

(١) في ط (الترب) بالمثناة الفوقية، وجاءت في س غير منقوطة والثرب وزان فلس: شحم رقيق على الكرش والإمعاء كما قال في المصباح المنير ١/١١١، ١١٢.

(٢) قال في المصباح المنير ٢/٧٩٨: المُلاءة: بالضم والمد، والرَّيطة ذات لفقين، والجمع ملاء بحذف الهاء. قلت: والرَّيطة الثوب اللَّيِّن الرقيق كما ذكر أيضاً ١/٣٣٨.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من س وهامش ك، ط.

(٤) سقطت (أنفسهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٥) سقط لفظ الجلالة من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٦) في ط (اختلفوا).

(٧) في س، ك، ط (فأحل الله لهم).

(٨) في س، ك، ط (اختلف).

فشهدوا أنه عبد الله مخلوق خلافاً للنصارى وأنـه رسول وجيـه في الدنيـا والآخرة ومن المقربين خلافاً لليهود، وأما التصديق والتكذيب فـإن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق، والنصارى من شأنهم التصديق بالباطـل فإن اليهـود كـذبـوا من كـذبـوه من الأنبيـاء وقــد جـاءوا بــالحق كمـا قــال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[1].

والنصـارى يصدقـون بمحـالات العقـول والشـرائـع كمـا صـدقـوا بالتثليث والاتحاد ونحوهما من الممتنعات.



(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

فصل

ثم[1] قالوا عن القرآن أنه يشهد[2] لهم أنهم أنصار الله حيث يقول كما قال عيسى بن مريم[3]: من أنصاري إلى الله قال الحواريون:

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[4].

فيقال: هذا حق والحواريون مؤمنون مسلمون وهم أنصار الله، لكن ليس في هذا أنهم رسل الله، ولا في هذا أن كل ما أنتم عليه من الدين مأخوذ عنهم، ولا في هذا أن الواحد من الحواريين معصوم من الغلط، بل أمر[5] الله المؤمنين من أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ).

وقد وصف الله المؤمنين أصحاب[6] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أهل المدينة النبوية بأنهم أنصار الله[7] بقوله ـ تعالى ـ:

---

(1) سقطت (ثم) من س، ك، ط.

(2) في س، ط (شهد).

(3) في ك، ط زيادة (للحواريين).

(4) سورة الصف: الآية ١٤.

(5) في ك، ط (يأمر).

(6) في س (من أصحاب).

(7) سقط لفظ الجلالة من س، ك، ط.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ. . .﴾[1].

والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهم أيضاً من أنصار الله نصروه كما نصره الأنصار، لكن لما كان لهم اسم[2] يخصهم، وهو[3] المهاجرون، وهو أفضل الاسمين، خص الأنصار بهذا الاسم. والمهاجرون والأنصار أفضل ممن آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند المسلمين.

ومع هذا فليس فيهم عندهم نبي ولا رسول لله، ولكن فيهم رسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً.

• • •

---

(1) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(2) سقط (اسم) من ط.

(3) في ط (وهم).

فصل

الرّدّ عليهم في زعمهم أنّ الإسلام عظّم إنجيلهم الذي بين أيديهم

قالوا وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي بأيدينا[1] فيقول:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾[2].

وقال في سورة آل عمران:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ . . . ﴾[3].

وقال في سورة البقرة:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

فأعني[5] بالكتاب[6] الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب نحن

(١) في س، ك، ط (في أيدينا).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١ ــ ٤.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١ ــ ٥.

(٥) في ط (فعني).

(٦) في س (الكتاب).

النصارى الذين آمنا بالمسيح[1] وما رأيناه، ثم اتبع بالقول والذين يؤمنون بما أنزل إليـك وما أنـزل من قبلك فأعني[2] بهم المسلمين الـذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله، وقال في سورة المائدة:

﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3].

وقال في سورة آل عمران:

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾[4].

فأعني[5] أيضاً بالكتاب المنير الذي هو الإنجيل المقدس.

وقال أيضاً:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[6].

فثبت بهـذا ما معنـا ونفي عن إنجيلنا وكتبنـا التي في أيدينـا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه إياها[7].

---

(١) في س، ك، ط (بالسيد المسيح).

(٢) في ط (فعني).

(٣) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٥) في ط (فعني).

(٦) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٧) النص من أول الفصل إلى هذا الموضع يـوجد في المخـطوطة التي بـأيدينـا (رسالـة بولص الأنطاكي) في الورقة الخامسة صفحة أ، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

والجواب: بعد أن تعرف أن لفظ الآية الأولى من سورة المائدة:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴾(1).

أن يقال: أما تصديق خاتم الرسل محمد رسول الله(2) ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما أنزل الله قبله من الكتب ولمن جاء قبله من الأنبياء، فهذا معلوم بالاضطرار من دينه متواتراً تواتراً ظاهراً كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم وهذا من أصول الإيمان.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(3).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(4).

---

(1) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(2) سقط (رسول الله) من س، ك، ط.

(3) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(4) سورة آل عمران: الآيتان ٨٤، ٨٥.

وقال:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2].

وتصديقه للتوراة والإنجيل مذكور في مواضع من القرآن، وقد قال[3]:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ... ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) في ط (قال تعالى).

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ . . . ﴾[1].

وقال[2]: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ. . . ﴾[3].

فبيَّن أنه أنزل هذا القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم، يشهد[4] بما فيها من الحق وينفي[5] ما حرف فيها ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منها وهو مؤتمن في ذلك عليها، وأخبر أنه أحسن الحديث وأحسن القصص وهذا يتضمن أنه كل من كان متمسكاً بالتوراة قبل النسخ من غير تبديل شيء من أحكامها فإنه من أهل الإيمان والهدى، وكذلك من كان متمسكاً بالإنجيل من غير تبديل شيء من أحكامه قبل النسخ، فهو من أهل الإيمان والهدى، وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل، فضلاً عمن تمسك بشرع منسوخ، ولم يؤمن بما أرسل الله إليه[6] من الرسل وما أنزل إليه من الكتب بل قد بين[7] كفر اليهود والنصارى بتبديل الكتاب الأول وبترك الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غير موضع.

وأما تأويلهم قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَاب﴾، إنه الإنجيل. و ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣ وفي ط ﴿تقشعر منه جلود الذين آمنوا. . .) إلى آخر الآية.

(٢) في ط (وقال تعالى).

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

(٤) في ك، ط (فشهد).

(٥) في ط (ويبين).

(٦) في س، وهامش ك، (إليه سبحانه).

(٧) في س، ط (بين سبحانه).

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونْ﴾ ـ عَنَى بهم النصارى فهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وتبديل كلام الله كما فعلوه في قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيْناً﴾، وفي قوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ أي باللاهوت[1]، وفي قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وفي غير ذلك مما ذكروه وتأولوه من القرآن على غير المعنى الذي أراد الله به، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره، والمراد به: العام والخاص، ونقل ذلك عن الرسول نقلاً متواتراً حتى عرف معناه علماً يقيناً اضطرارياً فيبدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في أهل تلك الكتب من[2] يذب عن لفظها ومعناها كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه؟

وهؤلاء غرهم قوله: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾، فظنوا أن لفظ ﴿ذَلِكَ﴾ لما كان يشار بها إلى الغائب أشير بها إلى الإنجيل.

فيقال لهم هذا كقوله: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾.

وأشار بذلك إلى ما تلاه قبل هذه الآية، وقوله:

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ . . .﴾[3].

---

(١) في ط (بإذن اللاهوت).

(٢) في أ، س، ك (ممن) وما أثبتناه من ط أصح.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

وقوله:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . ﴾[1].

ومثله ــ قوله تعالى ــ بعد أن ذكر خبر يوسف الصديق:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ . . . ﴾[2].

وقال أيضاً لما ذكر خبر مريم:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾[3].

كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾[4].

وقال:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5].

و «تلك» في المؤنث مثل «ذلك» في المذكر، ومع هذا فأشار إلى

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٤) سورة هود: الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف: الآيات ١ ــ ٣.

القرآن ومنه قوله: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾[1].

وقوله: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾[2].

ومنه قوله: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾[3].

ومنه قوله:

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[4].

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا. . . ﴾[5].

وقوله:

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ. . . ﴾[6] الآية.

ومثل هذا كثير، وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ ﴿**وتلك آيات الكتاب**﴾ ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة، وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يشار إليه كما يشار إلى الحاضر، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ. . . ﴾[7].

---

(١) سورة الحجر: الآية ١.

(٢) سورة النمل: الآية ١.

(٣) سورة القصص: الآيتان ١، ٢.

(٤) سورة الشورى: الآيات ١ ــ ٣.

(٥) سورة الشورى: الآية ٧.

(٦) سورة الرعد: الآية ١.

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

ولهذا قال غير واحد من السلف[1] «ذلك الكتاب» أي هذا الكتاب، يقولون: المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب، وتارة إشارة حاضر، وقد قال:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ . . .﴾[2].

وقد وصف النصارى بأنهم لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، وأنهم كافرون ظالمون، فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب.

قال ـ تعالى ـ :

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[3].

وأول التقوى تقوى الشرك، وقد وصف النصارى بالشرك في قوله:

---

(1) في تفسير ابن جرير الطبري ١/٧٤ «قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتاب»، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل، وزيد بن أسلم وابن جريج. وقال الإمام الشوكاني: «والعرب قد تستعمل الإشارة إلى البعيد الغائب مكان الإشارة إلى القريب الحاضر، كما قال خفاف:

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافاً أنني أنا ذالكا

انظر: فتح القدير ١/٣٣.

وقال الحافظ ابن كثير: «ومن قال أن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع والتكلف ما لا علم له به».

انظر: تفسيره ١/٣٩، وقد ذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١/١٥٧، (المجلد الأول) عشرة أقوال في المراد بالإشارة والصحيح الذي عليه المعول أن المراد به القرآن الكريم كما ذكر علماء السلف والله أعلم.

(2) سورة البقرة: الآيتان ٢، ٣.

(3) سورة التوبة: الآية ٢٩.

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر المسيح:

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ ... ﴾(3).

وقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... ﴾(4).

ونهى عن موالاتهم فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ ... ﴾(5).

وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(6).

---

(1) سورة التوبة: الآية 31.
(2) سورة مريم: الآيتان 37، 38.
(3) سورة المائدة: الآية 72.
(4) سورة المائدة: الآية 73.
(5) سورة المائدة: الآية 51.
(6) سورة الجاثية: الآيتان 18، 19.

فلو كانوا من المتقين فضلاً عن أن يكونوا هم المتقين لكان الله وليهم، ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين، وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالماً، وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، ولهذا لما قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين.

قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»(١).

واتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلماً ولو كان ابنه وأباه لأن الله قطع الموالاة بينهما، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(٢).

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رايته يوم الفتح؟ ٥/٩٢ من حديث أسامة بن زيد وفيه (المؤمن) بدل (المسلم) ورواه في كتاب الفرائض ٨/١١، وأخرجه من قول عمر في الحج ٢/١٥٧، ورواه مسلم في الفرائض الحديث الأول من الكتاب ٣/١٢٣٣، وأبو داود في الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر ٣/٣٢٧ (٢٩٠٩)، والترمذي في الفرائض باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر ٤/٤٢٣ (٢١٠٧)، وابن ماجه في الفرائض، باب ميراث أهل الإسلام من الشرك ٢/٩١١ (٢٧٢٩)، والدارمي في الفرائض باب في ميراث أهل الشرك وأهل الإسلام ٢/ ٣٧٠.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

وهي الصلاة التي أمر بها في قوله:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1].

وقد قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور»[2]. والنصارى يصلون بغير طهور.

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»[3]. وهم لا يقرؤونها. والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر يرفعه بلفظ «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقه من غلول». في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ٢٠٤/١، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء لا تقبل صلاة بغير طهور ٥/١، ٦ وقال هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وابن ماجه في الطهارة باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور ١٠٠/١ (٢٧٢) وجاء الحديث من طريق أبي المليح عن أبيه (أسامة بن عمير الهذلي) يرفعه بنحوه في سنن أبي داود، في كتاب الطهارة ٤٩/١ (٥٩)، وفي سنن النسائي في الطهارة ٨٧/١، باب فرض الوضوء، وفي سنن ابن ماجه ١٠٠/١ (٢٧١)، وفي سنن الترمذي ٦/١ كتاب الطهارة، وروى البخاري من حديث أبي هريرة يرفعه: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» في كتاب الوضوء ٤٣/٦، ومسلم في الطهارة ٢٠٤/١. وقد تعقب الشيخ أحمد شاكر كلام الترمذي «بأن أصح شيء في الباب حديث ابن عمر» وقال: فيه نظر، ثم ذكر بأن أصح شي هو حديث أبي هريرة انظر: سنن الترمذي ٦/١ تعليق رقم (٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٢٩٥/١ (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت بلفظ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وأبو داود في الصلاة، باب القراءة في الفجر ٥١٤/١ (٨٢٢)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ٢٥/٢ (٢٤٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام ٢٧٣/١ (٨٣٧)، وأحمد في المسند ٣١٦/٥، ٣٢٢، والحميدي في مسنده ١٩١/١ (٣٨٦).

على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين في كل ركعة، وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم بإقامة[1] الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي أمر بإقامتها.

ثم لو قال اليهودي المراد بقوله: (ذلك الكتاب) التوراة، و(بالمتقين) اليهود، لكان هذا مع بطلانه أقرب من قول القائل: أن المراد بالكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل فإنها الأصل والله ـ تعالى ـ يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله:

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

وقد قالت الجن لما سمعت القرآن:

﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

وقال النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[5]. وكذلك ورقة بن نوفل قال: «هذا

---

(١) في ط (باقام).

(٢) سورة هود: الآية ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

(٥) سبق تخريجه في أول الكتاب.

هو الناموس الذي كان ينزل[1] على موسى بن عمران[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾[3].

أي: التوراة والقرآن. وقالوا: ساحران تظاهرا، أي موسى ومحمد. وقالوا: إنا بكل كافرون.

قال الله[4]:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[5].

فقد بين أنه لم يأت من عند الله كتاب أهدى من التوراة والقرآن.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ[6] نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[7].

---

(١) في س (نزل) وسقطت الكلمة من ك.

(٢) سبق تخريجه في أول الكتاب.

(٣) سورة القصص: الآية ٤٨.

(٤) في س، ط (قال الله تعالى) وسقطت الجملة كلها من ك.

(٥) سورة القصص: الآية ٤٩.

(٦) في هامش س وهامش ك، ط بعد كلمة (موسى) جملة (أي الله هو الذي) وهي تفسيرية.

(٧) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[1] .

فهي صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب مجملاً، ثم وصفهم بإيمان مفصل[2] بما أنزل إليك، وما أنزل من قبله. والعطف بالواو يكون لتغاير الذوات ويكون لتغاير الصفات كقوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[3] .

والذي خلق فسوى هو[4] الذي قدر فهدى وهو الذي أخرج المرعى، وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[5] .

ومثله[6] قوله :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤ .
(٢) في ط (مفعل) وهو تحريف.
(٣) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٥ .
(٤) سقطت (هو) من س ومكانها (و).
(٥) سورة الزخرف: الآيات ٩ ـ ١٢ .
(٦) في س (ومثل).

فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1].

فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو، وكذلك في قوله:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ
مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم
مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[2].

وقد فسر قبل[3] ـ قوله يؤمنون بالغيب، صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك صفة من آمن به[4] من أهل الكتاب.

وعلى هذا القول: هؤلاء غير هؤلاء، لكن هذا ضعيف فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل إليه، وما أنزل من قبله، ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب. فكل من الإيمانين

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ١١.
(٢) سورة المعارج: الآيات ١٩ ـ ٣٥.
(٣) في س، (وقد قيل أن قوله) وسقطت (قبل) من أ.
(٤) سقطت (به) من س.

واجب على كل واحد، ولا يكون أحد على هدى من ربه مفلحاً إلا بهذا وهذا.

وأما قول النصارى: نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه. فهكذا اليهود آمنوا بموسى ــ عليه السلام ــ وما رأوه. والمسلمون آمنوا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وما رأوه، بل المسلمون آمنوا بموسى، وعيسى وسائر النبيين، وما رأوهم بخلاف اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي ــ عليه السلام ــ فإن صورة النبي ليست من الغيب فإن الناس يرونها وليس في رؤيتها ما يوجب إيماناً ولا كفراً، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب فيدخل فيه الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، وهو الإيمان بأنهم رسل الله وسواء رؤيت أبدانهم أو لم تر فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم، وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم.

والمقصود الإيمان برسالتهم لا بنفس صورهم حتى يقول القائل: آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته وأعلام رسالته من لم يره أكثر مما يعلمها من رآه.



فصل[1]

وأما قوله في سورة المائدة:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

فهذا ثناء منه على المسيح والإنجيل وأمر للنصارى بالحكم بما أنزل فيه، كما أثنى على موسى والتوراة بأعظم مما عظم به المسيح والإنجيل فقال ــ تعالى ــ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ . . .﴾[3].

أي: قائلون للكذب مصدقون مستجيبون مطيعون لقوم آخرين

(١) كلمة «فصل» في غير موطنها لأن الكلام موصول، وكثيراً ما كانت كلمة «فصل» ترد في مثل هذا المقام في غير موضعها، ولعل المقصود التنبيه، وليس الانتقال من فكرة إلى فكرة كما هو متبع الآن.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

لم يأتوك فهم مصدقون للكذب مطيعون لمن[1] يخالفك وأنت رسول الله.

فكل من تصديق الكذب والطاعة لمن خالف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] من أعظم الذنوب.

ولفظ «السميع»: يراد به الإحساس بالصوت ويراد به فهم المعنى ويراد به قبوله فيقال: فلان سمع ما يقول فلان. أي: يصدقه أو يطيعه ويقبل منه.

فقوله[3] سماعون للكذب أي: مصدقون به وإلاَّ مجرد سماع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموماً على الإطلاق.

وكذلك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي: مستجيبون لهم مطيعون[4]. كما قال في حق المنافقين: «وفيكم سماعون لهم»[5]، أي: مستجيبون مطيعون لهم، ومن قال: إن المراد به الجاسوس فهو غالط كغلط من قال سماعون لهم: هم الجواسيس، فإن الجاسوس إنما ينقل خبر القوم إلى من لا يعرفه، ومعلوم أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كل من بالمدينة مؤمنهم ومنافقهم، ولم يكن يقصد أن يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله، خلاف من كان يأتيه[6] من اليهود وهم يصدقون الكذب ويطيعون لليهود

---

(١) في ط (لما).
(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٣) في ك، ط (بقوله).
(٤) في س، ك، ط (مطيعون لهم).
(٥) من سورة التوبة: الآية ٤٧.
(٦) في ط (يأتيهم).

الآخرين الذين لم يأتوه، والله نهى نبيه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يحزنه المسارعون في الكفر من[1] هاتين الطائفتين المنافقتين الذين أظهروا الإيمان به ولم تؤمن قلوبهم ومن أهل الكتاب الذين يطلبون أن يحكم بينهم وليس مقصودهم أن يطيعوه ويتبعوا حكمه بل إن حكم بما يهوونه قبلوه، وإن حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه لكونهم مطيعين لقوم آخرين لم يأتوه.

قال ــ تعالى ــ :

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾.

أي: لم يأتك أولئك القوم الآخرون «يقولون»، أي: يقول السماعون:

﴿ . . . إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

والحكم يفتقر إلى الصدق والعدل فلا بد أن يكون الشاهد صادقاً والحاكم عادلاً وهؤلاء يصدقون الكاذبين من الشهود[3] ويتبعون حكم المخالفين للرسل الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وإذا لم يكن قصدهم اتباع الصدق والعدل فليس عليك أن تحكم بينهم، بل إن شئت فاحكم بينهم، وإن شئت فلا تحكم.

---

(١) في أ، س تقديم وتأخير في الجملة من قوله: (الآخرين إلى هذا الموضع)، وقد أخل بتركيبها، وما أثبتناه من ك، ط.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في أ، س (اليهود).

ولكن إذا حكمت فلا تحكم إلّا بما أنزل الله إليك، إذ هو العدل.

قال ـ تعالى ـ[1]:

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

ثم قال:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

فهذا ثناؤه على التوراة، وإخباره أن فيها حكم الله، وأنه أنزل التوراة، وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، وقال عقب ذكرها:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4].

---

(١) في ط زيادة قوله: (قال تعالى: ﴿سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين﴾).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات ٤٣ ــ ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل؛ فإنه قال في الإنجيل:

﴿... وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ...﴾[1].

وقال فيه:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[2].

وقال في التوراة:

﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

وقال[3] عقب ذكرها:

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[4].

فهو ــ سبحانه ــ مع إخباره بإنزال الكتابين يصف التوراة بأعظم مما يصف به الإنجيل.

كما قال ــ تعالى ــ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ...﴾[5].

وإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذَّبوا المسيح ومحمداً[6] صلَّى الله عليه وسلَّم[7]،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٣) في س (فقال) والآية من سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٦) في س (ومحمد).

(٧) في س، ك، ط (وسلم تسليماً).

وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك[1] أيضاً ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل. فعلم اتفاق أهل الملل كلها: المسلمون، واليهود والنصارى، على أنه ليس[2] فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل، وموسى، وعيسى مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمداً[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل، ولا بدين منسوخ، فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ؟



(١) في س (وكذلك).
(٢) في س (إنس) وهو تصحيف.
(٣) في س (محمد).

فصل

وهنا[1] أصل لا بد من بيانه[2] وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلَّا من أرسل إليه رسولاً تقوم به الحجة عليه.

قيام الحجَّة على مَنْ بَلَغَتْه دعوة الرُّسل

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ عن أهل النار:

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ...﴾[5].

وقال[6]:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

(١) في ك، ط (هذا).
(٢) في ك، ط (ثباته).
(٣) سورة الإسراء: الآيات ١٣ ـ ١٥.
(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٥) سورة الملك: الآيتان ٨، ٩، وذكر تمام الآية في ك، ط ﴿إن أنتم إلَّا في ضلال كبير﴾.
(٦) في ط (قال تعالى).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا . . . ﴾.

إلى قوله:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٤) سورة القصص: الآيتان ٤٧، ٤٨، وقد جاء في النسخ المخطوطة كلها خطأ في الآية الأولى حيث ورد ﴿**ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله**. . .﴾ الآية، ثم قال إلى قوله: ﴿**فلما جاءهم الحق**. . .﴾ الآية، وذكر آية القصص مع أن الآية الأولى من سورة طه رقم ١٣٤، والمراد عرض آيات القصص.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1] .

(وقوله) :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[2] .

وإذا كان كذلك فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه، فإذا[3] اشتبه معنى بعض الآيات، وتنازع الناس في تأويل الآية، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله[4]، فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسول[5] فالمصيب له أجران والمخطىء له أجر[6] فلا يمنع[7] أن يقال ذلك في أهل الكتاب قبلنا فمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا، لم تقم عليه الحجة إلّا[8] بما بلغه وما [9] خفي عليهم[10] معناه منه فاجتهد في معرفته فإن

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥، وقد سقط ذكر هذه الآية من ك، ط .

(٢) سورة المائدة: الآية ١٩ .

(٣) في س (وإذا).

(٤) في س، ك، ط (والرسول).

(٥) في ك، ط (الرسل).

(٦) في ط (أجر واحد).

(٧) في س، ك، ط (يمتنع).

(٨) سقطت (إلّا) من ك، ط .

(٩) في ك، ط (فيما) بدل (وما).

(١٠) في س (عليه).

أصاب فله أجران. وإن أخطأ فله أجر وخطأه محطوط عنه. فأما من تعمد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ما جاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب، وكذلك من فرَّط في طلب الحق واتباعه[1] متبعاً لهواه مشتغلاً عن ذلك بدنياه.

وعلى هذا، فإذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك فهم[2] مجتهدون في اتباع ما جاء به الرسول لم يجب أن يجعل هؤلاء من المستوجبين للوعيد، وإذا[3] جاز أن يكون في أهل الكتاب من لم يعرف جميع ما جاء به المسيح، بل خفي عليه بعض ما جاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على ما لم يبلغه. وقد تحمل أخبار اليهود الذين كانوا مع تبع[4] والذين كانوا ينتظرون الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أهل المدينة كابن التيهان[5] وغيره على هذا، وإنهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود.

---

(١) سقطت (واتباعه) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في س، ك، ط (وهم).

(٣) في ك، ط (فإذا).

(٤) تبع بن حسان بن تبان: من ملوك حمير في اليمن. قيل: اسمه مرثد، وهو تبع الأصغر، آخر التبابعة، ملك بعد عبد كلال، وعقد الحلف بين اليمن وربيعة، وسار إلى الشام فلقيه قوم من حمير، فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود في يثرب (المدينة) فسار إلى يثرب ونزل في سفح «أحد» وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة رجل، وذللها لهم، وكان ملكه ٧٨ سنة.
انظر: البداية والنهاية ٢/٣١٠؛ والأعلام للزركلي ٢/٨٣.

(٥) في أ، س (الهيبان) وفي ك، ط (الهتيان) وكلها خطأ والصواب (التيهان) بفتح المثناة الفوقانية مع كسرها كما ضبطه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٩. وهو أبو الهيثم بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، يقال التيهان لقب، واسمه مالك وقد اشتهر بكنيته، كان أحد النقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها. قالوا: =

وقد تنازع الناس هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوسع أن لا يبيِّن للناظر[1] المستدل صدق الرسول أم لا؟[2].

وإذا لم يبيِّن له ذلك هل يستحق العقوبة في الآخرة أم لا[3]؟

وتنازع[4] بعض الناس في المقلد منهم أيضاً والكلام في مقامين:

المقام الأول[5]: في بيان[6] خطأ المخالف للحق وضلاله. وهذا مما يعلم بطرق متعددة عقلية وسمعية، وقد يعرف الخطأ في أقوال كثيرة[7] من أهل القبلة المخالفين للحق، وغير أهل القبلة بأنواع متعددة من الدلائل.

والمقام الثاني: الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في الآخرة.

فهذا فيه ثلاثة أقوال للناس من أصحاب الأئمة المشهورين مالك

= وكان شاعراً له قصيدة في رثاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول فيها:

لقد جدعت آذاننا وأنوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد

مات ـ رضي الله عنه ـ سنة إحدى وعشرين على الصحيح كما قال ابن حجر.

انظر في ترجمته: الإصابة ٢٠٩/٤ (١١٩٩)؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ١٩٩/٤؛ ومغازي الواقدي ٧١٨/٢؛ وطبقات ابن سعد ٢١٨/١، وصفة الصفوة ١٨٣/١، والأعلام للزركلي ٢٥٨/٥.

(١) في ك، ط (للمناظر).

(٢) في ك، ط (أولاً).

(٣) في س، ك، ط (أم لا يستحقها).

(٤) سقطت (الواو) من ك.

(٥) سقط المقام الأول من أ، س، ك وزدناه من ط .

(٦) في ك، ط (شأن).

(٧) في س (كثير).

والشافعي وأحمد لهم الأقوال الثلاثة.

قيل[1]: إنه يعذب في النار من لم يؤمن وإن لم يرسل إليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل، وهذا قول كثير ممن يقول بالحكم العقلي من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، وهو اختيار أبي الخطاب[2].

وقيل: لا حجة عليه بالعقل، بل لا[3] يجوز أن يعذب من لم يقم عليه حجة لا بالشرع، ولا بالعقل، وهذا قول من يجوِّز تعذيب أطفال الكفار ومجانينهم، وهذا قول كثير من أهل الكلام كالجهم[4]، وأبي الحسن الأشعري[5] وأصحابه، والقاضي ــــــــــــ

---

(١) في س (فقيل).

(٢) محفوظ بن أحمد الكلوذاني، نسبة إلى كلوذان من ضواحي بغداد ولد عام ٤٣٢هـ، وتوفي عام ٥١٠هـ، وهو إمام الحنابلة في عصره، وأحد تلاميذ القاضي أبي يعلى، واسع العلم، قوي الإدراك. ألف في فنون مختلفة وصنف في المذهب الحنبلي، وله اختيارات معتمدة عند أئمة الحنابلة، وله شعر حسن من تصانيفه: الهداية في الفقه، والتمهيد في أصول الفقه، وغيرها.
انظر: شذرات الذهب ٤/٢٧؛ والعبر في خبر من غبر ٤/٢١؛ وطبقات الحنابلة ٢/٢٥٨؛ وذيله ١/١١٦ ـ ١٢٧ (٦٠)؛ ومناقب الإمام أحمد ص ٦٣٥؛ والبداية والنهاية ١٢/١٨٠؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور عبد العزيز السعيد ١/٥٥.

(٣) سقطت (لا) من أ، س وزدناها من ك، ط.

(٤) الجهم بن صفوان السمرقندي وسبقت ترجمته.

(٥) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ في البصرة، كان معتزلياً ثم رجع عن ذلك وجاهر بخلافهم، وألَّف كتابه الإبانة في أصول الديانة، يوضح فيه أنه يقول بقول الإمام أحمد، اشتهر بسعة علمه، ودقة فهمه، وكثرة تصانيفه، ومن أشهر مؤلفاته: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ ببغداد. =

أبـي يعـلى[1]، وابن عقيل[2] وغيرهم.

والقول الثالث: وعليه السلف والأئمة: إنه لا يعذب إلَّا من بلغته الـرسالـة، ولا يعـذب إلَّا من خـالف الـرسـل كمـا دل عليـه[3] الكتـاب والسنة.

قال ــ تعالى ــ لإبليس[4]:

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[5].

وإذا كان كذلك فنحن فيما[6] نـاظر فيـه أهل الكتـاب: متقدميهم ومتـأخريهم، تـارة نتكلم في المقـام الأول، وهـو بيـان مخـالفتهم للحق وجهلهم وضلالهم، فهذا تنبيـه لجميع الأدلـة الشرعيـة والعقلية وتـارة[7] نبيِّن[8] كفـرهم الذي يستحقـون به العـذاب في الدنيـا والآخـرة، فهـذا

= انظر: وفيات الأعيـان ٣/٢٨٤ (٤٢٩)؛ والعبر للذهبـي ٢/٢٠٢؛ والبـداية والنهـاية ١١/١٨٧؛ وشذرات الذهب ٢/٣٠٣؛ تـاريخ بغـداد ١١/٣٤٦؛ والأعلام للزركلي ٤/٢٦٣.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ابن عقيـل هو علي بن محمـد بن عقيل البغـدادي، قاضي القضـاة، وعـالم العـراق وشيخ الحنابلة في وقته، ولد سنة ٤٣١هـ، واشتهر بسعة علمه، وكثرة تصانيفه ومنها الفنـون في مختلف العلوم يقال لم يؤلف في الـدنيا أوسـع منه، والفصـول في الفقه وغيرهما وهو من تلاميذ القاضي أبـي يعلى الفراء، مات رحمه الله سنة ٥١٣هـ.
راجع طبقات الحنـابلة ٢/٢٥٩؛ وذيل طبقـات الحنابلة ٣/١٤٢؛ والبـداية والنهـاية ١٢/١٨٤؛ وابن قـدامة وآثـاره الأصوليـة للدكتور عبـد العزيـز السعيـد القسم الأول ص ٥٦ ــ ٥٨.

(٣) في س (على ذلك).

(٤) سقطت (لإبليس) من ك.

(٥) سورة ص: الآية ٨٥.

(٦) في ك، ط (فهو كما تناظر).

(٧) سقطت (تارة) من أ، ط، ك وزدناها من س.

(٨) في ك، ط (وتبين).

أمره إلى الله ورسوله لا يتكلم فيه إلَّا بما أخبرت به الرسل[1]، كما أنّا أيضاً لا نشهد بالإيمان والجنة إلَّا لمن شهدت له الرسل، ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال والمجانين وأهل الفترات[2] فهؤلاء فيهم أقوال أظهرها ما جاءت به الآثار أنهم يمتحنون يوم القيامة فيبعث الله[3] إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العقاب[4][5].

---

(١) في أ (أخبر به الرسول).

(٢) في ك (العثران) وهو تحريف ظاهر.

(٣) سقط لفظ الجلالة من ك، ط .

(٤) في ط (العذاب).

(٥) ذكر العلماء أن أهل الفترة على قسمين:

١ ـ من بلغته الدعوة وهم على قسمين:

(أ) من كان موحداً كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما فهؤلاء ماتوا على التوحيد كما وردت بذلك نصوص.

(ب) ومن كان مشركاً كعمرو بن لحى. أول من سن عبادة الأصنام فبحر البحيرة، وسيب السائبة. . . إلخ. وقد ثبت في صحيح مسلم ٤/٢١٩١ (٢٨٥٦) أن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه (امعاءه) في النار، وعبد الله بن جدعان وقد ثبت في صحيح مسلم ١/١٩٦ (٢١٤) أن عائشة لما سألت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هل ينفعه صلته للرحم وكرمه؟ قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، فهؤلاء ماتوا على الشرك ـ وهذا القسم بنوعيه ليس محلاً للنزاع.

٢ ـ من لم تبلغه الدعوة وبقي على حين غفلة. وللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم ينجون من العذاب. وهذا قول الأشاعرة من أهل الكلام، وبعض الشافعية من الفقهاء، ومن أدلتهم قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٥] وغيرها. وحديث: «ما من أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل». قالوا: وأهل الفترة معذورون لعدم إرسال الرسل إليهم. =

. . . .

= **الثاني**: أنهم من أهل النار، وهذا قول المعتزلة، وبعض الماتوريدية.
قالوا: لأنهم مكلفون، وإن لم يرسل لهم رسل أن يستدلوا بعقولهم فما استحسنه العقل فهو حسن، وما استقبحه فهو قبيح، واستدلوا بأدلة عامة لا تفيد التنصيص، والتخصيص كقوله ـ تعالى ـ : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ**. . .﴾ [الآية ٩١ من سورة آل عمران].
وقوله ـ تعالى ـ : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**. . .﴾ [الآية ١٤٨ من سورة النساء]. وغيرها من أدلة العموم.

واستدلوا بمحاجة الرسل لأقوامهم حينما دعوهم إلى التفكر واستخدام العقل، وهذا واضح في أن هؤلاء مرسل إليهم، ولا خلاف فيمن بلغته الدعوة.
الثالث: أن أهل الفترة يمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمر الله بدخولها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها فقد عصى الله ـ تعالى ـ فيدخله الله فيها، وهذا قول السلف وجمهور الأئمة، واختاره الإمام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، وابن حزم، والشنقيطي في أضواء البيان ٤٨٣/٣، وأدلة هذا القول كثيرة منها:
الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من طريق الأسود بن زريع أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة. . . وذكر في آخر الحديث ـ فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٧ وهذا لفظ أحمد، ورجاله من طريق الأسود بن زريع، وأبي هريرة رجال الصحيح، ثم ذكر الهيثمي حديثاً آخر بمعناه.
وهذه الأحاديث تخصص ما ورد من أدلة العموم التي استدل بها أصحاب القول الآخر، وغير متنافية معها، والجمع بين الأدلة واجب ما أمكن كما بين العلماء. وعللوا أن عمل الدليلين أولى من إسقاط أحدهما. وأما أدلة الفريق الآخر فلا تدل على أن أهل الفترة ناجون، وأنهم من أهل الجنة.
يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري ٢٤٦/٣: «قد صحت مسألة الامتحان في حق من مات في الفترة والمجنون». اهـ.
ويرد هنا سؤال: هل يتنافى التكليف والامتحان في عرصات القيامة مع كون الآخرة دار جزاء؟ والجواب كما ذكر العلماء: لا تنافي في ذلك، والأدلة على أنه يكلف =

. . . .

= المرء في الآخرة قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُوْدِ﴾ الآية [سورة القلم: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣]. وهذا تكليف، وحديث في صحيح البخاري ٦/٧٢؛ كتاب التفسير وفيه «يكشف ربنا عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبعاً واحداً.

وأما من قال بعدم التكليف فأدلتهم عقلية لا تقوى على معارضة الأدلة النقلية والله ـ عز وجل ـ فعّال لما يريد، ولا راد لمشيئته.

راجع في هذه المسألة المؤلفات التالية:

مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٤٦؛ وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٧٠٥، ٦٩٥؛ وفتح الباري ٣/٢٤٦، ٤٨٦، ٨/٦٦٤؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٥؛ والفصل لابن حزم ٤/٦٠، ٧٠؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٣٤٩؛ ومجمع الزوائد للهيثمي ٧/٢١٦؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٣/٤٨٣، وجمع الجوامع للسبكي ١/٦٢ ـ ٦٣ حاشية البناني على شرح المحلى على متن جمع الجوامع، والبداية والنهاية ٢/٢٣٠؛ وتجريد التمهيد لابن عبد البر ص ٣٢٦، ورسالة ماجستير للشيخ موفق شكري بعنوان (أهل الفترة).

وأما أطفال المشركين فقد تعددت أقوال العلماء في شأنهم فقيل في الجنة وقد ذهب إلى ذلك البخاري، والنووي، وابن الجوزي، وابن حزم، وابن حجر، وجماعة من المفسرين. وقيل: في النار، قاله القاضي أبويعلى، وذهب إليه الأزارقة من الخوارج وغيرهم.

وقيل: يمتحنون في عرصات القيامة، اختاره ابن تيمية وابن القيم.

وقيل: التوقف فلا يحكم لهم بجنة أو نار.

انظر في هذه المسألة: مجموع الفتاوى ٢٤/٣٧٢؛ وفتح الباري ٣/٢٤٥؛ والنووي بشرح مسلم ١٦/٢٠٧؛ وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني ص ٤٧٧؛ والفصل ٤/٧٤؛ وروح المعاني للألوسي ١٥/٣٧؛ وتجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ص ٣١٠، وحكى الأقوال كلها بأدلتها في نحو خمسين صفحة؛ والفتح المبين لأبي يعلى ١/٢٤٥؛ وأحكام أهل الذمة ٢/٦١٩ ـ ٦٥٦؛ طريق الهجرتين ص ٦٧٩.

وإذا كان كذلك فنحن نشهد لمن كان مؤمناً بموسى متبعاً له أنه[1] مؤمن مسلم مستحق للثواب.

وكذلك من كان مؤمناً بالمسيح متبعاً له. ونشهد لمن قامت عليه الحجة بموسى فلم يتبعه كآل فرعون أنهم من أهل النار.

وكذلك من[2] قامت عليه الحجة بالمسيح الذين قال الله فيهم:

﴿... قَالَ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[3].

والذين قال فيهم:

﴿... يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[4].

وأما من بعد عهده بالمسيح وبلغته بعض أخباره دون بعض، أو بموسى وبلغه[5] أخباره دون بعض، فهؤلاء قامت عليهم الحجة بما بلغهم من أخبارهم دون ما لم يبلغهم من أخبارهم، وإذا اختلفوا في تأويل بعض التوراة والإنجيل فمن قصد الحق واجتهد في طلبه لم يجب

(١) في س (وأنه) وفي ط (بأنه) وسقطت من ك.
(٢) في ك، ط (لمن).
(٣) سورة المائدة: الآية ١١٥.
(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٥ ـ ٥٧.
(٥) في ك، ط (وبلغته).

أن يعذب، وإن كان مخطئاً للحق جاهلاً به ضالاً عنه، كالمجتهد في طلب الحق من أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وعلى هذا فإذا قيل: أن الحواريين، أو بعضهم، أو كثيراً من أهل الكتاب، أو أكثرهم كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه صلب. كانوا مخطئين في ذلك ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في إيمانهم بالمسيح إذا آمنوا بما جاء به، ولا يوجب لهم النار فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة: مرقس(١)، ولوقا(٢)، ويوحنا(٣)،

---

(١) مرقس: اسم لاتيني معناه (مطرقة) وهو من السبعين الذين يقال أن المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ اختارهم، وأرسلهم ليعلموا المسيحية، وقد طاف البلاد داعياً ثم اتخذ مصر مقراً له، وكان يهودياً من بيت لاوي، ثم تتلمذ على يد بطرس، ومات مقتولاً كما في سفر الأعمال في الاسكندرية سنة ٦٨ قتله الوثنيون في عهد نيرون من ملوك الرومان، وقد ألف الإنجيل لطلب أهل رومية لذلك فيما بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م.
انظر: نظم الجوهر لابن البطريق ص ٤٤؛ والمسيحية للدكتور شلبي ص ٢٠٩؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٤؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.

(٢) لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصار «لوقانوس» وهو تلميذ بولس الذي كان عدواً للنصارى ثم أصبح رسولاً لهم، وهو من أهل أنطاكية ولم ير المسيح وليس من الحواريين، ولا من تلاميذهم. كان طبيباً، وقيل: مصوراً كتب إنجيله باللغة اليونانية فيما بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م، وهو رسالة إلى صديقه (ثاوفيلس) كما أعلن هو عن ذلك في الإصحاح الأول منه، وقد ذكر المحققون من المسيحيين أنه ليس إلهاماً.

انظر: تحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٦ ـ ٣٧؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٢؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٥؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٢.

(٣) يوحنا أحد الحواريين الاثني عشر، ولد في صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زيدي الصياد، وأخو يعقوب الكبير، كان صياداً ثم اتبع المسيح، نفاه القيصر (دوميتان) إلى جزيرة بطمس من جزر بحر إيجه ثم عاد إلى أفسس ولبث بها مبشراً، ثم مات شيخاً، كتب إنجيله باليونانية، وعرض فيه ليسوع المسيح من وجهة نظر اللاهوتية، =

ومتى[1]. ولم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح، ولا من الحواريين، بل ولا في أتباعه من شهد صلبه[2]، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود فمن الناس من يقول: أنهم علموا أن المصلوب غيره وتعمدوا الكذب في أنهم صلبوه وشبه صلبه على من أخبروهم. وهذا قول طائفة من أهل الكلام: المعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم[3]

= ويتصف إنجيل يوحنا بالطابع الفلسفي الذي يعد روح المدرسة الاسكندرية.

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤١ ـ ٣٤٢؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٤١؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٣؛ ومحاضرات في النصرانية ٥٧ ـ ٥٨؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦.

(١) متى: من الاسم العبري (مثتيا) الذي معناه (عطية يهوه) أحد الحواريين الذين آمنوا بالمسيح، وعاونوه، وتتلمذوا عليه، وعددهم اثنا عشر وقد ورد ذلك في الإصحاح العاشر: ص ١ ـ ٤ من إنجيل متى، ويعرف بمتى العشار حيث كان عشاراً، أي: من جباة الضرائب للحاكم الروماني في ذلك الوقت، وكان يهودياً ثم آمن بدعوة المسيح، وترك وظيفة العشارين، وقد كتب إنجيله بالعبرية ثم فقد هذا الإنجيل حسبما ذكر صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، وترجم بعد ذلك باللغة اليونانية، ولم يعلم متى ترجم، ومن هو المترجم، وتثار حوله شكوك كثيرة، مات متى سنة ٧٩م ببلاد الحبشة.

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩ ـ ٢٠؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٢٠٩؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٩؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة ص ٣٠ ـ ٣٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٢.

(٢) في ك، ط (الصلب).

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، كان فقيهاً، حافظاً، زاهداً، متواضعاً، متفنناً في علوم جمة، صاحب تصانيف كثيرة منها المحلى في الفقه في أحد عشر جزءاً، والفصل في الملل والأهواء والنحل في خمسة أجزاء وجمهرة الأنساب وغيرها من المؤلفات الكثيرة مات رحمه الله سنة ٤٥٦هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥ (٤٤٨)؛ ومعجم الأدباء ١٢/٢٣٥ وله فيه =

وغيره[1]. ومنهم من يقول: بل اشتبه على الذين صلبوه، وهذا قول أكثر الناس[2]، والأولون يقولون أن قوله:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ . . .﴾.

أي: شبه للناس الذين أخبرهم أولئك بصلبه.

الجمهور يقولون: بل شبه للذين يقولون[3] صلبوه كما قد ذكرت القصة في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن الناس في هذا المقام على طرفين ووسط.

= ترجمة طويلة، وتاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٣٣؛ والعبر للذهبي ٣/٢٣٩؛ وشذرات الذهب ٣/٢٩٩؛ والأعلام ٤/٢٥٤.

(١) ما ذكره المؤلف عن ابن حزم ورد في الفصل ١/٥٩، وقالت به المعتزلة وانظر: المغني للقاضي عبد الجبار ٥/١٤٣ ــ ١٤٤ (بتحقيق محمود الخضيري).

(٢) نص القرآن صريح في أن عيسى ــ عليه السلام ــ لم يقتل، ولم يصلب، ولكن شبه على القوم. والاختلاف هو في صفة التشبيه فقيل: أن عيسى انتدب أحدهم ليلقي عليه شبهه ويكون رفيقه في الجنة فقام أحدهم ويقال له جرجس فجلس مكانه ورفع الله عيسى ثم وقع الصلب على جرجس. وقيل: أن الله ألقى شبهه على رجل اسمه يهوذا الأسخريوطي الذي تذكر الأناجيل أنه هو الذي دس عليه وأرشد القابضين إليه، وقد كان من تلاميذه، ورفع الله عيسى ووقع الصلب على يهوذا، والأناجيل مختلفة في ذلك اختلافاً عظيماً وقيل: بل حول الله القوم كلهم الذين كانوا مع عيسى في صورة عيسى فلم يعرفوا عيسى من غيره لتشابه الصور عليهم.

انظر: تفسير ابن جرير ٦/١١، ١٢ (مجلد ٤)؛ وتفسير القرطبي ٦/٩ ــ ١٠ (مجلد ٣)؛ والبداية والنهاية ٢/٩١ ــ ٩٢؛ وفتح القدير ١/٥٣٤؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٢٨، ٢٩؛ ومجموع الفتاوي ٤/٣٢٢. وفي ظلال القرآن ٦/٨٠١؛ وإنجيل برنابا بتحقيق سيف الله أحمد فاضل ص ٢٨٩ الفصل السابع عشر بعد المئتين.

(٣) في ك (يقول صلبوه) وسقطت (يقولون) من أ، س.

أما الطرف الواحد: فهم الغلاة من النصارى الذين يدعون أن الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويرونه، وكذلك يقولون بتصويب علماء النصارى فيما يقولونه[1] من تأويل الإنجيل.

والطرف الآخر يقول: بل كل من غلط وأخطأ في شيء من ذلك فإنه مستحق للوعيد[2] بل كافر.

والثالث، الوسط: أنهم لا يعصمون، ولا يؤثمون[3] بل قد يكونون مخطئين خطأً مغفوراً لهم[4] إذا كانوا مجتهدين في معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم، وعلى هذا تدل[5] الأدلة الصحيحة وكتب الله تدل على ذم الضال والجاحد[6] ومقته مع أنه لا يعاقب إلا بعد إنذاره.

وقد ثبت في الصحيح عن عياض بن حمار[7]، عن النبي

---

(١) في أ، س (يقوله) وما أثبتناه من ك، ط.
(٢) في ك، ط (يستحق الوعيد).
(٣) في أ (يقولون) وهو تحريف وصححناه من سائر النسخ.
(٤) في أ، س (مغفور) وصححناه من ك، ط.
(٥) في ك، ط (تصح).
(٦) سقطت (الجاحد) من س.
(٧) في ك، ط (حماد) وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه وعياض بن حمار بن أبي حمار التميمي المجاشعي، سكن البصرة، وكان صديقاً للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قديماً وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأنه كان من الجملة الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي. حديثه في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، عاش إلى حدود الخمسين ـ رضي الله عنه ورحمه ـ.
انظر: الإصابة ٣/٤٨؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٣/١٢٩؛ والرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص ٢٤٠.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

فأخبر أنه مقتهم إلا هؤلاء البقايا، والمقت هو البغض بل أشد البغض ومع هذا فقد أخبر في القرآن أنه لم يكن ليعذبهم[2] حتى يبعث إليهم رسولاً، فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا . . .﴾.

وقال:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[3].

فدل ذلك على أن المقتضي لعذابهم قائم ولكن شرط العذاب هو بلوغ[4] الرسالة، ولهذا قال:

﴿. . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ . . .﴾[5].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ما أحد أحب إليه العذر من الله[6]؛ من أجل ذلك، أرسل الرسل، وأنزل الكتب».

وفي رواية: «من أجل ذلك، بعث الرسل مبشرين ومنذرين،

---

(١) الحديث: سبق تخريجه، وهو في صحيح مسلم رقم (٦٣)، ومسند أحمد ١٦٢/٤.
(٢) في أ (يعذبهم).
(٣) سورة طه: الآية ١٣٤ وقد حصل خلط وخطأ في الآية في جميع النسخ بين آية سورة طه، وآية سورة القصص: ٤٧، وجاء في ط (بالآية كاملة من سورة القصص).
(٤) في ك، ط (هو بعد بلوغ).
(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٦) في ك، ط (من الله عز وجل).

وما أحد أحب إليه المدح من الله ؛ من أجل ذلك مدح نفسه، وما[1] أحد أغير من الله ؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[2].

وقد تنازع الناس في حسن الأفعال[3] وقبحها كحسن العدل والتوحيد، والصدق، وقبح الظلم، والشرك، والكذب: هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالسمع[4]، وإذا قيل: أنه يعلم بالعقل فهل يعاقب من

---

(١) في ط (وما من).

(٢) الحديث: سبق تخريجه.

(٣) في ط (الأقوال).

(٤) ذهب أكثر أصحاب الشافعي، وطائفة من المتكلمين، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة والإمام أحمد، وأكثر أصحابه، وطائفة من الفقهاء. إلى أن العقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب، ولا يحرم، والعقل بذاته ليس بدليل على تحسين شيء ولا تقبيحه، ولا يعرف حسن الشيء وقبحه حتى يرد السمع بذلك، والعقل آلة تدرك به الأشياء، فيدرك به ما حسن، وما قبح بعد أن ثبت ذلك بالسمع.

جاء في العدة في أصول الفقه ٢/٤٢٢ «وقد دل على هذا الأصل قوله ـ تعالى ـ : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فأخبر أنهم آمنون من العذاب قبل بعثة الرسل إليهم، فعلم أن الله ـ تعالى ـ لم يوجب على العقلاء شيئاً من جهة العقل. بل أوجب ذلك عند مجيء الرسل، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ سورة النساء: الآية ١٦٥ فلو كان العقل حجة عليهم لما قال: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ بل كان الواجب أن يقول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد العقل، ولما لم يقل هذا ثبت أن العقل لا تأثير له في ذلك».

أما القول الثاني: فهو قول طائفة من الأحناف، والمعتزلة بأسرهم. وهو أن الحسن والقبح ضربان ضرب علم بالعقل كحسن العدل، والصدق النافع، وشكر النعمة، وقبح الظلم، والكذب الضار، وكفران النعمة. وضرب عرف بالسمع كحسن مقادير العبادات وهيئاتها، وقبح الزنا، وشرب الخمر، قالوا: وسبيل السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكداً لما في العقل. والذي رجحه كثير من أهل العلم هو القول الأول والله أعلم.

=

فعل ذلك قبل أن يأتيه رسول؟ على ثلاثة أقوال معروفة في أصحاب الأئمة وغيرهم، وهي ثلاثة أقوال لأصحاب الإمام أحمد وغيرهم. فقالت طائفة لا يعرف ذلك إلا بالشرع لا بالعقل، وهذا قول نظار المجبرة كالجهم بن صفوان وأمثاله، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأتباعه * من أصحاب الأئمة الأربعة *[1] كالقاضي أبي بكر بن الطيب[2]، وأبي عبد الله بن حامد[3]، والقضي أبي يعلى[4]، وأبي المعالي[5]،

= انظر في هذه المسألة: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ١٨٣/١، والعدة في أصول الفقه بتحقيق د. أحمد مباركي ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٣، وشرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير تحقيق محمد حامد فقي ص ٩٥، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي الحاشية ٨٢/١ ـ ٨٧.

(١) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من س، ك، ط.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وفي الرد على الفرق، وجهه عضد الدولة سفيراً إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصارى انتصر فيها عليهم. ومن كتبه إعجاز القرآن، والملل والنحل، وتمهيد الدلائل، وكشف أسرار الباطنية وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ سنة ٤٠٣هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٢٦٩/٤ (٦٠٨)؛ وشذرات الذهب ١٦٨/٣؛ وتاريخ بغداد ٣٧٩/٥ (٢٩٠٦)؛ والعبر في خبر من غبر ٨٦/٣؛ والأعلام ١٧٦/٦.

(٣) الحسن بن حامد بن علي، أبو عبد الله البغدادي. وإمام الحنابلة في زمانه، ومدرسهم، وفقيههم، اشتهر بزهده وورعه، من أصحابه القاضي أبو يعلى وأبو إسحاق وغيرهما وقد انتفع به خلق كثير. من تصانيفه الجامع في المذهب الحنبلي، وشرح الخرقي، وتهذيب الأجوبة وغيرها مات سنة ٤٠٣هـ.
انظر: طبقات الحنابلة ١٧١/٢ (٦٣٨)؛ والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٨٢/٢ (٦٢٩).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين. ولد سنة ٤١٩هـ في جوين من نواحي نيسابور، من أصحاب الشافعي، عالم متفنن في العلوم من =

وأبـي الوفاء بـن عقيل[1] وغيرهم، وقيـل: بل قـد يعلم حسن الأفعال[2] وقبحها بالعقل.

قـال[3] أبو الخـطاب محفـوظ بن أحمـد[4]: وهـذا[5] قـول أكثـر الفقهاء والمتكلمين[6].

وهـذا هو المنقـول عن أبـي حنيفة نفسـه، وعليه عـامة أصحـابه، وكثيـر من أصحاب مـالك، والشـافعي، وأحمد، وأهـل الحديث كـأبـي الحسن التميمي[7]، وأبـي الخـطاب، وأبـي بكر القفـال[8]، وأبـي نصر

= الأصول والفروع. كثير الرحلات، وهو من المتكلمين، ونقل في الشذرات جملة من كلامه في العقيدة النظامية كدليـل على رجوعـه عن مذاهـب المتكلمين. لـه تصانيف كثيرة منها: الشامل في أصـول الدين، والإرشـاد والعقيدة النـظامية، وغيـاث الأمم؛ وغيرها. مات سنة ٤٧٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ (٣٧٨)؛ وشذرات الـذهب ٣٥٨/٣؛ والعبر في خبـر من غبر ٢٩١/٣؛ والأعلام ١٦٠/٤.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في ك، ط (الأقوال).

(٣) في ك، ط (وقال).

(٤) أبو الخطاب: سبقت ترجمته.

(٥) في س (فهذا).

(٦) عقـد أبو الخـطاب ـ رحمه الله ـ في هـذا فصلاً في كتـابه التمهيـد (مخـطوط) رقم ٢٨٠١ (بجامعة الملك سعود بالرياض ورقـة ٢٠١) فقال: «اختلف أصحـابنا هـل في قضايا العقل حظر، وإباحة، وإيجاب، وتحسين، وتقبيح أم لا؟ ثم ساق كلاماً طويلاً في هذا الكتاب الذي اشتغل بتحقيقه باحثان بكلية الشريعة بجامعة أم القـرى، بمكة المكرمة لنيل درجة الدكتوراة. وتم طبعه بتحقيقهما.

(٧) أبو الحسن التميمي عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنبلي. فقيه، أصـولي فرضي له تصانيف كثيرة في الفقه والفرائض وأصول الفقـه وسمع الحـديث، وروى عن غير واحد، وهو من أصحاب الإمام أحمد مات ـ رحمه الله ـ سنة ٣٧١هـ.

انظر: البداية والنهاية ٢٩٨/١١؛ ومعجم المؤلفين ٢٤٤/٥.

(٨) محمـد بن علي بن إسماعيـل الشاشي القفـال، أبـو بكـر ولـد سنـة ٢٩١هـ. فقيـه =

السجزي[1]، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني[2]، وهو قول الكرامية[3] وغيرهم من نظار المثبتة للقدر، وهو قول المعتزلة وغيرهم

= شافعي، إمام عصره، كان فقيهاً محدثاً، أصولياً، لغوياً، شاعراً. له مصنفات كثيرة في أصول الفقه وفي الفقه مات رحمه الله سنة ٣٦٥ في شاش وراء نهر سيحون.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٠٠ (٥٧٥)؛ وشذرات الذهب ٣/٥١؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٨٢؛ والعبر في خبر من غبر ٢/٣٣٨؛ والأعلام ٦/٢٧٤.

(١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، أبو نصر من حفاظ الحديث أصله من سجستان، ونسبته إليها على غير قياس. كان متقناً، مكثراً بصيراً بالحديث والسنة، واسع الرحلة، زاهداً، له كتب منها الإبانة عن أصول الديانة في الحديث مات سنة ٤٤٤هـ.
انظر: شذرات الذهب ٣/٢٧١ ـ ٢٧٢؛ والعبر ٣/٢٠٦؛ وتذكرة الحفاظ ٣/٢٩٧؛ وحسن المحاضرة ١/٣٥٣؛ والأعلام ٤/١٩٤.

(٢) وقع في النسخ « (الريحاني) وهو تصحيف صوابه الزنجاني، بالزاي المعجمة والنون والجيم المعجمتين وهو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، شيخ الحرم، كان إماماً حافظاً متعبداً، قدوة عالماً زاهداً نزيل الحرم، وصفه المقدسي «بأنه أعرف من رأى بالحديث». مات سنة ٤٧١هـ عن ٩٠ سنة».
انظر: شذرات الذهب ٣/٣٣٩ (٣٤٠)؛ والبداية والنهاية ١٢/١٢٠.

(٣) إحدى فرق المرجئة، وهم أصحاب محمد بن كرام، قال في اللباب: بفتح أوله، والراء المشددة النسبة إليه كرامي، وقد كان أبوه يحفظ الكرم فقيل له كرام، وقال عنه الذهبي عابد متكلم شيخ الكرامية، وله أتباع، ومريدون وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمانية أعوام، ثم خرج وسار إلى بيت المقدس، ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ ومن مذهب الكرامية أن الإيمان قول اللسان دون اعتقاد القلب، وعمل الجوارح فمن أقر بلسانه فهو مؤمن حقاً، وإن اعتقد بقلبه ما شاء من الشرك، وجحدوا العبادات، وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٨٩؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٢١؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٠٤، ٢٠٥؛ والملل والنحل ١/١٤٥؛ والفرق بين الفرق ص ٢١٦؛ ومجموع الفتاوى ٣/١٠٣؛ والتبصير في الدين للاسفراييني ص ٦٥ ـ ٧٠؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٦٧؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٨٤.

من نظار القدرية، ثم هؤلاء على قولين:

منهم من يقول: يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل كقول: المعتزلة، والحنفية، وأبي[1] الخطاب، وقول هؤلاء مخالف للكتاب والسنة.

ومنهم من يقول: بل[2] لا يعذبون حتى يبعث إليهم رسول كما دل عليه الكتاب والسنة. لكن أفعالهم تكون مذمومة ممقوتة يذمها الله ويبغضها ويوصفون بالكفر الذي يذمه الله ويبغضه، وإن كان لا يعذبهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح كما تقدم: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم. قلت: إذاً يثلغوا[3] رأسي حتى يدعوه خبزة.

قال: «إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فابعث جنداً أبعث مثليهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك»[4].

وقال: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين. وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأَمَرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به

---

(١) في أ (وابن) وصححناه من سائر النسخ ومن الترجمة.

(٢) سقطت (بل) من ك، ط.

(٣) يثلغوا رأسي أي: يشدخوا رأسي. انظر: تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٥٠؛ والقاموس المحيط (فصل الثاء، باب الغين) ٣/١٠٤.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ ـ ٢١٩٨ (٦٣)؛ ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢ (من حديث عياض بن حمار).

سلطاناً»[1].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح[2]: «كل مولود يولد على الفطرة».

وفي رواية: على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون[3] فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه[4] ـ: «اقرءوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها. قيل: يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين[5] وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[6]. ومع

---

(١) هذا قطعة من الحديث السابق الطويل والذي رواه مسلم في كتاب الجنة ٢١٩٧/٤ (٦٣) ورواه أحمد في مسنده ١٦٢/٤ من حديث عياض بن حمار وهذا الجزء في أول الحديث فهو سابق للجزء الذي قبله.

(٢) سقطت (الصحيح) من ط.

(٣) في ط (تحسنون) وهو خطأ.

(٤) سقطت الجملة الدعائية من أ، س وزدناها من ك، ط.

(٥) سقطت جملة (من أطفال المشركين) من أ، ك، ط وزدناها من س ولفظ الحديث هكذا.

(٦) والحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه؟ ٩٧/٢؛ وفي التفسير، تفسير سورة الروم ٢٠/٦ وليس في هذين الموضعين ذكر جملة «أفرأيت من يموت وهو صغير» ولكنها وردت في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ٢١١/٧؛ ورواه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولد يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٢٠٤٧/٤ ـ ٢٠٤٩ رقم ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ ومن حديث ابن عباس برقم ٢٨، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في ذراري المشركين ٨٨/٥ (٤٧١٤)؛ والترمذي في القدر ٤٤٧/٤ (٣١٣٨) وفيه (الملة) بدل (الفطرة)، ومالك في الجنائز ٢٤١/١ (٥٢)، وأحمد في المسند ٢٣٣/٢، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٥، ورواه الحميدي في مسنده بطرق متعددة ٤٧٣/٢ (١١١٣)، (١١١١).

مقت الله لهم، فقد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث[1] إليهم رسولاً. وهذا يدل على إبطال قول من قال أنهم لم يكونوا مسيئين، ولا مرتكبين لقبيح حتى جاء السمع. وقول من قال: أنهم كانوا معذبين بدون السمع إما لقيام الحجة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدرية وإما لمحض المشيئة، كما يقوله المجبرة[2].

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

= ومعنى قوله جمعاء: السليمة سميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها، والجدعاء هي مقطوعة الأذن.
يقول الخطابي في معناه «إن البهيمة أول ما تولد تكون سليمة من الجدع، والخرم، ونحو ذلك من العيوب حتى يحدث فيها أربابها هذه النقائص، كذلك الطفل يولد مفطوراً على خلقته السليمة ولو ترك عليها لسلم من الآفات، إلا أن والديه يزينان له الكفر، ويحملانه عليه».
انظر: معالم السنن للخطابي (هامش سنن أبي داود) ٥/٨٨ (كتاب السنة)، وانظر تفسير غريب الحديث ص ٥٣.

(١) في ط (نبعث).
(٢) سبق الحديث عن القدرية، والجبرية في أول الكتاب.
(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.
(٤) سورة القصص: الآية ٤٧.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[1].

فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولاً، وبين أنهم قبل الرسول كانوا[2] قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب[3] لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة.



(١) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٢) في ك، ط (كانوا قبل الرسول).

(٣) في س، ك، ط (للعذاب).

فصل

أسباب ضلال النَّصارى ومَنْ على شاكلتهم

ومما ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: ألفاظ[1] متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلاً على ذلك. والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين.

والثاني: خوارق ظنوها آيات[2] وهي من أحوال الشياطين، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الأصنام وتكليمها[3] للناس. ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة، ولا بد لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرفات تقع من الشياطين.

والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب[4]. وإلَّا فليس مع النصارى ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لا معقول

(١) في ك (ألفاظاً).
(٢) في ك (الآيات) وفي ط (من الآيات).
(٣) في ك، ط (وتكليمهم).
(٤) جملة: والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب) ساقطة من س.

صريح ولا منقول صحيح، ولا آية من آيات الأنبياء. بل[1] إن تكلموا بمعقول تكلموا بألفاظ متشابهة مجملة. فإذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات، وفُرِّق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه.

وإن تكلموا بمنقول: فإما أن يكون صحيحاً لكن[2] لا يدل على باطلهم.

وإما أن يكون غير صحيح[3] ثابت بل مكذوب.

وكذلك ما يذكرونه[4] من خوارق العادات: إما أن يكون صحيحاً قد ظهر على يد نبي كمعجزات المسيح ومن قبله كإلياس واليسع وغيرهما من الأنبياء، وكمعجزات موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهذه حق.

وإما أن تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين، كالحواريين[5]، و[6]ذلك لا يستلزم أن يكونوا معصومين كالأنبياء، فإن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور أن يقولوا على الله إلَّا الحق، ولا يستقر في كلامهم باطل، لا عمداً ولا خطأً.

وأما الصالحون: فقد يغلط أحدهم ويخطىء مع ظهور الخوارق على يديه، وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً، ولا يوجب أن يكون معصوماً إذا كان هو لم يدَّعِ العصمة، ولم يأت بالآيات دالة على ذلك،

(١) سقطت (بل) من ك، ط.
(٢) سقطت (لكن) من ك، ط.
(٣) سقطت (صحيح) من س، ك، ط.
(٤) في ك (ما يظهرونه).
(٥) في ك (وكالحوائيين).
(٦) سقطت (الواو) من ك.

ولـو ادعى العصمة وليس بنبـي، لكـان[1] كاذبـاً لا بـد أن يـظهـر كـذبـه وتقترن[2] به الشياطين فتضله ويدخل في قوله ـ تعالى ـ :

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

والنصارى عندهم منقول[4] في الأناجيـل أن الذي صلب ودفن في القبـر رآه بعض الحـواريين وغيـرهم بعـد أن دفن، قـام من قبـره رأوه[5] مرتين أو ثلاثاً، وأراهـم موضع المسامير، وقال: لا تظنوا أني شيـطان[6].

---

(١) في س (إذ كان).

(٢) في ك، ط (فتقترن).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) في أ، س (منقولاً).

(٥) سقطت (رأوه) من ك، ط.

(٦) جاءت القصة متكررة في الأناجيل الأربعة بألفاظ مختلفة في:

إنجيل يوحنا: الإصحاح العشرون: الفقرات ١ ــ ١٠.

إنجيل لوقا: الإصحاح الرابع والعشرون: الفقرة ٧.

إنجيل مرقس: الإصحاح السادس عشر: الفقرات ١ ــ ٢٠.

إنجيل متى: الإصحاح الثامن والعشرون: الفقرات ١ ــ ٢٠.

ونصها في إنجيل متى إصحاح ٢٨: من أوله: «وبعـد السبت عند فجـر أول الأسبوع جاءت مريم المجـدلية، ومـريم الأخرى لتنـظرا القبر: وإذا زلزلة عظيمـة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجـاء ودحرج الحجـر عن الباب، وجلس عليـه، وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعـد الحراس، وصـاروا كأمـوات. فـأجاب المـلاك، وقال للمـرأتين: لا تخافـا أنتما. فـإني أعلم أنكما تـطلبان يسـوع المصلوب. ليس هو ها هنا؛ لأنه قام... إلخ.

وقد اختلفت الأناجيل في تفصيل القيام. فمتى ذكر أنه ظهر في الجليـل، ولوقـا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً، ومرقس ذكر أنه ظهـر بين تلاميـذه، وهذا الاختـلاف والتناقض في حـادثـة معينـة دليـل واضـح على اضطراب النصوص عندهم ـ اضطرابـاً يدعـو إلى اليقين الجازم بـأن هذا كـلام بشر يخطئون أكثـر مما يصيبـون، وأنهم نسوا حـظّاً مما ذكـروا به، ولـو كان من عنـد الله =

وهذا إذا كان صحيحاً فذاك شيطان ادعى أنه المسيح، والتبس[1] على أولئك، ومثل هذا قد جرى لخلق عظيم[2] في زماننا، وقبل زماننا، كناس كانوا بـ «تدمر»[3] فرأوا شخصاً عظيماً طائراً في الهواء، وظهر لهم مرات بأنواع من اللباس، وقال لهم: أنا المسيح ابن مريم، وأمرهم بأمور يمتنع أن يأمر بها المسيح ـ عليه السلام ـ، وحضروا إلى عند الناس وبيّنوا لهم[4] أن ذلك هو شيطان أراد أن يضلهم.

وآخرون يأتي أحدهم إلى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم، فتارة يرى القبر قد[5] انشق وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر، وتارة يراه إما راكباً وإما ماشياً داخلاً إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبنية على القبر، وتارة يراه خارجاً من ذلك المكان ويظن أن ذلك هو ذلك الرجل الصالح، وقد يظن أن قوماً استغاثوا به فذهب إليهم، ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته[6]. وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم[7]، وتارة يستغيث

= ـ تعالى ـ لما حصل فيه اختلاف، ولكنه من عند غير الله فوجدنا فيه اختلافاً كثيراً والحمد لله الذي حفظ لنا كتابنا وجعله المصدق والمهيمن وجعل نبينا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ورسول رب العالمين إلى الناس أجمعين.

(١) في ك (والبس).

(٢) في ك، ط (كثير).

(٣) تدمر: بفتح التاء، ثم السكون وضم الميم. مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام، وهي قريبة من حمص، من عجائب الأبنية: وهي إحدى مدن سوريا اليوم.
انظر: معجم البلدان ٢/١٧؛ مراصد الاطلاع ١/٢٥٤.

(٤) سقطت (لهم) من ك، ط.

(٥) سقطت (قد) من ط.

(٦) في س، ك (بصورة).

(٧) في س (عرفهم).

أقوام بشخص يحسنون به الظن إما ميت وإما[1] غائب، فيرونه بعيونهم قد جاء، وقد يكلمهم وقد يقضي بعض حاجاتهم[2] فيظنونه ذلك الشخص الميت، وإنما هو شيطان زعم أنه هو، وليس هو إياه، وكثيراً ما يأتي الشخص بعد الموت في صورة الميت، فيحدثهم ويقضي ديوناً، ويرد ودائع ويخبرهم عن الموتى، ويظنون أنه هو الميت نفسه قد جاء إليهم، وإنما هو شيطان تصور بصورته.

وهذا كثير جداً لا سيما في بلاد الشرك، كبلاد الهند ونحوها، * ومن هؤلاء من تراه أنت تحت سريره آخذ بيد ابنه في الجنازة، ومنهم من يقول: إذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني فأنا آتي من هذه الناحية أغسل نفسي، فيأتي بعد الموت شخص في الهواء على صورته يغسله هو والذي أوصاه، ويظن ذلك أنه جاء، وإنما هو شيطان تصور بصورته *[3]، وتارة يرى أحدهم شخصاً إما طائراً في الهواء وإما عظيم الخلقة، وإما أن يخبره بأشياء غائبة ونحو ذلك، ويقول له: أنا الخضر[4]، ويكون ذلك شيطاناً كذب على ذلك الشخص، وقد يكون

---

(١) سقطت (إما) من ط.

(٢) في ط (حوائجهم).

(٣) من قوله: (ومن هؤلاء من تراه ـ إلى قوله تصور بصورته)، ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٤) اختلف في اسمه، ونسبه، وزمانه، ونبوته، وموته على أقوال ذكرها العلماء: فقيل: اسمه الخضر بن قابيل بن آدم، وقيل: إيليا بن ملكان... إلى نوح ـ عليه السلام ـ وقيل غير ذلك. وأما زمانه فقد كان متقدماً على زمان موسى حتى أدركه موسى ـ عليه السلام ـ وأما نبوته فقد رجح الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بادلة كثيرة أنه كان نبياً، وذلك بما ورد في سورة الكهف، فيما قصه الله من خبره من أعمال تدل على أنها وحي من الله وليست من أمره كما قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. قال ابن كثير: وأما القول بأنه من الملائكة فذلك قول غريب =

الرائي من أهل الدين والزهد والعبادة، وقد جرى هذا لغير واحـد، وتارة يرى عند قبر نبـي أو غيره، أن الميت قد خرج إما من حجرتـه، وإما من قبره وعانق ذلك الزائر وسلم عليه، ويكون شيطاناً تصور بصورته، وتـارة يجيء من يجيء إلى عنـد قبـر ذلـك الشخص فيستـأذنـه في أشيـاء: ويسـأله[1] عن أمـور فيخاطبـه شخص يراه أو يسمـع صوتـاً، ولا يرى[2]

= جداً، ثم قال: وإذا ثبتت نبـوته لم يبقَ لمن قـال بولايتـه، وأن الولي قـد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الـظاهر مستنـد يستندون إليـه، ولا معتمد يعتمـدون عليه.

أما حياته: فقد رجح الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ بادلة عظيمة أنه ليس حياً: منها قـوله: «والمعلوم أن الخضـر لم ينقل بسنـد صحيح ولا حسن تسكن النفس إليـه أنه اجتمع برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في يوم واحد، ولم يشهـد معه قتـالاً في مشهد من المشاهـد. وهذا يـوم بدر. . . كـان مع الـرسول سـادة المسلمين، وسادة الملائكة حتى جبريل، فلو كان حياً لكـان وقوفـه تحت هذه الـراية أشـرف مقامـاته، وأعـظم غزواتـه. . . ثم لو كـان باقيـاً لكان تبليغـه عن رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وإنكاره للأحـاديث المكذوبـة، والآراء البدعية، وقتاله مع المسلمين، وشهوده جمعهم وجمـاعتهم. . . أفضل مـا يقال عنـه من كنـونـه في الأمصـار، وجـوبـه الفيـافي والأقـطار. . .». وقـال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حيـاته حـديث واحد». وقـد علق شيخنا أبـو غدة ــ حفـظه الله ــ في المنـار المنيف لابن القيم على هـذا، وذكر كـلاماً مفيـداً وجملاً سـديدة. بيَّن فيهـا التصـانيف التي صنفت في موت الخضر وفي حياته، وذكر أنها مسـألة شغلت اهتمـام العلماء قـديماً وحـديثاً، فـألفوا فيهـا تآليف مستقلة أو تـوسعوا في بيـانها في كتبهم نـظراً لاستفحال الخلاف فيها».

انـظر: البدايـة والنهايـة لابن كثير ١/٣٢٥ ــ ٣٣٦؛ وتفسيـره ٣/٩٦؛ وفتح البـاري ٦/٣٠٩ ــ ٣١٢؛ والإصـابـة ١/٤٢٨ ــ ٤٤٨؛ والمنـار الـمنيف ص ٦٧ ــ ٧٦ لابن القيم، وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عليه ص ٦٩؛ وفتح القديـر للشوكـاني ٣/٢٩٧؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/١٨، ١٠٠، ١/٢٤٩.

(١) في ك، ط (يسأله). (٢) في ك، ط (أو يرى).

شخصاً، ويكون ذلك شيطاناً أضله.

وقد يرى أشخاصاً في اليقظة، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون: هذا فلان النبي، إما إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد، وهذا فلان الصديق إما أبو[1] بكر وإما عمر[2]، وإما بعض الحواريين. وهذا فلان لبعض من يعتقد فيه الصلاح إما جرجس[3]، أو[4] غيره ممن تعظمه النصارى. وإما بعض شيوخ المسلمين[5]، ويكون ذلك شيطاناً ادعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ، أو الصديق، أو القديس.

ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين والنصارى، وكثير من المسلمين، ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن، ويقول: أنا الشيخ فلان، ويكون شيطاناً. وأعرف من هذا شيئاً كثيراً وأعرف غير واحد ممن يستغيث ببعض الشيوخ الغائبين، و[6]الموتى، يراه قد أتاه في اليقظة وأعانه.

وقد جرى مثل هذا لي ولغيري ممن أعرفه، ذكر غير واحد أنه

---

(١) في ط (أما أبا).

(٢) سقطت (وإما عمر) من ط.

(٣) جرجس: قال ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٢٤: «كان فيما ذكر عبداً لله، صالحاً من أهل فلسطين، ممن أدرك بقايا من حواري عيسى ـ عليه السلام ـ وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس، ويعود بالفضل على أهل المسكنة، ثم ذكر قصته مع ملك الموصل في زمانه حين وعظه، ونصحه من عبادة الأوثان. فعاقبه على ذلك بالسجن، والتعذيب.

له في تاريخ الأمم والملوك ترجمة طويلة ٢/٢٤ ـ ٣٦. ولم أقف له على ترجمة في غير هذا الموضع فيما اطلعت عليه من كتب التراجم.

(٤) في ك، ط (وأما غيره).

(٥) جاءت الجملة في أ (وأما بعض المتكلمين) وصححناها من سائر النسخ.

(٦) سقطت (الواو) من ط.

استغاث بـي من بلاد بعيدة، وأنه رآني قد جئته. ومنهم من قال: رأيتك راكباً بلباسك[١] وصورتك، ومنهم من قال: رأيتك على جبل، ومنهم[٢] من قال: غير ذلـك فأخبـرتهم أني لم أغثهم، وإنما ذلـك شيطان تصـور بصورتي ليضلهم لما أشركوا بالله، ودعوا غير الله[٣].

وكذلك غير واحد ممن أعـرفه من أصحـابنا استغـاث به بعض من يحسن بـه الظن، فـرآه قد جـاءه وقضى حـاجتـه، قـال صـاحبـي: وأنـا لا أعلم بـذلك، ومن هؤلاء الشيـوخ[٤] من يقول[٥]: إنـه يسمـع صـوت ذلـك الشخص المستغيث به ويجيبـه، وتكون الشيـاطين أسمعته صـوتـاً يشبه صوت الشيخ[٦] * المستغيث به، فـأجابـه الشيخ بصـوته فـأسمعت المستغيث صوتاً يشبه صوت الشيخ، فيظن أنه صوت الشيخ *[٧].

وهـذا جرى لمن أعـرفه وأخبـر[٨] بذلـك عن نفسـه، وقـال: بقي

---

(١) في س، ك، ط (بثيابك).

(٢) سقطت (منهم) من س.

(٣) انظر: الكتاب القيم (تلبيس إبليس) لابن الجـوزي ص ٣٧٧ ـ ٣٨٧، فقد ذكـر فيه حكـايات كثيـرة في تلبيس إبليس على الجهال ولعبـه بعقولهم، عن طـريق الحيـل، والأوهام، والمخاريق، التي يظنون أنهـا كرامـات، وإنما هي ضـلالات وخرافـات، زينهـا لهم ليحتنكهم بها، وسُلطان إبليس قَـويٌّ على مَنْ قـلَّ علمـه وضعف إيمـانـه ويقينـه. أما عبـاد الله المخلصون فـلا سلطان له عليهم كمـا ورد في سورة الحجـر: الآيـات ٣٩ ـ ٤٣: ﴿قَـالَ رَبِّ بِمَـا أَغْـوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين. قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِين. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِيْنَ﴾.

(٤) في س (من الشيوخ).

(٥) في أ، س (يقال) وصححناه من ك، ط.

(٦) سقطت (الشيخ) من س، ك، ط.

(٧) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٨) في ك، ط (فأخبر).

الجني الذي يحدثني يبلغني مثل صوت المستغيثين بي، ويبلغهم مثل[1] صوتي، ويريني في شيء أبيض نظير ما أسأل[2] عنه، فأخبر به الناس أني رأيته، وأنه سيأتي، ولا أكون قد رأيته، وإنما رأيت شبيهه[3].

وهكذا تفعل الجن بمن يعزم عليهم ويقسم عليهم.

وكذلك ما رآه قسطنطين من الصليب الذي رآه من نجوم، والصليب الذي رآه مرة أخرى[4] هو مما[5] مثله الشياطين، وأراهم[6] ذلك ليضلهم به، كما فعلت الشياطين ما هو أعظم من ذلك بعباد[7] الأوثان.

---

(١) في أ (من) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) في س (أرسل).

(٣) في س، ط (شبهه).

(٤) يقول يوسابيوس القيصري في كتابه (حياة قسطنطين) ترجمة القمص مرقس داود ـ نشر مكتبة المحبة بمصر سنة ١٩٧٥:

«... إنه حوالي الظهر رأى بعينيه صليباً من نور في السماء، فوق الشمس يحمل هذه الكتابة «اغلب بهذا»».

قال: «... وبينما هو يتأمل ويفكر في فحواها أقبل الليل فجأة، ثم ظهر له في نومه مسيح الله بنفس العلامة التي رآها في السماء، وأمره بأن يصنع مثالاً لهذه العلامة التي رآها في السماء، وأن يستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه».

انظر: الكتاب المذكور ص ٢٤. وفيه حديث واسع عن قسطنطين وأمه هيلانة...

قلت: وهذه خرافات واضحة البطلان لا تحتاج في ردها إلى برهان؛ إذ هي ساقطة من نفسها وهي من جملة الأساطير التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ، وقسطنطين من الرومان الوثنيين الذين وجدوا في النصرانية فرصة ليحرفوا ويبدلوا حسبما تمليه عليهم أهواؤهم ليحولوا النصرانية إلى وثنية تامة، وهو ما يسير عليه نصارى اليوم حتى في حروبهم يرفعون الصليب وذلك من باب الوقاية كما أملته عليهم شياطينهم نعوذ بالله من الزيغ والضلال.

(٥) في ك، ط (وهو ما).

(٦) في س(وأوثهم) وهو تصحيف.

(٧) في س، ك، ط (العباد).

وكذلك من ذكر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور كما يذكر عن بولس فإنه إذا كان صادقاً كان ذلك الذي رآه في اليقظة[1] وقال: إنه المسيح، شيطاناً[2] من الشياطين، كما جرى * مثل ذلك *[3] لغير واحد.

والشيطان[4] إنما يضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلى ما يستجيب[5] لهم[6] فيه بحسب اعتقادهم.

ولهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس في صورة جرجس، أو بصورة من يستغيث به[7] النصارى من أكابر دينهم، إما بعض البطاركة، وإما بعض المطارنة وإما بعض الرهبان. ويتمثل لمن يستغيث به[8] من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ في صورة ذلك الشيخ، كما تمثل[9] لجماعة ممن أعرفهم في صورتي، وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا في[10] ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة

(١) سقطت جملة (وخاطبه بأمور ـ إلى قوله: وقال أنه المسيح) من ك، ط.
(٢) في ط (إنما هو شيطان).
(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.
(٤) في أ والشياطين.
(٥) في ط (يستجب).
(٦) في ك (له).
(٧) في ك، ط (به من).
(٨) مكان (به) بياض في أ، وسقطت من س وزدناها من ك، ط.
(٩) في ك، ط (يتمثل).
(١٠) في س (لي).

بعض الموتى: تارة يقول: أنا الشيخ عبد القادر[1] وتارة يقول: أنا الشيخ[2] أبو الحجاج الأقصري[3]، وتارة يقول: أنا الشيخ عدي[4]، وتارة يقول: أنا أحمد بن الرفاعي[5]، وتارة يقول: أنا أبو مدين

---

(١) عبد القادر بن موسى الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي نسبة إلى جيلان وراء طبرستان، ويقال لها جيل. ولد سنة ٤٧١هـ، انتقل إلى بغداد، واتصل بشيوخ العلم، والتصوف، وتفقه في مذهب أحمد على يد ابن عقيل، وأبي الخطاب، وسمع الحديث من جماعة، وتصدر للوعظ والتدريس، وأسس الطريقة القادرية من طرق الصوفية. مات سنة ٥٦١هـ.
انظر: شذرات الذهب ٤/١٩٨ ـ ٢٠٢؛ والعبر ٤/١٧٥؛ والنجوم الزاهرة ٥/٣٧١؛ والأعلام ٤/٤٧.

(٢) سقطت كلمة (الشيخ) من أ، س. وألحقناها من ك، ط.

(٣) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم القرشي الأقصري. نسبة إلى الأقصر من صعيد مصر، من كبار الصوفية في عصره، له أتباع ومريدون. ذكروا لأتباعه حكايات تدل على غلوهم فيه، وهي من حيل الشيطان ومخاريقه. مات سنة ٦٤٢هـ.
انظر ترجمته في: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفوني ص ٧٢٢ ـ ٧٢٤ ترجمة رقم (٥٧٤)؛ والأعلام ٨/٢٣٨.

(٤) عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري نسبة إلى جبة الهكارية من أعمال الموصل، ولد سنة ٤٦٧هـ. ولد في بيت قار من أعمال بعلبك، وجاور بالمدينة، وهو من شيوخ الصوفية، وتنسب إليه طائفة العدوية، كان زاهداً، عابداً، أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى، لكن أتباعه خرجوا عن الصواب، وغلوا فيه ومن أقوالهم فيه أنه إذا ذكر على موج البحر سكن، وعلى الأسد وقف. نعوذ بالله من الزيغ والضلال. مات سنة ٥٧٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٥٤ (٤١٥)؛ وشذرات الذهب ٤/١٧٧؛ والعبر ٤/١٦٣؛ والأعلام ٤/٢٢١.

(٥) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس. شيخ الطريقة الرفاعية، ولد سنة ٥١٢هـ. بقرية حسن من أعمال واسط، كان شافعي المذهب. وسكن البطائح، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، والطائفة الرفاعية، والبطائحية منسوبة إليه. قال الذهبي: كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار =

المغربي[1]، وإذا كان يقول: أنا المسيح، أو إبراهيم، أو محمد: فغيرهم بطريق الأولى، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي». وفي رواية «في صورة الأنبياء»[2].

فرؤيا الأنبياء في المنام حق. وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته.

وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ، وبعضهم[3] يقول: هي رفيقه[4]، وكثير من هؤلاء يرى[5] يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة

= العراق... مات سنة ٥٧٨هـ.
انظر: وفيات الأعيان ١/١٧١ (٧٠)؛ والعبر ٤/٢٣٣؛ ومرآة الجنان ٣/٤٠٩؛ ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١/٣٧٠؛ والأعلام ١/١٦٩.

(١) أبو مدين المغربي: لم أقف له على ترجمة، وذلك بعد البحث الطويل في كتب التراجم والفرق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من حديث أبي هريرة ١/٣٥، ٣٦؛ وفي التعبير ٨/٧١، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني» ٤/١٧٧٥ (١٠)، (١١)؛ وأبو داود في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا ٥/٢٨٥ (٥٠٢٣)؛ وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب رؤية النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في المنام ٢/١٢٨٤ (٣٩٠١)؛ وأحمد في المسند ٢/٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥.
ورواه الترمذي من حديث ابن عمر بلفظ مقارب في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من رآني في المنام فقد رآني ٤/٥٣٥ (٢٢٧٦)، وقال: حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي قتادة، وابن عباس.

(٣) في ك، ط (وبعض الناس).

(٤) في أ، س (رفيقته). والمقصود قرينه، ورفيقه من الشياطين.

(٥) في ك، ط (من) بدل (يرى).

مثل صورته، وكثير من هؤلاء، ومن هؤلاء من يقول يرى في مكانين[1]، ويرى واقفاً بعرفات. وهو في بلده لم يذهب، فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين.

فإن العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين.

والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه، ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرة.

وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دل عليه العقل[2] الصريح.

لكن ذلك المرئي، كان جنياً تمثل بصورة[3] الإنسان.

والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها وإلاَّ وقع فيها غلط كبير.

وهذا القسم المشهود في الخارج غير ما يتخيله الإنسان في نفسه، فإن هذا يعرفه جميع الناس، ويصوبه[4] جميع العقلاء، يتخيلون[5] أشياء في أنفسهم، كما يتخيله النائم في منامه، وتكون تلك الصورة موجودة في الخيال لا في الخارج.

---

(١) في س (من في مكانين) وفي ك، ط (يرى في مكانين).
(٢) سقط لفظ (العقل) من أ، ك، ط، وألحقناه من س.
(٣) في ك، ط (في صورة).
(٤) في س (وتقربه) وفي ك، ط (ويعرفه).
(٥) في ط (ويتخيلون).

والفلاسفة وسائر[1] العقلاء يعترفون بهذا، لكن كثير[2] من الفلاسفة يظن أن ما رأته الأنبياء[3] من الملائكة، وما سمعته من الكلام كان من هذا النوع، ويظنون أن ما يرى من الجن هو من هذا النوع، وهؤلاء جهال غالطون في هذا، كما جهلوا وغلطوا في ظنهم أن خوارق العادات سببها قوى نفسانية، أو طبيعية، أو قوى فلكية، وأن الفرق بين النبي والساحر، إنما هو حسن قصد هذا، وفساد قصد[4] الآخر، وإلاَّ فكلاهما خوارق[5] سببها قوى نفسانية أو فلكية، وهذا النفي باطل، كما قد بسطنا الكلام عليه، وبيَّنّا جهل هؤلاء وضلالهم في غير[6] هذا الموضع[7].

والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالأخبار الصادقة المتواترة، وجود ذلك في الخارج يعلمون أن هؤلاء جاهلون ضالون، ويعلمون أن الملائكة تظهر في صورة البشر، كما ظهرت لإبراهيم،

---

(١) في ك، ط (وجميع).

(٢) في ط (كثيراً).

(٣) في س (أنبياء).

(٤) في ك، ط (وفساد قصد ظن الآخر).

(٥) في جميع النسخ عدا ط (خوارقة).

(٦) في ط (في غير ذلك هذا).

(٧) ألف شيخ الإسلام في هذا الموضوع كتاب النبوات ويقع في قرابة ثلاثمائة صفحة، مطبوع بدون تحقيق، ويظهر أنه ليس كاملاً. وقد تناول فيه الشيخ ـ رحمه الله ـ هذه المسألة بالتفصيل، وناقش الفلاسفة مناقشة علمية في عدم تفريقهم بين النبي والساحر إلاَّ من حيث كون النبي يأمر بالخير، والساحر يأمر بالشر، وقد سبق هذا بحديث عن آيات الأنبياء، وما تتميز به خوارقهم عن غيرهم، ثم وضَّح الفرق بين النبي والكاهن ثم ناقش الفلاسفة بعد ذلك في ص ٢١٠ من الكتاب.
وانظر كتابه: الرد على المنطقيين ص ٤٤١ فما بعدها كلام جيد في الفرق بين السحر والمعجزة.

ولوط، ومريم، في صورة البشر، وكما كان جبريل يظهر للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تارة في صورة دحية الكلبي، وتارة في صورة أعرابي، ويراه كثير من الناس عياناً، وما في خيال الإنسان لا يراه غيره[1]، وكذلك كما[2] ظهر إبليس[3] للمشركين في صورة الشيخ النجدي[4](*)، وظهر لهم يوم بدر[5] في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[6]؛ فلما رأى الملائكة هرب.

---

(١) سقطت (غيره)؛ من ك.

(٢) في ك، ط (لما)، وفي س (وكذلك الشياطين كما).

(٣) في ك، ط (الشيطان).

(٤) في ك، ط زيادة (وغيره).

(*) ظهر في صورة الشيخ النجدي عندما اجتمع كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما أدلوا بآرائهم صوَّب رأي أبي جهل الذي يقضي بقتل الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أيدي شباب من كل قبيلة شاب، حتى يتفرق دمه في القبائل فلا يعطون إلَّا الدية.
انظر القصة بكاملها في سيرة ابن هشام ٢/٨٩ ـ ٩١ عن ابن إسحاق ـ وذكر السند وتمام القصة. لكن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم من أصحابنا وساق السند عن ابن عباس، وقد ذكر السيوطي ـ رحمه الله ـ القصة كاملة في لباب النقول ص ١٠٨، وعزاها إلى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس. وذلك في آية الأنفال: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾ الآية ٣٠.
وقال ابن كثير بعد أن ساق القصة كاملة عن ابن إسحاق: «وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة، وابن عباس، وعلي، وسراقة بن مالك، وغيرهم. دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم».
انظر: البداية والنهاية ٣/١٧٦. وساق ابن جرير في تفسيره القصة كاملة.
انظر: ٩/١٤٩ (مجلد ٥).

(٥) سيأتي تخريجها قريباً.

(٦) سراقة بن مالك بن جعشم بن مدلج الكناني المدلجي، أبو سفيان، قال ابن حجر: روى البخاري قصته في إدراكه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما هاجر إلى المدينة، ودعا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عليه حتى ساخت رجلا فرسه ثم إنه =

قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] .

ورُوي عن ابن عباس وغيره، قال: تبدَّى إبليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم. وأقبل جبريل ــ عليه السلام ــ على إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع[2] إبليس يده وولى مدبراً هو وشيعته[3]، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب[4].

= طلب منه الخلاص، وأن لا يدل عليه ففعل. وكتب له أماناً، وأسلم يوم الفتح، وفي قصته مع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول مخاطباً أبا جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

له ١٩ حديثاً، وكان في الجاهلية قائفاً. ومات سنة ٢٤هـ .
انظر: الإصابة ٢/١٨ ــ ١٩ (٣١١٥)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٢/١١٨ ــ ١٢٠؛ والأعلام ٣/٨٠. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/٢١٥.

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.
(٢) في ك، ط (نزع).
(٣) في س، ك، ط (وشعبه).
(٤) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس وذكره كاملاً. ثم رواه من طرق متعددة بألفاظ مختلفة فأخرجه من طريق ابن إسحاق كما سبق ذكره، وذكره بسنده عن قتادة، وعن ابن عباس من طريق أخرى. وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي. وكلهم رواه عن ابن عباس وساق ابن كثير لهذه القصة عدة أسانيد، وذكرها ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق =

قال ابن عباس: وذلك لما رأى الملائكة، قال الضحاك: سار الشيطان معهم برايته وجنوده وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم[1] تقاتلون على دينكم ودين آبائكم[2].

وكثير من الناس تحمله الجن إلى مكان بعيد، فتحمل[3] كثيراً من الناس إلى عرفات وغير عرفات، وإذا رأى واحد من هؤلاء في غير بلده يكون تارة محمولاً، قد[4] حملته الجن، وتارة تصورت[5] على صورته،

= والأثر، عن ابن عباس صحيح، لأنه ورد من صحيفة علي بن أبي طلحة التي وثقها العلماء، وقد جاء في ميزان الاعتدال للذهبي ١٣٤/٣ علي بن أبي طلحة بن سالم المخارقي الهاشمي ولاء، وهو يرسل الأثر إلى ابن عباس، حيث يسقط الواسطة بينه وبينه.

قلت: ذكر بعض العلماء أنه يأخذ عن ثقتين وهما مجاهد، وعكرمة، وهو في نفسه صدوق. انظر: الناسخ والمنسوخ للسخاوي ص١٣، وانظر في ترجمته: تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري ١٤/١٠ (مجلد ٦)؛ وسيرة ابن هشام ١٨٦/٢؛ تفسير ابن كثير ٣١٧/٢؛ والدر المنثور للسيوطي ١٩٠/٣؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٣٥٤/٢؛ وآكام المرجان في أحكام الجان للشبلي ص ٢٩٠؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٩/٣.

(١) في أ (وإنكم) وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأولى.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ـ باللفظ الذي ذكره المؤلف ـ بسنده عن الحسن، وأخرجه بسنده عن ابن عباس، وعن السدي، وعن عروة بن الزبير، وعن ابن إسحاق، وعن قتادة، وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز، وعن محمد بن كعب.

انظر: تفسير ابن جرير ٧/١٥ ـ ١٢ (تحقيق محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر)؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١٧٥/٣، ٢٨٣.

ولم أقف عليه بتفسير الضحاك بعد بحث طويل في مظانه من كتب التفسير بالمأثور لابن جرير، وابن أبي حاتم، والسيوطي، وغيرها، والله أعلم.

(٣) في ط (فتنقل).

(٤) في ك، ط (تارة قد).

(٥) في ك، ط (قد تصورت).

ولا يكون هذا من أولياء الله المتقين الذين لهم كرامات، بل قد [1] يكون من الكافرين، أو الفاسقين، وأعرف من ذلك قضايا[2] كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها[3].

وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير[4] يظنونه من جنس الآيات التي للأنبياء.

إنما هي من جنس ما للسحرة والكهان، ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان. ويفرق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الصالحين، وبين خوارق السحرة والكُهّان، ومن تقترن[5] بهم الشياطين. وإلاَّ التبس عليه الحق بالباطل، فأما أن يكذب بالحق الذي جاء به الأنبياء الصادقون، وأما أن يصدق بالباطل الذي يقوله الكاذبون[6] والغالطون.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، والمقصود هنا التنبيه على هذا الأصل وعلماء النصارى يسلمون هذا وعندهم من ذلك أخبار كثيرة من حكايات أولياء الشيطان الذين عارضهم أولياء الرحمن، وأبطلوا[7] أحوالهم كما أبطل موسى ـ صلوات الله عليه ـ[8] ما عارضته[9] به

---

(١) سقطت (قد) من س.

(٢) في ك، ط (قصصاً).

(٣) في ك، ط (ليس تفصيلها في هذا الموضع).

(٤) في أ (كثيراً) وصححناه من سائر النسخ.

(٥) في ك، ط (يقترن) بالمثناة التحتية.

(٦) في ك، ط (الكافرون).

(٧) في أ، س (وبطلوا) وصوبناه من ك، ط.

(٨) سقطت الجملة الدعائية من ك، ط.

(٩) في س، ك، ط (ما عارضه).

السحرة من الخوارق، كما ذكر ذلك[1] في التوراة[2]، وكما يذكرونه عن فلان وفلان، مثل حكاية سيمون الساحر[3] مع الحواريين وغير ذلك وإذا[4] كان هذا معلوماً كان ما يذكرونه من هذا الجنس، إذا كان مخالفاً لما ثبت عن الأنبياء من الشيطان، فلا يجوز أن يحتج به[5] على ما يخالف شرائع الأنبياء الثابتة عنهم، بل هؤلاء من جنس الدجال الكبير الذي أنذرت به الأنبياء كلهم حتى نوح أنذر[6] قومه. وقال خاتم الرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما من نبي إلا قد أنذر أمته حتى نوح أنذر

---

(١) سقطت (ذلك) من ك، ط.

(٢) وردت قصة انتصاره على السحرة في التوراة: سفر الخروج، الإصحاح الرابع فقرة ١ ـ ٩ حين ألقى العصا فانقلبت بأمر الله حية، وأدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج، وأخذ من ماء النهر ماء ثم وضعه على اليابسة ليكون دماً.
أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه في مواضع متعددة منها سورة طه من آية ٦٠ ـ ٧٣؛ وسورة الشعراء من ٣٦ ـ ٥١، وغيرهما.

(٣) جاءت حكاية سيمون الساحر في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثامن فقرة ٩ ـ ٢٤.
انظر: الإنجيل (كتاب الحياة ـ ترجمة تفسيرية) ص ١٦٨ (ط دار العلم العربي ـ القاهرة ١٩٨٣؛ وانظره في الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص ٢٠٣، ط دار حلمي، وسيمون: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه «كان يدهش شعب السامرة بسحره فكانوا يقولون أن سحره شيء عظيم... ثم ذكر أنه آمن عندما التقى بالمبشر فيلبس، ولم ينشأ إيمانه عن توبة...، وهم يطلقون اسم السيمونية على كل من يتاجر في الوظائف الكنسية، وقد كان له أتباع اسمهم السيمونيون اعتبروا سيمون مسيحهم وفاديهم...».
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧، تأليف نخبة من أساتذة اللاهوت ط ٢ عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

(٤) في ك، ط (فإذا).

(٥) سقطت (به) من ك، ط.

(٦) في أ، س، ك (أنذره)، وهو خطأ واضح وصححناه من ط ومن نص الحديث.

قومه وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء». وقال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[1].

وقد أخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل مسيح الضلالة[2]، وهذا هو الذي تنتظره اليهود ويجحدون المسيح عيسى بن مريم، ويقولون: هذا هو الذي بشرت به الأنبياء، «ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً مطيلسين»[3]، «ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ في كتاب التوحيد، باب قول الله ـ تعالى ـ ولتصنع على عيني ١٧٢/٨، وفي كتاب الفتن ١٠٣/٨، باب ذكر الدجال (وليس فيه عبارة: وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته)، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عمر في الفتن، باب ذكر الدجال ١٠٢/٨، وليس فيه: (مكتوب بين عينيه كافر). وكل روايات البخاري ليس فيها جملة: (حتى نوح أنذر قومه)، ورواه مسلم في الفتن، باب ذكر ابن صياد ٢٢٤٥/٤ (٩٥) بلفظ مقارب لما ذكره المؤلف؛ ورواه من حديث أنس في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٤٨/٤ (١٠١)؛ وروى حديث ابن عمر أبو داود في كتاب السنة، باب في الدجال ١١٨/٥ (٤٧٥٧)؛ والترمذي في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال ٥٠٨/٤ (٢٢٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في مسند ابن عمر ١٥٣/٢؛ وفي مسند أنس ١٠٣/٣؛ وفي مسند أبي عبيدة بن الجراح ١٩٥/١ بألفاظ مختلفة.

وورد في حديث طويل رواه أبو أمامة الباهلي في سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ١٣٦٠/٢ قوله: «وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب... إلخ. أوصافه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

اقتله»[1]. وكل هذا ثابت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. ولهذا أمر أمته أن يستعيذوا بالله من فتنته، فقال: «إذا قعد أحدكم في التشهد في الصلاة فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[2].

والأنبياء كلهم أنذروا بالكذابين الذين يتشبهون بالأنبياء، لكن من الناس من يتعمد الكذب، وكثير منهم لا يتعمد، بل يلتبس عليه فيغلط فيخبر بما يظنه حقاً، ولا يكون كذلك، ويرى في اليقظة[3] ما يظنه فلاناً الولي أو النبي، أو الخضر، ولا يكون كذلك.

والغلط جائز على كل أحد إلَّا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فإنهم معصومون، لا يقرون على خطأ، فمن لم يزن علومه وأعماله وأقواله وأفعاله بالمعلوم[4] عن الأنبياء، وإلَّا كان ضالاً، فنسأل[5] الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٤١٢/١، حديث رقم (١٢٨)، وحديث رقم (١٣٠)، (١٣١)، (١٣٢)، (١٣٣). بألفاظ متقاربة؛ ورواه النسائي في كتاب السهو، باب التعوذ في الصلاة ٥٨/٣؛ وأحمد في المسند ٤٧٧/٢. وفيه قدم الرابعة على الثالثة.

(٣) جملة (ويرى في اليقظة... إلى ولا يكون كذلك) ساقطة من ك.

(٤) في ك (العلوم).

(٥) في ك، ط (نسأل).

والمسلمون[1] وأهل الكتاب متفقون على إثبات مسيحين: مسيح هدى من ولد داود، ومسيح ضلال. يقول أهل الكتاب: إنه من ولد يوسف[2]. ومتفقون على أن مسيح الهدى سوف يأتي كما يأتي مسيح الضلالة، لكن المسلمون والنصارى يقولون[3]: مسيح الهدى هو عيسى بن مريم، وإن الله أرسله ثم يأتي مرة ثانية، لكن المسلمون يقولون: إنه ينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا يبقى دين[4] إلَّا دين الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب: اليهود، والنصارى.

---

(١) من هذه الكلمة (والمسلمون وأهل الكتاب إلى نهاية الفصل)، جاء متأخراً في نسخة ك، ط حيث ورد في ورقة ١٨٤ في نسخة ك، السطر الرابع عشر، وفي نسخة ط ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، (ط : المدني).

(٢) المسلمون يؤمنون بمجيء المسيح الدجال، الذي وردت أوصافه كما سبق أن ساق المؤلف طرفاً منها، أما تحديد اسمه ونسبه فلم يرد به السمع، ولسنا ملزمين بشيء لم يرد به السمع.
أما أهل الكتاب فيزعمون أنه من ولد يوسف، ونحن نطالبهم بالدليل الصحيح وليس معهم في ذلك شيء.

(٣) يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، هو عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله وابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود؛ فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل».
انظر: هداية الحيارى، بتحقيق د. أحمد السقا ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤) في ط (ولا يبقى ديناً).

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ . . . ﴾[1] .

والقول الصحيح الذي عليه الجمهور قبل موت المسيح، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا . . . ﴾[2] .

وأما النصارى فتظن[3] أنه الله، وأنه يأتي يوم القيامة لحساب الخلائق وجزائهم، وهذا مما ضلوا فيه. واليهود تعترف بمجيء مسيح هدى يأتي، لكن يزعمون أن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يكن مسيح هدى، لظنهم[4] أنه جاء بدين النصارى المبدل، ومن جاء به فهو كاذب، وهم ينتظرون[5] المسيحين.

● ● ●

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٣) في ط (فيظنون) وفي ك (فيظن).

(٤) في س، ك، ط (لزعمهم).

(٥) في ك (ينظرون).

فـصـل[1]

الخوارق التي يُضِلّ بها الشياطين أبناء آدم

والخوارق التي تضل[2] بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت ونحو ذلك، ضل بها خلق[3] كثير من الناس من المنتسبين إلى المسلمين، أو إلى أهل الكتاب وغيرهم، وهم بنوا ذلك على مقدمتين:

إحداهما[4]: أن من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله. وبلغة النصارى هو قديس عظيم.

الثانية[5]: أن من يكون كذلك فهو معصوم فكل[6] ما يخبر به فهو[7] حق وكل ما يأمر به فهو عدل، وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق، لا رحمانية ولا شيطانية، ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور. وحيل أهل الكذب والفجور كثيرة جداً، فيظن أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة، ولا يكون كذلك مثل الحيل المذكورة عن الرهبان.

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.
(٢) في ك، ط (يضل) بالمثناة التحتية.
(٣) سقطت (خلق) من ك، ط.
(٤) في ك، ط (أحدهما).
(٥) في جميع النسخ (الثاني).
(٦) في ك ط (وكل).
(٧) سقطت (فهو) من ط.

وقد صنَّف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان، مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتاً بأن يكون الزيت في جوف منارة، فإذا نقص صب فيها ماء ، فيطفو الزيت على الماء، فيظن الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتاً.

ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فأراه النخلة صعدت شيئاً شيئاً[1] حتى حاذت الدير، فأخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتى تصعد السفينة * وإذا صرف الماء إلى موضع آخر هبطت السفينة *[2].

ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة، يضعون[3] كحلاً في ماء متحرك حركة لطيفة، فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن أنه دموع.

ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها القونة[4]

---

(١) سقطت (شيئاً) الثانية من ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في ط (وهو أنهم يضعون) وفي ك (ويضعون).

(٤) هكذا في جميع النسخ (القونة) ولعل المراد بها (الأيقونة) وهذا ما أفهمه من السياق، والأيقونة كلمة يونانية أو قبطية الأصل ويقصد بها صورة دينية، وهي تشمل صور السيد المسيح، أو السيدة العذراء، أو الحواريين، أو الرسل، أو الشهداء، أو القديسيين، وغير ذلك من الموضوعات الدينية التي وردت في التوراة والإنجيل أو في تاريخ الكنيسة وهي من العناصر الأساسية في العبادة عند النصارى؛ قالوا لأنها تنقل بواسطة الرسم، والألوان البشارة عينها التي أعلنها الله للكنيسة، والتي حفظت في ضميرها، وعبر عنها التقليد الشريف، ونقلها الكتاب المقدس، قلت: وهم يعظمون الأيقونات أي ـ الصور للسيد المسيح ومريم العذراء، وآباء الكنائس =

بصيدنايا، وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامة وبيت لحم[1]، حيث ولد المسيح: وحيث قبر، فإن هذه[2] صورة السيدة مريم، وأصلها خشبة[3] نخلة سقيت بالأدهان حتى تنعمت[4] وصار الدهن يخرج منها دهناً[5] مصنوعاً يظن أنه من بركة الصورة.

ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم في قمامة[6] وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى ورأوها بعيونهم أنها نار مصنوعة يضلون بها عوامهم يظنون أنها نزلت من السماء ويتبركون بها وإنما هي صنعة صاحب محال وتلبيس.

ومثل ذلك كثير من حيل النصارى فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق، إما حال شيطاني. وإما محال

= ويوجبون وضعها في الكنيسة، والبيوت، والطرقات؛ قالوا لأن تأمل الأيقونة يبعث فيهم قوة تحثهم على تكريم من ترمز إليه الأيقونة، وهذا في الحقيقة عبادة للصور وإن زعموا أنهم لا يعنون بذلك عبادتها كما ورد في كتبهم على ألسنة آبائهم، ورهبانهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله.
انظر: كتاب الأيقونات القبطية للدكتور رؤوف حبيب ص ١؛ والكتاب كله مليء بنماذج وصور، وفيه حديث عن الأيقونات كلها؛ وكتاب الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ص ٧٧ ـ ٩٤ والكتاب لمجموعة من المؤلفين؛ والمظاهر الرائعة للفنون القبطية للدكتور رؤوف حبيب.

(١) سبق التعريف بهذه المواضع كلها.
(٢) في س، ك، ط (فإن هذه هي).
(٣) في ك، ط (حشة).
(٤) في ك، ط (سمنت).
(٥) سقطت (دهناً) من ط، وجاءت الجملة في أ، س، ك هكذا (يخرج منها دهن مصنوع).
(٦) سقطت (في قمامة) من أ.

بهتاني ليس فيه شيء من كرامات الصالحين[1].

وكذلك أهل الإلحاد المبدلين لدين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، الذين يتخذون ديناً لم يشرعه الله ورسوله، ويجعلونه طريقاً إلى الله، وقد يختارونه على الطريق التي شرعها[2] الله ورسوله، مثل أن يختاروا سماع الدفوف والشبابات[3] على سماع كتاب الله ـ تعالى ـ، فقد يحصل لأحدهم من الوجد والغرام الشيطاني ما يلبسه معه الشيطان حتى يتكلم على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه ذلك الشخص إذا أفاق، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وقد يخبر بعض الحاضرين بما في نفسه ويكون ذلك من الشيطان، * فإذا فارق الشيطان ذلك الشخص لم يدر ما قال، ومنهم من يحمله الشيطان *[4] ويصعد به قدام الناس في الهواء.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيموت أو يمرض أو يصير مثل الخشبة.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيلبسه الشيطان ويزول عقله حتى يبقى دائراً زماناً طويلاً بغير اختياره.

---

(١) حكى القرافي ـ رحمه الله ـ في كتاب الأجوبة الفاخرة جملاً كثيرة تتعلق بحيل النصارى وتلبيسهم على العوام. قال ـ رحمه الله ـ: «ولما علم حذاقهم أن دينهم ليست له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات.
... ثم ذكر أموراً كثيرة من حيلهم فانظره في الكتاب المشار إليه بتحقيق زميلنا د. سالم بن محمد القرني ـ رسالة ماجستير ص ١٣٥ ـ ١٤٠.

(٢) في ك (الذي شرعها) وفي ط (الذي شرعه).

(٣) قال في القاموس المحيط ١/٨٥ (فصل الشين، باب الباء): «التشبيب النسيب بالنساء».

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

ومنهم من يدخل النار ويأكلها ويبقى لهبها في بدنه وشعره.

ومنهم من تحضر له الشياطين طعاماً أو شيئاً من لادن(١) أو سكر(٢) أو زعفران(٣) أو ماء ورد(٤). ومنهم من تأتيه بدراهم تسرقها الشياطين من بعض المواضع.

ثم من هؤلاء من(٥) إذا فرق الدراهم على الحاضرين، أخذت منهم، فلا يمكنون من التصرف فيها، إلى أمور يطول وصفها، وآخرون ليس لهم من يعينهم على ذلك من الشياطين، فيصنعون حيلاً ومخاريق.

فالملحدون المبدلون لدين الرسل، دين المسيح، أو دين محمد ـ صلّى الله عليهما(٦) وسلّم(٧) ـ هم(٨) كأمثالهم من أهل الإلحاد(٩)

---

(١) اللادن: جاء في المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر (حرف اللام) بأنه «شيء من رطوبة يدبق بيد اللامس. يكون على شجرة القيسوس، فترعاه المعز، فتلزق الرطوبة على أفخاذها ولحاها، ومن الناس من يأخذه فيصفيه، ويعمل منه أقراصاً. ثم ذكر فوائده وأطال فيه».
انظر: المرجع السابق ص ٤٣٩.

(٢) السكر: يستخرج من القصب فيجمد، وحلاوته أقل من حلاوة العسل، وهو يدخل في عداد الأشياء الفاتحة للسدد، المنقية للمجاري. وهو صنفان أبيض وأحمر، وأجوده الأبيض.
انظر: المعتمد ص ٢٣٣.

(٣) الزعفران: نبات صحراوي، وهو أنواع، وأقواه ما كان حديثاً حسن اللون، وعلى شعرته بياض يسير.
انظر: المعتمد ص ٢٠٣.

(٤) ماء الورد: هو أنواع أجوده النصيبيني العطر، الذكي الرائحة.
انظر: المعتمد ص ٤٨١ وقد ذكر فوائده.

(٥) سقطت (من) من ك، ط.

(٦) في ط (عليه).

(٧) سقطت (وسلم) من ك.

(٨) سقطت (هم) من ط.

(٩) سقطت (الإلحاد) من ك.

والضلال: الكفار[1]، المرتدين و[2]المشركين، ونحوهم[3] كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي وغيرهم، ممن لهم خوارق شيطانية.

وأما أهل الحيل فيكثرون، وهؤلاء ليسوا أولياء الله، بل خوارقهم إذا كانت شيطانية من جنس خوارق الكهنة والسحرة، لم يكن لهم حال شيطاني بل محال بهتاني. فهم متعمدون للكذب[4] والتلبيس، بخلاف من تقترن[5] به الشياطين فإن فيهم من يلتبس[6] عليه، فيظن أن هذا من جنس كرامات الصالحين، كما أن فيهم من يعرف أن ذلك من الشياطين، ويفعله لتحصيل أغراضه، فالمقصود أنه كثير من الخوارق، ما يكون من الشياطين، أو يكون حيلاً ومخاريق، ويظن أنها من كرامات الصالحين. فإن ما يكون شبيه[7] الشرك أو الفجور، إنما يكون من الشيطان[8]، مثل أن يشرك الرجل بالله فيدعو الكواكب أو يدعو مخلوقاً من البشر ميتاً، أو غائباً أو يعزم و[9]يقسم بأسماء مجهولة لا يعرف معناها، أو يعرف أنها أسماء الشياطين، أو يستعين بالفواحش والظلم، فإن ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

(١) في ط (والكفار).
(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.
(٣) في ك، ط (وغيرهم).
(٤) في ط (الكذب).
(٥) في س، ك، ط (يقترن) بالمثناة التحتية.
(٦) في ك، ط (يلبس).
(٧) في س، ك، ط (سببه).
(٨) في ط (الشياطين).
(٩) في ك، ط (أو).

والصالحون لهم كرامات، مثل كرامات صالحي هذه الأمة، ومثل كرامات الحواريين وغيرهم ممن كان على دين المسيح، لكن وجود الكرامات على أيدي الصالحين لا توجب أن يكونوا معصومين كالأنبياء، لكن[1] يكون الرجل صالحاً ولياً لله وله كرامات، ومع هذا فقد يغلط ويخطيء فيما يظنه، أو فيما يسمعه، ويرويه، أو فيما يراه، أو فيما يفهمه من الكتب، ولهذا كان كل من سوى الأنبياء يؤخذ من قولهم ويترك، بخلاف الأنبياء ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ، فإنه يجب تصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب، وطاعتهم في كل ما أمروا به ولهذا[2] أوجب الله الإيمان بما أوتوه[3]، ولم يوجب الإيمان بجميع ما يأتي به غيرهم.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾[5].

ولهذا اتفق المسلمون على أن من كذب نبياً معلوم النبوة فهو كافر مرتد. ومن سب نبياً وجب قتله بل يجب الإيمان بجميع ما أوتيه النبيون

---

(١) في س، ك، ط (بل) بدل (لكن).

(٢) في ط (ولها).

(٣) في ك (بكل ما أوتوه) وفي ط (بكل ما أتوه).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

كلهم، وأن لا نفرق[1] بين أحد منهم، فنؤمن[2] ببعض ونكفر[3] ببعض. قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[4].

وليس هذا لأحد غير الأنبياء، ولو كان من رسل الأنبياء، وكانوا من أعظم الصديقين المقدمين[5].

فضلال[6] الضلال من هؤلاء مبني على مقدمتين.

إحداهما[7]: أن هذا له كرامة فيكون ولياً لله.

والثانية[8]: أن ولي الله لا يجوز أن يخطىء، بل يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليس لأحد من البشر أن يصدق في كل ما أخبر به، ويطاع في كل أمر إلا أن يكون نبياً.

والمقدمتان المذكورتان، قد تكون إحداهما باطلة، وقد يكون كلاهما باطلاً، فالرجل المعين، قد لا يكون من أولياء الله، تكون[9] خوارقه من الشياطين، وقد يكون من أولياء الله، ولكن ليس بمعصوم، بل يجوز عليه الخطأ، وقد لا يكون من أولياء الله، ولا يكون له خوارق، ولكن له محالات وأكاذيب.



---

(١) سبق إيضاح هذه المسألة.

(٢)، (٣) في ك، ط جاءت الأفعال كلها بالمثناة التحتية.

(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٠ ـ ١٥١. (٥) في س (القديسين).

(٦) انفردت ط عن سائر النسخ بكتابة (فصل) قبل هذه الكلمة ولا مكان لها.

(٧) في ك (أحدهما).

(٨) في ك (والثاني). (٩) في ك، ط (وتكون).

فصل(1)

قالوا: وقال في سورة آل عمران:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾(2).

فأعني(3) أيضاً بالكتاب المنير، الذي هو الإنجيل المقدس.

فيقال: قد تقدم أن الرسل تتناول(4) قطعاً الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن، لا سيما أولو العزم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم؛ فإن هؤلاء مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم النبيين ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، خصهم الله وفضلهم بقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

(1) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(2) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(3) في ط (فعنى) وما أثبتناه من جميع النسخ هو الموافق لما ورد في الرسالة، وقد كررت فيها كلمة (فأعني)، وجاء فيها كلمات كثيرة محرفة فمثلاً يكتبون (سورة) صورة بالصاد، ويحرفون الآيات القرآنية ففي قوله (تعالى): ﴿وقل آمنت بما أنزل الله...﴾ الآية. استبدلت كلمة قل (بقلت)، وهكذا جرياً على ما اعتادوه من التحريف والتبديل في كتبهم فتلك عادة لهم كما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم في كتابه العزيز بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه...﴾.

(4) في ك، ط (يتناول) بالمثناة التحتية.

ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾[1].

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ . . . ﴾[2].

فالدين، دين رسل الله، دين واحد كما بينه الله في كتابه، وكما ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأن[3] أولى الناس بابن مريم لأنا: إنه[4] ليس بيني وبينه نبي»[5].

ويتناول أيضاً اسم الرسل من لم يسمهم[6] بأعيانهم في القرآن. قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[7].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٧، ٨.
(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.
(٣) في ك، ط (وأنا).
(٤) في ك، ط (لأنه) وسقطت (لأنا) من ك، ط.
(٥) سبق تخريج الحديث في أول الكتاب.
(٦) في س (يسم).
(٧) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1].

وأما الحواريون فإن الله ـ تعالى ـ ذكرهم في القرآن، ووصفهم بالإسلام واتباع الرسول وبالإيمان بالله[2]، كما[3] أنزل في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة غافر: الآية ٧٨.

(٢) في ط (والإيمان بالله).

(٣) في أ (وكما) والواو زائدة هنا.

(٤) سورة آل عمران: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٦) سورة الصف: الآية ١٤.

ولم يذكر الله ـ تعالى ـ في القرآن أنه أرسلهم البتة. بل ذكر أنه ألهمهم الإيمان به وبرسوله وأنهم أمروا باتباع رسوله وقوله:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ... ﴾.

لا يدل على النبوة، فإنه قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾[1].

وأم موسى لم تكن نبية، بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة النصارى والمسلمين.

وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد، مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى ابن أبي[2] الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني[*]، وغيرهم. ويدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ... ﴾[4].

فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة[5].

---

(١) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) سقطت (أبي) من أ، س وجاءت (الفرا) وفي أ (الفراد) وهو خطأ.

(*) سبقت ترجمة هذه الأعلام.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٥) هذه مسألة سبق الحديث عنها وإيضاحها عند ذكر أقوال العلماء في نبوة مريم ـ رضي الله عنها ـ.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا[1]: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم»[2] يعني من نساء الأمم قبلنا، وهذا يدل على أن أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية؟ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[3].

والكتاب اسم جنس كما تقدم يتناول كل كتاب أنزله الله[4] ـ تعالى ـ. وقال[5] ـ تعالى ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[6].

وقوله: ولا كتاب منير، نكرة في سياق المعنى فيعم[7] كل كتاب منير[8]. ولو لم يكن إلا الإنجيل؛ لقيل ولا الكتاب المنير. وأيضاً

---

(١) في ط (إلا أربعة) وهي زيادة ليست في الحديث، ولا في سائر النسخ.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري في ثلاثة مواضع، في كتاب الأنبياء، باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ ٤/١٣١؛ وفي فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ٤/٢١٩، ٢٢٠؛ وفي الأطعمة باب الثريد ٦/٢٠٥ وللحديث بقية «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ٤/١٨٨٦ (٧٠)؛ والترمذي في الأطعمة، باب فضل الثريد ٤/٢٧٥ (١٨٣٤) ثم قال حسن صحيح؛ وابن ماجه في الأطعمة، باب فضل الثريد على الطعام ٢/١٠٩١ (٣٢٨٠)؛ وأحمد في المسند ٤/٣٩٤، ٤٠٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٤) سقط لفظ الجلالة من س، ك.

(٥) في س، ك، ط (وقال الله تعالى).

(٦) سورة الحج: الآية ٨.

(٧) في س، ط (تعم).

(٨) قوله (نكره في سياق... إلخ). الجملة ساقطة من ك.

فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً أهدى من التوراة والقرآن. فقال ـ تعالى ـ :

﴿... قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ ـ وقرىء «ساحران»[1] ـ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ۝٤٨ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

وهذا تعجيز لهم أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما كقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾[3].

وهذا يبين أنه ليس الإنجيل ولا الزبور أهدى من التوراة والقرآن فكيف يجعل الكتاب المنير هو الإنجيل دون التوراة والزبور؟

وأيضاً فإن الله ـ تعالى ـ إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها، فهي التي يقرنها بالقرآن كقوله ـ تعالى ـ

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١ وَهَٰذَا

---

(١) قرأ الكوفيون «قالوا سحران» على أنه تثنية سحر، وقرأ الباقون ساحران، على أنه تثنية «ساحر».
انظر: كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٤٥٧؛ وانظر فتح القدير للشوكاني ٤/١٧٧؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٧٢؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ٢٣١.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٨.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[1] .

وقد وصف التوراة بأن فيها نوراً وهدى للناس، فكيف يجعل النور في الإنجيل دونها؟ وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[2] .

فقد ذكر التوراة والقرآن، وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا[3] فبين أن الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة والإنجيل كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[4] .

فذكر الكتاب بلفظ المنفرد[5]، ومعلوم أنه أراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهود والنصارى لا يختص ذلك بالنصارى كما قال: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ١٥٤ ــ ١٥٦.

(٣) سقطت (من قبلنا) من أ، س، ك وزدناها من ط.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥.

(٥) في ط (المفرد).

وقد[1] تبين[2] بطلان قول هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويفسرون كلام الله ورسوله بما يعلم كل من عرف حاله من مؤمن وكافر أنه لم يرده.

وبَيَّنَ أن الله لم يرد بالكتاب الإنجيل وحده كما لم يرد بالرسل الحواريين، بل أراد بالكتاب[3] المنير ما أنزله الله[4] من الكتب كالتوراة والإنجيل، كما أراد بالرسل من أرسله الله مطلقاً كنوح وإبراهيم وموسى والمسيح ابن مريم صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.



(١) في ك (فقد).
(٢) في أ (بين).
(٣) سقطت (بالكتاب) من ك.
(٤) سقط لفظ الجلالة من أ، وأثبتناه من سائر النسخ.

فصل

قالوا: وقال أيضاً:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١).

إثبات أنَّ عند أهل الكتاب ما يُثبت صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فيقال لهم: من المعلوم بالاضطرار، أنه ليس المراد بهذا النصارى فقط كما تقدم، بل اليهود يقرؤون الكتاب من قبلنا، والنصارى يقرؤون الكتاب من قبلنا. والكتاب اسم جنس كما تقدم نظائره في قوله: (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)، وقوله: (وطعام الذين أوتوا الكتاب)، وقوله: (يا أهل الكتاب)، في غير موضع، وقوله:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢).

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٢) سورة البينة: الآية ١.

لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1] .

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2] .

وتناول لفظ أهل الكتاب هنا لليهود، أظهر[3] من تناوله للنصارى؛ لذكره لعنة أصحاب السبت وكذلك قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4] .

فهذا خبر عن[5] طائفة من اليهود قالوا ذلك وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[6] .

---

(1) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ــ ٢٠.

(2) سورة النساء: الآية ٤٧. وقد ذكر السيوطي في لباب النقول ص ٦٤ سبب نزول هذه الآية: «قال: أخرج ابن إسحاق، عن ابن عباس، قال: كلم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رؤساء أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد فقال لهم: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم: ﴿**يا أيها الذين أوتوا الكتاب**. . .﴾ الآية».

(3) في ط (وأظهر).

(4) سورة آل عمران: الآية ٧٢.

(5) سقطت (عن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(6) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

وسبب نزولها أنه[1] أراد طائفة من اليهود إلقاء الفتنة بين المسلمين[2]. فهم داخلون قطعاً، وإن كان الخطاب مطلقاً يتناول الطائفتين.

وأمره ـ تعالى ـ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب من قبله على تقدير الشك، لا يقتضي أن يكون الرسول شك ولا سأل، إن قيل الخطاب له، وإن قيل لغيره فهو أولى وأحرى؛ فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط، بل قد يعلق[3] بشرط ممتنع لبيان حكمه.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . .وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[4].

فأخبر أنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون[5]، مع انتفاء

---

(١) سقطت (أنه) من س، ك، ط.

(٢) روى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن عكرمة، قال: كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية. فلما جاء الإسلام اصطلحوا، وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأنشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم فكأنهم دخلهم من ذلك. . . فنزلت هذه الآية فقرأها عليهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فألقوا السلاح. وصرح في رواية أخرى باسم اليهودي وهو شاس بن قيس، وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية، عظيم الكفر. وعزاه السيوطي في لباب النقول ص ٤٨ ـ ٤٩ إلى الفريابي، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وإلى ابن إسحاق عن زيد بن أسلم.

وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٤/١٧ (مجلد ٣)؛ وتفسير ابن كثير ١/٣٨٩.

(٣) في ط (يتعلق).

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٨٦.

(٥) جملة (فأخبر أنهم لو أشركوا. . . إلخ) ساقطة من ك.

الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك به[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

فهذا خطاب للجميع. وذكر هنا لفظ «إن» لأنه خطاب لموجود. وهناك خبر عن ميت وكذلك قوله: **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل﴾**، لا يدل على وقوع الشك، ولا السؤال. بل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن شاكاً ولا سأل أحداً منهم. بل روي عنه أنه قال: «والله لا أشك ولا أسأل»[3].

---

(١) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٦٤ ـ ٦٦.

(٣) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ١١/١١٦ (مجلد ٦) بسنده عن قتادة مرسلاً ـ قال: ذكر لنا أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «لا أشك ولا أسأل» ورد ذلك عند آية يونس: ٩٤، ورواه ابن جرير بسند آخر عن قتادة. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/٤٣٢ بدون ذكر السند عن قتادة ثم ذكره، وقال: وكذا قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري. قال ابن كثير: وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب. اهـ.
وانظر: تفسير الشوكاني ٢/٤٧٥؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١٣. وقد رجح بعض المفسرين أن الخطاب ليس للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإنما هو لمن يشك من أتباعه. وهذا واضح من قول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «وهذا فيه تثبيت للأمة...» إلخ.

ولكن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون.

كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(3).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾(4).

وقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾(5).

---

(1) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(2) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(3) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(4) سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(5) سورة الإسراء: الآيات ١٠٧ ـ ١٠٩.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ . . . ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ . . . ﴾[4] .

فالمقصود: بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون وذلك من وجوه:

أحدها: أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده، ونهوا عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين.

ومثل هذا ـ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

الوجه الثاني: أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشراً مثلهم، لم يرسل إليهم[3] ملكاً؛ فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلَّا ملكاً أو بشراً معه ملك، ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٣) سقطت (إليهم) من ط .
(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٩٤، ٩٥.

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[2].

وكذلك قال الذين من بعدهم:

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[3].

وكذلك قال قوم[4] فرعون لموسى وهارون:

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[5].

وقال فرعون:

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[6].

وكذلك قالوا لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ و[7] قال

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) سورة القمر: الآيتان ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة المؤمنون: الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٤) سقطت (قوم) من ط.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ٤٧.
(٦) سورة الزخرف: الآيتان ٥٢، ٥٣.
(٧) سقطت (الواو) من ط.

ـ تعالى ـ :

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[2] .

فبيَّن ـ سبحانه ـ أنكم لا تطيقون التلقي عن الملك، فلو أنزلناه ملكاً لجعلناه في صورة بشر. وحينئذٍ كنتم تظنونه بشراً فيحصل[3] اللبس عليكم. فأمر الله ـ تعالى ـ بسؤال أهل الكتاب عمن أرسل إليهم أكان بشراً أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ ﴾[4] .

وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله[5] الله ـ تعالى ـ .

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٨، ٩.

(٣) في س، ك، ط (فيجعل).

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٧ ـ ٩.

(٥) في أ (أنزل).

الوجه الثالث: أنهم يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسل مع أممهم، وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم، وعاقبة المكذبين لهم.

الوجه الرابع: يسألون أهل الكتاب عن الدين الذي بعث الله به رسله، وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، كالأمر بالتوحيد، والصدق، والعدل، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والنهي عن الشرك، والظلم والفواحش.

الوجه الخامس: يسألونهم[1] عما وصفت به الرسل ربهم، هل هو موافق لما وصفه به محمد أم لا؟ وهذه الأمور المسؤول عنها متواترة عند أهل الكتاب معلومة لهم ليست مما يشكون فيه، وليس إذا كان مثل هذا معلوماً لهم بالتواتر فيسألون[2] عنه يجب أن يكون كل ما يقولونه معلوماً لهم بالتواتر.

وأيضاً فإنهم يسألون أيضاً عما عندهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وقد أخبر الله بذلك في القرآن فقال ــ تعالى ــ[3] :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[4].

---

(١) في ط (يسألونه).

(٢) في أ (يسألون).

(٣) سقطت جملة (فقال تعالى) من أ.

(٤) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (1) .

فقد أخبر عن عيسى أنه صدق بالرسول والكتاب الذي قبله وهو التوراة وبشر بالرسول الذي يأتي بعده وهو أحمد. قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

إلى قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) . . . ﴾ (2) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (3) .

وقال ـ تعالى ـ عن من أثنى عليه من النصارى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا . . . ﴾ (4) .

---

(1) سورة الصف: الآية ٦.
(2) سورة البقرة: الآيات ١٤٤ ـ ١٤٦.
(3) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٧.
(4) سورة المائدة: الآية ٨٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(3).

وقال ـ تعالى ـ في سورة الأنعام :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(4).

---

(1) سورة الإسراء: الآيات ١٠٦ ـ ١٠٩.

(2) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

(3) سورة القصص: الآيات ٥١ ـ ٥٤.

(4) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم.

وكان قبل أن يبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تجري حروب وقتال بين العرب وبين أهل الكتاب فتقول[2] أهل الكتاب: قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي يبعث بدين إبراهيم، فإذا ظهر اتَّبعناه، وقتلناهم معه شر قتلة، فلما بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كان منهم من آمن به، ومنهم من كفر به فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾.

أي: يستنصرون بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على الذين كفروا:

﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

ولهذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم: «والله الذي لا إلَـه إلَّا هو إنكم لتعلمون أني

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) في ط (فيقول) بالمثناة التحتية.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

رسول الله»[1]، وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان[2] يقول لغيره من أهل الكتاب: «والله الذي لا إلّه إلاَّ هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله»، وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة[3] في الصحيحين وغيرهما، فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلاء لكلام الله وأنه لا حجة لهم فيما أنزل على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما تقدم نظائر ذلك.



(١) الحديث: ورد في صحيح البخاري (في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) ٤/٢٦٠ من حديث أنس بن مالك وهو حديث طويل وفيه قصة إسلام عبد الله بن سلام، وقوله: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال لليهود: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إلّه إلاَّ هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وإني جئتكم بحق، فأسلموا قالوا: ما نعلمه. قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلمَ؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم (قالها ثلاثاً).
قال: يا ابن سلام أخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إلّه إلاَّ هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وإنه جاء بحق. فقالوا له: كذبت فأخرجهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ». ورواه الإمام أحمد في مسنده ٣/٢١١، وليس فيه قول عبد الله بن سلام. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٤٨ [آية ١٧١ من سورة النساء] إلى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر والبيهقي في الدلائل، وذكر القسم الأول من الحديث وأخرجه البيهقي كاملاً في دلائل النبوة ٢/٢٤٨ ــ ٢٥٠، وساق له طرقاً أخرى كثيرة، والله أعلم.
(٢) في ط (وكان).
(٣) في ط (والمخرجة).

فصـل

نقص دعواهم أنَّ القرآن صدق كتبهم التي بين أيديهم

قالوا: فثبت بهذا ما معنا نعم، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه[1] إياها.

فيقال: كلامكم الذي تحتجون به في هذا الموضع وغيره، إما أن يكون باطلاً محضاً، وإما أن يكون مما لبستم فيه الحق بالباطل، فإن قولكم بتصديقه إياها، إن أردتم أنه صدق التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على أنبيائه، فهذا لا ريب فيه، فإن هذا مذكور في القرآن في غير موضع وقد أوجب على عباده أن يؤمنوا بكل كتاب أنزله وكل نبي من الأنبياء، مع إخباره أنه أنزل هذه الكتب قبل القرآن وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ... ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ... ﴾[3].

---

(١) في أ، س، ك (تصديقه) وصححناه من ط.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾[1] .

وقال[2] :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3] .

وقال :

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[4] .

وقال :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] .

وقال ـ تعالى ـ[6] :

﴿ . . . ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم . . . ﴾[7] .

وقد أوجب على عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، وحكم بكفر

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٧ .

(٢) في س، ك، ط (وقال تعالى)، وقد ذكر في هذه النسخ آية آل عمران الأولى وبعض الثانية .

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

(٤) سورة فاطر: الآية ٣١ .

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠١ .

(٦) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .

(٧) سورة النساء: الآية ٤٧ .

من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(١) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾(٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٣) .

فذم المفرِّق(٤) بينهم بأن يؤمن ببعض دون بعض، وبيَّن أنه فضل بعضهم على بعض، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ . . . ﴾(٥) .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء: الآيات ١٥٠ ــ ١٥٢ .

(٤) في أ، س، ك (التفريق)، وما أثبتناه من ط .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣ .

فبيَّن أنه فضل بعضهم على بعض، وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ . . . ﴾[١].

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنـزله[٢] الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتداً استتيب فإن تاب وإلاّ قتل.

ومن سب نبياً واحداً من الأنبياء قتل أيضاً باتفاق المسلمين وما علم المسلمون أن نبياً من الأنبياء أخبر به فعليهم التصديق به كما يصدقون بما أخبر به محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهم يعلمون أن أخبار الأنبياء لا[٣] تتناقض ولا تختلف[٤]، وما لم يعلموا أن النبي أخبر به فهو كما لم يعلموا أن محمداً أخبر به ــ صلَّى الله عليهم أجمعين ــ[٥] ولكن لا[٦] يكذبون إلاَّ بما علموا أنه كذب كما لا يجوز أن يصدقوا إلاَّ بما علموا أنه صدق، وما لم يعلموا أنه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كما أمرهم نبيهم محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[٧] وبهذا أمرهم[٨] ـــــــــــــ

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٥.
(٢) في ك، ط (أنزل).
(٣) سقطت (لا) من س.
(٤) في ط (تخلف).
(٥) في ط (ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، عليهم أجمعين).
(٦) سقطت (لا) من ط . وهو خطأ.
(٧) في ك، ط (عليه السلام).
(٨) في س (أمر).

المسيح ــ عليه السلام ــ[1] فقال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده، فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه»[2].



(١) في أ، س (ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٢) الحديث: أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٣٨٦ ــ ٣٨٧ (١٠٧٧٤) بسنده قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عمار الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، ثنا موسى بن خلف العمي، عن أبي المقدام، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ قال: الأمور ثلاثة. . . وذكره.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٥٧، كتاب العلم، باب الأمور ثلاثة: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون.

فصل[1]

وإن أرادوا بتصديقه كتبهم أنه صدق ما هم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله وخالفوا بها ما تقدمه من[2] شرائع المسلمين أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به مثل القول بالتثليث والأقانيم، والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وقولهم أن المسيح هو الله وابن الله وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تحليل ما حرمه الله ورسله كالخنزير وغيره وبين أنهم لا يدينون بدين الحق الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسوله بل بدين مبتدع ابتدعه لهم أكابرهم كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ. . . ﴾[3].

---

(١) كلمة «فصل» هنا في غير موضعها لأنها بين كلام موصول.

(٢) في ط (مع) بدل (من).

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

والأحبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول، وينظمه، ويتقنه بحسن البيان عنه، ومنه ثوب محبر أي: جمع الزينة، وقيل في واحد الأحبار: حبر. بكسر الحاء، والمفسرون على فتحها، وأهل اللغة على كسرها. وحبر بالفتح تعني عالم، وبالكسر: مداد. والرهبان: جمع راهب مأخوذ من الرهبة، والرهبان: علماء النصارى وهم المنقطعون للعبادة، المتبتلون، الذين تركوا الزواج والعمل. والأحبار كثر إطلاقه على علماء اليهود. انظر تفسير القرطبي ٨/١٢٠ (مجلد ٤) وفتح القدير ٢/٣٥٣.

وقد بين النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ذلك لعدي بن حاتم[1] وكان نصرانياً لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدي وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[2].

قال عدي: قلت يا رسول الله ما عبدوهم.

قال: «إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم[3] فكانت تلك عبادتهم إياهم»[4].

---

(1) عدي بن حاتم الطائي، أبو وهب ابن حاتم الجواد المشهور أمير، صحابي من الأجواد والعقلاء كان رئيس طيء في الجاهلية، والإسلام. أسلم سنة ٩هـ وكان نصرانياً وشهد فتح العراق، وموقعة صفين وفيها فقئت عينه، روى ستة وستين حديثاً. ومات رضي الله عنه سنة ٦٨هـ بالكوفة وله أكثر من مئة سنة.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٦٠ (٥٤٧٧)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٣/١٤٠؛ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٣٣٣؛ والأعلام ٤/٢٢٠.

(2) سورة التوبة: الآية ٣١.

(3) سقطت (فأطاعوهم) من ك، ط.

(4) الحديث: رواه الترمذي ـ مختصراً ـ في التفسير، تفسير سورة التوبة ٥/٢٧٨ (٣٠٩٥) ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

قلت: عبد السلام بن حرب النهدي، الملائي. بضم الميم، وتخفيف اللام، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٥٠٥ «ثقة حافظ، له مناكير، مات سنة ٨٧هـ».

وأما غطيف بن أعين الشيباني الجزري. فهو ضعيف كما قال ابن حجر ٢/١٠٦ =

فإن أرادوا بتصديقهم[1] في هذه الأمور أو أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صدق ما عندهم مما لم يأت به الأنبياء عن الله فقد كذبوا على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ كذباً ظاهراً معلوماً بالاضطرار من دينه وإنما صدق ما جاءت به الأنبياء قبله.

وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقوه كما أنه لم يشرع لهم أن يستمروا على ما هم عليه من الشرع الأول ولو لم يكن مبدلاً بل دعاهم وجميع الإنس والجن إلى الإيمان به وبما جاء به واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم في الدنيا حتى يكون الدين كله لله وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

وقد دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموماً ثم كلا من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعائه الناس كلهم: أهل الكتاب، وغيرهم كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

= تقريب التهذيب وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٣٣٦ بالضاد المعجمة وقال: ضعفه الدارقطني وقد أخرج الحديث الإمام أحمد في مسنده من طريقين. لكن في إحداهما رجل مجهول ٤/٣٧٨، ٢٥٧. ورواه ابن جرير الطبري من عدة طرق ١٠/١١٤ (تفسير) وانظر: سيرة ابن هشام ٤/١٦٨؛ وتفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ ـ ٣٤٩؛ وتفسير القرطبي ٨/١٢٠ (مجلد ٤)؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٥٥؛ والدر المنثور للسيوطي ٣/٢٣٠ ـ ٢٣١ وقال محقق جامع الأصول (الأرناؤط) ٢/هامش ١٦١: «لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً أخرجه الطبري برقم (١٦٦٣٤) ربما يتقوى به».

(١) في ط زيادة لفظ (كتبهم).

(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س.

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ
ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ
إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ يخاطب النصارى:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ
إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ
لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ... ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

أخبر ــ سبحانه ــ أن النصارى تركوا حظاً مما ذكرهم به، وبسبب ذلك أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، فعلم أنه ــ سبحانه ــ بين أنهم تركوا بعض ما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء، واستحقوا لذلك أن يغري بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع أهواء الذين ابتدعوا بدعاً غيروا بها شرع المسيح، فضلوا من قبل هؤلاء الأتباع وأضلوا كثيراً من هؤلاء الأتباع وغيرهم، وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل بين الضلال وقيده بعد أن أطلقه وأجمله.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧ وآية ٧٢ من نفس السورة.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[1] .

وقد خرج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لقتالهم بنفسه عام تبوك واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين، و[2]لم يأذن لأحد من القادرين على الغزو في التخلف، ومن تخلف لأنه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً، وإن أظهر الإسلام كان منافقاً ملعوناً، بين الله أنه لا يغفر لهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم وأنزل في ذلك جمهور سورة براءة بالنقل المتواتر حتى بين كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارى:

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) سقطت الواو من أ، س، ك.

﴿انفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ
بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ
أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا
زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ
حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾(١).

● ● ●

---

(١) سورة التوبة: الآيات ٣٨ ـ ٤٨.

فصل[1]

فتبيَّن أن قولهم: فثبت بهذا ما معنا[2] نعم ونفي عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

إن[3] أرادوا[4] به أنه ثبت ما جاءت الأنبياء قبله عن الله، فهذا حق.

وإن أرادوا به[5] أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذي خالف شرعه أو ما ابتدعوه[6] مما لم يأت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله فهذا باطل.

وإن أرادوا بذلك[7] أنه صدَّق ألفاظ الكتب التي بأيدينا: أي التوراة والإنجيل فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين، وينازعهم فيه أكثر المسلمين، وإن كان أكثر ذلك مما يسلمه أكثر المسلمين.

فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير، والتأويل، وتبديل أحكامها

---

(١) في جميع النسخ أثبتت هذه الكلمة (فصل) وهي في غير موضعها كما سبق الإشارة إلى نظيرها.

(٢) في ط (معناه).

(٣) سقطت (إن) من س.

(٤) في ط (أراد).

(٥) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٦) في أ (ومما).

(٧) سقطت (بذلك) من ط.

فجميع المسلمين واليهود، والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها، كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود، بتحريف كثير من معاني التوراة، وتبديل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون: إن التوراة لم تحرف ألفاظها.

وحينئذ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها، إلا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانيها، بل جميع النبوات التي يقرون بها هي عند اليهود، وهم مع اليهود ينفون عنها التهم والتبديل لألفاظها مع أن اليهود عندهم من أعظم الخلق كفراً، واستحقاقاً لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهم عند النصارى الذين يكفرون المسلمين أكثر من هؤلاء وشر منهم؛ فإن النصارى متفقون على أن المسلمين خير من اليهود، وكذلك اليهود متفقون على أن المسلمين خير من النصارى بل جميع الأمم المخالفين للمسلمين يشهدون أن المسلمين خير من سائر الأمم[1] والطوائف إلا أنفسهم، وشهادتهم لأنفسهم لا تقبل فصار هذا اتفاق أهل الأرض على تفضيل دين الإسلام.

فعلم أن بقاء حروف الكتاب مع الإعراض عن اتباع معانيها، وتحريفها لا يوجب إيمان أصحابها ولا يمنع كفرهم.

وحينئذ فليس شهادة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته للمسيح ـ عليه السلام ـ ولما أنزل عليه من الإنجيل في تثبيت ما عند النصارى بأعظم من شهادة المسيح ـ عليه السلام ـ، والحواريين، وسائر من اتبعه لموسى ولما أنزل عليه من التوراة في تثبيت ما عند

(١) سقطت (الأمم) من س، ك، ط.

اليهود، فإن المسيح أمر أتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذي نسخه منها.

وأما محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فبعث بكتاب مستقل، وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه إلى شرع سابق تتعلمه أمته من غيره، ولا إلى شرع لاحق يكمل شرعه، ولهذا قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحديث الصحيح: «أنه[1] قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد[2] فعمر»[3].

فجزم أن[4] من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الأمر في أمته، وإن كان هذا المعلق قد تحقق لأن أمته، لا تحتاج بعده إلى نبي آخر، فلأن لا تحتاج معه إلى محدث ملهم أولى وأحرى.

---

(١) في أ، س، ك (أنه قال)، وقال زائدة.

(٢) سقطت (أحد) من أ.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأنبياء ٤/١٤٩ بلفظ أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وأنه إن كان في أمتي هذه منهم فأنه «عمر بن الخطاب»؛ ورواه في كتاب أصحاب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٤/٢٠٠؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ ٤/١٨٦٤ (٢٣) وزاد فيه (قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون)، ورواه الترمذي في المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٥/٦٢٢ (٣٦٩٣) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، وأحمد في مسند أبي هريرة ٢/٣٣٩، وفي مسند عائشة ٦/٥٥. وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على كلمة (محدثون) فقال: «اختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال ابن وهب: ملهمون. وقيل: مصيبون، إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوه. وقيل: تكلمهم الملائكة. وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم».
انظر تعليقه في: صحيح مسلم ٤/١٨٦٤.

(٤) في س، وهامش ك، ط (بأن).

وأما من كان قبله فكانوا[1] يحتاجون إلى نبي بعد نبي فأمكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين ولهذا إذا نزل[2] المسيح بن مريم في أمته لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وإذا كان مع هذا فشهادة[3] المسيح، والحواريين، وكل من آمن بالمسيح للتوراة بأنها حق، ولموسى بأنه رسول لا يمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة، وكذبوا بالمسيح وبالإنجيل.

فكيف تكون شهادة محمد وأمته للإنجيل بأنه منزل من عند الله، وللمسيح بأنه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع تبديلهم شرع الإنجيل وتكذيبهم بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وشرع القرآن؟.

وأما إيمان من يؤمن منهم بأن محمداً رسول الله إلى العرب أو بكثير مما جاء به القرآن، فلا يمنع كفرهم إذا كفروا ببعض ما جاء به، بل من كذب بشيء مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر، وإن آمن بأكثر ما جاءت به الرسل كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن

(١) في ط (فإنهم كانوا).
(٢) في ط، (أنزل).
(٣) في أ ، س (شهادة).
(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٠، ١٥١.

يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقد صرح بكفر النصارى في غير موضع وأمر بجهادهم وقتالهم، وحكم بكفر من لا يوجب جهادهم وقتالهم أو لا يرى ذلك عبادة لله وطاعة له كما تقدم التنبيه على ذلك، فإذا كان من لا يرى جهادهم عبادة لله، كافراً عند محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكيف حالهم عنده صلَّى الله عليه وسلَّم ؟.



(١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

فصل

ردّ دعواهم تناقض خبر الأنبياء السابقين مع ما أخبَرَ به محمد صلى الله عليه وسلم

وإذا تبيَّن للخاصة والعامة ممن آمن بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومن[١] كفر به أنه كان مصدقاً لما بين يديه من الكتب، والأنبياء، مصدقاً للتوراة والإنجيل شاهداً بأن موسى ـ عليه السلامُ ـ، ومن كان متبعاً له على الحق، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ ومن اتبعه على الحق، وإن كان يكفر جميع اليهود، والنصارى، وغيرهم ممن بلغته رسالته، ولم يؤمن به، وشهد عليهم بأنهم حرفوا كثيراً من معاني التوراة والإنجيل قبل نبوته، وأن أهل الكتاب كلهم مع[٢] المسلمين يشهدون أيضاً بأن كثيراً[٣] من معاني التوراة، والإنجيل حرفها كثير من أهل الكتاب، لم يجز لأحد من أهل الكتاب أن يحتج بقول محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على صحة دينهم الذي شهد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأنه باطل مبدل منسوخ وأهله من أهل النار كما تقدم بسطه[٤].

وإذا قالوا: نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها، وهي تناقض بعض ما أخبر به، أو لنبين أن ما أخبرت به الأنبياء قبله يناقض خبره فيكون ذلك قدحاً فيما جاء به.

---

(١) سقطت (من) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٢) في ط (من) بدل (مع). وهو خطأ.
(٣) في أ (كثير) وصححناه من سائر النسخ.
(٤) بسط ذلك في أول الكتاب، وانظر: ١/٣٨ من ط (المدني).

أجاب المسلمون عن هذا بعدة طرق:

أحدها: أن يقولوا: أما مناقضة بعض خبره لبعض كما يزعمه هؤلاء من أن[1] كتابه يمدح أهل الكتاب مرة ويذمهم أخرى وأنه يصدق الكتب المنزلة تارة، ويذمها أخرى، فهذا قد ظهر بطلانه، فإنه إنما مدح من اتبع موسى، والمسيح على الدين الذي لم يبدل ولم ينسخ.

وأما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره.

فأما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره فيقال: هو مصدق للأنبياء فيما أخبروا به.

وأما ما بدل[2] من ألفاظهم أو غيرها[3] بالترجمة أو فسر بغير مرادهم فلم يصدقه. ويقال أيضاً: إن نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تثبت[4] بمثل ما تثبت به نبوات الأنبياء قبله وبأعظم من ذلك، كما قد بسط في موضع آخر[5]، وبيِّن أن التكذيب بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع التصديق بنبوة غيره في[6] غاية التناقض والفساد، وأنه ما من طريق يعلم بها نبوة غيره إلَّا[7] ونبوته تعلم بمثل[8] تلك الطريق، وبأعظم منها. فلو لم تكن نبوته وطريق[9] ثبوتها[10] إلَّا

(١) في س (أهل) بدل (أن).
(٢) في ط (يدل) بالمثناة التحتية وهو خطأ.
(٣) في أ، س، ك (أو غير).
(٤) في ط (ثبتت).
(٥) انظر: ١/٣٣٤ من ط (المدني).
(٦) في س، ك، ط (فمن).
(٧) في س، ك (وإلَّا).
(٨) في س (مثل).
(٩) في س، ك، ط (بطريق).
(١٠) في س، ك، ط (نبوتها).

مثل نبوة غيره وطريق ثبوتها[1] لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره؛ ولكان تكذيبه كتكذيب إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل. فكيف إذا كان ذلك[2] أعظم من وجوه متعددة؟

وحينئذٍ، فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به[3] عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل، لا عمداً ولا خطأً، فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره، بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال ـ تعالى ـ:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[5].

وإنما يقع النسخ في بعض الشرائع كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد وحينئذٍ فيعلم أن كل ما ينقل عن الأنبياء المتقدمين مما يناقض[6] ما علم من أخبار محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو باطل. سواء كان اللفظ نفسه باطلاً لم يقله ذلك النبي أو قد قال لفظاً وغلط

---

(١) في س، ك، ط (نبوتها).

(٢) سقطت (ذلك) من ط.

(٣) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٥) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٦) في ط (ينقض).

المترجمون لـه من لغة إلى لغـة، أو كان اللفظ وتـرجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي[1] بذلك الكلام.

فـإن كـل مـا يحتـج بـه من الألفـاظ المنقـولـة عن الأنبيـاء أنبيـاء بني إسرائيل وغيرهم ممن أرسل بغيـر اللغة العـربية لا بـد في الاحتجاج بألفاظه من هذه المقدمات أن يعلم اللفظ الذي قاله ويعلم ترجمته ويعلم مراده بذلك اللفظ[2].

والمسلمون وأهل الكتـاب متفقون على وقـوع[3] الغلط في تفسير بعض الألفـاظ وبيان مـراد الأنبياء بهـا وفي ترجمـة بعضها؛ فـإنك تجـد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينهـا فروق يختلف[4] بهـا المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره فهذا الطريق في الجواب طريق عـام لكل من آمن بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وشهد أنه رسول الله باطناً وظاهـراً يخاطب به كـل يهودي ونصـراني على وجه الأرض. وإن لم يكن عـارفاً بمـا عند أهـل الكتاب فـإنه لا يقـدر أحد من أهـل الأرض يقيم[5] دليـلاً صحيحاً على نبوة مـوسى وعيسى وبطلان نبـوة محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، فإن هذا ممتنـع لذاتـه. بل ولا يمكنـه أن يقيم دليلاً صحيحـاً على نبوة أحدهمـا إلاَّ وإقامـة مثل ذلـك الدليـل أو أعظم منـه على نبـوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أولى. وحينئذٍ فلا يمكن أحـداً من أهل

(١) في س (الشي) وهو تصحيف.
(٢) أشار ـ رحمه الله ـ إلى هذه المقدمات في أول الكتاب عندما بـدأ مناقشتـه لهم في دعواهم خصوصية رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بالعرب وحدهم.
(٣) في ط (وقع).
(٤) سيأتي توضيح لهذه المسألة فيما بعد إن شاء الله.
(٥) في ط (أن يقيم).

الكتاب أن يحتج بشيء من المنقولات عن الأنبياء المخالفة لما ثبت عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، سواء أقر بنبوته أو أنكرها، بل إن احتج بشيء مما نقل عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، بيَّن له بطلان احتجاجه به وأنه حجة عليه، لا له.

وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وإلَّا فبتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة وأتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان لا يجوز تصديق هذا وتكذيب ذاك إن لم يتبيَّن ما يدل على صدق هذا وكذب هذا، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس ما يعارض الآخر.

وهذا لا يرد على المسلمين إذا ردوا ما يحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفاً لخبر ــ محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ؛ فإن المسلمين لا يطعنون في نبوة[1] أحد من الأنبياء المعروفين، وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فإن ذلك لا يثبت. أي لم يثبت اللفظ والترجمة، وتفسير اللفظ. وهذه المقدمات يمتنع[2] أن تقوم على شيء يخالف خبر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا جملة ولا تفصيلاً.

فأهل[3] الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات:

أحدها[4]: تقدير أن أولئك صادقون، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كاذب.

(١) في س (قبره) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) في ط (تمتنع) بالمثناة الفوقية.
(٣) في س (وأهل).
(٤) في ط (أحدهما) وهو خطأ.

والثاني: ثبوت ما أتوا به لفظاً.

والثالث: معرفة[1] المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً. وإن قال الكتابي[2] للمسلم: أنت توافقني على نبوة هؤلاء المتقدمين. إجابة المسلم بوجوه:

منها أن يقول: إني لم أوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بل دين المسلمين كلهم، أنه من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فهو كافر، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وخاتمهم، بل قد يقول له أكثر المسلمين: نحن لم نعلم نبوة أولئك إلَّا بأخبار محمد، أنهم أنبياء، فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا[3] به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم، والفرع إذا قدح في أصله دل على فساده في نفسه، سواء قدر أصله صحيحاً أو فاسداً؛ فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو، فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو، فهو إذاً ناقض أصله[4] باطل على كل تقدير.

وكذلك إذا قال له الكتابي: قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة، و[5]المسيح والإنجيل.

قال له المسلم: إنما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين

---

(١) في ط (بمعرفة).

(٢) سقطت (الكتابي) من ك.

(٣) في س (علمت).

(٤) في أ(بان أصله) وقد علق على كلمة (بان) في الهامش فقال: «كأنها زائدة أو يكون بأن ما مضى: تبين، بمعنى ظهر ويكون (أن) ولكن سقطت والله أعلم».

(٥) في س، ك، ط (أو).

بشَّرا، بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، كما أخبرنا به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن الله حيث قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[1] الآية.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي اسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ...﴾[2].

إلى أمثال ذلك.

فأما الإيمان بموسى، الذي[3] ذكر أن شريعته مؤيدة لا ينسخ منها شيء، أو بمسيح ادعى أنه الله أو أن الله اتحد به أو حل فيه، ونحو ذلك مما يدعيه أهل الكتاب في الرسولين، والكتابين، ويخالفهم فيه المسلمون، فهذا من موارد النزاع، لا من مواقع الإجماع، فليس لأحد من أهل الكتاب أن يحتج على أحد من المسلمين بموافقته له على ذلك.

ومن تمام ذلك أن يقول المسلم: نعم أنا أقر بنبوة موسى والمسيح، وإن التوراة والإنجيل كلام الله، لكن يمتنع عقلاً الإقرار بنبوة واحد من هؤلاء، دون نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة الصف: الآية ٦.

(٣) سقطت (الذي) من ك.

البراهين، والآيات، والأدلة الدالة على صدق موسى والمسيح تـدل على نبـوة محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بـطريق الأولى، فلو[1] انتقضت تلك الأدلة لزم فسادها، وأن لا أصدق بأحد من الأنبياء، وإن كـانت حقاً لـزم تصـديقهم كلهم، فلزم[2] إمـا[3] أن نصـدقهم[4] كلهم، وإمـا أن نكذبهم[5] كلهم، ولهذا كان من آمن ببعض، وكذب ببعض كافراً.

ومن الأجوبة للمسلمين أن يقولوا: نحن نصدق الأنبياء المتقـدمين في كـل ما أخبـروا به لكن من نقـل عنهم أنهم أخبروا بمـا ينـاقض خبـر محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فـلا بد لـه من مقدمتين، ثبـوت ذلـك اللفظ عن الأنبيـاء، والعلم بمعناه الـذي يعلم أنه منـاقض للمعنى الذي علم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عناه، ثم العلم باللفظ يحتـاج مع الخطاب بغيـر ألسن الأنبياء العـربية سـواء كانت عـربية، أو روميـة، أو سريانية، أو قبطية، إلى أن يعرف أن هذا اللفظ الذي تـرجم به لفـظه مطابق للفظه، ويمتنـع ثبوت المقـدمتين، لأن في ثبوتهمـا تناقض الأدلـة العلمية، والأدلة العلمية لا تتناقض[6].

الطريق[7] الثاني: أن يقول المسلمون: مـا تذكـرونه من المنقـول عن الأنبياء، مناقضة لما أخبر به محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمـور لم تعلم صحتها، فلا[8] يجوز اعتقاد ثبوتها، والجـزم بها، ولـو لم يعلم

---

(١) في ك (ولو).

(٢) سقطت (فلزم) من س.

(٣) سقطت (إما) من ك.

(٤) في ك، ط (أصدقهم) وفي س (صدقهم).

(٥) في س، ك، ط (أكذبهم).

(٦) في ك (تناقض).

(٧) سقط (الطريق) من ك.

(٨) في ك، ط (ولا).

أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أخبر بخلافها فكيف إذا علم أنه أخبر بخلافها؟ وذلك أن العلم بثبوتها مبني على مقدمات:

أحدها: العلم بنبوتهم(١) وهذا ممتنع مع تكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

والثانية: أنهم قالوا: هذه الألفاظ، وهذا يحتاج إلى إثبات تواتر هذه الألفاظ عن الأنبياء، ولم يثبت أنها تواترت عنهم.

والثالثة: أن معناها، هو المعنى المناقض لخبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ولم يعلم ذلك.

وكل واحدة من هذه المقدمات تمنع(٢) العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكيف إذا اجتمعت؟

وهي تمنع العلم بصحتها، ولو لم تناقض خبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكيف إذا ناقضته؟

الطريق الثالث: طريق من يبيِّن(٣) أن ألفاظ هذه الكتب لم تتواتر، ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة(٤)، لما خرب بيت المقدس، وانقطاع تواتر الإنجيل في أول الأمر.

الطريق الرابع: طريق من يبيِّن أن بعض ألفاظ الكتب حرفت،

---

(١) في ط (بنبوتها).

(٢) في ك، ط (يمنع) بالمثناة التحتية.

(٣) في ك، ط (يتبين).

(٤) في جميع النسخ بعد كلمة (التوراة) جملة زائدة لا مكان لها وهي (وبسط الأمر)، وأرى أن مكانها في آخر الجملة مع إضافة كلمة (يأتي) وسيتحدث عن ذلك بعد قليل.

ويقيم الأدلة الشرعية، والعقلية على تبديل بعض ألفاظها.

الطريق الخامس: أن يبيِّن أن الألفاظ التي بأيديهم لا تناقض ما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بل تدل على صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويتكلم على تفسير تلك الألفاظ بأعيانها.

وهذه الطريق[1] يسلكها من لا ينازع في ثبوت الألفاظ من المسلمين.

وأما الجمهور الذين يقولون بتبديل هذه الألفاظ فيسلكون هذه الطريق[2]، ويسلكون أيضاً بيان عدم تواتر الألفاظ، بل بيان التبديل في ألفاظها.



(١) في س، ط (الطرق) والصواب ما أثبتناه.
(٢) في ك، ط (الطرق).

فصل[1]

ومن حجة الجمهور الذين يمنعون أن تكون جميع ألفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله، لم يقع فيها تبديل، ويقولون: إنه وقع التبديل في بعض ألفاظها، و[2]يقولون: إنه لم يعلم أن ألفاظها منزلة من عند الله، فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ما علم ثبوته أنهم قالوا: التوراة والإنجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسى، وعيسى ـ عليهما السلام ـ أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً، وأجلى منه بنو إسرائيل، ثم[3] ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عزرا[4](*)، وزعموا أنه نبي.

وقوع التبديل في ألفاظ التوراة والإنجيل، وانقطاع سندهما

(١) مكانه بياض في ك.

(٢) في س، ك، ط (أو).

(٣) في س (ثم قد ذكروا).

(٤) هو عزرا بن سرايا من نسل هارون، كاتب، وكاهن ماهر في العقائد الإسرائيلية ويذكر السموأل في إفحام اليهود ص ٥٠ ـ وهو من اليهود الذين أسلموا ـ أن هذا الرجل هو الذي جمع التوراة الموجودة بعد الغزو البابلي من محفوظاته ومن الكهنة وليست التوراة الأصلية.

(*) وينبغي أن نعلم هذه الحقائق فيما يتعلق بهذه المسألة:
أولاً: التوراة الأصلية مبرأة من التحريف والزيادة والنقصان.
ثانياً: استفاض عند علماء اليهود أن موسى ـ عليه السلام ـ أعطى التوراة الأصلية للهارونيين فقط، وأما بني إسرائيل عامة فإنه لم يعطهم التوراة خشية الاختلاف والانقسام. وإنما أبدى لهم نصف سورة لتكون شاهدة عليهم ولا تنسى من أفواه أولادهم كما ورد. =

ومن الناس من يقول: إنه لم يكن نبياً، وإنها قوبلت بنسخة، وجدت[1] عتيقة.

وقد[2] قيل: إنه أحضرت نسخة كانت بالمغرب، وهذا كله لا يوجب تواتر جميع ألفاظها، ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما يجري مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها[3]، وحفظها القليل. الاثنان والثلاثة.

= ثالثاً: عندما غزا بختنصر ملك بابل بني إسرائيل أحرق هيكلهم وقتل الهارونيين واستولى على بيت المقدس، وأحرق كتبهم فانقطع السند بذلك، وذهبت التوراة الأصلية.

رابعاً: لما رجع بنو إسرائيل ورأى عزرا حالتهم، وتفرقهم، قرر أن يجمع لهم كتاباً يجتمعون عليه، فكتب التوراة من محفوظاته، وجمع ما تبقى عند الكهنة، فخرجت التوراة الموجودة في صورتها المحرفة، والتي كانت من جمع هذا الرجل الذي وصفه السموأل بأنه رجل فارغ، جاهل بالصفات الإلّهية فلذلك نسب إلى الله تعالى ما لا يليق به، مثل الندم على ما مضى، والإقلاع عن مثله. تعالى الله علواً كبيراً وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

انظر: إفحام اليهود ص ٥٠ ــ ٥١؛ وهداية الحيارى ٥٨٣ ــ ٥٨٤ (المجموع)؛ وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني ص ٣١ فما بعدها بتحقيق الدكتور السقا؛ والتراث الإسرائيلي للدكتور صابر طعيمة ص ٧٠ ــ ٧٦.

أما الأناجيل: فإنها كتبت بعد المسيح ــ عليه السلام ــ لتحدث الناس عما أحاط بولادة عيسى ــ عليه السلام ــ من العجائب والغرائب، وتحكي تاريخاً، وسيرة للسيد المسيح.

(١) في ك، ط (وجدوها).

(٢) سقطت (قد) من ك، ط.

(٣) في س، ك (ومقابلها).

وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم[1] معترفون بأنه لم يكتبه المسيح ـ عليه السلام ـ ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملوه[2] بعد رفع المسيح «متى» و«يوحنا» ـ وكانا قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر ـ و«مرقس» و«لوقا»، وهما لم يريا المسيح ـ عليه السلام ـ، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح، وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله، وأفعاله.

ونقل اثنين، وثلاثة، وأربعة يجوز عليه[3] الغلط، لا سيما، وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل عيسى بن مريم[4]، وموسى ـ عليهما السلام ـ، وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات، وقالوا لهم هذه التوراة وهذا الإنجيل، ويقرون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا[5] لم يكونوا أنبياء، فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ، ولو كان من[6] أعظم أولياء الله، ولو كان له خوارق عادات. فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من أفاضل الصحابة عند المسلمين أفضل من الحواريين، ولا معصوم عندهم إلَّا من كان نبياً.

ودعوى أنهم رسل الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقض، وكونهم رسل الله هو مبني على كون المسيح هو الله، فإنهم رسل المسيح، وهذا

---

(١) في س، ك، (فإنهم).
(٢) في ط (أملاه).
(٣) في ط (عليهم).
(٤) في أ، س (إبراهيم) مكان (عيسى بن مريم).
(٥) في س (وإذا).
(٦) سقطت (من) من أ وألحقناها من سائر النسخ.

الأصل باطل ولكن في طريق[1] المناظرة، والمجادلة بالتي هي أحسن نمنعهم[2] في هذا المقام ونطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله، وليس لهم على ذلك دليل فإنه لا يثبت أنهم رسل الله إن لم يثبت أن المسيح هو الله، وإثباتهم أن المسيح هو الله إما أن يكون بالعقل أو بالسمع. والعقل لا يثبت ذلك، بل[3] يحيله وهم لا يدعون ثبوت ذلك بالعقل.

بل غاية ما يدعون إثبات إمكانه بالعقل لا إثبات وجوده مع أن ذلك أيضاً باطل وإنما يدعون ثبوت وجوده بالسمع، وهو[4] ما ينقلونه عن الأنبياء من ألفاظ يدعون ثبوتها عن الأنبياء، ودلالتها على أن المسيح هو الله كسائر من يحتج بالحجة السمعية. فإن عامة بيان صحة الإسناد دون بيان دلالة المتن، وكلا المقدمتين باطلة.

ولكن يقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلاَّ بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلاَّ بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم[5] إثبات أنهم رسل الله إلاَّ بإثبات أن المسيح هو الله فصار ذلك دوراً ممتنعاً[6].

---

(١) في ك، ط (طرق).

(٢) في ك، ط (فنمنعهم).

(٣) سقطت (بل) من ك وفيها (بحيلة) بالباء الموحدة وهو تصحيف.

(٤) في ك (وهم) وسقطت منها (ما).

(٥) في س، ك، ط (يمكنهم).

(٦) الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس أو بمراتب، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (أ). هذا ما ورد في التعريفات للجرجاني ص ١١٠ ــ ١١١، وقال في دائرة معارف القرن العشرين ٩١/٤ «الدور: عود الشيء لأصله، جمعه أدوار».

فإنه لا تعلم إلّهية المسيح إلَّا بثبوت هذه الكتب، ولا تثبت هذه الكتب إلَّا بثبوت أنهم رسل الله، ولا يثبت ذلك إلَّا بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الإلّهية متوقفاً على ثبوت إلّهيته[1]، وثبوت كونهم رسل الله متوقفاً على كونهم رسل الله، فصار ذلك دوراً ممتنعاً.

قد يدعون عصمة الحواريين، وعصمة أهل المجامع بعد الحواريين، كأهل المجمع الأول الذي كان بحضرة قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية عشر، ووضعوا لهم الأمانة التي هي عقيدة النصارى، التي لا يصح لهم قربان إلَّا بها[2] فيزعمون أن الحواريين

---

(١) في س (الإلّهية).

(٢) هذا مجمع (نيقية) بالكسر ثم السكون، وكسر القاف، وياء خفيفة، من أعمال إستانبول (إحدى مدن تركيا اليوم). انظر مراصد الاطلاع ١٤١٢/٣.
وقد عقد هذا المجمع ٣٢٥م بأمر من الملك الروماني (قسطنطين) الذي رأى الخلاف بين النصارى في شأن المسيح ــ عليه السلام ــ شديداً. فمن قائل أنه رسول، ومن قائل أنه أعلى من رسول، وأنه بمنزلة الابن لله، ومن قائل أنه ابن الله، له صفة القدم.
فكان هذا سبباً لعقد هذا المجمع ليتحدوا على رأي واحد. وقد ذكر سبب آخر وهو أن أريوس أحد علماء النصارى، كان قد قاوم كنيسة الإسكندرية التي كانت تبث ألوهية المسيح بين المسيحيين، وقد ذكر ابن البطريق في تاريخه (نظم الجوهر) مذهبه هذا وستأتي ترجمته.
كما أشار إلى هذا صاحب كتاب تاريخ الأقباط (زكي شنودة). وقد احتدم النزاع بين أريوس، والإسكندر صاحب كنيسة الإسكندرية، فتدخل قسطنطين ودعاهما للوفاق، ثم جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية، وحضره ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً انفصل منهم ثلاثمائة وثمانية عشر، برأي اتفقوا عليه وهو: تأليه المسيح ــ عليه السلام ــ وجنح قسطنطين إلى هذا القول؛ لموافقته هوى في نفسه، فهو الأقرب إلى وثنيته، واستبعد الجمع الغفير منهم، وأمر بعقد مجمع خاص بهؤلاء النفر، وأصدروا فيه ما يسمى عندهم قانون الأمانة الذي سبق نصه. وسنشير إلى بقية المجامع الرئيسية فيما بعد إن شاء الله. =

أو هؤلاء جرت على أيديهم خوارق، وقد يذكرون أن منهم من جرى إحياء الموتى[1] على يديه، وهذا إذا كان صحيحاً ــ مع أن صاحبه لم يذكر أنه نبي ــ لا يدل على عصمته[2]؛ فإن أولياء الله من الصحابة، والتابعين بعدهم بإحسان وسائر أولياء الله من هذه الأمة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه، وليس فيهم معصوم، يجب قبول كل ما يقول، بل يجوز الغلط على كل واحد منهم، وكل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلاَّ الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا أوجب الله الإيمان بما[3] أوتيه[4] الأنبياء، ولم يجب الإيمان

= انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ص ١٣٥، ط مطبعة الآباء اليسوعية ببيروت ١٩٠٥م.
وخلاصة الأصول الإيمانية ص ٦٦؛ وحياة قسطنطين ص ٨٦، تأليف يوسابيوس القيصري.

(١) في س، ك، ط (الميت).

(٢) زعم النصارى بأن عيسى ــ عليه السلام ــ أيد بعض الحواريين بإحياء الموتى فأحيوا الموتى كمثل ما فعل عيسى، وقد وردت في الإنجيل فقرات تشير إلى هذا، ففي إنجيل متى الإصحاح العاشر ورد قوله: «وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا (بلغوا) قائلين أنه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى. أخرجوا شياطين».
قلت: وهذا ــ إن صح ــ أمر وليس إخباراً، ثم إنه لو حصل فإنه لا يدل على عصمة من حصل منه. كما ذكر ابن تيمية ــ رحمه الله ــ ويحتمل أن يكون المراد تطهير المرضى من دون الكفر، وشفاءهم وإحياءهم بالإيمان بالله، وقد ورد في كتاب الله ــ تعالى ــ في سورة الأنعام الآية ١٢٢: ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**﴾ الآية. وانظر: كتاب أبي عبيدة الخزرجي مقامع هامات الصلبان، بتحقيق د. محمد شامة والكتاب بعنوان بين الإسلام والمسيحية ص ٧٧.

(٣) في ط (بكل ما).

(٤) في أ، ك (أوتيته).

بكل ما يقوله كل ولي لله.

قال ـ تعالى ـ :

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾[2].

ولهذا وجب الإيمان بالأنبياء جميعهم وما أوتوه كلهم.

ومن كذب نبياً واحداً تعلم نبوته، فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن سبه وجب قتله كذلك، بخلاف من ليس بنبي فإنه لا يكفر أحد بمخالفته، ولا يقتل بمجرد سبه إلَّا أن يقترن بالسب ما يكون مبيحاً للدم.

والذي عليه سلف الأمة كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين، وجماهير المسلمين، أن أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر وليس بعد الأنبياء أفضل منهما، وهذه الأمة أفضل الأمم، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[3] والمحدث الملهم: المخاطب.

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) سبق تخريج الحديث.

وكـان عمر قـد جعل الله الحق على قلبـه ولسانـه، وما كـان يقول لشيء: إني لأراه كذا وكذا، إلَّا كان كما يقول[1]، وكانت السكينة تنطق على لسـانـه، ومـع هـذا فلم يكن ـ لا هـو ولا غيـره ممن ليس بنبـي ـ معصـومـاً[2] من الغلط، ولا يجب على المسلم قبـول مـا يقـولـه[3] إن لم يدل عليه الكتاب والسنَّة، ولا كان يجوز لـه العمل بمـا يلقى في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنَّة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده.

وعند المسلمين أنه ليس في أتباع المسيح ـ عليـه السلام ـ مثـل أبـي بكر وعمر ـ رضـوان الله عليهما ـ فـإذا قالـوا عن الحواريين: أنهم ليسـوا معصـومين، فهم يقـولـون ذلـك فيمن هـو عنـدهم أفضـل من الحـواريين[4]، كما أنهم إذا قـالوا عن المسيـح: أنـه عبـد مخلوق ليس بـإلَه، فهم يقـولون ذلـك فيمن هو عنـدهم أفضل من المسيـح كمحمـد وإبراهيم عليهما[5] أفضل الصلاة والسلام.

وفي الملاحدة المنتسبين إلى الأمة من فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصـارى كمن يـدعي[6] الإلَهيـة

(١) انـظر: صحيح البخـاري ١٩٨/٤ (منـاقب عمـر رضي الله عنـه)؛ وصحيـح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضـائل عمـر وخصوصـاً حديث رقم (٢٤)، (٢٥) وكيف أنه وافق ربه في أمور عدة وهي، مقام الحجاب، وأسارى بدر، وتـرك الصلاة على المنافقين، وتحريم الخمر، وغيرها ١٨٦٥/٤.

(٢) في أ، س، ك (معصوم) وهو خطأ.

(٣) في س (ويقول)، وفي ك سقط في هذا الموضع.

(٤) في س (من الحواريون) وهو خطأ.

(٥) في س، ك (عليهم).

(٦) في ط (لمن يد يدعي).

من الإسماعيلية[1] كبني عبيد[2] القداح[3]، ــــــــــــــــ

---

(١) الإسماعيلية: نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الطالبي الهاشمي، سابع الأئمة. وهم إحدى فرق الباطنية، التي سبق الحديث عنها في أول الكتاب، وقد ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وقد افترقوا إلى فرقتين:
فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أهل التواريخ على موت إسماعيل قبل أبيه كما قال الإسفراييني رحمه الله.
والفرقة الثانية: تقول كان الإمام بعد جعفر سبطه (محمد بن إسماعيل بن جعفر) حيث أن جعفراً، نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علم أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، قال الإسفراييني وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية.
انظر في هذه الفرقة: الملل والنحل ٢/٥؛ وتلبيس إبليس ص ١٠٢؛ وفضائح الباطنية ص ٥٥؛ وقواعد عقائد آل محمد (الباطنية) للديلمي ص ٧٧؛ وسمط الحقائق لأحد دعاة الإسماعيلية علي بن حنظلة الوادعي ص ١٥ فما بعدها؛ والتبصير في الدين ص ٢٣؛ والفَرق بين الفرق ص ٦٢؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٩٤ (رسالة ماجستير).

(٢) بني عبيد (هم الفاطميون) أصحاب مصر وهم العبيديون، وجدهم عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الفاطمي، العلوي من ولد جعفر الصادق، أسس دولة العلويين في المغرب، وفي نسبه خلاف طويل، ولد بالكوفة سنة ٢٥٩، وظهر سنة ٢٩٦هـ في المغرب (بسجلماسة) واستفحل أمره حتى بويع في القيروان سنة ٢٩٧هـ، ثم اختط مدينة (المهدية) بالمغرب سنة ٣٠٣هـ واتخذها قاعدة لملكه ومات بها سنة ٣٢٢هـ بعد حكم دام أربعاً وعشرين سنة.
انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٧٩، ووفيات الأعيان ١/٢٧٢، والأعلام ٤/١٩٧.

(٣) انظر: ميمون بن داود القداح. قيل: اسم أبيه ديصان، وقيل: غيلان، وهو رأس الفرقة الميمونية من فرق الإسماعيلية، كان يظهر التشيع، ويبطن الزندقة، وقد قيل: إن الفاطميين من نسله قال الزركلي في الأعلام ولم يصح هذا. وكانت وفاته سنة ١٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/٣٤١.

كالحاكم[1] وغيره، و[2]يدعي الإلّهية في علي بن أبـي طالب أو غيره كدعوى النصيرية[3]، وهؤلاء كفار عند المسلمين.

وكذلك من يدعي الإلّهية في بعض المشايخ، كغلاة العدويـة[4]، والحلاجية[5] واليونسية[6]، وغيرهم، وكذلك من يدعي عصمة بني عبيد أو عصمة الإثني عشر أو عصمة بعض المشايخ.

فـإن النصـارى يـدعـون عصمـة الحـواريين الإثني عشـر، وهؤلاء يدعون عصمة الأئمة الإثني عشر[7].

---

(١) سبقت ترجمة الحاكم في أول الكتاب.

(٢) في ك، ط (أو من)، وفي س (أو يدعى).

(٣) النصيرية سبق التعريف بها في أول الكتاب.

(٤) نسبة إلى عدي بن مسافر، وسبق التعريف به وباتباعه.

(٥) نسبة إلى شيخهم أبـي مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وسبقت ترجمته.

(٦) اليـونسية: هم أتبـاع يونس بن عـون السمـري وقيـل: النميـري. ولم أقف لـه على ترجمة، وفرقته إحـدى فرق المـرجئة، ومن مـذهبم: أن الإيمان: هـو المعرفـة بالله والخضـوع له، وتـرك الاستكبار عليـه، والمحبة لـه. وهو في القلب واللسـان فقط. ومن اجتمعت فيـه هذه الخصـال فهو مؤمن، ومـا سوى ذلـك من الـطاعـة فليس من الإيمان، ولا يضر تركه حقيقة الإيمان؛ ولا يعذب على ذلك.
انـظر: مقالات الإسـلاميين للأشعـري ١/٢١٤، ٢١٥؛ والملل والنحـل ١/١٤٠؛ والتبصير في الدين لـلإسفراييني ص ٦٠؛ والفـرق بين الفرق ص ٢٠٢؛ واعتقـادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٧٠.

(٧) هم الاثنا عشرية: وهي إحدى فرق الشيعة الإمامية، يسـوقون الإمـامة في اثني عشـر إماماً، ويقولون: الإمام المنتظر هـو الثاني عشـر وهو (محمـد بن الحسن العسكري) وهو الذي يظهر ــ بـزعمهم ــ فيملأ الأرض عـدلاً بعد أن ملئت ظلمـاً وجوراً. وقـد جعلهم الشهـرستاني في اثنتي عشـرة فرقـة. ومن معتقداتهم: أن القـرآن فيه نقص، وأن (قل هو الله أحد) كانت ثمـانين آية، ويـزعم الشيخ المفيـد ــ وهو أحـد أئمتهم الموثوقين عندهم ــ أن الأخبار مستفيضة عن أئمتهم باختلاف القرآن، وما أحدثه فيه بعض الظالمين ــ في زعمهم ــ من الحذف والنقصان. =

وهؤلاء يسندون أصل دينهم إلى قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون أنهم معصومون في النقل عن المسيح وفي الفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله المسيح عليه[1] الصلاة والسلام .

وهؤلاء يقولون عن أولئك: إنهم معصومون في النقل والفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله الرسول ـ عليه الصلاة والسلام[2] ـ، وهذا مبسوط في موضع آخر[3] .

والمقصود هنا أنه ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل ولا نقل لا[4] متواتر ولا آحاد، بأكثر ما هم عليه من الشرائع. ولا عندهم ولا[5] عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة ونبوات

= ويعطي مفسرهم (الطباطبائي) في تفسيره (الميزان) ـ الأئمة صفة ترفعهم عن مقام البشر والإمام له يقين يكشف به عالم الملكوت ـ كما يزعم.
انظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد العكبري ص ٩٨، ط الحيدرية رقم ٣ عام ١٣٩٣هـ .
والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ١/٢٧٣ ط ٢/١٣٩٤هـ بيروت، وقد ذكرت هذه الفرقة في كتب الفرق التالية: مقالات الإسلاميين ١/٩٠؛ والملل والنحل ٢/٥؛ والفصل لابن الحزم ٤/١٧٩؛ والفرق بين الفرق ص ٦٤؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٥٥؛ والتبصير في الدين ص ٢١؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان رسالة ماجستير ص ٤٧٢؛ وانظر: سلسلة إحسان إلهي ظهير «الشيعة والقرآن، والشيعة وآل البيت، وكتاب (تبديد الظلام وتنبيه النيام للجبهان) ».

(١) في ك، ط (عليه أفضل).
(٢) في ك (عليه السلام).
(٣) سبق حديث المؤلف عن زعم النصارى بأن الحواريين معصومون، والرد على هذه الفرية.
(٤) سقطت (لا) من ك، ط .
(٥) سقطت (لا) من ك.

الأنبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن، وبالشرائع الظاهرة المعروفة للعامة والخاصة، وهذا مثل الأمانة التي هي أصل دينهم، وصلاتهم إلى المشرق، وإحلال الخنزير، وترك الختان، وتعظيم الصليب، واتخاذ الصور في الكنائس، وغير ذلك من شرائعهم، ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر في الأناجيل التي ينقلونها عنه. وهم متفقون على أن الأمانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم، ليست ألفاظها موجودة في الأناجيل ولا هي مأثورة عن الحواريين، وهم متفقون على أن الذين وضعوها أهل المجمع الأول الذين كانوا عند قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية[1] عشر، وخالفوا عبد الله بن أريوس[2] الذي جعل المسيح عبداً لله[3] كما يقوله المسلمون، ووضعوا هذه الأمانة.

وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة سنة وبسط هذا له[4] موضع آخر، وإنما المقصود هنا الجواب عن قولهم: إن محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثبت ما معهم، وأنه نفى عن إنجيلهم، وكتبهم التي بأيديهم التهم، والتبديل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

---

(١) في س، ط (وثمان).

(٢) أريوس كان قسيساً بالإسكندرية، ولد سنة ٢٥٦م، وتوفي سنة ٣٣٦م، ونشأ في عائلة مسيحية، ودرس اللاهوت في مدرسة الإنطاكية على يد المعلم لوقيانيوس.
انظر: الفصل لابن حزم ١/٤٨؛ والملل للشهرستاني ١/٢٢٧؛ ونظم الجوهر لابن البطريق ص ١٣٥؛ وتاريخ الأقباط لزكي شنودة ١/١٤٩؛ وتاريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا جرجس ١/٦١٧.

(٣) في ط (عبد الله).

(٤) في س (ويسط له) وفي ط (وبسطه له)، وسقط هذا من ك وسيتحدث ـ رحمه الله ـ عن المجامع في الجزء الثالث.

وقد تبين أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، لم يصدق شيئاً من دينهم المبدل، والمنسوخ، ولكن صدق الأنبياء قبله وما جاؤوا به، وأثنى على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبياً من الأنبياء. وإن كفر النصارى من جنس كفر اليهود، فإن اليهود بدلوا معاني الكتاب الأول، وكذبوا بالكتاب الثاني، وهو الإنجيل، وكذلك النصارى بدلوا معاني الكتاب الأول التوراة، والإنجيل، وكذبوا بالكتاب الثاني، وهو القرآن، وأنهم ادعوا أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صدق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم.

فجمهور المسلمين يمنعون هذا ويقولون: إن بعض ألفاظها بدل كما قد * بدل كثير من معانيها ومن المسلمين من يقول: التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها *[1]، وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى.

وعلى القولين فلا حجة لهم في تصديق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما هم عليه من الدين الباطل، فإن الكتب الإلّهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفرهم به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته. مثل التثليث، والاتحاد، والحلول[2] وتغيير شريعة المسيح، وتكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فليس في الكتب التي بأيديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً، على الأمانة التي هي أصل دينهم، وما في ذلك من التثليث، والاتحاد، والحلول، ولا فيها ما[3] يدل على أكثر شرائعهم

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٢) سقطت (والحلول) من أ، س. وسبق التعريف بهذه المصطلحات في أول الكتاب.

(٣) سقطت (ما) من ط .

كالصلاة إلى الشرق[1] واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك، كما قد بسط في موضع آخر[2].

ويقال لهم: أين ما[3] معكم عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، مما يدل على أن ألفاظ الكتب التي بأيديكم لم يغير فيها[4] شيء؟ ومعلوم أن المسلمين، وغيرهم إذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر.

فإذا كان المسلمون[5] قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب[6] المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الأخرى، ولا يجوز لأحد من المسلمين، ولا منكم أن يضيف إلى الرسول قولاً إلَّا بدليل.

فأين في القرآن والسنَّة الثابتة عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن جميع ما بأيدي أهل الكتاب من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونبوات الأنبياء لم تبدل بشيء من ألفاظها حتى يقولوا: إن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفى عن كتبهم ذلك؟

وهؤلاء بنوا كلامهم على أن ألفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذي هم عليه بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبعد تكذيبهم لمحمد[7] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنه لم يبدل شيء من ألفاظها.

---

(١) في ط (المشرق).
(٢) سبق الحديث عن بعض تشريعاتهم، وسيتحدث عن ذلك أيضاً في آخر هذا الكتاب.
(٣) سقطت (ما) من س، ك.
(٤) في ط (منها).
(٥) في س، ك (المسلمين) وهو خطأ.
(٦) في ط (الكتب الإلٓهية). (٧) في ط (بمحمد).

وقد تبيَّن فساد ذلك من وجوه متعددة.

ثم زعموا أن المسلمين يدعون أن ألفاظ هـذه الكتب حرفت كلها بجميع لغاتها بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهـذا القول لم يقله أحد من المسلمين ـ فيما أعلم ـ وظنوا أنهم بالجـواب عن هذا يكونون[1] قد أجابوا المسلمين.



(١) في أ(يكونوا).

فصـل

الردّ على النَّصارى في دعواهم بأنَّ المسلمين يقولون أنَّ التحريف وَقَع بعد مَبْعث محمد صلى الله عليه وسلم

فقال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إن قال قائل: إن التبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول فقالوا: إنا نعجب من هؤلاء القوم ــ على علمهم، وذكائهم، ومعرفتهم ــ كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول؟ وذلك أنا أيضاً إذا احتججنا[1] عليهم بمثل هذا القول، وقلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوِّزون كلامنا؟ قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: هذا مما لا يجوز ولا يمكن أحداً أن يقوله، ولا يمكن أن يتغير منه إلى آخر الفصل[2]، وسيأتي بألفاظ بعد هذا.

والجواب أن هذا السائل النصراني الذي ذكر عن المسلمين سؤالاً لا يقولونه، وعن علماء النصارى جوابه، هو وهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن الرسول ثبت ما معهم، ونفى عن كتبهم التي بين أيديهم التهم، والتبديل، والتغيير لها. ومقصودهم بذلك لا يتم إلا إذا نفى التبديل عن لفظها، ومعناها، وهذا مما يعلم كل عاقل أن الرسول لم ينفه عنها بل النقل المتواتر عنه بنقيض ذلك. وهم أيضاً، وكل عاقل

(١) في جميع النسخ عدا (ط) احتجينا، والصواب ما أثبتناه؛ لأنه فعل مضعف أسند إلى ضمير رفع متحرك فوجب فك ادغامه.

(٢) ملخص: الشبهة: أن التبديل، والتغيير يجوز أن يكون وقع بعد هذا القول.

يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدل محرف، وكذلك وقع في تغيير شرائع هذه الكتب، فإن الكتب تضمنت أصلين: الإخبار، والأمر. والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبته.

* وأهل الكتاب يكذبون بكثير مما أخبرت ولا يوجبون طاعتها في كثير مما أوجبته وأمرت به *(1)، وكل فرقة منهم تشهد على الفرقة الأخرى بمثل ذلك.

والنصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم(2)، وهم في كل

---

(1) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(2) تنقسم المجامع ـ عندهم بالنظر إلى عدد أربابها، ودرجاتهم، وشوكتهم ـ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجامع عامة، ويقال لها مسكونية أي: تجمعهم من أنحاء العالم.

القسم الثاني: مجامع ملية: أي خاصة بطائفة دون غيرها.

القسم الثالث: مجامع إقليمية: أي خاصة بإقليم مخصوص دون غيره.

والمهم من هذه المجامع ـ عندهم ـ هي العامة، وقد ذكر العلماء بأنه بلغ عددها من القرون الأولى المسيحية إلى سنة ١٨٦٩م. عشرين مجمعاً.

الأول: مجمع نيقية (من أعمال استانبول) وعقد سنة ٣٢٥م. وسبق الحديث عنه، وهو أعظمها.

الثاني: المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م؛ ويسمى الأول بالنسبة إلى مجامع أخرى انعقدت في قسطنطينية، وقد قرر هذا المجمع ألوهية الروح القدس.

الثالث: مجمع أفسوس الأول سنة ٤٣١م؛ (وهي بلد بثغرطرسوس) وقد قرر فيه أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، وأن مريم ولدت الاثنين معاً.

الرابع: مجمع خليكدونية سنة ٤٥١م؛ قرروا فيه أن المسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة متحدة؛ (خلكدونية: صقع منه المصيصة وطرسوس) مراصد الاطلاع ٤٧٨/١). =

مجمع يلعنون طائفة منهم كبيرة[1] ويكفرونهم ويقولون عنهم: إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها. وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها. ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية، والملكية، واليعقوبية[2]، كل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض[3] ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها. بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة، فزعم كل فريق منهم أن المسيح جاء بما هم عليه. والمسيح ـ عليه السلام ـ وجميع الرسل بريئون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وبريئون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله ما لا يعلم. وبريئون من كل قول باطل يقال على الله ـ عز وجل ـ وإن كان قائله مخطئاً لم يتعمد الكذب.

وفي مقالات النصارى من هذه الأنواع ما يطول وصفه. وقد بسط في غير هذا الموضع.

= الخامس: المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م.
السادس: المجمع القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠م.
السابع: المجمع القسطنطيني الرابع سنة ٧٥٤م.
ثم تلاها مجامع أخرى بلغت عشرين مجمعاً، وكان آخرها سنة ١٨٦٩م. في رومة وفيه أثبتوا العصمة للبابا.
وسيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن المجامع في الجزء الثالث.
وانظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٧١ ـ ٢٨٤؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٤١ ـ ١٧٥؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ١٩٤ ـ ٢٠٠؛ وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٠٨؛ والتعصب والتسامح للغزالي ص ٦٩ وما بعدها.

(١) في ك، ط (كثيرة).
(٢) سبق الحديث عن هذه الفرق.
(٣) في س، ك، ط (لبعض).

وإذا عـرفت[1] أن جميـع الـطوائف: من المسلمـين والـيهـود والنصـارى، يشهدون أنـه قد وقـع في هذه الكتب تحـريف وتبـديـل في معـانيها وتفـاسيرهـا[2] وشرائعهـا فهذا القـدر كـاف. وهم من حين بعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صار كل من لم يؤمن به كافراً، بخلاف حال النصارى قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فإنه كان فيهم من هو متبع لدين المسيح. والمسلمون ــ وإن كان فيهم من حرَّف الدين وبدله ــ فجمهـورهم خالفـوا هؤلاء، فلا يـزال فيهم طائفـة ظاهـرة على الحق لا يضـرهـم من خـالفهم، وخـذلهم حتى تقـوم السـاعـة، بخـلاف النصارى، فإنهم كفروا جميعهم، كما كفرت اليهود بتكذيب المسيح.

والمسلمـون يثبتون بـالدلائـل الكثيرة أنهم بـدلوا معـاني التـوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرهم من نبوات الأنبياء، وابتدعوا شـرعاً لم يـأت به المسيح، ولا غيره، ولا يقوله عاقل، مثل زعمهم: أن جميـع بني آدم من الأنبيـاء، والرسـل، وغيرهم كـانوا في الجحيم في حبس الشيـطان، لأجل أن أباهم[3] آدم أكل من الشجرة، وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح[4].

(١) في س، ك، ط (عرف).
(٢) في ط (وتفسيرها).
(٣) في أ (أبيهم) وصححناه من سائر النسخ.
(٤) صلب المسيح ــ كما يـزعم النصارى ــ فـداء عن الخليقة، من أهم عقـائدهم بعـد التثليث، فقد زعموا أن العـالم من عهد الخـطيئة، وهبـوط آدم، وبقاء بنيـه من بعده في الـدنيا بسبب تلك الخـطيئة، لكن الله ــ بـزعمهم ــ أرسـل ابنـه وحيـده عيسى؛ ليقرب آدم من ربه بصلبه فداء عن تلك الخطيئة، وليخلص العالم من ذلك جاء هذا في إنجيل مرقص الإصحاح العاشـر/ فقرة ٤٥، وفي إنجيـل لوقـا الإصحاح التـاسع عشـر/ فقرة ٥٦؛ وهكـذا في سائـر الأناجيـل، وفي رسالـة بـولس إلى أهـل رومية الإصحاح الثالث/ فقرة ٢٣، فما بعدها. =

فإن هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذبه عليهم، فكيف وهذا الكلام ليس منقولاً عندهم عن[1] أحد من الأنبياء؟ وإنما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة، فإن كثيراً من دينهم مأخوذ عن رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء.

فإذا قطعنا بكذب من ينقله عن الأنبياء فكيف إذا لم ينقله[2] عنهم؟ وذلك أن[3] الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته، لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع، فيخبرونهم

= وقد تناول هذه العقيدة الباطلة بالرد كثير من علماء المسلمين، ومنهم من أسلم وقد كان نصرانياً بسبب هذه العقيدة الفاسدة التي لا يقرها عقل، ولا يؤيدها نقل صحيح. وممن أسلم بسببها داود عبد الأحد فقد ذكر في مقدمة كتابه (الإنجيل والصليب) ص ١٢ ط القاهرة ١٣٥١هـ. إن هذه المسألة من المسائل التي حملته على التفكير في تغيير دينه (النصرانية) وتحوله إلى الإسلام، وتساءل مستغرباً كيف كانت الخطيئة مكتومة عن الأنبياء السابقين، ثم اكتشفتها حادثة الصلب فقال: «إن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتوماً عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وأن هوية الأقانيم الثلاثة، وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى ـ عليهم السلام ـ قد صار من مبادىء معلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان...» إلخ ما ذكر راداً على هذه الفرية الباطلة، وقد رد القرآن الكريم هذه القضية، وقرر أولاً أن الله قد تاب على آدم من خطيئته في سورة البقرة: الآية ٣٧، وطه: ١٢١؛ ونفى القرآن أن يكون عيسى قد صلب كما في سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨، وقرر القرآن أن وزر كل ذنب لا يكون إلا على مقترفه فحسب كما في سورة الأنعام، وسورة النجم: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ويقرر كثير من الباحثين أن فكرة الفداء وثنية قديمة تسربت إلى النصرانية مؤخراً، وحيَّرت هذه الفكرة كثيراً من النصارى فكيف يجمعون بين عدل الله وبين هذه الفكرة؟!.

(١) في ط (من) بدل (عن).

(٢) في ك، ط (ينقل).

(٣) في س (يبين ذلك أن) وجاءت في ك، ط (ذلك فإن الأنبياء).

بمحيرات[1] العقول لا محالات العقول، وآدم ــ عليه السلام ــ وإن كان أكل من الشجرة ــ فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه.

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إنا لا نعلم أنه[4] تاب، أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه، وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر، ففي التوراة ما ليس في الإنجيل. وفيهما[5] ما ليس في الزبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها. فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل وقد بين الله ــ تعالى ــ فضله عليهما في غير موضع، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ...﴾[6].

---

(١) في أ، س، ك (بمحارات).
(٢) سورة طه: الآيتان ١٢١، ١٢٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.
(٤) سقطت (أنه) من س، ك.
(٥) في أ (ومنها).
(٦) سورة الزمر: الآية ٢٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . . . ﴾[2] .

وسواء تاب آدم أو لم يتب فكيف يجوز أن يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه؟ وإبراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله[3] في جهنم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم، مع أنه كان نبياً؟ ونوح ـ عليه السلام ـ قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟ .

وموسى بن عمران الذي[4] كلمه الله تكليماً، وأظهر على يديه من البراهين، والآيات ما لم يظهر مثله على يدي المسيح، وقتل نفساً لم يؤمر بقتلها، فغفر الله له ذلك، وله من المنزلة عند الله والكرامة، ما لا يقدر قدره، فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان.

ثم أي مناسبة بين[5] الصلب الذي هو من أعظم الذنوب، سواء

---

(1) سورة يوسف: الآية ٣.

(2) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(3) في ط (يجعله الله).

(4) سقطت (الذي) من س، ك، ط.

(5) سقطت (بين) من س.

صلبوا المسيح، أو المشبه به، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالماً معتدياً والله ـ عز وجل ـ قادر على منعه من ظلمهم، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم.

* فلماذا أخر منعه من ظلمهم *[1] إلى زمن المسيح؟ وهو ـ سبحانه ـ ولي المؤمنين وناصرهم، ومؤيدهم، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان. فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم، ويجعل أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قدر أن الشيطان كان قادراً على ذلك، وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه، وأوليائه، وسقوط التكليف[2] عنهم، واستحقاقهم كرامته، وإحسانه، وجنته بحكم وعده، ومقتضى حكمته، فجعله[3] مسلطاً على حبسهم في جهنم؟!.

وإن قالوا: الرب ـ عز وجل ـ ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان، مع علمه بأنه[4] ظالم معتد عليهم بعد الموت إلا بأن يحتال عليه بإخفاء[5] نفسه ليتمكن الشيطان[6] منه كما يزعمون ـ فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم، وجعل الرب ـ سبحانه ـ عاجزاً كما جعلوه أولاً ظالماً ـ فيه من التناقض ما يقتضي عظيم جهلهم الذي جعلوا به الرب جاهلاً، فإنهم يقولون: إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل، كما احتال الشيطان على آدم بالحية، فاختفى منه لئلا يعلم أنه ناسوت الإله،

(١) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.
(٢) في س، ك (التكلف).
(٣) في ط (وجعله).
(٤) في أ (أنه).
(٥) في أ (باختفاء).
(٦) سقطت كلمة (الشيطان) من ط.

وناسوت الإله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره.

فلما أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه في جهنم كسائر من مضى، وهو لم يعمل خطيئة. استحق الشيطان أن يأخذه الرب، ويخلص الذرية من حبسه.

وهذا تجهيل منهم للرب ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون مع تعجيزه وتظليمه. فإنه إن كان هو سلط الشيطان على بني آدم كما يقولون. فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، إذ الجميع بني آدم، وأيضاً فإذا قدر أن الناسوت يدفع[1] الشيطان عن نفسه بحق، فإنهم يقولون: إنه دخل الجحيم، وأخرج منه ذرية آدم.

فيقال: إن كان تسلط الشيطان على حبسهم في الجحيم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم، لم يجز إخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب، وإن كانوا مظلومين مع الشيطان، وجب تخليصهم[2] قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك فليس في مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره، وإن قالوا أنه كان بدون تسلطه[3] على صلبه عاجزاً عن دفعه، فهو مع تسلطه على صلبه أعجز وأعجز.

الأصل الثاني الفاسد: الذي بنوا عليه سؤالهم الذي جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم، ظنهم أن المسلمين يقولون: إن هذه الكتب حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

---

(١) في س، ك، ط (دفع).

(٢) في أ، س (تخلصهم).

(٣) في ك، ط (تسلطهم).

وهذا مما لا يقوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم: إنه حرف بعد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ألفاظ بعض[1] النسخ، فإن الجمهور الذين يقولون: إن بعض ألفاظها حرفت، منهم من يقول: كان هذا قبل المبعث[2].

ومنهم من يقول: كان بعده، ومنهم من يثبت الأمرين أو يجوزهما، ولكن لا يقول[3]: إنه حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الأرض ومغاربها، كما حكاه هذا الحاكي عنهم، ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع[4] التحريف في المعاني والتفسير.

وإن كانت كل طائفة تزعم أن الأخرى هي التي حرفت المعاني.

وأما ألفاظ الكتب، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب.

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلى أنه بدل بعض ألفاظها.

وهذا مشهور عند[5] كثير من علماء المسلمين، وقاله أيضاً كثير من علماء أهل الكتاب.

حتى في صلب المسيح، ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما

---

(١) في ك ط (بعد) وهو تحريف.
(٢) في س، ك، ط (البعث).
(٣) في س، ك، ط (لا يقولون).
(٤) سقطت (وقوع) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٥) في س، ك، ط (عن).

صلب الذي شبه[1] بالمسيح، كما أخبر به القرآن[2]، وإن الذين أخبروا بصلبه كانوا قد[3] أخبروا بظاهر الأمر، فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح، * أو تعمدوا الكذب *[4] ثم هؤلاء منهم الذين يقولون: إن في ألفاظ الكتب ما هو مبدل.

و[5] فيهم من يجعل المبدل من التوراة والإنجيل كثيراً منهما. وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما، لا سيما الإنجيل، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه في التوراة[6].

ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول: أنه لا حرمة لشيء منهما، بل يجوز الاستنجاء بهما.

ومنهم من يقول: الذي بدلت ألفاظه قليل منهما، وهذا أظهر.

والتبديل في الإنجيل أظهر، بل كثير من الناس يقول: هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل.

والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل[7].

---

(١) في س (يشبه).
(٢) في ك، ط (في القرآن).
(٣) سقطت (قد) من أ، س وزدناها من ك، ط.
(٤) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.
(٥) سقطت الواو من أ، س، ك وألحقتها من ط.
(٦) هنا جملة (أو تعمدوا الكذب) في ط وهي زائدة في هذا الموضع.
(٧) التحريف في كتب اليهود والنصارى على ثلاثة أنواع:
١ ـ تحريف لفظي: بتبديل ألفاظ التوراة والإنجيل.
٢ ـ تحريف بالزيادة في نصوص التوراة والإنجيل.
٣ ـ تحريف بالنقصان فيها.
وكيفية التغيير والتحريف: أنهم يلبسون الحق بالباطل، بحيث لا يتميز عنه، وتارة =

دعوة أهل الكتاب إلى الحكم بما في كتبهم من الألفاظ الصحيحة

والصحيح أن هذه التوراة الذي بأيدي أهل الكتاب، فيها[1] ما هو حكم الله، وإن كان قد بدل وغير بعض ألفاظهما كقوله[2] ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾[3].

= يخفون الحق ويكتمونه، ولا يبينونه للناس، وتارة يلوون ألسنتهم بالكتاب ليحسبه السامع منه وليس منه، وتارة يحرفون الكلم عن مواضعه في ألفاظه وفي معانيه، وتارة يحرفون الكلم من بعد مواضعه، وهو إزالة الكلمة المنزلة، ووضع كلمة أخرى مكانها تحتمل معنيين: المعنى الأصلي، والمعنى الذي يريده، ومثال هذا النوع: «أقيم لهم نبياً من بني إخوتهم» تثنية إصحاح ١٨/١٨ فأزالوا كلمة (بني) وجعلوا مكانها (وسط) والأخيرة تحتمل أن يكون النبي من بني إسماعيل لأنه أخ لإسحاق أو من بني إسرائيل لأنهم إخوة بعضهم لبعض. وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: ﴿... **والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا يحرفوا الكلم عن مواضعه...**﴾ الآيتان: ٤٥، ٤٦ من سورة النساء.

وقد ساق الشيخ... رحمة اللّه الهندي في كتابه إظهار الحق ص ٢٠٦ فما بعدها أمثلة كثيرة لأنواع التحريف، ويأتي في الجواب الصحيح الجزء الثاني منه تفصيل لهذه القضية، وزيادة بيان وانظر: هداية الحيارى لابن القيم بتحقيق الدكتور السقا ص ١٠٥؛ ومقامع هامات الصلبان للخزرجي ص ١٠٩ (بتحقيق الدكتور محمد شامة) حيث ساق أقوال المفسرين في هذه المسألة، ص ٢٦٠. وكتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٧٧ حديث عن الاختلاف الكثير في الأناجيل؛ وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني * هذا كتاب كله في هذه القضية * وهو كتاب مفيد فيها جداً بتحقيق الدكتور السقا (ط ١ دار الشباب بمصر).

(١) ك، ط (فيه).

(٢) في ك، ط (لقوله).

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

إلى قوله:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ. . . ﴾[1].

فعلم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس، و[2] بعد مجيء بختنصر[3] وبعد مبعث المسيح، وبعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فيها حكم الله.

والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإن قيل: أنه غير بعض ألفاظها بعد مبعثه، فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضاً متعذر، بل يمكن تغيير كثير من النسخ، وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك، ومع هذا فكثير[4] من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب، إنما تختلف[5] في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن أحد[6] أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب

(١) سورة المائدة: الآية ٤٣.
(٢) سقطت الواو من ك، ط.
(٣) سبقت ترجمة بختنصر، والإشارة إلى غزوه بيت المقدس، وقد كان خراب بيت المقدس سنة عشرين من ولاية بختنصر؛ وسنة ٤٥٣ مضت من عمارة بيت المقدس واستمر خراباً سبعين سنة.
(٤) في أ، س (التي) بدل (فكثير).
(٥) في ك، ط (يختلف) بالمثناة التحتية.
(٦) في ط (أحداً).

موجود في الكثير من النسخ، كما قد تختلف نسخ بعض كتب[1] الحديث، أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ، وهذا خلاف[2] القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور، بالنقل[3] المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

وذلك أن اليهود قبل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعلى عهده، وبعده منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وعندهم نسخ كثيرة[5] من التوراة.

وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة[6]، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها، ولو كان ذلك[7] ممكناً لكان هذا[8] من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها، وكذلك في الإنجيل قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ... ﴾[9].

فعلم أن في هذا الإنجيل حكماً أنزله الله ـ تعالى ـ، لكن

---

(١) في أ (كتب أهل الحديث).
(٢) في س، ك، ط (بخلاف).
(٣) في س، ك، ط (بالنقل).
(٤) سورة الحجر: الآية ٩.
(٥) في أ، س (كثير).
(٦) في أ، س (بالتوراة) وصححناه من سائر النسخ.
(٧) في ك، ط (هذا).
(٨) في ك، ط (ذلك).
(٩) سورة المائدة: الآية ٤٧.

الحكم هو من باب الأمر والنهي. وذلك لا يمنع[1] أن يكون التغيير في باب الإخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظاً، وأما الأحكام التي في التوراة، فما يكاد أحد يدعي التبديل في ألفاظها.

وقد ذكر طائفة من العلماء أن قوله ـ تعالى ـ في الإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾، هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد مبعث محمد صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ﴾ بكسر اللام كقراءة حمزة[2] فإن هذه لام كي، فإنه ـ تعالى ـ قال[3]:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[4].

---

(١) في أ (يمتنع).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات، التيمي، أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠هـ، كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول والإنكار على من تكلم فيها كما قال الذهبي ونقل عن سفيان الثوري قوله: ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر. مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٥٦هـ. وقيل ١٥٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/٦٠٥ (٢٢٩٧)؛ وتهذيب التهذيب ٣/٢٧؛ والتبصرة في القراءات السبع ص ١٤؛ والأعلام للزركلي ٢/٢٧٧.

(٣) في س (فإنه قال تعالى).

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

فإذا قرئ[1] «وَلِيَحْكُمَ»، كان المعنى وأتيناه الإنجيل لكذا وكـذا، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وهذا يوجب الحكم بما أنزل الله في الإنجيـل الحق، لا [2] يـدل على أن الإنجيـل المـوجـود في زمن الرسول هو ذلك الإنجيل.

وأما قراءة الجمهور[3]: «وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ» فهو أمر بذلـك. فمن العلماء من قال: هو أمر لمن كان الإنجيل الحق موجوداً عندهم أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وعلى هذا يكون قوله ــ تعالى ــ: «وَلْيَحْكُمْ» أمـر لهم قبل مبعث محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. وقـال آخـرون: لا حـاجـة إلى هـذا التكلف[4]، فـإن القـول في الإنجيـل كـالقـول في التوراة. وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ

---

(١) في ك، ط (قرأ).

(٢) في ط (ولا).

(٣) قرأ حمزة (وليحكم) بكسر اللام، وفتح الميم، وقرأ البـاقون بـإسكان الـلام والميم، وعلى القـراءة الأولى ينصب الفعـل (يحكم) على أن الـلام لام كي وعلى قـراءة الجمهور، اللام لام الأمر، والكلام مستـأنف، والاختيار الجـزم لأن الجماعـة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله لأهل الإنجيل.
انظر: التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبـي طالب ص ٣١٦؛ وتفسير ابن جرير الطبري ٦/١٧١ (مجلد ٤)؛ وفتح القديـر للشوكـاني ٢/٤٧؛ والتيسر في القـراءات السبـع لأبـي عمـرو الـداني ص ٩٩؛ والغـايـة في القـراءات العشـر للنيسـابـوري ص ١٤٠.

(٤) في أ، ك، ط (التكليف)، وما أثبتناه من س هو الأصح.

مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ
ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ
عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم
بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا
حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ
أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟
وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ
فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ
وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ . . . ﴾[1] .

فهذا قد صرح بأن أولئك الذين تحاكموا[2] إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من اليهود عندهم التوراة فيها[3] حكم الله، ثم تولوا عن حكم الله وقال بعد ذلك: (. . . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. . .)، وهذه[4] لام الأمر، وهو أمر من الله أنزله على لسان محمد، وأمر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع، وإنما يكون الأمر أمراً لمن آمن

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٤١ ـ ٤٦.

(٢) في س(بأن أولئك يحاكمون).

(٣) في ك (منها).

(٤) في ك (وهذا).

به من بعد خطاب الله لعباده بالأمر، فعلم أنه أمر لمن كان موجوداً حينئذٍ أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والله أنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[١]، كما أمر به في التوراة، فليحكموا[٢] بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كما أمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح، وما نسخه فقد أمروا فيها[٣] باتباع المسيح، وقد أمروا في الإنجيل باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ فمن[٤] حكم من أهل الكتاب ـ بعد مبعث محمد ـ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بما أنزل[٥] الله في التوراة والإنجيل لم[٦] يحكم بما يخالف حكم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ إذ كانوا مأمورين في التوراة والإنجيل باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ. . . ﴾[٧].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ. . . ﴾[٨].

---

(١) سقطت جملة (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) من أ، س، ك.
(٢) في أ، س (فيحكموا).
(٣) في ط (فيه).
(٤) في ك، ط (لمن).
(٥) في ط (أنزله).
(٦) في ط (ولم).
(٧) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٨) سورة المائدة: الآية ٤٨.

فجعل القرآن مهيمناً. والمهيمن: الشاهد الحاكم المؤتمن، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل ولهذا قال:

﴿. . . لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . . .﴾[1].

وقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد[2] هذا. ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال[3]: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا فقال لهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟». قالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم. إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام[4]: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد. فأمر بهما النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فرجما[5].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) في ك، ط (والمسانيد) وهي جمع مسند وتجمع على الوجهين مساند، ومسانيد كما جاء في القاموس المحيط ١/٣٠٣ (فصل السين باب الدال).

(٣) سقطت (أنه قال) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقط (ابن سلام) من ط.

(٥) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة ٨/٣٠ وفيه: «فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة» * ويحني: يكب *.
ورواه بنحوه في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط ٨/٢٢؛ ورواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ٣/١٣٢٦ (١٦٩٩) بنحوه.
وأبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٤/٥٩٣ (٤٤٤٦)؛ والترمذي ــ مختصراً ــ في الحدود، باب ما جاء في رجم أهل الكتاب ٤/٤٣ (١٤٣٦)؛ =

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: أُتي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق حتى جاء يهود[1]. فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا: نسود وجوههما، ويطاف بهما. قال: **﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**، قال: فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: مره فليرفع يده فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم. قالوا: صدق فيها آية الرجم، ولكننا نتكاتمه بيننا، وأن أحبارنا أحدثوا التحميم والتجبية. فأمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ برجمهما فرجما[2].

وأخرج مسلم عن البراء بن عازب ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: «مر على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيهودي محمم مجلود فدعاهم. فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعى رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على

= وابن ماجه ــ مختصراً ــ في الحدود، باب رجم اليهودي واليهودية ٢/٨٥٤ (٢٥٥٦)؛ ومالك في الحدود، باب ما جاء في الرجم ٢/٨١٩؛ وأحمد في المسند ٢/٥، ٦٢ ــ مختصراً ــ ؛ والدارمي، باب في الحكم بين أهل الكتاب... ٢/١٧٨؛ وفي مسند ابن عمر ص ٣٧ (٥٩).

(١) في ط (يهودي).

(٢) رواه البخاري بنحوه في كتاب التفسير، باب: قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ٥/١٧٠، وليس فيه (وأن أحبارنا أحدثوا التحميم والتجبية).
وانظر المواضع السابقة في تخريج الحديث الذي قبله، وبين الحديثين تداخل وتقارب مع اختلاف في الألفاظ لا يضر بالمعنى.
والتحميم: تسويد الوجه، والتجبية: نكس الرأس، وسيأتي زيادة بيان.

موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم[1]؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال: رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: اللَّهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم. فأنزل الله ــ تعالى ــ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ. . . ﴾[2].

إلى قوله:

﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ــ إلى ــ ٱلظَّـٰلِمُونَ ــ إلى ــ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾.

قال: هي في الكفار[3] كلها[4].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[5] أنه قال: «رجم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رجلاً من أسلم؛ ورجلاً

---

(١) من قوله (قالوا نعم فدعى رجلًا) إلى هذا الموضع ساقط من س.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في ط (الكفارة) وهو خطأ.

(٤) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ٣/١٣٢٧ (١٧٠٠)؛ ورواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين ٤/٥٩٥ حديث رقم (٤٤٤٧)، (٤٤٤٨)؛ وابن ماجه ٢/٨٥٥ (٢٥٥٨) في كتاب الحدود، باب في رجم اليهودي واليهودية؛ ورواه أحمد في المسند ٤/٢٨٦.
وانظر: لباب النقول للسيوطي ص ٨٨، ٨٩؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٤٥.

(٥) سقطت جملة رضي الله عنه من أ، ك، ط.

من اليهود»[1].

وأما السنن ففي سنن أبي داود عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى القف فأتاهم في بيت المدراس[2]. فقالوا: يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وسادة فجلس عليها ثم قال: أئتوني التوراة فأتى بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، وقال: آمنت بك وبمن أنزلك. ثم قال: ائتوني بأعلمكم فأتي بشاب، ثم ذكر[3] قصة الرجم»[4].

---

(١) رواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنا ١٣٢٨/٣ (١٧٠١)، وفيه زيادة (وامرأته)، والمقصود بها صاحبته التي زنا بها، ولم يرد زوجته، وفي رواية (وامرأة)؛ ورواه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٦٠١/٤ (٤٤٥٥)، ولفظه «رجم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا». ورواه الدارمي بنحوه في باب الاعتراف بالزنا ١٧٦/٢.

(٢) في ط (المدارس) وهو خطأ. ومدراس اليهود: كنيستهم، والجمع مداريس، مثل مفتاح ومفاتيح. انظر المصباح المنير ٢٦١/١.
والقف: بضم القاف، وتشديد الفاء: اسم وادٍ بالمدينة، قال في مراصد الاطلاع ١١١٤/٣ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وهو علم لوادٍ من أودية المدينة.

(٣) في س (خرج) بدل (ذكر).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين ٥٩٧/٤ (٤٤٤٩)، قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ٩٤/٥: (إسناده حسن، وله شاهد من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: أتى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيهودي، ويهودية قد زنيا، وقد أحصنا فسألوه أن يحكم فيهما، فحكم فيهما بالرجم. فرجمهما في قبل المسجد في بني غنم. . .) الحديث.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٦٥/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. . .

وأخرج أيضاً أبو داود وغيره عن أبـي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي بعث بـالتخفيف فإن أفتـانا بفتيـا دون الرجم قبلنـاها واحتججنـا بها عند الله، فقلنا: نبـي من أنبيائك، قالوا: فـأتوا النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، وهـو جالس في المسجـد في أصحابـه فقالـوا: يا أبـا القاسم ما ترى في رجل وامرأة ــ منهم ــ زنيا، فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم[1]، فقام على البـاب فقال: أنشـدكم بالله الـذي أنزل التـوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟

قالوا: نحممه ونجبيه[2]، ونجلده ــ والتجبية: أن يحمـل الزانيـان على حمار، ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما ــ قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ * ساكتاً، أنشـده *[3]. فقال: اللَّهم إذ[4] نشدتنا فإنّا نجـد في التوراة الـرجم. فقال النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: فمـا أول مـا ارتخصتم أمـر الله؟ قـال: زنى ذو قـرابـة ملك[5] من ملوكنـا فأخـر عنه الـرجم ثم زنى رجل في أسـرة من النـاس

(١) في أ، ك، ط (مدراسهم).

(٢) قـال الخطابـي: التحميم، تسـويد الـوجه بـالحمم. والتجبية: مفسـر في الحديث، ويشبه أن يكون أصله الهمز، وهويجبأ من التجبئة: وهو الردع والزجر. . . والتجبية أيضاً أن تنكس رأسه. . . وقد يحتمل أن يكون ذلك من الجبه وهو الاستقبال بالمكروه. وأصل الجبه إصابة الجبهة.

انظر: معالم السنن ٤/٥٩٩؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٧٦، ٥٢.

(٣) مكان ما بين النجمتين بياض في أ، وسقطت (أنشده) من س، وفي ك زيادة (أو نحو هذا) بعد أنشده.

(٤) في ط (إذا).

(٥) في ط (من ملك).

فأراد رجمه فحال[1] قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم. قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: فإني أحكم بما في التوراة، فأمر بهما فرجما».

قال الزهري: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟...﴾[2].

فكان[3] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منهم[4].

وأيضاً فقد تحاكموا إليه في القود الذي كان بين بني قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل بعض إحدى القبيلتين قتيلاً من الأخرى فيقتلونه، ولم يضعِّفوا الدية، وإذا قتل من القبيلة الشريفة قتلوا به، وأضعفوا الدية.

قال أبو داود سليمان بن الأشعث في سننه: حدثنا محمد بن

---

(١) في أ (فأحال).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) في س، ك (كان)، وفي ط (وكان).

(٤) أخرجه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٤/٥٩٨ ـ ٥٩٩ (٤٤٥٠)؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٤٦، ٢٤٧ من طريق الزهري قال: سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، به.
قال الخطابي في معالم السنن ٤/٥٩٩: «الحديث عن رجل لا يعرف».
وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٥/٩٥: «رجاله ثقات غير الرجل المزني فإنه لم يسم». وللحديث شاهد من حديث ابن عباس، وحديث ابن عمر، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

العلاء[1]، حدثنا عبيد الله بن موسى[2] عن علي بن صالح[3]، عن سماك بن حرب[4]، عن عكرمة[5]، عن ابن عباس قال: «كان قريظة، والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي مائة وسق من تمر.

فلما بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله. فقالوا: بيننا وبينكم محمد فأتوه فنزلت.

---

(١) محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، الكوفي، الحافظ أحد الأثبات، قال ابن حجر: «ثقة حافظ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين للهجرة».
انظر: تقريب التهذيب ١٩٧/٢ (٦٠١)؛ وتهذيب التهذيب ٣٨٥/٩؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٥٥.

(٢) عبيد الله بن موسى بن أبي المختار الكوفي، ثقة من التاسعة مات سنة ٢١٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٥٣٩/١ (١٥١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٥٠/٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٣.

(٣) علي بن صالح الهمداني، الكوفي. وثقه أحمد، وابن معين، والنسائي، وابن حبان، مات سنة ١٥١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٣٨/٢ (٣٥٦)؛ وتهذيب التهذيب ٣٣٢/٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٧٤.

(٤) سماك بن حرب بن أوس البكري، الكوفي. قال ابن حجر (سماك): بكسر أوله وتخفيف الميم، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بآخره. مات سنة ١٢٣.
انظر: تقريب التهذيب ٣٣٢/١ (٥١٩)؛ وتهذيب التهذيب ٢٣٢/٤؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٥٥.

(٥) عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عباس، ثقة ثبت مات سنة ١٠٧هـ. وسبقت ترجمته.
انظر: تقريب التهذيب ٣٠/٢ (٢٧٧).

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ . . . ﴾[1].

والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . . . ﴾[2].

قال أبو داود: قريظة والنضير من ولد هارون[3].

وبسط هذا له موضع آخر، وعلى كل قول، فقد أخبر الله ـ عز وجل ـ أن في التوراة الموجودة بعد المسيح ـ عليه السلام ـ حكم الله، وأن أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذي في التوراة مع كفرهم بالمسيح، وهذا ذم من الله لهم على ما تركوه من حكمه الذي جاء به الكتاب الأول، ولم ينسخه الرسول الثاني.

وهذا من التبديل الثاني الذي ذموا عليه، ودل ذلك على أن في التوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حكماً أنزله الله، أمروا أن يحكموا به، وهكذا يمكن أن يقال في الإنجيل.

---

(1) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(2) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(3) أخرجه أبو داود في أول كتاب الديات، باب النفس بالنفس ٤/٦٣٤ (٤٤٩٤)، بسند رجاله كلهم ثقات ما عدا سماك بن حرب فإنه صدوق.
وأخرجه النسائي في القسامة، باب تأويل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ. . . ﴾ الآية ١٨/٨؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عند آية: ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم. . . ﴾ [الآية ٤٢ من سورة المائدة] ١٥٧/٦ (المجلد ٤)؛ ورواه الهيثمي في موارد الظمآن، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة ص ٤٣٠ (١٧٣٨).
وانظر لباب النقول للسيوطي ص ٨٨.
وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير ٢/٤٤: «أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: «فاحكم بينهم. . .» إلى قوله: «المقسطين» إنما نزلت في الدية من بني النضير، وقريظة. . . وذكره».

ومعلوم أن الحكم الذي أمروا أن يحكموا به من أحكام التوراة، و[1]لم ينسخه الإنجيل ولا القرآن، فكذلك ما أمروا أن يحكموا به من أحكام الإنجيل هو مما[2] لم ينسخه القرآن، وذلك أن الدين الجامع أن يعبد الله وحده، ويأمر بما أمر الله به ويحكم بما أنزله الله في أي كتاب أنزله ولم ينسخه فإنه يحكم به.

ولهذا كان مذهب جماهير السلف والأئمة، أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه[3]. ومن حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم

(١) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٢) في أ، س، ك (ما).

(٣) هذا أحد الأصول الأربعة المختلف فيها، الثاني: قول الصحابي إذا لم يظهر له مخالف، الثالث: الاستحسان، الرابع: الاستصلاح.
وللعلماء في هذا الأصل (شرع من قبلنا...) قولان:
الأول: أنه شرع لنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه، أو خلافه، ومحل ذلك إذا قطع بأنه شرع لمن قبلنا: إما بكتاب، أو بخبر الصادق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أو بنقل متواتر. فأما الرجوع إليهم، أو إلى كتبهم فلا.
وقال بهذا: الشافعي، وأكثر أصحابه. واختاره الحلواني، وأبو الحسن التميمي وغيرهما، والأحناف، والمالكية، وابن عقيل، والمقدسي. وصحح هذه الرواية في المسودة. وذكروا لذلك أدلة كثيرة منها: قوله ـ تعالى ـ ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا**...﴾ [الآية ٤٤ من سورة المائدة]، قالوا: والشريعة من جملة الهدى فتدخل في عموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿... **فبهداهم اقتده**...﴾، وذكروا لذلك أدلة أخرى ليس هذا موضع بسطها. وهذا هو القول الراجح.
الثاني: أنه لا يكون شرعاً لنا. وذكروا أدلة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾، وبحديث غضب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما رأى نسخة في يد عمر. وقد أجيب عن الآية: بأن المشاركة في بعض الشريعة لا تمنع نسبتها بكمالها إلى المبعوث نظراً إلى الأكثر، والحديث يندفع بكون الشريعة الأولى لم تثبت بطريق موثوق به: بل قد أخبر الله بتحريف أهلها، وتبديلهم، فلذلك أنكر

بما أنزل الله، كما أن الله أمر أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يحكموا بما أنزل الله في القرآن، وفيه[1] الناسخ، والمنسوخ[2]. فهكذا القول في جنس الكتب المنزلة.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ

= النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على عمر كتاب التوراة وصوب معاذاً في إعراضه عن كتبهم... إلخ.

انظر في هذه المسألة: روضة الناظر، وجنة المناظر ص ٨٢ ـ ٨٤؛ والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٨٩؛ والمسودة ص ١٩٣؛ وعلم أصول الفقه لخلاف ص ٩٣ ـ ٩٤؛ وفتح القدير ٢/٤٦.

(١) في س (ومنه).

(٢) في هامش س (وأن عليهم أن يحكموا بالناسخ دون المنسوخ).

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(١) .

فقد أمر نبيه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أن يحكم بما أنزل الله إليه، وحذره اتباع أهوائهم، وبين أن المخالف لحكمه هو حكم الجاهلية، حيث قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢) .

وأخبره ـ تعالى ـ أنه جعل لكل من أهل التوراة، والإنجيل، والقرآن، شرعة ومنهاجاً، وأمره ـ تعالى ـ بالحكم بما أنزل الله أمر عام لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه(٣) بتنوع حال(٤) الكتاب الواحد(٥)؛ فإن المسلمين كانوا أولاً مأمورين بالصلاة لبيت المقدس، ثم أمروا أن يصلوا إلى المسجد الحرام، وفي كلا(٦) الأمرين إنما اتبعوا ما أنزل الله عز وجل .

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٤٨ ـ ٥٦.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥٠.
(٣) سقطت (شبيه) من أ.
(٤) سقطت (حال) من أ.
(٥) سقطت (الواحد) من أ، ك، ط وأثبتتها من س.
(٦) في ط (وفي كلام) وهو تصحيف.

وكذلك موسى ــ عليه السلام ــ ، كان مأموراً بالسبت محرماً عليه ما حرمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزلـه الله ــ عز وجـل ــ ، والمسيح ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[1] أحل بعض ما حرمـه الله، في التوراة، وهـو متبع ما أنزل الله ــ عز وجـل ــ فليس في أمر الله لأهـل التوراة والإنجيـل أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ، كما أنه ليس في أمر أهل القـرآن أن يحكموا بما أنـزل الله أمر بمـا نسخ، بـل إذا كان نـاسخ ومنسـوخ[2] فالذي أنزل الله هو الحكم بالناسخ دون المنسوخ. فمن حكم بـالمنسوخ فقد حكم[3] بغير ما أنزل الله ــ عـز وجل ــ[4]. وممـا يوضـح هذا قـوله ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5].

فـإن هذا يبين أن هـذا أمر لمحمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أن يقـول لأهـل الكتـاب الـذي بعث إليهم: إنهم ليســوا على شيء، حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم. فدل ذلك على أنهم[6] عندهم ما يعلم أنه منزل من الله، وأنهم مأمورون بإقامته إذ كان ذلك مما

(١) في س (عليه السلام).
(٢) في ط (فقد حكم ومنسوخ) وهي زيادة في غير موضعها.
(٣) سقطت جملة (فقد حكم) من ط وزيدت قبل سطر في غير محلهـا. وهي منفردة عن سائر النسخ بذلك.
(٤) سقطت (عز وجل) من س، ك، ط .
(٥) سورة المائدة: الآية ٦٨.
(٦) في س (أن) بدل (أنهم).

قرره محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ولم ينسخه. ومعلوم أن كل ما أمر الله به على لسان نبي، ولم ينسخه النبي الثاني بل أقره كان الله آمراً به على لسان نبي بعد نبي، ولم يكن في بعثة الثاني ما يسقط وجوب اتباع ما أمر به النبي الأول، وقرره النبي الثاني.

ولا يجوز أن يقال: إن الله ينسخ بالكتاب الثاني جميع ما شرعه بالكتاب الأول، وإنما المنسوخ قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب، والشرائع.

وأيضاً ففي التوراة والإنجيل ما دل على نبوة[1] محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فإذا حكم أهل التوراة والإنجيل بما أنزل الله فيهما، حكموا بما أوجب عليهم اتباع محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

وهذا يدل على أن في التوراة والإنجيل ما يعلمون أن الله أنزله، إذ لا يؤمرون أن يحكموا بما أنزل الله، ولا يعلمون ما أنزل الله، والحكم إنما يكون في الأمر والنهي. والعلم ببعض معاني الكتب لا ينافي عدم العلم ببعضها، وهذا متفق عليه في المعاني، فإن المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أن في الكتب الإلٰهية الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر، وأنه أوجب[2] العدل وحرم الظلم والفواحش والشرك، و[3]أمثال ذلك من الشرائع

(١) انظر مثلاً: سفر التثنية ١٨/١٨ ــ ١٩؛ ٢/٣٣؛ وسفر التكوين ١٧/٢٠؛ ٢١/١٨؛ وإنجيل يوحنا ٢٦/١٥ ــ ٢٧؛ ٧/١٦ ــ ١٥؛ وانظر: كتاب هداية الحيارى لابن القيم ص ١٠٠ بتحقيق الدكتور أحمد السقا. فقد ساق فيه اثني عشر وجهاً، تدل على أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مذكور في الكتب المنزلة. ثم بسط الكلام فيها، واستدل بأدلة من التوراة والأناجيل في ص ١٠٩ فما بعدها.

(٢) في ط (وجب).

(٣) في ط (أو).

الكلية وأن فيها الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر، وقد تنازعوا في بعض معانيها، واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات، هل هو المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ أو مسيح آخر ينتظر[1]؟

(١) سمي عيسى ـ عليه السلام ـ مسيحاً؛ لسياحته في الأرض، وقيل: مسيح فعيل من مسح الأرض لأنه كان يمسحها، أي: يقطعها، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: لأنه كان أمسح الرجلين، ليس لرجله أخمص، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلَّا برأه، وقيل: المسيح الصديق. ويرجع الدكتور محمد مرجان ـ في كتابه المسيح إنسان أم إلّه ـ هذا اللقب إلى الشعائر التي درجت عليها اليهودية، منذ أبيهم الأول يعقوب ـ عليه السلام ـ حيث اعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم شعائر التقديس، والتكريم للناس، والأماكن... ولا يمسح بالزيت المقدس سوى الكهنة، والملوك، والأنبياء لذلك سموا هؤلاء مسحاء الله، أي: المختارين، والمباركين من الله.

والمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، والذي بشر بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما ورد في سورة الصف: **﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾** الآية. وعيسى ـ عليه السلام ـ عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، والنصارى تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح. كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل.

انظر: تفسير غريب القرآن العزيز مخطوط للسجستاني المتوفى سنة ٣٣٠هـ/ باب الميم مخطوط بجامعة الإمام؛ وتفسير الطبري ٦/ ٢٤ (مجلد ٤)؛ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٣؛ وهداية الحيارى ص ١٣٥، ١٣٦؛ وفتح الباري، كتاب الأنبياء ٦/ ٣٤٠؛ وكتاب المسيح إنسان أم إلّه ص ٨ ـ ٩، للدكتور محمد مجدي مرجان؛ وكتاب سيرة المسيح للدكتور جورج فورد، إصدار كنيسة قصر الدوبارة ص ١٧.

والمسلمون يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى، لكن لا يوافقونهم[1] على ما أحدثوا فيه من الإفك والشرك.

وكذلك يقال إذا بدل قليل من ألفاظها الخبرية لم يمنع ذلك أن يكون أكثر ألفاظها لم يبدل، لا سيما إذا كان في نفس الكتاب ما يدل على المبدل. وقد يقال أن ما بدل من ألفاظ التوراة والإنجيل ففي نفس التوراة والإنجيل ما يدل على تبديله، فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول: إنه لم يبدل شيء من ألفاظها، فإنهم يقولون: إذا كان التبديل قد وقع في ألفاظ التوراة والإنجيل قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يعلم الحق من الباطل، فسقط الاحتجاج بهما ووجوب العمل بهما على أهل الكتاب، فلا يذمون حينئذ على ترك اتباعهما.

والقرآن قد ذمهم على ترك الحكم بما فيهما[2]، واستشهد بهما في مواضع.

وجواب ذلك أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يبدل، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من[3] غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة، يصدق بعضها بعضاً، بخلاف المبدل فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه إذا وقع في سنن أبي داود والترمذي أو غيرهما أحاديث قليلة ضعيفة، كان في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما يبين ضعف تلك.

---

(١) في أ (يوافقهم).

(٢) في ط (فيها).

(٣) في س، ك، ط (صريحة بينة بالمقصود تبين غلط).

بـل[1] وكـذلـك صحيـح مسلم فيـه ألفـاظ قليلة غلط، وفي نفس الأحاديث الصحيحة مع القرآن ما يبين غلطها، مثـل ما رُوي أن الله خلق التربة يـوم السبت وجعل خلق المخلوقـات في الأيام السبعـة[2]، فإن[3] هذا الحديث قد بين أئمة الحديث كيحيـى بـن معين[4] وعبد الرحمن بن

---

(١) شطب على (بل) في س.

(٢) رواه مسلم من حـديث أبـي هريـرة في كتاب صفـات المنافقين، وأحكـامهم، بـاب ابتـداء الخلق، وخلق آدم عليه السـلام ٤/٢١٤٩ (٢٧)، ولفـظه عن أبـي هـريـرة، قال: أخذ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيدي فقال: «خلق الله ــ عـز وجل ــ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحـد، وخلق الشجر يـوم الاثنين، وخلق المكـروه يوم الثـلاثاء، وخلق النـور يوم الأربعـاء، وبث فيها الـدواب يـوم الخميس وخلق آدم ــ عليه السلام ــ بعد العصر من يـوم الجمعة. في آخـر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل».
ورواه أحمد في مسند أبي هريرة ٢/٣٢٧
وسيأتي الكلام عليه بعد قليل.

(٣) في أ (فإذا) وصوبناه من سائر النسخ.

(٤) يحيـى بن معين بن عون، أبو زكريا البغدادي. الحافظ المشهور، كان إماماً عـالماً، حافظاً، متقناً. ولد بقـرية (نقيـا) قرب الأنبـار سنة ١٥٨هـ. وكـان أبوه على خـراج الري فخلف له ثروة كبيرة فأنفقها في طلب الحـديث. روى عنه كبـار أئمة الحـديث منهم: البخـاري، ومسلم، وأبو داود، وكـان بينـه وبين الإمـام أحمـد صحبـة. قـال الذهبـي ــ جاء عنه أنه قال: كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث، وقال أحمد: كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس بحديث، وقـال ابن حجر: إمـام الجرح والتعـديل. من مؤلفاته: التاريخ والعلل ــ مطبوع في أربعة مجلدات، ومعرفة الرجـال، وغيرهـا مات ــ رحمه الله ــ بالمدينة سنة ٢٣٣هـ.
انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٦/١٣٩ (٧٩١)؛ والعبر ١/٤١٥؛ وتـاريخ بغـداد ١٤/١٧٧ ــ ١٨٧ (٧٤٨٤)؛ وتذكرة الحفـاظ ٢/٤٢٩؛ وشذرات الـذهب ٢/٧٩؛ وتهـذيب التهـذيب ١١/٢٨٠ (٥٦١)؛ ومـرآة الجنـان وعبـرة اليقـظان ٢/١٠٨؛ والأعلام ٨/١٧٢.

مهدي(1)، والبخاري(2) وغيرهم أنه غلط، وأنه ليس في كلام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بل صرح البخاري في تاريخه الكبير أنه من كلام كعب الأحبار(3)، كما قد بسط في موضعه(4). والقرآن يدل على

---

(1) عبد الرحمن بن مهدي البصري اللؤلؤي، أبو سعيد. من كبار حفاظ الحديث، ولد بالبصرة سنة ١٣٥هـ. قال ابن حجر: حافظ، إمام في العلم. روى عنه خلق كثير، وثقه ابن المديني، وابن سعد، والعجلي، وابن حبان، وغيرهم.
وقال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في الدنيا. وقال ابن كثير: من سادة العلماء في الحديث، والفقه، وأسماء الرجال، له تصانيف في الحديث. مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٩٨هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠؛ والبداية والنهاية ٢٤٤/١٠؛ وتهذيب التهذيب ٢٧٩/٦ ـ ٢٨١؛ والأعلام ٢٣٩/٣.

(2) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (بالولاء) البخاري. نسبة إلى بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر. ولد سنة ١٩٤هـ. ثم رحل في طلب العلم إلى بلدان كثيرة. وسمع من نحو ألف شيخ فغدا حافظاً، إماماً، من أوعية العلم. صنف كتابه الصحيح من ستمائة ألف حديث، وهو أصح الكتب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ.
وله كتاب التاريخ الكبير، والضعفاء في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد، والأدب المفرد، وغيرها مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٥٦هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢ (٥٧٨)؛ ووفيات الأعيان ١٨٨/٤ ـ ١٩١؛ وتهذيب التهذيب ٤٧/٩؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١ (وقد ذكر فيه أن عدد الأحاديث المسندة في صحيح البخاري (٧٢٧٥) بالمكررة، وبحذفها (نحو أربعة آلاف)؛ وانظر تاريخ بغداد ٤/٢ ـ ٣٦؛ والعبر ١٢/٢ ـ ١٣؛ ومرآة الجنان ١٦٧/٢؛ والأعلام ٢٥٩/٦.

(3) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري. أبو إسحاق، تابعي من الطبقة الأولى، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في زمن عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة. وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة. خرج إلى الشام فسكن حمص، وتوفي بها سنة ٣٢هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٥٢/١ (٣٣)؛ والإصابة ٢٩٧/٣ (٧٤٩٨)؛ والنجوم الزاهرة ٩٠/١؛ والأعلام ٢٢٨/٥.

(4) علله الإمام البخاري في التاريخ الكبير: القسم الأول ٤١٣/١ (١٣١٧) باب الخاء =

غلط هذا، ويبين[1] أن الخلق[2] في ستة أيام، وثبت في الصحيح أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيكون أول الخلق يوم الأحد.

وكذلك ما رُوي أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، صلى الكسوف

وقال: «قال بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار، وهو أصح».

قال المناوي في فيض القدير ٣/٤٤٧ (٣٩٣٠): «قال الزركشي: أخرجه مسلم، وهو من غرائبه، وقد تكلم فيه ابن المديني، والبخاري، وغيرهما من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً».

وانظر كلام البيهقي في: الأسماء والصفات ص ٣٧٣، ٣٨٤؛ وكلام ابن كثير في تفسيره ٢/٢٢٠ الآية ٥٤ من سورة الأعراف؛ ٣/٤٥٧ الآية ٤ من سورة السجدة؛ ٤/٩٤ الآيات ٩ ـ ١٢ من سورة فصلت؛ والجامع الصغير للسيوطي ١/٦٠٦ (٣٩٣٠)؛ والمقاصد الحسنة ص ٢٠٠ (٤٤١)؛ والأنوار الكاشفة للمعلمي ص ١٨٨ ـ ١٩٣؛ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٤٥٤ (١٢١٤)؛ وأسنى المطالب ص ١٣٦؛ وبسط الكلام عليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ ـ ١٩ وابن القيم في المنار المنيف ص ٨٤ (١٥٣)، حيث علل بقوله: «إن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة والله ـ تعالى ـ أعلم». وقد أحصى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة المواضع التي ورد فيها التحديد بستة أيام في تعليق له في المنار المنيف ص ٨٦ وذكر أنها في سورة الأعراف الآية ٥٤؛ ويونس: ٣؛ وهود: ٧؛ والفرقان: ٥٩؛ والسجدة: ٤؛ وق: ٣٨؛ والحديد: ٤، **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها...﴾** الآية، ثم نقل عن الحافظ عبد القادر القرشي قوله: «اتفق الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق، وأن ابتداء الخلق يوم الأحد».

قلت: ولولا الإطالة لنقلت كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ ـ ١٩ فهو كلام جيد، ومفيد وفيه إيضاح وبيان لعلة السند، وما حصل فيه من وهم وخطأ.

(١) في أ، ك، ط وبين.
(٢) في س (الخلق كان).

بركوعين أو ثلاثة[1].

فإن الثابت المتواتر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، في الصحيحين، وغيرهما من حديث عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم أنه «صلى كل ركعة بركوعين»[2] ولهذا لم يخرِّج

---

(1) روى مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٢/٦٢٠ (٩٠١)، قال: «حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج، قال سمعت عطاء يقول: سمعت عبيد بن عمير يقول: حدثني من أصدق (حسبته يريد عائشة) أن الشمس انكسفت على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقام مقاماً شديداً، يقوم قائماً ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ركعتين في ثلاث ركعات، وأربع سجدات... الحديث.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي ١٨/١٧ ـ ١٨ «انفرد مسلم بذلك عن البخاري، وضعفه حذاق أهل العلم، وقالوا أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة، يوم مات ابنه إبراهيم، وفي نفس هذه الأحاديث التي فيها الصلاة بثلاث ركوعات، وأربع ركوعات، أنه إنما صلَّى ذلك يوم مات إبراهيم، ومعلوم أن إبراهيم لم يمت مرتين، ولا كان له إبراهيمان، وقد تواتر عنه أنه صلَّى الكسوف يومئذ ركوعين في كل ركعة كما روى ذلك عنه عائشة، وابن عباس، وابن عمرو وغيرهم. فلهذا لم يرو البخاري إلا هذه الأحاديث، وهو أحذق من مسلم، ولهذا ضعف الشافعي وغيره أحاديث الثلاثة، والأربعة، ولم يستحبوا ذلك، وهذا أصح الروايتين عن أحمد. وروى عنه أنه كان يجوز ذلك قبل أن يتبين له ضعف هذه الأحاديث».

وقال النووي: «المشهور في مذهب الشافعي أنها ركعتان، في كل ركعة قيامان، وقراءتان، وركوعان، وأما السجود فسجدتان كغيرهما... وبهذا قال مالك، والليث، وأحمد، وأبو ثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم. وقال الكوفيون هما ركعتان كسائر النوافل عملاً بظاهر حديث جابر، وأبي بكرة أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلى ركعتين... إلخ كلامه في صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٩٨ ـ ١٩٩.

قلت وقد أخرج أبو عوانة في مسنده من حديث عائشة ٢/٤٠٣ (مختصراً) بلفظ (صلَّى ست ركعات، وأربع سجدات).

(2) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب خطبة الأيام في الكسوف ٢/٢٥ من حديث

البخاري إلا ذلك. وضعف الشافعي، والبخاري، وأحمد في أحد[1] الروايتين عنه، وغيرهم حديث الثلاث[2]، والأربع، فإن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إنما صلى الكسوف مرة واحدة، وفي حديث الثلاث والأربع، أنه صلاها يوم مات إبراهيم ابنه، وأحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم فمثل هذا الغلط إذا وقع كان في نفس الأحاديث الصحيحة ما يبين أنه غلط، والبخاري إذا روى الحديث بطرق[3] في بعضها غلط في بعض الألفاظ، ذكر معه الطرق التي تبين ذلك الغلط، كما قد بسطنا الكلام على ذلك في موضعه[4].

فكذلك إذا قيل: أنه وقع تبديل في بعض ألفاظ الكتب المتقدمة كان في الكتب ما يبين لك الغلط، وقد قدمنا أن المسلمين لا يدعون أن كل نسخة في العالم من زمن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بكل لسان من التوراة والإنجيل والزبور بدلت ألفاظها، فإن هذا لا أعرف

عائشة ــ رضي الله عنها ــ ؛ ورواه في بدء الخلق ٤/٧٦؛ ورواه مسلم في أول كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٢/٦١٨؛ والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الكسوف ٢/٤٥٠ (٥٦١). قال وبهذا الحديث يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق. يرون صلاة الكسوف أربع ركعات في أربع سجدات؛ ورواه أبو داود في صلاة الكسوف، باب من قال أربع ركعات ١/٦٩٧ (١١٨٠)؛ والنسائي في الكسوف، باب كيف صلاة الكسوف ٣/١٣٠؛ وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الكسوف ١/٤٠١ (١٢٦٣).
والحديث طويل فآثرت الاكتفاء بالإشارة إلى مواضعه.

(١) في ط (أخذ) بالخاء والذال المعجمتين، وهو تصحيف.
(٢) في س، ك، ط (الثلاثة).
(٣) سقطت كلمة (بطرق) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٤) للمؤلف ــ رحمه الله ــ مبحث جيد ومفصل في هذا الموضوع في مجموع الفتاوى مجلد ١٨ من أوله.

أحداً من السلف[1] قالـه، وإن كان من المتـأخرين من قـد يقول ذلـك، كما في بعض المتأخرين من يجوِّز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التـوراة والإِنجيل، فليست هـذه الأقوال ونحـوهـا من أقـوال سلف الأمـة وأئمتهـا. وعمر ابن الخـطاب ــ رضي الله عنـه ــ، لمـا رأى بيـد كعب الأحبـار نسخة من التـوراة قال: «يـا كعب إن كنت[2] تعلم أن هـذه هي التوراة التي أنزلها الله، على موسى بن عمـران فاقـرأها»[3]، فعلق الأمـر

(١) في أ (المسلمين) والصواب ماأثبتناه من سائر النسخ.

(٢) سقطت (كنت) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٣) ساق المترجمون لكعب الأحبار أثناء ترجمتهم له أخباراً، وآثـاراً كثيرة جـداً وخاصـة أبو نعيم في حلية الأولياء، والذهبـي في سير أعلام النبلاء، وابن سعد في الطبقات، غير أني لم أقف على الأثر الذي ساقه المؤلف بنصه، وإنما ساق الإمام الذهبـي في سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٣ ــ ٤٩٤ قصة طويلة ذكر فيها أنه كان بيد كعب نسخـة من التوراة قال عنها: «إنها التوراة كما أنزلها الله على مـوسى، ما غيِّـرت ولا بدلت. . .» إلخ. ثم عقب الذهبـي على هـذه القصة بقـوله: «هكـذا رواه ابن أبـي خيثمة، عن هدبة، عن همّام، وشهر ــ يعني ابن حوشب أحد رجال السند ــ لم يلحق كعباً»، ثم قـال الـذهبـي: «وهــذا القـول من كعب دال على أن تيـك النسخـة مـا غيِّـرت، ولا بدِّلت، وأن ما عداها بخلاف ذلك، فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التـوراة شيئـاً على وجه الاحتجـاج معتقـداً أنهـا التـوراة المنـزلـة، كـلا والله». اهـ كـلامـه ــ رحمه الله ــ.

قلت: وقد ساق أبو نعيم في الحلية آثاراً كثيرة في ترجمة كعب في الجزءين الخامس من ص ٣٦٤ إلى ٣٩١ نهـايته، وفي الجـزء السادس من أولـه إلى ص ٤٨، وتتبعتها كلها فلم أجد مـا ذكره المؤلف بنصـه، وقد جـاء في ٥/٣٨٩ أن كعباً مـر بعمر وهـو يضرب رجلاً فقال: على رسلك يا عمر فوالـذي نفسي بيده إنـه لمكتوب في التـوراة ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. . . فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقـال كعب: والذي نفسي بيده أنها لفي كتاب الله المنـزل ما بينهمـا حرف إلا من حـاسب نفسه».

وجاء في الحلية ٦/٤٣: أن كعباً قال لعمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ: هل تـرى في

على مـا يمتنع العلم بـه، ولم يجزم عمـر ـ رضي الله عنه ـ بـأن ألفـاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها.

والقــرآن والسنـة المتــواتـرة يــدلان على أن التـوراة والإنجيــل الموجودين في زمن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيهما[1] ما أنزله الله ـ عز وجل ـ ، والجـزم بتبديـل ذلك في جميـع النسخ التي في العـالم متعذر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بـذلك، ولا يمكن أحـداً من أهل الكتاب أن يدعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا ممـا لا يمكن أحداً من البشـر أن يعرفـه باختباره[2] وامتحانه، وإنما يعلم مثل هذا بالـوحي وإلا فلا يمكن أحـداً

= منامك شيئاً؟ فانتهره عمر، فقـال: إني أجد رجـلاً يرى في منـامه مـا يكون في هـذه الأمة.

هـذه أقرب النصـوص التي وجدتهـا إلى النص الذي ذكـره المؤلف عن كعب، وقـد تتبعت ترجمته في كتب كثيرة سأشير إليها بأجزائها وصفحاتهـا، ثم تتبعت كتب الآثار وخصوصاً مصنف ابن أبي شيبة، وعبد الـرزاق، ومعجم الطبـراني، وتهذيب الآثـار للطبري، وكتب التفسير التي تعني بالآثار كتفسير ابن جرير، والسيوطي، وابن كثيـر، وابن أبـي حـاتم، وغيـرهـا فلم أقف على النص الذي أورده المؤلف وذلك بعد جهد طويل، واستفسار عنه من طلاب العلم المشتغلين بهذا، والله تعالى أعلم.

انـظر: طبقـات ابن سعـد لـه تـرجمـة في ٧/٤٤٥؛ وسـاق لـه آثـاراً في ٣/٣٣٢، ١/٣٦٠، ٣٦٢ وغيرها؛ وحلية الأولياء ٥/٣٦٤ ـ ٣٩١، ٦/١ ـ ٤٨؛ وسير أعلام النبـلاء للذهبي ٣/٤٩٠ (ترجمـة رقم ١١١)؛ والتاريـخ الكبير للبخـاري ٧/٢٢٣؛ والعبر في خبر من غبـر ١/٣٥؛ وتذكـرة الحفاظ ١/٤٩؛ والنجـوم الزاهـرة ١/٩٠؛ وتهـذيب التهذيب ٨/٤٣٨؛ والإصـابة ٣/٢٩٧ (٧٤٩٨)، وجمهـرة أنساب العـرب لابن حزم ص ٤٣٤؛ والجرح والتعديل لابن أبـي حـاتم ٧/١٦١؛ وتهذيب الأسمـاء واللغات للنووي ٢/٦٨ (٩١).

(١) في أ، س، ك (فيها).

(٢) في ط (باختياره) بالياء التحتية.

من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الألسنة بالكتب الأربعة والعشرين، وقد رأيناها مختلفة في الألفاظ اختلافاً بيناً، والتوراة هي أصح الكتب، وأشهرها عند اليهود، والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى، حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر[1] في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب؛ فإن عند السامرة نسخاً متعددة[2].

---

(١) سقطت (ذكر) من أ.

(٢) نسخ العهد القديم (التوراة) ثلاث نسخ:
الأولى ــ العبرانية: وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت.
الثانية ــ اليونانية: وهي المعتبرة عند الكنيسة اليونانية، وعند كنائس المشرق.
(وهاتان النسختان تشتمل على جميع أسفار العهد القديم).
الثالثة ــ السامرية: وهي المعتبرة عند السامريين، وتشتمل على سبعة أسفار من العهد القديم؛ الخمسة المنسوبة إلى موسى ــ عليه السلام ــ، وسفر يشوع، والقضاة. ولا يسلِّم السامريون الأسفار الباقية.
وقد أخرج الدكتور أحمد السقا كتاباً بعنوان «من الفروق بين التوراة السامرية، والعبرانية في الألفاظ والمعاني»، ويقع في ست وسبعين صفحة طبعة دار الأنصار.
فمن الفروق التي ذكرها على سبيل المثال:
في سفر التكوين: الإصحاح الأول فقرة/٢.
في السامرية (ورياح الله هابة على وجه الماء).
وفي العبرانية (وروح الله . . .).
ثم ساق الفروق في سفر التكوين كله، وانتقل بعد ذلك إلى ذكر الفروق في سفر الخروج، ثم في بقية الأسفار. وهذا الكتاب عظيم الفائدة، وجدير بالقراءة. وقد أورد الأستاذ موريس بوكاي، جملاً عظيمة من التناقضات الكثيرة بين الأناجيل وكتب التوراة في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) طبعة دار المعارف من ص ٧٥ ــ ١٣١.

وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها[1] بعضاً، مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني، يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود ـ عليه السلام ـ[2]، وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة.

فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة، فلماذا ذم أهل الكتاب على[3] ترك الحكم بما أنزل الله منها؟ قيل النسخ لم يقع إلا في قليل من الشرائع، وإلا فالإخبار عن الله، وعن اليوم الآخر، وغير ذلك لا نسخ فيه[4].

وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها، وهو ـ سبحانه ـ ذمهم على ترك اتباع الكتاب الأول، لأن أهل الكتاب كفروا من وجهين[5]: من جهة تبديلهم الكتاب الأول، وترك الإيمان، والعمل ببعضه. ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6].

فبيَّن أنهم كفروا قبل مبعثه بما أنزل عليهم وقتلوا الأنبياء كما

---

(1) في ط (بعضهما).
(2) في نسخة أ زيادة جملة (ليست من زبور داود عليه السلام).
(3) في ط (عن).
(4) في ط (فلم تنسخ).
(5) في ط (جهتين).
(6) سورة البقرة: الآية ٩١.

كفروا حين مبعثه[1] بما أنزل عليه، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[4].

وإذا كان الأمر كذلك فهو ـ سبحانه ـ يذمهم * على ترك اتباع ما أنزله في التوراة والإنجيل *[5] وعلى ترك اتباع ما أنزله في القرآن ويبين[6] كفرهم بالكتاب الأول، وبالكتاب الثاني، وليس في شيء من ذلك أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الأول، كما ليس فيه أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ في الكتاب الثاني[7].

• • •

---

(1) في س، ك (مبعثك).

(2) سورة آل عمران: الآية ١٨٣.

(3) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(4) سورة القصص: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(5) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(6) في س، ط (مبين).

(7) هنا ينتهي القسم الأول من الكتاب، وبه ينتهي القسم المطلوب منا تحقيقه ودراسته.

انتهى المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
وأوله فصل [قياس النصارى كتبهم على القرآن قياس باطل]



فهرس الجزء الثاني

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدّين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

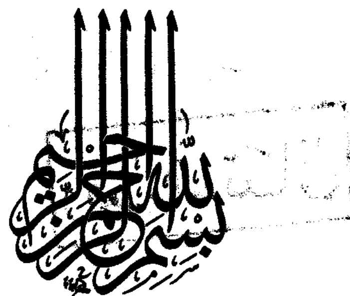
تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمّد الحمدان

المجلّد الثّالث

دار العاصمة
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

(٣)

فصل[1]

قياس النصارى كُتُبهم على القرآن قياس باطل

فحينئذ فقولهم[2]: إنا نعجب من هؤلاء القوم[3] على علمهم وذكائهم ومعرفتهم، كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول[4]؟

وذلك أنا ــ أيضاً ــ إذا قلنا واحتججنا[5] عليهم بمثل هذا القول: إن الكتاب الذي[6] بأيديهم ــ يومنا هذا ــ قد غيّروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، هل كانوا يجوّزون كلامنا؟

قال الحاكي[7] عنهم: فقلت لهم: هذا ما[8] لا يجوز، ولا يمكن لأحد أن يقوله، ولا يمكن تغييره، ولا تبديل حرف واحد منه.

---

(١) هذا أول فصل من الجزء المخصص للباحث في القسم الثاني من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ــ حسب تقسيم الكلية (ج/٢ من طبعة المدني).

(٢) هذا الكلام للشيخ ابن تيمية يحكي قول النصارى الوارد في رسالة بولس الإنطاكي.

(٣) يقصد بهؤلاء القوم (المسلمين).

(٤) يقصد بهذا القول: التبديل والتغيير في التوراة والإنجيل التي بين أيديهم اليوم. انظر: الفصل الأخير من الجزء السابق من الجواب الصحيح.

(٥) في: س، أ، ك (واحتجينا).

(٦) يقصدون: القرآن الكريم.

(٧) يقصد بالحاكي عنهم: بولس الإنطاكي، أسقف صيدا صاحب الرسالة التي أعد الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا الكتاب جواباً عليها. وقد سبقت الإشارة إليه في الدراسة.

(٨) في ط (مما).

فقالوا سبحان الله العظيم! إذا كان الكتاب الذي لهم، الذي هو باللسان الواحد لا يمكن تبديله، ولا تغيير حرف واحد منه، فكيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لساناً؟ وفي كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة[1] (وجاز عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم)[2].

فمن الذي تكلم باثنين وسبعين لساناً، ومن هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها[3] وغالبها[4] حتى حكم على جميعها في أقطار الأرض، وجمعها في أربع زوايا العالم حتى يغيرها[5]؟

وإن كان غير بعضها، وترك بعضها، فهذا لا يمكن أن يكون، لأن كلها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن، فهذا ما لا[6] يجوز لقائل أن يقوله أبداً[7].

---

(١) في س، أ، ك (مصحف) بدل (نسخة).

(٢) ما بين القوسين ورد بلفظه مع تغيير يسير ـ زيادة ونقص ـ في بعض الألفاظ هكذا: «لأن كتبنا قد جاز عليها نحو ستمائة سنة وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم».
وذلك في صفحة ٨ من مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي التي صورتها من مكتبة المتحف القبطي بماري جرجس بمصر القديمة بالقاهرة تحت رقم ٩٥ ـ ٢٠٤ لاهوت.

(٣) في س (قساسها). وفي ك، أ (قساقستها).

(٤) في أ (علمائها).

(٥) في س، أ، ك (يغيره).

(٦) في ط، أ، ك (مما).

(٧) هذا النص الذي نسبه الشيخ إلى بولس لم أجد منه في الرسالة التي بين يدي، والتي بعث بها بولس إلى صديق له في أنطاكية، إلاَّ ما أثبته بهامش (٢) أعلاه.

والجواب[1] **أن يقال:**

أولاً: هـذا الكلام منهم[2] يـدل على غايـة جهلهم بمـا يقـولـه[3] المسلمون في كتبهم، وتبين أنهم ــ لفرط جهلهم ــ يظنون أن المسلمين يقولون مقالة لا يخفى فسادها على من له أدنى عقل ومعرفة، والمسلمون لا[4] يشك أحد من الأمم أنهم أعظم الأمم عقولاً وأفهـاماً وأتمهم معـرفة وبياناً، وأحسن قصداً وديانة، وتحرياً للصدق والعـدل، وأنهم لم يحصل في النوع الإنساني أمـة أكمل منهم، ولا نـاموس[5] أكمـل من النامـوس الـذي جـاء بـه نبيهم محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، وحـذاق الفلاسفة[6] معترفون لهم بـذلك وأنـه لم يقرع العـالم نامـوس أكمل من هذا الناموس.

وقـد جمـع الله للمسلمين جميـع طـرق المعـارف الإنسـانيـة، وأنواعها، فإن الناس نوعان:

---

(١) هذا جواب المؤلف عن كلامهم وهو أول جواب في هذا القسم.

(٢) في أ، ك (فيهم) بدلاً من (منهم).

(٣) في ط، س (تقوله) بدلاً من (يقوله).

(٤) في جميع النسخ (فلا يشكك). والأظهر هو أن الفاء زائدة ــ كما أثبته أعلاه ــ .

(٥) **الناموس:** اسم يوناني الأصل، معناه: (شريعة أو قانون).
ويطلق على ما جاء به موسى ــ عليه السلام ــ من شريعة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨.

(٦) **الفلاسفة:** هم المشتغلون بالفلسفة، وكلمة فلسفة: كلمة يونانية دخيلة على اللسـان العربـي، وهي مركبة من (فيلو) ومعناها: محبة أو إيثار أو طلب، و (سوفيا) ومعناها: الحكمة، فكلمة فلسفة إذاً تعني محبة الحكمة أو طلب الحكمة، أو إيثار الحكمة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٤.
هكذا يراهـا أربابهـا، وأما نحن المسلمين فـإننا نـرى أن الفلسفة وغيـرها من العلوم اليونانية جرت على المسلمين الكثير من الويلات.

أهل كتاب، وغير أهل كتاب، كالفلاسفة والهنود[1].

والعلم ينال بالحس والعقل، وما يحصل بهما، وبوحي الله إلى أنبيائه الذي هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل[2].

ولهذا قيل: الطرق العلمية: البصر، والنظر. والخبر: الحس والعقل. والوحي: الحس، والقياس، والنبوة.

فأهل الكتاب امتازوا عن غيرهم بما جاءهم من النبوة، مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه الناس من[3] العلوم الحسية، والعقلية.

والمسلمون حصل لهم من العلوم النبوية والعقلية ما كان للأمم قبلهم وامتازوا عنهم بما لا تعرفه الأمم، وما اتصل إليهم من عقليات الأمم هذبوه لفظاً ومعنى حتى صار أحسن مما كان عندهم، ونفوا عنه من الباطل[4] وضموا إليه من الحق مما امتازوا به على من سواهم.

وكذلك العلوم النبوية أعطاهم الله ما لم يعطه أمة قبلهم، وهذا ظاهر لمن تدبر القرآن، مع تدبر التوراة والإنجيل، فإنه يجد من فضل علم القرآن ما لا يخفى إلاَّ على العميان.

فكيف يظن مع هذا بالمسلمين أن يخفى عليهم فساد هذا الكلام الذي ظنه بهم هؤلاء الجهال:

---

(١) في س، أ، ك (والهند).

(٢) في ك زيادة هي (والوحي والحس والقياس والنبوة).

(٣) (من) ساقطة من ك، س.

(٤) في ط، ك، أ (الناموس). وأثبت كلمة (الباطل) من س، لدلالة السياق بعدها عليها في مقابلة (الحق).

ويقـال:

ثانياً: الجواب من وجوه:

أحـدهـا: أن المسلمين لم يـدّعـوا أن هـذه الكتب حـرفت بعـد انتشارها، وكثرة النسخ بهـا، ولكن جميعهم متفقون على وقـوع التبديـل والتغيير في كثير من معانيها، وكثيـر من أحكامها.

وهذا مما تُسلمه النصارى جميعهم في التوراة والنبوات المتقدمة، فإنهم يسلمون أن اليهود بدّلوا كثيراً من معانيها وأحكامها.

ومما تسلمه النصـارى في فـرقهم، أن[1] كـل فـرقـة تخـالف الأخرى[2] فيما تفسر به الكتب المتقدمة، ومما[3] تسلمه اليهـود أنهم[4] متفقون على أن النصارى تفسر التوراة والنبـوات المتقدمـة على الإنجيل بما يخالف معانيها، وأنهـا بدلت أحكـام التوراة، فصـار تبديـل كثير من معاني الكتب المتقدمة متفقاً عليه بين المسلمين، واليهود، والنصارى.

وأما تغيير بعض ألفاظها ففيه نزاع بين المسلمين.

والصواب الذي عليـه الجمهور أنـه بُدِّل بعض ألفـاظها، كمـا ذكر ذلك في مواضعه.

الـوجـه الثـاني: أن قيـاسهم كتبهم على القـرآن ـ وأنـه كمـا

---

(١) في س، أ، ك: فإن.

(٢) في س، أ (للأخرى).

(٣) (ومما) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) في س، أ، ك (فإنهم).

لا تسمع[١] دعوى التبديل فيه، فكذلك في كتبهم ــ قياس باطل في معناه ولفظه.

أما معناه: فكل ما أجمع المسلمون عليه من دينهم إجماعاً ظاهراً ــ معروفاً عندهم ــ فهو منقول عن الرسول نقلاً متواتراً، بل معلوماً بالاضطرار من دينه، فإن الصلوات الخمس، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت العتيق، ووجوب العدل، والصدق، وتحريم الشرك، والفواحش، والظلم، بل[٢] وتحريم الخمر، والميسر، والربا، وغير ذلك منقول عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ (نقلاً متواتراً كنقل ألفاظ القرآن الدالة على ذلك.

ومن هذا الباب عموم رسالته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)[٣]، وأنه مبعوث إلى جميع الناس: أهل الكتاب، وغير أهل الكتاب، بل إلى الثقلين: الإنس والجن، وأنه كان يكفّر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا ما أنزل الله عليه، كما كان يكفّر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك، وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم.

فالمسلمون عندهم ــ منقولاً عن نبيهم نقلاً متواتراً ــ ثلاثة أمور: لفظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها، والسنة المتواترة، وهي الحكمة التي أنزلها الله عليه غير القرآن.

كما قال ــ تعالى ــ :

---

(١) في س (يسمع).
(٢) (بل) ساقطة من أ.
(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[4].

وبذلك دعا الخليل[5] حيث قال لما بنى ــ هو وإسماعيل[6] ــ الكعبة[7]

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٥١.
سقطت من ك (ويزكيكم).

(٢) سورة النساء: من الآية ١١٣.
سقطت من س، ك لفظ الجلالة (الله).
سقطت من س، ك (الكتاب).

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٣١.

(٤) سورة الأحزاب: من الآية ٣٤.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) **الكعبة**: هي بيت الله العتيق بمكة المكرمة بأرض الحجاز يقال بأن أول من بنته الملائكة، وقيل: آدم. وقيل: إبراهيم وولده أسماعيل ــ عليهما السلام ــ . قال ــ تعالى ــ : ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٧].

=

(بأرض «فاران»(1) المذكورة في الكتاب الأول(2))(3)، قال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(4).

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)(5).

= وسمى العتيق: لعتقه من الجبارين، أي لا يتجبرون عنده بل يتذللون، وهو قبلة المسلمين إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ :
﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٤].
انظر: تفسير ابن كثير ١/١٧٢، ٢/٢١٥؛ ومعجم البلدان ١/٥٢١.

(١) فاران: اسم عبراني وليس ألفه الأولى همزة ـ وهي جبال بني هاشم التي كان يتحنث في أحدها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وفيه فاتحة الوحي.
انظر: معجم البلدان ٤/٢٢٥ بيروت.

(٢) المقصود بالكتاب الأول: هو التوراة ـ وقد ورد ذكر فاران فيه لأول مرة في سفر التكوين الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ٢١ في الحديث عن هاجر وابنها إسماعيل (وسكن في برية فاران)، وقد ذكرت فاران بعد ذلك كثيراً من أشهرها قول موسى ـ في سفر التثنية. الإصحاح الثالث والثلاثون فقرة ٢ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبال فاران».
انظر: العهد القديم، ط. دار الكتاب المقدس ص ٣٣٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٥) الحديث بلفظه في مسند الإمام أحمد ٤/١٣١: عن المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ . =

فالمسلمون عندهم نقل متواتر عن نبيهم بـألفاظ القـرآن، ومعانيـه المتفق عليها، وبالسنة المتواترة عنه مثل: كون[1] الظهر والعصر والعشاء أربعـاً، وكون المغـرب ثـلاث ركعـات، وكـون الصبـح ركعتين، ومثـل الجهر[2] في العشائين والفجـر، والمخافتـة في الظهـر والعصر، ومثـل: كون الركعة فيها سجدتين، وكون الـطواف بالبيت، وبين الصفـا والمروة سبعاً، ورمى الجمرات كل واحدة سبع حصيات، وأمثال ذلك.

وأيضاً فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصـاحف، كمـا ثبت في الصحيـح الـذي رواه مسلم عن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قـال: (إن ربـي قال لي: إني منـزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظاناً)[3].

يقول: ولو[4] غسل بالمـاء من المصاحف لم يغسـل من القلوب، كالكتب التقدمة، فإنه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نـقـلاً متواتـراً محفوظة في الصدور.

والقـرآن ما زال محفـوظاً في الصـدور نقلاً متـواتراً، حتى لـو أراد مريد أن يغير شيئاً من المصـاحف، وعرض ذلـك على صبيان المسلمين

= وكـذلـك في سنن أبـي داود ٤/٢١٠ حـديث رقم ٤٦٠٤، كتـاب السنن بلفـظه عن الراوي المذكور.

(١) سقطت من ك (كون).

(٢) سقطت من ك (الجهر).

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ.
صحيح مسلم ـ كتاب ٥١ صفة الجنة ونعيمها ـ باب ١٣ حديث رقم ٢٨٦٥.
ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/١٦٢، آخر مسند عياض بن حمار.

(٤) سقطت من س، أ، ك (ولو).

لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك.

وأهل الكتاب يقدر الإنسان منهم[1] أن يكتب نسخاً كثيراً من التوراة[2] والإنجيل، ويغير بعضها، ويعرضها على كثير من علمائهم، ولا يعرفون ما غير منها إن لم يعرضوه على النسخ التي عندهم.

ولهذا لما غير من نسخ التوراة، راج ذلك على طوائف منهم ولم يعلموا التغيير.

(وأيضاً فالمسلمون لهم الأسانيد المتصلة بنقل العدول الثقات لدقيق الدين، كما نقل العامة جليله، وليس هذا لأهل الكتاب)[3].

وأيضاً فما ذكروه من أن كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين لساناً هو أقرب إلى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة؛ فإن هذا مما يحفظه الخلق الكثير، فلا يقدر أحد أن يغيره.

وأما الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لساناً، فإذا قدر أن بعض النسخ الموجودة ببعض الألسنة غير بعض ما فيها، لم يعلم ذلك سائر أهل الألسن الباقية[4]، بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الأخرى، فالتغيير فيها ممكن، كما يمكن في نظائر ذلك.

وما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ، هو حجة عليهم، فإن

---

(١) سقطت من س، أ، ك (منهم).
(٢) في س، أ، ك (بالتوراة) بدلاً من (من التوراة).
(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.
(٤) سقطت من س (الباقية).

ذلك إذا كان متعذراً لم يمكن الجزم باتفاق جميع النسخ لواحد، حتى يشهد بأنها كلها متفقة لفظاً ومعنى، بل إمكان التغيير فيها أيسر من إمكان الشهادة باتفاقها.

ولهذا لا يمكن أحداً تغيير القرآن، مع كونه محفوظاً في القلوب منقولاً بالتواتر، مع أنّا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق، بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ما هو غلط يعلمه حفاظ القرآن، ولا يحتاجون إلى اعتبار ذلك بمصحف آخر.

وتلك الكتب لا يحفظ كلا منها قوم من أهل التواتر حتى تعتبر النسخ بها، ولكن لما كان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيهم موجودين، كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه إذا غير بعض الناس شيئاً من الكتب، فلما انقطعت النبوة فيهم أسرع فيهم التغيير.

فلهذا بدل كثير من النصارى كثيراً من دين المسيح ـ عليه السلام ـ بعد رفعه بقليل من الزمان، وصاروا يبدّلون شيئاً بعد شيء، وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق إلى أن بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقد بقي من أولئك الذين على الدين[١] الحق طائفة قليلة، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه، عن عياض[٢] بن حمار المجاشعي[٣]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال:

---

(١) سقطت من ط، س، أ (الدين).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ط، ك (المشاجعي).

«إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب»[1] ماتوا قبيل مبعثه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وقد أدرك سلمان الفارسي[2] ــ وكان قد تنصر بعد أن كان مجوسياً ــ طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح ــ عليه السلام ــ ، واحداً[3] بالموصل[4] وآخر بنصيبين[5] وآخر بعمورية[6] .

وكل منهم يخبره[7] بأنه لم يبقَ على دين المسيح ــ عليه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ط (واحد).

(٤) **الموصل**: المدينة العظيمة المشهورة التي هي إحدى قواعد الإسلام رفيعة البناء فسيحة الرقعة محط رحال الركبان، استحدثها (راوند بن بيوراسف) على طرف دجلة بالجانب الغربي، بها أبنية حسنة وقصور طيبة في الجانب الشرقي منها (تل التوبة)، وهو التل الذي اجتمع عليه قوم يونس ــ عليه السلام ــ لما عاينوا العذاب وتابوا وآمنوا ــ فكشف الله ــ تعالى ــ عنهم العذاب، وأهلها أهل خير وطباع لطيفة.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٦١، ط. دار صادر، بيروت.

(٥) **نصيبين**: بفتح النون وكسر الصاد ــ مدينة عامرة بقرب سنجار من بلاد الجزيرة (بالعراق) على الطريق بين الموصل والشام، وقد جعل الروم حولها سوراً منيعاً ذكر أن لها ولقراها أربعين ألف بستان ــ وفتحها المسلمون صلحاً عام سبعة عشر من الهجرة النبوية.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٢٨٨، ط. دار صادر، بيروت؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٦١، ط. دار صادر، بيروت.

(٦) **عمورية**: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع استنجاد شراة العلوية سنة ٢٢٣هـ، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام.
انظر: معجم البلدان ــ ص ١٥٨، ط. دار صادر، بيروت.

(٧) في ط (يخبر).

السلام ـ إلّا قليل، إلى أن قال له آخرهم: لم يبقَ عليه أحد، وأخبره أنه[1] يبعث نبي بدين إبراهيم من جهة الحجاز، فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به.

فالدين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعاً ظاهراً معلوماً، هو منقول عن نبيهم نقلاً متواتراً، (نقلوا القرآن، ونقلوا سنّته)[2]، وسنّته مفسرة للقرآن مبينة له، كما قال ـ تعالى ـ له:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن ـ ولله الحمد ـ فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني؟

فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان[4] الدين الظاهر للمسلمين الذي[5] اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم، لفظه، ومعناه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنى، بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بَدَّلَ معانيه وأحكامه اليهودُ والنصارى[6]، أو مجموعهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامتهم، كما

---

(١) في س، ك (أن).
(٢) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) في س (وكان).
(٥) في ط (الذين).
(٦) في ط (أو النصارى).

بـدلت اليهـود مـا في الكتب المتقـدمـة من البشـارة بـالمسيـح ومحمــد ـ صلَّى الله عليهمـا[1] وسلَّم ـ ، ومـا في التـوراة من الشـرائـع، وأمـره في[2] بعض الأخبار.

و[3]كما بدلت النصارى كثيراً مما في التوراة والنبوات من الأخبار ومن الشـرائع التي لم يغيـرهـا المسيـح، فـإن مـا نسخـه الله على لســان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه.

وأما ما بدل بعد المسيـح، مثل: استحـلال لحم الخنزيـر، وغيره مما حرمه الله، ولم يبحه المسيح، ومثل: إسقاط الختان، ومثل: الصلاة إلى المشرق، (وزيادة الصوم ونقله من زمان إلى زمان)[4] واتخاذ الصور في الكنائس، وتعظيم الصليب، واتباع الرهبانية، فإن هذه كلهـا شرائـع لم يشـرعها نبـي من الأنبيـاء لا المسيح ولا غيـره، خالفـوا بها شـرع الله الذي بعث به الأنبياء من غير أن يشرعها الله على لسان نبـي.

الـوجـه الثـالث: أن القـرآن قـد ثبت بـالنقـل المتـواتـر، المعلوم بــالضـرورة ـ للمــوافق والمخــالف ـ أن محمــداً ـ صلَّى الله عليــه وسلَّم ـ ، كـان يقول: إنـه كلام الله لا كـلامـه، وأنـه مبلغ لـه عن الله، وكان يفرق بين القرآن، وبين ما يتكلم به من السنَّة، وإن كـان ذلك ممـا يجب اتباعه فيه تصديقاً وعملاً.

فـإن الله أنـزل عليــه الكتـاب والحكمــة، وعلم أمتــه الكتــاب

---

(١) في س، أ، ك (عليه).
(٢) في س، ك، أ (وفي).
(٣) في أ بدون واو (كما).
(٤) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك.

والحكمة، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾(٤).

وقال ــ تعالى ــ عن الخليل وابنه إسماعيل:

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
في جميع النسخ (منهم) بدلاً من (من أنفسهم).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٣.
في جميع النسخ سقط لفظ الجلالة (الله).
سقطت من س (عليك).

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٤.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٢٨، ١٢٩.

وقـال[1] الـنبـي ـ صـلَّى الله عليــه وسـلَّم ـ : «ألا إني أوتـيت الكتاب، ومثله معه»[2]، فكان يعلم أمته الكتاب وهو القرآن العزيز الذي أخبرهم أنه كلام الله، لا كلامه، وهو الذي قال عنه:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

وهو الذي شرع لأمته أن تقرأه في صلاتهم فلا تصح صلاة إلَّا به، وعلمهم مع ذلك الحكمة التي أنزلها الله عليه، وفـرق بينها وبين القـرآن من وجوه.

منها: أن القرآن معجز.

ومنها: أن القرآن هو الذي يقرأ في الصلاة دونها.

ومنها: أن ألفاظ القرآن العربية منزلـة على ترتيب الآيـات، فليس لأحـد أن يغيرهـا باللسـان العـربـي بـاتفـاق المسلمين، ولكن يجـوز[4] تفسيرها باللسان العربـي، وترجمتها بغير العربـي[5].

وأما تلاوتهـا بالعـربـي بغير لفـظها، فـلا يجوز بـاتفاق المسلمين، بخـلاف ما علمهم من الحكمـة، فإنـه ليس حكم ألفـاظهـا حكم ألفـاظ القرآن.

---

(١) في أ (فقال).

(٢) سبق الإشارة إلى هذا الحديث ٣/ ١٢، هامش رقم (٥).

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٨٨. في ط (قال) بدلاً من (قل).

(٤) في ط، ك (جوز).

(٥) المقصود بالترجمة الجائزة هنـا هي: ترجمـة المعاني التي أشـار إليها بقـوله: (ولكن يجوز تفسيرهـا باللسـان العربـي)، لأن التـرجمة الحـرفية لألفـاظ القرآن محـل نزاع والراجح عندي منعها صيانة للقرآن، والله أعلم.

ومنهـا: أن القرآن لا يمسّـه إلاَّ طاهـر[1]، ولا يقرأه الجنب، كمـا دلت عليه سنَّته عند جماهير أمته، بخلاف ما ليس بقرآن.

والقرآن تلقته الأمة منه حفظاً في حياته، وحفظ القرآن جميعـه في حياته غير واحد من أصحابه، وما من الصحابة إلاَّ من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر، فهو جميعه منقول سماعاً منـه بالنقـل المتواتر، وهو يقول إنه مبلغ له عن الله، وهو كلام الله لا كلامه.

وفي القرآن ـ ما يبين أنه كلام الله ـ نصـوص كثيرة، وكـان الذين رأوا محمـداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونقلوا مـا عاينـوه من معجـزاتـه، وأفعاله، وشريعته، وما سمعوه من القرآن، وحديثه، ألوفاً مؤلفة أكثـر من مائة ألف رأوه وآمنوا به.

وأما الأناجيـل[2] الذي[3] بـأيدي النصـارى، فهي أربعة أنـاجيل: إنجيل متى[4]، ويوحنا[5]، ـــــــــــــــــــــــــــــــ

(١) في ط (لا يمسه إلاَّ المطهرون).
وقد اعتبرها الطابع آية، وهذا خلاف سائر النسخ، وهو الأظهر عندي.

(٢) في س، أ، ك (الإنجيل) بدلاً من (الأناجيل).

(٣) في سائر النسخ (الذي)، والأظهر عندي أنها (التي).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) **هو يوحنا بن زبدي الصياد الحواري**. أحد تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ وصاحب الإنجيل ـ الذي ينسب إليه ـ لكن نسبة هذا الإنجيل إليه قد أثير حولها الشكوك وقد نفى في عهد الاضطهاد ثم عاد إلى أفسس وأخذ يبشر بالمسيحية، وهـو أحد الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح بـطرس ويعقوب ويـوحنا، وكـان يسمى بالتلميـذ الحبيب، وظل في دعوته للمسيحية حتى مات.
انـظر: محـاضـرات في النصـرانيـة لأبـي زهـرة ص ٥٠، ط. دار الفكـر العـربـي ١٩٨٢م؛ وأضواء على المسيحية لمتـولي شبلي ص ٤٧، ط. ٢؛ وقامـوس الكتاب المقدس ص ١١٠٨.

ولوقا[1]،ومرقس[2]، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح، وإنما رآه متى ويوحنا، وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يسمون كل واحد منهم[3] إنجيلاً، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح بلغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته.

وذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه، فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث والسير والمغازي عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، من أقواله، وأفعاله التي ليست قرآناً.

فالأناجيل التي بأيديهم شبه كتاب السيرة، وكتب الحديث، أو مثل هذه الكتب ــ وإن كان غالبها صحيحاً.

وما[4] قاله[5] ــ عليه السلام ــ فهو مبلغ له عن الله، يجب فيه تصديق خبره، وطاعة أمره، كما قاله الرسول من السنَّة، فهو يشبه[6] ما قاله الرسول من السنَّة، فإن منها ما يذكر الرسول أنه قول الله، كقوله: «يقول الله ــ تعالى ــ: من عادى لي ولياً فقد آذنت بالحرب»[7]، ونحو ذلك.

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) سقطت من س، أ، ك (منهم).
(٤) في ك (وأما).
(٥) سقطت من ك (قاله).
(٦) في ك، أ (شبيه).
(٧) هذا الحديث القدسي أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ــ باب رقم ٣٨ ــ باب التواضع ــ حديث رقم ٦٥٠٢ في فتح الباري ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بلفظه. =

ومنهـا ما يقـوله[1] هـو، ولكن هو أيضـاً مما أوحـاه الله إليه، فمن أطاع الرسول فقد أطـاع الله، فهكذا مـا ينقل في الإنجيـل وهو من هـذا النوع فإنه كان أمراً من المسيح فأمر المسيح أمر الله، ومن أطـاع المسيح فقد أطاع الله.

ومـا أخبر بـه المسيح عن الغيب فـالله أخبره بـه، فإنـه معصوم أن يكذب[2] فيما يخبر به.

وإذا كـان الإنجيل يشبـه السنة المنـزلة، فـإنـه قـد يقـع في بعض ألفـاظهـا غلط، كمـا يقـع في كتب[3] السيـرة، وسـنن أبـي داود[4] والترمذي[5] وابن ماجه[6]، ثم هـذه الكتب قد اشتهـرت واستفاضت بين

= وأخـرجه ابن مـاجه في سننـه ــ كتاب الفتن ــ بـاب رقم ١٦ ــ حديث رقم ٣٩٨٩، ولكن ليس بصيغة الحديث القدسي بل عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن معـاذ بن جبـل ــ رضي الله عنـه ــ أنـه قـال: سمعت رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ يقـول: «إن يسيـر الـريـاء شـرك، وإن من عـادى لله وليـاً فقـد بـارز الله بالمحاربة...» الحديث.

(١) في ط (ما يقول).

(٢) سقطت من س، أ (أن يكذب).

(٣) في سائر النسخ: (كتاب) ولعل الأصوب (كتب).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) الترمذي: هو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي من أهـل ترمذ على نهـر جيحون، ولـد سنة ٢٠٩هـ، من أئمـة العلماء في الحـديث وحفاظه ومن شيوخه الإمام البخاري، ارتحل إلى خراسان والعراق والحجاز ثم عاد إلى وطنـه الأصلي «تـرمذ» وتـوفي سنة ٢٧٩هـ، ومن تصـانيفـه الجـامـع الكبيـر في الحـديث مجلدان، والشمائل النبوية، والتاريخ، والعلل في الحديث.
انـظر: تـذكـرة الحـافظ للذهبـي ٢/٦٣٣، ط. ٣؛ والبـدايـة والنهـايـة لابن كثيـر ١١/٦٦، ط. ١؛ وتهـذيب التهـذيب ٩/٣٨٦. طبعـة مؤسسـة فؤاد؛ والأعـلام للزركلي ٧/٢١٣، ط. ٣.

(٦) سبقت ترجمته.

المسلمين، (فلا يمكن أحداً ـ بعد اشتهارها وكثرة النسخ بها ـ أن يبدلها كلها.

* لكن في بعض ألفاظها غلط وقع فيها قبل أن تشتهر، فإن المحدث ـ وإن كان عدلاً ـ فقد يغلط)[1]، لكن ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الأخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم.

هذا مذهب السلف، وعامة الطوائف، كجمهور الطوائف الأربعة، وجمهور أهل الكلام من الكلابية[2]، والكرامية[3] والأشعرية[4] وغيرهم، لكن ظن بعض أهل الكلام أنه لا يجزم بصدقها لكون الواحد قد يغلط أو يكذب، وهذا الظن إنما يتوجه في الواحد الذي لم يعرف صدقه وضبطه.

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من أ.

(٢) الكلابية: هم أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب من أهل البصرة وكان نصرانياً فأسلم وفارق قومه كان يقول هو وفرقته: إنه ليس لله كلام مسموع وأن جبريل عليه السلام لم يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله وأن الذي أنزل على الأنبياء حكاية كلام الله.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ١٩.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وهو منتسب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ ومن مذهبه أن كل موجود يصح أن يرى، فإن المصحح للرؤيا إنما هو الوجود والباري تعالى موجود فيصح أن يرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة. وقال أيضاً: الإيمان هو التصديق بالجنان وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٩٤.

أمـا إذا عرف صـدقه وضبـطه، إما بـالمعجـزات كـالأنبيـاء، وإمـا بتصديق النبـي له فيما يقول، وإما باتفاق الأمة المعصـومة على صـدقه، واتفاقهم عل العمل بخبره، أو اتفـاقهم على قبول خبـره وإقراره، وذكـره من غير نكير، أو ظهور دلائل وشواهد وقرائن احتفت بخبره، ونحـو ذلك من الـدلائل على صـدق المخبـر، فهـذه يجب معهـا الحكم بصـدقـه، وأنه[1] لم يكذب ولم يغلط، وإن كـان خبره لـو تجرد عن تلك الـدلائل أمكن كذبه، أو غلطه[2]، كما أن الخبر المجرد لا يجزم بكذبه إلّا بدليل يـدل على ذلك، إمـا قيام دليـل عقلي قاطـع، أو سمعي قاطـع على أنه بخـلاف مخبره، فيجـزم ببطلان خبـره[3]، وحينئذٍ فـالمخبر إمـا كاذبـاً، أو غالطاً، وقد[4] يعلم أحدهما بدليل.

فالمسلمون عندهم من الأخبار عن نبيهم ما هو متـواتر ومـا اتفقت الأمـة المعصومـة على تصديقـه، وما قـامت دلائل صـدقه من غيـر هذه الجهة مثل: أن يخبر واحد أو اثنان أو ثلاثة بحضرة جمـع كثير لا يجـوز أن يتـواطئوا على الكـذب بخبر يقـولون: إن أولئـك عاينـوه وشـاهـدوه، فيقرونهم على هذا ولا يكذب به منهم أحـد، فيعلم بالعـادة المطردة أنـه لو كان كاذباً لامتنع اتفاق أهـل التواتـر على السكوت عن تكـذيبه، كمـا يمتنع اتفاقهم على تعمد الكذب.

وإذا نقـل الواحـد والاثنان مـا توجب العـادة اشتهاره وظهـوره ولم يظهر، ونقلوه مُسْتَخْفِين بنقله لم ينقلوه على رؤوس الجمهور، علم أنهم كذبوا فيه.

---

(١) في ط (بأنه).
(٢) في س، أ، ك (غلطه أو كذبه).
(٣) في ط (مخبره).
(٤) في ط (قد).

ودلائل صدق المخبر وكذبه كثيرة متنوعة ليس هذا موضع بسطها، ولكن المقصود هنا أن المسلمين تواتر عندهم[١] عن نبيهم ألفاظ القرآن ومعانيه المجمع عليها، والسنة المتواترة، وعندهم عن نبيهم أخبار كثيرة معلومة الصدق بطرق متنوعة، كتصديق الأمة المعصومة، ودلالة العادات، وغير ذلك، وهم يحفظون القرآن في صدورهم، لا يحتاجون في حفظه إلى كتاب مسطور، فلو عدمت المصاحف من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه.

بخلاف أهل الكتاب فإنه لو عدمت نسخ[٢] الكتب لم يكن عندهم به نقل متواتر بألفاظها، إذ لا يحفظها ــ إن حفظها[٣] ــ إلّا قليل لا يوثق بحفظهم، فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب، إما تبديل بعض أحكامها ومعانيها، وإما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه.

ولهذا لا يوجد فيهم الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلام في نقلة العلم، وتعديلهم وجرحهم، ومعرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين، ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم لا يجتمعون على خطأ، بل قد علم أنهم اجتمعوا على الخطأ لما كذبوا المسيح.

ثم كذّبوا محمداً ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ، فإذا كانت الكتب المنقولة عن الأنبياء من جنس الكتب المنقولة عن محمد، ولم تكن[٤] متواترة عنهم ولم يكن تصديق غير المعصوم حجة، لم يكن عندهم من

---

(١) في ط (عنهم).
(٢) سقطت من أ (نسخ).
(٣) سقطت من ط (إن حفظها). وفي س (وإن).
(٤) في س، أ (وليست).

العلم بالتمييز بين الصدق والكذب ما عند المسلمين)*[1].

فهذه الأناجيل التي بأيدي النصارى من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته، وفيها ما هو غلط عليه بلا شك والذي كتبها في الأول إذا لم يكن ممن يتهم (بتعمد الكذب)[2]، فإن الواحد والإثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم، لا سيما ما سمعه الإنسان ورآه، ثم حدَّث به بعد سنين كثيرة، فإن الغلط في مثل هذا كثير، ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجباً للعلم بها، لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ، والحواريون كلهم اثنا عشر رجلاً[3].

وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه، وقد قام الدليل على[4] أن المصلوب لم يكن هو المسيح ـ عليه السلام ـ ، بل شبهه[5]، وهم ظنوا أنه المسيح، والحواريون لم يرَ أحد منهم المسيح مصلوباً، بل أخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود[6].

(فبعض الناس يقولون[7]: إن أولئك تعمدوا الكذب، وأكثر الناس يقول: اشتبه عليهم، ولهذا كان جمهور المسلمين يقولون في قوله: (ولكن شبّه لهم) عن أولئك، ومن قال بالأول جعل الضمير في (شبّه

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٢) في س، أ سقطت (بتعمد)، و (الكذب) كتبت (بالكذب).

(٣) الحواريون: ورد ذكرهم في العهد الجديد، إنجيل مرقص ص ٦٠، ط. القاهرة.

(٤) سقطت من س، ك (على).

(٥) في ط (بل شبه).

(٦) في أ (من الشهود).

(٧) في س (يقول).

لهم) عن السامعين لخبر أولئك[1]، فإذا جاز[2] أن يغلطوا في هذا، ولم يكونوا معصومين في نقله، جاز أن يغلطوا في بعض ما ينقلونه عنه، وليس هذا مما يقدح في رسالة المسيح، ولا فيما تواتر نقله عنه بأنه رسول الله الذي يجب اتباعه، سواء صلب أو لم يصلب، وما تواتر عنه، فإنه يجب الإيمان به، سواء صلب أو لم يصلب.

والحواريون مصدقون فيما ينقلونه عنه، لا يتهمون بتعمد الكذب عليه، لكن إذا غلط بعضهم في بعض ما ينقله لم يمنع ذلك أن[3] يكون غيره معلوماً، لا سيما إذا كان ذلك الذي غلط فيه مما تبين غلطه فيه في مواضع أخر.

وقد اختلف[4] النصارى في عامة ما وقع فيه الغلط، حتى في الصلب، فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح، بل الشبه كما يقوله[5] المسلمون، ومنهم من يقر بعبوديته لله وينكر الحلول والاتحاد[6] كالأريوسية[7]، ومنهم من ينكر الاتحاد وإن أقر بالحلول كالنسطورية[8].

(١) ما بين القوسين ساقط من أ ك.

(٢) سقطت من ك (جاز).

(٣) في ط (أي).

(٤) في ط (اختلفت).

(٥) في ط (يقول).

(٦) الحلول والاتحاد:

الحلول: الصوفية يشيرون به إلى الصلة بين الرب (اللاهوت) والعبد (الناسوت) كما عند النساطرة واليعاقبة والملكانية من الفرق النصرانية، ويقال إن القائلين بالحلول (الحلولية) كغلاة الشيعة والباطنية والدروز من الفرق، والحلاج من الصوفية.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٣٤.

والاتحاد: هو عقيدة الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية، قالوا: (إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن).

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٢.

(٧) سبق التعريف بها.

(٨) سبق التعريف بها.

وأما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح ـ عليه السلام ـ ، فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق[1]، ولا الصيام الخمسين[2]، ولا جعله في زمن الربيع، ولا عيد الميلاد[3]، والغطاس[4]، وعيد الصليب[5]، وغير ذلك من

---

(١) لم يكن لليهود والنصارى قبلة محددة من قبل الله تعالى مثل ما للمسلمين يتجهون إليها في الصلاة، فقد جاء في الإصحاح العشرين من سفر (الخروج) (في كل الأماكن التي فيها أضع لاسمي ذكر آتي إليك وأباركك)، وبعد رجوع اليهود من أرض بابل انقسموا على أنفسهم فالسامريون يقولون: جبل جيرزيم هو القبلة، والعبرانيون يقولون: جبل صهيون هو القبلة، وهيكل سليمان كان مبنياً على جبل صهيون، وكان العبرانيون يقدسونه والمسيح ـ عليه السلام ـ كان من اليهود العبرانيين فلذلك قدس هيكل سليمان وكان يتجه إليه بالتعظيم.
انظر: تهميش د. أحمد حجازي السقا على كتاب هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٦٤.

(٢) **صيام الخمسين**: في التقويم القبطي تعني الخماسين ـ الخمسين يوماً التالية لعيد القيامة وأولها يوم شم النسيم، ويوم شم النسيم ليس ثابتاً لأنه تابع للأشهر القبطية.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٦٥.

(٣) **عيد الميلاد**: ذكرى مولد السيد المسيح يلي صيام أربعين يوماً وهو يوم ٢٥ ديسمبر بالتقويم الميلادي (الجريجوري) ويوم ٢٩ كهيك بالتقويم القبطي، احتفل به قبل سنة ٢٠٠م ثم انتشر وأصبح شائعاً وشعبياً في القرون الوسطى.
انظر: الموسوعة العربية المسيرة ص ١٢٤٧.

(٤) **عيد الغطاس**: عند المسيحيين احتفال ديني بتعميد السيد المسيح في نهر الأردن ـ ١٩ يناير.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٤٧.

(٥) **عيد الصليب**: لم أجد له ذكراً في قاموس الكتاب المقدس ولا في الموسوعة العربية التي تحدثت عن معظم الأعياد.
وقد ذكر ابن القيم: أن النصارى اتخذوا الوقت الذي عثرت فيه هيلانة على الصليب عيداً، وسموه عيد الصليب.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٧ ـ طبعة ١٩٠٥م، بيروت؛ وإغاثة اللهفان ٢/٢٩٥.

أعيادهم، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين، مثل عيد الصليب فإنه مما ابتدعته «هيلانة الحرانية»[1]، أم قسطنطين، وفي زمن قسطنطين[2] غيروا كثيراً من دين المسيح والعقائد والشرائع، فابتدعوا «الأمانة» التي هي عقيدة إيمانهم، وهي عقيدة لم ينطق بها شيء من كتب الأنبياء التي هي عندهم، ولا هي منقولة عن أحد الأنبياء، ولا عن أحد من الحواريين الذين صحبوا المسيح، بل ابتدعها لهم طائفة من أكابرهم قالوا: كانوا ثلاث مائة وثمانية عشر[3].

واستندوا في ذلك إلى ألفاظ متشابهة في الكتب، وفي الكتب ألفاظ محكمة تناقض ما ذكروه، كما قد بسط في موضع آخر، وكذلك عامة شرائعهم التي وضعوها في كتاب «القانون»[4] بعضها منقول عن الأنبياء، وبعضها منقول عن الحواريين، وكثير منها مما ابتدعوه ليست منقولة عن أحد من الأنبياء، ولا عن الحواريين، وهم يجوّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع، ويضعوا شرعاً جديداً، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعاً، لم ينزل به كتاب، ولا شرعه نبي.



(١) **هيلانة**: من أهل الرهاء كانت امرأة جميلة وقد تنصرت على يد أب في الرهاء، وتعلمت وقرأت الكتب فخطبها الملك قسطس من أبيها فزوجها له فولدت له ابنه الملك قسطنطين الكبير وقد عاشت ثمانين سنة.
انظر: نظم الجوهر لابن البطريق ١/١١٧، ط. ١٩٠٥ بيروت.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) يشير إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.

(٤) **قانون الإيمان**: مجموعة العقائد المسيحية الأساسية ولها عدة ملخصات كان لها شأن كبير في تطور المسيحية وأهمها قانون نيقية، ويعتبر مراجعة للقانون الذي وضعه مجمع نيقية ٣٢٥ لا قرار المسائل التي أثارها أوريوس..
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٦٤.

فـصـل

وأما قولهم: كيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لساناً، وفي كل لسان منها كذا وكذا[1] ألف مصحف، ومضى عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة؟[2].

فيقال: أما بعد انتشارها هذا الانتشار فلم يقل المسلمون، بل ولا طائفة معروفة منهم أن ألفاظ جميع كل نسخة في العالم غيرت، لكن جمهور المسلمين الذين يقولون إن في ألفاظها ما غير، إنما يدعون تغيير بعض ألفاظها قبل المبعث، أو تغيير بعض النسخ بعد المبعث، لا تغيير جميع النسخ، فبعض الناس يقول: إن ذلك التغيير وقع (في أول الأمر)[3]، ويقول بعضهم: إن منها ما غير بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا يقولون: إنه غير كل نسخة في العالم، بل يقولون: غير بعض النسخ دون البعض، وظهر عند كثير من الناس النسخ المبدلة دون التي لم تبدل.

والنسخ التي لم تبدل هي موجودة عند بعض الناس.

ومعلوم أن هذا لا يمكن نفيه فإنه لا يمكن أحداً أن يعلم أن كل

---

(١) في ط (كذا كذا).

(٢) هذا القول موجود في مخطوطة رسالة بولس الأنطاكي الموجودة في المتحف القبطي ص ٨.

(٣) سقطت من ك (في أول الأمر).

نسخة في العالم بكل لسان مطابق لفظها سائر النسخ بسائر[1] الألسنة، إلّا من أحاط علماً بذلك، وهم قد سلموا أن أحداً لا يمكنه ذلك.

وأما من ذكر أن التغيير وقع في أول الأمر، فهم يقولون: إنما أخذت الأناجيل عن أربعة: اثنان منهم لم يريا المسيح، بل إنما رآه اثنان من نقلة الإنجيل: متى ويوحنا.

ومعلوم إمكان التغيير في مثل ذلك.

وأما قولهم: أنها مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فمعلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلّا بالعبرية كسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان مختوناً ختن بعد السابع كما يختن بنو إسرائيل، وأنه كان يصلي إلى قبلتهم، لم يكن يصلي إلى الشرق، ولا أمر بالصلاة إلى الشرق.

ومن قال: إن لسانه كان سريانياً، كما يظنه بعض الناس فهو غالط، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبرياً، ثم[2] ترجم من تلك اللغة إلى غيرها.

والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً، كما وجدنا في زماننا (من يترجم)[3] التوراة من العبرية إلى العربية، ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين.

والنصارى يقولون: إنما كتبت بأربع لغات: (بالعبرية،

---

(١) في ط، ك (لسائر).

(٢) سقطت من س (ثم).
في أ زاد بعد (ثم) جملة (نقلة الإنجيل أن نقوله بلغته كان عبرياً فقد).

(٣) في س، أ، ك (ما يترجموا).

والرومية[1]، واليونانية، والسريانية[2])[3].

وأما قولهم: إنها كتبت باثنين وسبعين لغة، فهذا إن كان صحيحاً فإنما كتبت بعد أن كتبت[4] تلك الأربعة، فإذا كان الغلط وقع في مواضع من تلك الأربعة، لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة، فإن المسلمين لا يقولون: أنها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها[5] في جميع الألسن (لاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك)[6].

وإنما يقال[7] التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر ما ورد[8]

---

(١) في س، أ، ك (وبالرومية).

(٢) في أ، ك (وبالسريانية). وفي س (وبالسريانية) ساقطة.

(٣) هذه اللغات التي بين القوسين:

العبرية: هي اللغة التي كتب بها متى إنجيله ولم يعرف إلّا باليونانية وجهل المترجم، وقد اتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية.

انظر: محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص ٤٣، ٤٤.

الرومية: هي إحدى اللغات التي كتب بها بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عن مرقص بالرومية في مدينة رومية ونسبه إلى «مرقص».

انظر: نظم الجوهر ١/٩٦.

اليونانية: هي اللغة التي كتب بها يوحنا إنجيله في جزيرة يقال لها بطمس من أرض آسيا.

انظر: نظم الجوهر ١/١٠٠.

السريانية: هي إحدى اللغات التي قيل بأن متى كتب بها إنجيله.

انظر: محاضر في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص ٤٣، ٤٤.

(٤) في س، ك، أ (كتب).

(٥) في س، أ، ك (لفظه).

(٦) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك.

(٧) سقطت من س، أ، ك (يقال).

(٨) في ك، س (ما يرويه). في أ (ما يروونه).

عن المسيح وموسى (ومحمد ــ عليهم صلوات الله وسلامه ــ)[1] من الحديث، مثل سيرة ابن إسحاق[2]، وأحاديث السنن، والمسانيد المأثورة عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فإن في العالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة، لا يمكن أن يغير منها فصل طويل، ولكن في نفس السيرة وقع غلط في مواضع وأحاديث وقعت في السنن هي غلط في الأصل، (فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لا يمنع وقوع الغلط في الأصل)[3]، وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق، ما من كتاب إلَّا وبه نسخ كثيرة في العالم لا يمكن تغيير فصل طويل منها، وفيها أحاديث غلط في الأصل.

والأناجيل التي بأيدي النصارى تشبه هذا، ولهذا أمروا أن يحكموا بما[4] فيها، فإن فيها أحكام الله، وعامة ما فيها من الأحكام لم يبدل لفظه، وإنما بدلت بعض ألفاظ الخبريات، وبعض معاني الأمريات، كما نؤمر نحن أن نعمل بأحاديث الأحكام المعروفة عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فإن العلماء اعتنوا بضبطها أكثر من اعتنائهم بضبط الخبريات، كأحاديث الزهد والقصص والفضائل، ونحو ذلك، إذ حاجة الأمم إلى معرفة الأمر والنهي أكثر من حاجتهم إلى معرفة التفاصيل بالخبريات التي يكتفى بالإيمان[5] المجمل بها.

وأما الأمر والنهي، فلا بد من معرفته على وجه التفصيل، إذ العمل بالمأمور لا يكون إلَّا مفصلاً، والمحظور الذي يجب اجتنابه لا بد أن يميز بينه بين غيره، كما قال ــ تعالى ــ :

---

(١) في أ (ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) ما بين القوسين ساقط من ط.
(٤) سقطت من ط (بما).
(٥) في أ، ك (بالآيات).

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[1].

والنصارى لا يحتاجون عند أنفسهم إلى هذا، فإنه لا يجب عندهم أن يتمسكوا بشرع منقول عن المسيح ــ عليه السلام ــ ، وعندهم لأكابرهم أن يشرعوا ديناً لم يشرعه المسيح ، ويقولون : ما شرعه هؤلاء فقد شرعه المسيح فلم يكن لهم عناية ولا معرفة بشرع المسيح ، كما للمسلمين عناية ومعرفة بشرع محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

• • •

(1) سورة التوبة : من الآية ١١٥.

فصل

وأما التوراة، فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنصارى أن بيت المقدس خرب الخراب الأول[1]، وجلا[2] أهله منه وسبوا، ولم يكن هناك من التوراة[3] نسخ كثيرة ظاهرة، بل إنما أخذت عن نفر قليل.

كما يقولون: إن عزيراً[4] أملاها وأنهم وجدوا نسخة أخرى فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين، وقد يغلط أحدهما، وهم يذكرون

---

(١) الخراب الأول هو تخريب بختنصر له سنة ٥٨٦ق.م، كما ذكره سعيد بن البطريق في تاريخه نظم الجوهر ٧١/١، ط. بيروت وهناك خراب آخر على يد طيطس سنة ٧٠م.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٥٤.

(٢) في ط، أ (خلا).

(٣) في س، أ، ك (بالتوراة).

(٤) عزير: قال اليهود فيه بأنه ابن الله والشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم ويقال بأن العزير مرّ على قرية قد خربت فقال: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه). وقد عمرها الله أحسن مما كانت وقال عزير لقومه قد جئتكم بالتوراة، ويقال بأنه ربط على إصبع من أصابعه قلماً وكتب التوراة بأصبعه فلما تراجع الناس استخرجوا النسخ التي كانت في الجبال وقابلوه فوجدوا ما جاء به صحيحاً.
انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٨/٢؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٦٠.
وهو عند اليهود: عزرا بن سرايا أو سرايا (الكاتب) حيث أنه كتب التوراة بعد رجوع اليهود من بابل إلى بيت المقدس.
انظر: نظم الجوهر ٧٦/١؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١.

أن من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبراً منهم بنقلها، واعتبر بعض تلك النسخ ببعض، وهذا إذا كان صدقاً، لا يمنع أن يكون الغلط وقع في بعض ألفاظها قبل ذلك إلَّا أن يثبت أنها مأخوذة عن نبي معصوم، أو أقر جميع ألفاظها نبي معصوم.

فما قاله المعصوم فهو حق، وما ثبت بالنقل المتواتر فهو حق.

وهؤلاء القائلون إنه وقع التغيير في بعض ألفاظها في ذلك الزمان يقولون: لم تؤخذ عن نبي معصوم، ولا نقلت بالتواتر.

ومن نازع من المسلمين وأهل الكتاب يقولون: أخذت عن العزير، وهو نبي معصوم، وهذا[1] مما يحتاج المثبت فيه والنافي إلى تحقيقه.

وإذا قالت النصارى: فالمسيح عليه السلام أقرها، قيل: المسيح عليه السلام لم يمكن أن يلزمهم بما أوجبه الله عليهم من الإيمان به وطاعته، فكيف كان يمكنه أن يغير نسخ التوراة التي عندهم مع كثرتها، وهم قد طلبوا قتله وصلبه لعجزه وضعفه، وصلبوا شبيهه[2]، كما يقوله المسلمون، أو صلبوه[3] نفسه (كما يقوله النصارى)[4]، فكيف كان يمكنه أن يصلح ما غير منها؟

وأما من بعد المسيح فليس معصوماً، والمسيح غير بعض

(١) في ط (هذا) بدون (و).
(٢) في س (شبهه).
(٣) في أ، ك، ط (أو صلبوا).
(٤) ما بين القوسين كتب في س (على قولهم)، وسقط من أ، ك.

أحكامها[1] وأقر أكثرها، والأحكام إنما يدعي المسلمون فيها النسخ وتبديلها بالاعتقاد، بخلاف موجبها والعمل بذلك لا يحتاجون إلى دعوى تبديل ألفاظها كما بدلوا شريعة الرجم بغيرها، وهو مكتوب في التوراة.

بخلاف الخبريات فإن هذه يقول أكثر المسلمين: إن التغيير وقع في بعض ألفاظها.

وأما النبوات المنقولة عن الاثنين وعشرين نبياً[2]، فهذه لا تعلم منها نبوة واحدة تواترت جميع ألفاظها، بل أحسن أحوالها أن تكون بمنزلة الإنجيل، وهو بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، كسيرة ابن إسحاق، أو بعض كتب المسانـد والسنن التي ينقل فيها ما ينقله الناقلون من أقوال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأفعاله، وأكثره صدق، وبعضه غلط.

ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله، كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) لعل الشيخ رحمه الله يعني بتغيير الأحكام: تغيير الأحكام التي زادها أحبار اليهود لليهود، فحرموا فيها ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، فتغيير بعض الأحكام يعني به عودة اليهود إلى صحيح ما جاءهم به موسى من تشريع، ذلك لأن الذي عليه جمهور العلماء أن الإنجيل ليس ناسخاً للتوراة ولا لشيء من أحكامها، وأما قوله ـ تعالى ـ عن المسيح: ﴿... ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم...﴾ فإن معناها الذي حرمه أحباركم عليكم مما لم ينزل به شرع الله.
انظر: فتح القدير، للشوكاني ١/٣٤٣؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٣٦٥؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٩٦؛ ومفاتيح الغيب للرازي ٧/٥٩.

(٢) لا أدري ما الذي يعنيه الشيخ ـ رحمه الله ـ على وجه التحديد بالاثنين وعشرين نبياً، فإن أنبياء بني إسرائيل أكثر من هذا العدد الذي ذكره الشيخ بكثير، مع العلم أن الأنبياء أصحاب الأسفار الذين نص عليهم في العهد القديم ستة وعشرون نبياً.
انظر: فهرس العهد القديم، ط. القاهرة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

فما في[2] تفسير القرآن، أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه، ويذكر الدليل على غلط الغالط، وكذب الكاذب، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم، ولا كتاب بعد كتابهم.

وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبياً يبين لهم ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نبي، وقد ضمن الله أنه يحفظ ما أنزله من الذكر، وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل[3] أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن، وينفي به تحريف الغالين، وانتحال المضلين[4]، وتأويل الجاهلين.



(١) سورة الحجر: الآية ٩.
(٢) في س (وفي).
(٣) سقطت من س، أ، ك (بل).
(٤) في أ (المبطلين).

فـصــل

وأما من قال: إنه غير بعض ألفاظها بعـد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فهؤلاء يقولون: إنه كان في التوراة والإنجيـل وغيرهمـا، ألفاظ صريحة بأمور:

منهـا: اسم محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، وأنـه عمـد بعض أهل الكتاب فغيروا بعض الألفاظ في النسخ التي كانت عندهم.

لا يقولون: إن هؤلاء غيـروا كل نسخـة كانت على وجـه الأرض، لكن غيـروا بعض ألفاظ النسـخ، وكتب الناس من تلك النسـخ المغيـرة نسخاً كثيرة، انتشرت فصار أكثر ما يوجد عنـد كثير من أهـل الكتاب هـو من تلك النسخ المغيرة.

وفي العالم نسخ أخـرى لم تغير، فـذكر كثيـر من الناس أنـه رآها وقـرأها، وفي تلك النسـخ ما ليس في النسـخ الأخرى، وممـا يدل على ذلك أنك[1] في هذا الزمان إذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عنـد اليهود والنصارى والسامرة[2] وجدت بينهما اختلافاً في مواضع متعددة.

وكذلك نسخ الإنجيل، وكذلك نسخ الزبور مختلفة اختلافاً متبـايناً بحيث لا يعلم العاقل أن جميـع نسخ التـوراة الموجـودة متفقة على لفظ

---

(١) سقطت من ك، أ (أنك).

(٢) فرقة من الفرق اليهودية.

واحد، ولا يعلم أن جميع[1] نسخ الإنجيل متفقة على لفظ واحد، ولا يعلم أن جميع[1] نسخ الزبور متفقة على لفظ واحد، فضلاً عن سائر النبوات.

ومعلوم أنه لا يمكن أهل الكتاب إقامة حجة على أن جميع النسخ بجميع اللغات في زوايا الأرض متفقة على لفظ واحد في جميع ما هو موجود من جميع النبوات. والحجة التي احتجوا بها على تعذر تغييرها كلها تدل على تعذر العلم بتساويها كلها.

فإذا قالوا: فمن هو[2] الذي تكلم باثنين وسبعين لساناً، ومن هو الذي حكم على الدنيا كلها ملوكها وقساوستها[3] وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض وجمعها من أربع زوايا الأرض (حتى يغيرها؟

قيل لهم: ومن الذي يعلم اثنين وسبعين لغة؟ ومن هو الذي حكم على الدنيا ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض وجمعها من أربع زوايا الأرض)[4] وأحضر كل نسخة موجودة في جميع الأرض، وقابل كل نسخة (موجودة في جميع الأرض)[5] بجميع النسخ فوجد جميع ألفاظ جميع النسخ التي باثنين وسبعين لساناً من جميع أقطار الأرض لفظاً متفقاً، لم يختلف ألفاظها؟

فإن دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها، فإنه

---

(١) سقطت من ك، أ (جميع).

(٢) سقطت من أ (هو).

(٣) في س (قساقسها)، في أ، ك (قساقستها).

(٤) سقط من ك ما بين القوسين.

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك

إن أمكن أحداً أن يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض ألفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل ما في نسخة بجميع ما في سائر النسخ.

فإنّا إذا أحضرنا بكتاب من الكتب عشر[1] نسخ كان تغيير بعض ألفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحد من العشرة بالتسعة الباقية إذ المقابلة يحتاج فيها إلى معرفة جميع ألفاظ كل نسخة ومساواتها للأخرى.

وأما التغيير فيكفي[2] فيه أن يغير من كل نسخة ما يغيره من الأخرى فإن كان تغيير جميع النسخ ممتنعاً في العادة فالعلم باتفاقها أشد امتناعاً، وإن كان العلم باتفاقها ممكناً، فإمكان تغيير بعض ألفاظها أيسر وأيسر.

وأما قولهم إن قيل: إنه غير بعضها وترك بعضها، فهذا لا يمكن أن يكون لأنها[3] كلها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن.

فيقال: أما إمكان هذا فظاهر لا ينازع فيه عاقل، وهو واقع فإنّا قد رأينا التوراة التي عند السامرة[4]، تخالف توراة اليهود والنصارى، (حتى في العشر الكلمات.

فذكر السامرة فيها من أمر استقبال الطور ما لا يوجد في نسخ اليهود والنصارى)[5]، وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف

---

(١) اتفقت جميع النسخ على (عشرة نسخ) والأظهر (عشر نسخ).

(٢) في س، أ، ك (فيكتفي).

(٣) في س، أ، ك (لأن).

(٤) في س، أ، ك (السمرة).

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

معروف، ونسخ الإنجيل مختلفة، ونسخ الزبور مختلفة اختلافاً أكثر من ذلك، وبكل حال فلا يقدر عاقل أن يقول: يمتنع تغيير بعض النسخ.

ولكن إذا قالوا لم يغير شيء منها، لأن جميعها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن، كانت هذه الدعوى باطلة من وجهين:

أحدهما: أن دعوى العلم بتساوي جميع النسخ أبلغ من دعوى إمكان تغييرها، فإن كان التغيير ممتنعاً على جميعها كان علم الواحد بما في جميعها ـ وأنها متماثلة[1] الألفاظ مع اختلاف الألسن ـ أولى بالامتناع.

الثاني: أن هذا دعوى خلاف الواقع، فإن الاختلاف في نسخ التوراة والإنجيل والزبور، موجود قد رأيناه نحن بأعيننا، ورآه غيرنا، فرأيت عدة نسخ بالزبور يخالف بعضها بعضاً اختلافاً كثيراً، ورأينا بعض ألفاظ التوراة التي ينقلها هذه الطائفة، وهي مكتوبة عندهم يدعون أنها هي التوراة الصحيحة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض ألفاظ توراة الطائفة الأخرى، وكذلك الإنجيل[2].

وبالجملة قولهم: هذا لا يمكن أن يكون، لأنها[3] كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الألسن، تضمن شيئين:

تضمن دعوى كاذبة، وحجة باطلة، فإن قولهم: (هذا لا يمكن) مكابرة ظاهرة، فإن إمكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عاقل في إمكانه، لكن قد يقول القائل: إذا غير بعض النسخ وأظهر ذلك، شاع

---

(١) في ط، ك (مماثلة).
(٢) في س، أ (بالإنجيل).
(٣) في س، أ، ك (لأن).

ذلك فرأى سائر أهل النسخ تلك النسخة مغايرة لنسخهم[1] فأنكروه، فإن الهمم والدواعي متوفرة على إنكار ذلك، كما يوجد اليوم مثل ذلك لو أراد رجل أن يغير كتاباً مشهوراً عند الناس، به نسخ متعددة، فإذا غيره فوصلت تلك النسخة إلى من يعرف ما في تلك النسخ أنكروا ذلك.

فيقال: هذا يمكن إذا كانت تلك[2] النسخة المغيرة وصلت إلى طائفة يمتنع عليهم مواطأتهم على الكذب، (فإنه كما يمتنع في الأخبار المتواترة)[3] التواطؤ على الكذب، فيمتنع التواطؤ على كتمان ما يتعذر كتمانه في العادة.

ومعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ، والنسخ إنما هي موجودة عند علماء أهل الكتاب وليس عامتهم يحفظ ألفاظها كما يحفظ عوام المسلمين ألفاظ القرآن، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطأت[4] طائفة أخرى على أن لا يذكروا ذلك أمكن ذلك، ولكن إذا كانت الطوائف ممن لا يمكن تواطؤها على الكذب أو الكتمان امتنع ذلك فيهم.

وقد رأينا عند أهل الكتاب كتباً يدعون أنها عندهم من النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بخط علي بن أبي طالب[5]، فيها أمور تتعلق بأغراضهم، وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين، وعظموا ما فيها وأعطوا أهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين ما فيها،

---

(١) في ط (بنسخهم).
(٢) سقطت من س، أ، ك (تلك).
(٣) ما بين القوسين مكرر في أ، س.
(٤) في س، أ، ك (تواطئوا).
(٥) سبقت ترجمته.

فلما وصلت إلى من وصلت إليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر مثل ذكرهم فيها: شهد بما فيها كعب بن مالك الحبر على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، يعنون كعب الأحبار.

وكعب الأحبار إنما أسلم على عهد عمر بن الخطاب[1] لم يدرك النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، واسمه كعب بن ماتع، ولكن في الأنصار كعب بن مالك الشاعر[2] الذي أنزل الله توبته في سورة براءة، فظن هؤلاء الجهال أن هذا هو ذاك.

ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ[3] الذي اهتز لموته عرش الرحمن، ذكروا شهادته عام خيبر[4]، وقد اتفق أهل العلم أنه مات

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن أسد بن سارة بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي الشاعر، شهد العقبة وشهد أحد، وهو أحد الثلاثة المتخلفين في تبوك ثم تاب الله عليهم، قيل أنه مات في زمن معاوية سنة ٥٠ أو سنة ٥٣، وهو ابن سبع وسبعين سنة.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣٠٢؛ والاستيعاب بهامشه ٣/٢٨٦.

(٣) هو: سعد بن معاذ بن نعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري، صحابي جليل سيد الأوس وحامل لوائهم يوم بدر، شهد أحد والخندق ورمى بسهم ومات ودفن بالبقيع ــ رحمه الله ــ .

انظر: الإصابة ٢/٣٧؛ والطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/٤٢٠.

(٤) خيبر: بلد بين المدينة ومكة معروفة الآن وبها الواقعة المشهورة والمعروفة بغزوة خيبر ــ سنة سبع من الهجرة، وتفاصيل هذه الغزوة معروفة في كتب المغازي والسير.

انظر: البداية والنهاية ٤/١٨١.

عقب غزوة الخندق[1] قبل غزوة خيبر بمدة، وأمثال ذلك.

وأما حجتهم الداحضة فقولهم[2]: أن جميع كتب النبوات[3] التي في العالم من التوراة والإنجيل والزبور والنبوات موجودة باثنين وسبعين لساناً بلفظ واحد وقول واحد، فهل يقول عاقل من العقلاء أنه علم ذلك؟ وأنه علم أن كل نسخة من النبوات الأربعة وعشرين بأحد الألسنة الاثنين وسبعين موافقة لكل نسخة في سائر الألسنة، ولو ادعى مدعٍ أن كل نسخة من التوراة في العالم باللسان العربي، (أو كل نسخة من الإنجيل في العالم باللسان العربي)[4] أو كل نسخة في العالم من الزبور باللسان العربي موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد[5] ادعى ما لا يعلمه ولا يمكنه علمه، فمن أين له ذلك؟

وهل[6] رأى كل نسخة عربية بهذه الكتب، أو أخبره من يعلم صدقه أن جميع النسخ العربية الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة؟

وكذلك إذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني، والسرياني، والرومي،

---

(١) **غزوة الخندق**: وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب ــ قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم...**﴾ الآية. وكانت غزوة الخندق أو الأحزاب، في شوال سنة خمس من الهجرة، وسميت (بالخندق) الذي أشار بحفره حول المدينة ــ سلمان الفارسي وهو أخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقى به الجنود ــ وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكن من مكايد الفرس وحروبها ــ وهذه الغزوة معروفة في كتب السير والمغازي.
انظر: البداية والنهاية ٩٣/٤.

(٢) في ط (بقولهم).

(٣) في ط (التوراة).

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٥) سقطت من أ (قد).

(٦) سقطت من أ (هل).

والعبراني، والهندي، فإن كان في العالم بكل كتاب من هذه اثنان وسبعون لساناً فدعوى[1] اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية، فكيف إذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الألسنة؟

وهب أنه يمكن أن يقال ذلك في نسخ لسان نقلها[2] أهله، والناطقون به، فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله؟

وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن، فإن القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف، بل القرآن محفوظ في قلوب ألوف مؤلفة من المسلمين، لا يحصى عددهم إلاَّ الله ـ عز وجل ـ ، فلو عدم كل مصحف في العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من ألفاظ القرآن، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه قل أن نجد من أهل الكتاب أحداً يحفظ كتاباً من هذه الكتب، فقل أن يوجد من اليهود من يحفظ التوراة.

وأما النصارى فلا يوجد فيهم[3] من يحفظ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات كلها فضلاً عن أن يحفظها باثنين وسبعين لساناً، (وإن وجد ذلك فهو قليل لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط)[4].

فتبين أن ما ذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوى الأمور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الألفاظ، وأن القرآن إذا كان منقولاً بلغة واحدة، وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبين أن القرآن لا يمكن أحداً أن يغير شيئاً من ألفاظه، وإن

---

(١) في ط (يدعون)، وفي ك (يدعو)، وفي س (فادعوا).
(٢) في س، أ، ك (نقل).
(٣) في س (منهم).
(٤) ما بين القوسين ساقط من ك.

أمكن تغيير بعض ألفاظ التوراة والإنجيل، عند كثير من أهل الكتاب.

والمسلمون لا يدَّعون أنه غيَّر جميع ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما ظنه بهم هؤلاء الجهال، بل إنما ادعوا ما يسوغه العقل[1]، بل ويظهر دليل صدقه، ولكن هؤلاء الجهال[2] ادعوا العلم، بأن جميع النسخ بجميع الألسنة بجميع الكتب بلفظ واحد، فادعوا ما لا يمكن أحداً علمه، وادعوا ما يعلم بطلانه.



(١) سقطت من ك (العقل).

(٢) في ط (جهال).

فصل

ثبوت الاختلاف والتغيير في نُسخ أهل الكتاب

وقد ظهر الجواب عن قولهم فمن هو الذي تكلم باثنين وسبعين لساناً، أو من هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على الدنيا[1] جميعها من أربع زوايا العالم حتى غيرها، وإن كان مما أمكنه جمعها كلها أو بعضها[2].

فهذا ما لا يمكن، إذ جميعها قول واحد ونص واحد[3] واعتقاد واحد. اهـ.

وقد ظهر الجواب عن ذلك من وجوه:

أحدها: أنا لم ندع تغييرها بعد أن صارت بهذه الألسن، وانتشرت بها النسخ، بل لا ندعي التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الأنبياء[4]، مثل كتب النحو والطب والحساب والأحاديث والسنن المنقولة عن الأنبياء مما نقل في الأصل نقل آحاد، ثم صارت النسخ به كثيرة منتشرة، فإن أحداً لا يدعي أنه بعد انتشار النسخ بكتاب في مشارق الأرض ومغاربها حكم إنسان على جميع[5] المعمورة، وجمع النسخ

---

(١) سقطت من س، أ، ك (الدنيا).

(٢) في س، أ، ك (ولكن بعضها).

(٣) سقطت من ط (واحد).

(٤) يقصد الشيخ ـ رحمه الله ـ بكتب الأنبياء: الكتب التي نزلت على الأنبياء مثل: توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، والقرآن الذي أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليهم جميعاً وسلَّم ـ .

(٥) سقطت من أ (جميع).

التي بها وغيّرها[1].

ولا ادعى أحد مثل ذلك في التوراة والإنجيل، وإنما ادعى ذلك فيها، لما كانت النسخ قليلة: إما نسخة، وإما اثنتين، وإما أربع[2] ونحو ذلك.

أو ادعى تغيير بعض ألفاظ النسخ، فإن بعض النسخ يمكن تغييرها.

ونسخ التوراة والإنجيل والزبور موجودة اليوم وفي بعضها اختلاف، لكنه اختلاف قليل والغالب عليها الاتفاق.

وذلك يظهر **بالوجه الثاني**: أن قولهم: إن جميعها قول واحد، ونص واحد، واعتقاد واحد، ليس كما قالوه، بل نسخ التوراة مختلفة في مواضع.

وبين توراة اليهود[3] والنصارى والسامرة اختلاف، وبين نسخ الزبور اختلاف أكثر من ذلك، وكذلك بين الأناجيل، فكيف بنسخ النبوات؟

وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باسمه، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر

---

(١) (التي) ساقطة من ط. و (بها) كتبت في ط (به).

(٢) (أربعة) هكذا في سائر النسخ، ولعل الصواب (أربع).

(٣) **توراة اليهود**: يقصد بها الشيخ ـ رحمه الله ـ النسخة العبرية، ويعني بنسخة النصارى: التوراة الكاثوليكية، والتوراة البروتستانتية، وهذه جميعها مختلفة اختلافاً بيناً، ويكفي أن نعرف أن نسختي النصارى مختلفتان في عدد الأسفار حيث تزيد النسخة الكاثوليكية على النسخة البروتستانتية بسبعة أسفار.
انظر: دراسة الكتاب المقدس، لموريس بوكاي ص ٢٥.

ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما ليس في أخرى.

الوجه الثالث: أن التبديل في التفسير أمر لا ريب فيه، وبه يحصل المقصود في هذا المقام، فإنا نعلم قطعاً أن ذكر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكتوب[1] فيما كان موجوداً في زمنه من التوراة والإنجيل، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2].

ولا ريب أن نسخ التوراة والإنجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، فلا بد من أحد الأمرين:

* إما أن يكون غُيِّر اللفظُ من بعض النسخ، وانتشرت النسخ المُغَيّرة.

* وإما أن يكون ذكره في جميع النسخ، كما استخرجه كثير من العلماء ممن كان من أحبار اليهود والنصارى، وممن لم يكن من أحبارهم، استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة والإنجيل ونبوات الأنبياء، كما هو مبسوط في موضع آخر[3].

ومَن قال: إن ذكره موجود فيها أكثر من هذا وأصرح في بعض النسخ، لا يمكن هؤلاء دفعه بأن يقولوا: قد اطلعنا على كل نسخة في

---

(١) (مكتوب) ساقطة من ط.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.

(٣) يشير إلى آخر كتابه هذا ـ الجزء الأخير من الجواب الصحيح ـ حيث فيه فصول للبحث في البشارة بالنبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة والإنجيل.

العالم[1] بالتوراة والإنجيل في مشارق الأرض ومغاربها، فوجدناها على لفظ واحد، فإن هذا لا يقوله إلاَّ كذاب، فإنه لا يمكن بشراً أن يطلع على كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها، كما لا يمكنه أن يغيِّر كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها، فلو لم يعلم اختلاف النسخ لم يمكنه الجزم باتفاقها في اللفظ، فكيف وقد ذكر الناس المطلعون عليها من اختلاف لفظها ما تبين[2] به كذب من ادعى اتفاق لفظها؟ (وكيف يمكن اتفاق لفظها وهي بلغات مختلفة)[3].



(١) سقطت من س، أ، ك (العالم).
(٢) في ط، أ، ك (يبين).
(٣) ما بين القوسين ساقط من س، ط.

فصل

ردّ دعوى النّصارى في أنّ القرآن أقرّهم على ما هم عليه

قالوا: ثم وجدنا في هذا الكتاب، ما هو أعظم من هذا برهاناً، مثل[1]: قوله في سورة الشورى:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

وأما لغير أهل الكتاب فيقول[3]:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . . . ﴾[4] (السورة كلها).

والجواب:

أما قوله:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾.

فهذه الآية مذكورة بعد قوله ــ تعالى ــ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

---

(١) سقطت من أ، ك، ط (مثل).

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.

(٣) في س، أ، ك (يقول).

(٤) سورة الكافرون: الآيات ١ ــ ٣.

بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا
تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾(1).

فقد أخبرنا أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه. كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞
مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا
لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(3).

---

(1) سورة الشورى: الآيات ١٣ ـ ١٥.
في س، أ، ك (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) بدلاً من (وما تفرقوا).
(2) سورة الروم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.
(3) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

ثم أخبر عن تفرق الـذين أوتوا الكتـاب كتفرق اليهـود والنصارى، وتفـرق فرق اليهـود[1]، وفرق النصـارى كـالنسـطوريـة[2] واليعقـوبيـة[3] والملكية[4].

ثم قال:

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ـ أولئك المفترقين ـ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[5].

وهكذا توجد عامة اليهود والنصارى في شك من ذلك مريب.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[7].

---

(١) افترق اليهود إلى خمس فرق هي السامرية، الصدوقية، العنانية، الربانية، العيسوية. انظر: الفصل لابن حزم ٩٨/١.

(٢) **النسطورية**: سبق التعريف بهم. (٣) **اليعقوبية**: سبق التعريف بها.

(٤) **الملكية**: سبق التعريف بها.

(٥) سورة الشورى: من الآية ١٤.

(٦) سورة هود: الآية ١١٠.

(٧) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.
في س (لفي شك منه مريب) بزيادة (مريب) وهو خطأ.

ثم[1] قال ـ تعالى ـ :

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[2].

إلى الدين الذي شرعه لنا:

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2].

وهذا[3] يتناول أهواء أهل الكتاب، كما يتناول أهواء المشركين، وقد صرح بذلك في قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

كما صرح بنهيه عن اتباع أهواء المشركين في قوله ـ تعالى ـ[6] :

---

(١) سقطت من س (ثم).

(٢) سقط من س، أ، ك (واستقم كما أُمرت).

(٣) في س، أ، ك (هذا) بدون واو.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٥.

(٦) سقطت من س، أ، (تعالى).

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ﴾[2].

حق، فإن الله أمره وجميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنـزل[3] الله وكذلك قوله:

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[4].

فإن الله أمره أن يعدل بين جميع الخلق، وقوله:

﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ﴾[5].

هذه براءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين، وأهل الكتـاب، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٠.
(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(٣) في جميع النسخ: ما أنزله الله.
وفي أ (ما أنزله الله إليه). بزيادة (إليه).
(٤) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(٥) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(٦) سورة يونس: الآية ٤١.

ومثله قوله ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[1].

وكذلك قوله:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾. [2]

فإن هذه الكلمة كقوله:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وهي[4] كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله، فإن حرف «اللام» في لغة العرب يدل على الاختصاص، فقوله:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[5].

يدلّ[6] على أنكم مختصون بدينكم، لا أشرككم فيه، وأنا مختص بديني، لا تشركوني فيه كما قال:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٩.
(٢) سورة الكافرون كلها.
(٣) سورة يونس: من الآية ٤١.
(٤) في ط، س، ك (هي) بدون واو.
(٥) سورة الكافرون: الآية ٦.
(٦) في س، أ، (يوجب) بدلاً من (يدل).
(٧) سورة يونس: الآية ٤١. في ط سقطت كلمة (عملكم) من الآية.

ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: هي براءة من الشرك[1]، وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين، ولا[2] أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه[3] بعض الغالطين، وجعلوها منسوخة، بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه، وأنه لا تضره أعمالهم، ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم.

وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط، ومن زعم أنه رضي بدين الكفار، واحتج بقوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[4].

(فظن[5] هذا الملحد أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[6]، معناه

---

(١) وردت هذه الجملة: (هي براءة من الشرك) من حديث:
أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٤٥٦ عن فروة بن نوفل عن أبيه بلفظ: (فإنها براءة من الشرك).
وأخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ٤٠/٣١٣، حديث رقم (٥٠٥٥) عن فروة بن نوفل عن أبيه باللفظ السابق.
وكذلك أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ـ ج ٥ ـ باب ٢٢، حديث رقم (٣٤٦٣) بنفس لفظ المسند وسنن أبي داود.
(٢) في س، أ، سقطت (لا).
(٣) في أ (يظنه).
(٤) سورة الكافرون كلها.
(٥) في أ (فقال).
(٦) ما بين القوسين ساقط من ك.

أنه رضي بدين الكفار، ثم قال: هذه الآية منسوخة، فيكون قد رضي بدين الكفار، وهذا من أبين الكذب والافتراء على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه لم يرض قط إلَّا بدين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ما رضي قط بدين الكفار، لا من المشركين، ولا من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لا يدل على رضاه[1] بدينهم، بل ولا على إقرارهم عليه، بل يدل على براءته من دينهم، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (إن هذه السورة براءة من الشرك).

ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

وكذلك قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[4].

وقد يظن بعض الناس ـ أيضاً ـ أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ...﴾ الآية: أني لا آمر بالقتال، ولا أنهي عنه، ولا أتعرض له بنفي

---

(١) في ط (رضاء).

(٢) سورة يونس: الآية ٤١.

في ط (إن كذبوك) الواو محذوفة من أول الآية.

(٣) سقطت من أ، س (تعالى).

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

ولا إثبات[1]، وإنما فيها أن دينكم لكم أنتم مختصون به، وأنا بريء منه، وديني لي وأنا مختص به، وأنتم برآء منه.

وهذا أمر محكم لا يمكن نسخه بحال، كما قال ـ تعالى ـ[2] عن الخليل:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[3].

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[4].

وهو ما طار عنه من خير وشر، وقد[5] قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[7].

---

(١) في أ، س (ولا معرض له ولا نفي ولا إثبات).

(٢) سقطت من أ، س (تعالى).

(٣) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦، ٢٧.
في جميع النسخ عدا ط (إذ قال إبراهيم) بسقوط الواو من أول الآية.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١٣.

(٥) سقطت من جميع النسخ عدا ط (قد).

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٦٤.

(٧) سورة البقرة: من الآية ٢٨٦.
في س، أ تبدأ الآية من أولها (لا يكلف الله نفساً إلَّا وسعها...).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[1].

بل[2] قال ـ تعالى ـ لنبيّه:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

فإذا كان قد برّأه الله من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين، فكيف لا يبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة؟!

• • •

(١) سورة الإسراء: الآية ٧.

(٢) في أ، ك، س (بل قد قال).

(٣) سورة الشعراء: الأيتان ٢١٥، ٢١٦.
في أ، س (وإن عصوك) وهو خطأ.

فصل

إلزام اليهود والنصارى بدين الإسلام

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[1].

فهو[2] أمر بالقول لجميع الكافرين من المشركين وأهل الكتاب، فإن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل إليه من ربه كافرون، قد شهد عليهم بالكفر، وأمر بجهادهم وكفر من لم يجعلهم كافرين، ويوجب جهادهم، قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5]:

---

(١) سورة الكافرون كلها.

(٢) في أ (فهذا).

(٣) سورة البينة: الآية ١.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٢؛ والآية ٧٣.

(٥) (وقال تعالى) ساقطة من ط.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[3].

وحرف (من) في هذه[4] المواضع لبيان الجنس، فتبين جنس المتقدم، وإن كان ما قبلها يدخل في جميع الجنس الذي بعدها، بخلاف ما إذا كان للتبعيض، كقوله[5]:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[6].

فإنه يدخل في الذين كفروا بعد مبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جميع المشركين، وأهل الكتاب.

وكذلك[7] دخل في الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق[8] جميع أهل الكتاب الذين بلغتهم دعوته، ولم يؤمنوا به، وكذلك قوله:

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٣.
(٢) في أ، ك، س سقطت كلمة (تعالى).
(٣) سورة التوبة: من الآية ٢٩.
(٤) في س، أ (في مثل هذه) بزيادة (مثل).
(٥) في س (لقوله).
(٦) سورة البينة: من الآية ١.
(٧) في س، أ (ولذلك).
(٨) في س زيادة عبارة (من الذين أوتوا الكتاب) بين كلمتي (الحق)، و(جميع).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

وإن كان جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا إذا كان الجنس يتناول المذكورين وغيرهم، و[2] لكن لم يبق في الجنس إلَّا المذكورون[3]، كما يقول: هنا رجل من بني عبد المطلب، وإن لم يكن بقي منهم غيره.

ووصفهم[4] بالشرك، وبأنهم يعبدون غير الله، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5].

فأخبر أنهم اتخذوا من دون الله أرباباً، واتخذوا المسيح رباً، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً، وهؤلاء باتخاذهم غيره أرباباً عبدوهم فأشركوا بالله ــ سبحانه وتعالى عما يشركون ــ.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ

---

(١) سورة النور: من الآية ٥٥.
في س سقطت كلمة (منكم). في س، أ، ك زيادة كلمة (منهم) بعد (الصالحات) وهو خطأ.
(٢) في س، أ، ك سقطت (الواو).
(٣) في ك، س (المذكورين على النصب).
(٤) في ط (وصفهم) بسقوط (و).
(٥) سورة التوبة: الآية ٣١.
في ط زاد كلمة (تعالى) بعد (سبحانه)، وهذا خطأ.

﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

فقد أخبر ــ أيضاً ــ أنه[2] من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فإنه[3] كافر.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

(فقد وبّخ أهل التثليث[5] على أنهم يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، والله هو السميع العليم)[6]، فدخلوا في قوله:

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٢) في س، أ (أن) بدلاً من (أنه).

(٣) في س، أ (أنه) بدلاً من (فإنه). وفي ك (فهو) بدلاً من (فإنه).

(٤) سورة المائدة: الآيات ٧٣ ــ ٧٦.

(٥) يعني بأهل التثليث النصارى الذين يقولون إنه (تعالى) جوهر واحد مثلث الأقانيم، فالآب أقنوم، والابن أقنوم، والروح القدس أقنوم، ولكن جوهر الثلاثة واحد.

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[١].

كما دخل في ذلك غيرهم من الكفار، لا سيما وقد دخل في ذلك اليهود، وهم أولى بالدخول من غيرهم، فإن قوله: (ما تعبدون) يتناول صفات المعبود، والإلٰه الذي يعبده المؤمنون هو الإلٰه الذي أنزل التوراة والأنجيل والقرآن، وأرسل موسى وعيسى ومحمداً ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ .

والإلٰه المتصف بهذه الصفات لا يعبده[٢] اليهود والنصارى، وهذا كقوله:

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٣].

فهذا الإلٰه الذي يعبده محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأمته، وليس[٤] هو إلٰه المشركين الذي يعبدونه، وإن كان هو المستحق لأن يعبدوه، فإنهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريء منه فلا يخلصون له الدين، فيعبدوا معه آلهة أخرى، إن لم يستكبروا عن عبادته، وإلٰه العبد الذي يعبده بالفعل ليس حاله معه كحاله مع الذي يستحق أن يعبده، وهو لا يعبده، بل يشرك به أو يستكبر عن عبادته، فهذا هو الذي قال[٥] فيه: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ .

والشرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود.

● ● ●

(١) سورة الكافرون: الآيات ١ ـ ٣.
(٢) في أ (تعبده).
(٣) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.
(٤) في ط (ليس) بسقوط (و).
(٥) سقطت من ط (قال).

فصل

وجوب محاجة الظالمين من مشركين وأهل كتاب

وأما قوله[1]: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ . . .﴾[2].

الآية، فهذا ليس خطاباً للنصارى خصوصاً، بل هو خطاب للجميع، وهؤلاء النصارى ظنوا أن معنى هذا لا تحاجوا أهل الكتاب، كما ظنوا في قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[4].

أن معناه: لا[5] تجادلوا أهل الكتاب ـ أي[6] النصارى ـ إلاَّ بالتي هي أحسن إلاَّ الذين ظلموا، أي: اليهود. اهـ.

وهذا تحريف كلم[7] الله عن مواضعه، وهو شبيه[8] بتحريفهم لما عندهم من التوراة والإنجيل والزبور، وسائر النبوات، فإنهم أعظم تسلطاً على تحريف معانيها منهم على تحريف معاني

---

(١) في س، أ قوله (تعالى).
(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(٣) سقطت من ك، س، أ (تعالى).
(٤) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.
سقطت من أ (منهم).
(٥) في س، أ زاد واو، فأصبحت (ولا).
(٦) (أي) ساقطة من ط، ك.
(٧) في أ (كلام).
(٨) في ط، ك (تشبيه) بدلاً من (شبيه). وفي أ (يشبه).

القرآن، إذ كان القرآن له أمة تحفظه، وتعرف معانيه، وتذب عنه من يحرف لفظه أو معناه.

وأما تلك الكتب فليس لها من يذب عن لفظها ومعناها، فلهذا عظم تحريفهم لها، وكان أعظم من تحريفهم للقرآن.

ومما يبين أن هذا[1] الخطاب ليس مختصاً بالنصارى أن هذه السورة مكية، والسور[2] المكية كانت تتناول من لا يقرأ[3] الكتاب، لا تختص بأهل الكتاب، بل كانت تعم الأمم أو تختص بالمشركين.

والسور[4] المدنية خطابها تارة لأهل[5] الكتاب، وتارة تختص بالمؤمنين وتارة تعم، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[7].

---

(١) في س، أ سقطت كلمة (هذا).
(٢) في ط، أ (والسورة) بزيادة (ة).
(٣) في أ، س (من لا يقرّ بالكتاب).
(٤) في أ (السورة).
(٥) في أ، س (تخص أهل).
(٦) سورة الشورى: من الآية ١٣.
(٧) سورة الشورى: الآية ١٤.

فالخطاب إما أن يعم المشركين، وأهل الكتاب، أو يخص المشركين وأهل الكتاب: اليهود، والنصارى، وبكل تقدير فلا وجه لتخصيص النصارى به.

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾.

فهو نظير قوله ـ تعالى ـ [1]:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[2].

وقوله:

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾[3].

فالحجة[4] اسم لما يحتج به من حق وباطل، كقوله:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[5].

فإن الظالمين يحتجون عليكم بحجة باطلة، كقول المشركين لما حولت القبلة إلى الكعبة قد عاد إلى قبلتكم، فسوف يعود إلى ملتكم،

---

(١) سقطت من س، أ (تعالى).
(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٩.
(٣) سورة آل عمران: من الآية ٢٠.
(٤) في س (والحجة).
(٥) سورة البقرة: من الآية ١٥٠.
في ط سقطت كلمة (للناس) من الآية. وهو خطأ.

فهذه حجة داحضة من الظالمين.

ومما يبين ذلك بعد قوله بعد ذلك:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

فسمَّاها حجة وجعلها داحضة، وهؤلاء الذين يحاجون في الله من بعد ما أستجيب له هم الكفار من المشركين، وأهل الكتاب.

فهم يحاجون المؤمنين ليردوهم عن دينهم، وقال عن النصارى:

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[2].

فكان[3] الكفار يحاجون المؤمنين حتى يردوهم عن دينهم، كما يؤذونهم، فهؤلاء[4] حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

ومحاجتهم للمؤمنين من باب الظلم لهم، والعدوان عليهم، وقول الباطل. فأمره ــ تعالى ــ أن يقول: ﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ﴾.

أي ليس لكم أن تظلمونا، وتعتدوا[5] علينا بحجتكم الداحضة،

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) في س (وكان).

(٤) في أ (وهؤلاء).

(٥) في س، ك (تعتدون). وهو خطأ.

وليس المراد بذلك أنا نحن لا نحاجكم، وندعوكم إلى الحق بالحجج الصحيحة.

فإنه ــ تعالى ــ قال:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

فأمره ــ تعالى ــ أن يجادل أهل دعوته مطلقاً من المشركين، وأهل الكتاب بالتي هي أحسن.

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[2].

فإن الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة[3]، فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة، لا يجب الاقتصار معه على التي هي أحسن، بخلاف من لم يظلم، فإنه لا يجادل إلَّا بالتي هي أحسن.

وأهل الكتاب اسم يتناول اليهود والنصارى، كما في نظائره في القرآن، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ . . . ﴾[4] الآية، وقوله[5]:

---

(١) سورة النحل: من الآية ١٢٥.
(٢) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.
(٣) في أ سقطت كلمة (للعقوبة).
(٤) سورة المائدة: من الآية ٥.
(٥) سقطت من أ (وقوله).

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾[1].

وأمثال ذلك.

والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق واتباع ما تبين له أنه باطل، والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فَعَنِدَ عنه[2] كان ظالماً.

وذلك مثل الألد في الخصام، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[3].

وقال:

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾[4].

وقال:

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[5].

● ● ●

(١) سورة البينة: من الآية ١.
(٢) أي: عاند في الأخذ به.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.
(٤) سورة الأنفال: من الآية ٦.
(٥) سورة آل عمران: من الآية ٦٦.

فصل

الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً

وقولهم: إنه لم يقل: كونوا له مسلمين، ولكن[1] (ونحن)، أي عنه وعن العرب التابعين له، ولما أتى به وجاء في كتابه.

فيقال[2] لهم: هذا ونظائره كلام من لم يفهم القرآن، بل ولا يفهم[3] كلام سائر الناس، فإنه إذا عرف من صاحب كتاب ـ يقول إنه منزل من الله، أو يقول أنه صنفه هو ـ أنّه يدعو قوماً بالأقوال الصريحة الكثيرة، والأعمال البينة الظاهرة، كان سكوته عن دعائهم في بعض الألفاظ لا ينافي دعاءهم له.

لكن إن كان حكيماً في كلامه كان للسكوت[4] عن دعائهم في بعض المواضع حكمة تناسب ذلك، وهذا كقوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾[5].

---

(١) في س، أ سقطت الواو في (ولكن) و (نحن) يشيرون لقوله تعالى: ﴿ونحن له مسلمون﴾.

(٢) في ط (فقال) وهو خطأ، لأنه جواب لهم.

(٣) في ك سقطت الواو في (ولا يفهم).

(٤) في س (السكوت).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

في ط، ك سقطت الواو من (ولنا أعمالنا).

أفتراه لمَّا أَمر أُمَّته أن يقولوا: ﴿ونحن له مخلصون﴾، لم يكن أهل الكتاب مأمورين بالإخلاص لله، وقد ذكر أمر أهل الكتاب بالإخلاص في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1].

وكذلك دعاهم إلى الإسلام، وتوعدهم على التولي عنه في مثل:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ

(١) سورة البينة: الآيتان ٤، ٥.
(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

فقد بيَّن ـ سبحانه ـ أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلَّا من سفه نفسه، أي سفه نفساً، أي كانت نفسه سفيهة جاهلة، هذا أصح القولين في ذلك، وهو مذهب الكوفيين من النحاة، يجوِّزون أن يكون المنصوب على التمييز معرفة، كما يكون نكرة، ثم أخبر عنه أنه:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[2] .

وذكر أن إبراهيم وصى بها بنيه، ويعقوب[3] وصى بها بنيه أيضاً[4]، كلاهما قال لبنيه:

﴿ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5] .

ثم ذكر أن يعقوب عند موته:

﴿ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[6] .

فهؤلاء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق[7] ويعقوب كلهم على

---

(1) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ـ ١٣٣. وفي ط (ولقد اصطفينا) بسقوط الهاء.

(2) سورة البقرة: من الآية ١٣١.

(3) يعقوب: هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أبو الأسباط الاثني عشر.

انظر: البداية والنهاية ١/١٩٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣.

(4) سقطت من أ (أيضاً).

(5) سورة البقرة: من الآية ١٣٢.

(6) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.

(7) سبقت ترجمته.

الإسلام، وهم يأمرون بالإسلام، ثم قال بعد ذلك:

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

ثم قال:

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

ثم قال:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

فقد أخبر أنهم إن تولوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به المتضمن قولكم: ونحن له مسلمون فإنما هم في[4] شقاق، أي: مشاقون لله ورسوله، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٥.
(٢) سورة البقرة: من الآية ١٣٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٧.
(٤) سقطت من ط (في).
(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

إلى قوله:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ونحن له مسلمون﴾ في العنكبوت، فهو مثل قوله: ﴿ونحن له مسلمون﴾ في البقرة، مع دعائهم إلى الإسلام[2]، وكذلك في سورة آل عمران في قوله:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

فقد دعاهم أولاً إلى الإسلام، وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، وأن لا يتخذ بعضهم[4] بعضاً أرباباً من دون الله، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5].

ثم قال ــ تعالى ــ :

---

(١) سورة الحشر: الآية ٤.
في س (يشاقق) بدلاً من (يشاق) وهو خطأ.
(٢) في س أ (دعائه لهم).
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٤) في س، أ (بمعضنا).
(٥) سورة التوبة: من الآية ٣١.
سقط من س كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وهذه الآية هي[2] التي كتب بها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى قيصر ملك الروم لما دعاه إلى الإسلام.

وقال في كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم[3] يؤتك أجرك مرتين، وإن توليت فإنما[4] عليك إثم الأريسيين»[5] و:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٣١.
(٢) (هي) ساقطة من ط، ك.
(٣) (أسلم) ساقطة من أ.
(٤) في س، أ (فإن) بدلاً من (فإنما).
(٥) في ط (الأريسين) بدلاً من (الأريسيين).
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٦٤.
في جميع النسخ و﴿يا أهل الكتاب...﴾. (وفي صحيح البخاري أيضاً).
وهكذا ساقها ابن كثير في تفسيره بدون (قل)، والواو إنما هي من كلام الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
وهذا نص الكتاب الذي بعث به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل، وقد ساقه المفسرون عند كلامهم على الآية المذكورة في سورة آل عمران.
انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٧١، طبعة الحلبي بمصر.
وهو مذكور في البخاري أيضاً ـ كتاب رقم ٥٦ ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ١٠٢، عن عبد الله بن عباس، عن أبي سفيان.
وكذلك كتاب ٦٥ ـ تفسير سورة آل عمران: بترتيب عبد الباقي.

فدعاه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى الإسلام، في كتابه الذي أرسله إليه، وقال ــ أيضاً ــ في آل عمران:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فذكر التوحيد في هذه الآية، وكَفَّر من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بمن اتخذ الأحبار والرهبان أرباباً، ثم ذكر الإيمان بخاتم الرسل، فقال[2]:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: من الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٢) في س، أ (وقال).

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٨١ ــ ٨٥.

فقد ذكر أنه أخذ الميثاق على النبيين وأممهم: مهما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه.

وهذا يتناول الأمر لكل أهل الكتاب إذا جاءهم رسول ثاني أن يؤمنوا به وينصرونه، وإن كان عندهم من الكتاب والحكمة ما كان[1]، ولا يقولون نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة، لا نؤمن بالرسول الذي جاءنا.

ونخص الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه خاتم الرسل، وهو آخر رسول جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، فوجب على من جاءه أن يؤمن به وينصره، وإن كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان.

وهذا الميثاق أخذه الله على الأنبياء، وأخذوه على أممهم، ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾[2].

وهذا[3] هو دين الله[4] الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، فمن ابتغى غيره فقد ابتغى غير دين الله، وهو دين الإسلام، (الذي قال:)[5] فيه[6]:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[7].

---

(١) في ط (مهما كان) بدلاً من (ما كان).

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٨٣.

في س، أ زيادة تكملة الآية بقوله تعالى: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾.

(٣) في أ، س (فإن هذا).

(٤) في ط، ك (دين الإسلام) بدلاً من (دين الله).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

(٦) (فيه) ساقطة من ط.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

فصل

أمر المؤمنين بقول الحق لتقوم به الحجَّة على المخالف

وأما قوله[1] ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[2].

فهو[3] أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، وتقوم به الحجة على المخالفين، فإن هذا من الجدال بالتي هي أحسن، وهو أن تقول كلاماً حقاً يلزمك، ويلزم المنازع لك أن يقوله، فإن وافقك وإلاَّ ظهر عناده وظلمه.

كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾[4].

فإنّا مشتركون في أنه ربنا كلنا وأن عمل[5] كل عامل له لا لغيره،

(١) في ط (في قوله) بزيادة (في).

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
﴿إلَّا الذين ظلموا منهم﴾ ساقطة من س، أ ــ ووضع بدلاً منها (وقوله) وأكمل الآية: ﴿وقولوا آمنا...﴾.

(٣) (فهو) ساقطة من ط.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

(٥) في س، أ زيادة (في) فجاءت: ﴿وفي أن عمل...﴾.

وامتزنا نحن بأنّا مخلصون له، وأنتم لستم مخلصين له. فأوجب هـذا أن الحق معنا دونكم، وأن أعمالنا صالحة مقبولة، وأعمالكم مردودة.

ويشبه ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

(فأمره لهم أن يقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون)[2] يتضمن إقامة الحجة عليهم، كما كان المسيح ـ عليه السلام ـ يقول.



(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س.

فصل

نَقْض دعواهم أنَّ الظلم اتَّصف به اليهود دون النَّصارى

ثم قالوا: فأما[1] الذين ظلموا فما يشك أحد في أنهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل، وكفروا بالله مراراً كثيرة ليست واحدة، وقتلوا أنبياءه ورسله وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين، ليس حيوانات غير ناطقة فقط، بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد الله عليهم قائلاً على لسان داود النبي ـ عليه السلام ـ في كتاب الزبور في مزمور مائة وخمسة يقول: (ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين، وأراقوا دماً زكياً، دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوا للمنحوتات بكنعان، وقد تنجست الأرض بالدماء، وتنجست أعمالهم وزنوا بضعائنهم[2]، وسخط الرب عليهم ورذل ميراثهم)[3].

وقال أيضاً على لسان أشعيا النبي[4] ـ عليه السلام ـ يقول الله في بني إسرائيل: (لم يسمعوا وصاياي، لم يحفظوا كل ما أوصيتهم به،

---

(١) في س، أ (وأما) بدلاً من (فأما).

(٢) في ط (بضغائنهم) بدلاً من (بضعائنهم).

(٣) وجدت هذا النص ـ ولكن بلفظ مختلف ـ: (٣٧ ـ وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم فحمى غضب الرب على شعبه وكره ميراثه).

انظر: العهد القديم ص ٩٠٨ طبعة القاهرة. المزمور مائة وستة.

(٤) سبقت ترجمته.

بـل غيروا ونقضـوا الميثاق الـذي كنت جعلته لهم إلى الأبـد، فلذلك[1] أجلستهم عليهم[2] الحـزن، وأهلكتهم، وانقطع ممن يبقى منهم الفـرح والسرور)[3].

هكـذا قال الله على سكـان بيت[4] المقدس من[5] بني إسـرائيل: (سـأبـددهم بين الأمم، وفي تلك الأيـام يـرفعـون الأمم أصـواتهم، ويسبحون الله ويمجدونه بأصوات عاليـة، ويجتمعون من أقـطار الأرض، ومن جـزائر البحـر، ومن البلدان البعيدة ويقـدسون اسم الله، ويـرجعون إلى الله إله إسرائيل، ويكونون شعبة. وأما بنو إسرائيل فيكـونون مبـددين في الأرض)[6].

وقـال أشعيا النبـي ــ عليـه السلام ــ يقـول الله: (يا بني إسـرائيل نجستم جبلي المقدس، فإني سـأفنيكم بالحـرب وتموتـون، وذلك لأني

---

(١) في س، أ (فكذلك) بدلاً من (فلذلك).

(٢) في س، أ، ك (على) بدلاً من (عليهم).

(٣) في سفر أرميا ــ وليس في سفر أشعيا ــ الاصحاح التاسع: (١٣ ــ فقال الرب على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولـم يسمعوا لصوتي ولـم يسلكوا بها ــ ١٤ ــ بـل سلكوا وراء عناد قلوبهم وراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهـم ــ ١٥ ــ لـذلك هكذا قـال رب الجنود إلـه إسرائيـل هـا أنـذا أطعم هـذا الشعب أفسنتينـا وأسقيهم العلقم وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم).
انظر: العهد القديم ص ١٠٨٨ طبعة القاهرة.

(٤) في المطبوعة: (البيت) بدلاً من (بيت).

(٥) (من) ساقطة من س، أ، ك.

(٦) لم أعثـر على هذا النص في سفـر أشعيـا ولا غيـره من أسفـار العهـد القـديم ولعـل النسخة التي ذكر فيهـا هذا النص غيـر النسخة التي بـأيدينـا اليوم وهي طبعـة جمعية الكتاب المقدس بالقاهرة ــ وعلى العموم فهذا من ضمن كلام النصارى الذي يحكيه بولس الإنطاكي عنهم، والمؤلف ــ رحمه الله ــ هنا يحكيه ليجيب عنه بعد ذلك.

دعــوتكم فلم تجيبــوا، وكلمتكم فلم تسمعــوا، وعملتـم الشـيء بيـن يدي)[1].

وقال[2] أشعيا أيضـاً: (إن الله قد بغض بني إسـرائيل، وأخـرجهم من بيـوتهم، ومن بيته، ولا يغفـر لهم لأنهم لعنة، وجعلوا لعنـة الناس، فلذلـك أهلكهم الله، ويـددهم بين الأمم، ولا يعـود يـرحمهم ولا ينـظر إليهم برحمة[3] إلى أبد الآبدين، ولا يقربون لله قـربانـاً ولا ذبيحة[4] في ذلك اليوم، وذلـك[5] الزمـان، ولا يفرح بنـو إسرائيـل[6] لأنهم قد ضلوا عن الله ــ عز وجل ــ)[7].

وقــال أرميــا[8] النبـي ــ عليــه الســلام ــ: (كمــا أن الحبشي لا يستـطيع أن يكـون أبيضاً، فكـذلك بنـو إسرائيـل لا يتـركـون عـادتهم الخبيثة[9]، ولذلك إني لا أرحم، ولا أشفق، ولا أرق على الأمة الخبيثة ولا أرثي لها)[10].

---

(١) هذا النص موجود في العهد القديم في الإصحاح الخامس والستين من سفر أشعيـا، ولكنـه بلفظ مخالف: (١١ ــ أمـا أنتم الذين تـركوا الـرب ونسوا جبـل قدس ورتبـوا للسعـد الأكبر مـائدة ومـلأوا للسعد الأصغـر خمـراً مـزدوجـة ــ ١٣ ــ فـإني أعينكم للسيف وتجثـون كلكم للذبـح دعـوت فلم تجيبـوا تكلمت فلم تسـمعـوا بـل عملتم الشر في عيني واخترتم ما لم أسر به) انظر: العهد القديم ص ١٠٧٠.

(٢) في ط (قال) بسقوط الواو.

(٣) في س، أ (برحمته) بدلاً من (برحمة).

(٤) في ط، ك سقطت كلمة (ولا ذبيحة).

(٥) (اليوم، وذلك) ساقطة من أ.

(٦) (بنوا إسرائيل) ساقطة من أ.

(٧) لم أعثر على هذا النص في سفر أشعيا.

(٨) أرميا: انظر ٣/٣٥٣.

(٩) (الخبيثة) ساقطة من أ.

(١٠) لم أعثر على هذا النص ولا ما يقاربه في نسخة العهد القديم التي بين يـدي بالـرغم من البحث في الفهرس المطبوع لذلـك طبعة مكتبـة المشعل بيـروت، فلا أعلم من =

وقال حزقيل[1] النبي ـ عليه السلام ـ : (قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل وبددتهم بين الأمم، لأنهم لم يعملوا بوصاياي، ولم يطيعوا أمري، وخالفوني فيها، فيما قلت لهم، ولم يسمعوا لي)[2].

ومثل هذا القول في التوراة، وكتب الأنبياء، وزبور داود شيء كثير يقرونها[3] اليهود في كنائسهم، ويقرأونها، ولا ينكرون منها حرفاً واحداً، ومثل ما هو عندهم، وكذلك عندنا في جميع الألسن[4]. اهـ.

والجواب أن يقال: أما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منقول بالتواتر، كما علم بالاضطرار والنقل المتواتر عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن النصارى ـ أيضاً ـ ظالمون معتدون كافرون مستحقون لعذاب الله وعقابه، وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارى، وفي النصارى ما ليس في اليهود، فإن اليهود بدلوا شريعة التوراة، قبل أن يأتيهم المسيح ابن مريم، فلما أتاهم كفروا به

= أي النسخ جاء به بولس الإنطاكي والنصارى الذين حكى كلامهم في رسالته أما المؤلف فالمسؤولية مرتفعة عنه بحكم أنه يحكي ما ورد في رسالة بولس المشار إليها في أول الكتاب.

(١) حزقيل: انظر ٤/ ١٢١.

(٢) النص موجود في العهد القديم في الإصحاح العشرين حزقيل بغير لفظه (٢٣ ـ ورفعت أيضاً يدي لهم في البرية لأفرقهم في الأمم وأذريهم في الأرض ـ ٢٤ ـ لأنهم لم يصنعوا أحكامي بل رفضوا فرائضي ونجسوا سبوتي وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم).
انظر: العهد القديم ص ١٢٠٥.

(٣) في ط (يقرأها) بدلاً من (يقرونها).

(٤) انتهى ما ساقه المؤلف من كلام النصارى وحججهم في رسالة بولس، ويبدأ بعد ذلك في الرد.

وكذبوه، فلما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كذبوه، فباءوا بغضب على غضب.

كما قال ـ تعالى ـ عنهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن
يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ
ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ
أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا
جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ
مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ
إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: من الآيات ٨٥ ـ ٩٣.

فغضب عليهم أولاً بتكذيب المسيح، وثانياً بتكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾(1) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(2) .

* وقال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾(3) .

فتبين أن اليهود لعنهم الله وأنهم عبدوا الطاغوت، وأنه جعل منهم القردة والخنازير *(4)، ومثل هذا في القرآن كثير. لكن قول القائل أنهم

---

(1) سورة آل عمران: من الآية ١١٢.

(2) سورة المائدة: الآيتين ٧٨ ـ ٧٩.

[وقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)] ساقط من س، ط.

كما خلط فيهما الآية السابقة بهذه الآية.

(3) سورة المائدة: من الآية ٦.

(4) ما بين النجمتين ساقط من أ.

المرادون بقوله ــ تعالى ــ[1] :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[2] .

في قوله :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[3] .

غلط بيِّن، ولهذا كان باطلاً باتفاق المسلمين .

فإن قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ .

نهى عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلاَّ بالتي هي أحسن .

وقوله :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ .

من الطائفتين جميعاً[4] .

ولهذا كان الواجب على المسلمين، إذا جادلهم اليهودي والنصراني أن يجادلوه بالتي هي أحسن، إلاَّ من ظلم من الطائفتين، فإنه يعاقب باللسان تارة وباليد أخرى، كما أمر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء، فجاهد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اليهود الذين كانوا

---

(١) (تعالى) ساقطة من س، أ.

(٢) في س، أ، (إلاَّ الذين ظلموا) بسقوط (منهم).

(٣) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦ .

(٤) في س، أ، (معنا) بدلاً من (جميعاً).

بالمدينة النبوية وحولها وقريباً منها، كما جاهد بني قينقاع[1]، والنضير[2]، وقريظة[3]، وأهل خيبر[4]، وأهل وادي القرى[5]، وغيرهم.

---

(١) **بنو قينقاع**: فريق من يهود المدينة وكان لهم حلف مع الخزرج، وحصل أن جاءت امرأة من العرب إلى سوقهم بحلي لها فباعته وجلست إلى صائغ هناك فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فضحكوا منها فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فحمل اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصرهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في شوال سنة ٢هـ ونزلوا على حكمه فأجلاهم عن المدينة.
انظر: البداية والنهاية ٤/٣.

(٢) **بنو النضير**: فريق آخر من يهود المدينة كانوا على عهد مع المسلمين ونقضوا عهدهم مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حينما جاءهم يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر، فحاولوا إلقاء صخرة على الرسول وقتله لكن الله أعلمه فقام ورجع إلى المدينة وبعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج، فرفضوا لأن المنافقين وعدوهم بالنصر والإعانة فحاصرهم الرسول ـ عليه السلام ـ وأحرق نخيلهم فأصابهم الرعب فنزلوا على حكمه، وكان ذلك في شوال سنة ٣هـ.
انظر: البداية والنهاية ٤/٧٤.

(٣) **بنو قريظة**: فريق ثالث من يهود المدينة كانوا حلفاء للأوس فنقضوا عهدهم مع المسلمين، عندما حاصر الأحزاب المدينة فلما رد الله الأحزاب أُمِرَ الرسول ـ عليه السلام ـ بقتال بني قريظة فحاصرهم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فقتل رجالهم وسبيت نساؤهم.
انظر: البداية والنهاية ٢/١١٦.

(٤) **أهل خيبر**: طائفة من اليهود يقطنون بلدة خيبر المعروفة شمال المدينة المنورة وقد غزاهم النبي ـ عليه السلام ـ في سنة ٧هـ وحاصرهم حتى هزمهم وصالحهم على شطر نخيلهم وثمارها.
انظر: البداية والنهاية ٤/١٨١.

(٥) **أهل وادي القرى**: قسم من اليهود يسكنون وادي القرى بين المدينة والشام في شمال الجزيرة العربية، خرج إليهم الرسول ـ عليه السلام ـ سنة ٧هـ بعد أن فرغ من أهل خيبر فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه فقاتلهم وفتحها عنوة وترك الأرض =

وكما جاهـد النصارى عام تبـوك غزاهم بـالشام عـربهم وورومهم، وأغزاهم[1] قبل ذلك نوابه: زيد بن حارثة[2]، وجعفر بن أبـي طالب[3]، وعبد الله بن رواحة[4]، وأمر بغزوهم فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون.

والنبـي ــ صلَّى الله عليــه وسـلَّم ــ لمَّــا قــدم وفــد نــجــران النصــارى[5]، جادَلهم ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ في مسجده بـالتي هي أحسن، ثم أمره الله سبحانه[6] أن يدعوهم إلى المباهلة[7]، فامتنعوا عن مباهلته، وأقروا بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، كما تقـدم ذكر ذلـك مفصلاً فجادل بعضهم بالتي هي أحسن، والظالم منهم عـاقبه وجـاهده، كما عاقب الظالم من اليهود.

ومن أعجب الأشياء قولهم: وأما الذين ظلمـوا، فلا يشـك أحد[8] أنهم اليهود، فإن هذا من جنس قولهم: ثم وجدنا في الكتـاب ما هـو[9] أعظم من هذا برهاناً.

= والنخيل بأيدي اليهود وعاملهم عليها.
انظر: البداية والنهاية ٤/٢١٨.

(١) في ط (وأغزهم) بدلاً من (وأغزاهم).
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) سبقت ترجمته.
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) (النصارى) ساقطة من ط، ك.
(٦) (سبحانه) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) المقصود بالمباهلة الابتهال وهـو ما ورد في قـوله تعـالى: ﴿فقل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنـا ونسـاءكم وأنفسنـا وأنفسكم ثم نبتهـل فنجعـل لعنة الله على الكاذبين﴾.
(٨) (أحد) ساقطة من ط.
(٩) (ما هو) ساقطة من ط.

وهو قوله[1] في سورة الشورى:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾[2]، كما تقدم.

وهي[3] من جنس قولهم في قوله:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4].

أنه عني بالكتاب: الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب: النصارى، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك: هم المسلمون، وزعمهم أن قولهم هذا بين ظاهر[5].

وتفاسير النصارى للكتب الإلٰهية فيها من التحريف لكلمات الله، والإلحاد في أسماء الله وآياته ما يطول وصفه، ولا ينقضي التعجب منه، لكن[6] إقدامهم علىٰ تفسير القرآن بالإلحاد والتحريف أعجب وأعجب، كقولهم [إن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذكر أنه لم يرسل إليهم، وأنه أثنى على الدين الذي هم عليه بعد النسخ والتبديل، بعد مبعثه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وأن

---

(١) في أ (قولهم قوله) بزيادة (قولهم).

(٧) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(الله) ساقطة من ط وكتب (لأعد) بدلاً من (لأعدل) وهو خطأ.

(٣) (هي) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٢، ٣.

(٥) في س، أ (ظاهرتين) بدلاً من (ظاهر).

(٦) في ط (ولكن) بزيادة واو.

قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]. أراد به النصارى. .

وقوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾[2] أراد به الحواريين. .

وقوله: (وأنزلنا معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس)[3].

أراد به الإنجيل][4]، فإن في[5] هذا من الكذب الظاهر، والافتراء على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، بأنه أراد هذه الأمور، ما هو من جنس افترائهم على الأنبياء، فإنهم أخبروا أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، وأن التوراة والزبور وغيرهما من الكتب أخبرت بذلك، ثم يأتون إلى ما يعلم كل عاقل أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يرده، فيقولون: إنه لا يشك فيه أحد[6]، وأنه قول ظاهر بين، وكل من عرف حال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وما جاء به من القرآن والدين يعلم علماً يقينياً ضرورياً أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يكن يجعل النصارى مؤمنين دون اليهود، بل كان يكفر الطائفتين، ويأمر بجهادهم، ويكفر من لم ير جهادهم واجباً عليه.

وهذا مما اتفق عليه المسلمون، وهو منقول عندهم عن نبيهم نقلاً متواتراً، بل هذا يعلمه من حاله الموافق والمخالف، إلَّا من هو مفرط في الجهل بحاله، أو من هو معاند عناداً ظاهراً.



(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.
(٢) سورة الحديد: من الآية ٢٥.
(٣) في ط زيادة (بالحق ليحكم بين الناس) وهي ليست في الآية ٢٥ من سورة الحديد.
(٤) ما بين القوسين ساقه المؤلف عن النصارى، على ما فيه من الخلط.
(٥) (في) ساقطة من ط.
(٦) في ط (واحد) بدلاً من (أحد).

فصل

المسلمون يوافقون النصارى فيما كفَّروا به اليهود

وأما ما نقلوه عن الأنبياء مما يدل على كفر اليهود، فهذا لا[1] ننازعهم فيه، ولا حاجة بنا إلى الاستدلال بما نقلوه، وإن كان فيما يثبت عن الأنبياء ما يبين كفرهم لما بدلوا دين موسى ـ عليه السلام ـ[2] كما كفر النصارى لما بدلوا دين المسيح، فهذا حق موافق لما أخبر به خاتم الرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنا قد علمنا كفرهم من جهة لا نشك في صدقها.

وما أخبرونا به عن الأنبياء إن علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه، وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه، وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه، بل نقول:

﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

فإن الإيمان بجميع ما أوتي النبيون حق واجب، لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين:

١ ـ أن[4] يكون اللفظ قد قاله النبي.

---

(١) في ك (فلا ننازعهم) بدلا من (فهذا لا ننازعهم).

(٢) (عليه السلام) ساقطة من أ، س.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٤) في أ، س زيادة كلمة (على) فجاءت (على أن يكون).

٢ ـ وأن يكون المعنى الذي فسروه به مراداً للنبي الذي تكلم بذلك القول، فلا بد من ثبوت[١] الإسناد ودلالة المتن.

وهاتان المقدمتان، (لا بدَّ منهما في جميع المنقول عن الأنبياء.

وقد يحتاج إلى مقدمة ثالثة في حق من لم يعرف اللغة العبرية، فإن موسى وداود والمسيح وغيرهم إنما تكلموا باللغة العبرية، فمن لم يعرف بها، وإنما يعرف بالعربية أو الرومية، لا بدَّ أن يعرف المترجم من تلك اللغة إلى هذه[٢] قد ترجم ترجمة مطابقة)[٣].



(١) (ثبوت) ساقطة من ط.

(٢) في ط (هذا) وهو خطأ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصل

غُلوّ النصارى في عيسى عبد الله ورسوله

وأما قولهم: وأمّا[1] نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود، فيقال لهم: الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في ذنوب اليهود، فإن لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال ما بعضه أعظم[2] من كفر اليهود، وإن كنتم أنتم ألين من اليهود وأقرب مودة، فأنتم ـ أيضاً ـ أجهل وأضل من اليهود.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

---

(١) في ط سقطت (وأما).
(٢) في ط (أصعب) بدلاً من (أعظم).
(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.
في س، أ: (الله) بدلاً من (الرحمن) وهو خطأ.

﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١.

(٤) سورة التوبة: الآيات ٣٢ ـ ٣٤.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(1).

وقال ــ تعالى ــ لمّا قصَّ قصة المسيح ــ عليه السلام ــ :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(2).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(3).



= في أ، س ﴿... ولو كره المشركون﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ الآية.

(1) سورة المائدة: الآية ١٤.

(2) سورة مريم: الآيات ٣٤ ــ ٣٨.

(3) سورة المائدة: الآية ٧٧.

كلمة (غير الحق) ساقطة في جميع النسخ و ط.

فصل

تطرُّف اليهود والنَّصارى وتوسُّط المسلمين

ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين، وجد اليهود والنصارى متقابلين هؤلاء في طرف ضلال، وهؤلاء في طرف يقابله، والمسلمون هم الوسط.

وذلك في التوحيد، والأنبياء، والشرائع، والحلال والحرام والأخلاق وغير ذلك.

فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب ـ سبحانه ـ عنها كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تعب لما خلق السموات والأرض، والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي[1] ليس له فيها مثل، كقولهم إن المسيح هو الله، وابن الله.

وكل من القولين يستلزم الآخر.

والنصارى ـ أيضاً ـ يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب[2] عنها، ويسبون الله سباً ما سبه إياه أحد من البشر، كما كان معاذ بن جبل[3] يقول: لا ترحموهم فإنهم قد سبوا الله سبة ما سبه

(١) في س، أ (الذي) بدلاً من (التي) وهو خطأ.
(٢) (الرب) ساقطة من أ، س.
(٣) معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، ولد سنة ٢٠ قبل الهجرة وأسلم صغيراً وشهد المشاهد مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وبعثه إلى اليمن لنشر دين الله ولبث فيها إلى بعد وفاة =

إياها أحد من البشر[1].

واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ ما[2] شرعه، كما يمتنع ما لا يدخل في القدرة أو ينافي العلم والحكمة.

والنصارى يجوزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله الذي بعث به رسله، فيحللوا ما حرم، كما حللوا الخنزير، وغيره من الخبائث، بل لم يحرموا شيئاً، ويحرمون ما حلل، كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها، وحرموا فيها من الطيبات ما أحله الله، ويسقطون ما أوجب كما أسقطوا الختان وغيره، وأسقطوا[3] أنواع الطهارة من الغسل، وإزالة[4] النجاسة وغير ذلك.

ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من[5] القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه.

والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال، ونزهوه عن النقص، وأن يكون له مثل، فوصفوه بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، مع

الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وعاد في خلافة أبي بكر فأرسله في جيش الشام فمات فيها سنة ١٨هـ ــ رضي الله عنه ــ.

انظر: أسد الغابة ٤/٣٧٦؛ وحلية الأولياء ٢/٢٢٨.

(١) هذا الأثر لم أجده فيما رجعت إليه من مراجع، إلَّا أن ابن القيم ذكره منسوباً إلى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ.

انظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٨٣.

(٢) في ط، ك (مما) بدلاً من (ما).

(٣) (وأسقطوا) ساقطة من ط، ك.

(٤) في أ (ومن) بدلاً من (إزالة)، وفي س (ومن إزالة) بزيادة (من).

(٥) في أ، س (في) بدلاً من (من).

علمهم أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في[1] صفاته، ولا في[2] أفعاله.

وقالوا: ألا له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره لا[3] يأمر غيره، بل الدين كله له، هو[4] المعبود المطاع الذي لا يستحق العبادة إلّا هو، ولا طاعة لأحد إلَّا طاعته، وهو ينسخ ما ينسخه من شرعه، وليس لغيره أن ينسخ شرعه.

واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات، وتحريم الطيبات، والنصارى استحلوا الخبائث، وملابسة النجاسات، والمسلمون أحل الله لهم الطيبات خلافاً لليهود، وحرم عليهم الخبائث، خلافاً للنصارى.

واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم والنصارى يدعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم، والمسلمون يطهرون أبدانهم وقلوبهم جميعاً.

والنصارى لهم عبادات وأخلاق بلا علم ومعرفة، ولا ذكاء. واليهود لهم ذكاء[5] وعلم ومعرفة بلا عبادات ولا أخلاق حسنة.

والمسلمون جمعوا بين العلم النافع، والعمل الصالح، بين الزكا[6] والذكاء، فإن الله أرسل رسوله[7] بالهدى ودين الحق، فالهدى

---

(١) (في) ساقطة من س، أ.
(٢) (في) ساقطة من س، أ، ك.
(٣) في أ (فلا) بدلاً (لا).
(٤) في ط (وهو) بزيادة واو.
(٥) (ذكاء) ساقطة من ك، ط.
(٦) في س الذكاء والزكاء مقلوبة.
(٧) في ط (رسله) بدلاً من (رسوله).

يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح ليظهره على الدين كله، والظهور يكون بالعلم واللسان ليبين أنه حق وهدى، ويكون باليد والسلاح ليكون منصوراً مؤيداً، والله أظهره هذا الظهور فهم أهل الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله[١] عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق، ولا يعملون به، كاليهود، ولا الضالين الذين يعملون ويعبدون ويزهدون، بلا علم كالنصارى.

واليهود قتلوا النبيين، والذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم.

والمسلمون اعتدلوا فآمنوا بالله وملائكته وكتبه[٢]، ورسله، (ولم يفرقوا بين أحد من رسله وآمنوا بجميع النبيين، وبكل كتاب أنزله الله)[٣] فلم يكذبوا الأنبياء ولا سبوهم ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم، وكذلك أهل العلم والدين لا يبخسونهم حقهم ولا غلوا فيهم.

واليهود يغضبون لأنفسهم وينتقمون، والنصارى لا يغضبون لربهم ولا ينتقمون.

والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيهم يغضبون لربهم ويعفون عن حظوظهم كما في الصحيحين عن عائشة[٤] ـ رضي الله عنها ـ أنها[٥]

---

(١) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من ك.

(٢) (وكتبه) ساقطة من س، أ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٤) سبقت ترجمتها.

(٥) (أنها) ساقطة من ط، ك.

قالت: ما ضرب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيده خادماً له، ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه، إلَّا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله[١].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك[٢] ــ رضي الله عنه ــ، قال[٣]: خدمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين، فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لي لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لَمْ أفعله: لِمَ لَمْ تفعله[٤]؟ وكان بعض أهله إذا عاتبني على شيء يقول: «دعوه فلو قُضِيَ شيء لكان»[٥].

---

(١) انظر: صحيح مسلم ــ كتاب الفضائل ــ باب ٢٠ حديث رقم ٢٣٢٨ بلفظه، وصحيح البخاري في كتاب المناقب ــ باب ٢٣ وكتاب الحدود باب ١٠ وكتاب الأدب باب ٨٠، وليس في البخاري إلَّا عبارة: وما انتقم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لنفسه في شيء قط إلَّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله، وموطأ مالك كتاب حسن الخلق ذكر جملة من الحديث هي: وما انتقم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لنفسه إلَّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ص ٤٧، وفي مسند أحمد بن حنبل ٦/٣٢، ١١٤، ١١٦، ١٣٠، ١٨٢، ٢٢٣، وغيرها بلفظه. وفي سنن أبي داود كتاب الأدب ٤ حديث رقم ٤٧٨٥ ــ ٤/٢٥٠.

(٢) (ابن مالك) ساقطة من ط، ك.
أنس: هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم ــ خدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين وروى عنه كثيراً، وشهد كثيراً من المشاهد، ومات بالبصرة سنة تسعين هجرية.
انظر: الإصابة ١/٧١؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١/٧١.

(٣) (قال) ساقطة من أ، ك.

(٤) في أ، س، ك: (لم لا فعلته) بدلاً من (لِمَ لَمْ تفعله).

(٥) صحيح البخاري ــ كتاب الأدب ــ باب ٣٩ ــ بلفظ: (خدمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين فما قال لي أفٍ ولا لم صنعت ولا ألا صنعت).
* وفي صحيح مسلم ــ كتاب الفضائل ــ باب ١٣ ــ بلفظ: (خدمت رسول الله

هــذا في حق نفســه، وأمــا في حـدود الله، ففي الصحيحين عن عائشة ــ رضي الله عنهـا ــ[1]: (أن قريشـاً أهمهم شأن المخـزومية التي سـرقت، فقالـوا: من يكلم فيها رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ؟ (فقالوا: من يجترىء عليه إلَّا أسامة بن زيـد حبّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)[2] فكلمه فيها أسامة، فقال: يـا أسامـة، أتشفع في حـد من حـدود الله، إنمـا هلك من كـان قبلكم أنهم كـانــوا إذا سـرق فيهم الشريف تركـوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقـاموا عليـه الحدود، والـذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[3].

وقـد وصف الله أمة محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بـأنهم أنفـع الأمم للخلق، فقال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ عشـر سنين والله مـا قـال أفـاً قط، ولا قـال لي لشيء لِمَ فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا).

* وفـي سنـن أبـي داود ــ ج ٤ ــ كتــاب الأدب ــ حــديـث رقـم (٤٧٧٤) بـلفظ: (خـدمت النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشـر سنين بالمـدينة وأنـا غلام ليس كـل أمري كما يشتهي صاحبـي أن أكون عليه ما قـال لي (فيها) أفٍ قط، ومـا قال لي لِمَ فعلت هذا أو ألَا فعلت هذا).

(١) (رضي الله عنها) ساقطة من ط، أ، ك.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

(٣) الحديث في صحيح البخاري ــ كتاب الحدود ــ باب ١٢ ــ بـلفـظه مع زيادة بعض الألفاظ.

* وفي صحيح مسلم ــ كتاب الحـدود ــ باب ٢ ــ حـديث رقم (١٦٨٨) بلفظه مـع زيادة بعض الألفاظ.

* وفي مسند الإمام أحمد ١٦٢/٦ ــ مسند عروة عن عائشة بمعناه.

* وفي سنن ابن ماجه ــ كتاب الحدود ــ بـاب ٦ ــ حديث رقم (٢٥٤٧) بلفـظه مع حذف بعض الألفاظ وزيادة ألفاظ أخرى.

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

ففي أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثله في الأمتين.



(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنّ القرآن نفى عنهم الشرك

ثم قالوا: وكذلك جاء في هذا[1] الكتاب يقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

فذكر القسيسين والرهبان، لئلا يقال: إن هذا قيل عن غيرنا، ودل بهذا[3] على أفعالنا وحسن نياتنا، ونفى عنا اسم الشرك بقوله اليهود والذين أشركوا أشد الناس[4] عداوة للذين آمنوا، والذين قالوا إنا نصارى أقربهم مودة.

والجواب أن يقال: : تمام الكلام:

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ

---

(١) (هذا) ساقطة من ط.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) في ط، ك (فدل هذا) بدلاً من (ودل هذا).
في س، أ ماأثبتناه، وهو الصحيح كما في أصل مخطوطة رسالة بولس ص ٦.

(٤) (الناس) ساقطة من ك، أ، س.

﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].

فهو ـ سبحانه ـ لم يعد بالثواب في الآخرة إلّا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذين قال فيهم:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهم الشهداء الذين قال فيهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ ﴾[3].

و[4]لهذا قال ابن عباس وغيره في قوله[5]:

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٨٣ ـ ٨٥.
(خالدين فيها) سقطت من ك، أ.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٤) في س زاد وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج... الآية﴾.
ثم زاد جملة جديدة: فهو سبحانه جعلهم أمة وسطاً وسماهم مسلمين من قبل أي من قبل نزول القرآن، وفي القرآن ليكون الرسول عليهم شهيداً، ويكونوا شهداء على الناس، ثم كلام ابن عباس.
أما في أ فقد ذكر أول الآية السابقة إلى قوله ﴿واعبدوا ربكم...﴾ ثم ذكر كلام ابن عباس.

(٥) في قوله: ساقطة من ط، ك.

﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(١).

قال مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته.

وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين، كما قال الحواريون:

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾(٣).

وأما قوله في أول الآية:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ﴾(٤).

فهو كما أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى. والنصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى.

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٣.

(٣) سورة الحج: الآيتان ٧٧، ٧٨.
هذه الآية بطولها قدمت في س كما أشرنا من قبل، وذكر أولها فقط في أ.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٨٢.

وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض. فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين.

وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟

وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

أي بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيراً من المشركين وأقرب مودة من اليهود والمشركين.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾[2].

فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان ووعدهم بثواب الآخرة، والضمير وإن عاد إلى المتقدمين، فالمراد جنس المتقدمين لا كل واحد منهم، كقوله ـ تعالى ـ :

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٨٣.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1].

وكأن جنس الناس، قالوا لهم: إن جنس الناس، قد جمعوا ويمتنع العموم، فإن القائل من الناس، والمقول له من الناس، والمقول عنه من الناس، ويمتنع أن يكون جميع الناس قال لجميع الناس: إنه قد جمع لكم جميع الناس.

ومثل هذا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[2].

أي جنس اليهود قال هذا، لم يقل هذا كل يهودي. ومن هذا أن في النصارى من رقة القلوب[3] التي توجب لهم الإيمان ما ليس في اليهود، وهذا حق، وأما قولهم: ونفى عنا اسم الشرك، فلا ريب أن الله فرق بين المشركين، وأهل الكتاب في عدة مواضع، ووصف من أشرك منهم في بعض المواضع، (بل قد ميّز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع)[4] وكلا الأمرين حق، فالأول كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٧٣.
في س، أ نقص من الآية ﴿فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

(٢) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٣) في أ (القلب) بدلاً من (القلوب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٥) سورة البينة: من الآية ١.

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾(٢).

وأما وصفهم بالشرك ففي قوله:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣).

فنزه نفسه عن شركهم، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك، فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد، والنهي عن الشرك، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الحج: من الآية ١٧.
في س، أ قدم النصارى على الصابئين، وهو خطأ.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٨٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] .

فالمسيح ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ومن قبله من الرسل إنما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه، لم يأمر أحد الأنبياء بأن يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب[3]، ولا وثن، ولا أن تسأل[4]، ولا تطلب[5] الشفاعة إلى الله من ميت ولا غائب، لا[6] نبي ولا ملك. فلم يأمر أحد من الرسل بأن يدعو الملائكة، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله، ولا يدعو الأنبياء و[7] الصالحين الموتى والغائبين، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله، ولا تصور تماثيلهم لا مجسدة ذات ظل، ولا مصورة في الحيطان، ولا يجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سواء قصدوا دعاء أصحاب التماثيل، وتعظيمهم والاستشفاع بهم، وطلبوا منهم أن يسألوا الله تعالى، وجعلوا تلك التماثيل تذكرة بأصحابها، أو قصدوا[8] دعاء التماثيل ولم يستشعروا أن

(١) سورة النحل: من الآية: ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٣) في ط (كواكب) بدلاً من (كوكب).
(٤) في ط، ك (تسأل) بدلاً من (يسأل).
(٥) (ولا يطلب) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط (ولا) بزيادة واو.
(٧) في س سقطت (الواو).
(٨) في ط (وقصدوا).

المقصود دعاء أصحابها، كما فعله جهال المشركين، وإن كان في هذا جميعه إنما يعبدون الشيطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته، فإنه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه، ويقول: أنا الخضر، أنا المسيح، أنا جرجس، أنا الشيخ فلان.

كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنصارى، وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم، فبهذا السبب وأمثاله ظهر الشرك قديماً وحديثاً، وفعل النصارى وأشباههم ما فعلوه من الشرك.

وأما الأنبياء والرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ فنهوا عن هذا كله ولم يشرع أحد منهم شيئاً من ذلك، والنصارى[1] لا يأمرون بتعظيم الأوثان المجسدة، ولكن بتعظيم التماثيل المصورة، فليسوا على التوحيد المحض، وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الأوثان ويكذبون الرسل، فلهذا جعلهم الله نوعاً غير المشركين تارة، وذمهم على ما أحدثوه من الشرك تارة.

وإذا أطلق لفظ الشرك فطائفة من المسلمين تدخل فيه جميع الكفار من أهل الكتاب، وغيرهم كقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾[2].

---

(١) في ط، ك (فالنصارى) بدلاً من (والنصارى).

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٢١.

الآية كتبت في جميع النسخ مبتورة ومقلوبة هكذا: ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾.

فمن الناس[١] من يجعل اللفظ عاماً لجميع الكفار، ولا سيما[٢] النصارى ثم من هؤلاء من ينهي عن نكاح هؤلاء[٣]، كما كان عبد الله بن عمر[٤]، ينهى عن نكاح (النصرانية، ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول: إن عيسى ربها)[٥].

وهذا قول طائفة من الشيعة وغيرهم[٦].

وأما جمهور السلف والخلف[٧]، فيجوزون نكاح الكتابيات، ويبيحون ذبائحهم، لكن إذا قالوا: لفظ المشركين عام، قالوا: هذه الآية

---

(١) يقصد من المسلمين، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم فيما بعد بكلمة هؤلاء الأولى.

(٢) في ط، س (لا سيما) بدون واو.

(٣) يقصد بهؤلاء الثانية: (النصارى).

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل ابن الخليفة الثاني من علماء الصحابة وحفاظهم ولد بعد البعثة بثلاث سنين وشهد مع رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ما بعد أحد، وهو من رواة الحديث المكثرين، وكان حريصاً على متابعة الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ في كل صغيرة وكبيرة، عاش أكثر من أربع وثمانين سنة ومات سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وقيل غير ذلك ــ رضي الله عنه ــ.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٣٤٧؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٢/٣٤١.

(٥) في ط، س كتبت هذه العبارة هكذا (هؤلاء ويقول لا أعظم شركاً من أن يقول عيسى ربنا).
وهذا الأثر موجود في كلام المفسرين على هذه الآية.
انظر: تفسير القرطبي ٣/٦٨.

(٦) طائفة الشيعة التي تمنع نكاح الكتابيات هم: الإمامية.
انظر: المغني لابن قدامة ٦/٥٨٩ ــ طبعة مكتبة الجمهورية العربية.

(٧) قال ابن قدامة في المغني ٦/٥٨٩: ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر أهل الكتاب، وممن روي عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسلمان وجابر وغيرهم.
قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك. وانظر ــ أيضاً ــ كلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره ١/٢٥٧، ٢/٢٠ على آية سورة البقرة رقم ٢٢١، وآية سورة المائدة المذكورة أعلاه.

مخصوصة أو منسوخة بآية المائدة، وهو قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾[1].

وطائفة أخرى تجعل[2] لفظ المشركين إذا أطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب.

وأما كون النصارى فيهم شرك ـ كما ذكره الله ـ فهذا متفق عليه بين المسلمين، كما نطق به القرآن، كما أن المسلمين متفقون على أن قوله:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[3].

أن[4] النصارى لم يدخلوا في لفظ الذين أشركوا، كما لم يدخلوا في لفظ اليهود.

وكذلك قوله:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

ونحو ذلك، وهذا لأن اللفظ[6] الواحد تتنوع دلالته بالإفراد والإقتران

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٥.
(٢) في ط (تجعلوا) بدلاً من (تجعل).
(٣) سورة المائدة: من الآية ٨٢.
(٤) في ط (لأن) بدلاً من (أن).
(٥) سورة البينة: من الآية ١.
(٦) في ط، ك (لفظ) بدلاً من (اللفظ).

فيدخل فيه مع الإفراد والتجريد ما لا يدخل فيه عند الإقتران بغيره(١)، كلفظ المعروف والمنكر في قوله تعالى:

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٢).

فإنه هنا(٣) يتناول جميع ما أمر الله به فإنه معروف، وجميع ما نهى عنه فإنه منكر.

وفي قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾(٤).

فهنا قرن الصدقة بالمعروف(٥) والإصلاح بين الناس.

وكذلك المنكر في قوله:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٦).

قرن الفحشاء بالمنكر، وقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٧).

قرن الفحشاء بالمنكر والبغي.

وكذلك لفظ البر والإيمان، إذا(٨) أفرده أدخل(٩) فيه الأعمال الصالحة(١٠) والتقوى، كقوله:

---

(١) في ط، ك (بغيره) ساقطة.
(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.
(٣) (هنا) ساقطة من: المطبوعة، د.
(٤) سورة النساء. من الآية ١١٤.
(٥) في س، ط: المعروف بالصدقة.
(٦) سورة العنكبوت: من الآية ٤٥.
(٧) سورة النحل: من الآية ٩٠.
(٨) في المطبوعة، د: (وإذا) بزيادة واو.
(٩) في المطبوعة: (دخل) بدلاً من (أدخل).
(٩) (الصالحة) ساقطة من: المطبوعة، د.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[2].

وقوله[3]:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4].

وقد يقرنه بغيره كقوله:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[5].

وقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[6].

وكذلك لفظ الفقير، والمسكين إذا أفرد أحدهما دخل فيه معنى[7] الآخر.

وقد يجمع بينهما في قوله:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٧٧.

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٣.

في ط، ك كلام زائد وهو آيات مبتورة، إحداهما هي الآية التالية لهذا من سورة الأنفال رقم ٢، والثانية قوله ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري﴾ وقد حذفناها ليستقيم المعنى.

(٣) في ط، ك (وقال) بدلاً من (وقوله).

(٤) سورة الأنفال: من الآية ٢.

(٥) سورة المائدة: من الآية ٢.

(٦) سورة البروج: من الآية ١١.

(٧) في ط، ك (لفظ) بدلاً من (معنى).

(٨) سورة التوبة: من الآية ٦٠.

فيكونان هنا صنفين، وفي تلك المواضع صنف واحد، فكذلك لفظ الشرك في مثل قوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[1].

يدخل فيه جميع الكفار أهل الكتاب، وغيرهم عند عامة العلماء، لأنه أفرده وجرده، وإن كانوا إذا قرن بأهل الكتاب كانا صنفين.

وفي صحيح مسلم عن بريدة[2] أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (كان إذا أرسل أميراً على سرية، أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً، وقال لهم: اغزوا بسم الله في سبيل الله[3]، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خلال ثلاث ـ فإن هم أجابوك إليها، فاقبل منهم، وكف عنهم ـ ادعهم[4] إلى الإسلام فإن أجابوك إلى ذلك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإن[5] لهم ما للمهاجرين

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٢٨.
في س، أ نقص من الآية (بعد عامهم هذا).

(٢) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، صحابي جليل، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، بايع بيعة الرضوان، مات في خلافة يزيد بن معاوية بمرو، ولم يذكر تاريخ وفاته.
انظر: الإصابة ١/١٤٦؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١/١٧٣، طبعة السعادة بمصر.

(٣) في ط، ك (في سبيل الله في دعة) بزيادة (في دعة). وهذه ليست في أصل الحديث في صحيح مسلم.

(٤) (أدعهم) ساقطة من ط.

(٥) في أ (كان) بدلاً من (فإن).

وعليهم ما عليهم، فإن أبوا أن يتحولوا منها(١) فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين(٢) وليس لهم في الغنيمة والفيء نصيب، إلَّا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم)(٣).

وهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية(٤)، وهي إنما نزلت عام تبوك(٥) لما قاتل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النصارى بالشام، واليهود باليمن.

وهذا الحكم ثابت في أهل الكتاب باتفاق المسلمين، كما دل عليه الكتاب والسنة، ولكن تنازعوا في الجزية: هل تؤخذ من غير أهل الكتاب؟ وهذا مبسوط في موضعه(٦).



(١) في ط (عنها) بدلاً من (منها). (٢) في أ (الأعراب) بدلاً من (المسلمين).

(٣) (وكف عنهم) ساقطة من س.
انظر: صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ٢ ـ رقم الحديث ١٧٣١ بلفظه وله بقية لم يذكرها المؤلف.
وانظر: موطأ مالك ـ كتاب الجهاد ـ باب ٣ ـ ٤ حديث رقم ١١ جزء قصير منه، مروي عن عمر بن عبد العزيز أنه بلغنا أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان إذا بعث سرية يقول لهم. . . الحديث.

(٤) آية الجزية هي التي أمرت بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وكان الأمر قبلها إما الإسلام أو القتال، وهي قوله ـ تعالى ـ: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** [سورة التوبة: الآية ٩].

(٥) **عام تبوك**: هو السنة التاسعة من الهجرة التي غزا فيها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النصارى بتبوك.
انظر: البداية والنهاية ٥/٢ وما بعدها.

(٦) يعني كتب الفقه في أبواب الجهاد، وكلام المفسرين على آية سورة التوبة السابقة.

فصل

قالوا[1]: وقال[2] في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

رَدّ دعوى النَّصارى أنَّ القرآن سَوَّى بين جميع الأديان

(فساوى بهذا القول بين سائر الناس: اليهود والمسلمين وغيرهم)[4].

والجواب أن يقال:

أولاً: لا حجة لكم في هذه الآية على مطلوبكم، فإنه يسوي بينكم وبين اليهود والصابئين، وأنتم مع المسلمين متفقون على أن اليهود

---

(١) المقصود بهم النصارى وقولهم في رسالة بولس.
انظر: مخطوطتها ص ٦ ـ المتحف القبطي بمصر.
وهذا مبدأ كلام لهم يسوقه الشيخ ـ رحمه الله ـ ليجيب عنه بقوله بعد قليل: والجواب أن يقال: . . .

(٢) (وقال) ساقطة من ط.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٢.
في ط كتبت آية سورة المائدة (٦٩)، وهي قوله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.
وهذا خطأ مخالف لسائر النسخ التي ذكرت فيها آية البقرة، ومخالف لسياق كلام النصارى الذي ساقه الشيخ هنا بقوله: «قالوا: وقال في سورة البقرة: . . .».

(٤) في س، أ (فساوى بهذا القول بين سائر المسلمين وغيرهم).

كفار من حين[1] بعث المسيح إليهم فكذبوه.

وكذلك[2] الصابئون من حين[3] بعث إليهم رسول فكذبوه[4]، فهم كفار[5]. فإن كان في الآية مدح لدينكم الذي أنتم عليه بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ففيها مدح دين اليهود أيضاً، وهذا باطل عندكم وعند المسلمين.

وإن لم يكن فيها مدح اليهود بعد النسخ والتبديل فليس فيها مدح لدين النصارى بعد النسخ والتبديل.

وكذلك يقال لليهودي، إن احتج بها على صحة دينه.

وأيضاً، فإن النصارى يكفرون اليهود، فإن كان دينهم حقاً لزم كفر اليهود، وإن كان باطلاً لزم بطلان دينهم فلا بد من بطلان أحد الدينين فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما، وقد سوت[6] بينهما.

فعلم[7] أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل، وإنما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والذين هادوا الذين اتبعوا موسى ـ عليه السلام ـ، وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل. والنصارى الذين اتبعوا المسيح ـ عليه السلام ـ، وهم الذين كانوا على شريعته[8] قبل النسخ والتبديل.

---

(١) (حين) ساقطة من ط.
(٢) في ط، ك (كذا) بدلاً من (وكذلك).
(٣) (حين) ساقطة من س، أ، في ط (حيث) بدلاً من (حين).
(٤) في س، أ (فكذبه) بدلاً من (فكذبوه).
(٥) في أ (فهو كافر) بدلاً من (فهم كفار).
(٦) في س، أ (سوى) بدلاً من (سوت).
(٧) في ط (فلم) بدلاً من (فعلم).
(٨) في س (شرعة) بدلاً من (شريعته).

والصابئين[1] وهم الصابئون الحنفاء، كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق قبل التبديل والنسخ.

فإن العرب من ولد إسماعيل، وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غير دينه بعض ولاة خزاعة، وهو عمرو بن لحى[2]، وهو أول من غير دين إبراهيم بالشرك، وتحريم ما لم يحرمه الله، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه ـ أي أمعاءه ـ في النار»[3] وهو أول من بحر البحيرة، وسيب . . . .

---

(١) في ط (الصابئون) بدلاً من (الصابئين).

(٢) عمرو بن لحى بن حارثة بن عمر بن عامر الأزدي من قحطان، أول من غير دين إسماعيل ـ عليه السلام ـ ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وفي اسمه واسم أبيه ونسبه خلاف شديد، وهو جد خزاعة عند كثير من النسابين، وقد تولى حجابة البيت الحرام بمكة، وكان غنياً، قيل أنه ربما ذبح أيام الحج عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة، وقد خرج إلى أرض مآب أو (مواب) بالبلقاء بالأردن فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بذلك وأخذ منها صنماً نصب بمكة فعبده الناس.
انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/١٨٧؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٥٧.

(٣) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب المناقب ـ باب ٩ ـ بلفظ: قال أبو هريرة: قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب».

* وفي صحيح مسلم كتاب الكسوف ـ باب ١ ـ حديث ٩٠١ ـ ٣ حديث طويل وفيه ذكر جملة «ورأيت فيها ابن لحى وهو الذي سيب السوائب»، وفي كتاب الجنة ونعيمها ـ باب ١٣، حديث رقم ٥٠/٢٨٥٦، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار». =

السوائب[1]، وغير دين إبراهيم.

وكذلك بنو إسحاق الذين كانوا قبل مبعث[2] موسى متمسكين بدين[3] إبراهيم كانوا من السعداء المحمودين، فهؤلاء[4] الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم، ونحوهم هم[5] الذين مدحهم الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[6].

فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله، ولا باليوم الآخر وعمل صالحاً، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

= * وفي مسند الإمام أحمد ١/٤٤٦، عن ابن مسعود بلفظ: «أن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار».
و ٢/٢٧٥، عن أبي هريرة بلفظ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه يعني أمعاءه في النار، وهو أول من سيب السوائب».

(١) البحيرة: هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس.
السائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.
انظر: تفسير ابن كثير ٢/١٠٧، طبعة الحلبي ـ تفسير آية ١٠٣ من سورة المائدة.

(٢) (مبعث) ساقطة من ك.

(٣) في س، أ (بملة) بدلاً من (بدين).

(٤) في ط (فؤلاء) بدلاً من (فهؤلاء).

(٥) (هم) ساقطة من ط.

(٦) سورة البقرة: الآية ٦٢.
في ط (الصائبون) بدلاً من (الصابئون) وهو خطأ.
وفي ط أيضاً: (من آمن منهم بالله) بزيادة (منهم) وهو خطأ.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

وقد تقدم أنه كفّر أهل الكتاب الذين بدّلوا دين موسى والمسيح، وكذبوا بالمسيح أو بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غير موضع، وتلك آيات صريحة، ونصوص كثيرة[2]، وهذا متواتر معلوم بالاضطرار[3] من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

ولكن هؤلاء النصارى سلكوا في القرآن ما سلكوه في التوراة والإنجيل، يَدَعون[4] النصوص المحكمة الصريحة البينة الواضحة التي لا تحتمل إلَّا معنى واحداً، ويتمسكون بالمتشابه المحتمل[5]، وإن كان[6] فيه ما يدل على خلاف مرادهم، (كما قال ـ تعالى ـ فيهم وفي أمثالهم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾)[7].



(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) في أ (كثير) بدلاً من (كثيرة).

(٣) (بالاضطرار) ساقطة من أ.

(٤) في ط (يدّعون) بالتشديد بدلاً من (يدعون).

(٥) في ك (بالمتشابه المحكم المحتمل) بدلاً من (بالمتشابه المحتمل) بزيادة (المحكم).

(٦) (كان) ساقطة من د، وط.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٧. من (كما قال تعالى فيهم وفي أمثالهم) إلى نهاية الآية ساقط من أ.

فصل[1]

ردّ دعواهم أنه لا يليق بهم أن يتركوا كلمة الله عندهم التي عظمها القرآن

قالوا[2]: ثم مدح قرابيننا وتوعدنا[3] إن أهملنا ما معنا وكفرنا بما أنزل إلينا أن يعذبنا عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين بقوله ذلك في سورة المائدة:

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

فالمائدة هي القربان المقدس الذي يتقرب به[5] في كل قداس[6].

(١) في أ كتب في الهامش (آخر الكتاب الأول هنا).
وفي س كتب (هذا أول الجزء الرابع من الجواب الصحيح).

(٢) ذكر هذا القول في ص ٦ من مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي بالمتحف القبطي / ٩٥.

(٣) (وتواعدنا) في جميع النسخ. والصحيح (وتوعّدنا).

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٢ ـ ١١٥.

(٥) في ط، ك (منه) بدلاً من (به).

(٦) القداس: من الطقوس الدينية في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، وهذا القداس واحد في جميع أنحاء العالم، ويقدم فيه القربان المقدس وهو خبز تصنعه الكنيسة =

والجواب أن يقال:

هذا كذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع، كما كذبتم[1] عليه في غير هذا الموضع، فإنه ليس في الآيات ذكر قرابينكم البتة، وإنما فيه ذكر المائدة التي أنزلها الله تعالى في عهد المسيح ـ عليه السلام ـ، وقولهم المائدة: هي القربان الذي يتقرب به في كل قداس، هو أولاً: قول لا دليل عليه، وثانياً: هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لفظه، ومعناه، فإنهم متفقون على أن المائدة، مائدة أنزلها الله من السماء[2] على عهد المسيح عليه السلام، وقصتها مشهورة في عامة الكتب تعرفها العامة والخاصة، ولم يقل أحد إنها قرابين النصارى، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك، فإن الآية تبين أن المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء.

وفي الآية أن عيسى قال:

﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

من دقيق صافٍ على شكل أقراص.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٧١.

(١) في ط، ك (كذبت) بدلاً من (كذبتم).

(٢) (من السماء) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ١١٤، ١١٥.

وفي أول الكلام:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

فأين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم[2].

● ● ●

(١) سورة المائدة: الآيتان ١١٢، ١١٣.
في ط ساق الآية الأولى فقط.

(٢) (اليوم) ساقطة من س.

فصل

تكريم الإسلام للمسيح عبد الله ورسوله

قالوا: ولما تقدم به القول لأنه غير لائق عند ذوي الألباب أن نهمل روح القدس وكلمة الله الذي شهد لهما في هذا الكتاب بالعظائم، فقال[١] عن كلمة الله:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٢].

والجواب:

إن الله ــ تعالى ــ لم يبعث محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بإهمال ما يجب من[٣] حق المسيح ــ عليه السلام ــ، بل أمره[٤] بالإيمان بالمسيح وبما جاء به، كما أمره بالإيمان بموسى وبما جاء به، وكما أمر المسيح بالإيمان بموسى وبما جاء به ولكنه[٥] أمر بإهمال ما ابتدع من الدين الذي لم يشرعه الله على لسان المسيح ــ عليه السلام ــ، وما نسخه الله من شرعه على لسان محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فيهمل[٦] المبدل والمنسوخ، كما أمر الله

---

(١) في س، أ، (وقال) بدلاً من (فقال).

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٣) في ط (في) بدلاً من (من).

(٤) في س، أ (أمر) بدلاً من (أمره).

(٥) في ط (لكنه) بسقوط الواو.

(٦) في س، أ (فنهمل) بدلاً من (فيهمل).

المسيح أن يهمل ما ابتدعته اليهود من الدين الذي لم يشرعه، وما نسخه من شرع موسى.

فكما أمر المسيح أن يهمل المبدل والمنسوخ من التوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ ، ولم يكن في ذلك إهمال لما يجب من[1] حق التوراة وموسى ـ عليه السلام ـ ، فكذلك إذا أهمل المبدل والمنسوخ من دين أهل الإنجيل، لم يكن في ذلك إهمال لما يجب من حق الإنجيل والمسيح، بل ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يتضمن الإيمان بجميع الكتب والرسل، وأن لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون[2]، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

والنصارى كاليهود، آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فأيما هو اللائق عند أولي الألباب، أن نؤمن بجميع كتب الله ورسله، أو نؤمن ببعض ونكفر ببعض، وأيما[4] هو اللائق عند أولي الألباب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ونعبده بما شرعه على لسان رسوله، أو نبتدع من الشرك والعبادات المبتدعة ما لم ينزل به الله كتاباً ولا بعث به رسولاً ونضاهي المشركين عباد الأوثان[5]؟

---

(١) في أ (في) بدلاً من (من).
(٢) (ونحن له مسلمون) ساقطة من س، أ.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٤) في س (فإنما) بدلاً من (وأيما).
(٥) في أ (الأصنام) بدلاً من (الأوثان).

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

فالمسلمون لم يهملوا روح القدس، وكلمة الله، وقد قال تعالى عن كلمة الله:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[3].

بل هم الذين اتبعوا دينه ودين الرسل قبله، فإن دين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ جميعهم واحد كما[4] ثبت في الصحيحين عن النبي

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.
في ط، هامش ك: (الذين كفروا من قبل ـ يعني المشركين ـ قاتلهم الله)، بزيادة (ـ يعني المشركين ـ).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
من (وقال ـ تعالى ـ) إلى نهاية الآية ساقط من أ.
في س زاد بعد هذه الآية: (وقال ـ تعالى ـ : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل. . .﴾ الآية).

(٣) سورة النساء: من الآية ١٥٩.

(٤) في ط (لما) بدلاً من (كما).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1].

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[2].

فدين المرسلين كلهم دين واحد، ويتنوع شرعهم ومناهجهم كتنوع شريعة الرسول الواحد، فإن دين المسيح هو دين موسى، وهو دين الخليل قبلهما، ودين محمد بعدهما، مع أن المسيح كان على شريعة التوراة، ثم نسخ الله على لسانه ما نسخ منها وهو قبل النسخ وبعده دينه دين موسى[3]، ولم يهمل دين موسى.

كذلك المسلمون هم على دين المسيح وموسى وإبراهيم[4] وسائر الرسل وهم الذين اتبعوا المسيح، ولهذا جعلهم الله فوق النصارى إلى يوم القيامة.

والنصارى الذين بدّلوا دين المسيح وكذبوا محمداً ـ صلَّى الله

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب ٤٨، عن أبي هريرة بلفظ: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد».
* صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب ٤٠ ـ حديث ١٤٥، عن أبي هريرة وذكر الحديث بمعنى ما ورد في صحيح البخاري.
* مسند الإمام أحمد ـ ٢/٤٣٧، عن أبي هريرة، وذكره من حديث طويل بمعنى رواية البخاري.

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٣.

(٣) في ط (دين المسيح موسى) بزيادة (المسيح) وهو خطأ.

(٤) (إبراهيم) ساقطة من أ.

عليه وسلَّم ـ[1] بريئون من دين المسيح والمسيح بريء منهم، كبراءة موسى ممن بدل وغير دينه وكذب المسيح.

والمسلمون أشد تعظيماً للمسيح ـ عليه السلام ـ، واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى، فإن المسلمين يصدقونه[2] في كل ما أخبر به عن نفسه، ولا يحرفون ما قاله عن مواضعه، ولا يفسرون كلامه بغير مراده، وكلام غيره من الأنبياء كما فعلت النصارى، فإنهم نقلوا عن المسيح أنه قال: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)[3]، وهذا إذا قاله المسيح فإنه[4] يفسر بلغته وعادته في خطابه وعادة سائر الأنبياء، (وليس في كلام المسيح، ولا في كلام سائر الأنبياء، ولا كلام غيرهم أن كلمة الله)[5] القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً، ولا روح قدس، ولا تسمى صفته القديمة، ابناً، ولا روح قدس، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلَّا على مخلوق.

والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى[6] محبوب لله، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل[7]: (أنت ابني بكري)[8]، ولداود: (أنت ابني

---

(١) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من س، أ.

(٢) (فإن المسلمين يصدقونه) ساقطة من س، أ.

(٣) في الإصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى (١٩ ـ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ٥٥.

(٤) (فإنه) ساقطة من أ.

(٥) ما بين القوسين كتب في س، أ (وليس في كلام الأنبياء ولا كلام غيره أن صفة الله...).

(٦) في أ (يصطفى) بدلاً من (مصطفى).

(٧) في أ (ليعقوب) بدلاً من (لإسرائيل).

(٨) في ط، س، ك كتبت الجملة (أنه ابنه بكره).

=

وحبيبـي)[1]، وأن المسيح قال للحواريين: (أبـي وأبيكم)[2]، فجعله أباً للجميـع، وهم كلهم مخلوقـون فيكـون اسم الابن واقعـاً على المسيـح الـذي هو نـاسوت[3] مخلوق، فعمـد هؤلاء الضّـلال فجعلوا اسم الابن واقعاً على اللاهوت قديم أزلي مولود غير مخلوق.

وزعموا أن الابن يراد به الابن بالوضع، وهو المخلوق، وهو الابن بـالطبـع، وهو القـديم الأزلي المولود غير المخلوق، وهـذا التفـريق هم أحـدثوه وابتـدعوه، ولا يـوجد قط في كـلام المسيح ولا غيـره أنـه سمى القديم الأزلي ابناً، ولا جعل له ابناً قديمـاً[4] مولـوداً[5] غير مخلوق[6]، ولا سمى شيئاً من صفات الله قط[7] ابناً.

وكذلك لفظ روح القدس موجود في غير مـوضع من كـلام الأنبياء

= وفي سفـر الخروج ـ الإصحـاح الرابـع: (٤ ـ فتقول لفـرعـون هكـذا يقـول الـرب (إسرائيل ابني بكري)).
انظر: العهد القديم ص ٩٢ طبعة القاهرة.

(١) في المـزمور الثـاني: (٧ ـ . . . قال لي: (أنت ابني اليـوم ولدتـك))، ولم يـذكـر (وحبيبـي).
انظر: العهد القديم ص ٨٣٤.

(٢) في إنجيـل يـوحنـا ـ الإصحـاح العشـرون: (إني أصعـد إلى أبـي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم) النص بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦، ط. القاهرة.

(٣) مقصد النصارى بالناسوت: (الجانب البشري من المسيح ـ عليـه السلام ـ) الـذي يعتقدون أن فيه جانبين ـ أ ـ لاهوتي (إلّهي) ـ ب ـ ناسـوتي (بشري).

(٤) (قديماً) ساقطة من أ.

(٥) في س (مولوداً قديماً) بدلاً من (قديماً مولوداً).

(٦) (غير مخلوق) ساقطة من أ.

(٧) (قط) ساقطة من س، أ.

ـ عليهم السلام ـ ، لا يراد بهذا قط حياة الله ولا صفة قائمة به[1].

وإنما يراد به ما أيّد الله به الأنبياء والأولياء، ويجعله في قلوبهم من هداه ونوره ووحيه وتأييده، ومن ما[2] ينزل بذلك من الملائكة، وهذا الذي تسميه الأنبياء روح القدس لم يختص به المسيح، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل قد أنزله على غيره من الأنبياء والصالحين كما هو موجود في كتبهم: إن روح القدس كانت في داود وغيره، وكانت أيضاً عندهم في الحواريين[3].

وهكذا خاتم الرسل، كان يقول لحسان بن ثابت[4]: «إن روح القدس معك ما دمت تدافع عن نبيه»[5]، ويقول: «اللهم أيده بروح القدس»[6].

وقد[7] قال الله[8] ـ تعالى ـ عن عباده[9] المؤمنين:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[10].

---

(١) (به) ساقطة من ط، ك.

(٢) (ما) ساقطة من ط، ك.

(٣) (وكانت أيضاً عندهم في الحواريين) ساقطة من أ.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) (قد) ساقطة من س، أ.

(٨) سقط من س، أ، ك: لفظ الجلالة (الله).

(٩) (عباده) ساقط من ط، ك.

(١٠) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

فـروح القدس لا اختصـاص للمسيح ـ عليـه السلام ـ بهـا، بـل مـا يفسر بـه اسم الابن واسم روح القدس، وغيـر ذلـك ممـا وصف بـه المسيـح، فهو مشتـرك بينه وبين غيـره من الرسـل، وإذا فسـروا الحلول بظهور نور الله وعلمه وهداه في الأنبياء فهذا حق وهو مشترك بين المسيح وغيره.

فأما نفس ذات الله فلم تحل في أحد من البشر.

والمسلمون مع شهادتهم للمسيح بأنه عبد الله ورسولـه يقولـون إنه مؤيد منصور عصمه الله من أعدائه وطهره منهم، ولم يسلطهم عليه.

والنصارى يدعون أن اسم المسيح اسم الـلاهوت والنـاسوت وأنـه إلَـه تام وإنسـان تام، وهـذا يمتنع شـرعاً وعقـلاً ثم يصفونـه بـالصفـات المتناقضة، يصفونه بأن طائفة من أشرار اليهود وضعوا الشـوك على رأسه وبصقوا في وجهه، وأهانوه وصلبوه وفعلوا به مـا لا يفعل بـأخس الناس، ويقولون مع هذا إنه رب السماوات والأرض وما بينهما[1].



(١) انظر إنجيل متى، الإصحـاح ٢٧ صفحة ٥١ ـ ٥٥ طبعـة جمعية الكتـاب المقدس. القاهرة.

وإنجيل مرقس، الإصحاح ١٥ صفحة ٨٦. نفس الطبعة.

فصل

نسخ شرع التوراة وأنّ ما جاء به المسيح حق

قالوا[1]: ثم شهد لقرابيننا وذبائحنا أنها مقدسة مقبولة لدى الله من كتب اليهود التي في أيديهم يومنا هذا المنزلة من الله على أفواه الأنبياء المرسلين.

قال أشعيا: (قال الله: إني أعرف بني إسرائيل وقلوبهم القاسية الخبيثة، فإذا أنا ظهرت إلى الأمم فنظروا إلى كرامتي، أقيم منهم أنبياء وأبعث منهم مخلصين، يخلصون الأمم من البلدان القاصية الذين لم يسمعوا بسماعي، ولم يعرفوا من قبل كرامتي، ويكون اسمي فيهم، ويجلبون إخوتهم من الأمم كلها، ويجيبون قرابين الله على الدواب والمراكب إلى جبل قدسي بيت المقدس، فيقربون لي القرابين بالسميد، كما كان بنو إسرائيل من قبل، وكذلك باقي الأمم، وتقرب[2] القرابين بين يدي. فهم وزرعهم إلى الأبد، ويحجون في كل سنة، وفي كل شهر، ومن سنة إلى سنة إلى بيت المقدس، بيت الله، ويقربون لله ربهم فيه قرابين زكية نقية، ينظرون إلى الأمة الخبيثة الماردة: بني إسرائيل، لا يبلى حزنها[3] ولا ينقطع بلاؤها إلى الأبد)[4].

---

(١) المقصود بـ (قالوا): علماء النصارى الذين يحكي بولس الإنطاكي حواره معهم في رسالته التي يرد عليها المؤلف.

(٢) في ك، ط (يقرب) بدلاً من (تقرب).

(٣) في ط، ك (حرمها) بدلاً من (حزنها).

(٤) في سفر أشعياء النبي ــ الإصحاح السادس والستون (١٨ ــ يقول الرب وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم حدث لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي، ١٩ ــ =

وقـال دانيـال[1] النبـي[2] ـ عليـه السـلام ـ : (وسيـأتي على شعبـك[3] وقريـة قدسـك سبعون سـابـوعـاً، وتنقضي الـذنـوب، وتفنى الخطايا وغفران الإثم، ويؤتى بالحق الذي لم ينزل من قبل، وتتم نبوات الأنبياء وكتب الرسـل، وتبيد قـرية القـدس وتخرب مـع مجيء المسيح، ويفنى الميثـاق العتيق من الناس، ومن بعـد أسبوع ونصف تبـطل ذبائـح اليهود وقرابينهم، وتصير على كف النجاسة والفساد إلى انقضـاء الدهر)[4].

= وأجعل فيهم آية وأرسـل منهم ناجين إلى الأمم إلى تـرشيش وفول ولـود النازعين في القوس إلى توبال وياوان إلى الجـزائر البعيـدة التي لم تسمع خبـري ولا رأت مجدي فينجـرون بمـجـدي بين الأمم. ٢٠ ـ ويحضرون كل إخوانهم من كـل الأمم تقدمـة للرب على خيـل وبمركبـات وبهوادج وبغـال وهجن إلى جبل قـدسي أورشليم، قال الرب كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر إلى بيت الرب. ٢١ ـ واتخذ أيضاً منهم كهنـة ولاويين. قال الـرب. ٢٢ ـ لأنـه كمـا أن السمـوات الجـديـدة والأرض الجـديدة التي أنـا صـانـع تثبت أمـامي يقـول الـرب هكـذا يثبت نسلكم واسمكم. ٢٣ ـ ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي يسجـد أمـامي. قال الـرب. ٢٤ ـ ويخرجـون ويرون جثث النـاس الـذين عصـوا علي لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ ويكونون رذالة لكل ذي جسد».

انظر: الكتاب المقدس ـ العهد القديم ص ١٠٧٢، ط. القاهرة.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) (النبـي) ساقطة من ط، ك.

(٣) في ط، ك (بيعتك) بدلاً من (شعبك).

(٤) في سفـر دانيـال النبـي ـ الإصحـاح التـاسـع (٢٤ ـ سبعـون أسبـوعـاً قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، وتتميم الخطايـا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين ـ ٢٥ ـ فاعلم وافهم أنـه من خروج الأمـر لتجديـد أورشليم، وبنائهـا إلى المسيـح الـرئيس سبعـة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويبني سوق وخليج في ضيق الأزمنة ـ ٢٦ ـ وبعد اثنين وستين أسبـوعاً يقـطع المسيـح وليس لـه، وشعب رئيس آتٍ يخـرب المـدينـة والقدس وانتهاؤه بغمارة إلى النهاية حرب وضرب قضي بها ـ ٢٧ ـ انظر العهد القديم، ص ١٢٨٠.

وقال ميخا[1] النبي ــ عليه السلام ــ : (قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم المبددة، ويضعهم شعباً واحداً، ويبطل قتال بني إسرائيل وسلاحهم وقرابينهم إلى الأبد)[2].

وقال عاموص[3] النبي: (لا تذبحوا[4] العجول بعد، فإن الرب سيأتي صهيون ويحدث وصية جديدة طاهرة من الخبز النقي والخمر الزكي ويصير بنو إسرائيل مطرودين)[5].

---

(١) **ميخا النبي**: سادس الأنبياء الصغار ويسمى المورشتي من مسقط رأسه مورشة قرية بقرب جت تنبأ في ملك يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا (٧٥١ ــ ٦٩٣ق. م)، وكان معاصراً لأشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته وله سفر في العهد القديم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦؛ والإصحاح الأول العهد القديم ص ١٣١٨.

(٢) في سفر ميخا ــ الإصحاح الرابع (٢ ــ لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف الأمم قوة بعيدة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلـه ونحن نسلك باسم الرب إآهنا إلى الدهر والأبد، في ذلك اليوم يقول الرب: أجمع الظالعة وأضمم المطروة والتي أضررت بها وأجعل الظالعة بقية والمعصاة أمة قوية ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلى الأبد) بمعناه.
انظر: الكتاب المقدس ــ العهد القديم ص ١٣٢١؛ وسفر أشعيا ــ الإصحاح الثاني ص ٩٩٤.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في ط، ك (لا يذبحوا) بدلاً من (تذبحوا). وفي أ (لا تدعوا).

(٥) في سفر عاموس ــ الإصحاح السادس (٤ ــ المضطجعون على أسرة من العاج والمتمددون على فرشهم والآكلون خرافاً من الغنم وعجولاً من وسط الصيرة الهاذرون مع صوت الرباب المخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان ولا يغتمون على انسحاق يوسف لذلك الآن يسبون في أول المسبيين ويزول صياح المتمددين) النص بمعناه.
انظر: الكتاب المقدس ــ العهد القديم ص ١٣٠٩، ط. القاهرة.

والجواب[1] **من وجوه:**

أحدها: أن ما يحتجون به من النقل عن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ يحتاجون فيه إلى أربع مقدمات: إلى أن تعلم نبوة المنقول عنه، وإلى أن يعلم لفظه الذي تكلم به، وإلى أن يعلم ما ذكروه ترجمة صحيحة عنده، فإن أولئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربية، بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية، وإنما تكلموا بالعبرية، كالمسيح ـ عليه السلام ـ .

والرابع[2]: أن يعلم أن[3] ما ذكروه من كلام الأنبياء دليل على ما ادعوه من قبول قرابينهم في هذا الزمان، ونحن في هذا المقام نقتصر على منازعتهم في هذه المقدمة، فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ، ولكن غايتها أن يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل، وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون.

الوجه الثاني: أن هذه النعوت المذكورة عن «أشعيا» وغيره من الأنبياء لا توافق ما عليه النصارى، فإن النصارى لا يقربون القرابين بالسميد[4]، كما كان بنو إسرائيل من قبل، ولا يحجون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت المقدس، بيت الله، ويقربون لله ربهم فيه قرابين نقية زكية، وإنما يحجون إلى قمامة[5] الخارجة عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلي فيه، فإن الأنبياء إنما كانوا يصلون في بيت

---

(١) في ط (الجواب) بسقوط الواو.

(٢) في ط ذكر أرقام ١، ٢، ٣ أمام المقدمات الثلاثة الأولى وأيضاً ذكر رقم ٤ أمام المقدمة الرابعة.
في س، أ، ك لم يذكر شيء من ذلك سوى كلمة (والرابع) التي أثبتناها.

(٣) (أن) ساقطة من ط .

(٤) السميد: ضرب من الطعام معروف.

(٥) سبق التعريف بها.

المقدس، ويزورون بيت المقدس نفسه، * وأما قمامة فليس لها ذكر في كتب الأنبياء ــ عليهم السلام ــ بل إنما ظهرت قمامة في زمن قسطنطين[١] الملك، لما أظهرتها أمه هيلانة[٢] الحرانية لما جاءت بيت المقدس، واختارت من اليهود ثلاثة، وسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب، فامتنعوا، فعاقبتهم بالحبس والجوع، فدلوها على موضعه في مزبلة فاستخرجوه، وجعلته في غلاف من ذهب وحملته، وبنت كنيسة القمامة في موضعه، كما ذكر ذلك ابن البطريق[٣] في تاريخه، وغيره، كما سيأتي، وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاث مائة سنة[٤].

ومن ذلك الوقت أظهروا الصليب[٥]، وجعلوا «عيد الصليب»[٦]، ولم[٧] يشرع ذلك لا المسيح ولا الحواريون، وهذا مذكور في كتبهم متفق عليه بين علمائهم، كما قد ذكر في موضع آخر[٨] *، ولا هم يأتون بقرابين لله على الدواب والمراكب إلى جبل قدس بيت[٩] الله المقدس.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت الترجمة لها ٣/ ٣٠.

(٣) هو سعيد بن البطريق المتطبب، طبيب مؤرخ نصراني ــ من أهل مصر ولد بالفسطاط سنة ثلاث وستين ومائتين من الهجرة النبوية، ولما بلغ الستين من عمره أقيم بطريركاً على الإسكندرية سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة من الهجرة.

انظر: ص ٧١١ من كتابنا حيث ترجم له بتوسع أكثر.

(٤) ذكر في نظم الجوهر ١/ ١٣٠ لابن البطريق: فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن وجد الصليب ثلثمائة وثمان وعشرون سنة. اهـ.

(٥) في س (الصلب) بدلاً من (الصليب).

(٦) (وجعلوا «عيد الصليب») ساقطة من س.

(٧) في ط، ك (فلم) بدلاً من (ولم).

(٨) (كما قد ذكر في موضع آخر) ساقطة من س. وما بين النجمتين ساقط من أ.

(٩) (بيت) ساقطة من ط، ك.

الـوجه الثـالث: أن ما ذكـروه عن «دانيال» لا يتضمن مـدح دينهم بعـد النسـخ والتبـديـل، وإنمـا يتضمن أن الله يبعث المسيـح ــ عليـه السـلام ــ بالحق الـذي لم[1] يزل من قبـل، وهو الـدين الذي بعث بـه الرسل قبله، وهو عبادة الله وحـده، وأن بيت المقدس يخـرب مع مجيء المسيـح، ويفنى الميثاق العتيق، يعني مـا نسخ من شـرع التوراة، وأنـه يبطل ذبائح اليهود وقرابينهم.

وهذا كله إنما يدل على نسخ شـرع التوراة، وبـطلان دولة اليهـود ويـدل على أن المسيح جـاء بالحق ومن اتبـع المسيح كـان على الحق، وهذا مما لاينازع فيه المسلمون، فإنهم متفقون على أن من كان متمسكاً بمـا أمر بـه المسيح فـإنه من عبـاد الله الصالحين، ولكن من جـاء بشرع لم يأتِ به المسيـح، أو أراد اتباع شـرعه بعـد النسخ فهـو بمنزلـة اليهود الـذين[2] نسخ الله مـا نسخه من شـرعهم، وأزال دولتهم، وكذلـك فعـل بالنصارى لما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، أزال دولتهم عن وسط الأرض وخيارها، وحيث بعثت الأنبياء كأرض الشام[3]، ومصر[4]،

---

(١) (لم) ساقطة من ط.

(٢) في ط، ك (الذي) بدلاً من (الذين).

(٣) **أرض الشـام**: هي من الفرات إلى العـريش طولاً، ومن جبلي طيء إلى بحـر الـروم عوضاً ــ وهي الأرض المقدسة التي جعلها الله تعالى منزل الأنبياء ومهبط الوحي.
انـظر: آثار البـلاد وأخبار العبـاد ص ٢٠٥؛ ومعجم البلدان ٣١١/٣، دار صـادر ــ بيروت.

(٤) **مصر**: بلاد في شمـال شرق أفـريقيا، قـال عنها الحميـدي: ناحيـة مشهورة عـرضها أربعـون ليلة في مثلها طـولها من العـريش إلى أسوان وعـرضها من بـرقـة إلى أيلة، سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح ــ عليه السلام ــ وهي أطيب الأرض تـراباً وأبعدها خراباً ولا يزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض إنسان، بها نهر النيل، =

والجزيرة[1]، والعراق[2]، وأرمينية[3]، وأذربيجان[4]، وأجلاهم إلى طرفي الأرض من جهة الشمال والجنوب، وصار الذين في وسط الأرض منهم أحسن أحوالهم إذا لم يسلموا أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وكذلك ما ذكروه عن «ميخا» و«عاموس» إنما يدل على مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ، وبطلان ما نسخه الله وأبطله من شرع اليهود

= وهو أطول أنهار الأرض.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٦٣؛ ومعجم البلدان ٥/١٣٧.

(١) **الجزيرة**: يطلق عليها جزيرة أقور وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة للشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ولأهلها تواريخ معروفة.

انظر: معجم البلدان ٢/١٣٤، دار صادر بيروت.

(٢) **العراق**: ناحية مشهورة وهي من الموصل إلى عبادان طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، بها نهر دجلة ونهر الفرات، فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بنوا بها البصرة والكوفة التي اتخذها الخليفة علي ـ رضي الله عنه ـ عاصمة لحكمه.

انظر: آثار البلاد وأخبار العبادص ٤١٩.

(٣) **أرمينية**: هضبة في آسيا الصغرى تقع شرق تركيا وجزء منها في غرب روسيا، وهي أول دولة صارت مسيحية.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣.

(٤) في ط (أزربيجان) بدلاً من (أذربيجان).

أذربيجان: إقليم يقع في الشمال الغربي من إيران وجزؤه الشمالي يعرف الآن بجمهورية أذربيجان الإسلامية ويفصل بينهما نهر أراس كان مسكوناً، ويحكمه ملوك قبل القرن الثامن قبل الميلاد، ثم أصبح ضمن الأمبراطورية الفارسية، ويقال أن زرادشت ولد هناك.

فتحها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٧.

وملكهم ولا يدل على صحة دين النصارى الذي لم يشرعه المسيح ـ عليه السلام ـ ولا على صحته بعد أن نسخ بشرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نسخاً هو أبلغ من[1] نسخ بعض شرع موسى بشرع المسيح ـ عليه السلام ـ[2].

* هذا إذا سمى الشرع المؤقت بغاية[3] مجهولة نسخاً، فإن الأول لم يبشر بالثاني.

وأما إذا كان الأول بشر بالثاني[4]، وكانت شريعة الأول مؤقتة إلى مجيء الثاني لم يسم ذلك نسخاً، فالمسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ لم ينسخا شيئاً بل كان شرع موسى إلى مجيء المسيح، وشرع المسيح إلى مجيء محمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ *[5].

وأما ما حكى عن أشعيا عن الله أنه قال: (فإذا ظهرت إلى الأمم)[6] فهذا قد يحتج به النصارى وبأمثاله من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على الحلول الذي ابتدعوه، وهو باطل، فإن مثل[7] هذا اللفظ مذكور في كتب أهل الكتاب في غير موضع ولا يراد بشيء منها حلول ذات الله في أحد من البشر، كما ذكر في التوراة أن الله ـ عز وجل ـ

(١) في س، أ (ما) بدلاً من (من).
(٢) (عليه السلام) ساقطة من ط، ك.
(٣) في ط (بعناية) بدلاً من (بغاية).
(٤) في ط (الثاني) بسقوط (بـ).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، س.
(٦) سبق تخريج هذا النص في ٣/ ١٣٧.
(٧) (مثل) ساقطة من ط، ك.

استعلن لإبـراهيم وغيـره، (وأن الله يـأتي من طـور سينـاء، ويشـرف من ساعير، ويستعلن من جبال فاران)[1].

ومعلوم عند جميع أهل الملل أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يحل في موسى ولا غيره لما كلمه، ولا يحـل[2] في شيء من جبال فـاران مع إخباره أنه استعلن منها.

وقد[3] قال ــ تعالى ــ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[4].

فأظهره بالعلم والحجة والبيـان، وأظهره بـاليد والسنـان، كما قـال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾[5].

قال أُبـي بن كعب[6] وغيره: مثل نوره في قلب ــــــــــــ

---

(١) في سفر التثنية ــ الإصحاح الثالث والثلاثون: (٢ ــ جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران) بمعناه.
انظر: ــ العهد القديم ص ٢٣٤، ط. القاهرة.

(٢) في ط (يحصل) بدلاً من (يحل).

(٣) (وقد) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة التوبة: من الآية ٣٣.

(٥) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٦) أبـي بن كعب بن قيس بن عبيـد من بنـي النجـار من الـخـزرج، أبـو المـنـذر صحابـي، أنصاري، كان قبل إسلامه حبراً من أحبار اليهود مطلعاً على كتبهم، ولما =

المؤمن[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[3].

وفي الترمذي، عن أبي سعيد الخدري[4]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر

= أسلم صار من كتاب الوحي، شهد بدراً والمشاهد كلها مع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمره عثمان ـ رضي الله عنه ـ بجمع القرآن، وله أحاديث في الصحيحين وغيرهما، مات بالمدينة قبل سنة ٢٢هـ.

انظر: حلية الأولياء ١/٢٥٠؛ والأعلام للزركلي ١/٧٨، ط. ٣.

(١) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره لقوله تعالى: **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره...﴾** في سورة النور ما يلي: عن أبي بن كعب في قوله تعالى: **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره...﴾** قال: هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال: **﴿الله نور السماوات والأرض﴾** فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن... إلى أن قال ابن كثير: (المصباح في زجاجة)، أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية، وقال أبي بن كعب وغير واحد: وهي نظير قلب المؤمن...).

انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٩٠، ط. الحلبي.

(٢) سورة الحديد: من الآية ٢٨.

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٤) سبقت ترجمته.

بنور الله»[1]، ثم قرأ:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[2].

قال الترمذي: حديث حسن، وقد جاء عن بعض السلف أن قلوب المؤمنين تضيء لأهل السماوات كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[3].

والمخلوق[4] الذي تظهر محبته وذكره وطاعته في بعض البلاد، يقال فلان قد ظهر في هذه الأرض، فإذا ظهر ذكر الله وذكر أسمائه وصفاته وتوحيده وآياته وعبادته حتى امتلأت القلوب بذلك بعد أن كانت ممتلئة بظلمة الكفر والشرك، كان ذلك مما أخبر به من ظهوره، وهذا أعظم ما يكون في بيوته التي يعبد فيها ويذكر فيها اسمه.

ولهذا لمَّا ذكر ـ تعالى ـ آية النور وقال:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ

---

(١) انظر:

* سنن الترمذي ٤/٣٦٠ كتاب تفسير القرآن ـ باب سورة الحجر ـ حديث رقم ٥١٣٣ ـ لكن الترمذي قال بعده: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ قال للمتفرسين. اهـ.

* ورواه ابن جرير في تفسيره ٤٦/١٤، لهذه الآية في سورة الحجر: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ بلفظه ورواه ابن جرير في تفسيره عن ثوبان بلفظ: «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وبتوفيق الله».

(٢) سورة الحجر: الآية ٧٥.

(٣) لم أعثر على هذا الأثر فيما رجعت إليه من مراجع.

(٤) في ط، ك (فالمخلوق) بدلاً من (والمخلوق).

ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[1].

قال عقب ذلك:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[2].

وكذلك ما في الكتب من ظهوره ببيت المقدس فهو كظهوره بطور سيناء وبجبل فاران، ومع هذا فلم يره موسى ولا غيره لا مجرداً ولا حالاً في غيره، وقد أخبر المسيح أنه لم يره أحد، كما أخبر غيره، وذلك نفي عام[3] يوجب أنه لا يرى لا مجرداً، ولا حالاً في دار الدنيا، كما قد بسط هذا في موضع آخر.

(ومعلوم أن ملابسة الشيء أبلغ من رؤيته، فإذا كان الرب ـ تعالى ـ لا يراه ناسوت، فأن لا يلابسه ناسوت بطريق الأولى والأحرى!! والنصارى يزعمون أنه اتحد هو والناسوت، وهذا[4] أعظم من الرؤية)[5].

● ● ●

(1) سورة النور: الآية ٣٥.
(2) سورة النور: الآيات ٣٦، ٣٨.
(3) في ط، ك (علم) بدلاً من (عام).
(4) في ط (وهذه) بدلاً من (وهذا).
(5) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصل

شهادة كُتب اليهود لعيسى بالنبوَّة شهادة لمحمَّد

قالوا: فماذا[1] يكون أعظم من هذا برهاناً، وأقوى شهادة، إذ هذه[2] كتب أعدائنا[3] المخالفين لديننا، وهم يقرون بذلك ويقرأونه في كنائسهم، ولم ينكروا منه كلمةً واحدة، ولا حرفاً واحداً.

والجواب: أن الأمر إذا كان على ما قالوه من[4] ثبوت هذه الكلمات عن بعض الأنبياء فليس فيها مدح لدينهم بعد التبديل، فكيف بعد النسخ والتبديل؟ وإنما فيها إخبار بزوال ملك بني إسرائيل، وبنسخ ما نسخ من شرعهم بمجيء المسيح ـ عليه[5] السلام ـ، وهذا دليل على نبوة المسيح وصدقه وهذا مما اتفق عليه المسلمون.

والمسيح ـ عليه السلام ـ عندهم[6] كما أخبر الله عنه، بقوله تعالى لمريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[7].

---

(١) في ط، ك (فما) بدلاً من (فماذا).
(٢) (هذه) ساقطة من ك، س، أ.
(٣) يقصدون اليهود.
(٤) في أ (على) بدلاً من (من).
(٥) (عليه) ساقطة من أ.
(٦) (عندهم) أي عند المسلمين.
(٧) سورة آل عمران: الآيتان ٤٥، ٤٦.

وأما قولهم: إن هذا وغيره موجود في كتب أعدائنا اليهود.

فيقال لهم: لا ريب أن اليهود يخالفونكم في تفسير الكتب، فأنتم تفسرونها بشيء، وهم يفسرونها بشيء آخر، وقد يكون كلا التفسرين باطلاً، وحينئذ فيقال لكم: كما أن كتب الأنبياء شاهدة للمسيح ولدينه، وإن خالفتكم اليهود في تفسيرها، فكذلك هي شاهدة لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ، وأمته، وإن خالف أهل الكتاب في تفسيرها، كما قد بين الله[2] في كتب الأنبياء صفة محمد وأمته[3]، في غير موضع[4].

والواجب في الكتب إذا تنازعت الأمم في تفسيرها أن يبين الحق الذي يقوم عليه الدليل الشرعي والعقلي، وحينئذ تبين أنكم فسرتم كتب الله بأشياء تخالف مراد الله في أمر التثليث والاتحاد وغيره، كما فعلت اليهود بتفسير الكتب، كما قد بسط في غير هذا الموضع.



---

(١) (صلَّى الله عليه وسلَّم) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) سقط من س، أ لفظ الجلالة (الله).

(٣) (الله في كتب الأنبياء صفة محمد وأمته) محذوف من أ.

(٤) أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ في آخر كتابه هذا إلى بعض البشارات بالنبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي وردت في كتب اليهود والنصارى.
ومن المتأخرين من ألف في هذه البشارات منهم الدكتور أحمد حجازي السقا، في كتابه «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل».

فصل

رفض دعوى النصارى أنَّ محمداً لم يرسل إليهم مع تشكُّكه فيما جاء به

قالوا: وأيضاً في قول هذا الإنسان مما أتى في كتابه حيث اتبع القول أنه لم يرسل إلينا مع تشككه فيما أتى[1] به في هذا الكتاب في سورة سبأ حيث يقول:

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2].

وأيضاً في سورة الأحقاف يقول:

﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾[3].

والجواب: أن نقلهم عنه[4] أنه قال: إنه لم يرسل إليهم كذب ظاهر عليه، فإن كتابه مملوء بدعوتهم وأمره لهم بالإيمان به واتباعه، بل وبعموم رسالته إلى جميع الناس، بل وإلى الجن والإنس، وليس فيه قط أنه لم يرسل إلى أهل الكتاب، بل فيه التصريح بدعوة أهل الكتاب في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ

---

(١) في أ (أتاه) بدلاً من أتى.
(٢) سورة سبأ: من الآية ٢٤.
(٣) سورة الأحقاف: من الآية ٩.
(٤) (عنه) ساقطة من ط، ك.

﴿ ... ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وقد كتب النبي[2] ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ بهذه الآية إلى قيصر ملك النصارى الذي اسمه «هرقل» بالشام، وقد تقدم ذكر ذلك[3]، وتقدم أيضاً أن قوله ــ تعالى ــ :

﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[4].

يقتضي أنه ينذر الأميين، وليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، كما أن قوله:

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[5].

يقتضي إنذار قومه ولا ينافي أن ينذر غيرهم من العرب كما أن قوله في قريش:

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾[6].

لا يمنع أن يكون غير قريش مأمورين بعبادة رب هذا البيت، بل أمر الله جميع الثقلين: الجن والإنس، أن يعبدوا رب هذا البيت.

فإن قيل: فقد سكت عن ما سوى الأميين في هذا، فيشعر بالنفي بدليل الخطاب الذي يسمى مفهوم المخالفة. قيل: ذاك إنما يدل إذا

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٢) (النبي) ساقطة من س، أ.
(٣) تقدمت الإشارة إلى ذلك في ٣/ ٧٩.
(٤) سورة يس: من الآية ٦.
(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٦) سورة قريش: الآيتان: ٣، ٤.

لم يكن في التخصيص فائدة سوى الإختصاص بالحكم، ولم يكن هنا تصريح بأن حكم المسكوت كحكم المنطوق، وهنا لما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أمره[1] أن ينذر عشيرته الأقربين أولاً، ثم ينذر العرب الأميين، ثم أهل الكتاب والمجوس وغيرهم، وقد تقدم بسط هذا[2].



(١) في ط (وأمره) بزيادة واو.

(٢) في الجزء الأول من الكتاب.

فصل

وأما قولهم: مع تشككه فيما أتى به، فمن الكذب البين. فإنه ـ تعالى ـ قال:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

فإنه لمَّا دعاهم إلى التوحيد وبين أن ما يدعونه من دون الله لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في[2] الأرض، ولا هو شريك، ولا هو[3] ظهير ولا ينفع شفيع إلَّا بإذنه، نفى بذلك جميع وجوه الشرك، فإن ما يشرك به إما أن يكون له ملك أو شريك في الملك، أو يكون مُعيناً، فإذا انتفت[4] الثلاثة لم يبق إلَّا الشفاعة التي هي دعاء لك

(١) سورة سبأ: الآيات ٢٢ ــ ٢٦.
في أ (لا تسألوا) بدلاً من (لا تسألون) وهذا خطأ.
(٢) (ولا في) ساقطة من س، أ.
(٣) (هو) ساقطة من س، أ.
(٤) في ط (انتفعت) بدلاً من (انتفت).

ومسألة، وتلك لا تنفع عنده، إلَّا لمن أذن له.

ثم ذكر بعد هـذا أنه لا رازق يـرزق من السماء والأرض إلَّا الله دل بهذا وهذا على التوحيد. كما في قوله:

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

فلمَّا ذكر ما دل على وجوب تـوحيده، وبيـان أن أهل التـوحيد هم على الهدى، وأن أهل الشرك على الضلال قال:

﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

يقول: إن أحد الفريقين أهل التوحيد الـذين لا يعبدون إلَّا الله[3]، وأهل الشرك لعلى هدى أو في ضلال مبين.

وهـذا من الإنصـاف في الخـطاب الـذي كـل من سمعـه من ولّي وعدو قال لمن خوطب به قـد أنصفك[4] صـاحبك، كمـا يقول[5] العـادل الـذي ظهر عـدله للظالم الـذي ظهر ظلمـه: الظالم إمـا أنـا وإمـا أنت، لا للشك في الأمر الظاهر، ولكن لبيان أن أحدنا ظالم ظاهر الظلم، وهو أنت لا أنا.

---

(١) سورة النحل: الآيات ٥٣ ـ ٥٥.
(٢) سورة سبأ: من الآية ٢٤.
(٣) في ط، ك (الحق) بدلاً من (الله).
(٤) في أ، س (أنصف) بدلاً من (أنصفَك).
(٥) في ط، ك، أ (قال) بدلاً من (يقول).

فإنه إذا قيل: أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى، أو في ضلال مبين[1]، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال مبين[2].

تبين أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال، وهذا مما يعلمه جميع الملل من[3] المسلمين واليهود والنصارى، يعلمون أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال.

وفي القرآن في بيان مثل هذا ما لا يحصى إلَّا بكلفة، بل قطب القرآن وسائر الكتب ومدارها[4] على عبادة الله وحده، فكيف يقال إن الرسول كان يشك هل المهتدى هم أهل التوحيد أم أهل الشرك؟ وهل يقول هذا إلَّا من هو في غاية الجهل والعناد.

(ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطاباً للنصارى خصوصاً)[5].



(١) (مبين) ساقطة من س، أ.
(٢) (مبين) ساقطة من س، ك، ط.
(٣) في ط (ومن) بزيادة واو.
(٤) في ط (مدارها) بسقوط الواو.
(٥) ما بين القوسين ساقط من أ، س.

فصل

الرسول بَشَر لا يُعْلم الغيب ولا يقول أنه ملك

وأما قوله ـ تعالى ـ: (قل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم)، فلفظ الآية[1]:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

وهذا بعد قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

ونظير هذا قوله:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

وهذا قاله نوح ـ عليه السلام ـ[5] أول الرسل، وأمر محمدُ

---

(١) (فلفظ الآية) ساقط من أ.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٩.

في أ سقط أول الآية إلى قوله: ﴿إن أتبع إلّا ما يوحى إلي...﴾.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٨.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

في ط وسائر النسخ خلط في آخر الآية بعد قوله: (ما يوحى إلي)، حيث قال: (وما أنا إلّا نذير مبين) وهذا من آخر آية (٨) من سورة الأحقاف، والصحيح ما أثبتناه.

(٥) سبقت ترجمته.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آخر الرسل أن يقوله، ومثل قوله:

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾(1).

وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بأنه عبد الله ورسول من الله لا يتعدى حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في الألوهية(2)، كما ادعته النصارى في المسيح ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾(3).

فتبين أنه لا يتعدى حدّ الرسالة، وهو كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾(4).

ولهذا قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي الحديث المتفق على صحته(5): «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»(6).

---

(1) سورة الجن: الآيات ٢١ ـ ٢٣.
(ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) ساقطة من س، أ.

(2) في س، أ (الإلّهية) بدلاً من (الألوهية).

(3) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(4) سورة آل عمران: من الآية ١٤٤.

(5) (وفي الحديث المتفق على صحته) ساقطة من أ.

(6) سبق تخريجه.

فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[1] .

يقول لست أول من أرسل، أو ادعى[2] الرسالة، بل قد تقدم قبلي رسل:

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

يقول لا أدعي علم الغيب، إن أتبع إلاَّ ما يوحى إليَّ، وما أنا إلاَّ نذير مبين[4] أنذركم بما أمرني الله أن أنذركم به، لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته لله وطاعته، وتمييز ما يستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد، فإن العلم بعواقب الأمور[5] على وجه التفصيل مما استأثر الله بعلمه[6]، فلا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

وليس من شرط الرسول أن يعلم كل ما يكون، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[7] .

نفي لعلمه بجميع ما يفعل به وبهم[8]، وهذا لا يعلمه إلاَّ الله

---

(١) (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) ساقطة من أ، س.
(٢) في ط، ك (وادعى) بدلاً من (أو ادعى).
(٣) سورة الأحقاف: الآية ٩.
(٤) (مبين) ساقطة من أ، س.
(٥) (الأمور) ساقطة من ك.
(٦) في س، أ (به) بدلاً من (بعلمه).
(٧) في س، أ، (ولا أدري) بدلاً من (وما أدري).
(٨) في س، أ، (ما يفعله بهم وبه) بدلاً من (ما يفعل به وبهم).

تبارك وتعالى[1]، وهذا لا ينفي أن يكون عالماً بأنه سعيد من أهل[2] الجنة، وإن[3] لم يدر تفاصيل ما يجري له في الدنيا من المحن والأعمال، وما يتجدد له من الشرائع، وما يكرم به في الآخرة من أصناف النعيم، فإنه قد ثبت في الصحيح[4] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: (يقول الله ـ تعالى ـ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[5]، وأيضاً هذا مأثور عن غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

ولا من شرط النبي أن يعلم حال المخاطبين: من يؤمن به، ومن يكفر، وتفصيل ما يصيرون إليه، هذا إن قيل إنه لم يعلم بعد هذه الآية ما نفى فيها، وإن قيل إنه أعلم بذلك فمعلوم أن الله لم يعلمه بكل شيء جملة، بل أعلمه بالأمور شيئاً بعد شيء.

وقد قال له[6] بعد ذلك:

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.
(٢) (أهل) ساقطة من س، ك.
(٣) في ط، ك (فإن) بدلاً من (وإن).
(٤) في ط: (الصحيحين) بدلاً من (الصحيح).
(٥) انظر:
* صحيح البخاري كتاب بدء الخلق رقم٨ـ وكتاب التفسير باب ٣٢ وكتاب التوحيد باب ٣٥ عن أبي هريرة بلفظه.
* وصحيح مسلم ـ كتاب الإيمان باب٨٤ حديث رقم ٣١٢ عن المغيرة بن شعبة بلفظه جزء من حديث طويل ـ وكتاب الجنة باب ١ حديث رقم ٣ عن أبي هريرة بلفظه.
* وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب رقم ٣٩ حديث رقم ٤٣٢٨ عن أبي هريرة
* ومسند الإمام أحمد ٢/٣١٣ عن أبي هريرة بلفظه جزء من حديث طويل.
(٦) في ط (الله تعالى) بدلاً من (له).

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢).

وفي القرآن والأحاديث عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الإخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة أضعاف أضعاف ما يوجد عن الأنبياء قبله، حتى أنه ينبىء عن(٣) الشيء، الذي يكون بعد ما يبين من السنين خبراً أكمل من خبر من عاين ذلك، كقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف(٤)، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة)(٥)، فمن رأى ـــــــــــــــــــــــــــــــ

(١) سورة الفتح : الآيات ١ ـ ٣.
(٢) سورة الفتح : الآية ٢٨.
(٣) في ط، ك (على) بدلاً من (عن).
(٤) في س، أ (الأنف) بدلاً من (الأنوف).
(٥) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب الفتن باب ١٨ الأحاديث ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦ كلها عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة فيما بينها إلَّا أنه يؤخذ منها مجتمعة لفظ الحديث مشتملاً على الأوصاف الستة لهؤلاء القوم (الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة).
* مسند الإمام أحمد ٣/٣١ عن أبي سعيد الخدري بمعناه، ٥/٢٧١ عن ابن حرملة عن خالته بمعناه.
* وفي سنن أبي داود كتاب الملاحم باب في قتال الترك ـ حديث رقم ٤٣٠٣، ٤٣٠٤ عن أبي هريرة بمعناه. =

هؤلاء[1] الترك[2] الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكزخان[3] ملكهم الأكبر[4] وأولاده وأولاد أولاده، مثل هولاكو[5] وغيره من ملوك[6] الترك الكفار الذي قاتلهم المسلمون، لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة.

وقد أخبر بهذا قبل ظهوره بأكثر من ستمائة سنة، وقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)[7]، وهذه النار ظهرت سنة

= * وفي سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب ٣٦ حديث ٤٠٩٦، ٤٠٩٧ عن أبي هريرة بمعناه، ورقم ٤٠٩٨ عن عمر بن تغلب بمعناه، ورقم ٤٠٩٩ عن أبي سعيد الخدري بمعناه، ونفس رواية المسند ٣١/٣ عن أبي سعيد.

(١) (هؤلاء) ساقطة من س، أ.

(٢) **يقصد بالترك**: المغول القادمين من أواسط آسيا، وليس الأتراك المنسوبين إلى تركيا المعروفة الآن في شمال الشام.

(٣) (جنكز خان) ساقطة من أ، س. في ك (جنكخان) بدلاً من (جنكز خان).

جنكز خان: هو قائد مغولي اسمه الأصلي «تيموجين» خلف أباه «يقوصاي» رئيساً للتحالف المغولي. ذكر ابن كثير أن ابتداء حكمه سنة ٥٩٩هـ، ووفاته كانت سنة ٦٢٤هـ، وهو والد ملوك التتار، وينسبون إليه.

انظر: البداية والنهاية ١١٧/١٣؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٠.

(٤) في أ (ملكهم الأكبر هلاوون) بزيادة (هلاوون).

(٥) **هولاكو خان**: قائد مغولي حفيد «جنكيز خان» وأحد ملوك التتار، والعامة يسمونه هولاوون، وكان جباراً فاجراً قتل من المسلمين ما لا يحصى عدده. وهو الذي دخل بغداد وخربها وقتل الخليفة سنة ٦٥٦هـ، مات سنة ٦٦٤هـ وقيل ٦٦٣هـ.

انظر: البداية والنهاية ٢٤٨/١٣؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٩١٨.

(٦) (ملوك) ساقطة من ط، ك.

(٧) انظر:

* صحيح البخاري كتاب الفتن باب ٢٤ حديث رقم ٢ عن أبي هريرة بلفظه دون كلمة (لها). =

خمس وخمسين وستمائة بأرض الحجاز، فكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم، ورأى أهل بصرى[1] أعناق الجمال من ضوء تلك النار[2]، وكانت منذرة بما[3] يكون بعدها، ففي سنة ست وخمسين وستمائة دخل هولاكو ملك الكفار بغداد، وقتل فيها مقتلة عظيمة مشهورة[4]، (وسيأتي ــ إن شاء الله ــ بعض أخبار أنه شاهد الناس وقوعها، كما أخبرنا عند ذكرنا معجزاته)[5].



= * صحيح مسلم ــ كتاب الفتن ــ باب ١٤ ــ حديث رقم ٤٢، عن أبي هريرة بلفظه دون كلمة (لها).

(١) **بصرى**: بلدة بالشام من أعمال دمشق، مشهورة عند العرب، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد سنة ١٣هـ، وهناك بصرى بالعراق غير مشهورة.
انظر: معجم البلدان ١/٤٤١.

(٢) أشار ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/١٨٧ إلى أن هذه النار قد خرجت في الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة خلافاً لما ذكره الشيخ هنا بسنةٍ فقط.

(٣) في أ (لما) بدلاً من (بما).

(٤) هو تاريخ سقوط الدولة العباسية على يد التتار.

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنّهم هم الذين أنعم الله عليهم

ثم قالوا[1]: مع الأمر له في فاتحة الكتاب أن يسأل الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فإنه عنى[2] بقوله المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين الثلاث أمم الذين كانوا في عصره، وهم: النصارى، واليهود وعباد الأصنام، ولم يكن في زمانه غير هؤلاء الثلاث أمم.

فالمنعم عليهم نحن النصارى والمغضوب عليهم ـ فلا يشك ـ أنهم اليهود، الذين غضب الله عليهم في كتب التوراة والأنبياء وهذا الكتاب، والضالين فهم عباد الأصنام الذين ضلوا عن الله، فهذا أمر واضح بين ظاهر عند كل أحد، ولا سيما عند ذوي العقول والمعرفة. والصراط[3]: هو المذهب، أي الطريق، وهذه اللفظة رومية، لأن الطريق بالرومية اسطراطا.

والجواب:

أما قولهم: المنعم عليهم نحن النصارى، فمن العجائب التي تدل على فرط جهل صاحبها، وأعجب من ذلك قولهم إن هذا شيء بين

---

(١) أي النصارى الذين يحكي بولس قولهم.

(٢) في س، أ، ك (فأعنى) بدلاً من (فإنه عنى).

(٣) حكى القرطبي في تفسيره: (وحكى النقاش: الصراط الطريق بلغة الروم، ثم قال ابن عطية: وهذا ضعيف جداً).
انظر: تفسير القرطبي ١/١٤٨ طبعة وزارة الثقافة المصرية.

واضح عند كل أحد، لا سيما عند ذوي العقل والمعرفة، فيا سبحان الله!

ألم يعرف العام والخاص علماً ضرورياً[1] لا تمكن المنازعة فيه من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ودين أمته الذي تلقوه عنه من تكفير النصارى وتجهيلهم وتضليلهم واستحلال جهادهم وسبي حريمهم وأخذ أموالهم، ما يناقض كل المناقضة أن يكون محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته في كل صلاة يقولون: اللهم اهدنا صراط النصارى.

وهل ينسب محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته إلى أنهم في كل صلاة يطلبون من الله أن يهديهم صراط النصارى إلَّا من هو من أكذب الكذابين و[2]أعظم الخلق افتراء ووقاحة وجهلاً وضلالاً؟

ولو كانوا يسألون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى، ولم يكفروهم ويقاتلوهم، ويضعوا عليهم الجزية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون، ولم يشهدوا عليهم بأنهم من أهل النار، وأمته أخذوا ذلك جميعه عنه، منقولاً عنه بالنقل المتواتر بإجماعهم، لم يبتدعوا ذلك، كما ابتدعت النصارى من العقائد والشرائع ما لم يأذن به الله، فلا يلام المسلمون في اتباعهم لرسول الله الذي جاء بالبينات والهدى.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إن كان رسولاً صادقاً، فقد كفّر

---

(١) (ضرورياً) ساقطة من ط.

(٢) (من هو من أكذب الكذابين) ساقطة من أ.
وكتبت في س (من أكذب الكاذبين).

النصارى، وأمر بجهادهم، وتبرأ منهم ومن دينهم، وإن كان كاذباً لم يقبل شيء مما نقله عن الله ـ عز وجل ـ .

وقد تقدَّم غير مرة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[1] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[2] .

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

فمن يقول عن النصارى مثل هذه الأقوال هل[4] يأمر أمته في كل صلاة أن يقولوا: اهدنا طريقهم؟

ثم يقال: أي شيء في الآية مما يدل على أن قوله صراط الذين أنعمت عليهم هم النصارى.

وإنما المنعم عليهم هم الذين ذكرهم الله في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٣؛ ومن الآية ٧٢.

(٢) في س، أ، ك قدمت الآية ٧٢ على الآية ٧٣.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١.

(٤) (هل) ساقطة من ك.

(٥) سورة النساء: من الآية ٦٩.

فهؤلاء هم الذين أمر الله عباده أن يسألوا هداية صراطهم.

وأما النصارى الذين كانوا على دين المسيح قبل النسخ والتبديل فهم[1] من المنعم عليهم، كما أن اليهود الذين كانوا على دين موسى قبل النسخ والتبديل كانوا من المنعم عليهم.

وأما النصارى بعد النسخ والتبديل فهم من الضالين، لا من المنعم عليهم عند الله ورسوله، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

وعباد الأصنام من الضالين المغضوب عليهم، وقد قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[4]. رواه الإمام ــــــــــــ

(١) في س، أ (هم) بسقوط الفاء.
(٢) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
(٣) سورة مريم: من الآية ٣٨.
(٤) انظر:
* الترمذي ــ كتاب أبواب تفسير القرآن ــ باب ٢ ــ عن عدي بن حاتم جزء من حديث طويل مع تغير كلمة ضالون بضلال، إلاَّ أن الترمذي ذكر بعده عبارة: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث سماك بن حرب وهذا خلاف ما ذكره المؤلف أعلاه من أن الترمذي قال هذا حديث صحيح.
* ومسند الإمام أحمد ٥/٧٧ عن عبد الله بن شقيق أخبره من سمع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو بوادي القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بلقين فقال يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: «هؤلاء المغضوب عليهم فأشار إلى اليهود، فقال =

أحمد[1] والترمذي عن عدي بن حاتم[2] عن النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ . وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وسبب ذلك أن اليهود يعرفون الحق ولا يعملون به، والنصارى يعبدون بلا علم، وقد وصف الله اليهود بأعمال، والنصارى بأعمال، فوصف اليهود بالكبر والبخل والجبن والقسوة وكتمان العلم وسلوك سبيل[3] الغي وهو سبيل الشهوات والعدوان.

وذكر عن النصارى الغلو والبدع في العبادات والشرك والضّلال واستحلال محارم الله، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن

= من هؤلاء قال: هؤلاء الضالون يعني النصارى. . . الحديث بمعناه».

* وقال ابن كثير ــ رحمه الله ــ بعدما ساق الروايتين السابقتين وغيرهما: وقد روى حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.

انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٩ ط. الحلبي.

(١) الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني أبو عبد الله الإمام المجتهد، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ مكباً على العلم وسافر في سبيل ذلك كثيراً، وأوذي في فتنة خلق القرآن لكنه ثبت وصمد حتى قيل: حفظ الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة، له كتاب المسند في الحديث وله غيره، مات سنة ٢٤١هـ، ــ رحمه الله ــ .

انظر: تاريخ بغداد ٤/٤١٢؛ والبداية والنهاية ١٠/٣٢٥؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٧.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) (سبيل) ساقطة من ط، ك.

يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾[3].

أي لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، لم نكتب عليهم الرهبانية[4]، بل هم ابتدعوها ومع[5] ابتداعهم إياها[6] فما رعوها حق رعايتها، وكل بدعة ضلالة، فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى أنهم لم يرعوها حق رعايتها.

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٧١، ١٧٣.

(٢) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة الحديد: من الآية ٢٧.

(٤) **الرهبانية**: يقصد بها الانقطاع عن ملذات الحياة والزهد فيها وترك أكثر المباحات وبخاصة الزواج انقطاعاً للعبادة في الأديرة، وتطورت الرهبنة بعد ذلك وأصبح لها نظم وتعليمات من أبرزها الطاعة التامة للأب رئيس الدير، ولكن حصل هناك جوانب سيئة في الأديرة من الرهبان والراهبات وفساد أخلاقي بمعرفة الكهنة والآباء المسيحيين.

انظر: كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٤٦؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٢ ط. ٧ عام ١٩٨٢م، مكتبة النهضة المصرية.

(٥) في ط (مع) بسقوط الواو.

(٦) في ط (وإياها) بزيادة واو.

وأما[1] ما كتب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرعه الله لهم من واجب ومستحب، فإن ذلك هو الذي يرضاه، ومن فعل ما يرضاه الله فقد فعل ما كتب عليه، ويحصل رضوان الله أيضاً بمجرد فعل الواجبات، وهذا هو الذي كتب على العباد، فإذا لم يكتب عليهم إلَّا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه واجباً، فما ليس بواجب لا يشترط في حصول ما كتب عليهم.

ولهذا ضعف أحمد بن حنبل وغيره الحديث المروي: «أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله»[2]، فإن من صلى في آخر الوقت كما أمر فقد فعل الواجب، وبذلك يرضى الله عنه، وإن كان فعل المستحبات والمسابقة إلى الطاعات أبلغ في إرضاء الله[3]، ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبته ما لا يحصل بمجرد الواجبات.

---

(١) في ط (فأما) بدلاً من (وأما).

(٢) انظر:

* سنن الترمذي ـ كتاب أبواب الصلاة ـ باب ١٢٧ ـ ما جاء في الوقت الأول من الفضل ـ حديث ٢ عن ابن عمر قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نحوه.
* سنن الدارقطني ـ كتاب الصلاة ـ باب النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر والعصر ـ حديث رقم ٢٠ عن ابن عمر ـ بلفظ الترمذي ـ ورقم ٢١ عن جرير بن عبد الله بلفظه ـ ورقم ٢٢ عن أبي محذورة عن ابنه عن جده بمعناه. وكل هذه الطرق ضعفها الدارقطني.
* السنن الكبرى للبيهقي ـ كتاب الصلاة ـ باب فضيلة أول الوقت ـ حديث رقم ١٥٤٣ ـ عن ابن عمر بلفظ الدارقطني ـ ورقم ١٥٤٤ عن أبي محذورة عن أبيه عن جده بلفظه وفيه زيادة (أوسط الوقت رحمة الله).

(٣) في ك، ط (رضاء الله عنه) بزيادة (عنه).

كما قال موسى ــ عليه السلام ــ[1]:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[3] وغيره عن أبي هريرة[4] عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «يقول الله تعالى من عادى[5] لي[6] ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي[7] بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي فلئن سألني لأعطينَّه[8]، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح[9] عبدي

---

(١) هو نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ــ عليهم السلام ــ ، أول أنبياء بني إسرائيل، ولد في مصر وتربى في قصر فرعونها وخلص الله به بني إسرائيل من ظلم فرعون، وأنزل الله عليه التوراة وعاش مائة وعشرين سنة ــ عليه الصلاة والسلام ــ .
انظر البداية والنهاية ١/١٣٧؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٣١.

(٢) سورة طه: من الآية ٨٤.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ ونشأ بها وحفظ القرآن صغيراً فارتحل لطلب العلم. وجمع صحيحه المعروف في الحديث، ومات سنة ٢٥٦ في سمرقند ــ رحمه الله ــ .
انظر: البداية والنهاية ١١/٢٤؛ ووفيات الأعيان ٤/١٨٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في ك، س، أ (عادا) بدلاً من (عادى).

(٦) في ط (إلى) بزيادة (أ).

(٧) في ط، ك (عبد) بدلاً من (عبدي).

(٨) (فلئن سألني لأعطينه) ساقطة من أ.

(٩) في س، أ (نفس) بدلاً من (روح).

المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدَّ له منه»(١). فقوله حتى أحبه يريد المحبة المطلقة الكاملة.

وأما أصل المحبة: فهي حاصلة بفعل الواجبات، فإن الله يحب المتقين والمقسطين(٢)، ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين.

وقال ــ تعالى ــ فيهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤).

وهو ــ سبحانه ــ خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب الرقاق ــ باب التواضع رقم ٣٨ ــ عن أبي هريرة بلفظه مع نقص عبارة: (فبي يسمع وبي يبصرو بي يبطش وبي يمشي).
* سنن ابن ماجة ــ كتاب الفتن ــ باب ١٦ ــ، عن عمر بن الخطاب عن معاذ بن جبل، ذكرت جملة من الحديث بلفظ: (من عادى لله وليا فقد بارزه بالمحاربة).

(٢) (ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين) ساقطة من ك، ط.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠ ــ ٣١.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا[1] عندهم عظماء في الدين أن يضعوا[2] لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله، بحيث لا يمكنون أحداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل وعن اتباع ما جاء به المسيح، ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3].

بل ما[4] وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء، وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولاً، لا[5] عن الأنبياء، ولا عن الحواريين، بل من وضع أكابرهم وابتداعهم.

كما ابتدعوا لهم الأمانة[6] التي هي أصل عقيدتهم، وابتدعوا لهم الصلاة[7] إلى الشرق، وابتدعوا لهم تحليل لحم الخنزير[8]، وسائر

---

(١) في ط (صار) بدلاً من (صاروا).

(٢) في ط، ك (يصنعوا) بدلاً من (يضعوا).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٨.

(٤) (بل) ساقطة من أ.

في س، أ (وما) بزيادة واو.

(٥) في أ (لا) ساقطة.

(٦) سبق التعريف بها في ٣/ ٣٠.

(٧) سبق التعريف بها في ٣/ ٢٩.

(٨) **الخنزير**: حيوان من فصيلة الثدييات، له ظلف مشقوق، جسمه ثقيل، وأرجله قصيرة، وهو محرم أكله في التوراة والقرآن. انظر: الموسوعة العربية ص ٧٦٦.

المحرمات، وابتدعوا لهم الصوم[1] وقت الربيع، وجعلوه خمسين يوماً، وابتدعوا لهم أعيادهم، كعيد الصليب[2]، وغيره من الأعياد.

وكذلك قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لعدي بن حاتم لما سمعه يقرأ هذه الآية:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3].

فقال: لم يعبدوهم، فقال له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم»[4].

ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].

فإنهم يتبعون أهواء أكابرهم الذين مضوا من قبلهم، وأولئك ضلوا من قبل هؤلاء وأضلوا أتباعهم، وهم كثيرون، وضلوا عن سواء السبيل، وهو وسط السبيل، وهو الصراط المستقيم، فإن كانوا هم وأتباعهم ضالين عن الصراط المستقيم، فكيف يجوز أن يأمر الله عباده ـ أن

---

(١) سبق التعريف به ٣/ ٢٩.

(٢) سبق التعريف به ٣/ ٢٩.

(٣) سورة التوبة: من الآية ٣١.

(٤) انظر: سنن الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب تفسير سورة التوبة ـ حديث رقم ٥٠٩٣ عن عدي بن حاتم بلفظه، وذكر بعده هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين، ليس بمعروف الحديث.

(٥) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
الواو في أول الآية ساقطة من س، أ، ك.

يسألوه[1] ـ أن يهديهم الصراط المستقيم، ويعني به صراط هؤلاء الضالين المضلين[2] عن سواء السبيل، وهو الصراط المستقيم.

وقد قال ـ سبحانه ـ : ﴿ولا تتبعوا أهواء﴾، هؤلاء لأن أصل ابتداعهم هذه البدعة من أنفسهم مع ظن كاذب، فكانوا ممن قيل فيهم:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[3].

وممن قيل فيه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[4].

وسبب[5] ذلك أن المسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[6] ـ لمَّا رُفع إلى السماء وعاداه اليهود، وعادوا أتباعه عداوة شديدة، وبالغوا في أذاهم وإذلالهم، وطلب قتلهم ونفيهم، صار في قلوبهم من بغض اليهود، وطلب الانتقام منهم ما لا يوصف، فلما صار لهم دولة وملك، مثل ما صار لهم في دولة قسطنطين، صاروا يريدون مقابلة اليهود.

كما جرت العادة في مثل ذلك بين الطوائف المتقابلة المتنازعين في الملك، والمتنازعين في البدع كالخوارج[7]، والروافض[8]،

---

(١) (أن يسألوه) سقطت من جميع النسخ ـ ولا يستقيم الكلام بدونها.

(٢) في ط، ك، س كررت كلمة (الضالين).
في أ كررت كلمة (المضلين).

(٣) سورة النجم: من الآية ٢٣.

(٤) سورة القصص: من الآية ٥٠.

(٥) في أ (وبسبب) بدلاً من (وسبب).

(٦) في س (عليه السلام) بدلاً من (صلَّى الله عليه وسلَّم).

(٧) سبق التعريف بها.

(٨) **الروافض**: فرقة من الشيعة، وقد سموا بهذا الاسم لأنهم رفضوا اتباع زيد بن علي بن =

والجبرية[1] مع القدرية[2] والمعطلة[3] مع الممثلة[4]، وكالدولتين المتنازعتين على الملك والأهواء بمنزلة قيس[5] ويمن[6]، وأمثال ذلك.

إذا[7] ظهرت طائفة على الأخرى بعدما آذتها الأخرى وانتقمت منها تريد أن تأخذ بثأرها، ولا تقف عند حد العدل، بل تعتدي على تلك كما اعتدت تلك عليها.

فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود فأحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره، وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم بأكل الخنزير، فإن أكله وإلّا لم يجعلوه نصرانياً.

= الحسين بن أبي طالب لما خالف رأيهم في سبب أبي بكر وعمر، ومذهبهم حصر الإمامة في علي وذريته، وبغض من عداهم من الصحابة، وخاصة الشيخين، ــ رضي الله عنهما ــ.

انظر: الملل والنحل ١/٢٣٥؛ ومنهاج السنّة ١/٩، ١٠.

(١) سبق التعريف بها.

(٢) القدرية: طائفة من الفرق الإسلامية وهي ضد الجبرية، ويقولون بإنكار القدر وأن الإنسان يخلق فعل نفسه، ويقال أن أول من أعلن ذلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

انظر: الملل والنحل ١/٤٣.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) قيس: شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وغلب اسم قيس على سائر العدنانيين.

(٦) يمن: عرب اليمن وما عداهم يعرف بقيس ويقال في المثل قيس ويمن.

انظر: معجم قبائل العرب ٣/٩٧٢.

(٧) في أ (وإذا) بزيادة واو.

وتركوا الختان[1]، وقالوا: إن المعمودية[2] عوض عنه، وصلوا إلى قبلة غير قبلة اليهود[3].

وكان اليهود قد أسرفوا في ذم المسيح ـ عليه السلام[4] ـ، وزعموا أنه ولد زنا، وأنه كذاب ساحر.

فغلوا هؤلاء في تعظيم المسيح، وقالوا: إنه الله وابن الله، وأمثال

---

(١) **الختان**: هو إزالة القلفة من ذكر الرجل، وهي عادة قديمة جداً عند الشعوب السامية، وأول من أختتن إبراهيم عليه السلام، واليهود يختتنون لأن التوراة نصت على ذلك في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر بما يلي: (١٠ ـ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختتن منكم كل ذكر).
وكان المسيح مختوناً على سنة الرسل قبله، ورد في إنجيل برنابا الفصل الخامس (فلما تمت الأيام الثانية حسب شريعة الرب، كما هو مكتوب في كتاب موسى، أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختتناه فختن الطفل وسمياه يسوع).
انظر: إنجيل برنابا ـ تحقيق سيف الله فاضل ص ٤٣.

(٢) **التعميد**: من شعائر المسيحية، وكان موجوداً عند اليهود فكان يحيى المعمدان ابن زكريا يعمد الناس في نهر الأردن، والتعميد يكون برش الماء على الجبهة أو غمس جزء من الجسم بالماء، وأحياناً يغمس الشخص كله في الماء، ولا بد أن يقوم بذلك كاهن يعمد الشخص باسم الأب والابن وروح القدس، وهم يشيرون بذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم المسيح.
انظر: تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص ٨؛ والمسيحية، للدكتور أحمد شلبي ص ١٦٨، ط. ٧.
وقد حدثني شخص من النصارى بمصر ـ وقد أسلم والحمد لله ـ عندما سألته عن التعميد فقال: إنهم علمونا أن الطفل إذا لم يعمد يصير مسلماً.
فذكرني هذا بحديث الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «ما من مولود إلاّ ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه... الحديث».

(٣) **قبلة اليهود**: بيت المقدس. وقبلة النصارى التي صلوا إليها المشرق مطلع الشمس.
انظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٨٥.

(٤) كلمتا (ذم) و(عليه السلام) ساقطتان من ط، ك.

ذلك، وصار من يطلب أن يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم، يجمعون له[1] مجمعاً ويلعنونه فيه على وجه التعصب[2]، واتباع الهوى، والغلو فيمن يعظمونه[3]، كما يجرى مثل ذلك لأهل الأهواء، كالفلاة في بعض المشايخ، وبعض أهل البيت، وبعض العلماء وبعض الملوك، وبعض القبائل، وبعض المذاهب، وبعض الطرائق، فإنما كان مصدر ضلالهم أهواء نفوسهم، قال تعالى للنصارى الذين كانوا في وقت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ومن بعدهم:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

وأما قولهم إن الصراط هو المذهب، أي الطريق، وهذه لفظة رومية لأن الطريق بالرومية اسطراطاً.

فيقال لهم: الصراط في لغة العرب: هو الطريق، يقال: هو الطريق الواضح، ويقال: هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه، ومنه الصراط المنصوب على جهنم، وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة، وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم، ويقال فيه: معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه، وفيه ثلاث لغات، هي ثلاث قراءات: الصراط، والسراط، والزراط[5]، وهي لغة

---

(١) في ط، ك (لهم) بدلاً من (له).

(٢) في ك (التعصيب) بدلاً من (التعصب).

(٣) (يعظمونه) ساقطة من ك.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
(قل) ساقطة من المطبوعة. (غير الحق) ساقطة من أ. (قد) ساقطة من أ.

(٥) ذكر في لسان العرب: الصراط، والسراط، والزراط: الطريق.
انظر: لسان العرب المحيط ٢/٤٣٠.

عربية عرباء ليست من المعرب، ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا.

ويقال أصله من قولهم: سرطت الشيء أسرطه سرطاً، إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته، فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود.

ومن أمثال العرب: لا تكن حلواً فتسترط، ولا مراً فتعفى[1]، من قولهم: أعفيت[2] الشيء، إذا أزلته من فيك لمرارته، ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين.

وحكى يعقوب بن السكيت[3]، الأخذ: سريط، والقضاء: صريط[4]، والسرطاط: الفالوذج، لأنه يسترط استراطاً، وسيف سراطي، أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه[*].

فالصراط: هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة، وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع، ولم يسم الله سبيل الشيطان سراطاً بل سماها سبلاً[5]، وخص طريقه باسم الصراط، كقوله ـ تعالى ـ .

---

(١) في أ (فتعقب) بدلاً من (فتعفى).

(٢) في أ (أعقيت) بدلاً من (أعفيت).
(أعفيت) ساقطة من ط.

(٣) في أ (السكيب) بدلاً من (السكيت).
هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان تعلم ببغداد، وكان مؤدب أولاد المتوكل الذي جعله في عداد ندمائه ثم قتله.
انظر: الأعلام للزركلي ٩/٢٥٥.

(٤) في س (خريط) بدلاً من (صريط).

(٥) في س (سبيلاً) بدلاً من (سبلاً).

(*) انظر تفاصيل ذلك في لسان العرب عند كلمة (سرط) ٢/١٣٣، طبعة بيروت في ٣ مجلدات كبيرة.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[1].

وفي السنن عن عبد الله بن مسعود[2] قال: خط لنا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قاله: «هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، من أجابه قذفه في النار، ثم قرأ:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[3].

فسمى ــ سبحانه ــ طريقه صراطاً، وسمى تلك سبلاً، ولم يسمها صراطاً[4] كما سماها سبيلاً[5]، وطريقه يسميه سبيلاً، كما يسميه صراطاً.

وقال ــ تعالى ــ عن موسى وهارون[6]:

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٥٣.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٥٣.
انظر: مسند الإمام أحمد ٤٣٥/١ عن عبد الله بن مسعود بلفظه، وفي ص ٤٦٥ من رواية أبي وائل عن عبد الله بمعناه. وسنن ابن ماجه المقدمة حديث رقم ١١ عن جابر بن عبد الله بمعناه.

(٤) في س (سراطاً) بدلاً من (صراطاً).

(٥) في س، أ (سبلاً) بدلاً من (سبيلاً).

(٦) هو هارون بن عمران بن قاهث من سبط لاوي، الأخ الأكبر لموسى ــ عليهما السلام ــ تحمل معه أعباء النبوة بأمر الله لهما بالذهاب إلى فرعون ودعوته، واستمر مع أخيه في سياسة بني إسرائيل، مات بعد ما غادر بنو إسرائيل قادش وله من العمر مائة وثلاث وعشرين سنة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤، طبعة المشعل ببيروت.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[2].

وهذه الهداية الخاصة التي أعطاه[3] إياها بعد فتح الحديبية[4] أخص مما تقدم فإن السالك إلى الله لا يزال يتقرب إليه بشيء بعد شيء، ويزيده الله هدى بعد هدى، وأقوم الطريق وأكملها الطريق التي بعث الله بها نبيه محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[5].

• • •

(١) سورة الصافات: الآيتان ١١٧، ١١٨.

(٢) سورة الفتح: الآيات ١ ــ ٣. وفي المطبوعة سقط لفظ الجلالة بعد قوله: ليغفر لك.

(٣) في ط (أعطاها) بدلاً من (أعطاه).

(٤) يقصد بفتح الحديبية: الصلح الذي تم بين الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأهل مكة في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة بالحديبية.
انظر تفاصيل ذلك في: صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية.
الحديبية: قرية في الطريق بين مكة والمدينة قريبة من مكة وسميت بذلك نسبة إلى بئر فيها تسمى الحديبية.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٢٩.

(٥) سورة الإسراء: من الآية ٩.

فصل

بيان أنَّ تفسيرهم للتثليث تفسير باطل

قال الحاكي[1] عنهم: فقلت: إنهم[2] ينكرون علينا في قولنا[3]، أب وابن، وروح قدس، وأيضاً في قولنا إنهم ثلاثة أقانيم[4]، وأيضاً في قولنا إن المسيح رب وإله وخالق، وأيضاً يطلبون منا إيضاح تجسيد تجسم[5] كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق.

أجابوا قائلين: لو علموا قولنا هذا إنما نريد به القول الذي يعني[6] أن الله شيء حي ناطق لما أنكروا علينا ذلك، لأننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها، إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب[7].

فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وذلك لننفي عنه العدم، ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيء حي، وشيء غير حي، فوصفناه بأجلهما، فقلنا: هو شيء حي، لننفي

---

(١) الحاكي عنهم: بولس الإنطاكي أسقف صيدا، ومؤلف الرسالة التي يرد عليها الشيخ.
والمحكي عنهم: هم علماء النصارى ببلاد الروم وقبرص.

(٢) يقصد المسلمين.

(٣) (قولنا) ساقطة من س، أ.

(٤) (وأيضاً في قولنا أنهم ثلاثة أقانيم) ساقطة من س.

(٥) في أ (تجسيم) بدلاً من (تجسم).

(٦) (الذي يعني) ساقطة من س، أ، ك.

(٧) في ط (فيه من التضاد والتلقب) بدلاً من (فيها من التضاد والتقلب).

المـوت عنه، ورأينـا[1] الحي ينقسم قسمين[2]: حي نـاطق، وحي غيـر نـاطق، فوصفنـاه بأفضلهمـا، فقلنا: هـو شيء حي نـاطق لننفي الجهـل عنه.

والثلاثة أسمـاء وهي إلّه واحـد مسمى واحد، ورب واحـد، خالق واحـد شيء حي ناطق، أي الـذات والنطق والحيـاة، فالـذات[3] عندنـا الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق الابن الـذي هو مـولود منـه لولادة النـطق من العقل، والحيـاة روح القـدس، وهـذه أسمـاء لم نسمـه نحن بها[4].

والجواب من وجوه:

أحـدها: قـولهم: أما قـولنا أب، وابن، وروح قـدس، فلو علموا قولنا هذا إنما نريد به تصحيح القول بأن الله حي نـاطق لما أنكـروا ذلك علينا، فيقال: ليس الأمر كما ادعوه فإن النصارى يقولون: إن هذا القول تلقـوه عن الإنجيل، وإن في الإنجيـل عن المسيـح ـ صلوات الله عليـه وسـلامـه ـ[5] أنـه قـال: «عمـدوا النـاس بـاسم الأب، والابن وروح القدس»[6] فكان أصل قولهم هو ما يذكرونه من أنه متلقى[7] من الشـرع المنـزل لا أنهم أثبتوا الحيـاة والنـطق بمعقـولهم، ثم عبـروا عنهـا بهـذه العبارات، كما ادعوه في مناظرتهم.

---

(١) في أ (قلنا) بدلاً من (رأينا).
(٢) في س، أ (إلى) بدلاً من (قسمين).
(٣) في ط، ك (والذات) بدلاً من (فالذات).
(٤) (وهذه أسماء لم نسمه نحن بها) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) (وسلامه) ساقطة من ك، و ط.
(٦) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٣/ ١٣٣.
(٧) في ط، ك (تلقى) بدلاً من (متلقى).

ولو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلى هـذه العبارة، ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة، بل معلوم عندهم، وعند سائر أهـل الملل أن الله موجود حي عليم، قدير متكلم لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو لفظ: الأب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه لا[1] شرع ولا عقل.

وهم يدعون أن التثليث والحلول والاتحاد إنما صاروا إليه من جهة الشرع، وهو[2] نصوص الأنبياء[3] والكتب المنزلة، لا من جهة العقل، وزعموا أن الكتب الإلّهية نطقت بذلك، ثم تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتاب طريقاً عقلية، فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في العقل. ولهذا نجد النصارى لا يلجأون في التثليث والاتحاد إلّا إلى الشرع والكتب، وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول، فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية التي قد يسمونها ناموساً عقلياً[4] طبيعياً يدفع ذلك وينفيه وينفر[5] عنه، ولكن يزعمون أن الكتب الإلّهية جاءت بذلك وأن ذلك أمر يفوق[6] العقل، وأن هذا الكلام من طور وراء طور العقل

---

(١) (لا) ساقطة من ط، ك.

(٢) (هو) ساقطة من س.

(٣) (وهو نصوص الأنبياء) ساقطة من أ.

(٤) (عقلياً) ساقطة من س، أ، ك.

(٥) في أ: (تدفع ذلك وتنفيه وتنفر عنه) بدلاً من (يدفع ذلك وينفيه وينفر عنه).

(٦) في ط، ك (فوق) بسقوط (يـ).

فينقلونه لظنهم أن الكتب الإلّهية أخبرت به، لا لأن العقول دلت عليه، مع أنه ليس في الكتب الإلّهية ما يدل على ذلك، بل فيها ما يدل على نقيضه، كما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ ، ولا يميزون بين ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع، وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يحكم[1] فيه بنفي ولا إثبات، وأن الرسل أخبرت بالنوع الثاني: ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول، فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول، وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً شريكاً.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

وقد ضاهاهم في ذلك أهل البدع والضلال، المشبهون لهم من المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون نحو[3] قولهم من الغلو في الأنبياء وأهل البيت[4] والمشايخ وغيرهم، ومن يدعي الوحدة أو[5] الحلول أو الاتحاد الخاص المعين، كدعوى النصارى، ودعوى الغالية من الشيعة في علي، وطائفة من[6] أهل البيت كالنصيرية[7] ونحوهم ممن يدعي

---

(١) في ط (يعلم) بدلاً من (يحكم).
(٢) سورة التوبة: من الآية ٣٠.
(٣) في ط، ك (بنحو) بزيادة (بـ)، (نحو) ساقطة من أ.
(٤) في ط، ك (الكتب) بدلاً من (البيت).
(٥) في ط، ك (و) بسقوط الألف.
(٦) في ط، ك (في) بدلاً من (من).
(٧) سبق التعريف بها.

إلٓهية علي، وكدعوى بعض الإسماعيلية[1] الإلٓهية في الحاكم[2] وغيره من بني عبد الله بن ميمون القداح[3]، المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر[4].

ودعوى كثير من الناس نحو ذلك في بعض الشيوخ، إما المعروفين بالصلاح، وإما من يظن به الصلاح وليس من أهله، فإن لهم أقوالاً من جنس أقوال النصارى، وبعضها شر من أقوال النصارى.

وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى، هذا أمر فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقوله التلمساني[5] لشيخ[6] أهل الوحدة، يقول: ثبت عندنا في الكشف

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) **عبد الله بن ميمون القداح**: فقيه إمامي من أهل مكة، واهي الحديث عند علماء أهل السنَّة وهو من الثقات عند الشيعة، كان أبوه فارسي الأصل من موالي بني مخزوم عرف بالقداح وهي صناعته، مات سنة ١٨٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٦/٤٩؛ والأعلام ٤/٢٨٦.

(٤) **محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق** الحسيني الطالبي الهاشمي، إمام من أئمة آل البيت قالت بإمامته القرامطة، ويرى الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، وقد ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣١هـ، ومات ببغداد سنة ١٩٨هـ تقريباً.
ومن الباطنية من يعتقد أنه نبي نسخ شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: تلبيس إبليس ص ١٠٢؛ والأعلام ٦/٢٥٨.

(٥) **التلمساني**: هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني عفيف الدين شاعر كوفي الأصل من تلمسان وهو من أهل وحدة الوجود ومن أتباع طريقة ابن عربي صاحب الفصوص، وشيخه القونوني، قيل إنه يميل إلى مذهب النصيرية. مات سنة ٦٩٠هـ، وله من العمر ثمانين سنة.
انظر: شذرات الذهب ٥/٤١٢؛ والبداية والنهاية ١٣/٣٢٦؛ والأعلام للزركلي ٣/١٩٣؛ وفوات الوفيات ٢/٧٢.

(٦) في س، أ (شيخ) بدلاً من (لشيخ).

ما يناقض صريح النقل ويقولون لمن أراد أن يسلك سبيلهم: دع العقل والنقل، أو اخرج من العقل والنقل.

وينشدون فيهم:

مجانين إلَّا أنَّ سِرّ جنونهم ... عزيز على أقدامه يسجد العقل
هم معشر حلوا النظام وحرقوا[1] ... السياج فلا فرض لديهم ولا نقل[2]

وهؤلاء مقلدون لمشايخهم متبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول، وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله باتخاذ البدع عبادات، واستحلال المحرمات كتقليد بعض[3] النصارى لشيوخهم، وإذا اعترض[4] على أحد منهم يقولون: الشيخ يسلم له حاله[5]، ولا يعترض عليه، كما يقول النصارى لشيوخهم ومن هؤلاء من يقول نحن أولاد الله،

= شيخ أهل وحدة الوجود: هو محمد بن علي بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيى الدين بن عربي، المقلب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسيه سنة ٥٦٠هـ بالأندلس، انتقل إلى الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ماراً بمصر فأنكر عليه أهلها بعض الشطحات التي صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كالحلاج وحبس ثم تخلص فنجا واستقر في دمشق، ومات بها سنة ٦٣٨هـ، وهو شيخ أهل وحدة الوجود وكان ذكياً حافظاً، وله مؤلفات صوفية كثيرة من أضخمها «الفتوحات المكية»، قال ابن كثير فيه ما يعقل وما لا يعقل وله كتاب «فصوص الحكم» فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح وله تصانيف كثيرة غير ذلك.

انظر: البداية والنهاية ١٣/١٥٦؛ وفوات الوفيات ٣/٤٣٥؛ وشذرات الذهب ٥/١٩٠؛ وميزان الاعتدال ٣/١٠٨.

(١) في ط (وحرفوا) بدلاً من (وحرقوا).
(٢) هذه الأبيات لم أعثر على قائلها.
(٣) (بعض) ساقطة من س، أ.
(٤) في ط، ك (فإذا اعترضوا) بدلاً من (وإذا اعترض).
(٥) (حاله) ساقطة من ط، ك، س.

ويقول: المسيح[1] هو ولد الله، وينطق ـ أيضاً[2] ـ بلفظ الشهوة، فيقول إنهم أولاد شهوة[3]، ويقول: إنه زوج مريم، كما يقول ذلك من يقوله من النصارى.

وغاية ما عندهم أنهم يحكون عن شيوخهم نوعاً من خرق العادات، قد يكون كذباً، وقد يكون صدقاً، وإذا كانت صدقاً فقد يكون من أحوال أولياء الشيطان كالسحرة والكهان، وقد يكون[4] من أحوال أولياء الرحمن، وإذا كانت من أحوال أولياء الرحمن[5] لم يكن[6] في ذلك ما يوجب[7] تقليد الولي في كل ما يقوله، إذ الولي لا يجب أن يكون معصوماً، ولا يجب اتباعه في كل ما يقوله، ولا الإيمان بكل ما يقوله.

وإنما هذا من خصائص الأنبياء الذين[8] يجب الإيمان بكل ما يقولونه فيجب تصديقهم في كل ما يخبرون به من الغيب، وطاعتهم فيما أوجبوه على الأمم، ومن كفر بشيء مما جاؤوا به فهو كافر، ومن سب نبياً واحداً وجب قتله، وليس هذا لغير الأنبياء من الصالحين.

فهؤلاء المبتدعة الغلاة المشركون القائلون بنوع من الحلول هم

---

(١) في ط، ك (الشيخ) بدلاً من (المسيح).
(٢) (أيضاً) ساقطة من ط، ك.
(٣) في س، أ (شهوقه) بدلاً من (شهوة).
(٤) في ط، ك (تكون) بدلاً من (يكون).
(٥) (وإذا كانت من أحوال أولياء الرحمن) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط (حينئذٍ لم يكن) بزيادة (حينئذٍ).
(٧) في أ (يجب) بدلاً من (يوجب).
(٨) في س، أ، ك (الذي) بدلاً من (الذين).

مضاهئون[1] للنصارى[2] بقدر[3] ما شابهوهم فيه، وخالفوا فيه دين المسلمين ومنهم[4] من تكون موافقته لدين المسلمين أكثر، وأما الغلاة منهم فموافقتهم للنصارى أكثر، ومنهم من هو أكفر من النصارى، ولما كان مستند النصارى هو ما ينقلونه إما عن الأنبياء، وإما عن غيرهم ممن يوجبون اتباعه، كانوا إذا أوردوا على علمائهم ما يقتضي امتناع ذلك، قالوا هكذا في الكتاب، وبهذا نطق الكتاب، وهذه الكتب جاءت بها الرسل، يعنون المؤيدين بالمعجزات، ويعنون بالرسل الحواريين، فاعتصامهم بهم إنما هو لما ظنوه مذكوراً في الكتب الإلّهية، وإن رأوه مخالفاً لصريح المعقول.

ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة في ذلك، لعلمهم بأن العقل الصريح متى تصور دينهم علم أنه باطل، فدعوى المدعين أنا إنما قلنا أب وابن وروح قدس لتصحيح القول بأن الله حي ناطق كذب ظاهر، وهم يعلمون أنه كذب، وتصحيح القول بأن الله حي متكلم، لا يقف على هذه العبارة، بل يمكنه تصحيح ذلك بالأدلة الشرعية والسمعية والعقلية، والتعبير عنه بالعبارات البينة[5] كما يقوله[6] المسلمون وغيرهم بدون قولنا أب وابن وروح قدس.

ومما يبين ذلك **الوجه الثاني**: وهو أن النصارى ـ المقرون بأن

---

(١) في ط، ك (يضاهئون) بدلاً من (مضاهئون).
(٢) في ط (النصارى) بدلاً من (للنصارى).
(٣) (بقدر) ساقطة من ك، و ط.
(٤) في أ (وفيهم) بدلاً من (ومنهم).
(٥) في ط، ك (المبينة) بدلاً من (البينة).
(٦) في س، أ (يفعله) بدلاً من (يقوله).

هذه العبارة في الإنجيل المأخوذ عن المسيح ـ مختلفون في تفسير هـذا الكلام، فكثير منهم يقـول الأب هو الـوجود، والابن هـو الكلمة، وروح القدس * هو الحياة.

ومنهم من يقول: بل الأب هو الوجود، والابن هو الكلمـة، وروح القدس *[1] هو القدرة.

وبعضهم يقـول: إن الأقانيم الثـلاثة: جـواد حكيم قادر، فيجعـل الأب هــو الجـواد، والابن هــو الحيكم، وروح القـدس هــو القــادر، ويزعمون أن جميـع الصفات تـدخل تحت هـذه الثلاثـة، ويقولـون: إنا استدللنا على وجوده بإخراجه[2] الأشيـاء من العدم إلى الـوجود، وذلـك من جوده.

وقد رأيت في كتب النصارى هذا وهذا وهـذا. ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم، فيقـولون مـوجود حي عـالم، أو موجـود عالم قـادر، كما يقـول بعضهم: ناطق. ومنهم من يقـول مـوجـود حي حكيم، ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم. وهم[3] متفقون على أن المتحـد بالمسيـح و[4] الحال فيه هـو أقنوم الكلمـة، وهو الـذي يسمونـه الابن دون الأب، ومن أنكر الحلول والاتحاد منهم كالأريوسية[5] يقول: إن المسيح ـ عليه السلام ـ عبد مرسل، كسائر الـرسل ـ صلوات الله عليهم وسـلامه ـ، فـوافقهم على لفظ: الأب، والابن، وروح القدس، ولا يفسـر ذلك بمـا يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من أ.

(٢) (بإخراجه) ساقطة من ك.

(٣) في ط (متفوقون) بدلاً من (متفقون).

(٤) في س، أ (أو) بزيادة ألف.

(٥) سبق التعريف بهم ٣/ ٢٨.

كما أن النسطورية[1] يوافقونهم ــ أيضاً ــ على هذا اللفظ، وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليعقوبية[2] والملكية[3]: فإذا كانوا متفقين على اللفظ متنازعين في معناه، علم أنهم صدقوا أولاً باللفظ[4] لأجل اعتقادهم مجيء الشرع به، ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسير الكتاب، كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون أنه منقول عن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، وعلم بذلك أن أصل قولهم الأب، والابن، وروح القدس، لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجود حي ناطق الذي علموه أولاً بالعقل.

يوضح هذا **الوجه الثالث**: وهو قولهم إنّا لما رأينا حدوث الأشياء علمنا[5] أن شيئاً غيرها أحدثها، إن كان المتكلم بهذا[6] طائفة معينة من النصارى، فيقال لهؤلاء: القول بالأب، والابن، وروح القدس، موجود عند النصارى قبل وجودكم، وقبل نظركم هذا واستدلالكم، فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا، وإن كان المراد به أن جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلوا حتى قالوا ذلك فهذا كذب بين، فإن هذا الكلام يقول النصارى إنهم تلقوه من الإنجيل، وأن المسيح ــ عليه السلام ــ قال: «عمدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس»[7].

---

(١) سبق التعريف بهم ٣/ ٢٨.
(٢) سبق التعريف بهم ٣/ ٥٥.
(٣) سبق التعريف بهم ٣/ ٥٥.
(٤) في س، أ (باللفظ أولاً) بدلاً من (أولاً باللفظ).
(٥) في ط (وعلمنا) بزيادة واو.
(٦) في ط، ك (بها) بدلاً من (بهذا).
(٧) سبق الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهذا النظر الموجب لهذا القول، ولا جعل المسيح هذا القول موقوفاً عندهم على هذا البحث، فعلم أن جعلهم هذا القول ناشئاً عن هذا البحث قول باطل يعلمون هم بطلانه[1].

الوجه الرابع: إن هذا القول: إن كان المسيح لم يقله فلا يجوز أن يقال، ولو عنى به الإنسان معنى صحيحاً فإن هذه العبارة إنما يفهم منها عند الإطلاق المعاني الباطلة، ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله، البنوة المعروفة في المخلوقات، ويقولون: إن مريم زوجة الله وهذا لازم لعامة النصارى، وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بد له من زوجة.

ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وجَعْلُ الربِّ والدُ المولودِ أنكرُ في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة، أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى، فإن من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك، كما تأولوا هم الولد، ويقولون: إن الأب * ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت، فكما أن الأب *[3] أب باللاهوت لا بالناسوت، ومريم أم للناسوت لا للاهوت، فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت، واللاهوت زوج مريم بلاهوته، كما أنه أب للمسيح[4]

---

(١) في ط، ك (ببطلانه) بزيادة (ب).

(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٤) في س، أ (المسيح) بدلاً من (للمسيح).

بلاهوته، وإذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة، فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة، وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلأي شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت، فإن المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم إله تام وإنسان تام. فلاهوته من الله، وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت، فإذا كان أحد الأصلين أباه والآخر أمه، فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار، مع أن المصاحبة قبل البنوة[١]؟ فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟

وليس في ذلك من المحال على أصلهم إلاَّ ما هو من جنس إثبات بنوة[٢] المسيح، وأقل امتناعاً. وإن كان المسيح ـ عليه السلام ـ قال هذا الكلام، فقد علمنا أن المسيح ـ عليه السلام ـ[٣] وغيره من الأنبياء معصومون لا يقولون إلاّ الحق، وإذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح.

ويمتنع أن يريدوا بقولهم[٤] ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل[٥] فإذا كانت العقول، ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعته النصارى في المسيح، علم أن المسيح لم يرد معنى باطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

بل نقول في **الوجه الخامس**: إن صحت هذه العبارة عن المسيح

---

(١) في ط (النبوة) بدلاً من (البنوة).
(٢) في ط (نبوة) بدلاً من (بنوة).
(٣) (عليه السلام) ساقطة من س، أ.
(٤) في أ(بقوله) بدلاً من (بقولهم).
(٥) في س، ص (يعقل أو يسمع) بدلاً من (يسمع أو يعقل).

المعصوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه، وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب أباً وتسمية عباده أبناء، كما يذكرون أنه قال في التوراة ليعقوب «إسرائيل»[1]: «أنت ابني بكري»[2]، وقال لداود في الزبور: «أنت ابني وحبيبي»[3]، وفي الإنجيل في غير موضع يقول المسيح: «أبي وأبيكم» كقوله: «إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلٓهي وإلٓهكم»[4] فيسميه أباً لهم كما يسميهم أبناء له، فإن كان هذا صحيحاً، فالمراد بذلك أنه الرب المُربِّي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المُربَّى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالأب الرّب، والمراد بالابن عنده المسيح الذي رباه[5].

وأما روح القدس: فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء الصالحين.

---

(١) (إسرائيل) ساقطة من س، أ.

(٢) وجدت هذا النص في رسالة إلى العبرانيين الإصحاح الأول ـ العهد الجديد ـ ولكنه بلفظ مخالف كما يلي: «٥ ـ لأنه من الملائكة قال قط ـ أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، وهذا موجه لإسرائيل ولم يقل «أنت ابني بكري».

(٣) وجدت في سفر الخروج الإصحاح الرابع على لسان موسى لفرعون: «هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري».

(٤) وجدت في العهد الجديد ـ إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثالث (١٢ ـ الرب قال ليسوع أنت ابني الحبيب بك سررت)، أما ما ذكر في المزامير فقد وجدت في المزمور الثاني، (٧ ـ إني أجد من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) ولم يذكر كلمة (حبيبي) بل قال: «أنا اليوم ولدتك».

(٥) وجدت هذا النص في العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العشرون (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٓهي وإلٓهكم).

والقرآن قد شهد أن الله أيد المسيح بروح القدس، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1].

في موضعين من البقرة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[2].

وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لحسّان بن ثابت: «إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه»، وقال: «اللَّهم أيده بروح القدس»[3] كما تقدم ذكر[4] هذا كله مبسوطاً[5].

وروح القدس: قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، ويراد بها الوحي، والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته، وقد يكونان متلازمين، فإن الملك ينزل بالوحي، والوحي ينزل به الملك، والله ـ تعالى ـ[6] يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى، كما قال ـ تعالى ـ عن نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٨٧.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٣) (وقال: «اللَّهم أيده بروح القدس» ساقطة من س).

(٤) في ط (عن ذكر) بزيادة (عن).

(٥) سبقت الإشارة إليه في ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٦) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٧) سورة التوبة: من الآية ٤٠.

في موضعين من سورة براءة[1].

وقال الله[2] ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[4].

* وقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[5].

وقال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[7].

وقال:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

---

(١) الموضع الثاني (آية ٢٦ من السورة).
(٢) في س، أ، ك سقط لفظ الجلالة (الله).
(٣) سورة الأحزاب: من الآية ٩.
(٤) سورة الأنفال: من الآية ١٢.
(٥) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.
(٦) سورة النحل: من الآية ٢.
(٧) سورة غافر: من الآية ١٥.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

وإذا كان روح القدس معروفاً في كلام الأنبياء ـ المتقدمين والمتأخرين ـ أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحي عباده سواء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر أو وحياً وتأييداً مع الملك، وبدون الملك ـ ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به ـ كان (المعصوم إن كان)[2] قال: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس) مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذي يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم، ويوافق القرآن، ويوافق[3] العقل، أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف، ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره، بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح، وخطاب سائر الأنبياء.

أما تفسير النصارى بأن الابن مولود قديم أزلي هو العلم أو كلمة

---

(١) سورة الشورى: من الآية ٥٢. وقد كتبت في ما بين النجمة في الصفحة السابقة ونهاية هذه الآية ساقطة من س. الهامش.

(٢) (المعصوم إن كان) ساقطة من ط.

(٣) (يوافق) ساقطة من ط، ك.

الله، فتفسير للفظ بما[١] لم يستعمل هذا اللفظ فيه، لا[٢] في كلام أحد من الأنبياء ولا لغة[٣] أحد من الأنبياء، وكذلك تفسير روح القدس بحياة الله، فالذي فسر النصارى به ظاهر[٤] كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم، بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى.

وأما ضلال النصارى المحرفون لمعاني كتب الله ـ عز وجل ـ، فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع.

وتمام هذا **بالوجه السادس**: وهو أن النصارى لما كان عندهم في الكتب تسمية المسيح عليه السلام ابناً، وتسمية غيره من الأنبياء ابناً، كقوله ليعقوب: (أنت ابني بكري) وتسمية الحواريين «أبناء، قالوا هو ابنه بالطبع، وغيره هو[٥] ابنه بالوضع، فجعلوا لفظ الابن[٦] مشتركاً بين معنيين وأثبتوا لله طبعاً، جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع، وهذا يقرر[٧] قول من يفهم منهم أنه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين، وأن مريم زوجة الله.

وكذلك جعلوا روح القدس مشتركة بين حياة الله وبين روح القدس التي تنزل على الأنبياء والصالحين، ومعلوم أن الاشتراك على

---

(١) في أ (ما) بسقوط (بـ).

(٢) (لا) ساقطة من س، أ.

(٣) في أ (أمة) بدلاً من (لغة).

(٤) (ظاهر) ساقطة من س، أ، ك.

(٦) (هو) ساقطة من ط.

(٧) في ط، ك (يقرره) بزيادة (هـ).

خلاف الأصل وأن اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً في القدر المشترك أولى من جعله مشتركاً اشتراكاً لفظياً بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا، أو يكون مجازاً في أحدهما[1]، فإن المجاز والاشتراك على خلاف الأصل، هذا إن قدر أن لفظ الابن وروح القدس استعمل في نطق الله وحياته ـ كما يزعم النصارى ـ فكيف إذا لم يوجد في كلام الأنبياء أنهم قالوا لفظ الابن، ولفظ روح القدس، وأرادوا به شيئاً من صفات الله لا كلامه ولا حياته ولا علمه[2] ولا غير ذلك، بل لم يوجد استعمال لفظ الابن في كلام الأنبياء إلّا في شيء مخلوق، ولم يوجد استعمال روح القدس كما هو من[3] صفات الله القائمة به، (ونحن إذا فسرنا الأب وروح القدس ببنوة التربية، وروح القدس بما ينزل على الأنبياء)[4] كنا قد جعلنا اللفظ مفرداً متواطئاً وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركاً أو مجازاً في أحد المعنيين، فكان تفسيرهم مخالفاً لظاهر اللغة التي خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التي بأيديهم (وتفسيرنا موافقاً لظاهر لغتهم، وظاهر الكتب التي بأيديهم)[5]، وحينئذ فقد تبين أنه ليس معهم بالتثليث لا حجة سمعية ولا عقلية، بل هو باطل شرعاً وعقلاً.

ويؤيد هذا **الوجه السابع**: وهو أنهم في أمانتهم أثبتوا من

---

(١) في ط (إحداهما) بدلاً من (أحدهما).

(٢) (ولا علمه) ساقطة من س، أ.

(٣) في ط (بما هو في) بدلاً من (كما هو من).

(٤) ما بين القوسين ـ في جميع النسخ ـ فيه تكرار وخطأ في التركيب، وعندي أن صحتها: (ونحن إذا فسرنا الابن ببنوة التربية وروح القدس بما ينزل على الأنبياء).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

المعـاني ولفظ الأقانيم وغيـر ذلك مـا لا تدل عليـه الكتب التي بأيـديهم البتـة، بل فهمـوا منها معنى بـاطلاً، وضمـوا إليه معـاني باطلة من عنـد أنفسهم، فكانوا محرفين لكتب الله في ذلك، مفتـرين على الله الكذب، وهذا مبسوط في موضع آخر.

الوجه الثامن: أن قولهم بـالأقانيم مـع بطلانـه في العقل والشـرع لم ينطق به عندهم[1] كتاب، ولم[2] يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحـواريين، بل هي لفـظة ابتدعـوها، ويقـال: إنها روميـة، وقد قيـل: الأقنوم في لغتهم معنـاه الأصل، ولهـذا يضطربون[3] في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص وتارة صفـات وتارة جـواهر وتـارة يجعلون الأقنوم اسمـاً للذات والصفـة معـاً، وهذا تفسير حذاقهم.

الوجه التـاسع: قـولهم في المسيح ـ عليـه السلام ـ إنـه خالق، قول مع بطلانه في الشرع والعقل، قول[4] لم ينطق بـه شيء من النبوات التي عندهم، ولكن يستدلون على ذلك بما لا يدل عليه[5]، كما سنبينـه إن شاء الله تعالى.

الوجه العاشر: قولهم في تجسد اللاهوت ـ أيضـاً ـ هو قـول مع بطلانه في العقل والشرع قـول[6] لا يدل عليـه شيء من كلام المعصـوم من النبيين والمرسلين.

---

(١) (عندهم) ساقطة من ك.

(٢) في س، أ (ولا) بدلاً من (ولم).

(٣) في ط (يضطرون) بدلاً من (يضطربون).

(٤) (قول) ساقطة من ط.

(٥) في س، أ، ك (على ذلك) بدلاً من (عليه).

(٦) (قول) ساقطة من ط.

الوجه الحادي عشر: إنا نقول: لا ريب أن الله حي عالم قادر متكلم، وللمسلمين على ذلك من الدلائل العقلية التي دل الرسول عليها وأرشد إليها فصارت معروفة بالعقل مدلولاً عليها بالشرع ما هو مبسوط في موضعه. وأنتم مع دعواكم أنكم[1] تثبتون ذلك بالعقل، لم تذكروا على ذلك دليلاً عقلياً.

فقولكم لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد[2] والتقلب. كلام قاصر من وجوه:

أحدها: أنكم لم تروا حدوث جميع المخلوقات، وإنما رأيتم حدوث ما يشهد حدوثه كالسحاب والمطر والحيوان والنبات ونحو ذلك، فأين دليلكم على حدوث سائر الأشياء؟

الثاني: أنه كان ينبغي أن تقولوا لما علم[3] حدوث المحدثات، أو حدوث المخلوقات أو حدوث ما سوى الله ونحو ذلك مما يبين أن[4] المحدث ما سوى الله، فأما إطلاق حدوث جميع الأشياء فباطل، فإن الله يسمى عندكم وعند جمهور المسلمين شيئاً من الأشياء. وهذا بخلاف قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5].

فإن هذا التركيب يبين أن الخالق غير المخلوق خلاف قول القائل حدوث الأشياء.

---

(١) (أنكم) ساقطة من أ.

(٢) في ك، أ، س (التضادد).

(٣) في أ (علمتم) بدلاً من (علم).

(٤) (أن) ساقطة من ط.

(٥) سورة الرعد: من الآية ١٦.

الثـالث: أن العلم بـأن المحـدث[1] لا بـد لـه من محـدث، علم فطري ضروري، ولهذا قال الله [2]ـ تعالى ـ في القرآن:

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[3].

قـال جبيـر بن مـطعم[4]: (لمـا سمعت النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يقـرأ بها في صـلاة المغرب أحسست بفؤادي قـد انصـدع)[5]، يقول تعالى: أخلقوا من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون لأنفسهم[6].

ومعلوم بـالفـطرة التي فـطر الله عليهـا عبـاده بصـريـح العقـل أن الحادث لا يحدث إلَّا بمحدث أحدثه.

---

(١) في ط (بالمحدث) بدلاً من (بأن المحدث).

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ، ك.

(٣) سورة الطور: من الآية ٣٥.

(٤) جبيـر بن مطعم بن عـدي بن نوفـل بن عبـد منـاف بن قصي القـرشي (أبـو محمـد) النوفلي صحابـي جليل من سادات قريش كان حليمـاً وقوراً عـالمـاً بـالأنساب، أسلم بعد عام الحديبية ـ روى عنه ابناه ـ محمد ورافع ـ وكذلك ابن المسيب تـوفي سنة سبـع وخمسين وقيـل: ثمـان، وقيـل: تسـع وخمسين من الهجـرة، ـ رضي الله عنه ـ. انظر: أسد الغابـة ١/٢٧١؛ وتهذيب التهـذيب ٢/٦٣؛ والإصابـة في تمييز الصحابة ١/٢٢٥؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٨/٢٣٠.

(٥) انظر:

* صحيح البخاري كتاب التفسير ـ بـاب ٤٩ ـ سورة الـطور ـ عن جبير بن مـطعم بمعناه.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٨٣، ٨٥، عن جبير بن مطعم بمعناه لكنه لم يذكر قـراءة الآيـة، بـل ذكـر قـراءتـه ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ لسـورة الـطور في صـلاة المغرب.

(٦) في ط (يقوله تعالى: أخلقوا من غير خالق أم هم الخالقون).
في ك (يقول تعالى: من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون لأنفسهم).

وإن حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل وهذا أمر مركوز في بني آدم حتى الصبيان، لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل.

ولهذا لو جوّز مجوز أن يحدث كتابة أو بناء[1] أو غراس ونحو ذلك من غير محدث لذلك، لكان عند العقلاء إما مجنوناً، وإما مسفسطاً كالمنكر للعلوم البديهية[2] والمعارف الضرورية، وكذلك معلوم أنه لم يحدث نفسه، فإن كان معدوماً قبل حدوثه لم يكن شيئاً فيمتنع أن يحدث غيره فضلاً عن أن يحدث نفسه.

فقولكم لم يكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد[3] والتقلب، تعليل باطل فإن علمنا بأن[4] حدوثها لم يكن من ذواتها ليس لأجل ما فيها من التضاد[5] والتقلب بل سواء كانت متماثلة أو مختلفة أو متضادة، نحن نعلم بصريح العقل أن المحدث لا يحدث نفسه، وهذا من أظهر المعارف وأبينها للعقل، كما يعلم[6] أن العدم[7] لا يخلق موجوداً، وأن المحدث للحوادث الموجودة لا يكون معدوماً.

الوجه الرابع: أنكم ذكرتم حجة على أنها لم تحدث نفسها، وهي

---

(١) في ط، ك (نساجه) بدلاً من (بناء).
(٢) (البديهية) ساقطة من ط.
(٣) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).
(٤) (بأن) ساقطة من ط، ك.
(٥) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).
(٦) في ط (كما تعلم)؛ في ك (كما نعلم) بدلاً من (كما يعلم).
(٧) في ط (العدل) بدلاً من (العدم).

حجة ضعيفة ولم تذكروا[1] حجة على أنها حدثت بلا محدث، لا أنفسها ولا غيرها، فإن كان امتناع كونها أحدثت نفسها محتاجاً إلى دليل، فكذلك امتناع حدوثها بلا محدث، وإن كان معلوماً ببديهة العقل، وهو من العلوم الضرورية، فكذلك الآخر، فذكر الدليل على أحدهما دون الآخر خطأ لو كنتم ذكرتم دليلاً صحيحاً، فكيف إذا كان الدليل باطلاً؟ ومن يكون مبلغهم من العلم بالأدلة العقلية التي يثبتون بها العلم بالصانع وصفاته هذا المبلغ؟ ثم يريدون مع ذلك أن يثبتوا معاني عقلية ويزعمون أنها موافقة لفهمهم الباطل من الكتب الإلٰهية. فهم ممن قال الله فيهم:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2].

الوجه الثاني عشر[3]: قولكم: فقلنا إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شيء، لننفي عنه العدم.

فيقال لهم: لا ريب أن الله كما وصف نفسه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[5].

---

(١) في ط (تذكر) بدلاً من (تذكروا).

(٢) سورة النور: الآيتان ٣٩، ٤٠.

(٣) في س (الوجه الخامس عشر)؛ في أ (الوجه الرابع عشر) مكرر.

(٤) سورة الشورى: من الآية ١١.

(٥) سورة مريم: من الآية ٦٥.

أي مثلاً يستحق أن يسمى بأسمائه، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1].

وقد دلَّ على ذلك العقل، فإن المثلين اللَّذين يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب للآخر ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مثل للزم أن يشتركا فيما يجب، ويجوز، ويمتنع.

والخالق يجب له الوجود والقدم، ويمتنع عليه العدم، فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديماً أزلياً لم يعدم[2] قط، وكونه محدثاً مخلوقاً يستلزم أن يكون كان معدوماً، فيلزم أن يكون موجوداً معدوماً قديماً محدثاً، وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بدايه[3] العقول، وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له، لوجب كون الواجب للقدم واجب الحدوث بعد[4] العدم وهذا جمع بين النقيضين، فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء، والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر لكن أنتم لم تذكروا على ذلك[5] حجة (بل قلتم أنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شيء فلم تذكروا حجة)[6] على أنه خالق كل شيء، إذ كان عمدتكم على ما شهدتم حدوثه، وليس ذلك كل شيء، ولم تذكروا

---

(١) سورة الإخلاص كلها.

(٢) في ط (يعد) بسقوم (م).

(٣) في ط، ك (بداية) بدلاً من (بدايه).

(٤) في ط (بعدم) بدلاً من (بعد).

(٥) في ط ك (هذا) بدلاً من (ذلك).

(٦) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

حجة مع كونه خالق كل شيء على أنه ليس كمثله شيء، بل قلتم لأننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها لما فيها من التضاد(١) والتقلب فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وذلك لننفي العدم عنه. ودليلكم لو دل على العلم بالصانع لم يدل إلَّا على أنه خالق فكيف إذا لم يدل؟

ولا ريب أن الخالق سبحانه يجب أن يكون موجوداً لا معدوماً، وهذا معلوم بالضرورة، لا يحتاج إلى دليل عند جمهور العقلاء والنظار وإن كان بعضهم أثبت وجوده بالدليل النظري، لكن ليس في دليلكم ما يدل على أنه ليس كالأشياء المخلوقة، وقولكم: إذ هو الخالق لكل شيء يتضمن أنه خالق لكل ما سواه، ليس فيه بيان نفي للمماثلة عنه، ولكن بينتم بهذا الكلام جهلكم بالدلائل العقلية كجهلكم بالكتب المنزلة، وكذلك أخبر تعالى عن أهل النار بأنهم يقولون:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٢).



(١) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

فصل

وأما قولكم: ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيء حي، وشيء غير حي، فوصفناه بأجل القسمين فقلنا إنه حي لننفي الموت عنه.

دلائل وجود الله وحياته

فيقال: لا ريب أن الله حي كما نطقت بذلك كتبه المنزلة التي هي آياته القولية، ودلت على ذلك آياته كمخلوقاته، التي هي آياته الفعلية، قال ــ تعالى ــ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١).

أي القرآن حق، وقد تقدم ذكر القرآن، في قوله:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾(٢).

فالله ــ تعالى ــ يري عباده من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية، ما يبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية.

قال(٣) ــ تعالى ــ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٤).

---

(١) سورة فصلت: من الآية ٥٣.

(٢) سورة فصلت: من الآية ٥٢.
في ط (إن كنا) بدلاً من (إن كان).

(٣) في ط (قوله) بدلاً من (قال).

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

وقال ــ تعالى ــ : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[1].

والدلائل على حياته كثيرة:

منها: أنه قد ثبت أنه عالم، والعلم لا يقوم إلَّا بحي، وثبت أنه قدار مختار يفعل بمشيئته، والقادر المختار لا يكون إلَّا حيّاً.

ومنها: أنه خالق الأحياء وغيرهم، والخالق أكمل من المخلوق، فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من خالقه، وكماله أكمل منه.

والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذات يسلمون هذا، ويقولون كمال المعلول مستفاد من علته، فإذا كان خالقاً للأحياء كان حياً بطريق الأولى والأحرى.

ومنها: أن الحي أكمل من غير الحي، كما قال ــ تعالى ــ : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[2].

فلو كان الخالق غير حي لزم[3] أن يكون الممكن[4] المحدث المخلوق أكمل من الواجب القديم الخالق، فيكون أنقص الموجودين أكمل من أكملها، وهذا الوجه يتناول ما ذكروه من الدليل، وإن كانوا لم يبينوه بياناً تاماً. لكن قولهم[5] قلنا أنه حي لننفي الموت عنه.

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٥٨.

(٢) سورة فاطر: من الآية ٢٢.

(٣) (لزم) ساقطة من ك.

(٤) (الممكن) ساقطة من ط.

(٥) (وإن كانوا لم يبينوا بياناً تاماً، لكن قولهم) ساقطة من س، أ.

كلام مستدرك، فإن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلَّا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال، إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في[1] الوجود.

ولهذا جاء كتاب الله ـ تعالى[2] ـ على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت، كقوله:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3].

فنفى أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته، إذ النوم أخو الموت ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة، كما لا يموتون.

والقيوم: القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته، فلم يكن قائماً ولا قيوماً، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل، لما سألوا موسى: هل ينام ربك؟ فأرقه ثلاثاً[4]، ثم أعطاه قوارير فأخذه النوم فتكسرت[5].

---

(١) (في) ساقطة من ط.

(٢) (تعالى) ساقطة من ط.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٤) (فأرقه ثلاثاً) ساقطة من أ. في ط (ثلاثة) بدلاً من (ثلاثاً).

(٥) لم أعثر على هذا النص في العهد القديم أو الجديد بالرغم من بحثي في الفهرس الخاص بذلك نشر مكتبة المشعل بيروت، إنما وجدت في نفي النوم عن الرب ـ سبحانه ـ نصاً في المزمور ١٢١ (إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل)، فقرة ٤.
انظر: العهد القديم ص ٩٢٣.
وقد نقل ابن كثير في تفسيره ٣٠٨/١ ـ ٣٠٩ آثاراً بهذا المعنى بعضها من الإسرائيليات. وأحسن ما فيها موقوف على التابعين.

بين بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لنفد العالم، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾[1].

فإنكاره ونفيه أن يشفع أحد عنده إلَّا بإذنه يتضمن كمال ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته كان مشاركاً له، إذ صارت شفاعته سبباً لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه فإنه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾[2].

فنفى أن يعلم أحد شيئاً من علمه إلَّا بمشيئته ليس إلَّا[3] أنه منفرد بالتعليم، فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحد شيئاً إلَّا بتعليمه، كما قالت الملائكة:

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٣) (إلَّا) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٣٢.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥. في س زاد كلمة (وهو العلي) في آخر الآية.

أي لا يكرثه ولا يثقل عليه، فبين[1] بذلك كمال قدرته، وأنه لا يلحقه أدنى مشقة، ولا أيسر كلفة في حفظ المخلوقات، كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[2].

بيَّن بذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه اللغوب في الأعمال العظيمة مثل خلقه السماوات والأرض، كما يلحق المخلوق اللغوب إذا عمل عملاً عظيماً، واللغوب: الإنقطاع والإعياء، وهذا باب واسع مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها، وإذا وصف بالسلوب[3]، فالمقصود هو إثبات الكمال، وهؤلاء قالوا: قد وصفناه بالحياة لننفي عنه الموت[4]، كما قالوا: هو شيء لننفي العدم عنه، والحياة صفة كمال يستحقها بذاته، والموت مناقض لها، فلم يوصف بالحياة لأجل نفي الموت، بل وصفه بالحياة يستلزم نفي الموت، فينفي عنه الموت لأنه حي، لا يثبت له الحياة لنفي الموت، وكذلك لتثبت له أنه شيء موجود، وذلك يستلزم نفي العدم عنه[5]، لا أن إثبات وجوده لأجل نفي العدم، بل نفي العدم عنه

(١) في س، أ (تبين) بدلاً من (فبين).
(٢) سورة قٓ: من الآية ٣٨.
(٣) في ط (بالغلوب) بدلاً من (بالسلوب).
(٤) في ط (بالموت) بزيادة (بـ).
(٥) (عنه) ساقطة من س، أ.

لأجل وجوده، كما أن[١] نفى الموت عنه لأجل حياته، وكذلك قولهم: قلنا[٢]: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة وذلك لننفي العدم عنه، لكن كان مرادهم ـ والله أعلم ـ وإن كانت عبارتهم قاصرة ـ إثبات الوجود، ونفي العدم، وإثبات الحياة ونفي الموت.



(١) في ط (كما أن الموت) بزيادة (الموت).
(٢) في ط (قولنا) بدلاً من (قلنا).

فصل

طُرق معرفة صفات الرب

ثم قالوا: ورأينا الحي ينقسم قسمين: حياً ناطقاً، وحياً غير ناطق فوصفناه[1] بأفضل الوصفين، فقلنا: إنه ناطق لننفي الجهل عنه.

فيقال لهم: لا ريب أن الرب سبحانه موصوف بأنه حي عليم قدير متكلم مختار، لكن قولهم: فقلنا إنه ناطق لننفي الجهل عنه يقتضي أنكم أردتم النطق المناقض للجهل. وهذا هو العلم، فإن العلم يناقض الجهل، لم تريدوا بذلك النطق الذي هو العبارة والبيان، ولم تريدوا بذلك ما جعله بعض النظار كلاماً، وهي معاني قائمة بالنفس ليست من جنس العلوم، ولا من جنس الإرادات، وحينئذ فيقال لكم: ليس في الأحياء إلاَّ ما هو شاعر، فكل حي فله شعور بحسبه[2].

وكلما قويت الحياة قوي شعورها، وشعور الحيوان قد يعبر عنه بلفظ العلم، كما يقول الناس: علم الفهد والبازي[3] والكلب، ويقال: كلب معلم وغير معلم وبازي معلم.

---

(١) في س، أ، ك (وصفناه) بسقوط (فـ).

(٢) في ط (بحبسه) بدلاً من (بحسبه).

(٣) **الفهد**: حيوان معروف من الثدييات يدرب على الصيد، طويل الأرجل، أعفر الجلد، به بقع سوداء.

البازي: نوع من الصقور طائر، قد يعلم ويستعمل في الصيد.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٢٧، ٣١٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله فقتل فكل»[2] ولا ريب[3] أن العلم[4] صفة كمال، فالعالم[5] أكمل من الجاهل[6]، والدلائل الدالة[7] على علم الله كثيرة، مثل أنه سبحانه خالق كل شيء بإرادته.

والإرادة تستلزم تصور المراد فلا بد أن يعلم المخلوقات قبل أن يخلقها.

وكلما وجد في الخارج فهو موجود وجوداً معيناً يمتاز به عن غيره، فإذا خلقها كذلك فلا بد أن يعلمها علماً مفصلاً يمتاز به كل معلوم عما سواه، ولو قدر أنه علمها على وجه كلي فقط، لم يكن علم منها شيئاً،

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٤.

(٢) انظر: * صحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب ٣٣ ـ عن عدي بن حاتم بمعناه. وفي كتاب البيوع ـ باب ٣ ـ عن عدي بمعناه. وفي كتاب الذبائح ـ باب ٢، ٩ ـ عن عدي بمعناه.
* صحيح مسلم ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب ١ ـ حديث رقم ١، ٥ ـ عن ابن حاتم بلفظه إلاَّ كلمة (فقتل) غيرت بقوله: قلت وإن قتلن قال وإن قتلن.
* مسند الإمام أحمد ٤/١٩٤ ـ عن أبي ثعلبة الخشني بمعناه. و ٤/٢٥٦ عن عدي بن حاتم بلفظه إلاَّ كلمة (فقتل).

(٣) في ط (لا ريب) بسقوط (و).

(٤) في ك (المعلم) بدلاً من (العلم).

(٥) في س (فالعلم) بدلاً من (فالعالم).

(٦) في س (الجهل) بدلاً من (الجاهل).

(٧) في ك (الدال) بدلاً من (الدالة).

لأن الكلي إنما يكون كلياً في الأذهان. وأما ما هو موجود في الخارج فهو معين مختص بعينه ليس بكلي.

وكل واحد من الأفلاك معين، فلو لم يعلم إلَّا الكليات لم يكن عالماً بشيء من الموجودات، وقد بسط في غير هذا الموضع[1] تمام الكلام على هذا وبين فساد شبه نفاة[2] ذلك بما ادعوه من لزوم التغيير أو التكثر، وبين أنه لا يلزم من ثبوت علم الله بالأشياء كلها على وجه التفصيل محذور ينفيه دليل صحيح.

فإن التكثر فيما يقوم به من المعاني هو مدلول الأدلة العقلية والسمعية فإنه عالم قادر حي[3]، وليس العلم هو القدرة، ولا القدرة هي الحياة ولا الصفة هي الموصوف، (ومن جعل كل صفة هي الأخرى، وجعل الصفات هو الموصوف)[4]، فهو قول في غاية السفسطة.

وأيضاً فإنه خالق العالمين من الملائكة والجن والإنس، وجاعلهم علماء، فيمتنع أن يجعل غيره عالماً من ليس هو في نفسه بعالم، فإن العلم صفة كمال، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، وكل كمال للمخلوق فهو من الخالق[5]، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، وأيضاً فإن في الممكنات المحدثة المخلوقة ما هو عالم، والواجب القديم الخالق أكمل من الممكن المحدث، فيمتنع أن يتصف بالكمال الموجود

---

(١) في ط (الموضوع) بدلاً من (الموضع).
(٢) في ط (نفاق) بدلاً من (نفاة).
(٣) في أ (حي القدرة) بزيادة (القدرة).
(٤) ما بين القوسين ساقط في أ.
(٥) في ط (الخلق) بدلاً من (الخالق).

النـاقص الخسيس، دون الموجـود الكامـل الشريف. وهـذا يتناول معنى حجتهم.

وأيضاً فإنه حي، والحياة مستلزمة لجنس العلم، وإذا كانت حيـاته أكمل من كل حياة فعلمه أكمل من كل علم، لكن، يقال لكم: كما أنـه حي عالم فهو أيضاً قادر، فما[1] ذكرتم بأن الموجودات أو الأحياء تنقسم إلى قادر وغير قادر، فيجب أن يوصف بأجل القسمين، وهو القدرة.

لا سيما ودلائل كونه قادراً أظهر من دلائل كونـه عالمـاً، فإن نفس كونه خالقاً فاعلاً يستلزم كونه قادراً، فإن الفعل بدون القـدرة ممتنع حتى إذا قيل: إن الجماد يفعل فإنما يفعل بقوة فيه كـالقوى الـطبيعية التي في الأجسام الطبيعية، فيمتنع في خالق العالم أن لا يكون له قوة، ولا قدرة، قال ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[3].

وفي صحيـح البخاري حـديث الاستخـارة: (اللهم إني أستخيـرك بعلمـك وأستقدرك بقـدرتك، وأسـألك من فضلك العـظيم، فإنـك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب)[4].

---

(١) في ط (فيما) بدلاً من (فما).
(٢) سورة الذاريات: من الآية ٥٨.
(٣) سورة فصلت: من الآية ١٥.
في س، أ، ك (خلق السماوات والأرض) بدلاً من (خلقهم).
(٤) سبق تخريجه.

وكثير من نظار المسلمين المصنفين في أصول الدين الذين يقيمون الدليل على كونه قادراً قبل كونه عالماً وحياً، ويقولون[1] العلم بذلك أسبق في السلوك الاستدلالي[2]، النظري، لدلالة الأحداث والفعل على قدرة المحدث الفاعل، فيجب أن يثبتوا له صفة القدرة مع العلم.

وكذلك يقولون: إن الحي لما كان ينقسم إلى سميع، وغير سميع، وبصير، وغير بصير، وصفناه بأشرف القسمين، وهو السميع والبصير[3].

وكذلك في النطق إذا أريد به البيان والعبارة، ولم يرد به مجرد العلم، أو معنى من جنس العلم فإن الحي ينقسم إلى متكلم، ومبين معبر عما في نفسه، وإلى ما ليس كذلك، فيجب أن تصفوه بأشرف القسمين، وهو الكلام المبين المعبر عما في النفس من المعاني.

ومما يستدل به على ثبوت جميع صفات الكمال أنه لو لم يوصف بكونه حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً لوصف[4] بضد ذلك، كالموت والجهل والعجز والصمم والبكم والخرس، ومعلوم وجوب تقدسه عن هذه النقائص، بل هذا معلوم بالضرورة العقلية، فإنه أكمل الموجودات، وأجلها وأعظمها، ورب كل ما سواه وخالقه ومالكه، وجاعل كل ما سواه حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً، فيمتنع أن يكون هو شيئاً عاجزاً جاهلاً أصم أبكم أخرس، بل من المعلوم بضرورة العقل أن المتصف بهذه النقائص يمتنع أن يكون فاعلاً، فضلاً عن أن يكون خالقاً لكل شيء.

---

(١) في ط (ويقول) بدلاً من (ويقولون).

(٢) في ك (الاستدلال) بدلاً من (الاستدلالي).

(٣) في أ (البصير) بسقوط (و).

(٤) في ك، أ (يوصف) بدلاً من (لوصف).

ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن[1] اتبعهم هنا سؤال مشهور وهو: أنه إنما يلزم إذا لم يتصف بصفات[2] الكمال أن يوصف بأضدادها إذا كان قابلاً لها[3]، (فأما إذا لم يكن قابلاً لها لم يلزم.

قالوا[4]: هذه الصفات)[5] متقابلة تقابل[6] العدم والملكة، وهو عدم الشيء عما من شأنه أن يكون[7] قابلاً له كعدم الحياة والسمع والبصر.

والكلام عن الحيوان الذي هو القابل له، فإذا لم يكن قابلاً له كالجماد، فلا[8] يسمى مع عدم الحياة والسمع والبصر والكلام ميتاً ولا أصم ولا أعمى ولا أخرس.

وجواب ذلك من أوجه:

أحدها: أنه إما[9] أن يكون قابلاً للاتصاف بصفات الكمال، وإما أن لا يكون.

فإن لم يكن قابلاً لزم أن يكون أنقص ممن قبلها، ولم يتصف

---

(١) (ومن) ساقطة من ط.

(٢) (بصفات) ساقطة من ط.

(٣) (إذا كان قابلاً لها) ساقطة من ط.

(٤) في ط (وقالوا) بزيادة (و).

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.
في س (فإذا لم يكن قابلاً لها لم يلزم. قالوا وهذه الصفات...) بدل ما بين القوسين.

(٦) (تقابل) ساقطة من ط.

(٧) (أن يكون) ساقطة من ك.

(٨) في ك (ولا) بدلاً من (فلا).

(٩) (إما) ساقطة من ط.

بها، فالجماد أنقص من الحيوان الذي لم يتصف بعد بصفات كماله، وإن كان قابلاً لها لزم ـ إذا عدمها ـ أن يتصف بأضدادها.

وهؤلاء قد يقولون في إثباتها تشبيه له بالحيوان. فيقال لهم: وفي نفيها تشبيه له بالجماد الذي هو أنقص من الحيوان، فإذا لم يكن في نفيها تشبيه له بالجماد، فكذلك لا يكون في إثباتها تشبيه له بالحيوان، وإن كان في ذلك تشبيه بالحيوان فهو محذور، فالمحذور في تشبيهه بالجماد أعظم وإن لم يكن مثل هذا التشبيه محذوراً في ذلك، فأن لا يكون محذوراً في هذا بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن جعلهم سلب الموت والصمم والبكم عن[1] الجماد لزعمهم[2] أنه غير قابل لها إصطلاح محض، فإنه موجود في كلام الله تسمية الجماد ميتاً، كما قال ـ تعالى ـ في الأصنام:

﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[3].

الوجه[4] الثالث: أنه يكفي عدم هذه الصفات، فإن مجرد عدم الحياة والعلم والقدرة صفة نقص سواء قدر الموصوف قابلاً لها أو غير قابل، بل إذا قدر أنه غير قابل لها كان ذلك أبلغ في النقص.

فعلم أن نفي هذه الصفات عنه، ونفي قبولها يوجب أن يكون أنقص من الحيوان الأعمى الأصم الذي يقبلها، وإن لم يتصف بها.

الوجه الرابع: أن الكمال في الوجود، والنقص في العدم، فنفس

---

(١) في ط (على) بدلاً من (عن).
(٢) في ط (ولزعمهم) بزيادة (و).
(٣) سورة النحل: من الآية ٢١.
(٤) (الوجه) ساقطة من س، أ، ك.

ثبوت هذه الصفات كمال، ونفس نفيها[1] نقص، وإن لم يتصف بها لزم نقصه، وأن يكون المفعول أكمل من الفاعل، وأن يكون المحدث الممكن[2] المخلوق[3] أكمل من القديم الأزلي الواجب الوجود الخالق، وهذا ممتنع في بدايه[4] العقول، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع، ولكن نبهنا عليها هنا لبيان بعض الطرق التي بها تعرف[5] صفات الرب، وبيان أن هؤلاء القوم من أجهل أهل الملل بالرب.

والطرق التي يعرف بها كماله فيها العقلية والسمعية، وأن القوم عندهم من ألفاظ الأنبياء ما لم يفهموا كثيراً منه وما حرفوا[6] كثيراً منه، وعندهم من المعقول[7] في ذلك ما يفضلهم اليهود فيه، لكن[8] اليهود، وإن كانوا أعلم[9] منهم، فهم أعظم عناداً وكبراً وجحداً[10] للحق. والنصارى أجهل وأضل من اليهود. لكن[11] هم أعبد وأزهد وأحسن أخلاقاً، ولهذا كانوا أقرب مودة للذين آمنوا من اليهود[12] والمشركين.



(١) في أ، س (ما نفيها) بزيادة (ما).
(٢) في أ، س (الممكن المحدث) بدلاً من (المحدث الممكن).
(٣) (المخلوق) ساقطة من ط، ك.
(٤) في ط، ك (بداية) بدلاً من (بدايه).
(٥) في أ، ك (يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٦) في ط (حرفوه) بدلاً من (حرفوا).
(٧) في س، أ (المعقولات) بدلاً من (المعقول).
(٨) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(٩) في ط (أعظم) بدلاً من (أعلم).
(١٠) في ط (وجهداً) بدلاً من (جحداً).
(١١) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(١٢) (اليهود) ساقطة من ط.

فصل

قالوا: والثلاثة أسماء، فهي[1] إله واحد ورب واحد، وخالق واحد[2]، مسمى[3] واحد لم يزل ولا يزال[4] شيئاً حياً ناطقاً، أي[5] الذات، والنطق، والحياة.

بيان أسماء الله تعالى

فالذات عندنا: الأب الذي هو ابتداء الاثنين.

والنطق: الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل.

والحياة: هي الروح القدس.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن أسماء الله تبارك و[6]تعالى متعددة كثيرة، فإنه:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

---

(١) في أ (وهي) بدلاً من (فهي).

(٢) (واحد) ساقطة من أ.

(٣) في س، ط، ك (ومسمى) بزيادة (و).

(٤) في س، أ، ك (يزول) بدلاً من (يزال).

(٥) في أ (أبدى) بدلاً من (أي).

(٦) (تبارك و) ساقطة من ط، ك.

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ[3]:

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[5].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[6].

---

(١) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.
﴿هو الله الذي لا إله﴾ في أ، س، ك سقطت (هو).
﴿هو الرحمن الرحيم﴾ في ك سقطت (هو).

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٨٠.

(٣) (وقال تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١٠.

(٥) سورة طه: الآيات ١ ـ ٨.

(٦) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب ٦٨ ـ عن أبي هريرة بمعناه.
* صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ـ باب رقم ٢ ـ في أسماء الله ـ حديث =

وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحهما أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً(١) من أحصاها دخل الجنة، وإلَّا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك، كما في الحديث الآخر الذي رواه أحمد في مسنده، وأبو حاتم في صحيحه، عن ابن مسعود(٢)، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «ما أصاب عبداً قط همّ ولا حزن وقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلَّا أذهب الله همه وغمه، وأبدل مكانه فرحاً»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن، قال: «بلى ينبغي لمن

= رقم ٥ ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بمعناه. وحديث رقم ٦ في نفس المكان بلفظه.

* سنن الترمذي ــ كتاب الدعوات ــ باب ٨٦ ــ حديث رقم ٣٥٧٣ ــ عن أبي هريرة بلفظه ــ مع زيادة جملة «مائة غير واحد».

* سنن ابن ماجة ــ كتاب الدعاء ــ باب ١٠ ــ حديث رقم ٣٨٦٠ ــ عن أبي هريرة بلفظ الترمذي.

(١) (اسماً) ساقطة من أ، ك.

(٢) **ابن مسعود**: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي صحابي جليل من المسلمين السابقين للإسلام شهد مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المشاهد كلها وأخذ الحديث عنه وعن عدد من الصحابة وروى عنه جماعة من التابعين منهم علقمة ومسروق وقيس بن أبي حازم ــ شهد فتوح الشام وسيّره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، وأمره عثمان ــ رضي الله عنه ــ على الكوفة ثم عزله فأمره بالرجوع إلى المدينة. توفي سنة ٣٢هـ وله من العمر نيف وستون سنة ــ رضي الله عنه ــ.

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٢٥٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٧٠.

سمعهن أن يتعلمهن»[١].

وإذا كانت أسماء الله كثيرة، كالعزيز والقدير وغيرها، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل، وأي شيء زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء به[٢] دون غيرها[٣] فهو[٤] باطل، كما قد بسط في موضع آخر.

الوجه الثاني: قولهم الأب الذي هو[٥] ابتداء الاثنين، والابن: النطق الذي هو مولود منه، كولادة النطق من العقل، كلام باطل، فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب ـ عز وجل ـ أولاً وآخراً، ولم يزل ولا يزال[٦] حياً عالماً قادراً، لم يصر حياً بعد أن لم يكن حياً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً.

فإذا قالوا: إن الأب الذي هو الذات، هو ابتداء الحياة والنطق اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، وأن يكون فاعلاً للحياة والنطق[٧]، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدماً عليه أو فاعلاً له.

وهذا في حق الله باطل.

وكذلك قولهم: إن النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غيره متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٩١، ٤٥٢ ـ عن عبد الله بمعناه.
(٢) (به) ساقطة من ط، س، أ.
(٣) (به دون غيره) ساقطة من أ.
(٤) في أ (وهو) بدلاً من (فهو).
(٥) (هو) ساقطة من س، أ، ك.
(٦) في أ (لم يزال) بدلاً من (لم يزل ولا يزال).
(٧) (أن يكون فاعلاً للحياة والنطق) ساقطة من ط.

شيئاً فشيئاً، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان فكلاهما لم يكن لازماً للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلة له ناطقة بالقوة[1]، فإذا مثلوا تولد[2] النطق من الرب كتولده عن العقل لزم أن يكون الرب كان ناطقاً بالقوة، ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم أنه صار عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة، فإنه[3] لا شيء غيره يجعله[4] متصفاً بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفاً بها، إذ كل ما سواه فهو مخلوق له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً.

وذلك دور ممتنع في صريح العقل، إذ كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، فإذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها، لزم الدور الممتنع، مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً منه، كتولد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها.

الوجه الثالث: أن قولهم في الابن أنه مولود من الله إن أرادوا به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس

---

(١) في ط (له بالقوة) بزيادة (له).
(٢) في ط، ك (قوله) بدلاً من (تولد).
(٣) في ط (أنه) بدلاً من (فإنه).
في ك، أ (بأنه) بدلاً من (فإنه).
في أ (لا بشيء) بدلاً من (فإنه).
(٤) في ط (لجعله) بدلاً من (يجعله).

أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، صار[1] عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة، وهو أنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً.

الوجه الرابع: أن تسمية[2] حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم.

الوجه الخامس: أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم، وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة، كان المسيح هو الأب، وكان المسيح نفسه هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر.

وإن قالوا: المتحد به هو العلم، فالعلم صفة لا تفارق العالم، ولا تفارق الصفة الأخرى التي هي حياة، فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات، ودون الحياة.

الوجه السادس: أن العلم ــ أيضاً ــ صفة، والصفة[3] لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضاً فهو عندهم خالق السماوات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإلّه المعبود هو الإلّه الحي العالم القادر، وليس هو نفس الحياة، ولا نفس العلم والكلام.

فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله، اغفر

(١) (صار) ساقطة من ط.
(٢) في ط (تسميته) بدلاً من (تسمية).
(٣) (والصفة) ساقطة من س، أ.

لي، وارحمني واهدني، كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يجوز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير[1] ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإلّه المتكلم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني.

والمسيح ــ عليه السلام ــ عندكم هو الإلّه الخالق الذي يقال له اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله، وكلامه لم يجز أن يكون إلّهاً معبوداً فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال له: كن فيكون؟

فتبين من[2] ذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، وفي الكتب الإلّهية كالتوراة أنه خلق الأشياء بكلامه، وكان في أول التوراة أنه قال: (ليكن كذا ليكن كذا)[3].

ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة، بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو مخلوق[4] بكلمة من كلمات الله ــ عز وجل ــ .

الوجه السابع: أن أمانتكم التي وضعها أكابركم بحضرة «قسطنطين»[5]، وهي عقيدة إيمانكم التي جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإلّه واحد، وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه.

وهذان أمران معروفان في دينكم تناقضكم وإظهاركم في المناظرة

---

(١) في س (أو غير ذلك) بزيادة (أ).
(٢) (من) ساقطة من س، أ، ك.
(٣) انظر: سفر التكوين ــ الإصحاح الأول ص ٣.
(٤) في ط (المخلوق) بزيادة (الـ).
(٥) سبق التعريف به.

بخلاف ما تقولونه من أصل دينكم[١]، فإن «الأمانة» التي اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها: (أومن[٢] بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي ـ من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا ـ نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وأيضاً سيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن[٣] المسجود له، وممجد ناطق في[٤] الأنبياء، كنيسة واحدة جامعة رسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وابن جاء لقيامة[٥] الموتى، وحياة الدهر العتيد[٦]، كونه أمين)[٧].

---

(١) في ط، س (إيمانكم) بدلاً من (دينكم).
(٢) في ط (نؤمن) بدلاً من (أؤمن).
(٣) في ط (وابن) بدلاً من (والابن).
(٤) في ط (من) بدلاً من (في).
(٥) في س، أ، ك (قيامة).
(٦) في ط (العبيد) بدلاً من (العتيد).
(٧) هذا النص موجود في رواية الأرثوذكس ما نصه: (نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل).
انظر النص بطوله في خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٩٩ ـ ١٠١.
وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م زيد على النص عند الكاثوليك: (وبالروح القدس =

ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم ذكر الإيمان بثلاثة أشياء بإله واحد خالق السماوات والأرض، خالق[1] ما يرى وما لا يرى، فهذا هو رب العالمين الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والمرسلين، وهو الذي دعت جميع الرسل إلى عبادته وحده لا شريك له ونهوا أن يعبد غيره، كما قال الله[2] ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[4].

ثم قلتم: (وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من

= الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له».

وأما نص الأرثوذكس فقالوا: (ونؤمن بالروح القدس المحيي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق في الأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين).

انظر: ص ٦٦ إيماني، تأليف القس إلياس مقار، ط. دار الثقافة بالقاهرة.

وعلى ذلك نجد مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ ميلادية قرر فيه الكاثوليك أن: المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين، أما الأرثوذكس فقد رفضوا هذه العقيدة واعتبروا الله هو المسيح، والمسيح نفسه هو الله، فقالوا: إن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

(١) (خالق) مكررة في ك، س.

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ، ك.

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٢٥.

(٤) سورة الزخرف: من الآية ٤٥.

الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ الأب في الجوهر)، فصرحتم بالإيمان مع خالق السماوات والأرض برب واحد مخلوق، مساو الأب[1] ابن الله الوحيد، وقلتم: (هو إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه).

وهذا تصريح بالإيمان بإلّهين، أحدهما من الآخر، وعلم الله القائم به أو كلامه أو حكمته القائمة به الذي سميتوه ابناً ــ، ولم يسم أحد من الرسل صفة الله ابناً ــ ليس هو إلّه حق من إلّه حق، بل إلّه واحد. وهذا صفة الإلّه، وصفة الإلّه ليست بإلّه، كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليس بآلهة، ولأن الإلّه واحد، وصفاته متعددة، والإلّه ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها، والصفة قائمة بالموصوف، ولأنكم سميتم الإلّه جوهراً، وقلتم: هو القائم بنفسه. والصفة ليست جوهراً قائماً بنفسه.

وهم في هذه الأمانة قد جعلوا الله والداً وهو الأب، ومولداً وهو الابن، وجعلوه مساوياً له في الجوهر، وقد نزه الله نفسه عن الأنواع الثلاثة، فقالوا: مولود غير مخلوق مساو الأب في الجوهر، فصرحوا بأنه مساو له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوىٰ.

ولا يساوي الأب في الجوهر إلَّا جوهر، فوجب أن يكون الابن[2] جوهراً ثانياً، وروح القدس جوهراً ثالثاً كما سيأتي.

وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك: إنما نثبت جوهراً واحداً وإلّهاً واحداً، وهذا جمع بين النقيضين،

---

(١) (مخلوق، مساو الأب) ساقطة من س، أ.

(٢) في ط، ك، س (الأب) بدلاً من (الابن).

فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهر واحد، وبين إثباته ثلاثة جواهر، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله[1]:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2].

فنزَّه نفسه أن يلد كما يقولون: هو الأب، وأن يولد كما يقولون: هو الابن، وأن يكون له كفواً أحد، كما يقولون: إن له من يساويه في الجوهر.

وإذا قلتم نحن نقول أحدي الذات، ثلاثي الصفات، قيل لكم: قد صرحتم بإثبات إلَه حق من إلَه حق وبأنه[3] مساو للأب في الجوهر، وهذا تصريح بإثبات جوهر ثاني لا بصفة، فجمعتم بين القولين، بين إثبات ثلاثة جواهر، وبين دعوى إثبات جوهر واحد، ولا ينجيكم من هذا اعتذار من اعتذر[4] منكم كيحيى بن عدي[5] ونحوه، حيث قالوا: هذا بمنزلة قولك: زيد الطبيب الحاسب الكاتب، ثم تقول: زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب[6].

فهو مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الأخرى، وقد يفسرون الأقنوم بهذا، فيقولون الأقنوم هو الذات مع الصفة، فالذات مع

---

(١) في س، ك، أ (هذا بقوله) بزيادة (هذا).
(٢) سورة الإخلاص كلها.
(٣) في ط، ك (أنه) بسقوط (بـ).
(٤) (من اعتذر) ساقطة من أ.
(٥) سبقت ترجمته.
(٦) (تقول: زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب) ساقطة من أ.

كـل صفة أقنـوم، فصارت[1] الأقـانيم ثلاثـة، لأن هذا المثـال لا يـطابق قـولكم، فإن زيـداً هنا هـو جوهـر واحـد لـه ثـلاث[2] صفـات: الـطب والحساب والكتابة، وليس هنا ثلاثة جواهر، ولكن لكل صفة حكم ليس للأخرى.

ولا يقول عاقل: إن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر، ولا أن الذات مع هذه الصفة تسـاوى الـذات مـع الصفـة الأخرى في الجـوهر، لأن الذات واحدة، والمساوي ليس هو المساوى، ولأن الذات مع الصفة هي الأب فإن كان هذا هو الذي اتحد بـالمسيح فـالمتحد بـه هو الأب، ولأنكم قلتم عن هـذا الذي قلتم: (إنـه إلّه حق من إلّه حق، من جـوهر أبيـه الذي هـو مسـاو الأب في الجـوهـر وأنه[3] نـزل، وتجسـد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتـألم) فاقتضى[4] ذلـك أن يكـون الإلّه الحق المسـاوي لـلأب في الجـوهـر صلب وتـألم، فيكـون اللاهوت مصلوباً متألمـاً، وهذا تقـر به طـوائف منكم، وطوائف تنكـره، لكن مقتضى أمانتكم هو الأول.

وأيضاً فإذا كان تجسد من روح القـدس ومريم، فـإن[5] كان روح القـدس هو حيـاة الله، كما زعمتم، فيكـون المسيح كلمـة الله وحياتـه، فيكون لاهوته أقنومين من الأقانيم الثلاثة، وعندهم إنما هو أقنـوم الكلمة

---

(١) في ط (فصار) بسقوط (ت).

(٢) (ثلاث) ساقطة من ط.
في س، ك (ثلاثة) بدلاً من (ثلاث).

(٣) في ط، ك (الذي) بدلاً من (أنه).

(٤) في ط (اقتضى) بسقوط (فـ).

(٥) في ط (فإذا) بدلاً من (فإن).

فقط، وإن كان روح القدس ليس هو حياة الله بطل تفسيركم لروح القدس بأنه[1] حياة الله.

وقيل[2] لكم: لا يجب أن يكون روح القدس صفة للَّه ولا أقنوماً.

ثم ذكرتم في عقيدة أمانتكم أنكم تؤمنون بروح القدس الرب المحيي، فأثبتم رباً ثالثاً، قلتم: المنبثق من الأب. والانبثاق: الانفجار، كالاندفاق والانصباب، ونحو ذلك. يقال: بثق السيل موضع كذا، يبثقه بثقاً أي خرقه وشقه فانبثق أي انفجر، فاقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيي انفجر من الأب واندفق منه.

ثم قلتم: (هو مع[3] الأب مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء) فجعلتموه مع الأب مسجوداً له فأثبتم إلّهاً ثالثاً يسجد له.

ومعلوم أن حياة الله التي هي[4] صفته[5] ليست منبثقة منه، بل هي قائمة به لا تخرج عنه ألبتة، وهي صفة لازمة له لا تتعلق بغيره، فإن العلم يتعلق بالمعلومات، والقدرة بالمقدورات والتكليم بالمخاطبين بخلاف التكلم فإنه صفة لازمة، يقال: علم الله كذا، وقدر الله على كل شيء، وكلم الله موسى.

وأما الحياة: فاللفظ الدال عليها لازم لا يتعلق بغير الحي، يقال

---

(١) في أ، ك، ط (فإنه) بدلاً من (بأنه).
(٢) في أ (فقيل) بدلاً من (وقيل).
(٣) (مع) ساقطة من ط.
(٤) في ط (هي التي) بدلاً من (التي هي).
(٥) في س (صفة) بدلاً من (صفته).

حياً يحيا حياة، ولا يقال حيّاً[1] كذا ولا بكذا، وإنما يقال: أحيا كذا. والإحياء فعل غير كونه حياً، كما أن التعليم غير العلم، والأقدار غير القدرة والتكليم غير المتكلم، ثم جعلتم روح القدس هذا ناطقاً[2] في الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، وحياة الله صفة قائمة به لا تحل في غيره، وروح القدس الذي تكون في الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به، ولو كان روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلّهاً معبوداً قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عندكم، فإن المسيح لما اتحد به أحد الأقانيم صار ناسوتاً ولاهوتاً، فإذا كان روح القدس الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقاً في الأنبياء كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح، وأنتم لا تقرون بالحلول والاتحاد إلَّا للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له.

وهم تارة يشبهون الأقنومين ــ العلم والحياة التي يسمونها: الكلمة وروح القدس ــ بالضياء والحرارة التي للشمس، مع الشمس، ويشبهون ذلك بالحياة والنطق الذي للنفس مع النفس[3]، وهذا تشبيه فاسد، فإنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس[4]، فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها ولم تتحد بغيرها، كما أن صفة النفس[5] كذلك. هذا إن قيل[6] إن الشمس تقوم بها حرارة، وإلَّا فهذا ممنوع.

---

(١) في س، أ، ك (حي) بدلاً من (حياً).

(٢) في س، ك (ناطق) بدلاً من (ناطقاً).

(٣) في ط (المشمس) بدلاً من (النفس).

(٤) في ط (النفس) بدلاً من (الشمس).

(٥) في ط (الشمس) بدلاً من (النفس).

(٦) (إن قيل) ساقطة من أ.

والمقصود هنا: بيان فساد كلامهم وقياسهم.

وإن أرادوا ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها، كالشعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة(1) القائمة بذلك كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه:

منها: أن هذه أعراض منفصلة بائنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها، ونظير هذا ما يقوم بقلوب الأنبياء من العلم والحكمة والوحي الذي أنذروا به، وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيئاً من اللاهوت، وإنما فيه آثار حكمته وقدرته.

ومنها: أن الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران أعراض قائمة بغير الشمس، والكلمة وروح القدس عندهم هما جوهران.

ومنها: أن هذا ليس هو الشمس، ولا صفة من صفات الشمس، وإنما هو أثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس، ومثل هذا لا ينكر قيامه بالأنبياء والصالحين، ولكن ليس للمسيح ـ عليه السلام ـ بذلك اختصاص، فما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين، وما لم يحل بغيره لم يحل به فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلّهاً دون غيره من الرسل، ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت، كما لم تتحد الشمس ولا صفاتها القائمة بها بالهواء، والأرض التي حصل بها الشعاع والحرارة.



(1) (الحرارة) ساقطة من أ.

فصل

ردّ دعواهم أنَّ الله قد سمَّى نفسه أباً، وابناً وروح قُدس

قالوا: وهذه الأسماء لم نسمه نحن معشر النصارى بها من ذات أنفسنا، بل الله سمى لاهوته بها، وذلك أنه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً بني[1] إسرائيل قائلاً: (أليس هذا الأب الذي صنعك وبراك واقتناك)[2]؟ وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترف على الماء)[3] وقوله على لسان داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني)[4] وأيضاً على لسانه: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض وبروح فاه جميع قواتهن[5])[6].

وقوله على لسان أشعيا: (ييبس القتاد ويجف العشب، وكلمة الله

---

(١) في أ، س، ك (لبني) بزيادة (لـ).

(٢) هذا النص في العهد القديم ص ٣٣٢ ـ سفر التثنية ـ الإصحاح ٣٢ كما يلي: (٦ ـ أليس هو أباك ومقتنيك هو عملك وأنشأك).

(٣) في سفر التكوين العهد القديم الإصحاح الأول الآتي (١ ـ وروح الله يرى على وجه الماء).

(٤) هذا النص في المزامير كما يلي (لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني).
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح الحادي والخمسين ص ٨٦٨.

(٥) في ط، س، أ (قواهن) بدلاً من (قواتهن) وصححت من رسالة بولس ص ٨.

(٦) هذا النص في الإصحاح الثالث والثلاثين في (المزامير) كما يلي: (٦ ـ بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنوده) وهو بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٨٥٤.

باقية إلى الأبد)[1]، وعلى لسان أيوب[2] الصديق: (روح الله خلقني وهو يعلمني)[3].

وقال السيد المسيح في الإنجيل المقدس للتلاميذ الأطهار: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[4]، وقد قال في هذا الكتاب:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[5].

وقال[6] أيضاً:

﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[7].

وقال أيضاً:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[8].

---

(١) هذا النص في الإصحاح التاسع والثلاثين ـ أشعيا النبي ـ كما يلي: (٨ ـ يبس العشب وذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٣٩.

(٢) **أيوب**: أحد أنبياء بني إسرائيل ورد اسمه وقصته في القرآن امتحنه الله في ماله وأهله، وبدنه فصبر إلى أن وهبه الله العافية، وله سفر في العهد القديم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٦.

(٣) الإصحاح ٣٨ ـ سفر أيوب: (أشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتعلمني) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٨٢٨.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٣/ ١٣٣.

(٥) سورة الصافات: من الآية ١٧١.

(٦) في س، ك (فقال) بدلاً من (وقال).

(٧) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٨) سورة النساء: من الآية ١٦٤.

وقال في سورة التحريم:

﴿...وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1].

وسائر[2] المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلَّا لحي ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء، وكل صفة منها غير الأخرى والإلّه واحد لا يتبعض ولا يتجزأ.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن تقول: إن[3] كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلَّا حقاً وصدقاً، ولا يكون فيه شيء يعلم بطلانه بصريح العقل، وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء، ولا يكون كلام النبي الذي يخبر به مناقضاً لكلامه في موضع آخر، ولا لكلام سائر الأنبياء، بل كل ما أخبرت به الأنبياء فهو حق وصدق، يصدق بعضه بعضاً.

وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكل ما أخبروا به، وحكم[4] بكفر من آمن ببعض ذلك، وكفر ببعضه، فما علم بصريح العقل لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح (عن الأنبياء وما علم بالنقل الصحيح عن بعضهم لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح)[5] عن غيره، ولكن قد يختلف بعض الشرع والمناهج في الأمر والنهي.

فأما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،

---

(١) سورة التحريم: من الآية ١٢.

(٢) في ك (سائر المرسلين) بزيادة (المرسلين).

(٣) في س (يقول لولا أن) بدلاً من (تقول إن).

(٤) في ط (وأخبروا) بدلاً من (وحكم)، في ك (وأخبر) بدلاً من (وحكم).

(٥) ما بين القوسين ساقط من ط.

وغير ذلك، فلا يجوز أن يناقض بعضه بعضاً.

وإذا كان كذلك فما[1] ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم[2] الحجة به إذ علم إسناده ومتنه، فيعلم أنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً، ونعلم أن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر، كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنى.

وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث ونحن في هذا المقام يكفينا المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فإنهم ادعوا أن التثليث أخذوه عن الأنبياء، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات.

والجواب الثاني[3]: أنا نبين تفسير ما ذكروه من الكلمات، أما قوله على لسان موسى ـ عليه السلام ـ مخاطباً بني[4] إسرائيل قائلاً: (أليس الأب الذي صنعك وبراك واقتناك)؟ فهذا فيه أنه سماه أباً لغير المسيح ـ عليه السلام ـ، وهذا نظير قوله لإسرائيل: (أنت ابني بكري) وداود: (ابني وحبيبي) وقول المسيح: (أبي وأبيكم) وهم يسلمون أن المراد بهذا[5] في حق غير المسيح بمعنى الرب لا معنى التولد الذي يخصون به المسيح.

الثالث: أن هذا حجة عليهم، فإذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أباً لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنى الرب، علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب، فيجب حمله في حق المسيح على

---

(١) في ط، ك (مما) بدلاً من (فما).
(٢) في ك (يتم) بدلاً من (تتم).
(٣) في جميع النسخ: (وإن كان الأولى أن يكون الوجه الثاني) وما أثبتناه من ط.
(٤) في س، أ، ك (لبني) بدلاً من (بني).
(٥) في أ (بهذا) بدلا من (بهذا).

هذا المعنى، لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام.

الرابع: أن استعماله في المعنى الذي خصوا به المسيح إنما يثبت إذا علم أنه أريد المعنى الذي ادعوه في المسيح، فلو أثبت ذلك المعنى بمجرد إطلاق لفظ الأب لزم الدور، فإنه لا[1] يعلم أنه أريد به ذلك المعنى من حيث يثبت أنه كان يراد به في حق الله هذا المعنى ولا يثبت ذلك، حتى يعلم أنه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح، فإذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما[2]، فتبين أنه لا علم عندهم بأنه أريد في حق المسيح بلفظ الأب ما خصوه به في محل النزاع.

الوجه الخامس: أنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الأب، والمراد به أب اللاهوت، ولا إطلاق اسم الابن والمراد به شيء من اللاهوت لا[3] كلمته ولا حياته، بل لا يوجد لفظ الابن إلَّا والمراد به المخلوق، فلا يكون لفظ الابن إلَّا لابن مخلوق.

وحينئذٍ فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت، وهذا يبطل قولهم: إن الابن وروح القدس أنهما صفتان لله وأن المسيح اسم للاهوت والناسوت، فتبين أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى، وتناقض أمانتهم، فهم بين أمرين:

* بين الإيمان بكلام[4] الأنبياء (وبطلان دينهم.

* وبين تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء)[5] وهذا هو المطلوب.



---

(١) (لا) ساقطة من ط.

(٢) (على الآخر لم يعلم واحد منها) ساقطة من س.

(٣) في ط (ولا) بزيادة (و).

(٤) في ك (بكلام) مكررة.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصــل

قالوا: وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترف على الماء).

فيقال هذا في السفر الأول «سفر الخليقة»[1] في أوله، لما ذكر أنه في البدء[2] خلق السماوات والأرض، وأنه كانت الأرض مغمورة بالماء، وكانت روح الله ترف على الماء، أخبر أنه كان الماء فوق التراب والهواء فوق الماء. وروح الله: هي الريح التي كانت فوق الماء.

هـذا تفسير جميـع الأمم من المسلمين واليهود وعقـلاء النصارى، ولفظ الكلمـة بالعبـرية «رُوح» بضم الـراء وتشديـد الواو، وهي الـروح. والريح تسمى «روحاً» وجمعها: أرواح، ولم يرد بذلك أن حياة الله كانت ترف على الماء.

فإن هذا لا يقوله عاقل، فإن حياة الله صفة قائمـة به لا تفـارقه ولا تقوم بغيره فيمتنع أن تقوم بمـاء أو غيره فضـلاً عن أن ترف على المـاء، والذي يرف على المـاء جسم قائم بنفسـه، وهذا إخبـار عن الريـح التي كانت تتحرك فوق الماء.

ومثل هذا قول النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لا تسبوا الريح

---

(١) يقصد سفر التكـوين، وهذا يؤيـد أن النسخة من الكتـاب المقدس التي اطلع عليهـا الشيـخ ابن تيمية ــ رحمـه الله ــ ، غيـر النسـخ المـوجـودة اليـوم لاختـلاف تسميـة الأسفار.

(٢) في أ (الذي) بدلاً من (البدء).
في سائر النسخ: (البدى) بدلاً من (البدء) لعدم الهمز في المخطوطات.
وما أثبتناه من «ط».

فإنها من روح الله، تأتي بالـرحمة، وتـأتي بالعـذاب، فلا تسبـوها ولكن تعوذوا بالله من شـرها، وسلوا الله خيـرها»[1]، وقـوله: «إني لأجـد نفس الرحمن من قبل اليمن»[2].



---

(١) انظر: سنن أبـي داود ــ كتاب الأدب ــ باب ما يقول إذا هاجت الريح ــ حديث رقم ٥٠٩٧ ــ عن أبـي هريرة بمعناه.
سنن ابن ماجة ــ كتاب الأدب ــ باب ٢٩ ــ النهي عن سب الـريح عن أبـي هـريرة بلفظه، مع تقديم وتأخير في الألفاظ.
مسند أحمد ٢/٢٦٨، ٤٠٩، ٥١٨، عن أبـي هـريرة في حـديث طويـل بلفظه مـع زيادة وتقديم وتأخير.

(٢) انـظر: مسند الإمـام أحمد بن حنبـل ٢/٥٤١، عن أبـي هريـرة بلفظ: (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن).

فصل

قالوا: وقوله على لسان داود النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (روحك القدس لا تنزع مني).

فيقال: هذا دليل على أن روح القدس (كانت في داود، فعلم بذلك أن روح القدس)[1] التي كانت في المسيح من هذا الجنس، فعلم بذلك أن روح القدس لا تختص بالمسيح، وهم يسلمون ذلك، فإن ما في الكتب التي بأيديهم في غير موضع أن روح القدس حلت في غير المسيح في داود، وفي الحواريين، وفي غيرهم.

وحينئذٍ فإن كان روح القدس هو حياة الله[2] ومن حلت فيه يكون لاهوتاً[3]، لزم أن يكون إلّهاً[4] ولزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح، وهذا خلاف إجماع المسلمين والنصارى واليهود.

ويلزم من ذلك أيضاً أن يكون المسيح فيه لاهوتان الكلمة وروح القدس، فيكون المسيح مع الناسوت أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم روح القدس، وأيضاً فإن هذه ليست صفة لله قائمة به، فإن صفة الله القائمة به[5]، بل وصفة كل موصوف لا تفارقه، وتقوم بغيره، وليس في

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ.

(٣) في أ (إلّهاً) بدلاً من (لاهوتاً).

(٤) (لزم أن يكون إلّهاً) ساقطة من س، أ.

(٥) (به) ساقطة من س، أ، ك.

هـذا أن الله اسمه روح القـدس، ولا(١) أن حياتـه اسمها روح القـدس، ولا أن روح القدس الذي تجسد(٢) المسيح منه، ومن مريم هـو حياة الله ـ سبحـانه وتعـالى ـ ، وأنتم قلتم إنا معـاشر النصـارى لم نسمـه بهـذه الأسمـاء من ذات أنفسنـا، ولكن الله سمى لاهـوتـه بهـا، وليس فيمـا ذكـرتمـوه عن الأنبيـاء أن الله سمى نفسـه، ولا شيئاً من صفـاتـه بـروح القـدس(٤)، ولا سمى نفسـه ولا شيئـاً من صفـاتـه ابنـاً فبـطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح القدس ولصفته التي هي العلم بالابن.

وأيضـاً فأنتم تـزعمون أن المسيـح مختص بالكلمـة والروح، فـإذا كانت روح القدس في داود ـ عليـه السلام ـ والحـواريين وغيرهم بـطل مـا خصصتم بـه المسيـح، وقـد علم بـالاتفـاق أن داود عبـد الله(٥) ـ عز وجل ـ ، وإن كانت روح القدس فيه.

وكـذلـك المسيـح عبـد الله(٦) وإن كـانت روح القـدس فيـه، فمـا ذكرتموه عن الأنبياء حجة عليكم لأهل الإسلام لا(٧) حجة لكم.



---

(١) في ط (ولو) بدلاً من (ولا أن حياته).

(٢) في أ (اتحد)، وفي س (تحد) بدلاً من (تجسد).

(٣) في ط (منه المسيح) بدلاً من (المسيح منه).

(٤) في س، أ (قدس) بسقوط (الـ).

(٥) في س، أ (الله) بزيادة (ا).

(٦) في ط (عبد الله) بدلاً من (عبدٌ لله).

(٧) في ط (ولا) بزيادة (و).

فصـل

قالوا: وأيضاً على لسان داود النبي ـ عليه السلام ـ: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، وبروح فاه جميع قواتهن)[١].

فيقال: أما قوله: «بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، فهو أيضاً حجة عليكم لوجوه:

أحدها: أن الله خلق الأشياء بكلمته التي هي (كن)، كما قال في التوراة: (ليكن كذا، ليكن كذا، ليكن كذا)[٢] وكذلك في الزبور: (لأنه قال فكانوا وهو[٣] أمر فخلقوا)[٤] فجعل كونهم عن قوله.

ومثل قوله[٥] في الزبور: (الكل بحكمة صنعت)[٦]، وفي القرآن: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧].

وليس المسيح هو هذه الكلمات.

---

(١) راجع ٣/٢٣٦ هامش رقم ٦.

(٢) في سفر التكوين الإصحاح الأول ـ العهد القديم ص ٣: (وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون الآيات وأوقات وأيام وسنين ١٥ ـ وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك...).

(٣) (وهو) ساقطة من ط.

(٤) وجدنا في المزمور الثامن والأربعين قوله: (لأنه أمر فخلقت...).

(٥) (قوله) ساقطة من ط.

(٦) لم نعثر على هذا النص في مزامير داود.

(٧) سورة يٓس: من الآية ٨٢.

الثاني: أن كلمة الله اسم جنس، فإن كلمات الله لا نهاية لها، قال ـ تعالى ـ:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[1].

والتوراة تدل على تعدد الكلمات، وإذا كان كذلك، فالمسيح ليس هو مجموع الكلمات، بل خلق بكلمة منها.

الثالث: أن المسيح عندكم هو الخالق، وأنتم مع قولكم: إنه الابن والكلمة، تقولون: إنه الإلّه الخالق، وتقولون (إنه إلّه حق من إلّه حق)، وتقولون: (إلّه واحد) فتجمعون بين النقيضين، وإذا كان هو الخالق فهو الذي يشدد السماوات والأرض، لا يقال به تشددت السماوات والأرض، وإنما يقال به فيما كان صفة للموصوف، فيقال: خلق الله الأشياء بكن، وخلق الأشياء بقدرته.

وقوله: (بكلمته تشددت السماوات والأرض) يقتضي أن الكلمة صفة فعل بها، لأنها هي الخالقة، والمسيح عندكم هو الخالق ليس هو صفة خلق[2].

والرابع: أن كلمة الله يراد بها جنس كلماته، كما[3] قال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

(٢) في ط (خالق) بدلاً من (خلق).

(٣) (كما) ساقطة من ط.

(٤) سورة التوبة: من الآية ٤٠.

وكقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]، وحينئذٍ فالمراد أن الله أقام السماوات والأرض بكلمته، كقوله (كن) وليس في هذا تعرض للمسيح ــ عليه السلام ــ .

وأما نقلكم أنه قال: (وبروح فاه جميع قواتهن)[2] فهذه الكلمة سواء كانت حقاً أو باطلاً، لا حجة لكم فيها لأنه إن أريد بهذه الكلمة حياة الله فإثبات حياة الله حق، وهو لم يسم حياة الله روح القدس، كما زعمتم، وإن أراد شيئاً غير حياة الله لم تنفعكم فأنتم ادعيتم أن حياة الله[3] روح القدس، حتى قلتم مراده في الإنجيل بقوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس) هو حياة الله، وادعيتم أن الأنبياء سموه بذلك، ولم تذكروا نقلاً عن الأنبياء أنهم سموا حياته روح القدس، بل ذكرتم عنهم ما يوافق ما في القرآن أن روح القدس ليس المراد بها حياة الله، ولو قدر أن هذا اللفظ استعمل في هذا وهذا لم يتعين أن المسيح أراد بقوله: (روح القدس) حياة الله، فكيف إذا لم يستعمل في كلام الأنبياء ــ صلوات الله[4] وسلامه عليهم أجمعين ــ في حياة الله قط.



---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب العلم ــ باب ٤٥ ــ عن أبي موسى الأشعري، بلفظه ــ وكتاب الجهاد ــ باب ١٥ ــ عن أبي موسى أيضاً بلفظه.
* صحيح مسلم ــ كتاب الإمارة ــ باب ٤٣ ــ حديث رقم ١٥٠، ١٥١، عن أبي موسى بلفظه.

(٢) راجع ٣/٢٣٦ هامش رقم ٦.

(٣) في ط سقط لفظ الجلالة (الله).

(٤) في س، أ، ك (الله عليهم) بزيادة (عليهم).

فصل

بيان المعنى الصحيح لروح الله

قالوا: وقوله على لسان أيوب الصديق (روح الله خلقني وهو يعلمني)(١).

فيقال: هذا لا حجة فيه لأنكم ادعيتم أن الأنبياء سمت حياة الله روح القدس، وهذا لم يقل روح القدس، بل قال روح الله.

وروح الله يراد بها الملك الذي هو روح اصطفاه الله فأحبها، كما قال في القرآن:

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾(٢).

فقد أخبر أنه أرسل إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً، وتبين أنه رسوله.

فعلم أن المراد بالروح ملك، هو روح اصطفاها فأضافها إليه، كما يضاف إليه الأعيان التي خصها بخصائص يحبها.

كقوله: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٤).

---

(١) سبقت الإشارة لهذا النص ٣/٢٣٦.

(٢) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

(٣) سورة الشمس: من الآية ١٣.

(٤) سورة الحج: من الآية ٢٦.

وقوله: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[1].

والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة، كان صفة له، وإن كان عيناً قائمةً بنفسها أو صفة لغيره، كالبيت والناقة والعبد والروح، كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميّز[2] بها عن غيره، حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم (بيت الله) و(ناقة الله) و(عباد الله)، كذلك اختصت الروح المصطفاه بأن يقال لها (روح الله).

بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار، فإنها مخلوقة لله[3]، ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة، كما لا تضاف إليه الجمادات، كما تضاف[4] الكعبة، ولا نوق الناس، كما تضاف[5] ناقة[6] صالح[7] التي كانت آية من آياته.

كما قال ـ تعالى[8] ـ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾[9].

---

(١) سورة الإنسان: من الآية ٦.

(٢) في أ، س (يميز).

(٣) في أ (به).

(٤) في أ (تضاف إليه).

(٥) في أ (يضاف).

(٦) **ناقة صالح**: ورد ذكرها في القرآن: أن ثمود اجتمعوا يوماً وقالوا لنبي الله صالح إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة صفتها كيت وكيت.
انظر: البداية والنهاية ١/١٣٤.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) (تعالى) ساقطة من س، ك، ط.

(٩) سورة الأعراف: من الآية ٧٣.

وإذا كان كذلك فهذا اللفظ إن كان ثابتاً عن النبي وترجم ترجمة صحيحة، فقد يكون معناه أن الملك صورني في بطن أمي، وهو يعلمني، فإن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها[1] ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أو أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقول ربك ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة[2] في يده، فلا يزاد على أمر ولا ينقص»[3]. رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري.[4].

وقد يقال: من هذا قوله في الزبور[5] في مزمور الخليقة (ترسل[6] روحك فيخلقون)[7]، وفي المزمور أيضاً (هو قال فكانوا وأمر فخلقوا)[8] فقد يضاف الخلق إلى الملك.

ومن هذا الباب قوله ــ تعالى ــ:

---

(١) (إليها) ساقطة من ط.

(٢) (بالصحيفة) ساقطة من س.

(٣) انظر: صحيح مسلم كتاب القدر، باب ١، حديث ٣، عن حذيفة بن أسيد الغفاري بلفظه.

(٤) حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأعور بن واقعة بن حراء بن غفار الغفاري ــ شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة وروى أحاديث بالكوفة مات سنة ٤٢هـ . الإصابة ٣١٧/١.

(٥) (الزبور) ساقطة من أ، ك.

(٦) في أ (يرسل).

(٧) في العهد القديم ــ المزمور ١٠٤: (ترسل روحك فتخلق).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٦/٣.
(في المزمور أيضاً: «هو قال فكانوا وأمر فخلقوا») ساقطة من أ، ك.

﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1].

فأخبره أنـه يخلق من الطين كهيئـة الطيـر طيراً بـإذن الله، وكذلـك الملك يخلق النطفة في الرحم بإذن الله.

ولا يجوز أن يريد به أن[2] حياة الله خلقتني وتعلمني، فإن الصفـة لا تخلق ولا تعلم، إنمـا يخلق ويعلم الـرب المـوصـوف الـذي خلق الإنسـان من علق، الذي علم بـالقلم، علم الإنسان مـا لم يعلم، ولكن هو ـ سبحانـه ـ يخلق بواسـطة الملائكـة، فإن المـلائكة رسـل الله في الخلق، فجاز أن يضاف الفعـل إلى الوسـائط تارة، وإلى الـرب أخرى، وهذا موجود في الكتب الإلٰهية في غير موضع كما في القرآن:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[3].

وفي موضع آخر:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[4].

وفي موضع ثالث:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٤٩.
في س، أ، ك خلط بين هذه الآية وآية سورة المائدة.

(٢) (أن) ساقطة من س.

(٣) سورة الزمر: من الآية ٤٢.
في أ (الله الذي يتوفى) بزيادة (الذي).

(٤) سورة الأنعام: من الآية ٦١.

(٥) سورة السجدة: من الآية ١١.

والجميع حق، فإذا[1] وجد لفظ له معنى في كـلام بعض الأنبياء، ولم يـوجد لـه معنى يخالف ذلـك من كلامهم، كـان حمله على ذلك[2] المعنى أولى من حمله على معنى يخـالف كـلامهم، ولا يـوجـد في كلامهم أن حياة الله تسمى روحاً، ولا أن صفات الله تخلق المخلوقات.



(١) في س، أ (وإذا) بدلاً من (فإذا).
(٢) (ذلك) ساقطة من س، ك.

فصـل

بيان المعنى الصحيح لكلمة الله

قالوا: وقوله: على لسان أشعيا النبي (ييبس القتاد، ويجف العشب، وكلمته باقية إلى الأبد)(١).

فيقال(٢): إما أن يريد بكلمة الله علمه، أو كلمة معينة، أو تكون(٣) كلمة الله اسم جنس، وعلى التقديرات الثلاثة(٤) لا(٥) حجة لكم في ذلك، فإنه إن كان كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله(٦) به ــ كما قال:

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ ﴾(٧).

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(٨).

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.
(٢) بداية جواب الشيخ على ما ساقه من قولهم.
(٣) في ط (يكون) بدلاً من (تكون).
(٤) (الثلاثة) ساقطة من ط، ك.
(٥) في ط، ك (فلا) بزيادة (ف).
(٦) (الله) لفظ الجلالة ساقط من ط، ك.
(٧) سورة التوبة: من الآية ٤٠.
(٨) انظر:
* صحيح البخاري ــ في مواطن متعددة منه ــ كتاب العلم ــ باب ٤٥ ــ عن أبي موسى رضي الله عنه، بلفظه.
=

ولهذا جمعها في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾(1).

وفي قوله :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾(2).

فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل.

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾(3).

يعني بتمامها نفاذ(4) ما وعدهم به من النصر على فرعون، وإهلاكه، وإخراجهم إلى الشام.

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾(5).

ومنه قوله :

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾(6).

= * صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب ٤٢ ـ حديث رقم ١٥٠ ـ عن أبي موسى، بلفظه.

(١) سورة الأنعام: من الآية ١١٥.
في جميع النسخ (كلمات) بدلاً من (كلمت) وهي قراءات.

(٢) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٣٧.
في ط (كلمات) بدلاً من (كلمت) وهي قراءات.

(٤) في أ (فعاد) بدلاً من (نفاذ).

(٥) سورة الأنعام: من الآية ١١٥.

(٦) سورة الكهف: من الآية ٢٧.

وقوله:

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[1].

ومن هذا الباب قول المسيح (السماء والأرض يزولان[2]، وكلامي لا يزول)[3]، فإن أراد علم الله، فعلم الله باق، سواء أراد[4] به علمه القائم بذاته أو معلومه الذي أخبر ببقائه، فلا[5] حجة لكم فيه، وكذلك إن أراد كلمة معينة، فإن المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه، بل هو عندكم هو الكلمة، وهو الله الخالق، وليس في هذا اللفظ ما يدل على أنه أراد بالكلمة المسيح، والمسيح عندكم أزلي أبدي[6] لا يوصف بالبقاء دون القدم، ولو قدر أنه أراد بالكلمة المسيح فنحن لا ننكر أنه يسمى[7] بالكلمة، لأنه قال له: كن فكان، كما سيأتي بيان ذلك، ويريد

---

(١) سورة الفتح: من الآية ١٥.

(٢) في أ (يزولا) بدلاً من (يزولان).

(٣) في العهد الجديد ـ إنجيل متى ـ الإصحاح ٢٤: (٢٥ ـ السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول).
في ط كتب آخر النص: (وكلامي هذا لا يتغير).
في س (وكلامي ـ وإن أراد هذا ـ لا يتغير) ثم كتب (علم الله باق. . .) وهذا خلط بين النص من كلام المسيح وكلام المؤلف الذي بعده.
في ك أضاف في الهامش (هذا لا يتغير) مقابل (لا يزول) الموجودة في الصلب.

(٤) (علم الله، فعلم الله باق، سواء أراد) ساقطة من أ.
في س كتبت مخلوطة مع النص السابق له.
في ك: كتبت على الهامش.

(٥) في أ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٦) في س (وأبدي) بزيادة (و).

(٧) في ط، ك (تسمى) بدلاً من (يسمى).

بذلك إما بقاؤه إلى أن ينزل إلى الأرض، وإما أن يريد بقاء ذكره والثناء عليه، ولسان صدق له إلى آخر الزمان.

ومما يوضح هذا وأنه[1] ليس المراد به ما يدعونه، أنه قال: (وكلمة الله باقية إلى الأبد)[2] فوصفها بالبقاء دون القدم[3].

وعندهم أن الكلمة المولودة[4] من الأب قديمة أزلية لم تزل ولا تزال[5] ومثل[6] هذا لا يحتاج أن يوصف بالدوام[7] والبقاء، بخلاف ما وعد به من النعيم والرحمة والثواب، فإنه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[8]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[9].

وفي الزبور: (اعترفوا للرب، فإنه صالح، وإنه إلى الأبد رحمته)[10].



(١) في ط (أنه) بسقوط (و).
(٢) هذا ــ من أول الفصل ــ من كلام أشعيا السابق.
(٣) في أ (العدم) بدلاً من (القدم).
(٤) في س، أ (المذكورة) بدلاً من (المولودة).
(٥) (ولا تزال) ساقطة من أ.
(٦) في ط (مثل) بسقوط (و).
(٧) في أ (بالعدم) بدلاً من (بالدوام).
(٨) سورة الرعد: من الآية ٣٥.
(٩) سورة ص: من الآية ٥٤.
(١٠) وجدت في مزامير داود نصين قريبين من هذا النص:
أحدها: في مزمور ١٠٠ولفظه: «أحمدوه وباركوا اسمه، لأن الرب صالح إلى الأبد رحمته».
والثاني: في مزمور ١١٨ ولفظه: «أحمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».
في أ (مليء)بدلاً من (صالح).
في أ (ورحمته) بزيادة (و).

فصل [1]

إبطال استدلالهم بالتعميد على الأقانيم

قالوا: وقال السيد المسيح في الإنجيل المقدس لتلاميذه الأطهار: (اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به)[2].

فيقال لهم: هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه (ولا سموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده ابنه أو بنيه)[3] وإذا كان كذلك فدعواكم[4] أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه، دعوى في غاية الكذب على المسيح، وهو حمل للفظه[5] على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً، فأي كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا.

ولو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله لسميت[6] حياته ابناً، وقدرته ابناً، فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثاني لو كان

---

(١) (فصل) ساقطة من أ، ك.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٤) في أ (فدعواهم) بدلاً من (فدعواكم).

(٥) في ط (للفظ) بسقوط (هـ).
وفي أ (اللفظ) بدلاً من (للفظه).

(٦) في أ (المسميت) بدلاً من (لسميت).

لفظ الابن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك.

وكذلك[1] روح القدس لم يستعملوها في حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التي[2] هي صفته، وإنما أرادوا بذلك ما ينزله على الصديقين والأنبياء، ويؤيدهم به كما في قول داود: (روحك القدس لا[3] تنزع[4] مني)[5][6]، وعندهم أن روح القدس (حلت في الحواريين، وقد قدمنا أن روح القدس) يراد به الملك، ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدى والقوة، ومنه قوله في بعض النبوات (وفي تلك الأيام أسكب من روحي على كل قديس)[7] وفي زبور[8] داود (روحك الصالح يهديني[9] في أرض مستقيمة)[10].

يوضح هذا أنهم قالوا في أمانتهم (الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء) وذكروا أن ذلك في الكتب المقدسة، والذي في الكتب

---

(١) (وكذلك) ساقطة من أ.

(٢) (التي) ساقطة من ط.

(٣) (لا) ساقطة من ك.

(٤) في أ (ينتزع) بدلاً من (تنزع).

(٥) هذا النص سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٣٦.

(٦) ما بين القوسين ساقط من ك.

(٧) وجدت في أعمال الرسل الإصحاح الثاني: «ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر...».

(٨) في ط (زابور) بدلاً من (زبور).

(٩) (تهدي) بدلاً من (يهديني) وذلك في أ.

(١٠) وجدت في مزامير داود ـ العهد القديم ـ المزمور ١٤٣ «روحك الصالح يهديني في أرض مستوية».

المقدسة لا يكون[1] إلَّا حقاً، ولا ريب أن فيها مثل ما في القرآن، وفي القرآن أن الله أرسل روحه إلى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[2].

إلى آخر القصة، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[4].

---

(١) (لا يكون) ساقطة من س.

(٢) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ٢٢.
في س، أ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).
في س، أ، ك (أنى يكون لي ولد) بدلاً من (أنى يكون لي غلام).
في ط (ولم يمسني) بدلاً من (ولم يمسسني).

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٤) سورة التحريم: من الآية ١٢.
وقد خلط بين الآيتين من سورة الأنبياء وسورة التحريم، وذلك في س.

وهذا الروح: هو الرسول، كما قال:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[1].

ونفخ فيها من هذا الروح فكان[2] المسيح مخلوقاً من هذا الروح، ومن أمه مريم كما[3] قالوا في الأمانة: (أنه تجسد من مريم، ومن روح القدس، لكن اعتقدوا أن روح القدس التي خلق المسيح منها ومن مريم هي حياة الله وهذا ليس في الكتب ما يدل عليه، بل الكتب كلها صريحة في نقيض هذا، وهو أيضاً مناقض لقولهم إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، (وهو العلم، فإن كان قد تجسد من مريم)[4]، وأقنوم الكلمة لم يكن متجسداً[5] من روح القدس (وإن كان من روح القدس)[6] لم يكن من الكلمة وإن كان منهما جميعاً كان المسيح أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح.

والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون: إنما المتحد به أقنوم الكلمة لا أقنوم الحياة، فتبين تناقضهم في أمانتهم، وتبين خطؤهم فيما فسروا به كلام الأنبياء.

وتبيَّن أن ما ثبت عن الأنبياء فهو حق موافق لما أخبر به محمد خاتم النبيين لا يناقض شيئاً[7] من كلام الأنبياء، كما أنه لا يناقض

---

(١) في أ (ليهب أو لأهب لك) بدلاً من (لأهب لك).
(٢) (فكان) ساقطة من ط.
(٣) في أ (ثم) بدلاً من (كما).
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٥) في ط، ك (تجسد) بدلاً من (متجسداً).
(٦) ما بين القوسين ساقط من ط.
(٧) في ط (لا يتناقض مع شيء).
في س (شيء) بدلاً من (شيئاً).

شيئاً[1] من كلامهم صريح المعقول، * وتبين أنهم حملوا[2] كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، (وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم)[3]، (وهذا من أبلغ ما يكون من تحريف كلامهم عن مواضعه وتبديل معاني كلام الله)[4]. فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء، ولا أرادوه به، ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً *[5].

وهل هذا إلاَّ من فعل من يحرف كلام الأنبياء، ويفتري الكذب عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذي يريدون به في لغتهم الرب، والابن الذي يريدون به في لغتهم المربي، وهو هنا المسيح (وروح القدس)[6] وهو روح[7] القدس الذي أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك، وبهذا فسر هذا الكلام من فسره من أكابر علمائهم.



(١) في ط، س (شيء) بدلاً من (شيئاً).
(٢) في أ (كملوا) بدلاً من (حملوا).
(٣) ما بين القوسين ساقط من س.
(٤) ما بين القوسين ساقط من ط.
(٥) في أ ما بين النجمتين كتبت بتقديم وتأخير وخلط.
(٦) (وروح القدس) ساقطة من ط.
(٧) في ط (الروح) بزيادة (ال).

(٣٦)

فصل

فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون[1] بها على ما يعتقدونه من الأقانيم الثلاثة قائلين: إن تسمية الله أنه أب وابن وروح القدس أسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذات أنفسنا، بل الله سمى لاهوته بها.

وقد تبين أنه ليس فيما ذكروه عن الأنبياء ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على أن أحداً من الأنبياء سمى الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً ولا روح قدس.

وتبين أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابناً، وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقلية، وأنه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي.

كما تبين أنه ليس له مستند عقلي، وأن القوم ممن قيل فيهم:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

وممن قيل فيهم:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[3].

• • •

(١) في أ (محتجون) بدلاً من (يحتجون).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) سورة الفرقان: من الآية ٤٤.

فصل

إبطال احتجاجهم بما ورد في القرآن على الأقانيم

ثم أخذوا يزعمون أن فيما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حجة لهم على الأقانيم التي ادعوها، وهم ابتدعوا القول بالأقانيم والتثليث قبل أن يبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وذلك[1] معروف عندهم من حين ابتدعوا الأمانة[2] التي لهم التي وضعها الثلاث مائة وثمانية عشر منهم بحضرة قسطنطين الملك، فإذا لم يكن لهم مستند عقلي، ولا سمعي عن الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. فكيف يكون لهم مستند فيما جاء به محمدٌ[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعد ابتداعهم الأمانة.

لا سيما مع العلم الظاهر المتواتر أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كفرهم في الكتاب الذي أنزل عليه وضللهم، وجاهدهم[4] بنفسه وأمر بجهادهم كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ

---

(١) في ط (ذلك) بسقوط (و).

(٢) سبق الإشارة إليها ٣/ ٢٢٩.

(٣) (محمد) ساقطة من ط.

(٤) في ط (جاهدهم) بسقوط (و)؛ في ك (فجاهدهم) بدلاً من (وجاهدهم).

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٧.

يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(1)].

وقـال:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[(2)].

وقـال:

﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ ﴾[(3)].

ونحو ذلك من الآيات.

وقـالوا: وقـد قال في هـذا الكتاب أيضـاً: **﴿ولقـد سبقت كلمتنـا لعبادنا الصالحين﴾**.

فيقال لهم: حرفتم لفظ الآية، ومعناها، فإن لفظها:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[(4)].

فالكلمة التي سبقت لعباده المرسلين قوله:

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾.

أخبـر أنه سبق منـه كلمة لعبـاده المـرسلين لينصـرنهم، كمـا قـال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[(5)].

---

(1) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(2) سورة المائدة: من الآية ٧٣.

(3) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(4) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

(5) سورة طه: من الآية ١٢٩.

وقولـه:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[1].

وقولـه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[2].

وقولـه:

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

وقولـه:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[4].

والكلمة في لغة العرب: هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية، وهي القول التام، وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة.

قال سيبويه[5]: واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلاماً ولا يحكون به ما كان قولاً[6]. ولكن النحاة اصطلحوا على أن يسموا

(١) سورة هود: من الآية ١١٠.

(٢) سورة غافر: من الآية ٦.

(٣) سورة الشورى: من الآية ١٤.

(٤) سورة السجدة: من الآية ١٣.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) وجدت في لسان العرب (باب قول/ باب كلم) قال: سيبويه: وأعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاماً لا قولاً. ٣/١٨٩/ ٢٩٠ ولم أجد هذا النص في كتاب سيبويه.

ما تسميه العرب حرفاً يسمونه كلمة مثل زيد وعمرو، ومثل: قعد وذهب، وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، مثل: إن وثم، وهل ولعل.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾(١).

فسمى هذه الجملة كلمة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾(٢).

وهو قول: لا إله إلاّ الله.

وقال ـ تعالى(٣) ـ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٥).

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة إبراهيم: من الآية ٢٤.
في س، أ، ك (مثل) بدلاً من (مثلاً).

(٣) (تعالى) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة فاطر: من الآية ١٠.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٦٤. في ط سقطت كلمة «قل».

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[1].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]، وقال ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد[3]: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[4].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اتقوا النار ولو بشق

---

(١) سورة الفتح: من الآية ٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب الإيمان ــ باب ١٩ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ وكتاب التوحيد ــ باب ٥٨ ــ عن أبي هريرة، بلفظه أيضاً؛ صحيح مسلم ــ كتاب الذكر ــ باب ١٠ ــ حديث ٣١ ــ عن أبي هريرة بلفظه أيضاً؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٣٢/٢، عن أبي هريرة بلفظه أيضاً.

(٣) **لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري** أبو عقيل الشاعر المشهور، يعد من الصحابة، وفد على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع قومه وأسلم وحسن إسلامه ولم يقل بعد إسلامه الشعر كما كان في الجاهلية، ويقال أنه ما قال في الإسلام إلّا بيتاً واحداً هو قوله:

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

مات سنة إحدى وأربعين في خلافة معاوية ــ رضي الله عنه ــ وله من العمر مائة وأربعين، وقيل أقل، وقيل أكثر.

انظر: الإصابة ٣٢٦/٣؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣٢٤/٣؛ وشذرات الذهب ٥٢/١؛ والأعلام للزركلي ١٠٤/٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب مناقب الأنصار ــ باب ٢٦؛ وكتاب الأدب ــ باب ٩٠؛ وكتاب الرقاق ــ باب ٢٩ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ صحيح مسلم ــ كتاب الشعر ــ باب ١ ــ حديث ٣، ٦ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ سنن ابن ماجه ــ كتاب الأدب ــ باب الشعر ٤١ ــ حديث رقم ٣٧٥٧ ــ عن أبي هريرة بلفظه.

تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[1]، ولما شاع عند المشتغلين بالنحو استعمال لفظ الكلمة في الاسم أو الفعل، وحرف المعنى صاروا يظنون أن هذا هو كلام العرب ثم لما وجد بعضهم ما سمعه من كلام العرب أنه يراد بالكلمة الجملة التامة صار يقول: وكلمة بها كلام قد يؤم[2]. فيجعل ذلك من القليل.

ومنهم من يجعل ذلك مجاز، وليس الأمر كذلك، بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة، فإن العرب لم يعرف[3] عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة، والكلام إلاّ في[4] الجملة التامة، وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره.

فكيف يقال: إن هذا هو المجاز، وإن هذا قليل وكثير[5].

كما أن لفظ القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره كما قال

---

(١) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب التوحيد ــ باب ٣٦؛ وكتاب الأدب ــ باب ٣٤؛ وفي كتاب الزكاة ــ باب ١٠ ــ عن عدي أيضاً بمعناه؛ صحيح مسلم ــ كتاب الزكاة ــ باب ٢٠ ــ حديث رقم ٦٨ ــ عن عدي بن حاتم بلفظه؛ مسند الإمام أحمد ٤/٢٥٦، عن عدي بن حاتم أيضاً.

(٢) هذا عجز البيت الثاني من ألفية ابن مالك التي مطلعها:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثم حرف الكلم

واحده كلمة والقول عم ... (وكلمة بها كلام قد يؤم)

انظر: الألفية في النحو والصرف لابن مالك ص ٩، ط. مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٨هـ.

(٣) في ط (يعرفوا) بدلاً من (يعرف).

(٤) في ط (من) بدلاً من (في).

(٥) في أ (هكذا) بدلاً من (كثير).

في س، ك (هذا) بدلاً من (كثير).

ـ تعالى ـ :

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[3].

ثم إن من أهل الكلام من خص لفظ القديم بما لم يسبقه عدم، أو ما[4] لم يسبقه غيره، وصار هذا عندهم هو حقيقة اللفظ، حتى صار كثير منهم يظن أن استعمال القديم في المتقدم على غيره مطلقاً مجاز.

فتبين أن مراده ـ تعالى ـ بقوله:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾[5].

من جنس قوله:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾[6].

فسبق منه كلمته بما سيكون من نصر المرسلين، وملء جهنم من الجنة والناس أجمعين ونحو ذلك، فحرف هؤلاء الضلال لفظ الآية فقالوا: ﴿**لعبادنا الصالحين**﴾ وجعلوا ﴿**الكلمة**﴾ هي المسيح وليس في

---

(١) سورة يٰس: من الآية ٣٩.

(٢) سورة الأحقاف: من الآية ١١.

(٣) سورة الشعراء: من الآيتين ٧٥، ٧٦.

(٤) (ما) ساقطة من ط.

(٥) سورة الصافات: من الآية ١٧١.

(٦) سورة طه: من الآية ١٢٩.

اللفظ مـا يدل على ذلـك بوجـه من الوجـوه، ولا في كون المسيـح سبق لعبادنا المرسلين معنى[1] صحيح، وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[2].



---

(١) في ط (في معنى) بزيادة (في).
(٢) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

فصل

بيان معنى تأييد المسيح بروح القدس

قالوا: وقال أيضاً:

﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾(١).

فيقال: هذا مما لا ريب فيه، ولا حجة لكم فيه، بل هو حجة عليكم، فإن الله أيد المسيح ــ عليه السلام ــ بروح القدس، كما ذكر ذلك في هذه الآية، وقال ــ تعالى ــ في البقرة:

﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾(٣).

وهذا ليس مختصاً بالمسيح، بل قد أيد غيره بذلك، وقد ذكروا هم أنه قال لداود: (روحك القدس لا تنزع مني)(٤)، وقد قال نبينا ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ لحسّان بن ثابت: «اللّهم أيده بروح

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٨٧.

في س، أ، ك (ولقد آتينا عيسى) بدلاً من (وآتينا عيسى).

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٣.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/٢٣٦.

القدس»(١). وفي لفظ «روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه»(١). وكلا اللفظين في الصحيح.

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس، وكذلك عندهم روح القدس حلت في جميع الأنبياء.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وقد قال ـ تعالى ـ في موضع آخر:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾(٣).

وقال:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٤).

فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل، وقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

---

(١) سبق تخريج هذين الحديثين.

(٢) سورة النحل: الآيات ٩٨ ـ ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧.

في ك، س سقطت كلمة (قل).

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[3].

وقال :

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[4].

فهذه الروح التي أوحاها، والتي تنزل بها الملائكة على من يشاء من عباده غير الروح الأمين التي تنزل بالكتاب، وكلاهما يسمى[5] روحاً، وهما متلازمان، فالروح التي ينزل بها الملك مع الروح الأمين التي ينزل بها روح القدس، يراد بها هذا وهذا.

ويكلا القولين فسر المفسرون قوله في المسيح: ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾، ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله، ولا اللفظ يدل على ذلك، ولا استعمل فيه.

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٢) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٣) سورة النحل: من الآية ٢.

(٤) سورة غافر: من الآية ١٥.

(٥) في ط (يتسمى) بدلاً من (يسمى).

وهم إما أن يسلموا أن روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله، فإذا ثبت أن لها معنى غير الحياة، فلو استعمل في حياة الله أيضاً لم يتعين أن يراد بها ذلك في حق المسيح، فكيف ولم يستعمل في حياة الله في حق المسيح.

وإما أن يدعوا أن المراد بها حياة الله في حق الأنبياء والحواريين، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يكون اللاهوت حالاً في جميع الأنبياء والحواريين، وحينئذٍ فلا فرق بين هؤلاء وبين المسيح.

ويلزمهم أيضاً أن يكون في المسيح لاهوتان[1]: لاهوت الكلمة، ولاهوت الروح، فيكون قد اتحد به أقنومان.

ثم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، يمتنع أن يراد بها حياة الله، فإن حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره، ولا تختص ببعض الموجودات غيره. وأما عندهم فالمسيح، هو الله الخالق، فكيف يؤيد بغيره، وأيضاً فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة، فلا يصح تأييده بها.

فتبين أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلٓهية من جنس واحد.



(١) في أ (لاهوتين) بدلاً من (لاهوتان).

فصل

قالوا: وقال أيضاً: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[١].

فيقال لهم: وأي حجة لكم في هذا، وإنما هو حجة عليكم، فإنه قد ثبت أن الله كلم موسى تكليماً، وكلام الله الذي سمعه منه موسى عليه السلام، ليس هو المسيح فعلم أن المسيح ليس هو كلام الله، وعندهم هو كلمة الله، وهو علم الله، وهو الله.

ومعلوم أن كلام الله كثير كالتوراة والإنجيل والقرآن، وغير ذلك من كلامه، وليس المسيح شيئاً من ذلك، والمسيح عندهم خالق، ولو كان المسيح نفس كلام الله[٢] لم يكن خالقاً ولا معبوداً، فإن كلام الله(لم يخلق السموات والأرض، ولا كلام الله)[٣] هو[٤] الإلّه المعبود، بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته وقدرته، ولا يقول أحد: يا علم الله اغفر لي، ولا يا كلام الله اغفر لي، وإنما يُعْبَد ويدعى الإلّهُ الموصوف بالعلم، والقدرة، والكلام، الذي كلم به[٥] موسى تكليماً.



(١) سورة النساء: من الآية ١٦٤.
(٢) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).
(٣) في ط (ليس) بدلاً من (لم يخلق السماوات والأرض ولا كلام الله).
(٤) (هو) ساقطة من أ.
(٥) في ط (الله) بدلاً من (به).

فصل

قالوا: وقال أيضاً في سورة التحريم:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(1).

فيقال: أما قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

وقوله في سورة الأنبياء:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(2).

فهذا قد فسره قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(3).

وفي القراءة الأخرى(4): ليهب لك غلاماً زكياً.

فأخبر أنه رسوله وروحه، وأنه تمثل لها بشراً، وأنه ذكر أنه

---

(1) سورة التحريم: من الآية 12.

(2) سورة الأنبياء: من الآية 91.

(3) سورة مريم: الآيات 17 ـ 19.

(4) (الأخرى) ساقطة من ط.

رسول الله إليها، فعلم أن روحه مخلوق مملوك له، ليس المراد حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله:

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

وهو مثل قوله في آدم ـ عليه السلام ـ :

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[1].

وقد شبَّه المسيح بآدم في قوله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

والشبهة في هذا نشأت عند بعض الجهال من أن الإنسان إذا قال: روحي، فروحه في هذا الباب هي الروح التي في البدن، وهي عين قائمة بنفسها، وإن كان من الناس من يعني بها الحياة، والإنسان مؤلف من بدن وروح، وهي عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهير الأمم.

والرب ـ تعالى ـ منزَّه عن هذا، وأنه ليس مركباً[3] من بدن وروح، ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله: روحي، بل تضاف إليه ملائكته وما ينزله على أنبيائه من الوحي والهدى والتأييد، ونحو ذلك.

● ● ●

(١) سورة الحجر: من الآية ٢٩.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٣) في س، ك (مركب) بدلاً من (مركباً).

فصل

قالوا: وسائر المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلَّا لحي ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء، وكل صفة منها غير الأخرى، فالإلَه واحد، خالق واحد، ورب[1] واحد لا يتجزأ.

فيقال لهم: أما قول المسلمين[2] أن الكتاب ـ أي القرآن ـ كلام الله، فهذا حق، والكلام لا يكون إلّا لمتكلم.

والمسلمون يقولون: إن الله حي متكلم، وإنه تكلم بالتوراة والإنجيل والقرآن، وغير ذلك من كلامه، والقرآن قد أخبر بكلام الله في مواضع كثيرة، وهل يسمى ناطقاً وكلامه نطقاً؟

فيه نزاع، فبعض المسلمين يجيزه، وبعضهم يمنع منه لكونه لم يرد به الشرع، وليس في التوراة والإنجيل والزبور تسمية الله ناطقاً، بخلاف لفظ القول والكلام، وقد تنازع المسلمون بعد ظهور البدع فيهم ـ كما تنازع أهل الكتاب ـ في كلام الله، هل[3] هو قائم به، أو مخلوق منفصل عنه.

والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وجمهورها، أن كلام الله قائم به،

---

(١) في ط، أ (رب) بسقوط الواو.

(٢) (أما قول المسلمين) ساقطة من ط .

(٣) (هل) ساقطة من ط .

وكذلك سائر ما يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك.

وأحدث قوم منهم[١] ــ بعد انقراض الصحابة وأكابر التابعين، بعد أكثر من مائة سنة من موت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه مخلوق خلقه في غيره، وشاركهم في هذه البدعة كثير من اليهود والنصارى.

وظهرت[٢] هذه المقالة بعد المائة الثانية، وانتصر لها قوم من الولاة[٣]، وغيرهم، ثم أطفأها الله بمن أقامه الله من أئمة الإسلام والسنَّة[٤] الذين بينوا فسادها وبينوا ما اتفق عليه السلف من أن كلام الله منزل منه غير مخلوق، بل منه بدأ[٥]، لم يبتدىء[٦] من شيء من المخلوقات، ومع هذا فلم يقل أحد من المسلمين: إن كلام الله يكون إلٰهاً ولا رباً.

وكذلك حياته لم يقل أحد منهم إن حياته تكون إلٰهاً ولا رباً، ولا أنه مساوٍ للرب ــ تعالى ــ في الجوهر.



(١) يريد بهم: المعتزلة والذين يقولون بخلق القرآن.

(٢) في أ (وظهور) بدلاً من (وظهرت).

(٣) يقصد بعض خلفاء بني العباس الذين انتصروا لمقالة المعتزلة بخلق القرآن كالمأمون ومن جاء بعده.

(٤) يقصد إمام أهل السنَّة الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ، ومن ثبت على قوله في فتنة القول بخلق القرآن.

(٥) في ط (بد) بسقوط الألف.

(٦) في ط (لم يبتد) بسقوط الهمزة.

فصل

مناقشتهم في دعواهم أن الأقانيم صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء

وأما قولهم: هذه صفات جوهرية تجري مجرى أسماء.

فإن أرادوا بقولهم: جوهرية أن كل صفة جوهر، فهذا كلام ظاهر الفساد، فإن الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه، ومن ظن أن حرارة النار القائمة بها جوهر قائم بنفسه كالنار، فهو إما مصاب في عقله، وأما مسفسط معاند.

والأول: يستحق علاج المجانين.

والثاني: يستحق العقوبة التي تردعه عن العناد.

ثم إن[1] جاز أن تكون الصفة جوهراً كانت القدرة أيضاً جوهراً.

وإن أرادوا بقولهم[2] جوهرية أنها صفات ذاتية، وغيرها صفات فعلية كالخالق والرازق، فمعلوم أن صفاته الذاتية منها القدرة وغيرها فلم[3] تنحصر في هذه.

وأيضاً فالكلام، وإن كان قائماً بذاته، فقيل: هو متعلق بمشيئته وقدرته، وهو قول السلف والأكثرين، وقيل: ليس كذلك.

والمتكلم قيل: هو من فعل الكلام ولو كان منفصلاً عنه، وقيل هو من قام به الكلام، وإن لم يكن بمشيئته وقدرته، وقيل: المتكلم من قام

---

(١) (إن) ساقطة من أ.

(٢) في ط (بقوله) بدلاً من (بقولهم).

(٣) في ط، س، ك (لم) بسقوط (فـ).

به الكلام بمشيئته وقدرته، وهذا قول السلف والأكثرين، فبطل قولهم على كل تقدير.

وإن أرادوا بالجوهرية أنها ذاتية مقومة، وباقي الصفات عرضية على رأي أهل المنطق اليونان الذين يفرقون في الصفات اللازمة للموصوف بين هذا وهذا، كان هذا فاسداً من وجوه:

منها: أن تفريق هؤلاء في الصفات اللازمة للموصوف بين صفة وصفة، وجعل بعضها ذاتياً مقوماً داخلاً في الماهية، وبعضها عرضياً لاحقاً خارجاً عن الماهية، كلام باطل عند جماهير نظار الأمم من أهل الملل، وغيرهم، كما قد بسط الكلام عليه في الرد على هؤلاء المتفلسفة، وبين أن ما يدعونه من تركيب[1] الأنواع من الأجناس والفصول إنما هو تركيب[2] في الأذهان لا حقيقة له في الأعيان، وأن ما يقوم بالأذهان يختلف باختلاف تصور الأذهان.

فتارةً يتصور الشيء مجملاً، وتارة يتصوره مفصلاً[3]، وما سموه تمام الماهية، والداخل في الماهية، والخارج عنها اللازم لها يعود عند التحقيق إلى ما يدل عليه اللفظ بالمطابقة والتضمن والالتزام.

ومدلول اللفظ هو بحسب ما يعنيه المتكلم ويقصده ويتصوره، وهذا يختلف باختلاف إرادات الناس لا يرجع ذلك إلى حقيقة عقلية ولا صفة ذاتية للموجودات.

ولهذا لما كان كلامهم باطلاً لم يمكنهم ذكر فرق صحيح بين

---

(١) في ط (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٢) في ط (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٣) في ط (متصلاً) بدلاً من (مفصلاً).

الذاتي والعرضي اللازم إذا كان كلاهما لازماً للموصوف، بل ذكروا ثلاثة فروق، والثلاثة باطلة، واعترف حذاقهم ببطلانها، كقولهم إن الذاتي يثبت للموصوف بلا وسط[1]، والعرضي اللازم إنما يثبت بوسط.

ثم حذاقهم يفسرون الوسط بالدليل، كما فسره ابن سينا[2].

ومنهم من يفسر الوسط بصفة قائمة للموصوف، كما يفسره الرازي[3] وغيره، وهؤلاء لم يفهموا مراد أولئك فزاد غلطهم، وأولئك أرادوا بالوسط الدليل، كما يريدون بالحد الأوسط ما يقرن[4] باللام في قولك (لأنه) فصار العرضي اللازم عندهم ما يعلم ثبوته للموصوف بدليل، وهذا لا يرجع إلى حقيقة ثابتة في نفس الأمر، بل هذا أمر يتعلق بالعالم بالصفات.

فمنهم من يكون تام التصور فيعلم لزوم الصفة للموصوف بلا دليل.

---

(١) في أ (توسط) بدلاً من (وسط).

(٢) الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبقات والإلّهيات أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلم بها وطاف البلاد وعاد في آخر حياته إلى همزان ومات بها سنة ٤٢٨هـ.
قال ابن القيم: كان ابن سينا هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين.
انظر: وفيات الأعيان ٢/١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٢/٢٦١؛ إغاثة اللهفان ٢/٢٦٦.

(٣) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي الإمام المفسر قرشي النسب أصله من طبرستان ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في وهران سنة ٦٠٦هـ، وكان يحسن الفارسية وكان واعظاً بارعاً بها وبالعربية أيضاً له كتب كثيرة من أشهرها «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن الكريم وكتب في التوحيد وعلم الكلام والبلاغة وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٤٨؛ وشذرات الذهب ٥/٢١؛ والأعلام ٧/٢٠٣.

(٤) في ط، س، ك (يعرف) بدلاً من (يقرن).

ومنهم من لا يكون تام التصور فلا يعلم ذلك إلَّا بدليل، ثم كل ما كان مستلزماً لشيء، فإنه يمكن الاستدلال به عليه، إذا كان الدليل هو الذي يلزم من تحققه تحقق المدلول[1]، فيكون الوسط كل ما كان مستلزماً للعرض[2]، فيكون العرض[3] لازم اللازم.

وهم معترفون بأن من العرضيات ما يلزم بلا وسط، وقد مثلوا ذلك بالزوجية والفردية في العدد، كالعلم[4] بأن الأربعة زوج، والثلاثة فرد، وإن كان ظاهراً، لكن العلم بأن خمسمائه وثلاثة وأربعين نصف ألف وستة وثمانين، قد يفتقر إلى دليل، وقد[5] يفتقر إلى[6] تأمل وفكر.

وهم يقولون ما يقول[7] ابن سينا ـ أفضل متأخريهم، وغيره من أن العرض المنقسم إلى الكيف والكم وغير ذلك هو ذاتي لموصوفاته.

واللون المنقسم إلى السوداء والبياض هو ذاتي للمتلون، والسوادية والبياضية[8] صفتان ذاتيتان[9]، بخلاف الزوجية والفردية.

قالوا: لأن كون هذا أسود وأبيض وعرضاً قائماً بغيره، لا يفتقر إلى استدلال ونظر بخلاف كون هذا العدد زوجاً أو فرداً، فإن هذا[10] قد يفتقر إلى نظر واستدلال، فإنه ينقسم إلى قسمين متساويين أو لا ينقسم.

---

(١) في أ (الدليل) بدلاً من (المدلول).

(٢) في أ (العرضي) بدلاً من (العرض).

(٣) في أ (العرضي) بدلاً من (العرض).

(٤) في ط (فإن العلم) بدلاً من (كالعلم).

(٥) في س، ك (قد) بسقوط الواو.

(٦) (دليل، وقد يفتقر إلى) ساقطة من أ.

(٧) في ط (يقول) بدلاً من (يقوله).

(٨) في أ (السواد والبياض) بدلاً من (السوادية والبياضية).

(٩) في ك، أ، س (ذاتية) بدلاً من (ذاتيتان).

(١٠) (هذا) ساقطة من ط.

ومعلوم أن هذا فرق يعود إلى علم العالم بهذه الصفات، هل هو جلي أو خفي وهل يفتقر إلى نظر واستدلال أو لا يفتقر، ليس[1] هو فرقاً يعود إلى الصفة في نفسها ولا إلى موصوفها، فعلم أنه ليس بين ما جعلوه ذاتياً مقوماً داخلاً في الماهية، وما جعلوه عرضياً لازماً خارجاً عن الماهية فرق يعود إلى نفس الماهية التي هي الذات الموصوفة الموجودة في الخارج، ولا إلى صفاتها، بل جميع صفاتها اللازمة لها، سواء في ذلك، وليست الماهية مركبة من هذا دون هذا، ولا فيها شيء يتقدم على الماهية في الوجود الخارجي، كما يقولون: أن الذاتي يتقدم على الماهية في الوجود والذهن.

ولا الصفات جواهر موجودة في الخارج لها أجزاء كأجزاء الأجسام المركبة، وإنما هي صفات قائمة بالموصوف يمتنع تقدم شيء منها على الموصوف.

ولكن إذا قيل في الإنسان: هو جسم حساس تام متحرك بالإرادة ناطق فهنا قد يتصور الذهن هذه الأمور، ويعبر عنها، فكل واحد منهما جزء من الجملة التي في ذهنه ولسانه.

والجملة التي في ذهنه ولسانه مركبة من هذه الأجزاء لا أن الإنسان الموجود في الخارج مركب من هذه الأجزاء، وأنها متقدمة عليه أو أنها جواهر، فإن هذا كله مما يعلم بصريح العقل أنه باطل، لكن هؤلاء المتفلسفة اليونان، ومن اتبعهم كثيراً ما يشتبه عليهم ما يتصورونه في الأذهان بما يوجد في الأعيان، كما أثبت من أثبت من[2] قدمائهم مثل

(١) في ط (أوليس) بزيادة (أو).
(٢) (أثبت من) ساقطة من أ، (من) ساقطة من ط.

فيثاغورس[1] وأتباعه أعداداً مجردة موجودة في الخارج[2].

وقد رد ذلك عليهم سائر العقلاء، كما رده من بعده منهم.

وقالوا: إن العدد المجرد، والمقدار المجرد إنما يوجد في الذهن لا في الخارج، وإنما يوجد في الخارج المعدودات والمقدرات[3]، مثل الأجسام المتفرقة التي تعد كالكواكب، أو المتصلة التي تقدر كالأفلاك، وذلك هو المتصف بالكم المتصل والكم المنفصل الموجود[4] في الخارج.

وأثبت أصحاب أفلاطون[5] الكليات العقلية في الخارج التي يسمونها[6] «المثل الأفلاطونية» وزعموا أنها قديمة أزلية، وأثبتوا بعداً

---

(١) في ط: (فيثاغورث) بدلاً من (فيثاغورس).
هو فيلسوف يوناني شهير، ولد في ساموس من بلاد اليونان سنة ٥٧٢ أو ٥٨٠ق.م. تقريباً، ويقال أنه زار مصر ودرس الحكمة على أيدي الكهنة وتعلم الفلك والهندسة، ويقال أنه مات سنة ٥٢٩ق.م. وكان يرى أن العالم أشبه بعالم الأعداد منه بأي عالم آخر، وكان يقول بتناسخ الأرواح.
انظر: كتاب «فيثاغورس» لمصطفى غالب ـ نشر دار الهلال بيروت؛ والملل والنحل ٢/٧٤.

(٢) انظر: الملل والنحل ٢/٧٤ وما بعدها تجد معنى كلام فيثاغورس.

(٣) في ط، أ (المقدورات) بدلاً من (المقدرات).

(٤) في ك، س (الوجود) بدلاً من (الموجود).

(٥) في س، أ، ك (أفلاطن) بدلاً من (أفلاطون).
هو: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو فليسن، فيلسوف مشهور ولد في أثينا عاصمة بلاد اليونان سنة ٤٢٧ق.م. وتتلمذ على سقراط وهو في العشرين من عمره واطلع على كتب الفلسفة ورحل إلى كثير من الأقطار يعلم الفلسفة ويكتب في مختلف الفنون، له مؤلفات ترجم البعض منها إلى اللغة العربية ومات سنة ٣٤٧ق.م.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/٨٨؛ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/٤٢٩.

(٦) في أ (سموها) بدلاً من (يسمونها).

موجوداً مجرداً[1] جوهراً: هو الخلاء، وجوهراً قائماً بنفسه: هو الدهر، وجوهراً مجرداً قائماً بنفسه: هو المادة والهيولىٰ الأزلية.

وهذه كلها إنما تتصور[2] في الأذهان لا في الأعيان، بل وما أثبتوه من العقول المجردة العشرة هي أيضاً عند التحقيق ترجع إلى ما يجرده الذهن، ويقدره فيه، لا إلى موجود في الخارج.

وأصل قولهم: المجردات والمفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس الناطقة[3] للبدن بالموت، وهذا حق، فإن الذي عليه الأنبياء وأتباعهم، وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن، وتبقى بعد فراق البدن، ومن قال من متكلمة أهل الملل أنه لا يبقى بعد البدن روح تفارقه، وأن الروح جزء من البدن أو عرض من أعراض البدن، فقوله مع أنه خطأ في العقل الصريح، هو أيضاً مخالف لكتب الله المنزلة ولرسله، ولمن اتبعهم من جميع أهل الملل، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على أن تفريق هؤلاء اليونانيين في الصفات اللازمة للموصوف بين الصفات الذاتية والعرضية اللازمة، وجعلهم اللازمة: منها ما هو لازم للماهية، ومنها ما هو لازم لوجودها، هو مبني على أصلين فاسدين لهم خالفهم فيها جمهور عقلاء الأمم من نظار أهل الملل وغيرهم.

أحد الأصلين: هو ما تقدم من جعلهم الصفات اللازمة للموصوف هي في الخارج منقسمة إلى ذاتي جزء من الماهية داخل فيها، وإلى عرضي خارج عنها لازم لها.

---

(١) (مجرداً) ساقطة من ط.

(٢) في ك (يتصور) بدلاً من (تتصور).

(٣) (الناطقة) ساقطة من س، ك.

والثاني: زعمهم أن كل موجود ممكن، وله في الخارج ماهية هي ذاته، وحقيقته غير الموجود المعلوم المعين الثابت في الخارج، وهذا أيضاً مما اشتبه عليهم فيه ما في الذهن بما في الخارج.

فإنه إذا أريد بالماهية ما يتصور في الذهن، وهو المقول[1] في جواب ما هو، وبالوجود[2] ما هو ثابت متحقق في الخارج، فمعلوم أن هذا غير هذا، كما يقولون: إنا نتصور المثلث قبل أن نعلم وجوده في الخارج فعلم[3] أن[4] ماهية المثلث غير المثلث الموجود في الخارج.

فإنه يقال لهم إن أردتم أن[5] ما يتصور في الذهن من المثلث غير الموجود[6] في الخارج فهذا[7] حق، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه في الخارج عن الذهن شيئين:

أحدهما: ماهية المثلث التي هي حقيقته وذاته.

الثاني: المثلث الموجود الذي هو زاوية الحائط.

وإن أردتم أن في الخارج شيئين، فهذا غلط، وهذا الموضع مما اشتبه على كثير من النظار حتى صار بعض أكابرهم حائراً متوقفاً.

وبعضهم يختلف قوله ويتناقض، وسبب ذلك عدم تمييزهم بين ما يتصور في الأذهان وبين ما يوجد في الأعيان، ثم هذا الموضوع[8]

---

(١) في ط (القول) بدلاً من (المقول).
(٢) في أ (بالموجود) بدلاً من (بالوجود).
(٣) في ط (فمعلم) بدلاً من (فعلم).
(٤) (أن) ساقطة من س.
(٥) (أن) ساقطة من س.
(٦) في ط (الوجود) بدلاً من (الموجود).
(٧) في ط (وهذا) بدلاً من (فهذا).
(٨) في س، أ، ك (الموضع) بدلاً من (الموضوع).

نقلوه إلى الكلام في صفات الله اللازمة له[1]، كحياته[2] وعلمه وقدرته، هل هي ذاتية أو عرضية؟

فإن قيل: ذاتية لزم أن تكون[3] له أجزاء متقدمة عليه تركب منها، وإن كانت عرضية لازمة لزم أن يكون قابلاً وفاعلاً. فإن كونه فاعلاً غير كونه قابلاً فلزم أن يكون فيه جهتان، وهذا من التركيب الذي زعموه منتفياً، وذلك يستلزم التركيب، وهو التركيب من الذاتيات، وقد بيّن فساد هذا من وجوه متعددة:

منها: أن التركيب المعقول هو تركيب الحيوان والنبات والمعادن من أبعاضه وأخلاطه، وتركيب المبنيات والملبوسات والأطعمة والأشربة من أبعاضها وأخلاطها[4].

وأما[5] تركيب[6] الأجسام من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة فهذا مما تنازع فيه جمهور العقلاء، وكذلك تركيب[7] الشيء من الموجود، والماهية سواء كان واجباً أو ممكناً هو مما تنازع فيه[8] جمهور العقلاء وكذلك تركبه من الصفات الذاتية المشتركة، والمميزة التي يسمونها: الجنس، والفصل.

---

(١) (له) ساقطة من س، أ.
(٢) في أ (لحياته) بدلاً من (كحياته).
(٣) في أ (يكون) بدلاً من (تكون).
(٤) في ك، س (واختلاطها) بدلاً من (وأخلاطها).
(٥) في ط (وأما) بسقوط الواو.
(٦) في س، ك (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٧) في س، ك (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٨) في أ (ما نقله) بدلاً من (مما تنازع)، في س، ك (مما نفاه) بدلاً من (مما تنازع فيه).

وأما اتصاف الذات بصفات تقوم بها، فهذا هو الذي يعرفه عامة العقلاء، ولكن لا يسمون هذا تركيباً، فمن سماه تركيباً لم يكن نزاعه اللفظي قادحاً فيما علم بالأدلة السمعية والعقلية.

ثم هم يقولون: المركب يفتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه غيره، وواجب الوجود لا يفتقر إلى غيره، وهذه كلها ألفاظ مجملة، فإن لفظ الافتقار هنا لم يعنوا به افتقار المفعول إلى فاعله، ولا المعلول إلى علته الفاعلية، فإن جزء الشيء لا يكون فاعله ولا علته الموجبة له، بل يريدون به التلازم والاشتراط، فإن وجود المجموع مستلزم لوجود أجزائه، وهو مشروط بذلك.

ومنها: أن لفظ الجزء ليس[1] مرادهم جزءاً مبايناً للجملة، فإن جزء الجملة ليس مبايناً لها.

ومنها: لفظ الغير، فإنه يراد بالغيرين ما يجوز مباينة أحدهما لصاحبه، أو مفارقته له بزمان أو مكان أو وجود، ويراد بهما ما يجوز العلم بأحدهما دون الآخر، وبعض المجموع وصفة الموصوف لا يجب أن تفارقه وتباينه بل قد يجوز أن تباينه ويجوز أن لا تباينه.

فصفات الرب ـ عزّ وجل ـ اللازمة له لا يجوز أن تفارقه وتباينه، وحينئذٍ فمن الناس من لا يسميها غيراً له، ومن سماها غيراً له فذاته مستلزمة لها، ليست الصفات فاعلة للذات، ولا علة موجبة لها.

ولفظ واجب الوجود يراد به الموجود بنفسه الذي لا فاعل له، ولا علة فاعلة له[2]، وذات الرب ـ عز وجل ـ وصفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار، ويراد به مع ذلك المستغني عن محل يقوم به، والذات

---

(١) في س، أ، ك (فليس) بزيادة (فـ).

(٢) (له) ساقطة من ط، ك، س.

بهذا المعنى واجبة دون الصفات، ويراد به ما لا تعلق له بغيره، وهذا لا حقيقة له، فإن الرب ـ تعالى ـ له تعلق بمخلوقاته لا سيما عند هؤلاء الفلاسفة الدهرية الذين يقولون: إنه موجب بذاته للأفلاك مستلزم لها، فيجعلونه ملزوماً لمفعولاته، فكيف ينكرون أن تكون ذاته ملزومة لصفاته؟

وهؤلاء المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون «المشائين»[1] أتباع أرسطو[2] صاحب التعاليم: المنطق الطبيعي، والرياضي، والإلّهي، يقولون: إن موضوع العلم الطبيعي متعلق بالمادة في الذهن، والخارج من الجسم وأحكامه.

والثاني الرياضي: وهو متعلق بالمادة في الخارج لا في الذهن، فإنه لا يوجد عدداً ولا مقداراً في الخارج إلّا في جسم في الخارج أو عرض معدود، أو مقدر منفصل بخلاف الذهن، فإنه يجرد أعداداً ومقادير مجردة عن المعدودات والمقدرات[3].

والثالث: الذي يسمونه علم ما بعد الطبيعة باعتبار السلوك العلمي، وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العيني، ويسمونه أيضاً «العلم الإلّهي» وموضوعه عندهم: المجرد عن المادة في الذهن والخارج، وهو الموجود من حيث هو موجود[4]، وانقسامه إلى جوهر وعرض، وانقسام الجوهر إلى جسم وغير جسم، وانقسام الجسم إلى المادة والصورة والعقول والنفوس.

---

(١) سبق التعريف بهم.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ط، س، أ (المقدورات) بدلاً من (المقدرات).

(٤) في ك (موجودة) بزيادة (ة).

والعلة الأولى يسميها أرسطو وأتباعه جوهراً، ولا يسميها واجب الوجود. وأما متأخروهم كابن سينا وأتباعه يسمونها واجب الوجود، ولا يسمونها جوهراً، والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر، إذ المقصود هنا أن هذه الأمور التي يقولون هي موضوع العلم الإلّهي، وهي[1] المجردة عندهم عن المادة في الذهن والخارج، هي عند التحقيق وجودها في الأذهان، لا في الأعيان.

فإن الوجود العام الكلي لا يوجد عاماً كلياً إلّا في الأذهان لا في الأعيان كما أن الإنسان العام الكلي، والحيوان العام الكلي لا يوجد عاماً كلياً إلّا في الأذهان[2]، لا في الأعيان.

وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع ،وبين أن اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، أقرب إلى الحق في الأمور الإلّهية منهم.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن نبهنا عليها لتعلقها هنا بقول هؤلاء النصارى: إن صفات الرب الثلاث هي جوهرية دون غيرها، وأنهم إن عنوا بذلك ما يعنيه هؤلاء بالذاتية، فقولهم[3] باطل مبني على أصل باطل.

فإن تفريق هؤلاء اليونان في الصفات اللازمة بين الذاتي والعرضي اللازم للموجود[4]، والعرضي اللازم[5] للماهية، والعرضي اللازم

---

(١) في ط (هي) بسقوط (الواو).
(٢) في ط (الذهن) بدلاً من (الأذهان).
(٣) في س (هولهم) بدلاً من (فقولهم).
(٤) في س (الموجود) بدلاً من (للموجود).
(٥) (للموجود والعرض اللازم) ساقطة من أ.

للموصوف[1] فرق باطل، وقد ذكروا[2] ثلاث[3] فروق كلها باطلة، كما تقدم:

الأول: الوسط.

والفرق الثاني: تقدم الذاتي ذهناً، ووجوداً، بخلاف اللازم العرضي.

والثالث: توقف الحقيقة على الذات.

وقد تبين بطلان هذا في غير هذا الموضع.

والنصارى ليس مرادهم بالجوهرية ما يريده هؤلاء بالذاتية، فلهذا لم نبسط الكلام عليه، بل يقولون: إن الثلاثة جواهر، وهؤلاء المنطقيون يفرقون بين اللازم للماهية، واللازم لوجودها بناء على أن في الخارج شيئين: الوجود، وماهية أخرى غير الوجود.

والكلام على هذا كله مبسوط في موضع آخر.

ومنها: أنه لو قدر أن صفات الموصوفات اللازمة لها تنقسم إلى ذاتي مقوم، وعرضي لازم، وأن صفات الرب سبحانه كذلك، لم يكن تخصيص العلم بأنه ذاتي أولىٰ من القدرة، فليس ذكر القائم[4] بنفسه الحي العالم بأولى من ذكر القائم[4] بنفسه الحي القادر.

والنصارى لما كانت الأقانيم عندهم ثلاثة، وزعموا أن الشرع المنزل دل على ذلك، وكانوا في ذلك مخالفين للشرع المنزل إليهم،

---

(١) (والعرضي اللازم للموصوف) ساقطة من أ.

(٢) في أ (ذكر) بدلاً من (ذكروا).

(٣) (ثلاث) ساقطة من أ.

(٤) في س (العالم) بدلاً من (القائم).

كما قد بسط في موضعه ـ صار طائفة منهم يقولون: موجود حي عالم، وطائفة يقولون موجود عالم قادر، فيجعلون القادر مكان الحي، ويجعلون روح القدس هو القدرة.

وهذا القول وإن كان أحسن في المعنى، لكن تفسير روح القدس بالقدرة(١) في غاية البعد الذي يظهر فساده لكل أحد.

ولا بد لهم من إثبات أقنوم الكلمة الذي يقولون تارة: هي العلم، وتارة: هي الحكمة، ويسمونها تارة: النطق، كما سموها في كتابهم هذا، لأن الذي اتحد بالمسيح عندهم هو(٢) أقنوم الكلمة، فصاروا تارة يضمون إليها الحياة، وتارة يضمون إليها القدرة.

والأب تارة يقولون: هو الوجود، وتارة يقولون: القائم بنفسه، وتارة يقولون: الذات، وتسمى القائم بنفسه بالسريانية: الكيان، وتارة يقولون: الجود.

وكل هذا من الحيرة والضلال، لأنهم لا يجدون ثلاث معاني هي المستحقة لأن تكون جوهرية دون غيرها من الصفات سواء فسرت الجوهرية بأنها جواهر، أو بأنها ذاتية مقومة أو بغير ذلك.

ومنها: قولهم: تجري مجرى أسماء، فإن أرادوا بذلك أسماء أعلام أو جامدة، وسائرها صفات، فاسم الحي والعالم اسم مشتق يدل على معنى العلم والحياة، كما يدل القدير على القدرة، وإن أرادوا أنه يسمى بها، فللّه ـ تعالى ـ أسماء كثيرة، فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى.

---

(١) في أ (والقدرة) بدلاً من (بالقدرة).

(٢) في ط (هي) بدلاً من (هو).

ومن أسمـائه القـدير، والقـدرة تستلزم من قدرتـه على المخلوقات مـا لا يدل عليـه العلم، وخلقه للمخلوقـات يدل[1] على قـدرته أبلغ من دلالته على علمه، واختصاصه بالقدرة أظهر من اختصاصـه بالعلم، حتى إن طـائفـة من النـظار كـأبـي الحسن الأشعـري[2] وغيـره يقـول: أخص وصفه القدرة على الاختراع، فلا يوصف بذلك غيره.

والجهم بن صفـوان[3] قبله يقول: ليس في الـوجـود قـادر غيـره، ولا لغيـره قدرة. والأشعـري وإن أثبت للمخلوق قدرة، لكن يثبت قـدرة لا تؤثـر في المقدور، ولم يقـل أحد من العقـلاء إن أخص وصفه الحيـاة والعلم، ولا إن غيره ليس بحي، ولا عالم فكان جعل القدير اسمـاً وغيره صفة إن كان الفرق حقاً أولى من العكس، فكيف إذا كـان الفرق بـاطلاً فـإن أسماءه ـ تعـالى ـ التي يعرفهـا الناس هي أسمـاء وهي صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معاني، هي صفاته القائمة به.

فالحي يدل على الحيـاة، والعليم يدل على العلم، والقـدير يـدل على القدرة، هذا مذهب سلف الأمة وجماهير الأمم، ومن النـاس فرقـة شـاذة تزعم أن هـذه الأسماء لا تـدل على معاني كـأسماء الأعـلام، وقد تنـازع الناس فيمـا يسمى به سبحـانه، ويسمى بـه غيره كـالحي والعليم والقدير.

فـالجمهور على أنـه حقيقة فيهمـا. وقالت طـائفة كـأبـي العبـاس النـاشي[4]: إنها حقيقـة في الـرب ـ عـز وجـل ـ مجـاز في المخلوق،

---

(١) في س، أ، ك (دل) بدلاً من (يدل).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك، النـاشىء الأنباري المعـروف =

وقالت طائفة عكس هؤلاء من الجهمية والملاحدة والمتفلسفة إنها مجاز في الرب ـ عز وجل ـ حقيقة في المخلوق، والأولون هي عندهم متواطئة، وقد يسمونها مشككة لما فيها من التفاضل، وبعضهم يقول: هي مشتركة اشتراكاً لفظياً.



= بابن شرشير من الشعراء المجيدين، ويعد في طبقة ابن الرومي والبحتري، وهو الناشىء الأكبر وكان نحوياً عروضياً متكلماً ـ أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة طويلة ثم خرج إلى مصر وأقام بها إلى آخر عمره وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة في أربعة آلاف بيت، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٩٣هـ. ذكر ابن كثير أنه معتزلي.
انظر: البداية والنهاية ١٠١/١١.
انظر: وفيات الأعيان ٩١/٣؛ وشذرات الذهب ٣١٤/٢؛ والأعلام للزركلي ٢٦١/٤.

فصل

إبطال تمثيلهم الصفات بشعاع الشمس

وأما قولهم: كل صفة منها غير الأخرى:

فهذا إن أرادوا به أن صفات الرب ـ سبحانه وتعالى ـ قد تباينه وتنفصل عنه، وهو حقيقة قولهم: ويقولون مع ذلك[1] أنها متصلة به[2] فهو جمع بين النقيضين، وتمثيلهم بشعاع الشمس تمثيل باطل، وهو حجة عليهم لا لهم.

فإن الشعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان، ليس هو قائم بذات الشمس.

والقائم بذات الشمس، ليس هو قائماً بالهواء والأرض.

فإن قالوا: بل[3] ما يقوم به من العلم يفيض منه على قلوب الأنبياء علوم، كما يفيض الشعاع من الشمس.

قيل لهم: لا اختصاص للمسيح بهذا، بل هذا قدر مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، وليس في[4] هذا حلول ذات الرب ولا صفته[5] القائمة به بشيء من مخلوقاته، ولا أن العبد بما حل فيه من العلم والإيمان يصير إلّهاً معبوداً.

---

(١) في س، ك (مع ذلك) مكررة.

(٢) في أ (أنها متصلة به مع ذلك) بدلاً من (مع ذلك أنها متصلة به).

(٣) (بل) ساقطة من ط .

(٤) (في) ساقطة من س، أ، ك.

(٥) في ط (وصفته) بزيادة واو.

وإن أرادوا أنها قائمة به، وتسمى كل واحدة غير الأخرى، فهنا نزاع لفظي، هل تسمى غيراً أو لا تسمى غيراً؟

فإن من الناس من يقول: كل صفة للرب ـ عز وجل ـ فهي غير الأخرى، ويقول الغيران: ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز العلم بأحدهما مع الجهل بالآخر.

ومنهم من يقول ليست هي الأخرى، ولا هي هي لأن الغيرين ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز مفارقة أحدهما الآخر، بزمان أو مكان أو وجود.

والذي عليه سلف الأمة وأئمتها إذا قيل لهم علم الله وكلام الله، هل هو غير الله أم لا؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات، فإنه إذا قال غيره أوهم أنه مباين له[1].

وإذا قال ليس غيره أوهم أنه هو، بل يستفصل السائل، فإن أراد بقوله غيره أنه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه، وإن كان مخلوقاً، فكيف بصفات الخالق؟

وإن أراد بالغير أنها ليست هي هو، فليست الصفة هي الموصوف، فهي غيره بهذا الاعتبار، واسم الرب تعالى إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال، فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال.

فاسم الله يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال، وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى، بل هي داخلة في المسمى، ولكنها

---

(١) في ط وأ وك (قيل لهم غيره أوهم أنه مباين له) بدلاً من (قال غيره أوهم أنه مباين له)؛ وفي ط (مباين لهم) بدلاً من (مباين له).

زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات، فـأولئك لمـا زعموا أنه ذات مجردة قال هؤلاء بل الصفات زائدة على ما أثبتموه من الذات.

وأما في نفس الأمر، فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليهـا، بل الـرب ـ تعالى ـ هـو الذات المقـدسة المـوصوفـة بصفـات الكمال، وصفاته داخلة في مسمى أسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ .



فصل

بيان تناقض قول النصارى في عقيدة إيمانهم

وقولهم: فالإله واحد، خالق واحد، رب واحد[1].

هو حق في نفسه، لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم: (نؤمن برب واحد، يسوع المسيح[2] ابن الله الوحيد، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، مساوٍ الأب في الجوهر) فأثبتوا هنا الهين، ثم أثبتوا روح القدس إلّهاً ثالثاً، وقالوا إنه مسجود له، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ويقولون: إنما نثبت إلّهاً واحداً، وهو تناقض ظاهر، وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي.

ولهذا قال طائفة من العقلاء، إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلاَّ مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين، ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة[3] نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً، وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً.

• • •

(١) هذا من كلام النصارى في رسالة بولس الأنطاكي.
(٢) (المسيح) ساقطة من س، ك.
(٣) في ط، س، ك (عشر) بسقوط (ة).

فصل

وقولهم: (لا يتبعض ولا يتجزأ)، مناقض لما ذكروه في أمانتهم، ولما يمثلونه به.

فإنهم يمثلونه بشعاع الشمس، والشعاع يتبعض ويتجزأ، فإن ما يقوم منه بهذا الموضع بعض وجزء منه، ويمكن زوال بعضه مع بقاء بعض، فإنه إذا وضع على مطرح الشعاع شيء فصل ما بين جانبيه، وصار الشعاع الذي كان بينهما على ذلك الفوقاني فاصلاً بين الشعاعين السافلين.

يبين ذلك أن الشعاع قائم بالأرض والهواء، وكل منهما متجزىء متبعض، وما قام بالمتبعض فهو متبعض، فإن الحال يتبع المحل، وذلك يستلزم[1] التبعض[2] والتجزىء فيما قام به.

ويقولون أيضاً: إنه اتحد بالمسيح وأنه صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وعندهم أن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه، بل لما صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب كان الصاعد عندهم[3] هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت إلٰه تام، وإنسان تام، فهم لا يقولون: إن الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط، بل اللاهوت المتحد

(١) في أ (مستلزم) بدلاً من (يستلزم).
(٢) في ط، أ (التبعيض) بدلاً من (التبعض).
(٣) (عندهم) ساقطة من ك.

بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت، فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا.

وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لا نفهمه، بل هو من كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم، فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلونه، فهم جهال لا يجوز أن يتبعوا، وإن كانوا يعقلون[1] ما قالوه، فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد، إلَّا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد، وليس هو متصلاً به، بل غايته أن يكون مماساً له، بل يجب أن يكون الذي يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضاً فيقال لهم: المتحد بالمسيح أهو ذات رب العالمين، أم صفة من صفاته؟ فإن كان هو الذات[2]، فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه فإنهم يقولون: هو الله، وهو ابن الله، كما حكى الله عنهم، ولا يقولون هو الأب والابن[3]. والأب عندهم هو الله، وهذا من تناقضهم.

وإن قالوا المتحد بالمسيح صفة الرب فصفة الرب لا تفارقه، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيء دون الذات.

وأيضاً فالصفة نفسها ليست هي الإله الخالق رب العالمين، بل هي صفته[4]، ولا يقول عاقل: إن كلام الله، أو علم الله، أو حياة الله، هي

---

(١) في ط (لا يعقلون) بزيادة (لا).

(٢) في ط (ذات الأب) بدلاً من (الذات).

(٣) (الابن) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) في ط (صفة) بدلاً من (صفته).

رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض، فلو قدر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله، ولم يكن هو رب العالمين، ولا خالق السماوات والأرض.

والنصارى يقولون: إن المسيح رب العالمين خالق كل شيء، وهو خالق آدم ومريم، (وإن كان ابن آدم ومريم، فإنه خالق ذلك بلاهوته، وهو ابن آدم ومريم)[1] بناسوته.

فلو قدر أن المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق، فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها، بل هو مخلوق بكلمة الله، وسمى كلمة الله، لأن الله كونه (بكن)؟

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وسماه روحه، لأنه خلقه من نفخ روح القدس في أمه، لم يخلقه كما خلق غيره من أب آدمي.

قال الله ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٣٤، ٣٥. الآيتان ساقطتان من س، أ، ك.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٤٥ ــ ٤٧.

وإن قالوا: المتحد به بعض ذلك دون بعض، فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين: إما بطلان مذهبهم، وإما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه.

وأيضاً فقولهم: (إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، ابن الله الوحيد، المولود قبل كل الدهور).

يقال لهم: هذا الابن المولود المساوي للأب في الجوهر، الذي هو إله حق من إله حق، هل[1] هو صفة قائمة بغيرها؟ أو عين قائمة بنفسها؟

فإن كان الأول، فالصفة ليست إلٰهاً ولا هي خالقة، ولا يقال لها: مولودة من الله ولا أنها مساوية لله في الجوهر، ولم يسم قط أحد من الأنبياء، ولا أتباع الأنبياء صفات الله لا ابناً له ولا ولداً، ولا قال: إن صفة الله تولدت منه، ولا قال عاقل: إن الصفة القديمة تولدت من الذات القديمة.

وهم يقولون: إن المسيح إله خلق السماوات والأرض لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور، المساوي[2] الأب في الجوهر.

وهذا كله نعت[3] عين قائمة بنفسها، كالجواهر القائمة بنفسها، لا نعت صفات قائمة بغيرها، وإذا كان كذلك كان[4] التبعيض والتجزئة

---

(١) (هل) ساقطة من ط.

(٢) في أ (ومساو) بدلاً من (المساوي).

(٣) (نعت) ساقطة من س.

(٤) (كان) ساقطة من ط.

لازمة لقولهم، فإن القول بالولادة الطبيعية مستلزم لأن يكون خرج منه جزء، قال ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[١].

وأما هذا المعنى الذي يثبته من علماء النصارى ويسمونه ولادة وبنوة * فيسمونه الصفة القديمة الأزلية القائمة بالموصوف ابناً، ويسمونها تارة النطق، وتارة[٢] الكلمة[٣]، وتارة العلم، وتارة الحكمة، ويقولون: هذا مولود من الله، وابن الله.

فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم، ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى.

والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن إلاّ على مخلوق[٤]، وهم يقولون: هو أب للمسيح بالطبع، ولغيره بالوضع، فلا يعقل جمهور العقلاء[٥]

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ١٥ ـ ١٩.
في ط (عبد الرحمن) بدلاً من (عباد الرحمن).
(٢) (وتارة) ساقطة من ط.
(٣) في أ (بالكلمة) بزيادة (ب).
(٤) في أ (المخلوق) بزيادة (ال).
(٥) في س (النصارى) بدلاً من (العقلاء).

وغيـرهم[١] من هـذا المعنى[٢] إلَّا البنـوة المعقـولـة بـانفصـال جـزء من الوالد[٣]، وهذا ينكره من ينكره من علمائهم.

لكنهم لم يتبعوا الأنبياء، (ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلوا فيما نقوله عن الأنبيـاء)[٤]، وأضلوا أتباعهم فيمـا قالـوه، وعوامهم وإن كـانوا لا يقولون: إن ولادة الله مثل[٥] ولادة الحيوان بـانفصال شيء يـوجد[٦]، فيقولون: ولادة لاهـوتية بـانفصال جـزء من اللاهـوت حل في النـاسوت لا يعقل من الولادة غير هذا *[٧].

وأيضـاً فقولهم: (ونؤمن بـروح القـدس الـرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب مسجود لـه وممجد نـاطق في الأنبياء)، فقـولهم المنبثق من الأب الذي هو مع الأب[٨] مسجود لـه[٩] وممجد، يمتنـع أن يقـال هذا في حيـاة الرب القـائمة بـه، فإنهـا ليست منبثقـة منـه كسـائـر الصفات، إذ لو كان القائم بنفسه منبثقاً لكان علمه وقدرته، وسائر صفاته منبثقة[١٠] منه، بل الانبثاق في الكـلام أظهر منـه في الحياة، فـإن الكلام يخـرج من المتكلم، وأمـا الحيـاة فـلا تخــرج من الحي، فلو كـان في

---

(١) في ط (وغيرهما) بدلاً من (وغيرهم).
(٢) (المعنى) ساقطة من س، ك، ط.
(٣) في ط (الولد) بدلاً من (الوالد).
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٥) في أ (الولادة عن الله مثل هؤلاء) بدلاً من (أن ولادة الله مثل).
(٦) (يوجد) ساقطة من س.
(٧) في ك ما بين النجمتين كتب في وريقة إضافية مع ص ٣٠٠ في المخطوطة.
(٨) (مع الأب) ساقطة من ط، س، ك.
(٩) (له) ساقطة من ط، س.
(١٠) في ك، (مشتقة) بدلاً من (منبثقة).

الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التي يسمونها الابن، ويقولون: هي العلم والكلام أو النطق والحكمة، أولى بأن تكون منبثقة[1] من الحياة التي هي أبعد عن ذلك من الكلام.

وقد قالوا أيضاً: إنه مع الأب مسجود له وممجد، والصفة القائمة بالرب ليست معه مسجود لها، وقالوا: هو ناطق في الأنبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الأنبياء، بل هذا كله صفة روح القدس الذي يجعله الله في قلوب الأنبياء، أو صفة ملك من الملائكة كجبريل، فإذا كان هذا منبثقاً من الأب، والانبثاق الخروج، فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا.

وإذا شبهوه بانبثاق الشعاع من الشمس كان هذا باطلاً من وجوه:

منها: أن الشعاع عرض قائم بالهواء والأرض، وليس جوهراً قائماً بنفسه، وهذا عندهم حي مسجود له، وهو جوهر.

ومنها: أن ذلك الشعاع القائم بالهواء والأرض ليس صفة للشمس، ولا قائماً بها وحياة الرب صفة قائمة به.

ومنها: أن الانبثاق خصوا به روح القدس، ولم يقولوا في الكلمة إنها منبثقة.

والانبثاق لو كان حقاً لكان[2] بالكلمة[3] أشبه منه بالحياة، وكلما تدبر العاقل[4] كلامهم في الأمانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد

(١) (منبثقة) ساقطة من ط.
(٢) في ط (لكلام) بدلاً من (لكان).
(٣) في س (الكلام) بسقوط (بـ).
(٤) في ط (أجهل العاقل) بزيادة (أجهل).

مـا لا يخفى[1] إلَّا على أجهل[2] العبـاد ووجد فيـه من مناقضتـه التـوراة والإنجيل، وسائر كتب الله ما لا يخفى من تدبر هذا، وهذا.

ووجـد فيه من منـاقضة صـريـح المعقـول[3] مـا لا يخفى إلَّا على معاند أو جهول، فقولهم متناقض في نفسه، مخـالف لصريـح المعقول، وصحيـح المنقـول عن جميـع الأنبيـاء والمـرسلين ـ صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ[4].



(١) في أ (يختفي) بدلاً من (يخفىٰ).
(٢) (أجهل) ساقطة من ط.
(٣) في س، ك (العقول) بدلاً من (المعقول).
(٤) (أجمعين) ساقطة من س، ك.

فصل

نَقْض قولهم أن اللّطائف لا تظهر إلاَّ في الكثائف، ولهذا تجسَّمت كلمة الله الخالقة بعيسى

قالوا[1]: وأما تجسم كلمة الله الخالقة[2] بإنسان مخلوق وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت، فإنه لم يخاطب الباري أحداً من الأنبياء إلاّ وحياً أو من وراء حجاب، حسب ما جاء في هذا الكتاب بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ ﴾[3].

وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلاّ في الكثائف[4] روح[5] القدس[6] وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف والكثائف[4]، تظهر في غير كثيف[7] كلا.

ولذلك ظهر في[8] عيسى بن مريم، إذ الإنسان أجل ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا منه ما شاهدوا[9].

---

(١) أي النصارى في رسالة بولس الإنطاكي الذي يحكي قولهم.

(٢) في أ (الخالق) بدلاً من (الخالقة).

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥١.

(٤) في أ (الكتائف) بدلاً من (الكثائف)؛ وفي س، ك (الكتائف) بدون تنقيط الثاء.

(٥) في أ (الروح) بزيادة (ال).

(٦) (القدس) ساقطة من أ.

(٧) في ط (كشف)؛ وفي س، ك غير منقطة؛ وفي أ (كتيف). والسياق قبلها يؤيد كونها (كثيف) كما أثبتناه.

(٨) (في) ساقطة من ط .

(٩) انتهى كلامهم، والذي بعده جواب الشيخ عنهم.

والجواب من طرق:

أحدها: أنه يقال: هـذا الـذي ذكــروه ، وادعوا أنـه تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق، وولادتهمـا معاً، أي الكلمـة مع النـاسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت، هو أمر ممتنع في صـريح العقل، وما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسـول، فإن الرسل إنما تخبر بما لا يعلم بالعقل أنه ممتنع، فأما ما يعلم بصريـح العقل أنه ممتنع، فالرسل منزهون عن الإخبار عنه[1].

الطريق الثاني: أن الأخبـار الإلّهية صـريحة بـأن المسيح عبـد الله ليس بخالق العالم، والنصارى يقولون: هو إلّه تام وإنسان تام.

الطريق الثالث: الكلام[2] فيما ذكروه.

فأما الطريق الأول فمن وجوه:

أحـدهـا: أن يقـال: المتحد بـالمسيح إمـا أن يكـون هـو الـذات المتصفـة بـالكـلام أو الكـلام فقط، وإن شئت قلت: المتحـد بـه، إمـا الكـلام مع الـذات، (وإما الكـلام بدون الـذات، فإن كـان المتحـد بـه الكـلام مـع الـذات)[3] كـان المسيــح هـو الأب وهــو الابن وهـو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة.

وهذا باطل باتفاق النصارى، وسـائر أهـل الملل، وباتفـاق الكتب الإلّهية، وباطل بصريح العقل كما سنذكره إن شاء الله.

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة، والصفة لا تقوم

---

(١) في أ (به) بدلاً من (عنه).

(٢) (الكلام) ساقطة من ط .

(٣) ما بين القوسين ساقط من س.

بغير موصوفها، والصفة ليست إلّهاً خالقاً، والمسيح عندهم إلّه خالق، فبطل قولهم على التقديرين، وإن قالوا: المتحد به الموصوف بالصفة فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، وإن قالوا: الصفة فقط، فالصفة لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغير الموصوف، والصفة لا تخلق ولا[1] ترزق، وليست الإله. والصفة لا تقعد[2] عن يمين الموصوف، والمسيح عندهم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه.

وأما كونه هو الأب فقط، وهو الذات المجردة عن الصفات، (فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا)[3].

الوجه[4] الثاني: أن الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد، فليس ذلك باتحاد.

وإن قيل: صارا[5] جوهراً واحداً، كما يقول من يقول منهم: إنهما صارا كالنار مع الحديدة، أو اللبن مع الماء، فهذا يستلزم استحالة كل منهما، وانقلاب صفة كل منهما، بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا، والنار مع الحديدة، وحينئذٍ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته. والاستحالة لا تكون إلّا بعدم شيء ووجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه.

---

(١) (لا) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) (لا تقعد) ساقطة من ط .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

(٤) (الوجه) جعلت في ط في آخر الكلام السابق.

(٥) في ط (صار) بسقوط ألف التثنية.

وما وجب قدمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه، فإن القديم لا يكون قديماً إلَّا لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازماً للواجب بنفسه، إذ لو لم يكن لازماً له ــ بل كان غير لازم له ــ لم يكن قديماً بقدمه والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم إلَّا بعدمه، فإنه يلزم من[1] انتفاء اللازم انتفاء الملزوم.

الوجه الثالث: أن يقال: الناس لهم في كلام الله ــ عز وجل ــ عدة أقوال، وقول النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله فثبت بطلانه على كل تقدير، وذلك أن كلام الله ــ سبحانه ــ إما أن يكون صفة له قائماً به، وإما أن يكون مخلوقاً له بائناً عنه: وإما أن يكون لا هذا ولا هذا بل هو ما يوجد في النفوس، وهذا الثالث هو أبعد الأقوال[2] عن أقوال[3] الأنبياء، وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة: إن الرب لا تقوم به الصفات وليس هو خالقاً باختياره.

ويقولون مع ذلك: إنه ليس عالماً بالجزئيات، ولا قادراً على تغيير الأفلاك، بل كلامه عندهم ما يفيض على النفوس، وربما سموه كلاماً بلسان الحال.

وهؤلاء ينفون الكلام عن الله، ويقولون: ليس بمتكلم، وقد يقولون: متكلم مجازاً، لكن لما نطقت به الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أطلقه من دخل في الملل منهم، ثم فسره بمثل هذا، وهذا أحد قولي الجهمية.

---

(١) (من) ساقطة من ط .

(٢) (الأقوال) ساقطة من أ، س.

(٣) في أ (الأقوال) بزيادة (ال).

والقول الثاني: أنه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه في غيره، وهو قول المعتزلة وغيرهم، والقول الآخر للجهمية.

وعلى هذين القولين، فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح، أو يحل به، والمخلوق عرض من الأعراض ليس بإله خالق، وكثير من أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، من يقول بهذا وهذا.

وأما القول الأول، وهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجمهورها، وقول كثير من[1] سلف أهل الكتاب، وجمهورهم ـ فإما أن يقال الكلام قديم النوع، بمعنى أنه لم يزل يتكلم بمشيئته[2]، أو قديم العين. وإما أن يقال ليس بقديم، بل هو حادث، والأول هو القول المعروف عن أئمة السنّة والحديث.

وأما القائلون بقدم العين، فهم يقولون الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم أنه لا تحله الحوادث، وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلاّ حادثاً.

ولهم قولان: منهم من قال القديم معنى واحد، أو خمسة معان، وذلك المعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً، وهذه صفات له لا أقسام له، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

ومنهم من قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة الأعيان.

والقول الثالث: إنه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته، قالوا: وهو حادث، ويمتنع[3] أن يكون قديماً، لامتناع كون المقدور

---

(١) (كثير من) ساقطة من أ.

(٢) في ط (متكلماً بمشيئة) بدلاً من (يتكلم بمشيئته).

(٣) في أ (وممتنع) بدلاً من (ويمتنع).

المراد قديماً، وهذه الطوائف بنوا أقوالهم على أن ما لم يخلُ عن الحوادث، فهو حادث لامتناع وجود ما لا نهاية له عندهم، وإذا امتنع ذلك تعين أن يكون لنوع الحوادث ابتداء، كما للحادث المعنى ابتداء ولم يسبق الحوادث كان معه أو بعده، فيكون حادثاً، فلهذا منع هؤلاء أن تكون كلمات الله لا نهاية لها في الأزل، وإن كان من هؤلاء من يقول بدوام وجودها في الأبد.

وأما القول بأن كلمات الله لا نهاية لها مع أنها قائمة بذاته، فهو القول المأثور عن أئمة السلف، وهو قول أكثر أهل الحديث، وكثير من أهل الكلام، ومن الفلاسفة. وهذه الأقوال قد بسط الكلام عليها في غير موضع.

والمقصود هنا أن قول النصارى باطل على[1] كل قول من هذه الأقوال الأربعة كما تقدم بيان بطلانه على ذينك القولين، فإنه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة، إما كلمات لا نهاية لها ولم تزل، وإما كلمات لها ابتداء، وإذا كان له كلمات كثيرة فالمسيح ليس هو الكلمات التي[2] لا نهاية لها وليس هو كلمات كثيرة، بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله كما[3] في الكتب الإلهية: القرآن[4] والتوراة، إنه يخلق الأشياء بكلماته.

قال ـ تعالى ـ في قصة بشارة مريم بالمسيح:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

---

(1) في ط (في) بدلاً من (على).

(2) في س، أ، ك (الذي) بدلاً من (التي).

(3) (كما) ساقطة من ط.

(4) في أ (والقرآن) بزيادة واو.

(5) سورة آل عمران: من الآية ٤٧.

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(١)].

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٢)].

وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع، بقوله:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٣)].

وفي التوراة: (ليكن يوم الأحد، ليكن كذا، ليكن كذا)[(٤)].

وأيضاً فعلى قول هؤلاء وعلى قول من يجعل كلامه إما معنى واحداً، وإما خمسة معاني، وإما حروف وأصوات هي شيء واحد فكلهم يقولون: إن الكلام صفة قائمة بالموصوف لا يتصور أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، ولا يتصور أن يكون خالقاً، ولا للكلام مشيئة، ولا هو[(٥)] جوهر آخر غير جوهر المتكلم، ولا يتحد بغير المتكلم، بل جمهورهم يقولون: إنه لا يحل أيضاً بغير المتكلم.

ومن قال بالحلول منهم فلا يقول: إن الحال جوهر، ولا إله خالق فتبين أن ما قاله النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٣٤، ٣٥.

(عيسى بن مريم) ساقطة من أ.

(٣) سورة يس: الآية ٨٢.

(٤) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(٥) (هو) ساقطة من ط، أ.

في[1] كلام الله مع أن أكثر هذه الأقوال خطأ، ولما كان قول النصارى فساده أظهر للعقلاء كان الخطأ الذي في أكثر هذه الأقوال قد خفي على العقلاء الذين قالوها، ولم يخف عليهم فساد قول النصارى.

وأيضاً فالذين قالوا بالحلول من الغلاة الذين يكفرهم المسلمون، كالذين يقولون بحلوله في بعض أهل البيت أو بعض المشايخ، هم وإن كانوا كفاراً شاركوا النصارى في الحلول، ولكن[2] لم يقولوا أن الكلمة التي حلت هي الإلّه الخالق، فيتناقضون تناقضاً ظاهراً، مثل ما في قول النصارى من[3] التناقض البين ما ليس في قول هؤلاء، وإن كانوا[4] في بعض الوجوه قولهم شر من قول النصارى.

الوجه[5] الرابع: أن يقال لو كان المسيح نفس كلمة الله فكلمة الله[6] ليست هي الإلّه الخالق للسماوات والأرض، ولا هي تغفر الذنوب، وتجزي الناس بأعمالهم، سواء كانت كلمته[7] صفة له أو[8] مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته، فإن علم الله وقدرته وحياته لم تخلق العالم، ولا يقول أحد: يا علم الله اغفر لي، ويا قدرة الله توبي علي، ويا كلام الله ارحمني، ولا يقول: يا توراة[9] الله[10]

---

(١) (في) ساقطة من ط .
(٢) في س (لكن) بسقوط الواو.
(٣) في ط، س، ك (ومن) بزيادة واو.
(٤) في ط (كان) بدلاً من (كانوا).
(٥) في ط (والوجه) بزيادة واو.
(٦) في أ (نفس الكلمة كلمة الله فكلمة الله الله) بدلاً من (نفس كلمة الله فكلمة الله).
(٧) في ط (كلمة) بدلاً من (كلمته).
(٨) في ط، ك، س (أم) بدلاً من (أو).
(٩) في ط (توراته) بدلاً من (توراة).
(١٠) في ط سقط لفظ الجلالة (الله).

أو يا إنجيله أو يا قرآنه اغفر لي وارحمني، وإنما يدعو[1] الله ـ سبحانه ـ، وهو ـ سبحانه ـ متصف بصفات الكمال، فكيف والمسيح ليس هو نفس الكلام؟

فإن المسيح جوهر قائم بنفسه، والكلام[2] صفة قائمة بالمتكلم[3]، وليس هو نفس الرب المتكلم، فإن الرب المتكلم هو الذي يسمونه الأب، والمسيح ليس هو الأب عندهم، بل الابن، فضلوا في قولهم من جهات:

منها: جعل الأقانيم ثلاثة، وصفات الله لا تختص بثلاثة.

ومنها: جعل الصفة خالقة، والصفة لا تخلق.

ومنها: جعلهم المسيح نفس الكلمة، والمسيح خلق بالكلمة، فقيل له: كن فكان، كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ تفسير ذلك، وإنما خص المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر، لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات يخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين: الأب والأم.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يخلق من ماء رجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله: كن فكان، ولهذا شبهه الله بآدم في قوله:

---

(١) في س (يدعا) بدلاً من (يدعو).

(٢) في أ (فالكلام) بدلاً من (والكلام).

(٣) في ط (المتكلم) بسقوط (بـ).

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

فإن آدم ـ عليه السلام ـ خُلق من تراب وماء، فصار طيناً ثم أيبس الطين، ثم قال له: كن فكان، وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً، لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح، فإن الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه، فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر[2]، ثم يخرج طفلًا يرتضع، ثم يكبر شيئاً بعد شيء، وآدم ـ عليه السلام ـ حين خلق جسده قيل له كن فكان بشراً تاماً بنفخ[3] الروح فيه، ولكن لم يسم كلمة الله لأن جسده خلق من التراب والماء، وبقي مدة طويلة ـ يقال: أربعين سنة، فلم يكن خلق جسده إبداعياً في وقت واحد، بل خلق شيئاً فشيئاً، وخلق الحيوان من الطين معتاد[4] في الجملة.

وأما المسيح ـ عليه السلام ـ فخُلق جسده خلقاً إبداعياً بنفس نفخ روح القدس في أمه، قيل له: كن فكان. فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله ـ ما لم يكن لغيره من البشر، ومن الأمر المعتاد في لغة العرب وغيرهم أن الاسم العام إذا كان له نوعان خصت[5] أحد النوعين باسم وأبقت الاسم العام مختصاً بالنوع. كلفظ الدابة والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان، ثم لما كان للآدمي اسم يخصه

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) أي بعد نفخ الروح فيه، ومعلوم أن الروح تنفخ فيه بعد ثلاثة أشهر، والله أعلم.

(٣) في ط (ينفخ).

(٤) في أ، ك (معتاداً) بزيادة (أ).

(٥) في أ (خص) بسقوط (ت).

بقي لفظ[1] الحيوان يختص به البهيم، ولفظ الدابة يختص به الخيل أو هي والبغال والحمير ونحو ذلك، وكذلك لفظ الجائز والممكن، وذوي الأرحام، وأمثال ذلك، فلما كان لغير المسيح ما يختص به، أبقي اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح.

الطريق الثاني: أن ما ذكروه حجة عليهم، فإن الله إذا لم يكلم أحداً من الأنبياء إلَّا وحياً أو من وراء حجاب. فالمسيح عيسى بن مريم يجب أن لا يكلمه إلَّا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولاً.

وقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾[2].

يعم كل بشر: المسيح وغيره.

وإذا[3] امتنع (أن يكلمه الله إلَّا وحياً أو من وراء حجاب)[4] فامتناع أن يتحد به (أو يحل فيه أولى وأحرى.

فإن ما اتحد به)[5] وحل فيه كلمة الله[6] من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت، وهم قد سلموا أن الله لا يكلم بشراً إلَّا من وراء حجاب.

---

(١) في ط، ك، س (كلفظ) بزيادة (كـ).
(٢) سورة الشورى: من الآية ٥١.
(٣) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٤) ما بين القوسين ساقط من ك.
(٥) ما بين القوسين ساقط من س.
(٦) في ك، ط سقط لفظ الجلالة (الله).

الوجه الثالث: أن قوله:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾[1].

يقتضي أن يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسى، فيقتضي ذلك أنهم لا يرونه في الدنيا، وإن كلمهم كما أنه كلم موسى ولم يره موسى بل سأل الرؤية فقال:

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

قيل[3]: (أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا)[4] وعندهم في التوراة[5]: (أن الإنسان لا يمكنه أن يرى الله في الدنيا فيعيش)[6]،

---

(١) سورة الشورى: من الآية ٥١.
في س، أ، ك (ما كان لبشر) بسقوط الواو.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

(٣) الجملة هنا لا تتم إلاَّ إذا كانت كما يلي (قيل: قال «أنا أول من آمن. . .» إلخ). لكنها كتبت هكذا في سائر النسخ.

(٤) وجدت في تفسير ابن كثير: «وكذا قال أبو العالية: فد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة، وهذا قول حسن له اتجاه. . .».
انظر: تفسير ابن كثير ـ طبعة الحلبي ٢/٢٤٥.

(٥) (التوراة) ساقطة من س.

(٦) ما بين القوسين كتبت في أ هكذا: (لن تراني إن الإنسان لا يمكن رؤيتي في الدنيا فيعيش).
في ك كتبت هكذا: (أنه ما رآه حي إلاَّ مات ولا يابس إلاَّ تدهده، قلت لفظ التوراة لن تراني، أن الإنسان لا يمكنه يرى الله في الدنيا فيعيش).
* وفي سفر الخروج ـ الإصحاح ٣٣ (٢٠ ـ قال: لا تقدر أن ترى وجهي لأن =

وكـذلـك قـال عيسى لمّا سـألوه عن رؤيـة الله فقال: (إن الله لم يـره أحد قط)[1]. وهـذا معـروف عنـدهم. وإذا كـان كـذلـك فـلا بـد أن يكـون الحجاب الحاجب للبشر ليس هو من البشر، وهذا يبـطل قول النصـارى فـإنهم يقولـون: إن الرب احتجب بحجـاب بشري، وهـو الجسد الـذي ولدته مريم فاتخذه حجاباً، وكلم الناس من ورائه، والقرآن يدل على أن الحجاب ليس من البشر.

يبين هذا **الوجه الرابع**: وهو أن ذلك الجسد الذي ولدته مريم هـو من جنس أجسـام بني آدم. فإن جـاز أن يتحد بـه، ويحل فيـه، ويـطيق الجسد البشري ذلك في الدنيا بما يجعله الله فيه من القوة، جاز أن يتحد بغيره من الأجسام بما يجعله فيهامن القوة. وإذا جاز أن يتحد بها جاز أن يكلمهـا بغير حجـاب بينه وبينهـا بطريق الأولى والأحـرى، وهذا خـلاف ما ذكروه وخلاف القرآن.

فتبين أن نفي الأنبيـاء لأن يراه المـرء في الدنيـا هو نفي لممـاسته ببشـر بطريق الأولى والأحـرى. والنـاسـوت المسيحي[2] هـو بشـر فـإذا لم يمكنه أن يرى الله فكيف يمكنه أن يتحد به، ويماسه ويصير هـو وإياه كاللبن والماء، والنار والحديد، أو كالروح والبدن؟

الوجه[3] **الخـامس**: أنه من المعلوم أن رؤيـة الآدمي له أيسـر من

= الإنسان لا يراني ويعيش) وهو بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٤٢.

(١) في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الأول: (١٨ ــ الله لم يره أحد قط).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٥.

(٢) (المسيحي) ساقطة من س.

(٣) في ط (والوجه) بزيادة واو.

اتحاده به، وحلوله فيه، وأولى بالإمكان فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله، ومنعها على ألسن[1] رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به.

الوجه السادس: أنه لو كان حلوله في البشر مما هو ممكن وواقع، لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك دون من قبله وبعده معنى[2]، فإن القدرة[3] شاملة والمقتضى ــ وهو وجود[4] الله وحاجة الخلق[5] ــ موجودة، ولهذا لما كانت الرسالة ممكنة أرسل من[6] البشر غير واحد. ولما كان سماع كلامه للبشر ممكناً سمع كلامه غير واحد. ورؤيته في الدنيا بالأبصار لم تقع لأحد باتفاق علماء المسلمين، لكن لهم في النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قولان، والذي عليه أكابر العلماء وجمهورهم أنه لم يره بعينه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

والخلة لما كانت ممكنة اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً أيضاً خليلاً كما في الصحيح[7] من غير وجه عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[8]، وقال ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لو كنت متخذاً من أهل الأرض ــ خليلاً

---

(١) في أ (النبيين) بدلاً من (ألسن).

(٢) (معنى) ساقطة من ط، س، ك.

(٣) في ط (القدوة) بدلاً من (القدرة).

(٤) في س، ك (جود) بسقوط الواو.

(٥) (وحاجة الخلق) ساقطة من س، ك.

(٦) (من) ساقطة من س، ك.

(٧) في س، ط (الصحيحين) بدلاً من (الصحيح).

(٨) انظر:

* صحيح البخاري ــ كتاب الأنبياء ــ باب ٩.

* وسنن ابن ماجه ــ المقدمة ــ باب ١١ ــ عن عبد الله بن عمرو. بلفظه.

لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[1] يعني نفسه.

الوجه السابع: قولهم: وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلاَّ في الكثائف[2] مثل الروح وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت الكثائف[3] تظهر في غير كثيف[4] كلا؟

فيقال لهم ظهور اللطائف في الكثائف[5] كلام مجمل، فإن أردتم أن روح الإنسان تظهر في جسده، أو الجنى يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا مما نحن فيه، وإن أردتم أن الله تعالى نفسه يحل في البشر، فهذا محل النزاع فأين الدليل عليه؟ وأنتم لم تذكروا إلاَّ ما يدل على نقيض ذلك.

الوجه[6] الثامن: أن هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل، ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله يحل في بشر، ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه، وإنما يدعي ذلك[7] الكذابون، كالمسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، ويدعى الإلٰهية فينزل الله تبارك وتعالى عيسى ابن مريم

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ٥ عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ بلفظه.
* وفي الترمذي أبواب المناقب، باب ٥٠ مناقب أبي بكر عن عبد الله بن مسعود بلفظه.

(٢) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٣) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٤) في أ، س (كتيف).

(٥) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٦) في ط، س (والوجه) بزيادة واو في أولها.

(٧) (ذلك) ساقطة من ط.

مسيح الهدى، فيقتل مسيح الهدى ــ الذي ادعيت فيه الإلٰهية بالباطل ــ المسيح[1] الدجال الذي ادعى الإلٰهية بالباطل، ويبين أن البشر لا يحل فيه رب العالمين.

ولهذا لما أنذر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالمسيح الدجال، وقال «ما من نبي إلَّا وقد أنذر أمته المسيح الدجال حتى نوح أنذر قومه به»[2].

وذكر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ له ثلاث دلائل ظاهرة تظهر[3] لكل مسلم تبين كذبه:

أحدها: قوله (مكتوب بين عينيه كافر «ك ف ر» يقرأه[4] كل مؤمن: قارىء وغير قارىء)[5].

---

(١) في أ، س (للمسيح) بدلاً من (المسيح).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في أ (يظهر) بدلاً من (تظهر).

في ك، س غير منقوطة التاء.

(٤) في ط (ويقرأه) بزيادة (و).

(٥) انظر:

* صحيح مسلم ــ كتاب الفتن ــ باب ٢٠، حديث ١٠١ ــ ١٠٢ ــ ١٠٣ عن أنس بن مالك بلفظه، وحديث ١٠٥، عن حذيفة بمعناه، وباب ١٩، حديث ٣/٩٥ عن عبد الله بن عمرو بلفظه.

* صحيح البخاري ــ كتاب الفتن ــ باب ٢٦ عن عبد الله بن عمر جملة: «أنه أعور وربكم ليس بأعور» وكتاب الأنبياء ــ باب ٨، عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ.

* سنن ابن ماجه ــ كتاب الفتن ــ باب ٣٣ ــ حديث ٤٠٧٧، عن أبي أمامة من حديث طويل بلفظه.

* مسند الإمام أحمد ٣٨/٥ عن أبي بكرة بلفظه.

* سنن الترمذي ــ كتاب الفتن ــ باب ما جاء في الدجال ــ حديث ٢٢٣٦، عن ابن عمر بلفظه.

الثاني: قوله: (واعلموا أن أحداً منكم[1] لن يرى ربه حتى يموت)[2] فبين أن الله لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، وكل بشر[3] فإنه يرى في الدنيا بالعين فعلم أن الله لا يتحد ببشر.

الثالث: قوله: (أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور) ودلائل نفي الربوبية. عنه كثيرة.

لكن[4] لما كان حلول اللاهوت في البشر واتخاذه به مذهباً ضل به طوائف كثيرون من بني آدم النصارى وغيرهم، وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة، والنصارى احتجوا على إلٰهية المسيح بمثل ذلك، ذكر[5] النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من علامات كذبه أموراً ظاهرة لا يحتاج فيها إلى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين، فإن كثيراً من الناس بل أكثرهم تدهشهم الخوارق حتى يصدقوا صاحبها[6] قبل النظر في إمكان دعواه، وإذا صدقوه صدقوا النصارى في دعوى إلٰهية المسيح، وصدقوا أيضاً من ادعى الحلول

---

(١) (منكم) ساقطة من أ.

(٢) انظر:

* صحيح مسلم ــ كتاب الفتن ــ باب ١٩ ــ حديث ٣/٩٥، عن عمر بن ثابت الأنصاري بلفظه.

* سنن الترمذي ــ كتاب الفتن ــ باب ما جاء في الدجال ــ حديث ٢٣٣٦، عن ابن عمر بلفظه.

* سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب ٣٣، حديث ٤٠٧٧، عن أبي أمامة بمعناه.

(٣) في ك (مرئي) بدلاً (بشر).

(٤) في ط (ولكن) بزيادة واو.

(٥) في ط (وذكر) بزيادة واو.

(٦) في أ (ما فيها) بدلاً من (صاحبها).

والاتحاد في بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الإفك والفجور.

وبهذا يظهر الجواب عما يورده بعض أهل الكلام كالرازي[1] على هذا الحديث حيث قالوا: دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة، فكيف يحتج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على ذلك بقوله إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور؟ وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من الضلال وبالأدلة البينة التي تبين فساد الأقوال الباطلة، وإلَّا فإذا كان بنو إسرائيل في عهد موسى ظنوا أن العجل هو إلٰه موسى، فقالوا: هذا إلٰهكم وإلٰه موسىٰ، وظنوا أن موسى نسيه.

والنصارى مع كثرتهم يقولون: أن المسيح هو الله، وفي المنتسبين إلى القبلة خلق كثير يقولون: ذلك في[2] كثير من المشايخ، وأهل البيت حتى إن كثيراً من أكابر شيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد وينشدون:

ما وحَّد الواحد من واحد ... إذ كل من وحَّده جاحد
توحيد من يخبر عن نعته ... عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد[3]

فكيف يستبعد مع إظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة أن يعتقد فيه أنه الله، وهو يقول: أنا الله، وقد اعتقد ذلك فيمن لم يظهر فيه مثل خوارقه من الكذابين، وفيمن لم يقل: أنا الله كالمسيح، وسائر الأنبياء والصالحين.

---

(١) سبقت الترجمة له في ٣/ ٢٨٢.
(٢) (في) ساقطة من ط.
(٣) هذه الأبيات منسوبة لابن عربي الطائي. ذكرها في مدارج السالكين ٣/٥١٣.

الوجه التاسع: قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف[1] كلا، فيقال لهم: كلمة الله التي يدعون ظهورها في المسيح، أهي كلام الله الذي هو صفته، أو ذات الله المتكلمة أو مجموعها؟ فإن قلتم: الظاهر فيه نفس الكلام فهذا يراد به شيئان:

إن أريد به أن الله أنزل كلامه على المسيح، كما أنزله على غيره من الرسل، فهذا حق اتفق عليه أهل الإيمان، ونطق به القرآن.

وإن أريد به أن كلام الله فارق ذاته وحل في المسيح أو غيره، فهو باطل مع أن هذا لا ينفع النصارى، فإن المسيح عندهم إله خلق السماوات والأرض، وهو عندهم ابن آدم وخالق آدم، وابن مريم وخالق مريم، ابنها بناسوته وخالقها بلاهوته.

وإن أرادوا بظهور الكلمة ظهور ذات الله أو ظهور ذاته وكلامه في الكثيف الذي هو الإنسان، فهذا أيضاً يراد به ظهور نوره * في قلوب المؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿... ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾. إلى قوله: ﴿... كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ...﴾[2] الآية.

وكما (ظهر الله[3] من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من

---

(١) في س، أ (كتيف) بدلاً من (كثيف).

(٢) سورة النور: الآية (٣٥)

في أ قد أورد الآيات كاملة من قوله: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري﴾.

(٣) لفظ الجلالة ساقط من ك.

جبال فاران)[1]، (وكما تجلى لإبراهيم، كما ذكره في التوراة)[2]، فهذا لا يختص بالمسيح، بل هو لغيره[3] كما هو له.

وإن أرادوا أن ذات الرب حلت في المسيح، أو في غيره *[4] فهذا محل النزاع، فأين دليلهم على إمكان ذلك، ثم وقوعه؟ مع أن جماهير العقلاء من أهل الملل وغيرهم يقولون: هذا غير واقع، بل هو[5] ممتنع.

الوجه العاشر: قولهم: فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا. كلام باطل.

فإن ظهور ما يظهر من الأمور الإلٰهية إذا أمكن ظهوره فظهوره[6] في اللطيف أولى من ظهوره في الكثيف، فإن الملائكة تنزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام، وتتلقى كلام الله من الله، وتنزل به على الأنبياء عليهم السلام، فيكون وصول كلام الله إلى ملائكة قبل وصوله إلى البشر، وهم الوسائط كما قال ــ تعالى ــ:

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[7].

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٤٥.

(٢) انظر: العهد القديم ــ الإصحاح ١٢، سفر التكوين (وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض).

(٣) في ط، ك (كغيره) بدلاً من (لغيره).

(٤) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٥) في أ (هذا) بدلاً من (هو).
في س (على هذا) بدلاً من (بل هو).

(٦) في ك (بظهوره) بدلاً من (فظهوره).

(٧) سورة الشورى: من الآية ٥١.

والله ـ تعالى ـ أيَّد رسله من البشر حتى أطاقوا التلقي عن الملائكة، وكانت الملائكة تأتيهم أحياناً في غير الصورة البشرية، وأحياناً في الصورة البشرية، فكان ظهور الأمور الإلٰهية باللطائف ووصولها إليهم أولى منه بالكثائف، ولو جاز أن يتحد الرب سبحانه بحي من الأحياء، ويحل فيه، لكان حلوله في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر.

الوجه الحادي عشر: أن الناسوت المسيحي عندهم الذي اتحد به هو البدن والروح معاً، فإن المسيح كان له بدن وروح، كما لسائر البشر، واتحد به عندهم اللاهوت، فهو عندهم اسم يقع على بدن وروح آدميين وعلى اللاهوت، وحينئذ فاللاهوت على رأيهم إنما اتحد في لطيف وهو الروح، وكثيف وهو البدن، لم يظهر[1] في كثيف فقط. ولولا اللطيف الذي كان مع الكثيف، وهو الروح لم يكن للكثيف فضيلة ولا شرف.

الوجه الثاني عشر: أنهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن، كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح في البدن، وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح، وما تتألم به الروح يتألم به البدن، فيلزمهم[2] أن يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان اللاهوت أيضاً متألماً متوجعاً، وقد خاطبت بهذا بعض النصارى فقال لي: الروح بسيطة، أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت، أمنعمة أو معذبة؟ فقال: هي في العذاب، فقلت: فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب. فإذا

---

(١) في ك (تظهر) بدلاً من (يظهر).
(٢) في ك، س (فيلزم) بدلاً من (فيلزمهم).

شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت كما تتألم الروح إذا تألم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك.

الوجه الثالث عشر: أن قولهم: وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلَّا في الكثائف فكلمة الله لا تظهر إلَّا في كثيف كلا.

تركيب فاسد لا دلالة فيه، وإنما يدل إذا بينوا أن كل لطيف يظهر في كثيف، ولا يظهر في غيره حتى يقال: فلهذا ظهر الله في كثيف ولم يظهر في لطيف، وإلَّا فإذا قيل: (إنه لا يحل لا[1] في لطيف، ولا كثيف، أو قيل)[2] إنه يحل فيهما بطل قولهم بوجوب حلوله في المسيح الكثيف دون اللطيف[3] وهم لم يؤلفوا الحجة تأليفاً منتجاً، ولا دلوا على مقدماتها بدليل، فلا أتوا بصورة الدليل، ولا مادته، بل مغاليط لا تروج إلَّا على جاهل يقلدهم.

ولا يلزم من حلول الروح في البدن أن يحل كل شيء في البدن، بل هذه دعوى مجردة، فأرواح[4] بني آدم تظهر في أبدانهم، ولا تظهر في أبدان البهائم، بل ولا في الجن، والملائكة تتصور في صورة الآدميين، وكذلك الجن. والإنسان لا يظهر في غير صورة الإنسان، فأي دليل من كلامهم على أن الرب يحل في الإنسان الكثيف، ولا يحل في اللطيف؟

والقوم شرعوا يحتجون على تجسيم كلمة الله الخالقة فقالوا: وأما تجسيم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معاً، أي الكلمة مع

---

(١) (لا) ساقطة من ط.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س.

(٣) (دون اللطيف) ساقطة من ك.

(٤) في ط، س، ك (وأرواح) بدلاً من (فأرواح).

الناسوت، فإن الله لم يكلم أحداً من الأنبياء إلَّا وحياً، أو من وراء حجاب، وليس فيما ذكروه قط دلالة لا[1] قطعية ولا ظنية على تجسيم كلمة الله الخالقة، وولادتها[2] مع الناسوت.

الوجه الرابع عشر: أنهم قالوا: وأما تجسيم كلمة الله الخالقة، ثم قالوا: فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف، فتارة يجعلونها خالقة، وتارة يجعلونها مخلوقاً بها، ومعلوم أن الخالق ليس هو المخلوق به، والمخلوق به ليس هو الخالق، فإن كانت الكلمة خالقة، فهي خلقت الأشياء، ولم[3] تخلق الأشياء بها. وإن كانت الأشياء خلقت بها، فلم تخلق الأشياء، بل خلقت الأشياء بها. ولو قالوا: إن الأشياء خلقت بها بمعنى أن الله إذا أراد أمراً[4] فإنما يقول له: كن فيكون، لكان هذا حقاً، لكنهم[5] يجعلونها خالقة، مع قولهم بما يناقض ذلك.

الوجه الخامس عشر: أن يقال لهم: إذا كان الله لم يخاطب بشراً إلَّا وحياً أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، فتكليمه للبشر بالوحي ومن وراء حجاب، كما كلم موسى، وبإرسال ملك كما أرسل الملائكة، إمَّا أن يكون كافياً في حصول مراد الرب من الرسالة إلى عباده، أو ليس كافياً، بل لا بد من حلوله نفسه في بشر، فإن كان ذلك كافياً أمكن أن يكون المسيح مثل غيره فيوحي الله إليه أو يرسل إليه ملكاً فيوحي بإذن الله ما يشاء، أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم

(١) (لا) ساقطة من أ.
(٢) في س (ولا أنها) بدلاً من (وولادتها).
(٣) في س، أ، ك (لم) بسقوط الواو.
(٤) في ط (شيئاً) بدلاً من (أمراً).
(٥) في ك (لكن) بدلاً من (لكنهم).

موسى، وحينئذ فلا حاجة به إلى اتحاده ببشر مخلوق، وإن كان[1] التكلم ليس كافياً وجب أن يتحد بسائر الأنبياء، كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم، يبين هذا:

الوجه السادس عشر: وهو أنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح، فإذا كان الرب قد يفضل باتحاده في المسيح حتى كلم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجباً ببدنه الكثيف، وكلم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى، وسائر من كلمه المسيح، فكان أن يكلم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى، مثل أن[2] يتحد بإبراهيم الخليل، فيكلم إسحاق ويعقوب ولوطاً محتجباً ببدن (الخليل، أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده أو غيرهم محتجباً ببدن)[3] يعقوب، أو يتحد بموسى بن عمران فيكلم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجباً ببدن موسى، فإذا كان هو[4] سبحانه لم يفعل ذلك، إمَّا لامتناع ذلك، وإما لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك، علم أنه لا يفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى.

الوجه السابع عشر: أنه إذا أمكنه أن يتحد ببشر فاتحاده بملك من الملائكة أولى وأحرى، وحينئذ فقد كان اتحاده بجبريل الذي أرسله إلى الأنبياء أولى من اتحاده ببشر يخاطب اليهود، وعوام النصارى.



(١) في أ (كان ذلك) بزيادة (ذلك).
(٢) في ط (من) بدلاً من (أن).
(٣) ما بين القوسين ساقط من س، أ.
(٤) في ط (هو كان) بدلاً من (كان هو).

فصل

تفنيد مراد النَّصارى بظهور الله في عيسى

قالوا: ولذلك ظهر في عيسى بن مريم، إذ الإنسان أجلّ ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا[1] منه ما شاهدوا.

فيقال: إن ادعيتم ظهوره في عيسى كما ظهر في إبراهيم وموسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ ، وكما يظهر في بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وذلك بظهور نوره ومعرفته، وذكر أسمائه وعبادته ونحو ذلك من غير[2] حلول ذاته في البشر ولا اتحاده به. فهذا أمر مشترك بين المسيح وغيره، فلا اختصاص للمسيح بهذا، وهذا أيضاً قد يسمى حلولاً، وعندهم أن الله يحل في الصالحين، وهذا مذكور عندهم في بعض الكتب الإلّهية. كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور، يقول داود ـ عليه السلام ـ في مناجاته لربه: (وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتحل فيهم ويفتخرون)[3] فأخبر أنه يحل في الصالحين المذكورين، فعلم أن هذا لا اختصاص للمسيح به. وليس المراد بهذا باتفاقهم، واتفاق المسلمين أن ذات الله نفسه تتحد بالبشر، ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد، والماء واللبن،

---

(١) في ط (وشهدوا) بدلاً من (وشاهدوا).

(٢) (غير) ساقطة من ط .

(٣) في المزمور الخامس (ويفرح جميع المتوكلين عليك إلى الأبد يهتفون وتظللهم ويبتهج بك محبو اسمك) بلفظه إلا كلمة (يهتفون وتظللهم).
انظر: العهد القديم ص ٨٢٦.

ونحـو ذلك ممـا يمثلون به الاتحـاد، بل هـذا يراد بـه حلول الإيمان بـه ومعرفته، ومحبته وذكره وعبادته، ونوره وهداه.

وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2] :

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[3].

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

فهو ـ سبحانه ـ له المثل الأعلى في قلوب أهل السمـاوات وأهل الأرض.

ومن هذا الباب ما يرويه النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن ربـه قـال: «يقول الله: أنـا مع عبـدي ما ذكـرني، وتحركت بـي شفتـاه»[5]، فـأخبر أن شفتيـه تتحـرك بـه أي بـاسمـه، وكـذلـك قـولـه في الحـديث الصحيح: «عبدي مرضت فلم تعدني، فيقـول العبد: رب كيف أعـودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فـلاناً مـرض فلو عدتـه لوجدتني عنده».

---

(١) سورة الزخرف: من الآية ٨٤.

(٢) (وهو الذي في السماء إلَه وفي الأرض إلَه)، وقال (تعالى) ساقط من س وط.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٣.

(٤) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٥) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ٤٣ ـ عن أبـي هـريرة بلفـظه مع زيـادة كلمة (حيث) بدلاً من (ما تحركت).

فقال: (لوجدتني عنده) ولم يقل: لوجدتني إياه، وهو عنده أي في قلبه، والذي في قلبه المثال العلمي.

وقال ــ تعالى ــ: «عبدي جعت فلم تطعمني، فيقول: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي»[1]، ولم يقل: لوجدتني قد أكلته.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: يقول الله ــ تعالى ــ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[2].

وفي رواية: «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولإن سألني لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[3].

---

(١) تخريج هذا الحديث:
انظر: صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ــ باب ١٤ ــ الحديث رقم ٤٣ ــ عن أبي هريرة من حديث طويل بمعناه.

(٢) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب الرقاق ــ باب ٣٨ ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بمعناه.
* سنن ابن ماجه ــ كتاب الفتن ــ حديث رقم ٣٩٨٩ ــ عن معاذ بن جبل، وذكر من جملة «وإن من عادى الله ولياً فقد بارزه بالمحاربة» فقط.

(٣) هذه بقية الحديث السابق تخريجه.

وهـذا الحديث قـد يحتج بـه القائلون بـالحلول العام، أو الاتحـاد العام، أو وحدة الوجود[1]، وقد يحتج به من يقول: بالخاص من ذلـك، كأشباه النصارى.

والحديث حجة على الفريقين، فإنـه قال: «من عـادى لي ولياً فقـد آذنته بالحرب» فأثبت ثـلاثة: وليـاً له، وعـدواً يعادي وليـه[2]، وميز بين نفسـه وبين وليـه، وعـدو وليـه، فقـال: «من عـادى لي وليـاً فقـد آذنتـه بالحرب»، ولكن دل ذلك على أن وليه، الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، فيكـون الرب مؤذناً بالحرب لمن عاداه، بأنه معادٍ لله.

ثم قـال تعـالى: «ومـا تقـرب إلى عبـدي بمثـل أداء مـا افتـرضت عليـه»، ففـرق بين العبـد المتقـرب، والـرب المتقـرب إليـه، ثم قـال: «ولا يـزال عبدي يتقـرب إلي بالنـوافل حتى أحبـه»، فبين أنه يحبـه بعـد تقربه بالنوافل والفرائض.

ثم قال: «فإذا أحببتـه كنت سمعه الـذي يسمع بـه، وبصره الـذي يبصـر به، ويـده التي يبـطش بهـا، ورجله التي يمشي بهـا» وعنـد أهـل الحلول والاتحـاد العام أو الـوحدة هـو صـدره وبـطنـه[3] وظهـره ورأسـه وشعـره، وهو كـل شيء، أو في كـل شيء قبـل التقـرب وبعـده، وعنـد الخاص وأهل الحلول[4] صار هو، وهو كالنار والحديد[5] والماء واللبن، لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل.

(١) في س، أ، ك (الوجوه) بدلاً من (الوجود).
(٢) في ط (ولياله) بدلاً من (وليه).
(٣) (وبطنه) ساقطة من س، ك، أ.
(٤) (وأهل الحلول) ساقطة من س، ك.
(٥) في أ (كالحديد والنار) بدلاً من (كالنار والحديد).

ثم قال ــ تعالى ــ : «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»، وعلى قول هؤلاء، الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي، والرسول إنما قال: «فبي» ثم قال: «ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»، فجعل العبد سائلاً[1] مستعيذاً، والرب مسؤلاً مستعاذاً به[2]، وهذا يناقض الاتحاد، وقوله: «فبي يسمع» مثل قوله: «ما تحركت بي شفتاه» يريد به المثال العلمي.

وقول الله: «فيكون الله في قلبه» أي معرفته ومحبته وهداه وموالاته، وهو المثل العلمي، فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش ويمشي.

والمخلوق إذا أحب المخلوق أو عظمه أو[3] أطاعه يعبر عنه بمثل هذا، فيقول: أنت في قلبي وفي فؤادي، وما زلت بين عيني، ومنه قول القائل[4]:

مثالك في عيني وذكرك[5] في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب[6]

وقول الآخر:

ومن عجبي أني أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم[7] قلبي وهم بين أضلعي[8]

---

(١) في أ (ومستعيذاً) بزيادة واو.
(٢) (به) ساقطة من ك، أ.
(٣) في س، أ (وأطاعه) بسقوط (أ).
(٤) في أ (الشاعر) بدلاً من (القائل).
(٥) في ط، س، ك (وذكراك) بدلاً من (وذكرك).
(٦) لم أهتد إلى قائل هذا البيت بالرغم من البحث الطويل.
(٧) في ط، س، ك (ويطلبهم) بدلاً من (ويشتاقهم).
(٨) لم أهتد إلى قائل هذه الأبيات بالرغم من البحث الطويل.

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء أن نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه، ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتى يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد.

ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا أن ذات المعلوم المعقول يتحد بالعالم العاقل، فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئاً واحداً، ولم يميزوا بين حلول مثال المعلوم[1]، وبين حلول ذاته، وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة، فيغيب الإنسان بمعبوده عن عبادته، وبمحبوبه عن محبته، وبمشهوده عن شهادته، وبمعروفه عن معرفته، فيفنى من لم يكن عن شهود العبد لا أنه نفسه يعدم ويفنى في من لم يزل في شهوده، ومن هذا المقام إذا غلط قد يقول[2] مثل ما يحكى عن أبي يزيد البسطامي[3]: سبحاني[4]، أو ما في الجبة

---

(١) في ط (المعلول) بدلاً من (المعلوم).

(٢) في ط (يقول مسلماً) بزيادة (مسلماً).

(٣) (البسطامي) ساقطة من ك.

وهو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور، أبو يزيد كان جده مجوسياً ثم أسلم، أصله من بلدة بسطام بين خراسان والعراق، وقد ولد بها سنة ١٨٨هـ .

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: أبو يزيد البسطامي شيخ الصوفية له نبأ عجيب وحال غريب، ومات سنة ٢٦١هـ في بلدة بسطام وله من العمر ثلاث وستون سنة.

ومن أحسن ما نقل عنه قوله: «إذا نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/٣٤٦؛ وحلية الأولياء ١٠/٣٣؛ وفيات الأعيان ٢/٥٣١؛ وشذرات الذهب ٢/١٤٣.

(٤) في ط (سبحاني) مكررة.

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ١/٣٥٤.

إلّا الله، وفي هذا تذكر حكاية، وهو أن شخصاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في ماء، فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني. فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقاً في محبوبه، لا يشهد قلبه غير ما في قلبه وغاب عن شهود نفسه وأفعاله، فظن أنه هو نفس المحبوب، وهذا أهون من أن يظن أن ذات المحبوب نفسه.

فهذا الظن لاتحاد الذات أو لحلولها ظن غالط وقع فيه كثير من الناس، فالذين قالوا: إن المسيح أو غيره من البشر هو الله، أو أن الله حال فيه قد يكون غلطهم[1] من هذا الجنس لما سمعوا كلاماً يقتضي أن الله في ذات الشخص، وجعلوا فعل هذا فعل هذا، ظنوا ذاك اتحاد الذات وحلولها.

وإنما المراد أن معرفة الله فيه، واتحاد المأمور به، والمنهي عنه والموالي والمعادي، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2].

وقوله:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3].

وليس[4] ذلك[5] لأن الرسول هو الله، ولا لأن نفسه حال في

---

(١) في ط (غلطتهم) بدلاً من (غلطهم).

(٢) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٠.

(٤) في أ (ليس) بسقوط الواو.

(٥) في س، ك (ذاك) بدلاً من (ذلك).

الرسول، بل لأن الرسول يأمر[1] بما أمر الله به، وينهى عما ينهى[2] الله عنه، ويحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله.

فمن بايعه على السمع والطاعة، فإنما بايع الله على السمع والطاعة، ومن أطاعه فإنما أطاع الله.

وكذلك المسيح، وسائر الرسل إنما يأمرون بما يأمر الله به، وينهون عما ينهى[3] الله عنه[4] ويوالون أولياء الله، ويعادون أعداء الله، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن صدقهم فقبل منهم ما أخبروا به، فقد قبل عن الله، ومن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم وحاربهم فقد عادى الله وحارب الله. ومن تصور هذه الأمور تبين له أن لفظ الحلول قد يعبر به[5] عن معنى صحيح، وقد يعبر به[5] عن معنى فاسد.

وكذلك حلول كلامه في القلوب، ولذلك كره أحمد بن حنبل[6]

---

(١) في ط (أمر) بسقوط (يـ).

(٢) في س (نهى) بسقوط (يـ).

(٣) في أ (ينهى) بزيادة (يـ).

(٤) (عنه) ساقطة من أ.

(٥) في ط، س، ك (بها) بدلاً من (به).

(٦) أحمد بن حنبل هو: هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ. فنشأ منكباً على طلب العلم وسافر في سبيل ذلك أسفاراً كثيرة وقد أوذي في فتنة خلق القرآن وضرب ولكنه ثبت وصمد حتى قيل بأن الله حفظ الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة، وله مصنفات كثيرة منها «كتاب المسند» وله كتب في الرد على من ادعى التناقض في القرآن الكريم، وله «كتاب الزهد».

انظر: تاريخ بغداد ٤/٤١٢؛ والبداية والنهاية ١٠/٣٢٥؛ وحلية الأولياء ٩/١٦١؛ وطبقات الحنابلة ١/٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٧؛ وتهذيب التهذيب ١/٧٢؛ ووفيات الأعيان ١/٦٣.

الكلام في لفظ حلول القرآن في القلوب، كما قد[1] ذكر في غير هذا الموضع.

ومما يوضح هذا أن الشيء له وجود في نفسه هو[2]، وله وجود في المعلوم والأذهان، ووجود في اللفظ واللسان ووجود في الخط والبيان[3]، ووجود عيني شخصي، وعلمي ولفظي، ورسمي، وذلك كالشمس مثلاً فلها تحقق في نفسها، وهي الشمس التي في السماء، ثم يتصور بالقلب الشمس ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس، ويكتب بالقلم الشمس.

والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ، وباللفظ مطابقة العلم، وبالعلم مطابقة المعلوم، فإذا رأى الإنسان في كتاب خط الشمس أو سمع قائلاً يذكر قال: هذه الشمس قد جعلها الله سراجاً وهاجاً، وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب، فهو يشير إلى ما سمعه من اللفظ ورآه من الخط، وليس مراده نفس اللفظ والخط، فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب، وإنما مراده ما يقصد بالخط واللفظ ويراد بهما وهو المدلول[4] المطابق لهما، وكذلك قد يرى اسم الله مكتوباً في كتاب، ومعه اسم صنم، فيقول: آمنت بهذا، وكفرت بهذا، ومراده أنه مؤمن بالله كافر بالصنم، فيشير إلى اسمه المكتوب ومراده المسمى بهذا الاسم، وكذلك إذا سمع من يذكر أسماء الله الحسنى قال: هذا رب العالمين، ومراده المسمى بتلك الأسماء، ومن هذا قول أنس بن

---

(١) (قد) ساقطة من ط.
(٢) (هو) مكررة في س، ك، أ.
(٣) في أ(البنان) بدلاً من (البيان).
(٤) في ك (للدلول) بدلاً من (المدلول).

مالك[1] : كان نقش خاتم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر[2].

ومراده بهذه الأسماء الخط لهذا وهذا وهذا، لا اللفظ ولا المسمى.

ومما يشبه هذا ما يرى في المرآة أو الماء، مثل أن يرى الشمس أو غيرها في ماء أو مرآة، فيشار إلى المرئي، فيقال: هذا الشمس، وهذا وجهي أو وجه فلان، (وليس مراده أن نفس الشمس أو وجهه أو وجه فلان)[3] حل في الماء أو المرآة، ولكن لما كان المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه ذكره، ثم قد يقال: رآه رؤية مقيدة في الماء، أو المرآة، وقد يقال: رآه بواسطة الماء والمرآة، وقد يقال: رأى مثاله وخياله المحاكي له، ولكن المقصود بالرؤية هو نفسه، ومثل هذا كثير.

ومعلوم أن ما في القلوب من المثال العلمي المطابق للمعلوم أقرب إليه من اللفظ، واللفظ أقرب من الخط، فإذا كان قد[4] يشار إلى اللفظ والخط، والمراد هو نفسه، وإن لم يكن الخط واللفظ هو ذاته، بل به ظهر وعرف، فلأن يشار إلى ما في القلب[5]، ويراد به المعروف الذي ظهر للقلب وتجلى للقلب، وصار نوره في القلب بطريق الأولى.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب ٥٥ ـ عن أنس بن مالك بلفظه.
* وسنن الترمذي ـ أبواب اللباس ـ باب ما جاء في نقش الخاتم ـ عن أنس بن مالك بلفظه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من س.

(٤) (قد) ساقطة من ط.

(٥) في أ (القلوب) بدلاً من (القلب).

والعقلاء إنما تتوجه قلوبهم إلى المقصود المراد دون الوسائل، ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم بها، كما يقولون لمن يعرف علم غيره، أو لمن يأمر بأمره، ويخبر بخبره، هذا فلان، فإذا كان مطلوبهم علم عالم أو طاعة أمير، فجاء نائبه القائم مقامه في ذلك، قالوا هذا فلان، أي المطلوب منه هو مع هذا[1]، فالاتحاد المقصود بهما يعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر.

كما يقال: (عكرمة[2]: هو ابن عباس[3]، وأبو يوسف[4]: هو

---

(١) (هذا) ساقطة من أ.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ابن عباس: هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، حبر الأمة والصحابي الجليل وابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ونشأ في عصر النبوة ولازم الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وروى عنه أحاديث كثيرة وشهد مع علي الجمل وصفين وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ، وقد دعا له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقوله: «اللَّهم فقه في الدين وعلمه التأويل»، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقدمه ويكرمه ويستشيره ويأخذ برأيه، قال مجاهد كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه، وأخذ عنه العلم خلق كثير في مقدمتهم مولاه عكرمة البربري.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٣٠؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة ٢/٣٥٠؛ وحلية الأولياء ١/٣١٤؛ وتهذيب التهذيب ٥/٢٧٦؛ والطبقات الكبرى ٣/٦٢؛ وشذرات الذهب ١/٧٥.

(٤) أبو يوسف: هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، وهو صاحب الإمام أبي حنيفة كان فقيهاً عالماً حافظاً، وقد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي والهادي ثم هارون الرشيد، وكان مولده سنة ١١٣هـ، ومات سنة ١٨٢هـ ببغداد، ومن كلامه المأثور عنه قوله: «من طلب المال بالكيمياء أفلس ومن تتبع غريب الحديث كذب ومن طلب العلم بالكلام تزندق».
انظر: البداية والنهاية ١٠/١٨٠؛ ووفيات الأعيان ٦/٣٧٨؛ وشذرات الذهب ١/٢٩٨؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٥٣٥.

أبو حنيفة[1])[2]، ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: (أنا وأبي واحد من رآني فقد رأى أبي)[3].

وقوله ـ تعالى ـ فيما حكاه عن رسوله: «عبدي مرضت فلم تعدني، عبدي جعت فلم تطعمني»، ويشبهه قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[4].

فينبغي أن يعرف هذا النوع من الكلام، فإنه تنحل به إشكالات كثيرة، فإن هذا موجود في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين، في عامة الطوائف، مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر.

بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد، ويراد به معنى صحيح، كما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد، إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان، ويواليان ويعاديان، فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان، وبينهما اتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر، كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النفس والبدن، وكذلك لفظ الحلول، والسكنى، والتخلل وغير ذلك كما قيل:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ما بين القوسين كتب في أ (أبو يوسف أبو حنيفة ويقال عن عكرمة هذا ابن عباس).

(٣) في إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر قوله: (أنا والأب واحد).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٧.
في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا أيضاً: (الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب * ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب في).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٥.

(١) سورة الفتح: من الآية ١٠.

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمى الخليل خليلاً[1]

والمتخلل مسلك الروح منه هو محبته له وشعوره به، ونحو ذلك لا نفس ذاته، وكذلك قول الآخر:

ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره[2]

والساكن في القلب هو مثاله العلمي ومحبته ومعرفته[3]، فتسكن في القلب معرفته ومحبته لا عين ذاته، وكذلك قول[4] الآخر:

إذا سكن الغدير على صفاء ... وجنب أن يحركه[5] النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراء ... كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي ... يرى في صفوها الله العظيم[6]

وقد يقال: فلان ما في قلبه إلَّا الله، وما عنده إلَّا الله، يراد بذلك: إلَّا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته، وما يشبه ذلك، أي ليس في قلبه ما في قلب غيره من المخلوقين، بل ما في قلبه إلَّا الله وحده، ويقال: فلان ما عنده إلَّا فلان إذا كان يلهج بذكره، ويفضله على غيره.

وهذا باب واسع، مع علم المتكلم والمستمع أن ذات فلان لم تحل في هذا، فضلاً عن أن تتحد به، وهو[7] كما يقال عن المرآة إذا

---

(١) هذا البيت لم أهتد إلى قائله ولا إلى مكانه بالرغم من البحث الشديد في كتب التراجم، وبالذات تراجم الصوفية. وكذا في أغلب كتب الشعر وآمل أن أوفق إلى ذلك مستقبلاً.

(٢) انظر: الهامش السابق.

(٣) (ومحبته ومعرفته) ساقطة من أ.

(٤) (قول) ساقطة من ط.

(٥) في أ، س، ك (تحركه) بدلاً من (يحركه).

(٦) لم أهتد إلى قائل هذه الأبيات ومكانها.

(٧) في ط (وهذا) بدلاً من (وهو).

لم تقابل إلَّا الشمس: ما فيها إلَّا الشمس، أي لم يظهر فيها غير الشمس.

وأيضاً فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة، وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة[1] كما تقدم ذكره، وعندهم في النبوات أن الله حل في غير المسيح من الصالحين، وليس المراد به أن ذات الرب حلت فيه، بل يقال: فلان ساكن في قلبي، وحال في قلبي، وهو في سري، وسويداء قلبي، ونحو ذلك، وإنما حل فيه مثاله[2] العلمي، وإذا كان كذلك فمعلوم أن المكان إذا خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله ولا حلت فيه عبادته ومعرفته، فإذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره، والإيمان به وحل فيه الإيمان بالله وعبادته وذكره، وهو بيت الله ــ عز وجل ــ ، فيقال: إن الله فيه، وهو حال فيه.

كما يقال: إن الله في قلوب العارفين، وحال فيهم، والمراد به حلول معرفته والإيمان به ومحبته، ونحو ذلك. وقد تقدم شواهد ذلك، فإذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين، أي نوره ومعرفته، وعبر عن هذا بأنه حال فيهم، وهم حالون في المسجد قيل: إن الله في المسجد، وحال فيه بهذا المعنى، كما يقال: الله في قلب فلان، وفلان ما عنده إلَّا الله، كما قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده».

ومما يزيد ذلك إيضاحاً ما يراه النائم من بعض الأشخاص في

(١) (تارة) ساقطة من ك، س.
(٢) في س، ك (مثله) بدلاً من (مثاله).

منامه، فيخاطبه ويأمره وينهاه ويخبره بأمور كثيرة، وهو يقول: رأيت فلاناً في منامي فقال لي: كذا، وقلت له: كذا، وفعل كذا، وفعلت كذا. ويذكر أنواعاً من الأقوال والأفعال.

وقد يكون فيها علوم وحكم وآداب ينتفع بها غاية المنفعة، وقد يكون ذلك الشخص الذي رأى في المنام حياً، وهو لا يشعر بأن ذاك رآه في منامه فضلاً عن أن يكون شاعراً بأنه قال أو فعل، وقد يقص الرائي عليه رؤياه، ويقول له الرائي: يا سيدي رأيتك في المنام فقلت لي: كذا، وأمرتني بكذا، ونهيتني عن كذا، والمرئي لا يعرف ذلك، ولا يشعر به، لأن المرئي الذي حل في قلب الرائي هو المثال العلمي المطابق للعيني، كما يرى الرائي في المرآة أو الماء الشخص الموجود في الخارج فهو المقصود، وبعض المرئيين في المنام قد يدري بأنه رؤى[1] في المنام ويكاشف بذلك الرائي كما قد يكاشفه بأمور أخرى لا لأنه نفسه حل فيه.

والرؤيا إذا كانت صادقة كان ذلك القول والعمل مناسباً لحال المرئي، مما هو[2] عادته يقوله ويفعله بنفسه، فمثل للرائي مثاله قائلاً له وفاعلاً ليعلم أنه نفسه يقوله ويفعله فينتفع بذلك الرائي، كما يحكى للإنسان قول غيره وعمله ليعرف بذلك نفس القول والعمل المحكي، فإن كثيراً من الأشياء لا يعرفه[3] الناس أو أكثرهم إلاّ بالمثل المضروب له إما في اليقظة وإما في المنام، مع العلم بأن عين هذا ليس عين هذا،

---

(١) في ك (رأى) بدلاً من (رؤى).

(٢) في أ (ما هو مما) بدلاً من (مما هو).

(٣) في ط (تعرفه) بدلاً من (يعرفه).

ومن توهم أنه إذا رأى شخصاً في منامه بأن[1] ذاته نفسها حلت فيه دل على جهله فإن المرئي كثيراً ما يكون حياً وهو لا يشعر بمن[2] رآه، ذلك لا روحه تشعر ولا جسمه[3]، فلا يتوهم أن ذات روحه تمثلت في صورته الجسمية[4] للنائم، بل الممثل في نفس الرائي مثال مطابق له وجسمه وروحه حيث هما.

ثم الرؤيا قد تكون من الله، فتكون حقاً وقد تكون من الشيطان، كما ثبت تقسيمها إلى هذين في الأحاديث الصحيحة، والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص (فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص)[5] يراه كثير من الناس، يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان، كما يجري لكثير من مشركي[6] الهند وغيرهم إذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديوناً، ورد ودائع وأخبرهم بأمور عن موتاهم، وإنما هو شيطان تصور في صورته وقد يأتيهم في صورة من يعظمونه من الصالحين، ويقول: أنا فلان[7]، وإنما هو شيطان.

وقد يقوم شيخ من الشيوخ، ويخلف موضعه شخصاً في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه[8]، وهو جني تصور في صورته، وهذا

(١) في أ (فإن) بدلاً من (بأن).
(٢) في ط (بما) بدلاً من (بمن).
(٣) في أ (جسده) بدلاً من (جسمه).
(٤) في ط (الجسيمة) بدلاً من (الجسمية).
(٥) ما بين القوسين ساقطة من ط.
(٦) في س، أ، ك (المشركين) بدلاً من (مشركي).
(٧) في ط (فلاناً) بدلاً من (فلان).
(٨) في أ، ك (رفيقته) بدلاً من (رفيقه).

يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبـان من[1] المنتسبين إلى الإسلام، وقـد يرى أحدهم في اليقـظة من يقول لـه: أنا الخليـل، أو أنا مـوسى، أو أنا المسيح، أو محمد، أو أنـا فلان لبعض الصحـابة، أو الحـواريين، ويراه طـائراً في الهـواء[2]، وإنما يكـون ذلـك من الشيـاطين، ولا تكـون تلك الصورة مثل صورة[3] ذلك الشخص.

وقـد قال النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ : «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[4]، فرؤيته في المنام حق، وأما في اليقظة فلا يرى بـالعين هو، ولا أحـد من الموتى، مـع أن كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الأنبياء إما عند قبره، وإما عند غير قبره.

وقـد يرى القبـر انشق، وخرج منـه صورة إنسـان فيـظن أن الميت نفسه خرج مـن قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر، وإنما[5] ذلك جني[6] تصور في صورته ليضل ذلك الرائي، فإن الروح ليست مما

---

(١) في أ (ومن) بزيادة واو.

(٢) في س، ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

(٣) (صورة) ساقطة من أ.

(٤) انظر:

* صحيح البخاري، كتاب تعبير الرؤيا، بـاب ١٠، عن أنس بن مالـك وأبـي هريـرة بلفظه بدون كلمتي (حقاً)، و(صورتي).

* صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب ١، حديث ١٠، ١١، عن أبـي هريرة بمعنـاه، وحديث ١٢، ١٣، عن جابر بن عبد الله بمعناه.

* سنن التـرمذي أبـواب الرؤيـا، باب ٣ مـا جاء في قـول النبي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ من رآني في المنـام، عن عبد الله بن مسعـود بلفظه، بـدون كلمتي (حقـاً) و (صورتي).

(٥) في أ (فإنما) بدلاً من (وإنما).

(٦) (جنى) ساقطة من س.

تكـون تحت التراب وينشق عنهـا التراب، فـإنهـا وإن كـانت قـد تتصـل بـالبدن، فـلا يحتـاج في ذلـك إلى شق التـراب، والبـدن لـم ينشق عنـه التراب، وإنما ذلك تخييل من الشيـطان، وقد جـرى مثل هـذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين، وأهل الكتاب، والمشركين.

ويـظن كثير من النـاس أن هذا من كـرامات عبـاد الله الصـالحين، ويكون من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب، مثل (الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان)[1] وغير ذلك.



(١) انـظر: الفـرقـان بين أوليـاء الـرحمن وأوليـاء الشيـطان ـ لشيـخ الإسـلام ابن تيميـة ص ١٣٦، ١٣٧ ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق/ بيروت.

فصل

وإن أردتم بقولكم ظهر في عيسى حلول ذاته واتحاده بالمسيح أو غيره فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ولا متأخر، وكون الإنسان أجل ما خلقه الله لو كان مناسباً لحلوله فيه أمر لا يختص به المسيح، بل قد قام الدليل على أن غير عيسى ــ عليه السلام ــ أفضل منه مثل إبراهيم ومحمد ــ صلَّى الله عليهما[1] وسلَّم ــ ، وهذان اتخذهما الله خليلين، وليس فوق الخلة مرتبة، فلو[2] كان يحل في أجلٍّ ما خلقه الله من الإنسان لكونه أجل مخلوقاته لحل في أجل هذا النوع، وهو الخليل، ومحمد ــ صلَّى الله عليهما وسلَّم ــ ، وليس معهم قط حجة على أن الجسد المأخوذ من مريم إذا لم يتحد باللاهوت على أصلهم أنه أفضل من الخليل وموسى.

وإذا قالوا: إنه لم يعمل خطيئة، فيحيى بن زكريا لم يعمل خطيئة (ومن عمل خطيئة وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضل مما كان قبل الخطيئة) وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة[3]، والخليل وموسى أفضل من يحيى الذي يسمونه «يوحنا المعمداني»[4].

وأما قولهم: ولهذا خاطب الخلق، فالذي خاطب الخلق هو

(١) في ط، ك (عليه) بدلاً من (عليهما).
(٢) في أ (ولو) بدلاً من (فلو).
(٣) (وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة) كتبت في س متقدمة عما بين القوسين.
(٤) سبقت ترجمته.

عيسى بن مريم، وإنما سمع الناس صوته لم يسمعوا غير صوته، والجنى إذا حل في الإنسان وتكلم على لسانه يظهر للسامعين أن هذا الصوت ليس هو صوت الآدمي، ويتكلم بكلام، يعلم الحاضرون أنه ليس كلام الآدمي.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يكن يسمع منه إلَّا ما يسمع[1] من مثله من الرسل، ولو كان المتكلم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكاً لظهر ذلك، وعرف أنه ليس هو البشر، فكيف إذا كان المتكلم هو رب العالمين؟ فإن هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجني على لسان البشر بكثير كثير.

وأما ما شاهدوه[2] من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام، فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيره الميت وأخبر بالغيوب أكثر منه، ومعجزات موسى أعظم من معجزاته أو أكثر، وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته، كما دلت المعجزات على نبوة غيره، ورسالتهم، لا تدل على الإلهية.

والدجال لما ادعى الإلٰهية لم يكن ما يظهر على يديه من الخوارق دليلاً عليها، لأن دعوى الإلٰهية ممتنعة، فلا يكون في ظهور العجائب ما يدل على الأمر الممتنع.

• • •

(١) في أ (سمع) بدلاً من (يسمع).
(٢) في أ (يشاهدونه) بدلاً من (شاهدوه).

فصل

قالوا: وقد[١] قال الله على أفواه الأنبياء والمرسلين، الذين تنبؤوا على ولادته من العذراء الطاهرة مريم، وعلى جميع أفعاله التي فعلها في الأرض، وصعوده إلى السماء، وهذه النبوات جميعها عند اليهود مقرين[٢] ومعترفين بها ويقرؤنها في كنائسهم، ولم ينكروا منها كلمة واحدة.

فيقال: هذا كله[٣] مما لا ينازع المسلمون فيه[٤]، فإنه لا ريب أنه ولد من مريم العذراء البتول التي لم يمسها بشر قط، وأن الله أظهر على يديه الآيات، وأنه صعد إلى السماء، كما أخبر الله بذلك في كتابه، كما تقدم ذكره، فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك، وإن كان اليهود يتأولون ذلك على غير المسيح، كما في النبوات من البشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فهو حق، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره.



(١) في ط (قد) بسقوط الواو.
(٢) في أ (مقرين بها) بزيادة (بها).
(٣) في ط (كل) بدلاً من (كله).
(٤) في ط (فيه المسلمون) بدلاً من (المسلمون فيه).

فصـل

مناقشتهم فيما نقلوه عن الأنبياء حول مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ وبيان وجه الدلالة فيها

قالوا: وسبيلنا[1] أن نذكر من بعض قول الأنبياء الذين تنبوا على السيد المسيح، ونزوله إلى الأرض، قال (عزرا)[2] الكاهن حيث سباهم «بختنصر الفريدي»[3] إلى أرض بابل[4] إلى أربعمائة واثنين وثمانين سنة: (يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم)[5]، وفي كمال هذه المدة أتى السيد المسيح، (وقال أرميا[6] النبي عن ولادته في ذلك الزمان:

---

(١) في ط، ك (وسئلنا) بدلا من (وسبيلنا).

(٢) عزرا: هو: الكاهن ابن سرايا، لُقب بالكاتب إذ أنه كان موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس (إرتحتشتا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي وهو يعتبر مؤسس نظم اليهودية المتأخرة ولقب بالكاهن.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) بابل: مدينة قديمة بأرض الرافدين كانت قاعدة إمبراطورية بابل وتقع على الفرات إلى الشمال من المدن التي ازدهرت في جنوب أرض الرافدين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد لم تبلغ أهميتها إلاّ بعد أن جعلها حمورابي عاصـ ـة له، بها حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع، وجرى صيتها مجرى الأساطير منذ أيام نبوخذ نصر (ت ٥٦٢ ق. م)، وعرفت بين الإغريق بأنها مكان المسرات، ويقال بها بئر هاروت وماروت.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠٤؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦.

(٥) في سفر عزرا ـ الإصحاح ٢: (وهؤلاء هم بنو الكورة الصاعدون من سبي المسبيين الذين سباهم نبوخذ نصر ملك بابل إلى بابل ورجعوا إلى أورشليم...).
انظر: العهد القديم ص ٧٢٩.

(٦) أرميا بن حلقيا الكاهن من عناثوث، وقد دعاه الرب للقيام بالعمل النبوي في رؤيا رآها وهو بعد حدث فأحس بأنه قليل الخبرة فقال له الرب: جعلت كلامي في فمك =

«يقـوم لداود ابن هـو ضوء النـور يملك الملك ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعـدل في الأرض ويخلص من آمن بـه من اليهــود من بني إسـرائيــل وغيرهم، ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الإلّه»، وأما[1] قولـه: «ابن لداود» لأن مريَم كانت من نسل داود ولأجل ذلك قال النبـي: «يقوم لداود ابن»)[2].

فيقــال: أمـا قــول عـزرا الكــاهن فليس فيــه إلاّ إخبــاره بــأنــه يـأتي المسيـح ويخلص الشعـوب والأمم، وهـذا ممــا لا ينـازع[3] فيــه المسلمون، فإنهم يقرون بما أخبر الله به في كتابه من إتيان المسيح ــ عليه السلام ــ ، وتخليص الله به كـل من آمن به من الشعـوب والأمم إلى أن بعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

فكل من كان مؤمناً بالمسيح، متبعاً لما أنزل عليه من غير تحـريف ولا تبـديـل، فـإن الله خلصـه بـالمسيـح من شـر الـدنيـا والآخـرة، كمـا خلص الله ــ تعالى ــ[4] بموسى من اتبعه من بني إسرائيل.

= وأقمتك اليوم على الشعوب والممالك لتقطع وتهدم وتبني وتغرس، وقد دامت خدمته ثمان عشرة سنة وثلاثة أشهر.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢.

(١) (وأما) ساقطة من ك.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س، و ط . وقد وجدت في التوراة ما يلي:
(ها أيام تـأتي يقول الـرب، وأقيم لداود غصن بـر فيملك ملك وينجح ويجـري حقاً وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الثالث والعشرون ص ١١٠٩.

(٣) في ط (يتنازع) بدلاً من (ينازع).

(٤) (الله) لفظ الجلالة ساقط من أ.

(٥) في س، ك (محمد) بسقوط (أ)؛ في أ (بمحمد) بدلاً من (محمداً).

ومن حرف وبدل فلم يتبع المسيح، ومن كذب محمداً[٥] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو كمن كذب المسيح بعد أن كان مقراً بموسى ـ عليه السلام ـ .

ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتأولون ذلك على أن هذا ليس هو المسيح ابن مريم، وإنما هو مسيح ينتظر، وإنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة، فإن اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه (حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله)[١] وهكذا يقال في النبوة الثانية التي ذكروها عن «أرميا» النبي ـ عليه السلام ـ .



(١) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب المناقب ـ باب ٢٥ ـ عن عبد الله بن عمر بلفظه دون كلمة (شجر)؛
* وصحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب ١٨ ـ حديث رقم ٨٢ ـ عن أبي هريرة بمعناه؛
* ومسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه؛ و ٣/٣٦٧ ـ عن جابر بن عبد الله بمعناه.

فصل[1]

قالوا: وقال «أرميا» النبي عن ولادته في ذلك الزمان: (يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور يملك الملك، ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلص من آمن به من اليهود، من[2] بني إسرائيل وغيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل، ويسمى الإلّه)، وأما قوله: (ابن لداود) لأن مريم كانت من نسل داود، ولأجل[3] ذلك قال: (ويقوم لداود ابن)[4].

والجواب أن يقال: قد قال فيه: (ويخلص من آمن به من[5] اليهود، ومن بني إسرائيل)[6]، وهو كما فسرنا به التخليص الذي نقله عن عزرا[7] الكاهن.

وأما قوله (واسمه الإلّه) فهذا يدل على أنه ليس هو الله رب العالمين، وإنما لفظ الإله اسم سمي[8] به كما سمي[9] موسى إلهاً

---

(١) (فصل) ساقطة من أ.

(٢) في س، ك، ط (ومن) بزيادة واو.

(٣) في أ (من أجل) بدلاً من (لأجل).

(٤) في س، ك، أ (ابناً) بزيادة (أ) (وسبق تخريج النص في الصفحة قبل السابقة).

(٥) (من) ساقطة من ط .

(٦) في أ (إسرائيل وغيرهم) بزيادة (وغيرهم).

(٧) في ط (عذراً) بدلاً من (عزرا).

(٨) في أ (تسمى) بدلاً من (سمى).

(٩) في ط، س، ك (يسمى) بدلاً من (سمى)؛ في ك (سمى به) بزيادة (به).

لفرعون عندهم في التوراة[1]، إذ لـو كان هو الله رب العالمين لكان أجل من أن يقـال ويسمى الإِلَه، فـإن الله ــ تبارك وتعـالى ــ لا يعـرف بمثـل هذا، ولا يقال فيه: إن الله يسمى الإِلَه، ولقال: يأتي الله بنفسه فيظهـر، وقـال[2] يملك[3] الملك، ورب العالمين مـا زال ولا يزال مـالكاً للملك ــ سبحانه ــ .

وأيضاً فإنه قال: (يقوم لداود ابن هو ضوء النور)، ومعلوم أن الابن الذي من نسل داود الذي اسم أمه مريم هو الناسوت فقط، فإن اللاهوت ليس هـو[4] من نسـل البشـر، وقـد تبين أن هـذا النـاسـوت الـذي هــو ابن داود، يسمى[5] الإِلَه، فعلم أن هذا اسم للناسوت المخلوق لا للإِلَه الخالق.

وأيضاً فإنه قال: وهو ضوء النـور لم يجعله النور نفسـه، بل جعله ضوء النور، والله ــ تعالى ــ منور كل نور، فكيف يكون هو ضوء النور، والله ــ تعـالى ــ قـد سمى محمـداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ سـراجـاً منيراً، ولـم يكن بذلك خالقاً، فكيف إذا سمي ضوء النور؟

وأيضـاً فـإنـه لم يجعـل القـائم إلاَّ ابن داود، وابن داود مخلوق،

---

(١) ورد في العهد القديم ص ٩٦ ــ سفر الخروج: (قال الرب لمـوسى انظر أنـا جعلتك إلَهاً لفرعون).

(٢) في ط ، ك، س (يقال) بزيادة (يـ).

(٣) في س، ك (ملك) بسقوط (يـ).

(٤) (هو) ساقطة من ط .

(٥) في ط ، س، أ (ويسمى) بزيادة واو.

وأضاف الفعل إلى هذا المخلوق، ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشري لبين «أرميا»[١]، وغيره[٢] من الأنبياء ذلك بياناً قاطعاً للعذر، ولم يكتفوا بمثل هذه الألفاظ التي هي إما صريحة أو ظاهرة في نقيض ذلك، أو مجملة لا تدل على ذلك، فإنه من المعلوم أن إخبارهم بإتيان نبي من الأنبياء أمر معتاد ممكن، ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة ما يزيل الشبهة.

وأما الإخبار بمجيء الرب نفسه وحلوله، أو اتحاده بناسوت بشري فهو: إما ممتنع غير ممكن كما يقوله أكثر العقلاء من بني آدم، ويقولون: يعلم بصريح العقل أن هذا ممتنع.

وإما ممكن كما يقوله بعض الناس، وحينئذٍ فإمكانه خفي على أكثر العقلاء وهو أمر غير معتاد، وإتيان الرب بنفسه أعظم من إتيان كل رسول ونبي، لا سيما إذا كان إتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات ما يختص بالإلّهية، بل لم يظهر على يديه إلّا ما ظهر على يد غيره من الأنبياء ما هو مثله أو أعظم منه، والله ــ تعالى ــ لما كان يكلم موسى ولم يكن موسى يراه ولا يتحد لا بموسى ولا بغيره، ومع هذا فقد أظهر من الآيات على ذلك، وعلى نبوة موسى ما لم يظهر مثله ولا قريب[٣] منه على يد المسيح.

فلو كان هو بذاته متحداً بناسوت بشري لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخباراً صريحاً بيناً لا يحتمل التأويلات، ولكان الرب يظهر على ذلك من الآيات ما لم يظهر على يد رسول ولا نبي، فكيف والأنبياء

(١) في أ (داود وأرميا) بزيادة (داود).
(٢) في أ (وغيرهما) بدلاً من (وغيره).
(٣) في أ (قريباً) بدلاً من (قريب).

لم ينطقوا[1] في ذلك بلفظ صريح. بل النصوص الصريحة تدل على أن المسيح مخلوق ولم تأتِ آية على خلاف ذلك، بل إنما تدل الآيات على نبوة المسيح.



(١) في ط (ينطلقوا) بدلاً من (ينطقوا).

فصل

قالوا: وقال «أشعيا» النبي: (قل لصهيون[١] هنا تفرح وتتهلل، فإن الله يأتي ويخلص الشعوب، ويخلص من آمن به وبشعبه[٢] ويخلص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المبددين ويجعلهم أمة واحدة، ويبصرون جميع أهل الأرض من خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم[٣] ويجمعهم إلّه إسرائيل)[٤].

فيقال: هذا محتاج[٥] أولاً أن يعلم من[٦] هذه النبوة أن[٧] هذا الكلام نقل[٨] بلا تحريف للفظه، ولا غلط في الترجمة ولم يثبت ذلك،

(١) في ك، أ (صبهون) بدلاً من (لصهيون).

(٢) في س، أ، ك (ولشعبه) بدلاً من (وبشعبه)؛ وفي ط (ويشبعه) بدلاً من (وبشعبه).

(٣) في أ: (أيديهم) بزيادة (أ).

(٤) وجدت في سفر أشعيا الإصحاح ٥٢، ولكنه بلفظ مخالف (٩ ـ أشيدي ترنمي معايا خرب أورشليم لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم. ١٠ ـ قد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلّهنا. ١١ ـ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا نجساً اخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب. ١٢ ـ لأنكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين لأن الرب سائر أمامكم وإلّه إسرائيل يجمع ساقتكم) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٥٦.

(٥) في ط، س (يحتاج) بدلاً من (محتاج).

(٦) في ط، ك، س (أن في) بدلاً من (من).

(٧) (أن) ساقطة من س.

(٨) (نقل) ساقطة من س، ك.

وإذا ثبت ذلك فحينئذٍ هو نظير ما في التوراة من قوله: (جاء الله[1] من طور سينا، وأشرف من ساعير، واستعلن من جبال فاران)[2].

ومعلوم أنه ليس في هذا ما يدل على أن الله حال في موسى بن عمران، ومتحد[3] به، ولا أنه حال في جبل فاران، ولا أنه متحد بشيء من طور سينا، ولا ساعير.

وكذلك هذا اللفظ لا يدل على أنه حال في المسيح ومتحد به، إذ كلاهما سواء، وإذا قيل: المراد بذلك قربه ودنوه كتكليم موسى، وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه، ونحو ذلك من الأمور التي وقعت، قيل: وهكذا في المسيح ـ عليه السلام ـ.

وقوله: (ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين)، قد قال في التوراة مثل هذا في غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ـ عليه السلام ـ[4].

وأما قوله عن الأمم المبددين فيجعلهم أمة واحدة، فهم الذين اتبعوا المسيح، فإنهم كانوا متفرقين مبددين فجعلهم أمة واحدة.

وأما قوله: ويبصرون جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم، ويجمعهم إله إسرائيل، فمثل هذا في التوراة في غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا حلوله فيه، كقوله في السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبني إسرائيل: (لا تهابوهم

(١) في ط (الرب) بدلاً من (الله).
(٢) سبق الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٤٥.
(٣) في ط (لا متحد به) بزيادة (لا).
(٤) في جميع النسخ و ط (عليه السلام كقوله) بزيادة (كقوله)، وقد حذفنا (كقوله) ليستقيم المعنى.

ولا تخـافـوهم، لأن الله ربكم السـائـر[1] بين أيـديكم هـو يحـارب[2] عنكم)[3].

وفي موضع قال موسى: (إن الشعب هو شعبك، فقال: أنا أمضي أمـامك فـارتحل، فقـال: إن لم تمضِ أنت أمامنـا وإلّا فلا تصعـدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمـامك نعمـة كذا[4] إلّا بسيرك معنا)[5].

وفي السفر الرابع من الفصل الثالث عشر: (إن أصعـدت[6] هؤلاء من بينهم بقدرتك، فيقولون لأهل هذه الأرض الـذين[7] سمعوا أنـك الله فيما بين هؤلاء القوم، يـرونه عينـاً بعين، وغمامـك يقيم عليهم، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً، وبعمود نار ليلاً)[8].

(١) في ط (سائر) بسقوط (ال).
(٢) في س، ك، ط (محارب) بدلاً من (يحارب).
(٣) وجدت في سفر التثنية الإصحاح الأول (٢٩ ـ فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. ٣٠ ـ الرب إلّهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم) بنصه.
انظر: العهد القديم ص ٢٧٨.
(٤) في ط (كذا بعلمك) بزيادة (بعلمك)؛ في ك (بعلمك) بدلاً من (نعمة كذا).
(٥) وجدت في سفر الخروج ـ الإصحاح الثـالث والثلاثـون (١٣ ـ وانظر إن هـذه الأمة شعبـك. ١٤ ـ فقال وجهي يسيـر فأريحـك. ١٥ ـ فقـال لـه: إن لم يسـر وجهـك فلا تصعدنا من هنا. ١٦ ـ فإنه بماذا يعلم أني وجدت نعمـة في عينيك أنـا وشعبك أليس بمسيرك معنا) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٤٣.
(٦) في ط (ربـي أصعـدن) بدلاً من (إن أصعـدت)؛ في أ (إني أسعـدت) بـدلاً من (إن أصعدت).
(٧) في ك، س (الذي) بدلاً من (الذين).
(٨) وجـدت في سفر العـدد ـ الإصحاح الـرابع عشـر (١٣ ـ فقال مـوسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هـذا الشعب من وسطهم. ١٤ ـ ويقـولون لسكـان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذين أنت يـا رب قد =

وفي التوراة أيضاً: يقول الله لموسى: (إني آتٍ إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي[1] لك)[2].

ثم قوله: (اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم إلى خباء العزب يقفون معك حتى أخاطبهم)[3].



= ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٢٣٤.

(١) في ك، س (مخالطتي) بدلاً من (مخاطبتي).

(٢) وجدت في سفر الخروج ـ الإصحاح التاسع عشر (٩ ـ فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١١٩.

(٣) وجدت في سفر العدد ـ الإصحاح الحادي عشر (١١ ـ فقال الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك فانزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم...) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٢٢٩.

فصل

قالوا: وقال: «زكريا»[1] النبي: (افرحي يا بيت صهيون، لأني آتيك وأحل فيك وأترايا، قال الله: ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا[2]، ويملك[3] عليهم إلى الأبد)[4].

فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن إبراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له، واستعلن له، وترايا له، ونحو هذه العبارات، ولم يدل ذلك على حلوله فيه واتحاده به[5].

---

(١) زكريا: هو زكريا بن برخيا بن عَدّو، النبي ـ كاهن من فرقة أبيا، وهو أبو يوحنا المعمدان كان ورعاً باراً.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح الأول ـ زكريا ـ ص ١٣٤٠؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٧.

(٢) في ط، أ، ك (يهودا) بدلاً من (يهوذا).

(٣) في أ (ويملكه) بدلاً من (ويملك).

(٤) وجدت في سفر زكريا ـ الإصحاح الثاني (١٠ ـ ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هاأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب ـ ١١ ـ فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك. والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٣٤٢.

(٥) (واتحاده به) ساقطة من ط.

وكذلك إتيانه، وهو لم يقل إني أحل في المسيح وأتحد به، وإنما قال عن بيت صهيون: (آتيك وأحل فيك) كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر، وكذلك قوله: (وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك)، لم[1] يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس، وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والإيمان به في القلوب اطمأنت وسكنت.

وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح ـ عليه السلام ـ بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع هذا أن النبوات المتقدمة والكتب الإلٰهية كالتوراة والإنجيل والزبور وسائر نبوات الأنبياء لم تخص المسيح بشيء يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه، كما يقوله النصارى، بل لم تخصه إلَّا بما خصه الله به على لسان محمد (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في قول الله ـ تعالى ـ :)[2].

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[3].

فكتب الأنبياء المتقدمة، وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصدق بعضها[4] بعضاً، وسائر ما تستدل به

(١) في ط (ولم) بزيادة (و).

(٢) هذه العبارة وردت في المطبوعة وسائر النسخ (محمد صلَّى الله عليه وسلَّم في قوله) وهذا نقص يحيل المعنى ويجعل الآية التالية منسوبة للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. في أ (محمداً) بدلاً من (محمد).

(٣) في سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٤) في س (بعضه) بدلاً من (بعضها).

النصارى على إلٰهيته من كـلام الأنبياء قـد يوجـد مثل تلك الكلمـات في حق غير المسيح، فتخصيص المسيح بالإلٰهية ودون غيره بـاطل، وذلـك مثـل اسم الابن والمسيح ومثـل حلول روح القدس فيـه، ومثـل تسميتـه إلٰهاً، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه.

فهــذه الكلمـات ومــا أشبههـا مــوجـودة في حق غيــر المسيــح عندهم[1]، ولم يكونوا بذلك آلهة.

ولكن القائلون بالحلول والاتحاد في حق جميع الأنبياء والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات.

وهـذا المذهب بـاطل بـاتفاق المسلمين واليهـود والنصارى، وهـو بـاطل في نفســه عقلاً ونقـلاً، وإن كان طـوائف من أهل الإلحـاد والبدع المنتسبين إلى المسلمين واليهود والنصارى تقول به، فهؤلاء اشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين به من أهـل الإيمان بـه ومعرفتـه ونوره وهـداه والروح منه، وما يعبر عنه بالمثل الأعلى، والمثال العلمي.

وظنوا أن ذلك ذات الـرب، كمن يظن أن نفس اللفظ بـالاسم هو المعنى الـذي في القلب، أو نفس الخط هو نفس اللفظ، ومن يـظن أن ذات المحبـوب حلت في ذات المحب واتحـدت بـه أو نفس المعـروف المعلوم حل في ذات العالم العارف به واتحـد به، مـع العلم اليقيني أن نفس المحبـوب المعلوم باين عن ذات المحب روحـه وبدنـه، لم يحـل واحد منها في ذات المحب.

وقد قال الله ــ تعالى ــ :

---

(١) في ط (وعندهم) بزيادة (و).

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[2] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3] .

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو في قلوبهم، والمراد معرفته ومحبته وعبادته، وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته، كما يقول الإنسان لغيره: أنت في قلبي، وما زلت في قلبي وبين[4] عيني، ويقال:

ساكن في القلب يعمره … لست أنساه فأذكره[5]

ويقال[6] :

إن بيتاً أنت ساكنه … غير محتاج إلى السرج[7]

ومن قول القائل:

ومن عجبي أن أحن إليهم … وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

---

(١) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف: من الآية ٨٤.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٣.
في ك (في السماوات والأرض) بدلاً (في السماوات وفي الأرض).

(٤) (بين) ساقطة من س.

(٥) هذا البيت سبقت الإشارة إليه .

(٦) في ط، ك، أ (وقال) بدلاً من (ويقال).

(٧) هذا البيت ينسب لعبد الصمد بن المعذل.
انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ٤/ ٢٣١ .

وتـطلبهم عيني وهم في سـوادهـا ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي[1]

وقال:

مثالك في عيني وذكـرك في فمي ومثواك في قلبـي فأين تغيب؟[2]

والمسـاجد: هي بيـوت الله التي فيهـا يـظهـر ذلـك، ولهـذا قـال ـ تعالى ـ:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[3].

قال أبـي بن كعب: مثل نوره في قلوب المؤمنين[4].

ثم قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[5].

ثم قال:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[6].

فذكر سبحانه نوره في قلوب المؤمنين، ثم ذكر[7] ذلك في بيوتـه، كذلك ما ذكر في الكتب الأولى.

وأمـا الإتيـان والمجيء والتجلي فعنـدهم في التـوراة يقـول الله لمـوسى: «إني آتي إليك في غلظ الغمـام لكي يسمـع القـوم مخـاطبتي لك»[8]، ثم قوله: «اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذين البيتين.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا البيت.

(٣) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٥) سورة النور: من الاية ٣٦.

(٦) سورة النور: من الآية ٣٦.

(٧) (ذكر) ساقطة من س، د.

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

إلى خباء العرب يقفون معك حتى أخاطبهم»[1].

وفي السفر الرابع لما تكلم مريم وهارون في موسى: (حينئذ تجلى الله بعمود الغمام قائماً على باب الخباء ونادى يا هارون ويا مريم، فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامي إني أنا الله فيما بينكم»[2].

وفي الفصل الثالث عشر: (إن أصعدت هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك يقيم عليهم، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً، وبعمود نار ليلاً)[3].

وفي السفر الخامس قول موسى لبني إسرائيل: (لا تهابوهم ولا تخافوهم، لأن الله ربكم السائر بين أيديكم، وهو يحارب عنكم)[4].

وفي موضع آخر قال موسى: (إن الشعب هو شعبك، فقال: يا موسى[5] أنا أمضي أمامك فأرتحل، فقال: إن لم تمض أنت معنا وإلاَّ فلا تصعدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا[6] بعلمك إلاَّ بسيرك معنا)[7].

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٢) وجدت في السفر الرابع ـ سفر العدد ـ الإصحاح الثاني عشر: (٥ ـ فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرج كلاهما ـ ٦ ـ فقال: اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم وأكلمه).
انظر: العهد القديم ص ٣٤٠.

(٣) هذا النص سبقت الإشارة إليه.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٥) (يا موسى) ساقطة من س، ك.

(٦) (نعمة كذا) ساقطة من أ.

(٧) هذا النص سبقت الإشارة إليه.

وفي المزمور الرابع من الزبور عندهم يقول: (وليفرح المتكلون[1] عليك إلى الأبد ويبتهجون ويحل فيهم ويفتخرون)[2] فأخبر أنه يحل في جميع الصديقين، أي معرفته ومحبته فإنهم متفقون على أن ذات الله لم تحل في الصديقين، وكذلك في رسائل يوحنا[3] الإنجيلي: (إذا أخفا[4] بعضنا بعضاً نعلم أن الله يلبث فينا)[5]، أي محبته، ونظائره كثيرة.



(١) في أ، س (المتكلمون) بدلاً من (المتكلون).

(٢) وجدت في سفر المزامير ــ المزمور الرابع والخمسون: (١٠ ــ يفرح الصديق بالرب ويحتمي به ويبتهج كل المستقيمي القلوب).
انظر: العهد القديم ص ٨٧٦.

(٣) يوحنا الإنجيلي: سبقت ترجمته.

(٤) في أ (احفا) بدون نقط. وفي ك (أحفا).

(٥) وجدت في رسائل يوحنا ــ رسالة يوحنا الأولى ــ الإصحاح الرابع (٢٠ ــ إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا).
انظر: العهد الجديد ص ٣٨٩.

فصل

قالوا: وقال «عاموص»[1] النبي: (ستشرق الشمس على الأرض، ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنو إسرائيل)[2]، قالوا: فالشمس هو السيد المسيح، والضالون الذين[3] اهتدوا به هم النصارى المختلفة ألسنتهم، الذين كانوا من قبله عابدين الأصنام وضالين عن معرفة الله، فلما أتوهم التلاميذ وأنذروهم بما أوصاهم السيد المسيح فتركوا عبادة الأصنام واهتدوا باتباعهم السيد المسيح.

فيقال: هذا مما لا ينازع فيه المسلمون، وإنما ينازع في مثل هذا وأمثاله اليهود المكذبون للمسيح ـ عليه السلام ـ، كما ينازع كفار أهل الكتاب في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وأما المسلمون فيؤمنون بجميع كتب الله ورسله، وأن المسيح

---

(١) عاموص سبقت ترجمته، وأما سفره فكتبه في عهد بريعام الثاني ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: حكم الله على الوثنيين وعلى إسرائيل، وثلاث عظات خاصة بحساب إسرائيل، وخمس رؤى في الهلال.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٧٤؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٠.

(٢) وجدت في سفر (عاموص) الإصحاح الثامن (٩ ـ يقول السيد الرب: إني أغيب الشمس في الظهر، وأقتم الأرض في يوم نور، وأحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثي...).
انظر: العهد الجديد ص ١٢١١.

(٣) (الذين) ساقطة من س.

ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشرق نوره على الأرض! كما أشرق قبله نور موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وأشرق بعده نور محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقد قال الله تعالى لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1].

فسماه الله[2] سراجاً منيراً[3]، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً، والسراج المنير أكمل من السراج الوهاج، فإن الوهاج له حرارة تؤذي، والمنير يهتدي بنوره من غير أذى بوهجه.

وقال تعالى لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦.
(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ، ك.
(٣) (فسماه الله سراجاً منيراً) ساقطة من س.
(٤) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.
(٥) سورة الشورى: الآيتان ٥٢، ٥٣.

والمسلمون مقرون بأن كل من كان متبعاً لدين المسيح ـ عليه السلام ـ الذي لم يغير ولم يبدل، فإنه اهتدى بالمسيح من الضلالة، ومن كفر به من بني إسرائيل فإنه ضال، بل كافر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾[2].

وقوله: «ستشرق الشمس على الأرض ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنو إسرائيل»، يناسب قوله في التوراة: (جاء الله[3] من طور سينا وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران)[4]، فإن إشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح، كما أن مجيئه من طور سينا: هو ظهور نوره

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٥٥ ـ ٥٧.
في س، أ، ك (وإذ قال الله يا عيسى) بزيادة (و).
(٢) سورة الصف: من الآية ١٤.
في ك، أ (كونوا أنصاراً لله) وهي قراءة.
(٣) في ط (الرب) بدلاً من (الله).
(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

بموسى، واستعلانه من جبال فـاران هو ظهـور نوره بمحمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وبهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله في القرآن بقوله:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[1].

فبلد التين والزيتون هي الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح، وكـان بهـا أنبيـاء بني إسـرائيـل، وأسـرى[2] بمحمـــد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إليها وظهرت[3] بهـا نبوتـه، وطور سينين المكـان الذي كلم الله فيه موسى بن عمـران، وهذا البلد الأمين هـو بلد مكة التي بعث الله منـه محمداً[4] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأنزل عليه القرآن.



(١) سورة التين: الآيات ١ ــ ٣.
(٢) في أ (فأسرى) بدلاً من (وأسرى).
(٣) في أ، ك، س (وظهر) بسقوط (ت).
(٤) في أ، س (محمد) بدلاً من (محمداً).

فصل

قالوا: وقال في السفر الثالث من أسفار الملوك: (والآن يا رب إله إسرائيل لتحقق كلامك لداود، لأنه[1] حق أن يكون، إنه سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً من بيته القدوس، ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله)[2].

فيقال هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذي تكلم به نبي، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم، وليس فيها ما يدل على اتحاده بالمسيح، فإن قوله: (إن الله سيسكن مع الناس في الأرض) لا يدل على المسيح، إذ كان[3] المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض، بل لما أظهر الدعوة لم يبق[4] في الأرض إلاَّ مدة قليلة،

(١) في ك، أ (ولأنه) بزيادة (و).

(٢) وجدت في سفر ـ أخبار الأيام الثاني ـ (١٧ ـ والآن أيها الرب إله إسرائيل. فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود ـ ١٨ ـ لأنه هل يسكن حقاً مع الإنسان على الأرض) وهذا من نص طويل بمعناه.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح السادس ص ٦٨٧.

(٣) (كان) ساقطة من أ.

(٤) في س، ك (يبقى) بزيادة (ي).
في أ (يقم) بدلاً من (يبق).

ولم يكن ساكناً في موضع معين، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلاً عن الإلٓهية، ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض، وأيضاً فإذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح ــ عليه السلام ــ قيل لهم: أما الظهور الممكن المعقول، كظهور معرفته ومحبته ونوره، وذكره وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

وحينئذ فليس في هذا اللفظ ما يدل على أن هذا السكون كان بالمسيح دون غيره، وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه ــ عليه السلام ــ ، وليس في ظهوره فيه أو حلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي ما يوجب اتحاد ذاته به[1].

وأما قوله: (فيكون الرب عليها شاهداً)، فيقال أولاً شهود الله على عباده لا يستلزم حلوله، أو اتحاده ببعض مخلوقاته، بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال:

﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[2].

ولفظ النص: (ولتنصت الأرض، وكل من[3] فيها فيكون الرب عليها شاهداً)، وهذا كما في التوراة: أن موسى لما خاطب بني إسرائيل أشهد عليهم[4]، وكذلك محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يقول لأمته لما بلَّغ الناس بقول: «ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيقول:

---

(١) في ك، س (اتحاده به) بدلاً من (اتحاد ذاته به).
(٢) سورة يونس: من الآية ٤٦.
(٣) في ك (كلمن) بدلاً من (كل من).
(٤) وفي التوراة (وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. . .) إلى أن قال: (. . . هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال).
انظر: العهد القديم ــ سفر الخروج ــ الإصحاح الرابع والعشرون ــ ص ١٢٥.

اللهم أشهد»(١).

وحينئذ فليس في هذا تعرض لكون المسيح هو الله، وقد يقال أيضاً: ليس فيه أن المراد بلفظ الرب هنا هو الله، ولفظ الرب يراد به السيد المطاع، وقد غاير بين اللفظين، فقال: هناك أنه سيسكن الله مع الناس، فقال: فيكون الرب عليها شاهداً، والأنبياء يشهدون على أممهم، كما قال المسيح ــ عليه السلام ــ:

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾(٤).

---

(١) انظر:

* صحيح البخاري ــ كتاب الحج ــ باب ١٣٣ ــ عن أبي بكرة بلفظه وفي أكثر من موضع في صحيح البخاري.

* صحيح مسلم ــ كتاب القسامة ــ باب ٩ ــ حديث رقم ٣١ ــ عن أبي بكرة بلفظه.

* سنن ابن ماجه ــ كتاب المناسك ــ باب ٧٦ ــ باب الخطبة يوم النحر عن عمرو بن الأحوص بلفظه وزيادة «يا أمتاه»؛ وكتاب الفتن ــ باب ٢ ــ عن أبي سعيد بلفظه.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٧.

(٣) سورة المزمل: من الآية ١٥.

(٤) سورة النساء: من الآية ٤١.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1]

وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح، الذي هو الناسوت، وهو الـذي جاء من بيت المقـدس، وخرج من مـوضعه، ونـزل ووطىء على الأرض من أجل خطيئة بني يعقوب فـإنهم لما أخـطأوا وبدلـوا أرسل الله إليهم المسيح ــ عليه السـلام ــ يدعـوهم إلى عبادة الله وحـده وطاعتـه، فمن آمن به كان سعيداً مستحقاً للثواب، ومن كفر بـه كان شقيـاً مستحقاً للعذاب.

• • •

(١) سورة النحل: من الآية ٨٩.

فصل

قالوا: وقال «ميخا»[١] النبي: (وأنت يا بيت لحم قرية يهودا بيت أفراتا[٢]، يخرج لي رئيس الذي يرعى[٣] شعبي إسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لا يظهر إلاَّ في الأيام التي تلده[٤] فيها الوالدة، وسلطانه من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)[٥].

والجواب: أن عامة ما يذكرونه عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة

(١) ميخا: سادس الأنبياء الصغار ويسمى المورشتي من مسقط رأسه ـ مورشة قرية بقرب جت، تنبأ في ملك يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا سنة ٧٥١ ـ ٦٩٣ق. م، كان معاصراً لأشعيا الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته، ويتضمن سفر ميخا نبوات بخصوص السامرة وأورشليم وتنبأ بخراب السامرة تماماً وبخراب أورشليم وسبي سكانها، ونبواته بخصوص المسيح دقيقة، حيث قال: «إن المسيح سيولد في بيت لحم اليهودية».

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦.

(٢) في ط، ك (أقرانا) بدلاً من (أفراتا)؛ في س، أ (أفرانا) غير منقوطة.

ونحن أثبتناها كما في التوراة. انظر: عزو النص.

(٣) في ك، أ، س (يرعا) بدلاً من (يرعى).

(٤) في س (تلد) بسقوط (ه).

(٥) وجدت في سفر ميخا ـ الإصحاح الخامس (٢ ـ أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكون بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل. ٣ ـ لذلك يسلمهم إلى حينما تكون قد ولدت والدة ثم ترجع بقية إخوته إلى بني إسرائيل. ٤ ـ ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويثبتون لأنه الآن يتعظم إلى أقاصي الأرض).

انظر: العهد القديم ص ١٣٢٢.

والسلام ـ حجة عليهم، لا لهم كما ذكروه عن المسيح ـ عليه السلام ـ في أمر التثليث، فإنه حجة عليهم لا لهم، وهكذا تأملنا عامة ما يحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء فإنه إذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لا لهم، فإن كلام الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هدى وبيان، وهم معصومون لا يتكلمون بباطل.

فمن احتج بكلامهم على باطل فلا بد أن يكون في كلامهم ما يبين به أنهم أرادوا الحق لا الباطل، وهذا مثل قوله في هذه النبوة: (منك يخرج لي رئيس)، فهذا صريح في أن هذا الذي يخرج هو رئيس الله ليس هو الله، بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل والأنبياء المطاعون مثل: داود، وموسى، وغيرهما.

ولهذا قال: (الذي يرعى شعبي إسرائيل)، ولو كان هو، لكان هو راعي شعب نفسه، وأما قوله: (وهو من قبل أن تكون الدنيا) فهذا مثل قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حديث ميسرة الفجر[1]، وقد قيل له: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» وفي لفظ: متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[2]، وفي

---

(١) ميسرة الفجر: صحابي جليل، ذكره البخاري والبغوي وابن السكن كما يقول ابن حجر في الإصابة، وقال ابن عبد البر: له صحبة نزل البصرة وليس له إلَّا هذا الحديث، عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد...» الحديث.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٧٠؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٥١٨.
وقال في الطبقات: ميسرة الفجر وهو أبو بيل بن ميسرة العقيلي الذي روى عنه عبد الله بن شقيق، ثم ساق الحديث السابق.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٦٠.

(٢) انظر:
* مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٦ ـ عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من أصحاب النبي

مسند الإمام أحمد، عن العرباض بن سارية[1]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل[2] في طينته وسأنبئكم بأول أمري، أنا[3] دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى»، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام»[4] فقد أخبر ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه كان نبياً، وكتب نبياً[5] وآدم بين الروح والجسد، وأنه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل في طينته.

ومراده ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن الله كتب نبوته، وأظهرها وذكر اسمه، ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ

بلفظ: متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد فقط؛ و ٥/٥٩ عن ميسرة الفجر باللفظ الثاني؛ و ٥/٣٧٩ برواية عبد الله بن شقيق السابقة.

* وسنن الترمذي ـ أبواب المناقب ـ باب ٢٠ ـ حديث رقم ٣٦٨٨ ـ عن أبي هريرة بلفظ «متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد».

(١) هو العرباض بن سارية الأسلمي أبو نجيح ـ صحابي مشهور من أهل الصفة ـ وهو ممن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...﴾ سورة التوبة: الآية ٩٢، وحديثه في السنن الأربعة.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٤٧٣.

(٢) في س (منجدل) بسقوط (لـ).

(٣) (أنا) ساقطة من ط، س.

(٤) انظر:
* مسند الإمام أحمد ٤/١٢٨ ـ عن العرباض بن سارية بمعناه؛ و ٥/٢٦٢ ـ عن أبي أمامة بلفظ: «قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» فقط.
* وسنن الدارمي المقدمة.

(٥) (وكنت نبياً) ساقطة من س، أ.

الروح فيه، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله، وشقي هو أو سعيد بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه.

وكذلك قول القائل في المسيح ـ عليه السلام ـ وهو من قبل أن تكون الدنيا، فإنه مكتوب مذكور من قبل أن تكون الدنيا.

فإنه قد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو[1]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[2].

وفي صحيح البخاري، عن عمران بن حصين[3]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات

---

(١) عبد الله بن عمرو: هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي، أسلم قبل أبيه فكان ـ رضي الله عنه ـ صحابياً جليلاً عالماً فاضلاً. قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مني إلاَّ عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب، توفي بمصر وقيل بالطائف سنة خمس وستين ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٣٤.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد ٢/١٦٩ ـ عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

(٣) عمران بن حصين: هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، روى عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعن معقل بن يسار، وروى عنه ابنه نجيد وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم، تولى القضاء في الكوفة وسكن البصرة وبها، توفي سنة اثنين وخمسين من الهجرة.
انظر: طبقات ابن سعد ٤/٢٨٧؛ تهذيب التهذيب ٨/١٢٦؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٩.

والأرض»[1].

وهو قد قال قبل أن تكون الدنيا، ولم يقل إنه كان قديماً أزلياً مع الله لم يزل، كما يقول النصارى: إنه صفة الله الأزلية. بل وقت ذلك بقوله: «قبل أن تكون الدنيا» ولا يحسن أن يقال في رب العالمين كان قبل أن تكون الدنيا فإنه سبحانه قديم أزلي، ولا ابتداء لوجوده فلا يوقت بهذا المبدأ، لا سيما إن أريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته، فإن الدنيا قد لا تدخل فيها السماوات والأرض، بل يجعل من الآخرة، وأرواح المؤمنين في الجنة في السماوات، ويراد بالدنيا الحياة الدنيا أو الدار الدنيا.

ولهذا قال: لكنه لا يظهر إلاَّ في الأيام التي تلده فيها الوالدة كما يظهر غيره من الأنبياء بعد أن تلده أمه.

والوالدة إنما ولدت الناسوت، وأما[2] اللاهوت فهو عندهم مولود من الله القديم الأزلي، وإذا قالوا فهي ولدت اللاهوت مع الناسوت كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة، وإذا قيل: لم خص عيسى المسيح ــ عليه السلام ــ[3] بالذكر؟ قيل: كما خص محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالذكر، لأن أمر المسيح كان أظهر وأعظم ممن قبله من الأنبياء بعد موسى.

وكذلك أمر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان أظهر وأعظم من

---

(1) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب بدء الخلق ــ باب ١ ــ عن عمران بن حصين بلفظه؛ ومسند الإمام أحمد ٤/٤٣١، ٤٣٢ ــ عن عمران بن حصين بمعناه.

(2) في أ (فأما) بدلاً من (وأما).

(3) (ــ عليه السلام ــ) ساقطة من أ.

أمر[1] جميع الأنبياء قبله، وإذا[2] عظم الشيء كان ظهوره في الكتاب أعظم.

وظن بعض[3] النصارى أن المراد بذلك وجود ذات المسيح، يضاهي ظن طائفة من غلاة المتنسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانت موجودة قبل خلق آدم.

ويقولون: إنه خلق من نور رب العالمين، ووجد قبل خلق آدم، وأن الأشياء خلقت منه حتى قد يقولون في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4] من جنس قول النصارى في المسيح، حتى قد يجعلون[5] مدد العالم منه، ويروون[6] في ذلك أحاديث وكلها كذب، مع أن هؤلاء لا يقولون إن المتقدم هو اللاهوت، بل يدعون تقدم حقيقته وذاته، ويشيرون إلى شيء لا حقيقة له، كما تشير النصارى إلى تقدم لاهوت[7] اتحد به لا حقيقة له.

ومن هؤلاء الغلاة من يروي عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «من قال إني كلي[8] بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد

(١) (أمر) ساقطة من ط.
(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٣) (بعض) ساقطة من أ.
(٤) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) في أ، س (يجعلوا) بدلاً من (يجعلون)؛ وفي أ، أخرت جملة (حتى قد يجعلون مدد العالم منه) بعد جملة (ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب).
(٦) في ط، س (يرون) بواو واحدة.
(٧) في أ (اللاهوت) بزيادة (الـ).
(٨) (كلي) ساقطة من أ.

كفر»[1]، ويحتجون بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[2].

فيجعلون فيه شيئاً من اللاهوت مضاهاة[3] للنصارى.

وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد ثبت عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الذي في الصحيحين، أنه قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد (فقولوا: عبد[4]) الله ورسوله[5].

وقد قال ـ تعالى ـ عنه[6]:

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[7].

وهذا من جنس الغلاة الذين يقولون: إن الرب يحل في الصالحين، ويتكلم على ألسنتهم، وأن الناطق في أحدهم هو الله لا نفسه، وقول هؤلاء من جنس قول النصارى في المسيح، ويقول أحدهم: إن الموحد هو الموحد، وينشدون:

---

(١) هذا الحديث لم أعثر عليه بالرغم من البحث الدقيق في كتب السنَّة وكشافاتها، وبخاصة كتب الموضوعات، ويظهر من متن الحديث أنه موضوع لتناقضه، والله أعلم.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٤٠.

(٣) في س، ك (مضاها) بسقوط (ة).

(٤) (فقولوا: عبد) ساقطة من ط.

(٥) سبقت الإشارة لهذا الحديث.

(٦) (عنه) ساقطة من ط، ك، أ.

(٧) سورة الإسراء: من الآية ٩٣.

مـا وحـد الـواحـد من واحـد ... إذ كـل مـن وحـده جـاحـد
تـوحيـد من ينـطق عن نـعتـه ... عـاريـة أبـطالـهـا الـواحـد
تـوحـيـده إيّـاه تـوحـيـده ... ونـعـت مـن يـنـعتـه لاحـد[1]

وهـو من جنس قول الـذين يجعلون روح الإنسـان قـديمـة أزليـة، ويقولون: هي صفة الله فيجعلون نصف الإنسان لاهوتاً، ونصفه ناسـوتاً، لكن اللاهوت عندهم هو روحه، لا لاهوت واحـد كما يقـوله النصـارى، وعلى قـول هؤلاء مع قـول النصارى يكـون في المسيـح، وأمثـالـه ممن ادعى فيه اتّحاد اللاهوت به لاهوتـان: روحه لاهـوت، والكلمة لاهـوت ثانٍ. ومن جنس هؤلاء من ينشد ما يحكى عن الحلاج[2] أنه أنشد:

سبحـان من أظهـر نـاسـوتـه ... سـر سـنـا لاهـوتـه الثـاقـب
ثـم بـدا في خـلقـه ظـاهـراً ... فـي صـورة الآكـل والـشـارب
حـتـى لـقـد عـابـتـه خـلقـه ... كلحـظة الحـاجب للحـاجب[3]

ولو قدر أن نفسه هي التي كانت قبل أن تكون الدنيا، فهذا لا يدل على أنه الله أو صفة الله، بل إذا قال من يدعي أن روحه كانت موجودة[4] حينئذٍ المراد روحـه، كان هـذا أقرب من قـول النصـارى، وفي الجملة مـا يخبر عن المسيـح أنه كـان قبل أن تكـون الدنيـا بمنزلـة ما عنـد أهل الكتاب. عن سليمان أنه قال: (كنت قبل أن تكون الدنيا)[5] ثم قد ثبت

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الأبيات.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) هـذه الأبيات ذكـرها ابن الجـوزي في كتابـه تلبيس إبليس منسـوبـة إلى الحسين بن منصور، الحلاج.
انظر: تلبيس إبليس ص ١٧١، إدارة الطباعة المنيرية.
(٤) في أ (مخلوقة موجودة) بزيادة (مخلوقة).
(٥) وجدت في سفر الأمثال ـ الإصحاح الثامن (٢٧ ـ لما ثبت السماوات كنت هناك أنا

باتفاق الخلائق أن سليمان لم يكن اللاهوت متحداً به، فعلم أن مثل هذا الكلام لا يوجب اتحاد اللاهوت به، بل المسلمون يعدلون في القول، ويفسرون كلام الله في كتبه بعضه ببعض، ويجعلون كلامه يصدق بعضه بعضاً لا يناقض بعضه بعضاً.

وأما أهل الضلال من النصارى وغيرهم فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه، ويبخسون[1] الفاضل حقه، ويغلون في المفضول ويبخسون الأنبياء حقوقهم، مثل تنقصهم لسليمان، فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه.

منهم من يقول: كان ساحراً، وأنه سحر الجن بسحره.

ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لا نبياً، ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك. وذلك أن سليمان سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر لسليمان الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، فسخر له الريح غدوها شهر، ورواحها شهر، ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش «بلقيس»[2] ملكة اليمن، وكان هو بالشام:

لما رسم دائرة على وجه الغمر. ٢٨ ـ لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينابيع الغمر. ٢٩ ـ لما وضع للبحر حدِه فلا تتعدى المياه تُخْمَهُ لما رسم أسس الأرض كنت عنده ضائعاً...).

انظر: العهد القديم ص ٩٤٥.

(١) في ط (ينقصون) بدلاً من (يبخسون).

(٢) **بلقيس ملكة اليمن**: هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك من حمير، ملكة سبأ يمانية من أهل مأرب، أشير إليها في القرآن الكريم، وليت بعهد من أبيها في مأرب.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/٥١.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ
مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن
فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ
كَرِيمٌ﴾[1].

فلما مات سليمان[2] عمدت الشياطين إلى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يسخر[3] الجن بهذا، فصار هذا فتنة لمن صدق بذلك وصاروا طائفتين، طائفة علمت أن هذا من الشرك والسحر، وأنه لا يجوز فطعنت في سليمان، كما فعل ذلك كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى.

وطائفة قالت: سليمان نبي، وإذا كان قد سخر الجن بهذا[4] دل على أن هذا جائز، فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشرك والتعزيم والإقسام بالشرك والشياطين ما[5] تحبه الشياطين وتختاره ويساعدونهم لأجل ذلك على بعض مطالب الإنس إما إخباراً بأمور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً، وإما تصرف في بعض الناس، كما يقتل الرجل أو يمرض بالسحر، أو تسرق الشياطين له بعض الأموال، ونحو ذلك مما فيه إعانة الشياطين للإنس على أمور تريدها الإنس، لأجل مطاوعة الإنس وموافقتهم للشياطين على ما تريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١) سورة النمل: الآيات ٣٨ ــ ٤٠.
(٢) (سليمان) ساقطة من ط، س، ك.
(٣) في أ، ك (يسحر) بدلاً من (يسخر).
(٤) في أ (فهذا) بدلاً من (بهذا).
(٥) في أ (مما) بدلاً من (ما).

وكثير منهم يضيف ذلك إلى سليمان وإلى «آصف بن برخيا»[1] ويصورون[2] خاتم سليمان، وقد يأخذون الرجل الذي صار من إخوانهم إلى مواضع فيرونه[3] شخصاً، ويقولون: هذا سليمان بن داود، كما قد جرى مثل ذلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين، وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان.

فنزه الله ــ تعالى ــ سليمان[4] من كذب هؤلاء، وهؤلاء الذين جعلوه يسخر الشياطين بنوع من الشرك والسحر، هؤلاء جرحوه، وهؤلاء زعموا أنهم يتبعونه فقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) هو آصف بن برخيا، وكان صدّيقاً يعلم الاسم الأعظم مؤمناً من الإنس من بني إسرائيل، ذكر أنه أمر سليمان ــ عليه السلام ــ أن ينظر إلى اليمن التي فيها العرش ثم قام فتوضأ ودعا باسم الله الأعظم فمثل العرش بين يدي سليمان ــ عليه السلام ــ انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٤ طبعة بولاق.

(٢) في أ (يصورون) بسقوط (و).

(٣) في أ (فيروونه) بدلاً من (فيرونه).

(٤) (سليمان) ساقطة من س.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

ومثل هذا كثير يحكى عن بعض الأنبياء، أو بعض أهل العلم والدين، من أمور ليست من شرع الله فيصدق بها بعض الناس، وتصير فتنة لطائفتين مصدقتين بها:

طائفة تقدح في ذلك النبي أو[1] الرجل الصالح بما هو منه بريء.

وطائفة تقول إنها تتبعه فيم يقول، وهذا موجود في كثير مما يحكيه أهل الكتاب عن الأنبياء، فإن اليهود تذكر[2] عنهم ما يقدح في[3] نبوتهم.

والنصارى تجعل ذلك قدوة لهم فيما يبتدعونه، وهذا مبسوط في موضع آخر، فالمقصود[4] هنا أن الكلام الذي وصف به المسيح إما وصفه به الأنبياء قبله، أو أخبر به عن نفسه، موجود مثله في حق غيره، ولم يكن أحدهم بذلك لاهوتاً وناسوتاً، ولا اتحد اللاهوت بالناسوت، ولا استحق أحدهم بذلك أن يعبد ويصلى له ويسجد ويدعا كما يدعا الله، ويضاف إليه ما يضاف إلى الله من الخلق والبعث والثواب والعقاب، وليس للمسيح ــ صلوات الله عليه ــ آية[5] خارقة إلَّا ولغيره مثلها وأعظم منها، ولا قيل فيه كلمة، إلَّا قيل في غيره مثلها وأعظم منها، إلَّا ما خصه فيه القرآن[6].



(١) في ط، ك (والرجل) بدلاً من (أو الرجل).
(٢) في ط، ك (يذكر) بدلاً من (تذكر).
(٣) في ط، ك (من) بدلاً من (في).
(٤) في أ (والمقصود) بدلاً من (فالمقصود).
(٥) في أ (أنه) بدلاً من (آية).
(٦) (إلَّا ما خصه فيه القرآن) ساقطة من ك، س.

فصل

قالوا: وقال: «حبقوق»[1] النبي: (إن الله في الأرض يتراءى، ويختلط مع الناس ويمشي معهم)[2].

وقال «أرميا» النبي: (الله بعد هذا في الأرض يظهر وينقلب مع البشر، فيقول: أنا الله رب الأرباب)[3].

والجواب: أن هذا يحتاج إلى تثبيت نبوة هذين، وإلى ثبوت النقل عنهما، وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس، ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أن الله حل في موسى، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل، بل قوله يتراءى هو بمنزلة يتجلى ويظهر، وقد ذكر في التوراة أنه تجلى وتراءى لإبراهيم وغيره من الأنبياء

---

(١) في ط، ك: (حيقوق)، بدلاً من (حبقوق).

(٢) وجدت في سفر حبقوق ـ الإصحاح الثالث: (٥ ـ قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى. ٦ ـ وقف وقاسى الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخف آكام القدم مسالك الأزل له. . .).
انظر: العهد القديم ص ١٣٣١.
وفي سفر التثنية ـ الإصحاح التاسع (٣ ـ فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. . .).
انظر العهد القديم ص ٢٩٣.

(٣) هذا النص لم أعثر عليه بالرغم من البحث الدقيق في العهد القديم ولعل ذلك مرجعه اختلاف النسخ.

ـ عليهم السلام ـ من غير أن تكون ذاته حلت بأحد منهم، وما في القلوب من المثال العلمي وبمعرفته ومحبته وذكره يطلق عليه ما يطلق على المعروف بنفسه، لعلم الناس أن المراد به المثال العلمي.

وما في القلوب من معرفة[1] المعروف ومحبته ليس المراد به نفس المعروف المحبوب، فإذا قال القائل: أنت والله في قلبي أو في سويداء قلبي، أو قال[2] له: والله ما زلت في قلبي، وما زلت في عيني، ونحو ذلك علم جميع الناس أنه لم يرد ذاته، فإذا رأوا من يذكر عالماً مشهوراً أو شيخاً مشهوراً، فيذكر علمه وعمله، ويحيى ذلك بين الناس، قالوا: قد صار فلان، ـ يعني المعروف المذكور ـ عندنا وبين أظهرنا لعلم المخاطبين بالمراد.

ويقول أحدهم لمن مات والده: أنا والدك أي قائم مقامه، ويقولون للولد القائم مقام أبيه: من خلف مثلك ما مات. وإذا رأوا عكرمة مولى ابن عباس الذي معه علمه يقولون: جاء ابن عباس، وابن عباس بين الناس، لأن مولاه نائب عنه، وقائم[3] مقامه، وإذا بعث الملك نائباً قائماً[4] مقامه يقولون: جاء الملك الفلاني، لأن هذا النائب قائم مقامه مظهر لأمره ونهيه وأحواله.

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول الله: «عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول العبد: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً[5] مرض

---

(١) في ط (معرفته) بدلاً من (معرفة).
(٢) في ك، س (وقال) بدلاً من (أو قال).
(٣) في ط، ك، س (وقام) بدلاً من (وقائم).
(٤) في س، ك (قائم) بدلاً من (قائماً).
(٥) في س، أ (فلان) بدلاً من (فلاناً).

فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده. عبدي، جعت فلم تطعمني، فيقول: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي، عطشت فلم تسقني، فيقول: رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي استسقاك فلم تسقه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي»[1].

فجعل جوع عبده جوعه، ومرضه مرضه، لأن العبد موافق لله فيما يحبه ويرضاه ويأمر به وينهى عنه، وقد عرف أن الرب نفسه لا يجوع ولا يمرض.

ومعلوم أن وصفه بالجوع والمرض أبعد من وصفه بالمشي بين الناس والاختلاط[2] بهم، ولهذا نظائر كثيرة موجودة في كلام الأنبياء وغير الأنبياء من الخاصة والعامة[3]، ولا يفهم عاقل من ذلك أن ذات المذكور اتحدت بالآخر، أو حلت فيه إلاَّ من هو جاهل كالنصارى.

والناس يرون الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك في الماء الصافي، وفي المرآة المجلوة، ونحو ذلك.

ويقول أحدهم: رأيت وجه فلان[4] في هذه المرآة، ورأيت الشمس والقمر في المرآة أو في[5] الماء، مع علم كل عاقل أن نفس

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.
(٢) في أ (فالاحلاط) بدلاً من (والاختلاط).
(٣) في أ (العامة والخاصة) تقديم وتأخير.
(٤) في ط (فلاناً) بدلاً من (فلان).
(٥) في أ (وفي)؛ بدلاً من (أو في).

الشمس والقمر وغيرهما لم تحلا لا في المرآة ولا في الماء، ولكن هذه رؤية مقيدة رآها بواسطة المثال الذي تمثل[1] في المرآة أو الماء، سواء كان ذلك شعاعاً منعكساً أو غير ذلك، ومن هذا الباب قول القائل:

إذا ظهر الغدير على صفاء وجنّب أن يحركه النسيم
ترى فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم[2]

فقد أخبر أن الله يرى في قلوب العارفين، كما ترى الشمس والنجوم في الماء الصافي، بل يتصور أحدهم صورة من يعرفه بحمرة أو خضرة[3] أو سواد، فيقول: والله هذا هو فلان بعينه مع علمه، وعلم كل من سمعه أنه مثاله المطابق لصورته لا عينه، وذلك لمماثلة تلك الصورة لصورته[4] يريد أن هذا تمثيل مطابق له لا مخالف[5].

ومن هذا قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[6]، لم يرد أنه رأى جسدي الذي في القبر، وروحي التي في الجنة حالة في ذاته، فإن هذا ممتنع لوجوه كثيرة، فلهذا[7] قال: «فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي».

(١) في أ (مثل)؛ بدلاً من (تمثل).
(٢) سبقت الإشارة إلى هذه الأبيات.
(٣) في أ (أو صفرة) بدلاً من (أو خضرة).
(٤) (لصورته) ساقطة من س.
(٥) في ط (لا يخالف) بدلاً من (لا مخالف).
(٦) سبقت الإشارة إليه.
(٧) في أ (ولهذا) بدلاً من (فلهذا).

ولما دخل جماعة من الصحابة على المقوقس[1] ملك النصارى بمصر، واستخبرهم عن دينهم فأخبروه بذلك، فإذا عنده شبه الربعة[2] العظيمة مذهبة، وإذا فيها أبواب صغار ففتح منها باباً فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء[3]، فإذا رجل طوال أكثر الناس شعراً، فقال[4]: أتعرفون هذا؟ قالوا: قلنا: لا، فقال: هذا آدم.

ثم أعاد وفتح باباً آخر، فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذ رجل ضخم الرأس عظيم[5] له[6] شعر كشعر النبط[7] أحمر العين، فقال: أتعرفون هذا[8]؟ فقلنا: لا، فقال: هذا نوح.

ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذارجل أبيض الرأس واللحية، كأنه يبتسم، فقال: أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا، فقال هذا إبراهيم.

ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها[9] صورة بيضاء، قال: أتعرفون هذا[10]؟ قلنا: النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ،

---

(١) **المقوقس**: جريج بن مينا القبطي، صاحب الإسكندرية وهو الذي أهدى إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كسوة وبغلة وجاريتين.
انظر: البداية والنهاية ٢٧٢/٤.

(٢) في أ (الرقعة) بدلاً من (الربعة)؛ وفي س (الرونة) بدلاً من (الربعة).

(٣) في أ (شعياء) بدلاً من (بيضاء).

(٤) في أ (قال) بسقوط (فـ).

(٥) في س (عظم) بدلاً من (عظيم).

(٦) (له) ساقطة من ط.

(٧) في ط (القبط) بدلاً من (النبط).

(٨) في أ (من هذا؟) بزيادة (من).

(٩) في أ (فإذا فيها) بدلاً من (فإذا).

(١٠) (أتعرفون هذا) ساقطة من أ.

قال: هذا والله محمد رسول الله.

قال: والله يعلم أنه قام ثم قعد ثم قال: الله بدينكم إنه نبيكم[1]، قلنا: الله بديننا إنه نبينا كأنما ننظر إليه.

ثم قال: أما إنه كان آخر الأبواب، ولكني[2] عجلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثم أعاد وفتح باباً باباً وهو يقول: هذا موسى، هذا هارون، هذا داود، هذا سليمان، هذا عيسى.

وهذا كله لظهور المراد به[3] ومعرفة الناس بمقصود المتكلم، كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب: هذا فلان.

ومعلوم أن الموجود في الكتاب اسمه المكتوب، لا ذاته الموجودة في الخارج، ومن هذا الباب قوله تعالى:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾[4].

وإنما في الزبر ذكر أعمالهم وكتابة ذلك، ويقال في كتابة الوثائق: هذا ما أصدق فلان، وهذا ما يقاضي عليه فلان وفلان، (ويقال: هذا ذكر ما أصدق فلان أو يقاضي عليه فلان وفلان)[5]، فيشار[6] إلى الموجود تارة، وإلى ذكره تارة.

(١) في ط (بينكم) بدلاً من (نبيكم).
(٢) في أ (ولكن) بدلاً من (ولكني).
(٣) (به) ساقطة من ط، أ.
(٤) سورة القمر: من الآية ٥٢.
(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٦) في أ (ويشار) بدلاً من (فيشار).

ومعلوم أن الموجود في الكتاب ذكره لا عينه، بل ذلك وجود الخط في الأذهان[1] المطابق لذكره باللفظ.

والشيء له وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، ووجود عيني وعلمي ورسمي ولفظي، وفي كل من الأربعة يذكر، ويشار إليه مع القرائن والضمائر التي تبين تارة أن المشار إليه هو الخط المطابق للفظ، وتارة تكون الإشارة إلى اللفظ المطابق للمعنى.

ومعلوم أن المعنى الذي في القلب أقرب إلى الموجود في الخارج من اللفظ والخط، فإذا أشير إلى ما في قلب العارف بعين[2] المحب له الذاكر له، بأنه[3] المعروف المحبوب، كان أقرب، لا سيما وقد يغلب الذكر والمعرفة والمحبة على القلب حتى يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعروفه عن معرفته[4]، وبمذكوره عن ذكره، حتى يقول أحدهم في هذه الحال: سبحاني، أو ما في هذه الجبة إلّا الله[5].

ومعلوم أن ذات الله ـ تبارك وتعالى ـ ليست الذي في قلبه، بل في قلبه مثاله العلمي ومعرفته ومحبته، فغاب بذلك عن نفسه، هذا وإن كان يقوله الغالط، فيقول من ليس بغالط: الله في قلب فلان، وفلان ما عنده إلّا الله، ومن أراد الله فليذهب إلى فلان، وليس مرادهم أن

---

(١) (في الأذهان) ساقط من س، أ، ك.
(٢) في أ، س (بغيره) بدلاً من (بعين).
(٣) في ط، س، ك (معروفه) بدلاً من (معرفته).
(٤) في ط، ك، س (فإنه) بدلاً من (بأنه).
(٥) هذا الكلام منسوب لأبي يزيد البسطامي.
وسبقت الإشارة إليه.

ذات الله في قلبه، بل مثاله العلمي ومعرفته وذكره ومحبته، وأنه لا يعبد إلّا الله، (ولا يرجو إلّا إياه، ولا يخاف إلّا إياه، ولا يعمل إلّا للّه)[1][2] ولا يأمر إلّا بطاعته فيفنى بعبادته عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه.

فما قيل في المسيح ــ عليه السلام ــ وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا.

وإذا كان مثل هذا الكلام كثيراً موجوداً في كلام الأنبياء وغيرهم، بل هو المعروف في كلامهم، ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء أنه جعل ذات الله في قلب أحد من البشر، علم أن النصارى تركوا المحكم من كلام الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، وتمسكوا بالمتشابه كأمثالهم من الضلال، فاشتبه[3] عليهم المعلوم بالقلوب المذكور بالألسن بالموجود[4] في نفسه، فظنوا أن نفس المثال العلمي هو الموجود[5] العيني، كما يظن ذلك كثير من الغالطين، وهؤلاء يقولون بالحلول تارةً، وبالاتحاد أخرى، ولا يفرقون بين حلول الإيمان والمعرفة والمحبة[6] والمثال العلمي في القلب، وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة.

ولهذا يعتقد كثير من هؤلاء أنهم يكلمون الله ويكلمهم، ويقول أحدهم: أوقفني، وقال لي، وقلت له، وتكون[7] مخاطبته ومناجاته مع

---

(١) في ط (بالله) بزيادة (بـ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٣) في س (واشتبه) بدلاً من (فاشتبه).

(٤) في أ (الموجود) بسقوط (بـ).

(٥) في ط، س، ك (الوجود) بدلاً من (الموجود).

(٦) (المحبة) ساقطة من ط .

(٧) في ك (ويكون) بدلاً من (وتكون).

هذا المثال العلمي بحسب ما عندهم من الاعتقاد في الله ـ تعالى ـ، وكثير منهم يتمثل له الشيطان ويقول: أنا ربك فيخاطبه[1] ويظنه ربه، وإنما هو الشيطان.

ومنهم: من يرى عرشاً عليه نور، أو يرى ما يظنه الملائكة وهم شياطين، وذلك[2] شيطان.

وكثير من هؤلاء يظن أنه أفضل من الأنبياء، وأنه يدخل إلى الله بلا إذن، خلاف الأنبياء ويكون ذلك الإله الذي يعتقده هو الشيطان، والذين لا يتمثل لهم الشيطان يخاطب أحدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلمية ويقدر أنها تخاطبه، ويظن ذلك مخاطبة الحق له.

وهذا كالرجل يذكر بعض أصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه[3] أو يعتذر إليه، ويقدر خطاب تلك الصورة، ويقول قلت لك: كذا، وقلت لي: كذا.

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه[4]، وإنما هو المثال، كما قد يصور صورة الإنسان ويخاطبها[5] الإنسان ويقدر ذلك مخاطبة لصاحب الصورة.

والنصارى أدخل في هذا من غيرهم، فإنهم يخاطبون الصور الممثلة في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين، ويقولون: إنما

---

(١) في أ (ويخاطبه) بدلاً من (فيخاطبه).
(٢) في أ (وذاك) بدلاً من (وذلك).
(٣) في أ (يعاينه) بدلاً من (يعاتبه).
(٤) في أ (لا تكلمه ولا تسمع كلامه) بدلاً من (لا يكلمه ولا يسمع كلامه).
(٥) في أ (فيخاطبها) بدلاً من (ويخاطبها)؛ في ط (يخاطبها) بسقوط (و).

نقصد خطاب أصحاب تلك الصور[1] نستشفع[2] بهم.

وهذا مما حرمه الله على ألسن جميع النبيين ولم يشرع لأحد أن يدعو الملائكة ولا الأنبياء ولا[3] الصالحين الأموات، فكيف بالصور الممثلة لهم كما قد بسط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه[4] كثيراً ما يوجد في كلام الناس الأنبياء وغيرهم من ذكر ظهور الله ـ عز وجل ـ، والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والذكر.

ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول: إن الاسم هو المسمى، أن المراد[5] المقصود من الاسم هو المسمى، لا أن نفس اللفظ هو المسمى. فإن هذا لا يقوله عاقل، وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه للمسمى[6] وتسبيح له.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[7]. وقال:

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[8].

---

(١) في ط، س، ك (الصورة) بزيادة (ة).
(٢) في أ (ونستشفع) بزيادة (و).
(٣) (لا) ساقطة من ط، س، ك.
(٤) في ط (أن) بدلاً من (أنه).
(٥) في ط، ك (أي أن المراد) بزيادة (أي).
(٦) في أ، س (المسمى) بدلاً من (للمسمى)، وقد ذكر في ط الآية التي بعدها فقط.
(٧) سورة الأعلى: الآية ١.
(٨) سورة الواقعة: من الآية ٩٦.

وقـال:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[1].

وجاء في الحديث: «لا تقوم القيامة حتى لا يعبد الله[2] اسم»[3]، أي لا يعبد الله باسم من أسمائه، فإنه إذا قيل: دعوت الله وعبدته، فإنما في اللفظ الاسم، والمقصود هو المسمى.

وهذا الذي ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بأن المراد ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه، هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى، فإنهم يفسرون اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في الشمع والطين.

ومعلوم أن الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن[4] في الشمع والطين شيئاً من الخاتم، بل ظهر فيه نقش الخاتم.

وكذلك[5] يظهر نور الله وروحه في الأنبياء والصالحين، وهذا المعنى لا يختص به المسيح ـ عليه السلام ـ، بل يشترك هو[6] فيه وسائر الرسل، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب إيمانه.



(١) سورة الرحمن: من الآية ٧٨.

(٢) في س، ك (لله) بدلاً من (الله).

(٣) انظر: صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ٦٦ ـ حديث رقم ٢٣٤ ـ عن أنس بن مالك، مسند الإمام أحمد ٣/٨٧، عن أبي سعيد بلفظ: (لتضرب مضر عباد الله حتى لا يعبد الله اسم).

(٤) في أ (أنه) بدلاً من (أن).

(٥) في أ (فكذلك) بدلاً من (وكذلك).

(٦) (هو) ساقطة من ط .

فصل

قالوا: وقال «أشعيا» النبي: (ها هي العذراء تحبل وتلد[1] ابناً ويدعى اسمه عمانويل)[2].

و[3] عمانويل: كلمة عبرانية تفسيرها بالعربي «الهنا معنا» فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما[4].

(فيقال: ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت)[5]، وأنها ولدت خالق السماوات والأرض. بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السماوات والأرض، فإنه قال: تلد ابناً.

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء: إن فلانة ولدت ابناً، وهذا دليل على أنه ابن من البنين. ليس هو خالق السماوات

---

(١) (وتلد) ساقطة من س.

(٢) * في سفر أشعيا ـ الإصحاح السابع ـ العهد القديم (١٤) ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.

انظر: العهد القديم ص ١٠٠٠.

* وفي إنجيل متى ـ الإصحاح الأول ـ كما يلي: (٢٣) هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه ـ عمانوئيل. بلفظه مع زيادة في بعض الحروف.

انظر: العهد الجديد ص ٣.

(٣) في س (عمانويل) بسقوط الواو.

(٤) (كلاهما) ساقطة من أ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

والأرضين[1]. ثم قال: ويدعى اسمه «عمانويل» فدل بذلك على[2] أن هذا اسم يوضع له، ويسمى به كما يسمي الناس أبناءهم بأسماء الأعلام، أو الصفات التي يسمونهم بها.

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه.

ومنها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل[3]، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم، ويذكرون في ذلك قصة جرت.

ومنهم من يقول: بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين:

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم، فلما بعث المسيح ـ عليه السلام ـ بالحق كان الله مع من اتبع المسيح، والمسيح نفسه لم يبق معهم، بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[5].

---

(١) في أ (والأرض) بدلاً من (الأرضين).

(٢) (على) ساقطة من س، أ، ك.

(٣) من المعروف في بلاد الغرب تصوير لعبة رجل يرقص، يلعب بها الأطفال، يسمونها (بابا نويل) ويقصدون منها تحبيب الأطفال لهذا الاسم وتعودهم عليه.

(٤) سورة الصف: من الآية ١٤.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

وهذا أظهر. و[1] إما أن (يكون)[2] يسمى[3] المسيح إلهاً، كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون[4]، أي هو الآمر الناهي له المسلط عليه.

وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة، فقال: معناها الله معنا، فقال من رد عليهم من[5] علمائهم يقال لهم[6]: أهذا هو القائل أنا الرب لا إله غيري أنا[7] أميت وأنا أحيي، أم هو القائل لله: إنك أنت الإله الحق وحدك و [8] الذي أرسلت يسوع المسيح؟ وإذا كان الأول باطلاً، والثاني هو الذي شهد به الإنجيل وجب تصديق الإنجيل وتكذيب من كتب في الإنجيل أن «عمانويل» (وتأويله «الله معنا» بل تأويل عمانويل)[9] «معنا إله» وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى.

وهذا موجود في عصرنا هذا، في أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل يعني[10] «شريف القدر» وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل[11].

---

(١) في أ (فأما) وهو تصحيف.

(٢) (يكون) موجودة في سائر النسخ، ولكن وجودها جعل العبارة ركيكة، فلو حذفت استقام المعنى أكثر.

(٣) في أ (مسمى) بدلاً من (يسمى).

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٥) (من) ساقطة من ط.

(٦) (لهم) ساقطة من أ.

(٧) في ط (وأنا) بزيادة الواو.

(٨) في ط (الذي) بسقوط الواو.

(٩) ما بين القوسين ساقط من س.

(١٠) في ط (معنى) بدلاً من (يعني).

(١١) يبدو أنه هنا انتهى ردّ علماء النصارى.

قلت: ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل في الدعاء: الله معك، فإذا (سمى الرجل بقول: «الله معك» كان هذا تبركاً)[1] بمعنى هذا الاسم، وإذا قيل إن المسيح سمى (الله معنا) أو (إلٰهنا معنا)[2] ونحو ذلك، كان ذلك[3] دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه.



(١) ما بين القوسين كتب:
في أ هكذا (سمى الرجل يقول: «الله معك» كان هذا شريكاً).
وفي س هكذا (سمى للرجل فقوله: «الله معك» كان هذا تبركاً).
وفي ك مثل المثبت، إلاَّ كلمة (الرجل) جاءت بلام (للرجل).

(٢) (إلٰهنا معنا) ساقطة من أ.

(٣) (ذلك) ساقطة من أ.

فصل

في كلام أشعيا بشارة بالنبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

قالوا[1]: وقال أشعيا أيضاً: (إن غلاماً ولد لنا، وابنا أعطيناه الذي رياسته (على عاتقيه وبين منكبيه)[2] ويدعى اسمه ملكاً، عظيم المشية مسيراً (عجيباً، إلٰهاً)[3] قوياً مسلطاً رئيس السلامة (في)[4] كل الدهور، وسلطانه كامل ليس له فناء)[5].

فيقال: ليس في هذه البشارة دلالة بينة أن المراد به المسيح ـ عليه السلام ـ ، ولو كان المراد به المسيح لم يدل على مطلوبهم، بل قد يقال المراد بها محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فإنه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين:

من جهة خاتم النبوة على بعض كتفيه، وهو علامة[6] من أعلام النبوة الذي أخبرت به الأنبياء وعلامة ختمهم.

---

(١) في ط (وقالوا) بزيادة واو.

(٢) ما بين القوسين كتب في أ (على عاتقه منكبيه). وفي س (على منكبيه).

(٣) ما بين القوسين كتب في أ (ملاك عجيباً لأمر).

(٤) في أ (أبو) بدلاً من (في).

(٥) في العهد القديم ـ سفر أشعيا ـ الإصحاح التاسع: (٦) لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، (٧) لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد.

انظر: الكتاب المقدس ـ العهد القديم ص ١٠٠٢.

(٦) (علامة) ساقطة من س، أ، ك.

ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه، إذا ضرب به على عاتقه، ويدل على ذلك قوله: (مسلط[1] رئيس قوى السلامة[2]).

(وهذه صفة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة)[3] فإن دينه الإسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن استيلاء عدوه عليه.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يسلط على أعدائه، كما سلط محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، بل كان أعداؤه بحيث يقدرون على صلبه، وعند النصارى قد صلبوه، وعند المسلمين ألقى الله شبهه على غيره، فصلب ذاك المشبه، فبهذه الطريق دفع الله الصلب عنه لا بقهر أعدائه، وإهلاكهم وذلهم له، كما نصر الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أعدائه.

وقال: (في[4] كل الدهور سلطانه كامل ليس له فناء) وهذا صفة خاتم[5] الرسل الذي لا يأتي بعده نبي ينسخ شرعه. وسلطانه بالحجة واليد، كامل لا يحتاج فيه إلى الاستعانة بشرع آخر، وشرعه ثابت باق إلى آخر الدهر.



(١) (مسلط) ساقطة من أ.
(٢) (السلامة) ساقطة من أ.
(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٤) في أ، س (أبو) بدلاً من (في).
وفي ك (أن) بدلاً من (في).
(٥) في ط (ختم) بدلاً من (خاتم).

فصل

قالوا: وقال «أشعيا»: (أيضاً يخرج عصاه من بيت يسّي[١] ينبت نور[٢] منها، ويحل فيه روح القدس روح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل[٣] والقوة، روح العلم وخوف الله.

وفي تلك الأيام يكون أصل يسّي[٤] آية للأمم، وبه يؤمنون وعليه يتوكلون، ويكون لهم التاج[٥] والكرامة إلى دهر الداهرين)[٦].

---

(١) في أ، س، ك، (سي).
وفي ط (يسبى). لكن صحتها من نص التوراة «أدناه».

(٢) في ط (أور) بدلاً من (نور).

(٣) في أ (الجبل) بدلاً من (الحيل).

(٤) في أ (يسي) بدلاً من (يسّي).
وفي س (يسي) بدلاً من (يسّي) بدون تشديد. وفي ك (يسى) بدون نقط.
وقد سبق تصحيحها من التوراة حسب الهامش الأخير من هذه الصفحة.

(٥) في ط (النتاج) بدلاً من (التاج).
وفي س (الناج).
وفي أ، ك (النتاح) بدون نقط.
لكن ترجح عندي أنها (التاج) رمزاً للملك والقوة كما يقابلها في نص التوراة «راية الشعوب».

(٦) بالرجوع إلى العهد القديم وجدت في سفر أشعيا الإصحاح الحادي عشر - الآتي (١) ويخرج قضيب من جزع يسّى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب... إلى أن قال في نفس الإصحاح (١٠) ويكون في ذلك اليوم أن أصل (يسّى) القائم رايه للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً.
انظر: العهد القديم ص ١٠٠٥، ١٠٠٦.

والجواب: إن هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي، وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم، فإنه لا يدل على أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، بل يدل عل مثل ما دل عليه القرآن من أن المسيح ــ عليه السلام ــ أيد بروح القدس، فإنه قال: (ويحل فيه روح القدس، وروح الله، وروح الحكمة والفهم، وروح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله)، ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلاً عن أن يقول حلّ فيه الله أو اتحد به، ولكن جعل روح القدس هي روح الله، وهي[1] روح الحكمة والفهم والعلم، وهي روح الحيل والقوة.

كما أن[2] عندهم في التوراة (أن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة روح الفهم، روح[3] العلم)[4].

وبالرجوع إلى العهد القديم ــ أيضاً ــ وجدت في ــ سفر أشعيا ــ الإصحاح الرابع من العهد القديم ــ الآتي (٤) إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق (٥) يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً ودخاناً ولمعان نار ملتهبة ليلاً لأن على كل مجد غطاء (٦) وتكون مظلة للفيء نهاراً من الحر لملجأ من السيل والمطر.

انظر: العهد القديم ٩٩٦.

(١) (وهي) ساقطة من ك.

(٢) (أن) ساقطة من س، أ، ك.

(٣) في ط (وروح) بزيادة واو.

(٤) وجدت في سفر أشعيا ــ الإصحاح الحادي عشر الآتي:
(٢ ــ ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب).
انظر: العهد القديم ص ١٠٠٥.

فهي ما يحصل به الهدى والنصر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

فقال: هي روح الله، وهذا كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[3].

(وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾[4].

فما أنزله يسمى هدي الله، وروح الله، ووحي الله، ونور الله، ونحو ذلك)[5].

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر أنبياءه من ذرية إبراهيم فقال:

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى

---

(١) سورة صٓ: الآية ٤٥.

(٢) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٤) سورة النحل: من الآية ٢.
في أ (تنزل) بدلاً من (ينزل) وهو خطأ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من س.

بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(٢).

وسماه نور الله كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

فهذا هدي الله، ونور الله هو روح الله كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ ﴾(٥).



(١) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٨٨.
في س (وكل من الصالحين) بزيادة واو. وهو خطأ.

(٢) سورة طه: من الآية ١٢٣.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

(٤) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٥) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

فصل

قالوا: وقال أشعيا أيضاً: «من أعجب[1] الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر»[2].

فيقال: مثل هذا الكلام لا بد أن يكون قبله كلام وبعده كلام، وهو منقول من لغة إلى لغة، ونحن نعلم قطعاً أنه لم يرد أن رب العالمين يولد من البشر، ولو أراد ذلك لم يقل رب الملائكة فقط، فإن الله رب كل شيء لكن قد يريد[3] أنه يولد من البشر من سيكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم.

والنصارى يسلمون أن اللاهوت ما هو متولد من البشر، وإنما المتولد من البشر هو الناسوت، وليس هو رب العالمين بالاتفاق، فعلم أنه لا حجة لهم في ظاهر اللفظ إن قدر سلامته من التغيير.

ونظير هذا ما عندهم في إنجيل متى: (أن ابن الإنسان يرسل ملائكته، ويجمعون كل الملوك رُبـاً على الأمم فيلقونهم في أتون النار)[4] قال بعض علماء أهل الكتاب: لم يرد بذلك أن المسيح هو رب

(١) في س (العجائب) بدلاً من (أعجب).

(٢) لم نعثر على هذا النص في العهد القديم الحالي وربما يكون في نسخ أخرى قديمة.

(٣) في أ (يراد به) بدلاً من (يريد).

(٤) في إنجيل متى ــ الإصحاح الثالث عشر (يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من كل ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم * ويطرحونهم في أتون النار).
انظر: العهد الجديد ص ٢٥.

الأرباب، ولا أنه خالق الملائكة، بل رب الملائكة، أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل: (إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك)[1].

ثم شهادة «لوقا»[2] أن الله أرسل له ملكاً من السماء ليقويه، قال: «وإذا شهد الإنجيل باتفاق الأنبياء والرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه، علم أن الملائكة تطيع للمسيح بالأمر، وهو والملائكة في خدمة رب العالمين».

وقال المسيح لتلاميذه: «من قبلكم فقد قبلني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني»[3].

وقال المسيح: «من أنكرني قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله»[4].

---

(١) في سفر المزامير ـ المزمور الحادي والتسعون (لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك).
انظر: العهد القديم ص ٨٩٨.

(٢) شهادة لوقا: في إنجيل لوقا ـ الإصحاح السابع: (٢٧ ـ هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك).
انظر: العهد الجديد ص ١٠٤.

(٣) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثالث عشر: (الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني) وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٧٤.

(٤) * في إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر (ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره قدام أبي الذي في السماوات). وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١١٠.
* وفي إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثاني عشر (ومن أنكرني قدام الناس ينكرني قدام الملائكة الله). بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ١١٧.

وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة: «أغمد سيفك، ولا تظن أن لا أستطيع أن أدعو الله الأب فيقدم لي أكثر من اثني عشر جوقاً من الملائكة»[1].



(١) في إنجيل متى ـ الإصحاح السادس والعشرون: (فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون * أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

فصل

قالوا: ومثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الأنبياء والرسل شيء[1] كثير عند النصارى جميعهم، المختلفة ألسنتهم المفرقين في سبعة أقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية، قول واحد ونص واحد، على ما تسلموه من الحواريين حين أنذروهم وردوهم عن عبادة الأصنام إلى معرفة الله تعالى، سلموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن القول في سائر ما يذكرونه من النصوص كما تقدم وقد تكلم على هذا من تكلم عليه من علماء النصارى الذين هداهم الله، وبينوا ما وقع في ذلك من تحريفهم لمعاني الكتب التي عندهم، وذكروا مما عندهم من النصوص الصريحة بأن المسيح عبد الله ليس هو الله، ما يتبين به بطلان قولهم، وأنهم ممن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه، ولهذا أنزل الله فيهم:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

---

(١) في س، أ، ك (شيئاً) بدلاً من (شيء).

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٧.

وهذا كقول المسيح ـ عليه السلام ـ لما سئل عن علم الساعة فقال: (لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاَّ الآب فقط)[1] فنفى عن نفسه علم الساعة، وهذا يدل على شيئين: على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفى عنه علم الساعة، ويدل[2] على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد، فإنه لو كان الاتحاد حقاً كما يزعمون[3] لكان الابن يعلم ما يعلمه الله[4] ويقدر على ما يقدر عليه، فإنه هو الله عندهم والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالماً قادراً يحيي ويميت.

وقال المسيح لتلاميذه: (آمنوا بالله وآمنوا بي)[5]، وقال أيضاً: (من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط، بل وبالذي أرسلني)[6]، وهم يذكرون أن المسيح ـ عليه السلام ـ استصرخ الله[7] قائلاً: (إلَهي إلَهي

---

(١) في العهد الجديد ـ إنجيل متى ـ الإصحاح الرابع والعشرون: (٣٦ ـ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات ولا أبي وحده) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ٤٥؛ وإنجيل مرقس العهد الجديد ـ الإصحاح الثالث عشر ص ٨٢.

(٢) (ويدل) ساقطة من س، ك.

(٣) في أ (يزعمونه) بدلاً من (يزعمون).

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ.

(٥) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر: (الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٢.

(٦) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر: (الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني).
انظر: الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص ١٧٢.

(٧) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ.

انظر لماذا تركتني[١] وتباعدت عن خلاصي)[٢].

الوجه الثاني: أن[٣] قولهم إن هذه الكتب التي بأيديهم من التوراة والإنجيل، وسائر النبوات تسلموها[٤] من الحواريين كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها، قول لم يقيموا على صحته دليلاً، بل ادعوا ذلك دعوى مجردة.

ومثل هذا النقل إن لم يثبت بالتواتر لم يحتج به في المسائل العلمية، لا سيما إذ قيل في **الوجه الثالث**: إن هذا كذب ظاهر، فإن كثيراً من الألسنة ليس عند أهله إنجيل قديم، ومن ذلك لسان العرب، فإن العرب النصارى كثيرون قبل الإسلام، ولا تعرف[٥] توراة ولا[٦] إنجيل ولا[٧] نبوات عربية، إلَّا ما عرب من النسخ العبرية والرومية والسريانية، ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي بالعربية[٨] التي في زمن الحواريين أين[٩] هي، ومن رآها؟ ولو قدر أنها كانت بالعربية،

---

(١) في س (تركي) بدلاً من (تركتني).
(٢) في إنجيل متى ـ الإصحاح السابع والعشرون: (إيلي إيلي لما شبقتني).
ومعناه إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني.
انظر: العهد الجديد ص ٥٣.
وكذلك في إنجيل مرقس بنفس النص ـ الإصحاح الخامس عشر ص ٨٧.
(٣) (أن) ساقطة من ط، س، ك.
(٤) في أ (فيستلمونها) بدلاً من (تسلموها).
(٥) في أ (يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٦) (لا) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) (لا) ساقطة من س، أ، ك.
(٨) في أ (بالعبرية) بدلاً من (بالعربية).
(٩) في س، ك (كيف) بدلاً من (أين).

فهذه النسخ اليوم العربية الموجودة بأيـدي الناس هي ممـا[1] عرب ممـا بأيديهم، وحينئذٍ فلا تعـرف[2] صحتها إن لم تعـرف[3] صحة التـرجمة، ويثبت نقل تلك عن المسيح ـ عليه السلام ـ ، وهكـذا القول في سـائر الألسن.

الوجه الـرابع: أن التـوراة والنبوات التي[4] نقلت من نسـخ اليهود والأناجيل هي أربعة كتبت بعد المسيح ـ عليه السلام ـ ، اثنان[5] ممن كتبهـا لم يريـا المسيح، وهمـا لوقـا[6]، ومرقس[7]، واثنـان رأيـاه وهمـا يوحنا[8]، ومتى[9].

والنسـخ إنمـا كثـرت عن الأربعـة، ومـا ينقله الأربعـة لا يجب أن يكـون متواتـراً معلوماً، وإذا كثـرت الألسن بها فمن بعـد الأربعـة، لا أن الـذين سمعوهـا من المسيـح ـ عليـه السـلام ـ تكلمـوا بـاثنين وسبعين لسـاناً، فإن هذا لم يقله أحـد، ولا يقولـه عاقـل، إذ الحواريون[10] كانـوا اثني[11] عشر لم يكـونـوا اثنين وسبعين، فـإذا قيـل: إنـه نقلهـا اثنان[12]

---

(١) في أ (ما) بدلاً من (مما).
(٢) في أ (يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٣) في أ(يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٤) (التي) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) في ط، س، ك (واثنان) بزيادة واو.
(٦) سبقت ترجمته.
(٧) سبقت ترجمته.
(٨) سبقت ترجمته ٣/ ٢١.
(٩) سبقت ترجمته.
(١٠) في س، أ، ك (الحواريين) بدلاً من (الحواريون).
(١١) في أ (اثنا) بدلاً من (اثني).
(١٢) في أ، س، د (اثنين) بدلاً من (اثنان).

وسبعـون[1] فهم نقلوها عمن نقلهـا إليهم من الحـواريين، وهم إنمـا يسندون نقلها إلى أربعة.

الوجه الخامس: أن الحواريين ليسـوا معصومين، بـل يجوز على أحدهم الغلط في بعض ما ينقله، وما ينقل من خـوارقهم للعادات، فمن الناس من يكذبه، ومنهم من يصدقه ولا دلالة فيه على عصمتهم، إلَّا أن يثبت أنهم ادعوا النبوة، وأقاموا المعجزات الدالـة على نبوتهم، ولم يكن الأمر كذلك، وإلَّا فالصـالحون إذا كـانت لهم كرامـات لم تدل كراماتهم على أنهم معصـومـون كـالأنبيـاء، بـل يجـوز عليهم الغلط مـع ثبـوت كراماتهم.

والحواريون عنـدهم ليسوا بـأنبياء وإن سمـوهم رسلاً، فهم رسـل المسيح لا رسل الله ــ تبارك وتعالى ــ .

الوجه السادس: أن في هذه الكتب التي بأيديهم ما يناقض قـولهم من الأقوال الصريحة الكثيرة ما[2] هو أكثـر وأصرح ممـا احتجوا بـه على قولهم.

والواجب حينئذٍ التمسك بالصريح المحكم، ورد المتشابه إليه[3]، ولا يجوز التمسك بالمتشابه، ورد المحكم إليه.

الوجه السابع: أنه بتقديـر أن يكون في الأرض هـذه الكتب باثنين وسبعين لساناً سواء كانت كلهـا[4] منقولـة عن الحواريين نقـلاً صحيحاً،

---

(١) في س، أ (سبعين) بدلاً من (سبعون).

(٢) في أ (مما) بدلاً من (ما).

(٣) (إليه) ساقطة من ط.

(٤) (كلها) ساقطة من ط، س، ك.

أو كان نقل أكثرها أو أكثر منها ـ مترجمة[1] من لغة إلى لغة.

فمعلوم[2] أنه بكل لسان عدة نسخ، ولو لم يكن بها إلّا لسان واحد مع كثـرة النسخ بها في مشارق الأرض ومغاربها، لم يمكن أحداً أن يقـطع بـأن جميع النسـخ على لفظ واحـد ونص واحـد، كمـا ادعـاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لساناً، حيث قالوا:

(ومثل[3] هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الأنبياء والرسـل كثيـر[4] عنـد النصـارى جميعهم، المختلفـة ألسنتهم، المتفـرقين في سبعـة[5] أقاليم العـالم، المتمسكين بدين النصـرانية، قـول واحد ونص واحـد[6] على مـا تسلمـوه من الحـواريين، وردوهم عن عبـادة الأصنـام فسلموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا).

فإن هذا الكـلام يتضمن عدة دعـاوى ليس فيها مـا يمكن قائله أن يكون عالماً به، فعلم أن هؤلاء تكلموا بهذا الكلام بلا علم، بـل بالجهـل والضلال[7]، كما هو عادتهم، فإنه يقال لهم: من الذي جمع كل نسخة في العالم من جميع[8] التوراة والإنجيل والـزبور وسـائر النبـوات الأربعة والعشـرين بلسـان واحـد كـالعـربـي مثـلاً، وهـل ميـز[9] جميـع النسـخ

---

(١) في أ (مترجماً) بدلاً من (ترجمة).
(٢) في أ (ومعلوم) بدلاً من (فمعلوم).
(٣) في ط، س (مثل) بسقوط (و).
(٤) (كثير) ساقطة من أ.
(٥) في أ (سبع) بدلاً من (سبعة).
(٦) (واحد) ساقطة من ط.
(٧) في أ (الضلال) بسقوط (و).
(٨) في أ (لجميع)، وفي س، ك (بجميع).
(٩) في أ (وبين) بدلاً من (وهل ميز).

فلم يجد نسخة تزيد على نسخة ولا تنقص عنها؟

ومعلوم إن كان هذا[1] ممكناً أمكن أن يقال: جمعها[2] جامع وغير بعض ألفاظها، فلا يمكنهم دعوى بقائها بلا تغيير[3]، وإن لم يمكن ذلك لم يمكن أحد أن يقول: أنا أعلم موافقة كل نسخة من نسخ هذه الكتب لكل[4] نسخة توجد في سبعة أقاليم العالم بذلك اللسان، فضلاً عن اثنين وسبعين لساناً، فضلاً[5] عن أن يقال: أنا أعلم أن هذه الألسن كلها تكلمت بها الحواريون، وهي باقية على لفظهم إلى اليوم.

ومعلوم أن الإنسان إذا أمكنه جمع نسخ كتاب واحد من جميع الفنون من[6] كتب الطب والحساب والهندسة والنحو والفقه والحديث، كان إمكان تغيير بعض ألفاظ تلك[7] النسخ[8] أيسر عليهم من مقابلة ألفاظ كل نسخة بألفاظ تلك النسخ مثلها.

فإن هذا لا يقدر عليه في العادة، بل هو[9] متعذر أو متعسر، ولا سيما[10] والمقابلة[11] إن كانت بين اثنين فكل منهما ينقل للآخر لفظ

(١) في أ (إن هذان كان) بدلاً من (إن كان هذا).
(٢) في أ (جميعها) بدلاً من (جمعها).
(٣) في ط، س، ك (تغير) بدلاً من (تغيير).
(٤) في أ (فكل) بدلاً من (لكل).
(٥) في أ (وفضلاً) بزيادة واو.
(٦) في أ (مثل) بدلاً من (من).
(٧) (تلك) ساقطة من س، أ، ك.
(٨) في أ (النسخ جميعها) بزيادة (جميعها).
(٩) في أ(وهو) بدلاً من (بل هو).
(١٠) في س، أ، ك (لا سيما) بسقوط الواو.
(١١) في ط (المقابلة) بسقوط الواو.

نسخته فيكون مدار المقابلة على خبر واحد، لم يقترن بخبره[1] ما يعلم به صدقه، فقد يغلطان أو يكذبان جميعاً.

وإن كانت بين عدد يحصل بهم العلم احتاجت كل نسخة بكل لسان إلى[2] أن يشهد بلفظها جمع يحصل بهم العلم، وأولئك بأعيانهم يشهدون بلفظ كل نسخة بكل لسان، ويشهدون[3] بلفظ كل نسخة، ويشهد لهم من هو[4] مثلهم بلفظ النسخة الأخرى (وموافقتها لها، وهؤلاء أو مثلهم بموافقة النسخة الثانية)[5].

ومعلوم أن هذا لم يفعله أحد ولا يقدر عليه أحد، بل لو اجتمع جميع ملوك النصارى على ذلك (وعلماء بلادهم على ذلك)[6] لم يقدروا عليه، فإن[7] من النسخ ما هو عند المسلمين، ومنها ما هو في بلاد لا حكم لهم عليها، وأيضاً فقد يكون في بلادهم من النسخ ما لم يظهرها أصحابها.

فكل من شهد من النصارى وغيرهم بأن كل نسخة في العالم بهذه الكتب توافق جميع النسخ فهو شاهد زور شهد بما لا يعلم، بل شهد بما يعلم أنه كاذب فيه.

---

(١) في س (فخبره) بدلاً من (يخبره).
(٢) (إلى) ساقطة من س، ك.
(٣) في ط، س، ك (وشهدوا) بدلاً من (ويشهدون).
(٤) في أ (ويشهدون هم أو) بدلاً من (ويشهد لهم من هو)، وفي س، ك (ويشهدون لهم من هو) بدلاً من (ويشهد لهم من هو).
(٥) ما بين القوسين ساقط من س، ك.
(٦) ما بين القوسين ساقط من س، ك.
(٧) في س، أ، ك (فإنه) بدلاً من (فإن).

وكذلك لو شهد بمثل هذا[1] لنسخ أي كتاب كان، فإن العادة المعروفة أن نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضها. والقرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف، بل الاعتماد على حفظ أهل التواتر له في صدورهم.

ولهذا إذا وجد مصحف يخالف حفظ الناس أصلحوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط، فلا يلتفت إليه مع أن المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيد الناس صورة الخط ورسمه، وصار ذلك أيضاً منقولاً بالتواتر فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظاً، ونقلوا رسم المصاحف أيضاً بالتواتر[2].

ونحن لا ندعي اتفاق جميع نسخ المصاحف كما لا ندعي أن كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظاً ورسماً فمن[3] خرج عن ذلك علم الناس أنه غلط لمخالفته[4] النقل المتواتر، بخلاف هذه الكتب، فإن النصارى لم يحفظوها كلها[5] في قلوبهم تلقياً لها عن الحوارين حفظاً منقولاً بالتواتر، بل لم يكن أحد منهم يحفظها[6] كلها، فضلاً عن أن يحفظها كلها أهل التواتر، فضلاً عن أن يحفظ كل لسان منها من تواتر بهم ذلك اللسان.

(١) في أ (هذه).

(٢) في أ (بالتواتر أيضاً) بتقديم (التواتر) على (أيضاً).
وفي س، ك (أيضاً بالتواتر أيضاً) بزيادة (أيضاً) بعد (بالتواتر).

(٣) في أ (حفظها ورسمها فمن) بدلاً من (حفظاً ورسماً فمن).
وفي س، ك (من) بدلاً من (فمن).

(٤) في أ (لمخالفة) بدلاً من (لمخالفته).

(٥) (كلها) ساقطة من أ.

(٦) في أ (حفظها) بدلاً من (يحفظها).

وهذا أمر معلوم لجميع النصارى وغيرهم أنه لم يحفظها كلها بكل لسان من زمن الحواريين عدد التواتر، بل ولا في زمن من الأزمان، بل بعد انتشار النصارى وكثرتهم وتفرقهم في الأقاليم السبعة لا يكاد يوجد فيهم من يحفظها كلها عن قلبه، كما يحفظ صبيان مكاتب[1] المسلمين القرآن، فكيف يحفظها في كل زمان أهل التواتر؟ فكيف يحفظ كل لسان من الاثنين وسبعين أهل التواتر؟

وإذا[2] كان اعتمادهم إنما هو على الكتب، وهم لا يمكنهم معرفة اتفاق جميع النسخ بلسان واحد فضلاً عن جميع الألسنة، علم أن دعواهم أنها لم تزل متفقة على نص واحد ولفظ واحد، وأن جميع نسخها متفقة في هذا الزمان، وفيما قبله، كلام مجازف يتكلم بلا علم. بل يتكلم بما يعلم أنه باطل.

الوجه الثامن[3]: أن هذا لو قدر إمكانه، فإنما يكون منقولاً لو لم يعلم أنه كذب فكيف مع العلم بأنه كذب؟ فإنه يوجد في هذا الزمان نسخ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات مختلفة متناقضة.

والنسخ التي عند النصارى مختلفة، وهي أيضاً تخالف نسخ اليهود والسامرة في مواضع، وحينئذ فإذا قالت النصارى: نسخنا هي الصحيحة لم يكن هذا أولى من قول اليهود: نسخنا هي الصحيحة.

بل معلوم أن اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارى، (ثم بعد هذا ماذكروه لا يكفي إن لم يعلم أن نسخهم توافق النسخ التي عند اليهود حتى السامرة، وهذا غير معلوم.

وإن قالوا: إذا خالف نقل اليهود لنقل الحواريين لم يلتفت إليه

---

(١) (مكاتب) ساقطة من أ. وفي ك، س (المكاتب) بزيادة (ال).

(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).

(٣) في أ (السابع) بدلاً من (الثامن).

لأنهم معصومون كل هذا مبيناً على دعوى عصمتهم، وقد عرف فساده)[1]، وإذا[2] قالت النصارى: نحن ننقلها عن الحواريين المعصومين، قالت اليهود: نحن ننقلها عن موسى المعصوم باتفاق أهل الملل، أو عن العارف[3] المعصوم باتفاق اليهود والنصارى، وكثير من المسلمين. فالتوراة باتفاق الخلق مأخوذة عن موسى بن عمران وهو معصوم، وإنما يطعن من يطعن في نقل بعضها، لانقطاع التواتر في أثناء المدة لما خرب بيت المقدس[4]، ولم يبق فيه ساكن[5] أكثر من[6] سبعين سنة، فيقول بعض الناس: إن بعض ألفاظها غيّر حينئذ، ويقول بعضهم: لم تغير[7] ألفاظ جميع النسخ، وإنما غير ألفاظ بعض النسخ، وانتشرت النسخ المغيرة عند كثير من الناس حتى لا يعرفوا[8] غيرها.

ثم بنوا إسرائيل لم يزل فيهم نبي بعد نبي حتى جاء المسيح، وبعد المسيح فلم يزالوا[9] خلقاً كثيراً لا يمكن[10] تواطؤهم ـ في مشارق الأرض ومغاربها ـ على تغيير نسخ التوراة، بخلاف الإنجيل فإنه إنما نقلة أربعة، ومن كتب التوراة والزبور والنبوات من أتباع المسيح، فإنما كتبوها من النسخ التي كانت بأيدي اليهود.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من س، ك.
(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٣) (العارف) ساقطة من س، أ.
(٤) في ط، س، ك (البيت القدس) بدلاً من (بيت المقدس).
(٥) (ولم يبق فيه ساكن) ساقط من أ.
(٦) (أكثر من) ساقط من أ.
(٧) في أ، ك (يغيّر) بدلاً من (تغير).
(٨) في ط (يعرفون) بدلاً من (يعرفوا).
(٩) في ط (لم يزاولوا) بدلاً من (فلم يزالوا).
(١٠) في س، أ (لكن) بدلاً من (لا يمكن).

وإذا[1] قالوا: كانوا معصومين، فهذا ممنوع عند المسلمين واليهود، وعلى تقدير[2] تسليمه فاليهود ينقلونها[3] أيضاً عن المعصوم قبل هؤلاء، فلا يمكن مع هذا[4] أن يدعى مدع[5] أن النبوات التي عند النصارى تواترت[6] عن المعصوم أعظم من تواتر ما عند اليهود، بل لا يشك العقلاء العادلون أن نقل حروف التوراة أصح من نقل حروف الإنجيل.

وهذا أمر يعرف من وجوه متعددة[7]، فإن[8] التوراة أخذت عن المعصوم باتفاق أهل الملل، وكانت منقولة قبل المسيح بين الأنبياء وبين[9] بني إسرائيل أعظم من نقل الإنجيل، وبعد المسيح نقلها اليهود والنصارى.

وإذا كان كذلك، فإذا وجد ما عند اليهود والسامرة من نسخ النبوات يخالف ما عند النصارى في بعض الألفاظ كان هذا دليلاً على أن هذه الكتب ليست ألفاظها منقولة عن نص واحد، وأنه ليس كل لفظ[10] من ألفاظها متواتراً[11]، والله أعلم.

---

(١) في أ (فإن) بدلاً من (وإذا).
(٢) في أ (وبتقدير) بدلاً من (على تقديرة).
(٣) في أ (نقلوها) بدلاً من (ينقلونها).
(٤) (هذا) ساقطة من أ.
(٥) في س، ك (مدعي) بدلاً من (مدع).
(٦) (تواترت) ساقطة من أ.
(٧) في أ (متعدد) بدلاً من (متعددة).
(٨) في أ (بأن) بدلاً من (فإن).
(٩) (وبين) ساقطة من أ.
(١٠) في س (لفظة) بدلاً من (لفظ).
(١١) في س، أ، ك (متواتر) بدلاً من (متواتراً).

الوجه التاسع[1]: أن جميع ما عندهم من النصوص الصحيحة لا يدل على مذهبهم ألبتة نصاً، بل غاية[2] ما يدعون فيها الظهور، * وهم منازعون[3] في ذلك حتى يقال: بل الظاهر فيما يحتجون به خلاف قولهم.

ومعلوم أن أصول الإيمان التي يؤمن أهل الإيمان بها، ويكفرون من خالفها لا بد أن تكون معلومة عندهم عن الأنبياء، والعلم لا يحصل بلفظ[4] محتمل، فعلم أنه لا علم عندهم عن الأنبياء عليهم (السلام، وهو)[5] محل النزاع.

الوجه العاشر[6]: أن أصرح ما عندهم من التثليث، هو قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)، وعلى هذا القول بنوا قولهم بالتثليث، وأثبتوا لله ثلاثة أقانيم.

ولفظ الأقانيم لم ينطق به[7] أحد من الأنبياء، ولا أحد من الحواريين باتفاقهم، بل هو مما ابتدعوه. قيل[8]: إنه لفظ رومي معناه: الأصل، ثم أقنوم الابن تارة، يقولون: «هو علم الله» وتارة يقولون: «هو حكمة الله» وتارة يقولون: «هو كلمة الله» وتارة يقولون: «هو نطق الله»،

---

(١) في أ (الوجه السابع)، وفي س (الوجه الثامن) وذكر حوالي سطر ونصف إلى قوله (يدعون فيها)، ثم ذكر صحة الكلام (الوجه التاسع) وما بعدها.

(٢) في ك (نهاية) بدلاً من (غاية).

(٣) في أ (ينازعون) بدلاً من (منازعون).

(٤) في ط (بلفظ علم) بزيادة (علم).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س.

(٦) في أ (الثامن) بدلاً من (العاشر).

(٧) في أ (بها) بدلاً من (به).

(٨) في أ (وقيل) بزيادة واو.

وروح القدس[1] تارة[2] يقولون: «هو حياة الله» وتارة يقولون: «هو قدرة الله».

والكتب المنقولة عن الأنبياء عندهم ليس فيها تسمية شيء من صفات الله لا باسم ابن ولا باسم روح القدس، فلا[3] يوجد أن أحداً من الأنبياء سمى[4] علم الله وحكمته وكلامه ابناً، ولا سمى حياة الله أو قدرته روح القدس، بل روح القدس في كلام الأنبياء يراد بها معنى ليس هو حياة الله، كما يراد بها ملك الله أو ما ينزله في قلوب الأنبياء والصالحين من هداه ونوره وتأييده، ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك، علم أن ما فسروا به قول المسيح عليه السلام: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)، كذب صريح عليه[5]، وكذلك ما فسروا به كلام الأنبياء من إثبات الأقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم، كقولهم: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرادوا[6] به[7] إثبات ثلاثة آلهة، فإن هذا مما يعلم بالضرورة ضلالهم فيه وافتراءهم على الأنبياء، ويعلم[8] أن إله الثلاثة هو إله واحد ليس إله إبراهيم إلهاً[9] آخر غير إله إسحاق حتى لو قيل بالأقانيم، فلا يقول عاقل: إن أحد الأقانيم إله هذا، والأقنوم الآخر إله الآخر، فإن هذا

---

(١) في ط (هو نطق الله وروح القدس) جميعها داخل قوس واحد.

(٢) في ط (وتارة) بزيادة واو.

(٣) في أ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٤) في ط، س (يسمى) بدلاً من (سمى).

(٥) في ط (عليهم) بدلاً من (عليه).

(٦) في أ (أراد) بدلاً من (أرادوا).

(٧) في س (أنه) بدلاً من (به).

(٨) في أ (واعلم) بدلاً من (ويعلم).

(٩) في ط، أ (إله) بدلاً من (إلهاً).

لم يقله أحد من العقلاء، لا النصارى ولا غيرهم *[1]، لا[2] يقولون: إن الأب إلـه إبراهيم مثلاً، والابن إلـه إسحاق، وروح القدس إلـه يعقوب، بل هم متفقون مع قولهم بالتثليث أن الجميع إله واحد لجميع المرسلين[3]، ليس إله هذا أقنوماً[4] وإله الآخر أقنوماً[5] آخر، فعلم أن ما يفسرون به كلام الأنبياء كذب، لا يصح لا على تثليثهم الذي ابتدعوه، ولا قول أهل التوحيد المتبعين[6] لرسل الله ـ تعالى ـ .



(١) ما بين هذه النجمة والنجمة التي في الصفحة قبل السابقة ساقط من س.

(٢) (لا) ساقطة من ط، س.

(٣) في أ (الرسل) بدلاً من (المرسلين).

(٤) في س، أ، ك (أقنوم) بدلاً من (أقنوماً).

(٥) في س، أ (أقنوم) بدلاً من (أقنوماً).

(٦) (المتبعين) ساقطة من س، ك، ط.

فصل

رأي النَّصارى في عدم إيمان اليهود بالمسيح بالرغم مما ذُكر عندهم من النبوّات عن ظهوره، وبيان أنَّ النَّصارى شابهوهم في موقفهم من محمَّد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إذا كانت هذه النبوات عند اليهود، وهم مقرون معترفون بها أنها حق وأنها عتيدة[1] أن تكمل عند مجيء المسيح، فأي حجة لهم يحتجون بها عن الإيمان به؟

أجابوا قائلين: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم على الناس له شعباً في ذلك الزمان، وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل إليهم موسى النبي دلهم على معرفة الله، ووعدهم أن الله يخلصهم من عبودية فرعون، ويخرجهم من مصر ويريهم أرض الميعاد التي هي أرض بيت المقدس، فطلب موسى من الله وعمل العجائب قدام عيونهم.

وضرب أهل مصر العشر ضربات، وهم يرون ذلك جميعه، ويعلمون أن الله يصنعه لأجلهم، وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه، وصار لهم الماء حائطاً عن يمينهم، وحائطاً عن شمالهم ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما برز موسى وبنو إسرائيل من البحر، وخلفهم فرعون بجنوده فيه، أمر الله لموسى أن يرد عصاه إلى[2] الماء فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر، وبنو إسرائيل يشهدون ذلك.

---

(١) في ط، أ (عنيدة) بدلاً من (عتيدة).

(٢) في أ (على) بدلاً من (إلى).

فلمـا غاب عنهم مـوسى إلى[١] الجبـل ليناجي ربـه، وأخـذ لهم التوراة من يد الله، تركوا[٢] عبادة الله، ونسوا جميـع أفعالـه، وكفروا بـه وعبدوا رأس العجل من بعـد ذلك، ثم عبـدوا الأصنام مـراراً كثيرة ليس مرة واحدة، وذبحوا لها الـذبائح ليست حيوانـات بل بنيهم مـع البنات، حسبمـا ذكـر فيمـا قبـل ذلـك، وجميع أفعـالهم مكتـوبـة في أخبـار بني إسـرائيل، فلمـا رأى الله قسـاوة قلوبهم وغلظ رقـابهم وكفـرهم بـه، ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة، غضب عليهم[٣] وجعلهم مرذولين، وطبع على قلوبهم فلا يؤمنون، وجعلهم مهانين في جميع الأمم، وليس[٤] لهم ملك ولا بـلاد ولا نبـي ولا كاهن إلى الأبـد حسبما تنبئت عليهم الأنبيـاء على مـا ذكرنـاه قبل[٥]، وتشهـد به كتبهم التي في أيـديهم إلى[٦] يومنـا هذا.

وكذا قال الله لأشعيا: (اذهب إلى هذا الشعب، فقل لهم تسمعون سماعاً ولا تفهمون، وينظرون نـظراً ولا تبصرون، لأن قلب هـذا الشعب قـد غلظ وقد سمعـوا بأفهـامهم سمعاً ثقيـلاً، وقـد غمضـوا أعينهم لئـلا يبصـروا بهـا، وسمعـوا بـآذانهم ولا يفهمـون بقلوبهم، ويـرجعــون إلي فأرحمهم)[٧].

(١) في ط، ك (أتى) بدلاً من (إلى).
(٢) في ط (وتركوا) بزيادة واو.
(٣) في ط (عليها) بدلاً من (عليهم).
(٤) في أ (ليس) بسقوط (و).
(٥) (قبل) ساقطة من أ.
(٦) (إلى) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) في سفر أشعيا ــ الإصحاح السادس: (٩ ــ فقـال اذهب وقل لهـذا الشعب: اسمعوا سمعـاً ولا تفهموا وأبصـروا إبصاراً ولا تعـرفوا. ١٠ ــ غلظ قلب هـذا الشعب وثقـل أذنيه واطمس عينيه لألاَّ يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بفكيه ويرجع فيشفى).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٩.

وقال أشعيا: (قال الله: هكذا مقتت[1] نفسي سبوتكم ورؤوس شهوركم صارت عندي مرذولة[2][3] وقال: (وفي ذلك اليوم يقول الله: سأبطل السبوت والأعياد كلها وأعطيكم سنَّة جديدة مختارة لا كالسنَّة التي أعطيتها لموسى عبدي «يوم حوريب»[4] يوم الجمع الكثير، بل سنة جديدة مختارة أمر بها وأخرجها من صهيون)[5] فصهيون هي أورشليم، والسنَّة الجديدة المختارة: هي السنَّة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الأطهار الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم وأنذروا بهذه السنَّة الجديدة فأي بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان، إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما وأعداؤنا اليهود المخالفون لديننا شهدوا[6] لنا بصحة ذلك جميعه.

وأما حجة اليهود في هذه النبوات يقولون ويعتقدون أنها حق وأنها قول الله[7] لكن يقولون: إنها عتيدة (فهذه النبوات مثلما هي عند اليهود كذلك هي عندنا معشر النصارى في اثنين وسبعين لساناً، فيراهم جميع

---

(١) في ط، ك (مقت) بدلاً من (مقتت).

(٢) في ط (مرذلة) بدلاً من (مرذولة).

(٣) في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأول: (١٣ ـ لست أطيق الإثم والاعتكاف. ١٤ ـ رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٢.

(٤) في ط، ك (خوريب) بدلاً من (حوريب).

(٥) في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأول: (لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل: آه إني أستريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٢.

(٦) في س، (يشهدوا) بدلاً من (شهدوا).

(٧) في أ (الله تعالى) بزيادة (تعالى).

الأمم قولاً واحداً وأنها قول الله، وقالت اليهود نحن مصدقون بهـا)[1] أن تكمـل وتتم[2] عند مجيء المسيح، لكن المسيح لم يجيء بعد[3]، وأن الـذي جاء ليس هـو المسيح. هـذا قـولهم وكفـاهم أنهم يكفـرون ويفجـرون[4] مع الكفـر، ويقولـون إن المسيح كـان ضالاً مضـلاً، وأمـا المسيح الحق[5] فعتيد أنـه يأتي ويكمـل نبوات الأنبيـاء إذا جاء، وإذا[6] جـاء اتبعناه وكنـا أنصاره، وهـذا رأيهم واعتقـادهم في السيـد المسيـح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه؟

ولأجــل[7] (ذلـك في هــذا الكتـاب سمـاهم المغضـوب عليهم لأجل)[8] خلافهم لقول الله[9] الذي أرسل[10] نطقـه على أفواه الأنبيـاء، ولما كنا نحن النصارى متمسكين بما أمرتنا به[11] الرسل الأطهار سمـانـا في هـذا الكتاب المنعم عليهم، وأمـا قـولنـا في الله: ثـلاثـة أقـانيم إلـه واحد، فهو أن الله نطق به وأوضحه في التوراة، وفي كتب الأنبيـاء، ومن ذلك ما جاء في السفر الأول من التـوراة يقول: (حيث شـاء الله أن يخلق

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط، س، ك.

(٢) (تتم) ساقطة من أ.

(٣) «لم يجيء بعد» سـاقطة من ط، س، ك. وكتب بـدلاً منها: «ينكرون مجيئه ويقـولون بعدما جاء».

(٤) في ط (ويفتخرون)، وفي س، ك (ويتفخرون) بدلاً من (ويفجرون).

(٥) (الحق) ساقطة من أ.

(٦) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).

(٧) في أ (لأجل) بسقوط (و).

(٨) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٩) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط .

(١٠) (أرسل) ساقطة من س، أ، ك.

(١١) في ط (أمرنا)، وفي س، ك (أمرونا) بدلاً من (أمرتنا).

آدم قال[1]: * لنخلق خلقاً على[2] شبهنا ومثالنا)[3]، فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروح قدسه[4]، وحين خالف آدم وعصى ربه (ها آدم قد صار كواحد منا)[5].

(وهذا واضح أن الله قال هذا القول لابنه، أي كلمته وروح قدسه، وقال هذا القول يستهزىء بآدم، أي طلب أن يصير كواحد منا)[6] صار عرياناً مفتضحاً.

وقال الله عندما أخسف بسدوم[7] وعامورة[8]، قال[9] في التوراة: (وأمطر الرب عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً)[10]،

---

(١) في أ (قال الله) بزيادة لفظ الجلالة (الله).

(٢) في ط (عن) بدلاً من (على).

(٣) في سفر التكوين ــ الإصحاح الأول: (٢٦ ــ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ــ فيتسلطون على سمك وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. ٢٧ ــ فخلق الله الإنسان على صورته ــ على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٤.

(٤) في أ (وروح القدس)، وفي س (وروح قدسيه) بدلاً من (وروح قدسه).

(٥) وفي سفر التكوين ــ الإصحاح الثالث: (٢٢ ــ وقال الرب الإلّه هوذا الإنسان قد صار كواحد منا. . .) وهو بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٧.

(٦) ما بين القوسين ساقط من س.

(٧) **سدوم**: مدينة من مدائن قوم لوط.
انظر: معجم البلدان ٣/٢٠٠.

(٨) **عامورة**: (عاموراء) كلمة عبرانية، وهي من قرى قوم لوط.
انظر: معجم البلدان ٤/٧٠.

(٩) في ط (وقال) بزيادة (و).

(١٠) في سفر التكوين ــ الإصحاح التاسع: (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء) بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٢٨.

أوضح بهذا ربوبية الآب[1] والابن بذكر ثالث *[2].

والجواب: أن يقال أما كفر اليهود كلهم لما أرسل المسيح ـ عليه السلام ـ إليهم فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك، إما بقتل النبيين، وإما بتكذيبهم، إما بالشرك، وإما بغير ذلك مما كفروا فيه[3] بما أنزل الله فهذا حق.

وهذا[4] هو نظير كفر النصارى كلهم الذين بلغتهم دعوة[5] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأقام الله عليهم الحجة به فلم يؤمنوا به، وكفر من كفر منهم قبل ذلك بما أنزل الله إما بتكذيب بعض ما أنزله، وإما بتبديله بغيره[6]، وإما بجعل ما لم ينزله الله منزلاً[7] منه، وإما بغير ذلك مما فيه كفر بما أنزل الله ـ عز وجل ـ.

وكذلك ما ذكر من[8] أن الله أقام[9] سنَّة جديدة وعهداً جديداً، وهو ما بعث به المسيح ـ عليه السلام ـ من الشريعة التي بعث بها[10] وفيها تحليل بعض ما حرم الله في التوراة، كما قال[11] في القرآن عن المسيح:

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[12].

فهذا أيضاً حق.



(1) في س (الابن) بدلاً من (الأب).
(2) ما بين النجمتين ساقط من أ.
(3) في ط (فيه) مكررة.
(4) (هذا) ساقطة من أ، س.
(5) في أ (الدعوة دعوة) بزيادة (الدعوة).
(6) (بغيره) ساقطة من ط، ك.
(7) في س (منزل) بدلاً من (منزلاً).
(8) (من) ساقطة من س.
(9) في س (أنزل) بدلاً من (أقام).
(10) (بها) ساقطة من ك.
(11) (قال) ساقطة من ط، س، ك.
(12) سورة آل عمران: من الآية ٥٠.

فصل[1]

وأما قولكم: السنَّة الجديدة المختارة هي السنَّة التي تسلمناها من يدي الرسل الأطهار، على ما تسلموها هم[2] من المسيح ـ عليه السلام ـ .

فيقال: لو كنتم على[3] تلك السنَّة لم تغيروها[4]، لم ينفعكم المقام عليها إذا كذبتم الرسول النبي الأمي الذي بعث إليكم وإلى سائر الخلق بسنَّة أخرى أكمل من السنن[5] التي كانت قبله، كما لم ينفع اليهود، ولو[6] تمسكوا بسنَّة التوراة، ولم يتبعوا سنَّة المسيح الذي أرسل إليهم، بل من كذب برسول واحد فهو كافر.

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[7].

---

(١) (فصل) ساقطة من ك.

(٢) (هم) ساقطة من ط .

(٣) في س (عن) بدلاً من (على).

(٤) (لم تغيروها) ساقطة من ك.

(٥) في أ (السنتين) بدلاً من (السنن).

(٦) في أ (إذ) بدلاً من (ولو)، وفي س (لو) بسقوط الواو.

(٧) سورة النساء: الآية ١٥٠ .
في س (ألم ترَ إلى) بدلاً من (إن) وهذا خطأ.

فإنه، وإن كانت السنَّة التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ حقاً، وكل من كان متبعاً له[1] فهو مؤمن مسلم، من أولياء الله، من أهل الجنة الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[3].

فمن اتبع المسيح كان مؤمناً، ومن كفر به كان كافراً.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

---

(١) في س، أ (لها) بدلاً من (له).

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٢.
من (كما قال تعالى) إلى نهاية الآية ساقطة من س.

(٣) سورة الصف: من الآية ١٤.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٥، ٥٧. في أ، ك (فنوفيهم) بدلاً من (فيوفيهم).

لكن غيرتموها وبدلتموها قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، (فصرتم كفاراً بتبديل شريعة المسيح، وتكذيب شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)[1]، كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة، وتكذيب شريعة الإنجيل، ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وعلى[2] سائر رسل الله أجمعين.

فإن المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالأقانيم، ولا القول بأنه رب العالمين، ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات، ولا ترك الختان، ولا الصلاة إلى المشرق، ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ولا الشرك، واتخاذ التماثيل والصليب، ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وسؤالهم الحوائج، ولا الرهبانية، وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ولم يسنّها لكم المسيح، ولا ما أنتم عليه هي السنَّة التي تسلمتموها[3] من رسل المسيح.

بل عامة ما أنتم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريين كصومكم خمسين يوماً زمن الربيع، واتخاذكم عيداً يوم الخميس والجمعة والسبت، فإن هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من الحواريين، وكذلك عيد[4]: الميلاد والغطاس، وغير ذلك من أعيادكم.

بل عيد الصليب إنما ابتدعته «هيلانة»[5] الحرانية القندقانية[6]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٢) (على) ساقطة من أ.
(٣) في ط (سلمتموها) بدلاً من (تسلمتموها).
(٤) في ط، ك (عيد الحواريين) بزيادة (الحواريين).
(٥) سبقت ترجمتها.
(٦) في أ (الفندقانية) بدلاً من (القندقانية).

أم قسطنطين، فأنتم[1] تقولون: إنها هي التي أظهرت الصليب وصنعت لوقت ظهوره عيداً، وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة زمن الملك قسطنطين[2] بعد المسيح بأكثر من ثلثمائة سنة.

وفي ذلك الزمان[3] أحدثتم الأمانة[4] لنصوص الأنبياء في غير موضع[5] وأظهرتم[6] استحلال الخنزير وعقوبة من لم[7] يأكله، (وابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم)[8] الصليب وغير ذلك من بدعكم، وكذلك كتب القوانين التي عندكم جعلتموها سنَّة وشريعة فيها شيء عن الأنبياء والحواريين، وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم لا ينقلونه لا[9] عن المسيح ولا عن الحواريين، فكيف تدَّعون أنكم على السنَّة والشريعة التي كان عليها المسيح ـ عليه السلام ـ وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر أنه كذب بيّن.



(١) في أ (فإنهم) بدلاً من (فأنتم).
(٢) (زمن الملك قسطنطين) أخرت في س، ووضعت بعد قوله (ثلثمائة سنة).
(٣) المقصود به سنة ٣٢٥م، مجمع نيقية الذي اجتمع فيه ٣١٨ بطركاً منهم لوضع الأمانة.
(٤) سبق التعريف بها.
(٥) (في غير موضع) ساقطة من أ.
(٦) في أ (فأظهرتم) بدلاً من (وأظهرتهم).
(٧) (لم) ساقطة من أ.
(٨) في أ (وأحدثتم ذلك الزمان وابتدعتم تعظيم) بدلاً من (وابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم).
(٩) فى أ (لا يتلقونه عن) بدلاً من (لا ينقلونه لا).

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد في التوراة عن خلق آدم على رأيهم في المسيح

قالوا: وأما قولنا في الله ثلاثة أقانيم إله واحد، فهو أن الله نطق به وأوضحه في التوراة، وفي كتب الأنبياء، ومن ذلك ما جاء في السفر الأول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم، قال الله: «لنخلق[2] خلقاً[3] على شبهنا ومثالنا»، فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروحه؟

وحين خالف آدم وعصى ربه، قال الله ـ تعالى[4] ـ: «ها آدم قد صار كواحد منا»، وهو قول واضح أن الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه.

والجواب: أن استدلالهم بهذا على قولهم في المسيح هو في غاية الفساد والضلال، فإن لفظ التوراة: (نصنع آدم كصورتنا وشبهنا)، وبعضهم يترجمه (نخلق[5] بشراً على صورتنا وشبهنا[6]).

والمعنى واحد، وهذا[7] كما قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «أن الله خلق آدم على صورته»، وفي رواية «على صورة

(١) (فصل) ساقطة من ك.
(٢) في أ (ليخلق) بدلاً من (لنخلق).
(٣) في أ (خلقنا) بدلاً من (خلقاً).
(٤) (تعالى) ساقطة من س، أ.
(٥) في أ (يخلق) بدلاً من (نخلق).
(٦) في أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).
(٧) في ط، ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

الرحمن»[1] فقولهم: من هو شبهه ومثاله[2] سوى كلمته وروحه من أبطل الباطل[3] من وجوه:

أحدها: أن الله ليس كمثله شيء، وليس لفظ النص «على مثالنا».

الثاني: أنه لا اختصاص للمسيح بما ذكر على تقدير حق وباطل، فإنه[4] بأي تفسير فسر قوله: (سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا[5])، لم يخص ذلك المسيح[6].

الثالث: أنهم[7] إن أرادوا بالكلمة التي هي شبهه ومثاله صفته، التي هي العلم القائم به، والحياة القائمة به مثلاً[8]، فالصفة لا تكون مثلاً[9] للموصوف، إذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها، والصفة قائمة بها، والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه.

وإن[10] أرادوا به شيئاً غير صفاته، مثل بدن المسيح وروحه،

---

(١) * صحيح البخاري ـ كتاب الإستئذان ـ عن أبي هريرة بمعناه.
* وصحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب ٣٢ ـ النهي عن ضرب الوجه ـ حديث رقم (١١٥) عن أبي هريرة ـ بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ ٢/٢٥١ ـ عن أبي هريرة بمعناه.

(٢) (مثاله) ساقطة من أ.

(٣) في ط (الأباطيل) بدلاً من (الباطل).

(٤) (فإنه) ساقطة من ط، ك.

(٥) في أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).

(٦) في أ (بالمسيح) بزيادة (ب).

(٧) (أنهم) ساقطة من س.

(٨) (مثلاً) ساقطة من س، أ، ك.

(٩) في ط (مثالاً) بدلاً من (مثلاً).

(١٠) في أ (وإذا) بدلاً من (وإن).

فذلك مخلوق له، والمخلوق لا يكون مثل الخالق، وكذلك روح القدس سواء أريد به ملك أو هدي وتأييد، ليس مثلاً لله ـ عز وجل ـ .

الرابع: أنه قال (لنخلق[1] خلقاً) أو قال: (نخلق آدم أو نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا[2])، وعلى ما قالوه: (نخلق خلقاً * على شبهنا ومثالنا)، وبكل حال، فهذا وكلمة الله وروحه عندهم *[3] غير مخلوق فامتنع أن يكون المراد بذلك كلمته وروحه.

وإن[4] قالوا: أراد بذلك الناسوت المسيحي، فلا فرق بين ذلك الناسوت وسائر النواسيت، مع أن المراد بذلك النص آدم أبو البشر باتفاق الأمم، والناسوت نفسه ليس هو كلمة الله وروحه.

الخامس: أنه لو قدر أنه أريد بذلك أن كلام الله يشبه[5] ذاته من بعض الوجوه، مثل كونه قديماً بقدمه، لم يكن في ذلك ما يدل على الأقانيم الثلاثة.

وكذلك اللفظ المعروف وهو قوله: (سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا[6]) فهذا لا يدل على التثليث بوجه من الوجوه، وشبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وإذا قيل هذا حي

---

(١) في أ (ليخلق) بدلاً من (لنخلق).
(٢) انظر: سفر التكوين الإصحاح الأول ص ٣.
(٣) ما بين النجمتين ساقط من س، ك.
(٤) في أ (فإن) بدلاً من (وإن).
(٥) في أ (وشبيه) بدلاً من (يشبه).
وفي ك (ويشبه) بزيادة واو.
(٦) في س، أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).

عليم قدير، وهذا حي عليم قدير، فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير، لم يوجب ذلك أن يكون هذا المسمى مماثلاً لهذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع.

بل هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: القدر المشترك، الذي تشابها فيه، وهو معنى كلي لا يختص به أحدهما، ولا يوجد كلياً عاماً مشتركاً إلَّا في علم العالم.

والثاني: ما يختص به هذا، كما يختص الرب بما يقوم[1] به من الحياة والعلم والقدرة.

والثالث: ما يختص به (ذاك، كما يختص به)[2] العبد من الحياة والعلم والقدرة، فما اختص[3] به الرب ــ عز وجل ــ لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيء[4] من النقائص التي تجوز على صفات العبد، وما يختص به العبد لا يشركه فيه الرب، ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التي يختص بها[5] الرب ــ عز وجل ــ.

وأما القدر المشترك كالمعنى الكلي الثابت في ذهن الإنسان فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق، فالاشتراك فيه لا محذور فيه.

---

(١) (بما يقوم) ساقط من ط، ك.
(٢) (ذاك، كما يختص به) ساقطة من ط، س.
(٣) في أ، س، ك (خص) بدلاً من (اختص).
(٤) في س (شيئاً) بدلاً من (شيء).
(٥) في ط (به) بدلاً من (بها).

ولفظ التوراة فيه: (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا)[1]، لم يقل: على مثالنا وهو كقول النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحديث الصحيح «لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورته»[2] فلم يذكر الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كموسى ومحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلاّ لفظة «شبه» دون لفظ «مثل».

وقد تنازع الناس: هل لفظ الشبه والمثل بمعنى واحد أو معنيين، على قولين:

أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وأن ما دل عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيداً يدل عليه لفظ الشبه، وهذا قول طائفة من النظار.

والثاني: أن معناها مختلف عند الاطلاق لغة وشرعاً وعقلاً، وإن كان مع التقيد والقرينة يراد بأحدهما ما يراد بالآخر، وهذا قول أكثر الناس، وهذا الاختلاف مبني على مسألة عقلية، وهو أنه هل يجوز أن يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه، وللناس في ذلك قولان: فمن منع أن يشبهه[3] من وجه دون وجه قال: المثل والشبه واحد، ومن قال إنه قد يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه فرق بينهما عند الإطلاق،

---

(١) في سفر (التكوين) الإصحاح الأول (٢٩ ـ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).
انظر: العهد القديم ص ٤.

(٢) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ كتاب ٣٢، ٣٣ ـ حديث رقم (١١٥)، عن أبي هريرة بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد ٢/٢٥١ ـ عن أبي هريرة بلفظه.

(٣) في ط (يشبه) بدلاً من (يشبهه).

وهـذا قول جمهـور الناس، فـإن العقل يعلم أن الأعـراض مثـل الألـوان تشتبه في كونها ألواناً مع أن السواد ليس مثل البيـاض، وكذلـك الأجسام والجواهر عند جمهور العقـلاء تشتبه في مسمى الجسم والجـوهر، وإن كـانت حقـائقهـا ليست متمـاثلة، فليست حقيقـة المـاء ممـاثلة لحقيقـة التـراب، ولا حقيقــة النبـات ممـاثلة لحقيقــة الحيـوان، ولا حقيقــة النـار مماثلة لحقيقـة الماء وإن اشتـركا في أن كـلا منهما جـوهـر وجسم وقائم بنفسه.

وأيضاً فمعلوم في اللغة أنه[1] يقال: هذا يشبه هذا، وفيه شبـه من هذا، إذا أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفاً له في الحقيقة.

قال الله ــ تعالى ــ : ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾[2].

وقال[3]:

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ﴾[4].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾[5].

---

(١) في ط (أن) بدلاً من (أنه).
(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥.
(٣) في ط، أ، ك (وقوله) بدلاً من (وقال).
(٤) سورة آل عمران: من الآية ٧.
في ط (فيبيعون) بدلاً من (فيتبعون) وهذا خطأ.
(٥) سورة البقرة: من الآية ١١٨.

فوصف القولين بالتماثل، والقلوب بالتشابه لا بالتماثل، فإن القلوب، وإن اشتركت، في هذا القول فهي مختلفة لا متماثلة، وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس»[1].

فدل على أنه يعلمها بعض الناس، وهي في نفس الأمر ليست متماثلة، بل بعضها حرام وبعضها حلال[2].

والوجه السادس[3]: أن قوله: (سنخلق خلقاً على شبهنا) لا يتناول صفته، مثل كلامه وحياته القائمة به، فإن ذلك ليس بمخلوق، وحينئذ فهذا لا يتناول اللاهوت الذي يزعمون أنه تدرع بالناسوت[4]، فإن اللاهوت ليس بمخلوق.

وأما الناسوت فهو كسائر نواسيت الناس لا اختصاص له، بأن يكون شبيهاً لله دون سائر النواسيت، فقوله[5]: فمن هو الشبه المخلوق سوى كلمته وروحه؟ باطل على كل تقدير.

وأما قوله: (ها آدم قد صار كواحد منا)، وقولهم: إن هذا قول

---

(١) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب ٣٩ ـ عن النعمان بن بشير، بمعناه.
* وفي صحيح مسلم ـ كتاب المساقاة ـ باب ٢٠ ـ حديث رقم (١٠٧)، (١٠٨)، عن النعمان بن بشير، بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد ـ ٤/٢٦٧ ـ عن النعمان بن بشير، بمعناه.

(٢) في أ، س (بعضها حلال وبعضها حرام) بتقديم (حلال) على (حرام).

(٣) في س، أ (الخامس) بدلاً من (السادس) وهو خطأ.

(٤) في ط (الناسوت).

(٥) في أ (بقوله) بدلاً من (فقوله).

واضح[1] أن الله قال: هذا القول لابنه روح قدسه، فإن أرادوا أنه يجعل الذي صار كواحد منا لابنه، كان هذا من أبطل الكلام، فإن هذا الابن إن كان المراد به الكلمة التي هي صفة لله، فتلك لم يخلق[2] لها أمر يصير كواحد منهم، وتلك لا تسمى آدم ولا سماها الله ابناً.

وإن أريد به ناسوت المسيح فذاك مخلوق مبتدع[3] يمتنع أن يكون[4] كالقديم الأزلي، وأيضاً فإن الله قال هذا عن آدم، وآدم ليس هو المسيح، ولا يجوز أن يقال: آدم ويراد به المسيح، كما لا يجوز أن يقال: عصى آدم ويراد به المسيح، وأيضاً فإنه قال: (ها آدم قد صار[5] كواحد منا) هذه إشارة إلى أمر قد كان في الزمن الماضي، ليس هو إشارة إلى ما سيكون بعد ذلك بألوف من[6] السنين، وإن أرادوا أن الله قال لابنه الذي هو كلمته وروحه، وهذا هو مرادهم، كقولهم: إنه قال هذا[7] القول يستهزىء بآدم، أي أنه طلب أن يصير كواحد منا[8] صار هكذا عرياناً مفتضحاً، ويكون شبهتم قوله: «منا» لأنه عبّر بصيغة الجمع[9]، (وكذلك إن أرادوا هذا بقوله «نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا» فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع)[10].

---

(١) في أ (فاضح) بدلاً من (واضح).
(٢) في أ، س (يحدث) بدلاً من (يخلق).
(٣) (مبتدع) ساقطة من س، أ.
(٤) في س، أ (يصير) بدلاً من (يكون).
(٥) (قد صار) ساقطة من ط.
(٦) (من) ساقطة من ط، ك.
(٧) (هذا) ساقطة من ط.
(٨) (منا) ساقطة من ط.
(٩) (الجمع) ساقطة من ك.
(١٠) ما بين القوسين ساقط من أ.

وهـذا مما احتـج به نصـارى نجران على النبـي ـ صلّى الله عليـه وسلّم ـ فاحتجوا بقوله تعالى (إنّا)، (نحن)، قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة، وكان هذا من المتشـابه الـذي اتبعوه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله، وتركوا المحكم المبين، الـذي لا يحتمل إلاَّ واحـداً، فإن الله في جميـع كتبه الإلٰهية قد بين أنه إلٰه واحد، وأنه لا شريك له، ولا مثل له.

وقوله: (إنّا)، (نحن) لفظ يقع في جميع اللغات على من كـان[1] له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعـونه، وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع[2] أن يكـون لـه شـريـك أو مثـل، والمـلائكـة وسـائـر العـالمين جنـوده ـ تعالى ـ[3].

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[5].

فإذا كان الواحد من الملوك يقـول: إنا، ونحن، ولا يـريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب[6] كل شيء ومليكـه هو أحق بأن يقول: إنا، ونحن، مع أنه ليس له شـريك، ولا مثيـل، بل لـه جنود السماوات والأرض.

---

(١) (كان) ساقطة من س.

(٢) في ط (فيمنع) بدلاً من (يمتنع).

(٣) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة المدثر: من الآية ٣١.

(٥) سورة الفتح: من الآية ٧.

(٦) في أ (رب) بسقوط الواو.

وأيضاً فمن المعلوم أن[1] آدم لم يطلب أن يصير مثل الله ولا مثـل صفـاته كعلمـه وحياتـه[2]، وأيضاً فليس في ظـاهر اللفظ أن الله خـاطب صفاته بتلك.

وأيضاً فالصفة القائمة بالمـوصوف لا تخـاطب ولا تخاطب، وإنمـا يخـاطب[3] المـوصـوف[4]، ولـم يكن قـد خلق آدم نـاسـوت المسيـح، ولا غيـره من البشـر حتى يخـاطبـه[5]، فعلم أن دعـواهم أن الله خـاطب صفتـه التي سموهـا ابناً وروح قـدس كلام بـاطـل، بـل قـد يخـاطب[6] ملائكته.

وآدم ــ عليه السلام ــ أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[7].



(١) (أن) ساقطة من ط.
(٢) في ط، ك (وصفاته) بدلاً من (وحياته).
(٣) في س (يخاطب) مكررة.
(٤) في س، ك (المؤمنون) بدلاً من (الموصوف).
(٥) في ط، ك، أ (يخاطب) بدلاً من (يخاطبه).
(٦) في أ (خاطب) بدلاً من (يخاطب).
(٧) سورة طه: من الآية ١٢٠.
في أ، س، ك (لهما) بدلاً من (إليه) وهو خطأ.

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد في الأمر بإهلاك قوم لوط على ربوبية الابن

قالوا: وقال الله عندما أخسف بسدوم وعامورة، قال في التوراة: (وأمطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً) أوضح بهذا ربوبية[2] الأب والابن.

والجواب: أن احتجاجهم بهذا من أبطل الباطل[3]، لوجوه:

أحدها: أن تسمية الله[4] علمه وحياته ابناً ورباً تسمية باطلة، لم يسم موسى في التوراة شيئاً من صفات الله باسم الابن ولا باسم الأب[5]، فدعوى المدعي أن موسى ـ عليه السلام ـ أراد بالرب شيئاً من صفات الله، أو أن له صفة تسمى ابنه كلام باطل.

الثاني: أنه لو قدر أن صفة الله تسمى بذلك، فمعلوم[6] أن الذي أمطر، هو[7] الذي كان المطر عنده، لم يكن المطر عند أحدهما (والآخر هو الممطر، كما لا يجوز أن يقال خلق أحدهما)[8] من شيء عند الآخر، ولا أنزل أحدهما المطر من سحاب الآخر.

---

(١) (فصل) ساقطة من ك.

(٢) في أ (وسوسه) غير منقوطة.

(٣) في ط (الأباطيل) بدلاً من (الباطل).

(٤) (الله) لفظ الجلالة ساقط من أ.

(٥) في ط، ك، س (الرب) بدلاً من الأب.

(٦) في ط، أ، ك (معلوم) بسقوط (فـ).

(٧) في ط، أ، ك (كان هو) بزيادة (كان).

(٨) ما بين القوسين ساقط من س.

الثالث: أن الصفة لا تفعل شيئاً، ولا عندها شيء، بل هي قائمة بالموصوف، والذات المتصفة بالصفة[1] هي التي تفعل، وعندها يكون ما يكون.

الرابع: أن هذا بمنزلة قوله: (أمطر الرب من عنده) لكن جعل الاسم الظاهر موضع المضمر إظهاراً، لأن الأمر له وحده في هذا وهذا.

ومثل هذا في القرآن كقوله:

﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾[2].

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4].

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[5].

والله هو المنزل ولم يقل مني.

● ● ●

---

(١) في س (فالصفة) بدلاً من (بالصفة).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة القارعة: الآية ١، ٢.

(٤) سورة غافر: الآية ٢.
في س، أ، ك أورد آية سورة الزمر، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.

(٥) سورة فصلت: الآية ٢.

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد عن داود على ربوبية المسيح

قالوا: نذكر ثالثاً[2]، وقال داود في الزبور في المزمور المئة والتسعة قائلاً: (قال لرب: لربي أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطأ قدميك)[3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا يجوز أن يراد «بربي» شيئاً من صفات الله، فإنه لم يسم داود ولا أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله رباً ولا ابناً، ولا قال أحد لشيء من صفات الله[4]: يا رب ارحمني، ولا قال لعلم الله أو كلامه أو قدرته: يا رب، وإذا لم يكونوا يسمون صفات الله رباً، ولو[5] كان المسيح صفة من صفاته لم يجز أن يكون هو المراد بلفظ الرب، فكيف وناسوته أبعد عن اللاهوت أن يراد بذلك؟

فعلم أنهم لم يريدوا بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت.

الثاني: أنه قال: قال الرب لربي، فأضاف إليه الثاني دون الأول

---

(١) (فصل) ساقطة من ك.

(٢) في س، أ، ك (ثالث) بدلاً من (ثالثاً).

(٣) في المزمور المائة والعاشر: (١ ـ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك) انظر: العهد القديم ص ٩١٢.

(٤) (ابن، ولا قال أحد بشيء ـ صفات الله) زيادة في س بعد قوله (صفات الله).

(٥) وردت في جميع النسخ (فلو) والأصح (ولو).

وأنه هو ربه الذي خلقه، وعامة ما عند النصارى من الغلو أن يقولوا: إلـه حق من إلـه حق، ويجعلونـه خـالقـاً، أمـا أن[1] يجعلوه أحق من الأب بكونه رب داود، فهذا لم يقولوه، وهو ظاهر البطلان.

الثالث: أنه ليس في هذا ذكر الأقانيم[2] الثلاثة، غايته لو كان كما تأولوه أن يكون فيه ذكر الابن، وأما الأقـانيم الثلاثـة فلم ينطق بهـا شيء من كتب الله التي بأيديهم، فضلاً عن القرآن لا بلفـظها ولا معنـاها، بـل ابتـدعوا لفظ الأقنـوم، وعبروا بـه عن ما جعلوه مـدلـول كتب الله، وهي لا تدل على ذلك، فكانوا في ذلك مترجمين لكـلام الله، وهم لم يفهموا معناه، ولا عبروا عنه بعبارة تدل على المراد.

الرابع: أنه قال لربـي، وهذا يراد به السيد، كما قال يوسف:

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[3].

وقال لغلام الملك:

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ[5]:

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾[6].

ولهذا ذكر الأول مـطلقاً والثـاني مقيداً، فيكـون المعنى: وقال الله لسيـدي: قـال رب العـالمين لسيـدي، وسمـاه سيـداً تـواضعـاً من داود وتعظيماً له، لاعتقاده[7] أنه أفضل منه.



(1) في ط (بأن) بدلاً من (أما أن).
(2) في س (للأقانيم) بدلاً من (الأقانيم).
(3) سورة يوسف: من الآية ٢٣.
(4) سورة يوسف: من الآية ٤٢.
(5) في أ (قال تعالى) بسقوط الواو، وفي س (قال الله تعالى) بزيادة لفظ الجلالة (الله).
(6) سورة يوسف: من الآية ٤٢.
(7) في أ (لا اعتقاده) بدلاً من (لاعتقاده).

فصل

قالوا: نذكر رابعاً[1]، وقال في المزمور[2] الثاني: (الذي قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك)[3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا ليس فيه تسمية صفات الله: علمه وحياته ابناً، ولا فيه[4] ذكر الأقانيم الثلاثة، فليس فيه حجة لشيء مما تدعونه.

والثاني: أن هذا حجة عليهم، فإنه هو[5] سمى[6] داود ابنه، فعلم أن اسم[7] الابن ليس مختصاً بالمسيح ـ عليه السلام ـ، بل سمى[8] غيره من عباده ابناً، فعلم أن اسم[9] الابن ليس اسماً[10] لصفاته، بل هو اسم لمن رباه من عبيده.

---

(١) في س، أ، ك (رابع) بدلاً من (رابعاً).

(٢) في ط، أ، ك (الزبور) بدلاً من (المزمور).

(٣) في المزمور الثاني (١ ـ قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) وهو مذكور بلفظه. انظر: العهد القديم ص ٨٣٤.

(٤) في ط (في) بدلاً من (فيه).

(٥) (هو) ساقطة من ط، س، ك.

(٦) في أ، س، ك (سمّا) بدلاً من (سمى).

(٧) (اسم) ساقطة من ك.

(٨) في س، أ، ك (سما) بدلاً من (سمى).

(٩) (أن اسم) أزيل من س.

(١٠) (اسما) ساقطة من ط.

وحينئذٍ فلا تكون تسمية المسيح[1] ابناً لكون الرب أو صفته اتحدت به، بل كما سمى داود ابناً، وكما سمى إسرائيل[2] إبناً فقال: (أنت[3] ابني بكري)[4].

وهذا في كتبهم، كما ذكر[5]، (فإن كان ما في كتبهم قول الله فلا حجة فيه، لأنه أراد المربى، وإن لم يكن قول الله ورسله)[6] فلا حجة فيه، لأن قول غير المعصوم ليس بحجة.

الثالث: أن قوله: (وأنا اليوم ولدتك) يدل على حدوث هذا الفعل، وعندهم تولد الكلمة التي يسمونها[7] الابن من الأب قديم أزلي، كما قالوا في أمانتهم (وبرب واحد[8] يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور نور[9] من نور إلّه حق من إلّه حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ الأب في الجوهر الذي به كان كل شيء).

فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور، وذاك ولد[10]

---

(١) (المسيح) ساقطة من ط، ك وكتبت (يكون تسميته ابناً).

(٢) في س (يعقوب) بدلاً من (إسرائيل).

(٣) (أنت) ساقطة من أ.

(٤) في سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع: (٢٢ ـ هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري) وهو بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٩٢.

(٥) في ط (ذلك) بدلاً من (ذكر).

(٦) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

(٧) في ك، ط، أ (سموها) بدلاً من (يسمونها).

(٨) في س، أ، ك (واحداً) بدلاً من (واحد).

(٩) في أ (ونور) بزيادة واو.

(١٠) في ط، أ، ك (ولده).

في يوم خاطبه بعد خلق داود فلم يكن في هذا المحدث دليل على وجود ذلك القديم.

الوجه الرابع: أنه إذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذي يربي[1] عبده، أعظم مما يربي الأب ابنه، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى: اليوم جعلتك مرحوماً مصطفى مختاراً.

والنصارى قد يجعلون الخطاب الذي هو ضمير لغير المسيح، يراد به المسيح، فقد يقولون: المراد بهذا المسيح، وهذا باطل[2] لا يدل اللفظ عليه، وبتقدير صحته، فهو يدل على أن المسيح هو الناسوت المخلوق، وهو المسمى بالابن، لقوله[3] (وأنا اليوم ولدتك).

واللاهوت عندهم مولود من قبل الدهور، وحينئذٍ فإن كان المراد به يوم ولادته، فالمعنى خلقتك، وإن كان يوم اصطفاه، فالمراد اليوم اصطفيتك وأحببتك[4]، كأنه قال: اليوم جعلتك ولداً[5] وابناً على لغتهم.



(١) في س، أ، ك (يرب).
(٢) في س (باطلًا) بدلًا من (باطل).
(٣) في ط، س، ك (كقوله).
(٤) في أ (أصطفيك وأجتبيك).
(٥) في ط، ك (والداً).

فصـل

ردّ استدلالهم بما ورد في التوراة من كلام الله لموسى، وما يفيده ذلك من تعدُّد ألوهيته سبحانه

قالوا: نذكر خامساً[1]، وفي السفر الثاني من التوراة وكلّم الله موسى من العليقة[2] قائلاً: (أنا إلّه[3] إبراهيم وإلّه إسحاق وإلّه يعقوب)[4] ولم يقل أنا إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب[5]، بل كرر اسم الإلّه ثلاث دفوع قائلاً: أنا إلّه[6] وإلّه لتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته[7].

والجواب: أن الاحتجاج بهذا على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أنه لو أريد بلفظ الإلّه أقنوم الوجود، وبلفظ الإلّه مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان[8] الأقنوم الواحد إلّه إبراهيم، والأقنوم الثاني إلّه إسحاق، والأقنوم الثالث إلّه يعقوب، فيكون

---

(١) في س، أ، ك (خامس).

(٢) العليقة: الشجرة.

(٣) (إلّه) ساقطة من ط.

(٤) سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث: (١٥ ـ . . . يهوه إلّه آبائكم إلّه إبرهيم وإلّه إسحاق وإلّه يعقوب) بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٩٠.

(٥) (إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب) بدلاً منها، في ط (إلّه إسحاق)، وفي أ (أنا الله).

(٦) في ك (أنا إلّه إبراهيم وإلّه) بزيادة كلمة (إبراهيم).

(٧) في أ (اللاهوتية)، وفي س، ك (لاهوتيه).

(٨) في ط (لكن) بدلاً من (لكان).

كل من الأقانيم الثلاثة إلـه أحد الأنبيـاء الثلاثـة، والأقنومين ليسـا بإلٰهين له.

وهـذا كفر عنـدهم، وعند جميـع أهل الملل، وأيضـاً فيلزم[1] من ذلـك أن يكون الآلهـة ثلاثـة[2]، وهم يقـولـون: إلـه واحـد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله[3] واحد، فيجعلون الجميع إله كل نبي، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كـل نبـي، ليس هو إلـه النبـي الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثاني: أنه[4] يقال: إن الله رب العالمين، ورب السماوات ورب الأرض ورب العـرش ورب كـل شيء، أفيلزم[5] أن يكـون (رب السماوات ليس هو رب الأرض)[6]، رب كل شيء[7].

وكذلك[8] يقال: إله مـوسى وإله محمـد، مع قـولنا: إلـه إبراهيم وإسحاق، ويعقوب[9]، (أفتكون الآلهة خمسة، وقد قـال يعقوب لبنيـه: «مـا تعبدون من بعـدي»، قالـوا: نعبـد إلٰهـك وإلـه آبـائك[10] إبـراهيم وإسماعيل وإسحاق)[11].

---

(١) في س (يلزم) بسقوط (فـ).
(٢) في ط، ك (الثلاثة ثلاثة) بزيادة (الثلاثة).
(٣) في س، أ (وهم إله).
(٤) في أ (أن) بدلاً من (أنه).
(٥) في ط (فيلزم) بسقوط الألف.
(٦) (رب السماوات ليس هو رب الأرض) ساقطة من ط، ك.
(٧) (رب كل شيء) ساقط من س، أ.
(٨) (كذلك) ساقطة من ط، ك.
(٩) (يعقوب) ساقطة من ط، ك.
(١٠) (آبائك) ساقطة من أ.
(١١) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

أفتراه أثبت إلٰهين: أحدهما إلٰهه، والآخر إلٰه الثلاثة؟!

الوجه الثالث: أن العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾(١).

والذي خلق هو الذي قدر وأخرج، وكذلك قوله:

﴿ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾(٢).

وهو هو سبحانه، وقال إبراهيم الخليل ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لقومه(٣):

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٤).

والذي خلقه هو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي يميته ثم يحييه.

---

(١) سورة الأعلى: الآيات من ١ ـ ٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.

(٣) في ط (لقوله) بدلاً من (لقومه).

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٧٥ ـ ٨٢.

في س (يهديني) بدلاً من (يهدين)، (والذي هو يطعمني) سقطت (هو) من ك، في س (يسقني) بدلاً من (يسقين)، في ك (يسقيني) بدلاً من (يسقين)، في س، ك (يشفيني) بدلاً من (يشفين)، (والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين) ساقطة من أ، في س (يحييني) بدلاً من (يحيين)، (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ساقطة من س.

فقوله في التوراة: إله إبراهيم وإله إسحاق، وإله يعقوب، هو من هذا الباب، ولا يختص هذا بثلاثة، بل يقال في الاثنين والأربعة والخمسة بحسب ما يقصد المتكلم ذكره من الصفات، وفي هذا من الفائدة ما ليس في قوله: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فإنه لو قيل ذلك لم يفد إلاَّ أنه معبود الثلاثة، لا يدل على أنهم عبدوه مستقلين، كل منهم عبده عبادة اختص بها، لم تكن هي نفس عبادة الأول.

وأيضاً فإنه إذا قيل: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم[1]، وإذا قال: وإله دل على أنه[2] معبود كل من الثلاثة، فأعاده باسم الإله الذي يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها، وفي ذلك من ظهور المعنى للسامع وتفرعه بصورة له من غير فكر ما ليس في دلالة الملزوم.



(١) في س، أ، ك (بالملزوم).
(٢) (أنه) ساقطة من ط.

فصل

ردّ استدلالهم بشهادة أشعيا بتحقيق الثالوث

قالوا: وكذلك شهد (أشعيا) بتحقق[1] الثالوث بوحدانية[2] جوهره، وذلك بقوله: (رب القوات)[3]، وبقوله: (رب السماوات والأرض)[4] ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرون[5] هذه النبوات، ولا يعرفون لها تأويلاً، وهم معترفون[6] بذلك، ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلوقة عن فهمه لقساوتها على ما ذكرنا قبل ذلك، وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف

---

(١) في ط، ك (يتحقق).

(٢) في س (ووحدانية).

(٣) وجدت في سفر أشعيا ــ الإصحاح الحادي والخمسون: (أنا الرب إلٓهك مزعج البحر فتعج لججه. ورب الجنود اسمه) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٥٥.

(٤) وجدت في سفر أشعيا ــ الإصحاح الحادي والخمسون: (وتنسى الرب إلٓهك صانعك (باسط السماوات ومؤسس الأرض).
* انظر: المرجع السابق.
* وفي سفر المزامير ــ المزمور التاسع والخمسون: (وأنت يا رب إلٓه الجنود).
انظر: العهد القديم ص ٨٧٢.
* وفي سفر أشعيا ــ الإصحاح الثاني والأربعون (هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض).
انظر: العهد القديم ص ١٠٤٢.

(٥) في ط، ك (يقرأون).

(٦) في ط، ك (مقرون).

الحران أمامهم، ويقول كلاماً عبرانياً هذا تفسيره، ولا يجحدونه: (نقدسك[١]، ونعظمك[٢]، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك)[٣].

فيصرخ الجميع مجاوبين: (قدوس قدوس قدوس، رب القوات، ورب السماوات والأرض)[٤].

فما أوضح إقرارهم بالثالوث، وأشد كفرهم بمعناه، فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة، وفي كتب الأنبياء فجعلوه[٥] ثلاثة أقانيم جوهراً[٦] واحداً، طبيعة[٧] واحدة إلٰهاً واحداً رباً[٨] واحداً، خالقاً واحداً، وهو الذي نقوله: أب وابن وروح قدس.

والجواب: أما ما في كتب الأنبياء ــ عليهم السلام ــ من تثنية[٩] اسم الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر فهو من نمط تثنية[٩] اسم الإلٰه،

---

(١) في س، أ (بقدسك) بدلاً من (نقدسك).
(٢) في أ (وبعظمتك) بدلاً من (ونعظمك).
(٣) في سفر أشعيا ــ الإصحاح ٥: (ويتعالى رب الجنود بالعدل (ويتقدس الإلٰه القدوس بالبر).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٧.
(٤) وجدت في سفر أشعيا ــ الإصحاح السادس: (قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٨.
(٥) في س، أ (تجعله) بدلاً من (فجعلوه).
(٦) في س (وجوهراً) بزيادة (و).
(٧) في ط، ك (طبعة) بدلاً من (طبيعة).
(٨) في ط، ك، أ (أباً) بدلاً من (رباً).
(٩) في ط (تسميته) في ك (تسمية).

وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهة، ولهـذا لا[1] يقتضي جعلهم اثنين وأربعة إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة.

فكذلك إذا ذكر[2] ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثـلاثة، وهم أيضاً لا يقولـون بثلاثـة[3] أرباب وثـلاثة آلهـة * فلو كان هـذا يدل على ثلاثة أرباب وثلاثة آلهة[4] * لدل[5] على نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يثبتون إلّهاً واحداً، ولكنهم يتناقضون فيصـرّحون بثـلاثة آلهـة، ويقولون هم إلّه واحد.

والكتب لا تـدل على قولهم المتنـاقض بوجـه من الـوجـوه، وأمـا ما ذكروه[6] من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النبوات، ودعواه أنهم لا يعرفـون لها تأويلاً، فإن أرادوا[7] بالتأويل تفسيرها وما يدل عليه لفظها، فهذا ظاهـر لا يخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم.

ولكن النصارى ادعوا ما لا [8] يدل عليـه اللفظ[9] * وإن[10] أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ* [11]فهـذا إنما يحتـاج إليه ــ إن كـان

(١) (لا) ساقطة من ط .
(٢) في ط، ك (كان) بدلاً من (ذكر).
(٣) في س(ثلاثة) بسقوط (بـ).
(٤) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.
(٥) في ط (تدل) بدلاً من (لدل)، في ك (يدل) بدلاً من (لدل).
(٦) في س (ذكر).
(٧) في ط، أ، ك (أراد).
(٨) (لا) ساقطة من ط، ك.
(٩) في ط ، كررت جملة (فهذا إنما يحتاج إليه) التي ذكرت بعد ذلك.
(١٠) في ط (إن) بسقوط (و).
(١١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

يحتاج إليه ــ إذا كان ظاهره معنى باطلاً، لا يجوز إرادته. وليس ماذكروا[1] هنا من هذا الباب، بل الكتب الإلّهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين، ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة إلاَّ من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولاً مختلفاً يؤفك عنه من أوفك، ومثل هذا موجود في سائر الكلام، يقال[2]: هذا أمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وهو أمير واحد.

ويقال: هذا رسول إلى الأميين، ورسول إلى أهل الكتاب، ورسول إلى الجن والإنس، وهو رسول واحد.



(١) في ط، أ، ك (ذكر).
(٢) في ط، ك (فقال) بدلاً من (يقال).

فصل

وأما قولهم: (نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك تقديساً مثلثاً، كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا).

وقولهم[1]: (قدوس، قدوس، قدوس، رب القوات، ورب السماوات والأرض)[2]، فيقال: هذا الكلام صريح في أن المثلث هو نفس التقديس لا نفس الإلّه المقدس.

وكذلك قولهم: (قدوس، قدوس، قدوس). قدسوه ثلاث مرات، فإنه قال: (نقدسك، ونثلث لك تقديساً مثلثاً)، فنصب التثليث[3] على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس، فقال: نقدسك تقديساً مثلثاً.

(فنصب التقديس على المصدر)[4]، كما تقول[5]: سبحتك تسبيحاً مثلثاً، أي سبحتك ثلاث مرات، وقال: نثلث لك أي نثلث تقديساً[6] لك، لم يقل أنت ثلاثة[7]، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث، وهم يثلثون له، وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات، ولا يسبحون ثلاثة آلهة، ولا ثلاثة أقانيم.

---

(١) في ط (قولهم) بسقوط (و).

(٢) انظر ٣/ ٤٦٢.

(٣) في س، أ (التقديس) بدلاً من (التثليث).

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.

(٥) في أ (يقول) بدلاً من (تقول).

(٦) في أ (تقديسنا) بدلاً من (تقديساً).

(٧) في أ (ثلاثة بادنة) بزيادة (بادنة).

وهـذا كمـا في السنن عن ابن مسعــود[1]، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إذا قال العبد في ركوعـه: سبحان ربـي العـظيم ثلاثاً فقدتم ركوعه، وذلك أدناه، وإذا قال في سجـوده[2]: سبحان ربـي الأعلى ثـلاثاً فقـد تم سجوده وذلـك أدناه»[3] والتسبيـح هو تقـديس الرب وأدناه أن يقدسه ثلاث مرات، فمعناه[4] قدسوه ثلاث مرات: لا تقتصروا على مرة واحدة.

ولهذا يقولون[5] مجاوبين: قـدوس، قدوس، قـدوس، فيقدسـونه ثـلاث مـرات، فعلم أن[6] المـراد تثليث[7] التقـديس[8] حيث[9] مـا دل عليه[10] لفظه، وما يفعلونه ممتثلين لهذا الأمر، ومـا يفعل في نـظير ذلـك من[11] تثليث تقـديسه، وأن يقـدس ثلاث مـرات، لا أن يكون المقـدس ثـلاث أقـانيم، فـإن هـذا أمـر لم ينـطق نبـي مــن الأنـبيـاء بـه لا لفـظاً

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) (في سجوده) ساقطة من س.

(٣) انظر:

* سنن ابن ماجه ــ كتـاب إقامـة الصلاة والسنَّـة ــ باب ٢٠ ــ عن ابن مسعـود قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا ركع... الحديث بلفظه.

* وسنن أبـي داود ــ ص ٣٣٠ ــ باب ما يقول الرجـل في ركوعـه وسجوده ــ كتـاب الصلاة ــ عن عقبة بن عامر... الحديث بمعناه.

* وفي مسند الإمام أحمد ــ عن ابن عباس ــ الحديث بمعناه.

(٤) في ك (فمعلوم) وفي ط (فمعنى) بدلاً من فمعناه.

(٥) في ط، ك (قالوا) بدلاً من (يقولون).

(٦) (أن) ساقطة من ك.

(٧) في س، أ (بتثليث).

(٨) (تثليث التقديس) ساقطة من ط.

(٩) في ط (ومكنون) بدلاً من (حيث).

(١٠) في ط، ك (على) بدلاً من (عليه).

(١١) (من) ساقطة من ط.

ولا معنى، بـل جميع الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ أثبتـوا إلّهـاً واحـداً لـه الأسماء الحسنى.

وأسماؤه متعددة تدل على صفاته المتعددة، ولا يختص ذلك بثلاثة أسماء، ولا بثلاث[1] صفات، (وليست الصفات أقنومـاً هو ذات وصفـة، بـل ليس إلَّا ذات واحدة لهـا صفات)[2] متعـددة، فالتعـدد في الصفات لا في الذات التي[3] يسمونهـا[4] الجوهـر، ولا في الذات والصفـة التي يسمونها الأقنوم.



(١) في أ (ثلاثة)، وفي ط (وبثلاثة) بدلاً من (بثلاث).
(٢) ما بين القوسين مكرر في ك.
(٣) (التي) ساقطة من ك.
(٤) في ط، ك (سموها) بدلاً من (يسمونها).

فصل

ردُّ تأكيدهم إقرار اليهود بالثالوث، وكفرهم بمعناه، وشرح كفر اليهود والنصارى

قالوا: فما أعظم[1] إقرارهم في الثالوث، وأشد كفرهم بمعناه.

فيقال: هذا من الافتراء الظاهر على اليهود، وإن كان اليهود[2] كفاراً فلم يكن كفرهم لأجل إنكار الثالوث، بل لو أقروا به لكان[3] زيادة في[4] كفرهم يزيد به عذابهم.

كما أن النصارى لما كفروا لم يكن كفرهم بإقرارهم بأن المسيح المبشر به الذي قد ظهر ليس هو المسيح الدجال الذي تنتظره اليهود، وإذا[5] خرج كانوا شيعته ويقتلهم المسلمون معه شر قتلة حتى إن الشجر والحجر يقول: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله[6].

بل لو كفروا بالمسيح كما كفرت اليهود لكان ذلك زيادة في كفرهم.

وعند اليهود، وعندهم[7] في التوراة من التوحيد المحض الذي[8]

---

(١) في أ، س (أوضح) بدلاً من (أعظم).

(٢) في ط (وجعلهم) بدلاً من (وإن كان اليهود)، (وإن كان اليهود) ساقطة من ك.

(٣) في ط، أ، ك (كان) بدلاً من (لكان).

(٤) (في) ساقطة من ط .

(٥) في س (إذا) بسقوط الواو.

(٦) هذا إشارة إلى حديث سبق ذكره.

(٧) في ص، أ (وعندكم).

(٨) في ط (مما)، (الذي) ساقط من ك.

يبطل تثليثكم ما لا يخفى إلَّا عمن[1] أعـرض عن ذكر الله الـذي أنزلـه، وهداه الذي هدى به عباده[2].



(1) في س (من) بدلاً من (عمن).
(2) في ط (يهدي)، وفي ك (وهدا به عباده).

فصل

رجوعهم مرة أخرى إلى التمسُّك بالتثليث لما سبق أن نقلوه وأشاروا إليه من كلام الأنبياء

قالوا: فمن أجل[1] هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة[2] أقانيم: جوهراً واحداً، إلّهاً واحداً، خالقاً واحداً.

وهو الذي نقوله[3]: أب، وابن، وروح قدس.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن في التوراة والكتب الإلّهية من إثبات وحدانية الله، ونفي تعدد الآلهة، ونفي إلّهية ما سواه، ما هو صريح في إبطال قول النصارى ونحوهم، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظاً ولا معنى، حيث يجعلون الأقنوم اسماً[4] للذات مع الصفة، والذات واحدة، والتعدد في الصفات لا في الذات.

ولا يمكن أن تتحد صفة دون الأخرى، ولا دون الذات فيمتنع اتحاد أقنوم أو حلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر، ولا إثبات ثلاثة أقانيم ولا إثبات ثلاث صفات دون ما سواها في شيء من الكتب الإلّهية، ولا كلام الحواريين، ولا إثبات إلّه حق من إلّه حق، ولا تسمية صفات الله مثل كلامه وحياته، لا ابناً، ولا إلّهاً، ولا رباً، ولا إثبات

---

(١) في ط، ك (ولأجل).
(٢) في س، أ (ثلاث).
(٣) في ط (نقول).
(٤) في أ (قسيماً).

اتحـاد[1] الرب خـالق السماوات والأرض بشيء من الآدميين، ولا حلول ذات وصفـة دون ذات مع الصفـات[2] الأخـرى، بـل[3] ولا حلول نفس الصفة القائمـة به[4] في غيـره لا[5] علمه ولا كـلامه ولا حيـاته، ولا غيـر ذلك.

بل جميع ما أثبتوه[6] من التثليث والحلول والاتحـاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه، بـل فيها أقـوال كثيرة صـريحة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل، فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة[7].

الثاني: أنهم[8] يقولون: إنما نثـبت إلٰهاً واحداً، ثم يقـولون[9] في أمانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ما هو صـريح بـإثبات ثـلاثة آلهـة فينقضون كلامهم[10] بعضهم ببعض، ويقـولـون من الأقـوال المتنـاقضـة ما يعلم بطلانه كل عاقل تصوره.

وهـذا لا ينضبط لهم قول مـطرد، كما يقـول من يقـول من عقـلاء الناس: إن النصارى ليس لهم قول يعقله عاقل، وليس أقوالهم منصوصة

(١) في س (حلول).
(٢) في س، أ (الصفة).
(٣) (بل) ساقطة من ط، ك.
(٤) في أ (به) بدلاً من (القائمة به)، في ط، ك (ببدنه) بدلاً من (القائمة به).
(٥) في ط، ك (ولا) بزيادة واو.
(٦) في س، أ (ابتدعوه).
(٧) في ك (المنزلة واحداً) بزيادة (واحداً).
(٨) في س، أ (أنكم) بدلاً من (أنهم).
(٩) في أ (ويقولون) بزيادة واو.
(١٠) في ط (كلام) بدلاً من (كلامهم).

عن الأنبياء، فليس معهم لا سمع ولا عقل[1]، كما قال الله ـ تعالى ـ عن أصحاب النار:

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

وهم أيضاً يبطنون خلاف ما يظهرون، ويفهم جمهور الناس من[3] مقالاتهم خلاف[4] ما يزعم بعضهم أنه مرادهم، فإنه قد تقدم آنفاً من استدلالهم بالتوراة، وقوله: (وكلم الله موسى من العليقة قائلاً: أنا إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب)[5]. قالوا: ولم يقل: أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل كرر اسم إله ثلاث دفوع قائلاً: أنا إله وإله وإله لتتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته، فيقال لهم: وإن كان هذا التكرير لا يقتضي إلَّا إثبات إله واحد فلا حجة لكم فيه، كما[6] لو قال أنا[7] إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإن كان يقتضي إثبات ثلاثة آلهة: فقد أثبتم ثلاثة آلهة، وأنتم تقولون: لا نثبت إلَّا إلهاً واحداً، وإن كان المعنى: إنه إله واحد موصوف بأنه معبود إبراهيم، ومعبود إسحاق، ومعبود يعقوب، فلا حجة لكم فيه على[8] التثليث والأقانيم، (بحيث[9] تجعلون الأقنوم اسماً للذات مع صفة والذات[10] واحدة، فالتعدد في

(١) في س، أ (لا عقل ولا سمع) بتقديم عقل على سمع.
(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.
(٣) (من) ساقطة من أ، ط، ك.
(٤) في أ، (حلاف) غير منقوطة.
(٥) هذا النص سبقت الإشارة إليه في ٣/ ٤٥٧.
(٦) (كما) ساقطة من ط.
(٧) في س، ك (يا) بدلاً من (أنا).
(٨) (على) ساقطة من ط.
(٩) في ط (وحيث).
(١٠) في ط (الذات) بسقوط الواو.

الصفات لا في الذات، ولا يمكن أن تتحد صفة دون أخرى، ولا دون الذات فيمتنع اتحاد أقنوم وحلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر)[1].

الوجه الثالث: قولهم: وهو الذي نقوله[2]: أب وابن وروح القدس، قد تقدم أن هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداء، ولا علموا بالعقل التثليث الذي قالوه في أمانتهم، ثم عبروا عنه بهذه العبارة، بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الأناجيل: أن المسيح ــ عليه الصلاة والسلام ــ أمر أن يعمدوا الناس بها، وحينئذٍ، فالواجب إذا كان المسيح قالها أن ينظر ما أراد بها، وينظر سائر ألفاظه[3] ومعانيها، فيفسر[4] كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيراً يناسب سائر كلامه.

/ وهؤلاء حملوا كلام المسيح والأنبياء ــ عليهم السلام ــ على شيء لا يدل عليه كلامهم، بل يدل على نقيضه فسموا كلام الله، أو علمه أو حكمته، أو نطقه ابناً، وهذه تسمية ابتدعوها لم يسم أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله باسم الابن، ولا باسم الرب، ولا باسم الإلّه، ثم لما أحدثوا هذه التسمية قالوا: مراد المسيح بالابن هو[5] الكلمة، وهذا افتراء على المسيح ــ عليه السلام ــ، وحمل لكلامه على معنى لا يدل عليه لفظه.

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من س.
(٢) في س (يقوله) بدلاً من (نقوله).
(٣) في أ (ألفاظها) بدلاً من (ألفاظه).
(٤) في أ (ليفسر) بدلاً من (فيفسر).
(٥) (هو) ساقطة من ط .

ولفظ الابن عندهم في كتبهم يراد به من رباه الله ـ تبارك[1] وتعالى ـ ، فلا[2] يطلق عندهم في كلام الأنبياء لفظ الابن قط[3]، إلاَّ على مخلوق محدث[4]، ولا يطلق إلاَّ على الناسوت دون اللاهوت، فيسمى[5] عندهم[6] إسرائيل ابناً وداود ابناً لله، والحواريون كذلك، بل عندهم في إنجيل[7] يوحنا * في ذكر المسيح إلى خاصته، أي وخاصته لم يقبلوه، والذين قبلوه أعطاهم ليكونوا أبناء الله الذي ليس من دم ولا من[8] مشبه لحم، ولا من مشبه رجل، بل[9] من الله ولد.

فهذا إخبار بأنهم يكونون جميعاً أبناء الله، وهم معترفون بأنه[10] ليس فيهم لاهوت يتحد بناسوت، بل كل منهم ناسوت محض، فعلم أن الكتب ناطقة بأن لفظ ابن الله يتناول الناسوت فقط، وليس[11] معهم لفظ ابن الله، والمراد به صفة من صفات الله.

فقولهم: إن المسيح أراد بلفظ الابن اللاهوت كذب بين عليه*[12] والمسيح لا يسمى ابناً بهذا[13] الاعتبار، وروح القدس لم يعبر

(١) (تبارك) ساقطة من أ.
(٢) في أ (ولا).
(٣) (قط) ساقطة من ط .
(٤) في ط (يحدث).
(٥) في ط (فلا يسمى).
(٦) في أ (عند) .
(٧) في س، ك (الإنجيل).
(٨) (من) ساقطة من ط .
(٩) (بل) ساقطة من س.
(١٠) في س (بأنهم) .
(١١) في س (ليس) بسقوط الواو.
(١٢) ما بين النجمتين مكتوب في ك في وريقة صغيرة ملحقة بصفحة ٣٦٥ من المخطوطة.
(١٣) في س، أ، ك (بهذه).

بها أحد من[1] الأنبياء عن حياة الله التي هي صفته، بل روح القدس في كتب الله يراد بها المَلَك، ويراد بها الهدى والوحي والتأييد، فيقال: روح الله، كما يقال: نور الله، وهدى الله، ووحي الله، ومُلَكُ الله، ورسول الله، لم يرد به أحد من الأنبياء، بقوله: روح الله، وروح[2] القدس ما يريده الإنسان بقوله: «روحي».

فالإنسان مركب من روح وبدن[3]، وفي بدنه بخار يخرج من القلب، ويسري في بدنه، وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيه، فإذا قيل: روح الإنسان فقد يراد بها الروح التي بها البخار اللطيف الذي في البدن، وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف البدن، ويدخل فيه.

والله[4] ـ تبارك وتعالى ـ ـ بإجماع المسلمين واليهود والنصارى ـ ليس هو روحاً وبدناً كالإنسان، وهو ـ سبحانه ـ أحد صمد، لا جوف له، ولا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء[5]، لا بخار، ولا هواء متردد[6].

وقد يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة، والله ـ تعالى ـ حي له حياة، لكن[7] لم ترد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بقولهم: روح القدس حياة الله، بل أرادوا به ما يجعله الله في قلوب الأنبياء

---

(١) (من) ساقطة من ط .

(٢) في س، أ (أو روح).

(٣) في أ (من بدن وروح).

(٤) في ط (الله) بسقوط الواو.

(٥) (ولا يخرج منه شيء) ساقطة من ط .

(٦) في أ (يتردد) بدلاً من (متردد).

(٧) في ط (ولكن) بزيادة واو.

ويؤيدهم[1] به، كما يراد بنور الله ذلك. قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

فضرب الله مثلاً للمؤمن الذي جعل صدره كالمشكاة، وقلبه كالزجاجة في المشكاة، ونور الإيمان الذي في قلبه، وهو نور الله كالمصباح الذي في الزجاجة، وذلك النور الذي في قلبه ليس هو نفس صفة الله القائمة به.

فتبين أن العارف كلما تدبر ما قالته الأنبياء، وما قاله أهل البدع من النصارى وغيرهم، لم يجد لهم في كلام الأنبياء إلاَّ[3] ما يدل على نقيض ضلالهم لا ما يدل على ضلالهم.

• • •

---

(١) في ط، ك (وأيدهم).
(٢) سورة النور: الآية ٣٥.
في أ كتبت آخر الآية هكذا: ﴿نور على نور كذلك يضرب الله الأمثال﴾ وهو خطأ.
(نور على نور) ساقطة من ط.
(٣) (إلاَّ) ساقطة من ط.

فصـل

ردّ زعمهم أنه لا يلزمهم عبادة ثلاثة آلهة، وأنه لا لوم عليهم في التثليث لما سبق لهم من شهادات الأنبياء

قالوا: وقد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا * هذا، عبادة ثلاثة الهة، بل إلـه واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا *[1]: الإنسان ونطقه وروحه ثلاثة[2] أناسي[3]، بل إنسان واحد، ولا إذا قلنا لهيب[4] النار وضوء النار وحرارة النار، ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا قرص الشمس، وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثة شموس، وإذا كان هذا[5] رأينا في الله تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه فلا لوم علينا، ولا ذنب لنا إذ لم نهمل ما تسلمناه ولا نرفض ما تقلدناه ونتبع ما سواه. (ولا سيما أن لنا هذه الشهادات البينات والدلائل الواضحات من الكتاب الذي أتى به هذا الرجل)[6].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنكم صرحتم بتعدد الآلهة والأرباب[7] في[8] عقيدة إيمانكم وفي استدلالكم وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلك[9] شيئاً

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٢) في أ (ثلاث) بدلاً من (ثلاثة).

(٣) في ط (أناس) بدلاً من (أناسي).

(٤) في أ (النار وليهيب) بدلاً من (لهيب).

(٥) (هذا) ساقطة من ط.

(٦) ما بين القوسين زيادة في س. وساقط من ط.
ويؤكد لنا إضافته هنا ذكر الشيخ له في الفصل التالي.

(٧) في ط، ك (الأرباب) بسقوط الواو.

(٨) في ط (عن) بدلاً من (في).

(٩) في ط (ذلكم) بدلاً من (ذلك).

ألزمكم الناس به، بل أنتم تصرحون بذلك، كما تقدم من قولكم نؤمن بإله واحد، أب[1]، ضابط الكل، خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد * المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه يولد غير مخلوق مساو الأب في الجوهر وبروح[2] القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي مع[3] الآب[4]، مسجود له وممجد.

فهذا تصريح بالثلاثة أرباب، وأن الابن إله حق من إله حق ومع[5] تصريحكم بثلاثة أرباب وتصريحكم بأن هذا إله حق من إله حق، تقولون إن ذلك إله واحد، وهذا تصريح بتعدد الآلهة مع القول بإله واحد *[6].

ولو لم تذكروا ما يقتضي أنه جوهر آخر، لأمكن أن يحمل كلامكم على عطف الصفة، لكن يكون كلامكم أعظم كفراً، فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس الإلٰه[7] الواحد الأب، خالق ما يرى وما لا يرى، وهذا أعظم من[8] كفركم مع أن هذا حقيقة قولكم، فإنكم تقولون: المسيح هو الله، وتقولون: هو ابن الله (كما ذكر الله القولين عنكم في كلامه، وكفركم بذلك، وليس هذا قول طائفة، وهذا قول

(١) (أب) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط (بروح) بدون (و).
(٣) في ط، ك (معه).
(٤) في ك (الآن).
(٥) في ط (مع) بسقوط (و).
(٦) ما بين النجمتين ساقط من س.
(٧) في ط، ك (إله) بدلاً من (الإلٰه).
(٨) في ط، ك (من أعظم) تقديم وتأخير.

طائفة)[1] كما يقوله بعض الناس، بل القولان جميعاً يقولهما[2] فرق النصارى كالنسطورية[3] واليعقوبية[4] والملكية[5] ونحوهم، وهذا أيضاً من تناقضكم، فإنه إن كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبر بالابن عن الصفة أو غيرها[6]، فإن الأب هو الذات، والذات[7] ليست هي الصفة، وإن عنى بالابن الذات مع صفة الكلام، كما تفسرون الأقنوم بذلك، فهذه الذات متصفة مع ذلك بالحياة، والكلام سواء عنوا به العلم أو البيان مع العلم هو مع الحياة قائم بالأب، والصفة ليست عين[8] الموصوف، بل ولا يعبر عنها بأنها ابن الموصوف، ولا عبر بذلك أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم، وبرب واحد يسوع المسيح عطف الصفة، وأن[9] هذا هو الأب كما قال: إلٰه إبراهيم، وإلٰه إسحاق، وإلٰه يعقوب، فهذا إلٰه واحد، والعطف لتغاير الصفة، فلو كان المراد بالابن نفس الأب لكان هذا خلاف مذهبهم، ويكونون قد جعلوه إلٰهاً من نفسه فقالوا: إلٰهان، بل ثلاثة وهو واحد.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط. وجملة (وهذا قول طائفة) الثانية ساقطة من ك.
(٢) في أ، س (تقولها)، وفي ك (يقولها) بدلاً من (يقولهما).
(٣) راجع ٣/ ٣٠.
(٤) راجع ٣/ ٥٥.
(٥) راجع ٣/ ٥٥.
(٦) (أو غيرها) ساقط من أ، س.
(٧) (والذات) ساقطة من ط.
(٨) في ط، ك (غير) بدلاً من (عين).
(٩) في س (فأن) بدلاً من (وأن).

فهذا لو أرادوه لكان أعظم في[1] الكفر، بل قالوا: وبرب[2] واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل[3] كل الدهور، نور من نور، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق فصرحوا بأنه رب، وأنه إله حق، من إله حق، وصرحوا[4] بإله[5] ثان مع الإله الأول.

وقالوا[6]: مع ذلك إنه مولود من الأب قبل كل الدهور، وأنه مولود غير مخلوق فامتنع أن يريدوا بذلك الناسوت، فإن الناسوت مخلوق.

وهم يقولون: إن[7] الكلمة هي المتولدة من الأب، والكلمة صفة المتكلم وقائمة به، والكلام ليس برب ولا بإله، بل هو كلام الرب الإله، كما أن سائر كلام الله كالتوراة والإنجيل والقرآن ليس هو الرب والإله، ثم قلتم مساو الأب في الجوهر فاقتضى هذا أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهراً وأنه مساو الأب في الجوهر والمساوى ليس هو[8] المساوي[9].

وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان[10] مساو[11] الجوهر الأول، [12]وهو

(١) في ط (من) بدلاً من (في).
(٢) في ط (برب) بسقوط (و).
(٣) (قبل) ساقطة من ط.
(٤) في س، أ، (فصرحوا) بدلاً من (وصرحوا).
(٥) في س، أ (بأنه) بدلاً من (بإله).
(٦) في ط (قالوا) بسقوط الواو.
(٧) في س، أ (إن) ساقطة.
(٨) (هو) ساقطة من ط.
(٩) في س، أ (المساوا) بدلاً من (المساوى).
(١٠) في س، أ (ثاني) بدلاً من (ثان).
(١١) في ك (مساوى) بدلاً من (مساو).
(١٢) (الذي هو الذات) زيادة قبل (وهو صريح) في ك.

صريح بإثبات إلٰهين، ويقولون مع ذلك: إنه إله واحد جوهر واحد، ولا يقال الجوهر مع العلم الذي يعبرون[1] عنه بالأقنوم مساو الجوهر الذي هو الذات، فإن الجوهر هو الذات وليس هنا جوهران، أحدهما مجرد عن العلم، والآخر متصف به، حتى يقال: إن أحدهما مساو للآخر، بل الرب ــ تعالى ــ هو الذات المتصفة بالعلم، فإن كان الأب هو الذات المجردة، فالابن أكمل من الأب، وهو الذات مع العلم، والأب بعض الابن.

وكذلك يلزمهم أن يكون الابن هو بعض روح القدس، فإنهم في أمانتهم جعلوا روح القدس هو الرب المحيي، والرب المحيي[2] هو الذات المتصفة بالحياة، والذات المجردة بعض ذلك، فإن كان الأب هو الذات المجردة فالابن[3] بعض روح القدس.

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرب المحيي أنه منبثق من الأب مسجود له[4] ممجد، ناطق في الأنبياء، فإن كان المنبثق رباً حياً، فهذا إثبات إلٰه ثالث، وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة، وفي كل منهما من الكفر والتناقض ما لا يخفى.

ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً[5] له، والمسجود له هو الإلٰه المعبود، وهذا تصريح بالسجود لإلٰه ثالث مع ما فيه من التناقض، ثم جعلتموه ناطقاً بالأنبياء[6]، وهذا تصريح بحلول هذا الأقنوم الثالث،

---

(١) في ط (تعتبرون).

(٢) (الرب المحيي) ساقطة من ط.

(٣) في ط، ك (فالأب).

(٤) (له) ساقطة من ط.

(٥) في ط، ك (سجود).

(٦) في س، أ (في الأشياء).

بجميع الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبي[1] مركباً من لاهوت وناسوت، وأنه إله تام وإنسان تام، كما قلتم في المسيح إذ لا فرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس. كلاهما أقنوم.

وأيضاً فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى، وحلول الصفة دون الذات، فيلزم أن يكون[2] الإله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي، ويكون كل نبي هو رب العالمين، ويقال مع ذلك هو ابنه وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم ما لا يخفى، وهذا لازم للنصارى لزوماً لا محيد عنه، فإن ما ثبت للشيء[3] ثبت لنظيره، ولا يجوز التفريق بين المتماثلين[4]، وليس لهم أن يقولوا: الحلول أو الاتحاد في المسيح ثبت بالنص، ولا نص في غيره، لوجوه:

أحدها: أن النصوص لم تدل على شيء من ذلك، كما قد تبين.

الثاني: أن في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه كلفظ الابن، ولفظ حلول روح القدس فيه، ونحو ذلك.

الثالث: أن الدليل لا ينعكس فلا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول، وليس كل ما علمه الله وأكرم به أنبياءه أعلم به الخلق بنص صريح، بل من جملة الدلالات دلالة الالتزام.

وإذا ثبت الحلول والاتحاد في أحد النبيين بمعنى مشترك بينه وبين النبي الآخر، وجب التسوية بين المتماثلين، كما إذا[5] ثبت أن النبي

---

(١) في س، أ (شيء).

(٢) (أن يكون) ساقطة من ط.

(٣) (ثبت للشيء) ساقطة من ط.

(٤) في ط (الماثلين).

(٥) في ط (إذ).

يجب تصديقه لأنه[1] نبـي.

ويكفر[2] من كذبـه لأنه نبـي فيلزم من ذلـك أنه[3] يجب تصـديق كل نبـي وتكفير من كذبه.

الرابع: هب أنه لا دليل على ثبوت ذلك في الغيـر، فيلزم تجويـز ذلك في الغير إذ لا دليل على انتفائه، كما يقولون: إن ذلك كان ثابتاً في المسيح قبل إظهاره الآيات على قـولهم[4]، وحينئذ فيلزمهم أن يجـوزوا في كل نبـي أن يكون الله قد جعله إلـٰهاً تاماً وإنساناً تـاماً كـالمسيح وإن لم يعلم ذلك.

الخامس: أنه[5] لو لم يقع ذلك، لكنه جائز عندهم، إذ لا فرق في قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الآدميين، فيلزمهم تجويـز أن يجعل الله كل إنسان إلٰهاً تاماً وإنسـاناً تـاماً ويكـون كل إنسـان مركبـاً من لاهوت وناسوت، وقد تقرب إلى هذا الـلازم الباطـل من قال بـأن أرواح بني آدم من ذات الله، وأنها لاهوت قديم أزلي فيجعلون نصف كل آدمي لاهوتاً، ونصفه ناسـوتاً[6]، وهؤلاء يلزمهم من المحـالات أكثر ممـا يلزم النصـارى من بعض الوجـوه، والمحـالات التي تلزم النصـارى أكثـر من بعض الوجوه.

الوجه الثاني[7]: قولهم: ولا يلزمنا إذا قلنا هذا عبادة ثلاثة آلهـة بل

---

(١) في ط (لأن).

(٢) في ط(ربه ويكفر) بزيادة (ربه).

(٣) (أنه) ساقطة من ط.

(٤) (على قولهم) ساقطة من ك.

(٥) (أنه) ساقطة من ط.

(٦) (ونصفه ناسوتاً) ساقطة من ط.

(٧) سبق الوجه الأول في أول هذا الفصل.

إله واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان وروحه ونطقه ثلاث أناسي، ولا إذا قلنا: النار وحرها وضؤها ثلاث نيران، ولا إذا قلنا: الشمس وضوؤها وشعاعها ثلاث شموس.

فيقال: هذا تمثيل باطل لوجوه:

أحدها: أن حر النار وضؤها القائم بها ليس ناراً من نار، ولا جوهراً من جوهر، ولا هو[1] مساوي النار والشمس في الجوهر، وكذلك نطق الإنسان ليس هو إنساناً[2] من إنسان، ولا هو مساو الإنسان في الجوهر، وكذلك الشمس وضوؤها القائم بها وشعاعها القائم بها ليس شمساً ولا جوهراً قائماً بنفسه، وأنتم قلتم إله حق من إله حق، فقلتم في الأمانة: (نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه مساوى الأب في الجوهر). وقلتم في روح القدس: (إنه رب ممجد مسجود له)[3] فأثبتم ثلاثة أرباب.

والثاني[4]: أن الضوء في الشمس والنار يراد[5] به نفس الضوء القائم بها، ويراد به الشعاع القائم بالأرض والجدران، وهذا مباين لها ليس قائماً بها، ولفظ النور يعبر به عن هذا وهذا، وكلاهما صفة قائمة بغيرها وعرض، وقد يراد بلفظ النور نفس النار ونفس الشمس والقمر،

(١) (هو) ساقطة من ك.

(٢) في س، أ (إنسان).

(٣) في س، أ (أنه مسجود له ممجد).

(٤) في ط (الثاني) بسقوط الواو.

(٥) في ك (فيراد).

فيكون النور جوهراً قائماً بنفسه، وإذا[1] كان كذلك فهم جعلوا الأب رباً جوهراً قائماً بنفسه * والابن أيضاً رباً جوهراً قائماً بنفسه[2]، وروح القدس رباً جوهراً قائماً بنفسه *[3].

ومعلوم أن ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما[4] شمساً وناراً قائماً بنفسها، ولا جوهراً قائماً بنفسه، فلو أثبتوا حياة الله وعلمه أو [5] كلامه صفتين قائمتين به ولم يجعلوا هذا رباً جوهراً قائماً بنفسه، وهذا رباً جوهراً قائماً بنفسه لكان قولهم حقاً وتمثيلهم مطابقاً، ولكنهم لم يقتصروا على مجرد جعلهما صفتين لله حتى جعلوا كلا منهما رباً وجوهراً وخالقاً، بل صرحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتحاد أحدهما به إلهاً واحداً وخالقاً، فلو كان نفس كلمة الله وعلمه لم يكن[6] إلهاً خالقاً، فإن كلام الله وعلمه ليس إلهاً خالقاً، فكيف والمسيح مخلوق بكلمة الله، ليس هو نفس كلمة الله؟

الوجه الثالث: أن قولهم الشمس وشعاعها وضوؤها، إن أرادوا بالضوء ما يقوم بها، وبالشعاع ما ينفصل عنها فليس هذا مثال النار وحرها ولهبها إذ كلاهما يقوم بها، وعلى هذا فالشمس لم تقم بها إلاّ[7] صفة واحدة لا صفتين، فلا يكون التمثيل بها مطابقاً، وإن أرادوا بالضوء والشعاع كلاهما ما يقوم بها، أو كلاهما، ما ينفصل عنها فكلاهما صفة

---

(١) في س، أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٢) من النجمة السابقة إلى هنا ساقط من س.
(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ.
(٤) في أ (منها).
(٥) في س، أ (و).
(٦) في س، أ، ك، وط (تكن).
(٧) في ط (إلى).

واحدة ليس هما صفتان كالحياة والعلم، فعلم أن تمثيلهم بالشمس خطأ، وبعضهم يقول: الشمس وحرها وضوؤها، كما يقولون مثل ذلك في النار.

وهذا التمثيل أصح لو ثبت أن في جرم الشمس حرارة تقوم بها[1] فإن هذا لم يقم عليه دليل، وكثير من العقلاء ينكره، ويزعم أن جرم الشمس والقمر والكواكب لا توصف بحرارة ولا برودة[2]، وهو قول أرسطو[3] وأتباعه.

وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونطقه، فإن أرادوا بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا بالروح التي تفارق بدنه بالموت وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليس عرضاً من أعراضه، وحينئذ فيلزم أن تكون[4] روح الله جوهراً قائماً بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان ويكون الرب سبحانه وتعالى[5] مركباً من بدن وروح كالإنسان، وليس هذا قول أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهود ولا[6] النصارى بل هو كفر عندهم[7]، فتبين أن تمثيلهم بالثلاثة باطل.

والوجه الرابع[8]: أن التمثيل إما أن يقع بصفات الشمس والنار والإنسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر أو بما هو مباين لذلك، كالضوء

---

(١) (بها) ساقطة من ط.
(٢) في س، أ (ببرودة) بزيادة (ب).
(٣) أرسطو. سبقت ترجمته.
(٤) في س، أ (يكون).
(٥) (سبحانه وتعالى) ساقطة من س.
(٦) (لا) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) (بل هو كفر عندهم) ساقطة من أ، و ط.
(٨) في س، أ، ك (الوجه) بسقوط (و).

الـذي يقع على الأرض والحيـطان والهواء، وغيـر ذلك من الأجسـام إذا قابلت الشمس أو النار أو الإنسان أو النفس القائمـة بهذه الجـواهر[1] فـإن أريـد هذا[2] فهـذا شعاع[3] منعكس، وضـوء[4] منقلب، وليس[5] صفـة قائمة بالشمس والنار.

وإذا أريد بما حل في المسيح هذا[6]، وهذا يسمى[7] نوراً وروحاً ويسمى نور الله كما قال ــ تعالى ــ[8]:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[9].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[10].

فأخبرنا أنه جعل الروح الذي أوحاه نوراً يهدي به من يشاء.

---

(١) (أو الإنسان أو النفس القائمة بهذا الجوهر) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) في ط (بهذا) بدلاً من (هذا).

(٣) في أ، س (الشعاع).

(٤) في س، أ (وهو ضوء) بزيادة (وهو).

(٥) في س، أ، ك (ليس) بسقوط (و).

(٦) في ط (فهذا).

(٧) في ك (ويسمى) بزيادة (و).

(٨) (تعالى) ساقطة من ك.

(٩) سورة النور: من الآية ٣٥.

(١٠) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[4].

فإذا أريد ما حل في المسيح من الروح والكلمة بهذا[5] المعنى فلا اختصاص للمسيح بذلك، فإن هذا يحل في جميع الأنبياء والمؤمنين، وإن كانوا متفاضلين فيه بحسب درجاتهم، وليس هذا الحال فيهم نفس صفة الله القائمة به، وإن كان ذلك حاصلاً عنها ومسبباً عنها، لكن ليس هو نفس صفة الله وإن كان من الناس من يقول: بل صفة الله التي اتصف بها حلت في العبد. فهذا القول خطأ، فإن صفة الموصوف القائمة به يمتنع[6] قيامها بعينها بغيره. ولكن الإنسان إذا تعلم علم

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢. في س، ك، ط كتبت الآية هكذا: ﴿أولئك الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان...﴾ وهو خطأ.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.

(٣) سورة الحديد: من الآية ٢٨.

(٤) سورة النور: من الآية ٤٠.

(٥) في أ (هذا) بسقوط (بـ).

(٦) في ط (يمنع) بدلاً من (يمتنع).

غيره، وبلغ كلام غيره يقال: هذا علم فلان، وكلامه لأن هذا الثاني بلغه عنه. والمقصود هو علم الأول، وكلامه مع العلم بأن نفس ما قام بذات الأول ليس هو عين ما قام بذات الثاني، وإن كان قد يكون مثله، وقد يكون الأول هو المقصود بالثاني مثل من بلغ كلام غيره، فكلام المبلغ هو المقصود بالتبليغ.

وصفات المبلغ كحركته وصوته التي[1] بها يحصل التبليغ، ليس هو نفس المقصود، وإذا قيل هذا كلام المبلغ عنه، فالإشارة إلى حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ، لا إلى ما يختص به المبلغ من أفعاله وصفاته، ولهذا شبه الناس من قال بحلول صفة الرّب في عبده بالنصارى القائلين بالحلول وهو شبيه بهم من بعض الوجوه.

لكن النصارى لا يقولون بحلول صفة مجردة، بل بحلول الأقنوم الذي هو ذات متصفة بالصفة، ويقولون: إن المسيح خالق ورازق، وهو خالق آدم ومريم، وهو ولد آدم ومريم، وهو خالق لهما بلاهوته ابن لهما بناسوته.

ويقولون: هو ابن الله، وهو الله بلاهوته، ويقولون أيضاً: باللاهوت والناسوت لأجل الاتحاد، والله كفرهم بقولهم: (إن الله هو المسيح ابن مريم). ونحو ذلك.

وإن أرادوا بتمثيلهم بصفات الشمس والنار والنفس التمثيل بنفس ما يقوم بالشمس والنار والنفس من الضوء والحياة والنطق، وجعلوا ما يثبتونه[2] من الأب والابن وروح القدس صفات الله، كما أن هذه

---

(١) (التي) ساقطة من ط.

(٢) في س، ك (ما يثبتون).

صفات لهذه[1] المخلوقات.

قيل لهم أولاً: لم يعبر أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عن صفات الله باسم الأب[2] والابن وروح القدس، فليس لكم إذا وجدتم في كلام المسيح ـ عليه السلام ـ، أو غيره من الأنبياء ذكر الإيمان بالأب والابن وروح القدس أن تقولوا[3] مرادهم بذلك صفة الله التي هي الكلمة والعلم، ولا حياة الله، إذ كانوا لم يريدوا هذا المعنى بهذا اللفظ، وإنما أرادوا باسم الابن وروح القدس ما هو بائن عن الله ـ عز وجل ـ.

والبائن عن الله ليس صفة لله، فضلاً عن أن يكون هو الخالق، فضلاً عن أن يكون البشر المتحد به خالقاً، فقد ضللتم ضلالاً بعد ضلال، ضلالاً حيث جعلتم مراد المسيح وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب، ثم ضلالاً ثانياً حيث جعلتم الصفة خالقاً ورباً، ثم ضلالاً ثالثاً حيث جعلتم الصفة تتحد ببشر هو عيسى، ويسمى المسيح ويكون هو الخالق رب العالمين فضللتم في الحلول ضلالاً مثلثاً بعد ضلالكم في التثليث أيضاً ضلالات أخر، حيث أثبتم ثلاث صفات دون غيرها، وجعلتموها جواهراً أرباباً، ثم قلتم إلّه واحد فضللتم ضلالاً مثلثاً في التثليث، وضلالاً مثلثاً في الاتحاد.

وقيل لكم ثانياً: إذا جعلتم ذلك صفات لله[4]، كما أن الضوء والنطق والحرارة صفات لما تقوم بها امتنع أن تحل بغيرها، وامتنع مع

---

(١) في أ (بهذه).
(٢) (الأب و) ساقط من س، ك.
(٣) في س، أ، ك (يقولوا) بدلاً من (تقولوا).
(٤) في ط (الله) بدلاً من (لله).

الحلول أن تكون فاعلة فعل النار والشمس والنفس، وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالة بغير الله، وجعلتم ما يحل به إلّهاً خالقاً، بل هو الإلّه الخالق، ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا يجعل ما يحصل فيه ضوء النار ناراً، ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمساً، ولا ما يحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد، فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفاً لتمثيلكم.

وتبين بذلك أن ما ذكرتموه لا يطابقه شيء من الأمثلة، إذ كان كاملاً باطلاً متناقضاً يمتنع تحققه، فلا تمثيل[1] بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة، إلّا كان تمثيلاً غير مطابق.

ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارةً بحلول الماء في الظرف، وتارةً بحلول النار في الحديد، وتارةً بالنفس والبدن، وتارةً يقولون بأنهما جوهر واحد اختلطا كاختلاط الماء واللبن، وكل هذه الأمثال التي ضربوها لله أمثال باطلة، فإن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاج إلى وعائه لو انخرق وعاؤه لتبدد، وهو محيط به[2] ولا يتصف الظرف بشيء من صفات الماء، والرب ـ تعالى ـ يمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته لا إلى العرش، ولا إلى[3] غيره، أو يحيط به شيء من الموجودات إذ هو الظاهر، فليس فوقه شيء.

كما ثبت في الصحيح[4]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،

---

(١) في أ (يمثل).

(٢) (به) ساقطة من ط، س.

(٣) (إلى) ساقطة من ط، أ، ك.

(٤) في ط، س، ك، (الصحيحين).

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1]، فهو[2] غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ولهذا[3] لم يكن ما وصف الله[4] به نفسه مماثلاً لصفات المخلوقين، كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو[5] مستوٍ على عرشه، كما أخبرنا عن[6] نفسه مع غناه عن العرش.

والمخلوق[7] المستوي على السرير أو الفلك أو الدابة لو ذهب ما تحته لسقط لحاجته إليه، والله غني عن كل ما سواه، وهو الحامل بقدرته[8] للعرش ولحملة العرش.

وفرق النصارى الثلاثة يقولون بالاتحاد فلا ينفعهم التمثيل بحلول الماء في الظرف، ولو قدر أنهم قالوا بالحلول المجرد مع أن الرب لا يحتاج إلى الناسوت لا[9] يحويه ولا يمسه، بل كما خاطب موسى من الشجرة، فهذا يوجب أن الناسوت لا يتصف بشيء من الإلٓهية كالشجرة،

(١) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب الذكر ٤٨ ـ باب ١٧ ـ حديث رقم ٦١ ـ عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام. . . الحديث بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٢/٥٣٦ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. الحديث بلفظه.

(٢) في أ (وهو).

(٣) في أ (هذا).

(٤) في ط، س، ك سقط لفظ الجلالة (الله).

(٥) في ط (فهل).

(٦) في ك (عنه).

(٧) في أ (فالمخلوق).

(٨) (بقدرته) ساقطة من ط، س، ك.

(٩) في أ (ولا) بزيادة واو.

ثم إنه معلوم بالضرورة أن الصوت الذي كان يسمع هو صوت الناسوت، فالتمثيل بالشجرة أيضاً باطل، كما بسط في موضعه.

وأما الحديد والخشب وغيرهما إذا ألقى في النار فإنه يستحيل ناراً لاتصاله بالنار، لا أن النار الذي استحال إليها كانت موجودة فحلت به، فهذا[1] استحالة بلا حلول. والنار الذي صارت في الحديد حادثة عن تلك النار[2] ليست إياها، ثم تلك الحديدة إذا طرقت وقع التطريق على النار، وكذلك إذا ألقيت في الماء، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً لكان[3] الضرب والصلب[4] والإهانة وقع على اللاهوت، وكان[5] اللاهوت هو الذي يغتسل بالماء، وهو الذي يأكل ويشرب، وهذا من أعظم الكفر.

ويحكى عن بعض[6] طائفة منهم ـ كاليعقوبية ـ أنه[7] يقول: بهذا الكفر، وإن كان كثير منهم كالملكية والنسطورية ينكره، فهو لازم لهم، وكذلك إذا شبهوه بالنفس والبدن، فإن النفس تتألم تألم البدن، وتستحيل صفاتها بكونها[8] في البدن، وتكتسب عن البدن أخلاقاً، وصفات، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً لزم تألم اللاهوت بآلام البدن، وأن يكون متألماً بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه، وأن يكون مستحيلاً لما

---

(١) في ط (هنا)، وفي س، ك (فهنا).
(٢) في أ (الحرارة).
(٣) في أ (كان).
(٤) (الصلب) ساقطة من س، ك.
(٥) في أ (فكان).
(٦) (بعض) ساقطة من أ.
(٧) في أ (أنهم).
(٨) في أ (لكونها).

اكتسبه من صفات الناسوت الذي هو[1] عندهم بمنزلة البدن للنفس، وأما قولهم إذ لم نهمل ما تسلمناه، ولم نرفض ما تقلدناه فقولهم في ذلك بمنزلة قول اليهود للمسيح: إنّا لا نهمل ما تسلمناه، ولا نرفض ما تقلدناه من موسى ـ عليه السلام ـ.

وجواب الطائفتين من وجهين:

أحدهما: أنكم بدلتم وحرفتم الكتاب الذي أنزل إليكم، والشرع الذي شرع لكم، وتبديل[2] المعاني والأحكام لا ريب فيه عند جميع عقلاء الأنام، وما كان عليه اليهود بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه موسى ـ عليه السلام ـ، وما كان عليه النصارى بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه المسيح ـ عليه السلام ـ.

والثاني: أنكم كذبتم بالكتاب الآخر، والرسول الآخر الذي أرسل إليكم[3] ومن كذب ما أنزل إليه من ربه، والرسول الذي أرسل إليه كان كافراً مستحقاً لعذاب الدنيا والآخرة، وإن كان قبل ذلك متبعاً لشرع رسول[4]، وكتاب غير مبدل، فكيف إذا كان قد بدل ما بدل[5] من أحكامه ومعانيه؟

● ● ●

(١) (هو) ساقطة من ط.
(٢) في ط (وتدليل).
(٣) (إليكم) ساقطة من ط.
(٤) (رسول) ساقطة من أ، في ط (رسول الله) بزيادة لفظ الجلالة (الله).
(٥) (ما بدل) ساقطة من ط.

فصل

إسقاط احتجاجهم بشيء من القرآن مرة أخرى على باطلهم وأنَّ القرآن يؤخذ كلّه

وأما قولهم: ولنا هذه الشهادات والدلائل من الكتاب[١] الذي في أيدي هؤلاء القوم.

فيقال: لا يصح استشهادهم بهذا الكتاب، واستدلالهم به بوجه[٢] من الوجوه، فإن[٣] الذي قد[٤] جاء به، قد[٥] تواتر عنه أنه أخبر أنه[٦] مرسل إليهم، وأنهم كفار[٧] إذا لم يؤمنوا به، مستحقون للجهاد، ومن لم يستحل جهادهم فهو كافر، والقرآن مملوء بكفرهم، فإن كان هذا رسولاً من الله، وقد أخبر بكفرهم ثبت أنهم كفار.

فإن الرسول لا يقول على الله إلاَّ حقاً لا يكذب على الله في شيء، ومن كذب على الله ولو في كلمة واحدة، فهو من الكذابين المفترين على الله الكذب، مستحق لعقوبة الكذابين، كما[٨] قال

---

(١) يقصدون القرآن الكريم.

(٢) (بوجه) ساقطة من ط.

(٣) في ط، س، ك (فإنه).

(٤) (قد) ساقطة من أ.

(٥) في ط (وقد) بزيادة واو.

(٦) (أنه) ساقطة من ط.

(٧) في س، ك (كفاراً).

(٨) (كما) ساقطة من س، ك.

ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾(١).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٤).

فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذباً على الله لم يكن كتاب الله، ولم يكن جاء به رسول الله، فإن الكاذب قد يصدق في أكثر

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) سورة الشورى: من الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٤) سورة يونس: الآيتان ١٥، ١٦.

في أ (بقربان) بدلاً من (بقرآن).

ما يقوله، لكن إذا كذب في بعض ما يقوله كان كاذباً، والله ـ تعالى ـ لا يرسل من يكذب عليه، فإن المخلوق لا يرضى أن يرسل[1] من يعلم أنه[2] يكذب عليه، ولو فعل ذلك دل على جهله أو عجزه[3]، فكيف يرسل رب العالمين من يعلم أنه يكذب عليه.

وحينئذ فمتى كذبوا بكلمة واحدة مما في الكتاب لم يصح استشهادهم واستدلالهم بشيء مما في الكتاب، وإن[4] صدقوا بالكتاب كله لزمهم الإيمان بما جاء به واتباع شريعته، والاعتراف بكفر الذين كذبوه، وكفر الذين يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة.

وهذا بخلاف من آمن بالرسول، ولم يثبت عنده بعض ما نقل عنه، أو لم[5] يعرف معناه فإن هذا لا يقدح في أصل إيمانه بالرسول[6].

فالمسلمون إذا كذّبوا ببعض ما نقل عن موسى والمسيح فهو لطعنهم في الناقل، لا في النبي المنقول عنه.

وأما النصارى فيعلمون أن محمداً جاء بالقرآن فطعنهم في بعضه طعن في الرسول نفسه وكفر به، وليس هذا بمنزلة ما مثلوا به من الوثيقة التي كتب وفاؤها في ظهرها، فإن الذي له الدين[7] أقر بالاستيفاء المسقط له، فلم يبق هناك حق له يدعيه، بخلاف ما يخبر به الذي

---

(١) في س (يعلم).

(٢) (يعلم أنه) ساقطة من ك، س، أ.

(٣) في أ (وعجزه).

(٤) في أ (فإن).

(٥) في س، (لو لم).

(٦) (الرسول) ساقطة من أ.

(٧) في أ (التين).

يقول: إنه رسول الله، فإنه يقول: إن الله أنزل عليّ هذا الكتاب كله، وأرسلني بكذا وكذا إلى كذا وكذا، فإن كذب في شيء مما أخبر به عن الله لم يكن الله أرسله، فإن الذي أرسله هو الذي جعله يبلغ عنه ما يقوله بلا زيادة ولا نقص، وإرسال الله للرسول يتضمن شيئين:

إنشاء الله للرسالة[1]، والله حكيم، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته[2] لا يجعلها إلَّا فيمن هو من[3] أكمل الخلق وأصدقهم.

ويتضمن إخبار الله عنه بأنه صادق عليه، فيما يبلغه عنه مما يقول إن الله أرسله به فكما صدقه بالآيات المعجزات في قوله: إنه أرسلني، فقد صدقه بما يقول إنه أرسلني به، إذ التصديق بكونه أرسله من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الإرسال.

والله ـ تعالى[4] ـ عليم بما يشهد به لمن أرسله بخلاف المخلوق الذي يبعث من يظنه يصدق فيما يبلغه عنه، فيظهر أنه كذب عليه، والله يعلم عواقب الأمور، والرسالة صادرة من علمه وحكمته، وهو عليم حكيم[5]، ومن يكذب على الله ولو في كلمة لم يبلغ عنه ما يقوله على هذا الوجه[6] فلا يكون رسوله.

ولهذا اتفق أهل الملل على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله، لا يكذبون عليه عمداً ولا خطأ، فإن هذا مقصود الرسالة فكان تمثيل هذا بالوثيقة تمثيلاً باطلاً، فإن المدعى للإسقاط لم يدع كلاماً

---

(١) في أ (إنشاء الرسالة).

(٢) في ط (رسالته).

(٣) (من) ساقطة من س، ك.

(٤) (تعالى) ساقطة من ط، س، ك.

(٥) (حكيم) ساقطة من ط.

(٦) (الوجه) ساقطة من أ.

متناقضاً، بل قال: أقررت بهذا[1] الدين، ثم وفيتك إياه وأنت تقر بوفائه، وإقرارك مكتوب في ظهرها، فليس لك أن تحتج بإقراري بالدين[2] دون إقرارك بالوفاء، بل إما أن تعتبر ما في الوثيقة من إقراري وإقرارك وإما أن تبطل الأمرين المتعارضين[3].

وهذا كلام عدل كالشريكين المتفاوضين مثل شريكي العنان، إذا قال لصاحبه: إن حصل[4] ربح فهو لي ولك، وإن لم يحصل ربح فلا لي ولا لك.

وكذلك البائع والمؤاجر الذي يقول: إن كان بيننا معاوضة فعليك تسليم ما بذلته، وعلي تسليم ما بذلته، لا يستحق هذا إلاَّ بهذا، فهذا كله كلام عادل وإنصاف، بخلاف الشخص الذي يقال فيه: إنه رسول الله، والكتاب الذي يقال: إنه كلام الله، وأن الله أنزله، فإن هذا إن كان رسولاً صادقاً فجميع ما بلغه من الله حق، وإن كان كاذباً لم يكن الله أرسله، فجميع ما بلغه عن الله كذب على الله، فلا يجوز بمجرد خبره أن ينسب إلى الله شيء ولا يحتج بما يخبر[5] به عن الله على شيء.

ألا ترى أن من ادعى الرسالة وعلم أنه كاذب كالأسود العنسي[6]

---

(١) (بهذا) ساقطة من ط.
(٢) في ط (بإقرار الدين).
(٣) في ط (المتفاوضين).
وفي أ (والمتعارضين) بزيادة واو.
(٤) في أ (تحصل).
(٥) في ط (يخبره).
(٦) الأسود العنسي: هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي ذو الخمار، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة، وتغلب على نجران =

ومسيلمة الكذاب[1] وطليحة الأسدي[2]، والحارث الدمشقي[3]، وبابا الرومي[4]، وغير هؤلاء لا يجوز لأحد أن يحتج بشيء مما ذكروا أن الله أرسلهم به، وإن كان ذلك القول قد علم * أنه حق من جهة أخرى، فإنه قد علم بكذبهم أن الله لم يرسلهم، فأي شيء قالوا إن الله أنزله[5] عليهم كانوا[6] كاذبين فيه، ومتى[7] علم أنه كاذب في نفس الخبر المعين لم يجز أن يحتج بجنس الذي علم أنه كذب فيه.

وكذلك[8] لو قال رجل عندي أن موسى أو داود أو المسيح (كذبوا على الله في بعض ما يخبرون به عن الله، كانوا بمنزلة)[9] من لم يرسلهم الله بشيء. لكن كذبوا في قولهم إن الله أرسلهم، فإذا أراد مع هذا أن يحتج بما ينقل من التوراة والزبور والإنجيل عن الله كان متناقضاً، وكان احتجاجه باطلاً غير مقبول، بل لو قال: أنا أشك في بعض ما أخبروا به عن الله، هل كذبوا فيه أم لا؟ كان كذلك شكاً في أن الله أرسلهم، فإن من أرسله الله[10] لا يكذب في شيء لا خطأ ولا عمداً، ومع شكه في

وصنعاء واتسع سلطانه إلى ما بين حضرموت والطائف والبحرين والإحساء وعدن، وكان مقتله قبل وفاة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بشهر واحد.
انظر: والبداية والنهاية ٦/٣٠٧؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٩٩.

(١) سبقت ترجمته.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) سبقت ترجمته.
(٤) بابا الرومي: لم نقف له على ترجمة.
(٥) في ط (أنزل).
(٦) (كانوا) ساقطة من ط.
(٧) في س (من).
(٨) في ط (كذلك) بسقوط الواو.
(٩) ما بين القوسين ساقط من ط، س.
(١٠) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).

ذلـك لا يجوز أن يحتـج بشيء مما ينقلونـه عن الله لتجـويـز أن يكـونـوا كاذبين في نفس ذلك الذي نقلوه عن الله، وليس هذا مثل رسول الـواحد من الآدميين، فـإنه قـد يكـون أرسله، ثم أن الـرسـول صـدق في بعض ما بلغه عن[1] مرسله، وكذب في البعض.

ويجوز على الآدمي أن يرسل من يكذب عليه لعدم علمه بكذبـه، أو عدم[2] حكمته في إرساله.

وأما الرب ـ تعـالى ـ : فلا يجـوز أن يرسـل نبياً[3] يكـذب عليه لا عمـداً، ولا خطأ، وكـذلك الشـاهد والمخبـر الذي قـد علم أنـه تـارة يصدق وتارة يكـذب[4] يمكن أن يستدل ببعض أخبـاره الذي يـظهر فيهـا صدقه لدلالات تقترن بذلك، بخلاف الرسول فإنه إذا كذب كذبة واحدة امتنع أن يكون الله أرسلـه، فصـار جميع ما يبلغـه عن الله[5] هو كـاذب في أن[6] الله أرسله بـه، فكذبـه في كلمة واحـدة يوجب أنـه كـاذب في جميع ما بلغه عن الله، وأن جميع ما حكاه ورواه عن الله قـد كذب فيـه، وإن قدر أن ذلك الكلام في نفسه حق، لكن تبليغه عن الله ونقله وروايته وحكايته عن الله كذب على الله *[7].

(١) في ط (من).
(٢) في أ (لعدم).
(٣) في ط (من).
وفي س، أ (نبـي) بدلاً من (نبياً).
(٤) في س تقديم وتأخير (تارة يكذب وتارة يصدق).
(٥) في ط (قدر) بدلاً من (الله).
(٦) (أن) ساقطة من س.
(٧) مـا بين النجمـة والنجمـة الأخـرى التي في الصفحـة السـابقـة سقـطت ورقتهـا من المخطوطة (ك) بالرغم من سلامة الترقيم إلا أن هناك إشارة إلى وريقة لعل فيها هـذا الكلام الناقص ولم نجدها.

وقد أخبر الله أنه ينسخ ما يلقيه الشيطان، مما يناقض مقصود التبليغ بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[١].

وإن قالوا: خبره يناقض بعضه بعضاً، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا أيضاً إن كان حقاً، فإنه[٢] يقدح في رسالته، فإن الرسول لا يناقض بعض خبره بعضاً، ومن كان كذلك لم يصح لكم أن تحتجوا بشيء مما جاء به، وإن كان باطلاً لم يرد عليه.

فعلم أن استدلالهم بما في هذا الكتاب على صحة دينهم الذي خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد، وهو جمع بين النقيضين[٣] واستدلال بما في الكتاب على ما يوجب بطلان الاستدلال بشيء مما في الكتاب.

وإذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل، بطل

---

(١) سورة الحج: الآيات ٥٢ ــ ٥٥.
في أ في آخر الآية (عظيم) بدلاً من (عقيم) وهو خطأ.

(٢) (فإنه) ساقطة من س، ك.

(٣) في ط (النقضين) بدلاً من (النقيضين).

الاستدلال بذلك الدليل، الذي لا يصح إلَّا بصحة مقدماته، فإذا كانت مقدمته لا تصح إلَّا مع فساد نتيجته، ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعاً بين النقيضين[1].

وكذلك من استدل بشيء من الكتاب على ما يناقض ما في الكتاب، كاستدلال النصارى بآيات فيه على صحة دينهم، كان تناقضاً[2]، فإنه إن صح ذلك الدليل، بأن مدح[3] دينهم مع ذمه كان متناقضاً، والكتاب[4] المتناقض لا يكون كتاب الله.

وإن فسد أحدهما، إما فساد دينهم، وإما فساد مدحه. فالكتاب الذي فيه فساد لا يكون كتاب الله، فيلزم أن لا يكون كتاب الله على التقديرين، فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبر الله، وأما الاستدلال به من جهة كون المتكلم به رجلاً عالماً حكيماً، وهذا لا يفيد العلم، إذ ليس معصوماً إلَّا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والنصارى يجوزون أن يكون معصوماً غير الأنبياء، فبتقدير أن يكون كذلك فهو حجة عليهم، وإن قالوا: هو رجل عالم ليس برسول من الله، قيل لهم: فهذا قوله ليس بحجة لجواز أن يخطىء، ولكن يعتضد بقوله، وأما إذا ادعى أن الله أرسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله، فهذا كذاب لا يحتج بشيء من كلامه، ولا يكون مثل هذا عدلاً

---

(١) في أ (المتناقضين) بدلاً من (النقيضين).

(٢) في أ (متناقضاً).

(٣) في أ (يمدح) بزيادة (ي).

(٤) في س (فالكتاب).

فضلاً عن أن يكون حكيماً، بل هو من الذين افتروا على الله كذباً:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾[1].

والجواب الثاني: أنا قد بينا أن ما ذكروه لا يناقض شيئاً مما أخبر به، وأنه ليس في هذا الكتاب تناقض يحتجون به بوجه من الوجوه.

وأما قولهم: وأعظم حجتنا ما وجدناه فيه من الشهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

فيقال: بل ما ذكروه حجة عليهم لا لهم، فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وخبر الله حق، ووعد الله صدق، والله[2] لا يخلف الميعاد، فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم.

ثم لما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالدين الذي بعث به المسيح، وسائر الأنبياء قبله، وكان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ، مصدقاً لما جاء به المسيح، وكان المسيح[4] مبشراً برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد» صارت أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أتبع للمسيح ـ عليه السلام ـ من النصارى الذين[5] غيروا شريعته، وكذبوه فيما بشر به، فجعل الله أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[6] ـ فوق النصارى إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٣.

(٢) سقط من س، ك لفظ الجلالة (الله).

(٣) (صلَّى الله عليه وسلَّم) ساقطة من أ.

(٤) (وكان المسيح) ساقطة من ط.

(٥) في أ (الذي) بدلاً من (الذين).

(٦) (صلَّى الله عليه سلَّم) ساقطة من أ.

كما جعلهم ـ أيضاً ـ فوق اليهود إلى يوم القيامة، والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين المسيح، لكنهم أتبع له من اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبّه، فإنهم كذبوه أولاً، وكذبوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ ثانياً، فصاروا أبعد عن متابعة[2] المسيح من النصارى[3] فكانوا مجعولين فوق اليهود.

والمؤمنون[4] أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، هم المتبعون للمسيح ـ عليه السلام ـ، ومن سواهم كافر به[5]، فأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة.

ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون[6] النصارى غلبوهم، وأخذوا منهم خيار الأرض: الأرض[7] المقدسة، وما حولها من مصر والجزيرة، وأرض المغرب[8] ولم يزل المسلمون منتصرين على النصارى، ولا يزالون إلى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين،

---

(١) (صلَّى الله عليه سلَّم) ساقطة من س، أ، ك.
(٢) (متابعة) ساقطة من ط.
(٣) في ط (اليهود) بدلاً من (النصارى).
(٤) في ط (والمؤملون) بدلاً من (المؤمنون).
(٥) (به) ساقطة من أ.
(٦) في س (يقاتلوا) بدلاً من (يقاتلون).
(٧) (الأرض) ساقطة من أ.
(٨) في ط، س، ك (العرب) بدلاً من (المغرب).
أرض المغرب: هي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود أفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس.
انظر: معجم البلدان ١٦١/٥.

وإنما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم، ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم.

ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح ـ عليه السلام ـ، والمسلمون كفاراً به لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين، لأن جميع المسلمين ينكرون إلٰهية المسيح ويكفرون النصارى، فعلم أن المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى.



انتهى المجلد الثالث

ويليه المجلد الرابع وأوله:

فصل [تفسيرهم لتجسيم كلمة الله]

فهـرس موضـوعات

الموضوع	الصفحة



الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلّد الرّابع

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

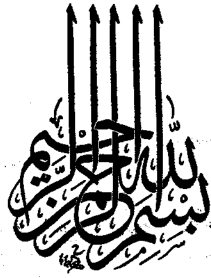
الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

(٤)

الطّبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



فصل

تفسيرهم لتجسُّم كلمة الله بالمسيح، وأنه اتحاد بريء من الاختلاط ونحوه، والجواب عن ذلك

قالوا: وأما تجسم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء، وتجسدها بإنسان مخلوق، وهو الذي أخذ من مريم العذراء المصطفاة، التي فضلت على نساء العالمين واتحدت الكلمة به اتحاداً برياً من اختلاط أو تغير أو استحالة[1] وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى النبي من العوسجة، ففعل المعجز بلاهوته، وأظهر العجز[2] بناسوته، والفعلان هما من المسيح الواحد.

والجواب: إن في هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أموراً كثيرة، وذلك يظهر بوجوه:

الأول: أن قولهم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء كلام متناقض، فإن الخالق هو الإلّه الخالق، وهو خلق الأشياء بكلامه، وهو قوله: (كن)، فالخالق لم يخلق به الأشياء، بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل خلق الخالق الأشياء، والفرق بين الخالق والمخلوق، وبين ما به خلق الخالق معقول.

وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خلقت المخلوقات، فجعلوا الكلمة هي الخالق، وجعلوا المخلوقات خلقت بها.

---

(١) (اختلاط أو تغير أو استحالة) هذه العبارة كتبت هكذا في جميع النسخ، ولكن في نظري لا يستقيم الكلام إلّا إذا زيد فيه كلمة (غير) ليصبح كالآتي: (من غير اختلاط أو تغير أو استحالة).

(٢) في أ (المعجز) بدلاً من (العجز).

وإيضاح هذا أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة، فإن الصفة[1] ليست خالقة، وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق، ليس هذا هو المخلوق به.

والثاني: قولهم: تجسدها بإنسان مخلوق، وقولهم: تجسم كلمة الله، فإن قولهم تجسمت وتجسدت يقتضي أن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسداً وجسماً، وهذا يقتضي استحالتها وتغيرها، وهم قالوا: اتحاداً بريًّا من تغير واستحالة.

الثالث: قولهم: اتحدت الكلمة به اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغير[2] أو استحالة، كلام متناقض أيضاً، فإن الاتحاد يصير الاثنين واحداً، فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئاً وهذا شيئاً، أو هذا عيناً قائمة بنفسها، وهذا عيناً قائمة بنفسها[3]، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحداً، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما، فالآخر قد عدم وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحدهما، فلا بد من تغييرهما واستحالتهما، وإلّا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: اتحد اتحاداً بريًّا من اختلاط أو تغير أو استحالة، كان

---

(١) في أ، س (فالصفة) بدلاً من (فإن الصفة).
(٢) في أ (تغيير) بدلاً من (تغير).
(٣) (وهذا عيناً قائمة بنفسها) ساقطة من س.

هذا كلاماً متناقضاً، ينقض بعضه بعضاً، فإن هذا إنما يكـون مع التمـدد والمبـاينة، لا مـع الاتحاد. يـوضح[1] ذلـك أنه إذا اتحـد الماء واللبن، أو الماء[2] والخمر، ونحـو ذلك كـان الحاصـل من اتحادهمـا شيئاً ثـالثاً ليس ماء محضاً ولا لبنـاً محضاً، بـل هو نـوع ثالث، وكـل من من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول.

ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع، وكثر اختلافهم، وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله، ويقول هـو قولاً يكـون مردوداً، فكـانت أقوالهم كلهـا باطلة مـردودة، إذ كانوا قد اشتركوا في أصل فـاسـد يستلزم أحـد أمـور كلهـا بـاطلة، فـأي شيء أخـذ من تلك اللوازم كـان باطلاً، ولا بد له منها فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر، ويأخذ الآخر لازماً آخر فيرده الآخر.

وهذا شأن جميع المقالات البـاطلة، إذا اشترك فيهـا طائفـة لزمهـا لوازم باطلة، وفسـاد الـلازم يدل على فسـاد[3] الملزوم، فإنـه إذا تحقق الملزوم تحقق اللازم، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وهذا يتبين **بالوجه الرابع**: وهو أن يقال: كثير من النصارى يقول: إنهما[4] بعد الاتحاد جوهر واحد، وطبيعـة واحدة ومشيئـة واحدة، وهـذا القول يضاف إلى اليعقوبية.

ويقـولون: إن الـلاهوت والنـاسوت اختلطا وامتـزجا، كمـا يختلط الماء واللبن، والماء، والخمر، وهذا القول هو حقيقة الاتحاد، لا يعقـل

---

(١) في أ (ويوضح) بزيادة الواو.

(٢) في أ، ط (والماء) بدلاً من (أو الماء).

(٣) (فساد) ساقطة من ط .

(٤) في ط (إنها) بدلاً من (إنهما).

الاتحاد إلَّا هكذا، لكن فساده ظاهر لعقول الناس، فإذا[1] كان هذا لازماً[2] لقول النصارى، وفساده ظاهراً، كان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم، فإن حقيقة هذا القول أن الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط، والذي ضرب وبصق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين.

ونفس تصور هذا القول مما يوجب العلم ببطلانه وتنزيه الله عن ذلك، وأن قائله من أعظم المفترين على الله، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى
ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[3].

الوجه الخامس: قولهم: وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى من العوسجة، يوجب أن يكون الذين كلمهم المسيح ممن آمن به وكفر به، بمنزلة[4] موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً.

ومعلوم أن تكليم الله لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، مما فضله به على غيره من النبيين، فإن كان آحاد الناس بمنزلة موسى بن عمران لزم أن يكون كل من آحاد الناس في ذلك بمنزلة موسى بن عمران، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل.

---

(١) في س، ك، ط (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٢) في أ، س، ك (لازم) بدلاً من (لازماً).
(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.
(٤) في ط (هو بمنزلة) بزيادة (هو).

الـوجه السـادس: أنه من المعلوم أن خـطاب الله لأنبيـائـه ورسله أفضل من خطابه لمن ليس بنبـي ولا رسول. والمسيح ـ عليه السـلام ـ لم يكلم عامة النبيين والمرسلين، بل لم يكلم إلاَّ ناساً منهم من آمن به، ومنهم من كفر به.

والتحقيق أنـه لم يكلم أحـداً من رسـل الله، ولكن النـصـارى يـزعمون أن الحـواريين رسل الله، وهـذا باطـل، ولـو سلم فلم يكلم إلاّ اثني عشـر رسـولاً، وقـد بعث الله قبله رسـلاً كثيـرين. وقـد روى في[1] حديث أبـي ذر(*) أن عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وقد قال الله في القرآن:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3].

وفي الحـديث الذي في المسنـد، عن بهـز بن حكيم، عن أبيـه، عن جـده، عن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنـه قال: «أنتم تـوفـون سبعين أمـة أنتم خيرهـا وأكرمهـا على الله ـ عـز وجـل ـ»[4]، وهـذه[5]

---

(١) في أ (من) بدلاً من (في).

(*) سبقت تـرجمتـه. والحـديث أخـرجـه الإمـام أمهـر عن أبـي ذر، وعن أبـي أمـامـة ٥/٣٦٥، والحاكم في المستدرك ٢/٥٩٧.

(٢) سورة النحل: من الآية ٣٦.

(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في أ (وهي) بدلاً من (وهذه).

السبعون سواء كانت هي التي هداها، أو هي الجميع فإنه يدل على كثرة[١] الرسل، ولم يكلم الله أحداً[٢] من هؤلاء من بشر حل فيه، فلو كان المكلم للناس في عيسى هو الله، لكان تكليم الله للذين كلمهم عيسى من الكفار والمؤمنين[٣] أكمل من تكليمه[٤] رسل الله الذين أرسلهم.

الوجه السابع: أن الناسوت ناسوت المسيح هو من جنس سائر النواسيت، والإنسان لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا، كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد، ـ صلَّى الله عليهم وسلَّم ـ[٥]، فإذا لم يستطع أن يراه كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته، فضلاً عن الاتحاد به أولى وأحرى.

الوجه الثامن: أن الله لما كلم موسى ـ عليه السلام ـ من الشجرة كان الكلام المسموع مخالفاً لما يسمع من كلام الناس، ولهذا لم تطق بنو إسرائيل سماع ذلك الصوت، بل قالوا لموسى صف لنا ذلك[٦]، وهذا عندهم في التوراة.

---

(١) في ط (أكثرية) بدلاً من (كثرة).
(٢) في س (أحد) بدلاً من (أحداً).
(٣) في ط، س، ك (المؤمنون) بسقوط (و).
(٤) في ط، س، ك (يكلمه) بدلاً من (تكليمه).
(٥) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من ط، س، ك.
(٦) وجدت في سفر الخروج ـ الإصحاح العشرون: (١٨ ـ وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت).
انظر العهد القديم ص ١٣٠.

كما روى الخلال[1] في كتاب السنَّة[2]، عن أحمد بن حنبل[3]، فيما[4] رواه من حديث الزهري[5] قال: «لما سمع موسى كلام الله قال: يا رب هذا الكلام[6] الذي أسمع[7] هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من هذا[8] لمت، فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فشبهه لنا، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها[9] فكأنه مثله»[10].

وأما المسيح ــ عليه السلام ــ، فكان كل أحد يسمع صوته

---

(١) في ط (الجلال) بدلاً من (الخلال).

(٢) كتاب السنَّة: كتاب ألفه ورتبه أحمد بن هارون، أبو بكر الخلال وهو مفسر صاحب علم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة، وهو من بغداد، وجامع علم أحمد، ومن كتبه طبقات أصحاب أحمد بن حنبل، وتفسير الغريب والعلل.
انظر: البداية والنهاية ١٤٨/١١؛ وطبقات الحنابلة ١٢/٢؛ والأعلام ٢٠٦/١.

(٣) أحمد بن حنبل. انظر ١٦٨/٣.

(٤) في أ (ما).

(٥) هو: عبد الرحمن بن عوف القرشي ــ أحد العشرة المبشرين بالجنة ــ هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ــ وبذل ماله في سبيل الله ــ مات سنة ٣٢هـ.
انظر: الإصابة ٤٠٨/٢؛ والاستيعاب ص ٣٨٥؛ والتهذيب ٢٤٤/٦.

(٦) (الكلام) ساقطة من أ.

(٧) (الكلام الذي أسمع) ساقطة من ك، في س (الذي أسمعه) بدلاً من (الكلام الذي أسمع).

(٨) في أ (ذلك) بدلاً من (هذا).

(٩) في ط (وسمعتموها) بزيادة (و).

(١٠) انظر: كتاب الموضوعات ــ باب تشبيه كلام الله ــ عز وجل ــ بالصواعق ١١٢/١ ــ عن جابر بن عبد الله ــ بمعناه.

كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب أن يكونوا سمعوا كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران.

الوجه التاسع: أن الجني إذا حل في الإنسي، كما يحل في المصروع، ويتكلم على لسانه، فإنه يتغير الكلام ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلام الإنسي مع أنه يتكلم بلسان الإنسي وحركة أعضائه، فيعلم[1] أن الصوت حصل بحركة بدن الإنسي، مع العلم بأنه قد تغير تغيراً خالف به المعهود من كلام الإنسي، والإنسان الذي حل فيه الجني يغيب عنه[2] عقله ولا يشعر بما تكلم الجني على لسانه. فرب العالمين ــ سبحانه وتعالى ــ لو حل في بشر واتحد به وتكلم بكلامه، وكان الكلام المسموع كلام الله المسموع منه، لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الإنسي ما هو في غاية الظهور، وكان[3] يتغير حال الإنسي غاية التغير، فإن الرب ــ عز وجل ــ لما تجلى للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً، فإذا كان البدن الإنسي لا يثبت لتجليه للجبل، فكيف يثبت لحلوله فيه وتكلمه[4] على لسانه من غير تغير في البدن.

وقد كان الوحي والملائكة إذا نزلت على الأنبياء في باطنهم يظهر التغير في أبدانهم، فكان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا نزل عليه الوحي ثقل حتى يبرك[5] به البعير، وإن كان فخذه على فخذ أحد ثقل حتى كاد يرضه.

(١) في أ (فعلم) بدلاً من (فيعلم).
(٢) (عنه) ساقطة من ك، أ.
(٣) في أ، س (فكان) بدلاً من (وكان).
(٤) في ط، ك (ويكلمه) بدلاً من (وتكلمه).
(٥) في ط، ك (ينزل) بدلاً من (يبرك).

وفي الصحيحين، عن عائشة[1] «أن الحارث بن هشام[2] قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي[3] الملك رجلاً[4] فيكلمني[5] فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد[6] رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[7].

وموسى ـ عليه السلام ـ، لمَّا سمع كلام الله مقت الآدميين، لما وقر في سمعه من كلام الله، وكان النور يظهر على وجهه حتى كان

---

(١) **عائشة**: سبقت ترجمتها.

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة كان شريفاً مذكوراً شهد بدراً مع المشركين، قيل بأنه مات في طاعون عمواس، وقيل استشهد يوم اليرموك.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٩٣؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ص ٣٠٧.

(٣) (لي) ساقطة من أ.

(٤) (رجلًا) ساقطة من ط، ك.

(٥) في ط، ك (يكلمني) بسقوط (فـ).

(٦) في س (فلقد) بدلاً من (ولقد).

(٧) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ باب ٢ ـ عن الحارث بن هشام بنصه بزيادة (رجلًا) وحرف الفاء في (فيكلمني).
* صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب رقم ٢٣ ـ عرق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في البرد حين يأتيه الوحي ـ عن الحارث بن هشام ـ بمعناه.
* سنن الترمذي ـ باب ٣٤ ـ ما جاء كيف كان ينزل الوحي على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حديث رقم ٣٧١٣ ـ عن الحارث بن هشام ـ بمعناه.
* الموطأ ـ كتاب القرآن ـ باب ٤ ـ حديث رقم ٧ ـ عن الحارث بن هشام ـ بلفظه ـ مع زيادة كلمة (رجلًا)، وحرف الفاء في (فيكلمني).

يتبرقع، والمسيح عند النصارى قد اتحد به اللاهوت من حين علقت به مريم، ولم يزل متحداً به وهو حمل في بطنها، يعظم اتحاده به كلما كبر، ثم كذلك كان متحداً به وهو صبي إلى أن رفع إلى السماء، وقعد عن يمين أبيه، وهو متحد به عندهم، واللاهوت والناسوت جميعاً، ومع هذا لم يتغير بدن المسيح * تغيراً يناسب ذلك، ولا ظهر من الأنوار ما يناسب ذلك بل عندهم أن المسيح *[1] قبل أن يعمده «يوحنا» ويرى شبه الحمامة نازلاً عليه، لم يظهر الآيات، بل كان كآحاد الناس. * وأول ما ظهر من الآيات قلب الماء خمراً *[2].

وموسى ــ عليه السلام ــ بمجرد ما[3] سمع الكلام ظهر عليه النور[4]، وأين سمع الكلام من[5] الاتحاد به.

وموسى لما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة نزلت الملائكة وظهر له[6] من آيات الله، وعظمته، ما يناسب تكليم الله ــ عز وجل ــ .

والرب دائماً عند النصارى متحد ببدن المسيح ولم يظهر من آيات الربوبية والعظمة إلَّا ما يظهر أكثر منه لبعض الأنبياء.

الوجه العاشر: أن المخاطب للناس إن كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه صريح في أنه مخلوق مربوب يدعو ويسأل، والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده، وإن كان هو اللاهوت وحده

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط.
(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.
(٣) (ما) ساقطة من ك.
(٤) في ط (وكلمه الله ظهر عليه النور) بزيادة (وكلمه الله).
(٥) في أ، ك (إلى)، في س (إلَّا).
(٦) (له) ساقطة من س، أ، ك.

كما يقتضيه كلامهم[1] هذا، فهو أبعد وأبعد، وإن كان هو[2] الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطباً للناس ولم يكلم الله الناس[3] من الناسوت كما كلم الله[4] موسى من الشجرة.

وأيضاً فلم يكن فرق[5] بين حقيقة كلام الناسوت وكلام اللاهوت[6].

وكلام المسيح الصريح في أنه مخلوق كثير * وهم يقرون به لكن[7] يقولون ذلك كلام الناسوت *[8][9] فيقال لهم حينئذٍ فالمخاطب للناس هو الناسوت دون اللاهوت، وأنتم[10] قلتم أن الله خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسى من الشجرة.

والخطاب الذي سمعه موسى من الشجرة، هو كله كلام اللاهوت، والكلام الذي كان يسمع من المسيح ليس فيه شيء يختص باللاهوت، بل عامته صريح في أنه كلام الناسوت.

الوجه الحادي عشر: أن الله لما كلم موسى من الشجرة، كان

---

(١) في ك (بكلامهم) بزيادة (بـ).
(٢) (هو) ساقطة من ط .
(٣) (ولم يكلم الله الناس) ساقطة من ط .
(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ.
(٥) في ط (فوق) بدلاً من (فرق).
(٦) (وكلام اللاهوت) ساقطة من ط .
(٧) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(٨) في ط (عن الناسوت) بزيادة (عن).
(٩) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك، ولكن كتب في أقصى الهامش الأيسر للمخطوط فلم نتبيّنه في التصوير.
(١٠) في ط (أنتم) بسقوط (و).

الكلام كلام الله وحده، لم يكن للشجرة كلاماً أصلاً بوجه من الوجوه، فإن كان هذا المثل مطابقاً، كان الذي يكلم الناس من ناسوت المسيح هو اللاهوت وحده.

ومعلوم أن في الإنجيل وغيره من النصوص الصريحة ما يدل على أن الناسوت كان هو المتكلم، مما يبين[1] الفرق الواضح بين هذا وهذا.

الوجه الثاني عشر: أن الذي نادى موسى من الشجرة لم يتكلم إلَّا بكلام الربوبية، فقال:

﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[3].

وسائر ما تكلم به كله يقتضي أنه كلام رب العالمين، وأما المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا أصلاً، بل كان في كلامه من الإقرار بأنه رسول، وأنه مخلوق[4] محتاج، وأنه ابن البشر، وغير ذلك مما يناقض من كل وجه كلام المنادي لموسى من الشجرة، فمن سوّى بين هذا وهذا، كان قد سوى بين رب العالمين وبين إنسان من

---

(١) في أ، س (ما يتبين) بدلاً من (مما يبين).
(٢) سورة القصص: من الآية ٣٠.
(٣) سورة طه: الآيات ١٤ ــ ١٦.
في ط (إني أنا الله) بدلاً من (إنني أنا الله).
(٤) (مخلوق) ساقطة من س،ك.
(مخلوق) مشطوبة في أ.

الآدميين، وهو[1] أضل من الذين قال الله فيهم:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

فإن أولئك جعلوهم أنداداً لله في بعض الأمور مع اعترافهم بأنهم[3] مخلوقون، وهؤلاء الضلال جعلوا هذا الإنسان الذي يتكلم هو رب العالمين الذي كلم موسى من الشجرة، وقالوا: إن هذا الذي كلم العباد هو ذاك الذي نادى موسى من الشجرة.

الوجه الثالث عشر: أن يقال: معلوم أن الله أجل وأعظم[4] وأكبر من رسله بما لا يقدر المخلوق قدره، فلو كان هو الذي كلم الخلق على لسان المسيح، وكان الحواريون رسله الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة. لكان الحواريون إما مثل موسى وإما أعظم.

ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى، فضلاً عن الحواريين، فإن أعظم آيات المسيح ـ عليه السلام ـ إحياء الموتى[5]، وهذه الآية[6] قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعباناً مبيناً حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعباناً ثم يمسكها فتعود عصا.

---

(١) في أ (وهذا) بدلاً من (وهو).

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٩٧، ٩٨.

(٣) (بأنهم) ساقطة من ط.

(٤) في ط (أعظم)، بدون واو.

(٥) في س، أ (الأموات) بدلاً من (الموتى).

(٦) في س، أ (الأمور) بدلاً من (الآية).

ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره وهي أعظم من إحياء الموتى، فإن الإنسان كانت[1] فيه الحياة، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول، والله ــ تعالى ــ يحيي الموتى، بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا.

وأما انقلاب[2] خشبة تصير حيواناً ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضاً فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح، قال ــ تعالى ــ:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾[5].

---

(١) في ط، ك (إذا كانت) بزيادة (إذا).
(٢) في س، أ (أن) بدلاً من (انقلاب).
(٣) سورة البقرة: الآيتان ٥٥، ٥٦.
(٤) سورة البقرة: من الآية ٧٣.
(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٤٣.

وأيضاً فموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يخرج يده[1] بيضاء من غير سوء، وهذا أعظم من إبراء أثر[2] البرص الذي فعله المسيح ـ عليه السلام ـ ، فإن البرص مرض معتاد، وإنما العجب الإبراء منه، وأما بياض اليد من غير[3] برص[4] ثم عودها إلى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير.

وأيضاً فموسى فلق[5] الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.

وأيضاً فموسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عيناً يكفيهم.

وهذا أعظم من إنزال المسيح ـ عليه السلام ـ للمائدة، ومن قلب الماء خمراً، ونحو ذلك مما يحكى عنه، ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ .

وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح، فلو كان الحواريون رسلاً قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى، فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى، ولو كان المسيح هو[6] اللاهوت

(١) في ط (يد) بسقوط (ه).
(٢) (أثر) ساقطة من ط، ك.
(٣) (غير) ساقطة من ط.
(٤) في س، أ (مرض) بدلاً من (برص).
(٥) في ك (فرق) بدلاً من (فلق).
(٦) (هو) ساقط من س، أ، ك.

الذي كلم موسى لكان يظهر من[1] قدرته أعظم مما أظهره[2] على يد موسى، فإنه لم يحل في بدن موسى، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى، كما يزعمه هؤلاء في المسيح، ومع هذه فالآيات التي أيد بها عبده موسى، تلك الآيات العظيمة، فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذي قد حل في بدن المسيح، وهو الذي يخاطب الناس على لسان المسيح؟!.

الوجه الرابع عشر: أن يقال إن قولهم إن الله خاطب الناس في المسيح، كما خاطب موسى النبي من العوسجة من أبطل الباطل، فإن الله باتفاق الأمم كلها لم يحل في الشجرة ولم يتحد بها، كما يزعمون هم أنه حل بالمسيح واتحد به، فإنه عندهم حل بباطن المسيح، بل وبظاهره واتحد به باطناً وظاهراً، والرب تعالى لم يكن في باطن الشجرة ولا حل فيها ولا اتحد بها، وقول الله إنه كلمهُ منها وناداه منها كقوله أنه:

﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾[3].

وذلك مثل قوله:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[4].

وفي البقعة المباركة ونحو ذلك وليس في شيء من ذلك أن

---

(١) (من) ساقطة من ط.

(٢) في س، أ (أظهر) بسقوط (ه).

(٣) سورة القصص: من الآية ٣٠.

(٤) سورة النازعات: الآيتان ١٥، ١٦.
في ك (هل أتاك موسى) بسقوط (حديث).

الرب تعالى[1] حل في باطن الوادي المقدس، أو البقعة المباركة أو الجانب الأيمن، ولا أنه اتحد بشيء من ذلك ولا صار هو وشيء من ذلك جوهراً واحداً * ولا شخصاً واحداً، كما يقول بعض النصارى: إن اللاهوت والناسوت صارا[2] جوهراً واحداً، وبعضهم يقول: صارا شخصاً واحداً *[3] بل ولا قال أحد: أنه حل في شيء من ذلك كحلول الماء في اللبن، أو النار في الحديد، كما يقول بعضهم: إن اللاهوت حل في الناسوت. كذلك ولو[4] قدر أن بعض الناس قال شيئاً من المقالات التي لا تدل عليها الكتب الإلٰهية، ولا تعلم بالعقل لم يكن قوله حجة، إذ لا يحتج إلَّا بنقل ثابت عن الأنبياء، أو بما يعلم بالعقل.

الوجه الخامس عشر: أن الذي كلم موسى وناداه هو الله رب العالمين وتكليمه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنزوله إلى السماء الدنيا، ونزوله[5] يوم القيامة لحساب الخلق، والكلام على ذلك[6] مبسوط في غير هذا الموضع.

وأما حلوله في البشر أو[7] اتحاده به فيمتنع[8] من وجوه كثيرة عقلاً وسمعاً، مع أنه لم يخبر به نبي.

وما تقوله النصارى في غاية التناقض، فإنهم يزعمون أن المسيح

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) في ط (صار) بسقوط (ا).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من س، أ.

(٤) في ط، ك (لو) بسقوط (و).

(٥) في س، أ (وبنزوله) بزيادة (ب).

(٦) في س، أ (هذا) بدلاً من (ذلك).

(٧) في س، أ (و) بسقوط (أ).

(٨) في س، أ (ممتنع) بدلاً من (فيمتنع).

هو الكلمة، وهو الخالق، لأن الكلمة والذات شيء واحد، فلا يفرقون بين الصفة والموصوف، ثم يقولون: المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الأب، ويقولون مع ذلك: إنه لم يتبعض ولم يتجزأ.

ومعلوم بصريح العقل أن الكلمة التي[1] هي الصفة لا يمكن مفارقتها للموصوف، فلا تتحد وتحل دون الموصوف، لا سيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق، فيجب أن يكون هو الأب، وهم لا يقولون: المتحد الحال هو الأب، بل هو الابن، وإذا[2] قالوا: إن الابن هو المتحد الحال دون الأب، فالمتحد ليس هو الذي ما[3] اتحد، والابن اتحد والأب ما اتحد.

ويقولون: إن المتحد اتخذ[4] عيسى حجاباً احتجب به، ومسكناً يسكن فيه خاطب الناس فيه، ويقولون في ذلك: إنه اتحد به الأب لم يحتجب به ولم يسكن فيه ولم يتحد به فلزم قطعاً أن يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد، فالأب لم يتحد، والابن اتحد، وهذا يناقض قولهم لم يتبعض، ويبطل تمثيلهم بالمخاطب من الشجرة، فإن ذاك[5] هو الله رب العالمين ليس هو الابن دون الأب مع ما ذكر من[6] الفروق الكثيرة المبينة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا.

الوجه السادس عشر: أن الرب ــ عز وجل ــ إذا تكلم تكلم

---

(١) (التي) ساقطة من س.
(٢) في ط (إذ) بسقوط (ا).
(٣) (ما) ساقطة من ط.
(٤) في ط (أخذ) بدلاً من (اتخذ).
(٥) في ط (ذلك) بدلاً من (ذاك).
(٦) في س، أ (في) بدلاً من (من).

بكلام الربوبية، فلو كان في المسيح اللاهوت الذي أرسل موسى وغيره، لم يخضع لموسى ولتوراته، ويذكر أنه إنما جاء ليكملها لا لينقضها[1]، ولا كان يقوم بشرائعها، فإن رب العالمين أعظم وأجل من ذلك، بل لو كان ملكاً من الملائكة لم يفعل مثل ذلك، فكيف برب العالمين.

وإذا قالت النصارى: فعل ذلك خوفاً من بني إسرائيل، أو خوفاً أن يكذبوه، كان عذرهم أقبح من ذنبهم[2]، فرب العالمين ممن يخاف ـ سبحانه وتعالى ـ ؟!.

وموسى لمَّا كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات يذل[3] بها فرعون وقومه مع عتوه وعتو قومه، ولم تكن بنو إسرائيل أعتى من فرعون وقومه، فلو كان هو رب العالمين كان ما يؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى.

ومن عجائب النصارى أنهم يدعون فيه الإلٰهية مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب.

وأما المسلمون فيقولون: هو رسول مؤيد، لم يصلب، وهذه سنة الله سبحانه[4] في رسله، فإنه يؤيدهم وينصرهم على عدوهم، كما نصر نوحاً وإبراهيم ومحمداً ـ صلوات الله عليهم وسلامه[5] ـ ، فإذا

(١) في ط (لينقصها) بدلاً من (لينقضها).
(٢) في ط (ذنوبهم) بدلاً من (ذنبهم).
(٣) في ط (يدل) بدلاً من (يذل).
(٤) (سبحانه) ساقطة من أ، س.
في ط، ك (سنته سبحانه) بدلاً من (سنة الله سبحانه).
(٥) في س، أ (صلَّى الله عليه وسلَّم) بدلاً من (صلوات الله عليهم وسلامه).

كان لا يجوز أن يكون رسولاً مغلوباً، فكيف يكون رباً مغلوباً[1] مصلوباً؟!

الوجه السابع عشر: قولهم فعل المعجزات[2] بلاهوته[3]، وأظهر العجز بناسوته، فيقال لهم: إن الله فعل من المعجزات ما هو أعظم من المعجزات التي ظهرت على يد المسيح ـ عليه السلام ـ، ولم يكن متحداً بشيء من البشر، فأي ضرورة له[4] إلى أن يتحد بالبشر إذا فعل معجزات دون[5] ذلك؟

الوجه الثامن عشر: أن المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين، ومعجزات بعضهم أعظم من معجزاته، ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي[6] ظهرت على يديه، فعلم أن الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد.

الوجه التاسع عشر: أن اللاهوت إن كان متحداً بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت، فإنهما إذا صارا شيئاً واحداً كان كل ما فعله من[7] عجز ومعجز هو ذلك الواحد، كالأمثال التي يضربونها لله ـ سبحانه وتعالى[8] ـ، فإنهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد، والماء مع اللبن والخمر.

---

(١) (مغلوباً) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط، ك، س (المعجز) بدلاً من (المعجزات).
(٣) في أ (لاهوته) بسقوط (ب).
(٤) في ط، ك (به) بدلاً من (له).
(٥) (دون) ساقطة من س.
(٦) في س، أ (التي) بدلاً من (الذي).
(٧) في ط (عن) بدلاً من (من).
(٨) (تعالى) ساقطة من أ، ك، ط.

ومعلوم أن الحديدة إذا أدخلت[1] النار حتى[2] صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد، ليس لها فعلان متميزان: أحدهما بالحديد، والآخر بالنار، بل فيها قوة الحديد وقوة النار[3]، بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار، إذ ليست حديداً محضاً ولا ناراً محضاً.

وكذلك الماء إذا اختلط باللبن والخمر، فالمتحد منها شيء واحد، فعله فعل واحد، منه[4] ما ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً، لا يقول عاقل: أن له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر، فعل[5] بكونه لبناً محضاً، وفعل[5] بكونه ماء محضاً، فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت، وأن يصير فعل المتحد شيئاً واحداً.

وإن كان اللاهوت لم يتحد به فهما اثنان شخصان وجوهران[6] وطبيعتان ومشيئتان، وليس هذا دين النصارى مع أن حلول الرب ــ عز وجل ــ في البشر ممتنع، كما قد بسط في موضوع آخر[7].

وكذلك إذا مثلوه بالنفس مع البدن، فإن النفس تتغير صفاتها بمفارقة[8] البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة[8] الروح له.

والإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدناً فيه الروح[9] هو

---

(١) في س، أ (دخلت) بسقوط (أ).
(٢) (حتى) ساقطة من س.
(٣) (بل فيها قوة الحديد وقوة النار) ساقطة من س، أ.
(٤) في س، أ (فيه) بدلاً من (منه).
(٥) في ط، ك (فعلاً) بدلاً من (فعل).
(٦) في ط، ك (جوهران) بسقوط (و).
(٧) (كما قد بسط في موضوع آخر) ساقطة من ط، ك.
(٨) في س، أ (بمقارنة) بدلاً من (بمفارقة).
(٩) (فصارت بدناً فيه الروح) ساقطة من ط، ك.

نـوع ثالث ليس فيـه بدن محض، وروح محض، حتى يقـال: إنه يفعـل كذا ببدنـه وكذا بنفسـه، بل أفعاله تشتـرك[1] فيها الـروح، فهو إذا أكـل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلاً شارباً، وإلاَّ فالبدن الميت لا يـأكل ولا يشـرب، وإذا نـظر واستـدل وسمـع ورأى وتعلم[2]، فـالنفس فعلت ذلك بـالبدن، والبـدن يظهـر فيه ذلـك، والروح وحـدهـا لا تفعل ذلك، وعندهم أن فعل اللاهوت[3] بعـد الاتحاد * كفعله قبله، وكذلك فعل الناسوت، وهذا يناقض الاتحاد *[4].

والقول بهذا مع الاتحاد في غاية التناقض والفساد ولا يعقـل نظيـر هــذا في شيء من المـوجــودات، ونفس المتكلم بهـذا من النصــارى لا يتصور ما يقول، ولا يمكنه أن يمثله بشيء معقول[5].



(١) في س، أ، ك (يشترك) بدلاً من (تشترك).
(٢) في س، أ (وتعلم، سمع ورأى) بدلاً من (وسمع ورأى وتعلم).
(٣) في ط، ك (إن فعل هو فعل اللاهوت) بزيادة (فعل هو).
(٤) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.
(٥) هنا نهاية مخطوطتي س، أ.
(س): وهي نسخة السليمانية بتـركيا، وكتب في نهـايتها: «والله أعلم، تم بحمـد الله وعونه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من تكملة هذا الكتاب المبارك يوم السبت خـامس عشـر رجب الفرد من شهـور سنة ١٠٩٣، وصلَّى الله على سيـدنا محمـد وعلى آلـه وصحبه وسلَّم، والحمد لله رب العالمين.
وعلى وسط يسـار الصفحة كتبت هـذه العبارة: (أقـول بعد قـولـه (معقـول) كمـا في النسـخ قولـه فصل قـالوا وقـد جاء إلخ، (فعلى هذه النسـخ أن هـذه النسخـة نصف الكتاب، بل ناقص أيضاً عن النصف فـلا تغفل) كمـا هو ظـاهر في الصـور في أول كتابنا هذا.
أما (أ): وهي نسخة مكتبة طبقبوسراي بتركيا فكتب في آخرها: «تم والحمد لله رب العالمين» وختم لم يظهر.
أما (ك): وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فإنها تستمر معنا كالمطبوعة تماماً.

فصل[1]

نَقْض دعواهم أنَّ القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت

قالوا: وقد جاء في هذا الكتاب، الذي جاء به هذا الإنسان يقول:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2].

وهذا يوافق[3] قولنا: إذ قد شهد[4] أنه إنسان مثلنا، أي[5] بالناسوت الذي أخذ من مريم، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه، وحاشا أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين، وأيضاً قال في سورة النساء:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[6].

فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل

---

(١) هذا أول فصل في مخطوطة (هـ) مكتبة ليدن، وهي النصف الثاني من الكتاب، وهي تكملة النسخة (طبقبوسراي) (أ)، وهي قديمة كتبت بتاريخ ٧٣٠هجرية، وخطها مشابه لخط سابقتها، ولأجل هذا اعتبرناها تكملة لها، واستمر التحقيق على مخطوطتين (هـ ـ ك) مع المطبوعة وهي (ط)، ولم يسقط حرف واحد عند الانتقال والتغيير. ولله الحمد والمنّة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٣) في هـ (ما يوافق) بدلاً من (يوافق).

(٤) في هـ (يشهد) بدلاً من (شهد).

(٥) (أي) ساقطة من ط، هـ.

(٦) سورة النساء: من الآية ١٥٧.

عليها ألم ولا عرض، وقال أيضاً:

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

* وقال في سورة المائدة عن عيسى أنه قال:

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فأعنى بموته عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء.

وقال[3] أيضاً في سورة النساء:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[4].

فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة *[5]، وعلى هذا القياس نقول: إن المسيح صلب وتألم بناسوته، ولم يصلب ولا تألم بلاهوته.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: دعواهم على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت، كما يزعمه[6] هؤلاء النصارى فيه[7]، هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد ــ صلَّى الله عليه

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.
(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٧.
(٣) في ط (قال) بسقوط الواو.
(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.
(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٦) في هـ (يزعم) بدلاً من (يزعمه).
(٧) (فيه) ساقطة من ك.

وسلَّم ـ ، الـذي يعلم من دينه بـالاضطرار، كمـا يعلم من دينه تصـديق المسيـح ـ عليه السـلام ـ ، وإثبات رسـالتـه، فلو ادعى اليهـود[1] على محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أنـه كـان يكـذب المسيـح ويجحـد رسالته، كان كدعوى النصارى عليـه أنه كـان يقول: إنـه رب العالمين، وأن الـلاهوت اتحـد بالنـاسوت، ومحمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قـد أخبـر فيما بلغـه عن الله ـ عز وجـل ـ بكفر[2] من قـال ذلـك، وبمـا[3] يناقض ذلك[4] في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5] .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

(١) في هـ ، ك (اليهودي) بدلاً من (اليهود).
(٢) في هـ (بتكفير) بدلاً من (بكفر).
(٣) في هـ (بما) بسقوط الواو.
(٤) (ذلك) ساقطة من هـ .
(٥) سورة المائدة: الآية ١٧.

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ
كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ
ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟
إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ـ ٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٣٠ ـ ٣٤.

في هـ أنهى الآية ٣١ من سورة التوبة، وذكر جملة (وقال ـ تعالى ـ) ثم كتب الآية التي بعدها من سورة الصف: **﴿ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**، ثم ذكر بقية الآيات كما أثبتنا مطابقاً لما في سورة المائدة، في ك (ليطفئوا بدلاً من (يطفئوا) وهو خطأ.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فأخبر عن المسيح أنه لم يقل لهم إلاّ ما أمره الله به، بقوله أن[3] اعبدوا الله ربي وربكم، وكان عليهم شهيداً ما دام فيهم، وبعد وفاته كان الله هو[4] الرقيب عليهم، فإذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ ـ ٦٥.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٣) (بقوله أن) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (هو) ساقطة من ك، ط.

أو في تفسير كلامه، أو تعمد تغيير دينه لم يكن على المسيح ـ عليه السلام ـ من ذلك درك[1]، وإنما[2] هو رسول عليه البلاغ المبين.

وقد أخبر الله[3] ـ سبحانه وتعالى[4] ـ أن أول ما تكلم به المسيح أن قال:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[5].

ثم طلب لنفسه السلام فقال:

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[6].

والنصارى يقولون: (علينا منه السلام)[7] كما تقوله[8] الغالية فيمن يدعون فيه الإلهية كالنصيرية[9] في علي، والحاكمية[10] في الحاكم.

الوجه الثاني: أن يقال إن الله لم يذكر أن المسيح مات ولا قتل

---

(١) في هـ (شيئاً) بدلاً من (درك).
(٢) في هـ (إنما) بسقوط (و).
(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.
(٤) (تعالى) ساقطة من ط، ك.
(٥) سورة مريم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.
(٦) سورة مريم: من الآية ٣٣.
(٧) لم أجد هذا النص ولا قريباً منه في الطبعة المتداولة للأناجيل، إنما وجدت في إنجيل لوقا ص ٢٤: (٢١ ـ وقف يسوع نفسه وقال لهم سلام لكم).
(٨) في ط (يقوم)، ك (يقوله) بدلاً من (تقوله).
(٩) سبقت الإشارة إليها ص ٢٤٢.
(١٠) هم أتباع الحاكم العبيدي الذي سبقت ترجمته ص ٢٤٢، ويدعون فيه الإلهية.

إنما قال:

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1].

وقال المسيح:

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقّٖ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ
وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ
مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾
وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾
فَبِظُلْمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ ﴾[3].

فذم الله اليهود[4] بأشياء منها: قولهم على مريم بهتاناً عظيماً، حيث زعموا أنها بغي، ومنها: قولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٥٥. (وأنت على كل شيء شهيد) ساقطة من ك، هـ.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٥٥ ــ ١٦١.

(٤) (اليهود) ساقطة من هـ.

(٥) سورة النساء: من الآية ١٥٧.

وأضاف هذا القول إليهم وذمهم عليه.

ولم يذكر النصارى، لأن الذين[1] تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود، ولم يكن أحد من النصارى شاهداً هذا[2] معهم، بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب، وإنما شهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح، والذين نقلوا أن المسيح صلب من النصارى وغيرهم، إنما نقلوه عن أولئك اليهود وهم شُرَطٌ من أعوان الظلمة، لم يكونوا خلقاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾.

فنفى[3] عنه القتل، ثم قال:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾.

وهذا عند أكثر[4] العلماء معناه قبل موت المسيح، وقد قيل قبل موت اليهودي وهو ضعيف، كما قيل أنه قبل موت محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهو أضعف، فإنه لو آمن به قبل الموت لنفعه إيمانه به، فإن الله(*) يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

وإن قيل: المراد به الإيمان الذي يكون بعد الغرغرة، لم يكن في

---

(١) في ك (الذي) بدلاً من (الذين).

(٢) (هذا) ساقطة من ط، في هـ (شاهداً شاهد) بدلاً من (شاهداً هذا).

(٣) في هـ، ك (منفا) بدلاً من (فنفى).

(٤) في ط (أكثرهم) بدلاً من (أكثر).

(*) لفظ الجلالة: ساقطة من ط.

هذا فائدة، فإن كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده[1]، فلا اختصاص للمسيح به، ولأنه قال قبل موته، ولم يقل بعد موته، ولأنه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمد ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ، واليهودي الذي يموت على اليهودية يموت[2] كافراً بمحمد والمسيح ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، ولأنه قال:

﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾.

وقوله: ﴿**ليؤمنن به**﴾ فعل مقسم عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل، فدل ذلك على أن هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا، ولو أريد به[3] قبل موت الكتابي لقال: وإن من أهل الكتاب إلَّا من يؤمن به، لم يقل ﴿**ليؤمنن به**﴾.

وأيضاً ـ فإنه قال: وإن[4] من أهل الكتاب، وهذا يعم اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح، وذلك إذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذباً، كما تقول اليهود[5]، ولا هو الله كما تقوله النصارى.

والمحافظة على هذا العموم أولى، من أن يُدّعى أن كل كتابي ليؤمنن به قبل أن يموت الكتابي، فإن هذا يستلزم إيمان كل يهودي

---

(١) في هـ (جحده) بدلاً من (يجحده).

(٢) في ط، ك (فيموت) بزيادة (فـ).

(٣) (به) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ط (أن) بسقوط (و).

(٥) في ط، ك (كما يقول اليهودي) بدلاً من (كما تقول اليهود).

ونصراني، وهذا خلاف الواقع وهو لمّا قال:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

دل[1] على أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو، علم أنه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله، أي لا يتخلف[2] منهم أحد عن الإيمان به، لا إيمان من كان منهم ميتاً.

وهذا كما يقال: إنه لا يبقى بلد إلَّا دخله الدجال، إلَّا مكة والمدينة أي من المدائن الموجودة حينئذٍ، وسبب إيمان أهل الكتاب به حينئذٍ ظاهر، فإنه يظهر لكل أحد أنه رسول مؤيد ليس بكذاب، ولا هو رب العالمين.

فالله ــ تعالى ــ ذكر إيمانهم به إذا نزل إلى الأرض، فإنه ــ تعالى ــ لما ذكر رفعه إلى الله بقوله:

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

وهو ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ويموت حينئذٍ أخبر بإيمانهم به قبل موته، كما قال ــ تعالى ــ في آية أخرى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ

---

(١) في ط، ك (ودل) بزيادة واو.

(٢) في ط، ك (يختلف) بدلاً من (يتخلف).

﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وفي [2] الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه[3] قال: «يوشك[4] أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[5].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[6].

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٩ ـ ٦٥.
في هـ أضاف بعد نهاية الآيات جزءاً من الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: **﴿هل ينظرون إلى الساعة أن تأتيهم بغتة...﴾** ولم يكمل الآية بقوله تعالى: **﴿وهم لا يشعرون﴾**.

(٢) في ط (في) بسقوط الواو.

(٣) (أنه) ساقطة من ط، ك.

(٤) في هـ (أوشك) بدلاً من (يوشك).

(٥) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب البيوع ـ باب ١٠٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه غير كلمتي (عدلاً وإماماً).
* في صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ٧١ ـ حديث رقم ٢٤٢ ـ عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال: ... الحديث بحذف كلمتي (عدلاً وإماماً) وهو بلفظه.
* سنن الترمذي ـ كتاب القدر ـ باب ٤٥ ـ حديث رقم ٢٢٣٤ ـ عن أبي هريرة... الحديث بلفظه دون (عدلاً وإماماً).

(٦) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.
(ما لهم به من علم) في ط سقطت (به).

بيان أن الله رفعه حياً وسلمه من القتل، وبين أنهم يؤمنون به قبل أن يموت.

وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1].

ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره.

ولفظ التوفي في لغة العرب معناه: الاستيفاء والقبض، وذلك ثلاثة أنواع: أحدها: توفى النوم، والثاني: توفى الموت، والثالث: توفى الروح والبدن جميعاً، فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس والنوم[2]، ويخرج منهم[3] الغائط والبول، والمسيح ـ عليه السلام ـ توفاه الله، وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة[4] أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم، والغائط والبول، ونحو ذلك.

الوجه الثالث: قولهم إنه عني بموته عن موت الناسوت، كان ينبغي لهم أن يقولوا على أصلهم: عني بتوفيته[5] عن توفي الناسوت، وسواء قيل موته أو توفيته فليس هو شيئاً[6] غير الناسوت، فليس هناك شيء غيره لم يتوف، والله[7] ـ تعالى ـ قال:

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) (والنوم) ساقطة من ط، ك.

(٣) (ويخرج منهم) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (كحال) بدلاً من (كحالة).

(٥) (عنى بتوفيته) ساقطة من هـ.

(٦) في هـ (فليس هناك شيء) بدلاً من (فليس هو شيئاً).

(٧) في ط (الله) بسقوط الواو.

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.

فالمتوفى[١] هو المرفوع إلى الله، وقولهم: إن[٢] المرفوع هو اللاهوت، مخالف لنص القرآن، لو كان هناك موت فكيف إذا لم يكن، فإنهم جعلوا المرفوع غير المتوفى، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفى. وكذلك قوله في الآية الأخرى:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾.

هو تكذيب لليهود في قولهم:

﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾.

واليهود لم يدعوا قتل لاهوت، ولا أثبتوا لله لاهوتاً في المسيح، والله ــ تعالى ــ لم يذكر دعوى قتله عن[٣] النصارى حتى يقال: إن مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت، بل عن اليهود الذين لا يثبتون إلاَّ الناسوت.

وقد زعموا أنهم قتلوه، فقال تعالى: ﴿**وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه**﴾، فأثبت رفع الذي قالوا إنهم قتلوه، وإنما هو الناسوت، فعلم أنه هو الذي نفي عنه القتل. وهو الذي رفع، والنصارى معترفون برفع الناسوت لكن يزعمون أنه صلب، وأقام في القبر إما يوماً وإما ثلاثة أيام، ثم صعد إلى السماء، وقعد عن يمين الرب الناسوت مع اللاهوت.

---

(١) في هـ (والمتوفى) بدلاً من (فالمتوفى).
(٢) (إن) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (من) بدلاً من (عن).

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿وما قتلوه يقيناً﴾، معناه أن نفي قتله هو يقين لا ريب فيه، بخلاف الذين اختلفوا، فإنهم[1] في شك منه من قتله وغير قتله، فليسوا مستيقنين أنه قتل إذ لا حجة معهم بذلك.

ولذلك[2] كانت طائفة من النصارى يقولون: لم يصلب، فإن الذين صلبوا المصلوب هم اليهود، وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره، كما دل عليه القرآن، وكذلك عند أهل الكتاب أنه اشتبه بغيره، فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك، حتى قال لهم بعض الناس: أنا أعرفه فعرفوه، وقول من قال[3]: معنى الكلام ما قتلوه علماً بل ظناً قول ضعيف.

الوجه الرابع: أنه قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

فلو كان المرفوع هو اللاهوت، لكان رب العالمين قال لنفسه أو لكلمته: «إني أرفعك إلي»[4]، وكذلك قوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، فالمسيح عندهم هو الله.

ومن المعلوم أنه يمتنع رفع نفسه إلى نفسه، وإذا قالوا: هو الكلمة فهم يقولون[5] مع ذلك إنه الإله الخالق، لا يجعلونه بمنزلة التوراة

---

(١) في ط، ك (بأنهم) بدلاً من (فإنهم).
(٢) في هـ (وكذلك) بدلاً من (ولذلك).
(٣) في ط (قالوا) بدلاً من (قال).
(٤) في ط (رافعك) بدلاً من (أرفعك).
(٥) (يقولون) ساقطة من ط .

والقرآن، ونحوهما مما هو[1] من[2] كلام الله الذي قال[3] فيه: إليه يصعد الكلم الطيب. بل عندهم هو الله الخالق الرازق رب العالمين، ورفع رب العالمين إلى رب العالمين ممتنع.

الوجه الخامس: قوله:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلَّا الله دون المسيح، فإن قوله كنت أنت يدل على الحصر، كقوله إن كان هذا هو الحق ونحو ذلك، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على أتباعه، بل الله هو الرقيب[4] المطلع عليهم المحصي أعمالهم المجازي عليها، والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم، ولا يحصيها ولا يجازيهم بها.



(١) (مما هو) ساقطة من هـ.

(٢) (من) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (قد يقال) بدلاً من (قال).

(٤) في هـ (والمطلع) بزيادة واو.

فصل

نَقْض دعواهم بورود تسمية المسيح خالقاً في القرآن

قالوا: وقد سماه الله أيضاً في هذا الكتاب خالقاً حيث قال:

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾[1].

فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة بالناسوت[2] المأخوذ[3] من مريم لأنه كذا قال على لسان داود النبي:

(بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، ليس خالق إلاَّ الله وكلمته وروحه)[4].

وهذا مما يوافق رأينا، واعتقادنا في السيد المسيح لذكره، لأنه حيث قال: (وتخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)، أي بإذن لاهوت[5] الكلمة المتحدة في الناسوت.

---

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية، ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهية. (المعجم الوسيط ٢/٨٩٥).

(٣) في ط (المأخوذة) بدلاً من (المأخوذ).

(٤) في المزمور الثالث والثلاثين: «بكلمة الرب صنعت السماوات، وبنسمة فيه كل جنودها» بمعناه.

انظر: العهد القديم ص ٨٥٤.

(٥) في ط (اللاهوت) بدلاً من (لاهوت).

والجواب: أن جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة وما أنطق[1] به أنبياءه[2]، فإنه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ[3] أجمعين، من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله ـ تعالى ـ .

إما من كونهم لم يتدبروا القول الذي قالته الأنبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه.

وإما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض، مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض[4]، فيضلون من جهة ما لم يؤمنوا به، كما قال ـ تعالى ـ عن النصارى:

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[5].

وإما من جهة نسبتهم إلى الأنبياء ما لم يقولوه من أقوال كذبت عليهم ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ما تستحقه من الترجمة، وتفسيرها بغير ما تستحقه من التفسير الذي دل عليه كلام الأنبياء ـ صلوات الله

(١) في ط (نطق) بدلاً من (أنطق).
(٢) في ط (أنبياؤه) بدلاً من (أنبياءه).
(٣) في هـ تقديم وتأخير (وسلامه عليهم).
(٤) (مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض) ساقطة من هـ .
(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤.

وسـلامه عليهم أجمعين ــ ، فـإنه يجب أن يفسـر كـلام المتكلم بعضـه ببعض ويؤخذ كلامه ها هنا وها هنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بـذلك اللفظ إذا تكلم بـه، وتعرف المعـاني التي عرف أنـه أرادها في مـوضـع آخر، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.

وأما[1] إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عـادته بـاستعمالـه فيه، وتـرك استعمالـه في المعنى الذي جـرت عادتـه باستعمـاله فيـه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك[2] اللفظ بجعل كلامه متنـاقضاً، وتـرك حمله[3] على ما ينـاسب سائـر كلامـه كان ذلـك تحريفاً لكلامه عن موضعه، وتبديلاً لمقاصده وكذباً عليه.

فهذا أصل من ضل في تأويل[4] كلام الأنبيـاء على غير مـرادهم، فإذا عرف هذا، فنقول:

الجواب عما ذكروه هنا من وجوه:

أحدها: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً، ولا خلقاً عامـاً، كما ذكر عن نفسه ــ تبارك وتعالى ــ ، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[5].

---

(١) في هـ (فأما) بدلاً من (وأما).

(٢) في هـ (لذلك) بدلاً من (بذلك).

(٣) في ط، ك (ويترك كلامه) بدلاً من (وترك حمله).

(٤) (تأويل) ساقطة من هـ.

(٥) سورة العلق: الآيات ١ ــ ٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(١) .

فذكر نفسه بأنه الخالق البارىء المصور، ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولا نبياً، وكذلك قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بشيء من

---

(١) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.
(٢) سورة الزمر: الآيتان ٦٢ ، ٦٣.
(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠ ، ١٠١.

الخصائص التي يختص بها، التي وصف بها نفسه ـ سبحانه وتعالى ـ .

وأما المسيح ـ عليه السلام ـ فقال فيه:

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾[1].

وقال المسيح عن نفسه:

﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[2].

فلم يذكر إلاَّ خلق شيء معين خاص بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك؟

الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا[3] التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه.

والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله ـ عز وجل ـ ، ليس المعجزة مجرد[4] خلقه من الطين، فإن هذا مشترك، وقد[5] لعن

---

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٤٩.

في ط، هـ، ك (وأخلق لكم من الطين. . .) وهذا خطأ.

(٣) (هذا) ساقطة من ط .

(٤) في هـ (بمجرد) بزيادة (بـ).

(٥) في ط (ولقد) بدلاً من (وقد).

النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ المصـورين، وقـال: «إن أشـد النـاس عذاباً يوم القيامة المصورون»[1].

الوجه الثالث: أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير[2]، والنفخ بإذنه ـ تعالى ـ، وأخبر المسيـح ـ عليه السـلام ـ أنه فعله بـإذن الله، وأخبـر الله أن هـذا من نعمـه[3] التي أنعم بهـا على المسيـح ـ عليـه السلام ـ، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[5].

---

(١) في هـ، ك (المصورين) وهو خطأ.
انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب ٨٩ ـ عن مسلم بن صبيح بلفظه ـ وزيادة (عند الله).
* في صحيح مسلم ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب ٢٦ ـ حديث رقم ٩٦ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بمعناه.
* مسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ ـ عن مسلم بن صبيح. بلفظه.

(٢) في ط (التصوير محرم) بزيادة (محرم).

(٣) في ط، ك (نعمته) بدلاً من (نعمه).

(٤) سورة الزخرف: من الآية ٥٩.

(٥) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بـإذن الله، كما فعل مثـل ذلـك[1] غيـره من[2] الأنبيـاء، وصـريـح بـأن الآذن[3] غير المأذون لـه والمُعلِم ليس هو المعلَم، والمُنْعِمْ عليـه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته.

الـوجه[4] الـرابع: أنهم قـالـوا: أشـار[5] بـالخـالق إلى كلمـة الله المتحـدة في الناسـوت، ثم قالـوا في قولـه (بإذن الله) أي بـإذن الكلمـة المتحـدة في الناسـوت، وهـذا يبين تنـاقضهم وافتـراءهم على القـرآن، لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، ففـرق بين المسيـح وبين الله، وبين أن الله هـو الآذن للمسيـح، وهؤلاء زعموا أن مراده بذلك أن اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هـو الخالق، وهـو الآذن فجعلوا الخالق هـو الآذن، وهـو تفسيـر للقـرآن بمـا يخـالف صريح القرآن.

الوجه الخامس: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتـج إلى أن يأذن لنفسه، فإنهم يقولون: هو إله واحد وهو الخالق، فكيف يحتـاج أن يأذن لنفسه وينعم[6] على نفسه؟

الوجه السـادس: أن الخالق إمـا أن يكون هـو الذات المـوصوفـة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة للذات[7]، فإن كان هو الكلام، فالكلام

---

(١) (ذلك) ساقطة من ط .

(٢) في ط (من ذلك) بزيادة (ذلك).

(٣) في ط (الإذن) بدلاً من (الآذن).

(٤) في ط (والوجه) بزيادة واو.

(٥) في ط (أشاروا) بدلاً من (أشار).

(٦) في هـ (أو ينعم) بزيادة (أ).

(٧) في هـ (الذات) بدلاً من (للذات).

صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً، فكيف وهو ممتنع؟

فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه.

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء رب العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، فلا يكون هو الخالق لكل شيء، والقرآن يبين[1] أن الله هو الذي أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير، فتبين أن الذي خلق من الطين كهيئة الطير، ليس هو الله ولا صفة من صفاته، فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم أزلي لله، ولكن عبده فعل بإذنه.

الوجه السابع: قولهم فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: «بكلمة الله خلقت السماوات والأرض».

يقال[2] لهم: هذا النص عن داود حجة عليكم، كما أن التوراة والقرآن، وسائر ما ثبت عن الأنبياء حجة عليكم، فإن داود ـ عليه السلام ـ قال: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض)، ولم يقل: إن كلمة الله هي الخالقة، كما قلتم أنتم أنه أشار بالخالق إلى كلمة الله.

والفرق بين الخالق للسماوات والأرض وبين الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض، أمر ظاهر معروف، كالفرق بين القادر

---

(١) في هـ (بين) بدلاً من (يبين).
(٢) في ط (فيقال) بزيادة (فـ).

والقدرة، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرته، وليست القدرة هي الخالقة، وكذلك الفرق بين المريد[1] والإرادة، فإن الله خلق[2] الأشياء بمشيئته، وليست مشيئته هي الخالقة.

وكذلك الدعاء والعبادة هو للإله الخالق لا لشيء من صفاته، فالناس كلهم يقولون: يا الله يا ربنا يا خالقنا ارحمنا واغفر لنا، ولا يقول أحد: يا كلام الله اغفر لنا وارحمنا، ولا يا قدرة الله، ويا مشيئة الله، ويا علم الله اغفر لنا وارحمنا، والله ـ تعالى ـ يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة.

الوجه الثامن: أن قول داود ـ عليه السلام ـ: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض) يوافق ما جاء في القرآن والتوراة، وغير ذلك من كتب الأنبياء: أن الله يقول للشيء: كن فيكون، وهذا في القرآن في غير موضع[3]، وفي التوراة قال الله: (ليكن كذا ليكن كذا)[4].

الوجه التاسع: قولهم لأنه ليس خالق إلاّ الله وكلمته وروحه، إن أرادوا بكلمته كلامه، وبروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته، فلم يعبر أحد من الأنبياء عن حياة الله بأنها روح الله، فمن حمل كلام أحد من الأنبياء بلفظ الروح أنه يراد به حياة الله فقد كذب عليه، ثم يقال: هذا كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته، وحينئذٍ فالخالق هو الله وحده وصفاته داخلة في مسمى اسمه، لا يحتاج أن تجعل

---

(١) في ط (المزيد) بدلاً من (المريد).

(٢) في هـ (خالق) بدلاً من (خلق).

(٣) قال تعالى: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** سورة يٓس: الآية ٨٢.

(٤) موجودة في أول سفر التكوين ـ العهد القديم ـ وقد سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٢٧.

معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن أن[1] لله شريكاً في خلقه، فإن الله لا شريك له.

ولهذا لما قال الله[2] ـ تعالى ـ : «الله خالق كل شيء»، دخل كل ما سواه في مخلوقاته، ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه، لأن هذه داخلة في مسمى اسمه ليست أشياء مباينة له، بل أسماؤه الحسنى متناولة لذاته المقدسة المتصفة بهذه الصفات لا يجوز أن يراد بأسمائه ذاتاً مجردة عن صفات الكمال، فإن تلك لا[3] حقيقة لها، ويمتنع وجود ذات مجردة عن صفة فضلاً عن وجود ذاته ـ تعالى ـ ، مجردة عن صفات كماله، التي هي لازمة لذاته، فيمتنع[4] تحقق ذاته دونها، ولهذا لا يقال: الله وعلمه خلق، والله وقدرته خلق.

وإن أرادوا بكلمته وروحه المسيح، أو شيئاً[5] اتحد بناسوت المسيح، فالمسيح ـ عليه السلام ـ كله مخلوق كسائر الرسل، والله وحده هو الخالق وإن شئت قلت: إن أريد بالروح والكلمة ما هو صفة الله، فتلك داخلة في مسمى اسمه، وإن أريد ما ليس بصفة فذلك مخلوق له كالناسوت.

الوجه العاشر: أن داود ـ عليه السلام ـ لا يجوز أن يريد بكلمة الله[6] المسيح، لأن المسيح عند جميع الناس هو اسم للناسوت،

---

(١) في ط (فإن) بدلاً من (أن).

(٢) سقط من ط، هـ لفظ الجلالة (الله).

(٣) (لا) ساقطة من ط .

(٤) في ط، ك (يمتنع) بسقوط (فـ).

(٥) في هـ ، ك (شيء) بدلاً من (شيئاً).

(٦) (لكلمة الله) ساقطة من ك.

وهو عندهم اسم للاهوت[1] والناسوت لما اتحدا[2]، والاتحاد فعل حادث عندهم، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا ما يسمى مسيحاً[3]، فعلم أن داود لم يرد بكلمة الله المسيح، ولكن غايتهم أن يقولوا: أراد الكلمة التي اتحدت فيما[4] بعد بالمسيح[5]، لكن الذي خلق بإذن الله هو المسيح، كما نطق به القرآن بقوله:

﴿ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[6].

فالكلمة التي ذكرها وأنها هي التي بها خلقت السماوات والأرض، ليست[7] هي المسيح الذي خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فاحتجاجهم بهذا على هذا احتجاج باطل، بل تلك الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض لم يكن معها ناسوت حين خلقت، باتفاق الأمم والمسيح لا بد أن يدخل فيه الناسوت، فعلم أنه لم يرد بالكلمة المسيح.



(١) في ط (اللاهوت) بدلاً من (للاهوت).
(٢) في ط، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدا).
(٣) في ط، ك (مسيحياً) بدلاً من (مسيحاً).
(٤) في ط (فيها) بدلاً من (فيما).
(٥) في ط (المسيح) بسقوط (بـ).
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٤٥.
(٧) في هـ (ليس) بدلاً من (ليست).

فصل

بيان المعنى الصحيح لتشبيه القرآن الكريم عيسى بآدم، وردّ تفسيرهم لذلك

قالوا: وقال أيضاً في موضع آخر:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾[١].

فأعنى بقوله: (مثل عيسى)[٢] إشارة إلى البشرية[٣] المأخوذة[٤] من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر هاهنا[٥] اسم المسيح، إنما[٦] ذكر عيسى فقط.

كما أن آدم خلق من غير جماع ولا[٧] مباضعة، فكذلك جسد السيد[٨] المسيح خلق من غير جماع ولا[٩] مباضعة، وكما أن جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسد المسيح ذاق الموت، وقد يبرهن بقوله أيضاً قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الأزلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بإنسان كامل، وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية:

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) في هـ ، ك (مثل آدم) بدلاً من (مثل عيسى).

(٣) في هـ ، ك (الناسوت) بدلاً من (البشرية).

(٤) في ط (المأخوذ) بسقوط (ة).

(٥) في ط (لم يذكر هنا).

(٦) في س، أ، ك (إلَّا) بدلاً من (إنما).

(٧) (لا) ساقطة من ط.

(٨) (السيد) ساقطة من ط.

(٩) (لا) ساقطة من هـ ، ك.

التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية: التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به، ولما تقدم به القول من الله ـ تعالى ـ على لسان موسى النبي، إذ يقول: (أليس هذا الأب الذي خلقك وبراك واقتناك)[1]، قيل: وعلى لسان داود النبي (روحك القدس لا تنزع مني)[2]، وأيضاً على لسان داود النبي: (بكلمة الله تشددت السماوات وبروح فاه جميع قواهن)[3]، وليس يدل هذا القول على ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب، ونطقه أي كلمته[4]، وروحه أي حياته[5].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

كلام حق، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال ـ تعالى[6] ـ: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[7].

وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٤) في ك (وكلمته أي نطقه) بدلاً من (ونطقه أي كلمته).

(٥) انتهى هنا كلامهم، وقد ورد بعض أجزائه في رسالة بولس الأنطاكي ص ١١ في أعلى يسار الصفحة، بمخطوطة المتحف القبطي.

(٦) (تعالى) ساقطة من ط.

(٧) سورة النساء: من الآية ١.

وأنثى، وكـان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيـح، فـإن حـواء[1] خلقت من ضلع آدم، وهـذا أعجب من خلق المسيـح في بـطن مـريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء.

فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيـح فإذا كـان سبحانـه قادراً أن يخلقـه من تـراب، والتـراب ليس من جنس بـدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسـان؟ وهو سبحـانه خلق آدم من تـراب، ثم قال لـه كن فيكون، لمـا نفـخ فيـه من روحـه، فكذلـك المسيـح نفـخ فيـه من روحـه وقـال لـه: كن فيكـون، ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتاً وناسوتاً، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسـوت، والله ـ تبارك وتعـالى ـ ذكر هـذه الآية في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصـارى، لما قـدم على النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ نصارى نجـران[2] وناظـروه في المسيـح، وأنـزل الله فيـه مـا أنـزل، فبين فيـه قـول الحق الـذي اختلفت فيـه اليهـود والنصـارى، فكذب الله الطائفتين: هؤلاء في غلوهم فيه، وهؤلاء في ذمهم له.

وقال عقب هذه الآية:

---

(١) في هـ (حوى) بدلاً من (حواء).

(٢) قصة وفد نصارى نجران، خلاصتها:

أن وفد نصارى نجران لما قـدموا على رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكـان تعداده ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وهم فيه مختلفون فمنهم من يقـول في عيسى بأنـه الله، ويقول البعض هـو ابن الله، وآخرون يقـولون بـأنه ثـالث ثلاثة، لكن الخبر نزل من السمـاء بالمـلاعنة، فقـالوا: يـا أبا القـاسم، قد رأينـا أن لا نـلاعنك، ونتـركك على دينـك، ونرجـع على ديننا، ولكن ابعث معنـا رجـلاً من أصحابك يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا.

فأجابهم على طلبهم، وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٦٨، ٢٦٩، ط. بيروت ١٣٨٨هـ.

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١).

وقد امتثل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قول الله فدعاهم إلى المباهلة فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته فأقروا بالجزية وهم صاغرون، ثم كتب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل ملك الروم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ . . . ﴾(٢) إلى آخرها(٣).

وكان أحياناً يقرأ بها في الركعة الثانية من ركعتي الفجر، ويقرأ في الأولى: بقوله:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍۢ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٦١ ـ ٦٤.
في ط (من بعد من جاءك) بدلاً من (من بعدما جاءك) وهو خطأ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٦٤.
في هـ، ك (يا أهل الكتاب) من غير (تعالوا).

(٣) كتابة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل: وردت في حديث أبي سفيان الطويل الذي رواه ابن عباس عنه في صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن باب سورة آل عمران.

(٤) سورة البقرة: من الآية ١٣٦.

وهذا كله يبين به[1] أن المسيح عبد ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم، وقد أمر أن يباهل من قال إنه إله، فيدعو كل من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به، ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء، ويدعون الله أن يجعل لعنته على الكاذبين، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم هو الله حقت اللعنة عليهم، وإن كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذباً حقت اللعنة عليه، وهذا إنصاف من صاحب يقين يعلم أنه على الحق[2].

والنصارى لما لم يعلموا أنهم على الحق[3] نكلوا عن المباهلة، وقد قال عقب ذلك:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

تكذيباً للنصارى الذين يقولون: هو إله حق من إله حق، فكيف يقال إنه أراد أن المسيح فيه لاهوت، وناسوت، وأن هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت؟ وبهذا ظهر الجواب عن قولهم، قال في موضع آخر: إن مثل عيسى عندالله كمثل آدم، فأعنى بقوله: عيسى، إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر ها هنا[5] اسم المسيح

---

(١) (به) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (الحق به) بزيادة (به).

(٣) في ط (حق) بسقوط (ال).

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٦٢.

(٥) في ط (الناسوت ها هنا) بزيادة (الناسوت).

إنما ذكر عيسى فقط، فإنه يقال: عيسى هو المسيح، بدليل أنه قال:

﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1].

فأخبر أنه ليس المسيح إلَّا رسولاً[2] ليس هو بإلـه وأنه ابن مريم والذي[3] هو ابن من[4] مريم هو الناسوت وقال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(٢) في هـ، ك (رسول) بدلاً من (رسولاً).

(٣) (والذي) ساقطة من ك.

(٤) (من) ساقطة من هـ.

(٥) سورة النساء: من الآيتين ١٧١، ١٧٢.

(٦) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٧) سورة المائدة: من الآية ١٧.

الوجه الثاني: أن ما ذكروه من موته قد[1] بينا أن الله لم يذكر ذلك، وأن المسيح لم يمت بعد، وما ذكروه من أنه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين:

فإن ناسوته لم يصلب، وليس فيه لاهوت، وهم ذكروا ذلك[2] دعوى مجردة فيكتفىٰ[3] في مقابلتها بالمنع[4].

لكن[5] نقول في **الوجه الثالث**: إنهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيه اليعقوبية، وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانية وغيرهم.

ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء شيء[6] إلاَّ وصل إلى اللبن، فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر. وكذلك النار التي في الحديد[7] متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه. والبدن إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب بالنفس، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم له وإيلامهم له[8] والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد، فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد.

---

(١) في هـ (فقد) بزيادة (ف).
(٢) (ذلك) ساقطة من هـ .
(٣) في ط (فيكفي) بدلاً من (فيكتفى).
(٤) في ط (المنع) بسقوط (ب).
(٥) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(٦) (شيء) ساقطة من ط.
(٧) في هـ (الحديدة) بزيادة (ة).
(٨) في ط، ك (وإتلافهم له) بدلاً من (وإيلامهم له).

الرابع: أن هؤلاء الضلال لم يكفهم أن جعلوا إلٰه السماوات والأرض متحداً ببشر في جوف امرأة، وجعلوه له مسكناً، ثم جعلوا أخابث خلق الله أمسكوه وبصقوا في وجهه، ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول: «إلٰهي إلٰهي لِمَ تركتني»[1] وهم يقولون الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت، كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، ويقولون هما شخص واحد، ويقول بعضهم: لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

والكلام إنما يكون بمشيئة المتكلم، فيلزم أن يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت وهو المستغيث المتضرع وهو المستغاث به، وأيضاً فهم يقولون: إن اللاهوت والناسوت شخص واحد، فمع[2] القول بأنهما شخص واحد، إما أن يكون مستغيثاً، وإما أن يكون مستغاثاً به وإما أن يكون داعياً، وإما أن يكون مدعواً، فإذا قالوا: إن الداعي هو[3] غير المدعو لزم أن يكونا اثنين لا واحداً[4]، وإذا قالوا: هما واحد فالداعي هو المدعو.

الوجه[5] الخامس: أن يقال لا يخلو إما[6] أن يقولوا: إن اللاهوت كان قادراً على دفعهم عن ناسوته، وإما أن يقولوا: لم يكن قادراً، فإن قالوا لم يكن قادراً لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين،

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤١٧.

(٢) في هـ (ومع) بدلاً من (فمع).

(٣) (هو) ساقطة من هـ.

(٤) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).

(٥) في ط (والوجه) بزيادة (و).

(٦) في ط (إلى) بدلاً من (إما).

وأن[1] يكون رب العالمين مقهوراً مأسوراً مع قوم من شرار اليهود، وهذا من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين، وهذا أعظم من قولهم: إن للَّه ولداً[2]، وأنه بخيل، وأنه فقير، ونحو ذلك مما يسب[3] به الكفار رب العالمين.

وإن قالوا: كان قادراً، فإن كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك، فسنّة الله في مثل ذلك نصر رسله المستغيثين[4] به، فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به، وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر، فإن أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء، والناسوت عندهم استغاث وقال: (إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني)، وإن كان هو قد فعل ذلك مكراً، كما يزعمون أنه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق، فناسوته أعلم بذلك من جميع الخلق، فكان الواجب أن لا يجزع ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة، وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه، ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره، ويقول بعضهم: مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت؟ بل لو يشاء اللاهوت ما يكرهه[5] كانا متباينين، وقد اتفقا على المكر بالعدوّ ولم يجزع الناسوت، كما جرى ليوسف[6] مع

---

(١) في ط (أن) بسقوط (و).

(٢) في هـ، ك (ولد) بسقوط (ا).

(٣) في ط (سب) بسقوط (يـ).

(٤) في هـ (المستعينين) بدلاً من (المستغيثين).

(٥) في س، أ، ك سقطت جملة (يشاء اللاهوت ما يكرهه).

(٦) يوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قصته معروفة وردت في السورة المسماة باسمه في القرآن الكريم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٢/٤٦٨.
وانظر: ٣/٤١٧.

أخيه[1] لما وافقه على أنه يحمل الصواع[2] في رحله، ويظهر أنه سارق، لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع[2] في رحله، كما جزع إخوته حيث لم يعلموا، وكثير من الشطار[3] العيارين[4] يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون، فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح، وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلٓهية.

الوجه السادس: قولهم إنه كلمته وروحه تناقض منهم، لأنه عندهم أقنوم الكلمة فقط لا أقنوم الحياة[5].

الوجه السابع[6]: قولهم: وقد برهن بقوله رأينا أيضاً في موضع آخر قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم واتحدت بإنسان كامل.

فيقال لهم[7]: أما قول الله في القرآن فهو حق، ولكن ضللتم في تأوليه كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء، وما بلغوه عن الله،

---

(١) **أخو يوسف**: هو بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وكان شقيق يوسف.
انظر: تفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير ٢/٤٦٩.
(٢) في ط (الصوامع) بدلاً من (الصواع).
(٣) **الشطار**: جمع شاطر وهو من أعيا أهله خبثاً.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٣٧، ط. بيروت.
(٤) **العيارون**: جمع عيّار، وهو كثير التطواف والحركة ذكي.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٥.
(٥) الوجه السادس كله ساقط من هـ.
(٦) في هـ (الخامس) بدلاً من (السابع).
في ك (الخامس) وقد أضيفت (السابع) في الهامش وشطب كلمة (الخامس).
(٧) (لهم) ساقط من هـ، ك.

وذلك أن الله ــ تعالى ــ قال:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس هوما يقوله النصارى:

منها أنه قال: (بكلمة منه)، وقوله بكلمة منه نكرة في الإثبات تقتضي[2] أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقول النصارى.

ومنها أنه يبين[3] مراده بقوله بكلمة منه، وأنه مخلوق حيث قال:

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

كما قال في الآية الأخرى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ في سورة كهيعص:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٤٥ ــ ٤٧.
في هـ (وإذ قالت) بدلاً من (إذ قالت) بزيادة (و) وهذا خطأ.

(٢) في ط، ك (يقتضي) بدلاً من (تقتضي).

(٣) في ط (بين) بدلاً من (يبين).

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٥) سورة مريم: من الآيتين ٣٤، ٣٥.

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له: (كن فيكون) وهذا تفسير كونه كلمة منه.

وقال اسمه المسيح عيسى بن مريم، أخبر أنه ابن مريم، وأخبر أنه وجيه[1] في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله ـ تعالى ـ وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

فبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم. لا ولد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقال في سورة النساء:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾[2].

فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم، وأن يقولوا على الله غير الحق، وبين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى

(١) في ط، ك (وجيهاً) بدلاً من (وجيه).

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

مـريم[1] وروح منه، وأمـرهـم أن يؤمنوا بـالله ورسله، فبين أنه رسـوله، ونهاهم أن يقولـوا ثلاثـة، وقال: انتهـوا خيراً لكم، إنمـا الله إلَه واحـد، وهذا تكذيب لقولهم في المسيح أنه[2] إلَه حق من إلَـه حق، من جوهـر أبيـه، ثم قال: ــ سبحـانه ــ أن يكـون له ولـد، فنزه نفسـه وعظمهـا أن يكون له ولد، كما تقوله النصارى، ثم قال: له ما في السمـاوات وما في الأرض، فأخبر أن ذلك ملك له، ليس فيـه شيء من ذاته، ثم قـال: لن يستنكف المسيح أن يكـون عبـداً لله، ولا المـلائكـة المقربـون، أي لن يستنكفـوا أن يكونـوا عبيداً لله ــ تبـارك وتعالى ــ ، فمـع هذا البيـان الواضح الجلي، هـل يظن ظـان أن مراده بقـوله وكلمتـه أنه إلَـه خالق، أو أنه صفة لله قائمة بـه، وأن قولـه: (وروح منه) المـراد به أنـه حياتـه، أو روحه منفصلة عن ذاته.

ثم نقـول[3] أيضاً: أمـا قولـه وكلمتـه، فقـد بين مـراده أنـه خلقـه بـ (كن) وفي لغة العرب التي نـزل بها القـرآن أن يسمى المفعول بـاسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقاً لقوله: (هـذا خلق الله)، ويقال: درهم ضَرْبَ الأمير، أي مضـروب الأمير، ولهـذا يسمى المأمـور به[4] أمـراً، والمقدور قدرةً[5] وقـدراً، والمعلوم علماً، والمـرحوم بـه رحمةً، كقـوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[6].

---

(1) (ألقاها إلى مريم) ساقطة من هـ ، ك.
(2) (أنه) ساقطة من هـ .
(3) في هـ (يقول) بدلاً من (نقول).
(4) في هـ (أنه) بدلاً من (به).
(5) (قدرة) ساقطة من هـ .
(6) سورة الأحزاب: من الآية ٣٨.

وقولـه:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[1].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يقول الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، ويقول للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي»[2]، وقال: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق ويتعاطفون، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك، فرحم بها الخلق»[3]. ويقال: للمطر هذه قدرة عظيمة، ويقال: غفر الله لك علمه فيك، أي معلومه، فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب.

وقد ذكر الإمام أحمد في (كتاب[4] الرد على الجهمية)[5] ــ وذكره غيره ــ أن النصارى الحلولية[6] والجهمية المعطلة اعترضوا على أهل السنَّة، فقالت النصارى: القرآن كلام الله غير مخلوق، والمسيح كلمة الله فهو غير مخلوق، وقالت الجهمية: المسيح كلمة الله وهو مخلوق، والقرآن كلام الله فيكون مخلوقاً.

---

(١) سورة النحل: من الآية ١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (كتاب) ساقطة من هـ.

(٥) كتاب ألفه الإمام الجليل أحمد بن حنبل للرد على الجهمية والزنادقة، ويتكون من قسمين: الأول رد على الجهمية في شبههم، والثاني رد على القائلين بخلق القرآن. طبع مرتين ناقصاً، ثم طبع طبعة كاملة محققة في الرياض، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ــ دار اللواء سنة ١٣٩٧هـ.

(٦) في أ (والحلولية).

وأجـاب أحمد وغيـره: بأن المسيـح نفسه ليس هـو كـلامـاً، فـإن المسيح إنسان، وبشر مولـود من امرأة، وكـلام الله ليس بإنسـان ولا بشر ولا مولود من امرأة، ولكن المسيح خلق بالكلام، وأمـا القرآن فهـو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا؟[1].

وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، ومـا من عاقل إذا سمع قوله ـ تعالى ـ في المسيح ـ عليه السلام ـ: أنه كلمته ألقـاهـا إلى مـريم، إلاَّ[2] يعلم أنـه ليس[3] المــراد أن المسيـح نفســه كلام الله، ولا أنه صفة الله ولا خالق.

ثم يقـال للنصارى: فلو قـدر أن المسيح نفس الكـلام، فـالكـلام ليس بخـالق، فإن القـرآن كـلام الله، وليس بخـالق، والتـوراة كـلام الله وليست بخـالقة، وكلمـات الله كثيرة، وليس منهـا شيء خالق، فلو كـان المسبح نفس الكلام لم يجز أن يكون خـالقاً، فكيف وليس هـو الكلام، وإنمـا خلق بالكلمـة، وخص باسم الكلمـة فـإنـه لم يخلق على الـوجـه المعتاد الذي خلق عليه غيره، بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنَّة المعروفة في البشر[4].

وقـوله: (بـروح منـه) لا يـوجب أن يكـون منفصـلاً من ذات الله، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[5].

---

(١) انظر: كتاب الرد على الجهمية ـ بمعناه ـ ص ١٢٤، ١٢٥.
(٢) في ط (ألَّا) بدلاً من (إلَّا).
(٣) (ليس) ساقطة من ط.
(٤) في ط (بالبشر) بدلاً من (في البشر).
(٥) سورة الجاثية: من الآية ١٣.

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقال[2] ــ تعالى ــ :

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[3] .

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[4] .

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة، وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة.

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقاً، قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[5] .

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[6] .

---

(١) سورة النحل: من الآية ٥٣.

(٢) في ط (وقوله) بدلاً من (وقال).

(٣) سورة النساء: من الآية ٧٩.

(٤) سورة البينة: الآيات ١ ــ ٣.
في هـ ، ك أنهى الآية عند قوله تعالى: **﴿صحفاً مطهرة﴾**.

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ــ ١٩.
في هـ ، ك (ليهب لك غلاماً) بدلاً من (لأهب لك غلاماً).

(٦) سورة التحريم: من الآية ١٢.
في هـ ، ك (ومريم «ابنة» عمران).

وقـال:

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١].

فأخبر أنه نفخ في مريم من روحه، كما أخبر أنـه نفخ في آدم من روحه، وقد بين أنه أرسل إليها روحه، فتمثل لها بشراً سوياً، قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال: إنما أنا رسول ربك لأهب[٢] لك غلاماً زكياً، قالت: أني يكـون لي غلام ولم يمسسني بشـر ولم أكُ بغياً، قال: كذلك، قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، حملته.

فهذا الروح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلامـاً زكياً، مخلوق، وهو روح القدس الـذي خلق المسيح منـه ومن مريم، فـإذا كان الأصـل مخلوقاً فكيف الفرع الـذي حصل منـه[٣] وهو روح القـدس؟[٤]، وقولـه عن المسيـح: (وروح منه) خص المسيـح بذلـك لأنـه نفـخ في أمـه من الروح فحبلت به[٥] من ذلك النفخ، وذلك غير روحـه التي يشاركـه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح، فلهذا سمى روحاً منه.

ولهذا قال طائفة من المفسرين: روح منه، أي رسول منه سماه[٦] بـاسم الروح الـرسول الـذي نفخ فيهـا[٧]، فكمـا يسمى «كلمـة» يسمى

---

(١) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٢) في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٣) في ط، ك (به) بدلاً من (منه).

(٤) (وهو روح القدس؟) ساقطة من هـ.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) في ط (فسماه) بزيادة (فـ).

(٧) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

«روحاً»، لأنه كون بالكلمة، لا كما يخلق الآدميون غيره، ويسمى روحاً، لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها، لم تحبل به من ذكر، كغيره من الآدميين، وعلى هذا فيقال: لما خلق من نفخ[1] الروح ومن مريم سمي روحاً بخلاف سائر الآدميين، فإنه يخلق من ذكر وأنثى، ثم ينفخ فيه الروح[2] بعد مضي أربعة[3] أشهر.

والنصارى يقولون في أمانتهم: (تجسد من مريم، ومن روح القدس) ولو اقتصروا على هذا، وفسروا روح القدس بالملك الذي نفخ فيها، وهو روح الله لكان هذا موافقاً لما أخبر الله به، لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله، وجعلوه رباً وتناقضوا في ذلك، فإنه على هذا كان ينبغي فيه أقنومان: أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وهم يقولون: ليس فيه إلاَّ أقنوم الكلمة، وكما يسمى المسيح كلمة لأنه خلق بالكلمة، يسمى[4] «روحاً» لأنه حل به من[5] الروح.

فإن قيل: فقد قال في القرآن:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[6].

وقال:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[7].

---

(١) (نفخ) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في ط (من الروح) بزيادة (من).

(٣) في ك (أربع) بدلاً من (أربعة).

(٤) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى).

(٥) (من) ساقطة من ط.

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١١٤.

(٧) سورة الزمر: من الآية ١.

وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم: «القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ»، وقال في المسيح: «وروح منه» قيل: هذا بمنزلة سائر المضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها أو صفة فيها، كان مخلوقاً، وإن كان صفة مضافاً إلى الله كعلمه وكلامه، ونحو ذلك كان إضافة صفة، وكذلك ما كان[1] منه إن كان عيناً قائمة أو صفة قائمة بغيرها[2] كما في السماوات والأرض والنعم والروح الذي أرسله[3] إلى مريم، وقال: (إنما أنا[4] رسول ربك) كان مخلوقاً، وإن كان صفة لا تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقاً، فإن ذلك قائم بالله، وما يقوم بالله لا يكون مخلوقاً والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى، وأنه ليس لهم[5] في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة في سائر كتب الله، وإنما تمسكوا بآيات متشابهات، وتركوا المحكم، كما أخبر الله عنهم بقوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾[6].

والآية نزلت في النصارى، فهم مرادون من الآية قطعاً، ثم قال:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾[7].

---

(١) (كان) ساقطة من ط.
(٢) في ط (يقين بغيرها) بزيادة (يقين).
(٣) في ط (أرسلها)
(٤) (أنا) ساقطة من ط.
(٥) (لهم) ساقطة من ك.
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٧.
(٧) سورة آل عمران: من الآية ٧.

وفيها قولان وقراءتان، منهم من يقف عند قوله إلَّا الله، ويقول: الراسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، لا يعلمه إلَّا الله.

ومنهم من لا يقف، بل يصل بذلك قوله ــ تعالى ــ:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[1].

ويقول الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وكلا القولين مأثور عن طائفة من السلف، وهؤلاء يقولون: قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله ــ تعالى ــ:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾[2].

أي قائلين، وكلا القولين حق باعتبار، فإن لفظ التأويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه.

والراسخون[3] في العلم يعلمون تفسير القرآن، قال الحسن البصري[4] لم ينزل الله آية إلَّا وهو يحب أن يعلم[5] في ماذا نزلت، وماذا عنى بها[6]؟

وقد يعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، ووقت الساعة، ونزول عيسى، ونحو ذلك،

---

(١) (كل من عند ربنا) ساقطة من هـ، ك.
(٢) سورة الحشر: من الآية ١٠.
(٣) في ط (الراسون) بدلاً من (الراسخون).
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) في ط (نعلم) بدلاً من (يعلم).
(٦) هذا الكلام عن الحسن البصري لم نعثر عليه فيما رجعنا إليه من كتب علوم القرآن كالبرهان ونحوه.

فهذا التأويل لا يعلمه إلَّا الله، وأما لفظ التأويل إذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به، فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا، ولا هو معنى التأويل في كتاب الله ـ عز وجل ـ .

ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهذا، بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد به ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾[1] .

ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق[2]

﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾[3] .

وكقوله:

﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾[4] .

وقوله:

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[5] .

وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص، ولا في[6] باطنها، كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) سورة الأعراف: من الآية ٥٣.
(٢) سبقت الإشارة إليه ٤/ ٦١.
(٣) سورة يوسف: من الآية ١٠٠.
(٤) سورة يوسف: من الآية ٣٧.
(٥) سورة النساء: من الآية ٥٩.
(٦) (في) ساقطة من ط.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1].

والكلمة عندهم هي جوهر، وهي رب لا يخلق بها الخالق، بل هي الخالقة لكل شيء، كما قالوا في كتابهم: (إن كلمة الله الخالقة[2] الأزلية حلت في مريم)[3]، والله ـ تعالى ـ قد أخبر أنه ـ سبحانه ـ ألقاها إلى مريم والرب ـ سبحانه ـ هو الخالق، والكلمة التي ألقاها ليست خالقة، إذ الخالق لا يلقيه شيء، بل هو يلقي غيره، وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية.

فالكونية: كقوله للشيء كن فيكون.

والدينية: أمره وشرعه الذي جاءت به الرسل، وكذلك أمره وإرادته وإذنه[4] وإرساله وبعثه ينقسم إلى هذين القسمين، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ[5] إلقاء القول في غير هذا، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) في هـ (هي الخالقة) بزيادة (هي).

(٣) وجدت في الإصحاح الأول، إنجيل لوقا: (٣٥ ـ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك . . .) العهد الجديد ص ٩٠.

(٤) (وإذنه) ساقطة من هـ .

(٥) (تعالى) ساقطة من هـ ، ك.

(٦) سورة النساء: من الآية ٩٤.

ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾[١] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[٢] .

وأما لقنته القول ولقيته[٣] فتلقاه، فذلك[٤] إذا أردت أن تحفظه، بخلاف ما إذا ألقيته إليه، فإن هذا يقوله فيما يخاطبه[٥] به وإن لم يحفظه، كمن ألقيت إليه القول، بخلاف القول إنكم لكاذبون، وألقوا إليهم السلام. وليس هنا إلَّا خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب، فكذلك مريم إذا ألقى الله كلمته إليها، وهي قول: «كن» لم يلزم أن تكون نفس صفته القائمة به حلت في مريم كما لم يلزم أن تكون صفته القائمة به حلت في سائر من ألقى إليه[٦] كلامه، كما لا تحصل صفة كل متكلم فيمن يلقى إليه[٧] كلامه.



(١) سورة النحل: الآيتان ٨٦ ــ ٨٧.
في هـ ، ك (السلام) بدلاً من (السلم).
(٢) سورة الممتحنة: من الآية ١.
(٣) في ط (وأما لقيته القول) بدلاً من (وأما لقنته القول ولقيته).
(٤) في ك (فذاك) بدلاً من (فذلك).
(٥) في هـ ، ك (خاطبه) بدلاً من (يخاطبه).
(٦) (إليه) ساقطة من ط .
(٧) في ط (إلى) بدلاً من (إليه).

فصـل

بيان اضطراب كلام النصارى وتفرقهم في باب طبيعة المسيح

وأما قولهم: وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان:

طبيعة لاهوتية: التي هي طبيعة كلمة الله وروحه.

وطبيعة ناسوتية: التي[1] أخذت من مريم العذراء، واتحدت[2] به.

فيقال لهم: كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف[3] متناقض[4]، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقول، ولا قول دل عليه كتاب، بل هم فيه فرق وطوائف[5]، كل فرقة تكفر الأخرى، كاليعقوبية[6] والملكانية[7]، والنسطورية[8]، ونقل الأقوال عنهم في ذلك مضطربة، كثيرة الاختلاف.

ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً، وذلك أن ما هم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد، كما هو مذكور في أمانتهم، لم ينطق به شيء من كتب[9] الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام

---

(١) في هـ، ك (الذي).
(٢) في هـ ، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدت).
(٣) (مختلف) ساقطة من هـ .
(٤) في ط، ك (مناقض) بدلاً من (متناقض).
(٥) في ك (طرائق) بدلاً من (طوائف).
(٦) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٥٥ .
(٧) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٥٥ .
(٨) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٢٨ .
(٩) في ط (كتتب) بدلاً من (كتب).

المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء، ولكن عندهم في الكتب ألفاظاً متشابهة وألفاظاً محكمة يتنازعون في فهمها، ثم القائلون منهم بالأمانة، وهم عامة النصارى اليوم من الملكانية[1]، والنسطورية، واليعقوبية، مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح.

فلهذا صار كل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم، وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم وهم الملكانية[2] بين هؤلاء وهؤلاء، ولما ابتدعوا ما ابتدعوا[3] من التثليث والحلول كان فيهم من يخالفهم في ذلك.

وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفاً[4]، وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها، والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه، كما نقلوا عنهم ما ذكره أبو المعالي[5] وصاحبه أبو القاسم ________________

(١) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٢) في ك، هـ (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٣) في ط(ما ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).
(٤) في هـ، ك (مختلفة) بدلاً من (مختلفاً).
(٥) **أبو المعالي**: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام الحرمين ـ أعلم المتأخرين من الشافعية ـ ولد في جوين من قرى نيسابور عام ٤١٩هـ ـ سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبو محمد الجويني ـ درس بعد والده في حلقته ودخل بغداد وتفقه بها ثم خرج إلى مكة وجاور بها أربع سنوات، ثم انتقل إلى المدينة يدرس ويفتي ولهذا لقب بإمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور وتولى الخطابة، وكان يجلس للوعظ وللمناظرة والتدريس، وصنف في كل فن ومن تصانيفه =

الأنصاري[1]، وغيرهما: أن القديم واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوم، وأنهم يعنون بالأقنوم: الوجود، والحياة، والعلم.

ونقلوا عنهم: أن الحياة والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات موجودين، بل هما صفتان نفسيتان للجوهر، قالوا: ولو مثل مذهبهم بمثال لقيل: إن الأقانيم عندهم تنزل منزلة الأحوال والصفات النفسية عند مثبتيها من المسلمين، فإن سوادية اللون، ولونيته، صفتان نفسيتان للعرض، قال: وربما يعبرون عن[2] الأقانيم بالأب وروح القدس، فيعنون بالأب الوجود[3]، وبالابن المسيح والكلمة[4]، وربما سمو[5] العلم

= الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، والعقيدة النظامية، وغياث الأمم، وكتاب شفاء الغليل في الرد على أهل الإنجيل، توفي بقرية من أعمال نيسابور يقال لها بشتناق في عام ٤٧٨هـ ودفن في داره بنيسابور ثم نقل بعد فترة إلى مقبرة الحسين هناك ودفن بجانب والده، وكان تلاميذه عند وفاته قريباً من أربعمائة شخص.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٦٧؛ وشذرات الذهب ٣/٣٥٨؛ والبداية والنهاية ١٢/١٢٨؛ والأعلام للزركلي ٤/٣٠٦.

(١) **أبو القاسم الأنصاري**: هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري النيسابوري الأرغاني ــ أبو القاسم من الأئمة في علم الكلام ــ مولده ووفاته في نيسابور ــ ونسبته إلى أرغيان من نواحيها ــ كان تلميذاً لإمام الحرمين ــ وكان زاهداً متصوفاً ــ وهو من فقهاء الشافعية ــ صنف كتاب الغنية في فقه الشافعية ــ وشرح الإرشاد في أصول الدين للجويني، وضعف بصره وسمعه في آخر عمره ــ توفي سنة ٥١١، وقيل ٥١٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية ٧/٩٦؛ وشذرات الذهب ٤/٣٤؛ والأعلام للزركلي ٣/١٧٠.

(٢) في ط (على) بدلاً من (عن).

(٣) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).

(٤) (الكلمة) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (يسمون) بدلاً من (سموا).

كلمة، والكلمة علماً، ويعبرون[1] عن الحياة بالروح، قال: ولا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم من صفات الفعل، ولا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابناً، بل المسيح عندهم مع ما[2] تدرع به ابن، قالوا: ومن مذهبهم أن الكلمة اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت، ثم اختلفوا[3] في معنى الاتحاد، فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، وهذا مذهب طوائف من اليعقوبية والنسطورية والملكانية[4]، قالوا: إن الكلمة خالطت جسد المسيح، ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن[5] قالوا: وهذا مذهب الروم ومعظمهم الملكانية[6]، قالوا: فمازجت الكلمة جسد المسيح فصارت شيئاً واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وذهبت طائفة من اليعاقبة إلى أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، وقالوا: وصارت شرذمة من كل صنف إلى أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت، كظهور الصورة في المرآة، والنقش في الخاتم.

ومنهم من قال: ظهور اللاهوت على الناسوت كاستواء الإلٰه على العرش عند المسلمين، وذهب كثير من هذه الطوائف إلى أن المراد بالاتحاد الحلول، قالوا: وقد اختلفوا أيضاً في الجوهر[7] والأقانيم

---

(١) في هـ (يعبرون) بسقوط الواو.
(٢) في هـ، ك (معما) بدلاً من (مع ما).
(٣) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (ثم اختلفوا).
(٤) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٥) في هـ، ك (اللبن أو الماء) بدلاً من (الماء أو اللبن).
(٦) في هـ، ك (الملكية) بدلاً م (الملكانية).
(٧) في ط (الجواهر) بدلاً من (الجوهر).

فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم.

ولا يقال: إنه هي، وصرحت[1] الملكانية[2] بأنه غير الأقانيم، وآخرون قالوا: هو الأقانيم.

قالوا[3]: وافترقت النصارى من وجه آخر، فذهبت الروم[4] إلى التصريح بإثبات ثلاثة آلهة، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك في وجه والتزموه من وجه، وذلك أنهم قالوا: الكلمة إلٰه، والروح إلٰه، والأب إلٰه، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إلٰه، إلٰه واحد[5].

قالوا: وذهبت شرذمة من النصارى إلى أن عيسى كان ابناً لله على جهة الكرامة، فكما اتخذ الله[6] إبراهيم خليلاً، كذلك اتخذ عيسى ابناً.

قالوا: وهؤلاء يقال لهم: الأريوسية. فهذا نقل طائفة من نظار المسلمين، وهذا قول لمن قاله من النصارى، وفيه ما هو مخالف لصريح أمانتهم، وما عليه جمهورهم، مثل قوله: إنهم لا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فإن هذا خلاف ما عليه فرق النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية، وخلاف ما تضمنته أمانتهم، * إذ صرحوا فيها بأن الكلمة ابن قديم أزلي مولود قبل الدهور، وهذا صفة اللاهوت عندهم، وفيها أشياء يقولها بعض النصارى لا كلهم، وكذلك نقلهم عنهم: أنهم لا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم صفة فعل، وهذا قول طائفة منهم ومن

(١) في ط (صرحت) بسقوط الواو.
(٢) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٣) المقصود: أبو المعالي وصاحبه.
(٤) يقصد: الملكانية.
(٥) (واحد) ساقطة من هـ، ك.
(٦) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).

اليهـود، وكثيـر منهم أو أكثـرهم يقـولـون: إن كـلام الله غيـر مخلوق، وينكرون على من يقول: إنه مخلوق *[1].

ونقلت طـائفـة أخـرى منهم أبـو الحسن بن الـزاغـوني[2] عنهم مـا يوافق هـذا من وجه دون[3] وجـه، فقالـوا: اتفقت طوائف النصـارى على أن الله ليس بجسم، واتفقوا على أنه جوهر واحد ثلاثـة أقانيم، وأن كل واحد من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهـر العام، ثم اختلفـوا، فقال بعضهم: إن الأقانيم مختلفة في الأقنومية، متفقة في الجوهرية.

وقال آخرون: ليست مختلفة في الأقنومية، بل متغايرة، وقال فريق منهم: إن كـل واحد منهـا لا هو الآخـر، ولا هو غيـره، وليست متغايـرة ولا مختلفة، وزعموا أن الجوهر ليس هو غيرها إلَّا ما ذكر عن طائفـة من الملكانية[4]، فإنهم قالوا: إن الأقانيم هي الجـوهر غيـر الأقانيم وزعمـوا أن الجـوهـر هـو الأب، والأقـانيم الحيـاة، وهي روح القـدس والقــدرة والعلم، وأن الله اتحد بأحـد الأقانيم الـذي هو الابن بعيسى ابن مـريم، وكان مسيحاً عند الاتحاد، لاهـوتاً ونـاسوتـاً حمل، وولـد، ونشأ، وقتـل وصلب، ودفن.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) **أبـو الحسن الـزاغـوني**: هـو علي بن عبـد الله بن نصـر بن السـري أبـو الحسن بن الزاغوني مؤرخ فقيه أحد أئمة الحنابلة ـ من أهـل بغداد ـ ولـد سنة ٤٥٥هـ ـ كـان متفنناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله ـ كان مشهوراً بالصلاح والديانة والورع ـ له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب الإقناع في الفقه والإيضاح في أصول الدين، وغرر البيان في أصـول الفقه، لـه تاريـخ على السنين ـ توفي ببغداد سنة ٥٢٧هـ ودفن في مقبرة الإمام أحمد وشيعه خلق كثير.
انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/١٨٠؛ والبداية والنهاية ١٢/٢٠٥؛ وشـذرات الذهب ٤/٨٠؛ والأعلام للزركلي ٥/١٢٤.

(٣) في ك (وهذا) بدلاً من (دون).
(٤) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

واختلفوا ـ أيضاً[1] ـ فقالت النسطورية: إن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث، وأن اتحاده إنما هو بالمشيئة، وأن مشيئتهما واحدة، وإن كانا جوهرين.

وقالت اليعقوبية: لما اتحدا صار الجوهران: الجوهر القديم، والجوهر المحدث جوهراً واحداً.

واختلفوا ها هنا فقال بعضهم: الجوهر المحدث صار قديماً، وزعم آخرون أنهما لما اتحدا صارا جوهراً واحداً قديماً من وجه محدثاً من وجه آخر[2].

وقالت الملكانية: إن المسيح جوهران أقنوم واحد. وحكى عن بعضهم أنه أقنومان جوهر واحد[3]، وقالت[4] الأريوسية: إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له، وأن المسيح لم يصلب ولم يقتل، وأنه نبي وحكى عن بعضهم أنه قال: المسيح ليس بابن[5] الله، وحكى عن بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب.

واختلفوا في الكلمة الملقاة إلى مريم، فقالت طائفة منهم: إن الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة، كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه، وقالت[6] طائفة منهم: إنها حلت في مريم من غير ممازجة، كما أن شخص الإنسان يحل في المرآة، وفي الأجسام الصقيلة من غير ممازجة.

---

(١) (أيضاً) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (آخر) ساقطة من ط، ك.

(٣) في هـ (جوهر واحد وحكى عن بعضهم) بزيادة (وحكى عن بعضهم).

(٤) في ط (وقال) بدلاً من (وقالت).

(٥) في هـ (ابن) بسقوط (ب).

(٦) في ط، ك (فقالت) بزيادة (ف).

وزعمت طائفة من النصارى أن الناسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع، يؤثر فيه بالنقش، ثم لا يبقى منه شيء إلَّا أثره.

قال أبو الحسن بن الزاغوني، ومن معه[1]: واختلفت النصارى في الأقانيم، فقال قوم منهم: هي جواهر، وقال قوم: هي خواص، وقال قوم: هي صفات، وقال قوم: هي أشخاص: والأب عندهم الجوهر الجامع للأقانيم، والابن هو الكلمة التي اتحدت عند مبدأ المسيح، والروح هي الحياة، واجتمعوا على أن الاتحاد صفة فعل، وليس بصفة ذات.

قالوا: واختلف قولهم في الاتحاد[2] اختلافاً متبايناً، فزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح، وقيل: هذا قول الأكثرين منهم.

وزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو الاختلاط والامتزاج، وقال قوم من اليعقوبية: هو أن كلمة الله[3] قد انقلبت لحماً ودماً بالاختلاط، وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وامتزاجهما، وكذلك الخمر باللبن.

وقال قوم منهم: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اتحدا فصارا[4] هيكلاً واحداً.

---

(١) في ط، ك (قالت هذه الطائفة وأبو الحسن بن الزاغوني ومن معه) بدلاً من (قال أبو الحسن بن الزاغوني ومن معه).

(٢) في هـ (واختلفوا في الاتحاد) بدلاً من (واختلف قولهم في الاتحاد).
وفي ك (واختلفوا كلهم في الاتحاد).

(٣) في هـ (الكلمة) بدلاً من (كلمة الله).

(٤) في ط (فصار) بدلاً من (فصارا).

وقـال قوم منهم: الاتحـاد مثل ظهـور صورة الإنسـان في المرآة، وكظهور الطابع في المطبوع، مثل الخاتم في الشمـع، وقال قـوم منهم: الكلمـة اتحدت بجسـد المسيح على معنى أنهـا حلتـه من غيـر ممـاسـة ولا ممـازجة، كمـا نقول: الله في السمـاء على العرش من غيـر ممـاسـة ولا ممـازجة، وكمـا نقـول: إن العقـل جـوهـر حـال في النفس من غيـر مخالطة للنفس ولا مماسة لها، وقالت الملكـانية[1]: الاتحـاد أن الاثنين صارا واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغـوني هو نحـو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر[2] ابن الطيب، والقـاضي أبو يعلى[3]، وغيـرهما. وقـال أبـو محمد بن حـزم[4] النصارى فـرق منهم أصحاب أريـوس[5]، وكـان قسيسـاً بالاسكنـدرية، ومن قـولـه: التـوحيـد المجـرد، وأن عيسى عبـد

---

(١) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) **أبو محمد بن حزم**: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ــ عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام ــ ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ــ كان حافظاً عالماً مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنَّة ــ وكان شـافعي المذهب ثم انتقـل إلى مذهب أهـل الظـاهـر ــ وهو الـذي نشره ودعـا إليه ــ لـه مصنفات كثيـرة مشهـورة في شتى الفنـون والعلوم من أشهرهـا: كتاب المحلى في الفقـه، وكتاب الفصـل في الملل، وكتـاب الأحكام لأصـول الأحكام، وكتـاب إظهار تبـديـل اليهـود والنصـارى التـوراة والإنجيل، وبيان ناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل، وقد كان من بيت رياسة وملك، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكـاد يسلم من لسانـه أحد ــ أخرج من بلاده وشرد ــ توفي في بادية لبلة سنة ٤٥٦هـ.
انـظر: وفيـات الأعيـان ٣/٣٢٥؛ والبـدايـة والنهـايـة ١٢/٩١؛ وشـذرات الـذهب ٣/٢٩٩؛ والأعلام للزركلي ٥/٥٩.

(٥) سبقت ترجمته.

مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السماوات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول[1] باني القسطنطينية[2] وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا.

قال: ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي[3]، وكان بطرياركاً بأنطاكية[4] قبل ظهور النصرانية، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، خلقه الله في بطن أمه[5] مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلٰهية فيه البتة، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة، ولا الروح القدس، قال: وكان منهم أصحاب مقدنيوس[6]، كان بطرياركاً بالقسنطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين[7] باني القسطنطينية، وكان هذا الملك أريوسيا كأبيه، وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى ــ عليه السلام ــ عبد مخلوق إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) (أمه) ساقطة من ط، ك.

(٦) **مقدونيوس**: هو مقدونيوس ــ كان بطرياركاً على القسطنطينية لمدة عشر سنوات، وكان يقول إن روح القدس مخلوقة.
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٣٦.

(٧) **قسطنطين بن قسطنطين**: يطلق عليه قسطنطين الثاني (٣١٦ ــ ٤٠٠ ق.م) الذي استولى على بريطانيا وبلاد البرتغال وأسبانيا، وقد شعر أنه خدع في القسمة ولذلك حارب قسطانز، ولكنه قتل في أثناء غزوه إيطاليا.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨٠.

القـدس والكلمـة مخلوقـان خلق الله كـل ذلـك، قـال: وكـان منهم البـربـرانيـة[1]، وهم يقـولـون: إن عيسى وأمـه إلٰهـان من دون الله ـ تعالى ـ[2]، قال: وهذه الفرق قد بادت، وعمـدتهم اليوم ثـلاث فرق، وأعـظمها فرق الملكـانية، وهي[3] مذهب جميـع ملوك النصارى[4] حيث كانوا ـ حاشا الحبشة[5] والنوبة[6] ـ ومذهب عـامة أهـل كل[7] مملكـة النصـارى ـ حـاشـا النـوبـة والحبشـة، وهـو[8] مـذهب جميـع نصـارى أفريقية[9]، وصقلية[10]،

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) (تعالى) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ (وهو) بدلاً من (وهي).

(٤) في هـ (الروم) بدلاً من (النصارى).

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) **النوبة**: هي أرض واسعة جنوب مصـر وعلى جانبـي النيـل، وعامـة أهلها نصـارى، شيـد فيها الفـراعنة كثيـراً من المدن والحصـون والمعابـد لتأمين طـرق التجـارة إلى السودان قامت بها عدة ممالك مسيحية أهمها مملكة دنقلة التي استمرت حتى القـرن الرابع عشر الميلادي، ثم دخلها الإسلام منذ ظهوره، وانتهت دولة المسيحية.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٥١؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٤.

(٧) (كل) ساقطة من ط، ك.

(٨) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٩) **أفريقية**: هذا الاسم يطلق قديماً على البلاد الواقعـة بين مدينـة برقـة في شرقي ليبيـا إلى طنجـة بالمغـرب وهي البلاد التي فتحهـا المسلمـون في عهـد عثمـان بن عفـان ـ رضي الله عنه ـ بقيادة عبد الله بن سعد بن أبـي سـرح، وتمتد شمـالاً وجنوبـاً من البحر المتوسط إلى الجبال والرمال العظيمة في شمال السودان وما حاذاها.
انظر: معجم البلدان ١/٢٢٨؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٨.

(١٠) **صقلية**: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط مقـابلة لأفريقيـا وهي مثلثة الشكـل، كـانت قليلة العمارة خـاملة قبل الإسـلام، هرب إليهـا بعض أهل أفـريقيا عنـد الفتـح الإسـلامي، وفتحهـا القـاضي أسـد بن الفـرات، في أيـام بني الأغلب سنـة ٢١٢هـ وبقيت في أيدي المسلمين مدة، ثم ظهر عليها الكفار فملكوها إلى اليوم.
انـظر: معجم البلدان ٢/٤١٦؛ وآثار البـلاد وأخبار العبـاد ص ٢١٥؛ والمـوسـوعـة العربية الميسرة ص ١٢٢٦.

والأندلس[1]، وجمهور الشام[2]، وقولهم أن الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس كلها لم تزل، وأن عيسى إلٰه تام كله وإنسان تام ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإلٰه منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإلٰه والإنسان، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ.

وقالت النسطورية: مثل ذلك سواء بسواء، إلَّا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإلٰه، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإلٰه ـ تعالى الله عن كفرهم ـ وهذه الفرقة غالبة على الموصل[3] والعراق[4] وفارس[5] وخراسان[6]، وهم منسوبون[7] إلى نسطور[8]، وكان بطرياركاً بالقسطنطينية.

وقالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله نفسه؛ وأن الله ـ تعالى الله[9] عن عظيم كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا

---

(١) **الأندلس**: إقليم في جنوبي أسبانيا وهو شبه جزيرة كبيرة يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهي بلاد جميلة كثيرة الأنهار والأشجار والثمار، دخلها الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان بقيادة طارق بن زياد، وظل فيها المسلمون قرابة سبعة قرون، وكان هذا العصر الذهبي لهذه البلاد. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤١؛ ومعجم البلدان ١/٢٦٢.

(٢) **جمهور الشام**: راجع ٣/١٤٢.

(٣) **الموصل**: راجع ٣/١٧.

(٤) **العراق**: راجع ٣/١٤٣.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) سبق التعريف بها.

(٧) في ط (منسوبين) بدلاً من (منسوبون).

(٨) **نسطور**: هو نسطوريورس بطريك القسطنطينية. راجع ٣/٢٨.

(٩) سقط من ط، ك لفظ الجلالة (الله).

مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، والله ـ تعالى[1] ـ عاد محدثاً، والمحدث عاد قديماً، والله ـ تعالى ـ كان[2] في بطن مريم محمولاً به، وهم في أعمال مصر[3] وجميع النوبة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين[4].

قلت[5]: ومن أخبر[6] الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم، ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب[7]، الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب[8]، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، قال في رسالته[9] إلى أخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه بعد أن ذكر[10] خطبته: «ثم أعلمك ـ أرشدك الله[11] ـ أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول[12] به من أكثر

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط، ك (وأنه تعالى هو كان) بدلاً من (والله تعالى كان).
(٣) أعمال مصر: راجع ٣/ ١٤٣.
(٤) في هـ (الأرمنين) بدلاً من (الأمتين المذكورتين). (انظر الفصل لابن حزم).
(٥) (قلت) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط، ك (أعلم) بدلاً من (أخبر).
(٧) (٨) **الحسن بن أيوب وعلي بن أيوب**: لم نقف لهما على ترجمة ـ بالرغم من البحث المضني، لكن وردت إشارة إليه في كتاب الفهرست للنديم ص **٢٤٦** يقول فيها: «وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم، وتثبيت النبوة»، وهذه الإشارة تجعلنا نجزم بأن الحسن بن أيوب عاش قبل تأليف كتاب الفهرست للنديم الذي توفي حوالي عام **٣٧٧**هـ والله أعلم.
(٩) رسالة الحسن بن أيوب. لم أقف لها على ذكر.
(١٠) (أن ذكر) ساقطة من هـ .
(١١) (أرشدك الله) ساقطة من ط، ك.
(١٢) في ط، ك (للقول) بدلاً من (بالقول).

من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله ـ عز وجل ـ بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم وغيرها، مما تضمنته شريعة النصارى، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير[1] ذلك، وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر[2] فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي منَّ الله عليَّ به وجدت أصوله ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة.

وأصل ذلك ما لا يختلف فيه أحد ممن عرف الله ـ عز وجل ـ منكم ومن غيركم، وهو الإيمان بالله الحي القيوم، السميع البصير، الواحد الفرد، الملك القدوس، الجواد العدل، إلّه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وإلّه موسى وعيسى[3]، وسائر النبيين، والخلق أجمعين، الذي لا ابتداء له، ولا انتهاء ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، الذي خلق الأشياء كلها لا من شيء ولا على مثال، بل كيف شاء. وبأن قال لها: كوني فكانت على ما قدر وأراد، وهو العليم القدير، الرؤف الرحيم، الذي لا يشبهه[4] شيء، وهو الغالب فلا يغلب، والجواد فلا يبخل، لا يفوته مطلوب، ولا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وكل[5] مذكور أو موهوم هو منه، وكل ذلك به وكل له قانتون، ثم نؤمن بأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

---

(١) في ط، ك (تنويرة) بدلاً من (تقرير).
(٢) في هـ (الفكرة) بزيادة (ة).
(٣) في ط (عيسى وموسى) بتقديم وتأخير.
(٤) في هـ (يشبه) بدلاً من (يشبهه).
(٥) في ط، ك (فكل) بدلاً من (وكل).

المشـركون، ونؤمن بمـوسى وعيسى وسائـر الأنبيـاء ــ عليهم الصـلاة[1] والسلام ــ ، لا نفرق بين أحـد منهم، ونؤمن بالتـوراة والإنجيل والـزبور والقرآن[2]، وسائـر الكتب التي أنزلهـا الله ــ تعالى ــ على أنبيـائه، وأن السـاعة آتيـة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبـور وأن الأبرار لفي نعيم، وأن الفجـار لفي جحيم يصلونهـا يـوم الـدين، ذلـك بمـا كسبت أيديهم[3]، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

قال[4]: وكان يحملني إلف ديني[5]، وطـول المدة والعهـد عليه، والاجتمـاع مع الآبـاء والأمهات والإخـوة والأخوات والأقـارب والإخـوان والجيران وأهل المودات، على التسويف بالعزم والتلبث عن إبرام الأمر، ويعرض مع ذلك الفكر في إمعـان النظر والازديـاد في البصيرة، فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبـور، وكتب الأنبياء والقـرآن إلّا نـظرت فيه وتصفحتـه، ولا شيئاً من مقـالات النصرانيـة إلّا تأملتـه، فلما لم[6] أجـد للحق مدفعـاً، ولا للشك فيـه مـوضعـاً، ولا لـلأنـاة والتلبث وجهاً، خرجت مهاجراً إلى الله ــ عز وجل ــ[7] بنفسي، هارباً بديني عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعـز ومتصرف في عمـل، فأظهـرت ما أظهـرته عن نية صحيحة وسريرة صادقة، ويقين ثـابت، فالحمـد لله الذي هـدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنـا بالحق[8]،

(١) (الصلاة) ساقطة من ط، ك.
(٢) في هـ (الفرقان) بدلاً من (القرآن).
(٣) في ط (بما قدمت أيديكم) بدلاً من (بما كسبت أيديهم).
(٤) يقصد الحسن بن أيوب.
(٥) في هـ ، ك (الدين) بدلاً من (ديني).
(٦) في ط، ك (فلم) بدلاً من (فلما لم).
(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ .
(٨) (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ساقطة من ط، ك.

وإياه ــ تعالى ــ[1] نسأل أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

قال[2]: ولما[3] نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالأريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح ــ عليه السلام ــ، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوَّة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه، والحاملون عنه. فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ودفع ما جاء به من الكتاب والسنَّة.

قال: ثم وجدت منهم صنفاً[4] يعرفون باليعقوبية، يقولون: إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنساناً واحداً، وجوهراً واحداً، وشخصاً واحداً. وأن هذه الطبيعة الواحدة، والشخص والواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

وقالوا: إن مريم ولدت الله ــ تعالى الله عما يقولون[5] ــ وإن الله مات وتألم[6] وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الأموات، وصعد إلى

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.
(٢) يقصد الحسن بن أيوب.
(٣) في هـ (فلما) بدلاً من (ولما).
(٤) في هـ (صنفاً منهم) بتقديم وتأخير.
(٥) في هـ (يصفون) بدلاً من (يقولون).
(٦) في هـ، ك (ألم) بدلاً من (تألم).

السماء فجاءوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت، أو على الأرض لانشقت، أو على الجبال لانهدت، فلم يكن لمحاجة هؤلاء وجه، إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك، (وكان غيرهم من النصارى كالمالكانية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم)[1].

قال: ثم نظرت في قول الملكانية ــ وهم الروم، وهم أكثر النصارى[2] فوجدتهم[3] قالوا: إن الابن الأزلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنساناً بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس، وإلهاً بجوهر اللاهوت، كمثل أبيه لم يزل وهو إنسان بجوهر الناسوت، مثل إبراهيم وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت، كما لم يزل يصح[4] له جوهر[5] الناسوت الذي لبسه[6] من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة[7] من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته[8] مشيئة مثل الأب والروح وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة[9] إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت إلهاً، وأن المسيح، وهو اسم يجمع

(١) ما بين القوسين كتب في هـ: هكذا (وكنتم جميعاً تشهدون بذلك عليهم).
(٢) (وهم أكثر النصارى) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (وجدتهم) بسقوط (فـ).
(٤) في ط، ك (وصح) بدلاً من (يصح).
(٥) (جوهر) ساقطة من هـ.
(٦) في هـ (اكتسبه) بدلاً من (لبسه).
(٧) في ط، ك (واحد) بسقوط (ة).
(٨) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بلاهوته).
(٩) في هـ (كمشيئة) بدلاً من (مثل مشيئة).

اللاهوت والناسوت مات، وقالوا: إن الله لم يمت والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، (فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته)[1]، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت، وهو شخص واحد، لا نقول شخصان لئلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم.

قال[2]: فهؤلاء أتوا[3] من ذلك بمثل ما أتت به[4] اليعقوبية في ولادة مريم الله[5] ـ تعالى الله عما يقول الظالمون[6] ـ وقالوا: إن المسيح ـ وهو اسم لا تشك جماعة النصارى أنه واقع على اللاهوت والناسوت ـ مات، وأن الله لم يمت، فكيف يكون ميتاً[7] لم يمت، وقائماً قاعداً[8] في حال واحدة[9]؟ وهل بين المقالتين فرق[10] إلَّا ما اختلفوا فيه من الطبائع؟

* قال: ثم نظرت في قول النسطورية فوجدتهم قالوا: إن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، وأن طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها

---

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ .
(٢) يقصد الحسن بن أيوب.
(٣) في هـ (فأتوا) بدلاً من (فهؤلاء أتوا).
(٤) (به) ساقطة من ط .
(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط .
(٦) في هـ (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون) بدلاً من (تعالى الله عما يقول الظالمون).
(٧) في ط، ك (ميت) بدلاً من (ميتاً).
(٨) في ط، ك (وقائم وقاعد) بدلاً من (وقائماً قاعداً).
(٩) في ط (واحد) بسقوط (ة).
في هـ (حالة واحدة) بدلاً من (حال واحدة).
(١٠) (فرق) ساقط من هـ .

الكلمة التي صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وإرادة واحدة واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصان، ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بتلك إلّهاً وإنساناً، فهو إلّه بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته.

وقال: فوجدنا اليعقوبية قد صرحوا بأن مريم ولدت الله ــ تعالى عما يصفه المبطلون ــ، ويقوله العادلون ــ وأنه تألم[1] وصلب ومات، وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى، وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصارى وغيرهم، ووجدنا الملكانية قد حادوا عن هذا التصريح إلى ما هو دونه في الظاهر، فقالوا: إن المسيح شخص واحد وطبيعتان، فلكل واحدة من الطبيعتين مشيئة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود. وأوهموا الواقف على قولهم أنهم بما اخترعوه من هذا الاختيار قد فرقوا بين اللاهوت والناسوت. ثم عادوا إلى قول اليعقوبية فقالوا: إن مريم ولدت إلّهاً، وأن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم لا يشكون في ذلك، مات بالجسد، وأن الله لم يمت، والذي قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته، فكيف يكون ميت لم يمت؟ وهل بين المقالتين ــ إلاَّ ما اختلفوا فيه من الطبائع ــ فرق؟ *[2].

---

(١) في ك (ألم) بدلاً من (تألم).

(٢) هذه الصفحة كلها ساقطة من هـ.

وإذا[1] كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله، وأن الذي ولدته مريم، وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين[2]، للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال، التي تحكي النصارى أنها فعلت بالمسيح إلَّا عليهما؟

فكيف يصح لذي[3] عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات، ونالته العلل والآفات.

قلت[4]: ومما يوضح تناقضهم أنهم يقولون: إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد وأقنوم واحد، مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين أقنوماً واحداً، ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إلّه واحد، وأقنوم واحد[5]، وجوهر واحد، وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتحدين أقنوماً واحداً، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة، والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخص واحد، أقنوم[6] واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض، سواءً فسروا الأقنوم بالصفة، أو الشخص، أو الذات مع الصفة، أو أي شيء قالوه.

وهو[7] يبين[8] أن الذين تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه،

---

(١) في ط (أو إذا) بدلاً من (وإذا).

(٢) (للجوهرين) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (الذي) بزيادة (أ).

(٤) هذا كلام الشيخ تعقيباً على قول الحسن بن أيوب.

(٥) (أقنوم واحد) ساقطة من ط، هـ.

(٦) في ط (وأقنوم) بزيادة (و).

(٧) الضمير يعود للحسن بن أيوب.

(٨) في هـ (يتبين) بدلاً من (يبين).

بل كانوا ضلالاً جهالاً، بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق، فلهذا لا يوجد عن المسيح، ولا غيره من الأنبياء ما يوافق قولهم في التثليث، والأقانيم والاتحاد، ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل، بل ألقوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل.

ثم قال الحسن بن أيوب: ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية قد خالفوا اليعقوبية والملكانية في قولهم بشخصين[1] لهما مشيئة واحدة، وأن الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة، ثم عادوا إلى شبيه قولهم في أن مريم ولدت المسيح، فإذا كانت ولدت المسيح فقد لزمهم ووجب عليه الإقرار بأنها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين.

وقد رجع المعنى إلى قول اليعقوبية إلَّا أنهم اختاروا لذلك ألفاظاً زوقوها وقدروا بها التمويه على السامع، ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية، لأن المتحد بالشيء هو الممازج له والمجتمع معه، حتى صار مازجه وهو شيئاً واحداً، ثم أكدوا[2] القول بإقرارهم أن الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه، فما لم يفارق الشيء هل هو إلَّا يجري[3] مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع، وخير وشر، وحاجة وغنى.

قال[4]: وأما قولهم: إن مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه أغلوطة، وإلَّا فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر مجامع له دون ذلك الشيء؟ وكيف يكون ذاك، وهم يقولون: إنه لم يفارقه قط! وهل يصح

(١) في هـ (شخصين) بسقوط (بـ).
(٢) في ك (وكدوا)، في هـ (ذكروا) بدلاً من (أكدوا).
(٣) في ط، ك (إلَّا أن يجري) بزيادة (أن).
(٤) أي الحسن بن أيوب.

هذا عند أهل النظر، أوليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذي عقل يوجب أن تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معاً؟ بمعنى الاتحاد، وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح، وكذلك الحمل بهما جميعاً وأن يكون البطن قد حواهما؟.

قال: فإن لجوا في الباطل، ودافعوا عن قبيح هذه المقالة، ومالوا إلى[1] تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته، فنحن نقيم عليهم[2] شاهداً من أنفسهم لا يمكنهم دفعه، وذلك أن شريعة إيمانهم التي ألفها لهم[3] رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة والأساقفة والأحبار في دينهم وذوي العلم منهم بحضرة الملك، عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة[4] قسطنطينية، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً، يصفون أنهم نطقوا[5] بها بروح القدس، وهي التي لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم في المقالات فيها، ولا يتم لهم قربان إلاَّ بها على هذا النسق الذي نبينه[6] (نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع[7] المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر البشر[8]، ومن

---

(١) في هـ (وقالوا أن) بدلاً من (ومالوا إلى).
(٢) في ط (عليها) بدلاً من (عليهم).
(٣) (لهم) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (مدينة) بسقوط (بـ). ويقصدون مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.
(٥) في هـ، ك (أنطقوا) بزيادة (أ).
(٦) في هـ (بينته).
في ط (تبينه) بدلاً من (نبينه).
(٧) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).
(٨) (معشر الناس) ساقطة من هـ.

أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً وحبل به، وولد من مريم البتول، وتألم[1] وصلب أيام قيطوس[2] بن بيلاطوس[3] ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح، ومجيئه[4]، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية[5] سليخية جاثليقية، وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين).

قال[6]: فهذه الشريعة يجتمع على الإيمان بها، وبذل المهج فيها، وإخراج الأنفس دونها جماهيرهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية.

وقد اعترفوا فيها جميعاً بأن الرب المسيح الذي هذه صفته على ما اقتصصناه منها الإله الحق من الإله الحق، نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول[7] وتألم[8] وصلب.

---

(١) في هـ، ك (وألم) بدلاً من (وتألم).
(٢) **قيطوس**: لم أجد له ذكر لدى ابن البطريق، بل وجدت أن اسمه بيلاطوس فقط كما في الهامش التالي.
(٣) سبقت ترجمته. وانظر تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.
(٤) في هـ، ك (مجيئه) بسقوط (بـ).
(٥) في هـ (قدسيه) بدلاً من (قديسيه).
(٦) (قال) ساقطة من ك.
(٧) (البتول) ساقطة من هـ.
(٨) في هـ (ولكم) بدلاً من (وتألم).

قال: فهل في هذا الإقرار شبهة أو علقة يتعلق بها العنت[1] المدافع عن الحجة؟ فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى، فإنه لا يمكن أحد[2] منكم أن يخرج عنه، ولا أن يدفع ما صرح به فإنكم إن قلتم إن المقتول المصلوب هو الله، فمريم على قولكم ولدت الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ وإن قلتم أنه إنسان فمريم ولدت إنساناً، وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أي القولين شئتم، فإن فيه نقض الدين.

قال: وقد يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إلّه ولدته مريم، وهي امرأة آدمية، ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة، تجري عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية، وصحة وسقم، وخوف وأمن، وتعلم وتعليم، لا يتهيأ لكم أن تدَّعوا أنه كان منه في تلك[3] المدة من أسباب اللاهوتية شيء، ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجتهم وضروراتهم وهمومهم[4] ومحنهم وتصرفاتهم مخرج، ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله ـ تعالى ـ، والنبوات، والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله ـ تعالى ـ، وقد كان من[5] غيره من الأنبياء مثلها وما هو أعلىٰ منها، فكانت مدته في ذلك أقل من[6] ثلاث سنين، ثم انقضى أمره بما يصفون أنه انقضى به، وينسبونه إليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل، فهل تقبل العقول ما يقولون من

---

(١) في ط (المعنت) بدلاً من (العنت).
(٢) في ط (أحداً) بسقوط (أ).
(٣) في هـ (تلك الأحوال المدة) بزيادة (الأحوال).
(٤) في هـ (هموماتهم) بدلاً من (وهمومهم).
(٥) في ط (في) بدلاً من (من).
(٦) (من) ساقطة من ط .

أن إلّهاً نال عباده منه مثل ما تذكرون أنه نيل منه؟

فإن تأولتم أن ذلك حل بالجسم، وليس بالقياس يحتمل ذلـك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به، أفليس[1] قـد وقع بجسم تـوحدت اللاهوتية به، وحلت الروح فيه، وقد أنجبه الله على ما تزعمـون وتصفون لخلاص الخلق، وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع[2] فيه الأولون والآخـرون للحساب، وقـد وجدنـاكم تؤثرون أخبـاراً في قوم عـرضوا التـوابيت فيها، شهـداء[3] لكم بـأن الأيـدي التي بسـطت إليهـا جفت. أو هـل نـال أحـداً[4] من الجـزع والهلع والغم والقلق والتضـرع إلى الله في إزالة ما حل به، مثل ما يحكى في الإنجيل أنه ناله، ووجـدنا الكتب تنبـىء بـأنـه نيـل من جـورجيس[5] ـ أحـد من كـان على دين المسيـح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من العـذاب الشديـد بالقتـل والحرق والنشر بالمناشير ما لم يسمع بمثله في أحد من الخلق، ونال خلقاً كثيراً من تلامذته أيضاً عذاب شديد.

وقيل: لما كان الملوك المحاربون لهم يسومونهم إيـاه من الرجـوع عن أديانهم إلى الكفر الذي كان أولئك الملوك عليه فصبـروا على ذلك، واحتسبوا أنفسهم، فلم يهربوا من الموت، وقـد كان يمكنهم الهـرب من

---

(١) في ط (فليس) بدلاً من (أليس).
(٢) في ط (تجتمع) بدلاً من (يجتمع).
(٣) في ط (شهد) بدلاً من (شهداء).
(٤) في هـ (أحد) بسقوط (أ).
(٥) جـورجيس: ولـد بـالـرملة أو اللد بفلسـطين في النصف الأخيـر من القـرن الثـالث الميلادي ومات سنة ٣٠٣م، وقد كان المسيحيون يعظمونه ويقدسونه حتى أنهم بنـوا الكنائس والأديار وسموها باسمه.
انظر: دائرة المعارف للبستاني ١/٤٢٧، طبعة بيروت.

بلد إلى بلد، والاستتار وإخفاء أشخاصهم، وما أظهروا في حال من تلك الأحوال جزعاً ولا هلعاً، وهم بعض الآدميين التابعين له، لأنه خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتأييد الله ـ عز وجل ـ إياهم.

قال: ثم نقول قولاً آخر: قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه، لا يقع في شيء منها شك ولا طعن، ولا زيادة ولا نقصان، وهي أصل أمر المسيح عندكم:

فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل ـ عليه السلام ـ(*).

والثانية: قول يحيى بن زكريا[1] الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله(*).

والثالثة: النداء المسموع من السماء(*).

والرابعة: قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيى عن شأنه(*).

و[2]الذي قال جبريل على ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشرها: (السلام عليك أيتها الممتلئة نعماً، ربنا معك أيتها المباركة في النساء، فلما رأته مريم ذعرت منه، فقال: لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمةٍ من[3] ربك، فها أنت تحبلين وتلدين[4] ابناً، وتسميه يسوع[5]، ويكون كبيراً، ويسمى ابن الله العلي، ويعطيه الله[6] الرب كرسي أبيه

(*) سيأتي تفصيل هذه الأمور فيما بعد.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هذه بداية تفصيل الأمور الأربعة السابقة.

(٣) (من) ساقطة من ط.

(٤) في هـ (تحبلي وتلدي) بدلاً من (تحبلين وتلدين).

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد، فقالت مريم: أنى يكون لي ذلك ولم يمسسني رجل، قال لها الملك[1]: إن روح القدس يأتيك، أو قال: يحل فيك وقوة العلي تحبلك[2] من أجل ذلك يكون الذي يولد منك قديساً[3] ويسمى ابن الله العلي)[4].

قال: فلم نرَ الملك[5] قال لها: إن الذي تلدين، هو[6] خالقك[7] وهو[8] الرب كما سميتموه، بل أزال الشك في ذلك بأن قال: (إن الله الرب يعطيه كرسي أبيه داود، ويصطفيه ويكرمه، وأن داود النبي أبوه، وأنه يسمى ابن الله)، وما قال أيضاً: (أنه يكون ملكاً على الأرض) وإنما جعل له الملك على بني إسرائيل فقط، وقد علمتم أن من يسمى بابن الله كثير لا يحصون، فمن ذلك إقراركم بأنكم جميعاً أبناء الله

---

(١) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٢) في هـ، ك (تجللك) بدلاً من (تحبلك).
(٣) في هـ (قدسياً) بدلاً من (قديساً).
(٤) هذا النص في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الأول ـ مختلفاً شيئاً يسيراً: (٢٨ ـ فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء. **٢٩** ـ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. **٣٠** ـ فقال الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. **٣١** ـ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. **٣٢** ـ هكذا يكون عظيماً، وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. **٣٣** ـ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. **٣٤** ـ فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. **٣٥** ـ فأجاب وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله).
انظر: العهد الجديد ص ٩٠.
(٥) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٦) في ط (وهو) بزيادة (و).
(٧) في هـ (خالق) بسقوط (ك).
(٨) في ط (هو) بسقوط (و).

بالمحبة، وقول المسيح: (أبي وأبيكم، وإلٰهي وإلهكم)[1] في غير موضع من الإنجيل، ثم تسمية الله يعقوب وغيره بنيه خصوصاً، فالسبيل في المسيح إذا[2] لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار، ونسبة الملك[3] إياه إلى أبيه داود تحقق أن أباه داود، وأن التسمية الأولى على جهة الاصطفاء والمحبة، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها «متى»[4] التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل: (لستم أنتم متكلمين[5]، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم)[6].

فأخبر أن الروح تحل[7] في القوم أجمعين، وتتكلم فيهم، وقال الملك[8] في بشارته لمريم بالمسيح ـ عليه السلام ـ: إنه يكون ملكاً على آل يعقوب فخص آل يعقوب بتملكه عليهم دون غيرهم من الناس، ولم يقل إنه يكون إلٰهاً للخلائق[9]، ومعنى قول جبريل ـ عليه السلام ـ

(١) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم) بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.
(٢) في ط (إذ) بسقوط (أ).
(٣) في هـ ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٤) سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢١.
في هـ (متا) بدلاً من (متى).
(٥) في هـ ، ك (متكلمون) بدلاً من (متكلمين).
(٦) في إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر: (٢٠ ـ لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم).
انظر: العهد الجديد ص ١٨.
(٧) في ك (يحل) بدلاً من (تحل).
(٨) في هـ ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٩) في هـ (للخلق) بدلاً من (للخلائق).

لمريم: (ربنا معك) مثل معنى قول الله ـ عز وجل ـ لموسى وغيره من الأنبياء: (إني معكم) فقد قال ليوشع بن نون[1]: (إني أكون معك، كما كنت مع موسى عبدي)[2] فقول النصارى كلهم في مجاري لغتهم ومعاني ألفاظهم أن الله ـ عز وجل ـ، وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل في دينه على هذه[3] السبيل.

قال: وأما النداء الذي سمعه يحيى بن زكريا من السماء في المسيح وشهادة يحيى له، فإن «متى»[4] قال في إنجيله: (إن المسيح ـ عليه السلام ـ لما خرج من الأردن[5] تفتحت له السماء، فنظر يحيى[6] إلى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة، وسمع نداء من السماء: إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته)[7].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) وجدنا في يشوع ـ الإصحاح الثالث بمعناه: (٧ ـ لكي يعلموا أني كما كنت مع موسى أكون معك).
انظر: العهد القديم ص ٣٤٠.

(٣) في هـ (هذا) بدلاً من (هذه).

(٤) في هـ (متا) بدلاً من (متى).

(٥) المقصود نهر الأردن الذي يفصل حالياً بين شرقي الأردن (الدولة) وغربيه (فلسطين)، حيث كان يحيى بن زكريا يعمد فيه النصارى.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦.

(٦) (يحيى) ساقطة من هـ.

(٧) النص الموجود في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس يقول: (١٦ ـ فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).
انظر: العهد الجديد ص ٦.
وكذلك في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثالث: (٢١ ـ ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذا كان يصلي انفتحت السماء. ٢٢ ـ ونزل عليه الروح القدس بهيئة حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت) بمعناه.
انظر العهد الجديد ص ٥٩.

فقد[1] علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق، وليس[2] يستنكف المسيح ــ عليه السلام ــ من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه، وما زال يقول: (إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم)، وكلما يصحح[3] به أنه عبد مرسل مربوب مبعوث مأمور يؤدي ما سمع ويفعل ما حد له، ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب[4] ــ إن شاء الله تعالى ــ .

ثم قال[5]: وقد وجدنا المسيح ــ عليه السلام ــ . أحتاج إلى تكميل[6] أمره بمعمودية يحيى له فصار إليه لذلك[7] وسأله[8] إياه، فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب، وقال «لوقا»[9] التلميذ في إنجيله: (إن يحيى المعمداني أرسل إلى المسيح بعد أن عمده وسأله: أنت ذلك الذي تجيء أو نتوقع غيرك؟)[10] فكان جواب المسيح

---

(١) في ط، ك (وقد) بدلاً من (فقد).

(٢) في هـ (ولن) بدلاً من (وليس).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وإن كنت أعتقد أنها (يصرح).

(٤) كتاب الحسن بن أيوب (إلى أخيه).

(٥) في هـ (وقال) بدلاً من (ثم قال).

(٦) في هـ (أن يكمل) بدلاً من (إلى تكميل).

(٧) في هـ ، ك (بذلك) بدلاً من (لذلك).

(٨) في ك (ويسأله) بدلاً من (وسأله).

(٩) سبقت الإشارة إلى لوقا ٣/ ٢٢.

(١٠) النص الموجود في إنجيل لوقا ــ الإصحاح السابع يقول: (١٩ ــ فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢٠ ــ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢١ ــ وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء، وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين. ٢٢ ــ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما: أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. ٢٣ ــ وطوبى لمن لا يفتر في). =

لـرسله أن: (ارجعـوا فـأخبـروه بمـا تـرون من عميـان يبصـرون، وزمن ينهضــون، وصم يسمعـون، فــطوبـى لمن لـم يغتـر بـي، أو يــذل في أمري).

قــال: فـوجــدنــا يحيـى مــع محله وجــلالــة قــدره عنــد الله ـ عز وجل ـ، ثم ما شهد به للمسيح له من أنه مـا قامت النسـاء[1] عن مثله[2] قد شك فيه فاحتـاج إلى أن يسألـه[3] عن شأنـه، ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية، ولا قال: إني خالقـك وخـالق كل شيء، كمـا في شريعـة إيمانكم، بـل حـذر الغلط في أمـره والاغترار، ولا كان من قوله أكثر مما ذكر أنه أظهـر بنبوته من هذه الآيات التي سبق[4] إلى مثلها أكثر الأنبياء.

قال: ولا رأينا يحيـى زاد فـي وضعه إياه لما قرظـه وأعلا[5] ذكـره مع تشككه في أمره وحاجته إلى مسألتـه عن حالـه على[6] أن قال: (هـو أقـوى مني، وأني[7] لا أستحق أن أحـل معقـد خفـه)[8] ولم يقـل: إنـه

= انظر: العهد الجديد ص ١٠٤.
كما في إنجيل متى ـ الإصحاح الحادي عشر ص ١٩ ـ العهد الجـديد بنص مـا في لوقا.

(١) (النساء) ساقطة من هـ.
(٢) ستـأتي ـ إن شاء الله ـ الإشـارة إلى شهادة المسيـح ـ عليـه السـلام ـ ليحيـى في الصفحة القادمة.
(٣) في هـ، ك (سأله) بدلاً من (يسأله).
(٤) في ط (يسبق) بدلاً من (سبق).
(٥) في ط، هـ (وأعلاه) بزيادة (ه).
(٦) في ط (إلى) بدلاً من (على).
(٧) (وأني) ساقطة من هـ.
(٨) وجدنـا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الأول يقول: (٢٧ ـ هو الي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٦.

خالقي، وقد يقول الرجل: الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيى فيه تواضعاً لله وخشوعاً، كما قال المسيح في يحيى: (إنه ما قامت النساء عن مثله)[1].

قال[2]: فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح وهو أصلكم الذي وقع عليه[3] بناؤكم[4]، وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها، ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة، لأن المسيح ـ عليه السلام ـ يقول: إنه مربوب مبعوث، ويقول[5] جبريل: إنه مكرم مصطفى، وأن أباه داود، وأن الله جعله ملكاً على آل يعقوب، وينادي[6] مناد من السماء بمثل ذلك، ويشهد يحيى بن زكريا على مثله، وتقولون: بل هو خالق أزلي إلاَّ أنه يستر[7] نفسه، ويقول المسيح وغيره ممن سمينا أنه معطى وأن الله معطيه، وتقولون: بل رازق النعم وواهبها، ويقول: إن الله أرسله، وتقولون: بل هو الذي نزل لخلاصنا، وتعتقدون سبب نزوله من السماء أنه[8] أراد أن يخلصكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص

---

(١) وجدنا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل متى ـ الإصحاح الحادي عشر يقول: (١١ ـ الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان).
انظر: العهد الجديد ص ١٩.
(٢) يقصد الحسن بن أيوب.
(٣) (عليه) ساقطة من هـ.
(٤) في ط (أبناؤكم).
في هـ (ثناؤكم) بدلاً من (بناؤكم).
(٥) في ط (يقول) بسقوط (و).
(٦) في ط (ينادي) بسقوط (و).
(٧) في هـ (ستر) بسقوط (يـ).
(٨) في هـ (أنه نزل) بزيادة (نزل).

لم يقع، والخطيئة[1] قائمة[2] لم تزل، والشيطان أعتى ما كـان لم يربط، بـل سلطه الله عليه على مـا تقـولـون، فحصـره في الجبـل أربعين يـومـاً يمتحنـه، وقال لـه في بعض أحوالـه معـه: (إن كنت ابن الله فقـل لهـذه الصخور تصير خبزاً، فقال له المسيح مجيباً له: إنـه مكتوب أن حيـاة الإنسان لا تكون بالخبز[3]، بـل بكل كلمـة تخرج من الله، ثم سـاقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس، وأقامه على قرنة الهيكل[4]، وقال لـه: إن كنت ابن الله فارم بنفسك من هـا هنا، فـإنه مكتـوب إن الملائكـة توكـل بك، لئلا تعثـر رجلك بالحجـر، قال يسـوع[5] ومكتوب أيضـاً لا تجرب الـرب إلٰهك، ثم سـاقه إلى جبـل عـال، وأراه جميـع مملكـات الـدنيـا وزخارفها، وقال[6] له: إن خـررت على وجهك سـاجداً لي جعلت هـذا الذي ترى كله لك. قال له المسيح: أغـرب أيها الشيـطان فإنـه مكتوب أسجد للرب إلٰهك، ولا تعبـد شيئاً سـواه، ثم بعث الله ـ عز وجـل[7] ـ ملكـاً اقتلع العـدو من مكـانـه ورمى بـه في البحـر، وأطلق السبيـل للمسيح)[8].

(١) (والخطيئة) ساقطة من ط.

(٢) في هـ (باقية) بدلاً من (قائمة).

(٣) في هـ (إلَّا بالخبز) بزيادة (إلَّا).

(٤) الهيكل: يتكون الهيكل عادة من عضوين طوليين على الجانبين قطاع كل منهما على هيئة مجرى يثبت به أعضاء مستعرضة قطاعها اسطواني.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٠.

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) في هـ (فقال) بدلاً من (وقال).

(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ، ك.

(٨) هذا النص الطويل موجود في إنجيل (متى) الإصحاح الرابع بمعناه ص ٦ من العهـد الجديد.
وموجود كذلك في إنجيل (لوقا) الإصحاح الـرابع بمعنـاه ص ٩٦ من العهد الجـديد مع تقديم وتأخير في بعض الجمل.

وقال[١]: أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة، أن هـذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله، ولو كان إلهاً لأزاله عن نفسه[٢] قبل أن يأتيه الملك من عند ربه، ولما قال: (أمرنا أن لا نجرب الله، وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه)، وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربطه عن أمته، قال: فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جداً، وكثر اختلافها واشتد تناقضها[٣] واضطرابها.

قال: ومما[٤] يعجب منه أنكم تعتقدون أن الابن الأزلي اتحد بالمسيح، فصارا بجهة[٥] واحدة، ولم يفارقه قط منذ اتحد به، ومكث على ذلك في بطن أمه تسعة أشهر، ثم أقام مولوداً، وتغذى[٦] باللبن، ومربوباً صبياً مغذى بالأغذية إلى أن بلغ ثلاثين سنة لا يظهر منه شيء من آلة الربوبية، ولا أمر يوجب هذا المحل، ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق، ولا سطع منه نور، ولا ظهرت له سكينة، ولاحفته الملائكة بالتهليل[٧]، ولا ألم به الشعث بعد ذلك فوق ما كان من الأنبياء قبله، فقد كلم الله موسى من العوسجة كيف شاء فأشرق ما حولها نوراً وكلمه من طور سيناء فاضطربت في الجبل النيران، والتبس وجهه النور الساطع حتى كان يتبرقع إذا جلس مع بني إسرائيل بعد ذلك، لأنهم كانوا لا يستطيعون النظر إليه، ثم سأل موسى ربه ـ عز وجل ـ لما قرب

---

(١) يقصد الحسن بن أيوب.
(وقال) ساقطة من هـ.
(٢) في ط (عن نفسه قبل نفسه) بزيادة (قبل نفسه).
(٣) في ط (تنقصها).
(٤) في ط (مما) بسقوط (و).
(٥) في هـ (لجهة) بدلاً من (بجهة).
(٦) في هـ (ويتغذى) بدلاً (وتغذى).
(٧) في هـ (بالتهلل) بدلاً من (بالتهليل).

منه فقال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق)[١] من صعقته استغفر[٢] ربه فتاب عليه، وتجلى مجد الله لجماعة من الأنبياء فرأوا حول مجده ربوات الملائكة.

وقال داود: (يا رب إنك حيث عبرت ببلاد سنين تزلزلت الأرض منك وانفطرت من هيبتك)[٣] وقال أيضاً كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها: (ما لك أيها البحر هارباً، وأنت يا نهر الأردن لم وليت راجعاً وما لك أيتها الجبال تنفرين كالأبابيل، وما لكن أيتها الشوامخ والهضبات تنزو نزو[٤] الشياء[٥])، ثم قال كالمجيب عنهم: (من قدام الرب تزلزلت البقاع)[٦].

قال: فإن كان المسيح هو الأزلي الخالق أو كان متحداً به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال، ولم تتصرف عن مشيئته الأنهار والبحار، أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الأنبياء قبله مثل المشي على متون الهواء[٧]، والاضطجاع على أكتاف الرياح. والاستغناء عن

---

(١) يشير بذلك إلى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) في هـ، ك (استقال) بدلاً من (استغفر).

(٣) وجدنا في سفر المزامير ــ المزمور السادس والسبعون الآتي: (٧ ــ أنت مهوب أنت فمن يقف قدامك حال غضبك ــ ٨ ــ من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكنت عند قيام الله للقضاء).
انظر: العهد القديم ص ٨٨٥.

(٤) في ط (تنزوان نزول) بدلاً من (تنز نزو).

(٥) في هـ (الشماء).

(٦) هذا النص موجود بمعناه في مزامير داود ــ المزمور المائة وأربعة عشر من العهد القديم ص ٩١٣.

(٧) في ط، ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

المآكل والمشارب وإحراق من قرب منه من الشياطين والجن، كما أحرق إيليا[1] من قرب منه من جند أحاب الملك[2]، ويمنع الآدميين من نفسه، وما فعلوا على زعمكم[3] بجسمه ليعلم الناس أنه خالقهم[4]، أو أنه هيكل الخالق.

قال: ووجدناكم تقولون: أن الابن إنما يسمى[5] ابن الله وكلامه، لأنه تولد من الأب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك، لأن شريعة إيمانكم تقول[6]: إن الروح أيضاً تخرج من الأب، فإن كان الأمر كما تقولون: فالروح أيضاً ابن، لأنها تخرج عن الله ـ تعالى ـ، وإلاَّ فما[7] الفرق بينهما؟

قال: ولم نفهم أيضاً قولكم أن الابن تجسد من روح القدس، وأن روح القدس ساقه إلى البر[8] ليمتحنه[9] الشيطان، فما كانت حاجة الابن إلى أن تكون الروح ـ وهي في قولكم مثله ـ تدبره وتغيره من حال إلى حال، أو ما علمتم أن الغير السابق المدبر فاعل، والمسبوق

(١) **إيليا**: نبي عاش في المملكة الشمالية ولد في تشبه وعاش في جلعاد ـ دعا الرب فأحرق المحرقة زمن آحاب الملك وترك بنو إسرائيل عبادة البعل وعبدوا الرب.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٢) **أحاب الملك**: هو ملك بني إسرائيل وهو ابن عمرى الذي خلفه على العرش، وقد بدأ حكمه حوالي (٨٧٥ق. م).
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠.

(٣) في ط (زعمهم) بدلاً من (زعمكم).

(٤) في ط (خلقهم) بدلاً من (خالقهم).

(٥) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى).

(٦) (تقول) ساقطة من هـ، ك.

(٧) في هـ (ما) بسقوط (ف).

(٨) في هـ (البشر) بدلا من (البر).

(٩) في ط (يمتحنه) بسقوط (ل).

المدبر مفعول به، فالابن إذن دون الروح، وليس مثله لأن الأزلي لا ينفك من الأزلي وهو مثله.

قال: وإن كان[1] المسيح من روح القدس[2]، كما قال جبريل الملك لأمه مريم، فلم سميتموه كلمة الله وابنه، ولم تسموه روحه، فإنما قال لها الملك: إن الذي تلدين من روح القدس، والروح غير الابن ولو كان المعنى واحداً لما قالت الشريعة: إنه تجسد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه[3] إلى البر، وإن روح القدس نزل عليه، ولم تثلثون به في إيمانكم، فتقولون: نؤمن بالأب والابن والروح القدس؟

قال[4]: ووجدناكم تقولون: أيتها النسطورية إن لله[5] علماً وحكمةً هما الابن، وحياة هي الروح قديمين[6]، ولعلمه وحياته ذات كذات الله، وذلك أن علم الله له علم وحياة، ولحياته التي هي روحه علم وحياة، وأن الله الأب لما رأى استيلاء[7] العدو على خلقه، ونكول الأنبياء عن مناوأته، أرسل إليه ابنه الفرد وحبيبه، وجعله فداء ووفاء للناس أجمعين، وأن ابنه[8] نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً ثم ولد ونشأ، وعاش ثلاثين سنة يتقلب بين بني إسرائيل كواحد منهم يصلي

---

(١) (كان) ساقطة من ط.
(٢) (القدس) ساقطة من ك.
(٣) في هـ، ك (ساقته) بدلاً من (ساقه).
(٤) يقصد الحسن بن أيوب.
(٥) في ط (الله) بزيادة (ا).
(٦) في هـ (قديمتين) بدلاً من (قديمين).
(٧) في هـ، ك (استعلاء) بدلاً من (استيلاء).
(٨) في ط (الله) بدلاً من (ابنه).

في كنائسهم، ويستن بسننهم، لا يدعى ديناً غير دينهم، ولا ينتحل[١] رسالة ولا[٢] نبوة ولا بنوة[٣]، حتى إذا انقضت تلك السنون أظهر الدعوة، وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة، فأنكرته اليهود وقتلته وصلبته، ثم صعد إلى السماء.

وصدقتم بشريعة الإيمان، وكفرتم من خالفها، ثم لم تلبثوا أن خلعتموها وانسلختم منها، وقلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان، جوهر قديم، وجوهر حديث، ولكل جوهر أقنوم على حياله، وإن الله جوهر قديم يقوم بمعنيين، فهو واحد يقوم بثلاثة معان، وثلاثة لها معنى واحد، كالشمس التي هي شيء واحد، ولها ثلاثة معان: القرص، والحر والنور. فالمسيح هو الله، وهو مبعوث غير أنه ليس يعبد.

فكان معنى قولكم هذا أن المسيح مولود لكنه ليس مفعولاً به وهو مبعوث مرسل، لكنكم تستحيون أن تسموه[٤] رسولاً إذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الأشياء، وأقبلتم على الملكانية واليعقوبية بالتكفير[٥] واللعن لقولهم: إن الله والمسيح شيء واحد، ثم لم تلبثوا أن قدمتم المسيح على الله ـ تبارك وتعالى ـ وبدأتم به في التمجيد، ورفعتم إليه تهاليلكم ورغائبكم[٦] في أوقات القرابين خاصة، وهي أجل صلواتكم، وأفضل محافلكم عندكم، فإنه يقوم[٧] الإمام منكم على المذبح من مذابحكم

(١) في هـ (ولا انتحل) بدلاً من (ولا ينتحل).
(٢) (ولا) ساقطة من ط.
(٣) في هـ (تقديم) (بنوة) على (نبوة).
(٤) في هـ، ك (تسمونه) بدلاً من (تسموه).
(٥) في ط (بالتفكير) بدلاً من (بالتكفير).
(٦) في هـ (ودعواتكم) بدلاً من (ورغائبكم).
(٧) (يقوم) ساقطة من ط، ك.

وأهله مـرعوبـون فتتـوقعـون[1] نـزول روح القـدس، بـزعمكم من السمـاء بدعائه.

فيفتح دعاءه ويقـول[2]: (ليتم علينا وعليكم نعمـة يسوع المسيـح ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهـرين)[3]. ثم يختم صلاته بمثل ذلك، فهذا تصريـح بالشـرك وتصغير لعـظمة الله وعـزته أن جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه، وهو[4] معطى ومخول من عند الله على قولكم، وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة.

قال: ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم: إن مريم ولدت الله ـ عز الله[5] وجـل عن ذلـك ـ، وفي شـريعـة الإيمـان التي بينـاهـا ـ المجتمع عليها ـ أن المسيـح إله حق وأنـه ولد من مـريم، فما معنى المنـافرة، ومـا الفرق، ومـا تنكـرون من قـولهم: إن المقتـول المصلوب هو الله ـ عز الله وجل عن ذلك؟

وشريعة إيمانكم تقول: نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وحاله الـذي ولد من مـريم، وتألم[6] وصلب على عهـد الملك «بيـلاطس»[7]

---

(١) في هـ (يتوقعون) بدلاً من (فتتوقعون).
(٢) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول).
(٣) وجدنـا في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ـ الإصحاح الخـامس (٢٣ ـ سلام على الأخوة والمحبة بإيمان من الله والرب يسوع المسيح ـ ٢٤ ـ النعمة على جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد آمين).
انظر: العهد الجديد ص ٣١٥.
(٤) في ط (ومن هو) بزيادة (من).
(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.
(٦) في هـ، ك (وألم) بدلاً من (وتألم).
(٧) سبقت الإشارة إلى «بيلاطيس» في ٤/ ٩٨.

النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث، أليس هـذا إقراراً بمثـل قولهم[١]؟ فتدبروا هذا القول يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هـو الله، فإن مـريم عندكم ولدت الله.

وإن قلتم: إنه إنسان فإن مريم ولـدت إنسانـاً، وبطلت الشـريعة، فأي القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم، ثم عبتم على الملكانية قولهم: إنـه ليس للمسيح إلاَّ أقنـوماً واحداً، لأنـه صـار مـع الأزلي الخـالق شيئـاً واحـداً[٢] لا فرق بينهمـا، وقلتم بأن لـه أقنومين لكـل جوهـر أقنوم على حياله، ثم لم تلبثـوا أن رجعتم إلى مثل قـولهم فقلتم: إن المسيح، وإن كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً، فإنـه هيكل لابن الله الأزلي ونحن لا نفـرق بينهمـا، فإذا كـان الأمر عنـدكم على هـذا فمـا تنقمـون على الملكيـة، ومـا معنى الافتراق، وقـد رجعتم في الاتحاد إلى مثـل قـولهم: إن هـذا الأمر تحار فيه الأفهام.

فـإن كانت الشـريعة بمعنى الأمـانة عنـدكم حقاً، فـالقول مـا قـال يعقوب[٣] وذلك أنـا إذا ابتدأنـا من الشريعـة في ذكر المسيـح، ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً[٤]، وانحدرنا فيها إلى آخـرها، وجـدنا القـوم الذين ألقوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله، وهو بكـر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع، وهو[٥] إلّه حق من إلّـه حق

(١) في ط، ك (قولكم) بدلاً من (قولهم).
(٢) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).
(٣) **يعقوب**: سبقت ترجمته ٣/ ٧٦.
(٤) (واحداً) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في هـ (فهو) بدلاً من (وهو).

من جوهر أبيه، وهو الذي أتقن العوالم وخلق كل شيء على يده، وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب، فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم، ويلعن من ألفها.

قال: وإنما أخذت تلك الطائفة ـ يعني الذين[١] وضعوا الأمانة ـ بكلمات[٢]، ـ وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل ـ مشكلاتٍ تأولت فيها ما وقع بهواها، وتركت ما في الإنجيل من الكلام البين الواضح الذي يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك[٣] على نفسه، وشهادة تلاميذه به[٤] عليه. فأخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما أحبت من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل.

قال: فأما احتجاجكم بالشمس، وأنها[٥] شيء واحد له ثلاثة معانٍ، وتشبيهكم ما يقولونه في الثلاثة الأقانيم بها، فإن ذلك تمويه لا يصح لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس، إذ كان حد الشمس جسماً مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً في وسط الأفلاك دوراناً دائماً، ولا يتهيأ أن يحد نورها وحرها بمثل[٦] هذه الصفة، ولا يقال: إن نورها أو حرها جسم مستدير مضيء مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس، كما قالت الشريعة في المسيح: إنه إلّه حق من إلّه حق من

(١) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).
(٢) في هـ (لكلمات) بدلاً من (بكلمات).
(٣) في هـ (على ذلك) بدلاً من (بذلك).
(٤) (به) ساقطة من هـ.
(٥) في هـ (فإنها) بدلاً من (وإنها).
(٦) في هـ، ك (مثل) بسقوط (بـ).

جوهر أبيه، لكان ما قلتم له مثلاً تاماً، والأمر مخالف لذلك فلا[1] يشبهه ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة.

قال[2]: ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموت[3] والآثام، فإن العجب ليطول من هذا القول، وأعجب منه مَنْ قَبِلَه، ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانة الله ـ تبارك وتعالى ـ على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبىء به المشاهدة، ويدعو الناس إليها، فما هو ببعيد من عقد ما هو أمحل وأبطل منها، لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه، فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين لأن لا خاطىء بعد مجيئه ولا خطيئة.

وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريه[4] وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من نراه من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كل ما نهى عنه من الكبائر وغيرها غير خاطئين، ولا مأثومين.

فمن جحد ذلك فليرجع إلى التسبيحة التي تقرأ بعقب كل قربان، وهو أن (يا ربنا الذي غلب بوجعه الموت الطاغي[5])[6].

---

(١) في هـ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) يقصد: الخطيئة.

(٤) هكذا في سائر النسخ (حواريه)، ويظهر لي أنها (حوارييه).

(٥) في هـ (الطاعن) بدلاً من (الطاغي).

(٦) هذا النص وما بعده لم نعثر عليه في العهدين القديم والجديد، بالرغم من البحث الدقيق، ولعل اختلاف النسخ وتغير التراجم حال دون ذلك، وعلى كل حال فهذه من كلام الحسن بن أيوب، الذي كان نصرانياً وأسلم وهو عليم بما في كتبهم. والله أعلم.

وفي الأخرى التي تقال في يوم الجمعة الثانية من الفصح: (إن فخرنا بالصليب الذي بطل به سلطان الموت وصرنا إلى الأمن والنجاة بسببه)[1]. وفي بعض التسابيح (بصلوات ربنا يسوع المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودرست آثارها)[2] فأي خطيئة بطلت؟ وأي فتنة للشيطان انطفأت، أو أي أمر كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغير عن حالته.

قال: فإذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كل أحد بالمعرفة والبيان، فهو فيما أشكل من الأمور وفعل بالتأويلات[3] ـ التي تأولها أولئك المتأولون ـ أوقع.

وإذا كنتم قد[4] قبلتم هذا المحال الظاهر الذي لا خفاء به عن الصبيان، فأنتم لما[5] هو أعظم منه من المحال أقبل، وهذا إنجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيه[6]: (ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان، فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الغاوون، فما عرفتكم قط)[7]، فهذا خلاف قول

(١) الهامش السابق.
(٢) الهامش السابق.
(٣) في هـ (وفعله فالتأويلات) بدلاً من (وفعل بالتأويلات).
(٤) (قد) ساقطتم من ط.
(٥) في هـ (بما) بدلاً من (لما).
(٦) (فيه) ساقطة من هـ.
(٧) هذا النص موجود في إنجيل متى ـ الإصحاح السابع ـ باختلاف يسير: (٢٢ ـ كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. ٢٣ ـ فحينئذٍ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم).
انظر: العهد الجديد ص ١٢.

علمائكم ما قالوا، ووضعهم لكم ما وضعوا، ومثله قوله: (إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي وقائل لأهل الميسرة إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تأووني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا.

وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء، فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا)[1]، فهل أدخل أولئك النار إلاّ خطاياهم التي ركبوها، وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلاَّ بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم، فمن قال: إن الخطيئة قد بطلت، فقد بهت، وقد[2] خالف قول المسيح، وكان هو[3] من الكاذبين.

وقال: ويا أيها القوم الذين هم أولوا الألباب والمعرفة حيث ينسبونه إلى الربوبية وينحلونه اللاهوتية، ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم، بماذا ساغ ذلك لكم، وما الحجة فيه عندكم؟

هل قالت كتب النبوات فيه ذلك، أو هل قاله عن نفسه، أو قاله أحد عن تلامذته، والناقلين عنه، الذين هم عماد دينكم وأساسه ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه[4]؟ ومن كتب الإنجيل وبينه، قد أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد

---

(١) هذا النص بطوله موجود في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس والعشرون ـ بإسهاب مع تقديم الحديث عن أهل الميمنة أولاً ثم أهل الميسرة خلافاً لما ساقه الحسن ابن أيوب هنا.

انظر: العهد الجديد ص ٤٧.

(٢) (قد) ساقطة من ط، ك.

(٣) (هو) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).

مثلكم ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه وربكم، ومبدي ما أمر به فيكم، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه.

وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله ـ عز وجل ـ ونبي له قوة وفضل، فتأولتم في ذلك أنه أخرج كلامه على معنى الناسوت، ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إلّه كما أفصح بأنه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه[١]، ولا دعا إليه ولا ادعته له كتب الأنبياء قبله ولا كتب تلامذته، ولا[٢] حكى عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذي أداه إلى مريم، ولا قول يحيى بن زكريا[٣].

قال: فإن قلتم إنكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وصير الماء خمراً وكثر القليل، فيجب الآن أن ينظر إلى كل[٤] من فعل من هذه الأمور فعلاً فنجعله رباً وإلّهاً، وإلّا فما الفرق؟

فمن ذلك أن كتاب «سفر الملوك» يخبر أن إلياس[٥] أحيا ابن الأرملة[٦]، وأن اليسع[٧] ________________

(١) في هـ (أعاده) بدلاً من (ادعاه).
(٢) في هـ، ك (وما) بدلاً من (ولا).
(٣) في ط (زكريا ما قال) بزيادة (ما قال)، وفي هـ (زكريا ما) بزيادة (ما).
(٤) (إلى كل) ساقطة من هـ.
(٥) **إلياس**: هو إيليا التشبي من الأنبياء الكبار، سبقت ترجمته ١١١/٤.
(٦) انظر: سفر الملوك الأول ـ الإصحاح السابع عشر ص ٥٦٨ ـ العهد القديم.
(٧) **اليسع**: اليشع ـ هكذا في قاموس الكتاب المقدس، وهو اسم عبراني معناه: الله خلاص ـ وهو خليفة إيليا في العمل النبوي في المملكة الشمالية، وكان اليشع بن شفاط ومن سبط يساكر ـ ويسجل العهد القديم معجزات قام بها اليشع أكثر من أي نبي آخر.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١.

أحيا ابن الإسرائيلية[1]، وأن «حزقيال»[2] أحيا بشراً كثيراً[3]، ولم يكن أحد ممن ذكرنا بإحيائه[4] الموتى إلّهاً.

وأما إبراء الأكمه فهذه التوراة تخبر أن يوسف[5] أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت[6]، وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما، وضرب بها الرمل فصار قملاً لكل واحدة منها عينان تبصر بهما[7]، ولم يكن واحد منهم[8] بذلك إلّهاً.

---

(١) انظر: سفر الملوك الثاني ــ الإصحاح الرابع ص ٥٨٩ ــ العهد القديم.

(٢) **حزقيال**: اسم عبري معناه «الله القوي» وهو أحد الأنبياء الكبار، ابن بوزي ومن عشيرة كهنوتية، ولد ونشأ في فلسطين، وربما في أورشليم في بيئة الهيكل.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١.

(٣) لم نعثر على شيء يشير بأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً.

(٤) في هـ (بإحياؤه) بدلاً من (بإحيائه).

(٥) **يوسف**: اسم عبري معناه «يزيد» وهو اسم بكر يعقوب من زوجته راحيل والحادي عشر من أولاد يعقوب الاثني عشر، ولد في فدان آرام ودعت راحيل يوسف قائلة له: «يزيدني الرب» لاعتقادها بأن الله سيرزقها ابناً آخر وقد كان، وقد رويت أحداث حياة يوسف في سفر التكوين ص ٣٢ ــ ٥٠.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٥.

(٦) وردت الإشارة إلى هذا في سفر التكوين ــ الإصحاح الخامس والأربعون (٢٨ ــ فقال إسرائيل كفى. يوسف ابني حي بعد أذهب وأراه قبل أن أموت)، وفي الإصحاح الذي بعده (ويضع يوسف يده على عينيك).
انظر: العهد القديم ص ٧٨.

(٧) وجدنا في سفر الخروج ــ الإصحاح الثامن ــ ما يلي: (١٦ ــ مد عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر. ففعلا كذلك).
انظر: العهد القديم ص ٦٨.
ووجدنا في التوراة السامرية ــ سفر الخروج ــ الإصحاح الثامن أيضاً ــ ما يلي (١٦ ــ أبسط يدك بعصاك واضرب تراب الأرض ليصير قملاً في كل مصر.
١٧ ــ فصنعا كذلك).

(٨) في هـ، ك (منهما) بدلاً من (منهم).

وأما إبراء الأبرص[1]، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلاً من عظماء الروم برص فرحل من بلده قاصداً اليسع[2] ـ عليه السلام ـ ليبرئه من برصه، فأخبر الكتاب بأن الرجل وقف بباب اليسع أياماً لا يؤذن له، فقيل: لليسع: إن ببابك رجلاً يقال له «نعمان»[3] وهو أجل عظماء الروم به برص، وقد قصدك لتبرئه من مرضه[4]، فإن أذنت له دخل إليك، فلم يأذن له، وقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل، فقل له: ينغمس في الأردن سبع مرات، فأبلغ الرسول لنعمان ما أمره به اليسع، ففعل ذلك، فذهب عنه البرص، ورجع قافلاً إلى بلده فأتبعه خادم اليسع، فأوهمه أن اليسع وجه به إليه يطلب منه مالاً فسر الرجل بذلك، ودفع إلى الخادم مالاً وجوهراً، ورجع فأخفى ذلك وستره.

ثم دخل إلى اليسع فلما مثل بين يديه، قال له: تبعت نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا وأخفيته في موضع كذا، إذ فعلت الذي فعلت به[5] فليصر برصه عليك وعلى نسلك، فبرص ذلك الخادم على المكان[6].

قال[7]: فهذا اليسع قد أبرأ أبرصاً، وأبرص صحيحاً، وهو أعظم

---

(١) في هـ (للأبرص) بزيادة (لـ).

(٢) في هـ، ك (لليسع) بدلاً من (اليسع).

(٣) **نعمان**: الملقب بالسرياني، قائد جيش بنهود ملك الآراميين أخبر بأن النبي اليشع يقدر على شفائه من مرض البرص الذي أصيب به.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص **٩٧٣**.

(٤) في هـ، ك (برصه) بدلاً من (مرضه).

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ الإصحاح الخامس ص **٥٩٠** ـ العهد القديم بطول وتفصيل، لكن المؤلف ذكرها هنا مختصرة.

(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.

مما فعل المسيح ـ عليه السلام ـ ، فلم يكن في فعله[1] ذلك إلهاً.

قال[2]: وأما قولكم أنه مشى على الماء، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس ـ عليه السلام ـ صار إلى الأردن، ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامته فضرب بها الأردن فاستيبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع، ثم صعد إلى السماء على فرس من نور، واليسع يراه، ودفع عمامته إلى اليسع، فلما رجع اليسع إلى الأردن ضرب بها الماء فاستيبس له حتى مشى عليه راجعاً[3]، ولم يكن واحد منهما بمشيه على الماء إلهاً، ولا كان إلياس بصعوده إلى السماء إلهاً.

قال: وأما قولكم أنه صير الماء[4] خمراً، فهذا كتاب سفر الملوك يخبر بأن اليسع نزل بامرأة إسرائيلية فأضافته وأحسنت إليه، فلما أراد الانصراف، قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي الله إن على زوجي ديناً قد فدحه، فإن رأيت أن تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل.

فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ما قدرت عليه من آنيتهم، ففعلت، ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء، فقال: اتركيه ليلتك هذه، ومضى من عندها فأصبحت المرأة، وقد صار ذلك الماء كله زيتاً فباعوه فقضوا دينهم[5].

---

(١) في هـ (فعل) بسقوط (ه).

(٢) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٣) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ العهد القديم ص ٥٨٤ ـ الإصحاح الثاني بإسهاب واختلاف في طريقة التعبير في بعض الألفاظ، مثل إيليا بدلاً من إلياس واليشع بدلاً من اليسع ـ والرداء بدلاً من العمامة وهكذا.

(٤) في ط، ك (ماء) بسقوط (الـ).

(٥) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ العهد القديم ص ٥٨٧ ـ الإصحاح الرابع ولكنها مختلفة اختلافاً يسيراً في بعض الألفاظ مثل الماء المذكور هنا الذي لم يصرح به في النص.

وتحويل الماء زيتاً أبدع من تحويله خمراً، ولم يكن اليسع بـذلك إلٰهاً.

وأما قولكم: المسيح ــ عليه السلام ــ كثر القليـل حتى أكل خلق كثير من أرغفة يسيرة، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس نزل بامـرأة أرملة وكان القحط قد عمّ الناس وأجدبت البلاد ومات الخلق ضراً وهزلاً، وكـان النـاس في ضيق، فقال للأرملة: هل عندك طعـام؟ فقالت: والله ما عندي إلاَّ كف من دقيق في قلة، أردت أن أخبزه لطفل لي، وقد أيقنـا بالهلاك لما الناس فيه من القحط.

فقال لها: احضريه فلا عليك فـأتته بـه فبارك عليـه فمكث عندهـا ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هي وأهلها وجيـرانها منـه حتى فرج الله عن الناس[1]، فقد فعل إلياس في ذلك أكثر ممـا فعل المسيـح، لأن إلياس كثر القليل وأدامه، والمسيح كثر القليل في وقت واحـد، ولم يكن إلياس بفعله هذا إلٰهاً.

قال[2]: فإن قلتم إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال وإن الصنع فيها والقدرة لله ــ عز وجل ــ، إذ كان هو الذي أجـراها على أيـديهم، فقد صـدقتم، ونقول لكم ــ أيضـاً ــ كذلـك المسيح ليس لـه صنع فيما ظهر على يديه من هذه الأعاجيب، إذ كان الله هو الـذي أظهرها على يديه، فما الفرق بين المسيح وسائـر الأنبياء، ومـا الحجة[3] في ذلك؟

قـال: وإن قلتم: أن الأنبيـاء كـانت إذا أرادت أن يـظهـر الله على أيـديهم آية تضـرعت إلى الله ودعته وأقـرت له بـالربـوبية وشهـدت على أنفسها بالعبودية.

(١) هـذه القصة مـذكورة في سفـر الملوك الأول الإصحاح السـادس عشر العهـد القديم ص ٥٦٨ باختلاف عن ما ذكر هنا، ولكن فحوى القصة واحدة.

(٢) يعـني الحسن بن أيوب.

في ط (وقال) بزيادة (و). (٣) في ط (والحجة) بسقوط (ما).

قيل لكم: وكذلك سبيل المسيح، سبيل سائر الأنبياء، قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويقر له بالعبودية، فمن ذلك أن الإنجيل يخبر بأن المسيح أراد أن يحيى رجلاً يقال له العازر[1]، فقال: (يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبني وتستجيب[2] لي، وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا)[3]، وقال: (بزعمكم وهو على الخشبة (إلٰهي إلٰهي لم تركتني)[4]، وقال: (يا أبي اغفر لليهود ما يعملون فإنهم لا يدرون ما يصنعون)[5].

وقال في إنجيل متى[6]: (يا أبي أحمدك)[7]، وقال: يا أبي إن كان بد[8] أن يتعداني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا فلتكن مشيئتك)[9]. وقال أيضاً: (أنا أذهب إلى إلٰهي الذي هو أعظم ـــــــ

---

(١) رجل مريض من بيت عنيا من قرية مريم التي دهنت المسيح بطيب.
انظر: ص ١٦٨، العهد الجديد.

(٢) في المطبوعة (تستجيب) بسقوط (و).

(٣) النص موجود في إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر وهو مختلف عن ما ذكر هنا قليلاً (٤١ ـ أيها الأب أشكرك لأنك سمعت بي (أنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني).
انظر العهد الجديد ص ١٦٩.

(٤) سبق أن مر معنا عزو هذا النص في ٣/ ٤١٧.

(٥) هذا النص موجود في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثالث والعشرون وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ. (٤٦ ـ فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون). انظر العهد الجديد ص ١٤١.

(٦) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).

(٧) هذه الجملة لم نجدها في إنجيل متى ولكن وجدنا في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر في العهد الجديد ص ١١٣ قوله: أحمدك أيها الآب).

(٨) في هـ (قد) بدلاً من (بد).

(٩) هذا النص موجود في إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون بعبارة مختلفة قليلاً =

مني)[1]، وقال: (لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أتفكر فيه إلَّا باسم إلٰهي)[2]، وقال ــ يعني نفسه: (لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا للرسول أن يكون أعظم ممن أرسله)[3].

وقال: (إن الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحد من خلقه، ولا يراه أحد إلَّا مات)[4].

والمسيح قد أكل وشرب وولد ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته، ولا مات أحد منهم، وقد لبث فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة.

قلت[5]: وعامة ما ذكره هذا[6] عن الكتب تعترف به النصارى، ولكن بعضهم ينازعه في يسير من الألفاظ، فنازعه هنا في قوله:

= (٢٩ ــ ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت).
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

(١) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الرابع عشر باختلاف يسير:
(٢٨ ــ لأني قلت أقضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٢) ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ فقرة ٢٨ (ولست أفعل شيئاً من نفسي...) العهد الجديد ص ١٦٢.

(٣) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثالث عشر باختلاف يسير كما يلي:
(١٦ ــ الحق أقول لكم، إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٤.

(٤) لم نجد النص كاملاً وقد وجدنا في سفر الخروج ــ الإصحاح الثالث والعشرون:
(٢٠ ــ وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

(٥) هذا كلام الشيخ ابن تيمية.

(٦) يعني الحسن بن أيوب الذي نقل الشيخ كلامه فيما سلف.

(لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده)، وقال هذا إنما قاله المسيح للحواريين، وذكر أنه لا يعرف عنه لفظ لم يولد ولم يأكل ولم يشرب.

قال[1]: وقال[2] في إنجيل «يوحنا»: (إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أني أنا هو وشيء من قبل نفسي لا أفعل، ولكن كل شيء كالذي علمني أبي)[3]، وقال في موضع آخر: (من عند الله أرسلت معلماً) وقال لأصحابه: (اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يُجَلُّ في مدينته)[4]، وأخبر الإنجيل أن امرأة رأت المسيح، فقالت: إنك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه، فقال لها المسيح: (صدقت طوبي لك)[5] وقال لتلامذته: (كما بعثني أبي كذلك أبعث بكم)»[6].

قال: فاعترف بأنه نبي وأنه مألوه ومربوب ومبعوث، وقال

---

(١) (قال) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ (قال تعالى) بزيادة (تعالى).

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثامن باختلاف يسير (٢٨ ـ فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٢.

(٤) وجدنا هذا النص في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع ولكنه بأسلوب مختلف (٤٣ ـ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٢.
وتكملة للنص ولكن باختلاف يسير (٣١ ـ قوموا ننطلق من هنا).
انظر: العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ص ١٧٦.

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع (الآن ليس هو زوجك هذا قلت بالصدق).
انظر: العهد الجديد ص ١٥١.

(٦) في إنجيل (يوحنا) الإصحاح العشرون (٢١ ـ كما أرسلني الآب أرسلكم أنا).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

لتلامذته: (إن من قبلكم وآواكم فقد قبلني، ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني، ومن قبل نبياً باسم نبي فإنما يفوز بأجر من قبل النبي)[1].

فبين ها هنا في غير موضع أنه نبي مرسل، وأن سبيله مع الله سبيلهم معه[2]، وقال «متى» التلميذ في إنجيله يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله ـ عز وجل ـ: (هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت إليه نفسي، أنا واضع روحي عليه ويدعو الأمم إلى الحق)[3]، فلن يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم، فقد أوضح الله أمره وسماه عبداً، وأعلم أنه يضع عليه روحه ويؤيده بها، كما أيد سائر الأنبياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عنهم، وهذا القول يوافق ما بشر به جبريل الملك مريم حين ظهر لها، وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا[4].

وقال يوحنا التلميذ في الإنجيل عن المسيح ـ عليه السلام ـ: (إن كلامي الذي تسمعون هو كلام من أرسلني)[5]، وقال في موضع

---

(١) وجدنا في إنجيل «متى» الإصحاح الحادي عشر نصاً لكنه مخالف، وهو كما يلي: (٤٠ ـ من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. ٤١ ـ من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ، ومن يقبل باراً فأجر بار يأخذ).
انظر: العهد الجديد ص ١٩.

(٢) في ط (معهم) بدلاً من (معه).

(٣) وجدنا هذا النص في إنجيل متى ـ الإصحاح الثاني عشر (١٨ ـ هو ذا فتاي الذي أخذته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق) بلفظه إلا اختلافاً يسيراً.
انظر: العهد الجديد ص ٢١.

(٤) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع عشر (٢٤ ـ والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

آخـر: (إن أبـي أجل وأعـظم مني)[1]، وقال أيضـاً: (كمـا أمـرني أبـي كذلك أفعل أنا[2]، أنا الكرم وأبـي هـو الفلاح)[3]، وقـال يوحنـا: (كما للأب حيـاة في جـوهـره فكـذلـك أعـطى الابن أن تكـون لـه حيـاة في قينومه)[4]، قال: فالمعطي خلاف المعطى لا محـالة، والفـاعل خـلاف المفعول.

قـال: وقال المسيـح في إنجيل يـوحنـا: (إني لـو كنت أنا الشـاهد لنفسي على صحة دعواي لكانت شهادتي باطلة، لكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي ويشهد لي أبـي الذي أرسلني)[5]، وقال المسيـح لبني

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا ٤/١٢٦.

(٢) وجـدنا في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا (٣١ ـ وكما أوصاني الآب هكـذا أفعل. قوموا ننطلق من هنا).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٣) وجـدنا في إنجيل يوحنا في أول الإصحاح الخامس عشر ما نصه: (١ ـ أنا الكـرامة الحقيقية وأبـي الكرام).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٤) وجـدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الخامس (٢٦ ـ لأنـه كما أن الآب لـه حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته) وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٥) هـذا النص موجـود في إنجيل يـوحنـا ـ الإصحـاح الخـامس، وفيـه اختـلاف يسيـر (٣١ ـ إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقـاً. ٣٢ ـ الذي يشهـد لي هو آخـر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق. ٣٣ ـ أنتم أرسلتم إلى يوحنـا فشهد للحق. ٣٤ ـ وأنـا لا أقبـل شهـادة من إنسـان ولكنني أقـول هـذا لتخلصـوا أنتم. ٣٥ ـ كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، أمـا أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمـال التي أعطاني الآب لأكملهـا هذه الأعمـال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

إسرائيل (تريدون قتلي، وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله)[1].

قال: وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي وأعترف لك بذلك، وأعلم أنك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني)[2]، قال: فأي تضرع وإقرار بالرسالة والمسألة والطلب للإجابة من الله ــ عز وجل ــ أشد من هذا أو أكثر.

قال: وقال في بعض مخاطبته لليهود، وقد نسبوه إلى الجنون: (أنا لست بمجنون، ولكن أكرم أبي ولا أحب مدح نفسي، بل أمدح أبي لأني أعرفه، ولو قلت: إنى لا أعرفه لكنت[3] كذاباً مثلكم، بل أعرفه وأتمسك بأمره)[4].

---

(١) في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثامن (٤٠ ــ ولكنكم تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

(٢) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الحادي عشر: (٤١ ــ وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. ٦٢ ــ وأنا علمت أنك كل جين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني). بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٦٩.

(٣) في هـ (كنت) بسقوط (ل).

(٤) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثامن (٤٩ ــ أنا ليس بي شيطان لكني أكرم أبي وأنتم تهينوني. ٥٠ ــ أنا لست أطلب مجدي يوجد من يطلب ويدين. ٥١ ــ الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد) ويطول النص إلى (وإن قلت إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً لكني أعرفه وأحفظ قوله) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

قال: وقال داود في مزموره المائة وعشرة: (قال الرب اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك، عصا العظمة تبعث الرب من صهيون، ويبسط[(١)] على أعدائك شعبك يا مسيح يوم الرعب في بهاء القدس من[(٢)] اليوم الذي[(٣)] ولدتك يا صبي[(٤)]، عهد الرب ولا يكذب[(٥)] أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكليز داق[(٦)])[(٧)].

قال: فهذه مخاطبة ينسبونها إلى اللاهوت، وقد أبان داود في مخاطبته أن لربه الذي ذكره ربا هو أعظم منه وأعلى، أعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه، إن عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون، وسماه صبياً محققاً لقوله الأول: اليوم ولدتك ونسقاً على أول كلامه وهو ربه، ووصف أنه الكاهن المؤيد الذي يشبه ملكليز داق[(٨)].

---

(١) في ط (وتبسط) بدلاً من (ويبسط).
في ك (تبسط) بدلاً من (ويبسط).

(٢) في ط، ك (من البدىء) بزيادة (البديء).

(٣) (الذي) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ك (صبي) بسقوط (يا).

(٥) في ط (تكذب) بدلاً من (يكذب).

(٦) (ويشبه ملكليزداق) ساقطة من (هـ).

(٧) وجدنا قريباً من هذا الكلام في المزمور العاشر بعد المائة من سفر المزامير من العهد القديم (١ ــ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موضعاً لقدميك. ٢ ــ يرسل الرب قضيب عزك من صهيون تسلط في وسط أعدائك.
٣ ــ شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك.
٤ ــ فأقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق).

(٨) في هـ (ملا براراق) وفي ك (ولا يزاداق).
و(ملكليزداق) كما كتب في هامش (ك، و ط): قال أبو نصر (ملكليزداق) جد عظيم من أحبار بني إسرائيل.

قلت[1]: قالوا: وهذا الكاهن هو الذي ذكر[2] في التوراة أن الخليل أعطاه القربان[3]، وإذا كان المسيح مشبهاً به مع تسميته كاهناً، كان ذلك من أعظم الأدلة على أنه مخلوق * قال[4]: فأما قوله: (من البدىء ولدتك)[5] فهو يشبه قول داود (تبنني على نفسه من البدء. ذكرتك وهديت كل أعمالك)[6] *[7] وبعضهم يقول: لفظ النص: (إن الرب يبعث عصاه من صهيون)[8].

قال: وقال شمعون الصفا[9] رئيس الحواريين في الفصل الثاني من قصصهم: (يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن يسوع الناصري[10] رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيدي والعجائب التي أجراها على يديه، وأنكم أسلمتموه وقتلتموه، فأقام الله يسوع هذا من

---

(١) هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) في ط، ك (ذكره) بزيادة (هـ).

(٣) لم أعثر على هذه القصة في العهد القديم.

(٤) يعني: الحسن بن أيوب.

(٥) وجدنا في أعمال الرسل الإصحاح ١٣ (أنت ابني أنا اليوم ولدتك).
انظر: العهد الجديد ص ٢١٤.

(٦) في المزمور السابع والسبعين (١١ـ أذكر أعمال الرب إذ أتذكر عجائبك منذ القدم، وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي).
انظر: العهد القديم ص ٨٨٦.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من س، هـ.

(٨) وجدنا في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأربعون (٩ ـ على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ارفعي لا تخافي قولي لمن يهوذا إلهك هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح العاشر ص ١٠٠٥؛ والعهد القديم ص ١٠٣٩.

(٩) سبقت ترجمته.

(١٠) في ط (النصري) بدلاً من (الناصري).

بين الأموات)[1].

قال: فأي[2] شهادة أبين وأوضح من هذا القول، وهو أوثق التلاميذ عندكم يخبر كما ترون أن المسيح رجل وأنه من عند الله وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها على يديه، وأن الذي بعثه من بين الموتى هو الله ـ عز وجل ـ.

قال[3]: وقال في هذا الموضع: (اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه رباً ومسيحاً)[4]، قال: فهذا القول يزيل[5]، تأويل من لعله يتأول في الفصل الأول أنه أراد بقوله الناسوت، لأنه يقول: أن الله جعله رباً ومسيحاً، والمجعول مخلوق مفعول *، قال أبو نصر[6]: وإنما سمى ناصري، لأن أمه كانت من قرية يقال لها: «ناصرة»[7]

---

(١) وجدنا في أعمال الرسل ـ الإصحاح الثاني: (٢٢ ـ أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون. ٢٣ ـ هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله الممنوحة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت).
انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٢) في هـ (وأي) بدلاً من (فأي).

(٣) يعني: الحسن بن أيوب.

(٤) وجدنا في أعمال الرسل (٢٣ ـ فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحاً) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٥) في هـ (يرد) بدلاً من (يزيل).

(٦) أبو نصر هذا، ورد في كلام الحسن بن أيوب، ولا ندري من يقصد به، ولم نعثر على رسالة الحسن بن أيوب ـ.

(٧) **ناصرة**: قرية بقرب طبرية قيل: اسم النصارى مشتق منها لأنهم كانوا من ناصرة وأهلها عيروا مريم ـ عليها السلام ـ فهم قوم إلى هذه الغاية يعتقدون أنه لا تلد بكر من غير زوج. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٧٧ ـ دار بيروت.

في الأردن[1] وبها سميت النصرانية *[2].

قال[3]: وقد سمى الله جل ثناؤه يوسف ربا، قال داود في مزمور مئة وخمسة: (وللعبودية بيع يوسف، وشدوا بالكبول رجليه، وبالحديد دخلت[4] نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه[5] بعث الملك فخلاه[6] وصيره مسلطاً على شعبه، وربا[7] على بنيه[8] ومسلطاً على فتيانه)[9].

وقال لوقا: في آخر إنجيله: إن المسيح عرض له وللوقا[10] تلميذه، جبريل في الطريق وهما محزونان فقال لهما، وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين؟ فقالا: كأنك أنت وحدك غريب ببيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه رجلاً نبياً قوياً في قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه)[11] على قولهم فيه.

---

(١) الأردن: سبقت الإشارة إليه ٤/ ١٠٤.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٣) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ (حلت) بدلاً من (دخلت).

(٥) في هـ (حزبه). وفي ك (حربه).

(٦) في ك (مجلاه) بدلاً من (فخلاه).

(٧) في هـ، ك (ربا) بسقوط (و).

(٨) في هـ، ك (بينه) بدلاً من (بنيه).

(٩) وجدنا في المزامير ـ المزمور الخامس بعد المئة (١٧ ـ أرسل أمامهم رجلاً يبيع يوسف عبداً. ١٨ ـ آذ وبالقيد رجليه في الحديد دخلت نفسه. ١٩ ـ إلى وقت مجيء كلمته قول الرب امتحنه. ٢٠ ـ أرسل الملك فحله أرسل سلطان الشعب فأطلقه. ٢١ ـ أقامه سيداً أعلى بنيه وملكاً على كل ملك).
انظر: العهد القديم ص ٩٠٦.

(١٠) في ط (لعملوقا ولوقا) بدلاً من (له وللوقا).

(١١) وجدنا هذه القصة مذكورة في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الرابع والعشرون وهي بطولها.
انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

قال[١]: فهذا قوله وأقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدع ابتدعها لكم أولوكم تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله ـ جل ثناؤه ـ، وقال داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطباً لله ومثنياً على المسيح: (من الرجل الذي ذكرته والإنسان الذي أمرته وجعلته دون الملائكة قليلاً، وألبسته المجد والكرامات؟)[٢]، وقال في المزمور الثاني: (قال لي الرب: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك سلني فأعطيك)[٣]، فقوله: ولدتك دليل على أنه حديث غير قديم، وكل حادث فهو مخلوق، ثم أكد ذلك بقوله: (اليوم) فحد باليوم حداً لولادته[٤] أزال به الشك في أنه ما كان قبل (اليوم) ودل بقوله: سلني فأعطيك على أنه محتاج إلى المسألة غير مستغنٍ عن[٥] العطية، قال: فهذا ما حضرنا من الآيات في تصحيح خلق[٦] المسيح وعبوديته[٧] وبطلان ما يدعونه من ربوبيته، ومثله كثير في الإنجيل لا يحصى، فإذا كانت الشهادات منه على نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيناه في هذا الكتاب[٨]، وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم، فما الحجة فيما تدعونه له ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن

---

(١) يعني الحسن بن أيوب.

(٢) وجدنا في سفر المزامير ـ المزمور الثامن: (٤ ـ فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله).
انظر: العهد القديم ص ٨٣٨.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٥٤.

(٤) في ط (لوالدته)؛ بدلاً من (لولادته).

(٥) في ط (من) بدلاً من (عن).

(٦) (خلق) ساقطة من هـ.

(٧) في هـ (عبوديته) بسقوط (و).

(٨) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

المعقول، وتنكره النفوس، وتنفر منه القلوب، الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا تأويل، على القول الجميل الذي تشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل[1] عظمة الله وجلاله.

قال: وإذا تأملتم كل ما بيناه تأمل إنصاف من أنفسكم وإشفاق عليها، علمتم أنه قول لا يحتمل أن يتأول[2] فيه للناسوت شيئاً دون اللاهوت.

قال: فإن قلتم: إنه يثبت[3] للمسيح البنوة بقوله: (أبي وأبيكم[4])[5] ـ ويا أبي[6] ـ وبعثني أبي[7]) قلنا: فإن كان الإنجيل أنزل على هذه الألفاظ لم تبدل ولم تغير، فإن اللغة قد أجازت أن يسمى الولي ابناً، وقد سماكم الله[8] جميعاً بنيه، وأنتم لستم في مثل حاله.

ومن ذلك أن الله ـ عز وجل ـ قال لإسرائيل في التوراة: (أنت ابني بكري)[9]. وقال لداود في الزبور: (أنت ابني وحبيبي)[10]. وقال المسيح في الإنجيل للحواريين: (أريد أن أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[11]فسمى الحواريين أبناء الله، وأقر بأن له إلهاً هو الله،

---

(١) في ط، ك (ونشاكل) بدلاً من (ويشاكل).

(٢) في هـ (نتأول) بدلاً من (يتأول).

(٣) في هـ (ثبتت)، وفي ك (ثبت) بدلاً من (يثبت).

(٤) في هـ، ك (أبيكم) ساقطة.

(٥) (أبي وأبيكم) سبقت الإشارة إليها في ٤/ ١٢٧.

(٦) (يا أبي) سبقت الإشارة إليها ٤/ ١٢٥.

(٧) (وبعثني أبي) سبقت الإشارة إليها ٤/ ١٢٧.

(٨) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ، ك.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(١٠) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

(١١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

ومن كـان له إلّـه فليس بإلّـه كما تقـولون، فـإن زعمتم أن المسيـح إنمـا استحق الإلّهية بأن الله سماه ابناً فنلتزم[1] ذلك، ونشهد[2] بالإلّهيـة لكل من سماه ابناً وإلّا فما الفرق؟

قال: فإن قلتم: إن إسـرائيل وداود ونـظراءهم إنما سمـوا أبناء الله على جهـة الـرحمـة من الله لهم، والمسيـح ابن الله على الحقيقـة، تعالى الله عن ذلك.

قلنـا: يجوز لمعـارض أن يعارضكم، فيقـول لكم مـا تنكـرون أن يكـون إسـرائيـل وداود ابني الله على الحقيقـة، والمسيـح ابن رحمـة، وما الفرق؟

فـإن قلتم: إن الفرق بين المسيـح وسـائـر الأنبيـاء، من قبـل، أن المسيح جاء إلى مقعد فقال: (قم قم[3] فقد غفرت لـك، فقام الـرجل، ولم يدع الله في ذلك الوقت)[4].

قلنا لكم: هذا إلياس أمر السمـاء أن تمطر فأمطرت، ولم يدع الله في ذلـك الوقت[5]، وكـذلك اليسـع أمر نعمـان الـرومي أن ينغمس في

---

(١) في هـ (فليلتزم)، وفي ك (فلنلتزم) بدلاً من (فنلتزم).

(٢) في هـ (ويشهد) بدلاً من (ونشهد).

(٣) (قم) ــ الثانية ــ ساقطة من ط، ك.

(٤) وجـدنا في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الخامس: (مغفور لك خطاياك).
وبعد نص طويل يقول: (ومضى إلى بيته وهو يمجد الله).
انظر: العهد الجديد ص ٩٩.

(٥) وجـدنـا في الإصحاح الثـامن عشر من سفـر الملوك الأول: (٤٤ ــ فقال اصعـد قل لأخـاب اشدد وانـزل لئلا يمنعـك المطر. ٤٥ ــ وكـان من هنـا إلى هنـا أن السمـاء اسـودت من الغيم والريـح وكـان مـطر عـظيم فـركب أخـاب ومضى إلى يـزرعيـل.
٤٦ ــ وكانت يد الرب على إيليا فشد حقويه وركض أمام أخاب. . ؟
انظر: العهد القديم ص ٥٧١.

الأردن من غير دعاء، ولا تضرع[1]، على أنّا قد[2] وجدناه في الإنجيل قد تضرع، وسأل مسائل قد تقدم ذكرها.

وقال في بعض الإنجيل: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا[3] بأنك أنت أرسلتني)[4].

فإن قلتم: إن الغفران من الله ـ عز وجل ـ، وأن المسيح قال لبعض بني إسرائيل: (قم[5] فقد غفرت لك) والله هو الذي يغفر الذنوب.

قلنا: فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى: (أخرج أنت وشعبك الذي أخرجت من مصر وأنا أجعل معكم ملكاً يغفر ذنوبكم)[6].

فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأنه غفر ذنوب المقعد، فالملك إذاً إلّه[7] لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل وإلّا فما الفرق؟

---

(١) إليشع: انظر: العهد القديم من سفر الملوك الثاني ـ الإصحاح الخامس ص ٥٩٠.
وانظر: ترجمته ٤/ ١٢٠.

(٢) (قد) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (ليفتوا) بدلاً من (ليؤمنوا).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٣٠.

(٥) (قم) ساقطة من هـ، ك.

(٦) وجدنا في السفر الثاني ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث والثلاثون: (١١ ـ وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكاً).
انظر: العهد القديم ص ١٤٢.

(٧) في هـ (والملك إذاً الإلّه) بدلاً من (فالملك إذاً إلّه).

فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قبل أن الله سماه[1] رباً فقال: (ابن البشر رب السبت)[2].

قلنا: فهذه التوراة تخبر بأن لوطاً[3] ـ عليه السلام ـ لما رأى الملكين قد أقبلا من البرية لهلاك قومه، قال لهما: (يا ربي ميلاً[4] إلى منزل عبدكما)[5]، وقد تقدم لنا احتجاج[6] في هذا الكتاب بذكر[7] من سمى في الكتب[8] رباً من يوسف وغيره، فإن كان المسيح إلٰهاً لأنه سمى رباً فهؤلاء إذاً آلهة لأنهم سموا بمثل ذلك.

فإن قلتم: إن الأنبياء قد تنبأت بإلٰهية المسيح، فقال أشعيا: (العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه «عمانويل»)، وتفسيره «معنا إلٰهنا»[9].

قلنا: إن هذا[10] اسم يعاره[11] السيد الشريف من الناس، وإن كان

---

(١) في ط (سبحانه) بدلاً من (سماه).

(٢) وجدت في إنجيل لوقا (إذا ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً).
انظر: العهد الجديد ـ الإصحاح السادس ص ١٠١؛ والإصحاح الثاني ـ إنجيل مرقس ـ.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في ط (مهلاً) بدلاً من (ميلاً).

(٥) وجدت في سفر التكوين: (وقال يا سيدي ميلاً إلى بيت عبدكما).
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح التاسع عشر ـ سفر التكوين ـ ص ٢٧.

(٦) في ط (الاحتجاج) بدلاً من (احتجاج).

(٧) في ك (نذكر).

(٨) (بذكر من سمى في الكتب) ساقطة من ط.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٠٤.

(١٠) في ط (قيل إن هذا) بزيادة (قيل).

(١١) في هـ (كعادة) بدلاً من (يعاره).

الله ــ عز وجل ــ المنفرد بمعنى الإلّهية ــ جل ثناؤه ــ فقد قال الله في التوراة لموسى * ــ عليه السلام ــ : (قد جعلتك لهارون إلّهاً وجعلته لك نبياً)[1].

وقال في موضع آخر: *[2] (قد جعلتك يا موسى إلّهاً لفرعون)[3]، وقال داود في الزبور لمن كانت عنده حكمة: (كلكم آلهة ومن العلية تدعون)[4].

فإن قلتم: إن الله ــ عز وجل ــ جعل موسى إلّهاً لهارون على معنى الرياسة عليه.

قلنا: وكذلك قال أشعيا في المسيح أنه إلّه لأمته على هذا المعنى. وإلاَّ فما الفرق؟

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: (من رآني فقد رأى أبي وأنا وأبي واحد)[5].

قلنا: إن قوله (أنا وأبي واحد) إنما يريد به أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله، كما يقول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد،

---

(١) وجدنا في سفر الخروج (وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلّهاً).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الرابع.
والمقصود بقوله (وهو يكلم الشعب) المقصود (هارون).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٣) وجدنا في سفر الخروج (١ ــ قال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلّهاً لفرعون).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح السابع.

(٤) وجدت في سفر المزامير (٦ ــ أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الثاني والثامن.

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٤/١٢٩.

ويقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطالب له[1] بحقوقه، وكذلك قوله: (من رآني فقد رأى أبي)، يريد بذلك أن[2] من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي.

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: (أنا قبل إبراهيم)[3]، فكيف يكون قبل إبراهيم، وإنما هو من ولده؟ ولكن لما قال قبل إبراهيم علمنا ما أراد أنه قبل إبراهيم من جهة الإلّهية.

قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمته: (أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ[4] الأرض)[5]، فما الفرق بينه وبين من قال: إن سليمان ابن الله، وأنه إنما قال: أنا قبل الدنيا بالإلّهية، وقد قال داود أيضاً في الزبور: (ذكرتك يا رب[6] من البدء[7]، وهديت بكل أعمالك)[8].

---

(١) (له) ساقطة من ط.
(٢) (أن) ساقطة من هـ، ك.
(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثامن: (٥٨ ـ الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٤.
(٤) في هـ، ك (مد) بدلاً من (بدأ).
(٥) وجدنا في سفر (أمثال) الإصحاح الثامن: (لما ثبت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه القمر. ٢٨ ـ لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينابيع القمر. ٢٩ ـ لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً...).
انظر: العهد القديم ص ٩٤٥.
(٦) (يا رب) ساقطة من ط، ك.
(٧) في ط: زيادة (يا رب في البدء) قبل (وهديت بكل أعمالك).
(٨) وجدنا في سفر المزامير ـ المزمور المائة والتاسع عشر: (٥٢ ـ تذكرت أحكامك =

فإن قلتم: إن كلام سليمان بن داود متأول لأنهما من ولد إسرائيل وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.

قلنا: وكذلك قول المسيح أنا قبل الدنيا متأول، لأنه من ولد إبراهيم، ولا يجوز أن يكون قبل إبراهيم، فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلاَّ فما الفرق؟

وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه على أنه تأويل غير واقع بحقه[1]، وإنما حقه أن يكون هذا الاسم يعني «عمانويل» لما وقع على المسيح كان معناه أنه أخبر عن نفسه بأن «إلّهنا معنا» يعني أن الله معه، ومع شعبه معيناً وناصراً.

ومما يصحح ذلك أنكم تتسمون به، ولو كان المعنى ما ذهبتم إليه لما جاز لأحد أن يتسمى به، كما لم يجز أن يتسمى بالمسيح لأنه مخصوص بمعناه.

فإن قلتم: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسم المسيح.

قلنا لكم: فقد قال الله ــ جل[2] ثناؤه ــ ليحيى بن زكريا: (قد أيدتك بروح القدس وبقوة إلياس، وهي قوة تفعل الآيات)[3] فأضاف القوة إلى إلياس.

= منذ الدهر يا رب فتعزيت. ٥٣ ــ الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك. ٥٤ ــ ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ٥٥ ــ ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. ٥٦ ــ هذا صار لي لأني حفظت وصاياك).
انظر: العهد القديم ص ٩١٨.

(١) في ط (لحقه).
(٢) في ط (ــ عز وجل ــ) بزيادة (عز).
(٣) لم نعثر على هذا النص في الطبعة المتداولة حالياً من العهد القديم.

فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأنه فعلت الآيات باسمه، فما الفرق بينكم وبين من قال: إن[1] إلياس إلّه فإنه فعلت بقوته[2] الآيات؟ فإن قلتم[3]: إن[4] الخشبة التي صلب عليها المسيح على زعمكم ألصقت بميت فعاش، فإن[5] هذا دليل على أنه إلّه. قلنا لكم: فما الفرق بينكم وبين من قال: إن اليسع إلّه؟ واحتج في ذلك (بأن كتاب سفر الملوك يخبر بأن[6] رجلاً مات فحمله أهله إلى المقبرة، فلما كانوا بين القبور رأوا عدواً لهم[7] يريد أنفسهم فطرحوا الميت عن رقابهم وبادروا إلى المدينة، وكان الموضع الذي ألقوا عليه الميت قبر اليسع، فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش، وأقبل يمشي إلى المدينة)[8]، فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأن الخشبة التي ذكروا أنه صلب عليها ألصقت بميت فعاش، فاليسع إلّه لأن تراب قبره لصق بميت فعاش.

فإن قلتم أن المسيح كان من غير فحل. قلنا لكم[9]: قد كان كذلك وليس أعجوبة الولادة توجب الإلّهية ولا الربوبية، لأن القدرة في

---

(١) (أن) ساقطة من ط.

(٢) في هـ (بنوته) بدلاً من (بقوته).

(٣) في ط (قلت) بدلاً من (قلتم).

(٤) (أن) ساقطة من هـ.

(٥) في ط (وإن) بدلاً من (فإن).

(٦) في هـ (أن) بسقوط (بـ).

(٧) (لهم) ساقطة من ط.

(٨) وجدنا في السفر الثالث من أخبار الملوك الثاني: (٢٠ ــ ومات اليشع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض عند دخول السنة. ٢١ ــ وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رؤا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الثالث عشر ــ ص ٦٠٧.

(٩) (لكم) ساقطة من هـ.

ذلك للخالق ــ تبارك وتعالى ــ لا للمخلوق، وعلى أنه يوجدكم[١]لأن[٢] حواء خلقت من فحل بلا أنثى، وخلق أنثى من ذكر بلا أنثى أعجب من ذكر من أنثى بغير ذكر، وأعجب من ذلك أن آدم خلقه الله من تراب، وخلق بشر من تراب وأعجب وأبدع من خلق ذكر من أنثى بلا فحل. فما الفرق؟

قال[٣]: وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها هي الأسباب التي تتعلقون[٤] بها في نحلتكم المسيح الربوبية وإضافتكم إليه الإلٓهية، وقد[٥] وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها[٦] قولكم، وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه، وأوجدناكم بطول ما تنتحلونه، وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم التوراة والزبور والأنبياء والإنجيل، فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم؟

قال: وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: (إن ذلك اليوم، وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن أيضاً[٧]، ولكن الأب وحده

(١) هكذا في جميع النسخ (وعلى أنه يوجدكم).
(٢) في هـ (أن).
(٣) يعني الحسن بن أيوب.
(٤) في هـ، ك (يتعلقون) بدلاً من (تتعلقون).
(٥) في هـ (قدة) بسقوط (و).
(٦) (فيها) ساقطة من ط.
(٧) في هـ (ولا الابن أيضاً يعرفه) بزيادة (يعرفه).

يعرفه)[1]، قال: فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم وأن الله ــ تبارك وتعالى ــ أعز وأعلم منه، وأنه خلافه وأعلا منه، وقد بين بقوله أحد[2] عمومه بذلك الخلق جميعاً، ثم قال: (ولا الملائكة) وعندهم من علم الله[3] ما ليس عند أهل الأرض، ثم قال: (ولا الابن)، وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، بل ما علَّمه الله إياه[4] وأطلعه على معرفته وجعله له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه[5] ــ تعالى الله[6] الخالق لكل شيء علواً كبيراً ــ ولو كان إلٰهاً كما يقولون: لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء[7] وسرائر الأمور وعلانيتها، إذا[8] كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت[9] دون اللاهوت.

قلت[10]: مقصوده[11] بذلك أنه صرح بأنه لا يعلمه أحد، ثم خص

---

(١) وجدنا في إنجيل متى ــ الإصحاح الرابع والعشرون: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلاَّ أبـي وحده).
انظر: العهد الجديد ص ٤٥.

(٢) في هـ، ك (أحداً) بزيادة (أ).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٤) (إياه) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ (الله) بدلاً من (أبيه).

(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٧) في هـ (الأنبياء) بدلاً من (الأشياء).

(٨) في هـ، ك (إذ) بسقوط (أ).

(٩) في هـ (الناسوت) بدلاً من (للناسوت).

(١٠) هذا كلام للمؤلف.

(١١) في هـ (مقصود) بسقوط (ه).

الملائكة بالذكر لئلا يظن أن أحداً منهم يعلمه، فقال: (ولا الملائكة الذين في السماء)، ثم قال: (ولا الابن يعرفه، وأن الأب وحده يعرفه) فنفى معرفة الابن وأثبت أن الأب وحده يعرفه، ومراده بالابن المسيح فعرف أن المسيح لا يعرفه وأثبت أن الرب يعرفه دون الابن، ودل ذلك على أن لفظ الابن عند المسيح، إنما يراد بها الناسوت وحده إذ كان لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت، فإن اللاهوت يعلم كل شيء، وقد[1] دل ذلك على أن قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن)، المراد[2] به الناسوت وحده كما أريد بلفظ الابن في سائر كلامه وكلام غيره لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن اللاهوت، بل إطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى، وحملوا عليها كلام المسيح فابتدعوا لصفات الله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وحملوا عليها كلام المسيح، وإنما يحمل كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وغيرهم على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكليم[3] بها لا على لغة يحدثها من بعدهم، ويحمل كلامهم عليها.

قلت: فإن هذا[4] الذي فعلته[5] النصارى وأشباههم يفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[6].

---

(١) (قد) ساقطة من هـ ، ك.

(٢) في هـ ، ط (والمراد) بزيادة (و).

(٣) في هـ (بالتكلم) بدلاً من (بالتكليم).

(٤) في هـ (هذا) بسقوط (فإن)، وفي ك (وهذا) بدلاً من (فإن هذا).

(٥) في هـ ، ك (نقلته) بدلاً من (فعلته).

(٦) سورة فصلت: من الآية ٤٠.

وذلك أن كل من اعتقد معاني برأيه يمكنه أن يعبر عنها بألفاظ تناسبها بنوع مناسبة، وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لها معانٍ أخر، ويجعل[1] تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها، ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء، وجاءت بها الكتب الإلٓهية، أرادوا بها معانيه هو، وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد[2] في سائر[3] الكتب الإلٓهية، كما فعلته النصارى، مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة[4] اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الإلٓهية، ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره[5]، ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة ولا يقيم الناس من قبورهم، فقالوا: خلق وأحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الإحداث الذاتي، والإحداث الزماني.

فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها[6] المقارن لها في الزمان.

والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، ثم قالوا: ونحن نقول: إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي وهو أن ذلك معلول له لم يزل معه.

فيقال لهم: لم يستعمل أحد من الأنبياء ـ عليهم الصلاة

(١) في ك (وتجعل) بدلاً من (ويجعل).
(٢) في هـ (الاتحاد) بدلاً من (الإلحاد).
(٣) (سائر) ساقطة من هـ .
(٤) في هـ (فلاسفة) بسقوط (لـ).
(٥) في هـ ، ك (غيره) بسقوط (بـ).
(٦) في ط (لمعلومها) بدلاً من (لمعلولها).

والسلام ـ، بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلَّا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقاً بعدمه ووجود غيره، ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم، وأيضاً فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا[1] يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلَّا بعض الناس، وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقاً لم يتصوره إلَّا بعض الناس، * فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعاً له إذا[2] كان هذا يبطل مقصود اللغات، ويبطل تعريف الأنبياء للناس *[3] فكيف وهو باطل في صريح المعقول[4]، كما هو باطل في صحيح المنقول، فإنه لم يعرف أن أحداً قط عبر عن القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولا يزال، بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول، فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، لتوهموا[5] الناس أنكم موافقون لهم، والكتب الإلَهية كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والقديم الأزلي لا يكون مخلوقاً في ستة أيام، وكذلك الكتب الإلَهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى، وبندائه إياه من الطور من الشجرة، وفي التوراة أنها شجرة العليق[6].

وأخبرت بأن موسى ـ عليه السلام ـ كان يلقي عصاه فتصير حية

---

(١) في هـ (ولا) بزيادة (و).
(٢) في هـ (إذ).
(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٤) في هـ (العقل) بدلاً من (المعقول).
(٥) في هـ (ليتوهموا) بدلاً من (لتوهموا).
(٦) ورد في سفر الخروج إصحاح ٣ فقرة ٥ (ناداه الله من وسط العليقة) ص ٩٠ العهد القديم.

تسعى، ويخبر بأن الله فلق البحر، فقالت[1] الملاحدة: إن الشيء الثابت يسمى طوراً، فإنه ثابت كالجبل، والقلوب تسمى أودية، وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلِعَةِ كلام أهل الباطل هي عصا معنوية، فمراد الكتب بالطور العقل الفعال الذي فاض منه العلم على قلب موسى ــ عليه السلام ــ، والوادي قلب موسى، والكلام الذي سمعه موسى سمعه[2] من سماء عقله، وتلك الأصوات كانت في نفسه لا في الخارج، والملائكة التي رآها كانت أشخاصاً نورانية تمثلت في نفسه لا في الخارج، والبحر الذي فلقه هو بحر العلم، والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العلمية فابتلعت حجته شبههم التي جعلوها حبالاً يتوسلون بها إلى نيل أغراضهم، وعصياً يقهرون[3] بها من يجادلونه.

أفليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار أنه يكذب على الكتب الإلّهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن، وأنه ليس مراد الرسل بما[4] أخبروا به من قصة موسى هذا، بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له، وأنه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل، وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعباناً عظيماً، وفلق له البحر، وأغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا، وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير.

فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الأزلية

(١) ط، ك (فقال) بسقوط (ت).
(٢) (سمعه) ساقطة من ط .
(٣) في هـ (يهلكون) بدلاً من (يقهرون).
(٤) في هـ ، ك (ما) بسقوط (بـ).

التي هي علمه أو حكمته ابناً، وسموها أيضاً كلمة[1]، وسموا صفته القديمة الأزلية، التي هي حياته روح القدس، وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم، ولا يعرف أن أحداً قط لا من الأنبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه[2]، بل ولا سمى علم أحد من العالمين[3] القائم به ابنه، ولكن لفظ الابن يعبر به عمن ولد الولادة المعروفة، ويعبر به عمن كان هو سبباً في وجوده، كما يقال ابن السبيل لمن ولدته[4] الطريق، فإنه لما جاء من جهة الطريق جعل كأنه ولده.

ويقال لبعض الطير ابن الماء، لأنه يجيء من جهة الماء، ويقال: كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن الابن ينتسب[5] إلى أبيه ويحبه، ويضاف إليه أي كونوا ممن ينتسب[5] إلى الآخرة ويحبها، ويضاف إليها، وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين[6] يحبهم الله ويربيهم، كما ذكروا[7] أن المسيح قال: (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)، وفي التوراة: أن الله قال ليعقوب: (أنت ابني بكري).

ونحو ذلك مما يراد به إذا كان صحيحاً له معنى صحيح، وهو المحبة له، والاصطفاء له[8]، والرحمة له، وكان المعنى مفهوماً عند

---

(١) في هـ (كلمته) بدلاً من (كلمة).
(٢) في هـ (الله) بدلاً من (ابنه).
(٣) في هـ (العالم) بدلاً من (العالمين).
(٤) في هـ (ولده) بدلاً من (ولدته).
(٥) في هـ (ينسب) بدلاً من (ينتسب).
(٦) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).
(٧) في هـ ، ك (ذكروه) بدلاً من (ذكروا).
(٨) (له) ساقطة من ط، ك.

الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، ومن يخاطبونه[1] ، وهو من الألفاظ المتشابهة، فصار كثير من أتباعهم يريدون[2] به المعنى الباطل.

وزعم كثير من الكفار أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ بنين وبنات، وأن الملائكة بناته، وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون العقول العشرة هي بنوه، والنفوس الفلكية هي[3] بناته، وهي متولدة عنه لازمة لذاته، فجاء القرآن الذي هو أفضل الكتب وأكملها بإبطال هذه المعاني، ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله ــ تعالى ــ[4] ، فنزه الله عن أن يتخذ ولداً، كما نزهه عن أن يكون له ولد، والأول[5] من باب تنزيهه عن الأفعال المذمومة، وهذا على[6] قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقدسونه عن الأفعال القبيحة التي لا تليق به، بل تنافي ما وجب له من الكمال[7] في أفعاله، كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته، وأما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل من الأفعال إلَّا ما كان ممتنعاً لذاته، فأما الممكن المقدور فيقول: لا يعلم انتفاؤه إلَّا بالخبر أو بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لا يبقى معه ما ينفي به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة، والكتب الإلّهية، قد نزهت الرب ــ عز وجل ــ عن الأفعال المذمومة، كما نزهته عن صفات النقص، كقوله ــ تعالى ــ :

---

(١) في هـ (يخاطبوه) بدلاً من (يخاطبونه).
(٢) في هـ ، ك (يريد) بدلاً من (يريدون).
(٣) (هي) ساقطة من هـ .
(٤) في هـ (ــ عز وجل ــ) بدلاً من (ــ تعالى ــ).
(٥) في هـ (فالأول) بدلاً من (والأول).
(٦) (على) ساقطة من هـ .
(٧) في ط (الكمالات) بدلاً من (الكمال).

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٢).

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ عن المؤمنين :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾(٥).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦، ٢٧. وفي ط (يعلمون)، في هـ، ك الآية الثانية (٢٧) ساقطة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١، في هـ (أنى يكون له ولد) بدلاً من (أن يكون له ولد).

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ١٩١.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾(١) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾(٣) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٤) .

فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن اتخاذ الولد.

وقال ـ تعالى ـ(٥) :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ١، ٢.
(ولم يكن له شريك في الملك) ساقطة من هـ .

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٩١، ٩٢.
في هـ (فتعالى الله عما يشركون) بزيادة (الله).

(٣) سورة الصافات: الآيتان ١٥١، ١٥٢.

(٤) سورة الإخلاص كلها.

(٥) (ـ تعالى ـ) ساقطة من ك.

﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي
ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾[1]

وقال[2] ــ تعالى ــ :

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[4].

وفي الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «يقول الله ــ تعالى ــ : كذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك[5]، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك[6]، فأما تكذيبه إياي فقوله أنى[7] يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: أني اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[8].

---

(١) سورة مريم: الآيات ٨٨ ــ ٩٥.

(٢) في ط (قال) بسقوط (و).

(٣) سورة النساء: من الآية ١٧٢.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٨٠.

(٥) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٦) (ذلك) ساقطة من هـ.

(٧) في هـ، ك (لن) بدلاً من (أنى).

(٨) انظر:

* صحيح البخاري ــ كتاب بدء الخلق ــ باب ١ ــ عن أبي هريرة ــ بمعناه.

* ومسند الإمام أحمد ٢/٣١٧ ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بمعناه.

وفي الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليجعلون له ولداً وشريكاً، وهو يرزقهم ويعافيهم»[1].

ولهذا كان معاذ بن جبل[2]، يقول: لا ترحموا النصارى فإنهم[3] سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر[4]. فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية وحرمت[5] أن يتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد سداً للذريعة، كما منعت أن يسجد أحدٌ لغير الله، وإن كان على وجه التحية، كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد[6] الشمس والقمر فكانت بسدها[7] للأبواب التي يجعل[8] للَّه فيها

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ٣ ـ عن أبي موسى الأشعري.
* وصحيح مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب ١٠ ـ حديث رقم ٤٩ ـ عن أبي موسى ـ بمعناه.

(٢) **معاذ بن جبل**: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، ولد سنة عشرين قبل الهجرة ـ صحابي جليل ـ أسلم وهو صغير ـ وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أرسله الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ إلى اليمن معلماً ومفقهاً لأهلها فلم يزل بها يدعو إلى الإسلام وينشره، وعاد إلى المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فبعثه إلى الشام في جيش أبي عبيدة بن الجراح، وتوفي بها سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثرين، وعاش أربعاً وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك.
انظر: أسد الغابة ٤/٣٧٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٢٦.

(٣) في هـ، ك (فلقد) بدلاً من (فإنهم).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر ٣/ ١٠٠.

(٥) هكذا في جميع النسخ، ويحسن إضافة (و) لتصير: (وحرمت).

(٦) في هـ (تشبه عبادة) بدلاً من (يشبه عباد).

(٧) في هـ (في سدها) بدلاً من (بسدها).

(٨) في ط، ك (بجعل) بدلاً من (يجعل).

الشريك والولد[1] أكمل من غيرها من الشرائع، كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر[2]، لأنه يجر إلى كثيره، فإن أصول المحرمات التي قال الله[3] فيها:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة، فإن هذا جاء[5] في شرع التوراة دون شرع القرآن، فإن الله أحل لأمة محمد الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه، وسد أبواب الشرك من كل الوجوه، جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الأنبياء على إيجاب التوحيد وتحريم أن يجعل لله شريك أو ولد.

فإذا كان مراد[6] المسيح ــ عليه السلام ــ بالابن هو الناسوت، وهو لم يسم اللاهوت ابناً. وقد ذكر أن الابن لا يعلم الساعة فتبين بذلك أن المسيح هو الناسوت وحده وأنه لا يعلم الساعة، وهذا هو الحق، وإن قالوا مراده بالابن اللاهوت، أو اللاهوت[7] والناسوت لزم من ذلك أن اللاهوت أو اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة، وهذا باطل،

---

(١) في هـ (الوالد) بدلاً من (الولد).

(٢) في هـ (السكر) بدلاً من (المسكر).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط، ك.

(٤) سورة الأعراف: من الآية ٣٣.
في ط (وما بطن فيها) بزيادة (منها).

(٥) (جاء) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ط (مراده) بزيادة (هـ).

(٧) (أو اللاهوت) ساقطة من ط.

وكذب[1]، وهو أيضاً[2] مناقض لقولهم.

فدل هذا النص من المسيح مع سائر نصوصه ونصوص الأنبياء على أن مسمى الابن هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم ما يعلمه الله، وذلك صريح في أنه مخلوق ليس بخالق، ولا يجوز أن يكون هذا خطاباً[3] للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت. كما يتأوله عليه بعض النصارى، لأن كل ما علمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت، ولأن الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتحد به، بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت، ولأجل الاتحاد دخل فيه الناسوت، ولأنه لم يثبت إلَّا علم الأب وحده لم يستثنِ علم الابن الأزلي عندهم، بل نفى علم ما سوى الأب به، وهذا مناقض لقولهم[4] من كل وجه[5].



(١) في هـ (كذب) بسقوط (و).
(٢) (أيضاً) ساقطة من هـ.
(٣) في ط (خطأنا) بدلاً من (خطاباً).
(٤) في ط، ك (بقولهم) بدلاً من (لقولهم).
(٥) انتهى كلام الشيخ.

فصل

مواصلة الرّد على النّصارى بما قاله الحسن بن أيوب، ثم بكلام ابن البطريق

قال[1] الحسن بن أيوب: ومثل هذا أنه لما خاطبه الرجل على ما كتب في الإنجيل فقال له: (أيها الخير، فقال: ليس الخير إلاَّ الله وحده، قلت: وبعضهم يترجمه أيها الصالح، فقال: ليس الصالح إلاَّ الله وحده)[2] قال: ومثله قوله في الإنجيل: (إني لم آت لأعمل بمشيئتي لكن بمشيئة من أرسلني)[3] قال: ولو كانت له مشيئة لاهوتية كما يقولون: لما قال هذا القول فقد أبطل به ما تدعونه في ذلك.

قال[4]: ثم أنتم مع ذلك تدعون أن المسيح كلمة الله، ومن[5] قوة الله غير بائنة منه[6] ولا منفصلة[7] عنه، وتشهدون عليه في الإنجيل بقوله: إنه يصعد إلى[8] السماء، ويجلس عن يمين أبيه، ويدين الناس

---

(١) عاد هنا إلى الاستشهاد بكلام الحسن بن أيوب.

(٢) في إنجيل مرقس ـ الإصحاح العاشر: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. ١٨ ـ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلاَّ واحداً هو الله).
انظر: العهد الجديد ص ٧٤.

(٣) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح السابع: (٣٨ ـ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع ـ ص ١٥٢.

(٤) (قال) ساقطة من ك، هـ.

(٥) (من) ساقطة من هـ.

(٦) (منه) ساقطة من ط.

(٧) في ط (متصلة) بدلاً من (منفصلة).

(٨) (إلى) ساقطة من ط.

يـوم القيـامـة[1] ويجـازيهم بـأعمـالهم، ويتـولى الحكم بينهم، وأن الله ـ عز وجل ـ منحه ذلك إذ كـان لا يراه أحـد من خلقه في الـدنيا ولا في الآخـرة، فإن كـان هذا الجـالس للحكومـة بين العالمين[2] يـوم الدين، والقـاعد عن يمين أبيـه وهو[3] شخص قـائم بذاتـه لا يشك فيـه[4]، هو الجسـد الذي كـان في الأرض[5] المتوحـد بـه الـربـوبيـة، فقـد فصلتم بين الله ـ تبـارك وتعالى ـ وبينـه، وبعّضتموه بـاجتمـاعهمـا في السمـاء شخصين متبـاينين، أحدهمـا عن يمين صاحبـه، وهذا كفـر وشرك بـالله ـ عز وجل ـ ، وإن كـان جسداً خـالياً من الإلٰهيـة، وهي الكلمة، وقـد عـادت إلى الله كمـا بـدت منـه، فقـد زال عنـه حكم الـربـوبيـة التي تنتحلونه[6] إياها.

قال[7]: ونسألكم عن واحدة نحب أن تخبرونـا بها، هي[8] أصـل مـا وضعتموه من عبـادة الثلاثـة الأقانيم التي تـرجع بـزعمكم إلى جوهـر واحـد، وهو[9] الـلاهوت، مـا هو؟ ومن أين أخـذتموه؟ ومن أمـركم به؟ وفي أي كتـاب نزل؟ وأي نبـي تنبـأ به؟ أو أي قـول للمسيح[10] تـدعونه فيه؟ وهل بنيتم أمركم في ذلك إلاَّ على قول «متى» التلميـذ عن المسيح

(١) في هـ ، ك (الدين) بدلاً من (القيامة).
(٢) في هـ ، ك (العالم) بدلاً من (العالمين).
(٣) في ط (هو) بسقوط (و).
(٤) (فيه) ساقطة من هـ .
(٥) في هـ (الأرض المتحد به) بزيادة (المتحد به).
(٦) في هـ (تتخلونهما) بدلاً من (تنتحلونه).
(٧) (قال) ساقطة من هـ .
(٨) (هي) ساقطة من ط، ك.
(٩) في هـ ، ك (وهي) بدلاً من (وهو).
(١٠) في هـ ، ك (المسيح) بدلاً من (للمسيح).

ـ عليه السلام ـ أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم: (اذهبوا فعمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)[١].

قال[٢]: وهذا كلام يحتمل معناه ـ إن كان صحيحاً ـ أن يكون ذهب فيه بأن[٣] يجمع[٤] هذه الألفاظ إلى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض[٥] قلتم صلاة فلان القديس تكون معك، ومعنى الصلاة الدعاء، واسم فلان النبي يعينك[٦] على أمورك.

وكما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٧].

يقرن طاعته نبيه وأولي الأمر من المسلمين، أفنقول لذلك[٨] إنهم جميعاً آلهة؟

قال[٩]: وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل إن لم يكن معناه ما قلناه، أو يكون المسيح ـ عليه السلام ـ ذهب فيه إلى ما هو أعلم به، فلم حكمتم[١٠]، بأنه ذهب إلى أن هذه

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٧.
(٢) يعني الحسن بن أيوب.
(٣) (بأن) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في ك (بجمع).
(٥) في هـ (بعضاً) بدلاً من (لبعض).
(٦) في ط (يعنيك) بدلاً (يعينك).
(٧) سورة النساء من الآية ٥٩.
(٨) في ط (فلذلك) بزيادة (ف).
(٩) يعني الحسن بن أيوب.
(١٠) في ط (حكم) بدلاً من (حكمتم).

الأسماء لما أضافها إلى الله ـ عز وجل[1] ـ صارت آلهة، وجعلتم لها أقانيم لكل اسم أقنوم يخصه[2] بعينه، وهو[3] شخص واحد[4]، وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله ـ عز وجل[5] ـ بالتأويل الذي لا يصح.

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته، فلا بد من أن تعترفوا[6] ضرورة بأن كل أقنوم منها حي سميع[7] بصير عالم حكيم منفرد بذاته، كما يقولون في المسيح أنه جالس عن يمين أبيه فنراكم أخذتم الأقنومين اللذين أحدثتموها[8] مع الله من جهة أن الله حكيم حي فحكمته الكلمة، وهي المسيح وروحه روح[9] القدس، وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير، لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير.

وكذلك[10] ربنا ـ تبارك و[11] تعالى ـ ، وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته، ولا تبلغ كنه مجده[12] إلاَّ بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه، فنحلتم صفاته التي هي معناه[13] وليست سواه، غيره وجعلتم

(١) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٢) (يخصه) ساقطة من ط.

(٣) (وهو) ساقطة من هـ.

(٤) (واحد) ساقطة من ط، ك.

(٥) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٦) في هـ (يعترفوا) بدلاً من (تعترفوا).

(٧) في ط، ك (سميع حي) تقديم وتأخير.

(٨) في هـ (أخذتموها) بدلاً من (أحدثتموها).

(٩) في ط (وروح) بزيادة (و).

(١٠) في ط (وكذا) بدلاً من (كذلك).

(١١) (تبارك و) ساقطة من ط، ك.

(١٢) في هـ (تبارك وتعالى مجده) بزيادة (تبارك وتعالى).

(١٣) (معناه) ساقطة من هـ.

أقانيم لكل واحد[1] من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له، وما منها[2] أقنوم له صفة إلاَّ ويحتمل[3] على قياس قولكم أن تكون[4] صفته مثله، فإذا[5] كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إلٰه[6]، وهي من[7] جوهره فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلٰهاً مثله إذ كان من جوهره فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية.

قال[8]: وإذا قلتم بثلاثة أقانيم هي في السماء من جوهر قديم أفليس يلزمكم[9] الإقرار بثلاثة آلهة، لأن الأقانيم أشخاص يومأ إليها، ويقع الحد عليها، وإلاَّ فما الحجة وأنتم تذكرون في بعض احتجاجكم أنها ثلاثة ترجع[10] إلى واحد غير متبعضة ولا منفصلة وتشبهونها في اجتماعها[11] وظهور ما يظهر منها بالشمس، وقد نراكم عقدتم شريعة إيمانكم على أن المسيح إلٰه وإنسان متحدين وأنه يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه، والجالس عن يمين صاحبه أليس هو منفصلاً[12]

(١) في هـ (واحده) بزيادة (هـ).
(٢) في ط، ك (فيها) بدلاً من (منها).
(٣) في هـ (ويجمل) بدلاً من (ويحتمل).
(٤) في ط (تكونوا) وفي هـ (يكون).
(٥) في هـ (فإن) بدلاً من (فإذا).
(٦) في هـ (لإلٰه) بزيادة (ل).
(٧) في ط (من) مكررة.
(٨) يعني الحسن بن أيوب.
(قال) ساقطة من هـ.
(٩) في هـ (يلزمهم) بدلاً من (يلزمكم).
(١٠) في ط (ترجح) بدلاً من (ترجع).
(١١) (في اجتماعها) ساقطة من ك.
(١٢) في هـ (منفصل) بدلاً من (منفصلاً).

عنه[1] مفروزاً عنه؟ فكيف يصح[2] على هذا القول قياس، أو يصح به عقد دين؟ تقولون مرة مجتمع، ومرة منفصل[3]، وما شبهتموه به من الشمس، فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيه، وأنه لا يكون قياسه القياس الذي تعلقتم به.

على أنا وجدناكم تقولون في معنى التثليث: إن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أن (متى) التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح ـ عليه السلام ـ، إذ قال لتلاميذه: (سيروا في البلاد، وعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس)[4]، وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم فعلمتم[5] أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أن له محدثاً فتوهمتموه شيئاً موجوداً، ثم توهمتموه حياً ثم[6] ناطقاً لأن الشيء ينقسم لحي، ولا حي، والحي ينقسم لناطق، ولا ناطق.

وأنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق فأثبتم له حياة ونطقاً غيره في الشخص وهما هو في الجوهرية.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق، فأخبرونا عنه أتقولون أنه قادر عزيز أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا بل هو[7] قادر عزيز، قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزة، كما أثبتم له حياة وحكمة.

---

(١) في ط، ك (عنه) بدلاً من (منه).
(٢) في هـ (يقع) بدلاً من (يصح).
(٣) (تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل) ساقطة من هـ.
(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٧.
(٥) في هـ (فقلتم).
(٦) (ثم) ساقطة من ط، ك.
(٧) (هو) ساقطة من ط.

فإن قلتم[1]: لا يلزمنا ذلك لأنه قادر بنفسه عزيز بنفسه، قلنا لكم وكذلك، فقولوا[2]: إنه حي بنفسه، وناطق بنفسه[3]، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث أو إثبات التخميس[4]، وإلَّا فما الفرق، وهيهات من فرق.

وقال الحسن بن أيوب ــ أيضاً: إنا كلما تأملنا معكم في نسبة[5] المسيح ــ عليه السلام ــ إلى الإلٰهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون إليها، وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم، ازددنا بصيرة في استحالة ذلك، ووضعكم له من القول ما لا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم، ووجدنا أبين ما جاء في المسيح وصحة أمره فيما أتى به ما قال «متى» التلميذ: (إنه لما جاء يسوع[6] إلى أرض قيسارية[7] سأل تلاميذه فقال: ماذا يقول الناس في أني ابن البشر؟ فقالوا: منهم من يقول: إنك يوحنا المعمداني، وآخرون يقولون: إنك أرميا أو أحد الأنبياء، فقال لهم يسوع: فأنتم ماذا تقولون؟ فأجابه سمعان الصفا، وهو رئيسهم، فقال: أنت المسيح ابن[8] الله الحق، فأجابه المسيح، وقال: طوبي لك يا سمعان ابن يونان، إنه لم يطلعك على

---

(١) في ط (قليم) بدلاً من (قلتم).
(٢) في هـ (تقولوا) بدلاً من (فقولوا).
(٣) (وناطق بنفسه) ساقطة من هـ .
(٤) في هـ (التجسيم) بدلاً من (التخميس).
(٥) في هـ ، ك (نسب) بدلاً من (نسبة).
(٦) في هـ ، ك (أيسوع) بدلاً من (يسوع).
(٧) قيسارية: تسمى قيصرية فليبي في شرق فلسطين عند سفح الحرمون (جبل الشيخ) بناها فيليب حاكم تلك المنطقة وزارها المسيح.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤١٢.
(٨) (ابن) مكررة في ط.

هذا لحم ولا دم، ولكن أبـي الذي السماء)[1].

وحكى لوقا في إنجيله هذا الخبر فقـال: إن سمعان أجـابه فقـال: (أنت مسيـح الله)[2]، ولـم يقل ابن الله، فهـذا كلام تلميـذه الـرئيس فيـه وأرضاه ما قال.

وقوله: إنه لم ينطق بذلك إلاَّ ما أوحاه الله في قلبه ولـم ندفعكم قط عن أنه مسيح الله، ولا عن أنـه كما تقـولون[3] في لغتكم أنـه ابن الله[4] بالرحمة والصفوة[5] مع هذا[6] الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلـين، وقـد قـال: مثـل ذلـك فيكم جـميعـاً (إن الله إلٰهـي وإلٰهـكم وأبـي وأبيكم[7])[8] فنعمـل[9] على احتجاجكم بـأنـه ليس مثلكم[10] في معنى

(١) في إنجيـل متى ــ الإصحاح السـادس عشـر مـا يلي: (١٣ ــ ولمـا جـاء يسـوع إلى نـواحي قيصريـة فيلبس سأل تـلاميذه قـائلاً من يقـول النـاس أني أنـا ابن الإنسـان. ١٤ ــ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون أرميا، أو واحـد من الأنبياء. ١٥ ــ فقال لهم وأنتم من تقولون أني أنا. ١٦ ــ فأجاب سمعـان بطرس وقـال: أنت هـو المسيح ابن الله الحي. ١٧ ــ فـأجاب يسـوع وقال لـه: طوبـي لـك يا سمعـان ابن يونان إن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبـى الذي في السماوات).
انظر: العهد الجديد ص ٣٠.

(٢) في إنجيل لوقا ــ الإصحاح التاسع: (٢٠ ــ فأجاب بطرس وقال: مسيح الله).
انظر: العهد الجديد ص ١٠٨.

(٣) في هـ (أن يقول) بدلاً من (أنه كما تقولون).

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٥) في ط (الصفوة) بسقوط (و).

(٦) (وهذا) ساقطة من ط، ك.

(٧) في هـ، ك (وأبوكم) بدلاً من (وأبيكم).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

(٩) في ط (فتعمل) بدلاً من (فنعمل).

(١٠) (مثلكم) ساقطة من ك.

البنوة[1] ونجعله مثل من سمى في الكتب ابناً على جهة الاصطفاء والمحبة مثل إسرائيل وغيره بل قد خص إسرائيل[2] بأن قال ـ عز وجل ـ : (أنت ابني بكري)[3] وهذا[4] كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب، وليست بموجبة الإلٰهية إذ كان قد شاركه[5] في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه؟

ومما يؤكد المعنى في ذلك، ويزيل تأويل من يتأوله له ما لم يدعه ولم يرض به قوله في علم الساعة. (أن ذلك شيء[6] لا يعلمه أحد من الخلق ولا الملائكة المقربون، ولا الابن ـ يعني نفسه ـ إلَّا الأب[7] وحده)[8]، ثم قال للرجل الذي أتاه فقال له: (أيها العالم الصالح، أي الأعمال خير لي، الذي تكون لي حياة إلى يوم الدين؟ فقال له: لم تقول لي صالحاً، ليس الصالح إلَّا الله وحده)[9] فاعترف لله بأنه واحد لا شريك له ونفى عن نفسه، فلم يجعلها ـ ولا أحد من الخلق ـ أهلاً لذلك.

وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: (أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه.

(١) في ط، ك (النبوة) بدلاً من (البنوة).
(٢) في هـ (يعقوب) بدلاً من (إسرائيل).
(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.
(٤) في هـ (فهذا) بدلاً من (وهذا).
(٥) في هـ (يشركه)، وفي ك (شركه) ، بدلاً من (شاركه).
(٦) في هـ ، ك (شيئاً) بدلاً من (شيء).
(٧) في هـ ، ك (الله) بدلاً من (الأب).
(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤١٢.
(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٢٩.

فقال لها المسيح: صدقت طوبي لك)[1]، ثم قال للشيطان[2] حين اختبره فسامه أن يلقى نفسه من رأس الهيكل، فقال: (أمرنا أن لا نجرب الرب) ثم سامه أن يسجد له فقال: (أمرنا أن لا نسجد إلاَّ لله وحده، ولا نعبد سواه)[3] ثم صلاته في غير وقت لله، وآخرها الليلة التي أخذته اليهود فيها، فإذا كان إلهاً كما زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد؟

ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل أورشليم، وهي مدينة بيت المقدس، على الأتان لمن كان يسأله عن أمره لما راجت[4] المدينة به: (هذا[5] هو يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة)[6]، ثم قوله في بعض الإنجيل: (أخرجوا بنا من هذه المدينة فإن النبي لا يبجل في مدينته)[7] وفي موضع آخر أنه قال: (لا يهان نبي إلاَّ في مدينته وفي بيته وأقاربه)[8].

وقوله في بعض خطبه: (إن هذا الجيل السوء يريد آية وأنه

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/١٢٧.

(٢) في ط (الشيطان) بدلاً من (للشيطان).
في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الرابع: (٦ ــ . . . إذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد).
انظر: العهد الجديد ص ٩٦.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٤) في هـ، ك (رجت) بدلاً من (راجت).

(٥) (هذا) ساقطة من هـ، ك.

(٦) ورد في إنجيل متى (ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة) متى ٢١/١١.
انظر: العهد الجديد ص ٢٨.

(٧) ورد في إنجيل متى ٦٦١.

(٨) ورد في إنجيل متى ٦٦١.

لا يعطى[1] إلاَّ آية يونس[2]، كما كان يونس لأهل «نينوى»[3]: (كذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل، رجال نينوى)[4] يقومون[5] في الدين مع هذا الجيل فيخصمونهم لأنهم تابوا[6] على قول يونس النبي، وإن ها هنا أفضل من يونس)[7].

ثم قول داود في نبوته عليه: (من هذا الرجل الذي ذكرته وجعلته

---

(١) في هـ (يعطا) بدلاً من (يعطى).

(٢) يونس: ابن متى ذو النون، صاحب الحوت، ورد ذكره في القرآن أكثر من مرة، وسميت سورة باسمه ــ من أنبياء بني إسرائيل ــ آمن به قومه ثم انصرفوا عنه، وفرّ إلى مركب مشحون فسقط منه فالتقمه الحوت ولما صبر على بلائه نجاه الله ونبذه الحوت بالعراء وهو سقيم ــ أنبت الله فوقه شجرة من يقطين ــ وما أن برىء حتى أرسل إلى أقوام عديدين آمنوا بربهم وظفروا بنعمه.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٧.

(٣) نينوى: بلاد وقرى كانت بشرقي دجلة، كانت عند الموصل في قديم الزمان بعث الله تعالى إليهم يونس النبي ــ عليه السلام ــ فدعاهم إلى الله تعالى فكذبوه فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار العذاب خرجوا بالنساء والذراري إلى تل هناك في شرقي دجلة وكشفوا رؤوسهم وتابوا وآمنوا، فكشف الله عنهم العذاب، والتل باق إلى الآن ويسمى تل التوبة، وقصتهم معروفة في القرآن الكريم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٧٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ك، هـ.

(٥) في ط، ك (يقدمون) بدلاً من (يقومون).

(٦) في هـ، ك (تابو) بسقوط (ا).

(٧) في إنجيل «متى» الإصحاح الثاني عشر (٢٩ ــ فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي. ٤٠ ــ وإنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. ٤١ ــ رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداته يونان، وهو ذا أعظم من يونان ههنا).
انظر: العهد الجديد ص ٢٢.

دون الملائكة قليلاً[1]، ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في صدر كتابنا هذا ما تقدم ووصفهم أنه رجل أتى من عند الله بالأيدي والقوة[2].

ومما يشبه ذلك أنه لما قدم تلامذته[3] فركبوا السفينة، وقال لهم: (امضوا فإني ألحق بكم فأتاهم يمشي على البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا: ما هذا الحال ويح، ومن الغرق صاحوا، فقال لهم يسوع: اطمئنوا ولا تخافوا أنا هو، فأجابه شمعون الصفا، وقال له: يا رب إن كنت أنت هو فاذن لي آتيك على الماء، فقال له: تعال فنزل سمعان إلى الماء ليمشي عليه، فلم يستطع وجعل يغرق، فصاح، وقال: يا رب أغثني فبسط يده يسوع فأخذه، وقال له: لم[4] تشككت يا قليل الأمانة؟)[5] قال: فبان بذلك عجز المسيح عن إتمام ما سأله شمعون الصفا، ومثله أمر الرجل الذي قال ليسوع خبر ابنته وما ينالها من الشيطان، وأنه قد[6] قدمها إلى تلاميذه، فلم يستطيعوا أن يخرجوه، وقد كان جعل لهم ذلك وغيره فأخرجه هو منها[7].

وقال في الإنجيل، وهو يذكر الأمثال التي ضربها لرؤساء الكهنة أنهم لما سمعوها منه علموا أنها في شأنهم، فهموا أن يأخذوه، ثم فرقوا

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٢) يشير هنا إلى مقالة شمعون الصفا رئيس الحواريين.
وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ٤/ ١٣٢.

(٣) في ط (تلاميذته) بدلاً من (تلامذته).

(٤) (لم) ساقطة من ط.

(٥) انظر: العهد الجديد ـ إنجيل متى ـ الإصحاح الرابع عشر ـ ص ٢٧.

(٦) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٧) هذه القصة مذكورة في إنجيل لوقا ـ الإصحاح التاسع ـ ص ٧٢ ـ لكنه بلفظ الابن وليست ابنه.

من الجموع لأنهم[١] كانوا ينزلونه[٢] مثل النبـي)[٣].

وقـال في الإنجيل؟ (لمـا جاءتـه أم ابني زنـدا[٤]، وكـانت[٥] من تلامذته مع ابنيها، فقال لها: ما تـريدين؟ قـالت: أريد أن تجلس !بنـاي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمـالك في ملكـوتك، فقـال: ليس إلى ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيه، ولكن من وعد له من[٦] أبـي)[٧].

قال الحسن بن أيوب: فما يكون يا هؤلاء أفصح وأبين وأوضح من اجتمـاع هـذه الشـواهـد لكم في كتبكم، مـا رضيتم بقـولـه في نفسـه، ولا بقـول تلامـذته فيـه، ولا بقول من تنبـأ[٨] عليـه من الأنبيـاء، ولا قـول جموعه الذين تولوه[٩] لمن سألهم من مخـالفيهم عنه وتـركتم ذلك كله،

---

(١) في ط (لأنها) بدلاً من (لأنهم).

(٢) في هـ، ك (يتولونه) بدلاً من (ينزلونه).

(٣) في إنجيـل متى ـ الإصحاح الحـادي والعشرون: (٤٥ ـ ولمـا سمع رؤسـاء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم. ٤٦ ـ فإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافـوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبـي).
انظر: العهد الجديد ص ٤٠.

(٤) في هـ، ك (زيدا) بدلاً من (زندا).

(٥) في هـ، ك (وكانا) بدلاً من (وكانت).

(٦) (من) ساقطة من ط، ك.

(٧) في إنجيل متى ـ الإصحاح العشـرون: (٢٠ ـ حينئذٍ تقـدمت إليه أم ابن زبـدي مع ابنيهـا وسجدت وطلبت منـه شيئاً. ٢١ ـ فقـال لها: مـاذا تريـدين قالت لـه قـل أن يجلس ابناي هذان واحداً عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. ٢٢ ـ فـأجاب يسوع: وقال لستما تعلمان ما تطلبان أتستطيعان أن تشربا التي سوف أشـربها أنـا وأن تصـطبغان بـالصبغة التي أصبـغ بهـا أنـا تصـطبغـان، وأمـا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلَّا للذين أعدّ لهم من أبـي).
انظر: العهد الجديد ص ٣٦.

(٨) في هـ (نبأ) بسقوط (ت).

(٩) في هـ (قولوه) بدلاً من (تولوه).

وأخذتم بآراء قوم تأولوا لكم على علمكم بأنهم[١] قد اختلفوا أيضاً في الرأي، فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا، واتبع كلًّا منهم[٢] طائفةٌ قالوا بقولهم، ثم سلك من بعدهم[٣] سبيل الآباء في الاقتداء بهم[٤].

فبينوا لنا حجتكم في ذلك، وهيهات من حجة، ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه.

قال[٥]: ومما يشبه ما تقدم قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: (فأما أنتم الذين صبرتم معي في[٦] بلائي وتجاربي[٧]، فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا[٨] وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي)[٩]، فبين أن الله ـ عز وجل ثناؤه ـ[١٠] وعده أن يجعله في ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته، وهذا ما لا شك[١١] لكم[١٢] فيه، وهو مخالف لقولكم فيما يصير إليه، وفي الأكل والشرب

---

(١) في ط (فإنهم) بدلاً من (بأنهم).
(٢) في ط، ك (كلامهم) بدلاً من (كلًّا منهم).
(٣) في هـ (بعد) بسقوط (هم).
(٤) في هـ، ك (افتراقهم) بدلاً من (الاقتداء بهم).
(٥) يعني الحسن بن أيوب.
(٦) في هـ، ك (مع) بدلاً من (معي في).
(٧) في ط (مخازي)، في هـ، ك (محاربي). وقد صححتها من النص في الإنجيل.
(٨) (لتأكلوا) ساقطة من هـ.
(٩) وجدنا في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثاني والعشرون: (٢٨ ـ أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي. ٢٩ ـ وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي).
انظر: العهد الجديد ص ١٣٧.
(١٠) في ط (ـ عزّ وجل ثناؤه ـ) بزيادة (عزّ و).
(١١) في هـ (يشك) بزيادة (يـ).
(١٢) (لكم) ساقطة من هـ.

والنعيم هناك، ثم قوله لشمعون حين أتته الجموع فأخذوه: (أم تظن[1] أني لست قادراً أن أطلب إلى أبي فيقيم لي اثني عشر جنداً من[2] ملائكته[3] أو أكثر، ولكن: كيف تتم[4] الكتب أنه[5] هكذا ينبغي أن يكون)[6] ولم يقل: إني قادر أن أدفعهم عن نفسي، ولا أني آمر الملائكة أن يمنعوا عني، كما يقول من له القدرة والأمر.

قال: ونجدكم تقولون في المسيح ــ عليه السلام ــ: إنه مولود من أبيه أزلي ويجب على المدعي القول أن يثبت الحجة فيه، ويعلم[7] أنه مطالب بإيضاحها لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي لا يقع التلاعب به، ولا تجترىء النفوس على ركوب الشبهات فيه، والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلاً لا حقيقة له، فإنه يهلك نفسه، ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله، إن كان هذا الابن أزلياً على ما في شريعة إيمانكم، فليس هذا بمولود، وإن كان مولوداً فليس بأزلي، لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له ولا آخر.

ومعنى المولود أنه حادث مفعول، وكل مفعول فله أول، فكيف

---

(١) في ط (يظن) بدلاً من (تظن).
(٢) (من) ساقطة من ك، هـ.
(٣) في هـ (ملائكة) بدلاً من (ملائكته).
(٤) في ط، ك (يتم) بدلاً من (تتم).
(٥) في هـ (أن) بدلاً من (أنه).
(٦) في إنجيل متى ــ الإصحاح السادس والعشرون: (٥٣ ــ أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. ٥٤ ــ فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون).
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.
(٧) (ويعلم) ساقطة من ك.

ما[1] أردتم القول فيه كان[2] بطلان الشريعة.

قال: ونسألكم أيضاً عن واحدة لم سميتم الأب أباً، والابن ابناً، فإنه إن كان[3] وجب للأب اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضاً يستحق هذا الاسم بعينه إذ كان قديماً مثله. وإن كان الأب عالماً عزيزاً فهو أيضاً عالم عزيز تشهد[4] شريعة الإيمان له بذلك في قولها: إنه خلق الخلائق كلها، وأتقنت على يده وأنه نزل لخلاصكم، ومن قدر على ذلك لم يكن إلَّا عالماً عزيزاً، فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الأبوة والبنوة، وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول: ولد من أبيه، وإلَّا فإن كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة، فبأي فضل وسلطان للأب، عليه أمره ونهاه، فصار الأب باعثاً والابن مبعوثاً والأب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً.

ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله أولوكم في عبودية المسيح أن «متى»[5] التلميذ حين بنى كتابه الإنجيل[6] أول ما ابتدأ به أن قال: كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم[7] فنسبه إلى من كان منه على الصحة، ولم يقل: إنه ابن الله، ولا إنه إلّه من إلّه، كما يقولون: فإن قلتم إن تسمية يسوع للناسوت الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين

---

(١) في هـ، ك (بما) بزيادة (بـ).

(٢) في هـ، ك (كان فيه) بزيادة (فيه).

(٣) في ك (فإن كان) بدلاً من (فإنه إن كان).

(٤) في ط (تشهد له) بزيادة (له).

(٥) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).

(٦) (الإنجيل) ساقطة من هـ، ك.

(٧) في إنجيل متى ــ الإصحاح الأول: (ابتدأ التلميذ متى بتعريف المسيح ــ عليه السلام ــ بقوله: كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ولد إسحاق).
انظر: العهد الجديد ص ٣.

كل من التمس الحجة منكم، عند الانقطاع فيما يعترف به للمسيح من العبودية، فقد نسق متى[1] على اسم يسوع الذي هو عندكم اسم[2] للناسوت المسيح، الذي هو جامع الناسوت واللاهوت، فأي حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا.

ومما يصحح قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته إياها: إنه ابن داود على ما ثبت من ذلك في الإنجيل.

قال: ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان أن يسوع المسيح بكر الخلائق، فإن كنتم ذهبتم في ذلك إلى أنه على نحو ما يسمى أول ولد الرجل وكبيرهم فجائز، وهو محقق لقولنا في عبوديته، وإن كنتم أردتم بذكر البكر أنه أول قديم، فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات إلاَّ للأكبر من الإخوة، والأول من الولد، وبكر الخلائق لا يكون إلاَّ من الخلائق.

كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلاَّ من جنسهما، وباكورة الثمار لا تكون[3] إلاَّ ثمرة، ولأن[4] من المحال أن يقول قائل بكر ولد آدم ملك من الملائكة، وكذلك من المحال أن يكون[5] بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق.

وقد قال الله ـ تعالى ـ[6] في التوراة: ــــــــــــــــ

---

(١) في هـ ، ك (متا) بدلاً من (متى).
(٢) في هـ (أنتم) بدلاً من (اسم).
(٣) في ط، ك (يكون) بدلاً من (تكون).
(٤) في هـ ، ك (فلان) بدلاً من (ولأن).
(٥) (يكون) ساقطة من هـ ، ك.
(٦) (ـ تعالى ـ) ساقطة من هـ ، ك.
الحسن بن أيوب يحكي ما في التوراة على أنه كلام الله.

(يـا ابني بكـري)[1] أي إسرائيل، وقال في موضع آخر: (إنه نظر بنو الله إلى بنات الناس فشغفوا بهن)[2] فهل يوجب لآل إسرائيل إلٰهية بهذا القول؟

قال: وقلتم: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع فليس يخلو الأب من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير مـوجود[3]. فـإن كان لم يزل موجوداً فإن الأب لم يلد شيئاً. وإن كان غير مـوجود، وإنمـا هو حادث لم يكن، فهو مخلوق كما قلنا.

قال: ومما يبين قولنا في خلق المسيح: أن هذا الاسم إنما وقع له لأنه مسح للنبـوة والخير، ومـاسحه[4] الله ــ تبـارك وتعالى ــ، وقـد قال داود في زبـوره قـولاً يشهـد على ذلـك بعينـه: (من أجـل هـذا البـر مسحك الله إلٰهك أكثر مما مسـح به نـظراءك)[5] فأبـان (داود بهذه الآيـة معنى المسح بإنجيله وأن ماسحه اللَّهُ إلٰهُهُ)[6] وأنه مصطفى مكرم بـزيادة على نظرائه، وقال داود أيضاً في مزمور إحدى وثلاثين يخاطب الله: (من

---

(١) في هـ، ك (يسابق بكري) بدلاً من (يا ابني بكري).
وقد سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٥٤.

(٢) في سفـر التكـوين ــ الإصحـاح السـادس: (أن أبنـاء الله رأوا بنـات النـاس أنهم حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).
انظر: العهد القديم ص ١٠.

(٣) في ك (موجوداً) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (ومما يبيحه) بدلاً من (وماسحه).

(٥) في سفر المزامير ــ المزمور الخامس والأربعون: (٧ ــ من أجل ذلك مسحك الله إلٰهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك).
انظر: العهد القديم ص ٨٦٤.

(٦) مـا بين القوسين كتب في هـ: (داود بهـذه الآية معنى المسيـح، فإن مـا مسحـه الله الإلٰه).
وما بين القوسين ــ كـذلك ــ كتب في ك (داود) ومـا بعدهـا غير واضـح إلى قولـه: (الإلٰه وأنه مصطفى...).

أجـل داود عبدك لا يغلب وجـه مسيحك[1] عهـد الـرب لـداود بـالحق، ولا يرجع عنه)[2] يعني بمسيحه نفسه لأن الله مسحه للنبوة والملك، وقد قال مثل هذا في غير موضع من زبوره فسمى[3] نفسه مسيح الله[4].

قـال[5]: وإذا نظر في الإنجيـل، وكتب «بـولس»[6] وغيـره، ممن يحتـج بـه النصـارى، وجـد نحـواً من عشـرين ألف آيـة ممـا فيــه اسم المسيـح، وكلها تنـطق بعبوديـة المسيح، وأنـه مبعوث مـربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كـل فريق من أولئـك الذين وضعـوا الشريعـة باختيـارهم على هواهم، فـأخذوا بـذلك التأويل الفاسد[7]، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشـاذة اليسيرة التي يـوجد لهـا من التأويـل خلاف ما يتأولونه على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى مـا أشكل بمـا ظهر، فمن تلك الآيـات المشكلات مـا ذكرنـاه في

---

(١) في هـ (تسبيحك) بدلاً من (مسيحك).

(٢) في سفر المزامير ــ المزمور المئة واثنان وثلاثون: (١٠ ــ من أجـل داود عبدك لا تـرد وجه مسيحك أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه).
انظر: العهد القديم ص ٩٢٦.

(٣) في هـ (سما) بدلاً من (فسمى)، في ك (سمى) بسقوط (فـ).

(٤) في سفـر المزاميـر ــ المزمـور الأول: (٤؛ ٢ ــ قام ملوك الأرض وتـآمر الـرؤساء معـه (على الرب وعلى مسيحه).
انظر: العهد القديم ص ٨٣٤؛ والمزمور ٢٠ من العهد القديم ص ٨٤٥؛ والمزمـور ٢٨ من العهد القديم ص ٨٥١.

(٥) (قال) ساقطة من ط .

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(٧) في هـ ، ك (المفاسد) بدلاً من (الفاسد).

كتابنا هذا[1] وبيّنا معناه والحجة فيه، وأنه ليس كما تأولوه.

ومنها ما يحكون[2] عن المسيح أنه قال: (أنا بأبـي)[3]، وقـد فسر المسيـح ـ عليه السـلام ـ ذلك، وكشفـه، قال «يـوحنا» في إنجيله: إن المسيـح تضـرع إلى الله في تـلاميـذه، وقـال: يـا أيهـا الـرب القـدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضاً شيئاً[4] واحداً، كمـا أنا شيء واحد، وكما أنك أرسلتني إلى العالم، وكذلك أرسلهم أنـا أيضاً، ثم قـال بعـد هـذا أيضـاً: إني قـد منحتهم من المجـد الـذي أعـطيتني ومنحتني، ليكونوا أيضاً شيئاً واحداً كما أنـا شيء واحد، فـأنابهم، وأنت بـي)[5].

قال[6]: هو معنى ذلك أنه قـال أنت معي وأنت[7] لي كما أنـا مع تلاميذي ولهم.

قلت[8]: أو أراد أنـك بـي هـديت الخلق وعلمتهم وأنـا أهـديهم

---

(١) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

(٢) في ط (يحكمون) بدلاً من (يحكون).

(٣) في إنجيل «يوحنا» الإصحاح السابع عشر: (١١ ـ أيها الآب القدوس في اسمك الـذين أعطيتنـا حفظتهم ولم يهلك منهم أحـد إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتـاب أمـا الآن فإني آتي إليك).
ثم قال في نفس الإصحاح: (١٢ ـ وأنا قد أعـطيتهم المجد الـذي أعطيتني ليكـونوا واحـداً كمـا أننـا نحن واحـد. ٢٣ ـ أنـا فيهم وأنت في، ليكـونـوا مكملين إلى واحد...).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٠.

(٤) (شيئاً) ساقطة من ط.

(٥) انظر: هامش (٣) السابق.

(٦) يعني الحسن بن أيوب.

(٧) (معي وأنت) ساقطة من ط.

(٨) هذا الكلام لابن تيمية.

وأعلمهم[1] * والباء للسببية، فإن الله برسله هدى عباده وعلمهم *[2] والرسل علموا الغائبين عنهم، بالحاضرين[3] الذين بلغوا عنهم، وقوله ليكونوا شيئاً واحداً: أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم، وهذا مفسر، وقد قال: ليكونوا هم[4] شيئاً واحداً، كما أنا شيء واحد. فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولربه.

وهذا يبين أن قوله كما أنا شيء واحد * أي أنا موافقك[5] في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك، لم يرد بذلك اتحاد ذاته به *[6]، كما لم[7] يرد[8] أن تتحد ذوات بعضهم ببعض، فإنه[9] طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه.

قال: أويكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا يعرفه، إلَّا أنه قد بطل على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته ـ عز وجل ـ في اللاهوت بقوله في تلاميذه أنه[10] بهم، كما أن أباه به، لأنه إن تأول متأول في هذا المعنى أنه ذهب في[11] وصفه أنه[12] أبيه، وأن أباه به إلى مشاركته في

---

(١) في هـ (أعلمتهم) بدلاً من (أعلمهم).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.
(٣) في ط (فالحاضرين) بدلاً من (بالحاضرين).
(٤) (هم) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في ط (موافق) بسقوط (ك).
(٦) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٧) (لم) ساقط من ط.
(٨) في هـ (يدل) بدلاً من (يرد).
(٩) في هـ، ك (وإنه) بدلاً من (فإنه).
(١٠) في ك (إنهم) بدلاً من (إنه).
(١١) في ط (في بعض) بزيادة (بعض).
(١٢) (أنه) ساقطة من ط.

اللاهوت فقد قال في تـلامذتـه مثل هـذا القول، فيجب أن يكـونوا على هـذا القياس شـركاء في المحـل، وهذا مـا لا يكون، ولا يجتـرىء على القول به أحد.

قال: ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها[1] ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح ـ عليه السـلام ـ ، وتلامـذته، وإنجيله، وسنته وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيـه أشد الاختـلاف، فمنهم من يقول: إنه عبد، ومنهم من يقول: إنـه إلّه، ومنهم من يقـول: إنه ولـد، ومنهم من يقـول: إنـه أقنـوم وطبيعـة، ومنهم من يقـول: إنـه أقنـومـان وطبيعتان.

وكـل منهم[2] يكفر صـاحبه: ويقـول: إن الحق في يـده، وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه، ولا من قيـاسه لنفسـه وتأوله بمـا يصح لـه عند المنـاظرة، وإنمـا يرجـع في دينه واعتقـاده إلى ما تأوله له[3] المتأولون، بما يخالف إنجيلهم، وكتبهم بالهوى[4] والعنـاد من بعضهم لبعض[5]، فهم يشـركون بـالله على التأويـل ولا شريـك له، ويدعون له ولداً من جهة ما أحدثوا لأنفسهم، ـ سبحانه ـ أنى يكـون له ولد!!![6].

[7]قال الحسن بن أيوب: وقد بيّنا الحجج في بطلان كل قول لكم

---

(١) في ط (وعبودتها) بدلاً من (ودعوتها).

(٢) (منهم) ساقطة من ط .

(٣) (له) ساقطة من ط .

(٤) في ك (بالهوا) بدلاً من (بالهوى).

(٥) (لبعض) ساقطة من ط .

(٦) هذه نهاية الجزء الثاني من الكتاب وفق تقسيم طبعة المدني، ويليه الجزء الثالث.

(٧) هذه بداية الجزء الثالث من الكتاب المطبوع ـ طبعة المدني ـ وكما يلاحظ ليس هنا مبرر لجعل التقسيم هنا، لأن الحديث متصل ببعضه ولذلك لم نقسمه وفق تقسيم المدني .

مما عقدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قوماً منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها، ويتفرقون على مقالات شتى، هم عليها وكل منهم يدعي أن الصواب في يده.

وهذا أيضاً من سوء الاختيار[1]، وذهاب القلوب عن رشدها وانصرافها[2] عن سبيل حقها.

فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلَّا أهل ملل النصرانية فقط.

وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم، ومثل اختلاف المسلمين في القدر.

فمنهم من قال به، ومنهم من دفعه.

وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على إلَههم ومعبودهم وخالقهم، وأن[3] الله إلَه الخلق كلهم، واحد لا شريك له ولا ولد.

ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لا يشكون فيه، وعلى القرآن، وأنه كتاب الله المنزل على محمد المرسل، لا يختلفون فيه.

فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول، كان ما سواها خللاً[4] لا يقع معه كفر، ولا يبطل به دين.

---

(١) في ط، ك (الاختبار) بدلاً من (الاختيار).
(٢) في ط، ك (وانصرامها) بدلاً من (وانصرافها).
(٣) في هـ (أنه) بزيادة (هـ).
(٤) في ط (جللاً) بدلاً من (خللاً).

والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود.

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلّهاً ولا ديناً، ثم عرض عليهم دين النصرانية، لوجب[1] أن يتوقفوا عنه، إذ كان أهله لم يتفقوا على شيء فيه.

ودل اختلافهم في مقالاتهم ومباينتها[2] ما[3] في كتبهم، على باطله.

فأما قولنا[4] في باب التوحيد، واعترافنا بوحدانية الله ــ تعالى ــ، ونفينا عنه الشركاء والأنداد والأمثال والأولاد، فهو قول لا يشكون في صحته، ولا يشك فيه أحد من أهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الأصنام والأوثان وكل منهم يقر به ويرجع إليه.

إلَّا أن منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد. ومنهم من يدخل العلل فيه، بأن يقول: ثلاثة ترجع إلى واحد، وصنماً نعبده إجلالاً لله ليقربنا إلى ربنا وربه، ومدبر للأمور قديم لا بد أن نعترف به خالقها وباريها.

وكل منهم مقر بقولنا، وذاهب إلى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب إليها وأنه واحد لا شريك له.

فقد صح عقدنا بلا شك منكم، ولا من أحد من الأمم فيه،

= ومعنى (جللاً): أي يسيراً، فكلمة «الجلل» من الأضداد، فيطلق على الأمر العظيم واليسير انظر: لسان العرب لابن منظور.

(١) في ط (وجب) بسقوط (لـ)، في ك (فوجب) بدلاً من (لوجب).

(٢) في ط، ك (وما بينها) بدلاً من (ما بينتها).

(٣) في ط (مما) بدلاً من (ما).

(٤) هذا من كلام الحسن بن أيوب يقصد به المسلمين.

ولا في شيء منه، بل تقودكم الضرورة إلى الإقرار به والاجتماع معنا عليه.

والحمد لله رب العالمين على توفيقه، وإياه نسأل أن يتم علينا فضله ويديم لنا[1] تسديده بقدرته، وأن يحيينا ويميتنا على الإسلام، غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين، إنه على كل شيء قدير، وكل مستصعب عليه يسير، وهو بمن خافه واتقاه وطلب ما عنده ولم يلحد في دينه رؤوف رحيم. اهـ.

قلت[2]: هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره.

وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية[3]، ما يبين ذلك.

ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية، ونذكر ما ذكروه من حججهم، مثل ابن البطريق[4]،

---

(١) (فضله ويديم لنا) ساقطة من ط.

(٢) كلام المؤلف تعليقاً على آخر كلام الحسن بن أيوب.

(٣) في هـ (العقلية والسمعية) بتقديم وتأخير.

(٤) ابن البطريق: هو سعيد بن البطريق، طبيب ومؤرخ من أهل مصر ـ ولد بالفسطاط سنة ٢٦٣هـ، ٨٧٧م وأقيم بطريقاً في الإسكندرية وسمى أنتيشيوس سنة ٣٢١هـ.
وهو أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ، ولابن البطريق مؤلفات منها نظم الجوهر الذي رجع إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب وله أيضاً الجدل بين المخالف والنصراني ـ مات بالإسكندرية سنة ٣٢٨هـ ٩٤٠م.
انظر: طبقات الأطباء ٢/٨٦؛ وآداب اللغة ١/٢٠٠؛ والأعلام للزركلي ٣/١٤٤.

بترك الإسكندرية، فإنه صنف كتابه الذي سماه «نظم الجوهر»[1] وذكر فيه أخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب إحداثهم ما أحدثوه مع انتصاره لقول الملكية والرد على من خالفهم.

قال سعيد بن البطريق[2] بطريرك[3] الإسكندرية في تاريخه المعروف عند النصارى الذي سماه «نظم الجوهر»، وذكر فيه مبدأ الخلق وتواريخ الأنبياء والملوك والأمم وأخبار ملوك الروم وأصحاب الكراسي برومية[4] وقسطنطينية[5] وغيرهما، ووصف دين النصرانية، وفرق أهلها، وهو ملكي، رد على سائر طوائف النصارى، لما ذكر مولد المسيح[6] ـ صلوات الله عليه ـ، وأنه ولد في عهد ملك الروم قيصر المسمى[7] أغسطس[8] لثنتين وأربعين سنة من ملكه، قال[9]: وملك ستاً وخمسين سنة.

---

(١) **نظم الجوهر**: كتاب تاريخ كتبه سعيد بن البطريق، واسمه «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من آدم إلى الهجرة. طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م.

(٢) في هـ، ك (ابن بطريق) بدلاً من (بن البطريق).

(٣) في ك (بطريوك) بدلاً من (بطريرك).

بطريرك: اسم يطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٣٨.

(٤) **رومية**: سيأتي التعريف بها ٤/ ١٩٧.

(٥) **قسطنطينية**: سبق التعريف بها.

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٨٦.

(٧) في هـ، ك (المسما) بدلاً من (المسمى).

(٨) **أغسطس**: ابن مونرخس قيصر روماني. هزم الجمهوريين عند فليبي وقهر الملوك.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٥؛ ونظم الجوهر ص ٨٧.

(٩) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.

قال[1]: وملك بعده ابنه «طيباريوس»[2] قيصر بـرومية، وللمسيـح خمس عشرة سنة.

وكان لقيصر هذا صديق[3] يقال له «بلاطس»[4] من قرية على شط البحر الذي تحت «قسطنطينية» ويسمى ذلك البحر «السطس»[5] ولـذلك يسمى[6] «بلاطس النبطي» فولاه على أرض «يهوذا»[7].

قال: وفي خمس عشرة سنة من ملك طيباريوس قيصر هذا[8] ظهر «يحيـى» ابن زكريا المعمداني، فعمد اليهود في الأردن لغفران الخطايا.

فجـاء المسيـح إلى يحيـى بن زكـريـا فعمـده يحيـى في الأردن،

---

(١) يعني ابن البطريق، وقد نقل منه الشيخ كلامـاً كثيراً منـه شيء بـالنص ومنـه شيء بالمعنى، وقد قمنـا بـالمقارنـة فوجـدت النقل مـوافقاً في المعلومـات والشيخ يغفـل الأسمـاء في كثير الأحيـان وقد أثبتناها بالهامش نقلاً من تـاريخ ابن البـطريق. طبعـة بيروت ١٩٠٥م.

(٢) **طيباريوس**: قيصر ملك اثنتين وعشرين سنة وشهر.
انظر: نظم الجوهر ص ٩٣.

(٣) (صديق) ساقطة من هـ.

(٤) **بلاطس**: هو بيـلاطس النبطي صـديق القيصر طيبـاريوس، وبيـلاطي من جزيـرة في البحر بقرب رومية وتسمى بنطة.
انظر: نظم الجوهر ص ٩١.

(٥) في هـ، ك (البنطس) بدلاً من (السطس).
وهو بحر: بقرب رومية.
انظر: نظم الجوهر ص ٩١.

(٦) في هـ، ك (سمى) بسقوط (يـ).

(٧) **أرض يهوذا**: يهوذا الأردن.
انظر: السفر التـاسع عشـر ـ العهد القـديم ـ سفر يشـوع آية ٣٤ ـ وهي مـدينة في نفتالي لا يعلم سبب تسميتها بهذا الاسم وربما هي سيد يهوذا بقرب بنانياس.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٩.

(٨) (هذا) ساقطة من هـ.

ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة، وذكر قصة قتل يحيى، وقصة الصلب المعروفة عند النصارى.

إلى أن قال[1]: وكتب «بلاطس» إلى «طيباريوس» الملك بخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من العجائب الكثيرة من إبراء المرضى وإحياء الموتى.

فأراد أن يؤمن بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانية فلم يتابعه أصحابه على ذلك. وملك اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر.

وذكر أن في عصره بنيت مدينة «طبرية»[2] مشتقة من اسمه.

قال: وملك بعده قيصر[3] آخر أربع سنين وثلاثة أشهر، قتل بلاطس وولى شخصاً[4] كان شديداً على تلاميذ المسيح، وقتل رئيس[5] الشهداء والشمامسة، فرجم بالحجارة حتى مات.

وذكر أنه لقي التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة، وقتل

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٣/١ وما بعدها.

(٢) طبرية: مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة أيام مطلة على بحيرة معروفة ببحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، بناها ملك من ملوك الروم اسمه طباري، وبها قبر لقمان الحكيم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢١٧.

(٣) اسمه: عايبوس.
انظر: سعيد بن البطريق في تاريخه ٩٣/١.

(٤) اسمه: يوودس بن أرسطو بولس. ويسمى أغريان.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

(٥) اسمه: استفانوس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

منهم خلق كثيرة، وأنه مات هذا وولى بعده قيصر[١] آخر، وفي[٢] زمنه وقع جوع ووباء، وفي زمنه كتب «متى» وبين إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسره من العبرانية[٣] إلى الرومية[٤] «يوحنا»[٥] صاحب الإنجيل.

قال[٦]: وفي تسع سنين من ملكه كان «مرقس» صاحب الإنجيل بمدينة الإسكندرية[٧] يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح، وأنه أول شخص جعل بطريركاً على الإسكندرية[٨]، وأنه صير معه اثني[٩] عشر قسيساً وأمرهم إذا مات البطريرك أن يختاروا واحداً من الاثني[١٠]

---

(١) اسمه: قلوديوس.
انظر: تاريخ بن البطريق ١/٩٤.

(٢) في ك (المخزومي في) بدلاً من (وفي).

(٣) في هـ (بالعبرانية).

(٤) في تاريخ ابن البطريق: (اليونانية).

(٥) في هـ، ك (يحنا) بدلاً من (يوحنا).

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٩٥.

(٧) **الإسكندرية**: هي المدينة المشهورة بمصر ــ اختلفوا في بانيها ــ قيل الإسكندر الأول ــ وهو ذو القرنين ــ وقيل: دار ابن بنت الفيلسوف الرومي ــ وكانت قديماً مدينة من بناء شداد بن عاد ــ كان بها آثار العمارة والأسطوانات الحجرية ــ حتى قالوا: إنها تتحرك بحركة الشمس، وكانت مجمع الحكماء.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٣.

(٨) المذكور في تاريخ ابن البطريق الذي بين أيدينا الآن أن (حنانيا) الإسكافي الذي عمده مرقس بالإسكندرية هو الذي جعل أول بطريرك لها وليس كما ذكر المؤلف هنا بأن مرقس هو أول بطريرك لها.
وعلى هذا يكون هنا كلام ساقط هو (حنانيا الإسكافي) بعد كلمة (جعل) ويظهر صحة كلامنا بعد صفحة من هنا عند قوله في الصفحة بعد التالية: ومن حنانيا الذي أصلحه مرقس البشير...

(٩) في هـ، ك (الاثنا) بدلاً من (اثني).

(١٠) في هـ، ك (الاثني) بدلاً من (الاثنا).

عشر قسيساً، ويضع الاثنا عشر قسيساً(١) أيديهم على رأسه ويباركونه ويصلحونه بطريركاً(٢)، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً ويصيرونه معهم بدل القسيس الذي أصلحوه بتركاً ليكون اثني عشر أبداً.

فلم يزل رسمهم بالإسكندرية على هذا إلى زمن الثلاثمائة وثمانية عشر(٣).

فأمرهم بطريرك الإسكندرية الذي كان من جملة الثلاثمائة وثمانية عشر أن لا(٤) يفعل هذا فيما بعد، ومنع(٥) أن يصلح الأقساء البترك، بل(٦) يختاروا من أي بلد كان، رجلاً فاضلاً، وإذا مات البترك، اجتمع الأساقفة فأصلحوا البترك من أي بلد كان من أولئك الأقسة، أو من غيرهم.

فانقطع الرسم الأول من إصلاح الأقساء البترك، وجعل التيسير لهم في إصلاح البترك بابا، ثم سمى بترك الإسكندرية باباً(٧)، ومعناه الجد.

---

(١) (قسيساً) ساقطة من ك، ط.

(٢) في هـ (بطريكاً) بدلاً من (بطريركاً).

(٣) المقصود بزمن الثلاثمائة وثمانية عشر سنة: مجمع نيقيه، وهي ثلاثمائة وخمس وعشرين ميلادية.
انظر: كتاب أقانيم النصارى ـ أحمد حجازي السقا ـ ص ٥٩ ـ طبعة دار الأنصار القاهرة ـ سنة ١٣٩٧هـ.

(٤) (لا) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (منع) بسقوط (و).

(٦) ف هـ، ك (وأن) بدلاً من (بل).

(٧) في هـ، ك (بابايا) بدلاً من (بابا).

ومن حنانيا[1] الذي أصلحه مرقس البشير[2] إلى حادي عشر بطركاً بالإسكندرية لم يكن في عمل مصر أسقف، ولم يكن البطاركة قبله أصلحوا أسقفاً، وأن العامة لما سمعت الأساقفة يسمون البطريرك أباً قالوا: إذا كنا نحن نسمي الأسقف أباً، والأسقف يسمى البطريك أباً، فيجب علينا أن نسمي البطريرك بابا (أي الجد) إذ[3] كان أباً لأبينا، فسمي بطريرك[4] الإسكندرية من وقت «هرقل» بابا (أي الجد).

قال[5]: وخرج مرقس إلى «برقة»[6] يدعو الناس إلى الإيمان بالسيد المسيح، ومات قلوديوس[7] قيصر، وملك بعده ابنه «ناورن»[8] ثلاث عشرة سنة.

قال: وهو أول من أهاج[9] على النصارى الشر والبلاء والعذاب.

قال: وفي عصره كتب «بطرس»[10] رئيس الحواريين الإنجيل

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٦.
وانظر: الصفحة قبل السابقة، هامش (٨).

(٢) في هـ، ك (البشير مرقس) تقديم وتأخير.

(٣) في ط (إذا) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (بطريك) بدلاً من (بطريرك).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٦.

(٦) برقة: اسم يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها أنطابلس، وتفسيره الخمس مدن، وقال بطليموس طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة.
انظر: معجم البلدان ١/٣٨٨.

(٧) في ط (فلوريوس) بدلاً من (قلوديوس).

(٨) في ط، ك (بارون) بدلاً من (ناورن).

(٩) في هـ، ك، ط (هاج) بسقوط (أ).
في تاريخ ابن البطريق (أهاج) ص ٩٦.

(١٠) سبقت الإشارة إليه ص ٤/ ١٣٢.

(إنجيل مرقس) عن مرقس بمدينة رومية، ونسبه إلى مرقس.

قال: وفي عصر هذا الملك كتب «لوقا» إنجيله بالرومية[1] إلى رجل شريف من عظماء الروم يقال له «فوفيلا»[2] فكتب له أيضاً الأبركسس[3] الذي فيه أخبار التلاميذ.

وقد كان لوقا البشير صاحب «بولس الرسول»[4] يقول في بعض رسائله أن «لوقا» الطبيب يقول: «عليكم السلام»[5].

وقال[6]: وأخذ ثارون قيصر لبطرس فصلبه منكساً، ثم قتله، لأن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلاً أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائماً، وضرب عنق بولس الرسول بالسيف.

وأقام بطرس بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة.

---

(١) في تاريخ ابن البطريق (باليونانية).

(٢) في نظم الجوهر (ثاوثيلا) ص ٩٦.
وهو: رجل شريف من علماء الروم كتب لوقا له إنجيله، واسمه (تاوفيلا).
انظر: محاضرات في النصرانية ـ محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٣) **الأبركسس**: الأبركسيس الذي هو أخبار التلاميذ وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل وقد كتبها لوقا إلى ثاوفيلا.
انظر: محاضرات في النصرانية ـ محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٤) **بولس الرسول**: كان اسمه العبري (شاول) أي (المطلوب) ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الأمبراطورية الرومانية وكان أبوه فريسياً من سبط بنيامين ـ ذا كفاءة علمية ـ له رحلات تبشيرية كان من نتائجها نشر الإنجيل وله رسائل كثيرة ـ قاد عبادة المسيحيين في كل أقطار العالم ـ مات سنة ٦٧ أو ٦٨م.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٧.

(٥) في تاريخ ابن البطريق نسب هذا القول لبولس ولم ينسب إلى لوقا كما هو أعلاه.

(٦) في هـ، ك (قال) بسقوط (و).
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٧/١.

قال: وكان مرقس صاحب الإنجيل بالاسكندرية، وبرقة يدعو الناس إلى الإيمان، فأقام[1] سبع سنين.

وفي أول سنة من ملك نارون قيصر قتل مرقس بالإسكندرية، وأحرق جسده بالنار، وذكر بعده عدة قياصرة[2]، وذكر أن طيطس[3] خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها، وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى، حتى كانوا يشقون بطون الحبالى، ويضربون بأطفالهم الصخور.

وخرب المدينة والهيكل، وأضرم بها النار[4]، وأحصى القتلى على يديه فكانوا ثلاثة آلاف ألف[5].

وذكر عدة قياصرة بعد ذلك وأنه ولي واحد منهم خمس عشرة سنة، يقال له: «ذوما طيانوس»[6] وكان شديداً جداً على اليهود، وأنه بلغه أن النصارى يقولون أن المسيح ملكهم وأن ملكه إلى الدهر.

فغضب غضباً شديداً، وأمر بقتل النصارى، وأن لا يكون في ملكه نصراني.

---

(١) في هـ، ك (أقام) بسقوط (ف).

(٢) هم: غلياس، أنون، نبطاليوس، وأسباسيانوس.

(٣) في هـ (قسطنطين) بدلاً من (طيطس).
طيطس: هو ابن للقيصر أسباسيانوس، ضم إليه أبوه عسكراً كثيراً ووجهه إلى بيت المقدس فحاصرها سنتين إلى أن فتحها وخربها.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٨/١.

(٤) في هـ، ك (وضربهما بالنار) بدلاً من (وأضرم بهما النار).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٨/١.

(٦) **ذوما طيانوس**: هو الابن الثاني للقيصر أسباسيانوس، وهو أخ لطيطس الذي خرب بيت المقدس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٩/١.

وكان «يوحنا» صاحب الإنجيل هناك، فسمع بهذا فخاف وهرب إلى أفسس[١].

[٢] ثم إنه[٣] أمر بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم.

ثم تولى بعده قيصر[٤] آخر[٥] سنة وبعض أخرى، ثم ملك آخر بعده[٦] تسع عشرة سنة يسمى طرايانوس[٧].

قال[٨]: وهذا الملك أثار على النصارى بلاء عظيماً وحزناً طويلاً، وقتل شهداء كثيرة، وقتل بطريرك[٩] إنطاكية برومية، وقتل أسقف[١٠] بيت المقدس وصلبه وله مائة وعشرون سنة، وأمر أن يستعبد النصارى، إذ ليس لهم دين ولا شريعة.

---

(١) **أفسس**: هي أفسوس ـ بلد بثغور طرسوس يقال أنه بلد أصحاب الكهف.
انظر: معجم البلدان ١/٢٣١.

(٢) هنا كلام ساقط يقدر بأربعة أسطر تقريباً ذكره ابن البطريق كسبب لإكرام الملك ذوما طيانوس للنصارى.
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٣) (أنه) ساقطة من هـ.

(٤) اسمه: (نارواس) وقيل: (برسطيوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٥) (قيصر آخر) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ط (بعض) بدلاً من (بعده).

(٧) **طرايانوس**: اسمه (طرابيانوس) قيصر ـ المسمى ـ (أندريانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٨) انظر: المصدر السابق.

(٩) اسمه: (أغناطيوس).
انظر: المصدر السابق.

(١٠) اسمه: (سمعان بن أكلاديا).
انظر المصدر السابق.

فلشدة ما استعبد النصارى، وغلظ ما نالهم من القتل، رحمتهم الروم وشهد وزراء الملك عنده أن النصارى لهم شريعة ودين، وأنه لا يحل أن يستعبدوا، فكف عنهم الأذية.

قال: وفي عصره كتب «يوحنا» إنجيله بالرومية في جزيرة يقال لها: «تيمرا»[1] من أرض الروم من أرض «أثينة»[2] في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له «مومودس»[3].

قال[4]: وفي ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس.

فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على[5] أن يملكوا منهم ملكاً، فبلغ الخبر «طيباريوس قيصر»[6] فوجه بقائد من قواده بجيش عظيم إلى بيت المقدس فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة.

---

(١) في هـ (سمرا)، وفي ك (سموا) بدلاً من (تيمرا).
وفي تاريخ ابن البطريق: (بطمس)، (تيمرا) جزيرة في أرض الروم.

(٢) في هـ (ايثينية) بدلاً من (أثينة).
في ك (اتته) بدون تنقيط.
في تاريخ ابن البطريق: (آسيا).
سبق التعريف بها.

(٣) في تاريخ ابن البطريق (كومودس).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠١.

(٥) (على) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ك (طيبارنوس) بدلاً من (طيباريوس).
وفي تاريخ ابن البطريق (طرابيانوس).
وهو: طيباريوس بن أوغسطس قيصر ــ الذي ملك بعد أبيه وكان برومية وفي أثناء ملكه ظهر يوحنا الذي كان يعمد في الأردن.
انظر: نظم الجوهر ٩١/١.

قال: وخرج على قيصر هذا خارجي[1] مقاتل[2] ببابل[3]، فخرج إليه بنفسه فوقعت بينهم حرب شديدة، وقتل من الفريقين خلق عظيم[4]، وقتل قيصر في الحرب.

وملك بعده (اندريانوس[5] قيصر) عشرين سنة فخرج إلى ذلك الخارجي ببابل فهزمه، وصار إلى مصر فلقى منه أهل مصر شدة شديدة، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، [6] وأصاب «إيليا»[7] ابنه علة في بدنه فكان ينفذ إلى البلدان يطلب شفاءً لعلته، فوصفوا له بيت المقدس.

فلما وافاها، رآها خراباً ليس فيها أحد إلَّا كنيسة للنصارى فأمر[8] أن تبنى المدينة وتحصن بحصن قوي.

فلما سمع اليهود أقبلوا من كل بلد وكل مدينة. فما كان إلَّا زمان قليل[9] حتى امتلأت منهم المدينة فلما كثروا

(١) لم يذكر ابن البطريق في تاريخه اسماً لهذا الخارجي.
(٢) (مقاتل) ساقطة من هـ، ك.
(٣) **بابل**: سبقت الإشارة إليها ٣/ ٣٥٣.
(٤) في هـ (كثير) بدلاً من (عظيم).
(٥) **أندريانوس**: اسمه: إيليا أندريانوس قيصر.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠١.
(٦) هنا سقط كلام يقارب سطراً ونصف.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/ ١٠١.
(٧) في تاريخ ابن البطريق ذكر (إيليا) كلقب للقيصر أندريانوس، وهنا أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ في نقله إلى أنه اسم لابن القيصر.
انظر: المصدر السابق.
(٨) في هـ، ك (أمر) بسقوط (ف).
(٩) في هـ (قليل إلَّا) بزيادة (إلَّا).

ملكوا عليهم ملكاً[1].

فاتصل الخبر بإيليا بن قيصر أندريانوس، فوجه إليهم بقائد من قواده مع خلق كثير فحاصر المدينة، فمات كل من فيها من الجوع والعطش، ثم فتحها فقتل من اليهود ما لا يحصى، وهدم الحصن، وخرَّب المدينة حتى صيرها صحراء.

قال[2]: وهذا آخر خراب بيت المقدس، وهرب من اليهود من هرب إلى مصر، وإلى الشام، وإلى الجبال، وإلى الغور.

وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا وأن يسكن المدينة اليونانيون، ويبنوا على باب الهيكل برجاً، ويجعل فوقه ألواحاً، ويكتبوا عليها اسم «إيليا الملك» وذلك من ثمان سنين من ملكه.

قال: والبرج اليوم على باب مدينة القدس، وسمي[3] محراب داود.

قال: فسمى بيت المقدس إلى هذا الوقت «إيليا».

فمن الخراب الأول الذي أخربه «طيطس» إلى هذا الخراب، ثلاث وخمسون سنة.

وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، فنظروا إلى النصارى يأتون

---

(١) اسمه: (برجوزيا).
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٢.
(٢) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٢.
(٣) في هـ (ويسمى) بدلاً من (وسمى).

إلى تلك المـزبلة التي فيها القبـر[1] والأقرانيـون[2]، فيصلون، فمنعوهم من ذلك.

وبنى اليونانيـون على تلك المزبلة هيكـلاً على اسم الزهـرة، فلم يقدر أحد من النصارى بعد ذلك أن يقرب ذلك الموضع.

قال[3]: ثم مات «إيليـا الملك»، وملك بعده «أنطونيوس[4] قيصـر» برومية اثنين[5] وعشرين سنة.

قـال: وفي إحدى عشـرة سنة من ملكـه صيّر يهـودا[6] أسقفاً على بيت المقدس، فأقام سنتين ومات.

قـال: فمن يعقـوب[7] أسقف المقـدس الأول، إلى يهـودا أسقف بيت المقـدس هذا، كـانت الأساقفـة الذين صيـروا على بيت المقـدس مختونين.

وذكر أنه[8] ولي بعد هذا قيصر آخر اسمه «مرقس»[9]، تسع عشرة سنة، وأنه أثار على النصار بـلاء عظيمـاً، وحزنـاً شديـداً، واستشهد في زمانه شهداء كثيرون.

---

(١) **القبر**: يعنون به قبر المسيح ـ عليه السلام ـ نظم الجوهر ١/١٢٩.
(٢) **الأقرانيون**: مكان الصلب وقد بنت فيه هيلانة الحرانيـة بناء سمى بـذلك. المصـدر السابق.
(٣) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٣.
(٤) في هـ، ك (أنطرينوس) بدلاً من (أنطونيوس).
(٥) في ط (اثني) بدلاً من (اثنين).
(٦) في نظم الجوهر: (يهوذا) بدلاً من (يهودا).
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٣.
(٧) **يعقوب**: انظر: المصدر السابق.
(٨) انظر: المصدر السابق ص ١٠٤.
(٩) (اسمه مرقس) ساقطة من هـ، ك.

قال: وكان في أيامه جوع شديد، ووباء عظيم، لم تمطر السماء سنين[١]، وكاد الملك وجميع أهل مملكته أن يهلكوا من الجوع.

فسألوا النصارى أن يبتهلوا إلى إلٰههم فدعوا[٢]، فأمطر الله عليهم مطراً عظيماً وارتفع الوباء والقحط.

قال: وكان بأيامه بأرض اليونانيين[٣] «مغنوس»[٤] الحكيم.

قال: وفي خمس سنين[٥] من ملكه صير «لولياثوس»[٦] بطريركاً[٧]، وهو أول بطريرك أصلح الأساقفة في عمل مصر، أقام ثلاثاً وأربعين سنة ومات.



(١) في نظم الجوهر: (سنتين).
(٢) في ط (فدفعوا) بدلاً من (فدعوا).
(٣) في هـ (اليونان) بدلاً من (اليونانيين).
(٤) في نظم الجوهر: (مغنيوس).
وهو: مغتيوس الحكيم كما ذكره ابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٤.
(٥) في نظم الجوهر: (خمس عشرة سنة).
(٦) في نظم الجوهر: (ديمترونوس).
(٧) في نظم الجوهر: (بطريركاً على الاسكندرية) بزيادة (على الاسكندرية).

فصل

متابعة حكاية كلام ابن البطريق عن النّصارى ومناقشته في ذلك

قال[1]: وفي ذلك العصر كتب بطريرك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس، وبطرك إنطاكية[2]، وبطرك رومية[3] في كتاب[4] فصح النصارى[5] وصومهم[6]، وكيف يستخرج من فصحُ اليهود[7]، فوضعوا في ذلك كتباً كثيرة على ما هو عليه اليوم.

قال[8]: وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود سيدنا المسيح إلى

---

(١) انظر: ص ١٠٤ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٢) **إنطاكية**: سبقت الإشارة إليها ٤/ ٨٥.

(٣) رومية مدينة في شمال غربي القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية، منها انتشرت العلوم والآداب والفلسفة؛ أسسها روميولس سنة ٧٥٣ ق.م الذي صار أول ملك لها، واشتهى أن يذهب إليها بولس لينادي بها بالإنجيل، لكن لم تحقق أمنيته، كثيرة الكنائس بها الفاتيكان مقر البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية.
قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٧. وأنباء البلاد وأخبار العباد ص ٥٩١.

(٤) في ط (حساب) بدلاً من (كتاب).

(٥) **فصح النصارى**: عيد قيامة المسيح من بين الأموات وهو بين ٢٢ مارس إلى ٢٥ أبريل، الموسوعة العربية ص ١٢٤٧.

(٦) **صوم النصارى**: الصوم الكبير عند المسيحيين الأرثوذكس ٥٥ يوماً قبل عيد القيامة، وصوم الميلاد أو الصوم الصغير عند المسيحيين ٤٠ يوماً قبل عيد الميلاد، يبدأ عند المسيحيين الغربيين في ١٦ نوفمبر، وعند الشرقيين في ٢٦ منه.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٧؛ ونظم الجوهر ١/ ١٢٨.

(٧) **فصح اليهود**: ذكرى هروبهم من فرعون مصر وهو يوم ١٥ نيسان. الموسوعة العربية ص ١٢٤٧.

(٨) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ص ١٠٥.

السماء إذا عيدوا عيد الغطاس[1] من الغد، يصومون أربعين يوماً، ويفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح، لأن سيدنا المسيح لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية، فأقام بها صائماً أربعين يوماً، وكان النصارى إذا أفصح اليهود، عيدوا هم الفصح.

فوضع هؤلاء البطاركة حساباً للفصح، ليصوم النصارى أربعين يوماً، ويكون فطرهم يوم الفصح، ليتم فرحهم بذلك[2].

قلت[3]: فقد أخبر عن المسيح أنه لما صام أربعين يوماً عقب المعمودية، وكان يعيد مع اليهود في عيدهم لا يعيد عقب صومه، شاركه النصارى في ذلك مدة، فصاروا يصومون أربعين عقب الغطاس الذي هو نظير المعمودية، ويعيدون مع اليهود العيد.

ثم إنهم بعد هذا، ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عقب الغطاس، بل نقلوا الصوم إلى وقت يكون عيدهم مع عيد اليهود، فيكون عيدهم مع عيد اليهود، وهو فصح المسيح * ويكون ذلك وقت قيامته من قبره *[4].

قال[5]: ومات (مرقص) الملك، وملك بعده (قمودوس) قيصر برومية، اثني عشرة سنة. وفي أيامه كان في أرض اليونانيين في مدينة أفرغامس[6] (جالينوس)[7] الحكيم صاحب صناعة الطب.

وذكر (جالينوس) في فهرست كتبه أنه ربى (قمودوس)[8] الملك.

---

(١) في نظم الجوهر: (الحميم) بدلاً من (الغطاس). وسبق التعريف به ٣/ ٣٠.
(٢) انتهى كلام ابن البطريق.
(٣) هذا كلام للمؤلف.
(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٥) انظر ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق.
(٦) في نظم الجوهر: (فرغاموس) بدلاً من (أفرغامس).
(٧) سبقت ترجمته. (٨) في ط، ك (قموذوس) بدلاً من (قمودوس).

وذكر (جالينوس) في المقالة الأولى من الكتاب المعروف بـ (كتاب أخلاق النفس)[1]: أنه كان في عصر (قمودوس) الملك، رجل يقال له (بولس)[2] طلبه قمودوس الملك ليقتله، فهرب منه، وكان له غلامان، فقبضهما الملك، فضربهما الملك، وطلب منهما أن يدلاه على مولاهما، فلم يفعلا، لكرم أنفسهما ونخوتهما[3] وشدة محاماتهما على مولاهما، فقتلهما، وأن من الإسكندر إلى بولس خمسمائة سنة وست عشرة سنة، وذلك في السنة التاسعة من ملك قمودوس قيصر. فهذا ما ذكر جالينوس.

قال[4]: وكان أيضاً في أيام (ديمقراطيس)[5] الحكيم.

قلت[6]: هذه المدة أكثر مما ذكره (سعيد) هذا، فإنه لم يذكر من المسيح إلى هنا مائتا سنة، بل ذكر إلى الخراب مائة وثلاثة وعشرين[7] سنة، وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا.

---

(١) في هـ (اختلاف النفس) بدلاً من (أخلاق النفس). وهو كتاب في الطب والهندسة من ضمن مؤلفات جالينوس.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧.

(٢) في هـ (يونس) بدلاً من (بولس)، في نظم الجوهر (برنس).

(٣) في هـ (وتحرقهما) بدلاً من (ونخوتهما).

(٤) انظر: ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٥) **ديمقراطيس**: هو «ديمقريطس» عاش من ٤٦٠ إلى ٣٧٠ق. م، فيلسوف يوناني، يرى العالم مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم ولا تفنى وتتحرك دائماً، فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام...
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٧.

(٦) هذا كلام للمؤلف.

(٧) في هـ، ك (مائة وعشرين سنة) بدلاً من (مائة وثلاثة وعشرين سنة).

قال[1] : وفي عشر سنين من ملكه، ظهرت الفرس، فغلبت على (بابل)[2]، وأمدوا فارس[3]، وتملك أزدشير بن ساسان[4] بابل من أهل أصطخر[5]، وهو أول ملك ملك على فارس في المرة الثانية.

قال[6] : ومات قمودوس[7] قيصر ملك الروم، وملك بعده قيصر[8] آخر ثلاثة أشهر، ثم آخر[9]، وملك بعده برومية (سويرس)[10] قيصر سبع عشرة سنة، وذلك في أربع سنين من ملك أزدشير.

وكان هذا الملك شديداً، قد أثار على النصارى بلاء عظيماً، وعذاباً كبيراً، وقتل كل عالم منهم، وقتل خلقاً كثيراً، واستشهد في أيامه خلق كثير من النصارى في كل موضع، ثم قتل كل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى، وهدم الكنائس، وبنى بالإسكندرية هيكلاً،

---

(١) انظر: ص ١٠٦ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٢) مدينة قديمة من إمبراطورية بابل على الفرات. جعلها حمورابي عاصمة له.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦.

(٣) إقليم كان نواة للإمبراطورية الفارسية القديمة، وأهم مدنه شيراز وثغر بوشير.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٣.

(٤) هو: أزدشير بن تابك بن شاشان. ذكر هكذا في نظم الجوهر.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٦.

(٥) مدينة بأرض فارس قديمة بها بيت نار عظيم للمجوس، ويقولون إنه كان مسجد سليمان ــ عليه السلام ــ ينسب إليها الإصطخري صاحب كتاب الأقاليم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧.

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٧.

(٧) **قمودوس**: قيصر بن أنطونيوس ملك الروم.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٥.

(٨) اسمه: برطنيقوس.

(٩) (ثم) ساقطة من ط.

(١٠) في هـ (سربيون)، وفي ك (سروبيون) بدلاً من (سويرس).

وسماه هيكل الآلهة[١].

وملك بعده قيصر، وهو (أنطونيوس)[٢] الأصلع ست سنين، وملك بعده قيصر آخر[٣] ثلاث عشرة سنة، كانت النصارى في أيامه في هدوء وسلامة، وكانت أمه تحب النصارى، وفي أيامه سمى بطرك الإسكندرية (بابا)، أي «الجد» وملك بعده قيصر آخر[٤] ثلاث سنين، وهذا أثار على النصارى بلاءً طويلاً وحزناً عظيماً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً، وقتل بترك[٥] أنطاكية، فلما سمع أسقف[٦] بيت المقدس بقتله، هرب وترك الكرسي.

قال[٧]: ومات قيصر هذا في السنة الثانية[٨] من ملك بهرام بن هرمز وملك بعده قيصر آخر[٩] ثلاثة أشهر، ثم بعده آخر أربع سنين،

---

(١) **هيكل الآلهة**: بيت للنصارى، وهو بيت الأصنام. المعجم الوسيط ٢/٩٩٠ ـ طبعة القاهرة ٨٣م.

(٢) **أنطونيوس**: هو أنطونيوس قيصر فارقلوس، وهو الأصلع برومية.
انظر: ابن البطريق ص ١٠٨.

(٣) اسمه: الإكسندرس.
انظر: تاريخ ابن البطريق: ١/١١٠.

(٤) اسمه: مكسيميانوس.
انظر: المصدر السابق.

(٥) اسمه: بابيلا.
انظر: المصدر السابق.

(٦) اسمه: ناركيسوس.
انظر: المصدر السابق.

(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.
انظر: المصدر السابق ص ١١١.

(٨) في نظم الجوهر (السنة الثالثة) ١/١١١.

(٩) (قيصر) ساقطة من هـ، ك.
اسمه: بوبينوس. انظر· نظم الجوهر ١/١١١.

واسمه (غرديانوس)[1]، وفي ثلاث سنين من ملكه مات بهرام بن هـرمز، وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس تسع عشرة سنة.

وفي أيامه ظهر رجل فارسي يقال له (ماني)[2] فأظهر دين المانية، وزعم أنه نبـي، فأخذه بهرام بن بهرام ملك الفرس فشقه نصفين، وأخذ من أصحابه وممن يقول بقولـه مائتي رجـل، فغرس رؤوسهم في الـطين منكسين حتى ماتوا منكسين.

وملك بعد قيصرٍ هذا (فيلبس)[3] قيصراً برومية سبـع سنين، وآمن بالسيد المسيح، ووثب عليه قائد[4] من قواده فقتله.

ثم ملك بعـده قيصر آخـر اسمه (داقنـوس)[5] وهو (دقيـانوس)[6] وذلك من عشر سنين من ملك بهرام بن بهرام، فلقي النصارى منه حـزناً طويلاً، وعذاباً شديداً، وقتل منهم من لا يحصى واستشهد في أيـامه من الشهداء خلق كثير وقتل بطرق رومية[7]. ثم خرج إلى مدينة أفسس فبنى

---

(١) في ط (غردمانوس) وصحـته (غرديانوس).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) فيلبس: اسمه (فيلبس)، قيصر على الروم برومية، ملك سبع سنين وآمن بالمسيح.
انظر: نظم الجوهر ص ١١١.

(٤) اسمه: (داقيوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢ (نظم الجوهر).

(٥) في ط (ذاقنيوس).
في نظم الجوهر: (ذاكيوس).

(٦) جملة: وهو (دقيانوس): غير موجودة في تاريخ ابن البطريق.
وهو: ذاكيوس قيصر ملك على الروم برومية سنتين، وهو الذي أمر ببناء باب الكهف على الفتية الذين ذكروا في قصة أهل الكهف.
انظر: نظم الجوهر ص ١١٢.

(٧) اسمه: (فلابيانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

في وسطها هيكلاً عظيماً وصير فيه الأصنام وأمر أن يسجد للأصنام، ويذبح لها، ومن لم يفعل ذلك قتل، فقتل من النصارى بأفسس خلقاً عظيماً وصلبهم على الحصن واتخذ من أولاد عظماء «أفسس» سبعة غلمان من خواصه وعلى كسوته، وقدمهم على جميع من عنده وذكر أسماءهم، أسماء أصحاب أهل[١] الكهف[٢].

قال: وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للأصنام، فأعلموا الملك بخبرهم، فأمر بحبسهم، ثم خرج إلى[٣] بعض المواضع وأطلق سبيلهم إل حين رجوعه.

فلما خرج من المدينة، أخذ الغلمان كل ما لهم فتصدقوا به، ثم خرجوا إلى جبل عظيم يقال له (جاوس)[٤] شرقي «أفسس» فيه كهف كبير، فاختفوا في الكهف، فكان واحد منهم في كل يوم يتنكر ويدخل المدينة، فيسمع ما يقول الناس في شأنهم، ويشتري لهم طعاماً ويرجع فيعلمهم.

فقدم[٥] (دقيانوس) الملك، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم في جبل جاوس في الكهف مختفين.

فأمر الملك أن يبنى[٦] باب الكهف عليهم ليموتوا، وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات.

---

(١) (أهل) ساقطة من ط، ك.

(٢) أسماؤهم هي: (مقسيميانوس، أمليخس، ديانوس، مرطيموس، ديونيسيوس، أنطونيوس، يوحنا).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

(٣) في ك (إلى جبل عظيم) بزيادة (جبل عظيم).

(٤) في نظم الجوهر (خاوس).

(٥) في ط (بقدوم) بدلاً من (فقدم).

(٦) في هـ (يبنا) بدلاً من (يبنى).

وأخـذ قائـد من قواده صفيحـة[1] من نحاس، وكتب فيهـا خبـرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك، وصير الصفيحـة في صندوق نحـاس ودفنه داخل الكهف، وبنى الكهف.

ومـات الملك دقيانـوس * قيصر، وملك بعـده قيصران[2] بـرومية سنتين، ثم قيصـر آخر اسمـه «غنيونـوس» خمس عشرة سنـة *[3] وملك بعده[4] قيصر[5] آخر[6] سنة واحدة ومات[7]، وذلك من ثلاث سنين من ملك هرمز.

وفي أول سنـة من ملك هذا، صيـر «بولس» بـطركاً على إنـطاكية ويسمى «بولوس الشمشـاطي»[8] قال: وهـو الذي ابتـدع دين البوليـانية، فسمي التابعون لدينه والقائلون بمقالته بوليانيين.

قال[9]: وكانت مقالته: أن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره، فإن ابتداء الابن من مريم، وأنـه اصطفي ليكـون مخلصـاً للجوهـر الإنسي، صحبته النعمـة الإلّهية، فحلت فيـه بالمحبـة والمشيئة، ولذلك سمي: (ابن الله).

---

(١) في هـ (صفحة) بدلاً من (صفيحة).
(٢) هما: (غليوس، يوليانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.
(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٤) ما بين النجمتين السابقتين ساقط من ك، وكذلك (وملك بعده) ساقط أيضاً.
(٥) (قيصر) ساقطة من هـ.
(٦) اسمه: (قلوديوس).
انظر: المصدر السابق ص ١١٤.
(٧) (ومات) ساقطة من ط، ك.
(٨) في نظم الجوهر (السميساطي). وسبقت الإشارة إليه ٤/ ٨٥.
(٩) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.

وقال[1]: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ولا نؤمن بالكلمة، ولا بروح القدس.

قال[2]: وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة إنطاكية، ونظروا في مقالة «بولس» فأوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه، ولعنوا من يقول مقالته وانصرفوا.

قال[3]: وبعده ملك قيصر آخر ست[4] سنين، اسمه «أوراغوس قيصر»[5].

قال[6]: وكان النصارى بالإسكندرية في أيامه يصلون في المطامير والبيوت فزعاً من الروم، ولم يكن يظهر بترك بالإسكندرية[7] لئلا يقتلوهم.

فلما صار «نارون»[8] بطركاً، ظهر، ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسة (حنا)[9] و(مار مريم)[10] وملك بعده

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) في نظم الجوهر (خمس) بدلاً من (ست).
(٥) في نظم الجوهر: (أورلليوس) بدلاً من (أوراغوس).
(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.
(٧) في هـ (الإسكندرية) بسقوط (بـ).
(٨) في هـ (مارون) بدلاً من (نارون).
وهو: نارون قيصر رومية الذي ملك ثلاث عشرة سنة.
انظر: نظم الجوهر ص ٩٦.
(٩) كنيسة «حنا»: هي كنيسة ماريوحنا بناها بالإسكندرية ثاوفيلوس البطريك.
انظر: نظم الجوهر ص ١٤٩.
(١٠) في هـ (مريم) بدلاً من (مار مريم).

=

قيصران[1]، ثم قيصر اسمه «فاروس»[2] وذلك في تسع سنين من ملك سابور[3] بن هرمز * وكان شديداً على النصارى، قتل الأخوين قزمان ودميان الشهيدين *[4] وملك بعده دقيطيانوس[5].

قال[6]: فمن خراب طيطس لبيت المقدس إلى ملك دقيطيانوس مائتان وست سنين، ومن مولد سيدنا المسيح إلى دقيطيانوس مائتان وست وسبعون سنة، ومن الإسكندر إلى دقيطيانوس خمسمائة وخمس وتسعون[7] سنة ومن سبي بابل إلى دقيطيانوس ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة[8]، ومن داود إلى دقيطيانوس ألف وتسعمائة وإحدى وأربعون سنة[9].

قال[10]: وملك دقيطيانوس في إحدى عشرة سنة من ملك

= كنيسة «مار مريم»: هي كنيسة مرتمريوم بالإسكندرية بناها ثاوفيلوس البطريك.
انظر: نظم الجوهر ص ١٤٩.

(١) وهما: (طاقسطوس، قورينوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١١٥.

(٢) قبل (فاروس) هذا ملك قيصر اسمه (برونس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجوهر ص ١١٩.

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ، د (الأخوين على النصارى قبل قزمان ودمنان الشهيدين).

(٥) في نظم الجوهر (ديوكليتيانوس).

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١١٥.

(٧) في هـ (وسبعون) بدلاً من (وتسعون).

(٨) في نظم الجوهر (ثمان مائة وثمان وخمسون سنة).

(٩) في نظم الجوهر (ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة).

(١٠) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

سابور[1] بن هرمز ملك الفرس، وملك معه اثنان[2]، تملكا على الروم إحدى وعشرين سنة، وهؤلاء أثاروا على النصارى بلاء عظيماً، وحزناً طويلاً، وعذاباً أليماً، وشدة شديدة، تجل عن الوصف، من القتل، والعذاب، واستباحة الأموال واستشهدوا ألوفاً من الشهداء وعذبوا «ماري جرجس»[3] أصناف العذاب وقتلوه بفلسطين وقتلوا «ماري مينا»[4] و «ماري بقطر»[5] * و «أيتماخوس»[6] و «مركورس»[7] *[8] وغيرهما.

قال: وفي عشر سنين من ملكهما صير «بطرس»[9] بطركاً على الإسكندرية فأقام[10] عشر سنين، وقتل.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١١٩.

(٢) لم يذكر ابن البطريق أنه تملك مع هذا القيصر اثنان بل ذكر واحداً هو (مقسيميانوس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) **ماري جرجس**: قتل بفلسطين وهو من قباذوكية واسمه (مار جرجس).
انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(٤) **ماري مينا**: اسمه (مارمينا).
انظر: المصدر السابق.

(٥) **ماري بقطر**: واسمه (مار بقطر).
انظر: المصدر السابق.

(٦) **أيتماخوس**: واسمه (أبيماحس).
انظر: المصدر السابق.

(٧) **مركورس**: واسمه (مرقوريوس).
انظر: المصدر السابق.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٩) **بطرس**: بطريرك الإسكندرية عشر سنين، ثم ضرب عنقه بالسيف.
انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(١٠) في هـ، ك (أقام) بسقوط (فـ).

وفي عشرين سنة من ملكهما، ضرب عنق بطرس هذا البطرك بالإسكندرية.

قال: وكان لبطرس تلميذان، اسم أحدهما «أشلا»[(١)] والآخر «الأكصندروس»[(٢)]، وكان بالإسكندرية رجل يقال له «أوريوس»[(٣)] يقول: إن الأب ــ وحده ــ الله الفرد، و «الابن» مخلوق مصنوع، وقد[(٤)] كان «الأب» إذ لم يكن الابن.

فقال «بطرس» البطرك لتلميذيه: إن المسيح لعن «أريوس» فاحذرا أن تقبلا قوله، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: يا سيدي، من شق ثوبك؟ فقال لي: أريوس، فاحذروا أن تقبلوه ويدخل معكم الكنيسة كنيسة الله[(٥)].

قال: وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير «أشيلا» بطركاً على الإسكندرية، فأقام ستة أشهر ومات.

وكان «أريوس» قد استعان على «أشلا» بأصدقائه فأورى[(٦)] أنه قد رجع عن تلك المقالة، فقبله «أشلا» وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً.

---

(١) في نظم الجوهر: (أشبلا).
هو: بطرك الإسكندرية بعد بطرس، أقام ستة أشهر ومات.
انظر: نظم الجوهر ١/١١٧.

(٢) في نظم الجوهر: (الأكسندرس).
هو: بطرك الإسكندرية بعد أشيلا، أقام ستة عشرة سنة ومات.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٦١٩.

(٤) (قد) ساقطة من هـ.

(٥) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦، ١١٧.

(٦) في نظم الجوهر: (وأوراه).

قال[1]: وأما «دقيطيانوس» الملك، فكان يطلب النصارى فيقتلهم.

فبينما هو يسير في طلبهم إذ بلغ إلى موضع يقال له «ملطية»[2] فصب الله عليه نقمته، فوقع في علل عظيمة، وأمراض عظيمة حتى ذاب جسمه، وكان الدود يتساقط من بدنه[3] إلى الأرض، وسقط لسانه من حنكه ومات.

وملك بعده قيصران، أحدهما المشرق والشام وأرض الروم، والآخر رومية ونحوها، وكان[4] أحدهما اسمه «علانيوس»[5] والآخر «مقصطيوس»[6] فكانا كالسباع الضارية على النصارى، وأثارا[7] عليهم البلاء والجلاء وما لا يصفه واصف، وفعلا بهم ما لم يفعله أحد من الملوك قبلهم.

وملك معهما على بزنطية[8] وما والاها «قسطس»[9] أبو قسطنطين،

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١١٧.

(٢) مدينة مشهورة بأرض الروم بها جبل فيه عين يخرج منها ماء عذب ضارب إلى البياض يشربه الإنسان لا يضره شيئاً فإذا جرى إلى مسافة يسير حجراً صلداً.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٦٤.

(٣) في هـ (بين يديه) بدلاً من (من بدنه).

(٤) (كان) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في نظم الجوهر (غلاريوس).

(٦) في هـ، ك (دقطيطيوس) بدلاً من (مقصطيوس).
وفي نظم الجوهر (مكسنبتوس).

(٧) في ط (وأثاروا) بدلاً من (وأثارا).

(٨) **بزنطية**: بيزنطة مدينة قديمة تقوم استانبول اليوم على موقعها، أسسها الإغريق (٦٥٨ق. م) وغدت سريعاً مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها على مضيق البسفور.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٦٦.

(٩) **قسطس**: هو قسطس بن والنتيوس بن أرسيس بن ذاكيوس ابن كلوديوس الملك الذي =

وكان رجلاً ديناً مبغضاً للأصنام، محباً للنصارى.

فخرج «قسطس» إلى ناحية الجزيرة و«الرها»[1]، فنزل في قرية من قرى الرها يقال لها «كفرجاث»[2] فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها هيلانة، وكانت قد تنصرت على يدي أسقف الرها، وتعلمت قراءة الكتب.

وولدت هيلانة قسطنطين فتربى بـ«الرها» وتعلم حكم اليونانيين، وكان غلاماً حسن الوجه، قليل الشر، وديعاً محباً للحكمة.

وأما «علانيوس» فكان رجلاً وحشياً، شديد البأس، مبغضاً للنصارى جداً، كثير القتل لهم، محباً للنساء، ولم يترك للنصارى بنتاً بكراً إلاَّ أخذها وأفسدها وقتلها، وكذلك أصحابه، وهكذا كانوا يفعلون بالنصارى، وكان النصارى في شدة شديدة جداً معهم.

وبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد، قليل الشر، كثير العلم والخير.

وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون أن «قسطنطين» سيملك ملكاً عظيماً، فهم بقتله.

= كان برومية على عهد الحواريين، وهو زوج هيلانة أم قسطنطين ـ الملك.
انظر: نظم الجوهر ١٢٢/١.

(١) **الرها**: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، بها بنيت الكنيسة المعروفة بالرها التي بنتها هيلانة أم قسطنطين.
انظر: نظم الجوهر ١٣٠/١؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨١.

(٢) في هـ (كفرجات) بدلاً من (كفرجاث). وفي نظم الجوهر (كفرفخار). وقد قال الحموي: **كفرجديا**: قرية من قرى الرها كانت ملكاً لولد هشام بن عبد الملك. وقيل من قرى حران.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٦٩/٤.

وعلم قسطنطين بذلك، فهرب من الرها، وذهب إلى مدينة «بزنطية» ووصل إلى أبيه «قسطس» فسلم إليه الملك.

وبعد قليل مات «قسطس» وصب الله على «علانيوس» الملك عللا عظيمة، حتى تقطع لحمه وتهرأ[1]، وبقي مطروحاً لا يقدر أحد أن يقترب منه.

فعجب الناس مما ناله، ورحمه أعداؤه مما حل به.

فرجع إلى نفسه وقال: لعل هذا الذي بي مما أقتل النصارى.

فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس، وأن يكرموهم ولا يؤذوهم، ويسألونهم أن يدعوا له في صلاتهم.

فصلى النصارى على الملك ودعوا له، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل مما كان عليه من الصحة والقوة.

فلما صح وقوي، رجع إلى أشر مما كان عليه من الردى.

وكتب إلى جميع عماله أن يقتلوا النصارى ولا يعيش في مملكته نصراني، ولا يسكنوا مدينة ولا قرية له.

فمن كثرة القتلى كانوا يحملون على العجل، ويرمون بهم في البحار والصحارى، وقتل «مار جرجس»[2] وأخاه[3] بمدينة «قباذوقية»[4]

---

(١) في هـ (وانهرا) بدلاً من (وتهرأ).
(٢) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.
(٣) أخو «مارجرجس» اسمه: مارمينا.
انظر: المصدر السابق.
(٤) لعلها قباذق، ولاية واسعة في بلاد الروم من مدنها: قونية، وملقونية، معجم البلدان ٤/٣٠٣.

وهما من أهلها، وقتل «بربارة»[1]، وذكر حرباً جرت بينه وبين سابور، لما تنكر سابور، وجاء إليه متنكراً وعرفه[2].

قال: وأما مقسطيوس، فكان شريراً على أهل «رومية» واستعبد كل من كان برومية وخاصة النصارى، فكان ينهب أموالهم، ويقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

فلما سمع أهل رومية بملك «قسطنطين» وأنه مبغض للشر، محب للخير، وأن أهل مملكته[3] معه في هدوء وسلامة، كتب رؤساء رومية إلى قسطنطين يسألونه ويطلبون إليه أن يخلصهم من عبودية «مقسطيوس» عدو الله.

فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً، وبقي متحيراً، ولا يدري كيف يصنع.

فبينما هو متفكر، إذ ظهر له من نصف النهار في السماء صليب من كواكب تضيء مكتوباً حوله (بهذا تغلب).

فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم.

فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية، وذلك لست سنين من بعد موت أبيه[4].

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١١٨.

(٢) المقصود هنا هو ما ذكره ابن البطريق مما حصل بين سابور بن هرمز، والقيصر مكسيميانوس.
انظر: نظم الجوهر ص ١١٩ ـ ١٢١.

(٣) في هـ (مملكته صالحة) بزيادة (صالحة).

(٤) هو: قسطس، وسبقت ترجمته ٤/٢٠٩.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢١.

فتجهز قسطنطين، واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية، وعمل صليباً كبيراً من ذهب، وصيره على رأس البند، * وخرج يريد مقسطيوس.

فلما سمع مقسطيوس، أن قسطنطين قد وافاه لمحاربته، استعد لحربه، وعقد جسراً على النهر[1] الذي قدام رومية *[2] وخرج مع[3] جميع أصحابه يحارب قسطنطين[4].

فأعطى قسطنطين النصرة عليه، فقتل من أصحاب مقسطيوس مقتلة عظيمة، وهرب مقسطيوس، وغرق هو وأصحابه حتى امتلأ البحر ـ وهو النهر الذي عند رومية ـ غرقى وقتلى.

وخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب، فلقوا قسطنطين وفرحوا فرحاً عظيماً.

فلما دخل المدينة أمر أن تدفن أجساد النصارى الشهداء المصاليب وكل من كان من النصارى هرب أو نفاه مقسطيوس يرجع إلى بلده * وموضعه ومن أخذ له شيء رد إليه *[5].

وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب[6] ويفرحون.

فلما سمع الخبر «علانيوس» جمع ما قدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٢١.
(٢) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٣) في هـ، ك (معه) بدلاً من (مع).
(٤) في هـ (مقسطيوس) بدلاً من (قسطنطين).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٦) في هـ، ك (والصليب) بدلاً من (وللصليب).

فلما عاينه، انهزموا من بين يديه وأخذهم بالسيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة ومنهم من أسر، ومنهم من استأمن.

وأفلت علانيوس عرياناً فلم يزل يتقوى موضعاً موضعاً حتى وافى[1] مدينته فجمع الكهنة[2] والسحرة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم، فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين.

وصبّ[3] الله على علانيوس ناراً في جوفه حتى كانت أحشاؤه تتقطع من الحر الذي كان يجده في جوفه، وسقط على الأرض وتهرأ لحمه على عظمه ومات[4].

وملك قسطنطين الدنيا في هدوء وسلامة، وذلك في إحدى وأربعين سنة من ملك «سابور» بن هرمز، ملك الفرس.

قال[5]: وتنصر قسطنطين في مدينة يقال لها (نيقوميديا)[6] وذلك في اثني عشرة سنة من ملكه، وأمر ببناء الكنائس في كل بلد، وأن يخرج من بيت المال الخراج مما يعمل به أبنية الكنائس.

---

(١) في هـ (وافق) بدلاً من (وافى).
(٢) في هـ (كهنة إليه) بدلاً من (الكهنة).
(٣) في ط (وصير).
(٤) في ك (ومات وأهلكه الله تعالى).
(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٢٣.
(٦) في ط (فيقوميديا) بدلاً من (نيقوميديا).
وهي مدينة قديمة شمال غرب آسيا الصغرى على موقعها اليوم مدينة (أزميت) التركية أعاد تأسيسها نيقوميدس الأول سنة ٢٦٤ق. م، ودمرها القوط سنة ٢٥٨ق. م واختارها دقليديانوس عاصمة شرقية، واحتلت القسطنطينية مكانها.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧.

قال[1]: وفي خمس سنين من ملكه، صير «الأكصندروس» بطريركاً[2] على الإسكندرية، وهو تلميذ بطركها بطرس الذي قتل، وهو رفيق «أشلا» فأقام[3] ست عشرة سنة، وفي خمس عشرة سنة من رياسته، كان المجمع[4] بمدينة «نيقية»[5] الذي رتبت فيها الأمانة الأرثذكسية[6].

فمنع الأكصندروس بترك الإسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه وقال: إن أريوس ملعون، لأن بطرس البترك قبل أن يستشهد قال لنا: إن الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة.

وكان على مدينة «أسيوط»[7] من عمل مصر، أسقف يرى رأي أريوس فلعنه أيضاً.

وكان بالإسكندرية هيكل عظيم كانت «كلاوبطرة»[8] الملكة بنته

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٤.
(٢) في ك، هـ (بطركاً) بدلاً من (بطريركاً).
(٣) في ك، هـ (أقام) بدلاً من (فأقام).
(٤) **مجمع نيقية**: كان سنة ٣٢٥م عقد النصارى المجمع المسكوني العالمي الأول وأصدر قانون الإيمان العام.
انظر: أقانيم النصارى ص ٥٩ ـ د. أحمد حجازي السقا ـ دار الأنصار.
(٥) سبق التعريف بها.
(٦) في ط (الأرتدكسية) بدلاً من (الأرثذكسية).
(٧) **أسيوط**: مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد، كثيرة الخيرات عجيبة المنتزهات وهي أكبر مدن الصعيد وعاصمة محافظة أسيوط، لما صورت الدنيا للرشيد لم يستحسن غير كورة أسيوط، بها خمس وسبعون كنيسة للنصارى.
انظر: معجم البلدان ١/١٩٣؛ آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٤.
(٨) **كلاوبطرة**: هي كليوبطرة السابعة ابنة بطليموس الثاني عشر، تزوجت أخاها بطليموس الثالث عشر، وارتقيا العرش سوياً بمقتضى وصية أبيهما سنة ٥١ق. م =

على اسم زحل[١]، وكان فيه صنم من نحاس عظيم يسمى «ميكائيل» وكان أهل الإسكندرية ومصر في اثني عشر يوماً في شهر «هتور»[٢] وهو «تشرين الثاني» يعيدون لذلك الصنم عيداً عظيماً، ويذبحون الذبائح الكثيرة.

فلما صار هذا بطركاً على الإسكندرية وظهرت النصرانية، أراد أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح.

فامتنع عليه أهل الاسكندرية، فاحتال لهم بأن قال: إن هذا صنم لا منفعة فيه ولا مضرة، فلو صيرتم العيد لميكائيل الملاك، وجعلتم هذه الذبائح له، كان أنفع لكم عند الله، وكان خيراً لكم من هذا الصنم فأجابوه إلى ذلك.

فكسر الصنم، وأصلح منه صليباً وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» [وهي الكنيسة التي تسمى قيسارية، احترقت بالنار وقت موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة[٣]، مع المسمى

= كانت سيدة شجاعة واسعة الثقافة والأطماع قوية الإرادة، سيرتها استرعت انتباه أجيال من الكتاب والشعراء لأنها آثرت الموت على حياة الذل وانتحرت في النهاية، وهي التي بنت هيكلاً عظيماً وأسمته هيكل زحل.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٧٧؛ ونظم الجوهر ١/ ٨٦ ــ ٨٨.

(١) زحل: أحد الكواكب الكبرى ــ ترتيبه السادس من الشمس ــ يبلغ حجمه ٧٣٤ مرة حجم الأرض ــ وكتلته ٩٤,٩ مرة قدر كتلتها ــ وكثافته $\frac{١}{٨}$ كثافتها.

انظر: المسوعة العربية الميسرة ص ٩٢١.

(٢) هتور: هو الشهر الثالث من التقويم القبطي يتبع النظام المصري القديم، والسنة القبطية تبدأ من ــ توت، بابه، هاتور... إلخ، والشهر ثلاثون يوماً يليها خمسة أو ستة أيام تسمى بالنسيء...

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٣٩.

(٣) القرامطة: هم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الجنابي القائم بالبحرين صاحب مذهب القرامطة، كانوا يقولون بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي، ويعبدونه،

أبو عبيـد الله[1]، وكان معـه أمير من أصحابه يسمى حباسة[2]، وذلك في خلافة المعتضد بالله[3].

وكـان عـامله على مصـر يـومئـذ، مـولاه المعـروف «بتكين الحاجب»[4]، رجل تركي فنفر إلى المغاربة، وجاءه مدد من الشـرق مع الخادم الملقب «مونس»[5] الأستاذ.

وعبادتهم له تدل على أنهم اعتقدوه بعد النبوة إلٰهاً، وفرض عليهم سبع عشرة صـلاة لنفسه في اليوم والليلة في كل صلاة ١٥ ركعة وكان يقول بالتناسخ وقـد اختلفوا فيمـا بينهم.

انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٦.

(١) **أبو عبيد الله**: هو أبو القـاسم عبيد الله بن سليمـان بن وهب أول وزير للمعتضـد بالله مات سنة ٢٢٨هـ.

انظر: تاريخ الأمم الإسلامية ٢/٣١٥.

(٢) **حباسة**: وجـدنا في شذرات الذهب (في سنة ٣٠٢هـ عاد المهدي ونائبه حبـاسة إلى الإسكندرية فتمت وقعة كبيرة قتل فيها حبـاسة، فـرد المهدي إلى القيـروان)٢/٢٣٨ ولـم نجد ذكراً لحباسه في سوى ذلك.

(٣) **المعتضـد بالله**: أبـو العباس أحمـد بن أبـي أحمـد المـوفق طلحـة بن المتـوكـل بن المعتصم تولى الخلافـة بعد المعتضـد على الله سنة ٢٧٩هـ وعمـره ٣٧ سنة، قـوي القلب جريئاً شجاعاً مهيباً وافر العقل ظاهر الجبروت، من أهم إصـلاحاتـه ما يعـرف بالتاريخ المعتضدي وإسقاط المكوس، توفي ببغداد ٢٨٩هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٤/٤٠٣؛ والبـداية والنهـاية ١١/٨٦؛ وفـوات الوفيـات ١/٧٢؛ وشـذرات الذهب ٢/١٩٩.

(٤) لعله سبكتكين الحاجب التركي مـولى المعز الـديلمي وحاجبـه، قلده الطائـع الإمارة واعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة، مات سنة ٣٦٤هـ.

انظر: البداية والنهاية ص ١١/٢٨٢.

(٥) **مونس الأستاذ**: الملقب بالمظفـر المعتضدي أحـد الخدام الـذين بلغوا رتبـة الملوك وكان من خدم المعتضد العباسي وكان أبيضاً فارساً شجـاعاً من السـاسة الـدهاة ولـد سنـة ٢٣١هـ وبقي ستين سنة أميـراً وندب لحـرب المغـاربـة العبيـديين وولى دمشق =

فهرب منه أبو عبيد الله وحباسة وجنودهما][1]، وصير العيد لميكائيل الملك والذبائح.

وإلى اليوم القبط بمصر والإسكندرية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك، ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة، وكذلك الملكية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك، وصار رسماً إلى اليوم.

قال: فلما منع بترك الإسكندرية «أريوس» من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعدياً عليه ومعه أسقفان[2]، فاستغاثوا إلى قسطنطين الملك.

وقال: أريوس: إنه تعدى علي وأخرجني من الكنيسة ظلماً.

وسأل الملك أن يشخص «الأكصندروس» بطرك الإسكندرية ليناظره قدام الملك:

فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البطرك، وجمع بينه وبين «أريوس» ليناظره فقال قسطنطين لأريوس: اشرح مقالتك.

= للمقتدر وقد تمرد عليه فلما تولى الخليفة القاهر بالله وقتل مؤنساً وذلك سنة ٣٢١هـ.

انظر: البداية والنهاية ١١/١٦٣ ـ ١٧٣؛ والنجوم الزاهرة ٣/٢٣٩؛ والأعلام للزركلي ٨/٢٩٢.

(١) ما بين القوسين المربعين في الصفحة السابقة وهذه الصفحة. هو من كلام ابن تيمية ولكن لم يفرق بينه وبين كلام ابن البطريق في جميع النسخ، حتى ط.

(٢) أحدهما يسمى (أورمانيوس) أسقف مدينة نيقوميدية.
والآخر يسمى (أوسابيوس) أسقف مدينة فيلا.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٢٥.

قال أريوس: أقول: إن الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم الله[1] أحدث الابن، فكان كلمة له إلَّا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى «كلمة» فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله، إذ يقول: «وهب لي سلطاناً على السماء والأرض»[2] فكان[3] هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك.

ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحاً واحداً.

فالمسيح الآن معنيان ـ كلمة و ـ جسد، إلَّا أنهما جميعاً مخلوقان.

قال[4]: فأجابه عند ذلك بطرك الإسكندرية وقال: تخبرنا الآن أيما[5] أوجب علينا عندك، عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟

قال أريوس: بل عبادة من خلقنا.

قال له البطرك: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت، وكان «الابن» مخلوقاً، فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق، بل تصير عبادة الأب الخالق للابن كفراً، وعبادة الابن المخلوق إيماناً، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك، وشنع عندهم

---

(١) في هـ (أنه) بدلاً من (الله).

(٢) في تاريخ ابن البطريق (قد أعطيت كل سلطان على السماوات والأرض). انظر ٢/١٢٥.

(٣) في هـ (وكان) بدلاً من (فكان).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٢٥.

(٥) في نظم الجوهر (أيهما).

مقالة أريوس، ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة.

فأمر قسطنطين البطرك الأكصندروس أن يلعن «أريوس» وكل من قال بمقالته.

فقال له: بل يوجه الملك فيشخص البطاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع، ونضع فيه قضية، ونلعن أريوس، ونشرح الدين ونوضحه للناس.

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة «نيقية» بعد سنة وشهرين، ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً[1] وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلٓهان من دون الله، وهم المريمانية[2]، ويسمون المريميين.

---

(١) هو مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥.
وسببه اشتداد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعد مسافات الخلاف تباعداً شديداً لا يمكن أن يكون معه وفاق.
والخلاف دار حول شخص المسيح... أهو رسول من عند الله فقط...؟ أم له صلة بالله أكبر من رسول؟
وجاءت على إثر ذلك مقالة أريوس: إن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذا لم يكن الابن.
وانعقد المجمع على إثر ذلك وتدخل قسطنطين ــ إمبراطور الرومان ــ واجتمعوا في نيقية وكان عددهم ٢٠٤٨ من الأساقفة وأجمعوا على لعن أريوس.
انظر: محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة ص ٢١ ــ ٢٤.

(٢) هذه الفرقة يطلق عليها البربرانية ويسمون المريميين.
انظر: جـ نظم الجوهر ١٢٦/١.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب، بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها، وهي مقالة «سبارينون»[1] وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل مريم لتسعة أشهر، وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب، لأن «كلمة الله» دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة «ألبان»[2] وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلّهية فحلت فيه المحبة والمشيئة، فلذلك سمى «ابن الله» ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس، وهي مقالة «بولص الشمشاطي» بطرك إنطاكية وأشياعه، وهم البوليانيون[3].

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة، لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة «مرقيون»[4] وأشياعه.

---

(١) في نظم الجوهر (سابليوس).
انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.
(٢) **ألبان**: (أليان وأشياعه).
انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.
(٣) **البوليانيون**: سبقت الإشارة ٤/ ٨٥.
(٤) انظر: نظم الجوهر ١/ ١٢٦.

وزعموا أن «مرقيون» رئيس الحواريين، وأنكروا «بطرس»[1] السليح.

ومنهم من كان يقول: ربنا هو المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

قال[2]: فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم، عجب من ذلك وأخلى لهم داراً، وتقدم لهم بالإكرام والضيافة، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه.

فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد، ورأى واحد، فناظروا بقية الأساقفة المختلفين فأفلجوا عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم، وكان أيضاً باقي الأساقفة مختلفي الأديان والآراء.

وصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطه، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين.

فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه.

---

(١) **بطرس السليح**: اسم يوناني معناه «صخرة أو حجر»، وكان هذا الرسول يسمى أولاً سمعان بن يونان من بيت صيدا، وقد سماه المسيح بهذا الاسم وهو أحد الحواريين الاثنا عشر وكان صياداً ورأس الكنيسة في مهدها، وأقام في أنطاكيا ثم نزح إلى روما داعياً، واستشهد هناك له كنيسة باسمه بنيت سنة ٣٢٦م ثم جددت في القرن ١٥.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٧٨؛ وإنجيل يوحنا ــ الإصحاح الأول ــ فقرة ٤٠، ٤١.

(٢) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٦.

ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها.

وكان رئيس المجمع والمقدم فيه الأكصندروس بطريرك الإسكندرية، وبطرك[1] الإنطاكية، وأسقف بيت المقدس[2].

ووجه بطرك رومية[3] من عنده رجلين[4]، فاتفقوا على نفي «أريوس» وأصحابه ولعنوهم، وكل من قال مقالته، ووضعوا الأمانة[5] وثبتوا أن الابن مولود من الأب قبل كل الخلائق، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق.

واتفقوا على أن يكون فصح النصارى في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد، وثبتوا ما وضعه من[6] تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح،

---

(١) اسمه (أسطات).
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٧.
(٢) اسمه (مقاريوس).
انظر: المصدر السابق.
(٣) اسمه (سلبسطرس).
انظر: المصدر السابق.
(٤) قسيسان، أحدهما يسمى (بقطر)، والآخر (فيكنتيوس).
انظر: المصدر السابق.
(٥) سبقت الإشارة إليها ٤/٢٢٠.
(٦) «من» هنا اسم موصول يقصد بها الذين وضعوا هذه الأمور المذكورة، وهم كما ذكر ابن البطريق:
أ ــ بطريرك الإسكندرية (الاكصندروس)، (ديمتريوس).
ب ــ أسقف بيت المقدس (غايانوس).
ج ــ بطريرك إنطاكيا (مقسيموس) وبطرك رومية (بقتر).
انظر: المصدر السابق.

وأن يكون فطر النصارى يوم فصحهم يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود.

لأن النصارى ـ كما قلنا من قبل ـ كانوا إذا عيدوا عيد الحميم ـ وهو عيد الغطاس ـ صاموا من الغد أربعين يوماً ويفطرون.

فإذا كان عيد اليهود عيدوا معهم الفصح، فصيروا يوم الفصح للفطر، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحواريين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء، لأنه كان إذا اختير واحد أسقفاً، وكانت له زوجة، تبيت معه ولم تتنح عنه، ما خلا البطاركة، فإنه لم تكن لهم نساء ولا كانوا ـ أيضاً ـ يصيرون أحداً بطركاً له زوجة.

قال(١): وانصرفوا مكرمين(٢) محظوظين، وذلك في سبع عشرة(٣) سنة من ملك «قسطنطين».

قال(٤): وسن قسطنطين الملك ثلاث سنن:

أحدها: كسر الأصنام وقتل كل من يعبدها.

والثانية: أن لا يثبت في الديوان إلَّا أولاد النصارى، ويكونون أمراء وقواد.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١٢٨/١.

(٢) الذين انصرفوا مكرمين هم: أعضاء مجمع نيقية وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر.
انظر: المصدر السابق.

(٣) في نظم الجوهر: (تسع عشرة سنة).
انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

والثالثة: أن يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها، لا يعملون فيها عملاً، ولا يكون فيها حرب.

قال[1]: وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب، ويبني الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة[2] المقدسة.

فقالت «هيلانة» أم قسطنطين للملك[3]: إني نذرت أن أصير إلى بيت المقدس، فأطلب المواضع المقدسة فأبنيها، فدفع الملك إليها أموالاً كثيرة جزيلة.

وسارت إلى بيت المقدس مع أسقف بيت المقدس، فلما وصلت، لم يكن لها حرص ولا همة، إلاّ طلب الصليب.

فجمعت اليهود والسكان في بيت المقدس، واختارت منهم عشرة، ومن العشرة ثلاثة، كان واحد منهم يقال له «يهوذا» فسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب، فامتنعوا وقالوا: ليس عندنا علم منه ولا خبرة بالموضع.

فأمرت بهم فطرحتهم في جب ليس فيه ماء، فأقاموا سبعة أيام لم يطعموا ولم يسقوا، فقال أحدهم ـ الذي اسمه يهوذا ـ لصاحبيه: إن أباه عرفه بالموضع الذي تطلب هذه المرأة، وإن جده عرف أباه.

فصاح الاثنان من الجب: أخرجونا حتى نعلم الملكة بحال هذا الرجل.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٩.

(٢) في ط (القمامة) بدلاً من (القيامة).

(٣) في ط (الملك) بدلاً من (للملك).

فأخرجوهم، فأخبروا الملكة بما قال لهما «يهوذا» فأمرت بضربه بالسياط، فأقر أنه يعرف الموضع، فخرج حتى جاء إلى الموضع الذي فيه المقبرة والأقرانيون، وكانت مزبلة عظيمة هناك، فصلى وقال: اللَّهم إن كان في هذا الموضع المقبرة، فأسألك أن تزلزل المكان، وتخرج منه دخاناً حتى نؤمن[1]، فزلزل الموضع وخرج منه دخان كما سأل فآمن.

فأمرت «هيلانة» بكنس الموضع من التراب، فظهرت المقبرة والأقرانيون، ووجد ثلاثة صلبان، قالت «هيلانة»: كيف لنا أن نعلم بصليب[2] السيد المسيح؟ وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة، قد يئس منه، فوضع الصليب الأول عليه، والثاني والثالث، فقام المريض وليس به شيء يكره.

فعلمت «هيلانة» أنه الصليب الذي لسيدنا المسيح، فجعلته في غلاف من ذهب، وحملته معها، وجملته بما تقدر عليه، وأظهرت كل ما كان مدفوناً من آثار سيدنا المسيح، وحملته إلى ابنها «قسطنطين» وبنت كنيسة القيامة[3] في موضع الصليب والأقرانيون وكنيسة قسطنطين وانصرفت وأمرت أسقف بيت المقدس أن يبني باقي الكنائس، وذلك في اثنين وعشرين سنة[4] من ملك قسطنطين.

قال[5]: فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن وجد الصليب، ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة، وذكر[6] أنه بعد هذا اجتمعوا بمجمع عظيم ببيت

---

(١) في ط، ك (يؤمن) بدلاً من (نؤمن).
(٢) في ط (بصلب) بدلاً من (بصليب).
(٣) في ط (القمامة) بدلاً من (القيامة).
(٤) (سنة) ساقطة من هـ، ك.
(٥) انظر: نظم الجوهر ١/ ١٣٠.
(٦) انظر: المصدر السابق ص ١٣١.

المقدس[1].

وكان معهم رجل قد دسه بطرك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بطرك الإسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لأريوس، وكان يرى رأيه ويقول بمقالته. فقام هذا الرجل واسمه «مانيوس»[2] فقال: إن أريوس لم يقل إن المسيح خلق الأشياء، ولكن قال به خلقت الأشياء، لأن «كلمة الله» التي بها خلق السماوات والأرض وإنما خلق الله الأشياء بكلمته، ولم تخلق الأشياء كلمته، كما قال سيدنا المسيح في الإنجيل المقدس: «كل بيده كان، ومن دونه لم يكن شيء» فقال: به كانت الحياة، والحياة نور البشر، وقال: في هذا العالم والعالم به تكون، فأخبر أن الأشياء به تكونت ولم يخبر أنها كونت له. قال: فهذه كانت مقالة «أريوس». ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وظلموه وحرموه ظلماً وعدواناً.

فرد عليه بطرك الإسكندرية وقال: أما أريوس فلم يكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه، لأنه إنما قال: إن «الابن» خالق الأشياء دون الأب.

وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقاً فقد يجب أن يكون ما خلق منها شيئاً، وفي ذلك تكذيب للمسيح، قوله: «الأب يخلق وأنا أخلق»[3] وقال: «إن أنا لم أعمل عمل أبي

---

(١) هذا هو المجمع الثالث ببيت المقدس سنة ٣٢٨م.

(٢) اسمه (أثناسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣١.

(٣) في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس: (٢١ ـ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

فلا تصدقوني»[1]، وقال: «كما أن الأب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته»[2].

فدل على أنه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق، وإنما خلقت به دون أن يكون خالقاً له. وأما قولك: إن الأشياء كونت به، فإنما كنا لا نشك أن المسيح حي فعال، وكان قد دل بقوله: (إثما[3] أفعل الخلق والحياة)[4]، كان قولك: «به كونت الأشياء»، إنما هو راجع في المعنى إلى أنه كونها فكانت به[5] مكونة، ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان.

قال[6]: ورد عليه أيضاً فقال: «أما قول من قال من أصحاب أريوس إن الأب يريد الشيء فيكونه الابن، والإرادة للأب، والتكوين للابن»، فإن ذلك يفسد أيضاً، إذ كان الابن عنده مخلوقاً فقد صار حظ المخلوق في الخلق أوفى من حظ الخالق فيه، وذلك أن هذا أراد وفعل، وذاك أراد ولم يفعل، فهذا أوفر حظاً في فعله من ذاك، ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك، بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الجبر والاختيار، فإن كان

---

(١) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العاشر: (٣٧ ـ إن كنت لست أعمل عمل أبي فلا تؤمنوا بي).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٧.

(٢) في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس: (٢١ ـ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٣) في هـ (إني) بدلاً من (إثما).

(٤) لم نعثر على هذا النص في العهد الجديد، لا منسوباً للمسيح ولا لغيره.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) انظر: نظم الظوهر ١/١٣٢.

مجهولاً فلا شيء له في الفعل، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع، وجائز أن يعصى وجائز أن يثاب، وجائز أن يعاقب، وهذا أشنع في القول.

قال[1]: ورد عليه أيضاً وقال: إن كان الخالق إنما خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك، فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره، والفاعل بغيره محتاج إلى متممٍ ليفعل به، إذ كان لا يتم له الفعل إلاَّ به، والمحتاج إلى غيره منقوص، والخالق يتعالى عن هذا كله.

قال: فلما دحض بطرك الإسكندرية[2] حجج أولئك المخالفين، وظهر لمن حضر بطلان قولهم، تحيروا وخجلوا، فوثبوا على بطرك الإسكندرية فضربوه حتى كاد أن يقتل، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بطرك الإسكندرية[3] المحتج على أصحاب «أريوس» وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة. ثم أصلح دهن «الميرون»[4] وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلى الملك فأعلمه بالخبر فصرفه الملك إلى الإسكندرية.



(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) (بطرك الإسكندرية) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (إسكندرية) بسقوط (الـ).

(٤) **دهن الميرون**: هي مركبات من الدهون لها رائحة عطرية بسبب ما يضاف إليها، وتكون جامدة أو مائعة.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة.

فصل

قال[1]: وأمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ولا يجوز بها، ومن لم يتنصر يقتل، فتنصر من اليهود خلق كثير، وظهر دين النصرانية.

فقيل لقسطنطين الملك: إن اليهود يتنصرون من فزع القتل، وهم على دينهم، قال الملك: كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟

قال بولس البترك[2]: إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأمر أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتطعمهم منها، فمن لم يأكل منه علمنا أنه مقيم على دين اليهودية.

فقال الملك: إذا كان الخنزير في التوراة حراماً، فكيف يجوز لنا أن نأكل لحم الخنزير ونطعمه الناس؟

فقال له بولس البترك: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة، وهو الإنجيل، وفي إنجيله المقدس (أن كل ما يدخل البطن ليس بحرام ولا بنجس، وإنما ينجس الإنسان الذي يخرج من فيه)[3].

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٣.

(٢) بولس: هو بطريرك القسطنطينية مكان (أوصابيوس).
انظر: نظم الجوهر ص ١٣٢.

(٣) في إنجيل متى ــ الإصحاح الخامس عشر (أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى الخارج وما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان * لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل وزنى وفسق وسرقة وشهادة زور وتجديف). =

وقال بولس الرسول في رسالته إلى أهل مدينة فورينيوس[1] الأولى[2]: (الطعام للبطن آلته لها، والبطن للطعام، وله يلعن)[3]، ومكتوب في الإبركسس ـ يعني أخبار الحواريين ـ أن بطرس رئيس الحواريين كان في مدينة «يافا»[4] في منزل رجل دباغ يقال له «سيمون»[5] وأنه صعد إلى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار، فوقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت، وإذا إزار قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض.

وفيه: كل ذي أربع قوائم على الأرض من السباع والذئاب وغير ذلك من طير السماء. وسمع صوتاً يقول له: يا بطرس، قم فاذبح وكل، فقال بطرس: يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا * وسخاً قط. فجاء

انظر: العهد الجديد ص ٢٨٠؛ وإنجيل مرقس ـ الإصحاح السابع ص ٦٨.

(١) (إلى أهل مدينة فورينيوس) ساقطة من: هـ، ك.

(٢) في هـ، ك (لما ولى) بدلاً من (الأولى).

(٣) (آلته لها، والبطن للطعام، وله يلعن) ساقطة من هـ، ك.
وقد وجدنا في رسالة بولس إلى أهل كورنتوس ـ الإصحاح السادس (١٣ ـ الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك).
انظر العهد الجديد ص ٢٧٤.

(٤) **يافا**: تقع غرب فلسطين على البحر المتوسط وهي ثغر بيت المقدس تبادلها الكابيون والسوريون ـ وقد سميت عند قدماء المصريين (يابو) ـ وغالبية سكانها من العرب إلى عام ١٩٤٨م حينما وقعت في أيدي اليهود.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٧٧.

(٥) **سيمون**: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وكان يدهش شعب السامرة بسحره ورأى سيمون المعجزات التي تجري على يد فيلبس فأيقن أنها تجري بقوة أعظم من سحره واعتمد ولازم فيلبس، وكان له أتباع يقال لهم السيمونيون.
انظر: العهد الجديد ـ الإصحاح الثامن ـ أعمال الرسل ٩/٣٠٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧.

صوت ثانٍ: كل ما طهره الله فليس بنجس *[1]، وفي نسخة أخرى: ما طهره الله فلا تنجسه أنت.

ثم جاء الصوت بهذا ثلاث مرات، ثم إن الإزار ارتفع إلى السماء، فعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه[2].

فبهذا المنظر وبما قال سيدنا المسيح في إنجيله المقدس أمر بطرس وبولس أن نأكل كل ذي أربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالاً لنا.

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها، وتقطع صغاراً صغاراً، وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، فمن لم يأكل منه يقتل، فقتل لأجل ذلك خلق كثير.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٢) في سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح العاشر (ثم فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة * فجاع كثيراً واشتهى أن يأكل بينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة * فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض * وكان فيها كل دواب والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صورة قم يا بطرس اذبح وكل).
انظر: العهد الجديد ص ٢٠٧.
وتكملة للمطلوب:
(فقال بطرس: كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً * فصار إليه أيضاً صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت * وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء).
انظر: المصدر السابق ص ٢٠٧، ٢٠٨؛ أعمال الرسل ـ الإصحاح ١١، ص ٢١٠.

قال سعيد[1]: وكان لقسطنطين ثلاثة أولاد، أكبرهم قسطنطين[2] بن قسطنطين، وذلك حين ملك أزدشير[3] بن سابور بن هرمز على الفرس، وملك بعده سابور[4] بن سابور لخمس سنين من ملك قسطنطين.

قال[5]: وفي ذلك العصر اجتمع أصحاب «أريوس» وكل من قال بمقالته إلى الملك قسطنطين، فحملوا له دينهم ومقالتهم، وقالوا: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم: إن الابن متفق مع الأب في الجوهر. فتأمر أن لا يقال هذا، فإنه خطأ. فأراد الملك أن يفعل ذلك.

قال[6]: وفي ذلك العصر ظهر على الأقرانيون ـ وهو الجلجلة ـ نصف النهار صليب من نور، من الأرض إلى السماء يفوق ضوؤه ضوء الشمس، فكان يبلغ إلى طور زيتا[7]، فرأى ذلك كل من كان في بيت المقدس من كبير وصغير.

---

(١) يعني: سعيد بن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ص ١٣٤.

(٢) والثاني اسمه (قسطس) والثالث اسمه (قطنتيوس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٤) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١٣٥.

(٧) **طور زيتا**: الجزء الثاني بلفظ الزيت من الأدهان، وفي آخره ألف. علم مرتجل لجبل يقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمي طور زيتا، وقد مات فيه سبعون ألف نبي قتلهم الجوع والعري والقمل.
انظر: معجم البلدان ٤/٤٨.

فكتب أسقف بيت المقدس[1] إلى قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال: في أيام أبيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار، وفي أيامك ظهر أيها الملك على الأقرانيون صليب من نور يفوق نوره نور الشمس في نصف النهار.

وكتب إليه أن لا يقبل قول أصحاب أريوس فإنهم حائدون عن الحق، كفار، قد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، ولعنوا كل من يقول بمقالتهم. فقبل قوله.

قال[2]: وفي ذلك الوقت غلبت مقالة «أريوس» على قسطنطينية وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية.

فسمى التابعون[3] لأريوس والقائلون بمقالته «أريوسيين» مشتقاً من اسمه.

قال: وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين، صير على أنطاكية بطرك أريوسي[4] ثم بعده آخر أريوسي[5]، ثم بعده آخر مناني[6]، وصير على قسطنطينية بترك مناني[7].

---

(١) اسمه: كيرللس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٣٥.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في ك (التابعون لذلك) بزيادة (لذلك).

(٤) اسمه: (فبريانوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٥.

(٥) اسمه بلاسيوس. المصدر السابق ص ١٣٦.

(٦) اسمه: (أوزكسيو). المصدر السابق.

(٧) اسمه: (أصابيوس). المصدر السابق.

قال: ففي عشر سنين من ملكه صير على قسطنطينية بطرك[١]، وكان يقول: روح القدس مخلوقة، وأقام[٢] عشر سنين ومات.

ونقل بعد ذلك بطرك أنطاكية فصير على قسطنطينية، وكان منانياً[٣].

قال[٤]: وأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ومنانيين، فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا على بترك الإسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم، واستخفى، وصيروا على إسكندرية بتركاً منانياً[٥].

وفي ذلك الزمان، قدم من القسطنطينية إلى الإسكندرية قائد[٦] وكان أريوسياً، فنفى الملكي[٧] وأقام بطركاً أريوسياً[٨].

فلما خرج القائد قتل الملكيون ذلك البترك الأريوسي وأحرقوه بالنار.

---

(١) اسمه: (مكذونيوس). المصدر السابق.

(٢) في هـ، ك (أقام) بسقوط (و).

(٣) اسمه: (أوذكسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٤) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٥) اسمه: (إغريفوريوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٦) اسمه: (سوبريانوس). المصدر السابق.

(٧) (ملكي) يعني: مناني.
هو: (إثناسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٨) اسمه: (جريج).
انظر المصدر السابق.

ومات الملك قسطنطين بن قسطنطين وله في الملك أربع وعشرون سنة.

وملك بعده يوليانوس[1] الملك الكافر على الروم سنين[2] وأراد أن يرد الناس إلى عبادة الأصنام، وقتل من الشهداء خلقاً كثيراً[3].

وفي أول سنة من ملكه وثب الأريوسيون ببيت المقدس على أسقفها الملكي[4] الذي كتب بظهور الصليب ليقتلوه، فهرب منهم، فصيروا أسقفاً[5] أريوسياً.

قال: وفي ثاني سنة من ملكه صير على أنطاكية بطركاً[6] على الأمانة، أقام خمساً وعشرين سنة.

وفي إحدى وعشرين سنة من رياسته، كان المجمع الثاني[7] بقسطنطينية.

قال: وكان في عصره أهل مدينة «نيريار»[8] كلهم صابئون، فوضع

---

(١) **بوليانوس**: الملك وكان كافراً وأراد رد الناس إلى عبادة الأصنام.
انظر: ابن البطريق ص ١٣٧.

(٢) في نظم الجوهر ١/١٣٦ (سنتين) بدلاً من (سنين).

(٣) (كثيراً) ساقطة من ط.

(٤) اسمه: (كورللس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.

(٥) اسمه: (أراقليوس) المصدر السابق.

(٦) اسمه: (مليطيانوس). المصدر السابق.

(٧) **المجمع الثاني**: بالقسطنطينية عام ٥٥٣م، وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، ومجمع خلقدونية، ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذٍ عن تناسخ الأرواح، وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيال.
انظر: مقارنة الأديان المسيحية ٢/١٩٦ ـ أحمد شلبي ـ النهضة المصرية.

(٨) في قاموس الكتاب المقدس **ثياتيرا**: مدينة في آسيا الصغرى ٢٨١ق. م بها إحدى الكنائس السبع ص ٢٣٩، ولم أجد غير ذلك في كتب البلدان.

أسقف «نيريار[١] ميمرا[٢]» في ميلاد المسيح ويقول[٣] في ابتدائه[٤] الميمر[٥]: السيد[٦] ولد مختوناً * فخذوا المسيح من السماء واستقبلوه على الأرض، فلما قرأه عليهم، استهزأوا به، وأقبلوا يضحكون منه، فلما كان عيد الحميم وضع «ميمرا» في عيد الحميم *[٧] هتك فيه دين الصابئين وفضحهم فيه، ومكن فيه دين النصرانية.

قال: وكان في عصر يوليانوس الملك الكافر أول راهب[٨] سكن برية مصر وبنى الديارات[٩]، وجمع الرهبان.

وكان آخر[١٠] بالشام وهو أول من سكن برية «الأردن» وجمع الرهبان. وبنى الديارات.

قال: وخرج هذا الملك الكافر لقتال «سابور» ملك الفرس، فلسوء مذهبه، ورداءة دينه، وما أراد أن يأخذ بعبادة الأصنام، ظفر به ملك

---

(١) (نيريار) ساقطة من هـ ، ك.
(٢) في ط (وأميمرا) بدلاً من (ميمرا).
(٣) (ويقول) ساقطة من ك.
(٤) في هـ (ابتداءه).
(٥) (الميمر) ساقطة من ط .
(٦) في هـ ، ك (المسيح) بدلاً من (السيد).
(٧) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.
(٨) اسمه: (أنبا أنطون).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.
(٩) الديارات: جمع دير ـ أماكن للعبادة يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال.
انظر: معجم البلدان ٢/٤٩٥.
(١٠) اسمه: (أنبا إيلاريون).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.

الفرس فقتله، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة[1].

وذكر أسقف[2] «قيسارية» أنه كان جالساً في محرابه، وحذاؤه لوح، فيه صورة «ماري مركورس»[3] الشاهد، فنظر إلى اللوح فلم يرَ فيه صورة الشاهد، فعجب من ذلك إذ غابت، فلم يكن إلَّا ساعة، حتى عادت صورة الشاهد إلى اللوح، وفي طرف الحربة المصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم، فتعجب من ذلك وبقي متحيراً، حتى بلغه أن الملك الكافر قتل في الحرب.

فعلم أن «ماري مركوس» الشاهد قتله، لشدة بغضه الذي[4] كان للنصارى، وما كان عزم عليه من عبادة الأصنام.

وذكر[5] بعد هذا جماعة من البتاركة والأساقفة، كان بعضهم أريوسياً، وبعضهم منانياً، وبعضهم ملكياً، وذكر فتناً بينهم وتعصب كل طائفة لبتركها، حتى يقتل بعضهم بعضاً، وينفي بعضهم بعضاً.

وذكر[6] أنه اختلفت آراء النصارى، وكثرت مقالاتهم، وغلبت عليهم مقالة «أريوس» وأنهم ملكوا عليهم ملكاً اسمه «تذوس»[7]، وأن

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٣٨

(٢) اسمه: (باسيليوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٨.

(٣) في نظم الجوهر ١/١٣٨ (مرقوريوس الشهيد).

(٤) (الذي) ساقطة من هـ، ك.

(٥) هذا كلام ابن تيمية عن ابن البطريق.
انظر: تاريخ ابن البطريق: آخر ١/١٣٨ وما بعدها.

(٦) ما حكاه ابن تيمية عن ابن البطريق موجود في تاريخه ١/١٤٠ وما بعدها.

(٧) في هـ (تدرس) بدلاً من (تذوس).
وفي نظم الجوهر: (ثاوذوسيوس).

الوزراء والقواد اجتمعوا إليه، ذاكرين أن مقالات الناس اختلفت وفسدت وغلبت عليهم مقالة «أريوس» و «مقدينوس»[1]، فينظر الملك في هذا ويذب عن النصرانية، ويوضح الأمانة المستقيمة.

وكتب إلى بطرك إسكندرية[2]، وأنطاكية[3]، ورومية[4]، وأسقف بيت المقدس[5]، فحضروا مع أساقفتهم بقسطنطينية، إلاَّ بطرك رومية فإنه كتب وأنفذ بالأمانة المستقيمة.

فاجتمع بقسطنطينية ماية وخمسون أسقفاً[6]، وكان المقدم البطاركة الثلاثة[7]، فدفع الملك إليهم كتاب بطرك رومية، فكان صحيحاً موافقاً[8]، وكان يزعم أن روح القدس إلـه، ولكن مخلوق مصنوع.

فقال بطرك الإسكندرية: ليس روح القدس عندي معنى غير

---

(١) في هـ (مقدونوس) بدلاً من (مقدينوس).
وهو: (مكدونيوس) كما سماه ابن البطريق.

(٢) اسمه: (ثيموثاوسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٤.

(٣) اسمه: (ملاثيوس).
انظر: المصدر السابق.

(٤) اسمه: (دامسيوس). المصدر السابق.

(٥) اسمه: (كيرللس). المصدر السابق.

(٦) هذا هو المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م، وقرار المجمع هو: لعن (مقدونيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٥؛ ومحاضرات في النصرانية ـ أبو زهرة ـ ص ١٣٢.

(٧) وهم: بطريرك الإسكندرية، وبطريرك إنطاكية، وأسقف بيت المقدس، الذين استجابوا لدعوة الملك، وقد سبق ذكر أسماءهم.

(٨) هنا كلام ساقط اختل بموجبه المعنى وهو: (ونظروا في مقالة «مكدونيوس»).
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٤٥.

حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي، فقد كفرنا، ومن كفر وجب عليه اللعن.

فاتفقوا على لعن مقدونيوس، فلعنوه وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين كانوا بعده يقولون بقوله، ولعنوا أسقف[١] لونيه[٢] وأشياعه، ولعنوا بوليناريوس وأشياعه[٣]، لأنه كان يقول: إن الأب والابن وجه واحد.

ولعنوا بوليناريوس وأشياعه لأنه كان يقول: إن جسد سيدنا المسيح بغير فعل[٤].

وثبتوا أن روح القدس خالقة غير مخلوقة، إلّه حق، وأن طبيعة الأب والابن جوهر واحد، وطبيعة واحدة.

وزاد[٥] في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة نيقية[٦]: (وبروح القدس المحيي، المميت، المنبثق، من الأب)[٧].

---

(١) اسمه (أسابليوس). المصدر السابق.

(٢) في نظم الجوهر: (لوبية). المصدر السابق.

(٣) هكذا في جميع النسخ، لكن هذا الكلام زائد على ما في نظم الجوهر ١/١٤٥ ــ منه ولعل الصحيح حذفه، لأن ذكر بوليناريوس جاء في الفترة التي بعدها، والكلام الذي بعد الجملة الزائدة منسوب لأسقف لونية وأشياعه. والله أعلم.

(٤) في نظم الجوهر (بلا عقل).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٥.

(٥) في نظم الجوهر (وزادوا) وهو أصح.

(٦) المجمع الأول. راجع ص ٧٤٧.

(٧) في نظم الجوهر: (وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد).

وثبتوا أن الأب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة[1] وجوه، وثلاثة خواص في وحدانية واحدة، وكيان واحدة، وثلاثة أقانيم إلّه واحد جوهر واحد، طبيعة واحدة.

وثبتوا أن جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية[2].

قال: فمن المجمع الأول إلى هذا المجمع الثاني، ثمان وخمسون سنة.

قال: وأطلق بطرك الإسكندرية للبطاركة والأساقفة والرهبان، أكل اللحم من أجل المنانية، ليعرف المناني منهم، لأن المنانية لا يرون أكل اللحم، ولا شيئاً من الحيوان البتة.

وكان أكثر أساقفة مصر منانية، فأكل بطاركة مصر وأسقفهم اللحم[3].

وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها، فلم يأكلوا اللحم، وأكلوا بدل اللحم السمك، وأقاموه مقام اللحم إذ كان حيواناً[4].

قال سعيد بن البطريق[5]: لم يطلق أكل اللحم على أنهم يعتاضون منه بالسمك، إذ ليس بذبيحة، ويمنعون أكل اللحم، إذ كان قد أخطأ الذين أقاموا السمك مقام اللحم، وسيدنا المسيح فقد أكل

(١) في ط (ذو ثلاثة) بدلاً من (وثلاثة).
(٢) في نظم الجوهر (عاقلة ناطقة).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٦.
(٣) انظر: نظم الجوهر ١/١٤٦.
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) في ط (ابن البطريك) بدلاً من (ابن البطريق).

اللحم، فوجب ــ ضرورة ــ أكل اللحم، اقتداء بالسيد المسيح، ولو يوماً واحداً في السنة، ليزيلوا الشك من مذهب المنانية.

قال: وفي الأبركسس مكتوباً، ما نظره بطرس السليح[١] بـ «يافا»[٢] من تنزل السبنية[٣]، وفيها كل ذي أربع قوائم[٤]، ولهذا[٥] الحكم كل من لم يأكل اللحم مخالف لشريعة النصرانية، ومضاهاه لمذهب الصابئة الروم، وهم لا يغتسلون إلى اليوم، لأن المنانية لا يرون الغسل بالماء، فلما طال بهم الزمان أقاموه على هذه السنة.

وقال قوم: إنما تركوا الغسل بالماء لشدة برد بلادهم وبرد الماء عندهم، وأنه لا يتهيأ لهم بالجملة أن يقربوا الماء في الشتاء، لثلجه وبرده، فصار سنة جارية، شتاء وصيفاً.

والمنانية صنفان: السماعون[٦]، والصديقون.

فالسماعون: يصومون في كل شهر أياماً معلومة.

والصديقون: يصومون الدهر كله، ولا يأكلون إلَّا ما نبت من الأرض.

---

(١) في هـ (المليح) بدلاً من (السليح).
وهو: رئيس الحواريين.

(٢) في هـ (ينا) بدلاً من (يافا).

(٣) في هـ (السسمة) بدلاً من (السبنية).
ولعلها: (السمينية) نسبة إلى سيمون صاحب الدار.

(٤) في تاريخ ابن البطريق (١/١٤٧) ذكر قصة بطرس رئيس الحواريين التي رأى فيها رؤيا عند ما كان في يافا في سطح منزل رجل دباغ... إلخ.
راجع ٤/٢٣١.

(٥) في هـ (وبهذا) بدلاً من (ولهذا).

(٦) في نظم الجوهر (١/١٤٨): (السماكون).

فلمـا تنصروا خـافـوا أن يتـركـوا أكـل اللحم فيعلم بهم، فجعلوا لأنفسهم صياماً، فصاموا الميلاد والحواريين[1].

فلمـا طـال بهم الـزمـان وتـربـوا في هـذا الصـوم، أكلوا اللحم، فتبعتهم في ذلـك النساطرة، واليعاقبـة، والمارونيـة[2]، وصـارت سنـة، استحسنتها الملكية فتبعوهم، وخاصة المقيمون ببلاد الإسلام[3].

وأمـا الروم فمـا تركـوا أكل اللحم في أيـام صـوم الميـلاد وصـوم الحواريين، وتلك الأيام التي يظن[4] أنها من جملة الصوم الكبير.

فمن أحب أن يصوم الميلاد والحواريين والسيدة ولا يـأكل لحمـاً، فليس بواجب وليس لأحد قـطع اللحم طول السنـة إلاَّ في صوم الأربعين المقدسة فقط، ومن فعـل بضد ذلـك مخالف راجـع إلى أصحاب الآراء المختلفة.

قـال: وفي ثمان سنين من ملك «ثـذوس» ظهرت الفتيـة[5] الـذين كانوا هربوا من «ذاقيوس»[6] الملك، واختفـوا[7] في الكهف[8].

---

(١) في نظم الجوهر: (الميلاد والسيدة والحواريين) وبعـدها جملة أغفلهـا ابن تيمية هي (مع الأرثوذكسيين وتركوا في هذه الأصوام أكل السمك).

(٢) في نظم الجوهر: (النسطوريون، واليعقوبيون، والمارونيون.

(٣) في هـ (سلام) بسقوط (الأ).
في ط (الشام) بدلاً من (الإسلام).
في نظم الجوهر (بأرض الإسلام).

(٤) في ط (نظن) بدلاً من (يظن).

(٥) في ط (فتية) بسقوط (ال).

(٦) سبق ذكـره في أول كـلام ابن البـطريق ٤/١٢٥ من كتـابنـا هـذا، واسمـه هنـاك (داقنوس)، وقال وهو (دقيانوس).

(٧) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (واختفوا).

(٨) ارجع لصفحة ٤/١٢٦ من كتابنا هذا حيث ذكر أول القصة.

وذلك أن الرعاة ــ على طول الزمان ــ كانوا إذا جازوا بذلك الموضع الذي هو الكهف قلعوا الطوب المبني على باب الكهف، حتى عاد مفتوحاً كالباب.

فلما انتبهت الفتية توهموا أنهم كانوا نياماً ليلة واحدة، فقالوا لصاحبهم الذي كان يذهب يبتاع لهم الطعام: امض واشتر لنا طعاماً واستعلم خبر «ذاقنوس».

فلما خرج إلى باب الكهف نظر إلى البنيان والهدم، ثم مضى حتى بلغ باب المدينة وهي «أفسس» فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب فأنكر ذلك في نفسه، وقال: أحسب أني نائم، فأقبل يمسح عينيه، وينظر يميناً وشمالاً: هل يرى من يعرفه، فلم ير. فبقي متحيراً وقال: لعلي أخطأت الطريق، ولعل هذه مدينة أخرى.

ثم دخل[1] المدينة فدفع دراهم مما كان معه، عليها صورة «ذاقيوس» الملك، فأنكر عليه، وقالوا: لعله أصاب كنزاً، ثم قالوا: من أين لك هذه الدارهم، وإلاَّ قتلناك فلم يكلمهم.

وصاح[2] الناس، فاجتمع إليه خلق كثير وكلموه فلم يكلمهم، فصاروا به إلى بطريق المدينة[3]، وكلمه فلم يتكلم، فهدده فلم يتكلم، فجاء إليه أسقف المدينة[4]، فكلمه وخوفه وقال: إنك إن لم تكلمني وتقل لي من أين لك هذه الدراهم وإلاَّ قتلتك.

---

(١) في ك (دخل) بسقوط (ثم).
(٢) في هـ (فصاح) بدلاً من (وصاح).
(٣) اسمه: (أنثيبطرس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥١.
(٤) اسمه: (مرقس). المصدر السابق.

وإنما كان يمتنع من الكلام خوفاً من «ذاقيوس» الملك.

فقالوا له: إنه قد مات وملك بعده جماعة ملوك، فضربوه حتى آلمه الضرب، فخبرهم بحاله على جليتها.

فقالوا له: إن «دقيانوس»[1] قد مات وملك بعده ملوك كثيرة، والملك اليوم «ثذوس» الكبير، وقد ظهر دين النصرانية.

ثم سار معهم إلى الكهف فنظروا إلى أصحابه والصندوق النحاس الذي فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم.

فكثر تعجبهم وكتبوا إلى الملك يعلمونه بخبرهم، فركب وسار إلى مدينة أفسس فنظر إليهم وكلمهم.

وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتاً[2]، فأمر أن يتركوا في الكهف ولا يخرجوا، ولكن يدفنوا فيه وتبنى عليهم كنيسة، وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد[3] في كل سنة في ذلك اليوم، وانصرف إلى قسطنطينية.

قال: فمن وقت هرب الفتية من ذاقيوس إلى الكهف، إلى الوقت الذي ظهروا فيه وماتوا، مائة وسبع، أو تسعة وأربعون سنة[4].

قلت[5]: هذا مما أخطأ فيه، فإن الله تعالى أخبر أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.

---

(١) في ط (ذاقيوس) بدلاً من (دقيانوس).

(٢) في نظم الجوهر: (قد تنيحوا).

(٣) في نظم الجوهر: (ويعيدوا لهم عيداً).

(٤) في نظم الجوهر (١/١٥١): ثلاث مائة واثنتين وسبعين سنة.
وهذا التاريخ وكذلك التاريخ المثبوت في النص أعلاه مخالفان لما في القرآن ـ كما سيوضحه المؤلف بعد ذلك.

(٥) كلام ابن تيمية.

لكن بعض المفسرين، زعموا أن هذا قول بعض أهل الكتاب لقوله: (الله أعلم بما لبثوا) وليس كذلك، فإن الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب، بل ذكره كلاماً منه تعالى.

[١] قال سعيد[٢]: وفي زمنه[٣] كانت قصة بترك قسطنطينية «يوحنا» الملقب بـ«فم الذهب»[٤] وتولى بعده ابنه «ثذوس»[٥] الصغير اثنين وأربعين سنة لإحدى عشرة سنة من ملك «يزدجرد بن بهرام».

وفي زمنه جعل «نسطورس»[٦] الذي تنسب إليه مقالة النسطورية بطركاً على قسطنطينية.

قال: وكان نسطورس يقول: إن مريم العذراء ليست بوالدة إلٰهاً على الحقيقة، ولذلك كان اثنان:

أحدهما: الذي هو إلٰه مولود من الأب، **والآخر**: الذي هو إنسان مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن إلٰه، ويقال له إلٰه وابن إلٰه، ليس بالحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الإسمين والكرامة شبيهاً بأحد الأنبياء.

فبلغ قوله بطرك الإسكندرية[٧] فأنكر ذلك، وكتب إليه يقبح عليه

---

(١) سقط من النقل: (مات «طاوذوسيوس» وملك بعده ابنه «أركاديوس»).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٢.

(٢) (سعيد) ساقطة من ك.

(٣) المقصود زمن (أركاديوس).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) **ثذوس**: هذا حفيد (تذوس) أو (تاوذوسيوس) الكبير الذي اكتشف في زمنه أهل الكهف.

(٦) سبقت الإشارة إليه ص ٣/٢٨.

(٧) اسمه: (كرللس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٦.

فعله ومقالته، ويعرفه فساد ما هو عليه ويسأله الرجوع إلى الحق، فجرت بينهما رسائل كثيرة، ولم يرجع نسطورس عن مقالته.

فكتب[1] إلى بطرك أنطاكية يسأله أن يكتب إلى نسطورس ويعرفه قبح فعله ورأيه وفساد مقالته، ويسأله الرجوع إلى الحق.

فكتب[2] إلى نسطورس: إن هو لم يرجع اجتمعوا ولعنوه، وجرت بينهما رسائل كثيرة، فلم يرجع[3].

فكتبوا إلى بطرك رومية وأنطاكية، وبطرك بيت المقدس أن يجتمعوا في مدينة «أفسس» لينظروا في مقالة نسطورس.

فاجتمع[4] بالمدينة مايتا أسقف، مقدمهم بطرك الإسكندرية، وتأخر بطرك أنطاكية فلم ينتظروه، وبعثوا إلى نسطورس فلم يحضر معهم، فنظروا في مقالته وأوجبوا عليه اللعن، فلعنوه ونفوه، وثبتوا أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحدة في الأقنوم.

وهذا هو خلاف المحبة لأن نسطورس كان يقول: إن التحيد (أي الاتحاد) اتفاق الوجهين، وأما التحيد (أي الاتحاد المستقيم) فإنما هو أن يكون أقنوماً واحداً من طبيعتين.

فلما لعنوا نسطورس، قدم يوحنا بطرك أنطاكية، فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره، غضب وقال: ظلمتم نسطورس ولعنتموه باطلاً،

---

(١) الذي كتب هو بطرك أنطاكية الإسكندرية إلى بطرك أنطاكيا المسمى (يوحنا). المصدر السابق.

(٢) الذي كتب هو بطرك أنطاكية.

(٣) (فلم يرجع) ساقطة من ك.

(٤) في ك (فأجمع) بدلاً من (فاجتمع). وهذا هو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م. انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٥.

وتعصب مع نسطورس، فجمع الأساقفة الذين قدموا معه، فقطع بطرك إسكندرية وقطع أسقف أفسس.

فلما رأى أصحاب بطرك إسكندرية قبح فعاله وقع بينهم شر عظيم، وخرجوا من أفسس، وصار أصحاب بطرك إسكندرية والمشرقيون حزبين، فلم يزل ثذوس الملك حتى أصلح بينهم.

وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الأمانة الصحيحة، وقالوا فيها: إن مريم العذراء القديسة ولدت إلٰهاً ربنا يسوع المسيح[1]، الذي هو مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس[2] في الناسوت، وأقروا بطبيعتين ووجه واحد، وأقنوم واحد، ولعنوا نسطورس، ووجهوا بالصحيفة إلى بطرك إسكندرية فقبل الصحيفة، وأجابهم عنها بموافقتهم على ذلك.

وقال قوم: لما قبل صحيفة المشرقيين بدا له، ولم يقبل طبيعتين، ووجهاً واحداً.

قال[3] سعيد بن البطريق: وهم في ذلك كاذبون، لأن كتبه تنطق بذلك[4].

ثم أرسل نسخة صحيفة المشرقيين إلى جماعة من الأساقفة يعلمهم أن المشرقيين رجعوا إلى الإيمان، وأنهم غير موافقين لنسطورس.

قال: فمن المجمع الثاني إلى المائة والخمسين أسقفاً المجتمعين بمدينة قسطنطين، ولعنوا مقدونيوس إلى هذا المجمع المائتين أسقفاً المجتمعين بأفسس على نسطورس، إحدى وخمسون سنة.

---

(١) (المسيح) ساقطة من ط.

(٢) في ط (الناسوت) بدلاً من (الناس).

(٣) في ط (وقال) بزيادة (و).

(٤) انظر: نظم الجوهر ١/١٥٨.

قال: ولما نفي نسطورس صار إلى مصر، فأقام بضيعة في صعيد مصر يقال لها «أخميم»(١) ومات ودفن بها.

وكانت مقالته قد اندرست فأحياها من بعده بزمن طويل مطران «نصيبين»(٢) في عصر بوسيطيانوس(٣) ملك الروم، و «قباد بن فيروز»(٤) ملك الفرس، فبثها بالمشرق، فلذلك كثر النسطورية بالمشرق، وخاصة أرض فارس(٥) بالعراق والموصل، ونصيبين، والفرات والجزيرة.

قال سعيد بن البطريق(٦): رأيت أن أرد على النسطورية في هذا الموضع وأبين بطلان قولهم وفساده، لأن النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم، وزعموا أن نسطور كان يقول: إن المسيح جوهران وأقنومان، إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسان تام بأقنومه وجوهره.

وإن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الأب عندهم ولد إلهاً ولم يلد إنساناً، ومريم ولدت إنساناً ولم تلد إلهاً.

---

(١) **أخميم**: مدينة بصعيد مصر على الشاطىء الشرقي للنيل تجاه سوهاج، وهي مركز بمحافظة جرجا، اشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكثيرة وينسب إليها ذو النون المصري.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٣٩؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٦٦.

(٢) اسمه: (برصوما).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٨.

(٣) **بوسبطيانوس**: هو بوستينيانوس ملك الروم.
انظر: نظم الجوهر ص ١٥٨.

(٤) **قباد بن فيروز**: هو قباد بن فيروز ملك الفرس.
انظر: نظم الجوهر ص ١٥٨.

(٥) في ط (أهل فارس) بزيادة (أهل).

(٦) في ط (ابن البطريق) بسقوط (سعيد).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٩.

فيقال لهم: إن كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان وابنان فمسيح إله، وابن إله، ومسيح إنسان، وابن إنسان، لأنه[1] لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أو لم تلده.

فإن كانت ولدته، فلا بد أن يكون[2] ولاداً روحانياً أو[3] جسمانياً.

فإن كان جسمانياً، فهو غير الذي ولده الأب، وذلك يوجب أن يكون مسيحان.

وإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد.

والدليل على ذلك صفيحة الحديد التي تتحد بها النار، فإنها سيف واحد تحرق، وتمنع، وتقطع، وتضيء[4].

ولا[5] يجوز أن يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار إذ كان ما لم يكن فيه نار من الحديد غير محرق.

ولا الجهة النارية هي القاطعة المانعة، إذ كان شأن النار الإضاءة والإحراق، لا القطع.

فقد ثبت بهذا وصح ما تعتقده الملكية من أن المسيح أقنوم واحد، وبان زيف قول النسطورية: إن المسيح أقنومان[6].

---

(١) (لأنه) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) (أو) ساقطة من ك.

(٤) في نظم الجوهر ١/١٥٩ (تحرق، وتقطع، وتضيء، وتلمع).

(٥) في ط، ك (لا) بسقوط (و).

(٦) انتهى كلام ابن البطريق.

قلت[1]: يقال لهذا[2]: إن قول النسطورية والملكية، وإن كانا باطلين، فقول الملكية أشد بطلاناً وأعظم كفراً وتناقضاً، وما ذكره هذا[2] باطل.

أما قوله: لو كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان.

فيقال له: هذا إنما يلزم أن لو كان اللاهوت بمجرده يسمى مسيحاً فإن النسطورية وافقوهم على باطل، وهو أن الرب ولد إلّهاً، وهذا باطل.

ولم يقل أحد قط من الأنبياء، لا في الإنجيل ولا غيره: إن صفة الله القائمة به مولودة، ولا أن الرب له مولود قديم أزلي.

ولكن إذا قدر أن الأمر كذلك، فصفة الله لم يسمها أحد مسيحاً.

فإذا قدر أن اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتحاد بينهما، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحاً، ولا هناك مسيح هو إلّه، ولا مسيح هو ابن إلٰه.

وقد تقدم عن نسطور أنه كان يقول: إن هذا الإنسان الذي نقول: إنه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن إلّه ويقال له إلّه وابن إلّه، ليس[3] بالحقيقة[4]، ولكن موهبه[5].

* فقد صرح بأن المسيح هو الإنسان فقط دون اللاهوت، وأن

(١) هذا جواب ابن تيمية.
(٢) يعني: (سعيد بن بطريق).
(٣) (ليس) ساقطة من ك.
(٤) في ك، هـ، (في الحقيقة) بدلاً من (بالحقيقة).
(٥) (ولكن موهبه) ساقطة من ك، و ط.

المسيح ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة *[1].

فبطل ما ألزمه إياه، من أنه يلزم أن يكون هنا مسيحان.

وأما قوله: لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أو لم تلده.

فيقال: بل ولدت المسيح وهو الإنسان، وهو غير اللاهوت الذي تزعمون أن الأب ولده، وليس في ذلك مسيحان، بل مسيح واحد إنسان مخلوق.

وأيضاً فقوله: فإن كان ولدته فلا بد أن يكون ولاداً روحانياً أو جسمانياً فإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد. تقسيم باطل، وحجة فاسدة داحضة.

فإن مريم لم تلد ولادة روحانية، بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن، سواء كانت عذرتها[2] باقية أو لم تكن.

وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد، فلو قدر أنه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم، بل غايته أنه يدل على إمكانه.

فأين الدليل على أن هذا هو الواقع؟ فليس فيه ما يدل على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم، فكيف وهو تمثيل غير مطابق؟

فإن الحديد إذا اتحدت به[3] النار، كان الحديد قد استحال[4] عن صفته، فلم يبقَ حديداً محضاً، وليست ناراً محضاً، والخشب[5]

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) (عذرتها) ساقطة من ك.
والمقصود (عذريتها) أي بكارتها.

(٣) في هـ (بها) بدلاً من (به).

(٤) في ط، ك (استحالت) بدلاً من (استحال).

(٥) في هـ (كالخشب) بدلاً من (والخشب).

وغيره إذا أحرق[1] وصار ناراً، فليس هو خشباً محضاً، وليس هو ناراً محضة بسيطة.

فمن شأن الشيئين ـ إذا اتحدا ـ أن يستحيل كل منها إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة، ليست لا هذا ولا هذا، كالماء واللبن إذا اتحدا، فإن ذلك يصير جوهراً ثالثاً وطبيعة ثالثة، لا لبناً محضاً، ولا ماء محضاً وكذلك النار مع الحديد أو الخشب أو غير ذلك، فإن ذلك يصير جوهراً ثالثاً، ليس حديداً محضاً ولا خشباً محضاً، ولا ناراً محضة، لكن الحديد إذا برد هو حديد، لكنه تغيرت حقيقته، فالنار تلينه وتذهب خبثه، ولا يبقى ـ بعد اتحاده بالنار ـ كما كان قبل، والخشب يصير فحماً وهو جوهر ثالث، إذ كان من طبع النار أنها تؤثر في كل جسد بحسبه، فتؤثر[2] في الحديد بحسبه، وفي الخشب بحسبه.

وكل شيئين اتحدا فإنهما يصيران جوهراً ثالثاً وأقنوماً[3] ثالثاً وطبيعة ثالثة.

فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا ـ كما زعموا ـ فقد استحالت صفة اللاهوت، واستحالت صفة الناسوت، فلم يبقَ اللاهوت لاهوتاً، ولا الناسوت ناسوتاً، بل صارا جوهراً ثالثاً، لا لاهوت ولا ناسوت، وهم ينكرون هذا القول، وهو باطل.

فإن رب العالمين لا يتبدل، ولا تستحيل[4] صفاته بصفات[5]

---

(١) في هـ (احترق) بدلاً من (أحرق).

(٢) في ك (فيؤثر) بدلاً من (فتؤثر).

(٣) في ك (وقنوماً) بدلاً من (وأقنوماً).

(٤) (وتستحيل) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي أن يقال (ولا تستحيل).

(٥) في هـ (إلى صفات) بدلاً من (بصفات).

المحدثات، ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثاً، ولا يستحيل القديم الرب الخالق، والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث.

بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها[1] لا تتبدل، ولا تنقلب، ولا تستحيل، فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

ثم هذا الثالث، إن كان قديماً خالقاً، صار هنا خالقين قديمين.

وإن كان مخلوقاً محدثاً، كان الخالق قد صار مخلوقاً محدثاً، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر[2] أو إلى مخلوق، ممتنع ظاهر الامتناع.

ومما يوضح هذا، أن ما مثلوا به من الحديدة المحماة بالنار هي جوهر ثالث، يجري على نارها ما يجري على حديدها، فإذا طرقت، فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها، وكذلك إذا مدت، وكذلك إذا بصق عليها، وكذلك إذا ألقيت في الماء.

فإن كان هذا التمثيل مطابقاً، لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حلّ باللاهوت.

فيكون رب العالمين، هو الذي يأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وهو الذي صفع عندهم، وبصق في وجهه، وجعل الشوك على رأسه، وضرب بالسياط، وصلب ومات، وتألم، كما يحكى مثل هذا عن اليعقوبية.

وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد، حتى النسطورية إن قالوا: إنهما

---

(١) (التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها) ساقطة من ك، هـ.

(٢) في ط (آخره).

متحدان[1] بالمشيئة، بمعنى أن مشيئة هذا عين[2] مشيئة هذا.

بخلاف ما إذا قالوا: إن مشيئته موافقة لمشيئته ليست إياها، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].

* فذكر ـ سبحانه وتعالى ـ: أنهما كانا يأكلان الطعام *[4] لأن ذلك من أظهر الأدلة على أنهما مخلوقان مربوبان، إذ الخالق أحد صمد[5] لا يأكل ولا يشرب.

وذكر مريم مع المسيح لأن من النصارى من اتخذها إلهاً آخر، فعبدها كما عبد المسيح.

والذين لا يقولون بهذا: كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب

---

(١) في ط (متحدون) بدلاً من (متحدان).

(٢) (عين) ساقطة من هـ.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢ ـ ٧٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (إذ كان هو الخالق أحداً صمداً) بدلاً من (إذ الخالق أحد صمد).

من الله، حتى يقول لها: اغفري لي وارحميني، وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها.

فتارةً يقولون: يا والدة الإلّه، اشفعي لنا إلى الإلّه، وتارةً يسألونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.

وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم، لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بـ «نيقية»[1].

قال: وكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح وأمه إلّهان من دون الله، وهم: (المريمانيون، ويسمون المريمانية)[2]، كذلك قال ابن حزم[3]، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4].

وهو ـ سبحانه ـ لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا المجمع ص٧٤٧.

(٢) ما بين القوسين كتب في هـ. (وهم المريمانية وبسموم المريمانيين) وسبق التعريف بهم.

(٣) سبقت الإشارة إليه ص ٦١٩.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧. في هـ، ك (إذ قال الله) بسقوط (و).

المسيح سؤالاً يقرع به من اتخذه وأمه إلٓهين من دون الله.

قال ابن البطريق[١]: ويقال للنسطورية أيضاً، أخبرونا عن الناسوت (التي اتحدت بها اللاهوت وسمى)[٢] مسيحاً، هل لم يزل مسيحاً منذ كان في بطن مريم إلى حين وضعته[٣] وأرضعته وشب[٤] وصلب وقتل، أم كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً؟

فإن قالوا: لم يكن مسيحاً وهو في بطن مريم، وإنما ولدت مريم إنساناً كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً، تركوا قولهم وكذبوا الإنجيل وبولص، وجميع كتب الكنيسة، وخرجوا عن مقالة النصرانية.

وإن قالوا: إن اللاهوت اتحد[٥] في الناسوت[٦] عند الحمل، وأنه كان مسيحاً وهو محمول ومولود ومرضع إلى أن صلب وقتل، قد أقروا أن مريم ولدت إلٓهاً مسيحاً واحداً، أقنوماً واحداً[٧].

فيقال[٨] له: هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصارى الذي ابتدعه طوائفهم الثلاثة وغيرهم، فإن الاتحاد يزعمون أنه كان من حين حملت به مريم، وأنه كان ينمو قليلاً قليلاً، كنمو جسد المسيح،

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٥٩.
(٢) في هـ (الذي اتحد به المسيح اللاهوت وسميا).
(٣) في هـ (حيث ولدته) بدلاً من (حين وضعته).
(٤) في هـ (وسب) بدلاً من (وشب).
(٥) في ك (اتحدت) بزيادة (ت).
(٦) في هـ، ك (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت).
(٧) انتهى كلام ابن البطريق.
(٨) هذا جواب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

والاتحاد باطل، كما قد قرر غير مرة، ولو قدر أنه ممكن، لظهر أثر ذلك.

فإن الله لما كلم موسى من الشجرة، ظهر من الآيات والعظمة ما دل على ذلك. ولذلك كان إذا كلم موسى يظهر آيات ذلك.

وكذلك ما أخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبني إسرائيل، وهو مما ظهر أثره، وإن لم يكن متحداً ولا حالاً في شيء من ذلك.

ولما تجلى من طور سينا وأشرق من «ساعير» واستعلن من جبال «فاران» بما أنزله من كتبه، ظهر آثار ذلك، وإن لم تكن ذاته متحدة ولا حالة بفاران ولا طور سينا، باتفاق الأمم.

فكيف تكون ذاته متحدة بما في بطن مريم، أوحالة فيه، ولا يظهر أثر ذلك؟

وأيضاً فيقال له: قد يقول النسطورية له: الناسوت كان مسيحاً من حين الحمل، بمعنى أنه كان طاهراً مقدساً لا بمعنى اتحاد اللاهوت به.

وإن قالوا: المسيح اسم اللاهوت والناسوت جميعاً، فيقال: ليس في كتب الأنبياء ما يقتضي هذا، والنسطورية يسلمون ذلك، لكن قد يقولون: إن المسيح اسم لهما كما أن الإنسان اسم للروح والجسد.

ثم قد يقال لجسد الإنسان الميت: هذا الإنسان، فيقال وهو في بطن مريم أمه قبل نفخ الروح فيه: هذا الجنين وهذا الحمل. فكذلك إذا قيل له: مسيح بدون اللاهوت.

وأيضاً فقد تقول النساطرة باقتران اللاهوت من حين الحمل، ولا يلزم أن يكون قد ولدت إلهاً، إذ لم يقولوا بالاتحاد، بل قالوا: هما

جوهران أقنومان، ولدت أحدهما ولم تلد الآخر، كما تقول الملكية معهم: إنه صلب أحدهما ولم يصلب الآخر، ومات أحدهما ولم يمت الآخر، وتألم أحدهما ولم يتألم الآخر.

فكيف جوز الملكية حين الموت أن يحل الموت والصلب، والأكل والشرب[1]، وسائر الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر، ولم يجوزوا ــ حين الولادة ــ أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر؟ وهل هذا إلَّا من تناقضهم؟ كقولهم جميعاً: إنه صعد إلى السماء، وقعد عن يمين أبيه مع قولهم: إن اللاهوت مع الناسوت[2] قعد عن يمين الآب.

ويقولون مع ذلك: إن اللاهوت القاعد عن يمين[3] الآخر هو ذلك الآخر، وهما جوهر واحد، وإله واحد، مع قوله: إنه إله حق من إله حق، فمناقضتهم كثيرة.

ولا ريب أن قول النسطورية أيضاً متناقض، لكن لا يمكن أن نصحح قول الملكية دون قولهم، بل قول الملكية أعظم فساداً وتناقضاً.

فالنسطورية يقولون: الإله لم يولد ولم يصلب.

واليعقوبية يقولون: ولد وصلب.

والملكية يقولون: ولد ولم يصلب.

ومتى جاز أن يولد، جاز أن يموت ويصلب، وإن لم يجز أن يصلب ويموت، لم يجز أن يولد.

---

(١) (والأكل والشرب) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (الناسوت من إله حق) بزيادة (من إله حق).

(٣) في هـ (يمين الله) بزيادة (الله).

فتجويز أحدهما ومنع الآخر، تناقض.

ويقال للملكية: أنتم تقولون: إن اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل، وكان مسيحاً وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتألم، وتقولون[1]: هذا كان بالناسوت دون اللاهوت، فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة[2].

قال ابن البطريق[3]: ويقال للنساطرة أيضاً: متى اتحدت الكلمة بالإنسان؟ أقبل الولادة أم في حال الولادة؟

فإن قالوا: قبل الولادة، قلنا لهم: قبل الولادة، قبل الحمل، أو قبل الولادة وهو حمل؟

فإن قالوا: قبل الولادة وقبل الحمل، فقد زعموا أنه اتحد قبل أن يكون إنساناً وقبل أن يصور[4]. فإن كان ذلك كذلك فسد قول النسطورية: إن القديم اتحد بإنسان جزئي، لأن الإنسان الجزئي إنما كان إنساناً جزئياً لما صار مصوراً بشرياً[5].

فيقال[6] له: هذا السؤال لازم للطوائف الثلاثة، فإنهم يقولون بالاتحاد أعظم من النساطرة.

فإن قيل: هم يقولون: إنه اتحد بإنسان كلي، كان هذا من أفسد الأقاويل، فإن المسيح بشر معين جزئي، يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، لم يكن إنساناً كلياً.

---

(١) في هـ (ويقولون) بدلاً من (وتقولون).
(٢) انتهى جواب المؤلف.
(٣) انظر: نظم الجوهر ١/ ١٦٠.
(٤) هنا زيادة (وقولك) في جميع النسخ.
(٥) انتهى كلام ابن البطريق.
(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ثم قال[1]: ويلزمهم، أن يزعموا أن اللاهوت قد كان حل مع الناسوت تسعة أشهر ونحوها من بدء الحمل مقيماً معه في الموضع الذي يحمل فيه الجنين، ثم ولدا معاً، وهذا خلاف قولهم: إن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[2].

فيقال[3]: قد يقولون: إنه ولد الناسوت دون اللاهوت، كما يقول الملكية: إنه صلب الناسوت دون اللاهوت.

وإن كان هذا متناقضاً، فالنساطرة أقل تناقضاً، لأن الملكية يقولون: إنهما شخص واحد، أقنوم واحد، فقد اتحد أحدهما بالآخر.

فإذا جاز مع هذا أن يفارق أحدهما الآخر في الأكل والشرب والصلب والموت، فمن قال: إنهما جوهران أقنومان، هو أولى أن يقول ولدت أحدهما دون الآخر[4].

ثم قال: وإن قالوا: اتحد به وهو حمل صورة تامة.

قلنا لهم: فقد كان الإله حملاً قبل الولادة، وإذا جاز أن يحمل، جاز أن يولد[5].

فيقال[6]: هم لا يقولون: بأنهما صارا شخصاً واحداً، أقنوماً واحداً، بل يقولون: جوهران أقنومان وحينئذ فلا يقولون: حملت بإله،

---

(١) كلام ابن البطريق. نظم الجوهر ١/١٦٠.
(٢) انتهى كلام ابن البطريق.
(٣) هذا جواب ابن تيمية.
(٤) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام ابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ١/١٦٠.
(٥) انتهى كلام ابن البطريق.
(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ولا ولدت إلٰهاً، كما لا يقول الملكية: صلب اللاهوت، ومات اللاهوت، مع قولهم بأن اللاهوت والناسوت اتحدا[1].

قال: فإن قالوا: كان الاتحاد في حال الولادة.

قلنا: فقد ولدت مريم الكلمة إذا مع الإنسان، والكلمة عندنا وعندهم إلٰه، فقد ولدت مريم إلٰهاً.

فإن قالوا: نعم، قلنا: فإذا جاز أن يولد، فلم لا يجوز أن يكون حملاً؟ فإذا أجازوا ذلك، تركوا قولهم، وإن لم يجيزوه قلنا: فما الفرق بين أن يكون مولوداً، وبين أن يكون محمولاً؟ فإن قالوا: ليس الإلٰه مولوداً، ولم يكن الاتحاد قبل الولادة، وهو أن يكون محمولاً ولا في حال كونه ولداً في حال الولادة.

قلنا: فهذا نقض قولكم: إن مريم ولدت المسيح، لأن المسيح ـ عندكم ـ ليس هو الإنسان وحده، ومريم ـ عندكم ـ إنما ولدت الإنسان وحده.

وإذا كان المسيح ليس هو الإنسان وحده، وعندكم إنما ولدت الإنسان وحده قبل الاتحاد، فإنما ولدت إذاً، ما ليس بمسيح، إذ كان إنما كان مسيحاً بالاتحاد، وكان الاتحاد بعد الولادة فإنما كان مسيحاً بعد الولادة.

فإذا كان هذا ـ عندكم ـ فاسداً، وكانت مريم ولدت المسيح، فمريم لم تلد الإنسان وحده، وهذا يوجب أنها قد ولدت الإلٰه مع الإنسان، ويوجب أن الاتحاد كان قبل الولادة.

---

(١) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام لابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ١/ ١٦٠.

قال: فقد تبين زائف ما تعتقده النسطورية، من أن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وصح أن مريم ولدت إلٰهاً مسيحاً واحداً.

قال: ويقال لهم: إذا زعمتم أن المسيح جوهران، جوهر قديم وجوهر محدث، ثم زعمتم أن مريم ولدت المسيح، فقد أقررتم أن مريم ولدت هذين الجوهرين اللذين هما المسيح، وإذا ولدتهما، وأحدهما إلٰه، فقد ولدت إلٰهاً قديماً، ولا يجوز أن تلد إلّا ما كان محمولاً، فهذا يوجب أنها قد كانت حاملة لذلك الإلٰه.

فقد تبين زائف[1] ما تعتقده النسطورية، أن مريم لم تحمل إلٰهاً، ولم تلده، وصح ما تعتقده الملكية أن مريم ولدت إلٰهاً مسيحاً واحداً، وابناً واحداً، أقنوماً واحداً[2].

فيقال له[3]: ليس هذا التناقض من النسطورية بأعظم من تناقض الملكية فإنهم ـ مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت، وأنهما شخص واحد ـ يقولون: إن أحدهما كان يأكل ويشرب، ويصوم ويصلي ويتصرف، وأنه أخذ وصفع، ووضع الشوك على رأسه وصلب وتألم، ومات دون الآخر.

فإذا كان قول النسطورية متناقضاً، فقول الملكية أعظم تناقضاً، فإذا منعوا أن تحمل[4] المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما، وجب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب، ويصلب ويقتل أحدهما

---

(١) في نظم الجوهر ١/١٦١: (فساد) بدلاً من (زايف).
(٢) انتهى كلام ابن البطريق.
(٣) هذا جواب ابن تيمية.
(٤) في هـ (تحبل) بدلاً من (تحمل).

دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولى.

وكون الصلب والقتل أعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته إياه، لا يمنع كون كل ذلك ممتنعاً على الله.

ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر، فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الإمتناع.

ومن جوز عليه هذا، جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه، ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب.

وإن قالوا: ذاك مكان طاهر، قيل: أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولي لله ومن أذنه، ومن أنفه، فإن هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء النصارى يقولون: إن كون الله مولوداً من فرج مريم، غير كونه مولوداً في الأزل من الأب، بل هما ولادتان، روحانية، وجسمانية.

وهم إذا طولبوا بتفهيم ما يقولونه وقيل لهم: هذا لا يتصور أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج، ولا فم، ولا أذن، ولا غير ذلك من الأثقاب، قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبي من الأنبياء، ولم ينطق به[1] نبي من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولدته، بل ولا نطق

---

(١) (به) ساقطة من ط، ك.

نبي من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه، ولا حياته، ولا غير ذلك.

ولا نطق نبي من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيره مما ينقل عن الأنبياء شيء من ذلك، بل غاية ما فيها كلمات مجملة متشابهة، كقوله: (أنا وأبي واحد)[1]، كما قال الله لمحمد:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[2].

وقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[3].

فإذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة[4]، أو المتصوفة[5]،

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٣٣٨.

(٢) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٠.

(٤) ملاحدة المسلمين من الشيعة، فمن الزيدية: أبو خالد الواسطي ومنصور بن الأسود وهارون بن سعد المعجمل وغيرهم، ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة سالم بن أبي الجعد وسالم بن أبي حفصة وغيرهم، ومن مؤلفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور وغيرهم، ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي.
انظر: الملل والنحل ص ١٩٠.

(٥) **المتصوفة**: هم فرقة ابتدعوا في دين الله، وساروا خلف مشايخهم في الأعمال والأقوال التي لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا إجماع، ومن آخر مراحلهم مرحلة «وحدة الوجود» التي هي عندهم عبادة باطنها الكفر والإلحاد وإباحة المحظورات.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢؛ ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتشيع ـــ د. مصطفى كامل ص ٣٧٦.

أو غيرهم: إن الله[1] اتحد بمحمد، لقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾.

كان هذا من جنس قول النصارى.

والآية لم تدل على ذلك، بل مبايعة الرسول مبايعة لله، لأن الرسول أمر بما أمر الله، ونهى عما نهى الله عنه.

فليس في كلام الأنبياء أن الله ولا شيئاً[2] من صفاته، مولود الولادة التي يسمونها ولادة عقلية وروحانية، ولا في كتبهم أن شيئاً من صفات الله تسمى ابناً لله، ولا أن اللاهوت ابن الله، فضلاً عن أن ينطقوا بأن الله مولود من امرأة ولادة، وخرج من فرجها، فيكون مولوداً ولادة جسمانية.

ولهذا لما تنازعت النصارى في ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة من نصوص الأنبياء، غاية ما عندهم التمسك بألفاظ متشابهة وتغيير[3] ألفاظ صريحة محكمة، تبين أن المولود إنما هو بشر.

فإذا قالوا في الألفاظ المتشابهة: لا نعلم مراد الرسول بها، كان هذا مما قد يعذرون به، فإن المتشابه[4] من النصوص لا يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم.

فإذا قالوا: لسنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله،

---

(١) (الله) مكررة في ط.

(٢) في هـ، ك (ولا شيء) بدلاً من (ولا شيئاً).

(٣) في هـ، ك (معها) بدلاً من (وتغيير).

(٤) في ط، هـ (المتشابهة) بدلاً من (المتشابه).

كـانوا شـاهدين على أنفسهم بعـدم العلم، وشهادة الإنسـان على نفسـه مقبولة.

بخلاف القول الـذي تكلموا بـه هم، وزعموا أن معنـاه يدل عليـه كلام الأنبياء، أو يدل عليه العقل، فإن عليهم أن يبينـوا معناه الـذي عنوه به، وعليهم أن يبينوا أنه قد دل على ذلك شرع أو عقل.

فإذا قالوا: نفس الكلام الذي قلناه لا نتصور معناه، كانوا معتـرفين أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، وهذا حرام عليهم.

وإن قالوا: إن كـلام الأنبياء دل على ذلـك، كان غـاية مـا عندهـم التمسك بالمتشابه، وحينئذ فيطالبون بتفسير المتشابه، والجمـع بينه وبين المحكم على وجـه صحيح معلوم، وإلاَّ فـإذا قـالـوا: هـذا فـوق العقـل لا نفهمه.

قيل لهم: فدعوا المتشابه لا تحتجوا بـه، ولا تذكـروا[1] له معنى، تزعمون أنكم لا تعقلونه.

* فمتى ثبت عن الأنبيـاء قـول وقــال قـوم: إنــا لا نفهمه، فإنهم يصدقون على أنفسهم.

وأمـا إذا فسروا كـلام الأنبيـاء بقـول عبـروا بـه على مـراد الأنبيـاء وقالوا: هذا مرادهم مع تعبيرهم عنـه بعبارات أخـرى، طولبـوا بأن يبينوا ذلك المعنى، وقيل لهم: إن فهمتم ما قلتموه فبينوه، وإن لم تفهموه فـلا تتكلموا بلا علم *[2].

---

(١) في ط (ولا تـذكـرون) بــدلاً من (ولا تـذكــروا). وقبلهـا (ولا تحتجــون) بـدلاً من (لا تحتجوا).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

قال سعيد بن البطريق[١]: أن أئمة الضلالة ـ أعني نسطوريوس[٢] وأرطيوس[٣] وديسقورس[٤] وسورس[٥] ويعقوب البرادعي[٦] وأشياعهم ـ الذين أرادوا أن يقيموا الزيف والمحال ولم يرجعوا[٧] إلى خشية الله وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رأيهم، فقد تورطوا في بحر الضلالة.

وهم ـ جميعاً ـ فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلاً منهم باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته، ويتورط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة، ويتمسك به.

فقد رأيت أن أوضح وجه الخلطة، وأبين ذلك لتقف على فساد قولهم: إن من عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته، أن بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء. وهي التي[٨] من جوهره ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه قبل كل الدهور، ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة بريّة منه قط، ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت، الذي لم يزل ولا يزال، فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.
(٢) في هـ (نسطورس) ـ بدلاً من ـ (نسطوريوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٦١.
(٣) **أرطيوس**. انظر: المرجع السابق.
(٤) **ديقورس**. انظر: المرجع السابق.
(٥) اسمه (سويرس) المصدر السابق.
(٦) انظر: المصدر السابق.
(٧) في ط (يراجعوا) بدلاً من (يرجعوا).
(٨) (وهي التي) ساقطة من جميع النسخ.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.

مختـارة من نسل داود، اصـطفاهـا الله لهذا التـدبير من نسـاء العالمين، وطهرها بـروح القدس، روحـه[1] الجوهـرية، حتى جعلهـا أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسـان مخلوق خلقته لنفسها، بمسرة الأب وموازرة روح القدس، خلقـاً جديـداً من غير نـطفة آدمية جرت عليها الخطيئـة، ومن غير مجـامعة بشـرية ولا انفكـاك عذرة تلك الجارية المقدسة، فهـو إنسان تـام بجسده ونفسـه الدمـوية وروحـه الكلمانية التي من صـورة الله في الإنسان وشبهـه، فكانت مسكنـاً لله في حلوله واحتجا به للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم.

واعلم أنـه لا يـرى شيء من لـطيف الخلق إلَّا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلَّا مع ما هو أغلظ منه فيما يظهـر لأهل الأثقال من غليظ الخلق.

وإنـا وجـدنـا روح الإنسـان العـاقلة الكلمـانيـة ألـطف من لـطيف الخلق، فلذلـك كانت أولى خلق الله بحجـاب الله، فكانت لهـا حجـابـاً ولمن هو ألطف منها، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً.

فعلى هـذا، خالـطت كلمـة الله الخـالقـة لنفس الإنسـان الكـاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله بقوامها قواماً لتثليث الناسوت التي كمـل جوهـرها بتقـويم قوام كلمـة الله إياهـا، لأنها لـم تخلق ولم تـك شيئاً إلَّا بقـوام[2] من كلمة الله الـذي خلقهـا وكـونهـا

---

(١) في ط (وروحه) بزيادة (و).

(٢) في ط (ألا يقول) بدلاً من (إلَّا بقوام).
انظر: نظم الجوهر ١٦٢/١ (إلَّا بقوام).

لا من شيء لا[1] سبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من شيء[2] كان لها من نطفة ولا من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلٰهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم إليه وخلقه له، التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد في الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه، واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد، قوام الكلمة التي هي الابن المولود من الله قبل الأدهار كلها، وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب ولا من روح القدس[3].

قلت[4]: فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرر به دين النصارى، وفيه من الباطل ما يطول وصفه، لكن نذكر من ذلك وجوها:

الوجه الأول: قوله: إن من عظيم تدبير الله أن بعث كلمته الخالقة، التي بها خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منه[5]، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم، فالتحمت من مريم العذراء.

فيقال: قد جعلت الكلمة الخالقة، وقلت ـ بعد هذا ـ: ولا كانت الكلمة برية منه، ولا من روحه الخالقة، وقلت ـ بعدها ـ:

(١) في نظم الجوهر: (سبق).
(٢) في هـ، ك (سبب) بدلاً من (شيء).
(٣) انتهى كلام ابن البطريق ١/١٦٣.
(٤) هذا جواب ابن تيمية.
(٥) في ط (منها) بدلاً من (منه).

فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة[1] الأب ومؤازرة روح القدس جميعاً، خلقاً جديداً.

فيقال لهم: أخالق العالم ـ عندكم ـ خالق واحد وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟

فإن قالوا: إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة[2] خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون: إله واحد، وخالق واحد.

فيقال: وهذا تناقض ظاهر، فإما هذا، وإما هذا.

وإذا قلتم: الخالق واحد، له ثلاث صفات، لم ننازعكم في أن الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثة آلهة خالقين، كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم بان كفرهم وعظم شركهم، وبان أن شركهم أعظم من كل شرك في العالم فغاية المجوس الثنوية[3]، إثبات اثنين، نور، وظلمة، وهؤلاء يثبتون ثلاثة.

ثم الأدلة السمعية في التوراة والإنجيل والزبور وسائر كلام الأنبياء مع الأدلة العقلة المبينة لكون الخالق واحداً، كثيرة جداً، لا يمكن حصرها هنا.

وإن قالوا: إن الخالق واحد، له صفات، قيل لهم: فهذا مناقض لقولكم: إنه بعث كلمته الخالقة، وقولكم: «ولا كانت الكلمة برية منه

---

(١) في هـ (ثمرة) بدلاً من (بمسرة).
(٢) (آلهة) ساقطة من هـ ، ك.
(٣) سبق التعريف بها.

ولا من روحه الخالقة» وقولكم: «فهبطت الكلمة الخالقة» وقولكم: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق، خلقته لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة الروح». فهذا يقتضي أن الكلمة خالقة وأن الروح خالقة، وأنها خلقت بمسرة الأب الخالق ومؤازرة الروح الخالقة، وهذا الخالق هبط، والأب لم يهبط.

فإذا كان الخالق واحداً له صفات، لم يكن هنا إلَّا خالق واحد.

الوجه الثاني: قولكم: «بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء»، وقد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها: (كن فيكون) هكذا في القرآن[1]، والتوراة[2]، وغيرهما.

لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً.

ولا يقول أحد قط: إن كلام الله خلق السماوات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقل أحد: إن شيئاً من ذلك خلق السماوات والأرض، ولا يقول أحدٌ: يا كلام الله اغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء: إن كلمته هي الخالقة وإنه خلق بها، كلام متناقض.

فإنها إن كانت هي الخالقة[3]، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

الوجه[4] الثالث: أن يقال: قولكم: «كلمة الله الخالقة» أهي

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾، سورة يس: من الآية ٨٤.

(٢) إشارة إلى ما ورد في أول سفر التكوين بالعهد القديم (ليكن كذا وليكن كذا).

(٣) في هـ، ك (الخالق) بدلاً من (الخالقة).

(٤) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

كـلام الله كله، أم هي بعض كـلام الله، أم هي المعنى القـائم بـالـذات القديم الأزلي[1]، الذي يثبته ابن كلاب[2]، أم حـروف وأصوات قـديمة أزلية كما يقوله بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فـإن كانت هي الـذات المتكلمة، فهي الأب والـرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكره، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.

وإن قالوا: بل هي كلام الله كله.

قيـل لهم: فيكون المسيـح هو التـوراة، والإنجيل والقـرآن وسائـر كلام الله. وهذا لا يقولونه، ولـم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحـروف[3] والأصوات القديمة الأزلية.

قـيـل لهم: هذان القـولان، وإن كانـا باطلين، فـإن قلتم بهمـا، لزمكم أن يكون المسيح هو كـلام الله كله، فإن هـذين ــ عند من يقـول بهما ــ هما جميع كلام الله.

والتوراة، والإنجيل وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله، وهو الحـروف والأصوات القـديمة القـائمة بـالذات عنـد من يقول بهذين.

---

(١) في هـ، ك (الأزل) بدلًا من (الأزلي).

(٢) **ابن كلاب**: هو عبد الله بن سعيد بن كـلاب من أهل البصـرة، كان نصـرانياً فـأسلم وفارق قومه، له مذهب في الكلام مشهور.
انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٩.

(٣) في هـ (والحروف) بسقوط (أ).

وإن قلتم: إن المسيح بعض كلمات الله، فحينئذٍ لله كلمات أخر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولون: «الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله: إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذٍ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان الخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليد من أضلهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

الوجه[2] الرابع: أن يقال لهم: ما[3] لم يعلم[4] بالمعقول، فليس في المنقول[5] ما يدل عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نقل عن الأنبياء، وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته، فمن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه، وأنه يسمى ابناً، وأن علمه أو حكمته خلق كل شيء، وأن حياته خلقت كل شيء، وأن علمه خالق وإله ورب، وحياته خالقة وإله ورب، وليس

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
(٢) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.
(٣) في هـ (هذا الكلام) بدلاً من (ما).
(٤) في ك (علم) بدلاً من (ما لم يعلم).
(٥) في هـ (العقول) بدلاً من (المنقول).

في الأنبياء[1] من سمى شيئاً من صفات الرب ولداً له ولا ابناً، ولا ذكر أن الله ولد شيئاً من صفاته. فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية ولدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم: إن الله ولد، ولا إن شيئاً من صفاته ولده، لا ولادة روحانية، ولا ولادة جسمانية.

وهذا وإن أبطل قول الملكية، فهو لقول[2] اليعقوبية، أشد إبطالاً، وهو مبطل أيضاً لقول النسطورية، فإنهم يقولون: بالأمانة التي فيها أنه مولود قديم أزلي، فإن طوائفهم الثلاثة متفقون على الأمانة التي ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح.

الوجه[3] الخامس: قولكم بعث كلمته الخالقة، فهبطت كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء، ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه، ولم يكن الله بلا كلمته، ولا روحه قط.

من قال من الأنبياء: أنه لم يكن بلا روحه قط، أو أن روحه صفة له قديمة، أو أنها حياته؟

وكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ما ينزله على الأنبياء، كالوحي والتأييد، أو الملائكة، فليست روح الله صفة قائمة به ولا غيرها، ولكنها أمر بائن عنه.

الوجه[3] السادس: أنه إذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت والتحمت من مريم، فهو نفسه رب العالمين، هبط والتحم من مريم أم

---

(١) في هـ (الأشياء) بدلاً من (الأنبياء).

(٢) في هـ (كقول) بدلاً من (لقول).

(٣) (الوجه) ساقطة من هـ ، ك.

رب العالمين نفسه، لم يهبط ولم يلتحم[1] من مريم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها.

فإن قلتم: هو نفسه هبط والتحم، كان الأب الوالد للكلمة، هو الذي هبط والتحم، وكان الأب هو الكلمة، وهذا مناقض لأقوالكم.

وإن قلتم: إن المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب، بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق، فيكون هناك خالقان، خالق أرسل فهبط والتحم، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم، وقد أثبتم خالقاً ثالثاً، وهو الروح، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين.

الوجه السابع: أنه قال: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خلق كل شيء، والذي خلق بها كل شيء هو خالق، فجعلها خالقة، وجعل خالقاً آخر، وجعل أحد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء، وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذي به خلق كل شيء، وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة روح القدس خلقاً جديداً.

وإذا كانت هي الخالقة بمسرة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه، بل سر بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق، بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارةً يقولون: هي الخالقة، وتارةً يقولون: خلق بها

(١) في هـ (يلحم) بدلاً من (يلتحم).

الخالق فخلقت، وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال ينقض بعضها بعضاً.

فإن كان الله هو الخالق لكل شيء فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له في الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله: «كن» لم يكن كلامه خالقاً، ولو كانت كل كلمة إلّهاً خالقاً، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم.

ثم قال: ليست بمخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور.

فيقال: من من الأنبياء سمى شيئاً من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً[1]؟ فكيف يكون مولود قديم أزلي[2]؟ وهل يعقل مولود إلاَّ محدثاً[3]؟

وأيضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه، فكذلك حياته[4] مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه.

فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من[5] الأزل غير منبثقة، والأخرى ليست مولودة من الأزل. بل منبثقة، مع كونه باطلاً، فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية: إنها مولودة منه فالحياة مولودة.

---

(١) في هـ (مولوداً له وأيضاً) بدلاً من (مولوداً قديماً أزلياً).
(٢) في ك، هـ (أزل) بدلاً من (أزلي).
(٣) في ك (إلاَّ محدثاً) غير ظاهرة.
(٤) في ط، ك (تكون) بدلاً من (حياته).
(٥) في هـ (هي) بدلاً من (من).

وإن جاز أن يقال: إنها منبثقة، فالكلمة منبثقة.

وأيضاً فكون الصفة إلّهاً خالقاً، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم: إن الخالق واحد، تناقض آخر.

وأيضاً فقوله: «ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط» إن أراد بروحه حياته، فهذا صحيح، لكن من من الأنبياء سمى حياة الله روحه؟ ومن الذي جعل الله روحاً قديمة أزلية؟ وهل هذا إلَّا افتراء على الأنبياء؟

وليس لقائل أن يقول: إن هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به، لأن هذا تفسير لكلام الأنبياء، فهم الذين تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك، ولم يرد أحد بذلك حياة الله قط.

فتسمية حياة الله روحاً، وتفسير مراد الأنبياء بذلك، افتراء على الله ورسله.

الوجه الثامن: قوله: «فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول، فالتحمت من مريم العذراء، وهي جارية طاهرة، مختارة من نسل داود، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس، روحه الجوهرية، التي جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها، بمسرة الأب، ومؤازرة روح القدس، خلقاً جديداً».

فيقال: إن الكتب دلت على أن المسيح تجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وهكذا هو في الأمانة التي لهم، وبهذا أخبر القرآن حيث أخبر في غير موضع، أنه نفخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أرسل إليها روحه.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ
مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا
﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾
۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ
ٱلنَّخۡلَةِ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾(٣).

فالكتب الإلّهية يصدق بعضها بعضاً.

لكن دعواكم أن روح القدس، روح الله الجوهرية (أي حياته القديمة الأزلية) أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه.

فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة الله، لا جوهرية، ولا غير

---

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ ــ ٢٣.
في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٢) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٣) سورة التحريم: من الآية ١٢.

جوهرية ولا قديمة، ولا غير قديمة، ولا أرادوا بذلك حياة الله.

فقولكم هذا، تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله، كما أنكم في قولكم إن كلمة الله أو علمه، أو حياته، مولـودة منه، وإن صفتـه القديمـة الأزلية هي ابنه مما[1] حرفتم فيـه كلام الأنبيـاء، فلم يرد أحـد منهم هذا المعنى بهـذا اللفظ قط، ولم يـطلق في جميـع الكتب التي عنـدكم لفظ الابن المـولـود، إلّا على محـدث مخلوق لا على شيء قـديم أزلي، لا موصوف ولا صفة، لا علم ولا كلام، ولا حكمة، ولا غير ذلك.

وكـل ولادة في الكتب الإلّهيـة التي عنـدكم وغيـرهـا، فهي ولادة حـادثة زمـانية، وكـل مولـود، فهـو محـدث مخلوق[2] زمـاني، ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي، كما أنكم ذكرتم ذلك في أمانتكم وغيرها.

فلو كـان ما ذكـرتمـوه ممكنـاً في العقـول، لم يجـز أن تجعلوه[3] موجوداً واقعاً، وتقولوا: الأنبياء أرادوا ذلـك، إلّا أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم.

فـإذا كان كـلامهم صريحـاً في أنهم لم يريـدوا ذلـك، والمعقـول الصريح يناقض ذلك، كان ما قلتموه كذبـاً على الله وعلى أنبيائـه ورسله ومسيحه، وكان باطلاً في المعقول، وكنتم ممن قيل فيه:

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[4].

---

(١) في ط، ك (ما) بدلاً من (مما).

(٢) في هـ (مخلوق محدث) بزيادة (محدث).

(٣) في هـ، ك (تجعله) بدلاً من (تجعلوه).

(٤) سورة الملك: من الآية ١٠.

ثم يقال: أنتم قلتم: «إن الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم، واحتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها»، وقلتم: «إن مريم حملت بالإله الخالق وولدته، الذي هو الابن».

فإذا جوزتم أن تكون مريم هي أمّاً للخالق الذي هو الابن حملته وولدته فلم لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذي هو الأب، مع أن الخالق التحم من مريم؟ وقد قلتم: لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة برية منه قط، ولا من روحه الخالقة، ولا من جوهره؟

فجعلتم الروح خالقة، والله الذي هو الأب خالقاً، والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم، فكما[1] أن مريم أمه، فالروح الخالقة بمنزلة أبيه.

وأيضاً فمريم، لها اتصال بالأب وبروح القدس، وكلاهما أب للمسيح على ما ذكرتموه.

فإذا كانت مريم متصلة بكل واحد ممن جعلتموه أباً للمسيح، وقلتم إن الخالق التحم من مريم، فهذا أبلغ ما يكون من جعل الخالق زوج مريم.

ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها، كانت تفسير التحام اللاهوت بناسوت مريم حتى يصير زوجاً لمريم أولى وأحرى، وليس في ذلك نقص ولا عيب إلَّا وفي كون اللاهوت ابن مريم، ما هو أبلغ منه في النقص والعيب.

ومعلوم أن أم[2] الإنسان أعلى قدراً عنده من زوجته، وأن تسلطه

---

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (أم) ساقطة من ط.

على زوجته أعظم منه على أمه، فإن الرجل مالك للزوجة، قوام عليها والمرأة أسيرة عند زوجها، بخلاف أمه.

فإذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي ابناً لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقاً لها بلاهوته وابناً لها بناسوته، ولم يكن هذا ممتنعاً عندكم ولا قبيحاً، فأن تكون مريم صاحبة له وزوجة وامرأة بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى.

وإن كان هذا ممتنعاً وقبيحاً، فذاك أشد امتناعاً وقبحاً.

* ولهذا ذهب طوائف من النصارى إلى أن مريم امرأة الله وزوجته[1] وقالوا: أبلغ[2] من ذلك، حتى ذكروا شهوته للنكاح[3].

ولقد قال بعض *[4] أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانياً: إنهم كانوا إذا «نبهوا على قولهم: إن عيسى ابن الله لم يفهم[5] من ذلك إلَّا أن الله أحبل أمه وولدت له[6] المسيح ابنه *[7] كما يحبل الرجل المرأة وتلد له الولد، فيكون قد انفصل من الله جزء في مريم بعد أن نكحها، وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم، ولدته مريم، كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها، وقد قالت الجن المؤمنون:

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[8].

---

(١) في هـ (زوجة الله وصاحبته) بدلاً من (امرأة الله وزوجته).
(٢) في ط (إنما هو أبلغ) بزيادة (إنما هو).
(٣) في ط (شهرة النكاح) بدلاً من (شهوته للنكاح).
(٤) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.
(٥) في ط (يفهموا) بدلاً من (يفهم).
(٦) (الله أحبل أمه وولدت له) ساقطة من هـ .
(٧) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.
(٨) سورة الجن: من الآية ٣.

فنزهوه عن هذا وهذا، وهؤلاء الجن المؤمنون أكمل عقلاً وديناً من هؤلاء النصارى.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

فقوله: «أنى يكون له ولد» تقديره من أين يكون لـه ولد؟ فـ (أنى) في اللغة بمعنى «من أين ذلك» وهذا استفهام إنكار.

فبين ـ سبحانه ـ أنه يمتنع أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، مع أنه خالق كل شيء، وأن هذا الولد يمتنع أن يكون، وأن هذا الامتناع مستقر[2] في صريح المعقول.

ثم إذا كانت الكلمة التي هي الخالق المخلوق به، قد حلت في جوف مريم، والتحمت من مريم وخلقت منها إنساناً هو المسيح خلقته لنفسها واحتجبت به واتحدت به، فهل كان خلقها لهذا الإنسان قبل الاتحاد والاحتجاب أم حين ذلك؟

فإنه بعد ذلك ظاهر الامتناع، محال[3] أنها بعد الاحتجاب به والاتحاد خلقته بل لا بد أن تكون[4] خلقته قبله أو معه.

فإن كان معه، لزم كون المخلوق متحداً بالخالق دائماً، لم تمر

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.
في ط ذكر أن هذه الآية في سورة المائدة.
(٢) (مستقر) ساقطة من ك.
(٣) في هـ (بحال) بدلاً من (محال).
(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).

عليه لحظة إلَّا وهو[1] متحد به.

فإذا أمكن أن يقارن المخلوق خالقه ـ وعندهم أنه أقام تسعة أشهر حملاً كعامة الناس، وقد ذكر ذلك[2] سعيد بن البطريق هذا ـ فإذا كان كذلك، كان الرب متحداً بالمضغة والجماد، الذي لا روح فيه.

وإذا جاز عليه هذا، جاز أن يتحد بسائر الجمادات، وهذا على قول الأكثرين[3] الذين يقولون: إن الروح، إنما نفخت فيه بعد أربعة أشهر * ومن قال أنها نفخت فيه من حين أخذ الجسد من مريم *[4] وهذا يشبه[5] قول جمهور النصارى الذين يقولون: إن المسيح مات وصلب وفارقته الروح[6] الناطقة[7] المنفوخة فيه، والإلّه المتحد به لم يفارقه أبداً[8]، فإنهم[9] يقولون: إنه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه، بل هو الآن متحد به، وهو في السماء قاعد عن يمين أبيه، وذلك القاعد هو الخالق القديم، والأب هو الإلّه الخالق القديم الأزلي، وهما مع ذلك إلّه واحد.

والمقصود هنا أنهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت إلى أن قام من قبره، فعادت[10] الروح إليه، وحينئذٍ

---

(١) في هـ (هو) بسقوط (و).

(٢) (ذلك) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (للأكثرين) بدلاً من (الأكثرين).

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك

(٥) في هـ، ك (أشبه) بدلاً من (يشبه).

(٦) في هـ، ك (مستقر الروح) بزيادة (مستقر).

(٧) في ط (الباطلة)، وفي ك (غير ظاهرة) بدلاً من (الناطقة).

(٨) (أبداً) ساقطة من هـ، ك.

(٩) (فإنهم) ساقطة من ك.

(١٠) في هـ (فعاد) بسقوط (ت).

لم يظهر من تلك المضغة[1] شيء[2] من العجائب.

وهم يستدلون على إلّهية المسيح بالعجائب، مع أنه كان الإلّه متحداً به قبل أن يظهر العجائب، وحينئذٍ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء، الجزم بأن الرب لم يتحد به مع إمكان الاتحاد.

ويلزم أن كل جامد وحي ظهرت منه العجائب، أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به.

وحينئذٍ فعباد العجل أعذر من النصارى، وإن كان من عباد الأصنام من يقول: إن الصنم خلق السماوات والأرض، فهو أعذر من النصارى، لأن ظهور العجائب من الحيوان الأعجم والجماد، أعظم من ظهورها من الإنسان الناطق، لا سيما الأنبياء والرسل، فإن الأنبياء والرسل، معروفون بظهور العجائب على أيديهم. فإذا ظهرت على يد من يقول: إني نبي مرسل، كانت دليلاً على نبوته، لا على إلّهيته.

والمسيح كان يقول: إني نبي مرسل، كما ذكر ذلك في الإنجيل في غير موضع، فأما الحيوان الأعجم والجماد، فلا يجوز أن يكون نبياً.

فإن جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه، فاتحاده بالعجل وبالصنم أولى، وحينئذٍ فخوار العجل عجيب منه.

فاستدلال عباد العجل بذلك على أنه إلّه، خير من استدلال النصارى على إلّهية المضغة إن قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها.

---

(١) في هـ (الصفة) بدلاً من (المضغة).

(٢) (شيء) ساقطة من ط، ك.

وإن كانت تلك لا تدل إلَّا على نبوته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً ـ .

الوجه التاسع: قوله: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها»، وقوله: «فكانت[1] مسكناً في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم».

يقال لهم ـ أولاً ـ: من أين لك أن روح الإنسان ألطف من جميع المخلوقات؟ وأنها ألطف من الملائكة والروح الذي قال الله فيه:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[2].

وإنها ألطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[3].

وبتقدير أن تكون[4] ألطف، فأنت لا تقول: إن الاحتجاب والاتحاد كان بروح الإنسان مجردة، بل بالجسد الناسوتي الدموي الغليظ، وتقول[5]: «إن الخالق التحم من مريم العذراء» فتجعل[6] الخالق قد التحم من لحم[7] مريم، ومن[8] رحمها الذي هو لحم ودم،

---

(١) في هـ (وكانت) بدلاً من (فكانت).
(٢) سورة النبأ: من الآية ٣٨.
(إلَّا من أذن له الرحمن) ناقصة من هـ .
(٣) سورة ص: من الآية ٧٢، وسورة الحجر: من الآية ٢٩.
(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).
(٥) في هـ (ويقول) بدلاً من (وتقول).
(٦) في هـ (فجعل) بدلاً من (فتجعل).
(٧) (من لحم) ساقطة من هـ .
(٨) في هـ (من) بسقوط (و).

وهذه أجساد كثيفة، بل جمهورهم يقول: إنه[1] اتحد بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل أن يقوم من قبره.

وحينئذٍ فقولك: «فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم «وصف ممنوع، والتعليل به باطل، فإنه لو كان مسكناً للطفه، لم يجز أن يسكن إلاَّ في الروح اللطيفة، فلما أثبت اتحاداً بالجسد الكثيف، بطل قولك: «إنه اتحد بالإنسان للطفه».

الوجه العاشر: قولكم[2]: «واعلم أنه لا يرى شيئاً[3] من لطيف الخلق إلاَّ في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلاَّ مع ما هو أغلظ منه».

يقال لهم: إما أن يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس وعاينوه، أو لم يره أحد.

فإن قلتم: قد رآه الناس وعاينوه، فهذا مخالف[4] للحس والشرع والعقل.

أما الحس، فإن أحداً ممن رأى المسيح لم يرَ شيئاً يتميز[5] به المسيح عن[6] غيره من البشر، غير العجائب التي ظهرت على غيره، منها ما هو أعظم مما ظهر عليه، ولم يرَ إلاَّ بدن المسيح الظاهر، لم يرَ باطنه، لا قلبه ولا كبده ولا طحاله، فضلاً عن أن يرى روحه، فضلاً عن

---

(١) (إنه) ساقطة من ط، ك.
(٢) في هـ، ك (قولك) بدلاً من (قولكم).
(٣) في أ شيء.
(٤) (مخالف) ساقطة من هـ.
(٥) في هـ (يميز) بدلاً من (يتميز).
(٦) في هـ (من) بدلاً من (عن).

أن يرى الملائكة الذين يوحون إليه، فضلاً عن أن يرى الله، إن قدر أنه كان متحداً به، أو حالاً فيه.

فدعوى المدعي أن من رأى المسيح، فقد رأى الله عياناً ببصره في غاية المباهتة والمكابرة والكذب، لو قدر أن الله حال فيه، أو متحد به.

فإنه من المعلوم أن الملائكة تنزل[1] على المسيح وغيره، وتتصل بأرواحهم، والناس لا يرون الملائكة، بل الجن تدخل في بني آدم والناس لا يرونهم، وإنما يرون جسد المصروع.

وكل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو ـ نفسه ـ لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله.

وتحضره الملائكة وقت الموت، ولا يراهم من حوله، مع أنه هو يراهم، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

فإذا كانت هذه المخلوقات، التي اتفق أهل الملل على اقترانها بالإنسان واتصالها بهم، وأن رؤيتها ممكنة، لا يراها الناس، فكيف يقال: إن المسيح الذي لم يرَ الناس منه إلاَّ ما رأوه من أمثاله من الرسل كإبراهيم، وموسى، ولم يكن له قط شيء يتميز به عن جنس الرسل، فكيف يقال: إن الذين رأوه، رأوا الله عياناً بأبصارهم؟

---

(١) في هـ (نزلت) بدلاً من (تنزل).

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٨٣ ـ ٨٧.

في ط (بلغت الروح الحلقوم) بزيادة (الروح) وهو خطأ.

وأما الشرع، فموسى، والمسيح وغيرهما من الأنبياء، أخبروا أن أحداً لا يرى الله في الدنيا.

وأما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل والأحوال ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله؟

والذين رأوا المسيح، لم يكن حالهم إلَّا كحال سائر من رأى الرسل، منهم الكافر به المكذب له، ومنهم المؤمن به، المصدق له، بل هم يذكرون من إهانة ناسوته ما لا يعرف عن نظرائه من الرسل، مثل ضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وغير ذلك.

وأيضاً، فمعلوم أن من رأى الله، إما أن يعرف أنه الله، أو لا يعرف.

فإن عرف أنه رأى الله، كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، ولو علموا ذلك، لحصل[1] لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب.

وإن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار رب العالمين لا يميز بينه وبين غيره من مخلوقاته، بل يكون كواحد منهم، ولا يميز بينه وبينهم، ولا يعرف الرائي أن هذا هو الله.

ولوازم هذا القول الفاسدة[2] كثيرة جداً.

وإن قالوا: إن الله لم يرَ، لما اتحد بالمسيح * وإنما رئي جسد المسيح الذي احتجب به الله *[3] فقولهم بعد ذلك: «واعلم أنه لا يرى شيء من لطيف الخلق إلَّا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من

---

(١) في هـ (لم يحصل) بدلاً من (لحصل).

(٢) في هـ (الفاسد) بسقوط (ة).

(٣) ما بين النجمتين ساقطة من ك.

اللطيف إلَّا مع ما هو أغلظ منه» كلام لا فائدة فيه. إذ كان هذا مثلاً ضربوه لله، ليبينوا أنه يرى[1].

فإذا سلموا أنه لم يرَ، لم يكن في هذا المثل فائدة، بل كان هذا[2] استدلالاً على شيء يعلمون أنه باطل.

وأيضاً فما ذكروه، من أن اللطيف لا يرى إلَّا في الغليظ، باطل، فإن اللطيف كروح الإنسان، لا ترى في الدنيا وإن علم وجودها، وأحس الإنسان بروحه وصفاتها، فرؤيتها بالبصر غير هذا. يبين ذلك:

الوجه الحادي عشر: قولهم: «وإنّا وجدنا روح الإنسان العاقلة الكلمانية ــ يعنون النفس الناطقة ــ ألطف من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولى[3] خلق الله بحجاب الله، فكانت له حجاباً، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً.

فعلى هذا خالطت كلمة[4] الله الخالقة نفس الإنسان الكاملة لجسدها[5] ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله، بقوامها، قواماً لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله إياها، لأنها لم تخلق، ولم تك شيئاً إلَّا بقول من كلمة الله الذي خلقها وقومها، لا من شيء سبق قبل ذلك في بطن مريم، ولا من سبب كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلّهي.

---

(١) في هـ (رى) بسقوط (يـ).
(٢) (هذا) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (أول) بدلاً من (أولى).
(٤) في هـ (كلمات) بدلاً من (كلمة).
(٥) في هـ (بجسدها) بدلاً من (لجسدها).

فيقال لهم: هذا الكلام يقتضي أن الخالق احتجب بالنفس الناطقة والنفس الناطقة احتجبت بالبدن.

وأنتم تصرحون[1] بأن نفس الكلمة التي هي الخالق، وهي الله عندكم، التي خلقت لنفسها إنساناً احتجبت به، وقلتم: هو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية، وروحه الكلمانية، أي نفسه الناطقة التي هي صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه.

فصرحتم بأن البدن مع الروح، مسكن لله في حلوله واحتجابه، وأنه هو الذي خلق ذلك البدن والروح، وقلتم: إن هذه الكلمة الخالقة المحتجبة التي قلتم: إنها الله، التحمت من مريم العذراء.

فإذا كان الله الخالق قد التحم من مريم العذراء، فمعلوم أن ذلك قبل نفخ النفس الناطقة التي سميتموها، الروح الكلمانية في المسيح.

وإذا كان الخالق ـ تعالى ـ، قد التحم بجسد لا روح فيه، والتحامه به أبلغ من حلوله فيه، ثم اتخذ[2] الجسد حجاباً قبل نفخ الروح الكلمانية فيه، فكيف يقال: إنما حل في الروح لا في البدن، وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزءاً مسكناً له وحجاباً قبل أن ينفخ فيه الروح الكلمانية؟

وقلتم أيضاً: فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة، بجسدها ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية.

وهذا[3] تصريح بأن الخالق خالط الإنسان بجسده ودمه وروحه.

---

(١) في هـ، ك (مصرحون) بدلاً من (تصرحون).
(٢) في هـ، ك (اتحد) بدلاً من (اتخذ).
(٣) في ط، ك (هذا) بسقوط (و).

فكيف تقولون[1]: إنما احتجبت بالروح اللطيفة، مع تصريحكم بأن الخالق اختلط بالجسد والدم.

وهذا أيضاً يناقض قول من قال: إنه اتحد به اتحاداً برياً من الاختلاط.

فقد صرحتم هنا أنه اختلط به، وسيأتي نظائر هذا في كلامهم، يصرحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت.

الوجه الثاني عشر: قولكم: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلّهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لما ضم إليه وخلقه له التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام الكلمة[2] الله[3] الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد من الناس بجوهر ناسوته، وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر[4] الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة، التي هي الابن المولود من الله من قبل كل الدهور وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب، ولا من روح القدس».

فيقال: في هذا الكلام، بل فيما تقدم ذكره، ما يطول تعداده ووصفه من التناقض والفساد، والكلام الباطل، والكلام الذي تكلم به قائله، وهو لا يتصور ما يقول مع سوء التعبير عنه، كقوله: «وهو إياه»

(١) في ط، (وتقولون) بزيادة (و).
(٢) في هـ (الكلمة) بزيادة (ا).
(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ.
(٤) في ط (وهو) بدلاً من (وجوهر).

فيضع الضمير المنفصل موضع المتصل، ويعطف أحدهما على الآخر بلا واو عطف إلى أمثال ذلك مما[1] يطول ذكر معانيه، وذلك أن قولهم في نفسه باطل لا حقيقة له، وهم لم يتصوروا معنى معقولاً، ثم عبروا عنه، حتى يقال: قصروا في التعبير، بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون معقولاً، ولا يعرفون ما يقولون، بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه في المسيح، بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلاً، وكانوا هم معترفون بأنهم لا يفقهون ما يقولون.

لهذا يقولون: «هذا فوق[2] العقل» ويقولون: «قد اتحد به بشر لا يدرك» فما لا يدرك وما هو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده ولا يقوله برأيه.

لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الإنسان عنه، علم صدقهم، وإن نقل عنهم ناقل ما يعلم بصريح العقل بطلانه، علم أنه يكذب عليهم، إما في اللفظ والمعنى، وإما في أحدهما.

وأما إذا كان هو يقول القول الذي يذكر أنه علم صحته، أو أنه فسر به كلام الأنبياء، وهو لا يتصور ما يقوله ولا يفقهه، فهذا قائل على الله وعلى رسله ما لا يعلم، وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) في هـ (ما) بدلاً من (مما).

(٢) في هـ (قول) بدلاً من (فوق).

(٣) سورة الأعراف: من الآية ٣٣.

في ك (بغير حق) بدلاً من (بغير الحق). في هـ (به سلطاناً قال وأن...) بزيادة (قال).

* وقال ـ تعالى[1] ـ عن الشيطان:

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] *[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[4].

وقد[5] اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام، والله ـ سبحانه ـ نهاهم أن يقولوا على الله إلَّا الحق، فكان هذا نهياً أن يقولوا الباطل، سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا.

فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل، فلم يعلموا أنه حق أيضاً، إذ الباطل يمتنع أن يعلم أنه حق، وإن اعتقد معتقدٌ اعتقاداً فاسداً أنه حق، فذلك

---

(١) (تعالى) ساقطة من هـ.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٦٩.

(٣) ما بين هذه النجمتين ساقط من ك.

(٤) سورة النساء: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

في ك (فيزيدهم) بدلاً من (ويزيدهم).

(٥) (قد) ساقطة من هـ، ك.

ليس بعلم، فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون.

وإن علموا أنه باطل، فهو أجدر أن لا يقولوه.

وعامة النصارى ضلال لا يعلمون أن ما يقولونه حق، بل يقولون على الله ما لا يعلمون.

والمقصود أن الباطل في كلامهم كثير، كقولهم: «فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة».

والمسيح عندهم اسم للاهوت والناسوت جميعاً، اسم للخالق والمخلوق، وأحدهما متحد بالآخر، فهو بتوحيد ذلك القوام، قوام لكلمة الله الخالقة.

وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام للاهوت أو أن الناسوت[١] قوام للاهوت، وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد، فيكون كما لو قيل: إن الجسد والروح، أو الجسد قوام[٢] للروح، أو النار والحديد[٣]، أو الحديد قوام للنار.

فيقال: الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال، هل يكون المحدث المخلوق قواماً له؟ فيكون المخلوق المصنوع المحدث المفتقر إلى الله من كل وجه قواماً للخالق الغني عنه من كل وجه؟ وهل هذا إلَّا من أظهر الدور الممتنع؟

فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء، أن المخلوق

---

(١) في هـ (والناسوت) بدلاً من (أو أن الناسوت).
في ك (أو الناسوت) بسقوط (أن).

(٢) في هـ ، ك (قواماً) بدلاً من (قوام).

(٣) في هـ ، ك (أو الحديد) بدلاً من (والحديد).

لا قوام له إلَّا بالخالق، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق، لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر، فيكون كل منهما محتاجاً إلى الآخر، إذ ما كان قوام الشيء به، فإنه[1] محتاج إليه.

وهذا ــ مع كونه يقتضي أن الخالق يحتاج إلى مخلوقه ــ وهو من الكفر الواضح، فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل، وهذا لازم للنصارى، سواء قالوا[2] بالاتحاد أو بالحلول بلا اتحاد، وإن كانت فرقهم الثلاث يقولون بنوع من الاتحاد، فإنه مع الاتحاد كل من المتحدين لا بد له من الآخر، فهو محتاج إليه كما يمثلون به في الروح مع البدن والنار مع الحديد.

فإن الروح التي في البدن محتاجة إلى البدن، كما أن النار في[3] الحديد محتاجة إلى الحديدة.

وكذلك الحلول، فإن كل حال محتاج إلى محلول[4] فيه، (وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل)[5].

فإن ذلك المخلوق إن قدر أنه موجود بنفسه قديم أزلي، فليس هو مخلوقاً، ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين[6] الأزليين[7] محتاجاً إلى الآخر، سواء قدر أنه فاعل له، أو تمام الفاعل له، أو كان

---

(١) في هـ، ك (فإن الشيء) بدلاً من (فإنه).
(٢) في هـ (قالوه) بدلاً من (قالوا).
(٣) في هـ (والنار التي في) بدلاً من (كما أن النار في).
(٤) في هـ (محله) بدلاً من (محلول).
(٥) ما بين القوسين ساقط من هـ، ك.
(٦) في ك (القديم) بدلاً من (القديمين).
(٧) في ك (الأزلي) بدلاً من (الأزليين).

مفتقراً إليه بوجه من الوجوه، لأنه إذا كان مفتقراً إليه بوجه من الوجوه، لم يكن موجوداً إلَّا به.

فإن الموجود لا يكون موجوداً إلَّا بوجود لوازمه، ولا يتم وجوده إلَّا به. فكل ما قدر أنه محتاج إليه لم يكن موجوداً إلَّا به.

فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر، لزم أن لا يكون هذا موجوداً إلَّا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، وأن لا يكون هذا موجوداً إلَّا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر.

والخالق لا يكون خالقاً، حتى يكون موجوداً، ولا يكون موجوداً إلَّا بلوازم وجوده، فيلزم أن لا يكون هذا موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، ولا يكون ذاك موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، إذ كان جعله لما لم يتم به وجوده، يتوقف وجوده عليه، فلا يكون موجوداً إلَّا به فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلَّا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء.

وأما الدور المعي، وهو أنه لا يوجد هذا إلَّا مع هذا، ولا هذا إلَّا مع هذا كالأبوة مع البنوة، وكصفات الرب بعضها مع بعض، وصفاته مع ذاته، فإنه لا يكون عالماً إلَّا مع كونه قادراً، ولا يكون عالماً قادراً إلَّا مع كونه حياً، ولا يكون حياً إلَّا مع كونه عالماً قادراً، ولا تكون صفاته موجودة إلَّا بذاته، ولا ذاته موجودة إلَّا بصفاته، فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران إلى الخالق الذي يحدثهما جميعاً كالأبوة والبنوة، وجائز في الرب الملازم لصفاته ـ تعالى ـ.

وأما إذا قدر قديمان أزليان ربان فاعلان، امتنع أن يكون أحدهما محتاجاً إلى الآخر، إذ كان وجوده لا يتم إلَّا بما يحتاج وجوده إليه، ولا يكون فاعلاً لشيء إن لم يتم وجوده، فيمتنع مع نقص كل منهما عن

تمام وجوده، أن يكون فاعلاً لغيره تمام وجود ذلك الغير، ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم.

ولكن الذي قاله النصارى أنهم جعلوا قوام الخالق ـ تعالى ـ بالمخلوق.

فيقال لهم: هذا أيضاً ممتنع في صريح العقل، أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر، وإن كان هذا أيضاً ممتنعاً فإن المخلوق مفتقر في جميع أموره إلى الخالق، فيمتنع ـ مع فقره في وجوده وتمام وجوده إلى الخالق ـ أن يكون قوام الخالق به، لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيماً له، وأن يكون تمام وجوده به، فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه إلَّا بالخالق.

فالقدر الذي يقال: إنه يقيم به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه، وخالق كل مخلوق، فلا وجود له ولا قيام إلَّا بالخالق، فكيف يكون به قيام الخالق؟

وليس هذا كالجوهر وأعراضه اللازمة، أو كالمادة والصورة عند من يزعم أن الصورة جوهر إذا كانا متلازمين، فإن هذا من باب الدور المعي، كالنبوة مع الأبوة، وهذا جائز كما تقدم، إذ كان الخالق لهما جميعاً هو الله.

وأما مع كون كل منهما هو الخالق، فهو ممتنع، ومع كون أحدهما خالقاً، والآخر مخلوقاً، فهو أشد امتناعاً.

والرب ـ تعالى ـ غني عن كل ما سواه من كل وجه، وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه، وهذا معنى اسمه «الصمد» فإن الصمد الذي يصمد إليه كل شيء، لافتقاره إليه، وهو غني عن كل شيء لا يصمد

إلى شيء، ولا يسأله شيئاً ـ سبحانه وتعالى ـ ، فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات؟

وهذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه ـ من بعض الوجوه ـ قول أهل الوحدة والاتحاد العام، الذين يقولون كما يقوله ابن عربي[1] صاحب «الفصوص»[2] و «الفتوحات المكية»[3]: إن أعيان المخلوقات ثابتة في العدم، ووجود الحق فاض عليها، فهي مفتقرة إليه من حيث الوجود المشترك العام، وهو وجوده، وهو مفتقر إليها من حيث الأعيان الثابتة في العدم، وهو ما يختص به كل عين عين، فيجعل كل واحد من الخالق والمخلوق مفتقرة إلى الآخر.

ويقولون: الوجود واحد، ثم يثبتون تعدد الأعيان، ويقولون: هي مظاهر ومجالي.

فإن كان المظهر والمجلى غير الظاهر، فقد ثبت التعدد، وإن كان

---

(١) **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسيه بالأندلس سنة ٥٦٠هـ وانتقل إلى الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ماراً بمصر فأنكر عليه أهلها بعض الشطحات التي صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كالحلاج، وحبس ثم تخلص فنجا، واستقر في دمشق حتى مات بها سنة ٦٣٨هـ ، وهو شيخ أهل وحدة الوجود وكان زكياً حافظاً، وله مؤلفات صوفية كثيرة من أضخمها «الفتوحات المكية». قال ابن كثير فيها ما يعقل وما لا يعقل، وله كتابه المسمى «فصوص الحكم»، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله تصانيف كثيرة غير ذلك.
انظر: البداية والنهاية ١٥٦/١٣؛ وفوات الوفيات ١٠٤٣٥/٣؛ وشذرات الذهب ١٩٠/٥؛ وميزان الاعتدال ١٠٨/٣؛ والأعلام للزركلي ١٧٠/٧.

(٢) **الفصوص**: كتاب من مؤلفات ابن عربي، مطبوع باسم (فصوص الحكم).

(٣) **الفتوحات المكية**: كتاب من مؤلفات ابن عربي. مطبوع.

هو إياه، فلا تعدد، فلهذا يضطرون إلى التناقض كما يضطر إليه النصارى، حيث[١] يثبتون الوحدة مع الكثرة، وينشدون (فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده)[٢]، وهؤلاء بنوا قولهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن أعيان الممكنات ثابتة في العدم، كقول من يقول من أهل الكلام: إن المعدوم شيء ثابت في العدم، وهذا القول فاسد عند جماهير العقلاء.

وإنما حقيقة الأمر أن المعدوم يراد إيجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل وجوده، فله وجود في العلم والقول والخط. وأما في الخارج، فلا وجود له.

والوجود هو الثبوت، فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي، وإنما ثبوته في العلم، أي يعلمه العالم قبل وجوده.

والأصل الثاني: أنهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الأزلي الواجب بنفسه، هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن، كما قال ابن عربي: * ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين[٣] إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه. فالأمر

---

(١) (حيث) ساقطة من هـ.

(٢) هذا بيت من قصيدة لابن عربي في كتابه فصول الحكم ـ فص حكمة مهيمية في كلمة إبراهيمية، ومنها:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
ففي حال أقربه وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده

راجع شرح هذه الأبيات: شرح الدكتور عفيفي للفصوص ص ٦٥؛ شرح القاشاني للفصوص ص ٢٤.

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (عين).

للخالق هو المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة * وهو «يا أبتِ افعل ما تؤمر *[1] إلى أن قال وما ذبح سوى نفسه: وما نكح سوى نفسه[2].

وقال: ومن أسمائه الحسنى العلي، على من يكون علياً وما هو إلَّا هو؟ أو عن ماذا يكون علياً وما ثم إلَّا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلَّا[3] هو.

وقد نقل عن أبي سعيد الخراز[4] أنه قيل له: بماذا عرفت ربك؟

قال: بجمعه بين الأضداد وقرأ قوله:

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5].

أراد بذلك أنه مجتمع[6] في حقه ــ سبحانه ــ، ما يتضاد في حق غيره، فإن المخلوق لا يكون أولاً آخراً، باطناً ظاهراً[7].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه كان يقول: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) ذكر هذا الكلام في كتاب فصوص الحكم لابن عربي من ص ٧ ــ ٧٧.

(٣) (إلَّا) ساقطة من ط، ك.

(٤) هو: أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز، شيخ الصوفية وأحسنهم كلاماً، أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. توفي سنة ٢٨٦هـ.
انظر: شذرات الذهب ١٩٢/٢؛ والبداية والنهاية ٨١/١١.

(٥) سورة الحديد: من الآية ٣.

(٦) في هـ (يجتمع) بدلاً من (مجتمع).

(٧) في هـ (ظاهراً باطناً) تقديم وتأخير.

شيء»(١)، فجاء هذا الملحد(٢) وفسر قول أبي سعيد بأن المخلوق هو الخالق. فقال: قال أبو سعيد، وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف إلَّا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من بطن عنه سواه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عن نفسه، وهو المسمى أبو سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول إنه مسلم: «أنتم كفرتمونا لأجل أن قلنا: إن الله هو المسيح، وشيوخكم يقولون: إن الله هو أبو سعيد الخراز، والمسيح خير من أبي سعيد»(٣).

وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به أنهم أعظم إلحاداً من النصارى.

فيقولون للنصارى: «أنتم خصصتموه بالمسيح، ونحن نقول: هو وجود كل شيء، لا نخص المسيح».

ولهذا قال بعضهم لأحذق هؤلاء «التلمساني»(٤) الملقب بالعفيف: أنت نصيري.

---

(١) انظر:
* صحيح مسلم ــ كتاب الذكر والدعاء ــ باب ١٧ ــ حديث رقم ٦١ ــ عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا ــ الحديث بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٢/٤٠٤ ــ عن أبي هريرة ــ الحديث بلفظه.
* سنن الترمذي ــ دعوات باب ١٣٨/١٩ ــ حديث رقم ٣٤٦٠ ــ عن أبي هريرة الحديث بلفظه.

(٢) يقصد: ابن عربي الطائي.

(٣) أبي سعيد ــ الخراز. راجع الصفحة السابقة هامش (٤).

(٤) **العفيف التلمساني**: سبقت الإشارة إليه ١٨٦/٣.

فقال نصير جزء مني، فإن النصيرية(1) أتباع أبي شعيب «محمد بن نصير» يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح، كذلك سائر الغلاة في علي، أو في أحد من أهل بيته، أو في الإسماعيلية(2) بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر(3)، كالحاكم(4) وغيره،

---

(1) **النصيرية**: لم ينسبوا إلى شيخ، وهم القائلون بإلهية علي ــ رضي الله عنه ــ ويسبون فاطمة ــ رضي الله عنها ــ بنت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بكل قبيح ــ لعنهم الله ــ ويسبون الحسن والحسين ــ رضي الله عنهما ــ ويقولون أن خير الناس عبد الرحمن بن ملجم ــ قاتل علي ــ رضي الله عنه ــ قالوا: لأنه خلص روح اللاهوت من الجسد والتراب، وقد غلبوا على الأردن ومدينة طبرية في زمن متقدم.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٧.

(2) **الإسماعيلية**: هم المنتسبون إلى محمد بن إسماعيل ــ وليسوا على دينه ــ بل قالوا: إنه الذي إليه كتم السر الباطن عندهم ــ الذي أنزل الله ــ تعالى ــ على رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمره بكتمه عن الناس إلَّا عن وصيه وخليفته علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ قالوا: إنه ــ سبحانه ــ أمره أن يختار من أمته أفضلهم ويعلمه شطر ما اطلع عليه من أنوار ذلك العلم، فاختار علياً واستكتمه ألَّا يخرج منه ذلك إلَّا لمن يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٧.

(3) **محمد بن إسماعيل بن جعفر**: هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي الهاشمي إمام عند القرامطة، وترى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، ويقال بأنه مات في فرغانة أو في نيسابور، والقرامطة تعتبره من أهل العزائم. أما الدروز فيطلقون عليه الناطق السابع ويقولون إنه رفع التكاليف الظاهرية ومن الباطنية من يعتقد أنه نبي نسخ شريعة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: منهاج السنَّة؛ وتلبيس إبليس؛ والأعلام للزركلي ٢٥٨/٦.

(4) **الحاكم**: هو منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن العبيدي الفاطمي، أبو علي الحاكم بأمر الله، ويقال له العبيدي، والحاكم بأمره، متقلب غريب الأطوار من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، ولد سنة ٣٧٥هـ بالقاهرة وتولى الحكم وعمره إحدى عشرة =

أو في الحلاج[1]، أو في بعض من الشيوخ الذين يقولون في واحد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به أو حلوله فيه، نظير ما تقوله النصارى في المسيح.

وهؤلاء[2] يقولون بأن الحلول والاتحاد محدث، وأن القديم حل أو اتحد بالمحدث بعد أن لم يكونا متحدين.

وأما أولئك[3] فيقولون بالوحدة المطلقة، فمحققوهم يقولون: إنه وجود كل شيء، لا يقولون باتحاد وجودين، ولا بحلول أحدهما بالآخر.

بل قد يقولون: إن الوجود هو ثبوت[4] وجود الحق، وثبوت الأشياء اتحدا، وكل منهما مفتقر إلى الآخر.

فالحق إذا ظهر كان عبداً، والعبد إذا بطن كان رباً.

ويقولون: إذا حصل لك التجلي الذاتي، وهو هذا، لم تضرك عبادة الأوثان ولا غيرها، بل يصرحون بأنه عين الأوثان والأنداد، وأن

= سنة بعد وفاة أبيه، وأعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧هـ، وقام بدعوته محمد بن إسماعيل الدرزي، وحسن بن حيدرة الفرغاني، وكادا يفشلان، ولكن ظهر حمزة بن علي بن أحمد، فقويت الدعوة به، وكان الحاكم متناقضاً سفاكاً للدماء يمشي وحده أحياناً كثيرة، وكان غالباً ما يركب حماراً، وذاق الناس منه في مدة حكمه بلاءً ومحناً وفتناً، واستهتر في أعوامه الأخيرة إلى أن فقد في إحدى الليالي سنة ٤١١هـ، ويقال أن رجلاً اغتاله غيرة لله وللإسلام، ويقال أن أخته ست الملك دست له من اغتاله، أما أتباعه فيشيعون أنه احتجب وسيعود.

انظر: وفيات الأعيان ٥/٢٩٢؛ والبداية والنهاية ١٢/٩؛ وشذرات الذهب ٣/١٩٢؛

(١) **الحلاج**: سبقت الإشارة إليه ٣/٣٨٦.

(٢) يعني: النصارى.

(٣) يعني: أهل وحدة الوجود.

(٤) في هـ (والثبوت)، وفي ك (هو الثبوت).

أحداً لم يعبد غيره، كما يقول ابن عربي مصوباً لقوم نوح[١] الكفار (ومكروا مكراً كباراً)، قال[٢] لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فإنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية «ادعوا إلى الله» فهذا عين المكر، فأجابوه «مكراً» كما دعاهم «مكراً» فقالوا في مكرهم: «لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سوعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» إذا تركوهم[٣] جهلوا عن الحق على قدر[٤] ما تركوا من هؤلاء.

فإن للحق في كل معبود وجهاً، يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله، كما قال في المحمديين: ﴿**وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلَّا إياه**﴾[٥]، أي حكم[٦] فما[٧] حكم الله بشيء إلَّا وقع. فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصور الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود.

وصوب هذا الملحد فرعون[٨] في قوله: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[٩]

---

(١) **نوح**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٥٧.
(٢) (قال) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (إذا تركوا هؤلاء) بدلًا من (إذا تركوهم).
(٤) في هـ (بقدر) بدلًا من (على قدر).
(٥) سورة الإسراء: من الآية ٢٣.
(٦) (أي حكم) ساقطة من ط، ك.
(٧) في هـ (وما) بدلًا من (فما).
(٨) **فرعون**: كلمة مصرية معناها (البيت الكبير)، وهو لقب لملوك مصر، ومن الفراعنة المذكورين في العهد القديم عدد من بينهم فراعنة إبراهيم ويوسف والتسخير والخروج، والمقصود به هنا فرعون مصر الذي أرسل إليه موسى ــ عليه السلام ــ. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٦، وانظر: قصة موسى في كتب التفسير.
(٩) سورة النازعات: من الآية ٢٤.

قال: ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** أي وإن كان الكل أرباباً بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم.

قال: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك وقالوا له: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (فاقضِ ما أنت قاض) فالدولة لك.

قال: فصح قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) وإن كان فرعون عين الحق.

وصوب أيضاً أهل العجل في عبادتهم العجل، وزعم أن موسى رضي بذلك. فقال: ولما كان موسى أعلم بالأمر من هارون، لعلمه بأن الله قضى أن لا نعبد إلَّا إياه، وما حكم الله[1] بشيء إلَّا وقع، كان[2] عتبه[3] على هارون لإنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل من[4] يراه عين كل شيء.

ومن هؤلاء طائفة لا يقولون بثبوت الأعيان في العدم، بل يقولون ما ثم وجود إلا وجود الحق.

لكن يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون: هو الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة، كالحيوانية الثابتة في كل حيوان، والإنسانية الثابتة في كل إنسان، وهذا الذي يسمى الكلي الطبيعي.

---

(١) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٢) في هـ (وكان) بزيادة (و).

(٣) في ط، ك (عيبه) بدلاً من (عتبه).

(٤) (من) ساقطة من ط.

ويسمون هذا الوجود، الإحاطة فيقولون: هو[1] الوجود المطلق إما بشرط الإطلاق عن كل قيد، وهذا يسمى الكلي العقلي.

وهذا عند عامة العقلاء، لا يوجد إلَّا في الذهن لا في الخارج، ولكن يحكى عن شيعة «أفلاطون»[2] أنهم أثبتوا هذه الكليات[3] المجردة عن الأعيان في الخارج، وقالوا: إنها قديمة أزلية إنسانية مطلقة، وحيوانية مطلقة، ويسمونها المثل الأفلاطونية، والمثل المعلقة.

وقد رد ذلك عليهم إخوانهم «أرسطو»[4] وشيعته، وجماهير العقلاء وبينوا أن هذه إنما هي متصورة في الأذهان لا موجودة في الأعيان، كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة، كالنقطة، والخط، والسطح، والجسم التعليمي ونحو ذلك مما يتصوره الذهن، وليس من[5] ذلك شيء في[6] الموجودات الثابتة في الخارج.

وهذا المطلق بشرط الإطلاق، يظن هؤلاء ثبوته في الخارج[7]، وقد يسمونه الإحاطة، وهو الوجود المجرد عن جميع القيود، ثم بعده الوجود المطلق لا بشرط، وهو العام المنقسم[8] إلى واجب وممكن،

---

(١) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٢) **أفلاطون**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٨٥.

(٣) في ط، ك (الكلمات) بدلاً من (الكليات).

(٤) **أرسطو**: هو أرسطوطاليس بن نيقوب خوس، ولد سنة ٣٨٤ق. م، فيلسوف وحكيم مشهور، تتلمذ على أفلاطون، وله كتب كثيرة في مختلف الفنون من المنطق والطبيعيات والإلّهيات والأخلاق. مات سنة ٣٢٢ق. م.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٦٢.

(٥) في ط، ك (في) بدلاً من (من).

(٦) في ط، ك (من) بدلاً من (في).

(٧) (في الخارج) ساقطة من ط.

(٨) في هـ (والوجود العام المطلق ينقسم) بدلاً من (وهو العام المنقسم).

إلى قديم وحادث ونحو ذلك، كانقسام الحيوان إلى ناطق وأعجم.

وهـذا المطلق لا بشـرط يوجـد في الخارج، فـإن الاسم * المفرد يصدق عليه فيقال هذا حيوان، هذا إنسـان، وإن كان الاسم *[1] العـام شامل لأنواعه وأشخاصه لكن لا يوجد في الخارج إلَّا مقيداً معيناً.

ومن قـال: إنه يـوجـد في الخـارج كليـاً، فقـد غلط، فـإن الكلي لا يكـون كلياً قط إلَّا في الأذهـان لا في الأعيان، وليس في الخـارج إلَّا شيء معين، إذا تصـور منع نفس تصـوره من وقوع الشـركـة فيـه، ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات، فيكون كلياً مشتركاً في الأذهان.

وهؤلاء يجعلون الـوجود الـواجب هذا، وقـد يجعلونه بعـد هـذا، فيقولون: هذا فرق الواجب.

وهذا الوجود الكلي إذا قيل: إنـه لا يوجـد في الخارج إلَّا معينـاً، فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخَّصة، بما فيها من الصفات القائمة بها.

وإن قـدر وجوده في الخـارج، فهو إمـا جزء من المعينـات، وإمـا صفة لها.

فعلى الأول، لا يكـون في الخارج مـوجود هـو رب المـوجـودات المعينة.

وعلى الثاني يكون رب الموجودات جزءها أو صفة لها.

ومعلوم بصـريـح العقـل أن صفـة الشيء القـائمـة بـه، لا تخلق

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.

الموصوف وأن جزء الشيء لا يخلق الشيء، بل جزء الشيء، جزء[1] من الشيء.

فإذا كان هو الخالق للجملة، كان خالقاً لنفسه، وكان بعض الشيء[2] خالقاً لكله.

ومن هؤلاء من يقول: إن الرب في العالم كالزبد في اللبن، والدهن في السمسم ونحو ذلك، فيجعلونه جزءاً من العالم المخلوق[3]. ونفس تصور هذا يكفي في العلم بفساده.

لكن هؤلاء يقولون: لمن تبعهم[4] إن لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي[5] الذي حصل لنا، ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل.

فقلت لبعضهم: إن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه[6] أكمل الناس كشفاً، وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

فمن دونهم إذا أخبر عن شهود وكشف، يعلم بصريح العقل بطلانه علم أن كشفه باطل.

وأما إن كان لم يعلم بطلانه، فهذا قد يمكن فيه[7] إصابته، وقد

---

(١) في هـ (بعض) بدلاً من (جزء).
(٢) في ط (شيء) بسقوط (ال).
(٣) (المخلوق) ساقطة من هـ .
(٤) (لمن تبعهم) ساقطة من ط، ك.
(٥) (التجلي) ساقطة من ط، ك.
(٦) (وسلامه) ساقطة من ط، ك.
(٧) (فيه) ساقطة من ط، ك.

يمكن خطؤه، لأن غير الأنبياء ليس بمعصوم[1].

وهؤلاء سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته، فوقفوا على أثره في مصنوعاته، فظنوا أنه هو، كمن سمع بالشمس، فلما أن رأى الشعاع المنبسط في الهواء والأرض، ظن أن ذلك هو الشمس، ولم يصعد بصره وبصيرته إلى الشمس التي في السماء.

وكذلك هؤلاء لم تصمد بصائر قلوبهم إلى رب العالمين، الذي فوق كل شيء، المباين لمخلوقاته.

وسر ذلك، أنهم يشهدون بقلوبهم وجوداً مطلقاً بسيطاً، ليس له اسم خاص، كالحي، والعليم، والقدير. ولا له صفة، ولا يتميز[2] فيه شيء عن شيء، وهذا هو الوجود المشترك.

لكن هذا الشهود هو في نفوسهم، لا حقيقة له في الخارج، وكثير ممن يخاطبهم لا يتصور ما يشهدونه، فيظنون أنه لم يفهم ما شهدوه.

وقد خاطبت غير واحد منهم، وبينت له أن هذا الذي يشهدونه هو في الذهن، وبتقدير أن يكون موجوداً في الخارج، فهو صفة للموجودات، أو جزء منها، ويظنون مع ظنهم أنه موجود في الخارج، أنه لم يبق في الخارج غير ما شهدوه، فإنهم يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون عقولهم عن تصورها، حتى لا يميزوا بين موجود وموجود، ويقولون: الحس فيه تفرقة، ثم[3] يشهدون هذا الوجود

---

(١) في هـ (لم يكن معصوماً) بدلاً من (ليس بمعصوم).
(٢) في هـ (تمييز) بدلاً من (يتميز).
(٣) في هـ (لم) بدلاً من (ثم).

المطلق مع عزلهم الحس، فيظنون أن هذا المطلق هو نفس المعينات، وأنه ما بقي موجوداً أصلاً.

فيقال لهم: لو قدر أن الوجود الكلي ثابت في الخارج كلياً، وأنكم شهدتم ذلكِ، فمعلوم عند كل عاقل أن وجود[1] الكلى المشترك، لا يناقض وجود المعين المختص.

فالحيوانية، والإنسانية المشتركة المطلقة، لا تناقض أعيان الحيوان وأعيان الإنسان، وحينئذ فثبوت أعيان الموجودات حاصل في الخارج.

وهب أنكم غبتم عن هذا ولم[2] تشهدوه، فالغيبة عن شهود الشيء لا يوجب عدمه في نفسه.

فإذا لم يشهد العبد الشيء، أو لم يرده، أو لم يعلمه، أو لم يخطر بقلبه[3] أو فنى عن شهوده، أو اصطلم، أو غاب، لم يلزم من ذلك أن يكون الشيء صار في نفسه[4] معدوماً فانياً لا حقيقة له، بل الفرق ثابت بين أن يعدم الشيء في نفسه ويفنى ويتلاشى، وبين أن يعدم شهود الإنسان له وذكره ومعرفته.

وهؤلاء[5] ـ من ضلالهم ـ يظنون أنه إذا فنى شهودهم للموجودات، كانت فانية في أنفسها[6]، فلم يكن[7] موجوداً إلَّا

---

(١) في هـ (الوجود) بزيادة (ال).
(٢) في هـ (لم) بسقوط (و).
(٣) في هـ (عليه) بدلاً من (بقلبه).
(٤) في هـ (في نفسه صار) بزيادة (صار).
(٥) يقصد أهل وحدة الوجود.
(٦) في هـ (نفسها) بدلاً من (أنفسها).
(٧) (يكن) ساقطة من ك.
في هـ (يبق) بدلاً من (يكن).

ما تخيلوه[1] من الوجود المطلق.

ويقولون: الكثرة والتفرقة[2] في الحس، فإذا فنى شهود القلب عن الحس، لم يبق تفرقة ولا كثرة، ويظنون أن شهود الحس حينئذ خطأ، والعقل هو الذي يشهد الكليات، والمطلقات دون الحس، فإذا أبطلوا ما شهده الحس لم يبق معهم إلّا الوجود الكلي.

ثم يظنون ــ مع ذلك ــ أنه هو الله، فيبقى الرب ــ عندهم ــ وهماً وخيالاً في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهم وهو التستري[3] صاحب ابن سبعين[4] (وهمك هو بتشخيص ما تحته

---

(١) في ط (ما يخيلونه) بدلاً من (تخيلوه). (٢) في هـ (التفرقة والكثرة).

(٣) في ط، ك (الششتري) بدلاً من (التستري).

التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عبد الله التستري العابد الزاهد المشهور لقي ذا النون المصري بمكة المكرمة، ولد بتستر من بلاد الأهواز سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ بالبصرة وقد تخرج على خاله محمد بن سوار وكان متصوفاً له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، قال صاحب شذرات الذهب طريقة سهل تشبه طريق الملامتية.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٤٢٩؛ وحلية الأولياء ١٠/١٨٩؛ وشذرات الذهب ٢/١٨٢؛ والبداية والنهاية ١١/٧٤.

(٤) **ابن سبعين**: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي أبو محمد من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد في مرسيلية بالأندلس سنة ٦١٤هـ ودرس العربية والأداب بها وانتقل إلى سبتة وحج مراراً واشتهر أمره وكفره كثير من الناس، وقال الذهبي عنه اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي، وأعظم من هذا قوله في الله ــ تبارك وتعالى ــ (إنه حقيقة الموجودات) وله مؤلفات كثيرة منها الحروف الوضعية في الصور الفلكية وشرح كتاب إدريس ــ عليه السلام ــ، وقد فصد بمكة، فترك الدم ينزف منه حتى مات سنة ٦٦٩هـ.

انظر: فوات الوفيات ٢/٢٥٣؛ والبداية والنهاية ١٣/٢٦١؛ وشذرات الذهب ٥/٣٢٩.

شيء)[1]، وقال:

ترى[2] الوجود واحداً[3] وأنت ذاك   وليس عليك زائد ما ثم سواك[4]

وقلت لبعض حذاقهم: هب أن هذا الوجود المطلق ثابت في الخارج وأنه عين الموجودات المشهودة، فمن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وكل شيء؟

فاعترف بذلك وقال: هذا ما فيه حيلة.

والحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره وإلَّا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور[5]، والمبرسم[6]، وغيرهم، ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه.

والبهائم قد تكون أهدى من هؤلاء، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[7].

---

(١) هذا الكلام نسبه الشيخ إلى التستري، وقد بحثنا عنه فلم نهتد إليه.

(٢) في ط، ك (يرى) بدلاً من (ترى).

(٣) في ط، ك (واحد) بدلاً من (واحداً).

(٤) هذا البيت جزء لم نعثر عليه.

(٥) **الممرور**: الذي غلبت المرة، وهي إحدى الطبائع والأمزجة البدنية، لسان العرب ٣/٤٦٦.

(٦) **المبرسم**: قال في مختار الصحاح للرازي «البرسام علة معروفة وقد برسم الرجل فهو مبرسم» ص ٤٨. والذي نعرفه أن البرسام نوع من الجنون أو نحوه. والله أعلم.

(٧) سورة الأعراف: الآية: ١٧٩.

وهؤلاء يصرحون برفض السمع والعقل، فدخلوا في قوله:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

ويلزمون أنفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع، فلهذا[2] يقول أحذقهم التلمساني:

فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً ... فيها وقل لزوال العقل لا تزل

واصمت إلى أن تراها فيك ناطقة ... فإن وجدت لساناً قائلاً فقل[3]

وهؤلاء، لبسط الكلام عليهم موضع آخر.

والمقصود ـ هنا ـ أن النصارى زعموا أن اللاهوت محتاج إلى ما اتحد به من الناسوت، وهؤلاء زعمّوا أن رب العالمين محتاج إلى كل ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم.

فإن كل من قال: إن رب العالمين اتحد بغيره، فكل من المتحدين مفتقر إلى[4] الآخر، مع استحالة كل منهما، وتغير حقيقته، ولا[5] كذلك الحلول المعقول، فإن الحلول لا يعقل إلَّا إذا كان الحال قائماً بالمحل[6] محتاج إليه، سواء أريد بذلك حلول الصفات والأعراض في الموصوفات والجواهر، أو أريد به حلول الأعيان.

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٤٤.

(٢) في هـ (ولهذا) بدلاً من (فلهذا).

(٣) هذه الأبيات: نسبها المؤلف للتلمساني.
ولم نعثر على مكانها بالرغم من شدة البحث.

(٤) في ط (عليه) بدلاً من (إلى).

(٥) (لا) ساقطة من هـ.

(٦) (والقائم بالمحل) ساقطة من ط، ك.

فإن كون أحد الجسمين محلاً للآخر، كحلول الماء في الظرف، هو يوجب افتقاره إليه.

وما يحل في قلوب المؤمنين من معرفة الرب والإيمان به، هو قائم بقلوبهم محتاج إليه.

وكذلك ما يثبته[1] الفلاسفة من الهيولي[2] والصورة[3]، ويقولون: إن الهيولي محل للصورة، ويعترفون[4] ـ مع ذلك ـ بأن الصورة محتاجة إلى الهيولي.

والقائلون بوحدة الوجود، قد يجعلون الخالق مع المخلوقات كالصورة مع الهيولي، «كما يشير إليه ابن سبعين»[5] ويقول[6] هو في الماء ماء، وفي النار نار، وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء، كما قد[7] بسط الكلام على هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب[8].

وإذا قالوا: إن الرب حل في المسيح، كما حل في غيره، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم، حيث قالوا: أنت تحل في قلوب القديسين[9]، فقد عرف أن هذا حلول الإيمان به ومعرفته وهداه

---

(١) في هـ (تثبته) بدلاً من (يثبته).

(٢) **الهيولي**: كلمة يونانية يراد بها المادة الأولى وهي كل ما يقابل الصورة.
انظر: المعجم الفلسفي ص ٢٠٨؛ والموسوعة العربية الميسرة ص **١٩٣٣**.

(٣) **الصورة**: مصطلح فلسفي يراد به ما يقابل المادة.
انظر: المعجم الفلسفي ص ١٠٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص **١١٣٦**.

(٤) في هـ (يعترفون) بسقوط (و).

(٥) (كما يشير إليه ابن سبعين) ساقطة من هـ.

(٦) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول).

(٧) في هـ (وقد) بدلاً من (كما قد).

(٨) (الكتاب) ساقطة من هـ.

(٩) لم نعثر على هذا النص في مزامير داود، ولا في العهد القديم.

ونوره والمثال العلمي، كما قد بسط في موضع آخر، ولهذا يسمى ظهوراً والشعاع الحال على الأرض والهواء، عرض قائم بذلك، وهو مفتقر إلى الأرض والهواء.

والرسل ــ صلوات الله عليهم ــ، أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوعة، تارة يقولون: هو العلي وهو الأعلى، وتارة يقولون: هو في السماء كقوله:

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ ﴾(١).

وليس مرادهم بذلك أن الله في جوف السماوات، أو أن الله يحصره شيء من المخلوقات، بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضاً، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

وثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأن الآخر فليس بعدك شيء و»(٤) أنت

---

(١) سورة الملك: الآية ١٧.
(فإذا هي تمور) ساقطة من ط، ك.
(٢) سورة الصافات: الآيات ١٨٠، ١٨٢.
(٣) سورة الحديد: من الآية ٣.
(٤) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[1]، فأخبر أنه لا يكون شيء فوقه.

ولهذا قال غير واحد من أئمة[2] السلف: إنه ينزل إلى السماء[3] الدنيا، ولا يخلو العرش منه، فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط، بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق، فلا يكون الرب إلَّا عالياً عليه.

وقول الرسل «في السماء» أي في العلو، ليس مرادهم أنه في جوف الأفلاك بل السماء العلو، وهو إذا كان فوق العرش، فهو العلي الأعلى وليس هناك مخلوق، حتى[4] يكون الرب محصوراً في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة، بل ليس موجوداً إلَّا الخالق والمخلوق، والخالق بائن عن مخلوقاته، عال عليها، فليس هو في مخلوق أصلاً، سواء سمى ذلك المخلوق جهة أو لم يسم جهة.

ومن قال: إنه في جهة موجودة تعلو عليه، أو تحيط به، أو يحتاج إليها بوجه من الوجوه، فهو مخطىء.

كما أن من قال: ليس فوق السماوات رب، ولا على العرش إله، ومحمد لم يُعرج به إلى ربه، ولا تصعد الملائكة إليه، ولا تنزل الكتب منه، ولا يقرب منه شيء، ولا يدنو إلى شيء، فهو أيضاً مخطىء.

ومن سمى ما فوق العالم جهة، وجعل العدم المحض جهة، وقال

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في ٣/ ٤٩١.

(٢) (أئمة) ساقطة من ط، ك.

(٣) في ط، ك (سماء) بسقوط (ال).

(٤) (حتى) ساقطة من هـ.

هو في جهة ـ بهـذا المعنى ـ أي هو نفسـه فوق كـل شيء، فهذا معنى صحيح.

ومن نفى هذا المعنى بقوله: ليس في جهة فقد أخطأ.

بـل طريق الاعتصـام أن ما أثبتـه الرسـل لله، أثبت لـه، ومـا نفتـه الرسل[1] عن الله، نفى عنه.

والألفـاظ التي لم تنـطق[2] الـرسـل فيهـا بنفي، ولا إثبـات كلفظ «الجهة» «والحيز» ونحو ذلك لا يطلق نفياً، ولا إثباتاً إلَّا بعد بيان المراد.

فمن أراد بمـا أثبت معنى صحيحاً، فقـد أصاب في المعنى، وإن كان في اللفظ خطأ.

ومن أراد بمـا نفاه معنى صحيحـاً، فقـد أصـاب في المعنى، وإن كان في لفظه خطأ.

وأمـا من أثبت بلفظه حقـاً وباطـلاً، أو نفى بلفظه حقـاً وبـاطـلاً، فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق، مخطىء فيما عناه من الباطـل، قد لبس الحق بالباطل، وجمع في كلامه حقاً وباطلاً.

والأنبياء كلهم متطابقون على أنه في العلو.

وفي القـرآن والسنة مـا يقـارب ألف دليـل على ذلـك، وفي كـلام الأنبياء المتقدمين ما لا يحصى.



(١) (الرسل) ساقطة من هـ.
(٢) في هـ (ينطق) بدلاً من (تنطق).

فصل

قال سعيد بن البطريق[١]: وذلك مثل ما أن الشعاع المولود من عين الشمس، الذي يملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره، من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً[٢]، لأنه لم ينقطع من العين، ولا من الضوء، فكذلك سكن الله[٣] في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، فهو مع الناسوت، وهو مع الأب وروح القدس حقاً[٤].

فيقال[٥]: هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح، فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول: إنه بذاته في كل مكان، كشعاع الشمس، الذي يظهر في الهواء والأرض.

وأما النصارى، فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ولو مثل[٦] بهذا من يقول: إنه بذاته في كل مكان، لكان باطلاً، فكيف النصارى؟ فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطوح الأرض، لا يكون تحت السقوف، والغيران وباطن الأرض.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٦٣.
(٢) (حقاً) ساقطة من هـ.
(٣) في نظم الجوهر ١/١٦٣ (ابن الله) بدلاً من (الله).
(٤) انتهى كلام ابن البطريق.
(٥) هذا جواب ابن تيمية.
(٦) في هـ، ك (قال) بدلاً من (مثل).

ثم هذا التمثيل[1] باطل من وجوه:

أحدها: أن الشعاع ليس متولداً من جرم الشمس، ولا شعاع النار متولد من جرم النار، بل هو حادث بائن عن جرم الشمس، ولكنها سبب في حصوله.

ولهذا يشبه به العلم الحاصل في قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم.

ولهذا يشبه علم العالم بالسراج الذي يقتبس كل أحد من نوره، وهو لم ينقص.

بخلاف تولد المولود عن والده، فإنه متولد من عينه.

والشعاع القائم بالهواء والأرض، ليس هو قائماً بذات الشمس والنار، بل هو عرض قائم بمحل آخر، والعرض الواحد لا يكون في محلين.

والنصارى يقولون: إن الكلمة التي هي علم الله أو حكمته، متولدة منه، وهي قديمة أزلية، والصفة قائمة بالموصوف، فالصفة مثل ما يقوم بذات الشمس من استدارة وضوء، فذاك صفة لها، وهو غير الشعاع القائم بالهواء، فإن ذاك بائن عنها، فكيف يجعل هذا هو هذا؟

فإن قالوا: نحن مقصودنا أن حكمة الله وعلمه ونوره أنزله إلى المسيح وأفاضه على المسيح، كما يفيض الشعاع عن الشمس.

قيل لهم: فهذا قدر مشترك بين المسيح وسائر الأنبياء، فلا اختصاص للمسيح بذلك.

---

(١) في هـ، ك (تمثيل) بسقوط (الـ).

الوجه الثاني: قولهم: الذي يملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه حقاً من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً.

فيقال لهم: الشعاع الذي بين السماء والأرض، هو الضوء، وهو النور.

فقولكم: إن الشعاع يملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض نوراً، يقتضي أنه شعاع، وضوء شعاع، ونور حدث[1] عن ذلك، وهذا غلط، بل ليس هنا إلَّا جرم الشمس، التي في السماء وشعاعها، وهو الضوء والنور الذي ما بين السماء والأرض.

الثالث: قولكم: «من غير مفارقة عين الشمس» يقتضي أن هذا الشعاع هو نفس ما قام بالشمس، وهذا مكابرة للحس والعقل، بل الشعاع الذي قام بالهواء والأرض، عرض لم يقم بالشمس فقط.

وكل شعاع بقعة، فليس هو عين الشعاع الذي في البقعة الأخرى، وإن كان هو نظيره ومثله، وجنس الشعاع يجمعهما، كما أن شعاع هذا السراج، ليس هو شعاع هذا السراج وإن قدر اختلاطهما حتى يقوى[2] الضوء، ولا حركة هذا الهواء هي حركة هذا الهواء، ونظائر ذلك متعددة.

الرابع: قولكم: «كذلك الله سكن في الناسوت[3] من غير أن يفارقه الأب» تمثيل باطل.

---

(١) في هـ، ك (صدر) بدلاً من (حدث).

(٢) في هـ، ك (يرى) بدلاً من (يقوى).

(٣) في هـ (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت).

فـإن الشمس نفسهـا لم تكن في الهــواء والأرض، وإنمــا سكن شعاعها.

فـوزانه أن يقـال[1]: فكذلـك سكن نـور الله وبـرهـانـه، وهـداه، وروحه.

وهـذا إذا قلته، فهـو منقول عن الأنبيـاء، تنطق كتبهم بـأن نور الله وروحه وهداه في قلوب المؤمنين، لكن لا اختصاص للمسيح بذلك.

قال الله ــ تعالى ــ:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[2].

قال أبـي بن كعب[3]: مثل نوره في قلب المؤمن[4].

وفي التـرمـذي عن أبـي سعيـد[5]، عن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أنـه قال: «اتقـوا فراسـة المؤمن، فإنـه ينظر بنـور الله»، ثم قـرأ قوله:

---

(١) في هـ، ك (يقول) بدلاً من (يقال).

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٣) في هـ (أبـي بن أبـي كعب).

أبـي بن كعب: هـو أبـي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيـد بن معاويـة بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخـزرجي، صحابـي جليـل شهد بـدراً وما بعـدها وكـان ــ رضي الله عنه ــ ممن جمع القرآن الكريم، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنـة عشرين، وقيل اثنتين وعشرين، وقيل ثلاثين من الهجرة.

انظر: تهذيب التهذيب ١/١٨٧؛ وأسد الغابة ١/٤٩.

(٤) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه ٣/١٤٥.

(٥) **أبـي سعيد الخدري**: سبق التعريف به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1].

الخامس: إنكم إذا جعلتم الله نفسه ساكناً في المسيح، فوزانه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض.

وهذا التمثيل يبطل قولكم: (إن الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر)[2]، والله أجل وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمس آية من آياته، ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إن الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم، أو الجنون، وسواء قال: إن الشمس نفسها نزلت أو لم تنزل.

وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم ـ كالملكية واليعقوبية ـ: إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائل عما هو من أصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة: إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدعي مثل ذلك في رب العالمين؟

وإذا قالوا: إن الله نزل إلى السماء الدنيا، أو نزل إلى الطور وكلم موسى من العليقة، أو في عمود الغمام ونحو ذلك، فليس في شيء من

---

(١) سورة الحجر: من الآية ٧٥.
انظر: الحديث في سنن الترمذي ـ كتاب التفسير ـ سورة الحجر ـ حديث رقم ٥١٣٣ ـ عن أبي سعيد الخدري.
وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٣/ ١٤٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من هـ، ك.

ذلك أنه اتحد بمخلوق، لا سماء، ولا طور، ولا شجرة، ولا كان كلامه قائماً بشيء مخلوق، لا شجرة ولا غيرها.

وعندهم أنه اتحد بالمسيح، وكان صوت المسيح القائم به، هو صوت رب العالمين بلا واسطة.



فصل

الردّ على تشبيه النّصارى حلول كلمة الله في الناسوت بالكتابة في القرطاس

قال سعيد بن البطريق[١]: ومثلما أن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت، ولا يفارقها العقل الذي ولدها، لأن العقل بالكلمة يعرف، لأنها فيه، والكلمة كلها في[٢] العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به، فكذلك كلمة الله، كلها في الأب الذي ولدت منه، وكلها في نفسها وفي الروح، وكلها في الناسوت التي حلت فيها والتحمت بها[٣].

فيقال[٤]: هذا التمثيل حجة عليكم، وعلى فساد قولكم، لا حجة لكم، وذلك يظهر بوجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان حلول كلمة الله ـ التي هي المسيح ـ في الناسوت، مثل كتابة الكلام في القرطاس، فحينئذٍ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله، كالتوراة، وزبور داود، والإنجيل، والقرآن، وغير ذلك، فإن هذا كله كلام الله، وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل

(١) في هـ، ك (بطريق) بسقوط (الـ).
انظر: تاريخ سعيد بن البطريق (نظم الجوهر) ١/١٦٣.
(٢) في هـ (من) بدلاً من (في).
(٣) (بها) ساقطة من هـ.
وانتهى كلام ابن البطريق.
(٤) هذا جواب ابن تيمية.

الملل، بل الخلق كلهم متفقون على أن كلام كل متكلم يكتب في القراطيس، وقد قال ـ تعالى ـ في القرآن:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[2].

وقال:

﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[3].

وقال:

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾[5].

وإذا كانت الكلمة التي هي[6] المسيح عندكم هكذا، فمعلوم أن كلام الله المكتوب في القراطيس، ليس هو إلّهاً خالقاً، وهو كلام كثير، لا ينحصر في كلمة، ولا كلمتين.

ولو قال قائل: يا كلام الله اغفر لي وارحمني، أو يا توراة،

---

(١) سورة البروج. الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) سورة البينة: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة عبس: الآيات ١١ ـ ١٦.
في هـ، ك (إنه تذكرة) بدلاً من (إنها تذكرة).

(٥) سورة الطور: الآيات ١ ـ ٣.

(٦) في هـ، ك (الذي هو) بدلاً من (التي هي).

أو يا إنجيل، أو يا قرآن اغفر لي وارحمني، كان قد تكلم بباطل عند جميع أهل الملل والعقلاء.

وأنتم تقولون: المسيح إلّه خالق، وهو يدعى ويعبد، فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس؟

الثاني: أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم، يقوم[1] به[2] ويكتب[3] في القراطيس[4] عند سلف أهل الملل وجماهيرهم.

وعند بعضهم، هو عرض مخلوق، يخلقه في غيره[5].

فالجميع متفقون، على أن الكلام صفة تقوم بغيرها، ليس[6] جوهراً قائماً بنفسه.

والمسيح ـ عندكم ـ لاهوته جوهر قائم بنفسه، وهو إلّه حق من إلّه حق وهو ـ عندكم[7] ـ إلّه تام وإنسان تام.

فكيف تجعلون الإلّه الذي هو عين قائمة بنفسها، كالصفة التي لا تقوم إلَّا بغيرها.

الثالث: قولكم: «إن كلمة الإنسان مولودة من عقله» لو كان صحيحاً فالتولد لا يكون إلَّا حادثاً.

وأنتم تقولون: إن كلمة الله القديمة الأزلية، متولدة منه قبل

---

(١) في هـ (تقوم) بدلاً من (يقوم).
(٢) (به) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (تكتب) بدلاً من (ويكتب).
(٤) في ك. هـ (القرطاس) بدلاً من (القراطيس).
(٥) يشير إلى مذهب المعتزلة بهذا الكلام.
(٦) في هـ، ك (ليس صفة) بزيادة (صفة).
(٧) (عندكم) ساقطة من هـ.

الدهور، وتقولون ــ مع هذا ــ هي إلَه[1].

وهذا كما أن بطلانه معلوم بصريح العقل، فهي بدعة وضلالة[2] في الشرع، فإنه لم يسم أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله ابناً له، ولا قال: إن صفته متولدة منه، ولفظ «الابن» لا يوجد عندكم عن الأنبياء إلَّا اسماً لناسوت مخلوق، لا[3] لصفة الله القديمة، فقد بدلتم كلام الأنبياء بهذا الافتراء.

الرابع: قولكم «مولودة من عقله» إن أردتم «بعقله» العين القائمة بنفسها التي يسميها[4] قلباً وروحاً ونفساً، أو نفساً ناطقة، فتلك إنما تقوم بها المعاني، وأما الألفاظ فإنما تقوم بفمه ولسانه.

وإن أردتم «بعقله» مصدر عقل يعقل عقلاً، فالمصدر عرض قائم بالعقل، وهو عرض[5] من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح.

وإن أردتم بالعقل، الغريزة التي في الإنسان، فهو أيضاً عرض.

الخامس: أن تسميتكم تكلم الإنسان بالمعنى أو اللفظ تولداً، أمر اخترعتموه، لا يعرف عن نبي من الأنبياء، ولا أمة من الأمم، ولا في لغة من اللغات.

وإنما ابتدعتم هذا لتقولوا: إذا كان كلام الإنسان متولداً منه، فكلام الله متولد منه.

ولم ينطق أحد من الأنبياء بأن كلام الله تولد منه، ولا أنه ابنه ولا أن علمه تولد منه، ولا أنه ابنه.

---

(١) في هـ (هذا) بدلاً من (إلَه).

(٢) في هـ (وضلال) بدلاً من (وضلالة).

(٣) في ط (ولا) بزيادة (و).

(٤) في هـ (تسميها) بدلاً من (يسميها).

(٥) (عرض) ساقطة من هـ، ك.

السادس: قولكم: «إن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في القرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً، من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت»، إلى قولكم: «الكلمة كلها في العقل الذي ولدها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به «مكابرة ظاهرة معلومة الفساد بصريح العقل، فإن وجود الكلام في القلب واللسان، ليس هو عين وجوده مكتوباً في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان: طلب، وخبر، وعلم، وإرادة، والقائم بنفسه، حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة، أو هي حدود أصوات مقطعة، وليس في قلب الإنسان ولا فمه، مداد كالمداد الذي في القرطاس.

والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء، مع علمهم بأنه ليس في القرطاس علم وطلب وخبر قائم به، كما تقوم[1] بقلوب المتكلم، ولا قام به أصوات مقطعة مؤلفة، ولا[2] حروف[3] كالأصوات القائمة بفم المتكلم، بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب: إما المداد المصور، وإما صورة المداد وشكله. ويقال على الحرف المنطوق: إما الصوت المقطع، وإما حد الصوت ومقطعة وصورته.

وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم، وبين المداد المرئي بالبصر، ولا يقول عاقل: إن هذا هو هذا، ولا يقال: إن هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم، فكيف تقولون[4]: إن الكلمة في القرطاس كلها، وكلها في العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها؟

---

(١) في هـ (يقوم) بدلاً من (تقوم).
(٢) (ولا) ساقطة من هـ، وممحوة من ك.
(٣) في سائر النسخ (حروفاً) ومن المفروض أن تكون (حروف).
(٤) في ط (يقولون) بدلاً من (تقولون).

السابع: أن حرف «في» التي يسميها النحاة ظرفاً، يستعمل في كل موضع بالمعنى المناسب لذلك الموضع.

فإذا قيل: إن الطعم واللون والريح، حال في الفاكهة، أو العلم والقدرة، والكلام حال[1] في المتكلم، فهذا معنى معقول.

وإذا قيل: إن هذا حال في داره، أو إن الماء حال في الظرف فهذا معنى آخر.

فإن ذاك حلول صفة في موصوفها، وهذا حلول عين قائمة، تسمى جسماً وجوهراً، في محلها، ومنه يقال لمكان القوم: المحلة، ويقال: فلان حل بالمكان الفلاني.

وإذا قيل: الشمس والقمر في الماء، أو في المرآة، أو وجه فلان في المرآة، أو كلام فلان في هذا القرطاس، فهذا له معنى يفهمه الناس، يعلمون أنه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه في المرآة، ورؤيت فيها، وأنه لم يحل بها ذات ذلك، وإنما حل فيها مثال شعاعي عند من يقول ذلك.

وكذلك الكلام إذا كتب في القرطاس، فالناس يعلمون أنه مكتوب فيه ومقروء فيه، ومنظور فيه، ويقولون: نظرت في كلام فلان وقرأته وتدبرته وفهمته ورأيته ونحو ذلك، كما يقولون: رأيت وجهه في المرآة وتأملته ونحو ذلك.

وهم ــ في ذلك كله صادقون ــ يعلمون ما يقولون، ويعلمون أن نفس جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل في المرآة، وأن نفس ما قام به من المعاني والأصوات لم تقم[2] بالقرطاس، بل كانت المرآة واسطة

(١) (حال) ساقطة من هـ.
(٢) في هـ (يقم) بدلاً من (تقم).

في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية، وكان القرطاس واسطة في معرفة الكلام، فهو المقصود بالرؤية[1]، ويعلمون أن حاسة البصر باشرت ما في المرآة من الشعاع المنعكس، ولكن المقصود بالرؤية، هو[2] الشمس، وحاسة البصر باشرت ما في القرطاس من المداد المكتوب، ولكن المقصود بالرؤية هو[2] الكلام المكتوب.

ويعلمون أن نفس المثال الذي في المرآة ليس هو الوجه، وأن نفس المداد المكتوب به، ليس هو الكلام المكتوب، بل يفرقون بينهما كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[3].

ففرق ــ سبحانه ــ بين الكلمات وبين المداد، الذي يكتب به الكلمات.

فكيف يقال: إن هذا هو هذا، وأن الكلمة في القرطاس كلها وهي في المتكلم كلها؟

الثامن: أن الكلام له معنى في المتكلم، يعبر عنه بلفظه، واللفظ يكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى، لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب.

فدعوى هؤلاء أن نفس المعنى الذي في القلب كله، هو في القرطاس كله جعل لنفس المعنى هو الخط، وهذا باطل.

---

(١) في ط (بالرؤية وكان) بزيادة (وكان).

(٢) (هو) ساقطة من هـ.

(٣) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

التاسع: أنه لا ريب أن كلام المتكلم يقال: إنه قائم به.

ويقال ـ مع ذلك ـ إنه مكتوب في القرطاس، ويقال: هذا هو كلام فلان بعينه، وهذا هو ذاك، ونحو ذلك من العبارات التي تبين[1] أن هذا المكتوب في القرطاس، هو هذا[2] الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه، لم يزد فيه ولم ينقص، لم يكتب كلام غيره.

ولا[3] يريدون بذلك أن نفس الخط نفس الصوت، أو نفس المعنى. فإن هذا لا يقوله عاقل.

فإن قيل: ففي المسلمين من يقول: إن كلام الله القديم الأزلي، أو كلام الله، الذي ليس بمخلوق، هو حال في الصدور والمصاحف من غير مفارقة.

ومن هؤلاء من يقول: إنه يسمع من الإنسان الصوت القديم، أو الصوت الذي ليس بمخلوق.

ومنهم من يقول: إن الحرف القديم، أو الذي ليس بمخلوق، هو في القرطاس، وحكى عن بعضهم أنه يقول ذلك في المداد.

ومن هؤلاء من يقول: إن القديم حل في المصحف ونحو ذلك.

فتقول النصارى: نحن مثل[4] هؤلاء.

قيل: **الجواب من وجوه**:

أحدهما: أن المقصود بيان الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل

---

(١) في ط (تتبين) بزيادة (تـ).

(٢) (هذا) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ، ك (لا) بسقوط (و).

(٤) (مثل) ساقطة من ط.

به كتبه، والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم.

ونحن لا ننكر أن في المنتسبين إلى الإسلام طوائفاً[1]، منهم منافقون ملحدون وزنادقة، ومنهم جهال ومبتدعة[2]، ومنهم من يقول مثل قول النصارى، ومنهم من يقول شراً منه، فالرد على هؤلاء كلهم، والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنَّة رسوله.

وما اجتمع عليه عباده المؤمنون. فهذا لا يكون إلَّا حقاً، وما تنازع فيه المسلمون، ففيه حق وباطل.

الوجه الثاني: أن يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ما قالوه، ليس قولهم مثل قول النصارى.

فإن النصارى جعلوا للَّه ولداً قديماً أزلياً سموه «كلمة» وقالوا: إنه إلٰه يخلق ويرزق، وإنه اتحد بالمسيح، فجعلوا المسيح ـ الذي هو الكلمة عندهم ـ إلٰهاً يخلق ويرزق.

وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول: إن كلام الله إلٰه يخلق ويرزق.

ولكن محمد وغيره من الرسل، ـ عليهم السلام[3] ـ، بلغوا إلى الخلق كلام الله الذي تكلم به.

فكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلام الله، هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله وأرسل به ملائكته، ليس هو مخلوقاً بائناً عنه خلقه في غيره.

---

(١) (طوائفاً) ساقطة من ط.

(٢) في ط، ك (مبتدعة) بسقوط (و).

(٣) (عليهم السلام) ساقطة من هـ، ك.

ويقولون: إن هذا القرآن هو كلام الله، الذي بلغه رسوله، والمسلمون يقرؤونه، ويسمع من القارىء كلام الله، لكن يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم، ويسمعونه من القارىء الذي يقرؤه بصوت نفسه، فالكلام كلام البارىء، والصوت صوت القارىء.

ويقولون: إن الله تكلم به، وكلم به موسى، وأن موسى سمع نداء الله بأذنه فكلمه الله بالصوت الذي سمعه موسى، كما بين ذلك في كتب الله، القرآن، والإنجيل[1]، والتوراة وغير ذلك.

فحدث بعد الصحابة، وأكابر التابعين طائفة معطلة يقولون: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، فقتل المسلمون مقدمهم «الجعد»[2] وصار لهم مقدم يقال له «الجهم»[3] فنسبت إليهم الجهمية[4]، نفاة الأسماء والصفات.

تارة يقولون: إن الله لم يتكلم ولم يكلم موسى، وإنما أطلق ذلك مجازاً.

---

(١) (الإنجيل) ساقطة من هـ، ك.

(٢) **الجعد**: الجعد بن درهم من الموالي كان مؤدباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولكنه أظهر القول بخلق القرآن بعد أن أخذه عن أبان بن سمعان اليهودي، قال عنه الذهبي: مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وكان الجعد زنديقاً شهد عليه الناس بذلك وطلبه الخليفة هشام بن عبد الملك وسيره إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراق فقتله في عيد الأضحى سنة ١١٨هـ أمام الناس بعد أن قال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبحه.
انظر: ميزان الاعتدال ١/٣٩٩؛ والبداية والنهاية ٩/٣٥٠؛ الأعلام للزركلي ٢/١١٤؛ والكامل لابن الأثير ٥/١٦٠.

(٣) **الجهم**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٤) سبق التعريف بها.

وتـارة يقولـون: تكلم ويتكلم حقيقة، ولكن معنى ذلـك أنـه خلق كلاماً في غيره، سمعه موسى، لا أنه نفسه قام بـه كلام، وهـذا قول من يقوله من المعتزلة[1] ونحوهم.

وزين هـذا القـول بعض ذوي الإمـارة[2]، فـدعـوا[3] إليـه مـدة وأظهـروه وعاقبـوا من خـالفهم، ثم أطفىء ذلك، وأظهـر مـا كـان عليـه سلف الأمة، أن القرآن، والتوراة، والإنجيل، كـلام الله، تكلم هو بـه. منه بدا، ليس ببائن منه، وليس بمخلوق خلقه في غيره.

ولما أظهر الله هذا، والناس يتلون قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[4].

صـار بعض أهل الأهـواء يقول[5]: إنمـا يسمع صـوت القـارىء، وصوته مخلوق، وهو كلام الله، فكلام الله مخلوق.

ولم يميز هذا، بين أن يسمع الكلام من المتكلم بـه، كما سمعـه موسى من الله بلا واسطة، وبين أن يسمع من المبلغ عنه.

ومعلوم أنـه لو سمـع كلام الأنبيـاء وغيرهم من المبلغين، لم يكن صوت المبلغ هو صوت المبلغ عنه، وإن كان الكلام كـلام المبلغ عنه، لا كلام المبلغ.

فكلام الله إذا سمع من المبلغين عنه، أولى أن يكون هـو كلام الله

(١) سبق التعريف بها.
(٢) المقصود به: (المأمون الخليفة العباسي) والخلفـاء الذين جـاؤا بعده، ونصـروا رأيه في خلق القرآن.
(٣) في هـ (ودعوا) بدلاً من (فدعوا).
(٤) سورة التوبة: من الآية ٦.
(٥) (يقول) ساقطة من هـ.

لا كلام المبلغين، وإن بلغوه بأصواتهم.

فجاءت طائفة ثانية فقالوا: هذا المسموع ألفاظنا وأصواتنا وكلامنا، ليس هو كلام الله، لأن هذا مخلوق، وكلام الله ليس بمخلوق.

وكان مقصود هؤلاء تحقيق أن كلام الله غير مخلوق، فوقعوا في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله، ولم يهتدوا إلى أنه ــ وإن كان كلام الله، فهو كلام الله مبلغاً عنه ــ ليس هو كلامه مسموعاً منه، ولا يلزم إذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله، أن يكون الكلام الذي يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم كلامهم، ويكون مخلوقاً ليس هو كلام الله.

وهؤلاء[1] الذين قالوا: ليس هذا كلام الله، منهم من قال: هو حكاية لكلام الله، وطردوا ذلك في كل من بلغ كلام غيره أن يكون ما بلغه حكاية لكلام المبلغ عنه لا كلامه.

وأهل الحكاية منهم من يقول: إن كلام الرب يتضمن حروفاً مؤلفة، إما قائماً بذاته على قول بعضهم، أو مخلوقة في غيره على قول بعضهم، والقائم بذاته معنى واحد.

ومن هؤلاء من قال: الحكاية تماثل المحكي عنه، فلا نقول هو حكاية بل هو عبارة عنه، والتقدير عندهم «فأجره حتى يسمع كلام[2] عبارته أو حكايته».

فجاءت طائفة ثالثة، فقالت: بل قد[3] ثبت أن هذا المسموع[4]

(١) في ط (وثم هؤلاء) بزيادة (ثم).
(٢) (كلام) ساقط من هـ، ك.
(٣) (قد) ساقطة من هـ، ك.
(٤) (المسموع) ساقطة من ط.

كلام الله، وكلام الله ليس بمخلوق[1]، وهذا المسموع هو الصوت، فالصوت غير مخلوق.

ثم من هؤلاء من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: ليس بقديم، ومنهم من قال: يسمع صوت الرب والعبد، ومنهم من قال: إنما يسمع صوت الرب.

ثم منهم من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: إنما يسمعه من العبد.

وهؤلاء منهم من قال: إن صوت الرب حل في العبد، فضاهوا النصارى.

ومنهم من قال: بل نقول[2]: ظهر فيه من غير حلول. ومنهم من يقول[3]: لا يطلق لا[4] هذا ولا هذا.

وكل هذه الأقوال محدثة مبتدعة، لم يقل شيئاً منها[5] أحد من الصحابة ولا[6] التابعين لهم بإحسان، ولا إمام من أئمة المسلمين كمالك[7]، والثوري[8]، ـــــــــــــــــــــــــــــ

(١) في هـ (مخلوق) بسقوط (بـ).
(٢) في هـ (هو) بدلاً من (نقول).
(٣) في هـ (من قال) بدلاً من (من يقول).
(٤) (لا) ساقطة من ط، ك.
(٥) في ط (منها شيئاً) تقديم وتأخير.
(٦) (لا) ساقطة من ط؛ ك.
(٧) سبقت ترجمته.
(٨) **الثوري**: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بن عبد مناة أبو عبد الله ــ أجمع الناس على دينه وورعه وزهده ــ ولد بالكوفة سنة ٩٧هـ ونشأ بها وطلبه المنصور للقضاء فأبى وسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى إلى أن مات بالبصرة سنة =

والأوزاعي(١)، والليث بن سعد(٢)، وأبي حنيفة(٣)، وأبي يوسف(٤) ومحمد(٥)، ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

= ١٦١هـ له من الكتب الجامع الكبير، والجامع الصغير في الحديث: وكان آية في الحفظ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٢٨٦؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١١؛ والبداية والنهاية ١٠/١٣٤؛ وشذرات الذهب ١/١٦١؛ وسير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩.

(١) **الأوزاعي**: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ـ ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ ونشأ في البقاع وسكن بيروت وعرض عليه القضاء فامتنع، وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، وكان بارعاً في الكتابة مسترسلاً، وقد نقل عنه أنه أجاب في سبعين مسألة من مسائل العلم ـ وهو عالم أهل الشام في زمانه ـ مات سنة ١٥٧هـ في بيروت.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٧/١٠٧؛ وحلية الأولياء ٦/١٣٥؛ وشذرات الذهب ١/٢٤١؛ وتهذيب التهذيب ٦/٢٣٨؛ والبداية والنهاية ١٠/١١٥.

(٢) **الليث بن سعد**: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي بالولاء إمام أهل مصر في عصره وعالم حافظ، ولد في قلقشندة قرية من قرى الوجه البحري في مصر سنة ٩٤هـ وقد حج وسمع من نافع مولى ابن عمر وكان له في كل يوم أربعة مجالس وله مؤلفات كثيرة ـ توفي في القاهرة سنة ١٧٥هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٣/٣؛ وحلية الأولياء ٧/٣١٨؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٥٩؛ ووفيات الأعيان ٤/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٨/١٣٦.

(٣) **أبو حنيفة**: سبقت ترجمته.

(٤) **أبو يوسف**: سبقت ترجمته ٣/٣٤٢.

(٥) **محمد بن الحسن**: هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء أبو عبد الله الفقيه الحنفي ـ أصله من قرية علي باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرست وفد أبوه من الشام إلى العراق فولد محمد بواسط سنة ١٣١هـ ونشأ بالكوفة وطلب العلم والحديث وسمع من أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ـ تولى القضاء للرشيد فترة ـ مات بالري سنة ١٨٩هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤/١٨٤؛ وسير أعلام النبلاء ٩/١٣٤؛ وتاريخ بغداد ٢/١٧٢؛ وشذرات الذهب ١/٣٢١؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٠٢.

والشافعي[1]، وأحمد بن حنبل[2]، وإسحاق بن راهويه[3]، وابن عيينة[4] وغيرهم.

بل هؤلاء كلهم متفقون على أن القرآن منزل غير مخلوق، وأن الله أرسل به جبريل، فنزل به جبريل على نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فبلغه محمد إلى الناس فقرأه الناس بحركاتهم وأصواتهم، وليس شيء من أفعال العباد وأصواتهم قديماً ولا غير مخلوق، ولكن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن السلف يقولون: القرآن قديم.

ولما أحدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم أنه مخلوق بائن من الله، قال السلف والأئمة: إنه كلام الله غير مخلوق.

---

(١) **الشافعي**: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة المجتهدين والمتبوعين وإليه تنسب الشافعية، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين، ثم قصد مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٢/٥٦؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٥١؛ ووفيات الأعيان ٤/١٦٣؛ وطبقات الحنابلة ١/٢٨٠؛ وشذرات الذهب ٢/٩؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٥؛ وسير أعلام النبلاء ١٠/٥.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) **ابن عيينة**: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم الكوفي ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ ، ونقله أبوه إلى مكة كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته وحج سبعين حجة، وقد أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين فحمل عنهم علماً جماً وأتقن وجود وجمع وصنع وعمر دهراً وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علواً الإسناد وتوفي بمكة ١٩٨هـ ودفن ـ رحمه الله ـ بالحجون.
انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٩١؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٤٥٤؛ وتاريخ بغداد ٩/١٧٤؛ وميزان الاعتدال ٢/١٧٠؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١٧؛ وشذرات الذهب ١/٣٥٤.

ولم يقل أحد من السلف: إن الله تكلم بغير قدرته ومشيئته، ولا أنه معنى واحد قائم بالذات، ولا أنه تكلم بالقرآن[١] أو التوراة أو الإنجيل[٢] في الأزل بحرف وصوت قديم، فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا: إنه قديم.

ثم منهم من قال: القديم هو معنى واحد قائم[٣] بالذات، هو معنى جميع كلام الله.

وذلك المعنى إن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له.

ومن هؤلاء من قال: بل هو قديم، وهو حروف، أو حروف وأصوات أزلية قديمة، وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن.

فقال الناس لهؤلاء: خالفتم الشرع والعقل في قولكم: إنه قديم، وابتدعتم بدعة لم يسبقكم إليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وفررتم من محذور إلى محذور، كالمستجير من الرمضاء[٤] بالنار.

ثم قولكم: إنه معنى واحد، وهو مدلول جميع[٥] العبارات، مكابرة للعقل والشرع فإنا نعلم ـ بالاضطرار ـ أنه ليس معنى آية

---

(١) في ط (به القرآن) بدلاً من (بالقرآن).
وفي ك (به القرآن) بزيادة (به).
(٢) في هـ (الإنجيل به) بزيادة (به).
(٣) (قائم) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (بالرمضاء) بدلاً من (من الرمضاء).
(٥) في ط (لجميع) بزيادة (ل).

الكرسي، هو معنى آية الدين ولا معنى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ هو معنى[1] سورة الإخلاص.

والتوراة إذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد، وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعبرية، لم يكن هو توراة موسى.

وقول من قال منكم: إنه حروف، أو حروف وأصوات أزلية، ظاهر الفساد، فإن الحروف متعاقبة، فيسبق بعضها بعضاً، والمسبوق بغيره لا يكون قديماً لم يزل، والصوت المعين لا يبقى زمانين، فكيف يكون قديماً أزلياً؟

والسلف والأئمة لم يقل أحد منهم بقولكم، لكن قالوا: إن الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة، وإن الله نادى موسى بصوت سمعه موسى بأذنه، كما دلت على ذلك النصوص.

ولم يقل أحد منهم: إن ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي، ولكن قالوا: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما تكون صفة كمال إذا قام به، لا إذا كان مخلوقاً بائناً عنه، فإن الموصوف إلَّا بما قام به، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً مريداً، بحياة قامت بغيره، ولا بعلم وقدرة قامت بغيره. ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.

والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته أكمل ممن لا يكون بمشيئته وقدرته.

وأما كلام يقوم[2] بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته، فإما أنه ممتنع

---

(١) (معنى) ساقطة من ط.

(٢) في ط (قائم يقوم) بزيادة (قائم).
وفي ك (قائم) بدلاً من (يقوم).

أو هو صفة نقص كما يدعى مثل ذلك في المصروع.

وإذا كان كمالاً، فدوام الكمال له وأنه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال، أكمل من كونه صار متكلماً بعد أن لم يكن، لو قدر أن هذا ممكن، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وكان أئمة السنَّة والجماعة، كلما ابتدع في الدين بدعة، أنكروها ولم يقروها، ولهذا حفظ الله دين الإسلام، فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة.

بخلاف أهل الكتاب، فإن النصارى ابتدعوا بدعاً خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكاً بشرع المسيح، حتى لم يبقَ حين[1] بعث الله محمداً من هو متمسك بدين المسيح، إلَّا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهل الكتاب»[2].

فلما أظهر قوم من الولاة أن القرآن مخلوق ودعوا الناس إلى ذلك، ثبت الله أئمة السنَّة وجمهور الأمة، فلم يوافقوهم، وكان المشار إليه من الأئمة إذ ذاك أحمد بن حنبل.

ثم بقي ذلك القول المحدث، ظاهراً، نحو أربع عشر سنة وأئمة الأمة وجمهورها ينكرونه[3]، حتى جاء من الولاة من منع[4]، من إظهاره

---

(١) في هـ (حتى) بدلاً من (حين).

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٣/ ١٦.

(٣) في هـ (منكره)، وفي ك (تنكره) بدون نقط.

(٤) يشير إلى الخليفة العباسي «المتوكل على الله».
انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣٣٧.

والقول به، فصار مخفياً كغيره من البدع، وشاع عند العامة والخاصة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فأراد بعض الناس أن يجيب عن شبهة من قال: إن هذا الذي يقوم بنا مخلوق، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن ألفاظنا به مخلوقة، وتلاوتنا له مخلوقة.

وربما قالوا: هذا الذي نقرأه مخلوق، أو هذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحاً، وهو كون صفات العباد وأصواتهم[1] وأفعالهم مخلوقة.

لكن غلطوا حيث أطلقوا القول، أو أفهموا الناس بأن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون مخلوق، ولم يهتدوا إلى[2] أنّا إذا أشرنا إلى كلام متكلم قد بلغ عنه، فقلنا مثلاً لما روي عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[3]: هذا كلام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4]، أو لقول الشاعر: «ألا

---

(١) (وأصواتهم) ساقطة من هـ، ك.
(٢) (إلى) ساقطة من هـ.
(٣) انظر:
* الإمام البخاري ـ في عدة مواضع من صحيحه ـ عن عمر بن الخطاب ـ ـ رضي الله عنه ـ منها كتاب بدء الوحي ـ باب ١ ـ بلفظه.
* الإمام مسلم ـ في عدة مواضع من صحيحه ـ عن عمر بن الخطاب ـ منها كتاب الإمارة ـ باب ٣ ـ ٥ ـ بلفظه.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب النية ٢١ ـ حديث رقم ٤٢٢٧ ـ عن عمر بن الخطاب ـ بلفظه.
(٤) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من ط، ك.

كل شيء ما خلا الله باطل»[1]، هذا كلام[2] لبيد بن ربيعة[3]، ونحو ذلك.

فإنا نشير إلى نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه، لا إلى ما يختص بالمبلغ من حركته وصوته، بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله.

فإن كون الحي متحركاً أو مصوتاً، قدر مشترك بين الناطق والأعجم، وليس هذا صفة له[4].

والكلام الذي[5] يتميز به[6] الناطق عن الأعجم، إنما يتميز بالمعاني القائمة به. وباللفظ المطابق لها. من الحروف المنظومة بالأصوات المقطعة.

وهذا أمر يختص به المتكلم بالكلام، لا المبلغ عنه، فليس للمبلغ[7] إلاَّ تأدية ذلك.

ولهذا لو قال قائل لشعر لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال: هذا شعري أو كلامي لكونه أنشده بصوته، لكذبه الناس.

ولو قال: هذا الذي أقوله، مثل شعر لبيد لكذبه الناس[8]، وقالوا بل هو شعره[9] نفسه، ولكن أديته بصوتك.

---

(١) هذا صدر بيت للبيد وعجزه قوله: «وكل نعيم لا محالة زائل».
(٢) في هـ، ك (شعر) بدلاً من (كلام).
(٣) لبيد بن ربيعة: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٦٧.
(٤) في هـ (الكمال) بدلاً من (له).
(٥) في ط، ك (التي) بدلاً من (الذي).
(٦) في ط، ك (بها) بدلاً من (به).
(٧) في ط (الجميع) بدلاً من (للمبلغ).
(٨) (الناس) ساقطة من ك.
(٩) في هـ (شعر) بسقوط (ه).

بخلاف ما إذا قال قائل[1]، قولاً نظماً أو نثراً، وقال آخر مثله، فإن الناس يقولون: هذا مثل قول فلان، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾[2].

وقال عن القرآن:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾[3].

ولهذا لو قال قارىء: أنا آتي بقرآن مثل[4] قرآن محمد وتلاه نفسه وقال: هذا مثله. لأنكر الناس ذلك وضحكوا منه، وقالوا: هذا القرآن الذي جاء به هو[5]، ليس هو كلام آخر مماثل له.

فإذا كان القرآن الذي يقرؤه المسلمون، هو كلام الله الذي بلغه الرسول، لم يجز أن يقال: ليس هو بكلام الله، بل هو مثل[6] له، أو حكاية عنه، أو عبارة.

وإذا كان معلوماً إنما هو كلام الله، فقد تكلم الله[7] به ـ سبحانه ـ، لم يخلقه بائناً عنه، ولم يجز أن يقال لما هو كلامه: إنه مخلوق.

فإذا قيل عن ما يقرؤه المسلمون: إنه مخلوق، والمخلوق بائن

---

(١) (قائل) ساقطة من هـ.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١١٨.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٨٨.

(٤) في هـ (بمثل) بزيادة (بـ).

(٥) (هو) ساقطة من هـ.

(٦) في ط (مثله) بدلاً من (مثل).

(٧) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ.

عن الله، ليس هو كلامه، فقد جعل مخلوقاً ليس هو بكلام الله، فصار[1] الأمة يقولون: هذا كلام الله، وهذا غير مخلوق، لا يشيرون بذلك إلى شيء من صفات المخلوق، بل إلى كلام الله الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله.

والمبلغ إنما بلغه بصفات نفسه، والإشارة في مثل هذا، يراد بها الكلام المبلغ، لا يراد بها ما به وقع التبليغ.

وقد يراد بهذا، الثاني، مع التقييد كما في مثل الاسم إذا قيل: عبدت لله، ودعوت الله، فليس المراد أن المعبود المدعو، هو الاسم الذي[2] هو اللفظ، بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ، فصار بعضهم يقول الاسم هو غير المسمى، حتى قيل لبعضهم: أقول دعوت الله، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل دعوت المسمى بالله، وظن هذا الغالط أنك إذا قلت ذلك، فالمراد دعوت هذا اللفظ، ومثل هذا يرد عليه في اللفظ الثاني.

فما من شيء عبر عنه باسم، إلَّا والمراد بالاسم هو المسمى، فإن الأسماء لم تذكر إلَّا لبيان المسميات، لا أن الاسم نفسه هو ذات المسمى.

فمن[3] قال: إن اللفظ والمعنى القائم بالقلب هو عين المسمى، فغلطه واضح.

ومن قال: إن المراد بالاسم في مثل قولك: دعوت الله وعبدته،

---

(١) في ط (فضار) بدلاً من (فصار).

(٢) (هو الاسم الذي) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (وإن) بدلاً من (فمن).

هو نفس اللفظ، فغلطه واضح، ولكن اشتبه على الطائفتين ما يراد بالاسم ونفس اللفظ.

كذلك أولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم المبلغ عنه الذي هو المقصود بلفظ[1] المبلغ وكتابته بنفس صوت المبلغ ومداده.

والفرق بين هذا وهذا، واضح عند عامة العقلاء.

وإذا كتب كاتب اسم الله في ورقة، و[2]نطق باسم الله في خطابه وقال قائل: أنا كافر بهذا ومؤمن بهذا، كان مفهوم كلامه أنه مؤمن أو كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط، لا أنه يؤمن ويكفر بصوت أو مداد.

فكذلك من قال لما يسمعه من القراء ولما يكتب في المصاحف: أن هذا كلام الله.

أو قال لما يسمع من جميع المبلغين لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب: هذا كلام زيد[3]، فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد، إنما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد بصوته وكتب في القرطاس بالمداد.

فإذا قيل عن ذلك: إنه مخلوق، فقد قيل: إنه ليس كلام الله، ولم يتكلم به.

ومن قصد نفس الصوت أو المداد، وقال: إنه مخلوق، فقد أصاب، كما أن من قصد نفس الصوت أو الخط وقال: ليس هذا هو كلام الله، بل هو مخلوق، فقد أصاب، لكن ينبغي أن يبين مراده بلفظ لا لبس فيه.

---

(١) في ط (بفلظ) بدلاً من (بلفظ).
(٢) في هـ (أو) بزيادة (أ).
(٣) في ط (الله) بدلاً من (زيد).
(زيد) ساقطة من ك.

فلهذا كان الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره، ينكرون على من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، ويقولون: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع *[1] ومن قال: إنه مخلوق هنا، فقد يقولون: ليس هو كلام الله، وهذا خلاف المتواتر عن الرسول، وخلاف ما يعلم بمثل ذلك بصريح المعقول.

فإن الناس يعلمون ــ بعقولهم ــ أن من بلغ كلام غيره، فالكلام كلام المبلغ عنه الذي قاله مبتدياً أمراً بأمره مخبراً بخبره، لا كلام من قاله مبلغاً عنه مؤدياً.

ولهذا كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول في المواسم[2]: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[3] رواه أبو داود وغيره، عن جابر.

ولما أنزل الله ــ تعالى ــ[4]:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾[5].

---

(١) ابتداء من هنا وحتى نهاية هذا الفصل مفقود من ك.

(٢) في هـ (الموسم) بدلاً من (المواسم).

(٣) انظر:

* سنن ابن ماجه ــ المقدمة ــ باب ١٣ ــ حديث رقم ٢٠١ ــ عن جابر بن عبد الله بلفظه من دون جملة «لأبلغ كلام ربي» الأولى.

* وسنن الترمذي ــ أبواب فضائل القرآن ــ باب ٢٣ ــ حديث رقم ٣٠٩٣ ــ عن جابر ــ رضي الله عنه ــ بلفظ ابن ماجه.

* ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٩٠ ــ عن جابر بن عبد الله ــ من حديث طويل بمعناه.

(٤) (ــ تعالى ــ) ساقطة من هـ.

(٥) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٣.

قال بعض الكفار لأبي بكر الصديق[1]: هذا كلامك أم[2] كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله.

فلهذا اشتد به[3] إنكار أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الإسلام، وبالغ قوم في الإنكار عليهم وقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وأطلقوا عبارات تتضمن و[4]تشعر أن يكون شيء من صفات العباد غير مخلوقة، فأنكر ذلك أحمد وغيره، كما أنكر ذلك ابن المبارك[5]، وإسحاق بن راهويه[6]، والبخاري[7] وغير هؤلاء من أئمة السنَّة، وبينوا: أن الورق والمداد وأصوات العباد وأفعالهم مخلوقة، وأن كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرؤونه ويكتبونه غير مخلوق.

فكلام[8] أئمة السنَّة والجماعة كثير[9] في هذا الباب، متفق غير مختلف وكله صواب.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في هـ (أو) بدلاً من (أم).

(٣) (به) ساقطة من هـ.

(٤) (تتضمن و) ساقطة من ط.

(٥) **ابن المبارك**: هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، أبو عبد الرحمن مولى بني حنظلة، ولد سنة ١١٨، وجمع بين العلم والزهد وتفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع في الخلوات، وكان شاعراً، قصر شعره على الزهد والحث على الجهاد، قدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع كثيراً، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث، توفي سنة ١٨١هـ بقرية هيث على شاطىء الفرات.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/١٥٢؛ وحلية الأولياء ٨/١٦٢؛ والبداية والنهاية ١٠/١٧٧؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨.

(٦) **ابن راهويه**: سبقت ترجمته.

(٧) **البخاري**: سبقت ترجمته.

(٨) (كثير) ساقطة من هـ.

ولكن قد يبين بعضهم في بعض الأوقات ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك.

فمن ابتلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله كالإمام أحمد، كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثر من ذمه لمن يقول: لفظي مخلوق.

ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق، كالبخاري صاحب الصحيح، كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر مع نص أحمد والبخاري وغيرهما، على خطأ الطائفتين.



فصل

قال سعيد بن البطريق[1]: وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت، عن انتقال ولا تغير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة، فلا الإلّهي احتال أن يكون إلّهاً خالقاً، ولا الناسي احتال عن أن يكون ناسياً مخلوقاً.

والاحتيال والتغير، إنما يلزم الخلطة إذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين، مثل الماء والخمر، أو الماء[2] والعسل، أو السمن[3] والعسل، والذهب والورق والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك، لأن كله[4] ثقيل غليظ، وكل ثقل تخالطه ثقلة لا محالة، يلزمه التغير حتى يصير إلى ما كانت عليه الأثقال[5]، فلا الخمر خمراً، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ــ ولكنهما احتالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير، ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله.

فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال، مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً،

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ١/١٦٣.

(٢) في هـ (والماء) بسقوط (أ).

(٣) في هـ، ك (والسمن) بسقوط (أ).

(٤) في هـ (كل) بدلاً من (كله).

(٥) في هـ، ك (الأفعال) بدلاً من (الأثقال).

أحدهما يلتحم[1] بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت، أي استحالت عن جوهرها أن[2] تكون نفساً تعرفها بفعالها، ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وأفعاله، ومثل ما كان تخالط[3] النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة، من غير أن تكون النار قد تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج[4] وتقطع، ولا الحديدة تغيرت واحتالت إلى[5] أن تكون ناراً تحرق، فكذلك تفعل كل خلطة مؤلفة من شيئين مختلفين، أحدهما روحاني لطيف، والآخر ثقلي[6] غليظ، مثل النفس والجسد والنار والحديد، ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي لا تتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد وسخ، ونتن ونجس.

قال[7]: والخلطة تكون على ثلاثة أوجه:

أحدها: خلطة باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما، مثل خلطة الخمر والماء، والخل والعسل، والذهب والورق والرصاص[8] والنحاس، فإن في ذلك كله وما أشبهه، احتيالاً وفساداً، لأن مزاج الخمر والماء، ليس بخمر ولا ماء، لاحتيال كل واحد منهما عن طبعه، واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما.

---

(١) في ط (ملتحماً).
(٢) في هـ، ك (أي) بدلاً من (أن).
(٣) في هـ (يخالطه) بدلاً من (تخالط).
(٤) في هـ (تشرج) بدلاً من (تشج).
(٥) في هـ (إلاّ) بدلاً من (إلى).
(٦) في هـ (ثقيل) بدلاً من (ثقلي).
(٧) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦٤ وما بعدها.
(٨) (والرصاص) ساقطة من هـ.

وكـذلك خلطة الخل والعسـل، قـد صـارت لا خـلاً ولا عسـلاً، لاحتيال كل واحد منهما، وخلطة الذهب والورق على مثل ذلك صـارت على غيـر صحة لا من الـذهب ولا من الورق، وخلطة الـورق والنحـاس على غيـر صحة، لا من الـورق ولا من النحاس. فهـذا وجه من الـوجوه الثلاثة.

والـوجـه الثـاني: خلطة[1] افتـراق من الـطبيعتين الثقيلتين، وقـد تعـرف من تلك الخلطة كـل واحـدة من الـطبيعتين ثـابتـة في الأخـرى، بقوامها ووجهها، مثل الزيت والماء في قنديل واحد، ومثل الكتـان والقز في ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقـز، ومثل صنم نحـاس، رأسه من ذهب ومـا أشبـه ذلـك، ممـا لا ينبغي[2] أن يسمى خلطة مـع افتـراق الطبيعتين والقوامين، مثل ما لا ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هـو فيها خلطة، لأن طبيعة القلة فخار، قوامها قلة، وليس بينهما وبين المـاء خلطة، بل أشد الفرقة.

وكذلك الماء والزيت، لولا أن وعاء القنديل الذي هما فيه ضمهما ما اجتمعا.

وكذلك الكتان والقز، ليس بينهما خلطة، وإن كانا في ثوب واحـد ولا بين الذهب والنحاس ولم يسبكا، خلطة، وإن جمعهما صنم واحد.

فهاتان الخلطتان لا تكونا أبداً إلَّا في أثقال جسمانيات غليظة.

فإن التحم بعضهما ببعض مثلما يذاب الذهب والنحاس ويفـرغان جميعاً، وقعت في وجه خلطة الاحتيـال والفساد، لأن تلك النقـرة ليست بذهب صحيح، ولا بنحاس صحيح.

---

(١) في ط (خطه) بدلاً من (خلطة).

(٢) في هـ (ينفي) بدلاً من (ينبغي).

فـإن لـم تلحم وألزم بعضهـا بعضاً، مثـل طوق يكـون من نحـاس وذهب، وقعت من وجــه خلطة الافتــراق التي لا يحق لـهــا أن تسـمى خلطة.

وفي هـذين الـوجهين: وقـع نسـطورس وأشيـاعـه، فلزمـوا خلطة الاحتيال والفساد. فزعموا أن الطبيعة الإلٓهيـة، والطبيعـة الناسيـة اختلطا في المسيح الواحـد. فهو ذو[1] قـوام واحد بـطبيعة واحـدة، مختلطة من طبيعتين مختلفتين، إلٓهية وناسية، فأقروا[2] أنهما قـد احتالا، والاحتيـال فساد.

وألـزموا على هـذا القول الكـافر، طبيعـة الله المصائب والمـوت، وصيروا المسيح لا إلٓهاً صحيحاً، ولا إنساناً، مثل الذهب والنحاس.

فنسطورس وأشياعـه لزمـوا خلطة الفرقـة والانقطاع، فـزعموا: أن المسيـح الـواحـد ذو طبيعتين مختلفتين، الإلٓهيـة ونـاسيـة، وذو قــوامين معـروفين، إلٓهي، ونـاسي، فصيـروا الفـرقــة خلطة، كـالــطوق الملون نصفين، أحدهما ذهب، والآخر نحاس، والثوب المبطن، ظـاهره خـز، وباطنه قطن، ليس بينهما خلطة في طبيعة ولا قوام.

وليس لهم ــ على هـذا ــ أن يؤمنـوا بمسيـح واحـد، لأن الـطوق الملون طوقان، والثوب المبطن ثوبان.

فالمسيح مثل ذلك، مسيحان، واحد إلٓهي بـطبيعته وقـوامه، مثـل قضيب الذهب في الطوق الملون، ومثل ظهارة الخز في الثوب المبطن.

والآخر ناسي، مثل قضيب[3] النحاس في الطوق، وبطانـة القطن في الثوب.

---

(١) في هـ (ذر) بدلاً من (ذو).

(٢) في هـ (فأقرا) بدلاً من (فأقروا).

(٣) في هـ (فضة) بدلاً من (قضيب)، في ك (فصة) بدلاً من (قضيب).

والعجب كل العجب كيف لم يفصل[1] أهل الخلاف والشقاق بين[2] الصنفين كليهما[3]، ولم يفهموا أن هاتين الخلقتين أنهما خلقتان ذواتا أثقال جسمانية غليظة، ليس فيهما شيء من الخلق الروحاني اللطيف الخفيف ولذلك لا تقدر الأثقال الغليظة على الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة، لأنهما إن اختلطا خلطة ملتحمة ممتزجة، صارت إلى احتيال وفساد، وإن قامت على حالها، لا تلتحم، ولا يمتزج بعضها ببعض، فهي على وجه خلطة[4] الافتراق، ومنقطعة بعضها من بعض، وإن جمعها صنم واحد أو ثوب واحد، فليس يوجد لشيء من الأثقال الجسمانية وجه خلطة، سوى هذين الوجهين أبداً، إما فساد، وإما انقطاع، إلَّا أن تكون الخلطة في اثنين، أحدهما ثقيل جسماني، والآخر لطيف روحاني، فإن ذلك هو:

الوجه الثالث من الخلطة: وهي خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، لكنها نفاذ الطبيعة الروحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية حتى تنتشر في جميعها وتحل بكلها، فلا يبقى موضع من الطبيعة الثقيلة السفلية خلواً من الطبيعة الروحانية، ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة ولا تغيير ولا فساد لإحداهما مثل خلطة النفس والجسد، ومثل خلطة النار والحديد في قوام جمرة واحدة، فهي جمرة واحدة بالقوام من[5] طبيعة نار ملتحمة، مخالطة لطبيعة الحديدة بلا فرقة من انقطاع، ولا تخليط احتيال وفساد،

(١) في هـ، ك (يعقل) بدلاً من (يفصل).
(٢) في هـ (من) بدلاً من (بين).
(٣) في هـ، ك (كلاهما) بدلاً من (كليهما).
(٤) (خلطة) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).

وقد انتشرت النار[1] في جميع الحديدة، ولبستها، وأنالت النار الحديدة من قوامها وقوتها حتى أنارت الحديدة وأحرقت، ولم تنل النار من ضعف الحديدة شيئاً من السواد ولا البرودة[2].

فعلى هذا الوجه من الخلطة دبرت كلمة الله الخالقة خلطتها للطبيعة البشرية:

فهو مسيح واحد ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الأدهار، كلها نور من نور، إلّه حق من إلّه حق، مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته، وهو إياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بقوام واحد، قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما، الإلّهية التي لم تزل في البدء قبل كل بدء، والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الأزلي.

فهو مسيح واحد، بقوام واحد أزلي ذو طبيعتين: إلّهية لم تزل، وناسية خلقها له والتحم بها من مريم العذراء، فقوامه ذلك، قوام الطبيعة الإلّهية والطبيعة الناسية، جامعاً لهما بلا اختلاط، ولا فساد، ولا فرقة انقطاع، لم يزل قوام الطبيعة الإلّهية، ثم هو قوام الطبيعة الناسية، قد خلقها وكونها وقومها بقوامه، الذي لم يزل يقيم إلاَّ به، ولم يعرف إلا له[3].

والجواب[4] عن هذا الكلام ــ بعد * أن يقال: إنه تناقض،

(١) (النار) ساقطة من هـ.
(٢) في هـ (البروقة) بدلاً من (البرودة).
(٣) انتهى كلام ابن البطريق في نظم الجوهر ١/١٦٧.
(٤) هذا جواب ابن تيمية.

فجعل[1] هذا تارةً اختلاطاً، وتارةً يقول: ليس هو[2] اختلاطاً *[3] ــ أن يقال: إنه ــ أولاً ــ[4] قد يجعل[5] هذا الحلول والالتحام اختلاطاً، ويقول: إنه لا يكون فيه استحالة ولا تغير، ويقول[6]: * الاستحالة والتغيير إنما يلزم الخلطة، إذا كانت من خلقين غليظين كالماء والخمر *[7]، فأما إذا كانت من لطيف وكثيف لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال ــ أي استحالة ــ، ويقول: والخلطة تكون على ثلاثة أوجه، ثم يقول[8]: أحدهما كالخمر والماء، والثاني كالزيت والماء، والكتان والقز. ثم يقول: وما أشبه ذلك مما لا ينبغي أن يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين فيجعله من أقسام الخلطة، ثم يقول: ولا ينبغي أن يسمى خلطة.

وليس المقصود المنازعات اللفظية، بل يقول: دعواه أن أحد نوعي الاختلاط يكون عن تغير واستحالة، بخلاف النوع الآخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ، دعوى ممنوعة، ولم يُقِم عليها دليلاً، بل يقول: هي باطلة، بل لا يكون الاختلاط بين شيئين إلاَّ مع تغير واستحالة.

وما ذكره من الأمثال والشواهد فهي حجة عليه لقوله: «فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير

---

(١) في هـ (لجعل) بدلاً من (فجعل).
(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (هو).
(٣) ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة.
(٤) (أن يقال: إنه ــ أولاً ــ) ساقطة من هـ .
(٥) في هـ ، ك (جعل) بسقوط (يـ).
(٦) في هـ ، ك (وقال) بدلاً من (ويقول).
(٧) ما بين هذه النجمتين ساقطة من هـ، ك.
(٨) (ثم يقول) ساقطة من هـ ، ك.

ولا احتيـال، مثل خلطة النفس والجسـد إنسانـاً واحداً، أحـدهما ملتحم بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت عن جوهرها، أن تكـون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير واستحال عن حاله وفعاله».

فيقال: هذا قول باطل ظاهر البطلان لكل من تصوره، فإن الجسد إذا خلا عن النفس، مثل ما يكون قبـل نفخ الـروح فيه، ومـا يكون بعـد مفارقة الروح له بالموت، بل آدم ـ عليه السـلام ـ أبو البشـر، خلق من تراب وماء، وصار صلصالاً كالفخار، ثم نفخت فيه الروح، فصار جسداً هو لحم وعظم وعصب ودم.

فهل يقول عاقل: إن جسـد آدم[1] قبل النفس وبعـدها على صفـة واحـدة لم يتغير ولم تستحـل، وذريته من بعـده يخلق أحدهم من نـطفـة ثم[2] علقة ثم مضغة، فيكون جسداً ميتـاً، ثم ينفخ فيـه الروح، فيصيـر الجسد حياً بعد أن كان ميتاً؟

وأي تغيير أعظم من انتقال الجسد من الموت إلى الحياة؟

ومعلوم بـالحس والعقـل، الفـرق بين الحي والميت، كمـا قـال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[3].

والجسد إذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس لـه حس ولا حركـة إرادية، ولا يسمع ولا يبصر[4]، ولا ينطق ولا يعقل، ولا يبطش ولا يـأكل،

---

(١) في هـ، ك (هذا دم) بدلاً من (جسد آدم).

(٢) (ثم) ساقطة من هـ.

(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٢.

(٤) في هـ (ولا سمع ولا بصر) بدلاً من (ولا يسمع ولا يبصر).

ولا يشرب، ولا يمني، ولا ينكح، ولا يتفكر، ولا يحب ولا يبغض، ولا يشتهي، ولا يغضب.

فإذا اتصلت به النفس تغيرت[1] أحواله واستحالت صفاته، وصار حساساً متحركاً بالإرادة، فكيف يقال مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً، أحدهما يلتحم بالآخر، من غير أن تكون النفس تغيرت واستحالت عن جوهرها، أن تكون نفساً يعرفها بفعالها، ولا الجسد تغير ولا استحال عن حاله وأفعاله؟

فهل يقول عاقل يتصور ما يقول: إن الجسد كان حاله وفعاله مع مفارقة النفس له، كحاله وفعاله مع مخالطتها له؟

وهل يقول عاقل: إن الجسد بعد موته ومفارقة النفس له، حاله وفعاله، كحاله وفعاله إذا كانت النفس مختلطة به، وهو إذا مات، كالجماد لا يسمع ولا يبصر، ولا ينطق ولا يبطش ولا يمشي، قد جمد دمه وأسود، ولم يبق سائلاً، وتغير سحنته[2] ولونه؟ وتغير الجسد بالحياة بعد الموت، وبالموت بعد الحياة، من أعظم التغيرات والاستحالات.

وكذلك النفس، فإن النفس ـ عند اتصالها بالبدن ـ تلتذ بلذته، وتتألم بألمه.

فإذا أكل البدن، وشرب ونكح واشتم، التذت النفس، وإذا ضرب البدن، وصفع وأهين، وحط الشوك على رأسه وبصق في وجهه، تألمت النفس بذلك.

فإذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح باتحاد النفس بالبدن، وهم

(١) في ط (وتغيرت) بزيادة (و).
(٢) في ط (صحته)، وفي هـ (سنحته) بدلاً من (سحنته).

يقولون: إن المسيح وكل أحد إذا ضرب وصفع وصلب فتألم بدنه، تألمت نفسه أيضاً.

فإن كل الألم[1] مع نفس المسيح وجسده، كالنفس مع الجسد، وجب أن يكون الرب يتألم بتألم الناسوت، ويجوع بجوعه، ويشبع بشبعه، فإن ألم الجوع ولذة الشبع، يحصل للنفس إذا جاع البدن وشبع.

وأيضاً فالمسيح عندهم إله تام وإنسان تام، والإله إله[2] قبل الاتحاد والإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فهم يقولون: إنهما بعد الاتحاد إله تام كما كان، وإنسان تام كما كان.

فنظير هذا أن يكون الإنسان المركب من بدن ونفس، نفساً تامة وبدناً تاماً، وأن تكون الحديدة[3] المحماة، حديداً تاماً، وناراً تامة [4] وهو[5] باطل. بل الإنسان مركب من نفس وبدن، والإنسان اسم لمجموع، ليس الإنسان روحاً والإنسان بدناً.

فلو كان الاتحاد حقاً، لوجب أن يقال: إن المسيح نصفه لاهوت ونصفه ناسوت، وهو مركب من هذا وهذا.

ولا يقال: إن المسيح نفسه إنسان تام، والمسيح نفسه إله تام، فإن تصور هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري، حيث جعلوا

---

(١) في هـ (الإله) بدلاً من (الألم).
(٢) في هـ (الذي) بدلاً من (إله).
(٣) في هـ (الجمرة) بدلاً من (الحديدة).
(٤) في هذا المكان، في هـ زيادة (وخشبة تامة وناراً تامة).
(٥) في هـ (وهذا) بدلاً من (وهو).

المسيح الذي هو المبتدأ، الموضوع المخبر عنه المحكوم عليه، هو إنسان تام وإلٰه تام، يوجب أن يكون نفس الإنسان هو نفس الإلٰه.

ولو قيل هذا في مخلوقين، فقيل: نفس الملك نفس البشر، لكان ظاهر البطلان، فكيف إذا قيل في رب العالمين؟ لا سيما وكثير من النصارى لا يقولون: إن جسد المسيح مخلوق، بل يصفون الجميع بالإلٰهية[1] وهذا مقتضى قول أئمتهم القائلين: إن المسيح إلٰه تام لكنهم تناقضوا فقالوا ـ مع ذلك ـ: وهو إنسان تام، فكأنهم قالوا: هو الخالق ليس هو الخالق، هو مخلوق ليس هو مخلوق، فجمعوا بين النقيضين[2]. وهذا حقيقة قول النصارى، لا سيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح ـ عندهم ـ اتحاد لازم لم يفارقه البتة، فيكون ذلك أبلغ من الاتحاد العارض، ومن[3] أن الرب كان متحداً بجسد لا روح فيه، ثم بالجسد مع نفخ الروح فيه، ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له، وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه.

ومعلوم أن الإنسان إذا كانت فيه النفس وجعلت في التراب معه[4]، تألمت النفس ألماً شديداً، ثم[5] تفارق البدن.

ومن العجائب أنهم يقولون: إن المسيح صلب ومات، ففارقته النفس الناطقة، وصار الجسد لا روح فيه، واللاهوت ـ مع هذا ـ متحد لم يفارقه وهو في القبر، واللاهوت متحد به، فيجعلون اتحاده به أبلغ من اتحاد النفس بالبدن.

---

(١) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بالإلٰهية).
(٢) في هـ (وهذا جمع بين النقيضين) بدلاً من (فجمعوا بين النقيضين).
(٣) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).
(٤) (معه) ساقطة من ط.
(٥) في هـ، ك (لم) بدلاً من (ثم).

والنفس ـ عند اتصالها بالبدن ـ تتغير وتتبدل صفاتها وأحوالها، ويصير لها من الصفات والأفعال ما لم يكن بدون البدن، وعند مفارقة البدن تتغير صفاتها وأفعالها.

فإن كان تمثيلهم مطابقاً. لزم أن يكون الرب قد تغيرت أوصافه وأفعاله لما اختلط بالمسيح، كما تتغير صفات النفس وأفعالها، ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجردة التي لم تقترن[1] ببدن.

وأيضاً فالنفس والبدن شريكان في الأعمال الصالحة والفاسدة، لهما الثواب وعليهما العقاب، والثواب والعقاب على النفس، أكمل منه على البدن فإن كان الرب كذلك، كان جميع ما يفعله المسيح باختياره فعل الرب، كما أن جميع ما يفعله البدن باختيار فعل النفس عن التي تخاطب بالأمر والنهي[2]، فيقال لها: كلي واشربي، وانكحي، ولا تأكلي[3] ولا تشربي ولا تنكحي.

فإن كان الرب مع الناسوت كذلك، كان الرب هو المأمور والمنهي بما يأمر به المسيح، وكان الرب هو المصلي الصائم العابد الداعي، وبطل قولهم: يخلق ويرزق بلاهوته، ويأكل ويعبد بناسوته.

فإن النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الأفعال الاختيارية للنفس والبدن، فإذا صلَّى الإنسانِ وصام ودعا، فالنفس والبدن يوصفان بذلك جميعاً، بل النفس أخص بذلك، وكذلك إذا أمر أو نهى. فكلاهما موصوف بذلك[4]، وكذلك إذا ضرب، فألم الضرب يصل

---

(١) في هـ (تقرف) بدلاً من (لم تقترن).

(٢) (النهي) ساقطة من هـ.

(٣) (واشربي وانكحي ولا تأكلي) ساقطة من ك.
(وانكحي) ساقطة من هـ.

(٤) (بذلك) ساقطة من هـ.

إليهما كما تصل إليهما لذة الأكل والجماع.

بـل أبلغ من ذلك أن الجنى إذا دخـل في الإنسي وصرعـه وتكلم على لسانه، فإن الإنسي يتغير، حتى يبقى الصوت والكلام الـذي يسمع منه، ليس هو صوته وكلامه المعروف.

وإذا ضرب بدن الإنسي فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قـد جرب النـاس من ذلك مـا لا يحصى، (ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه)[1].

فإذا كان الجني تتغيـر صفاتـه وأحوالـه لحلوله في الإنسي، فكيف بنفس الإنسان؟

وعندهم اتحاد الـلاهوت بـالناسـوت أتم وأكمل من اتحـاد النفس بالجسد.

فهـل يقول عـاقل ـ مـع هذا الاتحـاد ـ: إنهما جـوهران، لكـل منهما أفعال اختيارية لا يشركه الآخر فيها؟

ويقولون ـ مـع قولهم بـالاتحاد ـ: إن الـذي كان يصلي ويصـوم ويـدعو ويتضـرع ويتكلم[2] ويتألم ويضـرب ويصلب، هو نـظير البـدن، والذي كان يأمر وينهي ويخلق ويرزق، هو نظير النفس.

هذا مع قولهم: إن مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت، وإنه اتحد به مع كونه حياً وقبل حيـاته وعنـد مماتـه، والجسد في ذلـك كله كسائـر أجسـاد الآدميين، لم يظهـر فيـه شيء من خصـائص الـرب أصـلاً، بـل ولا بعد إتيانه بالآيات، فإن تلك كـان يجري مثلهـا وأعظم منهـا على يد

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ، وغير واضح في ك.
(٢) في ط (يتعلم) بدلاً (يتكلم).

الأنبياء، فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فساده.

وأبعد منه وأشد فساداً، تمثيلهم ذلك بالنار والحديد.

ومعلوم عند كل من له خبرة، أن النار إذا اتصلت بشيءٍ من الأجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية[1]، مثل جسد الإنسان وغيره، ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره، ومثل الحديد والذهب والفضة، فإنها تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته عما كانت، فتحرقه أو تذيبه أو تلينه. والنار المختلطة به لا تبقى ناراً محضة بل تستحيل وتتغير أيضاً.

فقول هؤلاء: «ومثل ما تختلط النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج وتقطع، ولا الحديدة تغيرت واستحالت إلى أن تكون ناراً تحرق» كلام باطل ملبس، فإن الجمرة ليست حديدة محضة ولا ناراً محضةً بل نوعاً ثالث.

وقوله: «لم تتغير النار إلى أن تصير حديدة، ولا الحديدة إلى أن تصير ناراً» تلبيس.

فإن الاختلاط لا يتضمن الاستحالة، والتغير، كاختلاط الكثيفين الذي سلمه مثل الماء والخمر، والماء والعسل، والسمن والعسل، والذهب والورق، والنحاس والرصاص قد قال فيه: إنه لا الخمر خمر، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما استحالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالصاً من الفساد والاستحالة عن حاله.

فيقال له: فهذا الذي سلمت فيه الفساد والاستحالة، لم يصر

---

(١) في ط (والجمادية) بدلاً من (والمعدنية).

الخمر فيه ماء، ولا الماء فيه خمراً[1]، فكذلك مورد النزاع إذا لم تصر النار حديدة، ولا الحديدة ناراً، لم ينفعك هذا النفي، ولم يكن هذا مانعاً من الاستحالة إلى نوع ثالث، ومن الاستحالة والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين. فإنه معلوم أن ما خالطته النار واتحدت به، غيرته وأحالته وأفسدت صورته الأولى. والنار الملتحمة به ليست ناراً محضة.

ومعلوم أيضاً أن الجمرة التي ضربتها مثلاً للمسيح فقلت: إن الله وعيسى اتحدا كاتحاد النار والحديد حتى صارا جمرة، فمعلوم أن الجمرة إذا ضربت بالمطرقة أو وضعت في الماء، أو مدت، فإن هذه الأفعال تقع بالمجموع لا تقع على حديدة بلا نار، ولا نار بلا حديدة.

فيلزم من ذلك أن يكون ما حل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه ووضع الشوك على الرأس، ومن أكل وشرب وعبادة، ومن مشى وركوب، ومن حمل وولادة، وغير ذلك مما حل بالمسيح، ومن موت، إما متقدم وإما متأخر إذا نزل إلى الأرض، ومن صلب ــ على قولهم ــ : أن يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم إلٰه تام وإنسان تام، من غير فرق بين لاهوته ولا[2] ناسوته، كما يكون ما يحل بجمرة النار، من حمل ووضع وطرق بالمطرقة، ومد وتصوير بشكل[3] مخصوص، وإلقاء في الماء، وغير ذلك حال بمجموع[4] الجمرة، لا يقول عاقل: إن ذلك يحل بالحديد دون النار، بل هو حال بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار، ومن خشبة ونار، وليست حديدة محضة،

---

(١) (ولا الماء فيه خمراً) ساقطة من ك.
(له) ساقطة من هـ.
(٢) (لا) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (وقد تصور مشكل) بدلاً من (ومد وتصوير بشكل).
(٤) في هـ، ك (مجموع) بسقوط (بـ).

ولا ناراً محضة، ولا مجموع حديد محض، ونار محضة، بل جوهر ثالث مستحيل من[1] حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط إلى حقيقة ثالثة.

فلا فرق بين[2] الشيئين إذا اتحدا واختلطا وصارا شيئاً واحداً من أن يكونا كثيفين، أو يكون أحدهما كثيفاً والآخر لطيفاً، لا بد في ذلك كله أن يحصل لكلٍّ منهما من التغير والاستحالة ما يوجب الاتحاد، وأن يكون المتحد المختلط المركب منهما شيئاً ثالثاً، ليس هو أحدهما فقط، ولا هو مجموع كل منهما على حاله.

فقولهم: «إنه مع الاتحاد إنسان تام وإله تام، كلام فاسد[3] معلوم الفساد بصريح العقل.

وكلما ضربوا له مثلاً، كان المثل حجة على فساد قولهم، بل مع الاتحاد ليس بإنسان تام ولا إله تام[4]، لكنه شيء ثالث مركب من إنسان[5] استحال وتغير، وإله استحال وتغير.

وإذا كان كل من هذين باطلاً ـ بل إنسانية المسيح باقية تامة كما كانت لم تستحل ولم تتغير، ورب العالمين باق بصفات كماله، لم يستحل ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات، ولا استحال عما كان عليه قبل ذلك ـ كان قولهم ظاهر الفساد.

---

(١) في هـ، ك (عن) بدلاً من (من).
(٢) في هـ، ك (في) بدلاً من (بين).
(٣) (فاسد) ساقطة من هـ، ك.
(٤) (تام) ساقطة من ك.
(٥) في ط (إنسان ثالث) بزيادة (ثالث).

فهذا مثلهم الثاني الذي ضربوه لله حيث شبهوا المسيح أو[1] الله مع الإنسان بالنفس مع الجسد، وشبهوه بالنار مع الحديد، وهذا المثل أشد فساداً وأظهر[2].

وأما المثل الثالث ـ وهو تمثيل ذلك بالشمس مع الماء والطين ـ فهو أشد فساداً، فإنهم قالوا كما تقدم: «ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي[3] لا تتغير ولا تستحيل عن نورها وبقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد ووسخ ونتن ونجس».

فيقال: أما جرم الشمس الذي في السماء فلم يخالط شيئاً من الماء والطين، ولا اتحد به ولا حل فيه بوجه من الوجوه، بل بينهما من البعد ما لا يقدر قدره إلَّا الله، والله ـ تعالى ـ أجل وأعظم وأبعد من مخالطة الإنسان من الشمس للماء والطين.

فإذا كانت الشمس نفسها لم تتحد[4] ولم تختلط، ولا حلت[5] في الماء والطين، بل ولا بغيرها من المخلوقات. فرب العالمين أولى أن ينزه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات.

ولكن شعاع الشمس حل بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع، كما يحل شعاع النار في الأرض والحيطان، وإن كان نفس جرم النار القائم بنفسه الذي في ذبالة المصباح هو جوهر قائم بنفسه، لم تحل ذاته في شيء من تلك المواضع.

---

(١) (المسيح أو) ساقطة من هـ.
(٢) (وأظهر) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (فمتى) بدلاً من (فهي).
(٤) في ك (تحد) بسقوط (تـ).
(٥) في هـ (ولا حل)، وفي ك (بما حل) بدلاً من (ولا حلت).

ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء بنفسه المستنير[1] كالشمس والقمر وكالنار، قال ــ تعالى ــ :

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[2].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[3].

وسمَّى ــ سبحانه ــ الشمس سراجاً وضياء، لأن فيها ــ مع الإنارة والإشراق ــ تسخيناً وإحراقاً، فهي بالنار أشبه، بخلاف القمر فإنه ليس فيه ــ مع الإنارة ــ تسخيناً، فلهذا قال: ﴿**جعل الشمس ضياء والقمر نوراً**﴾.

والمقصود هنا، أن لفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء المستنير[4] المضيء القائم بنفسه، كالشمس والقمر والنار، ويراد به الشعاع الذي يحصل بسبب ذلك في الهواء والأرض، وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الأول، ولا صفة قائمة بالأول، ولكنه حادث بسببه.

فالشعاع الذي هو الضوء والنور الحاصل على الماء والطين والهواء وغير ذلك، هو عرض قائم بغيره، وليس هو متحداً به البتة.

فهذا المثل لو ضربته النسطورية، الذين يقولون: «إن الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين[5]، حل أحدهما بالآخر» لكان تمثيلاً باطلاً، فإن الشمس لم تحل بغيرها، ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها

(١) في هـ (المستدير) وهي غير ظاهرة في ك.
(٢) سورة يونس: من الآية ٥.
(٣) سورة النبأ: من الآية ١٣.
(٤) في هـ (المستدير) بدلاً من (المستنير).
(٥) في هـ ، ك (بطبيعتان) بدلاً من (بطبيعتين).

واحدة كما تقوله النسطورية، بل شعاعها حل بغيره، والشعاع حادث وكائن عنها.

فإذا قيل: إن ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهداه وكلامه[1] ومعرفته، يحل بقلوب أنبيائه والمؤمنين من عباده، ومثل ذلك بحلول الشعاع بالأرض، كان أقرب إلى العقول، ولهذا قال ــ تعالى ــ:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾[2].

قال أُبـي بن[3] كعب: مثّل نوره في قلوب المؤمنين بهذا[4].

وكذلك إذا قيل: نوره أو هداه أو كلامه، وسمي ذلك روحاً، يحل في قلوب المؤمنين، فهو بهذا الاعتبار، والله قد سمى ذلك روحاً فقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[6].

---

(١) (وكلامه) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٣) في ط (من) بدلاً من (بن).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر ٣/ ١٤٥.

(٥) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٦) سورة غافر: من الآية ١٥.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1].

وما جاء في الكتب المتقدمة من أن روح الله أو روح القدس يحل في الأنبياء والمؤمنين، فهو حق بهذا الاعتبار.

وإذا قيل: كلام الله يحل في قلوب القارئين. فهو حق بهذا الاعتبار.

وأما نفس ما يقوم بالرب، فلا يتصور أن يقوم هو نفسه بغير الرب، بل ما يقوم بالمخلوق من الصفات والأعراض، يمتنع أن يقوم هو نفسه بغيره.

فيمتنع في صفات الشمس القائمة بها، من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور أو غيره، أن يقوم بغيرها، وكذلك ما قام بجرم النار من حرارة وضوء، فلا يقوم بغيرها، بل إذا جاورت النار، هواء[2] أو غير هواء[2]، حصل في ذلك المحل سخونة أخرى، غير السخونة القائمة بنفس النار، تسخن الهواء الذي يجاورها[3]، كما تسخن القدر الذي يوقد تحتها النار فيسخن ثم يسخن الماء الذي فيها، مع أن سخونة النار باقية فيها[4]، وسخونة القدر باقية فيها، وسخونة الماء سخونة[5] أخرى حصلت في الماء، ليست واحدة من تينك، وإن كانت حادثة عنها، وجنس السخونة يجمع ذلك كله.

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (الهواء).

(٣) في ط (يجاوره) بدلاً من (يجاورها).

(٤) (فيها) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (بسخونة)، وفي ط (به سخونة) بدلاً من (سخونة).

ولهذا ذكر الإمام أحمد عن السلف أنهم كرهوا أن يتكلم أحد[1] في حلول كلام الله في العباد بنفي أو إثبات، فإن لفظ «الحلول» لفظ مجمل يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق.

وقد جاء في كلام الأنبياء لفظ «الحلول» بالمعنى الصحيح، فتأوله من في قلبه زيغ، كالنصارى وأشباههم على[2] المعنى الباطل، وقابلهم آخرون، أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل.

وقد قدمنا أن الناس يقولون: أنت في قلبي، أو ساكن في قلبي، وأنت حال في قلبي ونحو ذلك، وهم لا يريدون أن ذاته حلت فيه، ولكن يريدون أن تصوره وتمثله وحبه وذكره حل في قلبه كما تقدم نظائر ذلك.

والمقصود هنا أن النسطورية لو شبهوا ما يدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين، كان تمثيلهم باطلاً، فكيف بالملكية الذين هم أعظم باطلاً وضلالاً. فقولهم[3]: «ومثل[4] الشمس المخالطة للطين والماء وكل رطوبة وحمأة» تمثيل باطل من وجوه:

منها: أن الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها، بل ذلك شعاعها.

ومنها: أن الشعاع نفسه لم يتحد بالماء والطين، ولكن حل به وقام به.

---

(١) (أحد) ساقطة من ط .

(٢) في ط (عن) بدلاً من (على).

(٣) في ط (بقولهم) بسقوط (فـ).

(٤) في هـ ، ك (مثل) بسقوط (و).

ومنها: أن ذلك عـام في المخلوقات من وجـه وبعباده[1] المؤمنين من وجه لا يختص المسيح به[2]، فالمخلوقـات كلها مشتـركة في أن الله خلقها بمشيئته وقدرته، وأنه لا قوام لها إلاَّ به، فـلا حول ولا قـوة إلاَّ به، وهي كلها مفتقرة إليـه، محتاجـة إليه، مـع غناه عنهـا، ولهذا كـانت من آيات ربوبيته وشواهد[3] إلَهيته.

ومن سمـاها، مـظاهر، ومجـالي، بمعنى أن ذاته نفسهـا تظهـر[4] فيها، فهو مفترٍ على الله. ومن أراد بذلك أنه أظهر[5] بها مشيئتـه وقدرتـه وعلمه وحكمته، فأراد بالمظاهر والمجالي ما يـراد بالـدلائل والشـواهد، فقد أصاب.

وكذلك إذا قال: هي آثاره، ومقتضى أسمائه وصفاته.

وأما المؤمنون، فـإن الإيمان بـالله[6] ومعرفتـه ومحبته ونـوره وهداه يحـل في قلوبهم وهـو المثـل الأعلى والمثـال العلمي، فـلا اختصـاص للمسيح بهذا[7]، وكذلك كلامه في قلوب عبـاده المؤمنين، لا اختصاص للمسيح بذلك.

ومنهـا: أن الشعاع لم يخـالط الماء والـطين، ولا يخالط شيئاً من الأعيان، ولا ينفذ فيه ولا يتحد به، بل يكون على سطحـه الظاهـر فقط. لكن الشعـاع يسخن مـا يحـل فيـه، فـإذا سخن ذلـك، سخن جـوفـه

---

(١) في هـ (ويعتاده) بدلاً من (وبعباده).
(٢) في هـ (بشيء) بدلاً من (به).
(٣) في ك (شواهد) بسقوط (و).
(٤) في ط (يظهر) بدلاً من (تظهر).
(٥) في هـ، ك (ظهر) بسقوط (أ).
(٦) (بالله) ساقطة من هـ.
(٧) في ط (بهذه) بدلاً من (بهذا).

بـالمجاورة، كمـا يسخن الماء بسخـونـة القـدر من غيـر أن تكـون النـار خالطت القدر ولا الماء.

فـأين هذا من قـولهم: «إن رب العالمين اتحـد بابن امـرأة، فصار إلٰهاً تاماً وإنساناً تاماً؟».

وهل يقول عاقل: إن الماء والطين صار شعاعـاً تامـاً، وطيناً تـاماً؟ بـل الطين طين، لكن أثـر الشعاع فيـه بتجفيفه، لم يتحـد بـه الشعـاع، ولا نفذ فيه، ولا حل في باطنه.

فهذا المثل أبعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار مع الحديـد، ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسـد، فإن هنـاك اتصالاً ببـاطن الحديـد والبدن، وهنا لم يتصل الشعاع إلّا بظاهر الطين وغيره.

وأيضاً فالنفس جوهر قائم بنفسه، والشعـاع عرض، وكـذلك النـار جـوهر. فـالشمس هنا لم تتحـد ولم تحل بـالطين، بـل شعاعهـا، بل[1] ولا يـوصف الطين بـاتحـاده بـالشعـاع، ولا بـاختـلاط الشعـاع ببـاطنـه، ولا بحلول الشمس نفسها فيه.

وحينئذٍ[2] فقول القـائل: «إن الشمس[3] لم تتغيـر ولم تستحل عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كـل وسخ ونتن ونجس». إن أريـد به نفس الشمس أو صفاتها القائمة بها، فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيـه ولا قامت بغيرها.

فـإذا كانت الشمس كـذلـك ــ ولله المثـل الأعلى ــ فهـو أولى أن لا يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به.

---

(١) (بل) ساقطة من ط، ك.

(٢) في أ (فحينئذٍ) بدلاً من (وحينئذٍ).

(٣) في ط (الشمن) بدلاً من (الشمس).

وإن أريد شعاعها[1] فشعاعها ليس هو الشمس، فلا ينفعهم التمثيل به، فإنهم يقولون: إن الله نفسه اتحد بالمسيح، والمسيح ـ عندهم ـ هو رب العالمين مع أنه إنسان تام، فهو ـ عندهم ـ إله تام، إنسان تام، والطين ليس بشعاع تام ولا طين تام[2] والشعاع نفسه لا يخالط شيئاً، ولكن يقوم به، وقيام العرض بالمحل غير مخالطته له، فإن المخالطة تكون باختلاط كل من الأمرين بالآخر، كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك.

وأما ما يقوم بالسطح الظاهر فلا يقال: إنه مخالط بجميع الأجزاء، فلا يقال للشعاع الذي على الجبال والبحر: إنه مخالط لجميع الجبال والبحر، ولا لشعاع النار: إنه مخالط للحيطان وداخل للأرض، وقد تقدم أنهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام:

أحدها: اختلاط أحد الشيئين[3] بالآخر كالماء والخمر.

والثاني: اتصال من غير اختلاط، كالماء والزيت، والإناء الذي بعضه فضة وبعضه ذهب: وقالوا: إن هذا لا ينبغي أن يسمى اختلاطاً مع افتراق الطبيعتين والقوامين. مثل[4] ما لا[5] ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هو[6] فيها خلطة، لأن طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خلطة.

وهذا الفرق[7] موجود في الشعاع والطين، بل بينهما من الفرق

(١) في هـ (بشعاعها) بزيادة (بـ).
(٢) (ولا طين تام) ساقطة من ط.
(٣) في هـ (السببين) بدلاً من (الشيئين).
(٤) في هـ (بل) بدلاً من (مثل).
(٥) (لا) ساقطة من هـ، ك.
(٦) في ك (هي) بدلاً من (هو).
(٧) في هـ، ك (فرق) بسقوط (الـ).

أشد مما بين الماء والقلة، فإن الماء جرم قائم بنفسه، وهذا عرض قائم بغيره والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض.

والإله ـ عندهم ـ مخالط لجميع ناسوت المسيح، لم يخل جزء منه من اتحاد الإله به، فأين هذا من هذا؟

وإذا قيل: إن الشعاع لم يستحل عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كل سواد ووسخ ونتن ونجس، لم يكن مثلاً يطابقه[1]، مع أنه لم يخالط الشعاع غيره.

ثم يقال: إن أراد بما لم يتغير نفس الشعاع القائم بالمحل، فهذا ممنوع، فإن الشعاع يتغير بتغير محله، فيرى في الأحمر أحمر، وفي الأسود أسود، وفي الأزرق أزرق، حتى أن الزجاج المختلف الألوان إذا صار مطرحاً للشعاع، ظهر الشعاع متلوناً بتلون الزجاج، فيرى أحمر وأزرق وأصفر.

وقد ضرب أهل الإلحاد القائلون بوحدة الوجود، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، لله أمثالاً باطلة شر من أمثال النصارى، ولهم مثل السوء، ولله المثل الأعلى، وكان مما ضربوه لله من الأمثال أن شبهوه بالشعاع في الزجاج.

فالأعيان الثابتة في العدم ـ عندهم ـ هي الممكنات، ووجود الحق قاضٍ عليها، فشبهوا وجوده بالشعاع، وأعيانهم بالزجاج، وهذا باطل من وجوه:

منها: أن القول بأن أعيان الممكنات ثابتة في العدم قول باطل.

---

(١) في هـ (مطابقاة) بدلاً من (يطابقه).

ومنهـا: أن قولهم: إن وجـود الخـالق هـو عين وجـود المخلوق، هو[1] أيضاً باطل.

ومنها: أن حلول الشعاع بالزجاج يقتضي حلول أحدهما بالآخـر، وهم ينكرون الحلول، ويقولون: الوجود واحد.

ومنهـا: أن الشعاع الـذي على نفس الزجـاج، ليس وجوده وجـود الزجاج، وعندهم وجود الرب وجود الممكنات.

ومنهـا: أن الشعاع الحـال بهذا الـزجـاج ليس هـو بعينـه ذلـك[2] الشعاع الحال بالزجاج الآخر، وإن كان نظيره، وهؤلاء عندهم أن الوجود واحد بالعين لا يتعدد.

ومنها: أن الشعاع عرض مفتقر إلى الزجاج، فهو مفتقر إليـه افتقار العـرض إلى محله، فيلزم إذا مثلوا به الـرب أن يكون الـرب مفتقراً إلى كل ما سواه، مع غنى كل ما سـواه عنه، وهـذا قلب كل حقيقـة، وأعظم كفر بالخالق ـ تعالى ـ، فإنه ـ سبحانه ـ الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه.

وكـل من قـال بحلول الله في شيء من المخلوقـات من النصـارى وغيرهم يلزمهم أن يكون مفتقراً إلى ما حـل فيه، فـإنه لا حقيقـة للحلول إلاَّ هذا.

ولهـذا كان مـا حـل بقلوب المؤمنين من الإيمـان والهـدى والنـور والمعرفة مفتقراً إلى قلوب المؤمنين، ولا يقوم إلاَّ بها.

---

(١) (هو) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

وجميع الصور الذهنية القائمة بالأذهان مفتقرة إلى[1] الأذهان لا تقوم إلاَّ بها، والشعاع مفتقر إلى محله. لا يقوم إلاَّ به. وهكذا سائر النظائر.

وهؤلاء الذين شابهوا النصارى وزادوا عليهم من الكفر بقولهم: إن وجود الخالق وجود كل مخلوق. وإنه قائم بأعيان الممكنات. يقولون: إنه مفتقر إلى الأعيان في وجوده. وهي مفتقرة إليه في ثباتها[2]. فيجعلون الخالق محتاجاً إلى كل مخلوق. والمخلوق محتاجاً إلى الخالق. ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى، بأن اللاهوت محتاج إلى الناسوت، والناسوت محتاج إلى اللاهوت.

ومعلوم أن الله غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه[3] فقير إليه من كل وجه، فهو الصمد المستغني عن كل شيء. وكل شيء متفقر إليه.

فمن قال: إنه مفتقر إلى مخلوق بوجه ما، فهو كاذب مفترٍ كافر، فكيف بمن قال: إنه مفتقر إلى كل شيء؟

والمثل الذي ضربوه له، يقتضي[4] أن يكون مفتقراً إلى غيره، وغيره مستغنٍ عنه، كالمثل الذي ضربه النصارى له، لما مثلوه بشعاع الشمس مع محله، فإن محل الشعاع مستغنٍ عن الشعاع، والشعاع مفتقر إلى محله.

فمقتضى هذا التمثيل أن الإله محتاج إلى الإنسان، والإنسان

---

(١) (إلى) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (ثبوتها) بدلاً من (ثباتها).

(٣) (وكل ما سواه) مكررة في ط.

(٤) في هـ، ك (ينبغي) بدلاً من (يقتضي).

مستغنٍ عن الله، ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[1] .

• • •

(١) سورة الإسراء: من الآية ٤٤.
في ط (تسبح له السماوات والأرض) بسقوط (السبع).

فصل[1]

بيان أنَّ عامَّة دِين النَّصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو من ابتداع طوائف منهم

وهذا الذي[2] قد ذكره هذا البترك «سعيد بن البطريق» المعظم عند النصارى، المحب لهم، المتعصب لهم في أخبارهم، التي بين بها أحوالهم في دينهم، معظماً لدينهم، مع ما في بعض الأخبار من زيادة فيها تحسين لما فعلوه، وكثير من الناس ينكر ذلك ويكذبه، مثل ما ذكره من ظهور الصليب، ومن مناظرة أريوس وغير ذلك، فإن كثيراً من الناس يخالفه فيما ذكر، ويذكر[3] أن أمر ظهور الصليب كان بتدليس وتلبيس وحيلة ومكر، ويذكر أن أريوس لم يقل قط: إن المسيح خالق[4].

ولكن المقصود أنه إذا صدق هذا فيما ذكره، فإنه بين أن عامة الدين الذي عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون، وأنه كان بينهم من العداوة والاختلاف في إيمانهم وشرائعهم ما يصدق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[5].

(١) هذا الفصل بكامله ساقط من هـ.
(٢) يشير ابن تيمية إلى ما سبق أن نقله عن ابن البطريق في الصفحات الماضية من كتاب نظم الجوهر.
(٣) (ويذكر) ساقطة من ك.
(٤) (خالق) ساقطة من ك.
(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤.

والنصارى يقرون بما ذكره هذا البترك أن أول ملك أظهر دين النصارى، هو قسطنطين، وذلك بعد المسيح بأكثر من من ثلاثمائة سنة، وهو نصف الفترة التي بين المسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ ، فإنها كانت ستمائة سنة، أو ستمائة وعشرين[1].

وإذا كان النصارى مقرين بأن ما هم عليه من الإيمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ليس منقولاً عن المسيح، وكذلك ما هم عليه من تحليل ما حرمه الله ورسوله، وكذلك قتال من خالف دينه وقتل من حرم الخنزير، مع أن شريعة الإنجيل تخالف هذا، وكذلك الختان وكذلك تعظيم الصليب.

وقد ذكروا مستندهم في ذلك أن قسطنطين رأى صورة صليب كواكب.

ومعلوم أن هذا لا يصلح أن ينبني عليه شريعة، فإن مثل هذا يحصل للمشركين عباد الأصنام والكواكب ما هو أعظم منه، وبمثل هذا بدل دين الرسل وأشرك الناس بربهم، وعبدوا الأوثان، فإن الشيطان يخيل هذا وأعظم منه.

وكذلك الإزار الذي رآه من رآه، والصوت الذي سمعه، هل يجوز لعاقل أن يغير شرع الله الذي بعثت به رسله، بمثل هذا الصوت والخيال الذي يحصل للمشركين عباد الكواكب والأصنام ما هو أعظم منه؟ مع أن هذا الذي ذكروه عن «بطرس» رئيس الحواريين، ليس فيه

---

(١) يشير عامة المؤرخين إلى أن مولد الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان عام ٥٧١م، وقد أوحى إليه بعد الأربعين فيكون تاريخ بعثته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سنة ٦١١ميلادية وهو وسط بين ما ذكره المؤلف هنا.
انظر: سيرة ابن هشام ١/١٦٧ طبعة بيروت.

تحليل كل ما حرم بل قال: «ما طهره الله فلا تنجسه» وما نجسه الله في التوراة فقد نجسه ولم يطهره إلاَّ أن ينسخه المسيح. والحواري لم يبح لهم الخنزير وسائر المحرمات إن كان قوله معصوماً كما يظنون.

والمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة وإنما أحل بعض ما حرم عليهم، ولهذا كان هذا من الأوصاف المؤثرة في قتال النصارى، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

وقد ذكر من لعن بعض طوائف النصارى لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم ما يطول وصفه، ويصدق قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[2].

وحينئذ فقول هؤلاء: «من خالفنا لعناه» كلام لا فائدة فيه، فإن كل طائفة منهم لاعنة ملعونة.

فليس في لعنتهم لمن خالفهم إحقاق حق ولا إبطال باطل، وإنما يحق الحق بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل، كما قال[3] ـ تعالى ـ:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٢٩.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١٤.

(٣) (قال) ساقطة من ك.

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقد تقدم ما ذكره سعيد بن البطريق من أخبارهم أنه كان يأتي البترك العظيم منهم إلى كنيسة مبنية لصنم من الأصنام، يعبده المشركون، فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه، كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء. كما كان بالاسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه «ميكائيل» فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك، وصاروا يعبدون الملك بعد أن كانوا يعبدون الصنم، ويذبحون له.

وهذا نقل لهم من الشرك[2] بمخلوق، إلى الشرك بمخلوق أعلى منه، أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب كالشمس والزهرة وغير ذلك.

فنقلهم المبتدعون من النصارى إلى عبادة بعض الملائكة أو بعض الأنبياء ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢١٣.

(٢) في ك (الأشراك) بدلاً من (الشرك).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[1] .



(١) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦، ٥٧.
في ط (إن عذاب ربك كان محذراً) بدلاً من (إن عذاب ربك كان محذوراً).

فصل

بيان أنّ كل ما نقله المؤلف عن الحسن بن أيوب وابن البطريق إنما هو ردّ على أنّ في المسيح طبيعتين

وقد حصل بما ذكرناه[1] الجواب عن قولهم[2]: «وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت[3] من مريم العذراء واتحدت به».

وعرف أن هذا قول من أقوال النصارى، وأن لهم أقوالاً أخر تناقض هذا.

وكل فريق منهم يكفر الآخر إذْ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين، بل هي مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم، فضلوا بها وأضلوا كما قال ــ تعالى ــ:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

فذكر ــ سبحانه ــ أنهم أضلوا من قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

---

(١) يشير المؤلف بما ذكره من جواب الحسن بن أيوب، ثم كلام سعيد بن البطريق أنه رد على قول النصارى في رسالة بولس الإنطاكي التي هي مدار جواب الشيخ في هذا الكتاب.

(٢) الضمير في (قولهم) يعود إلى علماء النصارى الذين حاورهم بولس الإنطاكي في رحلته إلى قبرص وبلاد الملافطة.

(٣) في هـ، ك (أخذ) بسقوط (ت).

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

والنصارى أمة[1] يلزمهم الضلال الذي أصله[2] الجهل.

ولا يوجد قط من هو نصراني باطناً وظاهراً، إلاَّ وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يعرف من يعبد، ولا بماذا يعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد ومكارم الأخلاق.

ثم يقال: على هؤلاء: قولهم: «طبيعتان» ويقولون أيضاً: «له مشيئتان» ويقولون أيضاً: «إنه شخص لم يزد عدده» فإنهم يقولون: «إنهما اتحدا» كما ذكروه في كتابهم هذا[3]، لا يقولون بشخصين لئلا يلزمهم القول بأربعة أقانيم.

ومنهم من يقول: «هما جوهران» ومنهم من يقول[4] «جوهر واحد».

فإن قالوا: «هو[5] جوهر واحد» صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، لا سيما وهم يقولون: «إن مريم ولدت اللاهوت والناسوت، وإن المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وهو إلّه تام وإنسان تام».

فإذا كان جوهراً واحداً لزم من[6] ذلك أن يكون اللاهوت قد استحال وتغير، وكذلك الناسوت، فإن الاثنين إذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو إنساناً محضاً، ولا إلّهاً محضاً، بل اجتمعت فيه الإنسانية والإلّهية، مع[7] أنه قد[8] كان الإنسان والإلّه اثنين

(١) في ط (وأيضاً فإنه) بدلاً من (والنصارى أمة).
(٢) في ط، ك (أضلّه) بدلاً من (أصله).
(٣) يشير إلى رسالة بولس الإنطاكي.
(٤) في ط (يقولول) بدلاً من (يقول).
(٥) (هو) ساقطة من هـ.
(٦) (من) ساقطة من ط، ك.
(٧) في ط، ك (ومع) بزيادة (و).
(٨) في هـ (وقد) بزيادة (و).

متباينين ــ وهما في اصطلاحهم[1] ــ جوهران، فإذا صار الجوهران جوهراً واحداً، لا جوهرين فقد لزم ضرورة، أن يكون هذا الثالث ليس هو إلّهاً محضاً ولا إنساناً محضاً ولا جوهران، إنساناً وإلّهاً، فإن هذين جوهران لا جوهر واحد، بل هو شيء ثالث، اختلط وامتزج[2] واستحال من هذا وهذا، فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت، حتى صار هذا الجوهر الثالث الذي ليس لاهوتاً محضاً ولا ناسوتاً محضاً كسائر ما يعرف من الاتحاد.

فإن كل اثنين اتحدا فصارا جوهراً واحداً، فلا بد في ذلك من الاستحالة كما[3] في اتحاد الماء واللبن والخمر، وسائر ما يختلط بالماء، بخلاف الماء والزيت فإنهما جوهران كما كانا، لكن الزيت لاصق بالماء وطفا عليه لم يتحد به، ومثل اختلاط النار والحديد فإن الحديد استحال عما كان، ولهذا إذا برد عاد إلى ما كان. وهكذا اتحاد الهواء مع الماء والتراب حتى يصير بخاراً أو غباراً، وأمثال ذلك.

وفي الجملة فجميع ما يعرفه[4] الناس من الاتحاد إذا صار الاثنان[5] واحداً وارتفعت الثنوية، فلا بد من استحالة الاثنين.

وإذا قيل: فيه طبيعة الاثنين، ومشيئة الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل: لا بد ــ مع ذلك ــ أن تتغير كل قوة عما كانت عليه

(١) في هـ (اصطلاحكم) بدلاً من (اصطلاحهم).
(٢) في هـ (وامتزج لا جوهر واحد) بزيادة (لا جوهر واحد).
(٣) (كما) ساقطة من ط، ك.
(٤) في هـ (ما تعرفه) بدلاً من (ما يعرفه).
(٥) في ك، هـ (الاثنين) بدلاً من (الاثنان).

فتنكسر[1] الأخرى، كما يعرف في سائر صور الاتحاد، (إذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما)[2] قوة الآخر عما كانت عليه.

كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت، فيبقى المتحد[3] مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض.

وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

وعلى هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.

فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت وسلب كماله الذي يختص به، وبطلان صفاته التامة بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد، وإلَّا فإن كان اللاهوت كما كان، فلا اتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان.

ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئاً واحداً.

وأيضاً فمع كون الجوهر واحداً يجب أن تكون مشيئته واحدة، وطبيعته واحدة، فإنه لو كان مشيئتين، لكان محل إحدى المشيئتين، (إن كان هو محل الأخرى مع تضاد موجب المشيئتين)[4]، لزم اجتماع

---

(١) في هـ (فيكسر) بدلاً من (فتنكسر).

(٢) في هـ (إذا لم يجد هذا مع هذا كسر كل واحد منهما).

(٣) (المتحد) ساقطة من هـ، وغير ظاهرة في ك.

(٤) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.

الضدين في محل واحد.

فإن الإرادة الناسوتية، تطلب الأكل والشرب، وأن تعبد وتصوم وتصلي.

واللاهوتية، توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء.

وإرادته أن يخلق ويرزق ويدبر العالم. والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة.

فإذا قامت الإرادتان[1] والكراهتان[2] بمحل واحد، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريداً للشيء ممتنعاً من إرادته غير مريد له كارهاً للشيء غير كاره له، وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة.

ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه، أو كراهتان[3] جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعل لا يقع إلَّا بإرادة جازمة مع القدرة، فاللاهوت ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومتى شاء شيئاً مشيئة[4] جازمة فإنه على ما شاء قادر.

والناسوت لا يفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك إرادة جازمة.

والناسوت يمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويكره ذلك، فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء إرادة جازمة، قادراً عليه ليس مريداً له إرادة جازمة، بل هو عاجز عنه.

---

(١) في هـ، ك (الإراديات) بدلاً من (الإرادتان).
(٢) في هـ، ك (الكراهيات) بدلاً من (الكراهتان).
(٣) في ط، ك (كراهيتان) بدلاً من (كراهتان).
(٤) في هـ، ك (مشيئته) بدلاً من (مشيئة).

ويلزم أيضاً إذا كانا جوهراً واحداً، وقد[1] ولد وصفع، وضرب وصلب، ومات، وتألم أن يكون[2] نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات وتألم، كما تقوله اليعقوبية، وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب عقيدة إيمانهم.

فإن قالوا: بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصاً واحداً لا تعدد فيه، كما يقوله من يقوله من الملكية[3]، كان هذا كلاماً متناقضاً، فإن الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه، جوهر واحد، ولهذا حد بأنه جسم.

وإن شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد، لزمهم المحذور.

فإن الإنسان كما يقال فيه: إنه شخص واحد، يقال: إنه جوهر واحد، بما بينهما من الاتحاد، ولهذا يحد بأنه جسم حساس، تام[4]، متحرك بالإرادة، ناطق، هذا يتناول جسده وروحه، وللنفس[5] والبدن مشيئة واحدة.

ومتى شاء الإنسان الفعل مشيئة جازمة مع قدرته عليه فعله ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته.

فإذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا، لزمهم أن يكونا جوهراً واحداً، ومشيئة واحدة، وهذا قول اليعقوبية.

ولهذا تألم النفس بما يحدث في الجسد من الآلام، ويتألم

---

(١) في هـ (قد) بسقوط (و).

(٢) في ط، ك (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) في هـ (الملكانية) بدلاً من (الملكية).

(٤) في ط (نام) بدلاً من (تام).

(٥) في هـ (النفس) بدلاً من (للنفس).

الجسم الذي هو القلب الصنوبري، بما يحدث في النفس من الآلام.

فإذا تألمت النفس، تألم قلب الجسد وغير قلب الجسد، وكذلك إذا تألم الجسد، وإذا صفع الجسد وصلب[1] وبصق في وجهه، ووضع الشوك عليه وتألم ومات[2]، كان ذلك كله حالاً بالنفس، ونالها من إهانة الصفع[3] وألم النزع ما ينالها، (كما يسلمون لله[4] أنه حل بنفس المسيح وبدنه، فإنهم لا يتنازعون أن الإلّه حل ببدن المسيح ونفسه، وإنما يتنازعون في اللاهوت مع)[5] أن النفس[6] مفارقة للبدن بالموت.

واللاهوت ــ عندهم ــ لم يفارق الناسوت بالموت، بل صعد إلى السماء.

والمسيح الذي هو إلّه تام وإنسان تام، يقعد عن يمين أبيه، وكذلك يجيء يوم القيامة.

وأيضاً فالبدن إذا كانت فيه النفس. تتغير صفاته وأحكامه، وتختلف أحواله، باجتماعها وافتراقها، والنفس إذا كانت في البدن تختلف صفاتها وأحكامها.

فيلزم أن يكون ناسوت المسيح مخالفاً في الصفات والأحكام لسائر النواسيت، وأن يكون اللاهوت لما اتحد به، تغيرت صفاته وأحكامه وهذا هو الاستحالة والتغير والتبدل للصفات، مع أن ناسوت

---

(١) في ط، ك (وصلب وصفع) بزيادة (وصفع).
وفي هـ (وصلب وتألم ومات) بزيادة (وتألم ومات).
(٢) (وتألم ومات) محذوفة من هـ.
(٣) (الصفع) ساقطة من ك.
(٤) في هـ (هو) بدلاً من (لله).
(٥) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.
(٦) في ك (مع أنها) بدلاً من (أن النفس).

المسيح كان من جنس نواسيت البشر، لم يظهر عليه إلَّا ما ظهر مثله على غيره، بل ظهر على غيره من خوارق العادات أكثر مما ظهر عليه.

وبالجملة فأي مثل ضربوه للاتحاد، كان حجة عليهم، وظهر به فساد قولهم.

وإن قالوا: هذا أمر لا يعقل، بل هو فوق العقول، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته.

فالأول: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني.

وأما الأول: فلا يقوله إلَّا كاذب، ولو جاز أن يقول هذا، لجاز ان يقال: إن الجسم الواحد يكون أبيض أسود في حال واحدة، وإنه ــ بعينه ــ يكون في مكانين، وإن الشيء الواحد يكون موجوداً معدوماً في حال[1] واحدة، وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه.

وقول النصارى مما يعلم بصريح العقل أنه باطل، ليس هو مما يعجز عن تصوره.

يوضح هذا، أنه لو قال قائل في مريم أم المسيح «امرأة الله وزوجته» وأنه[2] نكحها نكاحاً عقلياً كما يقولون: إن المسيح ولده ولادة عقلية. لم يكن هذا القول أفسد في العقل من قولهم في المسيح، كما

---

(١) في هـ (حاله) بدلاً من (حال).

(٢) في ط (فإنه) بدلاً من (وإنه).

قد[1] بسطناه في موضعه[2]، وهم يكفرون من يقول ذلك، ويحتجون بالعقل على فساده.

وإذا قال: «هذا فوق العقل» لم يقبلوه[3]، وكذلك كل طائفة من [4] طوائفهم احتجت على الأخرى بالعقل، وإذا قالوا: «قولنا فوق العقل» لم يقبلوا هذا الجواب.

فإن كان هذا جواباً صحيحاً، فيجب أن لا يبحث في شيء من الإلٰهيات بالعقل، بل يقول كل مبطل ما شاء من الباطل، ويقول: كلامي فوق العقل، كما يقول أصحاب الحلول والاتحاد والوحدة، الذين يقولون: إن وجود الخالق وجود المخلوق، ويقولون: إن هذا فوق العقل وإنه[5] يعلم[6] بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل.

الوجه[7] الثاني: أن يقال ما يعجز العقل عن تصوره إذا أخبرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبل منهم، لأنهم يعلمون ما يعجز غيرهم من معرفته.

وهذه الأقوال لم يقل الأنبياء شيئاً منها، بل نفس فرق النصارى قالوها بآرائهم، وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب.

فيقال لمن قالها منهم: أنت تتصور ما تقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله؟

---

(١) (قد) ساقطة من هـ.

(٢) (كما قد بسطناه في موضعه) ساقطة من ك.

(٣) (لم يقبلوه) ساقطة من ك.

(٤) (من) ساقطة من ك.

(٥) (إنه) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ط، ك (نعلم) بدلاً من (يعلم).

(٧) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

فإن قال: لا أتصور ما أقول ولا أفقهه[1] ولا أعقله، قيل له: فقد قلت على الله ما لا تعلم، وقفوت ما ليس لك به علم.

ومن أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع أن يقول الإنسان برأيه على الله قولاً لا يتصوره ولا يفهمه[2].

وجميع العقلاء يعلمون أن من قال قولاً وهو لا يتصوره ولا[3] يفقهه فإن قوله مردود عليه غير مقبول منه، وإن قوله من الباطل المذموم.

وإن قال قائلهم: إني أفقه ما أقول وأتصوره وأعقله، قيل له: بيِّنه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره، ولا تقل: «هو فوق العقل، بل هو قول قد عقلته وفقهته». وهذا تقسيم لا محيد لهم عنه.

فإنهم إن كانوا يفقهون ما يقولون ويعقلونه، لزم أن يكون معقولاً.

وإن كانوا لا يفقهونه ولا يعقلونه، لزم أنهم قالوا على الله ما لا يفقهونه، ولا يعقلونه، قولاً برأيهم وعقلهم لا نقلاً لألفاظ الأنبياء، فإن من نقل ألفاظ الأنبياء الثابتة عنهم، لم يكن عليه أن يفقه ويعقل ما يقول.

ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «نضر الله امرءاً، سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[4]. فقد يحفظ الرجل كلاماً، فيبلغه غيره وهو لا يفقه معناه ولا يعقله.

---

(١) في هـ (أفهمه) بدلاً من (أفقهه).

(٢) (ولا يفهمه) ساقطة من هـ .

(٣) (لا) ساقطة من هـ ، ك.

(٤) سبق تخريجه.

فمن نقل لفظ التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو ألفاظ سائر الأنبياء، لم نطالبه ببيان معناه.

بخلاف من ادعى أنه فهم ما قاله الأنبياء وعبر عن ذلك بعبارة أخرى، فإنه يقال له: إن كنت فهمت ما قالوه، فهو معنى واحد، عبروا عنه بعبارة، وعبرت[1] عنه بعبارة أخرى، كالترجمان[2]، فهذا يعقل ما يقول ويفقهه.

وإن قال: إني لم أفهم كلامهم، أو لم أفهم ما قلته، فقد اعترف بجهله وضلاله وأنه من الذين لم يفهموا كلام[3] الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، ولم يفقهوا[4] ما قالوه هم.

فلو قالوا: لم نفهم كلام الأنبياء وسكتوا، لكانوا أسوة أمثالهم من الجهال بمعاني كلام الأنبياء.

وأما إذا وضعوا عبارة وكلاماً ابتدعوه، وأمروا الناس باعتقاده وقالوا: هذا هو الإيمان والتوحيد، وقالوا: إنَّا ـ مع هذا ـ لا نتصور ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله، فهؤلاء من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفترون على الله وعلى كتب الله وأنبياء الله بغير علم، بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح، ويقولون مع[5] ذلك: إنا لا نعقله، وهذا حال النصارى بلا ريب.

وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس: غالية غلت في

---

(١) في ط، ك (عبرت) بسقوط (و).
(٢) (كالترجمان) غير واضحة في ك.
(٣) في ك (كلام الله عز وجل) بزيادة (الله عز وجل).
(٤) في هـ (يفهموا) بدلاً من (يفقهوا).
(٥) (مع) ساقطة من ط.

المعقـولات حتى جعلت مـا ليس معقـولاً من المعقـول، وقــدمتـه على الحس ونصوص الرسول.

وطـائفة جفت عنـه، فردت المعقـولات الصريحـة وقـدمت عليهـا ما ظنته من السمعيات والحسيات.

وهكذا الناس في السمعيات نوعـان، وكذلـك هم[1] في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان.

فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، بل يصدق بعضـه بعضاً.

بخلاف الباطل، فإنـه مختلف متناقض، كمـا قال ـ تعـالى ـ في المخالفين للرسل:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾[2].

وإن مـا علم بمعقول صـريح، لا يخـالفـه قط، لا خبـر صحيـح، ولا حس صحيح.

وكذلك ما علم بالسمع الصحيح، لا يعارضه عقل ولا حس.

وكذلك ما علم بالحس الصحيح، لا يناقضه خبر ولا معقول.

والمقصود هنا، الكلام مع من يعارض المعقولات بسمع أو حس.

فنقـول لفظ «المعقول» يـراد به المعقـول[3] الصريـح الذي يعـرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها، من غيـر أن يتلقاه بعضهم عن بعض،

(١) (في السمعيات نوعان، وكذلك هم) ساقطة من هـ ،ك.
(٢) سورة الذاريات: الآيات ٧ ـ ٩.
(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).

كما يعلمون تماثل المتماثلين، واختلاف المختلفين ــ أعني اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد[1] والتباين ــ فإن لفظ «الاختلاف» يراد به هذا وهذا.

وهذه المعقولات في العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

وقوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[3]

وأما ما يسميه بعض الناس «معقولات» ويخالفه فيه كثير من العقلاء، مثل القول بتماثل[4] الأجسام، وبقاء الأعراض، وأن[5] الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة، التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، وأن ما لا يتناهى من الأمور المتعاقبة شيئاً بعد شيء (يمتنع وجوده، إما في الماضي)(*) والمستقبل، أو في الماضي فقط، أو أن الكليات موجودة (في الخارج جواهر قائمة بأنفسها)(*) أو أن لنا دهراً أو مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه، (أو أنه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه)(*) لا يشار إليه، ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظار، أنه عقليات[6]

---

(١) في هـ، ك (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) سورة الحج: من الآية ٢٤٦.

في هـ، ك (أولم) بدلاً من (أفلم) وهو مخالف للمصحف.

(٤) في هـ، ك (في تماثل) بدلاً من (بتماثل).

(٥) في ط (فإن) بدلاً من (وأن).

(٦) في هـ (عقلياً) بسقوط (ت).

(ويناززعهم فيه آخرون)(*).

فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع، (وتبنى[1] عليها علوم بني آدم)(*) بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد إلى معقولات (بديهية أولية، بخلاف)(*) العقليات الصريحة، مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين (في وقت واحد معاً[2])(*)، فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها.

فإذا جاء في الحس (أو الخبر الصحيح ما يظن)(*) أنه يخالف ذلك، مثل أن يرى الشخص الواحد في «عرفات» وهو في بلده لم يبرح (أو يرى[3] قاعداً)(*) في مكانه، وهو في مكان آخر، أو يرى[4] أنه أغاث من استغاث به، أو جاء طائراً في الهواء[5]، مع العلم بأنه في مكانه لم يتغير منه، فهذا إنما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه، فهذا يشبهه ليس هو إياه[6].

والحسيات إن لم يميز بينها بالعقل، وإلا فالحس يغلط كثيراً، فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمراً يخالف صريح العقل يعلم أنه غالط فيه، كمن قال من القائلين بوحدة الوجود: «إني أشهد بباطني وجوداً مطلقاً مجرداً عن الأسماء والصفات،

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك

(1) في ط (وينبني) بدلاً من (تبني).

(2) (معاً) ساقطة من ط.

(3) (أو يرى) ساقطة من هـ.

(4) في ط، ك (أو يرى) بدلاً من (ترى).

(5) في ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

(6) في ط (إياء) بدلاً من (إياه).

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك.

لا اختصاص فيه ولا قيد البتة[1]»[2]، فلا يتنازع في هذا، كما قد ينازعه بعض الناس.

لكن يقال له: من أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض؟ فإن كون ما شهدته بقلبك هو الله، أمر لا يدرك بحس القلب، وإذا ادعيت أنه حصل لك في الكشف ما يناقض صريح العقل علم أنك غالط، كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني:

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرني ... والوجد أصدق نهاء وأمّار
فإن أطعك وأعص الوجد عدت عما ... عن العيان إلى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعوني إليه إذا ... حققت فيه تراه النهي يا جار[3]

فيقال له: وجدك وذوقك لم يفدك إلَّا شهود وجود مطلق بسيط، لكن من أين لك أن هذا هو رب العالمين؟ بل من أين لك أن هذا ثابت في الخارج عن نفسك كلياً مطلقاً مجرداً؟ بل[4] إنما تشهده كلياً مطلقاً مجرداً في نفسك.

ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر أن هذا هو في الخارج.

كما أن النائم إذا شهد حسه الباطن أشياء لم يكن معه يقين أن هذا في الخارج.

فإذا عاد إليه عقله علم أن هذا كان في خياله في المنام.

---

(١) في هـ، ك (ولا مبدأ له) بدلاً من (ولا قيد البتة).
(٢) هذا النقل يظهر لي أنه من كتب الصوفية أو كلامهم لكن لم أعثر على مكانه.
(٣) هذه الأبيات نسبها المؤلف للتلمساني، وقد اجتهدنا في البحث عنها فلم أهتد إلى مكانها.
(٤) في هـ، ك (أنك) بدلاً من (بل).

وكـذلك السكـران وغيره ممن يضعف عقله فهـذا يشهد[1] بحسـه الباطن، أو الظاهر أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد[2] عليه، وإذا ثاب إليه عقله، علم أن ما شهده كان في نفسه وخياله لا في الخارج عن ذلك.

فكل من أخبر بما يخالف[3] صحيح المنقول أو صريح المعقول[4] يعلم أنه[5] وقع له غلط، وإن كان صادقاً فيما يشهده في الحس البـاطن أو الظاهر، لكن[6] الغلط وقع في ظنه الفـاسد المخـالف لصريـح العقل لا في مجرد الحس، فإن الحس ليس فيه[7] علم بنفي أو إثبات.

فمن رأى شخصاً، فليس في الحس إلّا رؤيته.

وأما كونـه زيداً أو عمـراً[8]، فهذا لا بـد فيه من[9] عقـل يميز بين هـذا وهذا، ولهـذا كان الصغيـر والمجنون والبهيم[10] والسكران والنـائم ونحوهم، لهم حس، ولكن لعدم العقل لا يميزون أن هـذا المشهود هـو كذا أم كذا، بل قد يظنون ظنوناً غير مطابقة.

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ

---

(١) في هـ، ك (شهد) بسقوط (يـ).

(٢) في هـ، ك (ررد).

(٣) (عن ذلك. فكل من أخبر بما يخالف) ساقطة من ك.

(٤) في هـ، ك (صريح المعقول أو صحيح المنقول) تقديم وتأخير.

(٥) (يعلم أنه) ساقطة من ك.

(٦) (لكن) ممحوة من ك.

(٧) (ليس فيه) ممحوة من ك.

(٨) (زيداً وعمراً) ممحوة من ك.

(٩) (من) ساقطة من ك.

(١٠) في هـ (البهيمة) بدلاً من (البهيم).

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

فالظمآن، يرى أن ما ظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط، لكن غلط عقله.

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، معصومون، لا يقولون على الله إلاَّ الحق، ولا ينقلون[2] عنه إلاَّ الصدق.

فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول، كان كاذباً، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

فما علم يقيناً أنهم أخبروا به، يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه.

وما علم يقيناً أن العقل حكم به، يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد[3] من النصارى وغيرهم ـ سواءً ادعوا الاتحاد العام أو الخاص ـ قد علم بصريح العقل بطلانه، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء، بل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

ومن سوى الأنبياء ليس معصوماً، فقد يغلط ويحصل له في كشفه وحسه وذوقه وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة.

---

(١) سورة النور: من الآية ٣٩.

(٢) في هـ (ولا يتلقون) بدلاً من (ينقلون).

(٣) في ط (الإلحاد) بدلاً من (الاتحاد).

فإذا أخبر مثل هذا بشيء، علم بطلانه بصريح العقل، علم أنه غالط.

وإذ أخبر غير الأنبياء بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته، لم يلزم أن يكون صادقاً ولا كاذباً، بل لا نحكم بصدقه ولا كذبه إلَّا بدليل لاحتمال أن يكون غالطاً، واحتمال أن يكون قد علم ما يعجز[1] غيره عن معرفته.

وإذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل من ليس بنبي، وقال: إن هذا فوق العقل، أو هذا وراء طور العقل والنقل، أو هذا لا نعرفه إن لم نترك العقل والنقل، أو قال:

هم معشر حلو النظام وأحرقوا[2] الـ ـسياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين إلَّا أن سر[3] جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل[4]

قيل: وهذا يمتنع أن يقوله نبي، أو ينقله صادق عن نبي، فإن أقوال الأنبياء لا تناقض العقل الصريح، فكيف يقبل هذا ممن ليس بنبي؟

وإن قال كما يقوله النصارى[5] أو غيرهم: إن هذا دل عليه كلام الأنبياء، أو فهمناه من كلام الأنبياء.

قيل لهم: الكلام في معاني الألفاظ التي نطقت بها الأنبياء شيء والكلام الذي[6] فهمتموه عنهم شيء آخر.

---

(١) في هـ (لعجزه) بدلاً من (يعجز).
(٢) في ك (وأخرقوا) بدلاً من (وأحرقوا).
(٣) في هـ (ستر) بدلاً من (سرّ).
(٤) هذه الأبيات لم نعثر على قائلها بالرغم من دقة البحث وسؤال أهل الشأن.
(٥) (النصارى) ممحوة من ك.
(٦) (الذي) ممحوة من ك. في هـ (فيما) بدلاً من (الذي).

ولو قدر أن ما ذكرتموه أنتم أو غيركم، فهمتموه[1] من كلام الأنبياء ليس مخالفاً لصريح العقل، لم نجزم بأن قائل ذلك يتصور ما قال[2]، بل قد يكون فهم من كلامهم ما لم يريدوه.

فكيف إذا كان هو ــ نفسه ــ لم يتصور ما قال؟ بل هم معترفون بأنه غير معقول له، وهو لا يفهمه، فكيف إذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح العقل.

فهذه ثلاث مقدمات لو فهمه ثم قال: إني فهمت كلامه، لم يكن فهمه حجة.

فكيف إذا قال: إني لم أفهمه، وإن هذا فوق طور العقل؟

ولو قال هذا: لم يكن قوله حجة، ولم يجب تصديقه من أن الأنبياء عنوا بكلامهم المعنى الذي اعترف[3] أنه فوق طور[4] العقل، فكيف إذا عرف أن ذلك المعنى باطل، يمتنع أن يقوله عاقل، لا نبي ولا غير نبي؟



(١) في هـ، ك (فهموه) بدلاً من (فهمتموه).
(٢) في هـ (مصيب في فهمه) بدلاً من (يتصور ما قال).
(يتصور ما قال) ساقطة من ك.
(٣) في ط (اعترفوا) بدلاً من (اعترف).
(٤) (طور) ساقطة من هـ، ك.

فصل

الجواب عن شبهة النَّصارى في إقرار المسلمين في الصفات، وأنه لا يقتضي التشبيه والتجسيم

قال الحاكي[1] عنهم: فقلت لهم: إنهم يقولون لنا: إذا كان اعتقادكم في الباري ـ تعالى ـ أنه واحد، فما حملكم على أن تقولوا أب وابن وروح قدس فتوهمون السامعين أنكم تعتقدون في الله ثلاثة أشخاص مركبة، أو ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أجزاء، وأن له ابناً؟ ويظن من لا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك، ابن المباضعة والتناسل[2]، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون؟

قالوا: وهم أيضاً[3]، لما كان اعتقادهم في الباري جلت عظمته أنه غير ذي جسم، وغير ذي جوارح وأعضاء، وغير محصور في مكان، فما حملهم [4] على أن يقولوا[5]: إن له عينين يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساق ووجهه يوليه إلى كل مكان، وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم، وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلل من الغمام، فيظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسمون الباري، حتى إن قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه.

---

(١) المقصود به: بولس الإنطاكي أسقف صيدا، وكاتب الرسالة التي يرد عليها المؤلف في هذا الكتاب.

(٢) في هـ (المناسلة) بدلاً من (التناسل).

(٣) (وهم أيضاً) يقصد المسلمون.

(٤) في ك (حملكم) بدلاً من (حملهم).

(٥) في ك (تقولوا) بدلاً من (يقولوا).

قال: فقلت لهم: إنهم يقولـون: إن العلة في قولهم هـذا، أن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب، وأنه يـأتي في ظلل من الغمام، فهو أن القـرآن نطق بـه، وأن ذلك غيـر ظاهـر اللفظ، وكل من يحمـل ذلك على ظاهر اللفظ، ويعتقد أن الله له عينـان ويدان ووجـه وجنب وجوارح وأعضاء وأن ذاته تنتقـل، فهم يلعنونـه ويكفرونـه، فإذا كفـروا من يعتقد هذا، فليس لمخالفيهم[1] أن يلزموهم هذا بعد أن لا يعتقدوه.

قـالوا: وكـذلك نحن أيضـاً النصارى، العلة[2] في قـولنـا: إن الله ثـلاثة أقـانيم، أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيـل نطق بـه، والمراد بالأقانيم[3] غير الأشخاص المركبة، والأجـزاء والأبعاض وغيـر ذلك ممـا يقتضي الشرك والتكثير[4]، وبالأب والابن غير أبوة وبنوة نكاح أو تناسل، أو جماع، أو مباضعة.

وكل من يعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثـة آلهة مختلفـة، أو ثلاثـة آلهة متفقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء متفـرقة، أو ثـلاثة أشخـاص مركبة، أو أعراض، أو قوى، أو غير ذلك ممـا يقتضي الاشتراك والتكثيـر والتبعيض والتشبيـه، أو بنوة نكـاح، أو تنـاسـل، أو مبـاضعـة، أو جمـاع أو ولادة زوجـة، أو من بعض الأجسـام، أو من بعض المـلائكـة، أو من بعض المخلوقين، فنحن نلعنه ونكفره ونجرمه.

وإذا لعنّا أو كفرنا من يعتقد ذلك، فليس لمخالفينا أن يلزمونـا بعد أن لا نعتقده، وإن ألزمونا الشـرك والتشبيه لأجـل قولنـا: أب وابن وروح

(١) (لمخـالفيهم) ساقطة من ك.
(٢) (العلة) ساقطة من ك.
(٣) (الأقانيم) ساقطة من ك.
(٤) (التكثير) ساقطة من ك.

قدس، لأن ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه. ألزمناهم أيضاً ــ نحن ــ التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب، وأن ذاته تنتقل من مكان إلى مكان، وأنه استوى على العرش من بعد أن لم يكن عليه، وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم والتشبيه[1].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: من آمن بما جاءت به الرسل وقال[2] ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه، فهذا لا إنكار عليه، بخلاف من ابتدع أقوالاً لم تقلها الرسل، بل هي تخالف ما قالوه ،وحرف ما قالوه، إما لفظاً ومعنى ، وإما معنى فقط، فهذا يستحق الإنكار عليه باتفاق الطوائف.

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له ــ تعالى ــ ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل:

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[4].

---

(١) انتهى كلام الحاكي عنهم، وهذا موجود في مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي، ص ١٣، المتحف القبطي. وهو آخرها.

(٢) (قال) ساقطة من هـ ، ك.

(٣) سورة الصافات: من الآية ١٨٠.

(٤) سورة الصافات: من الآية ١٨١.

لسلامة ما قالوه من النقص والعيب:

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

فمن نفى[2] عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثلاً، والمعطل يعبد عدماً، والممثل يعبد[3] صنماً.

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

وهو رد على الممثلة[4]،

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وهو رد على المعطلة[5].

---

(١) سورة الصافات: من الآية ١٨٢.

(٢) في ك (نفا) بدلاً من (نفى).

(٣) (يعبد) ساقطة من ط.

(٤) **الممثلة**: فرقة شبهت صفات الله بصفات المخلوق، وهم صنفان: الأولى: تشبه ذاته بغيره من الذوات، والثاني تشبه صفاته بصفات غيره.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٥؛ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٥.

(٥) **المعطلة**: فرقة تتكون من الجهمية والمعتزلة نفت صفات الله على أصلين فاسدين.
(١) أنها من المتشابه. (٢) أن المتشابه تأويلاً لا يعلمه إلاَّ الله. وهم متناقضون في بدعهم.
انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ص ١٥٣؛ ولوامع الأنوار البهية ١/١٢٨.

فوصفته الرسل بأنه حي منزه عن الموت، عليم منزه عن الجهل، قدير قوي عزيز، منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب[1]، سميع بصير منزه عن الصم والعمى، غني منزه عن الفقر، جواد منزه عن البخل، حكيم[2] حليم[3]، منزه عن السفه، صادق منزه عن الكذب، إلى سائر صفات الكمال مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف، وقد[4] قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[5].

فالصمد اسم يتضمن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص، وهو[6] العليم الكامل في علمه، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته.

ولنا مصنف[7] مبسوط في تفسير هذه السورة، وآخر[8] في بيان أنها تعادل ثلث القرآن، وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين في معنى «الصمد» وأن عامة ما قالوه حق، كقول من قال

---

(١) (اللغوب) ساقطة من ك.
في هـ (اللغوب والذل) تقديم وتأخير).
(٢) (حكيم) ساقطة من هـ .
في ط (حكم) بدلاً من (حكيم).
(٣) (حليم) ساقطة من ك.
(٤) (قد) غير ظاهرة في ك.
(٥) سورة الإخلاص كلها.
(٦) في هـ (فإنه) بدلاً من (وهو).
(٧) (لنا مصنف) غير ظاهرة في ك.
(٨) يقصد به كتاب (جواب أهل العلم والإيمان، فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن)، وقد طبع مراراً في القاهرة.

منهم: «إن الصمد الذي لا جوف له» ومن قال منهم: «إنه السيد الذي انتهى سؤدده» كما قيل: «إنه المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه»، وكما قيل: «إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته» إلى سائر صفات الكمال.

وذكر ـ تعالى ـ في هذه السورة أنه أحد ليس، له كفواً أحد، فنفى بذلك أن يكون شيئاً من الأشياء له كفواً، وبين أنه أحد لا نظير له.

وقال في آية أخرى:

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[1].

وقال:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2].

وقال:

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾[3].

وقال[4]:

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾[5].

وما ورد في القرآن والسنَّة من إثبات صفات الله، فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك.

فهو أمر اتفقت عليه الرسل، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين.

---

(١) سورة مريم: من الآية ٦٥.
(٢) سورة الشورى: من الآية ١١.
(٣) سورة النحل: من الآية ٧٤.
في هـ، ك (ولا) بدلاً من (فلا).
(٤) (وقال) ساقطة من ط.
(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٢..

وإذا كان كذلك، فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء[١].

فليس في كلام الأنبياء ـ لا المسيح ولا غيره ـ ذكر أقانيم لله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاث صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله، ابناً لله، ولا رباً، ولا تسمية حياته روحاً، ولا أن للَّه ابناً هو إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وأنه خالق كما أن الله خالق، إلى غير ذلك من الأقوال المتضمنة لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء.

فقالوا: في شريعة إيمانهم: نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وهذا حق.

ثم قالوا: وبالرب الواحد يسوع[٢] المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلايق كلها، مولود ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، نور من نور، مساوٍ للأب في الجوهر الذي[٣] بيده أتقنت العوالم وخلق[٤] كل شيء، الذي من أجلنا ـ معشر الناس ـ ومن أجل خلاصنا نزل من[٥] السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول[٦] وتألم وصلب ودفن، وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى

(١) (بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء) ساقطة من ك.
(٢) في ك، هـ (أيسوع) بزيادة (أ).
(٣) في ط (الذي الجوهر) تقديم وتأخير.
(٤) في ط، ك (خلق) بسقوط (و).
(٥) (من) ساقطة من ط.
(٦) (البتول) ساقطة من ط.

السماء، وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس المحيي[1]، وروح الحق المنبثق من أبيه، أو الذي خرج من أبيه روح محييه.

فأين في كلام الأنبياء أن شيئاً[2] من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه أقنوم، وإنه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، وإنه مساوٍ لله في الجوهر، وإنه خالق خلق[3] كل شيء، وإنه قعد[4] عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟

وأين في كلام الأنبياء أن لله ولداً قديماً أزلياً؟

ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته، مولوداً له أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له؟

ومن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود، وهو ـ مع ذلك ـ قديم أزلي؟

وأين في كلامهم أن لله أقنوماً ثالثاً هو حياته، ويسمى بروح القدس وأنه أيضاً رب حي[5] محيي[6]؟

فلو[7] كان النصارى آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون،

(١) في هـ (الواحد) بدلاً من (المحيي).
(٢) (شيئاً) غير ظاهرة في ك.
(٣) (خلق) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (جالس) بدلاً من (قعد).
(٥) في هـ، ك (حق) بدلاً من (حي).
(٦) (محيي) ساقطة من ك.
(٧) (فلو) ساقطة من ك.

لم يكن عليهم ملام[1].

ومن اعترض على نصوص الأنبياء، كان لفساد فهمه ونقص معرفته.

ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وفيها كفر ظاهر وتناقض بين.

فلو قدر أنهم أرادوا بها معنى صحيحاً، لم يكن لأحد أن يبتدع كلاماً لم يأتِ به نبي يدل على الكفر المتناقض الذي يخالف الشرع والعقل، ويقول: إني أردت به معنى صحيحاً من غير أن يكون لفظه دالاً على ذلك، فكيف والمراد الذي يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم؟

فهم ابتدعوا أقوالاً منكرة وفسروها بتفسير منكر، فكان الردعليهم من كل واحد من الوجهين، وهم ـ في ذلك ـ نظير بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون إلٓهية بعض أهل البيت، أو بعض المشايخ، ويصفون الله بصفات لم ينطق بها كتاب، وهؤلاء ملحدون عند المسلمين.

بخلاف المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله، الذين آمنوا بما قالت الأنبياء: ولم يبتدعوا أقوالاً لم يأتِ بها الأنبياء، وجعلوها أصل دينهم.

الوجه الثاني: أن يقال: ما ذكرتموه[2] عن المسلمين كذب ظاهر عليهم.

فهذا النظم الذي ذكروه ليس هو في القرآن، ولا في الحديث،

---

(١) في ك (كلام) بدلاً من (ملام).

(٢) في هـ (ذكروه) بدلاً من (ذكر).

ولا يعرف عالم مشهور من علماء المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائفهم، يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين، حيث قالوا عنهم: «إنهم يقولون: إن لله عينين يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساقاً ووجهاً يوليه إلى كل مكان، وجنباً.

ولكن هؤلاء ركبوا من ألفاظ القرآن ـ بسوء تصرفهم وفهمهم[1]، تركيباً زعموا أن المسلمين يطلقونه.

وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه فإن الله ـ تعالى ـ قال في كتابه:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[2].

واليهود أرادوا بقولهم: (يد الله مغلولة): أنه بخيل، فكذبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد لا يبخل، فأخبر أن يديه مبسوطتان، كما قال:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3].

فبسط اليدين، المراد به الجواد والعطاء، ليس المراد (ما توهموه من بسط مجرد)[4].

ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها، صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء.

---

(١) (فهمهم) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٢٩.

(٤) في ط (ما أوهموه من بسطه المجرد).
وفي ك (ما أوهموه من بسط مجرد).

فلما قالت اليهود: (يد الله مغلولة) وأرادوا بذلك أنه بخيل، كذبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد ماجد.

وإثبات اليدين له موجود في التوراة، وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن.

فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل، وقد قال ـ تعالى ـ لإبليس:

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1].

فأخبر أنه خلق آدم بيديه، وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك[2].

وأما لفظ «العينين»[3] فليس هو في القرآن، ولكن جاء فيه حديث.

وذكر الأشعري[4] عن أهل السنَّة والحديث[5] أنهم يقولون: إن لله عينين.

ولكن الذي جاء في القرآن:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[6]،

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[7]،

---

(١) سورة ص: من الآية ٧٥.

(٢) (وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط، ك (عينين) بسقوط (الـ).

(٤) الأشعري: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٥) في ط (حيث) بدلاً من (والحديث).

(٦) سورة طه: من الآية ٣٩.

(٧) سورة هود: من الآية ٣٧.

﴿ وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(1) .

وأما قولهم: «له وجه يوليه إلى كل مكان» فليس هذا في القرآن ولكن في القرآن:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(2) .

وقوله:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(3) .

وقوله:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾(4) .

وهذا قد قال فيه طائفة من السلف: فثم قبلة الله، أي فثم جهة الله، والجهة، كالوعد والعدة، والوزن والزنة.

والمراد بوجه الله وجهة الله، الوجه، والجهة والوجهة الذي لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ .

ثم قال:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ .

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(5) .

---

(1) سورة القمر: الآيتان ١٣، ١٤.

(2) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(3) سورة القصص: من الآية ٨٨.

(4) سورة البقرة: من الآية ١١٥.

(5) سورة البقرة: من الآية ١٤٢.

فإذا كان لله المشرق والمغرب، ولكل وجهة هو موليها، وقوله: موليها، أي متوليها أو مستقبلها، فهذا كقوله: **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾**، أي فأينما تستقبلوا فثم وجهة[1] الله، وقد قيل: إنه يدل على صفة الله لكن يدل على أن ثم وجه للَّه، وأن العباد أينما يولون، فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون، لا أنه هو يولي وجهه إلى كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين.

ومن قال بالقول الثاني من المسلمين، فإن ذلك يقتضي[2] أن الله محيط بالعالم كله، كما قد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع.

إذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم فيما ابتدعوا[3] من الكفر والتثليث والاتحاد، دون الذين آمنوا بالله ورسله، وما أخبرت به الرسل عن الله ــ تبارك وتعالى ــ.

وأما قولهم (وجنب) فإنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنباً[4]، نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[5].

فليس[6] في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله

---

(١) في هـ (وجه) بدلاً من (وجهة).
(٢) في هـ (يقضي) بدلاً من (يقتضي).
(٣) في هـ، ك (ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).
(٤) (لله جنباً) ممحوة من ك.
(٥) سورة الزمر: من الآية٥٦.
(٦) في هـ (وليس) بدلاً من (فليس).

صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة[1] له باتفاق الخلق، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿**بيت الله**﴾، و ﴿**ناقة الله**﴾، و ﴿**عباد الله**﴾، بل وكذلك ﴿**روح الله**﴾ عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة[1] لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد الله[2] ونحو ذلك، كان صفة له.

وفي القرآن ما يبين[3] أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان فإنه قال:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

والتفريط ليس في شيء من صفات الله ـ عز وجل ـ .

والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه، لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق، لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق الله، أن التفريط كان في ذاته.

وجنب الشيء وجانبه، قد يراد به منتهاه وحده، ويسمى جنب الإنسان جنباً بهذا الاعتبار، قال ـ تعالى ـ :

---

(١) في هـ (صفة) بسقوط (ب).

(٢) في هـ (وقدرة الله) بدلاً من (ويد الله).

(٣) (القرآن ما يبين) غير ظاهرة في ك.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

وقـال النبي ـ صلّى الله عليـه وسلّم ـ لعمـران بن حصين[3]: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[4].

وإذا قدر أن الإضافة هنا تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا كالكلام في سائر ما يضاف إليه ـ تعالى ـ من الصفات، وفي التوراة من ذلك نظير ما في القرآن.

وهذا يتبين بالوجه الثالث: وهو أن يقال ما في القرآن والحديث عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيماً، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء، وهذا[5] الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب.

---

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦.
(يدعون ربهم) ساقطة من هـ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٩١.
من (وقال تعالى) إلى نهاية هذه الآية ساقط من هـ.

(٣) عمران بن حصين. سبقت الإشارة إليه ٣/ ٣٨٢/ ٨.

(٤) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب تقصير الصلاة ـ باب ١٩ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها ـ باب ١٣٩ ما جاء في صلاة المريض ـ حديث ١٢٢٣ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.
* سنن الترمذي ـ أبواب الصلاة ـ ما جاء تحت باب ٢٧٠ أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ـ حديث ٣٦٩ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.

(٥) في هـ، ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم، لكان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذمهم على ذلك، كما ذمهم على ما وصفوه به من النقائص في مثل قوله[1] ــ تعالى ــ:

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4].

فنفى عنه اللغوب الذي يظن في لفظ الاستراحة الذي في التوراة، فإن فيها أن الله خلق العالم في ستة أيام، ثم استراح في يوم السبت[5]، فظن بعض الناس أنه تعب فاستراح.

ثم من علماء المسلمين من قال[6]: إن[7] هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه، وهذا[8] لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة[9] ــــــــ

(١) هكذا في سائر النسخ، وأرى أن سلامة التعبير (قول الله تعالى) لأن المذكور بعد ذلك آية من كلام الله، وليس حديثاً للرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨١.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة قٓ: من الآية ٣٨.

(٥) ورد في ذلك في سفر التكوين من العهد القديم.

(٦) في هـ (ويقول) بدلاً من (قال).

(٧) (إن) ساقطة من هـ.

(٨) في ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

(٩) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن =

وغيره[1]، وقالوا[2]: معناه ثم ترك الخلق، فعبر عن ذلك بلفظ استراح[3].

ومنهم من قال: بل حرفوا لفظه، كما قال أبو بكر الأنباري[4] وغيره.

وقالوا: ليس هذا[5] لفظ[6] التوراة[7] المنزلة، وأما ما في التوراة من إثبات الصفات، فلم ينكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً من ذلك، بل كان علماء اليهود إذا ذكروا شيئاً من ذلك يقرهم عليه، ويصدقهم عليه[8]، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود[9]، أن حبراً من اليهود جاء إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «يا محمد إن الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة يحمل السماوات على إصبع،

المصنفين المكثرين، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، وتوفي بها سنة ٢٧٦ وتولى قضاء الدينور فترة من الزمن فنسب إليها، وكان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وغيره، وله مصنفات كثيرة من أشهرها كتاب مشكل القرآن وكتاب مشكل الحديث وكتاب عيون الأخبار والشعر والشعراء وغيرها كثير كأدب الكاتب.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢؛ وتاريخ بغداد ١٠/١٧٠؛ والبداية والنهاية ١١/٤٨؛ وميزان الاعتدال ٢/٥٠٣؛ وتاريخ العلماء النحويين ص ٢٠٩؛ وشذرات الذهب ٢/١٦٩؛

(١) (لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة وغيره) غير ظاهر في ك.

(٢) في هـ، ك (قالوا) بسقوط (و).

(٣) في ك (الاستراح) بزيادة (ال).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في هـ، ك (ليست هذه) بدلاً من (ليس هذا).

(٦) في ك (ألفاظ) بدلاً من (لفظ).

(٧) (التوراة) غير ظاهرة في ك.

(٨) (ويصدقهم عليه) ساقطة من ط، ك.

(٩) في هـ، ك (ابن) بزيادة (ا).

عبد الله بن مسعود: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٨٠.

والأرض[1] على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق[2] على إصبع، ثم يهزهن[3] فيقول: أنا الملك» قال: فضحك النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية[4].

وفي التوراة: «إن الله كتب التوراة بإصبعه»[5].

وإذا ثبت أن مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب، وبما يشهد على ذلك من أخبار الرسول بنظير ذلك، وترك إنكاره لما في التوراة، وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك لم يكن المسلمون مختصين بذكر ما سموه تجسيماً، بل يلزم أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ من ذلك نظير ما يلزم المسلمين.

---

(١) في هـ (الأرضين) بدلاً من (الأرض).
(٢) (الخلق) ساقطة من ك.
(٣) في هـ، ك (فيهزهن).
(٤) سورة الزمر: من الآية ٦٧.
انظر الحديث:
* صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ١٩، (٢٦: ٣٩) عن عبد الله بن مسعود بمعناه.
* وصحيح مسلم ـ كتاب المنافقين ـ باب ٥٠ ـ صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ١٩ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه.
* وسنن الترمذي ـ أبواب التفسير ـ تفسير سورة الزمر ص ٣٩ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه.
(٥) في سفر الخروج ـ الإصحاح الثاني والثلاثون: (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع).
انظر: العهد القديم ص ١٣٩.

وقد افترق أهل الكتاب في ذلك، كما افترق فيه المسلمون، منهم الغالي في النفي والتعطيل، ومنهم الغالي في التشبيه والتمثيل.

والمسلمون ـ أئمتهم وجمهورهم ـ مقتصدون بين التعطيل والتمثيل، وكذلك طائفة من أهل الكتاب.

والمقصود أنه إذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة وغيرها، كما جاءت في القرآن، لم يكن للمسلمين بذلك اختصاص.

ولم يجز للنصارى أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد فإن ذلك مختص بهم.

وهذه الصفات قد اشترك فيها أهل الملل الثلاث، لأن التثليث والاتحاد ليس منصوصاً عن أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء، فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟

الوجه الرابع: قولهم: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» كلام باطل، وذلك أن الله سمى نفسه وصفاته بأسماء، وسمى بعض عباده[1] وصفات عباده بأسماء، هي في حقهم نظير تلك[2] الأسماء في حقه، ـ سبحانه وتعالى ـ.

فسمى نفسه حياً، كقوله:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[3] . . . الآية.

(١) في هـ (عباده بأسماء) بزيادة (بأسماء).

(٢) (تلك) ساقطة من ك.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ . . . ﴾[1].

وسمى بعض عباده حياً، كقوله:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾[2].

مع العلم بأنه ليس الحي كالحي، وسمى نفسه عليماً، كقوله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وسمى بعض عباده عليماً، كقوله: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[4].

مع العلم[5] بأنه ليس العليم كالعليم.

وسمى نفسه حليماً بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[6].

وسمى بعض عباده[7] حليماً، بقوله:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[8].

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٥٨.

(٢) سورة يونس: من الآية ٣١، وكذلك سورة الروم: من الآية ١٩.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٢٨.

(٤) سورة الذاريات: من الآية ٢٨.
في ط (وبشرناه) بدلاً من (بشروه).

(٥) في ط (فاعلم) بدلاً من (مع العلم).

(٦) سورة البقرة: من الآية ٢٦٣.
في هـ، ك (إن الله) بدلاً من (والله).

(٧) في ك (نفسه) بدلاً من (بعض عباده).

(٨) سورة الصافات: من الآية ١٠١.

وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً، بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً، بقوله: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وليس الرؤوف كالرؤف، ولا الرحيم كالرحيم.

وكذلك سمى نفسه ملكاً جباراً متكبراً عزيزاً، وسمى بعض عباده ملكاً، وبعضهم عزيزاً، وبعضهم جباراً متكبراً، وليس هو في ذلك مماثلاً لخلقه.

وكذلك سمى بعض صفاته علماً وقوة وأيدا، وقدرة ورحمة، وغضباً ورضى ويداً، وغير ذلك، وسمى بعض صفات عباده بذلك، وليس علمه كعلمهم، ولا قدرته كقدرتهم[3]، ولا رحمته وغضبه، كرحمتهم وغضبهم، ولا يده كأيديهم.

وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه على العرش، ومجيئه في ظلل من الغمام، وغير ذلك من هذا الباب، ليس استواؤه كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم.

وهذه المعاني التي تضاف إلى الخالق تارة وإلى المخلوق أخرى، تذكر على ثلاثة أوجه:

تارة تقيد بالإضافة إلى الخالق أو بإضافته إليها، كقوله

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٢٨.

(٣) في هـ، ك (ولا قوته كقوتهم) بدلاً من (ولا قدرتهم).

ـ تعالى[1] ـ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[2] الآية

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾[3]

وتارة تتقيد بالمخلوق، كقوله:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[4].

وتارة تطلق مجردة.

فإذا قيدت بالخالق لم تدل على شيء من خصائص المخلوقين.

فإذا قيل: علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك، كانت هذه الإضافة توجب ما يختص به الرب الخالق، وتمنع أن يدخل فيها ما يختص به المخلوق.

وكذلك إذا قيل:

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾[5]

كانت هذه الإضافة توجب ما يختص بالعبد، وتمنع أن يدخل في ذلك ما يختص بالرب ـ عز وجل ـ.

وإذا جرد اللفظ عن القيود فذكر بوصف العموم والإطلاق، تناول الأمرين كسائر الألفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق.

وهذه المسائل فيها أقوال

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(إلّا بما شاء) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة الذاريات: من الآية ٥٨.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ١٨.

(٥) سورة المؤمنون: من الآية ٢٨.

وقيل: إنها حقيقة في الخالق، مجاز في المخلوق، كقول أبي العباس الناشيء[1].

وقيل: بالعكس، كقول غلاة الجهمية والباطنية[2] والفلاسفة[3].

وقيل: حقيقة فيهما، وهو قول الجمهور.

ثم قيل: هي مشتركة اشتراكاً لفظياً، وقيل: متواطئة وهو قول الجمهور.

ثم من جعل المشككة نوعاً من المتواطئة لم يمتنع ـ عنده ـ إذا قيل مشككة أن تكون متواطئة، ومن جعل ذلك نوعاً آخر جعلها مشككة لا متواطئة.

وهذا نزاع لفظي، فإن المتواطئة التواطؤ العام، يدخل فيها المشككة.

إذ المراد بالمشككة، ما يتفاضل معانيها في مواردها، كلفظ الأبيض الذي يقال على البياض الشديد، كبياض الثلج، والخفيف كبياض العاج، والشديد أولى به.

ومعلوم أن مسمى البياض في اللغة، لا يختص بالشديد دون الخفيف، فكان اللفظ دالاً على ما به الاشتراك، وهو المعنى العام الكلي وهو متواطىء بهذا الاعتبار، وهو اعتبار التفاضل يسمى مشككاً.

وأما إذا أريد بالتواطىء ما تستوي[4] معانيه، كانت المشككة نوعاً آخر.

---

(١) أبو العباس الناشيء. سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) الفلاسفة: سبقت الإشارة إليهم ٣/ ١٢.

(٤) في هـ (يستوي) بدلاً من (تستوي).

لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث، وهو خطأ أيضاً.

فإن عامة المعاني العامة تتفاضل، والتماثل فيها في جميع مواردها ـ بحيث لا تتفاضل في شيء من مواردها ـ إما قليل وإما معدوم.

فلو لم تكن هذه الأسماء متواطئة بل مشككة، كان عامة الأسماء الكلية غير متواطئة، وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة[1] يختص[2] بها، وتمنع أن يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين، وقد قال مع ذلك: إنه (ليس كمثله شيء) وإنه (لم يكن له كفواً أحد) وأنكر أن يكون له سمى، كان من فهم من هذه ما يختص به المخلوق، قد أتي من سوء فهمه، ونقص عقله، لا من قصور في بيان الله ورسوله، ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة.

فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطرار، أو اكتساب، فمن نفسه أتي، وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك.

وكذلك من فهم من قوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾[3] الآية.

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[4].

ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه، فمن نفسه أوتي،

---

(١) (إضافة) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تختص) بدلاً من (يختص).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة ص: من الآية ٧٥.

فليس في ظاهر[1] هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات.

وكذلك إذا قال:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2].

من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق، كما يفهم من قوله:

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[3].

فمن نفسه أتي، فإن ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله ـ عز وجل ـ، كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد.

وإذا كان المستوي ليس مماثلاً للمستوي، لم يكن الاستواء مماثلاً للاستواء.

فإذا كان العبد فقيراً إلى ما استوى عليه، يحتاج إلى حمله.

وكان الرب ـ عز وجل ـ غنياً عن كل ما سواه، والعرش وما سواه فقيراً إليه، وهو الذي يحمل العرش، وحملة العرش، لم يلزم إذا كان الفقير محتاجاً إلى ما استوى عليه أن يكون الغني عن كل شيء، وكل شيء محتاج إليه، محتاجاً إلى ما استوى عليه.

وليس في ظاهر كلام الله(*) ـ عز وجل ـ ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك، بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ.

---

(١) (ظاهر) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة الفرقان: من الآية ٥٩.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ٢٨.

(*) أوائل أسطر غير ظاهرة في ك لوجود بقع سوداء.

لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أن الله مثله، تخيل أن يكون استواؤه كاستوائه، وإذا عرف أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، علم أن استواءه ليس كاستوائه، ولا مجيئه كمجيئه، كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه، ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه.

وما بين الأسماء من المعنى[1] العام الكلي كما بين قولنا، حي وحي وعالم وعالم. وهذا المعنى العام الكلي المشترك لا يوجد عاماً كلياً مشتركاً إلاَّ في العلم والذهن وإلاَّ فالذي في الخارج أمر يختص بالموصوف.

فصفات الرب ــ عز وجل ــ، مختصة به، وصفات المخلوق مختصة به، ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق.

الوجه الخامس: قولهم: (لما كان اعتقادهم في الباري جلت قدرته أنه غير ذي جسم) استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلظ لا في ذي القدر والغلظ، وهذا أحد موردي استعماله وهو الأشهر في لغة العامة، فيقولون: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم، أي هذا له غلظ وكثافة دون هذا.

ولكن النظار أكثر ما يستعملون لفظ «الجسم» في نفس ذي القدر فيقولون: للقائم بنفسه، ذي القدر: إنه جسم.

وهذا اللفظ لما كثر استعماله في كلام النظار، تفرقوا في معانيه لغة وعقلاً وشرعاً، تفرقاً ضل به كثير من الناس، فإن هذا اللفظ أصله في اللغة هو الجسد.

---

(١) في ط، ك (كالمعنى) بدلاً من (المعنى).

قال غير واحد من أهل اللغة كالأصمعي[1]، وأبي زيد[2]، وغيرهما: الجسم هو الجسد.

وهذا إنما يستعمله أهل اللغة فيما كان غليظاً كثيفاً، فلا يسمون الهواء جسماً ولا جسداً، ويسمون بدن الإنسان جسداً.

وقد تقدم أن الجسم يراد به نفس الجسد، ويراد به قدر الجسد وغلظه، قال تعالى:

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[4].

وقد يراد به هذا وهذا.

ثم إن أهل النظر استعملوا لفظ «الجسد» في أعم من معناه في

---

(1) الأصمعي: هو عبد الله بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ، وكان كثير التطواف في البوادي، قال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة؛ وأعلمهم بالشعر، وأحذرهم حفظاً، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب النبات والشجر، توفي سنة ٢١٦ بالبصرة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٧٠؛ وتهذيب التهذيب ٦/٤١٥؛ وميزان الاعتدال ٦٦٢/٢.

(2) أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد الأنصاري من أئمة الأدب، ولد بالبصرة، كان ثقة في الرواية له مصنفات كثيرة.

انظر: تاريخ بغداد ٧٧/٩؛ والبداية والنهاية ٢٦٩/١٠.

(3) سورة البقرة: من الآية ٢٤٧.

(4) سورة المنافقون: من الآية ٤.

اللغة، كما فعلوا مثل ذلك في لفظ «الجوهر» ولفظ «العرض» ولفظ «الوجود» ولفظ «الذات» وغير ذلك.

فاستعملوا لفظ «الجسم» فيما يقوم بنفسه، وتمكن الإشارة إليه الحسية المختلفة.

ثم تنازعوا نزاعاً عقلياً فيما يشار إليه، كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك، هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا، على ثلاثة أقوال قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع.

فمن اعترف[1] أنها مركبة من هذا أو هذا؟ يلزمه ــ إذا قال: إن الله جسم ــ أن يكون الله مركباً من هذا أو هذا.

ولهذا قالوا: إن هذا باطل وأوجبوا ــ على أصلهم ــ نفي مسمى هذا الاسم وهذا هو المشهور عند هؤلاء.

ومن اعتقد أنه ليس مركباً، لا من هذا، ولا من هذا، قال: يلزمني إذا قلت: هو جسم، أن يكون مركباً.

فمن هؤلاء من أطلق عليه لفظ «الجسم» وأراد به القائم بنفسه أو الموجود، كما أطلق هؤلاء لفظ الجوهر وقالوا: أردنا[2] بالجوهر، القائم بنفسه. وكما قال هؤلاء: ليس في الوجود إلاَّ جوهر أو[3] عرض.

فإن الوجود إما قائم بنفسه، وهو الجوهر، أو بغيره، وهو العرض، والجوهر أشرف القسمين.

(١) في هـ (اتقد) بدلاً من (اعترف).
(٢) في هـ (أراد) بدلاً من (أردنا).
(٣) في هـ (و) بسقوط (أ).

وقال الآخرون[١]: ليس في الوجود إلَّا قائم بنفسه، وهو الجسم، أو قائم بغيره، وهو العرض، والجسم[٢] أشرف القسمين، وقال: فما سماه أولئك جوهراً، سماه أولئك جسماً، وكلاهما ليست تسميته لغوية ولا شرعية.

وإذا قال هؤلاء: هو جوهر لا كالجواهر، كما يقال هو شيء لا كالأشياء.

قال أولئك: هو[٣] جسم لا كالأجسام، كما يقال هو شيء لا كالأشياء.

وإذا قال هؤلاء: الجوهر ينقسم إلى كثيف ولطيف، قال أولئك: والجسم ينقسم إلى لطيف وكثيف.

والمقصود هنا، أن هؤلاء[٤] * الذين نزهوه عما يمتنع عليه من مماثلة المخلوقين وسموه جسماً *[٥] نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظياً، كنزاع النصارى في لفظ الجوهر، وقد يكون عقلياً، كنزاعهم في[٦] المشار إليه: هل هو مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة، أو لا من هذا ولا من هذا؟

ومن قال من القائلين بأنه جسم، فيقول: إنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة، فهؤلاء مذمومون لفظاً ومعنى عند

---

(١) في ك (آخرون) بسقوط (الـ).
(٢) في ك (والجوهر) بدلاً من (والجسم).
(٣) في ط (إنه هو) بزيادة (إنه).
(٤) في هـ، ك (هؤلاء المثبتة) بزيادة (المثبتة).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٦) في ط (في أن) بزيادة (أن).

جماهير المسلمين وغيرهم، وإن كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء، إذ كانوا يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأجسام طرقاً ضعيفة لا تثبت على المعيار العقلي كما قد بسط في موضع آخر.

بخلاف من كان نزاعه لفظياً، فهذا يذم، إما لغة، وإما لغة وشرعاً لكونه أطلق لفظاً لم يأذن به الشرع، أو استعمله في خلاف معناه اللغوي، كما قد يذم النافي لمثل ذلك لغة وشرعاً، إذا كان معناه صحيحاً.

وأما من كان من النفاة أو المثبتة، نفى حقاً أو أثبت باطلاً(١)، فهذا مذموم ذماً معنوياً شرعاً وعقلاً.

وأما الشرع فالرسل وأتباعهم الذين(٢) من أمة موسى وعيسى ومحمد صلَّى الله عليه وسلَّم لم يقولوا إن الله جسم، ولا إنه ليس بجسم، ولا إنه جوهر، ولا إنه ليس بجوهر.

لكن النزاع اللغوي والعقلي والشرعي في هذه الأسماء هو مما أحدث(٣) في الملل الثلاث بعد انقراض الصدر الأول من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء.

والذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة، من أن الله موصوف بصفات الكمال، وأنه ليس كمثله شيء، فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين، مع إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يدخل في صفاته ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها.

---

(١) في ط (نفياً بَاطلاً) بزيادة (نفياً).
(٢) في هـ (كالمتقدمين) بدلاً من (الذين).
(٣) في هـ (حدث) بسقوط (أ).

إذا تبين هذا، فالمسلمون لما كان اعتقادهم بأن الله ــ تعالى ــ[1] موصوف بما وصف به نفسه، وأنه ليس كمثله شيء، وكان ما أثبتوه له من الصفات مما[2] جاءت به[3] الرسل، لم يكن عليهم ملام، لأنهم أثبتوا ما أثبته[4] الرسل ونفوا ما نفته الرسل، فكان في هذا النفي ما ينفي الوهم الباطل.

بخلاف من أثبت أموراً لم تأت بها الرسل، وضم إليها ما يؤكد المعنى الباطل لا ما ينفيه، وكان مما[5] نفوا[6] عنه أنه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة، ولا من المادة والصورة.

أما على أحد قولي النظار بل[7] أظهرهما[8]، فإن ما سواه من الموجودات القائمة بأنفسها ليس مركباً، لا من هذا ولا من هذا.

فهو ــ سبحانه ــ أحق بتنزيهه عن مثل هذا، إذ كل نقص نفي[9] عن المخلوق، فالخالق أحق بتنزيهه منه.

وأما على القول الآخر، فتارة يقولون لأن المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله ــ تعالى ــ، وتارةً يقولون، لأنه مفتقر إلى أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله

(١) في هـ (في الرب ــ تعالى ــ أنه) بدلاً من (بأن الله ــ تعالى ــ).
(٢) في ط (التي) بدلاً من (مما).
(٣) في ط (بها) بدلاً من (به).
(٤) في ط (أثبته) بدلاً من (أثبتته).
(٥) في هـ، ك (فيما) بدلاً من (مما).
(٦) في هـ (نفوه) بدلاً من (نفوا).
(٧) (بل) ساقطة من ك.
(٨) في ط (وأظهرهما) بزيادة (و).
(٩) في ط (في) بدلاً من (نفي).

ــ تعالى ــ ، إذ جزؤه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه قديماً أزلياً، كما قد بسط الكلام على هذه الأمور في موضع آخر.

ثم منهم من لا يطلق من النفي والإثبات إلَّا الألفاظ الشرعية، فكما[1] لا يقول: هو جسم وجوهر، لا يقول: ليس بجسم ولا جوهر.

ومنهم من يطلق هذه الألفاظ، وهؤلاء[2] منهم من ينفيها، ومنهم من يثبتها.

وكل من الطائفتين قد يدخل في ذلك ما يوافق الشرع، وقد يدخل في ذلك ما يخالف الشرع.

وكل من الطائفتين، يدعي النظر العقلي أو اللغوي، وربما اعتصم بعضهم بما يظنه دليلاً شرعياً.

والغالب عليهم أنهم لا يعتصمون في ذلك بشرع، إذ لم يكن في ذلك شرع، وإنما يتكلفون تغيير اللغة التي[3] بعث بها الرسول، ثم يحملون ألفاظه على ما ابتدعوه من اللغة، كما فعلته النصارى في حمل كلام الأنبياء على ما ابتدعوه من اللغة.

فإن الأنبياء لم يسموا علم الله وحياته ابناً، وروح قدس، ولا رباً فسمى[4] النصارى علمه وحياته، ابناً، وروح قدس، ورباً، ثم حملوا كلام الأنبياء على ذلك.

كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية، أحدثوا تسمية الواحد والأحد ونحوهما لما لا يشار إليه ويميز الحس منه

---

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (وهؤلاء) مشطوبة في هـ .

(٣) في هـ ، ك (الذي) بدلاً من (التي).

(٤) في ط، ك (فيسمى) بدلاً من (فسمى).

شيئاً عن شيء، وهذا خلاف اللغة، فإن أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والأحد في النفي لما يشار إليه ويميز الحس منه شيئاً من شيء، قال(1) ــ تعالى ــ :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾(2).

فسمى الإنسان وحيداً، وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾(3).

فسمى المرأة واحدة،

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾(4).

وقال:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾(5).

فسمى المستجير ــ وهو الإنسان ــ أحداً(6).

وكذلك قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(7).

فنفى(8) أن يكون أحد كفواً له.

---

(1) في هـ (كقوله) بدلاً من (قال).
(2) سورة المدثر: من الآية ١١.
(3) سورة النساء: من الآية ١١.
(4) سورة القمر: من الآية ٥٠.
هذه الآية ساقطة من هـ .
(5) سورة التوبة: من الآية ٦.
(6) في ك (أحد).
(7) في هـ (لم يكن) بسقوط (و).
(8) في ط (نفى) بدلاً من (فنفى).

فلو كان ما يشار إليه لا يسمى أحداً، لم يكن قد نزهه عن مماثلة المخلوقات له، فإن المشهود من المخلوقات كلها يشار إليها، فإن لم يدخل في «أحد» لم يكن قد نزه نفسه عن مماثلتها.

فهؤلاء لما أحدثوا أن مسمى الأحد والواحد لا يكون مشاراً إليه، قالوا: والرب قد سمى نفسه أحداً وواحداً، فيجب أن لا يكون مشاراً إليه.

ولغة الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافقة لما ابتدعوه من اللغة.

وكذلك الذين قالوا: «هو جسم» غيروا اللغة، وجعلوا الجسم اسماً لما يشار إليه، أو لكل موجود، ولكل قائم بنفسه.

ثم قالوا: «هو موجود، أو قائم بنفسه، أو مشار إليه»، فيكون جسماً.

ولا يوجد في اللغة اسم الجسم، لا لهذا، ولا لهذا، ولا لهذا[1].

وقالوا: لا يلزم من كونه مشاراً إليه أن يكون مركباً من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة.

وقال أولئك: بل يلزم أن كل مركب، يسمى في اللغة جسماً، فيلزم أن يسمى جسماً، إذا قلنا: هو مشار إليه، أو يرى بالأبصار، أو متصفاً بصفات تقوم به.

وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم، فإن أهل اللغة لا يعنون بالجسم المركب، بل الجسم ــ عندهم ــ هو الجسد، ولا يسمون الهواء جسماً.

(١) (ولا هذا) ساقطة من هـ، ك.

إذا تبين هذا فتمثيل هؤلاء النصارى باطل، على قول كل طائفة من طوائف المسلمين.

فمنهم من يقول: الجسم ـ في اللغة ـ هو المركب، والله ليس بمركب، فليس بجسم، لا يقولون بما[1] ذكروه من أن الله له وجه يوليه إلى كل مكان، وجنب ونحو ذلك.

وكذلك من قال: إن الله ليس بمركب، وسماه جسماً، بمعنى أنه قائم بنفسه، أو لم يسمه جسماً، لا يقول بذلك أيضاً، ومن حكي عنه يثبت له خصائص الأجسام المركبة، فهؤلاء إن أطلقوا ما نفاه فلا حجة للنصارى عليهم، وإن لم يطلقوه فحجتهم أبعد.

فقد تبين أنه ليس لهم حجة على أفسد الناس قولاً في التجسيم، فضلاً عن غيرهم.

الوجه السادس: أن يقال لهؤلاء النصارى: إما أن تعنوا بلفظ الجسم المعنى اللغوي، وهو الجسد، وإما أن تعنوا به المعنى الاصطلاحي عند أهل الكلام كالمشار إليه مثلاً.

فإن عنيتم الأول، لم يلزم من نفي ذلك نفي ما ذكرتموه من الصفات لا سيما وأنتم تقولون: إنه جوهر، وقسمتم الجوهر إلى لطيف وكثيف.

فإذا كان الكثيف هو الجسم، واللطيف جوهر ليس بجسم، لم يمتنع على مثل هذا أن يكون له ما يناسبه من الصفات، كالملائكة،

---

(١) في هـ، ك (ما) بسقوط (ب).

فإن الملائكة لا يمتنع وصفها بذلك، وإن لم تكن أجساماً على هذا الاصطلاح، بل هي جواهر روحانية، وكذلك روح الإنسان التي تخرج منه، لا يمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك، وإن كانت ليست بجسم على هذا التقدير.

فتبين أن نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشيء لا يمتنع إتصافه بما ذكر من الصفات وأمثالها.

وإن عنيتم بالجسم، القائم بنفسه أو المشار إليه، لم يمتنع ـ عندكم ـ أن يكون جسماً، فإنكم سميتموه جوهراً، وعنيتم القائم بنفسه.

فإن قام الدليل على أن كل قائم بنفسه يشار[1] إليه كان[2] ـ أيضاً ـ مشاراً إليه.

وإن قام دليل على أنه قائم بنفسه لا يشار إليه، كان جوهراً وجسماً عند من يفسر الجسم بالقائم بنفسه، ومن فسره بالمشار إليه لم يسم عنده جسماً، فتبين أنه على ـ أصلكم ـ لا يمتنع أن يسمى جسماً مع تسميتكم له جوهراً إلّا إذا ثبت[3] أن من الموجودات ما هو جوهر قائم بنفسه لا يشار إليه، وهذا لم يقيموا عليه دليلاً، وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإنما هو قول طائفة من الفلاسفة، وقليل من أهل الملل وافقوهم.

ثم يقال لكم: أنتم قلتم: إنه حي ناطق، وله حياة ونطق، بل زدتم على ذلك حتى جعلتموه أقانيم ثلاثة.

---

(١) في ط (مشار) بدلاً من (يشار).
(٢) في ط (وكان) بسقوط (و).
(٣) في ط (أثبت) بزيادة (أ).

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تعقل إلَّا صفة قائمة بموصوف، ولا يعلم موصوف بالحياة والنطق إلَّا ما هو مشار إليه بل ما هو جسم كالإنسان.

فإن جاز لكم أن تثبتوا هذه الأعراض في غير جسم، جاز لغيركم أن يثبت المجيء واليد ونحو ذلك لغير الجسم.

وإن قلتم: هذا لا يعقل إلَّا لجسم، قيل لكم: وذلك لا يعقل إلَّا لجسم، فإن رجعتم إلى الشاهد، كان حجة عليكم، وإن جاز لكم أن تثبتوا في الغائب حكماً على خلاف الشاهد، جاز لغيركم، وحينئذ فلا تناقض بين ما نفاه المسلمون وأثبتموه، لو كان ما ذكرتموه عنهم من النفي والإثبات حقاً على وجهه، فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين؟

الوجه السابع: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها كفر عندهم، لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها، كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر، لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقد مدلولها.

فيقال لكم: أولاً: إن ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات أطلقتموه أنتم، كما وردت به التوراة، فهذا مشترك بينكم وبينهم، وما اختصصتم به من التثليث، والاتحاد لم يشركوكم فيه.

ثم يقال ثانياً[1]: إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظاً لم يرد بها نص.

---

(١) في هـ (وثانياً) بزيادة (و).
في ك (فثانياً) بزيادة (ف).

والمسلمون قرنوا تلك الألفاظ بما جاءت(١) به النصوص من نفي التمثيل.

وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد.

والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلاً.

وأنتم اعتقدتم من التثليث في الأقانيم، والاتحاد ما هو معنى باطل.

والمسلمون لم يسموا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحملوا كلام الرسل عليها.

وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء، سميتموه أنتم بها، لم تسمه الرسل، وحملتم كلام الرسل عليها.

والمسلمون لم يعدلوا عن النصوص الكثيرة المحكمة البينة الواضحة إلى ألفاظ قليلة متشابهة.

وأنتم عدلتم عن هذا إلى هذا.

والمسلون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

والمسلمون لم يقولوا قولاً لا يعقل.

وأنتم قلتم قولاً لا يعقل.

والمسلمون لم يتناقضوا(٢)، فيجعلوا الإله واحداً، ويجعلونه(٣)

---

(١) في هـ، ك (جاء) بسقوط (ت).

(٢) في ك (تناقضوا) بدلاً من (يتناقضوا).

(٣) في ط، ك (وتجعلونه) بدلاً من (ويجعلونه).

اثنين، بل ثلاثة، وأنتم تناقضتم

فهذه الفروق وغيرها مما يبين فساد تشبيهكم[1] أنفسكم بالمسلمين.

الوجه الثامن: قولكم: وكذلك ـ نحن ـ النصارى العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس، أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم: هذا باطل، فإنه لم ينطق لا الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها، ولا قال المسيح ولا غيره: إن الله هو الأب والابن وروح القدس، ولا إن له أقنوماً هو الابن، وأقنوماً هو روح القدس، ولا قال: إن الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه، وإن روح القدس حياته، ولا سمى شيئاً من صفاته ابناً ولا ولداً، ولا قال عن شيء من صفات الرب: إنه مولود، ولا[2] جعل القديم الأزلي مولودا، ولا قال لا عن قديم، ولا مخلوق إنه إله حق من إله حق، ولا قال عن صفات الله: إنها آلهة، وإن الكلمة إله، والروح إله، ولا قال: إن الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر، بل هذا كله مما ابتدعتموه، وخرجتم به عن الشرع والعقل: فخالفتم الكتب المنزلة والعقول الصريحة، وكنتم ممن قيل فيهم:

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

---

(1) في ط (تشبهكم) بدلاً من (تشبيهكم).

(2) في ط (ولا أنه) بزيادة (أنه).

(3) سورة الملك: من الآية 10.

فإنكم أنتم الذين سميتم نطق الله ابناً، وقلتم: سميناه ابناً، لأنه تولد منه كما يتولد الكلام من العقل، فكان ينبغي ــ أيضاً ــ أن تسموا حياته ابناً، لأنها منبثقة منه، ومتولدة عنه أيضاً، إذ لا فرق بين علم الرب وحياته.

فعلمه لازم له، وحياته لازمة له، فلماذا جعلتم هذا ابناً دون هذا.

وقلتم: إنه مولود من الله، وإنه قديم أزلي وأنتم تعترفون بأن أحداً من الأنبياء لم يسم علم الله ولا كلامه، ولا حكمته مولوداً منه؟

والذي يعقله الخلق في المولود الذي يولد من غيره، كما يتولد العلم والكلام من نفس الإنسان أنه حادث فيه[1] أو منفصل عنه[2]، لا يعقل أنه قائم به، وأنه متولد منه[3] قديم أزلي.

ثم قلتم في أمانتكم: إنه تجسم من روح القدس، أو منه ومن مريم.

وهو إنما تجسم ــ عندكم ــ من الكلمة التي سميتموها، الابن دون روح القدس.

وإن كان تجسم من روح القدس، فيكون هو روح القدس، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن.

ثم تقولون: «هو كلمة الله وروحه» فيكون حينئذ[4] أقنومين، أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وإنما هو ــ عندكم ــ أقنوم واحد[5].

---

(١) في هـ (منه) بدلاً من (فيه).
(٢) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).
(٣) (متولد منه) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ، ك (جسد) بدلاً من (حينئذ).
(٥) في هـ، ك (أقنوم واحد عندكم) بدلاً من (عندكم ــ أقنوم واحد).

فهذا تناقض وحيرة، تجعلونه الابن الذي هو الكلمة، وهو أقنوم الكلمة فقط.

وتقولون: تجسم من روح القدس ولا تقولون: إنه تجسم من الكلمة.

وتقولون: هو كلمة الله وروحه، والكلمة والروح أقنومان.

ولا تقولون: إنه أقنومان، بل أقنوم واحد.

وتقولون: إنه خالق العالم، والخالق هو الأب، وتقولون: ليس هو الأب.

وتقولون: إله حق من إله حق، وتقولون: إله واحد[١] ساوى الأب في الجوهر.

وتقولون: ليس له مثل، وليس شيء[٢] من هذا في كلام أحد من الأنبياء، فكيف تشبهون أنفسكم بمن اتبع نصوص الأنبياء ولم يحرفها؟

وغاية ما عندكم ما وجد في إنجيل «متى» دون سائر الأناجيل، من أن المسيح ــ عليه السلام ــ قال: «عمدوا الناس باسم الأب، والابن، والروح[٣] القدس[٤]».

وأنتم قد عرفتم في كلام المسيح وغيره من الأنبياء، أنهم لا يريدون بالابن صفة الله، لا كلامه، ولا علمه، ولا حكمته.

ولا يريدون بالابن[٥]، إله حق من إله حق، ولا مولود قديم أزلي،

---

(١) (إله واحد) ساقطة من هـ.

(٢) (شيء) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (وروح) بسقوط (ال).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(٥) في هـ، ك (أن الابن) بدلاً من (بالابن).

بل يريدون به وليه، وهو ناسوت لا لاهوت، كيعقوب والحواريين.

ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله. ولا يريدون به أنه رب حي، وإنما يريدون بها الملك، أو ما ينزله الله على قلوب أنبيائه وأصفيائه، من الهدى والتأييد ونحو ذلك.

فروح القدس يكون ــ عندكم وعند المسلمين ــ في الأنبياء وغيرهم، كما كانت في داود وغيره، وكانت في الحواريين.

فلو قدر أن لفظ الابن وجد في كلام المسيح مستعملاً تارة في كلمة الله، وتارة في وليه الناسوت، وروح القدس مستعملاً تارة في حياته، وتارة فيما يتزله(١) على قلوب أنبيائه، كان جزمكم بأنه أراد بذلك هنا صفات الله، جزماً باطلاً.

فما وصف به المسيح من أنه(٢) ابن الله، ومن أن روح القدس فيه، قد وصف به غيره من الأنبياء والصالحين.

فإن كان الابن، وروح القدس صفتين لله، وجب أن يكون غير المسيح لاهوتاً وناسوتاً، كالمسيح، إذ الذي حل في المسيح حل في غيره.

ثم جزمكم(٣) بأن هذه الصفات، أقانيم، وأنه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك إلا هذه الثلاثة، ثم تفرقتم في الثلاثة، هل المراد بالأقانيم الوجود والعلم والحياة، أو الحكمة و(٤) الكلام، أو النطق

---

(١) في هـ (نزله) بسقوط (يـ).
(٢) في هـ (بأنه) بدلاً من (من أنه).
(٣) في هـ (ثم كان) بزيادة (كان).
(٤) في هـ، ك (أو) بزيادة (أ).

بدل لفظ العلم، أو المراد الوجود[1] والعلم والقدرة، بدل الحياة، أو المراد الوجود[2] والحياة والقدرة، أو المراد الوجود[3] مع الحياة والعلم والقدرة؟ إلى أقوال أخرى يطول أمرها.

فيا ليت شعري، ما الذي أراد المسيح بلفظ الأب والابن وروح القدس من هذه الأمور التي اختلفتم فيها، لو كان مراده ما ادعيتموه من الأقانيم؟

والأقانيم ـ لفظاً ومعنى ـ لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء، بل قيل فيها: إنها لفظة رومية، يفسرونها تارة بالأصل، وتارة بالشخص، وتارة بالذات مع الصفة، ويفسرونها تارة بالخاصة، وتارة بالصفة.

فهلا تركتم كلام المسيح على حاله، ولم تحرفوه هذه التحريفات؟

ولقد أحسن بعض الفضلاء إذ قال: لو سألت نصرانياً وابنه وابن ابنه[4] عما يعتقدونه، لأخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر، إذ كان أصل اعتقادهم جهلاً وضلالاً، ليس معهم علم، لا[5] نقل ولا عقل، فهم كما قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[6].

وليس معهم بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم، بوجه من الوجوه فضلاً عما هو أخص من ذلك، وهو علم يهتدون به، فليسوا

---

(١) في هـ، ك (الموجود) بدلاً من (الوجود).
(٢) نفس الملحوظة.
(٣) نفس الملحوظة.
(٤) في هـ (وامرأته من النصارى) بدلاً من (وابن ابنه).
(٥) في هـ (ولا) بزيادة (و).
(٦) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

بمهتدين فضلاً عما هو أخص من الهدى وهو «كتاب منير» فليس معهم به كتاب منير.

ولو تكلمتم بهذا الكلام، وقلتم: لا نفهم معناه، أو ظاهره باطل، وله تأويل مقبول، كما حكيتموه عمن تشبهتم به من المسلمين من أنه يقوله في الصفات، لكان هذا أقرب إلى القياس.

فكيف والأمر بعكس ما ذكرتم؟

وذلك يتبين **بالوجه التاسع**: وهو أنكم إنما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره، إلى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه، لا نصاً ولا ظاهراً، فعدلتم عن المحكم واتبعتم المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام، لم تضلوا، فإن الابن ظاهره في كلام الأنبياء، لا يراد به شيء من صفات الله، بل يراد به وليه، وحبيبه ونحو ذلك، وروح القدس لا يراد به صفته، بل يراد به وحيه وملكه ونحو ذلك، فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلى معنى لا يدل عليه اللفظ البتة، فكيف تدعون أنكم اتبعتم نصوص الأنبياء؟

الوجه العاشر: إنكم بالغتم في ذم المسيح وإنجيله، كما بالغتم في سب الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون أن ذلك ذم، فلم ترضوا أن تجعلوا ظاهر كلام المسيح ما أنتم عليه من الكفر، حتى جعلتم ظاهره كفراً لا ترضونه، مثل ثلاثة آلهة، متفقة أو متفرقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء مفرقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة.

فهذا ونحوه هو الذي ادعيتم أنه ظاهر كلام المسيح ــ عليه السلام ــ.

وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر، بل تكفرون قائله، كما يكفر المسلمون من يقول بالظاهر الذي هو التجسيم والتمثيل.

وهذا ما يتضمن أن كلام المسيح ظاهر في إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أشخاص مؤلفة، وثلاثة أجزاء متفرقة، وثلاثة أشخاص مركبة.

كما زعمتم أن ظاهر القرآن التجسيم، وأنكم عدلتم عن هذا الظاهر إلى إثبات الأقانيم الثلاثة التي جعلتم فيها كلمة الله، هي ابنه، وهو جوهر خالق يساويه في الجوهر، وأن المسيح هو هذا الابن المساوي للأب في الجوهر خالق العالمين، وديان يوم الدين، والجالس فوق العرش عن يمين الرب، وأنه إله حق من إله حق، والروح أيضاً إله ثالث، والآلهة الثلاثة إله واحد.

وهذا الذي ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمه، ما ينتصر الله به للمسيح، وممن افترى عليه منكم ومن غيركم.

فإن المسيح ـ عليه السلام ـ على قولكم: لم يفصح لكم بأمانة تعتقدونها ولا بتوحيد تعرفون به ربكم، ـ عز وجل ـ، بل تكلم بما ظاهره إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أجسام مركبة، وثلاثة أجزاء متفرقة[١]، وأنكم أنتم أصلحتم ذلك، حتى جعلتموه ثلاثة أقانيم، ووضعتم[٢] تلك الأمانة المخالفة لعقول ذوي العقول، ولكل كتاب جاء به رسول، مع أن المسيح لم ينطق بتثليث قط، ولا باتحاد، ولا بما يدل على ذلك.

وعمدتم على ما نقله «متى» عنه دون الثلاثة أنه قال: عمدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس.

(١) في ك، هـ (مفترقة) بدلاً من (متفرقة).
(٢) في ك، ط (ووضع) بدلاً من (ووضعتم).

وهذا الكلام ظاهر بل نصه حجة على خلاف قولكم، وأنه أراد بالابن نفسه وهو الناسوت، ولم يرد به صفة الله، وأراد بروح القدس ما أيده الله به، أو روح القدس الذي نفخ في أمه حتى حبلت به، لم يرد به صفة الله ــ تعالى ــ.

فتأولتم كلامه على خلاف ظاهره، تأويلاً يخالف صريح المعقول، وصحيح المنقول، فكيف تدعون أنكم تمسكتم بظاهر كلامه؟

ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لا حقيقة له، صار مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل، وإن كانت الأدلة تظهر بفساده.

ولهذا سلك طائفة من[1] العلماء في الكلام معهم هذا المسلك وهو أن مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده، فإنه غير معقول.

وقالوا: إن النصارى تناقضت في اللفظ، وأحالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقد ما يدعونه انتحاله[2] لتناقضه.

وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد.

وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد.

وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، لأن ذلك لا يعقل.

(١) في ط (من طائفة) تقديم وتأخير.

(٢) في هـ (استحالة) بدلاً من (انتحاله).

وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن.

وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة.

وإذا قال النصارى: إنه أحدي الذات ثلاثي الصفات.

قيل: لو اقتصرتم على قولكم: إنه واحد له صفات متعددة، لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين، بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث، فإن هذا باطل من وجوه متعددة:

منها: أن الأب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة، فلا يكون له صفة إلَّا الحياة والعلم، فيكون جوهراً واحداً له أقنومان، وأنتم جعلتم ثلاثة أقانيم.

ومنها: أن صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة، بل هو موصوف بالقدرة وغيرها.

ومنها: أنكم تارةً تفسرون روح القدس بالحياة، وتارةً بالقدرة، وتارةً بالوجود.

وتفسرون الكلمة، تارةً بالعلم، وتارةً بالحكمة، وتارةً بالكلام.

فبطلان قولكم في إثبات ثلاث صفات كثير، وأنتم ـ مع هذا ـ تجعلون كل واحدة منها إلٰهاً.

فتجعلون الحياة إلٓهاً، والعلم إلٓهاً، وهذا باطل.

وأما من لم يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم، فيردون عليكم من وجوه أخرى كقول بعضهم: إذا قيل[1]: ألستم تقولون: إن الأبعاض

---

(١) في هـ، ك (قالوا فإن قيل) بدلاً من (كقول بعضهم إذا قيل).

الكثيـرة تكون إنسـاناً واحـداً، والآحاد الكثيـرة عشرة واحـدة، والأجسام الكثيرة داراً واحدة ومدينة واحـدة وما جـرى هذا المجـرى، مما هـو أكثر من أن يحصى، وأظهر من أن يخفى.

فكيف عبتم ذلك من النصارى؟ ولم أنكرتم أن يكون ثلاثة أقـانيم جوهراً واحداً؟

قيل: إن قولنا إنسان واحد، ودار واحدة، وعشرة واحدة وما يجري هذا المجرى، أسماء تنبـيء عن الجمل لا عن آحاد.

وإذا قلنا: إنسان واحد، فكأنّا قلنا جملة واحدة، وكذلك إذا قلنا: عشرة واحدة، لا أنّا نثبته واحداً في الحقيقة.

كيف ونحن نقول: إن أبعاض الإنسـان متغايـرة، فكل بعض منهـا غير سائرها، وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرها؟

فنحن وإن قلنـا: إنسان واحـد، فلسنا نثبتـه شيئاً واحـداً في نفسه ولـو أثبتنا[1] ذلـك لتناقضنـا مناقضـة النصـارى. وإنمـا قلنـا: هي جملة واحدة، ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض[2]، حتى يزعموا[3] أنها ثلاثة أشياء جملة واحدة.

فيكـون مرادهم في ذلـك بوصفهم الأقـانيم الثلاثـة، بأنهـا جوهـر واحد مما نريد بقولنا: الأبعاض الكثيرة أنه إنسان واحد.

فيكون وصفهم لها بأنها جوهر، إنما ينبـيء أنها جملة، وليس هذا ممـا يذهبـون إليه، ولا يعتقـدونه ولا يجعلون لـه معنى، لأنهم لا يعطون

---

(١) في هـ، ك (ثبتنا) بسقوط (أ).
(٢) في هـ، ك (تناقض) بسقوط (ت).
(٣) في ط، ك (تزعموا) بدلاً من (يزعموا).

حقيقة التثليث، فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة، ولا حقيقة التوحيد، فيثبتون القديم واحداً ليس باثنين ولا أكثر من ذلك.

وإذا كان ذلك[١] كذلك، فما قالوه، هو شيء لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن أن يعارضوا على قولهم بكل حال.

فيقال لهم: إذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهراً واحداً، فلم لا يجوز أن تكون ثلاثة آلهة جوهراً واحداً وثلاثة فاعلين جوهراً واحداً وثلاثة أغيار جوهراً واحداً، وثلاثة أشياء جوهراً واحداً، وثلاثة قادرين جوهراً واحداً، وكل ثلاثة أشياء جوهراً واحداً، وكل ما يجري هذا المجرى من المعارضة، فلا يجدون فصلاً.

الوجه الحادي عشر: أن غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالاً منكم، شرعاً وعقلاً، وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم.

فإذا[٢] كان هؤلاء خيراً منكم، فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنَّة من المسلمين الذين لا يقولون، لا بتمثيل ولا بتعطيل؟

وبيان ذلك أن التوراة والإنجيل وسائر كتب الله، وغير ذلك مما هو مأثور عن الأنبياء، فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله، وأنه لا إله غيره، وهو مسمى فيها بالأسماء الحسنى، موصوف بالصفات العلى[٣]، وأن كل ما[٤] سواه مخلوق له، ليس فيه

---

(١) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (وإذا) بدلاً من (فإذا).

(٣) في ط (العليا) بدلاً من (العلي).

(٤) في هـ، ك (كلما) بدلاً من (كل ما).

تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات، لا المسيح ولا غيره.

وفيها ألفاظ قليلة مشكلة متشابهة، وهي ــ مع ذلك ــ لا تدل على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد، لا نصاً ولا ظاهراً، ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم، وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم، فضلاً عن أن يكون ظاهراً فيه أو نصاً بل بعضها يحتمل بعض قولكم.

فأخذتم[1] ذلك المحتمل، وضممتم إليه من الكفر الصريح، والتناقض القبيح ما صيرتموه أمانة لكم (أي عقيدة إيمان لكم).

ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم، لم يجز العدول عن النص والظاهر[2] إلى المحتمل. ولو كان بعضها ظاهراً فيما قلتم، لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلى الظاهر المحتمل.

ولو قدر أن فيها نصوصاً صريحة قد عارضتها نصوص أخرى صريحة، لكان الواجب أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين، فيتبعون أحسن ما أنزل الله، وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول[3] وسائر كتب الله، وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره، وإلاّ فوضوا معناه إلى الله ــ تعالى ــ[4]، إن كان ثابتاً عن الأنبياء.

وهؤلاء عدلوا عما[5] يعلم بصريح المعقول وعما[6] يعلم بنصوص

(١) في هـ (وأخذتم) بدلاً من (فأخذتم).

(٢) في هـ (الظاهر) بسقوط (و).

(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).

(٤) (ــ تعالى ــ) ساقطة من ط، ك.

(٥) في هـ (عن ما) بدلاً من (عما).

(٦) (وعما) ساقطة من ك.

الأنبياء الكثيرة، إلى ما يحتمله[1] بعض الألفاظ، لموافقته[2] لهواهم فلم يتبعوا:

﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[3].

وأما كفار المجسمة، فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصارى، فإن هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة: إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم.

ففي التوراة، والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم، ما لا يحصى.

وليس فيها نص بما يقوله النفاة، من أن الله ليس بداخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فوق العرش، ولا يشار إليه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب منه[4] شيء، ولا يدنو من شيء، ولا يدنو إليه شيء، إلى نحو ذلك من النفي الذي يقوله نفاة الصفات.

فمعلوم أنه ليس في الكتب الإلهية ـ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا الزبور، ولا القرآن ـ ولا غير ذلك من النبوات، من هذا حرف واحد، وكلها مملوءة مما يقول هؤلاء: إنه تجسيم.

فيقول هؤلاء: نحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نعدل عنها إلى غيرها، ولم نجد في نصوصهم نصاً محكماً صريحاً بالنفي، الذي يقوله نفاة الصفاة.

---

(١) في هـ (ما يحتمل) بدلاً من (ما يحتمله).

(٢) في هـ (بموافقته) بدلاً من (لموافقته).

(٣) سورة النجم: من الآية ٢٣.

(٤) في هـ، ك (إليه) بدلاً من (منه).

ووجدنا نصوصهم كلها بالإثبات الذي يقولون: إنه تجسيم.

فكان على قولنا وقولهم نصوص الأنبياء ظاهرة في التجسيم وليس لهم نص يناقض ذلك، فاتبعنا نصوصهم، وكل من عارض إثبات الصفات، لم يعارضها بنصوص صريحة عن الأنبياء، لكن بحجج عقلية.

فيقول هؤلاء: إن النصارى خالفوا صريح المعقول، وصريح كلام الأنبياء، واتبعوا قليلاً من متشابه كلامهم. ونحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نخالف شيئاً من صريح نصوصهم، ولكن مخالفنا يقول: إنّا خالفنا العقل.

ونحن ننازعه في ذلك، وندعي أن العقل معنا لا علينا، وأن ما يدعيه من المعقولات التي تعارض كلام الأنبياء، فهي باطلة.

أو يقولون: نحن والنصارى متفقون، على أنّا لا نعارض كلام الأنبياء بالشبه العقلية، لكن نحن اتبعنا كلامهم المحكم الظاهر الكثير، الذين لا مخالف له من كلامهم.

وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم، واتبعوا قليلاً من المتشابه.

ويقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذي يحكي عنهم: أن الله ينزل إلى الأرض عشية عرفة، فيعانق المشاة ويصافح الركبان، وأنه يتمشى(١) في الأرض، يكون موطيء أقدامه مروجاً، ونحو ذلك.

ليس هذا القول بأعجب من قول النصارى: الذين يقولون: إنه هو المسيح، وأن اللاهوت والناسوت اتحدا.

---

(١) في هـ (يمشي) بدلاً من (يتمشى).

فنحن نقول أيضاً: إنه حل في بعض الأجساد المخلوقة كما يقوله النصارى.

أو نقول: إنه تجسد كما تتجسد الملائكة والجن، وهذا أقرب[١] من قول النصارى: إنه اتحد بجسم المسيح.

فإنّا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور[٢] في صورة[٣] بشرية، ولم نعهد ملكاً صار هو والبشر شيئاً واحداً.

فإذا لم يجز أن يتحد الملك بالبشر، فكيف يجوز أن يتحد رب الخلائق كلهم بالبشر؟

قالوا: وقد يحل الجني في بدن الإنسي، ويتكلم على لسانه، إلاَّ أنهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان، ليس بينهما اتحاد، لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه.

والنصارى يقولون: إن رب العالمين اتحد بالبشر، فمنهم من يقول جوهر واحد، ومنهم من يقول: شخص واحد، وأقنوم[٤] واحد، ومنهم من يقول مشيئة واحدة، فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد[٥]، وهذا أبعد من حلول الجني في الإنسي، فإذا كان ما يقولونه ممتنعاً[٦] في[٧] الجن والملائكة فكيف برب العالمين.

---

(١) في هـ (أقوى) بدلاً من (أقرب).
(٢) في هـ (تظهر) بدلاً من (تتصور).
(٣) في هـ (صور) بسقوط (ة).
(٤) في ك (قنوم) بسقوط (أ).
(٥) في ط (واتحاد).
(٦) في هـ، ك (يمتنع) بدلاً من (ممتنعاً).
(٧) في هـ (عن) بدلاً من (في).

ومن غـلاة المجسمة، اليهـود، من يحكي عنه أنـه قـال: «إن الله بكى على الطوفان حتى رمد، وعادته الملائكة، وأنه نـدم حتى عض يده وجرى منه الدم»، وهذا كفر واضح صريح، ولكن يقولون: قولنا خير من قول النصارى، فإن النصارى يقولون: (إنه أخذ وضـرب بالسيـاط وبصق في وجهـه، ووضع الشـوك على رأسه كـالتاج، وصلب بين لصين»)[1]، وفعل به من أقبح ما يفعل باللصوص، قطاع الطريق.

وقد صرح كثير منهم بأن هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعاً.

وشريعة إيمانهم تدل على ذلك، وهو لازم لمن أنكـر ذلك منهم، فإنه مع القول بالاتحاد الـذي لا بد لطوائفهم الثلاثة منه، يمتنع أن تحل هذه العقوبات في هذا دون ذاك، فـلا يمكن أن يحل في النـاسوت دون اللاهوت، فإن هذا إنما يتصور إذا كان اثنين، ومن قال بالاتحاد، امتنـع عنده أن يكون هناك اثنان.

وفي الجملة، فالنصارى المثلثة، إما أن يصرحوا بالاتحاد من كـل وجه، كاليعقوبية *[2] وهؤلاء يصرحون بأن الآلام حلت باللاهوت.

وإما أن يقولوا[3] بالاتحاد من وجه، كقول الملكية: إنهما شخص

---

(١) في إنجيل (متى) الإصحاح السابع والعشـرون (٢٨ ــ فعرفـوه وألبسوه رداء قـرمزيـاً. ٢٩ ــ وضفروا إكليلاً من شـوك ووضعوه على رأسـه وقصبة في يمينـه وكانـوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. . .) ولما صلبوه (اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكي يتم مـا قيل بـالنبأ اقتسمـوا ثيابـي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة ثم جلسوا يحرسونـه هناك. ٢٧ ــ وجعلوا فـوق رأسه علية مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود. ٢٨ ــ وحينئـذ صلب معه لصـان واحد عن يمين وواحد عن اليسار).
انظر: العهد الجديد ص ٥٣.

(٢) ما قبل النجمة بحوالي أحد عشر سطراً مكرر في ك.

(٣) في هـ (يقولون) بدلاً من (يقولوا).

واحد، وقول النسطورية: هما مشيئة واحدة.

وحينئذ فما قالوه من التعدد[1] الذي يوجب المباينة، وأنه لا يتصف أحدهما[2] بما يتصف به الآخر، ولا يحل به ما حل به، فيكون متناقضاً لهذا.

فأحسن أحوالهم أن يتناقضوا في الاتحاد، كما تناقضوا في التثليث وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما[3] يناقضه، وبالتوحيد وبما[3] يناقضه.

ومعلوم أن ما يفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن، هو دون ما يفعله أعداؤه به، من ضرب، وصفع، وجعل الشوك على رأسه، وصلبه بين لصين، وأن استغاثته بمن يخلصه من ذلك أشد نقصاً من ندمه وحزنه.

وإن قالوا: فعل هذا حتى يعلم عباده التشبه به. أمكن أولئك المجسمة الكفرة[4] أن يقولوا: بكى وندم، وعض يده ندماً حتى جرى الدم، حتى يعلم عباده التوبة من الذنوب.

ففي الجملة، ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله، إلا وقول النصارى أقبح منه.

ولهذا كان معاذ بن جبل[5] رضي الله عنه يقول: لا ترحموهم فلقد سبوا الله مسبة، ما سبه إياها أحد من البشر[6]، ولهذا يعظم الله فريتهم

(١) في ط (التعدد والموت) بزيادة (الموت).
(٢) (أحدهما) ساقطة من هـ، ك.
(٣) في هـ، ك (وما) بدلاً من (بما).
(٤) (الكفرة) ساقطة من ط.
(٥) معاذ بن جبل: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٠٠.
(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر: ٣/ ١٠٠.

على الله في القرآن، أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[1].

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة[2] ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: * «يقول الله ـ عز وجل ـ: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم، ولم يكن له ذلك[3]، فأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد *[4] ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته»[5].

ورواه البخاري عن ابن عباس * عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: قال الله ـ عز وجل ـ: «كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك. وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمته إياي، فقوله: لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبة ولا ولداً»[6].

---

(١) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.

(٢) أبو هريرة: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٧١.

(٣) في ك (وما ينبغي له) بدلاً من (ولم يكن له ذلك).

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ (يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينبغي له، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له، فأما شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد).

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٤/ ١٥٣.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٤/ ١٥٣.

وفي الصحيحين عن أبي موسى[1] قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ـ عز وجل ـ، إنه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم»[2] *[3].

الوجه الثاني عشر: أن كل من يعتقد في التجسيم ما يعتقد، يمكنه أن يقول كما يقوله النصارى، فإن النصارى عمدوا إلى ما هو جسد من جنس سائر أجساد بني آدم. قالوا: إنه إلٰه تام، وإنسان تام، وليس فيه من الإلٰهية شيء، فما بقي ـ مع هذا ـ يمتنع أن يعتقد في نظائره ما يعتقد فيه.

فلو قال القائل: إن موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فإن معجزات موسى، كانت أعظم، وانتصاره على عدوه أظهر، وقد سماه الله في التوراة إلٰهاً لهارون ولفرعون.

فإذا قيل فيه ما قالوه في المسيح: إنه أظهر المعجز بلاهوته، وأظهر العبودية بناسوته، لم يكن بطلان هذا أظهر من بطلان قول النصارى، بل متى جوزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت، لم يمكنهم دفع ذلك عن أحد ممن يدعى فيه إلَّا بدليل خاص، بل إذا قيل لهم: حل في كثير من الأنبياء والقداديس، لم يمكنهم نفي ذلك.

وإذا قالوا: لم يخبر بذلك أحد، ولم يبشر به نبي، أو هذا غير معلوم.

---

(١) هو عبد الله بن قيس الأشعري صحابي جليل أسلم قديماً بمكة، مات سنة ٤٢، وقيل ٤٤، وقيل ٥٠هـ ـ رضي الله عنه ـ. الإصابة ٤/١٨٧؛ والاستيعاب ٤/١٧٣.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ص ٤/ ١٥٥.

(٣) ما بين هذه النجمة والنجمة الأخرى في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

قيل لهم: غاية هذا كله، أنكم لا تعلمون ذلك، ولم يقم عندكم دليل عليه، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، فعدم علمكم، وعدم علم غيركم بالشيء، ليس علماً بعدم ذلك الشيء.

وكذلك عدم الدليل المعين، لا يستلزم عدم المدلول عليه، فإن كل ما خلقه الله دليل عليه، ثم إذا عدم ذلك لم يلزم عدم الخالق فلا يجوز نفي الشيء لعدم الدليل الدال عليه إلاَّ أن يكون عدم الدليل مستلزماً لعدمه، كالأمور التي تتوفر الهمم على نقلها إذا لم ينقل علم انتفاؤها.

والمقصود أنكم ــ مع العدم ــ لا يمكنكم النفي العام عن غير المسيح[1] لعدم الدليل الدال عليه، فإنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الأمر، لا سيما وهو كان متحداً بالمسيح عندهم أكثر من ثلاثين سنة، ومع هذا، فكان يخفي نفسه ولا يظهر إلاَّ العبودية.

فإذا قيل لهم: هكذا كان متحداً بغيره من الأنبياء والصالحين، ولكن أخفى نفسه لحكمة له في ذلك، أو أظهر على نفسه بعض خواص عباده، أو أظهر لطائفة لم ينقل إلينا خبرهم ونحو ذلك، لم يمكن[2] ــ مع تصديق النصارى فيما يدعونه ــ الجزم بكذب هؤلاء. بل من جوز قول النصارى، جوز أن يكون متحداً[3] بغير ذلك من الأجسام، فيجعل كثيراً من الأجسام المخلوقة هي رب العالمين، إذ كانت[4] ليس هو متحداً بها في نفس الأمر.

---

(١) (العام عن غير المسيح) ساقطة من هـ، ك.
(٢) في هـ، (يكن) بدلاً من (يمكن).
(٣) في هـ، ك (أن يتحد) بدلاً من (أن يكون متحداً).
(٤) في ط (كان) بدلاً من (كانت).

فإذا اعتقدوا الاتحاد فيها[1]، كما اعتقدته النصارى في المسيح، لم يكن ثَمّ إله في الحقيقة إلاَّ ذلك الجسم الناسوتي المخلوق.

لكن ظن الضال أنه رب العالمين، كما ظن عباد العجل أن العجل إله موسى. فإذا جاز أن يتحد الرب ـ عز وجل ـ ببعض الأجسام، لم ينكر على أصحاب العجل إذا جوزوا أن يكون رب العالمين اتحد بالعجل، وقد رأوا[2] منه نوع خرق عادة. فليس للنصارى أن ينكروا على عباد العجل ولا عباد شيء من الأصنام، إذا أمكن أن يكون الرب ـ عز وجل ـ حل فيها عندهم، إن لم يقموا دليلاً على أن الرب لم يحل في ذلك.

فإذا قيل: إن موسى ـ عليه السلام ـ أنكر على عباد العجل.

قيل: نعم. وموسى ينكر على كل من عبد شيئاً من المخلوقات، حتى لو عبد أحد الشجرة التي كلمه الله منها، لأنكر عليه، فإنكاره على النصارى أعظم.

وموسى ـ عليه السلام ـ، لم يقل قط: إن الله يتحد بشيء من المخلوقات ويحل فيه، بل أخبر من عظمة الله ـ عز وجل ـ بما يناقض ذلك.

ففي التوراة، من[3] نهيه عن عبادة ما سوى الله، ومن تعظيم أمره وعقوبة المشركين به، وبما أخبر به من صفات الله ـ عز وجل ـ، ما يناقض قول النصارى.

---

(١) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، ك (رأي) بدلاً من (رأوا).

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (من).

ولهذا كان من تدبر التوراة وغيرها من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من النصارى، تبين له أن دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم، وأن ما هم عليه من التثليث والاتحاد والشرك، لم يبعث به أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة، أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا، مثل[1] دعائهم مريم وغيرها، وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله، لم يبعث به أحد من الأنبياء، فيكف وقد صوروا تماثيلهم، ليكون تذكيراً لهم بأصحابها ويدعون تلك الصور[2].

وإن قصدوا دعاء أصحابها، فهم إذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون، كانوا مشركين.

فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة؟ وهذا مما يعترف[3] حذاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم.

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس، لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في أخبارهم، ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعية.

والمجسمة يعتقدون أن الله[4] قديم أزلي، وأنه عظيم جداً، لا يقولون إنه متحد بشيء من الأجسام المخلوقة، ولا يحل فيها[5]. فمن

---

(١) في هـ (قبل) بدلاً من (مثل).
(٢) في ط (الصورة) بزيادة (ة).
(٣) في ط (يعترفه) بدلاً من (يعترف).
(٤) في هـ (أنه) بدلاً من (أن الله).
(٥) في هـ (منها) بدلاً من (فيها).

قال باتحاده وحلوله فيها، كان قوله شراً من قول هؤلاء المجسمة.

كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما يقوله «أرسطو» وذووه، أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله «ابن سينا»[1] وأمثاله.

وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والأرض خالقاً خلقها بمشيئته وقدرته.

ولو قال من قال منهم: إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسماً قديماً أزلياً موصوفاً بصفات الكمال.

فمن أثبت جسماً قديماً أزلياً ليس موصوفاً بصفات الكمال، كان قوله شراً من قول هذا.

فتبين أن المجسمة الذين يثبتون جسماً، قديماً أزلياً، واجب الوجود بنفسه، عالماً بكل شيء، قادراً على كل شيء مع قولهم: إنه تحله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون، خيراً من قول الفلاسفة الذين يقولون: إن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها، كما يقوله «أرسطو» وذووه، وخير من النصارى أيضاً.

الوجه الثالث عشر: قولهم: من قال ثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه، فنحن نلعنه ونكفره.

فيقال لهم وأنتم[2]: أيضاً تلعنون من قال: إن المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوي[3] الأب في الجوهر، ومن قال: إنه

(١) ابن سينا: سبقت الإشارة إليه ص ٣٣٤.
(٢) في هـ، ك (أنتم) بسقوط (و).
(٣) في هـ، ك (مساو) بسقوط (ي).

ليس بخالق، ومن قال: إنه ليس بجالس عن يمين أبيه. ومن قال أيضاً: إن روح القدس ليس برب حق[1] محيي، ومن قال: إنه ليس ثلاثة أقانيم.

وتلعنون أيضاً مع قولكم إنه الخالق من قال: إنه الأب، والأب هو الخالق، فتلعنون من قال هو الأب الخالق، ومن قال: ليس هو الخالق فتجمعون بين النقيضين.

فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث، ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر، وتجمعون بين النقيضين.

فمن أثبت أحدهما منفكاً عن الآخر لعنتموه، كمن قال: عندي واحد ثلاثة.

فمن قال: هو واحد ليس بثلاثة كذبه، ومن قال: هو ثلاثة ليس واحداً كذبه.

ومن قال: عندي شيء موجود معدوم، فمن قال: هو موجود[2] ليس بمعدوم كذبه، ومن قال معدوم ليس بموجود كذبه.

ومن قال: عندي شيء هو حي ميت، هو عالم جاهل، هو قادر عاجز، فمن قال هو حي ليس بميت كذبه، ومن قال: هو ميت ليس بحي، كذبه.

فهكذا أنتم، تجمعون بين قولين متناقضين، أحدهما حق، والآخر باطل.

فمن قال الحق ونفى الباطل، لعنتموه، ومن قال الباطل ونفى

---

(١) في هـ (حي) بدلاً من (حق)، (حق) مطموسة في ك.
(٢) (هو موجود) ساقط من هـ.

الحق لعنتموه[1].

وأنتم تشبهون الملاحدة، من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمتنعون عن إثبات أحد النقيضين فيقولون: لا نقول هو حي ولا ليس بحي، ولا هو عالم، ولا ليس بعالم، ولا قادر ولا ليس بقادر.

بل منهم من يقول: لا نقول هو موجود ولا معدوم، ولا نقول: هو شيء، ولا نقول: ليس بشيء.

ومنهم من يقول: ليس بحي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز.

ومنهم من يقول: لا نطلق لا هذا ولا هذا.

فيقال لهم: رفع النقيضين كجمع النقيضين، والامتناع عن إثبات أحد النقيضين، كالامتناع عن نفي أحد النقيضين.

وكذلك من وصفه بأنه موجود واجب الوجود لذاته، ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه، فقد جمع بين النقيضين.

وكل قول يتضمن جمع النقيضين وإثبات[2] الشيء ونفيه، أو رفع النقيضين، الإثبات والنفي، فهو باطل.

والنصارى ـ في هذا الباب ـ من أبلغ الناس تناقضاً، يقولون الشيء، ويقولون بما يناقضه[3]، ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا.

وأيضاً فكل طائفة منكم تلعن الأخرى، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسية وغيرهم من طوائف النصارى، وهم يلعنونكم، وكل من فرقكم

---

(١) (ومن قال الباطل ونفي الحق لعنتموه) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ (إثبات) بسقوط (و).

(٣) في هـ (ما ينقضه) بدلاً من (بما يناقضه)، وفي ك (ينقضه) بدلاً من (يناقضه).

الثلاثة، النسطورية، واليعقوبية، والملكية، تلعن الطائفتين الأخريين.

فأنتم واليعقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلّهاً، ويقولون: إن مريم ولدت إنساناً تاماً إلّهاً تاماً.

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال: إنهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

ومن قال: إن اللاهوت تألم مع قولكم: إن اللاهوت مولود من مريم ومع قولكم[1] المسيح الذي ولدته مريم: مات وصلب، وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون، ما[2] يطول وصفه، فما منكم من أحد إلَّا وهو لا عن ملعون، فلعنكم من قال بهذه المقالات، لا يوجب أنكم على الحق، بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم، كطائفة من طوائفكم، والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً.

والطوائف الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة منهم[3]، بعض طوائفهم، وإلَّا فهم طوائف كثيرون، مختلفون في التثليث والاتحاد.

وتجد كل صنف منهم ــ أو[4] غيرهم في مقالاتهم ــ يحكى أقوالاً غير الأقوال التي حكاها الآخرون.

ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك الإسكندرية في أثناء المائة الرابعة من دولة الإسلام، وقد بحث لهم بحثاً استقصى فيه ــ بزعمه ــ نصر مذهبهم، وهو ملكي، وقد ذكرت

(١) (اللاهوت مولود من مريم، ومع قولكم) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ ، ك (بما) بزيادة (بـ).

(٣) في ط (فهم) بدلاً من (منهم).

(٤) في هـ ، ك (و) بسقوط (أ)

كلامه في غير هذا الموضع[1].

وفيهم من يقول: إن مريم زوجة الله، وفيهم من يجعلها إلّهاً آخر، كالمسيح.

وفيهم من يثبت أن المسيح ابن الله، الولادة المعقولة[2] المعروفة من الحيوان.

والأمانة التي جعلوها عقيدتهم وأصل إيمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، هي وغيرها من أقوالهم الظاهرة، تدل على هذه الأمور المنكرة القبيحة دلالة بينة.

لكن علماؤهم يتأولونها بتأويلات تناقض مدلولها، مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلاً وشرعاً.

وليست تلك ألفاظ الأنبياء، حتى يقال: حكمهم في ذلك حكم سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون ما يرونه متشابهاً من كلام الأنبياء، ويقولون: إن الأنبياء تكلموا بما لا يعرف أحد معناه، أو أنهم خاطبوا الجمهور بما أرادوا به تفهيمهم أموراً ينتفعون بها، وإن كان ذلك كذباً باطلاً في نفس الأمر.

فإن هؤلاء الطوائف، وإن كان فيهم من الضلال والجهل، ما قد بسط في غير هذا الموضع[3]، فقد فعلوا ذلك في ألفاظ الأنبياء التي لها حرمة النبوة.

---

(١) يشير الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى ما نقله من «نظم الجوهر» في هذا الكتاب والذي يبدأ من ٤/ ١٨٣.

(٢) (المعقولة) ساقطة من ط، ك.

(٣) (الموضع) ممحوة من هـ.

بخلاف النصارى فإنهم وضعوا[١] عقيدة وشريعة، ليست ألفاظها منقولة عن أحد من الأنبياء.

الوجه الرابع عشر: قولهم: ويراد[٢] بالأب والابن، غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجة لعناه.

فيقال: لفظ الولادة المعروفة، إنما يكون من أصلين، وإنما يكون بانفصال جزء من الأصلين، وإنما يكون بحدوث المولود، سواء أريد ولادة الحيوان أو غيرها، كما تتولد النار من بين[٣] الزنادين، فإذا قدح أحدهما بالآخر، خرج منهما[٤] جزء لطيف، فاستحال ناراً، ثم سقط على الحراق.

وقد توسع بعض الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه، كتولد الشعاع عن النار، والشمس وغيرها لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما، ما يصدر عنه، من الشمس والنار، والثاني المحل القابل له[٥] الذي ينعكس عليه، وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع.

فأما ما يحدث عن شيء واحد، فلا يعرف أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك، وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد أنه يسمى ولداً.

فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا[٦] أبعد

---

(١) في هـ (وضفوا) بدلاً من (وضعوا).
(٢) في ط (ومرادنا) بدلاً من (ويراد).
(٣) (بين) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (منها) بدلاً من (منهما).
(٥) (له) ساقطة من هـ، ك.
(٦) في هـ، (فهو) بدلاً من (فهذا).

شيء[1] عن أن يسمى هذا الملزوم ولادة، بل لا تكون الولادة إلَّا عن أصلين.

وكل من قال: إن لله ولداً، لزمه أن يكون[2] له صاحبة بأي وجه فسر الولادة، وأن يكون له ولد حادثاً، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

فاستفهم ـ تعالى ـ استفهام إنكار، ليبين[4] امتناع أن يكون له ولد، إذ لم تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلَّا من أصلين، وهذا مما ينبغي أن يتفطن له، فإن جعل[5] ما يلزم الشيء الواحد متولداً عنه، لا يعرف، لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له، كعلمه، وحياته[6]، لا سيما الصفات القديمة الأزلية اللازمة[7] لذات رب العالمين، الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، فإن صفات العبد اللازمة له، كحياته، وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء.

ولا يقول عاقل يعقل ما يقول: إن لون السماء وقدرها متولد عنها، ولا إن قدر الشمس وضوءها القائم بها، اللازم لها، متولد عنها، ولا يقول أحد: إن حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها.

---

(١) (شيء) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.

(٤) في ط (يبين) بسقوط (لـ).

(٥) في هـ، ك (تسمية) بدلاً من (جعل).

(٦) (لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له، تعلمه، وحياته) ساقطة من هـ، ك.

(٧) (اللازمة) ساقطة من ط.

وإنما يقال: إن قيل ــ فيما ليس بقائم بها[1]، بل قائم بغيرها، أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان، وهذا ليس بقائم بها، بل قائم بغيرها، هو حادث متولد عن أصلين، لا عن أصل واحد.

فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له، فلا يقول أحد من العقلاء: إنها متولدة عنه.

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته، هي صفة له قديمة أزلية، لم يزل ولا يزال موصوفاً بها.

ويقولون ــ مع ذلك ــ: إن الكلمة هي مولودة منه[2]، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه[3] أنواع كثيرة، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته، يقال: إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك، فتكون حياته أيضاً ابنه وولده. ومتولداً عنه، وإن لم يكن كذلك، فلا يكون علمه ابنه ولا ولده، ولا متولداً عنه.

وأبلغ[4] من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه، القائمة بالأنبياء والصديقين، لا يقولون: إنها ولده، ولا إنها متولدة عنه، بل يخصون

---

(١) (بها) ساقطة من هـ.

(٢) (منه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (بأنه) بدلاً من (فإنه).

(٤) في هـ، ك (وأقطع) بدلاً من (وأبلغ).

ذلك بالكلمة، فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمى شيئاً من صفات الله ابناً ولا ولداً، ولا قال: إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه.

فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلّهية كلها، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية، ومخالفون لجميع لغات الآدميين، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا: تولدت الكلمة عنه، كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.

فيقال لهم: لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولداً، فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن، وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.

فأما صفاتنا[1] اللازمة لنا، التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها، فلا يقول عاقل: إنها متولدة فينا وعنا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له، التي لم يزل[2] ولا يزال متصفاً بها، متولدة عنه.

فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفاً في اللغة والعقل والشرع، لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابناً له ومولوداً[3] منه، لم يزل مولوداً منه، لأن هذا باطل عقلاً وشرعاً ولغة.

أما العقل، فإن صفة الموصوف اللازمة له ــ وإن كان مخلوقاً ــ

(١) في هـ (قائماً بصفاتنا) بدلاً من (صفاتنا).
(٢) في هـ (تزل) بدلاً من (يزل).
(٣) في هـ (مولوداً) بسقوط (و).

ليست متولدة عنه، فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم؟

ولو جاز هذا، جاز أن يجعل ما كان لازماً لغيره ولداً له ومولوداً منه، فيجعل كيفيات الأشياء وكمياتها متولدة عنها وأمثالها.

ويقال: إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه، وإن حياة الحي متولدة عنه، وإن القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات[1] متولدة عنها[2].

وأما الشرع، فإن هذا لو كان متولداً ــ وهو في بعض اللغات يسمى ولداً ــ لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلّا أن يكون في لغتهم يسمى ولداً.

وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم، لم يجد أحداً من الأنبياء يسمي علم الله وكلمته وحياته، ولداً له ولا ابناً له، ولا قال: إن ذلك يتولد[3] عنه.

فقولهم عن المسيح: عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية، وأنها متولدة[4] منه وأنه أراد بروح القدس، حياة الله القديمة الأزلية، كذب محض على المسيح ــ عليه السلام ــ، لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته، ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً، ولا سموا حياته روح القدس.

وأما اللغة، فإن هذا التعبير الذي ذكروا ــ وهو تسمية صفات

---

(١) في ط (الحيوان) بدلاً من (المخلوقات).
(٢) (جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها) غير ظاهرة في ك.
(٣) في هـ، ك (متولداً) بدلاً من (يتولد).
(٤) في هـ (مولده) بدلاً من (متولدة).

الموصوف اللازمة له ولداً وابناً ومتولداً ـ لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة.

وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولداً ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولداً عنه، كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم، ولهذا نزه الله ـ تعالى ـ نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال ـ تعالى ـ:

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3].

وأما اتخاذ الولد، ففي مواضع متعددة، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ[5]:

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٥١، ١٥٢.
(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.
(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ٣، ٤.
(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.
(٥) (ـ تعالى ـ) ساقطة من هـ، ك.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(1).

وقولـه:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(2).

وقولـه:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾(3).

وقولـه:

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾(4).

وأهـل الكتاب يـذكرون أن في كتبهم تسميـة عبـاد الله الصـالحين ابناً، وتسمية الله أبـاً، وتسمية المصـطفين أبناء، وهـذا إذا كان ثـابتاً عن الأنبياء فإنهم لا يعنون به إلَّا معنى صحيحاً.

واللفظ قد يكون لـه في لغة معنى، ولـه في لغة أخـرى معنى غير ذلك، والمراد بهذا الولد والابن، لا ينافي كونه مخلوقـاً مربـوبـاً عبـداً لله ــ عز وجل ــ .

---

(1) سورة البقرة: الآيتان ١١٦، ١١٧.
(2) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦ ــ ٢٩. **﴿كذلك نجزي الظالمين﴾** سقطت من هـ، ك.
(3) سورة المؤمنون: من الآية ٩١.
(4) سورة الزمر: من الآية ٤.

وأما تسمية شيء من صفات الله ابناً أو ولداً، فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء، ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى. ولم يبقَ للتولد إلاَّ معنيان، أحدهما: أن ينفصل عنه جزء، والثاني: أن يحدث عنه شيء إما باختياره، وإما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لا يكون إلاَّ عن أصلين، ولا بد أن يكون حادثاً لا يكون من صفاته اللازمة له، فيمتنع أن يتولد عنه شيء إن لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته، ممتنع عند أهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى وسائر الأمم، سوى طائفة من المتفلسفة يقولون: إنه موجب بذاته، مستلزماً لما يصدر عنه، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد.

والنصارى تكفر هؤلاء، لكن قد ضاهوهم في القول، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وهذا قاله طائفة من اليهود، وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا[2] وأتباعه.

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٢) هو عالم من بني إسرائيل ممن قالوا بأن عزير بن الله. ذكر ذلك المفسرون عند كلامهم على الآية ٣٠ من سورة التوبة في قصة العزير.
انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨؛ والصاوي على الجلالين ـ تفسير سورة التوبة.

قال أبو محمد بن حزم[1]: والصدوقية[2]، طائفة من اليهود[3] نسبوا إلى رجل يقال له صدوق[4]، وهم يقولون ـ من بين سائر اليهود ـ إن العزير[5] بن الله، وكانوا بجهة اليمن[6].

ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والأفلاك عنه، وإن سمي ذلك تولداً[7]، فهم يجعلون ولده منفصلاً عنه، لكن يثبتون ولداً قديماً أزلياً صدر عنه بغير اختياره، ويجعلون الشيء الواحد متولداً عنه.

وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً، جعلوه حادثاً منفصلاً عنه.

فأما جعل صفته القائمة به ولداً له[8] ومولوداً، فهذا لا يعرف عن غير النصارى، فإذا أثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق، والصفة[9] القائمة به اللازمة له، لم تتولد عنه، ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الأنبياء وغيرهم، تعين أن يكون الولد، إما جزءاً منفصلاً عنه، وإما معلولاً له صادراً عنه بغير قدرته ومشيئته، وأي القولين قالوه، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل.

---

(١) **أبو محمد بن حزم**: سبقت الإشارة إليه ٤/ ٨٤.

(٢) **الصدوقية**: فرقة صغيرة نسبياً ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذوي مكانة مرموقة، متخاصمة مع الفريسين، وقد دعم الرأي أن اسمها مشتق من صادق، وذلك لأن هذه الطائفة مشتقة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية، وقد كان صادوق رئيس كهنة في أيام داود وسليمان.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩.

(٣) (من اليهود) ساقطة من هـ، ك.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) **العزير**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٣٦.

(٦) انظر كلام ابن حزم هذا في كتابه الفصل ١/ ٩٩.

(٧) في هـ (مولداً) بدلاً من (تولداً).

(٨) (له) ساقطة من هـ، ك.

(٩) في هـ (والصفات) بدلاً من (والصفة).

وبعض علمائهم وإن أنكر ذلك، لكنهم يقولون ما[1] يستلزم ذلك، ويشبهونه بالشعاع من الشمس، ويقولون عن[2] الروح، هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة، التي هي خروج شيء منه، أو حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته، ولا بد له ــ مع ذلك ــ من محل يقوم به فإن الشعاع لا يقوم إلّا بالأرض.

والأمر المنبثق الخارج من غيره إما أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، أو صفة قائمة بغيرها.

فإن كان جوهراً، فقد انفصل من الرب جزء.

وإن كان عرضاً، فلا بد له من محل، فيكون متولداً عن أصلين.

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل، تشبيه باطل، فإن ذلك يحصل بقدرة الإنسان ومشيئته، وهو حادث بعد أن لم يكن.

هذا إذا عرف أن ما يقوم بقلب الإنسان من علم وحكمة، يقال: إنه يتولد[3] عنه ويقال: إنه ابنه، مع أن هذا أمر غير معروف في اللغات، ولو كان معروفاً في لغة بعض الأمم، لم يجز أن يفسر به كلام الأنبياء إن لم يكن معروفاً في لغتهم.

وأما ما يدعونه، فإنهم يقولون: إن الكلمة لازمة لذات الله أزلاً وأبداً، وهي مولودة[4] منه، مع أنها غير مصنوعة، فهذا كلام متناقض باطل من وجوه.

---

(١) في ط (بما) بزيادة (بـ).
(٢) في ط (عنه) بدلاً من (عن).
(٣) في هـ (متولد) بدلاً من (يتولد).
(٤) في هـ، ك (متولدة) بدلاً من (مولودة).

فإن المتولد عن الشيء، لا يتولد إلَّا عنه وعن غيره، وأما الشيء الواحد، فلا يتولد عنه وحده شيء، وأيضاً فإن ما تولد عن غيره لم يكن حادثاً، وأما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب، فليست مولودة له[1]، ولا متولدة عنه، بل هي قائمة به لازمة لذاته.

وأيضاً، فإن المولود اسم مفعول، يقال: ولده يلده فهو مولود، وهذا لا يقال إلَّا في الحادث المتجدد، فإنه مفعول فعل الوالد.

والقديم الأزلي، لا يكون مفعولاً مولوداً.

وأيضاً فتسمية الصفة القديمة الأزلية، مولوداً وابناً، لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

فهب أن هذا مما يسوغ لنا في اللغة أن نقوله، لكن[2] لا يجوز أن نحدث لغة غير لغة الأنبياء، ونحمل كلام[3] الأنبياء[4] عليها * فإن هذا كذب عليهم.

وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من أهل التحريف بكلام الأنبياء، يحدثون لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء، ويحملون كلام الأنبياء عليه *[5].

مثال ذلك: أن الأنبياء أخبروا بأن الله إله واحد، وكفروا من أثبت إلهين اثنين، وأمروا بالتوحيد ودعوا إليه، وحرموا الشرك وكفروا أهله، وأخبروا أن الله واحد أحد، وكان مرادهم بذلك توحيده وأنه لا يجوز أن

---

(١) (له) ساقطة من هـ.

(٢) (لكن) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ، ك (كلامهم) بدلاً من (كلام).

(٤) (الأنبياء) ساقطة من هـ، ك.

(٥) ما بين هذه النجمتين ساقط من هـ.

يعبد إلَّا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلَّا هو، ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته.

فلم يقصدوا بلفظ «الأحد والواحد» أنه ليس له علم ولا قدرة، ولا شيء من الصفات.

فجاء طائفة من أهل البدع، ففسروا لفظ[1] اسم «الواحد» و «الأحد» بما جعلوه اصطلاحاً لهم، فقالوا: الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم، ولو كان له صفات لكان مركباً، ولو قامت به الصفات، لكان جسماً، والجسم مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة[2]، فلا يكون أحداً ولا واحداً.

فيقال: هذا الذي قالوه لو قدر أنه صحيح في العقل واللغة، فليس هو لغة الأنبياء التي خاطبوا بها الخلق، فكيف إذا لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الأمم؟

بل جميع الأمم تسمي ما قام به الصفات واحداً، بل يسمونه وحيداً، وقد يسمونه في غير الإثبات أحداً، كقوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3].

وقوله:

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[4].

وأمثال ذلك.

---

(١) (لفظ) ساقطة من هـ.

(٢) في ط (والصور) بسقوط (ة).

(٣) سورة التوبة: من الآية ٦.

(٤) سورة المدثر: من الآية ١١.

وأما البحث العقلي في هذا، فقد بسطناه في غير هـذا الموضـع، وبيّنا أن ما يسميه هؤلاء المتفلسفة تـركيباً كقـولهم: إن الشيء مركب من وجـود وماهيـة، وقولهم: إن الأنـواع مركبـة من الأجناس والفصـول، هو باطل عند جميع جمهور العقلاء.

وليس في الخـارج إلاَّ ذات متصفـة بصفـات، ليس في الخـارج وجود القائم بنفسه، وماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القـائم بنفسه مثلاً.

ولكن قد يعنى بلفظة «ماهية» ما يتصور في الأذهان، وبالـوجود[1] ما يوجد في الأعيان، وحينئذٍ، فهذه الماهية غيـر هذا المـوجود، وحينئذٍ فيقال هذه الماهية غير هذا الوجود.

وكـذلك[2] قـولهم: إن الإنسان المـوجود في الخـارج مـركب من الجنس والفصـل، فإن الإنسـان الموجـود هو ذات متصفـة بصفـات هـو وغيره من الموجودات.

ولكن يتصور في الذهن مـا هو مـركب من الحيوان والنـاطق، كما يتصـور ما هـو مركب من الحيـوان والضاحـك، وهذا تـركيب ذهني[3]، لا تركيب في الخارج، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع.

وتبين أن مـا جعلوه من الصفات داخـلاً في المـاهيـة، ومـا جعلوه خارجاً عنهـا لازماً لهـا، ومـا هـو مجموع أجـزاء الماهيـة، يرجـع ــ عند التحقيق ــ إلى ما هو مدلول عليه بالتضمن والالتزام والمطابقة.

---

(١) في هـ (بالوجود) بسقوط (و).
(٢) في هـ (ولكن كذلك) بزيادة (لكن).
(٣) في هـ (وقفي) بدلاً من (ذهني).

ومن ذلك تركيب الجسم من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة.

وأكثر العقلاء ينكرون تركيب الجسم من هذا وهذا، كما قد بسط في موضع آخر[1].

والمقصود هنا، أن كلام الأنبياء لا يجوز أن يحمل إلَّا على لغتهم التي من عادتهم أن يخاطبوا بها الناس، لا يجوز أن يحدث لغة[2] غير لغتهم ويحمل كلامهم عليها.

بل إذا كان لبعض الناس ـ عادة ولغة ـ يخاطب بها أصحابه، وقدر أن ذلك يجوز له، فليس له أن يحمل ذلك، لغة النبي[3]، ويحمل كلام النبي على ذلك.

ومن هذا إخبار الأنبياء بأن الله يقول ويتكلم وينادي ويناجي، وإنه قال كذا وتكلم بكذا، ونادى موسى ونحو ذلك.

والمعروف في لغتهم ولغة سائر الأمم، أن المتكلم من قام به الكلام وإن كان متكلماً بقدرته ومشيئته، لا يعرف في لغتهم أن المتكلم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه، ولا أن المتكلم من قام به الكلام بدون قدرته ومشيئته.

فليس لأحد ـ إذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث كلاماً بائناً عنه، أو من قام به بدون قدرته ومشيئته ـ أن يحمل كلام الأنبياء على هذا.

بل المتكلم ـ عند الإطلاق ـ من تكلم بقدرته ومشيئته، مع قيام الكلام به.

---

(١) (كما قد بسط في موضع آخر) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (أحد) بدلًا من (لغة).

(٣) في هـ (النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) بزيادة (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

وهـذا هو المعـروف في لغة الأنبيـاء وسائـر الأمم عنـد الإطـلاق، ونظائر هذا متعددة.

فمن فسـر كـلام الأنبيـاء بغيـر لغتهم المعـروفـة، فهم ممن بـدل كلامهم وحرفه، والنصارى من هؤلاء.

وكـذلك اسم العـادل والظالم ونحـوهما[1]، فـإن المعروف من[2] كلام الأنبياء وغيـرهم أن العادل من قـام به العـدل وفعل العـدل بمشيئته وقدرته.

والـظالم من قام بـه الظلم، وفعله بقـدرته ومشيئتـه، لايسمون من لم يقم بـه الظلم، ولكن قـام بغيره، لكـون قد جعـل ذلك فـاعـلاً لـه، ولا يسمون من لم يفعل الظلم ـ ولكن فعله غيره فيه ـ ظالماً.

فمن جعـل الظالم والكـافر والفـاسـق من لم يفعل شيئـاً من ذلـك ولكن فعله غيـره فيـه، أوجعـل الـظالم من لم يقم بـه ظلم فعله، ولكن جعل غيره متصفاً به ظـالماً، فقـد خرج عن المعـروف من كلام الأنبيـاء وغيرهم.

وأبلغ من ذلـك أن المحـدث والحـادث في لغـة جميـع الأمم، لا يسمى بـه إلَّا مـا كـان بعـد أن لم يكن والمخلوق أبلغ من المحـدث والحادث.

فليس لأحد ـ إذا أحدث اصطلاحاً سمى بـه القديم الأزلي الـذي لم يزل موجوداً ولكنه زعم أنه معلول لغيره فسماه محدثاً بهذا الاعتبـار ـ أن يقول: أنا أحمل كلام الأنبياء الذي أخبروا به، أن السماوات والأرض

---

(١) في هـ (ونحوهم) بدلاً من (ونحوهما).
(٢) في هـ (في) بدلاً من (من).

وما بينهما مخلوق أو مصنوع أو معقول أو محدث أو[1] نحو ذلك من العبارات، على أن مرادهم بذلك أنه معلول مع كونه قديماً أزلياً لم يزل.

وأما لفظ «القديم» فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الأنبياء يراد به ما كان متقدماً على غيره تقدماً زمانياً، سواء سبقه عدم أو لم يسبقه، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[3].

وقال الخليل:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

فلهذا كان القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولم يسبقه عدم، أحق باسم القديم من غيره.

وليس لأحد أن يجعل القديم والمتقدم اسماً لما قارن غيره في الزمان لزعمه أنه متقدم عليه بالعلة، ويقول: إنه متقدم على غيره وسابق له بهذا الاعتبار، وإن ذلك[5] المعلول متأخر[6] عنه بهذا الاعتبار، ثم يحمل ما جاء من كلام الأنبياء وأتباع الأنبياء وعموم الخلق على هذا الاصطلاح لو كان حقاً، فكيف إذا كان باطلاً.

---

(١) في ط (و) بسقوط (أ).
(٢) سورة يس: من الآية ٣٩.
(٣) سورة يوسف: من الآية ٩٥.
(٤) سورة الشعراء: الآيات ٧٥ ـ ٧٧.
(٥) في هـ (كان) بدلاً من (ذلك).
(٦) في هـ (متأخراً) بزيادة (ا).

وما ذكره من التقدم والسبق والتأخر بغير الزمان، أمر[1] غير موجود ولا معقول، ولا يعرف في الوجود من فعل شيئاً وكان علة فاعلة له إلَّا وهو متقدم عليه سابق له، ليس مقارناً له في الزمان ألبتة، بل متقدم[2] عليه تقدماً زمانياً.

وكل من يعرف أنه سبب أو علة فاعلة فإنه متقدم على مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلاً به، ليس بينهما زمان آخر.

فيقال: ليس هذا متأخراً عن هذا، أي هو متصل به ليس بينهما فصل.

ويقال: ليس ذلك متقدماً على هذا، أي ليس بينهما زمان، بل هو متصل به، إذ قد يراد بلفظ التقدم هذا، كقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «الجنازة متبوعة، وليست بتابعة، ليس منها من تقدمها»[3] أي من كان قد تقدمها، حتى لم يكن قريباً منها، لم يكن تابعاً لها، كما جاء في الحديث الآخر: «الراكب خلف الجنازة، والماشي أمامها ووراءها، وعن يمينها ويسارها قريباً منها»[4] رواه أبو داود وغيره، وهو أبين حديث

---

(١) في هـ (أم) بدلاً من (أمر).

(٢) في هـ ، ك (يتقدم) بدلاً من (متقدم).

(٣) انظر:

* سنن الترمذي ـ كتاب الجنائز ـ ما جاء في المشي خلف الجنازة ـ باب ٢٦ عن عبد الله بن مسعود بمعناه ـ حديث رقم ١٠١٦.

* مسند الإمام أحمد ١/٣٩٤ ـ قال عبد الله بن مسعود بلفظه.

(٤) انظر:

* مسند الإمام أحمد ٤/٢٤٨ ـ ما جاء في الراكب خلف الجنازة والماشي أمامها والراكب خلفها ـ عن المغيرة بن شعبة بلفظه ـ إلَّا أن فيه تأخير وتقديم في الجمل.

* وسنن الترمذي ـ كتاب الجنائز ـ ٢٧ ـ باب ما جاء في كراهية الركوب خلف الجنائز ـ حديث ١٠١٧ ـ عن ثوبان ـ وقال أبو عيسى هو موقوف.

روى في هذا الباب في هذا الحكم، ومنه[1] قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[2].

أي لا يتقدم عليه، بحيث يكون بينهما انفصال. بل كال منهما متصل بالآخر.

والمقصود هنا أن معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء وحمل كلامهم عليها، أمر واجب متعين، ومن سلك غير هذا المسلك، فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى.

ومثل هذا التحريف والتبديل، قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على أنه وقع فيه[3] خلق كثير من أهل الكتب الثلاثة، وأن التوراة والإنجيل حرفا بهذا الاعتبار، وكذلك القرآن حرفه أهل الإلحاد والبدع، بهذا الاعتبار.

فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الأب والابن ومرادهم ـ عندهم ـ بالأب: الرب، وبالابن: المصطفى المختار المحبوب.

ولم ينقل أحد منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ولا قالوا عن شيء من صفاته: أنه تولد عنه، ولا أنه مولود له.

فإذا وجد في كلام المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» ثم فسروا الابن بصفة الله

---

* وسنن أبي داود ـ كتاب الجنائز ـ حديث ٣١٨٠ ـ عن المغيرة بن شعبة، بلفظه غير تقديم وتأخير في الجمل.
* وسنن ابن ماجه ـ كتاب الجنائز ـ باب ١٥، حديث ١٤٨١ عن المغيرة بمعناه.

(١) في ط (منه) بسقوط (و).
(٢) سورة يٓس: من الآية ٤٠.
(٣) في ك (في) بدلاً من (فيه).

القديمة الأزلية، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية.

وكذلك إذا لم يكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس، ما ينزله الله ـ تبارك وتعالى ـ على الأنبياء والصالحين، ويؤيدهم. كان تفسير قول المسيح، روح القدس أنه أراد حياة الله، كذباً على المسيح.

وهذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس والأفلاك، معلولة له متولدة عنه، لازمة له أزلاً وأبداً، وإن كان هذا أيضاً باطلاً[1] في صريح العقل، كما هو كفر بما أخبرت به الأنبياء كما قد بسط في موضع آخر، فإنه لا يصدر شيء عن فاعل الأشياء بعد شيء لا يتصور أن يكون المفعول مقارناً للفاعل لا[2] يتأخر عنه، ولا يكون التولد إلَّا عن أصلين.

والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية، لا وجود له، ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء، كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع أخر.

ومما يوضح ذلك أن خواص النصارى وعلماءهم ـ مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله ـ يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته، كما قال ذلك من يغلو منهم، ومنهم من يجعل مريم إلٰهاً مع الله كما جعل المسيح إلٰهاً.

فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح بن

---

(١) في هـ، ك (باطل) بدلاً من (باطلاً).

(٢) في ط (ولا) بزيادة (و).

مريم وأمه الهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم.

فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها بما يدعون به الله ــ سبحانه ــ والمسيح، ويجعلونها إلٰهاً كما يجعلون[1] المسيح إلٰهاً. فيقولون: يا والدة الإلٰه، اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك، فيطلبون منها ما يطلبونه من الله ــ عز وجل ــ.

ومنهم من يقول عن مريم: إنها صاحبة الله ــ سبحانه وتعالى ــ.

وبيان لزوم ذلك أن المسيح ــ عندهم ــ إنسان تام وإلٰه تام ناسوت ولاهوت، فناسوته من مريم، ولاهوته الكلمة القديمة الأزلية وهي الخالق عندهم.

فالمسيح بين[2] أصلين، ناسوت ولاهوت، فإذا كان الأب هو الله ــ عندهم ــ، والكلمة المولودة عن الأب ابن الله، فمعلوم أن اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منهما المسيح[3] ازدوج به وقارنه، وهذا معنى الزوجية.

فكما أنهم قالوا: إن الولادة عقلية لا حسية، فكذلك الازدواج والنكاح. عقلي لا حسي، فإن اللاهوت ــ على قولهم ــ ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحاً عقلياً، وخلق المسيح من هذا وهذا.

وهم يقولون في الأمانة: إن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس.

فإن فسروا روح القدس بجبريل ــ كما يقوله المسلمون ــ فهو

(١) في هـ (يجعلوا في) بدلاً من (يجعلون).
(٢) في ك (من) بدلاً من (بين).
(٣) في ط (أن المسيح) بزيادة (أن).

الحق، وبطل قولهم، لكنهم يقولون: روح القدس هو الأقنوم الثالث، كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم.

فهم قد ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت، فيلزمهم على هذا أن يكون المسيح هو الابن، وهو روح القدس، فيكون أقنومين، لا أقنوماً واحداً وقد تقدم تناقضهم في هذا.

والمقصود هنا أنهم إذا قالوا: إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم، فلا بد أن يحصل[1] له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها، وذلك هو معنى النكاح والازدواج.

وعند جمهور النصارى أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت، وهي أم اللاهوت، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإلٰه.

واللاهوت الذي ولدته مريم هو ـ عندهم ـ رب العالمين، واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم، من حين خلق الناسوت في بطن مريم، لم يحدث بعد الولادة.

فإذا جاز أن يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من الوجوه، فإمكان أن يكون له صاحبة وزوجة، أولى وأحرى، وليس في ذلك ما يحيله العقل والشرع إلاَّ وهو لكونها أماً للاهوت أشد إحالة.

فإن جاز أن يكون للاهوت أم والأم أصل، فلأن يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى، فإن من المعلوم أن ولد ذلك الشيء، وهو المتفرع المتولد عنه، أنقص بالنسبة إليه من نظيره.

فإذا قالوا: إن لرب العالمين ولداً اتحد بالناسوت هو نظيره المساوي له في الجوهر، وقالو: إن الناسوت أم هذا المسيح الذي

(١) في هـ (يجعل) بدلاً من (يحصل).

هو الله وهو ابن الله، وقالوا: إن الناسوت مريم، ولد اللاهوت، كما ولد الناسوت، ولم يكن هذا عيباً ينزه الرب عنه، فلأن يجعلوا له أم هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت وهو منها[1]، وولدت اللاهوت، صاحبة وزوجة للأب، أولى وأحرى، وإلَّا فكيف تلد ابنه الذي هو اللاهوت، ولا تكون صاحبته وامرأته؟

وهم يقولون: نحن[2] سمينا علمه مولوداً عنه، لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن العقل، وهذا الولد اتحد بالناسوت، فسمينا المجموع ولداً.

وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابناً، وغيره من الأنبياء يسمى ابناً.

فإنهم يقولون: هؤلاء أبناء بالوضع، والمسيح ابن بالطبع، أي أولئك سموا أبناءً بمشيئة الرب وقدرته، لأنه اصطفاهم، والكلمة التي جعلوها متحدة بالمسيح هي ـ عندهم ـ متولدة عن الله تولداً قديماً أزلياً لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا قالوا: مولود غير مصنوع، فإن القديم الأزلي ـ مع كونه قائماً بذاته ـ لا يكون مصنوعاً عند أحد من العقلاء، ولا القائلين بقدم العالم.

فإذا كانت الكلمة اتحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به، فإذا قيل ـ مع ذلك ـ أن القديم مس المحدث أو لاصقه أو باشره، كان أيسر من هذا كله.

* والمسيح ولد ولادة حادثة عندهم، غير الولادة القديمة التي للكلمة فيلزم أن تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة، بل نكحت نكاحاً

(١) في ط (فيها) بدلاً من (منها).
(٢) (نحن) ساقطة من هـ.

حادثاً يناسب تلك الولادة المحدثة، قال ـ تعالى ـ :

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ *[1].

ولهذا كان الحلول أسهل من الاتحاد.

فمن قال: إنه حل في جسد المسيح وماسه[2] وباشره كما يحل الماء في اللبن، كان أهون ممن يقول: إنه اتحد به والتحم به.

فإذا قيل: إن مريم امرأة القديم وصاحبته وزوجته، كان ما في هذا من إثبات مباشرته لها ومماسته لها، واتصاله بها.

ومهما قدر من اتصال الزوج بزوجته، أهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث، ومصيره إياه، إما جوهراً واحداً، وإما شخصاً واحداً وإما مشيئة واحدة.

ولهذا كان كل عاقل يعلم أن النكاح الحسي أسهل من الولادة الحسية[3].

فالذكر من الحيوان إذا نكح الأنثى فإنما مس الذكر للأنثى لم تصر الأنثى متولدة عنه. فإذا جوزوا أن يكون للرب القديم الأزلي، ما يتولد عنه ويتحد به، وهو محدث مخلوق، فلأن يكون له[4] ما يمسه أولى وأحرى.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.
ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

(٢) (وماسه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ (الحسية والعقلية) بزيادة (العقلية).

(٤) (له) ساقطة من هـ.

وإذا قالوا: إن المسيح إنما كان ابناً، لأن الكلمة القديمة التي هي ابن، اتحدت به قبل، فقد يسمى الناسوت الذي اتحد به القديم ابناً عندكم، باسم القديم وجعلتموه إلٰهاً خالقاً، فما المانع من[1] جعل أم ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله، صاحبة لله وزوجة، باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها ما هو ابن القديم الأزلي؟

الوجه الخامس عشر: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس، قد جاء في حق غير المسيح ـ عندكم ـ حتى الحواريين عندكم يقولون: إن المسيح قال لهم: إن الله أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم، ويقولون: إن روح القدس تحل فيهم.

وفيما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسى: (اذهب إلى فرعون، فقل له: يقول لك الرب: إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني، فأن أبيت أن ترسل ابني بكري، قتلت ابنك بكرك. فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله، قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس[2] على السرير إلى الأول من أولاد الآدميين، إلى ولد الحيوان إليهم[3].

فهذه التوراة تسمي بني إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره، وتسمي

---

(١) (من) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (الجالسين) بدلاً من (الجالس).

(٣) في سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع: (٢٢ ـ فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري. ٢٣ ـ فقلت لك: اطلق ابني بكري ليعبدني فأبيت أن تطلقه فأنا أقتل ابنك بكرك) إلى أن قال: (٢٩ ـ فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة).
انظر: العهد القديم ص ٩٢.

أبناء أهل مصر أبناء فرعون، فتوسع بتسمية[1] سخال الحيوان أولاد المالك للحيوان.

وفي مزامير داود يقول: (أنت ابني، سلني أعطك)[2] وفي الإنجيل يقول عن المسيح: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[3]، وقال: إذا صليتم فقولوا: (يا أبانا الذي في السماء، قدوس اسمك، افعل بنا كذا وكذا)[4].

ويقولون عن القديسين: (إن روح القدس يحل فيهم، وكذلك حلت في داود وغيره من الأنبياء، بل عندهم إن الله يحل في الصديقين كلهم)[5].

---

(١) في ط، ك (ويتوسع فتسمية) بدلاً من (فتوسع بتسمية).

(٢) في سفر المزامير ــ المزمور الثاني: (قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني أعطيك).
انظر العهد القديم ص ٨٣٤.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٢٦.
وفي إنجيل يوحنا ــ الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

(٤) في إنجيل متى ــ الإصحاح السادس: (٩ ــ فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك. ١٠ ــ ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض).
انظر: العهد الجديد ص ١٠.

(٥) في سفر المزامير ــ المزمور الحادي والخمسون: (١٠ ــ قلباً نقياً أخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس ولا تنزعني منه).
انظر: العهد القديم ص ٨٦٨.
وأيضاً ــ في سفر اللاويين ــ الإصحاح التاسع: (١ ــ وكلم الرب موسى قائلاً. =

فإن كان الابن وروح القدس، يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، وجب أن يكون كل من الحواريين لاهوتاً وناسوتاً، وكذلك الأنبياء، فيكون النبي لاهوتاً وناسوتاً، لأنه قد سمي عندكم ابن الله، ونطقت فيه روح القدس، لا سيما وأنتم قلتم في الأمانة: إنه روح ممجد مسجود له، ناطق في الأنبياء.

فإن كان هذا يوجب حلول اللاهوت في الناسوت أو اتحاده، لزم أن يكون غير المسيح من الأنبياء، بل والحواريين، بل وأبناء إسرائيل لاهوتاً وناسوتاً، إذ كان الذي جعلتموه اللاهوت، حل بغير المسيح واتحد به، أو سكن[1] فيه، أو احتجب به، أو ما قلتم من الألفاظ التي استدللتم بها على أن اللاهوت حل في المسيح، كلفظ الابن، وروح القدس موجود عندكم في غير حق المسيح.

والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح، قد وجدت لغير المسيح.

ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح ـ عليه السلام ـ أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة عندكم، وأفضل من الحواريين.

لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة إبراهيم وموسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، وذلك

= ٢ ـ كلم كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم)

انظر: العهد القديم ص ١٨٨.

(١) في هـ، ك (يسكن) بزيادة (يـ).

لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[2].

وجماع هذا الجواب: أن ما يوصف به المسيح عندهم، من كونه ابن الله، وكون الله حل فيه[3] أو ظهر، أو سكن، وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه، وكونه مسيحاً. كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح.

فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ «الكلمة» وكونه تجسد من روح القدس[4] وهذا هو الذي خصه به القرآن، فإن الله قال:

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(٢) سورة المائدة: من الآيات ٧٢ ــ ٧٥.

(٣) في هـ، ك (أو حل فيه) بدلاً من (وكون الله حل فيه).

(٤) (وكونه تجسد من روح القدس) ساقط من هـ، ك.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1].

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت[2]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «من شهد أن لا إلٓه إلَّا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنَّة على ما كان من عمل»[3] فهذا الذي خصه به القرآن، هو الذي خصته الكتب المتقدمة، إذ كان القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وأما سائر ما يوصف به، ويدعون اختصاصه به، من كونه ابناً لله، وكونه مسيحاً، فغيره أيضاً في كتب الله يسمى ابناً لله ومسيحاً، ولذلك ما يذكر من الألفاظ التي يحتجون بها على الحلول، مثل كون الرب ظهر فيه أو حل أو سكن، فإن هذه الألفاظ موجودة عندهم في حق[4] غير المسيح، بخلاف لفظ «الاتحاد» فإنه لا يوجد ـ عندهم ـ عن الأنبياء لا في حق المسيح ولا غيره، كما لا يوجد عندهم عن الأنبياء لفظ

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر، صحابي جليل، شهد العقبة الأولى والثانية والمشاهد كلها، واستعمله الرسول ـ عليه السلام ـ على الصدقات. توفي وعمره ٧٢ سنة.
انظر: أسد الغابة ٣/١٠٦.

(٣) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب ٤٧ ـ عن عبادة بن الصامت، الحديث بلفظه مع زيادة فيه.
* وفي صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ١٠ ـ حديث ٤٦ ـ عن عبادة بن الصامت بلفظه مع زيادة فيه.

(٤) (حق) ساقطة من ك.

«الأقانيم» ولا لفظ «التثليث» ولا «اللاهوت» و «الناسوت» ولا تسمية الله جوهراً، بل هذا كله مما ابتدعوه، كما ابتدعوا ـ أيضاً ـ تسمية صفات الله ابناً وروح القدس، فهم ابتدعوا ألفاظاً لم ينطق بها الأنبياء، أثبتوا لها معاني وابتدعوا استعمال ألفاظ الأنبياء في غير مرادهم وحملوا مرادهم عليها.

والألفاظ المتشابهة التي يحتجون بها على اتحاد اللاهوت بالناسوت، موجودة ـ عندهم ـ في حق غير المسيح.

فليس للمسيح خاصة في كلام الأنبياء، توجب أن يكون هو الله، أو ابن الله وتلك الألفاظ قد عرف ـ باتفاقهم واتفاق المسلمين ـ أن المراد بها[1] حلول الإيمان بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمي في قلوب عباده الصالحين[2]، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع[3] وقد تقدم.

ومن قال من ضلال المسلمين: «إن الرب يتحد أو يحل في الأنبياء والأولياء، وإن هذا من السر الذي لا يباح به «فقوله من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثير في كلام كثير من المشايخ والمدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون[4] توحيد العارفين أن يصير الموحد هو الموحد، ومنهم من يقول: إن الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، ويقول الأول:

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من وحده جاحد

(١) (بها) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (في قلوب عباده الصالحين) ساقطة من هـ، ك.

(٣) (في غير هذا الموضع) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ (يجعلون) بسقوط (فـ).

تـوحيـد من ينـطق عن نـعتـه عـاريـة أبـطـلـهـا الـواحـد
تـوحـيـده إيـاه تـوحـيـده ونـعـت مـن ينـعتـه لاحـد[1]

ومن هؤلاء من يقول: إن[2] هذا، هـو السر الـذي باح بـه الحلاج وغيره، وهذا عندهم من الأسرار التي يكتمها العارفون، فلا يبـوحون بهـا إلّا لخواصهم.

ومنهم من يقول: إنما قتل الحلاج لأنه باح بهذا السر، وينشدون:

من بـاح بالسـر كان القتـل شيمته بين[3] الرجال ولـم يؤخذ له ثار[4]

وأمثال ذلك.

وهؤلاء في دعـواهم الاتحـاد والحلول[5] بغيـر المسيـح، شـر من النصارى.

فـإن المسيـح ـ صلوات الله عليـه[6] ـ أفضـل من كـل من ليس بنبـي بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين.

فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به كـافراً، فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه؟

وهذا الاتحاد الخـاص غير الاتحـاد والحلول العام لقـول الذين[7] يقولون إنه حال بذاته في كل مكان، أو متحد بكل شيء.

---

(١) هذه الأبيات سبقت الإشارة إليها ص ٣٧٥.
(٢) (إن) ساقطة من ك.
(٣) في هـ، ك (من) بدلاً من (بين).
(٤) هذا البيت لم نعثر على قائله.
(٥) (الحلول) ساقطة من هـ، ك.
(٦) (عليه) ساقطة من ك.
(٧) في ك (الذي) بدلاً من (الذين).

وغـلاة هؤلاء ومحققوهـم يقـولون: إنـه عين الوجـود، والوجـود[1] واحد.

فيجعلون الـوجـود[2] الخـالق القـديم الـواجب هـو عين وجـود المخلوق المحدث الممكن.

وهؤلاء مثل ابن عربـي الطائي[3]، وصاحبـه الصدر القـونوي[4]، وصـاحبه العفيف التلمسـاني[5]، وابن سبعين، وصاحبـه الششـتـري[6]، وعبد الله البلياني[7] وعامر البصري[8] وطوائف غير هؤلاء.

وهؤلاء يقـولـون: إن النصـارى إنمـا كفـروا لأنهم خصـوا ذلـك بالمسيح.

---

(١) في ك (والموجود) بدلاً من (والوجود).
(٢) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).
(٣) **ابن عربـي**: سبقت الإشارة إليه ٤/٢٢٩.
(٤) **الصدر القونوي**: هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي صدر الدين، ولد بقونيـة، ومات بهـا سنة ٦٧٣هـ، من كبـار تلاميـذ ابن عربـي في الصوفية، له مؤلفات منها إعجاز البيان وتفسير لسورة الفاتحة ومفتاح الغيب ولطائف الأعلام في إشارات أصل الإلهام.

انـظر: مفتـاح السعـادة ١/٤٥١؛ وكشف الـظنـون ٢/١٩٥٦؛ والأعـلام للزركلي ٦/٢٥٤.

(٥) في هـ، ك (التلمساني العفيف) تقديم وتأخير. وقد سبقت الإشارة إليه.
(٦) في جميع النسخ (الششتري) ولعله (التستري).
(٧) في ط (البلباني) بدلاً من (البلياني).
ولم نعثر له على ترجمة بعد البحث الطويل وخاصة في تراجم الصوفية.
(٨) **عامر البصري**: لم نعثر له على ترجمة.

وحقيقة قول هؤلاء هو جحد الخالق وتعطيله، كما قال فرعون: «وما رب العالمين» وقال: «ما علمت لكم[1] من إلّه غيري».

فإن فرعون ما كان ينكر هذا الوجود المشهود، لكن ينكر أن له صانعاً مبايناً له خلقه، وهؤلاء موافقون لفرعون في ذلك.

لكن فرعون أظهر الجحود والإنكار، فلم يقل: الوجود المخلوق هو الخالق.

وهؤلاء ظنوا أنهم يقرون بالخالق، وأن الوجود المخلوق، هو الخالق، وقد بسط الكلام على هؤلاء في آخر هذا الكتاب.

وهؤلاء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم، كابن الفارض[2] في قصيدته المسماة بنظم السلوك حيث يقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصلٍ واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

---

(١) في هـ (لك) بدلاً من (لكم).

(٢) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل، أبو حفص أو أبو القاسم شرف الدين بن الفارض، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ، نشأ في بيت علم وورع، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية ثم حبب إليه طريق الصوفية فتزهد وتجرد في وادٍ بعيد عن مكة وقد عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، كان حسن الهيئة والملبس، رقيق الطبع فصيح العبارة، واختلف في شأنه كشأن ابن عربي والعفيف التلمساني وغيرهم.

انظر: البداية والنهاية ١٤٣/١٣؛ ووفيات الأعيان ٤٥٤/٣؛ وشذرات الذهب ١٥٩/٥.

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة[1]

إلى أن قال:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

وقوله:

إلى رسولاً كنت مني مرسلاً وذاتي بآياتي[2] علي استدلت[3]
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت
وقد رفعت ياء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعت[4]

إلى أمثال هذه الأبيات.

وكذلك ابن إسرائيل في شعره قطعة من هذا كقوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

والتلمساني الملقب بالعفيف[5]، كان من أفجر الناس، وكان أحذق هؤلاء الملاحدة.

ولما قرىء عليه كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي قيل له: هذا الكلام يخالف[6] القرآن قال[7]: «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا».

---

(١) في ك (سجدة) بدلا من (ركعة).
(٢) في ط (باياي) بدلاً من (بآياتي).
(٣) في ط (كل استدلت) بزيادة (كل).
(٤) هذه الأبيات موجودة في قصيدة (سقتني حميا الحب) المعروفة بـ(التائية الكبرى) المسماة (نظم السلوك).
انظر: ديوان ابن الفارض ــ دار صادر ــ دار بيروت ص ٤٦.
(٥) (الملقب بالعفيف) ساقطة من ك.
(٦) في ط (مخالف) بدلاً من (يخالف).
(٧) في ط (فقال) بزيادة (فـ).

فقيل له: إذا كان الوجود واحداً، فلماذا تحرم على أمي وتباح لي امرأتي؟

فقال: الجميع عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا حرام عليكم.

وكلام هؤلاء كله متناقض(١) ينقض بعضه بعضاً.

فإن قوله: «هؤلاء(٢) المحجوبون» وقوله: «قلنا حرام عليكم» يقتضي الفرق بينه وبين المحجوبين، وبين المخاطب والمخاطب، وهذا يناقض وحدة الوجود.

وإذا قالوا: «هذه مظاهر للحق ومجال» فإن كان الظاهر غير المظهر، والمجلى غير المتجلي، فقد ثبت التعدد، وأن في الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً وإن جعلوهما واحداً(٣) فقد بطل جوابهم(٤).



انتهى المجلد الرابع ويليه المجلد الخامس
وأوله: فصل [مناقشة النَّصارى
في إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى]

---

(١) (تناقض) ساقطة من ك.

(٢) في هـ، ك (على هؤلاء) بزيادة (على).

(٣) في هـ (واحد) بسقوط (أ).

(٤) هذا آخر القسم الثاني من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح حسب تقسيم قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض... والله أعلم.

فهرس موضوعات

الموضوع	الصفحة
تفسيرهم لتجسم كلمة الله بالمسيح، وأنه اتحاد بريء من الاختلاط ونحوه، والجواب عن ذلك	٥
نقض دعواهم أن القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت	٢٧
نقض دعواهم بورود تسمية المسيح خالقاً في القرآن	٤٢
بيان المعنى الصحيح لتشبيه القرآن الكريم عيسى بآدم، ورد تفسيرهم لذلك	٥٣
بيان اضطراب كلام النصارى وتفرقهم في باب طبيعة المسيح	٧٦
مواصلة الرد على النصارى بما قاله الحسن بن أيوب، ثم بكلام ابن البطريق	١٥٨
متابعة حكاية كلام ابن البطريق عن النصارى ومناقشته في ذلك	١٩٧
الرد على تشبيه النصارى حلول كلمة الله في الناسوت بالكتابة في القرطاس	٣٢٥
بيان أن عامة دين النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو من ابتداع طوائف منهم	٣٧٩
بيان أن كل ما نقله المؤلف عن الحسن بن أيوب وابن البطريق إنما هو ردّ على أن في المسيح طبيعتين	٣٨٤
الجواب عن شبهة النصارى في إقرار المسلمين في الصفات، وأنه لا يقتضي التشبيه والتجسيم	٤٠٣



الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر　　د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد الخامس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

رجـــاء

يرجو محقِّق هـذا القسم من الكتاب مِن كُـل مَن يقـرؤه ـ كلًا أو بعضـاً ـ من المسلمـين أو مـن غـير المسـلمـين أن يـوافـوه ـ مشكورين ـ بأي مـلاحظة عـلى الكتاب أو على التحقيق، للاستفادة منها في الطبعات اللاحقة، ويَعِـد المحقق بأن يشعـر بوصـول الملاحظة أو الرد عليها، وذلك على العنـوان التالي:

حمدان بن محمد الحمدان

ص. ب ٧٥٢٠٧

الرياض ١١٥٧٨

السـعـوديـة

هاتف ٤٦٩٨ ـ ٤٦٧ (١)

فصـل

مناقشة النَّصارى في إطلاق لفظ الجوهر على الله ـ تعالى ـ

قال الحاكي[1] عنهم[2]: فقلت: فإنهم ينكرون علينا[3] قولنا: إن الله ـ تعالى ـ جوهر[4]. قالوا: إننا نسمع عن هؤلاء القوم[5] أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة، ومن هذا صورته، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة[6] والمنطق[7]، فما حقهم ينكرون هذا علينا، وذلك أنه ليس

(١) الحاكي هو: بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، الذي سبقت ترجمته.

(٢) الضمير يعود إلى النصارى.

(٣) في ط زيادة: (في).

(٤) الجوهر ـ في اصطلاح المتكلمين ـ: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع. وهو عندهم منحصر في خمسة أشياء: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، وهو عند العرب يطلق على الأشياء المعدنية والحجارة التي هي عندهم بالوضع والاعتياد نفيسة:
انظر: التعريفات ٨٣ و١٥٣؛ ولباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ٢٧، لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ـ ٦٢٦هـ ت: د. فوقية حسين محمود، ط ١، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م؛ والملل والنحل ١٦٩/٢، لعبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ـ ٥٤٨هـ ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(٥) يقصدون المسلمين.

(٦) هم اليونانيون الذين تناولوا مسائل الألوهية والنفس والعالم، وناقشوها بأسلوب خاص، واتخذوا بصددها مواقف معينة: أي: مذاهب، دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية، ومنهم: أفلاطون، وأرسطو، وسقراط، وإبرقلس، وياميليخوس.
انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ٣، د. محمد علي أبو ريان، نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦م.

(٧) **المنطق**: علم من العلوم الآلية، المؤسسة على القوانين العقلية. وقد عرف =

في الوجود شيء إلاَّ وهو إما جوهر وإما عَرَض[1]، لأن أي أمر نظرناه وجدناه. إما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده[2] إلى غيره، وهو الجوهر، وإما مفتقر في وجوده إلى غيره، لا قوام له بنفسه، وهو العرض، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث. فأشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره. وهو الجوهر.

ولما كان الباري ــ تقدست أسماؤه ــ أشرف الموجودات، إذ هو سبب سائرها، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر. ولهذا قلنا: إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، كما نقول: إنه شيء لا[3] كالأشياء المخلوقة، وإلَّا لزم أن يكون قوامه بغيره، ومفتقر في وجوده إلى غيره، وهذا من[4] القبيح أن يقال على الله ــ تعالى ــ فقلت

= الجرجاني ــ ٨١٦هـ في كتابه (التعريفات) ٢٥١ نشر مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٨م.
عرف المنطق عند المناطقة: بأنه آلة قانونية، تعصم (في زعمهم) مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي، والغرض منه: إرشاد قوى العقل في مناهج البحث عن الحقيقة، وإظهارها للغير. وموضوعه: كيفية زيادة مادة المعارف بتصور الأمور الخارجية، واكتساب أعلى الحقائق وأقصى النظريات من طريق البرهان والقياس.
انظر: دائرة معارف القرن العشرين ١٠/٢٦٨ ــ ٢٦٩، وسأشير إليها فيما بعد: بدائرة معارف وجدي حيث أن مؤلفها هو: محمد فريد وجدي ــ ١٣٧٣هـ، ط ٣، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م.

(١) العرض: في اصطلاح المتكلمين: هو الذي يحتاج إلى موضع ــ أي محل ــ يقوم به. كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله. ويطلق عند جمهور العرب على كل نافع في هذه الحياة الدنيا.
انظر: التعريفات ١٥٣؛ ولباب العقول ٣٥.

(٢) في ط (وجود) بدون هاء.

(٣) سقطت (لا) من ط.

(٤) جاءت في جميع النسخ (فمن) والصواب حذف الفاء كما فعلنا.

لهم: إنهم يقولون: إنا إنما نمتنع من تَسمِّيه[1] جوهراً، لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيز، ولهذا ما[2] يطلق عليه القول بأنه ـ تعالى ـ جوهر[3] * قالوا: إن الذي يقبل عرضاً ويشغل حيزاً هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف، فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً، مثل جوهر النفس، وجوهر العقل، وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة.

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً، ولا تشغل حيزاً فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف، يقبل عرضاً ويشغل حيزاً كَلا.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: أما تسمية الباري جوهراً. فهو من أهون ما يُنْكَر على النصارى، ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع ـ فقط ـ أو اللغة، ومنهم من ينكره من جهة العقل ـ أيضاً ـ، ومنهم من يراه نزاعاً لفظياً، وطائفة من المسلمين يسمونه جوهراً وجسماً ـ أيضاً ـ، وذلك أن المسلمين في أسماء الله ـ تعالى ـ على طريقتين، فكثير[4] منهم يقول: إن أسماءه سمعية شرعية، فلا يسمى إلَّا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع.

ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتاً له،

---

(١) في ك و ط (من أن نسميه).
(٢) في ط (من).
(٣) في ك (جوهراً) بالنصب.
(٤) في ط (وكثير) بالواو.

لم يحـرم تسميته بـه، فإن الشـارع لم يحرم علينـا ذلك، فيكـون عفواً.
والصواب القول الثالث، وهو أن يفرق بين أن يدعى[1] بالأسماء أو يخبر بها عنه. فإذا دعي لم يدع إلَّا بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[2].

وأما الإخبار عنه، فهو بحسب الحاجة، فإذا احتيج في تفهيم الغير المـراد إلى أن يُتَرْجَم أسمـاؤه بغير العـربية، أو يعبـر عنه بـاسم له معنى صحيح، لم يكن ذلك محرماً.

وأمـا الذين منعـوه من جهة العقـل، فكثير: منهم من يقـولون: إن الجوهر ما شغل الحيز، وحَمَل الأعراض، والله ــ سبحانه وتعالى ــ ليس كذلك، وهذا قول من نفى ذلـك من أهل الكـلام[3]. ومنهم من يقول: الجـوهر مـا إذا وجد كـان وجوده لا في مـوضوع، وهـذا إنما يكـون فيما وجـوده زائدٌ على ذاتـه، وواجب الوجـود وجـوده عين ذاتـه، فـلا يكـون

---

(١) في أ وك رسمت (يدعا).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٣) **أهل الكلام**: هم الذين يرون تقرير أصول الدين بالفلسفة العقلية، التي قاعدتها علم المنطق وعلوم الأوائل، وقد نشأ في القرن الثاني من الهجـرة، في عهد العبـاسيين. وهـو علم يقتدر معـه على إثبات العقـائد بـإيـراد الحجج ودفعـه الشُّبـه. وسمي علم الكلام: إما لأنه أول مسألة اختلف فيها هي مسألة القرآن: هل هو منزل أو مخلوق، وإما لأن أقوى أسلحة هذا العلم هو الكلام، وصوغ الحجة القـاطعة، وإتقـان التعبير عن المقاصد... إلخ، وهو يشبه علم «اللاهوت» عند النصارى.
انظر: المواقف في علم الكـلام ٢٧، لعضد الـدين القاضي عبـد الرحمن بن أحمـد الأيجي ــ ٧٥٦هـ عـالم الكتب. بيروت. ودائـرة معارف وجـدي ٨/١٧٣ ــ ١٧٤؛ وعلم الكلام ومدارسه: ٤٨ ــ ٥٦ د. فيصـل عــون، نشر مكتبـة الحريـة الحديثـة، القاهرة ١٩٨٢م.

جوهراً، وهذا قول ابن سينا[1] وأمثاله من متأخري المتفلسفة[2].

وأما قدماء الفلاسفة، كأرسطو وأمثاله، فكانوا يسمونه جوهراً، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية، فإن أرسطو كان قبل المسيح[3]

---

(١) هو: أبو علي، الرئيس، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب، وله من الذكاء الخارق والذهن الثاقب ما فاق به غيره، ومولده ببخارى، وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية، تاب في آخر عمره، واغتسل وتصدق مما معه، ورد المظالم وأعتق مماليك وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه. ثم مات بهمذان سنة ٤٢٨هـ وله ما يقرب من مائة مصنف منها: الشفاء والإشارات والقانون وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/٢/١٥٧ ــ ١٦٢، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ــ ٨٦١هـ ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م. وشذرات الذهب، في أخبار من ذهب ٣/٢٣٤ ــ ٢٣٧، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ــ ١٠٨٩هـ، ط ١، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م؛ ولسان الميزان ٢/٢٩١ ــ ٢٩٣، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ ٨٥٢هـ، ط ٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

(٢) من أمثال يعقوب بن إسحاق الكندي، وحنين بن إسحاق، وأحمد بن زيد البلخي وغيرهم وهؤلاء قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو في جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيرة، ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين.
انظر: الملل والنحل ٢/١٥٨ ــ ١٥٩.

(٣) **المسيح**: هو نبي الله عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ وقد فسر العلماء ذلك بأحد قولين:
القول الأول: قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية (مشيحا) فعربته العرب، وغيروا لفظه، و(عيسى) أصله (يشوع) كما قالوا ــ في موسى ــ: أصله (موشى) أو (ميشا) بالعبرانية، وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق.
والقول الثاني: أنه مشتق، وعليه الأكثرون، وذكروا في ذلك ثمانية أوجه: إما أنه يمسح بيده ذوي العاهات فيبرأون، أو أنه يمسح الأرض: أي يقطعها، أو أنه يمسح رؤوس اليتامى لله ــ تعالى ــ، أو أنه مَسْحُ من الأوزار والآثام، أو أنه ممسوح =

بأكثر من ثلاثمائة سنة، ولهذا قال هؤلاء في كتابهم: نعجب ممن ينكر ذلك، وهو قد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق[1].

وأما اللغة: فإن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء، ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض، وإنما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهري[2] وغيره، قال الجوهري: الجوهر معرب، الواحدة

= القدمين، فلم يكن في قدمه خُمْص، أو لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك، يُمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيرهم، أو لأنه مسحه جبريل ـ عليه السلام ـ بجناحه وقت ولادته، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. قلت: وهذا الوجه مقارب جداً للوجه السادس.

انظر: التفسير الكبير ٨/٥٤ المجلد الرابع، للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ـ ٦٠٤هـ، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

(١) في ط فقط زيادة: «وقد ذكرت طائفة: أن أفلاطون وغيره كانوا ينكرون تسميته جوهراً، وأن أرسطو سماه جوهراً. ومما (هكذا) حكى النزاع بينهم أبو نصر الفارابي».

وهذا النص من رسالة بولص الأنطاكي، وقد تقدم شيء منه. قال زميلي د. علي بن حسن بن ناصر: قلت: حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالة، فظفرنا ببعضها، ولم نظفر بها كاملة، وقد وجدناها ضمن مخطوطات مكتبة المتحف القبطي، في كنيسة ماري جرجس، بمصر القديمة برقم (٩٥) والرقم العام (١٢٥٤)... والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليه بانتهاء صفحة: ٢٠٢ من الجزء الثالث من الكتاب المطبوع، ط (المدني).

راجع: الجواب الصحيح، الجزء الأول، المجلد الأول: ٤٦ ـ ٤٧ دراسة وتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، رسالة دكتوراه، مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض، للعام الجامعي ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ.

(٢) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب الصحاح في اللغة، يكنى أبا نصر، كان من «فاراب» وهي من بلاد الترك وكان من أذكياء العالم، وأحد أئمة اللسان والأدب جيد الحفظ والخط، قيل: إنه مات متردياً عندما حاول الطيران بجناحين سنة ٣٩٣هـ بنيسابور.

انظر: لسان الميزان ١/٤٠٠ ـ ٤٠١؛ وشذرات الذهب ٣/١٤٢ ـ ١٤٣.

جوهرة[1]، فهو من العربية المعربة، لا من العربية العرباء، كلفظ سجيل[2]، وإستبرق[3] وأمثال ذلك من الألفاظ المعربة، وهذا اللفظ ليس موجوداً في القرآن[4]. ومع هذا فلما عُرِّب كان معناه في اللغة: هو الجوهر المعروف. وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهراً، فهو أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية ولا العرفية[5] العامة، ولا الأسماء الشرعية.

وقد قيل: إنه مأخوذ من كلام الأوائل، كاليونان[6] وغيرهم، فإنه

---

(١) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري ت: أحمد عبد الغفور عطار، ٢/٦١٩ مادة جهر، باب الراء، فصل الجيم، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م.

(٢) **سجيل**: قال الأزهري: والذي عندنا ــ والله أعلم ــ أنه إذا كان التفسير صحيحاً فهو فارسي أُعْرِب، لأن الله ــ تعالى ــ قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال: ﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين**﴾ [سورة الذاريات: الآية ٣٣]، فقد بَيَّن للعرب ما عَنَى بسجيل.
انظر: لسان العرب ١١/٣٢٧ مادة: سجل لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ــ ٧١١هـ دار صادر، بيروت.

(٣) **إستبرق**: قال الزجاج: هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن، قال: وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية: استقره، ونُقل من العجمية إلى العربية...
انظر: اللسان ١٠/٥، مادة: إستبرق.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الجيم: ١٨٣ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ.

(٥) في أ و ك (العربية) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٦) **اليونان**: قال المسعودي: وقد ذكر ذوو العناية بأخبار المتقدمين أن (يونان) أخو (قحطان)، وأنه من ولد عابر بن شالخ... وأنه خرج في جماعة من ولده وأهله ومن انْضَاف إلى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب، فأقام هناك، وأَنْسل في تلك الديار، واستعجم لسانه، ووازى من كان هنالك في اللغة الأعجمية والروم، فزالت نسبته، وانقطع سببه، وصار منسياً في ديار اليمن، غير معروف عند النسابين منهم. =

يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهراً. وقد قيل: سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله، والقائم بنفسه هو الأصل. وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهراً. وقيل: لأن لفظ الجوهر. فَوْعَل، من الجهر: وهو الظهور والوضوح، والقائم بنفسه يظهر ويُعْرف قبل أن يُعْرَف ما قام به من الأعراض[1].

والناس متفقون على إثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمى جواهر أو أجساماً، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها، والنزاع عند محققيهم لفظي، فإن عاقلاً لا ينازع أن الجسم يتحرك بعد سكونه. لكن منهم من يقول: حركته ليست زائدة على ذاته. ومنهم من يقول: هي زائدة على ذاته. وهو نظير نزاعهم في الصفات: هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة؟

والتحقيق أن مسمى الإنسان إذا أُطلق دخل فيه صفاته، وإذا مُيِّزَ بين هذا وهذا قيل: الذات والصفات. ومن الناس من يخص بلفظ العَرَض ما لم يكن من الصفات لازماً للموصوف، والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية[2] جوهرية. ومنهم[3] من يخص بالعرض

= واليونان طائفتان: الأغريقيون واللطينيون.
انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر ١/٢٨٥؛ وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ٤٤ ـ ٦٥ لحمزة بن الحسن الأصفهاني ـ ٣٦٠هـ دار مكتبة الحياة، بيروت. وتتمة المختصر في أخبار البشر ١/١١٨ لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ـ ٧٤٩هـ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٩هـ.

(١) راجع لباب العقول للمكلاتي، فقد عقد فيه فصلاً تحدث فيه عن الجوهر وما يدور حوله، من: ٢٧ ـ ٣٥.
(٢) في ك و ط زيادة (أو).
(٣) في ك سَقْطٌ بمقدار ثلاثة أسطر وقد كتب كلمة (ومنهم) في الهامش ولكنه لم يكمل. وقد انتهى السقط عند قوله: (. . . كل موصوف أعراضاً).

ما لا يبقى[1] عنده زمانين، ويقول: صفات المخلوق[2] تسمى أعراضاً، لأنها لا تقبل زمانين بخلاف صفات الله، فإنها عنده باقية[3] فلا تسمى أعراضاً.

ومن نُظّار المسلمين[4] من يُسمي صفات كل موصوف أعراضاً ــ وإذا[5] كان كذلك فلا يدخل في أسماء الله التي تذكر في أصول الإيمان التي يجب اعتقادها من الأسماء ما هو اصطلاح طائفة من الناس، مع أنه يوهم معنى باطلاً. وهذا الوضع مما اضطرب فيه ــ مع النصارى ــ كثير من الناس.

منهم: من يجعل الصفات أعياناً قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها.

ومنهم: من يجعل الأعيان القائمة بنفسها صفات، والصفات لا تقوم بأنفسها، بل لا بد لها من موصوف تقوم به.

والأولون نوعان:

منهم: من نفى[6] الصفات، وقال: لو أثبتنا له حياة وعلماً وقدرة

---

(١) في ط (ينفي)، وقال في الهامش (هكذا بالأصل) ثم ذكر الصحيح في الهامش.

(٢) في ط (المخلوقات).

(٣) في ط (فإنها ثابتة).

(٤) في ط زيادة (وغيرهم).

هم: أهل النظر، والنظر: علم يُبْحَثُ فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها وتحقق حقائقها وما يعرض لها، ونسب ما بينها: ما يعمها وما يخصها، من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها. وموضوعه: الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية.

انظر: دائرة معارف وجدي، ٦/٦١٩ ــ ٦٢٠.

(٥) في ط (إذا) بدون واو.

(٦) في أ (يقر) والصحيح ما في ك و ط ولذلك اعتمدناه.

لزم أن تكون هذه آلهة، فإن القِدَم أخص وَصْفِهْ، فلو أثبتنا قديماً ليست هي الذات، لزم أن يشارك الذات في أخص وصفها، فتكون ذاتاً أخرى قائمة بنفسها. وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين[1]، واليهود والنصارى احتجوا على نفي الصفات بأنا[2] لو أثبتناها لزم أن تكون آلهة.

وقال من قال من المنتسبين إلى الإسلام[3]: أنا لو أثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى، حيث أثبتوا لله الأقانيم[4]، وحجة هؤلاء قائمة على النصارى، وهم النوع الثالث، فإنهم أثبتوا لله صفات جعلوها جوهراً

---

(١) **المبتدعة**: جمع مبتدع، والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحْدِثَ بعد النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من الأهواء والأعمال، وكبار الفرق الإسلامية الخارجة عن السنّة والجماعة سبع: الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة.
انظر: ترتيب القاموس ١/ ٢٣٠؛ والمواقف ٤١٤.

(٢) في أ (فأنا) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٣) انظر: المواقف ٤١٤.
من أمثال أبي علي الجبائي وأبي الهذيل العلاف المعتزليان.
انظر: الفرق بين الفرق ١٨٣ ـ ١٨٤ لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ ٤٢٩هـ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة، بيروت، وانظر: الملل والنحل ١/ ٥٠.

(٤) الأقانيم جمع أقنوم، وهي كلمة سريانية معناها: شخص مستقل بذاته عن غيره. وهي نوعان: أقانيم التجسد، وأقانيم التعدد، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن وروح القدس، والعلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم، وتختلف طوائف النصارى في تفسيرها.
انظر: أقانيم النصارى ٩، د. أحمد حجازي السقا، ط ١، نشر دار الأنصار، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، مصر؛ والملل والنحل ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨؛ ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة: ١٢٠ ـ ١٢١ دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢م.

قائماً بنفسه، وقالوا[1]: إن الله موجود حي ناطق، ثم قالوا: حياته جوهر قائم بنفسه، ونطقه ـ وهو الكلمة ـ جوهر قائم بنفسه، وقالوا في هذا: إنه إلّه من إلّه، وهذا إلّه من إلّه، فأثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها، ثم قالوا: الجميع جوهر[2]، فكان في كلامهم أمور كثيرة[3] من الباطل المتناقض. منهم من جعل الصفات جوهراً. ومنهم: من جعل الجواهر المتعددة جوهراً واحداً.

والذين قالوا من نفاة الصفات[4] المعتزلة والجهمية: إن مَنْ أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى، هو[5] متوجه على من جعل الصفات جواهر. وهؤلاء هم النصارى يزعمون أن الصفات جواهر آلهة، ثم قال هؤلاء: ولا إلّه إلَّا الله، فلا صفة له. وقالت النصارى: بل الأب جوهر إلّه، والابن جوهر إلّه، وروح القدس جوهر إلّه، ثم قالوا: والجميع إلّه واحد. ونفس تصور هذه الأقوال ـ التصور التام ـ يوجب العلم بفسادها. وأما الرسل وأتباعهم، فنطقوا أن لله علماً وقدرة وغير ذلك من الصفات، وثبتوا[6] أن الإلّه إلّه[7] واحد. فإذا قال القائل: عبدت الله، ودعوت الله. فإنما دعا وعبد إلّهاً واحداً، وهو ذات متصفة بصفات الكمال، لم يعبد ذاتاً لا حياة لها ولا علم ولا قدرة، ولا عبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر، بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة

(١) في ك و ط (فقالوا).
(٢) في ط زيادة (واحد).
(٣) في أ (كثير) بدون تاء.
(٤) في ك و ط زيادة (من).
(٥) في ط (فهو) بالفاء في أوله.
(٦) في ك و ط (بينوا).
(٧) لم ترد لفظة (إلّه) في ط.

بصفاته ــ سبحانه ــ وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه، ولا زائدة على مسمى اسمه، بل إذا قُدِّر ذات مجردة عن الصفات، فالصفات زائدة على هذه الذات المُقَدَّرة في الذهن المجردة عن الصفات، ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات، فإنّ تلك لا تَحَقَّقُ[1] إلَّا بصفاتها، فتقديرها ــ مجردة عن صفاتها ــ تقدير ممتنع.

وقد تنازع المثبتة: هل يقال الصفات عين[2] الذات، أم يقال[3] ليست عين[2] الذات؟ أم يقال: لا يقال هن[4] غير الذات، ولا يقال ليست غير الذات[5]؟ وتنازعوا في مُسَمَّى الغيرين[6]: هل هما ما جاز مفارقة أحدهما الآخر مطلقاً، أو ما جاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر؟ وغاية[7] ذلك منازعات لفظية.

وكثير[8] منهم فَرَّقَ في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض. فجعل بعضها زائداً على الذات، وبعضها ليس بزائد على الذات، وكان الفرق بحسب ما يتصوره، لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه. فإذا

---

(١) في ك (لا وجود تحقق) وفي ط «لا وجود لها».
(٢) في ك و ط (غير) في الموضعين.
(٣) سقطت (يقال) من ك.
(٤) في ك و ط (هي).
(٥) سقطت جملة (ولا يقال ليس غير الذات) من ك.
(٦) في أ (العزيز) والأصوب ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك و ط (وغير).
(٨) في أ (كتبهم) والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

أمكنهم تصور الذات بدون صفة، قالوا: هـذه زائدة، وإلاَّ قـالوا: ليست زائـدة، وهذا يقتضي أنهـا زائدة على مـا تصوروه هم من الـذات، لا أنه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة، وصفة زائدة عليها، بـل ليس إلاَّ الذات المتصفة بتلك الصفات.

ولكن يجب الفرق بين أن يقال: إن الصفات غير الذات، وبين أن يقال: إنها غير الله، فإن اسم (الله) متناول لذاته المتصفة بصفـاته. فـإذا قال القائل: دعوت الله، وعبدت الله، فلم يدع ذاتاً مجردة، ولا صفـات مجـردة، بل دعـا الذات المتصفـة بصفاتهـا، فاسمـه ـ تعالى ـ يتنـاول ذلـك. فليست صفاتـه خارجـة عن مُسَمَّى اسمه، ولا زائـدة على ذلك. وإن قيـل: إنها زائـدة على الذات المجـردة. ومن ظن أنهـا زائـدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تـدخل صفـاتها في مسمـاها، فقـد غَلِط، ولكن في الأذهان والألسنة زلق[1] في هذا الموضع كثيراً.

فإذا قيل: الصفات مغايـرة للذات، لم يكن في هذا من المحـذور ما في قولنا: إن صفات الله غـيـر الله، فإن اسم الله يتناول صفاته.

فإذا قيل: إنها غيره، فُهِمَ من ذلـك أنها مبـاينة لـه، وهذا بـاطل. ولهـذا كان النفـاة[2] إذا نـاظـروا أئمـة المسلمين، كمـا نـاظـروا الإمـام

(١) في ط (ولكن الأذهان والألسنة تزلق).

(٢) النفـاة، هم: المعـطلة، من النفي والتعـطيـل: وهـو نفي الصفـات الإلهيـة عن الله ـ تعالى ـ وإنكار قيامها بذاته، كما تفعل الجهمية والمعتزلة وغيرهم.
انـظر: الكواشف الجلية عن معاني الـواسطيـة ٥٣ و ٥٦ لعبـد العـزيـز بن محمـد السلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

أحمد بن حنبل[1] في محنته المشهورة[2] فقالوا له: «ما تقول في القرآن وكلام الله، أهو الله، أم غير الله؟» عارضهم بالعلم، وقال لهم: «ما تقولون في علم الله، أهو الله، أم غير الله؟»[3]. وأجاب ـ أيضاً ـ

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل: هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ له كتاب المسند وفيه ٣٠٠٠٠ حديثاً بالمكرر وكتاب الزهد ورسالة الصلاة، وتوفي سنة ٢٤١هـ وله ٧٧ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ ـ ٣٥٨ للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ ٧٤٨هـ أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م؛ ووفيات الأعيان ١/٦٣ ـ ٦٥؛ والرسالة المستطرفة ١٤ ـ ١٦ لمحمد بن جعفر الكتاني ـ ٣٤٥هـ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ.

(٢) وذلك عندما حاول الخليفة العباسي المأمون حمل الناس على القول بعقيدة خلق القرآن، فتصدى الإمام أحمد لإنكار ذلك، فاعتقل وأرسل هو وزميله: محمد بن نوح إلى المأمون في الرقة، فمات المأمون، وتولى المعتصم فأبقاه في الحبس، وأمر بضربه، وكان يشرف بنفسه على ذلك، ثم أطلقه ورجع إلى بيته بعد ثمانية وعشرين شهراً من الاعتقال والتعذيب، ثم مات المعتصم، وتولى الواثق، فأمره بنفي نفسه، فاختفى حتى مات الواثق، ثم تولى المتوكل فانكشفت الغمة وظهرت السنة.
انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٨ ـ ٣٧٩ للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي ـ ٥٩٧هـ نشر مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ.

(٣) راجعت مظان وجود هذا الأثر في كتاب مسائل الإمام أحمد لأبي داود السجستاني ـ ٢٧٥هـ، نشر دار المعرفة، بيروت، ورسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية بالرياض.
وترجمة الإمام أحمد في: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ ـ ٣٥٨؛ فلم أجد ذلك النص! وإنما هو بلفظ آخر مختلف المعنى في رسالة الرد على الجهمية والزنادقة ٣٢ ـ ٣٣؛ وانظر: الحَيْدة ٣١ ـ ٤٠ للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني =

بأن الرسل[1] لم تنطق بواحد من الأمرين، فلا حجة لهم[2] في كلام الله ورسوله، فإن الله لم يقل لكلامه: هو أنا، ولا قال: إنه غيري! حتى يقول القائل. إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه، فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه!.

فإن كان الاحتجاج بالسمع. فلا حجة فيه، وإن كان الاحتجاج بالعقل. فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات. فإن أرادَ المريد بقوله: هل كلامه وعلمه غيره؟ أنه مباين له. فليس هو غيراً له[3] بهذا الاعتبار. وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم. فهو غير له بهذا الاعتبار. وإذا كان اللفظ مجملاً لم يَجُزْ إطلاقه على الوجه الذي يُفهِم المعنى الفاسد. وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات، فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم، فإنهم قالوا: إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول.

ولفظ (العقل) عندهم وإن كانوا يقولون: هو جوهر قائم بنفسه، فقد صرحوا أيضاً بأنه ــ نفسه ــ علمه[4]، حتى صرحوا بأن رب العالمين علم، كما صرح بذلك ابن رشد[5] وغيره، ونقلوه عن أرسطو،

= المكي ــ ٢٤٠هـ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية. ومختصر الفتاوي المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٨٢ ــ ٥٨٣ للشيخ محمد بن علي الحنبلي البعلي ــ ٧٧٧هـ، ط ١، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، لاهور ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

(١) في ك و ط (المرسلين).
(٢) في ك و ط (لكم).
(٣) في المطبوعة (إلّه) وهو خطأ شنيع.
(٤) في ك و ط (علم).
(٥) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رُشْد القرطبي المالكي قاضي الجماعة بقرطبة =

وأن العقول العشرة[1] كل منها علم، فهو علم وعالم ومعلوم. بل قالـوا: عقـل وعاقـل ومعقول، وعـاشق ومعشوق وعشق، ولـذيـذ وملتـذ ولـذة، فجعلوه ـ نفسـه ـ لذةً وعقـلاً وعشقاً، وجعلوا ذلـك هو العـالم العاشق الملتـذ، وجعلوا نـفس العـلم نفس الـعشـق، ونفس الـلذة. فجـعلوه ـ نفسـه ـ صفات، وجعلوه ذاتـاً قائمـة بنفسها، وجعلوا كـل صفـة هي الأخرى، وهذا مما يُعْلَمُ ـ بصريح العقل ـ بطلانه.

ومنهم من لا يصرح بأنه ـ نفسه ـ عـلـم، فـإنه يقـول: هو عـاقل ومعقول وعقل. يقول: إنه يعلم نفسه بلا علم عَلِمَهُ[2]، بل هـو العالم، وهـو المعلوم، وهو العلم. وحقيقـة كـلامهم تعـود[3] إلى قـول أولئـك، فإنهم إذا قالوا: إن العلم الذي يعلم بـه ذاته هـو العالم، وهـو المعلوم. فقـد جعلوا نفس العلم نـفس العـالـم، ونفس الـعلم نـفس المـعلوم، وهي[4] حقيقـة قـول أولئـك، وهـذه الأمـور مبسـوطـة في غيـر هــذا الموضع[5].

= ومفتيها، كان من أوعية العلم وله تصانيف مشهورة منها كتاب: المقدمات، وكتـاب: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، وكتاب: اختصار مشكـل الآثار للطحاوي، وكان مولده سنة ٤٥٠هـ ومات سنة ٥٢٠هـ.
انـظر: سيـر أعـلام النبـلاء ١٩/٥٠١ ـ ٥٠٢؛ وشـذرات الـذهب ٤/٦٢؛ ومعجم المؤلفين ٨/٢٢٨ لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربـي، بيروت.

(١) **العقول العشرة**: مصطلحات منطقية هي الجـوهـر والكـم والإضـافة والكيف والأين ومتى والوضع والملك والفعل والانفعال.
انظر: الملل والنحل ٢/١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) لم ترد (علمه) في ك ولا ط.

(٣) في ط (يعود).

(٤) في ط (وهذا هو).

(٥) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٢٧٦ ـ ٢٧٧ جمع وتـرتيب عبد الـرحمن بن =

[1]الوجه الثاني: أن يقال لهم: أنتم تقولون: إنكم متبعون للكتب الإلهية، وإذا كان كذلك لم ينبغِ[2] لكم[3] في شريعة إيمانكم من الأسماء إلَّا ما جاءت به الأنبياء ــ عليهم السلام ــ.

والأنبياء لم يسم الله[4] أحد منهم جوهراً، وإنما سماه بذلك أرسطو وأمثاله، وهؤلاء كانوا مشركين[5] يعبدون الأصنام، ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة، ولا يقولون: إنه خالق السموات والأرض، ولا إنه بكل شيء عليم، ولا على كل شيء قدير، وإنما كانوا يعبدون الكواكب العُلوية، والأصنام السُفلية، ويعبدون الشياطين، ويؤمنون بالجبت والطاغوت[6]، وإنما صاروا مؤمنين، لما دخل إليهم دين المسيح. صلوات الله عليه وسلامه بعد الإسكندر المقدوني

محمد بن قاسم ١٣٩٢هـ وساعده ابنه محمد: عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض، تصوير الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٨هـ.

وانظر: نقض المنطق ٣٢ للشيخ المؤلف، ت: محمد حمزة وسليمان الصنيع، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٠هـ؛ والملل والنحل ١/٤٩ ــ ٥٠؛ ومقالات الإسلاميين؛ واختلاف المصلين: ٤٨٤ ــ ٤٨٥ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ، نشر هلموت ريتر، النشرات الإسلامية، ط ٣.

(١) في ك زيادة (يتلوه).
(٢) في أ و ك (ينبغي) والصواب حذف الياء كما في ط.
(٣) في ك و ط زيادة: (أن تدخلوا).
(٤) هكذا في ط وفي أ و ك (يسميه أحد).
(٥) انظر: تعريف الشرك ص ٤٩، هـ ٦.
(٦) **الجبت**: اسم الصنم ثم صار مستعملاً لكل باطل. **والطاغوت**: كل ما عبد من دون الله: من حجر أو بشر أو شيطان. وقيل: هو اسم للشيطان.
انظر: صفوة التفاسير ٥/٢٧٩ لمحمد علي الصابوني، ط ٤، دار القرآن الكريم، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

ـ صاحب أرسطو ـ بنحو ثلاثمائة سنة[1]. ويقال: إنه آخر ملوكهم كان (بطليموس)[2]. وكانوا يسمون الملك من ملوكهم (بطليموس)، كما يسمون[3] القبط ملكها (فرعون) والحبشة ملكها (النجاشي)، والفرس (كسرى)[4] ونحو ذلك. وحينئذٍ فعدولكم عن طريقة الأنبياء والمرسلين، إلى طريقة الكفار[5] والمشركين المعطلين من الضلال المبين.

وفي كتبهم: أن بولص لمّا صار إلى (أيثينية)[6] دار الفلاسفة، وفيها دار الأصنام، وجد مكتوباً على باب دار العلماء[7] الإله الخفي

---

(١) في أ سقطت السين من (سنة) فصارت (نه).

(٢) سقطت جملة (ويقال إنه... بطليموس) من ط وشطبت في ك.

(٣) في ط (تسمي).

(٤) الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين ٦٣٠هـ، ١/١٦٦، ط ٤، نشر دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م. ومروج الذهب ومعادن الجوهر ١/٣٦٦؛ والبداية والنهاية ٣/٧٨.

(٥) الكفار: هم الجاحدون والمنكرون، وأصل الكفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه سمى الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، قال الشاعر:

....   في ليلة كفر النجوم غمامها

والكفر على أربعة أضرب:

١ ـ كفر إنكار: وهو أن لا يعرف الله أصلاً، ككفر فرعون.

٢ ـ كفر جحود: وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس.

٣ ـ كفر عناد: وهو أن يعرف الله بقلبه، يقر بلسانه، ولا يدين به، ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب.

٤ ـ كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه.

انظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل بذيل صحائف تفسير البيضاوي ١/٤٩ ـ ٥٠، دار الطباعة العامرة بمصر عام ١٣٢٤هـ تصوير دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) في ط (أثينة).

(٧) في ك و ط زيادة: (والأصنام مكتوباً).

الذي لا يُعْرَف، هو الذي خلق العالم»[1].

فكانوا لا يعرفون رب العالمين، فكيف يُعْدل عن طريقة رسل الله وأنبيائه كموسى، وداود، والمسيح، إلى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين؟!.

ولكن النصارى ركّبوا ديناً من دينين: من دين الأنبياء الموحدين، ودين المشركين، فصار في دينهم قسط مما جاءت به الأنبياء، وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم، كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم، وهي ألفاظ لا توجد في[2] كلام الأنبياء، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة[3] بدل الأصنام المجسدة، والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب، بدل الصلاة لها[4]، والصيام في وقت الربيع، ليجمعوا بين الدين الشرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك.

الوجه الثالث: قولهم: إن الذي يشغل حيزاً ويقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف، فأما[5] الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء. فيقال: الكلام في

---

(١) انظر: الإصحاح السابع عشر: ١٦ ـ ٣٤؛ وسفر أعمال الرسل، العهد الجديد ١٨١.

(٢) في ك و ط زيادة: (شيء من).

(٣) **الأصنام المرقومة**: من رقمت الثوب رقماً، من باب قتل: وَشَيْتُه فهو مرقوم. أي الرسوم المصورة (وهو ما يعرف الآن بالفنون التشكيلية).
انظر: المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي: ٢٣٦، سأشير إليه فيما بعد كلمة: المصباح. تأليف العلامة: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت.

(٤) في أ و ط (إليها).

(٥) في ك (فما).

الجواهر. هل هي منقسمة إلى متحيز وغير متحيز، أو كلها متحيزة[1]؟! متصل بالكلام على نفس الإنسان الناطقة[2].

فنقول: إن المسلمين من أعظم الناس معرفة بوجود الملائكة[3]، والجن[4]، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة[5]، وكذلك سلف الأمة وأئمتها يعرفون وجود النفس التي هي روح الإنسان التي تفارق بدنه حين الموت، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، وإن كان كثير من أهل الكلام يزعم أنها عَرَض من

---

(١) في ط (متحيز).

(٢) هذه هي تسمية الفلاسفة لنفس الإنسان، والمراد عندهم بالنطق: العقل، لأن النطق أخص ثمرات العقل فينسب إليه، وله قوتان: قوة عالمة وقوة عاملة.
انظر: لباب العقول ١٣٠.

(٣) في ط زيادة: (وجود).
الملائكة هم الملأ الأعلى، وهم عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلَّا الله ــ عز وجل ــ.
انظر: العقائد الإسلامية ١٠٩ لسيد سابق، ط ٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

(٤) وهم نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ومخلوقون في الأصل من نار، قبل آدم ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ويقال: كان قبلهم في الأرض (الحِن ــ بالحاء ــ والبِن ــ بالياء) فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وسكنوها بعدهم، وهم مستترون عن الحواس لا يُرون على طبيعتهم، ولهم قدرة على التشكل.
انظر: البداية والنهاية ١/٥٥؛ والعقائد الإسلامية ١٢٩.

(٥) **الأمة**: أتباع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. المصباح ٢٣.

أعـراض البدن، أو جـزء من أجزائـه، فهـذا قـول محـدث في الإسـلام لم يـذهب إليه أحـد من السلف[1] والأئمـة، وإن كـان محكيـاً عن أكثـر المتكلمين، فليس الذين قالـوا هذا من سلف الأمـة ولا أئمتها، بـل هم من أهل الكلام المحـدث المذمـوم عند السلف. وأئمـة الأمة وكثيـر من المتفلسفـة الداخلين في أهـل الملل يقولـون: إن الـذوات التي تسميهـا الأنبياء الملائكة، هي التي تسميها المتفلسفة المشاؤون عقولاً، أو عقولاً ونفوساً، وهذا[2] غلط عظيم، كما قد بسط في موضعه[3].

فإن العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لا حقيقـة لها عنـد الرسـل وأتبـاعهم، بـل ولا حقيقـة لهـا في المعقـول[4] الصـريـح، بـل حقيقـة كـلامهم[5] أنها أعـراض قائمـة بنفسها[6]. وقـد[7] صرحـوا بـأن واجب الوجود ـ نفسه ـ هو عِلْم، وجعلوا نفس العلم هـو نفس العالـم، ونفس تصـور هـذا القـول يكفي في العلم بفسـاده، كمـا أن هؤلاء المتفلسفـة

---

(١) السلف، هم: المهاجرون والأنصار، والذين شهدوا بدراً وأحداً، غير (قِـزْمَان) وكـل من شهـد بيعة الـرضوان بـالحديبيـة، والعشرة المشهـود لهم بالجنـة، وجميع أزواج رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وكـل أهـل البيت ـ دون من مـال منهم إلى الاعتزال أو الرفض، ومن اعتدى ـ وكذلك أعلام التابعين للصحابة بإحسان.
انظر: الفرق بين الفرق ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) سقطت: وهذا من أ. وقد زدناها من ك و ط.

(٣) راجـع ـ إن شئت ـ كتـاب: نقض المنـطق ٩٩ ـ ١٠٧؛ ومجمـوع فتـاوي شيـخ الإسلام ٩/١٠٤ ـ ١٠٥ و ٢٧١ ـ ٢٧٣.

(٤) في ط (عند العقل).

(٥) سقطت جملة (بل حقيقة كلامهم) من ك و ط.

(٦) في ط (بأنفسها).

(٧) سقطت الواو من أ وك وقد زدناها من ط.

ـ أتباع أرسطو ـ لا يعرفون الملائكة، بل ولا الجن، وإنما علمهم معرفة[1] الأجسام الطبيعية، وتكلموا في الإلٓهيات بكلام قليل نزر[2]. باطله أكثر من حقه، كما قد بسط في موضع آخر.

وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أبدع ما دونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي الأمر إلى العقل العاشر، فهو مبدع ما تحت فلك القمر. وهذا[3] كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل. فإن مضمون هذا، أن ملكاً من الملائكة خلق كل ما تحت السماء، وملكاً فوقه خلق كل ما سوى الله ـ سبحانه ـ وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى[4] ـ قال تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[5].

فأخبر أن الملائكة لا تسبقه بالقول، ولا تعمل إلَّا بأمره، فضلاً عن أن يكون ملك[6] خلق كل شيء.

---

(١) في ك (تعرفه) وفي ط «بمعرفة».

(٢) في أ (قدر).

نزر: من نزر الشيء نزارة ونزورا: بمعنى قليل.

انظر: المصباح ٦٠٠.

(٣) في أ (كذا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) في ط (النصاى) بإسقاط الراء.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ ـ ٢٨.

(٦) في ط زيادة: (هو).

وهؤلاء يقولون: إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل، إنما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الأنبياء[(١)]. والله ــ تعالى ــ عند هؤلاء ــ لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا محمداً ولا غيرهم من الرسل، ولا يعرف الجزئيات، بل عند أرسطوا وأتباعه: أنه لا يعلم شيئاً من الأشياء، بل ولا خلق عندهم شيئاً، بل ولا يقدر عندهم على خلق شيء، فضلاً عن أن يكون على كل شيء قدير، وأن يكون[(٢)] أحاط بكل شيء علماً.

وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية[(٣)] وأثينية[(٤)] وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان، وكان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وكان هذا قبل المسيح ــ عليه السلام ــ بنحو[(٥)] ثلاثمائة سنة، ولم يكن وزيراً لذي القرنين[(٦)] الذي بنى سد يأجوج ومأجوج[(٧)]،

---

(١) انظر: الملل والنحل ٥٩/٢.

(٢) في ك و ط زيادة: (قد).

(٣) مقدونية: بر القسطنطينية. مراصد الاطلاع ١٢٩٧/٣.

(٤) في ط (أثينة).

(٥) في ك (نحو)؛ في ط زيادة: (كان).

(٦) ذو القرنين: هو عبد الله بن الضحاك بن معد، وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان، وينتهي نسبه إلى قحطان، وأمه رومية، وكان قبل المسيح بنحو ٢٣٠٠ سنة، وهو المذكور في سورة الكهف، وهو ملك من الملوك العادلين، وقيل: كان نبياً، وقيل: كان رسولاً، وكان الخضر ــ عليه السلام ــ وزيره، وقد أسلم على يد إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ وسمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض، وهو ذو القرنين الأول تمييزاً له عن ذي القرنين الثاني «اسكندر بن فيليبس» البداية والنهاية ١٠٣/٢ ــ ١٠٦؛ وإغاثة اللهفان ٢٦٣/٢ ــ ٢٦٤.

(٧) قيل: هما ابنا يافث بن نوح ــ عليه السلام ــ وأنهم أقارب للترك وهما قبيلتان من =

وعـامة[1] علم القـوم علم الطبيعيـات والحسـابيـات، وأمـا العلم الإلّهي ــ وهو الذي يسمونه علم ما بعد الـطبيعة، وهـو منتهى فلسفتهم ــ فإنمـا تكلمـوا[2] فيه على[3] أمـور كلية، قسمـوا الـوجـود إلى جـوهـر وتسعـة أعراض، يجمعها بيتان:

زيـد الطويـل الأسـود بن مـالـك　　فـي داره بـالأمس كـان متكـى
في يـده سيف نضـاه[4] فـانتضى　　فـهـذه عـشـر مـقـولات سـوا

وهي: الجـوهـر، والكم، والكيف، والأين، ومتى، والإضـافـة، والملك، والوضع، وأن يفعل، وأن ينفعل.

وقد نازعه أتباعـه وغيرهم في هـذا الحصر[5] وقـالوا: إنـه لا دليل

= ذرية آدم ــ بلا شك ــ وعلى أشكال الآدميين وصفاتهم. وقيل. إنهم يسمون (تركـا) ــ أيضـاً ــ لأنهم تركـوا من وراء السد في هـذه الجهـة لأنهم كـان فيهم بغي وفسـاد وجراءة. وأما السد فإنه منقطع أرض الترك من المشرق، وقد بعث الخليفة العبـاسي الواثق ٢٣٢هـ بعض أمرائه ومعهم سلّام التـرجمان ــ الـذي قيل: إنـه يعرف أربعين لساناً ــ ووجه معه جيشاً ــ سرية ــ لينظروا السد وينعتوه لـه إذا رجعوا، فغـابوا أكثـر من سنتين ثم رجعـوا وقد شـاهدوا أهـوالاً وعجائب ووصفـوا له السـد وصفاً دقيقاً.

انـظر: معجم البلدان ١٩٧/٣ لأبـي عبد الله يـاقوت بن عبـد الله الحمـوي الـرومي البغـدادي ــ ٦٢٦هـ دار صـادر، بيـروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، والبـدايـة والنهـايـة ١٠٩/٢ ــ ١١٠، ومراصد الاطلاع ٦٩٩/٢.

(١) في ك زيادة: (كان).
(٢) في أ و ك (فإما يتكلموا) والصواب ما أثبتناه من ط.
(٣) سقطت (عـلى) من ك.
(٤) **نضاه**: سله. مختار الصحاح: ٦٦٥.
(٥) في أ (الخصر) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

عليه. ومنهم من جعلها ثلاثة. ومنهم من قال غير ذلك، وأثبت العلة الأولى بناء على حركة الفلك، وأنه يتحرك حركة شوقية[1]، فلا بد له مما يتشبه به. فالعلة الأولى هي غاية[2] لحاجة الفلك إليها من جهة أنه متحرك[3] ليتشبه[4] بها كحركة المؤتم بإمامه، والمقتدي بقدوته، وقد يقولون: كتحريك المعشوق لعاشقه.

وكلام أرسطو في ذلك موجود، وقد نَقَلْتُه بألفاظه وتكلمت عليه في غير هذا الموضع[5]، وقد ذكر ذلك في مقالة[6] اللام[7] وهي آخر فلسفته، ومنتهى حكمته.

وفي كتاب أثولوجيا[8] «ولم يثبت أن الرب مبدع[9] لفلك،

---

(١) في أ وك (سوقية) والأصوب ما أثبتناه من ط.
انظر: الملل والنحل ٢/١٢٥.

(٢) في ط (علة).

(٣) في ك و ط (يتحرك).

(٤) في أ (النسبة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/٢٩٦ ــ ٣٢١ للشيخ المؤلف، ت: د. محمد رشاد سالم، ط ١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

(٦) في ك (مقامة).

(٧) هذه المقالة جزء من كتاب لأرسطو معروف باسم (ما بعد الطبيعة).
انظر: درء تعارض العل والنقل: ٩/٤٠٦.

(٨) وهو أحد كتب أرسطو في الطبيعيات، وقد فسره الكندي. والفارابي يذكر هذا الكتاب لأرسطو، ويسميه كتاب الربوبية.
انظر: الفهرست: ٣٥٢؛ وتاريخ الفلسفة في الإسلام: ٢٠٠ هامش ٢، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط ٥، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

(٩) في أ و ك (مبدعاً) بالنصب، والصحيح ما أثبتناه من ط.

و[1]علة فاعلة، ولا يسمى[2] واجب الوجود».

ولا قسم[3] الموجودات إلى واجب قديم وممكن قديم. بل ذلك فعل المتأخرين، كابن سينا وأمثاله، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع[4].

والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا إصلاح كلامه وتقريبه إلى العقول، لعله يوافق[5] ما علم بصريح المعقول وصحيح المنقول. فتكلم عليه ثابت بن قُرَّة[6] وبين أن الفلك[7] لا قوام له إلَّا بطبيعته[8] ولا قوام لطبيعته إلَّا بحركته[9]، ولا قوام لحركته الإرادية إلَّا بمحرك لها.

وزعموا أن المحرك يجب أن لا يكون متحركاً، وقرروا ذلك بأدلة

---

(١) في ط زيادة (ولا).

(٢) في ط (سماه).

(٣) هكذا في جميع النسخ (ولا قسم) والأولى أن تكون العبارة: (ولم يقسم).

(٤) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٥) في ط (لعله توافق).

(٦) هو أبو الحسن، الحاسب الحكيم الحراني، ولد سنة ٢٢١هـ وكان صابيء النحلة، اشتغل بعلوم الأوائل والطب، وكان الغالب عليه الفلسفة، وصله محمد بن موسى، بالخليفة في بغداد، فأدخله في جملة منجمين، ومات سنة ٢٨٨هـ.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/٣١٣ ـ ٣١٤ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ ٦٨١هـ ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، والبداية والنهاية ١١/٨٥؛ وشذرات الذهب ٢/١٩٦ ـ ١٩٧.

(٧) في ط زيادة (إذا كان).

(٨) في ط (بطبيعة).

(٩) في أ (تحركه) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

فاسدة، قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع[1]، فقالوا: إنه إنما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به، وإن لم يكن هو القادر على تحريك الفلك، بل ولا شعور منه بالفلك. وعبر عن ذلك ابن[2] رشد الفيلسوف وأمثاله، فقالوا: إنه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لأمر الله. مع أنه عندهم لا إرادة له ولا علم له بما يأمر به، بل كونه آمراً، وهو معنى كون الفلك يتشبه به، كما يأمر المعشوق عاشقه أن يحبه، وإن كان المعشوق لا شعور له ولا إرادة في أن يحبه ذلك.

ثم[3] لو قدر أنه هو الآمر، فإنما يصدر بسبب أمره، مجرد حركة الفلك، ولهذا شبهوا ذلك بأمر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه، فجعلوا الحركات معلولة[4] بهذا الاعتبار، لم يثبتوا أنه أبدع شيئاً من الأفلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس، لا أبدع أعيانها، ولا صفاتها، ولا أفعالها، بل غايته أن يكون آمراً لها بالحركة كأمر الملك لعسكره مع أنه عندهم ليس آمراً بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات. بل غاية ما يزعم أرسطو وأتباعه، أن للفلك حاجة إليه مِن جهة تشبهه به، وأما كونه هو علية موجبة للفلك. فإنما[5] يقول هذا من يقوله من متأخريهم، كابن سينا.

وأما الفارابي[6]، فهو الذي وسع القول في هذا الباب،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩: ٢٧٢ وما بعدها.

(٢) سقطت ألف (ابن) في أ والصحيح إثباتها.

(٣) في أ (ما) والصحيح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٤) سقطت (معلولة) من ك.

(٥) في ك و ط (وإنما).

(٦) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم مثل: كتاب مراتب العلوم =

وقسم[1] الوجود[2] إلى واجب وممكن، وجعل الأفلاك ممكنة واجبة[3] به، وفي ذلك من الفساد والاضطراب ما قد بسط في غير هذا الموضع. وبنى ابن سينا الكلام في نفي صفاته، على كونه واجب الوجود.

وأما الفارابي في كتاب «آراء[4] المدينة الفاضلة»[5] وغير ذلك، فاعتمد على كونه أول، وكذا[6] أرسطو في كتاب «أثولوجيا» اعتمد على كونه هو الأول، وشبهه[7] بالأول في العدد، وعلى ذلك بنوا نفي

= وكتاب تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطو وتفسير كتب أخرى لأرسطو، وهو أكبر فلاسفة المسلمين وقد أتقن اللغة العربية، كان مولده سنة ٢٥٩هـ، ووفاته سنة ٣٩٩هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٥/١٥٣ ـ ١٥٧. والكامل في التاريخ ٦: ٣٣٧. والفهرست: ٣٦٨، والبداية والنهاية ١١: ٢٢٤.

(١) هكذا في ط، وفي أ و ك (قسموا) والأصوب ما في ط ولهذا اعتمدناه.

(٢) في ك و ط (الموجود).

(٣) في ك و ط (واجبة ممكنة).

(٤) في ط زيادة (أهل).

(٥) وجدت لهذا الكتاب طبعتين متقاربتين، الأولى سنة ١٣٢٣هـ بمطبعة النيل بمصر، والثانية سنة ١٣٦٨هـ، مكتبة الحسين، ومطبعة حجازي بالقاهرة، وتقع كل منهما في ١٢٧ صفحة من القطع الصغير، وقد قام د. عبد الواحد وافي بدراسة للفارابي ولرسالته هذه في كتاب أسماه: المدينة الفاضلة للفارابي، نشر دار عالم الكتب بالقاهرة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وذكر ص: ٢٠ أن الفارابي قصد من كتابه هذا إلى تكوين مجتمع فاضل: «يوتوبيا Utopia» من نوع المجتمعات التي فكر فيها مِنْ قبله طائفة من فلاسفة اليونان، كجمهورية أفلاطون وبنشاي وافهيمير ومدينة الشمس لجمبول، وقد أراد ــ مثلهم ــ أن ينشىء مدينة وفقاً للمبادىء الرَّئيسة التي تقوم عليها فلسفته وآراؤه في السعادة والإخلاص والكون وخالقه ــ سبحانه ــ وما وراء الطبيعة.

(٦) في ك سقطت ألف (كذا)، وفي ط (كذلك).

(٧) في ك (لشبهه) وفي ط (شبيهه).

الصفات، وإنما[1] لو أثبتناها لخرج[2] عن كونه أول، مع أنهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه، كما لم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه، بل تكلموا بألفاظ مجملة متشابهة، تحتمل حقاً وباطلاً، فإنه معلوم أن الله واجب الوجود بذاته، موجود بنفسه، وأنه الأول[3] الذي ليس قبله شيء، وهو القديم الأزلي الذي لم يزل ولا يزال[4]. وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنى أنه لا يتعلق بغيره، فلا يكون له صفة. وكونه أول، بمعنى أول الأعداد الذي لا تعدد فيه. فمعلوم[5] أن الواحد والأول المجرد عن كل شيء إنما يُقَدَّر في الأذهان لا في الأعيان.

فالذهن يقدر واحداً[6] واثنين وثلاثة وأربعة، إلى سائر الأعداد المجردة، والعدد المجرد عن المعدود إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان. فأما الموجود في الخارج فإنما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها. والأول منها هو ذات متصفة بصفاتها، لا توجد[7] في الأعيان، ليس[8] بذات قائمة بنفسها، ولا صفة قائمة بغيرها، بل

---

(١) في ك و ط (أنا).

(٢) هكذا في ك و ط، وأما في أ (فخرج) والأصوب ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٣) في أ (الأزل) وفي ك (الأزلي) وما أثبتناه من ط هو الأولَى.

(٤) قول الشيخ المؤلف: (وهو القديم...) هو تفسير لاسمه عز وجل (الأول) فلفظ (القديم) من الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع. وتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، وهذا مثل لفظ (الجسم) و (الحيز) و (الجهة) و (الجوهر) و (العرض).
انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١/٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٥) في ط (ومعلوم).

(٦) في أ و ك (واحد) بغير بالنصب والصحيح ما أثبتناه من ط.

(٧) في ط (يوجد) بالياء.

(٨) في ك (ليست) وفي ط (شيء ليس).

لا توجد[1] ذات مجردة عن صفاتها وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[2]. ولكن نبهنا هنا عليها، لأن هؤلاء القوم[3] قالوا: إنا نعجب من هؤلاء القوم، أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة، ومن هذا صورته، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق، فما حقهم ينكرون علينا هذا.

فكل[4] كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة، وأهل المنطق، وأن من قرأ كتبهم عرف بها من الحق في الإلّهيات[5] ما لا يعرفه سائر أهل الملل. وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل وبما يعرف بالعقل المحض.

أما الأول: فلأن المسيح وأتباعه كالحواريين[6] ومن اتبعهم ليس

---

(١) في ك و ط (يوجد) بالياء.

(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٥: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) هم النصارى: أهل قبرص الذين أرسلوا الرسالة بواسطة بولص الأنطاكي. المشار إليها سابقاً.

(٤) في ك (فكلام) وفي ط (فكان كلام).

(٥) في ك (الأذهان).

(٦) أصل هذه الكلمة من الخلوص والنقاء وشدة البياض، وقد صار بِعُرْف الاستعمال دليلاً على خواص الرجل وبطانته، قال القفال: «ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الأثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين (غسالي الثياب)»، والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى ـ عليه السلام ـ وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته وخدمته، ويعرفون عند النصارى بـ «التلاميذ» وقد نفى ابن حزم أن يكون مثل (باطرة) و (لوقا) و (بولس) من الحواريين.

انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب م ٤، ٨: ٦٩ ـ ٧٠، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ـ ٦٠٤هـ ط ١، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٢٢٢. والفصل في الملل والأهواء والنحل ٢: ٨٩ ـ ٩١ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري ـ ٤٥٦هـ ت: د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة، ط ١ شركة مكتبات عكاظ، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

فيهم من عَظَّم هؤلاء الفلاسفة، ولا استعان بهم، ولا التفت إليهم[1]، بل وهم عندهم من أئمة الكفر، ورؤوس الضلال. وكذلك موسى وأتباعه، وكذلك محمد وأتباعه. فليس[2] في رسل الله وأنبيائه ولا في أتباعهم من يعظمهم، ولا يستعين بكلامهم، بل الرسل وأتباعهم متفقون على تضليلهم وتجهيلهم.

وأما العقليات: فإنما يعظم كلام هؤلاء الفلاسفة في العلوم الكلية والإلّهية[3] من هو من أجهل الناس بالمعارف الإلّهية والعلوم الكلية، إذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال، ما لا يحيط به إلا ذو الجلال. وإنما كان القوم يعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات، كالهندسة وبعض الهيئة وشيئاً من علوم الأخلاق والسياسات[4] * المدنية والمنزلية، التي هي جزء مما جاءت به الرسل. واليهود والنصارى ـ بعد النسخ والتبديل ـ أعْلَمُ من هؤلاء بالعلوم الإلّهية والأخلاق والسياسيات *[5] فضلاً عمّا وراء ذلك.

فاعتضاد هؤلاء النصارى هؤلاء[6] المتفلسفة، يدل[7] على عظيم جهلهم بالشرعيات والعقليات، وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع متعددة، إذ كان الرد على الفلاسفة لا يختص به النصارى، بل الكلام في ذلك معهم ومع من يعظمهم من أهل الملل عموماً.

---

(١) سقطت (ولا التفت إليهم) من ك.

(٢) في ك و ط (وليس) بالواو.

(٣) سقطت لام (الإلّهية) من أ، وقد صححناها من ك و ط.

(٤) في ط (السياسة).

(٥) ما بين النجمتين سقط من ك، وهو في أ بالهامش.

(٦) في ط (بهؤلاء).

(٧) سقطت (يدل) من ك.

ومعلوم أن المنتسبين إلى الإسلام من أتباع الفلاسفة، كالفارابي، وابن سينا، والسهروردي المقتول[١]، وابن رشد الحفيد[٢] إمامهم[٣]، أحذق بهم وأعلم من النصارى.

وكتب الفلاسفة التي صارت إلى الإسلام[٤]، من الطب، والحساب، والمنطق وغير ذلك، هذبها المنتسبون إلى الإسلام، فجاء كلامهم فيها خيراً من كلام أولئك اليونان[٥].

والنصارى واليهود إنما يعتمدون في هذه العلوم على ما وصفه هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام، مع أن هؤلاء عند علماء المسلمين جهال

---

(١) هو أبو الفتح، شهاب الدين، يحيى بن حَبَشي بن أَمِيرَك، الحكيم، كان من علماء عصره، قرأ الحكمة وأصول الفقه، وجمع الفنون الفلسفية، وبرع في أصول الفقه، وكان شافعي المذهب، اتهم بانحلال العقيدة والتعطيل فقتل تجويعاً باختياره في قلعة حلب سنة ٥٨٧هـ.
انظر: لسان الميزان ٣: ١٥٦، ووفيات الأعيان ٦: ٢٦٨ ـ ٢٧٤.

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، القرطبي المالكي، أدرك من حياة جده شهراً سنة ٥٢٠هـ، وتفقه وبرع، وسمع الحديث واتقن الطب، وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار مضرب المثل فيها، توفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ.
انظر: شذرات الذهب ٤: ٣٢٠، والوافي بالوفيات ٢: ١١٤ ـ ١١٥. الخليل بن أيبك الصفدي ـ ٧٦٤هـ. النشرات الإسلامية، هيلموت ريتر ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.

(٣) في ك و ط (أمثالهم).

(٤) في ك و ط (المسلمين).

(٥) أي: فلاسفة اليونان كأرسطو وغيره، واليونان بلد أوروبي يقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، غرب تركيا وشمال البحر الأبيض المتوسط، واليونانيون من الجنس السلافي.
انظر: دائرة معارف وجدي ١٠: ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧.

ضلال في الإلٓهيات والكليات[1]، فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى؟

ولما صار أولئك اليونان عارفين بالله، موحدين له، عابدين له، مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله، لما دخل إليهم أتباع المسيح يدعونهم إلى دين الله الذي بعث به المسيح. وكل من كان من أتباع المسيح ـ غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ[2] ـ فإنه من المؤمنين[3] المهتدين، وهم من أولياء الله وهم[4] من أهل الجنة.

ومن ظن أن كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان، فإن ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما[5] يقول هؤلاء. وإنما يوجد مثل هذا في كلام الملاحدة من أهل الملل: ملاحدة اليهود والنصارى[6] وغيرهم، كأصحاب رسائل إخوان الصفا[7]، وأمثالهم من الملاحدة المنتسبين إلى

---

(١) الكليات أو القضايا الكلية: هي حقائق المعقولات المجردة عن المادة والمكان والجهة، وهي الأحكام المعينة التي من عمل العقل كإدراك الصداقة والعداوة، والمتكلمون يسمونها أحوالاً أو وجوهاً، ويسميها الفلاسفة الكليات المجردة.
انظر: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول: ١٣٠، ودرء تعارض العقل والنقل ٤ :٢١٣.

(٢) أي نسخ دين محمد ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لدين المسيح ـ عليه السلام ـ بمثل قوله تعالى:
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.
سورة [آل عمران: الآية ٨٥].

(٣) في ط زيادة (المسلمين).

(٤) في ط زيادة (المتقين) وسقطت بعدها «وهم».

(٥) في ط (مما).

(٦) في ط زيادة (والمسلمين).

(٧) **إخوان الصفا**: هم جماعة من الإسماعيلية الباطنية، كتبوا رسائل عرفت بهذا الاسم، وعددها أكثر من خمسين مقالة، وذكر أبو حيان التوحيدي بعض أسماء كتبهم في =

تشيـع(1)، أو إلى تصوف(2)، كـابن عربـي(3)

= كتابه (المقابسات).
انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية: ٢٢٢ ـ ٢٤١ د. عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤: ٧٩.

(١) **التشيع**: هو ادعاء مشايعة الأمير علي ـ رضي الله عنه ـ ومتابعته وحبه. والشيعة أربع فرق كبيرة:
١ ـ الشيعة المخلصين وقت خلافته من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
٢ ـ الشيعة التفضيلية: وهم الذين يفضلونه على سائر الصحابة من غير إكفار واحد منهم ولا سب ولا بغض كأبي الأسود الدؤلي، وكعبد الرزاق، صاحب المصنف.
٣ ـ السبئية، ويقال لهم (التبرئية): وهم الذين يسبون الصحابة، إلاَّ قليلاً منهم.
٤ ـ الغلاة وهم القائلون بألوهية علي.
انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية: ٣ ـ ٩ لشاه عبد العزيز الدهلوي ـ ١٢٣٩هـ ترجمة الأسلمي واختصار الألوسي، وتحقيق الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣هـ.

(٢) **التصوف**: هو علم الباطن، وهو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها، وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها، والاتصاف بالصفات التي طلب الشرع تحصيلها، وكيفية السلوك والسير إلى الله ـ تعالى ـ والفرار إليه.
انظر: حياة القلوب وكيفية الوصول إلى المحبوب، لعماد الدين الأموي ١: ٢٦٠ بهامش كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٠هـ.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد، محيي الدين، أبو بكر، الطائي الحاتمي الأندلسي صاحب التصانيف في التصوف وغيره، ولد سنة ٥٦٠هـ، وتوفي سنة ٦٣٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٣: ٦٥٩ ـ ٦٦٠ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ ٧٤٨هـ ت: محمد علي البجاوي، دار المعرفة بيروت، وفوات الوفيات ٣: ٤٣٥ ـ ٤٤٠ لمحمد بن شاكر الكتبي ـ ٧٦٤هـ ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت.

وابن سبعين(١) وأمثالهما. وفي الكتب المضنون بها على غير أهلها(٢) ونحو ذلك من الكلام المنسوب إلى أبي حامد(٣) قطعة من ذلك.

وهؤلاء(٤) يحتجون بالحديث المأثور «أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب، وعليك العقاب»(٥).

---

(١) هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي المرسي الرقوطي، العتكي، قطب الدين، أبو محمد، صوفي حكيم، درس العربية والآداب بالأندلس، وانتحل التصوف، وله مصنفات كثيرة، مات بمكة سنة ٦٦٩هـ.
انظر: لسان الميزان ٣: ٣٩٢، فوات الوفيات ٢: ٢٥٣.

(٢) هي مؤلفات تنسب إلى الغزالي، وليست له بل وضعت عليه مثل «السر المكتوم» أيضاً.
انظر: شذرات الذهب ٤: ١١.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الطوسي، الشافعي، زين الدين، حجة الإسلام تتلمذ لإمام الحرمين، وتولى التدريس ببغداد، وصنف التصانيف، مع الذكاء المفرط والاستبحار في العلم، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي بطوس سنة ٥٠٥هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤: ٢١٦ ــ ٢١٩، شذرات الذهب ٤: ١٠ ــ ١٣.

(٤) في ك و ط زيادة: (قد).

(٥) حديث: «أول ما خلق الله العقل...»، رواه أبو نعيم في الحلية ٧: ٣١٨ عن عائشة بلفظ «حدثني رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ أن أول ما خلق الله ــ سبحانه وتعالى ــ العقل فقال: أقبل فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، ثم قال: «ما خلقت شيئاً أحسن منك، بك آخذ، وبك أعطي». قال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان، ومنصور الزهري ــ أحد رواة الحديث ــ لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلاَّ سهلاً، وأراه واهماً فيه».
انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني ــ ٤٣٠هـ، ط٣، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م. وذكر السيوطي أنه أخرجه ابن عدي والدراقطني والعقيلي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في =

وهــذا الحـديث كـذب مـوضــوع على النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ كما ذكر ذلـك أهل العلم بـالحديث، كـأبـي جعفر العقيلي[1]،

= نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد. فأما حديث ابن عدي فموضوع، وأما الدارقطني ففي إسناده سيف بن محمـد وهو كـذاب بـالإجماع، وقـال العقيلي بعد روايتـه «هذا حـديث منكر، عمـر وسعيد الـراوي عنه مجهولان جميعاً». وقـال في الميزان «والخبـر باطـل» وقال البيهقي بعـد سياقـه هذا إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسن، ثم ساق إسناده عن الحسن، وهـو عند عبد الله بن أحمد بن حنبل مرسل من رواية الحسن.

انـظر: الـلآلىء المصنـوعـة في الأحـاديث المـوضــوعـة ١: ١٢٩ ـ ١٣٠ لـلإمـام عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١١هـ ط ٣، دار المعرفة، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

وقـال العراقي: أخـرجه الـطبراني في الأوسط من حـديث أبـي أمامـة وأبـو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين.

انظر: المغني عن حمل الأسفار في تخريج مـا في الأحياء من الأخبـار، بهامش إحياء علوم الدين ١: ٨٣، للعـلامة زين الـدين أبـي الفضل عبـد الـرحيم بن الحسين العراقي ـ ٨٠٦هـ دار المعرفة، بيروت.

وقال ابن القيم: «أحاديث العقل كلها كذب».

انــظر: المنـار المنيف في الصحيــح والضعيف: ٦٦ ـ ٦٧ لمحمـد بن أبـي بكـر الـدمشقي ابن قيم الجـوزيــة ـ ٧٥١ ت: عبـد الفتــاح أبــو غــدة، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

قال الألباني: «ومما يحسن التنبيه عليـه أن كل مـا ورد في فضل العقـل من الأحاديث لا يصـح منها شيء، وهي تـدور بين الضعف والـوضـع، وقـد تتبعت مـا أورده منهـا أبو بكر بن أبـي الدنيا في كتابه «العقل وفضله» فوجـدتها كمـا ذكرت، لا يصـح منها شيء، فـالعجب من مصححه الشيـخ.. الكوثـري كيف سكت عنها، بـل أشـار في ترجمته للمؤلف.. إلى خلاف ما يقتضيه التحقيق العلمي ـ عفَا الله عنَا وعنه ـ».

انـظر: سلسلة الأحـاديث الضعيفـة ١: ١٣ لمحمـد نـاصـر الـدين الألبـاني، ط ٤، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، ١٣٩٨م.

(١) هــو محمـد بن عمـرو بن مـوسى بن حمــاد العقيلي، الحـافظ، عــداده في أهـل الحجاز، توفي بمكة سنة ٣٢٢هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٣: ٥٠ للإمـام محمد ابن أحمـد الذهبـي ـ ٧٤٧هـ، دار إحيـاء =

وأبـي حـاتم بن حبـان البـستي(١)، وأبـي الحـسن الـدارقـطنـي(٢)، وأبـي الفرج بن الجوزي(٣) وغيرهم.

ثم لفظه لو كان صحيحاً حجة، على نقيض مطلوبهم، فإنه قـال: «أولَ مـا خلق الله العقل» بنصب «أولَ»، وفي لفظ «لمـا خلق الله العقل قال له».

فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ما خلقه، فحـرفوا لفـظه وقالـوا: أولُ ما خلق الله العقل بـالضم، وليس هذا لفـظه ولكن لفظه يقتضي أنـه خـاطبه في أول أوقات خلقـه، ولهـذا قـال: «مـا خلقت خلقـاً أكـرم علي منك»، وهذا يقتضي أنه خَلَق قَبله غيره.

وعندهم هو أول المُبْدَعات، يمتنع أن يتقدمه شيء، مع أنه وسائر العقول والأفلاك ـ عندهم ـ قديمة أزلية، لم تزل ولا تزال.

= التـراث العربـي بيـروت. طبقات الحفـاظ ٣٨٤ لـلإمـام عبـد الـرحمن السيـوطي ـ ٩١١هـ، ط ١، دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(١) هــو محمـد بن حبـان بن أحمـد بن حبـان بن معـاذ بن معين التميمي البستي، الشافعي، كان من فقهاء المدن وحفاظ الآثار، عالماً بـالطب والنجـوم وفنون العلم، ومات بِبُستْ سنة ٣٥٤هـ.
انظر: لسان الميزان ٥: ١١٢ ـ ١١٥. طبقات الحفاظ: ٣٧٥.

(٢) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، البغدادي الحافظ المشهور، كان عالماً حافظاً فقيهاً، على مذهب الإمام الشافعي، ولد سنة ٣٠٦هـ. ومات سنة ٣٨٥هـ ببغداد.
انظر: وفيات الأعيان: ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٩، وطبقات الحفاظ ٣٩٣ ـ ٣٩٥.

(٣) هو الإمام العلامة الحـافظ عالم العـراق وواعظ الآفاق جمـال الدين عبـد الرحمن بن علي بن عبـد الـرحمن بن علي بن علي القـرشي البكـري الصـديقي البغـدادي، الحنبلي، صـاحب التصـانيف في فنـون العلم، ولـد سنـة ٥١٠هـ، وتـوفي سنـة ٥٩٧هـ.
انظر: طبقات الحفاظ ٤٨٠هـ، والكامل ٩: ٢٥٥.

ثم قال: «فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب».
فجعل به هذه الأنواع الأربعة.

وعندهم أن العقل صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي، وذلك أن لفظ (العقل) في الحديث سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً، هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين، هو عقل الإنسان، وهو عَرَض قائم به، وهـذه[١] صفة قائمة بالإنسان ليس هو جوهراً قائماً بنفسه.

والعقـل في لغة هؤلاء الفـلاسفة، هـو جوهـر قـائم بنفسـه. وأمـا النفس الفلكيـة، فلهم فيها قـولان: قيل: إنهـا عرض قـائم بالفَلَك وهـو قول أكثرهم. وقيل: بل جوهر قائم بنفسه، ولهذا يميل ابن سيناء. وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر[٢].

والمقصود هنا ذكر هؤلاء النصارى[٣] أن ثم[٤] جوهراً لطيفاً، غيـر الجـوهـر الكثيف، ومثلوا[٥] ذلـك بـالنفس والعقـل والضـوء[٦]، ثم[٧] لم يقيمـوا على ثبوت شيء من ذلـك دليلاً، ولا دليـل[٨] مما دلت عليـه الكتب الإلّهية، فإن النفس الفلكيـة والعقول العشـرة لم ينطق بهـا كتاب

---

(١) في ط (هذا).
(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩:٣٠٣ وما بعدها. ونقض المنطق: ٩٩.
(٣) سقطت (النصارى) من ك و ط.
(٤) ثم: بفتح أوله ــ اسم إشارة إلى مكان غير مكانك.
انظر: المصباح: ٨٤.
(٥) في أ: (يمثلوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.
(٦) في أ (الصور) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك و ط زيادة (إن النصارى).
(٨) في ط زيادة (ذلك).

ولا رسول، بل ولا دل عليها دليل عقلي، وأدلة المتفلسفة عليها ضعيفة. وإنما دل العقل على ما أخبرت به الرسل من الملائكة.

ولكن هؤلاء الذين حملوا كلام الرسل على ما يوافق قول[1] المتفلسفة يجعلون اللوح المحفوظ، هو النفس الفلكية، كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الأول والعرش هو الفلك التاسع، وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر[2].

وإذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على ما مثلوا به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهم حجة على من قال: إن الجوهر ما يشغل حيزاً ويقبل عرضاً. ولما قرنوا النفس بالعقل، كان ذلك ظاهراً في أنهم أرادوا النفس الفلكية.

فأما إن أرادوا النفس الإنسانية فهذه ثابتة، [3]أخبرت بها الرسل وأتباعهم، كما قد بسط في موضعه. لكن هذه لا تقرن بالعقل الذي هو جوهر، والعقل صفة هذه، وهو مصدر عقل يعقل عقلاً. وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها، ويراد بالعقل العمل بالعلم كما قد بسط في موضع آخر.

الوجه الرابع: قولهم: «وجوهر الضوء». فيقال لهم: إن أردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز، يشغل حيزاً، [4]ويقبل عرضاً، ليس هو من الجواهر اللطيفة الذي[5] مثلتم بها وإن أردتم

(١) في ط زيادة (هؤلاء).
(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٦/٥٤٥ وما بعدها.
(٣) في ك و ط زيادة (قد).
(٤) في ط (أو).
(٥) في ط (التي).

بـالضوء: الشعـاع القـائم بـالهـواء والجـدران ونحـو ذلـك، فليس هـذا بجوهر، لا لطيف ولا كثيف، بل هو عرض قائم بغيره.

الـوجه الخـامس: قولكم: «إن الجـوهر اللطيف لا يقبـل عرضـاً» كـلام ممنوع، وهـو باطـل ــ أيضاً ــ فـإن نفس الإنسان تقبـل الأعراض القـائمة بهـا، وكذلـك النفس الفلكيـة ــ عنـد من أثبتهـا ــ تقـوم[1] بهـا إرادات وتصورات متجددة. ولفظ «العرض» في اصطلاح النـظار يراد بـه مـا قام بغيـره، سواء كـان صفة لازمـة أو عارضـة، وهـذا مـوجب تقسيم النصارى، كما هو قول الفلاسفة.

فإنهم قالوا: ليس في الوجود شيء إلَّا وهو إما جوهر وإما عَرَض، لأنه أي أمر نظرناه وجـدناه إمـا قائمـاً بنفسه، غيـر مفتقر في وجـوده إلى غيره، وهو الجوهر. وإمـا مفتقر في وجـوده إلى غيره، لا قـوام له بنفسـه وهو العَرَض». قالوا: ولا يمكن أن يكون لهذين[2] قسم ثالث».

وهـذا الذي قـالوه هـو تقسيم أرسطو وأتبـاعه، وهـو يسمي المبدأ الأول جـوهراً وهـذا تقسيم سائـر النـظار. لكن أكثـرهم لا يـدخلون رب العـالمين في مسمى الجوهـر، ومنهم من يدخله فيـه، وبعض النزاع في ذلك لفظي.

وإذا[3] كان الأمر على ما قالوه، فالضـوء القائم بـالأرض والهواء، عَرَض ليس جوهراً قائمـاً بنفسه، وهم قـد جعلوه جوهـراً، وهذا تنـاقض بَيِّن. ــ وأيضاً ــ فالجواهر اللطيفة، تقوم بها الأعراض كـالحياة والعلم، بل والرب ــ على قولهم ــ تقوم به الحياة والعلم.

---

(١) في ط (يقوم).
(٢) في ط زيادة (القسمين).
(٣) في ك (إذا) بدون واو.

فإذا سموه جوهراً، لزمهم أن يسموا صفاته أعراضاً، إذا قالوا: لا موجود إلَّا جوهر أو عرض[1].

فهذا يناقض قولهم[2]: «الموجود إما جوهر وإما عرض، فليس في الموجودات إلَّا هذا أو هذا»، بل موجب[3] كلامهم أنها قائمة بذات الله، فكيف بذات غيره؟

وإذا[4] قالوا: «ويُعنى[5] بالأعراض، الصفات العارضة أو القائمة بالأجسام»، كان هذا مناقضاً لقولهم: «الموجود[6] إما جوهر، وإما عرض»، مع قولهم: «إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم، والأقنوم ذات وصفة» ومع قولهم[7]: «إن الرب جوهر»[8] فقولهم يقتضي أن الرب جوهر تقوم به الأعراض، فكيف غيره؟.

ثم يقال: إذا قدر أنهم يدعون ثبوت جوهر لا يقوم[9] به الأعراض، فهذا اصطلاح لهم، وافقوا فيه[10] نفاة الصفات من الفلاسفة كأرسطو وذويه[11]، فإنهم يقولون: إن الرب جوهر لا يتصف بشيء من

---

(١) من هنا حصل تقديم وتأخير في ط بمقدار صفحة تقريباً ويظهر واضحاً أنه اختلاف في ترتيب صفحات المخطوطة التي طبعت عليها.
(٢) في الأصل: (فهؤلاء يوجد تناقض قولهم) وقد أثبتنا ما في ك و ط لاضطراب هذه العبارة.
(٣) في ط (وموجب).
(٤) في ك و ط (وإن).
(٥) في ط (نعني) بنونين.
(٦) في أ (الوجود) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك (أقولهم) وفي ط (أقوالهم).
(٨) هكذا في ك و ط وفي أ (جوهراً) بالنصب والصحيح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٩) في ط (تقوم).
(١٠) في أ (فيهم) والصحيح ما في ك و ط ولذلك اعتمدناه.
(١١) في ط (وأتباعه).

الصفات الثبوتية، لكن ليس هذا قول النصارى، فتبين أنهم في قولهم: «إن الرب جوهر» وفي قولهم: «إن من الجواهر ما لا يقوم[1] به الصفات» موافقون للمشركين الفلاسفة، أرسطو وأتباعه، لا موافقين للمسيح والحواريين، وأنهم أثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين، ثم جعلوه جوهراً، ثم قالوا: «إن الجوهر اللطيف لا تقوم[2] به الصفات» وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين، وهذا تحقيق ما ذكرناه عنهم من أنهم رَكَّبوا ديناً من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين.

فهؤلاء إن عنوا بالعرض هذا فكل[3] جوهر يقبل الصفات، وإن أرادوا بالعرض ما تعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية، التي يفرقون بينها وبين الذاتية ـ مع أن هذا ليس مقتضى كلامهم ـ فقد ذكرنا في غير هذا الموضع[4] أن تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموصوف إلى ذاتية وعرضية: تقسيم باطل، وتقدير أن يكون حقاً: فالنفس ـ أيضاً ـ تقبل الصفات العرضية، بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفاً أو كثيفاً. فقولكم: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرضاً، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة» كلام باطل على كل تقدير[5].

---

(١) في ط (تقوم).
(٢) في ك (يقوم).
(٣) في أ و ك (وكل) وما في ط هو الصواب.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٣/٨٥ وما بعدها، طبع المدني.
(٥) انظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/١٦٣ من طبعتنا هذه وما بعدها، تحقيق الزميل: علي بن حسن بن ناصر. والجواب الصحيح، طبع المدني ٣/٨٥ وما بعدها، وفي مواضع أخرى، حيث اهتم الشيخ المؤلف ببيان وجه الحق في قضية الصفات من أوجه كثيرة، يقع فيها للمسلمين وللنصارى وغيرهم خلط وضلال. =

وإن عنوا بلفظ العرض شيئاً آخر، لم ينفعهم ذلك، فإن المتكلمين الذين قالوا: «الجوهر هو[1] ما يشغل حيزاً ويقبل عرضاً» إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني، سواء كان لازماً له أو عارضاً له، ومعلوم أن كل جوهر فإنه يقوم[2] به المعاني[3]. والخالق ـ تعالى ـ عندهم يقوم[4] به الحياء[5] والعلم، فإذا كان الخالق ـ تعالى[6] ـ يقوم[7] به المعاني وهم يسمونه جوهراً، فكيف لا تقوم المعاني بغيره[8].

وهؤلاء يثبتون جوهراً لطيفاً[9] لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: «إنه تقوم به المعاني». وهذا اصطلاح لهم لا يوافقهم عليه أحد. ثم يتناقضون فيقولون: «الموجود إما جوهر وإما عرض» وهذا تناقض[10].

ونُظّار المسلمين لهم في تسمية صفات الله القائمة به أعراضاً نزاع[11]: بعضهم يسميها أعراضاً، وبعضهم ينكر هذه التسمية، مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به. وجمهور نظار المسلمين

= وهو في كل ذلك يقرر عقيدة أهل السنَّة، ناصعة مشرقة مفصلة، مدعومة بالأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة.

(١) سقطت (هو) من ط.

(٢) في ط (تقوم).

(٣) في أ سقطت الميم من (المعاني) والصواب إثباتها كما في ك و ط.

(٤) في ك و ط (تقوم) بالتاء.

(٥) في ك و ط (الحياة).

(٦) لم ترد كلمة التقديس في ط.

(٧) في ط (تقوم).

(٨) في ط تقدمت (بغيره) على (المعاني).

(٩) سقطت «لطيفاً» من ط.

(١٠) في ط زيادة (بينهم).

(١١) في ك و ط زيادة (بينهم).

لا يسمونه جوهراً، وبعضهم يسميه جوهراً. وأما من أنكر قيام الصفات به، فذاك لا يسمي الله[1] جوهراً ولا جسماً.

وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضاً بيِّناً، ولهذا كان لهم طريقة لا يوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء، ذلك يظهر:

بالوجه السادس: وهو أن الناس لهم في إثبات الصفات القائمة بذات الله ــ تعالى ــ قولان: فسلف المسلمين وأئمتهم، وجمهور الخلق من أهل الملل وغير أهل الملل، يثبتون قيام الصفات بالله ــ تبارك وتعالى ــ. وهل تسمى[2] أعراضاً؟ على قولين:

والقول الثاني: قول من ينفي الصفات، مثل الملاحدة الجهمية[3] ونحوهم، من مبتدعة المسلمين، ومن وافقهم من الفلاسفة، وبعض اليهود والنصارى. فهؤلاء لا تقوم به المعاني والصفات عندهم، فلا يقولون تقوم به الأعراض. ثم مِن هؤلاء من يسميه جوهراً كأرسطو[4] وأتباعه، ومنهم من لا يسميه جوهراً كمتأخري الفلاسفة: ابن سينا

---

(١) في أ و ك (لا يسميه جوهراً).

(٢) في ك (يسمى) بالياء.

(٣) (**الجهمية**): «هم أتباع جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان... وامتنع من وصف الله ــ تعالى ــ بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد...».
انظر: الفرق بين الفرق: **٢١١** لصدر الدين عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ــ **٤٢٩**هـ ــ دار المعرفة، بيروت. وقد وصف الشيخ (الجهمية) بأنهم (ملاحدة) لأنهم ألحدوا في أسمائه ــ تعالى ــ فأبَوَ تسميته بأسمائه الحسنى، وهذا ميل عن الحق والصواب.
انظر: الكشاف **١٣٢/٢** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ــ **٥٣٨**هـ ــ دار المعرفة، بيروت.

(٤) في أ و ك (أرسطوا) بألف بعد الواو، والصواب حذفها كما في ط.

وأمثاله، مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم. سواء سموه جوهراً أو لم يسموه[1].

وأما الجمهور[2] القائلون بقيام المعاني به، فبعضهم يسميها أعراضاً وإن لم يسمه جوهراً. وقد سماه بعضهم جوهراً، وبعضهم ينفي أن يكون أعراضاً، وبعضهم يسكت عن النفي والإثبات، فلا يسميها أعراضاً، ولا ينفي تسميتها بذلك، أو يستفصل القائل عن كونها أعراضاً.

وأما هؤلاء النصارى فقالوا: «[3]جوهر ثلاثة أقانيم» ووصفوه بالصفات الثبوتية، وهي الحياة والنطق، وقالوا: «الموجود إما جوهر، وإما عرض» فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضاً عندهم. ثم قالوا: «الجوهر اللطيف، لا يقوم[4] به الأعراض» ونزهوا الرب أن تقوم به الأعراض، مع قولهم: «إنه جوهر» تناقضوا[5] تناقضاً بَيِّناً، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم وبين كلام المشركين[6] ـــــــــــ

---

(١) سقطت جملة (سواء سموه جوهراً أو لم يسموه) من ط.

(٢) الجمهور من الناس: (جلهم) ومعظم كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ١/٥٣٤ دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٣) في ك و ط زيادة (هو).

(٤) في ط (تقوم).

(٥) في ط: (فتناقضوا) بفاء في أوله.

(٦) جمع (مشرك) من الشرك: وهو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله ــ تعالى ــ وهو ثلاثة أنواع:
١ ــ شرك أكبر وهو الذي يخرج من ملة الإسلام، وهو صرف أي نوع من العبادة لغير الله.
٢ ــ وشرك أصغر: وهو الذي لا يخرج من ملة الإسلام.
٣ ــ وشرك خفي: وهو الذي يكفِّره التعوذ منه. وهو نوع من الشرك الأصغر لمن =

المعــطلين[1] الفـلاسفة. فمـا تلقوه عن المسيح فهو حق، ومـا ابتدعـوه من قـول من خـالف الرسـل، فهو بـاطـل. فجمعوا في قولهم بين الحق والبـاطـل، وسلكوا مسلكاً لا يُعْرف عن غيرهم، وإيضاح هذا أن يقال في:

الوجه السـابع: أن هـذا الذي ذكـروه تناقض بَيِّن، فـإنهم قالـوا: الموجود إما جوهر وإما عرض: «القائم بذاته هو الجوهـر، والقائم بغيـره هو العرض».

ثم قالوا: «إنـه موجـود حي ناطق، لـه حياة ونـطق». فيقال لهـم: حياته ونطقه: إما جوهر وإما عـرض وليس جوهـراً، لأن الجوهـر ما قـام بنفسـه، والحياة والنـطق لا يقومـان بأنفسهمـا، بل بغيـرهمـا، فهمـا من الأعراض، فتعيَّن أنه عنـدهم جوهـر يقوم[2] بـه الأعراض، مـع قولهم «إنه جوهر لا يقبل عرضاً».

= جعل الشرك نوعين.
انظر: حاشيـة كتاب التـوحيد ١٥ للشيـخ عبد الـرحمن بن محمد القـاسم العاصمي النجدي ـ ١٣٩٢هـ، ط ١، المطابع الأهلية لـلأوفست، الريـاض ١٣٩٦هـ وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ١/٢٦٨ ـ ٢٧٥ للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ط ١، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠١هـ.

(١) من «التعطيل» وهو مأخوذ من (العطل) وهو الخلو والفراغ والترك.
والمراد بالمعطلين نفاة الصفات الإلّهية عن الله. ومنكري قيامها بذاته ـ عز وجـل ـ أو منكري بعضها، والتعطيل ثلاثة أنواع:
١ ـ تعطيل الله ـ سبحانه ـ من كماله المقدس.
٢ ـ تعطيل معاملته.
٣ ـ تعطيل المصنوع من صانعه.
انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ٥٢ ـ ٥٣ لعبد العزيز بن محمد السلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.
(٢) في ط (تقوم).

فإن[1] قيل: أرادوا بقولهم: «لا يقبل عرضاً» ما كان حادثاً. قيل: فهذا ينقض تقسيمهم[2] الموجود إلى جوهر وعرض، فإن المعنى القديم الذي يقوم به ليس جوهراً وليس حادثاً. فإن كان عرضاً، فقد قام به العرض وقَبِلَه، وإن لم يكن عرضاً، بطل التقسيم.

يبين هذا أنه يقال[3]: أنتم قلتم: «إنه شيء حي ناطق»، وقلتم: «هو ثلاثة أقانيم»، وقلتم: «المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة»، وقلتم في الأمانة[4]: نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، وبرب واحد[5] يسوع[6] المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، إله حق من إله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر»[7].

ثم قلتم: «إن الرب جوهر»، وقلتم: «إن الذي يشغل حيزاً

---

(١) في ك و ط (وان).

(٢) في أ و ك (تقسمهم) وقد صوبناها من ط.

(٣) في ط (فتبين من هذا أنهم يقال لهم).

(٤) (الأمانة) هي كتاب (قانون الأمانة) الذي قام رجال الكنيسة بوضعه من تلقاء أنفسهم، دونما مستند من وحي أو كتاب منزل، وقد أورد د. أحمد السقا، في كتابه: أقانيم النصارى ٥٩ ـ ٦٧ ما يثبت أن هذا القانون من تأليف كبار القساوسة.

(٥) في أ (واحداً) بالنصب، وفي ك (ايسوع) ألحقت الألف بكلمة «يسوع» حيث جاءت في أول السطر. والصحيح ما في ط ولذلك اعتمدناه.

(٦) «يسوع» هو الاسم الشخصي لعيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ عند النصارى، أما المسيح فهو لقبه، وهو الصيغة العبرية (يشوع) ومعنى الاسم (يهوه مخلص) وقد جاءت هذه التسمية لعيسى ـ عليه السلام ـ في العهد الجديد. ولشخص آخر يدعى «يسطس» وكان عاملاً مع بولس ورفيقاً له في رومية.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٠٦٥ ـ ١٠٦٦.

(٧) انظر هذا النص في كتاب: إيماني. للقس الياس مقار، وللكتاب اسم آخر هو قضايا المسيحية الكبرى: ٦٥، نشر دار الثقافة بالقاهرة؛ والخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية: ٧٠ لأفلاطون مطران موسكو، تعريب: الخوري يوحنا حزبون، مطبعة كرم، بيروت ١٩٥٧م.

أو يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف. فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عـرضاً ولا يشغـل حيزاً، مثـل جوهـر النفس وجوهـر العقـل، ومـا يجـري هـذا المجرى من الجواهر اللطيفة. فـإذا كانت[1] الجـواهر اللطيفـة المخلوقة لا تقبـل عرضـاً، ولا تشغل حيـزاً، فيكـون[2] خـالق الجـواهـر اللطائف والكثائف، ومركب اللطائف بالكثائف يقبـل عرضـاً ويشغل حيـزاً كلاً».

فصرحتم بأنه جوهر لا يقبل عـرضاً، وقلتم: «ليس في المـوجود[3] شيء إلاَّ وهو إما جوهر وإما عرض، فإن كان قائماً بنفسه غير محتـاج في وجوده إلى غيره، فهو الجوهر، وإن كان مفتقراً في وجوده إلى[4] غيره، لا قوام له بنفسه، فهو العَرَضَ».

فيقال لكم: الابن القديم الأزلى المولود[5] من جوهر أبيـه، الذي هو مولود غير مخلوق، الذي تجسد ونـزل، [6]جوهـر قائم بنفسه؟ أم هو عرض قائم بغيره؟ والموجود عندكم: إما جوهر وإما عرض.

فإن قلتم: هو جوهر. فقد صرحتم بإثبات جوهرين: الأب جوهر، والابن جوهر، ويكـون حينئذ أقنـوم الحياة جـوهراً ثـالثاً، فهـذا تصريـح بإثبات ثلاثة جواهر، قائمة بنفسها[7]. وحينئذ فيبطل قولهم: «إنه إلّه واحد، وإنه أَحَدِي الذات، ثلاثي الصفات، وإنه واحد بالجوهر، ثـلاثة بـالأقنوم» إذ كنتم قد صـرحتـم ـ على هذا التقدير ـ بإثبات ثلاثة جواهر.

---

(١) في ط زيادة (هذه).
(٢) في ك (فكيف).
(٣) في ط (الوجود).
(٤) في ط (ال).
(٥) في ك و ط (الموجود).
(٦) في ك و ط زيادة (هو).
(٧) في ك و ط (بأنفسها).

وإن قلتم: بل الابن[1] القديم الأزلي، الذي هو الكلمة، التي هي العلم والحكمة، عرض قائم بجوهر الأب، ليس هو جوهراً ثانياً، فقد صرحتم بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض، وقد أنكرتم هذا في كلامكم، وقلتم: «هو جوهر لا تقوم به الأعراض» وقلتم: «إن من المخلوقات جواهر[2] لا تقوم بها الأعراض، فالخالق أولى» وهذا تناقض بيِّن، لا حيلة فيه لمن تدبر كلامهم، أوله وآخره.

فإن كلامهم هذا يوجب أنه جوهر واحد، لا يقوم به شيء من الأعراض.

وهم يقولون: «جوهر واحد، ثلاثة أقانيم» وسواء[3] سموها صفات أو خواص أو أعراضاً[4]، أو قالوا: الأقنوم هو الذات والصفة. فيقال لهم: الرب مع الأقانيم، ثلاثة جواهر، أو جوهر واحد له ثلاث صفات، أو جوهر[5] لا صفة له؟ فإن قالوا: ثلاثة جواهر، أثبتوا ثلاثة، وبطل قولهم: «إن الرب جوهر واحد، وإله واحد» وصرحوا[6] بإثبات: ثلاثة آلهة.

وإن قالوا: بل جوهر واحد له ثلاث صفات، فقد صرحوا أن هذا الجوهر تقوم به الصفات، وإذا قامت به الصفات ـ وقد سموه جوهراً ـ وقالوا: «كل موجود إما جوهر، وإما عرض» لزمهم قطعاً أن تكون صفاته

---

(١) في أ و ك (الأب) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.

(٢) في أ (في المخلوقات وقلتم هو جوهر) وفي ك (في المخلوقات جوهر لا يقوم) والأصح ما في ط ولذلك أثبتناه.

(٣) محل هذه الكلمة بياض في أ بمقدار كلمة وقد أثبتناها من ك و ط.

(٤) في أ و ك (أعراض) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.

(٥) في ط زيادة (واحد).

(٦) في أ (وخرجوا) وقد أثبتنا ما في ك و ط.

أعراضاً فبطل قولهم: «إنه جوهر لا يقوم[1] به الأعراض»، وإن قالوا: جوهر واحد، لا تقوم به الصفات[2] بطل قولهم: «له حياة ونطق» وإذا نفوا الصفات، أبطلوا التثليث والاتحاد، وبطلت الأمانة مع مخالفتهم لكتب الأنبياء، فإنها مصرحة بإثبات الصفات، ومع مخالفتهم لصريح العقل[3].

والمقصود أنهم يتناقضون تناقضاً بيناً، لأنهم أثبتوا جوهراً لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: «الموجود إما جوهر وإما عرض» ومع قولهم: «إنه جوهر ثلاثة أقانيم» فإذا لم تقم به الأعراض، لم يكن له صفات، فإن الصفة قائمة بغيرها، ليست جوهراً، بل هي ــ إذا كان الموجود إما جوهر وإما عرض ــ من قسم الأعراض، لا من قسم الجواهر، فكان هذا الكلام نافياً لقيام الصفات به مطلقاً.

ثم قالوا بالأقانيم التي توجب إما إثبات صفات، وإما إثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها، مع أنها إذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات. ولا ريب أن القوم يجمعون في قولهم بين النقيضين، بين إثبات الصفات ونفيها، وبين إثبات ثلاثة جواهر، ثلاثة آلهة، وبين قولهم. الإلَـه الواحد[4].

وسبب ذلك: أنهم رَكَّبُوا لهم اعتقاداً، بعْضَه من نصوص الأنبياء المحكمة، كقولهم: «إلَـه[5] واحد» وبعضه من متشابه كلامهم، كلفظ

(١) في ك و ط (تقوم).
(٢) في ط زيادة (بحال).
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بصريح) بالباء في أوله واللام أولى.
(٤) في ك و ط (واحد).
(٥) في ط (الإلَه).

(الابن) و (روح القدس)، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين، كقولهم: «جوهر لا تقوم به الصفات»[1].

ومما يوضح ذلك أنك تجد عامة علماء النصارى ــ فضلاً عن عامتهم ــ لا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره، مع اتفاقهم على أن المسيح لم ينسخها كلها، ولم يقرها كلها، بل أخبرهم أنه إنما جاء ليتمها لا ليبطلها[2]، وقد أحل بعض ما حرم فيها، كالعمل في السبت.

ومعلوم أن المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا، فإذا كان عامة النصارى لا يميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به، ولا ما نهاهم عنه مما لم ينههم عنه ــ مع اعترافهم بأنه أقر كثيراً من شريعة التوراة، بل أكثرها، وأحل بعضها فنسخه ورفعه، وهم لا يعرفون هذا من هذا، لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح، ولا يعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الأنبياء ــ فإنهم لا يجوز لهم العمل بكل ما في التوراة، بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم، واتفاق المسلمين على ذلك.

ولا يجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة، بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح. وعامتهم لا يعرفون ما نسخه مما

---

(١) سبق وأن ناقش الشيخ المؤلف في كتابه هذا تلك المسألة، في أكثر من موضع بحسب ما يتطلبه الأمر في حينه، وبقدر ما يخدم الموضوع الذي يكون بصدده.
انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) ١/ ٢٤١ وما بعدها؛ وانظر الفصل الذي عقده بعنوان: «فصل في بطلان التثليث» ٢/ ٩٠ وما بعدها، فقد توسع فيه وفصل كثيراً، ثم أتبعه بفصول أخرى من أجل الغرض نفسه. وانظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/ ١٥٢ من طبعتنا هذه.

(٢) في ط (ليطلبها).

لم ينسخه، فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع، حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ.

وعامتهم لا يعرفون ذلك، فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله، لا من جهة المسيح، ولا من جهة موسى، فلم يعلموها[1]، بل كان ذلك مجهولاً عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم، فكانوا محتاجين إلى أن يعرفوا ما شرعه الله مما لم يشرعه. فأرسل الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشرع أمر فيه بمحاسن ما في الكتابين، وعوض[2] عما نسخه بما هو خير منه.



(١) في أ و ك (يعلمونها) وهو خطأ نحوي.
(٢) في أ (عرض) وما في ك و ط أولى.

فصل

نقض دعواهم: الاستغناء باليهودية والنَّصرانية من ١٢ وجهاً

ثم قالوا[١]: «إنا نعجب من هؤلاء القوم[٢]، الذين مع أدبهم وما يأخذون به أنفسهم من الفضل، كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان: شريعة عدل، وشريعة فضل، لأنه لما كان الباري عدلاً وجواداً، وجب أن يظهر عدله على خلقه. فأرسل موسى إلى بني إسرائيل، فوضع شريعة العدل، وأمرهم بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم. ولما كان الكمال الذي هو الفضل، لا يمكن أن يضعه إلَّا أكمل الكُمَّال، وجب أن يكون هو ــ تقدَّست أسماؤه وجلت آلاؤه ــ الذي يضعه، لأنه ليس شيء أكمل منه، ولأنه جواد[٣]، وجب أن يجود بأجلِّ الموجودات. وليس في الموجودات أكمل من كلمته، لذلك وجب أن يجود بكلمته، فلهذا وجب أن يجود بكلمته، فلهذا وجب أن يتحد بذات محسوسة، يظهر منها قدرته وجوده. ولما لم يكن في المخلوقات أجل من الإنسان، اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة، من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين. وبعد هذا الكمال ما تبقى[٤] شيء يوضع، لأن

---

(١) القائلون هم النصارى.

(٢) هم المسلمون.

(٣) في أ (جعلاً) وقد صوبناه من ك و ط. مع أن الناسخ قد كتب فوقها لعله (جواد) في أ.

(٤) في ط (بقي).

جميع ما يتقدمه[1] وما يأتي مقتضيه[2]، وما يأتي بعد الكمال غير محتاج إليه، لأن[3] ليس شيء يأتي بعد الكمال فيكون فاضلاً[4]، بل دون[5]، أو أخذ منه. فهو فاضل لا يحتاج إليه، وفي هذا القول نفع[6]. والسلام على من اتبع الهدى. وهذا مما عرفته من أن القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد ـ عليه[7] السلام ـ وما يحتجون به عن أنفسهم، فإن يكن ما ذكروه صحيحاً، فللَّه الحمد، وإن كان[8] خلاف ذلك، فمولانا يكتب ذلك، فقد[9] جعلوني[10] سفيراً، والحمد لله رب العاملين»[11].

والجواب على[11] هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: بل الشرائع ثلاثة، شريعة عدل فقط، وشريعة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل، فتوجب العدل، وتندب إلى الفضل، وهذه أكمل الشرائع الثلاث، وهي شريعة القرآن، الذي

(١) في ط (تقدمه).
(٢) في ك و ط (منقصة).
(٣) في ك و ط (لأنه).
(٤) في أ و ك (فاضل) والصواب ما في ط ولهذا اعتمدناه.
(٥) في ط (دونا) بالنصب.
(٦) في ط (مقنع).
(٧) في ط (الصلاة والسلام).
(٨) في ط (يكن).
(٩) في ك و ط (بعد أن).
(١٠) المتحدث هو: بولس الأنطاكي.
(١١) من قوله: وهذا مما عرفته.. إلى هذا الموضع، هو من كلام رجل يظهر لي أنه مسلم، وأنه كان يقوم بنقل ما يكتبه النصارى للشيخ المؤلف ليرد عليه.
(١٢) في ك و ط (عن).

جمع[1] فيه بين العدل والفضل، مع أنا[2] لا ننكر أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ أوجب العدل وندب إلى الفضل، وكذلك المسيح ـ أيضاً ـ أوجب العدل وندب إلى الفضل.

وأما من يقول: إن المسيح أوجب الفضل وحرم على كل مظلوم أن يقتص من ظالمه، أو أن موسى لم يندب إلى الإحسان، فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين. لكن قد يقال: إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال.

والقرآن بَيّن أن السعداء أهل الجنة، وهم[3] أولياء الله، نوعان: أبرار مقتصدون، ومقربون سابقون. فالدرجة الأولى: تحصل بالعدل، وهي أداء الواجبات وترك المحرمات. والثانية: لا تحصل إلَّا بالفضل، وهو أداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

فالشريعة الكاملة، تجمع العدل والفضل، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ . . .﴾[4].

فهذا عدل واجب، من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة.

ثم قال:

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) في ك و ط (يجمع).

(٢) في ط (أننا).

(٣) في ط (فهم).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

فهذا فضل مستحب مندوب إليه، من فعله أثابه الله ورفع درجته، ومن تركه لم يعاقبه.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾[1].

فهذا عدل.

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿ ... إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ... ﴾[1].

فهذا فضل.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾.

فهذا عدل.

ثم قال:

﴿ ... فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ... ﴾[2].

فهذا فضل.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ... ﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ . . . ﴾[1].

فهـذا فضـل.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ . . . ﴾.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[2].

فهـذا فضـل.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ . . . ﴾.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ . . . ﴾[3].

فهـذا فضـل.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.

وهو ـ سبحانه ـ دائماً يحرم الظلم، ويوجب العدل ويندب إلى الفضل، كما في آخر سورة البقرة، لما ذكر حكم الأموال. والناس فيها، إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم. فالمحسن؛ المتصدق، والعادل؛ المعاوض كالبايع، والظالم كالمرابي(١).

فبدأ بالإحسان والصدقة، فذكر ذلك ورغب فيه فقال:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ . . .﴾(٢) الآيات.

ثم ذكر تحريم الربا، فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾(٣).

ثم لما أحل البيع ذكر المداينات(٤)، وحكم البيع الحالّ والمؤجل، وحِفْظَ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن، وختم السورة بأصول

---

(١) في ك (المربي).
(٢) سورة البقرة: الآيات ٢٦١ ـ ٢٦٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.
(٤) في ك و ط زيادة (ذكر).

الإيمان، من الإيمان بالكتب والرسل، وهو ـ سبحانه[1] ـ بعد أن افتتحها، بذكر[2] أصناف الناس وهم ثلاثة: إما مؤمن وإما كافر وإما منافق. فذكر نعت المؤمنين، ثم ذكر نعت الكافرين، ثم ذكر نعت المنافقين. ثم مهد أصول الإيمان، فأمر بعبادة الله ـ تعالى ـ وذكر آياته وآلائه[3]. ثم قرر نبوة رسله[4]، ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد، ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والأرض، ثم خلق آدم وإسجاد الملائكة له، وخروجه من الجنة، وهبوطه إلى الأرض.

ثم بعد أن عم بالدعوة جميع الخلق، خص أهل الكتاب فخاطبهم: خاطب اليهود أولاً بني إسرائيل، ثم النصارى، ثم خاطب المؤمنين، فقرر لهم قواعد دينه، فذكر أصل ملة إبراهيم، وبناءه للبيت، ودعاءه لأهل مكة، ووكد الأمر بملة إبراهيم، ثم ذكر ما يتعلق بالبيت، من اتخاذه قبلة، ومن تعظيم شعائر الله التي عنده، كالصفا والمروة، ثم ذكر التوحيد والحلال والحرام والمطاعم[5] للناس عموماً، ثم للذين آمنوا[6] خصوصاً.

ثم ذكر ما يتعلق بالقتل من القصاص، وبالموت من الوصية. ثم

---

(١) لم ترد جملة (هو سبحانه) في ط. وهي في ك مشطوبة.

(٢) في ط زيادة (بذلك) وفيها وفي ك (وذكر).

(٣) «آلاء الله» هي نعمه على الإنسان مطلقاً بدون تقييد.
انظر: البحر المحيط ٤/٣٢٥ لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ـ ٧٥٤هـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

(٤) في ك و ط (رسوله).

(٥) في ط (في المطاعم).

(٦) في ك زيادة (ثم).

ذكر شرائع الدين، فذكر صيام شهر رمضان، وما يكون فيه من الاعتكاف. ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام، وهو أشهر الحج، فذكر الحج، وذكر حكم القتال عموماً وخصوصاً، في البلد الحرام. ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج. فذكر أحكام وطء[1] النساء، والْحُيَّض، والإيلاء منهن[2]، والطلاق لهن، واختلاعهن. وذكر حكم الأولاد وإرضاعهم، واعتداد النساء، وخطبتهن في العدة، وطلاقهن قبل الدخول وبعده. ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن، ثم قرر المعاد، وما يدل عليه من إحياء الموتى في الدنيا مرة بعد مرة.

فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين، وأصوله[3] وفروعه، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسل، ووسطها بالإيمان بالكتب والرسل، وختمها بالإيمان بالكتب والرسل. فإن الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه[4].

وأمر فيها الخلق عموماً وخصوصاً[5]، وذكر فيها الإيمان بالخالق وآيات ربوبيته، والإيمان بالمعاد والدار الآخرة، والأعمال الصالحة التي أمر بها، وأن[6] من كان من أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى

(١) في أ (الوطىء) وعدم التعريف أولى وهو ما أثبتناه من ك و ط.
(٢) الإيـلاء: هو أن يحلف الرجل أن لا يجامع امرأته للإضرار بها.
انظر: صفوة التفاسير ٢/١٤٥.
(٣) بدون عطف في ك و ط.
(٤) جِمَاعُه: أي جَمْعُه. المصباح ١٠٩.
(٥) في ك و ط زيادة (بعد عموم).
(٦) في ط (وإن).

والصابئين[1] قائماً بهذه الأصول: وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[2].

بخلاف من بدل منهم الكتاب، أو كذب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار. فمن كان متبعاً لشرع التوراة قبل مبعث المسيح، غير مبدل له فهو من السعداء. وكذلك من كان متبعاً لشرع الإنجيل قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ غير مبدل له فهو من السعداء. ومن بدل شرع التوراة أو كذب بالمسيح فهو كافر، كاليهود بعد مبعث المسيح ــ عليه السلام ــ . وكذلك من بدل شرع الإنجيل أو كذب محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فهو كافر، كالنصارى بعد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل، سعدوا[3]، وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتب[4] والرسول الذي أرسل إليهم وإلى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم، فهم كفار.

---

(١) من **صبأ الرجل**: إذا مال وزاغ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، وهم يعتقدون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالة. ووسطاؤهم «عاديمون» و «هرمس».
انظر: الملل والنحل ٢/٥ ــ ٦.

(٢) هذا اقتباس من الآية ٦٢ من سورة البقرة.

(٣) في ك و ط (سعداء).

(٤) في ك و ط (الكتاب).

وَرَدَّ دعاوى اليهود والنصارى الكاذبة، مثل قول هؤلاء:

﴿... لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ...﴾[1].

وقول هؤلاء: لن يدخل الجنة إلّا من كان نصارى، فقال:

﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾[2].

وبين من كُفْر اليهود والنصارى، مما[3] عرف بهم حالهم.

لكن أكثر ما ذكر في هذه السورة: اليهود، كما أن أكثر ما ذكر في سورة آل عمران النصارى، فإن هذه نزلت أول مَقْدَمِه المدينة، وكان اليهود جيرانه. وآل عمران تأخر نزولها إلى آخر الأمر، لما قدم عليه نصارى[4] نجران[5]، وفيها فرض الحج، لما طهَّر الله مكة من المشركين، فكان أكثر دعائه[6] في أول الأمر للمشركين، لأنهم جيرانه[7] ــــــــــــــــــ

(١) سورة البقرة: **الآية ١١١**.

(٢) سورة البقرة: **الآية ١١٢**.

(٣) في ك و ط (ما)..

(٤) في ط زيادة (وفد).

(٥) **نجران**: من مخاليف (مناطق) اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود، وإليها تنسب كعبة نجران، وكان بها أساقفة مقيمون منهم «السيد» و«العاقب» حتى أجلاهم عمر ــ رضي الله عنه ــ عنها.
انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١٣٥٩/٣ لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ــ ٧٣٩هـ ت: علي محمد البجاوي، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

(٦) أي: دعوته لهم للإسلام.

(٧) من هنا سقطت من أ جملة: (بمكة ثم لليهود لأنهم جيرانه). وهو سقط ظاهر، والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

بمكـة[1]، ثم لليهود لأنهم جيرانه بـالمدينة[2]، ثم للنصارى لأنهم كانوا أبعـد عنه من نـاحية الشـام[3]، واليمن[4]، والمجوس أيضـاً لأنهم كانوا أبعد عنه بأرض العراق وخراسان[5].

وهـذا هو التـرتيب المناسب، يـدعـو الأقـرب إليه فـالأقـرب، ثم يـرسل رسله إلى الأبعـد. وهو ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ كـان ــ أولاً ــ مشغـولاً بجهـاد المشـركين واليهـود. فلمـا صـالـح المشـركين صلح

---

(١) مكـة: هي بيت الله الحـرام، فيهـا الكعبـة القبلة التي يتـوجـه المسلمـون إليهـا في صلاتهم من سائر الآفاق، سميت مكة لأنها تَمُكّ أعناق الجبابرة: أي تذهب نخوتهم وتـذلهم، وهي مدينـة في وادٍ بين جبلين مشرفين عليهـا من نواحيهـا، وهي محيـطة بالكعبة، والكعبة في وسط المسجد، والأبنيـة والدور محيـطة بالمسجـد، وهي حارة في الصيف، إلَّا أن ليلها طيب.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٣٠٣.

(٢) هي مدينة يثرب، وهي مدينة الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي في حرة (أرض ذات حجـارة سود) سبخـة (ملحة)، وبهـا مسجـد النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وقبره. المصدر السابق ٣/١٢٤٧.

(٣) بسكون همزتـه. أو فتحها أو بـدون همزة، وكـان اسمها الأول «سـورى» وحدهـا من الفرات إلى العريش طولاً، وعرضاً من جبلي طيء إلى بحر الروم.
المصدر السابق ٢/٧٧٥.

(٤) سميت اليمن لتيامنهم إليها لما تفرقت العـرب من مكة، والبحـر محيط بأرض اليمن من المشـرق إلى الجنوب، ثم راجعـا إلى الغرب، يفصـل بينها وبين بـاقي جـزيـرة العرب خط يأخـذ من بحر الهنـد إلى بحر اليمن عـرضاً في البـرية من المشـرق إلى جهة الغرب.
المصدر السابق ٣/١٤٨٣.

(٥) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخـر حدودها مما يلي الهنـد، ومن أمهات بلادها نيسابور وهرات ومرو.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٤٥٥.

الحديبية[1]، وحارب يهود خيبر[2] عقيب ذلك، ففتحها الله عليه، وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة: الذين شهدوا صلح الحديبية، تفرغ[3] لمن بَعُدَ عنه، فأرسل رسله إلى جميع من حواليه من الأمم.

أرسل إلى ملوك النصارى بمصر[4] والشام والحبشة[5]، فإنه كان

---

(١) **الحديبية** ـ بتخفيف الياء الثانية وتثقيلها ـ هي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ـ والشجرة سمرة بأرض الحديبية ـ التي بايع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أصحابه عندها، وبينها وبين مكة مرحلة (والمرحلة المسافة التي يقطعها المسافر على مطيته في نحو يوم) وهي أبعد الحل عن البيت.
والصلح هو أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ خرج معتمراً لا يريد حرباً في ذي القعدة سنة ٦هـ، وكان المسلمون ألفاً وأربعمائة رجل، حتى نزل بوادي الحديبية، وصالح قريشاً على الرجوع عن مكة، والعودة إليها في السنة القادمة لأجل العمرة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٢١/٧ لإسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤هـ دار الشعب، القاهرة. والسيرة النبوية لابن هشام ٣٢٦/٣ ـ ٣٣٧ عبد الملك بن هشام ٢١٨هـ، ت: مصطفى السقا وغيره، ط مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م؛ والمصباح المنير: ٢٢٣؛ ومراصد الاطلاع ٣٨٦/١.

(٢) خيبر: هو الموضع المشهور الذي غزاه النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على الطريق من المدينة إلى الشام، والخيبر: ـ بلغة اليهود ـ (الحصن) وهي الآن إمارة تابعة من حيث الترتيب الإداري لإمارة حائل وتتكون من مجموعة من القرى منها (الشُّريف) ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة وأكثر أهلها من (عَنَزَة) من البدو الرحل.
انظر: مراصد الاطلاع ٤٩٤/١؛ وفي شمال غرب الجزيرة: ٢٧٤ لحمد الجاسر، ط ١، دار اليمامة الرياض ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

(٣) في ط (فتفرغ).

(٤) مصر من أشهر أقطار الدنيا، وأقدمها ذكراً في التاريخ، وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم، موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا، وهي عبارة عن وادٍ ضيق محصور بين سلسلتي جبال، وسميت باسم من أحدثها: وهو مصر بن مطريم بن حام بن نوح.
انظر: دائرة معارف وجدي ١٥/٩؛ ومراصد الاطلاع ١٢٧٨/٣.

(٥) تقع في شمال أفريقيا الشرقي، وهي هضبة مرتفعة تعلوها جبال شامخة كثيرة الوعورة =

قـد مات ملك الحبشـة النجاشي الـذي أسلم، وأخبر النـاس بموتـه يوم مـات، وخرج بـأصحابـه إلى ظاهـر المـدينـة، فصلى عليـه بهم صـلاة الجنـازة، كما كـان يصلي على سائـر مـوتى المسلمين[1]. وتـولى بعـد النجـاشي آخـر، فـأرسـل إليـه[2] كمـا ذكـره مسلم[3] في صحيحـه[4]. وأرسـل إلى ملوك اليمن من المشركين واليهـود، وإلى ملوك العـرب[5]. وكـان في العـرب خَلْق كثيـر يهـود، وخَلْق كثيـر نصـارى، وخَلْق كثيـر مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجـوس والمشركين، عربهم وعجمهم.

= صعبة المسالك، وبها نهيرات كثيرة وأشهرها النيل الأزرق والعطبرة.
انظر: دائرة معارف وجدي ٣/٢٩٨.

(١) رواه البخـاري، كتاب منـاقب الأنصار، بـاب مـوت النجـاشي ٧/١٩١، (٣٨٧٧ ـ ٣٨٨١) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبيـر على الجنازة ٢/٦٥٦ ـ ٦٥٨ (٩٥١ ـ ٩٥٣).

(٢) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إلى ملوك الكفار... ٣/١٣٩٧ (١٧٧٤) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار إحياء التراث العربـي، بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

(٣) هـو ابن الحجاج بن مسلم القشيـري النيسابـوري، ثقـة حـافظ إمـام مصنف، عـالم الفقه، مات سنة ٢٦١هـ وله سبع وخمسون سنة.

انظر: تقريب التهـذيب ٢/٢٤٥؛ وسير أعـلام النبلاء ١٢/٥٥٧ ـ ٥٨٠؛ وطبقـات الحفاظ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٤) في ك و ط زيادة (وغيره).

(٥) العرب قسمان: العـرب القحطانيـة باليمن، والعـرب العدنـانية بـالحجاز ومـا يليها. فالبائدة من العرب: هم عاد وثمود والعمالقة... إلخ، ويقال لهم: العـرب العاربـة، والعرب الباقية هم القحطانيون باليمن، وهـم خـارج اليمن تسعة عشـر قبيلة، والقسم الثاني: من العرب الباقية هم العدنانيون، وهم ذرية إسمـاعيل بن إبـراهيم ـ عليهما السلام ـ وهـم قسمان: بنو معد وبنو عك.

انظر: البداية والنهاية ٢/١٨٤ ـ ١٨٥؛ ودائرة معارف وجدي ٦/٢٣٢ ـ ٢٤٥.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران:

أحدهما: أنه يرجع إلى محض المشيئة، لا يعتبر فيه أن يكون المأمور به مصلحة للخلق، وإن اتفق[1] أن يكون مصلحة، وإن كان الواقع كونه مصلحة، وهذا قول من يقول: لا يفعل ولا يحكم بسبب[2] ولا لحكمة ولا لغرض.

والقول الثاني: ـ وهو قول جمهور الناس ـ إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[4].

فإن قيل بالأول: لم يُسأل عن حكمة إرسال الرسل، وإن قيل بالثاني: ففي إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الحكم

---

(١) اتفق: بمعنى صادف.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٤/٦٣٨.

(٢) في ك و ط (لسبب).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٤) سورة طه: الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦.

والمصالح أعظم مما كان في إرسال موسى والمسيح، والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ما حصل بإرسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق. فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين، وتيسير[1] الله من اتباع الخلق[2] له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها، ومن جهة كثرة من قَبِلَها، وكمال قبولهم لها. بخلاف شريعة من قبله، فإن موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بُعث إلى بني إسرائيل[3]، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته، ما هو معروف[4]. وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ما تقدم[5].

ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن، فإن القرآن

---

(١) في ط (ويسر).

(٢) في أ (الحق) والأصوب ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٣) هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان موطن إسحاق (حبرون) أو (قرية أربع) وهي مدينة الخليل اليوم، وتزوج إسحاق (رفقا) ابنة عمه (ناهر بن آزر) فولدت له (عيص) و (يعقوب) ثم رحل يعقوب إلى خاله (لابان) في العراق، وتزوج ابنتيه «ليا» و (راحيل) جميعاً وكان ذلك مباحاً ثم رجع إلى (أرض كنعان) وأبناؤه اثنا عشر وهم: رؤوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٣١٦/١ ـ ٣٢١ وما بعدها. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان بيروت، ومروج الذهب ٤٦/١ ـ ٤٧؛ والكامل ٧١/١ ـ ٧٢.

(٤) كما جاء في سورة الأعراف: الآيات ١٣٨ ـ ١٤٠ و ١٤٨ و ١٦٢ ـ ١٦٣ و ١٦٥ ـ ١٦٦ و ١٦٩؛ وسورة الصف: الآية ٥؛ وفي مواضع أخرى.

(٥) راجع الجواب الصحيح ٤٤/٢ و ٢٢٥ طبعة المدني حيث ذكر الحاكي عن النصارى: أن الذين ظلموا هم اليهود ـ بلا شك ـ فهم الذين سجدوا لرأس العجل، وكفروا بالله ـ سبحانه ـ مراراً كثيرة ليست واحدة، وقتلوا أنبياءه ورسله، وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين... إلخ.

فيه[1] ذكر المعاد، وإقامة الحجج عليه وتفصيله، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في التوراة. وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يذكر في التوراة. وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته، ووصف ملائكته وأصنافهم، وخلق الإنس والجن، ما لم يفصل مثله في التوراة. وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة، ما لم يذكر مثله في التوراة وفيه من ذكر أديان أهل الأرض، ما لم يذكر مثله في التوراة. وفيه من مناظرة المخالفين[2]، وإقامة البراهين على أصول الدين، ما لم يذكر مثله في التوراة مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة. وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات، وتحريم الخبائث. وشريعة التوراة، فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حرمت عليهم عقوبة لهم. وفي شريعة القرآن، من قبول الدية في الدماء[3]، ما لم يشرع في التوراة، وفيها من وضع الآصار[4] والأغلال التي في التوراة ما يظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل.

وأما الإنجيل، فليس فيه شريعة مستقلة، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر. ولكن أحل[5] المسيح بعض ما حُرم عليهم، وأمرهم

---

(١) في ك و ط زيادة (من).

(٢) في ط زيادة (للرسل).

(٣) دَمَّ فلاناً: عذبه عذاباً تاماً، وشدخ رأسه، وشجه وضربه.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٢١٤.

(٤) جمع أصر: وهو العبء الذي يأصر حامله: أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاق.
انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٤٠٨ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة. بيروت.

(٥) في ط زيادة (لهم).

بالإحسان والعفو عن الظالم[1] واحتمال الأذى، والزهد في الدنيا، وضرب الأمثال لذلك.

فعامة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد[2] المستحب، وتحليل بعض المحرمات، وهذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل. فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن، أو ما هو أفضل منه. وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين. لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل، بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء، كما وضعوا لقسطنطين (الأمانة)، ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها[3] القوانين، فيها بعض ما جاءت به الأنبياء، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء، وصاروا إلى كثير من دين المشركين، الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، وكذبوا رسله، فصار في دينهم من الشرك وتغيير[4] دين الرسل ما غيروا به شريعة الإنجيل، ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الإنجيل بغيرها، فلا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره، ولا ما شرعه مما أحدث بعده.

فالمسيح لم يأمرهم بتصوير[5] الصور وتعظيمها، ولا دعاء من صورت تلك التماثيل على صورته، ولا أمر بهذا أحد من الأنبياء.

---

(١) في ك و ط (المظالم).
(٢) في أ (المزهد) وقد صوبناه من ك و ط.
(٣) في ك و ط (ويسمونها).
(٤) في ك و ط (وتغير).
(٥) في ط (بنصب).

لا يوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع[1] بهم، ولا بدعاء الموتى من الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم، فضلاً عن دعاء تماثيلهم[2] والاستشفاع بها، فإن هذا من أصول الشرك، الذي نبهت عليه[3] الرسل، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح ـ عليه السلام[4] ـ .

قال الله ـ تعالى ـ عن قوم نوح:

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[5] ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[6].

قال كثير من العلماء، منهم ابن عباس[7] وغيره: وهؤلاء كانوا قوماً

---

(١) هو طلب الشفاعة. والشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذِمَام أي عهد وأمان وضمان.
انظر: المصباح المنير ٢١٠ و٣١٧. لأحمد بن علي المقري الفيومي ـ ٧٧٠هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) هي الصور التي صورت وعملت على أمثال خلقهم، حتى كأن الناظر إليها يشاهد ذواتهم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط، باب الميم ٢٠٣/٤.

(٣) في ط (نهت عنه).

(٤) لم يرد التسليم على نوح في أ ولا ك.

(٥) هؤلاء نفر من بني آدم، كان لهم أتباع، فلما ماتوا صوروهم، ليكون أشوق لهم إلى العبادة إذا ذكروهم، فلما ذهبوا جاء آخرون فقال لهم إبليس: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.
انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٨/٢٩ ـ ٩٩ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠هـ، ط ٣، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

(٦) سورة نوح: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أحد المكثرين من =

صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم[1]، وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يأمرهم بعبادته ولا قال: إنه الله، ولا[2] بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد. والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ما حرمه الله في التوراة من الخبائث، كالخنزير[3] وغيره، فاستحلوا الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والإنجيل. والمسيح لم يأمرهم بأن[4] يصلوا إلى المشرق، ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب[5]، ولم

= الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة، ومات سنة ٦٨هـ بالطائف.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٥؛ وأسد الغابة ٣/١٨٦ ـ ١٩٠؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٣٣١ ـ ٣٥٩.

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير باب: «. . . وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق» فتح الباري ٨/٦٦٧ (٤٩٢٠) بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ٢٥٦هـ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩/٩٩.

(٢) في ط زيادة (أمرهم).

(٣) **الخنزير**: حيوان ثديي قذر، يرتع في القذى (الوسخ) رتوعاً مفرطاً، وهو طويل الوقوف على أرجله ما لم يمش كثيراً أو يسمن، وهو يصاب في كثير من الأحيان بديدان تمر منه إلى من يأكل لحمه، منها دودة «تريشين».
انظر: دائرة معارف وجدي ٣/٦٩٧.

(٤) في ك و ط (أن).

(٥) للصليب ثلاثة نماذج رئيسة: أحدها صليب أندرادس وهو على شكل × علامة ضرب، والثاني + على شكل علامة جمع. والثالث بشكل السيف وهو المعروف بالصليب اللاتيني، ولعل الصليب المنسوب إلى المسيح كان من الشكل الأخير كما يظن الرسامون. وإلى ما بعد المسيح كان الصليب علامة الذل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الإهانة، ولكن بعد أن افتخر بولس بدعوى صلب المسيح أصبح النصارى ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٥٤٦.

يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية(١) ولا بسائر ما ابتدعوه(٢) بعده.

ولهذا لما ظهر فساد دين النصارى، صار بعض الناس، كأبي عبد الله الرازي يقول: «لم يظهر الانتفاع بدين المسيح، إلاَّ في طائفة قليلة كانوا قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارى، ليس هو دين المسيح(٣)».

وتبيُّن(٤) هذا:

بالوجه الثالث: وهو أن يقال: هب(٥) إن شريعة الكتابين كانت كافية، فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولاً بها، ولم يكن الأمر كذلك، بل كانت قد درس(٦) كثير من معالمها.

وقد اختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافاً عظيماً كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) روى الطبري بإسناده حديثاً مرفوعاً: أن أهل الرهبانية «فرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى الله ودين عيسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها..» وقال قتادة: «ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع».
انظر: جامع البيان ٢٧/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) غلب استعمال «بدعة» فيما هو نقص في الدين أو زيادة. المصباح المنير: ٣٨.

(٣) لعل الشيخ قد نقله بالمعنى الذي وجدته في كتاب: أصول الدين ١٠٤، للفخر الرازي ـ ٦٠٦هـ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. وقد بحثت عنه في أغلب كتب الرازي المطبوعة، ومن بينها تفسيره الكبير.

(٤) في ط (يبين).

(٥) هبني فعلت: أي احسبني واعددني ـ كلمة للأمر فقط.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٤/٦٦١.

(٦) أي: عفا وخفيت آثاره.
انظر: المصباح المنير ١٩٢.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وقد قال ــ تعالى ــ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾.

أي فاختلفوا.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ . . . ﴾[2].

والوقت الذي بعث الله[3] فيه محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يكن قد بقي أحد[4] مظهراً لما بعث الله به الرسل قبله.

فبعثه على حين فترة[5] من الرسل، وطموس[6] من السبل، أحوج ما كان الناس إلى رسول، كما في صحيح مسلم عن عِياض بن حِمار قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهل الكتاب»[7].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك ولا ط، وإنما بنى الفعل للمفعول.

(٤) في ك (أحداً) بالنصب.

(٥) **الفترة**: هي الانقطاع وهو السكون بعد الحركة في الأجرام، ويستعار للمعاني.
انظر: البحر المحيط ٣/٤٤٣.

(٦) أي: إمحاء واندراس.
انظر ترتيب القاموس المحيط ٣/٩٧.

(٧) سبق تخريجه ٢ / ٩٠ . رسالة دكتوراه د . علي بن حسن بن ناصر . من طبعتنا هذه.

وكان الناس حين مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إما أميين، لا كتاب لهم، يشركون بالرحمن، ويعبدون الأوثان[1][2]، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه، وحرفوا حلاله وحرامه، ولبَّسوا حقه بباطله، كما هو الموجود. فلو أراد الرجل أن يميز له أهل الكتاب ما جاءت به الأنبياء مما هم عليه مما أحدثوه بعدهم، لم يعرف جمهورهم ذلك، بل قد صار الجميع ـ عندهم ـ ديناً واحداً.

فبعث الله ـ تبارك وتعالى ـ محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالكتاب الذي أنزله عليه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً[3]، فميز به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والغي من الرشاد، قال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ

---

(1) الناس على ثلاثة أصناف: الذين لهم كتاب منزل محقق مثل: اليهود والنصارى، والذين لهم شبهة كتاب مثل: المجوس والمانوية، والذين لهم حدود وأحكام دون كتاب مثل: الفلاسفة الأولى والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة.
انظر: الملل والنحل ١/٣٧.

(2) جمع وثن وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره.
انظر: المصباح المنير ٦٤٧.

(3) في ط زيادة (عليه).
المهيمن على الشيء: هو المعنيُّ بأمره، الشاهد على حقائقه، الحافظ لحامله، فلا يدخل فيه ما ليس منه، والقرآن جعله الله مهيمناً على الكتب، يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف.
انظر: البحر المحيط ٣/٥٠١ ـ ٥٠٢.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[1].

إلى قوله:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

الوجه الرابع: إن شريعة التوراة تغلب[3] عليها الشدة، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة، بين هذا وهذا، كما قال ــ تعالى ــ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[4][5].

وقال في وصف أمته:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[6].

وقال ــ أيضاً ــ:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[7].

---

(١) هذه الآيات لم ترد في ك ولم تشر إليها.

(٢) سورة المائدة: الآيات ١٥ ــ ١٩.

(٣) في ك و ط (يغلب).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٥) في ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿... **لتكونوا شهداء على الناس**...﴾.

(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩. وبعدها في ط زيادة (إلخ).

(٧) سورة المائدة: الآية ٥٤.

فوصفهم بالرحمة للمؤمنين، والذلة لهم، والشدة على الكفار والعزة عليهم.

وكذلك كان صفة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نبيهم، أكمل النبيين وأفضل الرسل، بحيث قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبي الرحمة، وأنا نبي الملحمة، وأنا نبي التوبة، وأنا الضحوك القتال»(١)

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي: الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر: الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». فتح الباري ٦/٥٥٤ (٣٥٣٢). ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بلفظ قريب من هذا وبلفظ: «أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». ٤/١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ (٢٣٥٤ ـ ٢٣٥٥)، ورواه الترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بلفظ مقارب للفظ لبخاري ٥/١٣٥ (٢٨٤٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٩٧هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، شركة مكتبة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، ورواه مالك في الموطأ في كتاب أسماء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مرسلاً ٢/١٠٠٤ تصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ورواه الدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب في أسماء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢/٣١٧ نشر دار إحياء السنة النبوية طبع دار الكتب العلمية، بيروت. ورواه الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري بلفظ: «سمى لنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفسه أسماء: منها ما حفظناها فقال: «أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر، ونبي الرحمة». قال يزيد: «ونبي التوبة ونبي الملحمة». كما رواه عن حذيفة قال: «بينما أنا أمشي في طريق المدينة، إذا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمشي، فسمعته يقول: وأنا محمد وأنا أحمد، ونبي الرحمة ونبي التوبة، والحاشر والمقفي ونبي الملاحم». قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه سوء حفظ». الفتح الرباني، لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٠/١٨٨. مع مختصر شرحه بلوغ الأماني. . .، لأحمد بن عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ومجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، كتاب =

فوصف نفسه بأنه نبي الرحمة والتوبة، وأنه نبي الملحمة، وأنه الضحوك القتال. وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالباً، أو باللين غالباً. وقد قيل: بسبب[1] ذلك: أن بني إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت لقهر[2] فرعون لهم، واستعباد فرعون لهم، فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم، ويزول عنهم ذلك الذل.

ولهذا لما أمروا بالجهاد نَكَلوا[3] عنه، وقال لهم موسى:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

= علامات النبوة، باب في أسمائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٨/٢٨٤ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ٨٠٧هـ، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م. أما اسم (الضحوك القتال) فقد أورد الإمام السيوطي ـ ٩١١هـ في الخصائص ١/٧٨ طبعة سنة ١٣٢٠هـ بدائرة المعارف النظامية، بحيدرآباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت. ما أخرجه ابن فارس عن ابن عباس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «اسمي في التوراة: أحمد الضحوك القتال...» الحديث، قال السيوطي: «وقد ألفت كتاباً في شرح أسمائه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً، مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة».

(١) في ط (إن سبب).

(٢) في ط (يقهر).

(٣) النكول هنا معناه: الجبن والتأخر.
انظر: المصباح المنير ٦٢٥.

(٤) سورة المائدة: الآيات ٢١ ـ ٢٤.

وأما أصحاب[1] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقال له قائلهم يوم بدر[2]: والله لا نقول لك كما قال قوم موسى[3]:

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4].

«لكن نقاتل أمامك ووراءك، وعن يمينك وعن يسارك، والذي بعثك بالحق[5] لو استعرضت[6] بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ولو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد[7] لسرنا معك»[8].

---

(١) جمع صحابي: وهو من لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مؤمناً به، ومات على الإسلام.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٧/١ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣هـ ط ١، مصر ١٣٢٨هـ.

(٢) هو ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة المباركة في رمضان سنة ٢هـ معجم البلدان ٣٥٨/١؛ والسيرة لابن هشام ٢٦٣/٢.

(٣) في ط (كما قالت بنوا إسرائيل، قالوا لموسى).

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٤.

(٥) في ط زيادة (نبياً).

(٦) أي لو جئته من جانبه عرضاً لم نبالِ باقتحامه.
انظر: لسان العرب ١٧٧/٧، مادة: عرض، لمحمد بن مكرم بن منظور المصري ـ ٧١١هـ، دار صادر، بيروت.

(٧) موضع وراء مكة بخمس ليال، مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن وهو أقصى حجر ـ بلد باليمن ـ ، ومن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي.
انظر: معجم البلدان ٣٩٩/١.

(٨) السيرة لابن هشام ٢٦٦/٢ ـ ٢٦٧، وأصله من رواية البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم...﴾، فتح الباري ٢٨٧/٧ (٣٩٥٢)؛ ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ١٤٠٣/٣ ـ ١٤٠٤ (١٧٧٩)؛ والمسند للإمام أحمد ٢١٩/٣ ـ ٢٢٠.

وكـان الكلام قـريباً من (بـدر) والبحر من جهـة الغـرب. و (بِـرْك الغِماد) مكان من يماني مكة، بينـه وبين مكة عـدة ليال. والكفـار كانـوا ـ إذ ذاك ـ بمكـة، وأصحابـه من ناحيـة المدينـة شامي[1] مكـة، فمكة جنـوبهم، والبحر غـربهم. تقـول[2]: لـو طلبت أن نـدخـل بلد العـدو، ونذهب[3] إلى تلك الناحيـة لفعلناه. قـالوا: فلمـا نصر الله بني إسـرائيل وأظهـرهم، ظهرت فيهم الأحـداث بعد ذلـك وتجبروا، وقست قلوبهم، وصاروا شبهاً[4] بآل فرعـون فبعث الله المسيح ـ عليـه السلام ـ بـاللين والصفـح، والعفو عن المسيء، واحتمـال أذاه، ليلين أخلاقهم، ويـزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة.

فـأفرط هؤلاء في اللين، حتى تـركوا الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وتركـوا الحكم بين الناس بـالعدل وإقـامة الحدود، وترهَّب عُبَّادُهم منفردين. مع أن في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما أنزل الله، وسفك الدماء بغير حق، مما يأمـرهم به علماؤهم وعبادهم، ومما لم يأمروهم به، ما شاركوا فيه اليهود.

فبعث الله محمـداً ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بـالشـريعـة الكـاملة العادلة، وجعل أمته عدلاً خياراً لا ينحرفون إلى هذا الطرف ولا إلى هذا الـطرف، بل يشتـدون على أعداء الله، ويلينـون لأولياء الله، ويستعملون العفو والصفح، فيما كان لنفوسهم، ويستعملون الانتصار والعقوبة، فيما كان حقاً لله[5].

(١) في أ (شرقي) والصواب ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٢) في ط (يقول) والفعل منسوب إلى جماعة الصحابة.

(٣) في ك (تذهب).

(٤) في ط (شبيهاً).

(٥) وقد جاء وصفهم بذلك في كتاب الله ـ سبحانه ـ كما في آخر سورة الفتح.

وهذا كان خلق نبيهم، كما في الصحيحين عن عائشة[1] قالت: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده خادماً[2]، ولا امرأةً[3] ولا دابة ولا شيئاً قط إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، ولا نِيْل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلاَّ أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله، لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله»[4].

وفي الصحيح[5] عن أنس أنه قال: «خدمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشر سنين، فما قال لي أفٍ قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لمَ لا فعلته[6]؟ وكان بعض أهله

---

(١) سبقت ترجمتها.

(٢) في ط زيادة (له قط) في الموضعين.

(٣) في ط زيادة (وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلاَّ أخذ بأيسرهما، إلاَّ أن يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد الناس منه).

(٤) الحديث رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للآثام...، ٤/١٨١٤ (٢٣٢٨)، بلفظ: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلاَّ أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله ـ عز وجل ـ». ورواه أبو داود مختصراً، كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر ٤/٢٥٠ (٤٧٨٦)، مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية. والذي أخرجه البخاري بلفظ: «ما خيّر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لنفسه إلاَّ أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»، أخرجه في كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري.

(٥) في ط (الصحيحين).

(٦) في ط زيادة (ولا لما صنعت لم لا صنعت).

إذا عتبوني على شيء يقول: «دعوه، فلو قدر شيء لكان»(١)، هذا(٢) مع قوله ـ في الحديث الصحيح ـ لما سرقت امرأة(٣) كانت من أشرف قريش من بني مخزوم(٤) فأمر بقطع يدها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ فقالوا: من يجترىء عليه إلَّا أسامة بن زيد(٥)؟ فكلموه، فكلمه فيها، فقال: «يا أسامة! أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك من كان قبلكم(٦): أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة

---

(١) سبق تخريجه. ٣/ ١٠٤ رسالة دكتوراه د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عسكر.

(٢) في ط ألحقت كلمة (هذا) بالحديث ووضع القوس بعدها.

(٣) هي فاطمة بنت أبي الأسد ـ أو أبي الأسود ـ بن عبد الأسد. وهي ابنة أخي أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

انظر: أسد الغابة ٦/٢١٨.

(٤) هم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢/١٣ و ١٤١، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ـ ٤٥٦هـ ،ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٥) هو ابن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة ٥٤هـ وله ٧٥سنة بالمدينة.

انظر: تقريب التهذيب ١/٥٣؛ والاستيعاب في أسماء الأصحاب ١/٥٧ ـ ٥٩ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ـ ٤٦٣هـ بهامش الإصابة في تمييز الصحابة.

(٦) ورد في رواية: «إنما هلك بنو إسرائيل» وفي أخرى: «إنه عطلوا الحدود عن الأغنياء، وأقاموها على الضعفاء. وفيهما ما يبين أن المقصود بالاسم الموصول «من» هم بنو إسرائيل».

انظر: فتح الباري ١٢/٩٤.

بنت محمد[1] سرقت لقطعت يدها[2]!»[3].

ففي شريعته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين أعظم مما[4] في التوراة، وهذا هو غاية الكمال. ولهذا قال بعضهم: بُعثَ موسى بالجلال، وبُعثَ عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال.

الوجه الخامس: إن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم، وذلك نوعان:

أحدهما: أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم، مثل رزقهم الذي لولا هو لماتوا جوعاً، ونصرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوهم، ومثل هداهم الذي لولا هو لضلوا ضلالاً يضرهم في آخرتهم. وهذا النوع من النعمة لا بدّ لهم منه، وإن فقدوه حصل لهم ضرر، إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما. ولهذا كان في سورة النحل[5]، وهي

---

(١) هي فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أم الحسنين، سيدة نساء هذه الأمة، ماتت بعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦٠٩؛ وسير أعلام النبلاء ٢/١١٨ ـ ١٣٤.

(٢) قال محمد بن رمح: «سمعت الليث يقول: قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق، قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق. كل مسلم ينبغي له أن يقول هذا».
انظر: سنن ابن ماجه ٢/٨٤، وهو الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ـ ٢٧٣هـ، ط ٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ١٢/٨٧ (٦٧٨٨) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره...، ٣/١٣١٥ (١٦٨٨).

(٤) في ك (ما).

(٥) وهي السورة رقم ١٦ في المصحف الشريف.

سورة النعم، في أولها، أصول النعم[1]، وفي أثنائها كمال النعم.

والنوع الثاني: النعم التي تحصل[2] بها من كمال النعم وعُلُو الدرجة ما لا يحصل بدونها، كما أنهم في الآخرة نوعان: أبرار أصحاب يمين، ومقربون سابقون. ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم.

وإذا كانت النعمة نوعين، فالخلق كانوا محتاجين إلى إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من هذين الوجهين، وحصل بإرساله هذان النوعان من النعمة، فإن الناس بدونه كانوا جهالاً ضالين: أميين[3] وأهل الكتاب منهم.

ولم يكن قد بقي من أهل الكتاب ـ أتباع المسيح ـ من هو قائم بالدين، الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة، بل كانوا قد بدلوا وغيروا. وأيضاً فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئاً، ففي إرساله من كمال النعم وتواصلها[4]، وعلو الدرجات في السعادة، ما لم يكن حاصلاً بالكتاب الأول. فكان إرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نَوْعَي النعيم.

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) في ك و ط (يحصل).

(٣) في ك و ط (أميهم).

الأمّي في كلام العرب: الذي لا يحسن الكتابة، فقيل: نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة، فهو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين.

انظر: المصباح المنير ٢٣.

(٤) في ط (فواضلها).

ومن استقرأ[1] أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ وإن الذين ردوا رسالته، هم من قال الله فيهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ[3]﴾[4].

ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ[6]﴾[7].

الوجه السادس: أن يقال قولهم[8]: «إنا نعجب من هؤلاء القوم...» إلى آخر الفصل، قول جاهل ظالم يستحق أن يقال له: بل

---

(١) في أ و ك (استبرأ) والأظهر ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٣) البوار هو الهلاك. قال الشاعر:

فلم أر مثلهم أبطال حرب ... غداة الحرب إذ خيف البوار

البحر المحيط ٥/٤١٤.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٣.

(٦) جمع عقب وهي مؤخر القدم.

انظر: المصباح المنير ٤١٩.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٨) القائلون هم النصارى فيما حكاه عنهم (بولس الأنطاكي) كما تقدم أكثر من مرة.

العجب من هذا العجب هو الواجب، بل هو الذي لا ينقضي منه العجب، وإن كل عاقل ليعجب، من عرف دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وَقَصده الحق، ثم اتبع غيره، ويعلم أنه لا يفعل ذلك إلاَّ مُفرِط[1] في الجهل والضلال، أو مُفرِط في الظلم واتباع الهوى.

وذلك أن أهل الأرض نوعان: أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند[2] والترك[3] وغيرهم[4]، كالمجوس من الفرس[5] وغيرهم، وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم.

وأهل الكتاب يُسَلِّمون لنا، أن مَنْ سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منفعة ظاهرة، وأنه دعا جميع طوائف

---

(١) من أفرط أي أسرف وجاوز الحد.
انظر: المصباح المنير ٤٦٩.

(٢) أي أهل الهند، **والهند**: أرض واسعة في البر والبحر والجبال، وهي متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت.
انظر: مروج الذهب ١/٨٢.

(٣) وهم من الصقالبة، **والصقالبة**: من ولد مار بن يافث بن نوح، والترك أحسنهم صوراً، وأكثرهم عدداً، وأشدهم بأساً. والترك طوائف منهم الكيماكية والبرسخانية وأشدهم بأساً الغزية، وأحسنهم صورة وأطولهم قامة، وأصبحهم وجوهاً الخزلجية، وهم أهل فرغانة والشاس وما يليهما. والاسم الجامع لبلاد الترك هو «تركستان» وحدّها: الصين والتبت وفاراب، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة.
انظر: مروج الذهب ٢/٣٣ و١/١٣٢؛ ومعجم البلدان ٢/٢٣.

(٤) في ط زيادة واو العطف.

(٥) المستفيض عند الفرس أنهم من ولد «إيرج» وهو ابن أفريدون بن أثقابان بن جمشيد ابن ملك الأقاليم السبعة، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن أول ملوكه هو «كيومرث» وهو أميم بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح.
انظر: مروج الذهب ١/٢٢٤ و٢٣٨.

المشركين والمجوس والصابئين إلى خير مما كانوا عليه، بل كانوا[1] أحوج الناس إلى رسالته. وأما أهل الكتاب: فاليهود مسلمون[2] لنا حاجة النصارى إليه، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه. والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود إليه، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه.

فما من طائفة من طوائف أهل الأرض إلّا وهم مقرون بأن محمداً ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ دعا سائر الطوائف[3] غيرهم، إلى خير مما كانوا عليه. هذه شهادة من جميع أهل الأرض بأنه دعا أهل الأرض إلى خير مما كانوا عليه. فإن شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم، إذ كانوا غير متهمين عليهم، فإنهم معادون لمحمد وأمته[4]، معادون لسائر الطوائف. وأما شهادتهم لأنفسهم فغير مقبولة، فإنهم خصومه، وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة.

وقد اعترف الفلاسفة بأنه، لم يقرع العالم ناموس[5] بأفضل[6] من ناموسه، واعترفوا بأنه أفضل من ناموس موسى والمسيح ــ عليهما[7] الصلاة السلام ــ بل كان[8] لهم من الطعن[9] في نواميس غيره، ما ليس

(١) في ط زيادة (من).
(٢) في ط (يسلمون).
(٣) في ط زيادة (واو العطف).
(٤) في ك و ط زيادة (الواو).
(٥) ناموس: اسم يوناني الأصل معناه «شريعة أو قانون» قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٩٧٨.
(٦) في ك و ط (أفضل).
(٧) في أ و ك (عليهم).
(٨) سقطت (كان) من ط.
(٩) هو القدح والعيب.
انظر: المصباح المنير ٣٧٣.

هذا موضع ذكره. بخلاف ناموس محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنه لم يطعن فيه أحد منهم، إلَّا من كان خارجاً عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم ـ وأما[1] من التزم منهم الكلام بعلم وعدل، فهم متفقون على أن ناموس محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أفضل ناموس طرق[2] العالم، فكيف يُعجب[3] من مثل هذا الناموس؟!

الوجه السابع: أن يقال لأهل الكتاب خصوصاً، فيقال لليهود: أنتم أذل الأمم، فلو قدر أن ما أنتم عليه دين الله الذي لم يبدل، فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولاً يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، منصوراً ظاهراً بالحجة والبيان والسيف والسنان[4]؟!

ويقال للنصارى: أنتم لم تخلِّصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين، بل أخذتم من أصول المشركين[5] والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم، ما أدخلتموه في دينكم، وليس لكم على أكثر[6] الكفار[7]، حجة علمية، ولا يد قهرية، بل للكفار في

---

(١) في ك و ط (فأما).

(٢) بمعنى طلع، وكل ما أتى ليلاً فقط طرق.
انظر: المصباح المنير ٣٧٢.

(٣) في ك (تعجب)، وفي ط (يتعجب).

(٤) في أ (البنان) والأصح ما في ك و ط. وهو ما أثبتناه.
السنان: هو سنان الرمح، وجمعه: أسنة.
انظر: مختار الصحاح ٣١٧.

(٥) في ط بدون عطف.

(٦) في ط زيادة (على) هنا.

(٧) في ك و ط زيادة (لا).

قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم، ما أنتم به من أضعف الأمم حجة، وأضيقها محجة[1]، وأبعدها عن العلم والبيان، وأعجزها عن إقامة الحجة والبرهان، تارة تخافون من الكفار والفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين، فإما أن توافقوهم على أقوالهم وإما أن تخضعوا لهم متواضعين. وتارة تخافون من سيوف المشركين، فإما أن تتركوا بعض دينكم لأجلهم، وأما أن تذلوا لهم خاضعين.

ففيكم من ضعف سلطان الحجة، وضعف سلطان النصرة، ما يظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه. فالعجب منكم، كيف تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة إلى ما فيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة؟ هذا هو العجب! ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وفي خلافه، شقاوة الدنيا والآخرة.

ومثل هذا لا يرد على المسلمين، فإنه لم يزل ولا يزال فيه طائفة قائمة بالهدي ودين الحق، ظاهرة بالحجة والبيان، واليد والسنان[2]، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، كما ثبت في الصحاح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» وفي لفظ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بأمره»[3].

---

(١) **المحجة**: جادة الطريق.
انظر: مختار الصحاح ١٢٣.

(٢) في ط (اللسان).

(٣) سبق تخريجه. ١ / ٩٢ رسالة دكتوراه د. علي بن حسن بن ناصر من طبعتنا هذه.

الـوجه الثـامن: أن يقال لأهـل الكتـاب: لليهـود: أنتم لمـا كنتم متبعين لمـوسى[1] ـ عليـه السـلام ـ كنتم على الهـدى ودين الحق، وكنتم[2] منصورين، ثم كثرت فيكم الأحـداث التي تعرفـونها، كمـا قال ـ تعالى[3] ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾[4].

وقوله ـ تعالى[5] ـ : ﴿وعبد الطاغوت﴾، معطوف على[6] (لعنه الله)، أي من لعنه الله وغضب عليهم[7] وعبد هو الطاغوت، ليس هو[8] داخلاً في خبر جعل[9]، حتى يلزم إشكال كما ظنه بعض الناس.

وأهـل الكتاب معتـرفون بـأن اليهود عبـدوا الأصنام مـرات، وقتلوا الأنبياء.

---

(١) في ط (موسى).

(٢) في ط (فكنتم).

(٣) في ط زيادة (لكم).

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٥٩ ـ ٦٠.

(٥) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط.

(٦) في ط زيادة (قوله).

(٧) في ط (عليه).

(٨) سقطت (هو) من ط.

(٩) انظر: البحر المحيط ٣/٥١٨ ـ ٥٦٩؛ وإملاء ما منَّ به الرحمن، من وجوه الإعراب والقـراءات في جميع القـرآن ١/٢٢٠ ـ ٢٢١ لأبـي البقـاء عبـد الله بن الحسين العكبري ـ ٦١٦هـ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا
كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟
خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ (١) وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ (٢) عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٣) ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟
ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا (٤) ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ (٥)﴾(٦) .

وهم معترفون بأن بيت المقدس(٧) خرب مرتين .

---

(١) أي : طافوا وسط البيوت، يغدون ويروحون للتفتيش عنكم، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب، لا يخافون من أحد.
انظر : صفوة التفسير ١٥/١٥٢ .

(٢) **الكرة**: الدولة والغلبة.

(٣) **نفيراً**: عدداً ورجالاً.

(٤) **تتبيراً**: تدميراً وإهلاكاً.

(٥) **حصيراً**: محبساً وسجناً.
انظر: المصدر السابق ١٥/١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٦) سورة الإسراء: الآيات ٤ ــ ٨.

(٧) **بيت المقدس**: أي البيت المطهر، الذي يتطهر به من الذنوب، وهو مسجد كبير متبسع الأقطار، وسط مدينة كبيرة تسمى القدس (فك الله أسرها) وهي على جبل بين جبال شامخة، بها قرى، والمسجد في طرفها القبلي من شرقيها، قد بني على سطح جبل، وفي وسط المسجد جبل صغير، أعلاه الصخرة المشهورة التي كان بنو إسرائيل يقربون عليها القربان، وهي القدس ومدينة القدس تسمى «إيلياء» وهي قصبة (عاصمة) فلسطين، وفلسطين آخر كور (مناطق) الشام من ناحية مصر.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٦ و١٠٤٢ و١/١٣٨ .

فالخراب الأول لما جاء «بخت نصر» وسباهم إلى بابل، وبقي خراباً سبعين سنة[1]. والخراب الثاني: بعد المسيح بنحو سبعين سنة.
وقد قيل: هذا تأويل قوله:
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾[2].

فبعد الخراب الثاني، تفرقوا في الأرض، ولم يبق لهم ملك. وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار. وبعث المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم كذلك.

ويقال للنصارى: أنتم ما زلتم مقهورين مغلوبين مبددين في الأرض، حتى ظهر قسطنطين وأقام دين النصرانية بالسيف، وقتل من خالفه من المشركين واليهود. لكن أظهر ديناً مبدلاً مغيراً، ليس هو دين المسيح ـ عليه السلام ـ ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس كفاراً[3]: المجوس وغيرهم، مجوساً ومشركين. وكانوا في بعض الأزمنة يقهرون النصارى على بلادهم. وأما أرض المشرق والمغرب ففيهما من أنواع المشركين أمم. وكان الشرك والكفر ظاهراً في أرض اليمن والحجاز[4] والشام والعراق، فلما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه

---

(١) وقد كان سنة ٦٠٥ و ٥٩٧ و ٥٨٧ و ٥٨٢ق. م في زمن النبي دانيال ـ عليه السلام ـ.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٥٨.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٨.
(٣) في ك و ط زيادة (من).
(٤) **الحجاز**: جبل ممتد حال بين الغور (المطمئن من أرض) تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما.
انظر: معجم البلدان ٢/٢١٨.

وسلَّم ـ أظهر به توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ظهوراً لم يُعرف في أمة من الأمم، ولم يحصل مثله لنبي من الأنبياء، وأظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والإنجيل والزبور، وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل ما لم يكن ظاهراً، لا عند أهل الكتاب ولا غيرهم، فأهل الكتاب وإن كانوا خيراً من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الإيمان بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا شرائع دينه، ولا كانوا قاهرين لأكثر الكفار، [1]ولا كانوا منصورين عليهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ... ﴾[2].

أما اليهود ففيهم من التنقص من الأنبياء[3] في سبهم[4]، وذكر عيوب نزههم الله عنها[5]، ما هو معروف. حتى إن منهم من يقول: أن سليمان كان ساحراً، وداود كان منجماً[6] لم يكن نبياً، إلى أمثال ذلك

---

(١) في ك و ط زيادة (بل).
انظر: تاريخ بني إسرائيل، من أسفارهم: ٤٧ وغيرها، وهو كتاب قيم موثق مختصر، لمحمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م. ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود ١٥٨ ـ ١٦٠، د. عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة المنار، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) في ك و ط (بالأنبياء).

(٤) في ك و ط (وسبهم).

(٥) في ك و ط (منها).

(٦) في أ (مسبحا) والصحيح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

مما يطول وصفه. ففيهم[1] من الكفر بالأنبياء، من جنس ما كان في سلفهم الخبيث.

وأما النصارى ــ فمع غلوهم في المسيح وأتباعه ــ يستخفون بغيره، فتارة يجعلون الحواريين مثل إبراهيم وموسى أو أفضل منهم، وتارة يقولون ــ كما قال اليهود ــ : «إن سليمان لم يكن نبياً، بل سقط من النبوة»، وتارة يجعلون ما خاطب الله به داود وغيره من الأنبياء إنما أريد به المسيح. مع أن اللفظ لا يدل على ذلك، بل يتأولون[2] كتب الله بمجرد هوى أنفسهم، وتارة يقولون: إن الواحد منهم إذا أطاع الله بما يزعمون أنه طاعة، صار مثل واحد من الأنبياء[3]، ويسوغون لمثل هؤلاء أن يغيروا شرائع الأنبياء، ويضعوا ديناً ابتدعوه[4].

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه إبراهيم وموسى وسائر الرسل، وآمنوا بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول بعثه الله، وأقاموا دين الرحمن إقامة لم يقمها أحد من الأمم، فعامة أهل الأرض مع محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ــ : إما مؤمن به باطناً وظاهراً، وهم أولياء الله المتقون، وحزبه المفلحون، وجنده الغالبون. وإما مسلمون له في الظاهر، تقية[6] وخوفاً من أمته، وهم المنافقون،

---

(١) في أ (فيهم).

(٢) أو الكلام تأويلاً، وتأوله: دبره وقدره وفسره.
انظر: ترتيب القاموس ١/١٩٧.

(٣) في ك و ط زيادة (وأفضل منه، ووجب طاعته، كما تجب طاعة الأنبياء).

(٤) **البدعة**: الحدث في الدين بعد الإكمال. انظر: ترتيب القاموس ١/٢٣٠.

(٥) لم ترد في ك جملة (مع محمد)، ولم ترد فيها ولا في ط الجملة الدعائية.

(٦) في ك و ط (قاهراً).
هي الموالاة والمعاشرة والمحالفة الظاهرة، لأنهم يحذرون من جهتهم أمراً يريدون اتقاءه.
انظر: الكشاف ١/٤٢٢.

وإما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة: وهم أهل الذمة والهدنة في جميع الأرض، وإما خائفون من أمته.

وحيث كان الواحد والطائفة من أمته متمسكاً بدينه، كان نوره ظاهراً، وبرهانه باهراً[1]، معظماً منصوراً، يُعرف فضله على كل من سواه.

وهذا أمر يعرفه الناس في أرض الكفار من المشركين وأهل الكتاب، لما خص الله به محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ وأمته من الهدى ودين الحق. وقد أظهروا دين الرب في مشارق الأرض ومغاربها، بالقول والعمل. فهل يقول من[3] عنده علم وعدل: إنه لا فائدة في إرسال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ــ وأنه يُستغنى بما عند أهل الكتاب عن رسالته؟!.

الوجه التاسع: أن يقال: هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع، فإنه أقام توحيد الله ودينه[5] فيهم، وأنه عظّم المسيح، وردّ على اليهود قولهم فيه، وأهانهم، وحينئذٍ فهذا من أعظم الفوائد، وأجل المقاصد، وأعظم نعم الله على عباده. ثم هو ــ مع ذلك ــ قال: إن الله أرسله وأمره بذلك.

---

(١) في ك و ط (قاهراً).

(٢) في أ (محمد) بغير النصب وقد اعتمدنا ما في ك و ط وهو النصب، ولم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٣) في ط (عاقل ممن).

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٥) لم ترد (ودينه) في ك.

فإن كان كاذباً، فالكذاب المفتري على الله من شر الكفار، ومن يكون كذلك لا يحصل منه هذا الخير العظيم، الذي ما حصل مثله من أحد من الأنبياء، فإنه أزال دين المشركين، ودين المجوس، وقَمَع[1] اليهود. وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليه أحد قبله من الأنبياء والمرسلين.

وإن كان صادقاً. فهو قد أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من الأمم، وأخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به، وهذا الوجه ممن يخاطَب به كل صنف، فيقال لكل صنف من الأمم: أنتم معترفون بأن من سواكم إذا اتبعوا دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ كان خيراً لهم مما هم عليه. فاليهود معترفة بأن النصارى إذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين النصارى. والنصارى معترفون بأن اليهود إذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين اليهود. وأهل الكتاب: اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم إذا اتبعوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ كان خيراً لهم مما هم عليه.

فالمجوس والمشركون من العرب، والسودان[4] والترك وأصناف

---

(١) أي أذلهم وأهانهم.
انظر: المصباح المنير ٥١٦.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٣) لم يرد الاسم الشريف في ط، ولم يرد فيها ولا في ك الجملة الدعائية.

(٤) السودان: اسم يطلق على الأرض الشاسعة من أفريقيا، المحصورة بين الصحراء وخليج غينيا وحوض نهر الكونغو. وهو ثلاثة أقسام: السودان الشرقي والأوسط والغربي، وأغلب سكان الشرقي والأوسط مسلمون وأما الغربي فزنوج.
انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٣١٧ ـ ٣١٩.

الخزر[1] والصقالبة[2]، إذا اتبعوه كان خيراً لهم مما هم عليه. وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أَتباعه خير من غيرهم[3]. ومن ليس من أهل الكتاب: عامتهم معترفون بأن دين المسلمين خير من دين[4] اليهود والنصارى. وحينئذٍ فيقال: من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع أهل الأرض على غيره، يمتنع أن يكون من أكفر الناس وأحقهم بغضب الله وعقابه. وكل من قال: إنه رسول الله. فإن كان صادقاً، كان من خير أهل الأرض وأحقهم برضوان الله وثوابه. وإن كان كاذباً، كان من شر أهل الأرض وأحقهم بغضب الله وعقابه. ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى، وما فيه صلاح الدنيا والآخرة، أعظم مما حصل من جميع الخلق: يمتنع أن يكون من أكفر الناس، المستحقين لغضب الله وعقابه، فوجب أن يكون من خير أهل الأرض، * بل هو خير أهل الأرض *[5] وأحقهم برضوان الله وثوابه.

الوجه العاشر: إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ كانت سنته قبل إنزال

---

(١) **الخزر**: أمة من ولد يافث بن نوح ــ عليه السلام ــ وهو الأصغر من ولد نوح، وبلادهم حول جبل القبخ في خراسان، تهود ملكهم في خلافة هارون الرشيد ثم أسلموا سنة ٣٥٤هـ.

انظر: مروج الذهب ٢/٣٤ و ١/١٧٦ و ١٧٨؛ والبداية والنهاية ١١/٢٥٦.

(٢) **الصقالبة**: من ولد مار بن يافث بن نوح ــ عليه السلام ــ، وإليه يرجع سائر أصناف الصقالبة، وبه يلحقون في أنسابهم، ومساكنهم بالجدي إلى أن يتصلوا بالمغرب، وهم أجناس مختلفة، وبينهم حروب ولهم ملوك منهم كتابيون ومنهم جاهليون.

انظر: مروج الذهب ٢/٣٢.

(٣) في ط (غيره).

(٤) سقطت (دين) من ط.

(٥) ما بين النجمتين زيادة من ط. وهي زيادة حسنة جداً.

التوراة، إذا كُذِّب نبي من الأنبياء[1] ينتقم الله[2] من أعدائه بعذاب من عنده، كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر[3]، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة[4]، وقوم لوط بالحاصب[5]، وقوم فرعون بالغرق، قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[6].

فلما أنزل التوراة، أمر أهل الكتاب بالجهاد، فمنهم من نَكَل، ومنهم من أطاع.

وصار المقصود بالرسالة لا يحصل إلاَّ بالعلم والقدرة كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) في ط زيادة (أن).

(٢) في ك و ط (ينتقم له).

(٣) **الريح الصرصر**: هي الريح الباردة المحرقة، كما تحرق النار، قاله الفراء والزجاج، وقال السدي وغيره: **الصرصر**: من صرصر: إذا صَوَّت.
انظر: البحر المحيط ٧/٤٨١ و ٤٩٠.

(٤) **الظلة**: هي حر شديد جداً، مدة سبعة أيام، لا يُكِنُّهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله ـ تعالى ـ عليهم شرراً من نار ولهباً ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/١٧٠ للحافظ إسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤هـ ت: د. محمد البنا وزميله. دار الشعب، القاهرة.

(٥) **الحاصب**: هي الريح العاتية التي تحمل حصباء الأرض فتقلبها عليهم، والمؤلف هنا أخذ بالرواية الواردة عن ابن عباس وقتادة، والتي استبعدها ابن كثير.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٢٨٨.

(٦) سورة القصص: الآية ٤٣.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾[١]

فقول هؤلاء: «إن التوراة جاءت بالعدل، والإنجيل بالفضل، فلا حاجة إلى غيرهما» لو قدر أنه حق، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا مُتَّبَعَيْن علماً وعملاً، وكان أهلهما[٢] مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم، فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه، وأهلهما غير منصورين على سائر[٣] الكفار؟! بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض، كأرض اليمن والحجاز، وسائر جزيرة العرب، وأرض العراق وخراسان والمغرب[٤]، وأرض الهند والسند[٥] والترك. وكان بأيدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك، ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك. ثم إن الله أظهر النصارى عليهم، فكان ظهورهم توطئة وتمهيداً لإظهار دين الإسلام.

فإن الفرس المجوس، لما غلبوا الروم[٦]، ساء ذلك النبي

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) في ك (أهلها).

(٣) سقطت (سائر) من ط.

(٤) في أ (الغرب) بدون ميم، وقد رجحنا ما في ك و ط حيث أنه الموجود في معجم البلدان والمراصد.

المغرب ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كبيرة، قيل: حدها من مدينة «مليانة». وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس، التي وراءها البحر المحيط، فتدخل فيه جزيرة الأندلس.

انظر: معجم البلدان ٥/١٦١؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٢٩٣.

(٥) **السند**: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ومدينتها (المنصورة).

انظر: مراصد الاطلاع ٢/٧٤٦.

(٦) جيل معروف، في بلاد واسعة، تضاف إليهم فيقال: بلاد الروم. ومشارق بلادهم =

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمؤمنين به، وفرح بذلك مشركوا العرب، وكانوا أكثر من المؤمنين، لأن أهل الكتاب أقرب إلى المؤمنين من المجوس، والمجوس أقرب إلى المشركين منهم إلى أهل الكتاب، ووعد الله المؤمنين أن تَغْلِبَ الروم بعد ذلك، وأنه يومئذٍ:

﴿. . . يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ. . .﴾[1].

فأضاف النُّصرة إلى اسم الله[2]، ولم يقل: بنصر الله إياهم. وذلك أنه حين ظهرت الروم على فارس، كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود.

وأرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر إلى الإيمان به، فعرفوه وعرفوا أنه النبي المُبَشَّر به، وكان ذلك أول ظهور دينه. ثم أرسل طائفة من أصحابه إلى غيرهم[3]، ثم خرج بالمسلمين بنفسه[4] معهم عام تبوك إلى الشام، ثم فتح هذه البلاد أصحابه، فكان تأييد دين الله وظهوره، وإذلال المشركين

= وشمالهم: الترك والروس والخزر، وجنوبهم: الشام والإسكندرية، ومغاربهم: البحر والأندلس، وكانت أنطاكية دار ملكهم، إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم. وقد قيل في نسبهم أن جدهم: رومي بن ليطن بن يونان بن يافث بن برية بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روين بن الأصفر بن النضر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٤٢؛ ومروج الذهب ١/٣٠٨.

(١) سورة الروم: الآية ١ ـ ٤.
(٢) في ط زيادة (الذي هو الفاعل).
(٣) في ط (إلى مؤتة).
(٤) لم ترد (بنفسه) في ط.

والمجوس وغيرهم من الكفار[١]، على يديه ويدي أمته، لا على يد اليهود[٢] والنصارى.

فلو قُدِّر أن شرع أولئك كامل لا تبديل فيه، لكان مغلوباً مقهوراً، وكان الله قد أرسل من يؤيد دينه، ويظهره، فكيف وهو مبدّل؟! ولو لم يبدل فدين أحمد أكمل وأفضل منه، فذاك مفضول مبدل، وهذا فاضل لم يبدل، وذلك مغلوب مقهور، وهذا مؤيد منصور، وببعض هذا تحصل الفائدة في إرساله!.

فكان من أجلّ الفوائد إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكيف يقال: إنه لا فائدة في إرساله.

الوجه الحادي عشر: قولهم: «لما كان الباري عدلاً جواداً[٣] أوجب أن يظهر عدله وجوده». فيقال لهم: جود الجواد: غير إلزام الناس بترك حقوقهم. فإن الجواد هو الذي يحسن إلى الناس، ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم. وهؤلاء يزعمون أن شريعة الإنجيل ألزمت الناس بترك حقوقهم، وأنه لا ينصف مظلوم من ظالمه، ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس، بل الحكم عندهم حكمان: حكم الكنسية، وليس فيه[٤] إنصاف المظلوم من الظالم. والثاني: حكم الملوك، وليس هو شرعاً منزلاً، بل هو بحسب آراء الملوك.

ولهذا تجدهم يردون الناس إلى حكم شرع الإسلام في الدماء

---

(١) سقطت (من الكفار) من أ و ك، وقد أثبتناها من ط.

(٢) في أ زيادة (من الكفار)، ولا تلتئم في السياق. ولهذا لم نثبتها.

(٣) **الجود**: السخاء والتكرم.

انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٢؛ والمصباح المنير ١١٣.

(٤) في أ و ك (فيهم) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.

والأمـوال ونحو ذلـك، حتى في بعض بلادهم يكـون الملك والعسكر[1] كلهم نصارى، وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم، فيردون الناس في الدماء والأموال إلى حكم شرع المسلمين. وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه، فالحاكم الذي يحكم بين النـاس: متى حكم على المـظلوم بتـرك حقـه، كـان حـاكمـاً بـالـظلم لا بالعدل.

ولو أمرنـا كل وَليٍّ مقتـول أن لا يقتص من القاتـل، وكلَّ صـاحب دَيْنٍ أن لا يطالب غريمه، بل يَـدَعَهُ على اختيـاره، وكل مشتـوم ومضروب أن لا ينتصف من ظـالمـه، لم يكن للظالمين زاجـر يـزجـرهم، وظَلَم الأقوياء الضعفاء، وفسدت الأرض، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[2].

فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل، ولا بد ـ مع ذلك ـ من نَدْبِ الناس إلى العفو والأخذ بالفضل.

وهذه شريعة الإسلام كما تقدم ما ذكرنا[3] من الآيات، مثل قوله:

﴿... وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ...﴾[4].

---

(١) في ط زيادة (وأكثر أهل البلد) وليس فيها (كلهم).
العسكر: الجيش. قال ابن الجواليقي: فارسي معرب.
انظر: المصباح المنير: ٤٠٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٣) في ك و ط (ذكرناه).
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.

وقـولـه[1]:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2].

وقـولـه:

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ. . .﴾[3].

وقـولـه:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[4].

وقـولـه:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[5].

وقـولـه:

﴿. . . وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟. . .﴾[6].

---

(١) لم ترد(وقوله)في أ ولا ك، وقد أثبتناها كما في ط.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.
وفي ط زيادة:
﴿. . . إنه لا يحب الظالمين﴾.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.
وفي ط زيادة وهي: (وقوله):
﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ [سورة الشورى: الآيتان ٤١ ـ ٤٢].

(٦) سورة النساء: الآية ٩٢.

وقـولـه:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[(١)] .

وقـال أنس: «ما رُفِـعَ للنبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمـر[(٢)] فيه القصاص، إلَّا أمر فيه بالعفو»[(٣)] فكان يأمر بـالعفو، ولا يلزم النـاس به. ولهـذا لمـا عتقت (بَـريـرَة)[(٤)]، وكـان لهـا أن تفســخ النكـاح، وطلب زوجها[(٥)] أن لا تفارقـه، شفع[(٦)] إليهـا أن لا تفارقـه، فقالت: أتـأمرني؟ قال: «لا، إنما أنا شافع»[(٧)]، فلم يوجب عليها قبول شفاعته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

الوجه الثاني عشر: قولهم: «ولما كان الكمال الـذي هو الفضـل،

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٢) في ك و ط زيادة (شيء).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الديات، باب الإمام يـأمر بـالعفو في الـدم ١٦٩/٤ (٤٤٩٧). والنسـائي، كتاب القسـامة، الأمـر بالعفـو عن القصاص ٣٧/٨ ــ ٣٨ من طـريقين، وابن مـاجه، أبـواب الديـات، العفـو في القصـاص ١١٣/٢ (٢٧٢٤)، وأحمـد في المسند ٢١٣/٣ و٢٥٢، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤط: و«إسنـاده حسن». هامش جامع الأصول: ٢٧٤/١٠.

(٤) هي مولاة عائشة ــ رضي الله عنها ــ وكانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل: غيرهم. عاشت إلى زمن يزيد بن معاوية.
انظر: أسد الغابة ٣٩/٦؛ وتهذيب التهذيب ٤٠٣/١٢.
في ك و ط زيادة (جارية عائشة زوج النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٥) واسمه: مغيث. الحديث رقم (٥٢٨٣) من فتح الباري ٤٠٨/٩.

(٦) في ك و ط (فشفع).

(٧) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ في زوج بريرة، ٤٠٨/٩ (٥٢٨٣) من فتـح الباري. ورواه مسلم، كتـاب العتق، باب: إنمـا الولاء لمن أعتق ١١٤٣/٢ (١٥٠٤).

لا يمكن أن يضعه إلَّا أكمل الكُمَّال»[1]، فيقال لهم: العدل والفضل لا يشرعه إلَّا الله، فشريعة التوراة لم يشرعها إلَّا الله، وشريعة الإنجيل لم يشرعها إلَّا الله ــ عز وجل ــ.

يبين ذلك أن الله كلم موسى من الشجرة تكليماً، وهو غاية ما قرروا به إلّهية المسيح: أن زعموا أن الله كلم الناس من ناسوت المسيح، كما كلم موسى من الشجرة. ومعلوم عند كل عاقل، لو كان هذا حقاً أن تكليمه لموسى من الشجرة أعظم تكليم كلمه الله لعباده، فكيف يقال: إن شريعة العدل لم يشرعها الله ــ عز وجل ــ؟.

ثم يقال لهم: بل شريعة العدل أحق بأن تضاف إلى الله من شريعة الفضل، فإن الأمر بالإحسان والعفو يحسنه كل أحد[2]. وأما معرفة[3] العدل والحكم بين الناس به، فلا يقدر عليه إلَّا آحاد الناس. ولهذا يوجد الذي يُصلح[4] بين الناس بالإحسان خلق كثير. وأما الذي يحسن أن يفصل بينهم بالعدل، فناس قليل. فكيف يقال: إن الذي يأمر بشرع الفضل هو الله، دون الذي يأمر بشرع العدل؟!.

والله ــ تعالى ــ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليقوم الناس بالقسط[5]، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

---

(١) في أ سقطت (الكُمَّال) وقد أثبتناها من ك و ط.

(٢) في ط (واحد).

(٣) في ط (شريعة).

(٤) في ك (الذين يصلح)، في ط (من الذين يصلحون).

(٥) **القسط**: العدل. وهو من أسماء الأضداد. قاله ابن القطاع.
انظر: المصباح ٣ ــ ٥.

﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

وأَمْر المسيح ـ عليه السلام ـ للمظلوم بالعفو عن الظالم: ليس فيه ما يدل على أنه من الواجب الذي مَنْ تركه استحق الذم والعقاب، بل هو من المرغّب فيه، الذي من فعله استحق المدح والثواب. وموسى ـ عليه السلام ـ أوجب العدل الذي من تركه استحق الذم والعقاب. وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل، وبين استحباب الفضل.

لكن إيجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله. فذاك فيه رهبة مع ما فيه من الرغبة. وهذا فيه رغبة بلا رهبة، ولهذا قال المسيح ـ عليه السلام ـ:

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2].

ولهذا قيل: إن المسيح ـ عليه السلام ـ بُعِثَ لتكميل التوراة، فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: يقول الله ـ تعالى ـ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٧، ١١٨.

حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يَسْمَعُ به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه»[1].

وإلاَّ فلو قيل: إن المسيح ــ عليه السلام ــ أوجب على المظلوم العفو عن الظالم، بمعنى: أنه يستحق الوعيد والذم والعقاب[2] إن

(١) لفظ البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يَسْمَعُ به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»: كتاب الرقاق، باب التواضع ١١/ ٣٤٠ ــ ٣٤٣ (٦٥٠٢) من فتح الباري، وذكر ابن حجر في شرحه في هذا الموضع أن للحديث طرق أخرى ــ أي غير إسناد البخاري ــ منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والطبراني، والاسماعيلي، وعن أنس ــ وهو اللفظ الذي ساقه الشيخ المؤلف «. . . فقد بارزني . . .». أخرجه أبو يعلى والبزار وابن ماجه. وقال ابن حجر: «وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أَسْر الخالق، والجواب: أنه من المخاطبة بما يُفهَم، فإن الحرب تنشأ عن العداوة، والعداوة تنشأ عن المخالفة، وغاية الحرب الهلاك، والله لا يغلبه غالب، فكان المعنى: فقد تعرض لإهلاكي إياه. فأطلق الحرب، وأراد لازمه: أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب». ونقل عن الفاكهاني قوله: (في هذا تهديد شديد، لأن من حارب الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله: خالف الله، ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة: ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله).

(٢) في ك و ط (مستحق للوعيد وللذم والعقاب).

لم يعف عنه، لزم من هذا أن يكون كل من انتصف من الظالم ظالماً مستحقاً للذم والعقاب، وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف، فإن الظالم ظلمه أولاً، فلما انتصف منه ظلم ظلماً ثانياً، فهو ظلم العادل[1] انتصف من ظالمه.

وما أحسن كلام الله حيث يقول:

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

فهذا من أحسن الكلام وأعدله وأفضله، حيث شرع[4] العدل، فقال:

---

(١) في أ (للعادل) وحذف إحدى اللامين أصح.
(٢) سورة الشورى: الآيات ٣٦ ــ ٤٣.
(٣) سورة الحج: الآية ٦٠.
(٤) في ك و ط (يشرع).

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[1] .

ثم ندب إلى الفضل، فقال:

﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[2] .

ولما ندب إلى العفو. ذكر أنه لا لوم على المنتصف، لئلا يُظَن أن العفو فرض، فقال:

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ ﴾[3] .

ثم بين أن السبيل إنما يكون على الظالمين، فقال:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ ﴾[4] .

ثم لما رفع عنهم السبيل، ندبهم مع ذلك إلى الصبر والعفو، فقال:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[5] .

فهذا أحسن شرع وأحكمه[6]، يرغب في الصبر والغفر[7] والعفو والإصلاح بغاية الترغيب، ويذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٣) سورة الشورى: الآية ٤١.
(٤) سورة الشورى: الآيتان ٤٢ ــ ٤٣.
(٥) سورة الشورى: الآيتان ٤٢ ــ ٤٣.
(٦) في ك و ط (وأجمله).
(٧) سقطت (والغفر) من ط.

العاقبة، ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعذل[1]، ويبين أنه لا حرج عليه ولا سبيل إذا انتصر بعد ما ظلم.

فهل يمكن أن تأتي شريعة بأن[2] تجعل على المنتصف سبيلاً مع عدله، وهي لا تجعل على الظالم سبيلاً مع ظلمه؟!.

فعلم أن ما أمر به المسيح من العفو لم يكن لأن تاركه مستحق للذم والعقاب، بل لأنه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الأجر والثواب، وهذا حق لا يناقض شرع التوراة. فعلم أن شرع الإنجيل، لم يناقض شرع التوراة، إذ كان فرعاً عليها، ومكملاً لها. وحينئذ: فزعمهم أن شرع الإنجيل شرعه الله، دون شرع التوراة، كلام من هو من أجهل الناس[3] وأضلهم، ولهذا كان هذا فرعاً على قولهم بالاتحاد، وأن المسيح هو الله.

فذاك الضلال مما[4] أوجب هذا القول المحال[5].



(١) جاءت في جميع النسخ بالدال المهملة (العدل) والذي يظهر أنها (العذل) بالذال المعجمة وهو ما أثبتناه.

(٢) سقطت (بأن) من ط.

(٣) في أ لم تثبت كلمة (الناس) في الصلب. وأضاف الناسخ في الهامش قوله: لعله (الناس).

(٤) سقطت (مما) من ك و ط.

(٥) المحال: هو الباطل غير الممكن الوقوع.
انظر: المصباح المنير: ١٥٧.

فصـل

بطلان استدلالهم بما يدعون أنه من كلام الأنبياء السابقين

وجميع ما احتجوا به من التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما يكون[1] الحجة فيه علمية برهانية، إذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه، بأن بينوا إمكان النبوة، ثم بينوا[2] وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي.

وهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، بل احتجوا بذلك، بناء[3] على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهم، وهذا لا ينفعهم لوجوه:

أحدها: أن فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين أنه نبي، كميخا[4]، وعاموص.

---

(١) في ك و ط (تبينوا).

(٢) في ك (يكون) وفي ط (تكون).

(٣) سقطت (بناء) من ك و ط.

(٤) هو فيما يظن أحد أنبياء بني إسرائيل ولقبه «المورشي» نسبة إلى مسقط رأسه «مورشة» قرية بقرب «جت». ظهر في ملك «يوثام» و «آحاز» و «حزقيا» ملك يهوذا سنة ٧٥١ ـ ٦٩٣ق. م. وكان معاصراً لأشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته وإليه ينسب السفر الثالث والثلاثون من أسفار العهد القديم وفيه سبعة إصحاحات. انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٩٣٦؛ والكتاب المقدس (عندهم): ١٠٣٥ ـ ١٠٤٠. والتراث الإسرائيلي: ٢٦٣، د. صابر عبد الرحمن طعيمة، دار الجيل، بيروت ١٣٩٩هـ.

الثاني: أن من ثبت عند المسلمين نبوته، كموسى، وعيسى، وداود وسليمان، لم يثبت عندهم أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام، وأن ترجمته بالعربية هو ما ذكروه، وأن مرادهم به ما فسروه[١].

الثالث: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد إلَّا بإخبار محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بنبوتهم، فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء، إلَّا بعد التصديق بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[٢].

فإذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا نبوة هؤلاء، دون نبوة محمد، لم يمكن المسلمون أن يسلموا ذلك لهم، ولا يشرع[٣] ذلك للمسلمين، لا عقلاً ولا نقلاً. وحينئذ إذا[٤] لم يقيموا الأدلة على نبوة أولئك، لم يكونوا قد ذكروا، لا حجة برهانية، ولا حجة جدلية.

الرابع: أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى، إلَّا مع إخبارهما بنبوة محمد. فإن سلَّموا أنهما أخبرا بنبوة محمد، ثبتت نبوته ونبوتهما. وإن جحدوا ذلك، جحد المسلمون نبوة من يدعون أنه موسى

---

(١) راجع الفصل الذي عقده الشيخ المؤلف، من أجل مناقشة قضية الترجمة لنصوص التوراة والإنجيل، وبين فيه استحالة دعواهم بترجمة التوراة والإنجيل لجميع الأمم، وأن الترجمة لا تحتاج إلى معصوم ـ كما يزعمون ـ ، وأن دعوى العصمة لمترجمي التوراة والإنجيل دعوى باطلة.

انظر: هذا الفصل في الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/ ٨٠ ـ ٨٥ من طبعتنا هذه. دراسة وتحقيق الزميل: علي بن حسن بن ناصر. وكذلك الجواب الصحيح ٢/ ١٦ ـ ٢٧، وقد تحدث الشيخ هنا بتفصيل أكثر، وذلك على طريقته في هذا الكتاب، من البسط تارة، والاختصار مع الإحالة تارة أخرى.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية فى أ ولا ك.

(٣) في ك و ط (يسوغ).

(٤) في ك و ط (فإذا).

وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

الخامس: أن المسلمين وكل عاقل، يمنع[1] ـ بعد النظر التام ـ أن يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، إذ كانت نبوته أكمل، وطرق معرفتها أتم[2] وأكثر. وما من دليل يستدل به على نبوة غيره إلَّا وهو على نبوته أدل، فإن جَحْد نبوته يستلزم جَحْد نبوة غيره بطريق الأولى. ولكن من قال ذلك، هو متناقض كما يتناقض[3] سائر أهل الباطل. ولهذا قال ـ تعالى ـ في الكفار:

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)﴾[4].

● ● ●

(١) في ك و ط (يمتنع).

(٢) في أ (أثم) ويظهر أنه خطأ نسخي.

(٣) في ك و ط (تتناقض).

(٤) سورة الذاريات: الآيتان ٨، ٩.

فصل

إثبات الفضل والكمال لرسول الله ولشريعته ولأمته

قد ذكرنا في جواب أول كتابهم[١]، بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أو غيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ على ما يخالف دين المسلمين من دينهم. ونحن نبسط هذا هنا فنقول: لا ريب أن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح، لا عقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات، فإن الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه. فلو قام على الباطل دليل صحيح، لزم أن يكون حقاً مع كونه باطلاً، وذلك جمع بين النقيضين، مثل كون الشيء موجوداً معدوماً.

وأهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات، ومعهم باطل، وهو ما بدلوه في الخبريات، سواء كان المبدل هو اللفظ أو معناه، وما ابتدعوه، أو ما نسخ من العمليات. والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسل. فإن الذي اتفقت عليه: هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٢].

---

(١) هي رسالة بولس الأنطاكي عن أهل قبرص. وانظر: الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه ١/ ١٣٠ ــ ١٤٠ من طبعتنا هذه.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٩.

وعامة السور المكية، كالأنعام والأعراف وآل حم، وآل طس، وآل آلر[1]، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل والإخلاص، وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم، وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء: من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء توافق المنقول عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شهد[2] هذا لهذا وهذا لهذا، وذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء، ومن دلائل نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3].

ولهذا يذكر الله ذلك بياناً لإنعامه بمحمد[4] ودلالة لنبوته، كقوله ـ تعالى ـ[5]:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٢) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ

---

(١) في أ (وألم حم، وألم طس، وألر) والأصوب ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.
(٢) في ط (يشهد).
(٣) في ط تقدمت هذه الجملة على جملة (من دلائل نبوة الأنبياء).
(٤) في ط (على محمد).
(٥) في ط زيادة (لما ذكر قصة مريم).
(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٢ ـ ٤٤.

هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾[1].

فذكر الإلّه نعمته[2] وآيته، بكونه لم يكن يعلمها هو، ولا قومه ــ أيضاً ــ كانوا يعلمونها، لئلا يُظن أنه تعلَّم ذلك من قومه، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك.

وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولد بمكة، وبها نشأ بعد أن كان مُسْتَرضعاً في بادية[3] سعد بن بكر[4]، قريباً من الطائف[5]، شرقي مكة، وهو صغير، ثم حملته مرضعته حليمة السعدية[6]

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) في ك و ط (ألاءه ونعمته).

(٣) **البدو والبادية الباداة والبداوة**: خلاف الحضر، والحضر: هو السكن بالمدن والقرى.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٢٣٣.

(٤) هم بنو بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٦٥.

(٥) **الطائف**: كانت تسمى قديماً (وج)، وسميت الطائف لما أُطِيْفَ عليها الحائط، وهي ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غزوان، وبها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط إلى مكة، وهي الآن المصيف الأول للمملكة العربية السعودية وملتقى طرق نجد واليمن والحجاز.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٧٧؛ والمجاز بين اليمامة والحجاز: ٢٥٤ لعبد الله بن محمد بن خميس، ط ٣، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

(٦) هي بنت أبي ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وزوجها الذي أرضعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بلبنه، هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن نصية بن نصر بن سعد بن بكر، وقد حضرت بالجعرانة ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقسم لحماً، فلما دنت من النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بسط لها رداءه فجلست عليه، =

إلى أمه بمكة، [1]لا يعلم شيئاً من ذلك، ولا هناك من يتعلم منه شيء من ذلك. وأهل مكة يعلمون حاله، وأنه لم يتعلم ذلك من أحد، ثم أخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه أحد إلَّا بتعليم الله له.

فكان هذا من أعلام رسالته، ودلائل نبوته، عليهم أولاً، وعلى غيرهم آخراً، فإنهم كانوا مشاهدين له، يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من أحد. وغيرهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة[2]، ويعلم أن قومه المكذبين له ــ مع حرصهم على الطعن فيه، ومع[3] علمهم بحاله ــ لو كان قد تعلم من أهل الكتاب، لقالوا: هذا قد تعلمه منهم. قال ــ تعالى ــ:

﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[4].

والمقصود أنه نفى علم قومه بما أخبره فيه، بياناً لآلاء الله[5] التي

= فقال أبو الطفيل: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته.
انظر: أسد الغابة ٦/٦٧ ــ ٦٩.

(١) في ط (ولا).

(٢) **الأخبار المتواترة**: هي ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره. وهذا ما يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح. وقد قيل ــ في العدد ــ: أكثر من خمسة. وقيل: عشرة، وهو المختار، لأنه أول جموع الكثرة، وقيل: أربعون. وقيل: سبعون. وقيل: ثلاثمائة وبضعة عشر.
انظر: تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي ٢/١٧٦ ــ ١٧٧ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ــ ٩١١هـ، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

(٣) سقطت الواو من أ.

(٤) سورة يونس: الآية ١٦.

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (لا إله إلَّا الله) وما أثبتناه أصح.

هي آياته ونعمه، فإن ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه، وفيه إنعام الله على الخلق بذلك.

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر قصة يوسف:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[2].

فنفى ـ سبحانه ـ شهادته[3] لهذه الأمور الغائبة وحضوره لها، تنبيهاً للناس على أنه أخبر بالغيب الذي لم يشهده، ولم يعرفه من جهة أخبار الناس، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك، ولا عاشر غير قومه. وكل من عرف حاله: يعلم أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك، لا من أهل الكتاب ولا ممن نقل عن أهل الكتاب.

فإذا كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4] أخبر بمثل ما أخبرت

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٢.
(٢) سورة القصص: الآيات ٤٣ ـ ٤٦.
(٣) في ك و ط (شهوده).
(٤) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

به الأنبياء قبله، في باب أسماء الله وصفاته وتوحيده، وملائكته وأوليائه وأعدائه، مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة: ما يمتنع اتفاق اثنين عليه، إلاَّ عن مواطأة بينهما. ومحمد وموسى ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لم يتواطأا، بل لم يواطىء محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحداً من الرسل قبله، ولا واطؤه[1].

والخبر الكذب إما أن يتعمد صاحبه الكذب[2]، وإما أن يغلط. فالكاذبان المتعمدان للكذب لا يتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة.

وكذلك الغالطان لا يتفق غلطهما في مثل ذلك. بل الاثنان من آحاد الناس إذا أخبر كل منهما عن حال بلدة[3] وأخبر الآخر بمثل خبره من غير مواطأة، عرف صدقهما، فكيف بالأمور الغائبة، التي لا يمكن العلم بها إلاَّ من جهة الله ـ تعالى ـ؟ فهذا من دلائل[4] نبوة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

وأما القدر الذي يخالف ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مما ينقلونه عن الأنبياء، فهو نوعان:

أحدهما: ما وقع فيه النسخ من الشرائع[5]، وهذا لا يمنعه، لكن

---

(١) في ط (واطئوه).

(٢) في ك و ط زيادة (فيه).

(٣) في ك و ط زيادة (رآها).

(٤) جمع دليل، يقال: دله عليه دَلالة ودِلالة ودُلالة ودَلولة فاندل: سدده إليه، والدليلي: الدلالة، أو: علم الدليل بها ورسوخه.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/٢٠٦.

(٥) في أ (الشريعة) وما في ك و ط أولى.

المنسوخ مثل هذا بالنسبة إلى ما لم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية، فإنه قليل جداً بالنسبة إلى ما لم ينسخ، وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الأنبياء، إذا اعتبر بما أمر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وجد عامة ذلك متفقاً لم ينسخ منه إلَّا القليل.

والثاني: الخبريات، وهذه قد ادعى بعض أهل الكتاب أن محمداً خالف بعض ما أخبرت به الأنبياء قبله، وهذا باطل، فإن أخبار الأنبياء لا يجوز أن تتناقض، إذ هم ـ كلهم ـ صادقون مصدقون. ومن[1] علم أن محمداً رسول الله، وأن موسى رسول الله، وأن المسيح رسول الله، علم أن أخبارهم لا تتناقض. لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا، فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره، لا ما يناقض خبر غيره.

وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو ـ عامته[2] ـ مما حرفوا معناه وتأويله، وقليل منه حرف لفظه. وأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ مع المسلمين[3] متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها[4]، إما عمداً وإما خطأً في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها. وإنما تنازع الناس: هل وقع التحريف في بعض ألفاظها؟ وكل[5] ما يدعي فيه[6] مدع[7] أن محمداً

---

(١) في ط (فإن).

(٢) في ك (غايته).

(٣) في ط (المسلمون).

(٤) هكذا في ط، وأما في أ و ك فقد سقطت (بها) وإثباتها أصح.

(٥) في ك و ط (فكل).

(٦) سقطت (فيه) من ك و ط.

(٧) في أ (مدعي)، والصحيح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ناقضه فلا بد له من أن يثبت مقدمتين:

إحداهما: ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبي.

والثاني: ثبوت معناه.

وكل من احتج بنقل عن نبي، فلا بد له من هاتين المقدمتين: الإسناد والمتن، فلا بد له من ثبوت اللفظ، ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ. وإذا كان النقل ليس بلغة النبي، بل بلغة أخرى، فلا بد من الترجمة الصحيحة، وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء(١).

فإن موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني إسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية(٢).

والمسيح كان عبرانياً، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلم بغيرها، كالسريانية واليونانية والرومية، بعض من اتبعه. وجمهور

---

(١) وبهذا الصدد أذكر أن أحد المؤرخين المعاصرين من النصارى ـ ولا أذكر اسمه ولا المصدر الذي عرفت عن طريقه ذلك ـ أعلن ـ إنصافاً للحقيقة ـ أنه يتأسف على عدم وجود الكتاب المقدس (عندهم) بلغته الأصلية، ويعترف للقرآن بالفضل الباهر، حيث بقي إلى يومنا ـ وإلى ما شاء الله ـ تعالى ـ بلغته الأصلية التي نزل بها، والتي قرأه بها من أنزل عليه، وهو محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا ما يرى فيه ذلك المؤرخ أو المفكر ذلك الجانب الشامخ من القيمة العلمية. ويقول د. صابر طُعيمة: إنه/ جميل حناطر أنجمان، في كتابه: الكتاب المقدس في اللغة العربية.

(٢) وها هم أولاء المعتدون اليهود الذين قدموا ضيوف نحس وثقل على وطننا الإسلامي من بلاد شتى: روسية وأوروبية وأمريكية بل وعربية وأفريقية، يجعلون العبرانية لغة رسمية، ويطلقون اسم (الجامعة العبرية Hebrew University) على جامعتهم، شعوراً منهم ـ أبعدهم الله ـ بأهمية اللغة ودورها في شخصية أهلها.

النصارى لا يُعْرَفُون بالعبرانية، فلا يحسنون[1] أن يقرؤوا بالعبرانية لا توراة ولا إنجيلاً، ولا غير ذلك، وإنما يتكلمون بذلك: [2]الرومية، أو السريانية[3] أو غيرهما، وإن كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية. بخلاف اليهود، فإن[4] العبرانية فاشية فيهم. وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول[5] بالرومية والسريانية أو بالعربية[6]، فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها فإنهم كثيراً ما يضطربون في الترجمة وصحتها[7] ويختلفون في معناها.

فهذه مقدمات ثلاث، لا بد لهم منها في كل ما يحتجون[8] من كلام الأنبياء، ولو لم يدَّعوا أنه معارض لما أخبر به محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فكيف إذا أدعوا به تناقضه[9] لما جاء به محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ؟! فإن قدر أنه ثبت أن[10] نبياً أخبر بشيء، امتنع قطعاً أن يخبر محمد بنقيضه. فإن فيما نقل عن محمد ــ صلَّى الله

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (يحسنوا) بحذف النون والأصح إثباتها كما في ك و ط.
(٢) في ك و ط زيادة (باللغة).
(٣) **السريانية**: لغة من اللغات المتفرعة من الآرامية، وهي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية.
انظر: المنجد في الآداب والعلوم ١٢ و٢٥٣، لويس معلوف، الطبعة الثامنة عشرة، بيروت.
(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (بأن) والأول أصح.
(٥) في ك و ط (المنقولة).
(٦) في ك و ط (بالعبرانية).
(٧) سقطت (وصحتها) من ك و ط.
(٨) في ط (يحتاجون).
(٩) في ط (مناقضته).
(١٠) في أ (عن نبي) وما أثبتناه من ك و ط أصوب.

عليه وسلَّم ــ أيضاً مـا ليس بثابت لفـظه، مثل بعض الأحـاديث الضعيفة والموضوعة، وفيما ثبت لفـظه ما ليس معنـاه صريحـاً في المناقضـة، بل لا يدل على ذلك.

فكم ممن يفسر القرآن بما لا يدل عليه لفظ القرآن، بـل ولا قالـه أحد من الصحابة بل[1] ولا التابعين[2].

كمن يقول: إنّ شعيباً النبـي هو[3] كان حمو[4] موسى. وليس في القـرآن والسنة وكـلام الصحابـة إلَّا ما يـدل على نقيض ذلـك[5]. وكمن يقول: إنّ الرسل الذين أرسلوا إلى القرية كانوا من أتباع المسيح. وليس في القرآن والمنقول عن الصحابة إلاّ ما يدل على نقيض ذلك[6].

وأما ما علم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[7] أخبر به، فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق مـا أخبر بـه، أعظم ممـا قامت على صدق غيره وصدق ما جاء بـه، فمهما عـارض ذلك عُلم أنـه كذب على الأنبياء. ولا يمكن أحداً من الخلق أن يذكر دليلاً قطعياً على

---

(١) سقطت (بل) من ك وط.

(٢) مفرده: تابعي: وهو من صحب صحابياً أو لقيه وإن لم يصحبـه. وقد عـدهم الحاكم خمسة عشر طبقة.

انظر: تدريب الراوي ٢/٢٣٤ ــ ٢٣٥.

(٣) سقطت (هو) من ك، وفي ط (كان هو).

(٤) في ط (حما).

حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمها أو الأحماء من قبلها خاصة.

انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٧١٨ ــ ٧١٩.

(٥) راجع البداية والنهاية ١/٢٢٤؛ وجامع البيان للطبري ٢٠/٦٢.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٥٥٤.

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

صحة ذلك النقل، بل غايتهم أن يذكروا طريقاً ظنياً لا يفيدهم إلَّا الظن، والظن لا يعارض اليقين.

فما جاء به محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يمكن صاحب النظر والاستدلال أن يعلمه علماً يقيناً، لا يرتاب فيه.

وما يناقضه لا سبيل لأحد إلى العلم به، ولا يُتصور أن يقوم بقلبه[1] منه إلَّا الظن والتقليد، وكلاهما لا يناقض[2] العلم، فهذا أصل جامع، ثم العارف يعبر عنه مع كل إنسان بحسب ما يوصل معناه[3] إلى ذلك المخاطب. والمقصود هنا أن يقال: كل ما يحتجون به على مخالفة ما ثبت عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليل: لا شرعي ولا عقلي، وهذا نعلمه[4] مجملاً.

ونحن نبين ذلك مفصلاً فنقول: ما يحتجون به إما أن يكون حجة عقلية، وإما أن يكون سمعية. أما العقليات: فمعلوم أن الحجج العقلية الدالة على فساد ما يقوله[5] النصارى، أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم. ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة:

أحدها: أن يُبين أن ذلك يَلزم غيره من الأنبياء، فإنهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه.

---

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ (عليه) والأرجح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه لأن الحديث عن صاحب النظر والاستدلال ــ المذكور آنفاً.

(٢) في ط (يناقضان).

(٣) سقطت (معناه) من ك.

(٤) في ط (نعلمه). في أ و ك (يعلمه) وقد أثبتنا ما في ط.
المقصود: صاحب النظر والاستدلال آنف الذكر.

(٥) في ط (تقوله).

فلا يقدح أحد بحجة عقلية في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلَّا كان ذلك قد جاء بطريق الأولى في غيره من الأنبياء، كما بينا في الرد على الرافضة[1]، أنه لا يقدح أحد في الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان إلَّا أمكن[2] أن يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه في علي، فيمتنع أن يكون عليّ[3] سليماً من القوادح في إمامته إلَّا والثلاثة أسلم منه، مما يقدح في إمامتهم.

ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في نبوتهم إلَّا ومحمد أبرأ مما يقدح في نبوته. وهذا كما لو[4] احتج محتج بما في القرآن من إثبات[5] الصفات، فيقال له: في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء مثل ذلك وأعظم[6]. وإذا احتج بإنزال المتشابهات، فيقال له: في الكتب المتقدمة من التشابه[7] أعظم مما في القرآن. وهل ضلت

---

(١) الرافضة: هم صنف من أصناف الشيعة الثلاثة، وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نص على استخلاف علي بن أبي طالب، باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنه معصوم في جميع أحواله.

انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١٦ ـ ١٧ للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ ٣٢٤هـ تصحيح المستشرق هلموت ريتر، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) في أ (مكن) بدون همز، والأولى ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٣) في أ (عليا).

(٤) في ك و ط (إذا).

(٥) في ك و ط (آيات).

(٦) سقطت (وأعظم) من ك.

(٧) في ك و ط (المتشابهات).

النصارى إلَّا باتباع المتشابه[1] من كلام الأنبياء وترك المحكم؟.

والثاني: أن يبين أن[2] تلك الحجة لا تصلح أن يعارض بها ما جاءت به الأنبياء، كما إذا أخذ بعض الناس يطعن في شيء من الشرائع بالرأي، بين له أن ما ثبت عن الأنبياء، لا يعارض برأي ولا قياس.

الثالث: أن يُبَيّن فساد تلك الحجة العقلية. إن كانت من باب الخبريات: بُيّن فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب «درء[3] تعارض العقل والشرع»[4] وذكرنا أن جميع ما يحتج به على خلاف نصوص الأنبياء من العقليات، فإنه باطل وذكرنا[5] ما يعتمد[6] عليه النفاة من[7] هذا الباب.

وإن كانت[8] من باب الطلبيات فهي من باب الأمر والنهي. فمن

(١) في ط (المتشابهات).
(٢) في ك و ط زيادة (مثل).
(٣) في ط (رد).
(٤) وهو الكتاب الذي طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (درء تعارض العقل والنقل) بتحقيق د. محمد رشاد سالم في عشرة مجلدات ومجلد للفهارس العامة وكان قد طبع من الكتاب ما يقارب ثلث حجم الكتاب الحقيقي وما لم ينشر أهم بكثير مما نشر وذلك بعنوان «بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول».
انظر: الكتاب المذكور ١/٣ ــ ٧.
(٥) في ط (فذكرنا).
(٦) كررت (ما يعتمد) مرتين في أ وهو خطأ نسخي بحت كما حصل في مواضع أخرى آثرت عدم الوقوف عندها.
(٧) في ك و ط (في).
(٨) في ط (كان).

كان في[1] مذهبه أنه لا يعلل أحكـام الله، ولا يقول إن[2] حُسن الأفعـال وقُبحها يُعْلم بالعقل، ولا ينزه الله عن فعل ولا عن حكم، بل يُجَوِّز عليه كل شيء، وإنما ينفي ذلك بالخبـر السمعي أو العادة، فهـذا يجيب بهذا الجواب، لكن عامة القلوب والعقول لا تقبل هذا.

وأمـا على قول الجمهـور: فنبين[3] مـا في مـأمـوراتـه من الحِكَم والمصـالح، ومـا في منهياتـه من المفـاسـد والضـرر، ونبين[4] رجحـان ما جاء به[5] على ما يعارض به، بل ونبين[6] رجحان شرائع الأنبياء على سيـاسات سـائر الأمم، بـل ونبين[7] رجحان شـريعة محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على[8] سائر الشرائع، وهذا مبسوط في مواضع[9].

وأمـا إذا احتج أهـل الكتاب على[10] منـاقضـة محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بحجة سمعيـة سواء كـانت من كلامـه، أو كلام غيـره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، كان الجواب من وجوه:

أحـدهـا: أن يقـال لهم: لا يمكنكم أن تصـدقـوا بنبـوة نبـي من الأنبيـاء مـع التكـذيب بمحمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ[11] والطريق

---

(١) في ك و ط (من).
(٢) في ك و ط (بأن).
(٣) في ك و ط (فيبين).
(٤) في ط (ويبين).
(٥) في ك و ط (فيه).
(٦) في ك و ط (فيبين).
(٧) سقطت (بل) من ط وفيها ــ أيضاً ــ (ويبين).
(٨) في ك و ط (وسائر).
(٩) انظر: الفصل الماضي من هذه الرسالة.
(١٠) في ك و ط (في).
(١١) في ك و ط زيـادة (فإنكم لا يمكنكم أن تحـتجـوا بكـلام أحـد من الأنبياء حتى تثبت نبوته).

الذي[1] بها تثبت نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] بمثلها وبأعظم منها. بل نحن نبين أن التصديق بنبوته، أولى من التصديق بنبوة غيره، وأن[3] كل ما يستدل به على نبوة نبي، فمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره، وما يعارض به نبوة نبي: فالجواب عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أولى من الجواب عن غيره.

فهو مقدم فيما يدل على النبوة، وفيما يجاب[4] به عن المعارضة، وهذه[5] أكمل في ذلك. فيمتنع مع العلم أو العدل أن يصدق بنبوة غيره مع التكذيب[6] بنبوته، كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين: أحدهما أكمل من الآخر في فن[7]، أن يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول[8] دون الفاضل. وقولنا مع العلم والعدل: لأن الظالم[9] يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول. والجاهل قد يعرف المفضول ولا يعرف الفاضل.

فإن كثيراً من الناس يعلمون فضيلة متبوعهم: إما في العلم أو العبادة[10] ولا يعرفون أخبار غيره حتى يوجد أقوام يعظمون بعض

---

(١) في ك و ط (التي).
(٢) ليس في ك و ط الجملة الدعائية.
(٣) في ك و ط (لأن).
(٤) في ك (جاءت).
(٥) في ك و ط (وهو).
(٦) في أ (الكذب) والأصح ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.
(٧) سقطت كلمة (فن) من أ، والأولى إثباتها.
(٨) في أ (المفضول) والراجح ما أثبتناه من ك و ط.
(٩) في ك و ط (العالم).
(١٠) في أ و ك (والعبادة) والأصح ما في ط وهو المثبت.

الأتباع دون[1] متبوعه الذي هو أفضل منه عند التابع[2]، وغيره لا يعرفونه، فهؤلاء ليس عندهم علم، ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء يرجح المفضول، لعدم علمه[3] بأخبار الفاضل. وهذا موجود في جميع الأصناف، حتى في المدائن، يفضل الإنسان مدينة يعرفها على مدينة هي أكمل منها، لكونه لا يعرفها.

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو[4] التفاضل، يستدعي معرفة كل منهما، ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي يقع بها[5] التماثل والتفاضل. كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم، وكتابه أصح، أو أن سيبويه[6] أعلم من الأخفش[7] ونحو ذلك.

وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[8].

---

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ (بعض الأتباع ومتبوعه) وإثبات (دون) أولى.

(٢) هكذا في ط، وفي أ و ك (المسامع) وقد اخترنا ما في ط.

(٣) في ك و ط (العلم).

(٤) في أ (والتفاضل) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٥) في ط (تستدعي).

(٦) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ١٨٠هـ وقيل غير ذلك، وله نيف وأربعون سنة.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٦٣ ـ ٤٦٥؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٧) هو الإمام الكبير، أبو عبد الله، هارون بن موسى بن شريك التغلبي الدمشقي، كان إماماً صاحب فنون وله تصانيف في القراءات والعربية، مولده سنة ٢٠٠هـ ووفاته سنة ٢٩٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٥٦٦؛ وشذرات الذهب ٢/٢٠٩.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1] .

والكلام في شيئين :

أحدهما : في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل، وهذا غاية الجهل والظلم . كقول الرافضة الذين يقولون : إن علياً كان إماماً عالماً عادلاً ، والثلاثة لم يكونوا كذلك .

وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون : إن موسى كان رسولاً ، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن كذلك، فإن هذا في غاية الجهل والظلم . بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة، ولكن فضل المفضول، فهذا أقل جهلاً وظلماً .

ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون، تارة في الكتب المنزلة عليهم، وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم، وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل، وتارة في أممهم .

فمن عنده علم وعدل : فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، أو في معجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعجزات غيره، أو في شريعته وشريعة غيره، أو في أمته وأمة غيره، وجد له[2] من التفضيل على غيره ما لا يخفى إلَّا على مُفْرط في الجهل أو الظلم .

فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر، وغيره هو النبي الصادق؟ !

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

(٢) سقط (له) من ط .

نعم: كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ما يبين لهم ذلك، كما أن كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة ما يبين لهم فضيلتهم على علي ــ رضي الله عنه ــ ، فهؤلاء في الجهل، وطلب العلم عليهم فرض، خصوصاً أمر النبوة. فإن النظر في أمر من قال: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[1].

مقدم[2] على كل شيء، إذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة، والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة، فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء، وبين الحق والباطل، والهدى والضلال. والفرق بين أولياء الله وأعدائه.

وكما يَسْلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار، بأن يَعْتَبر حال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه[3]، وينظر: هل هما متماثلان أو متفاضلان؟ وأيهما أفضل؟ وإذا تبين أن حاله أفضل، كان تصديقه أولى، وامتنع أن يكون غيره صادقاً وهو كاذب.

بل لو كانا متماثلين، وجب[4] كونه صادقاً، بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره أفضل. فإن المتنبي الكذاب لا يقارب الصادق، بل بينهما من التباين، ما لا يخفى إلاَّ على أعمى الناس.

وكذلك نسلك[5] هذه[6] الطريق في جنس الأنبياء ــ عليهم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) في أ و ك (مقدماً) وقد أثبتنا ما في ط لأنه أصوب.

(٣) في ط زيادة (وأمته).

(٤) في ط (لوجب).

(٥) في ك و ط (فكذلك يسلك).

(٦) في ط (هذا).

السلام ــ مطلقاً وأممهم، بأن تُعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم. وتُرى آثار هؤلاء وهؤلاء، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٤٦﴾[1].

[2]وقال ــ تعالى ــ[3]:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠٩ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝١١٠ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ لما ذكر آل فرعون ــ:

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾[5].

وكذلك قال ــ تعالى ــ[6] عن عاد ــ:

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ [يوسف: ١٠٩].

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك.

(٤) سورة يوسف: الآيات ١٠٩ ــ ١١١.

(٥) سورة القصص: الآية ٤٢.

(٦) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ (1) ﴾ (2).

وقال ـ تعالى ـ (3) عن قوم شعيب ـ :

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ (4) كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (5).

وإذا ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (6).

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (7).

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (8).

---

(1) **عاد**: كانوا عرباً يسكنون الأحقاف: وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها (الشحر)، واسم واديهم (مغيث) وهم ذرية عاد بن عوص بن سام بن نوح.
انظر: البداية والنهاية ١/١٢٠.

(2) سورة هود: الآية ٦٠.

(3) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك.

(4) **مدين**: مدينة قوم شعيب ـ عليه السلام ـ وهي تجاه تبوك، على بحر القلزم (البحر الأحمر). وقيل: هي (كفر مندة) من عمل (ولاية طبرية) وأهل مدين هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ .
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٢٤٦؛ والكامل ١/٨٩.

(5) ثمود: قبيلة من العرب العاربة، باسم جدهم (ثمود) أخي (جديس) وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح، يسكنون الحَجْر الذي بين الحجاز وتبوك.
انظر: البداية والنهاية ١/١٣٠.
سورة هود: الآية ٩٥.

(6) سورة الصافات: الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(7) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(8) سورة الصافات: الآية ١٢٠.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾[2].

ومثل هذا في القرآن كثير، فيذكر من حال الأنبياء وأتباعهم، وما حصل لهم من الكرامة، وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب، ما بَيَّن[3] حسن حال هؤلاء، وقبح حال هؤلاء.

ومما يوضح ذلك من أن من اعتبر حال[4] أهل الملل، من المسلمين واليهود[5]، والنصارى، وحال غيرهم، في العلوم النافعة والأعمال الصالحة، تبين له أن حال أهل الملل أكمل بما لا يُحصى. وإذا نَظَر ما عند غير أهل الملل، من الحكمة العلمية والعملية، كحكمة[6] الهند واليونان، والعرب من[7] الجاهلية[8]، والفرس

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٠.

(٣) سقطت (ما بين) من ك و ط، وثبت مكانها واو.

(٤) سقطت (حال) من أ وأثبتناها من ك و ط.

(٥) سقطت (واليهود) من ط.

(٦) في أ (فحكمة) وقد صوبناها من ك و ط.

(٧) في ك و ط (في).

(٨) **الجاهلية**: زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا: الجاهلية الجهلاء: فبالغوا. هذا هو تعريف ابن منظور كما في اللسان ١١/١٣٠ مادة (جهل). والجاهلية في نظر الأستاذ سيد قطب: هي ركام هائل من العقائد والتصورات، والفلسفات والأساطير، والأفكار والأوهام، والشعائر والتقاليد، والأوضاع والأحوال. يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة. والفلسفة بالأسطورة، ومن ثم يتخبط الضمير البشري تحت هذا الركام الهائل في ظلمات وظنون، لا يستقر منها على يقين. والحياة الإنسانية ــ بتأثير هذا الركام الهائل ــ تتخبط في فساد وانحلال، =

وغيرهم، وجد ما عندهم بعض ما عند أهل الملل، من الحكمة العلمية والعملية. فيمتنع أن يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى، وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وضلال. وكذلك يمتنع أن تكون الأمة لها علم نافع وعمل صالح، وأهل الملل ليسوا كذلك.

ففي الجملة: لا يوجد في غير أهل الملل من علم نافع وعمل صالح.. من حكمة علمية وعملية، إلاَّ وذلك في أهل الملل أكمل. ولا يوجد في أهل الملل شر، إلاَّ وهو في غيرهم أكثر.

وهؤلاء فلاسفة اليونان، الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة، وحكمتهم كحكمة سائر الأمم، نوعان: فطرية[1] وعملية. والعملية في الأخلاق، وسياسة المنزل، وسياسة المدائن. وكل من تأمل ما عند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، من سياسة الأخلاق والمنزل والمدائن، وجده خيراً مما عند أولئك بأضعاف مضاعفة.

فإن أولئك عمدة أمرهم: الكلام على قوى النفس الشهوية

= وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة، لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان!.

وهذه التصورات والفلسفات والمذاهب الموجودة الآن ــ وخاصة التي يقوم عليها الفكر الغربي والحياة الغربية ــ والتي يتأثر بها جمهور عريض في بلاد المسلمين وغيرهم ــ لم تجيء بخير من هذا الركام.

انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٦ ــ ٤٤ للشهيد سيد قطب. ١٩٦٥م دار الشروق بيروت ــ القاهرة.

وانظر: كتاب أخيه الأستاذ: محمد قطب: جاهلية القرن العشرين. فقد أفرد هذه المسألة بالحديث كما هو ظاهر من عنوانه.

(١) في ط (نظرية).

والغضبية، وقوة[1] العلم والعدل، كأمور[2] من جنس آداب العقلاء، ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله، ومن عبادته وحده لا شريك له، شيء له قدر والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية، ليس مما ينفع بعد الموت، إلَّا أن يستعان به على ما ينفع بعد الموت. والذي عندهم من العلم الإلهي قليل جداً، مع ما فيه من الخطأ الكثير[3].

وكل ما عندهم من علم نافع وعمل صالح، فهو جزء مما جاءت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيمتنع أن يكون هؤلاء المسمون بالحكماء وأتباعهم على حق في الاعتقاد، وصِدق في الأقوال، وخير في الأعمال، كما هو غاية مطلوبهم. والأنبياء وأتباعهم، ليسوا كذلك.

واعتبر ذلك بمن يُعرف[4] من خاصة هؤلاء وعامتهم، وخاصة هؤلاء وعامتهم ـ وإن كان بينهما من التفاوت ما[5] بين أهل الجنة وأهل النار ـ فالاعتبار في مثل ذلك، مما[6] جاء به التنزيل.

قال ـ تعالى ـ:

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾[7].

والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة يوزن[8] الشيء

---

(١) في ط (قوى).

(٢) في أ (مأمور) والأصح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٣) في ط (الكبير).

(٤) في ك و ط (تعرف).

(٥) في ك و ط (كما).

(٦) في ط (بما).

(٧) سورة النمل: الآية ٥٩.

(٨) في ط (توزن).

بما[1] يناظره، ويعتبر به قياس الطرد، وقياس العكس[2].

فيظهر لكل من تدبر ذلك أن أهل الملل أولى بالحق والصدق والخير من غيرهم، وإن كان لأولئك من الحكمة ما يناسب أحوالهم. وحكماؤهم أفضل من عوامهم، وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير أصلاً[3]، وهذا مما استفادوه أتباع الأنبياء منهم، فيكون هذا من دلائل نبوتهم، وأعلام رسالتهم، استدلالاً بالأثر على المؤثر، وبالمعلول على علته.

وكذلك من تدبر حال المسلمين، وحال اليهود والنصارى، تبين له رجحان حال المسلمين، فيكون هذا من دلائل نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وأعلام رسالته.

وقد ذكرنا في غير هذا الوضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة، وذكرنا طرقاً متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبي[4] الكذاب، غير طريق

---

(١) في أ (مما) والأصح ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ط (تعتبر).

القياس: تقدير شيء بشيء آخر، **فالطردي**: ما تناسب مقدار المقيس مع المقيس عليه قلة وكثرة، **والعكسي**: ما خالف أحدهما الآخر زيادة ونقصاً.

انظر: ابن قدامة وآثاره الأصولية ــ تحقيق كتاب روضة الناصر، وجنة المناظر ــ ٢/١٨ للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسي ــ ٥٥٨هـ، ت: د. عبد العزيز السعيد ط ٣، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م، ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٨ وما بعدها و ٢٥٩؛ وأصول مذهب الإمام أحمد: ٥٤٩ وما بعدها تأليف د. عبد الله التركي، ط ٣، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٣) في ط (ليس لهم من الحكمة ما لهم).

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (النبي) والأول أولى وأليق.

المعجزات[1]. فإن الناس كما قويت حاجتهم إلى معرفة الشيء، يسر الله أسبابه، كما يتيسر[2] ما كانت حاجتهم إليه في أبدانهم أشد. فلما كانت حاجتهم إلى النَّفس والهواء أعظم منها إلى الماء، كان مبذولاً لكل أحد في كل وقت. ولما كانت حاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى القوت، كان وجود الماء أكثر.

وكذلك لما كانت حاجتهم[3] إلى معرفة الخالق أعظم، كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها. ولما كانت حاجتهم إلى معرفة صدق الرسل ـ بعد ذلك ـ أعظم من حاجتهم إلى غير ذلك، أقام الله ـ سبحانه ـ من دلائل صدقهم، وشواهد نبوتهم، وحسن حال من اتبعهم، وسعادته ونجاته، وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح، وقبح حال من خالفهم، وشقاوته، وجهله وظلمه، ما يظهر لمن تدبر ذلك:

﴿... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[4].

وهذا الذي ذكرناه، من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه وأشباهه، واعتباره[5] بأضداده ومخالفيه، حتى يعرف في المتشابهين أيهم[6] أكمل

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراة) ١/ ١٤١ وما بعدها. و٢/ ٣٥٤ ـ ٣٦٧ فقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ خمسة أوجه فيما يثبت لأهل الكتاب نبوة محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بأسلوب قوي وفكر عميق، وانظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٤/ ٢٨٧ وما بعدها إلى آخر الكتاب، فقد تحدث المؤلف عن ذلك حديثاً دقيقاً وافياً.

(٢) في ك و ط (ييسر).

(٣) في ك و ط (وجود الماء أكثر لذلك. فلما كانت حاجتهم).

(٤) سورة النور: الآية ٤٠.

(٥) في أ زيادة واو عطف لا نرى لها محلاً، ولهذا تركناها كما في ك و ط.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (أنهم) في هذا الموضع وفي الذي يليه بعد بضع كلمات. وما في ك و ط أظهر ولهذا أثبتناه.

وأفضل، وفي المختلفين أيهم أولى بالحق والهدى، والعدل موجود في سائر الأمور علمها وعملها، كعلم الطب والحساب[1] والفقه وغير ذلك، فيمتنع ــ مع العلم والعدل ــ أن يقال: جالينوس كان طبيباً، وأبقراط[2] لم يكن طبيباً، * أو أن يقال تاميطميوس[3] كان فيلسوفاً، وأرسطو لم يكن فيلسوفاً[4] *، أو أن يقال: الأخفش كان نحوياً، وسيبويه لم يكن نحوياً، أو أن يقال[5] زُفَر والحسن بن زياد[6]، ومحمد بن الحسن[7] كانوا فقهاء، وأبو حنيفة لم يكن فقيهاً، أو أن أشهب[8]،

---

(١) في ك و ط زيادة (والنحو).

(٢) هو ابن إيراقليس، من تلاميذ اسقلبيوس الثاني، كان في أيام بهمن بن أردشير، قال يحيى النحوي: بقراط وحيد دهره، الذي يضرب به المثل، الطبيب الفيلسوف، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس. توفي سنة ٣٥٧ق. م، وعمره ٩٥ سنة.
انظر: طبقات الأطباء ٢٤؛ والفهرست ٤٠٠؛ وتاريخ الحكماء ٩٠.

(٣) من شراح كتب أرسطو، وكان أفلاطونيا محدثاً ولد سنة ٣١٧م، وعاش في القسطنطينية، وأيد الإمبراطور (جوليان) في العمل على إحياء الوثنية، وتوفي سنة ٣٨٨م.
انظر: الملل والنحل ٢/١٠٣٣ ــ ١٠٣٦؛ وتاريخ الحكماء ١٠٧؛ والفهرست ٣٥٥.

(٤) ما بين النجمتين ليس في ك ولا ط.

(٥) سقطت (يقال) من ك و ط.

(٦) **الحسن بن زياد**: هو اللؤلؤي، فقيه العراق، أبو علي الأنصاري مولاهم، الكوفي، كان أحد الأذكياء البارعين في الرأي، توفي سنة ٢٠٤هـ ضعفه أكثر من واحد من علماء السنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٤٣ ــ ٥٤٥؛ وميزان الاعتدال ١/٤٩١.

(٧) بدلاً من (محمد بن الحسن) جاء (يوسف بن خالد السمتي) في ك، وفي ط (يونس بن خالد السمتي).

(٨) هو ابن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي، أبو عمرو، الفقيه المصري، قيل: اسمه (مسكين) و(أشهب) لقب له، مات سنة ٣٠٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٣٥٩؛ ووفيات الأعيان ١/٢٣٨ ــ ٢٣٩.

وابن القاسم[1]، وابن وهب[2] كانوا فقهاء، ومالك لم يكن فقيهاً[3]، أو أن المزني[4] والبويطي[5] وحرملة[6][7]، كانوا فقهاء، والشافعي لم يكن فقيهاً[8]، وأن أبا داود[9] وإبراهيم الحربي[10]، ــــــــــ

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي، أبو عبد المصري، الفقيه، أثنى عليه كثير من الأئمة ووثقوه، وأنفق أموالاً كثيرة في طلب العلم، وكان زاهداً صبوراً مجانباً للسلطان، مات سنة ١٩١هـ، وله ٦٠ سنة.
انظر: طبقات الحفاظ ١٥٢؛ وشذرات الذهب ١/٣٢٩.

(٢) ابن وهب: هو الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم، الفهري مولاهم المصري، أحد الأعلام، كان فقيهاً محدثاً عابداً، وله تصانيف كثيرة، وصحب مالكاً عشرين سنة، ومات سنة ١٩٧هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٢/٥٢١ ـ ٥٢٣؛ وشذرات الذهب ١/٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٣) في أ تقدم ذكر الشافعي وأصحابه على ذكر مالك وأصحابه، والأولى العكس، وهو ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.

(٤) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو، أبو إبراهيم، المصري، فقيه زاهد، ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي سنة ٢٦٤هـ وله ٨٩ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢ ـ ٤٩٧؛ ووفيات الأعيان ١/٢١٧ ـ ٢١٩.

(٥) هو يوسف بن يحيى المصري البويطي أبو يعقوب، الفقيه، صاحب الشافعي، كان زاهداً مجتهداً ذاكراً، مات في سجن الخليفة الواثق سنة ٢٣١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٥٨ ـ ٦١؛ وتهذيب التهذيب ١١/٤٢٧ ـ ٤٢٩.

(٦) هو ابن يحيى بن حرملة بن عمران، أبو حفص التجيبي المصري، صاحب الشافعي، مات سنة ٢٤٣ أو ٢٤٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٥٨؛ سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٧) في ك و ط (الربيع).

(٨) في ك و ط (أو).

(٩) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥هـ.
تقريب التهذيب ١/٣٢١؛ ووفيات الأعيان ٢/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١٠) هو ابن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ١٩٨هـ =

وأبـا بكر الأثـرم[١] كـانـوا فقهـاء، وأحمد بن حنبـل لم يكن فقيهاً، أو أن علياً كان إمـام[٢] عدل، وأبا[٣] بكر وعمـر لم يكونـوا[٤] إمامي عـدل، أو أن نور الدين الشهيد[٥] كان عادلاً، وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلاً، أو أن كوشيار، كان يعلم الهيئـة[٦]، وبـطليمـوس[٧] لم يكن يعـرف

= وتفقه على الإمام أحمد وكان من نجباء أصحابه، زاهداً حافظاً للحديث قيماً بـالأدب مات سنة ٢٨٥هـ.

انظر: فوات الـوفيات ١/١٤ ـ ١٧؛ وصفـوة الصفوة ٢/٤٠٤ ـ ٤١٠ لأبـي الفـرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ، ت: محمود فاخوري ود. محمـد قلعة جي، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(١) هـو أحمد بن محمد بن هانىء، الطائي الحافظ الثبت الثقة، أحد الأئمة المشاهير، كان من أذكياء الأمة، مات سنة ٢٦١هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١/٢٥؛ وشذرات الذهب ٢/١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) في أ تردد بين نصب (إمام) وعدمه.

(٣) في ط (أبو).

(٤) في ك و ط (يكونا).

(٥) هـو محمود بن زنكي عمـاد الدين ابن أقسنقـر التركي أبـو القاسم، الملقب بـالملك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل الملوك في زمانه وأجلهم وأفضلهم، كان من المماليك، مولده سنة ٥١١هـ ومات سنة ٥٦٩هـ في دمشق، ودفن بمـدرسة النورية.

انـظر: الكامـل ٩/١٢٤ ـ ١٢٥؛ وسير أعـلام النبلاء ٢٠/٥٣١؛ والبـداية والنهـاية ١٢/٢٧٧ ـ ٢٨٤.

(٦) **علم الهيئة**: هو المعـروف بعلم الفلك، وهو علم مـوضوعـه: الأجرام العلويـة، أي الشمـوس والسيارات والثـوابت وتـوابعهـا، وذوات الأذنـاب، وهـو قسمـان: نـظري وعملي.

انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٤٨١.

(٧) **بطليموس**: هو القلوذي، مؤلف كتاب المجسطي، عالم بالرياضة والنجوم، وهو أول من عمـل الأسـطرلاب الكـرى (المنـظار الفلكي) والآلات النجـومية والمقـاييس والأرصاد، وقيل: بل هو تلميذ (ابرخس) أو أستاذه، وقد كـان في زمان (أدريـانوس) =

الهيئة[1]، أو أن النابغـة الجعدي[2] كان شاعراً، والنابغة الذبياني[3] لم يكن شاعراً، أو أن يقال: إن القمـر مستنيـر، والشمس ليست مستنيـرة، أو أن عطارد[4] نجـم ثاقب[5]، وزحل[6] ليس بنجم ثاقب، أو أن مسلماً كان عالماً بالحديث، والبخاري لم يكن كذلك، أو أن كتابه أصح من كتـاب البخاري. ونحـو ذلك مما يطول تعداده.

= و (انطونينوس).

انظر: الفهرست ٣٧٤؛ وتاريخ الحكماء ٩٥؛ وتتمة المختصر ١/١٢١.

(١) في ك و ط زيادة (أو أن أبا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة، وإقليدس لم يكن يعرف ذلك).

(٢) هـو قيس بن عبد الله ــ وقيل غير ذلك ــ ابن عمرو بن عـدس بن ربيعة بن عـامر بن صعصعة العامري الجعدي، طال عمره في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النـابغة الذبياني، عاش ١٨٠سنة ــ فيما يقال ــ وكان يذكر في الجاهلية دين إبراهيم ــ عليه السلام ــ ويصوم ويستغفر، ووفد على رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فـأسلم، وعـاش إلى زمن ابن الزبيـر ومات بـأصبهـان، وكـان من أصحـاب علي ــ رضي الله عنهما ــ.

انظر: أسد الغابة ٤/٥١٦ ــ ٥١٧؛ والإصابة ٣/٥٣٧ ــ ٥٤٠.

(٣) **النـابغة الـذبياني**: هـو زياد بن معـاوية بن ضبـاب الـذبيـاني الغـطفـاني المضـري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، وعـاش عمراً طـويلاً، وله ديوان شعر صغير مطبوع، ومات نحو سنة ١٨ق. هـ.

انظر: الأعلام ٣/٥٤ ــ ٥٥.

(٤) **عطارد**: هو أقرب السيارات إلى الشمس ومتوسط بعده عن الشمس ٣٥ مليون ميل، وهو يدور بسرعة كبيرة (٣٠) ميلاً في الثانية، ويشـاهد الفلكيـون على سطحـه جبالاً شامخة، وأودية عميقة.

انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٤٩٦ ــ ٤٩٧.

(٥) في ك و ط زيادة (ثقب ضوؤه).

(٦) في ك و ط (والمشتري).

زحـل: هو أبعـد السيـارات عن الشمس، نـوره أصفـر ثـابت، لكنـه ضعيف بسبب المسافة وفلكه واسع جداً، وهو يدور حول الشمس على بعد ٨٧٣ مليون ميل.

انظر: المصدر السابق ٧/٥٠٨.

فصل

اشتراطهم لصحة النبوة تبشير الأنبياء بها، والرد عليهم

والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم، وهو أن فيهم[١] من يقول: «محمد لم تبشر به النبوات، بخلاف المسيح فإنه بشرت به النبوات». وزعموا أن من لم تبشر به، فليس بنبي. وهذا السؤال يورد على وجهين:

أحدهما: أنه لا يكون نبياً حتى تبشر[٢] به.

والثاني: أن من بشرت به أفضل أو أكمل، ممن لم تبشر به[٣]، أو أن هذا طريق يعرف[٤] به نبوة المسيح، اختص به.

وأنتم قد قلتم: «ما من طريق تثبت به نبوة نبي إلَّا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق وأفضل» فأما هذا الثاني، فيستحق الجواب، وأما الأول[٥] نجيبهم عنه ـ أيضاً ـ لكن هل تجب[٦] الإجابة عنه؟ فيه[٧] قولان، بناء على أصل: وهو أنه: هل من شرط النسخ الإشعار بالمنسوخ؟ ولنظار المسلمين فيه قولان:

---

(١) في ك و ط (منهم).
(٢) في ك و ط (يبشر).
(٣) سقطت (به) من أ والأصوب إثباتها كما في ك و ط.
(٤) في ك و ط (تعرف).
(٥) في ك و ط زيادة (فنحن).
(٦) في ك و ط (يجب).
(٧) في أ (ففيه).

أحدهما: أنه لا بد إذا شرع حكماً يريد أن ينسخه، فلا بد أن يشعر المخاطبين بأنه سينسخه(١)، لئلا يظنوا دوامه، فيكون ذلك تجهيلاً لهم.

والثاني: لا يشترط ذلك.

وأيضاً، فمن بعث بعد موسى(٢)، هل يجب أن يكون مبشراً به؟ فيه قولان.

وبكل حال، فلا ريب عند علماء المسلمين أن المسيح ــ عليه السلام ــ بشر بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(٣).

وقد(٤) قال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي

---

(١) في ك و ط (بأني سأنسخه).

(٢) في ك و ط زيادة (بشريعة).

(٣) سورة الصف: الآية ٦. وفي ك و ط زيادة قوله: (الآية).
قوله ــ تعالى ــ (أحمد) يحتمل معنيين: **أحدهما**: المبالغة في الفاعل، يعني أنه أكثر حمداً لله من غيره. **وثانيهما**: المبالغة من المفعول، يعني، أنه يحمد بما فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره.
انظر: التفسير الكبير ٢٩/٣١٤ م ١٥.

(٤) سقطت (قد) من ك و ط.

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[3].

في موضعين من القرآن، أحدهما في التوحيد[4] والقرآن، والآخر في القبلة، والقرآن ومحمد.

فقال في الأول:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦، وسورة الأنعام: الآية ٢٠.

(٤) في ك و ط (أو).

(٥) سورة الأنعام: الآيتان ١٩، ٢٠.

وهذا في سورة الأنعام، وهي مكية[1].

وقال في سورة البقرة ــ وهي مدنية ــ :

﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾[2] ﴾[3].

---

(١) في ط (مدنية).

(٢) شطر المسجد: وجهة المسجد الحرام وتلقاءه وجانبه.
انظر: التفسير الكبير ٤/١٢٤ م ٢.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٤٤ ــ ١٤٧.
في أ جاء بقوله ــ تعالى ــ :
﴿**ومن حيث خرجت**﴾، إلى قوله: ﴿**فولوا وجوهكم شطره**﴾.
وهي الآية رقم ١٥٠ ثم أتبعها بقوله ــ تعالى ــ :
﴿**وإن الذين أوتوا الكتاب**. . . ﴾ الآيات.
وهي آخر الآية رقم ١٤٤ والآيتان التاليتان لها.
الممترين: الشاكين، وجملة: «فلا تكونن من الممترين». عائدة إلى أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأن بعضهم عاند وكتم، أو إلى أمر القبلة، أو إلى صحة نبوته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وشرعه، وهذا هو الأقرب، لأن أقرب المذكورات إليه قوله ــ تعالى ــ :
﴿**الحق من ربك**﴾.
فإذا كان ظاهره يقتضي النبوة وما تشتمل عليه من قرآن ووحي وشريعة. =

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ... وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(١).

وقال(٢) ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ؟ ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾(٥).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

= فقوله ـ تعالى ـ :

﴿فلا تكونن من الممترين﴾ . ظهر كونه راجعاً إليه .

انظر: التفسير الكبير ٤/١٤٤ م ٢ .

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩ .

(٢) سقطت الواو في ط .

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٤ .

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٧ .

(٥) سورة الرعد: الآية ٤٣ .

عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ . . . ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ[2] يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ[4] وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5] .

وقال ـ تعالى ـ[6] :

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[7] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣ وفي ك و ط زيادة (الآية).

(٢) هو جمع قلة من (ذقن) وهو من الإنسان مجمع لحييه.
انظر: المصباح المنير ٢٠٨ .

(٣) سورة الإسراء: الآيتان ١٠٧، ١٠٨ .

(٤) أي: يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم بالحسنة أي الكلمة الطيبة الجميلة.
أو لا يقابلون السيِّىء بمثله ولكن يعفون ويصفحون.
انظر: صفوة التفاسير ٢٠/٤٣٩ م ٢ .

(٥) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٤ .

(٦) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٧) سورة يونس: الآية ٩٤ وفي ط زيادة (الآية).

وإذا كان كذلك، فيقال: معلوم باتفاق أهل الملل، أنه ليس من شرط نبوة كل نبي أن يبشر به من قبله، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك، لا سيما ونوح وإبراهيم وغيرهما لم يُعلم أنه بُشِّر بهما من قبلهما، وكذا عامة الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل، لم تتقدم بهم[1] بشارات، إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة، كداود وأشعيا[2] وغيرهما.

وإنما قد يدعى[3] هذا فيمن جاء بنسخ[4] شرع من قبله، كما جاء المسيح بنسخ بعض أحكام التوراة، وكذلك محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. ففي مثل هذا يتنازعون المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم: هل يُشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ؟ على قولين.

وحينئذ[5] فالمسلمون يقولون: شريعة التوراة والإنجيل لم تشرع شرعاً مطلقاً، بل مقيداً، إلى أن يأتي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لا يعلم متى يكون، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿... فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ...﴾[6].

وقوله[7] ـ تعالى ـ:

﴿... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾[8].

---

(١) في ك و ط (يتقدم لهم).

(٢) سبق التعريف به ٢/ ٢٤ رسالة دكتوراه (من طبعتنا هذه)، د. علي بن حسن بن ناصر.

(٣) رُسمت في أ هكذا (يدعا).

(٤) في ك و ط زيادة (بعض) وهي في أ مضروب عليها.

(٥) في ك و ط زيادة (فنقول).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٧) في ط (قال).

(٨) سورة النساء: الآية ١٥.

ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل.

وهل يسمى هذا نسخاً؟ فيه قولان: قيل: لا يسمى نسخاً، كالغاية المعلومة. كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ . . . ﴾[1].

فإن ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل، لا يسمى نسخاً باتفاق الناس.

فقيل: إن الغاية المجهولة، كالمعلومة. وقيل: بل هذا يسمى نسخاً، ولكن هذا النسخ جائز باتفاق أهل الملل: اليهود وغيرهم. وعلى هذا، فثبوت نبوة المسيح ومحمد ــ صلوات الله وسلامه عليهما ــ لا تتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه، فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً.

وسواء قيل: إن الإشعار بالناسخ واجب، أو قيل: إنه غير واجب، فعلى القولين قد أشعر أهل الشرع الأول، بأنه سينسخ. فإن موسى بشر بالمسيح، وكذلك غيره من الأنبياء. وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء بشروا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وإذا كان هذا هو الواقع، فنبوة المسيح ومحمد ــ صلَّى الله عليهما[2] وسلَّم ــ لا تتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه.

وحينئذ فنقول: العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح، لا تتوقف على

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) في أ (عليه).

العلم بأن من قَبْلَهما بَشَّر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عُرِفت نبوته بطريق من الطرق، ثبتت نبوته عند من علم ذلك، وإن لم يُعْلَم أن من قَبْله بَشَّر به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قَبْله بمجيئه، وأن الإشعار بنسخ شريعة من قَبْله واجب أو واقع، صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته، علم أن هذا قد وقع، وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به[1]، يقدح في نبوته، وأنه[2] إذا قُدِّر أنه لم يخبر به من قبله ــ والإخبار شرط[3] في النبوة ــ كان ذلك قدحاً. قيل: الجواب هنا من طريقين:

أحدهما: أن يقال: إذا عُلِمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة: فإما أن يكون تبشير من قبله به لازماً لنبوته، واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً.

فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً عُلِمَ أنه قد وقع. وإن كان ذلك لم ينقل إلينا: إذ ليس كُلُّ ما[4] قالته الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا. وليس كل ما[5] أخبر به المسيح ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قُدِّر أن هذا ليس في الكتب الموجودة، لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه، بل يمكن أنهم ذكروه وما نقل. ويمكن أنه كان في كتب غير هذه[6]. ويمكن أنه كان في نُسخ غير هذه النُّسخ، فأزيل من

---

(١) في ك و ط زيادة (قد).

(٢) في ك و ط (فإنه).

(٣) في ك و ط (شرطاً) بالنصب.

(٤) في أ و ك (كلما).

(٥) في أ و ك (كلما).

(٦) في ط زيادة (الكتب).

بعضها، ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة، لا يمكن الجزم بنفيه.

فلو قُدِّر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب، لم يُقطَع بأن الأنبياء لم يبشروا به. فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء، ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يبشر[1] به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك، بل غاية ما يكون عند أحدهم ظن، لكونه طلب ذلك، فلم يجده.

ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية، لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء، كما في صحيح البخاري: أنه قيل لعبد الله بن عمرو[2]: «أَخْبِرْنا ببعض صفة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة، فقال: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر[3]، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة

---

(١) في ك و ط (تبشر).

(٢) هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات سنة الحرة ٦٢هـ بالطائف.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٣٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٨١ ــ ٩٤.

(٣) في أ (أو تغفر) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

الموجاء[1]، فأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً. وقلوباً غلفاً، بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله»[2].

ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور: قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس، فَيُعَبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في الحديث الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «خُفف على داود القرآن، فكان ما بين أن تُسرج[3] دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن»[4] والمراد به قرآنه: وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلَّا على محمد.

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد[5]: «أناجيلهم في صدورهم»[6] فسمى الكتب الذي[7] يقرؤونها ـ وهي القرآن ـ أناجيل.

---

(١) في ك (العرجاء).

(٢) أورده الشيخ هنا بشيء من اختلاف اللفظ وهو في صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق ٤/٣٤٢ ـ ٣٤٣ (٢١٢٥) وفي كتاب التفسير، سورة الفتح، باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ٨/٥٨٥ (٤٨٣٨) من فتح الباري.

(٣) في ك و ط (يسرج).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ـ تعالى ـ: ﴿... وآتينا داود زبوراً﴾ ٦/٤٥٣ (٣٤١٧) من فتح الباري بلفظ: «خفف على داود ـ عليه السلام ـ القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلَّا من عمل يده».
ورواه الإمام أحمد ٢/٣١٤.

(٥) **أُمَّة محمد**: هم أتباع ملة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وشريعته ومنهاجه وسنته. انظر: الملل والنحل ١/٣٠٨.

(٦) يبدو لي أن هذا النص هو من العهد الجديد. حسب الترجمة السائدة في أيام شيخ الإسلام، وقد بحثت عن هذه الجملة القصيرة المجتزأة فلم أعثر عليها.

(٧) في ط (التي).

وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى»[1]، فسمى الكتاب الثاني توراة.

فقوله: «أخبرني بصفة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة»[2] قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها، وكلها تسمى توراة، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به التوراة المعينة، وعلى هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ[3] منها هذه النسخ، فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها، ليس فيها هذا[4].

لكن هذا عندهم في نبوة أشعيا، قال فيها: «عبدي الذي سُرَّت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يُسْمَعُ صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحيى القلوب الغلف، وما أعطيه لا أعطي أحداً، يحمد الله حمداً جديداً، يأتي من أقصى الأرض، وتفرح البرية وسكانها، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يَضْعُفُ ولا يُغْلَب، ولا يميل إلى الهوى، مشقح[5]، ولا يُذِل الصالحين الذين هم كالقصبة

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح ١٨، العهد القديم **٢٤٢** الكتاب المقدس (عندهم) أي كتب العهدين القديم والجديد. مترجم من اللغات الأصلية: وهي العبرية والكلدانية واليونانية، دار الكتاب المقدس (عندهم) في الشرق الأوسط بمصر، ونصه في الترجمة الحالية: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسط إخوتك مثلي، له تسمعون».

(٢) هو في الأثر عن ابن عمرو المذكور آنفاً.

(٣) في ك و ط (تنسخ).

(٤) هذا تصريح من الشيخ المؤلف بأنه قد اطلع بصفة شاملة على كل ما هو موجود في وقته من الكتب السابقة ــ حسب ما أمكنه.

(٥) في أ بياض بمقدار كلمة وقد كتب أولها (مـ) وهي في ك و ط «مشقح» وأظن، أنها =

الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى. أثر سلطانه على كتفيه»[1].

وهذه صفات منطبقة على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمته، وهي من أجَلِّ بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك الزبور، ونبوة أشعيا، وسائر النبوات غير الإنجيل.

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل في القرآن هذا المعنى، فلا ريب أن ذكر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة[2] كثير متعدد[3].

الطريق الثاني من الجواب: أن نبين أن الأنبياء قبله بشروا به. وهذا هو دليل مستقل على نبوته، وعَلَم عظيم من أعلام رسالته. وهذا ــ أيضاً ــ يدل على نبوة ذلك النبي إذ أخبر بأنباء من الغيب، مع دعوى

= مقحمة، وربما يكون من شقحت البسرة: إذا تغيرت إلى الحمرة، ومن أشقح النحل: إذا أزهى.
انظر: اللسان ٢/٤٩٩ مادة: شقح.

(١) انظر: سفر أشعيا، الإصحاح ٣٥، فقرة ١ ــ ١٠ العهد القديم ٨١٥ والإصحاح التاسع فقرة ٦ العهد القديم ٧٩٠. والإصحاح الثاني والأربعين فقرة ١ ــ ٩.

(٢) في ك و ط زيادة (بهذا الاعتبار).

(٣) في ك و ط زيادة (ظاهر كما سنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة في قوله:
﴿... **يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**...﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧].
متناولة لجنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب، ولفظ الإنجيل يختص بما عند النصارى، ولهذا لم يذكر كونه في الزبور، مع أنه مذكور فيه إذ كان مندرجاً في لفظ التوراة).

النبوة، ويدل على نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لإخبار من تثبت نبوته بنبوته. هذا إذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته[1]، ولم يذكر في كتابنا.

وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى، كموسى والمسيح، فهذا مما تظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد، وهو ــ أيضاً ــ يتضمن أن كل ما ثبتت به نبوة غيره، فإنه تثبت به نبوته. وهو جواب ثانٍ لمن يجعل ذلك شرطاً لازماً لنبوته.



(١) في ك و ط (ثبوته) بالتاء المثلثة في أوله.

فصل

طرق العلم بشارة الأنبياء بمحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

ثم العلم بأن الأنبياء قبله، بشروا به يعلم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذِكْره.

الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم ـ بما وجدوه من ذكره فيها(١).

وهذا مثل ما(٢) تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم(٣)، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه، من غير رهبة ولا رغبة.

ولهذا قيل: إن المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها(٤).

---

(١) في ك و ط (بها).

(٢) رسمت في أ و ك هكذا: (مثلما).

(٣) في ك و ط زيادة: (وكانوا ينتظرونه).

(٤) في ك و ط زيادة (وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون * وقالوا: قلوبنا غلف. بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلاً =

ومثل ما تواتر عن أخبار النصارى بوجوده في كتبهم، مثل أخبار هرقل[1]. ملك الروم، والمقوقس[2] ملك مصر، صاحب الاسكندرية[3]، والنجاشي ملك الحبشة، والذين جاؤوه بمكة[4]، وقد ذكر الله ذلك[5] في القرآن في قوله عن اليهود:

﴿... وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ...﴾[6].

وقال ــ عن النصارى ــ:

= **ما يؤمنون * ولما جاءهم كتاب من عند الله، مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به، فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم، أن يكفروا بما أنزل الله، بغيا أن ينزل الله من فضله، على من يشاء من عباده، فباؤوا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين﴾**. [سورة البقرة: الآيات ٨٧ ــ ٩٠].

(١) **هرقل**: هو ابن أبوسطنيوس، وكان مدة ملكه **٢٥** سنة، وقيل **٣١** سنة، وفي أيامه كان النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ومنه ملك المسلمون الشام مات سنة **٢٠**هـ وقد مَلَك بعده ابنه أو ابن أخيه قسطنطين.
انظر: مروج الذهب ١/٣٢٨؛ والكامل ١/١٩٢؛ والبداية والنهاية ٧/٩٧.

(٢) هو جريج بن مينا القبطي. البداية والنهاية ٤/٢٧٢.

(٣) المشهورة بهذا الاسم هي الاسكندرية العظمى في بلاد مصر، ولقد بنى الاسكندر **١٣** مدينة سماها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٧٦.

(٤) أنظر: الخبر عن النفر العشرين، من نصارى نجران، الذين قدموا مكة قبل الهجرة فأسلموا. في دلائل النبوة ٢/٣٠٦ للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ــ ٤٥٨هـ. توثيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٥) في ك و ط زيادة (عنهم).

(٦) سورة البقرة: الآية ٨٩.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) ﴾[١].

وقوله:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا . . . ﴾[٢].

وقال ابن إسحاق[٣]: «حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٤]: أن يهود كانوا يستفتحون[٥] على الأوس والخزرج[٦] برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطّلبي، إمام المغازي، صدوق يدلس، مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/١٤٤؛ وسير أعلام النبلاء ٧/٣٣ ــ ٥٥.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دعا له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالفهم في القرآن فكان يسمى (البحر) و (الحبر) لسعة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة مات سنة ٦٨هـ بالطائف.

انظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٥؛ وأسد الغابة ٣/١٨٦ ــ ١٩٠.

(٥) **الاستفتاح**: الاستنصار.

انظر: ترتيب القاموس المحيط ٣/٤٤٣.

(٦) الأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيْقيا بن عامر ــ ماء السماء ــ ابن حارثة بن الغطْريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ و ٣٢٩ ــ ٣٣٠.

ما كانوا يقولون فيه. فقال معاذ بن جبل[1] وبشر بن البراء بن معرور[2]، وداود بن سلمة[3]، يا معشر يهود، اتقوا الله، وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته». فقال سَلَّام بن مِشْكَم[4]، أخو بني النضير[5]: «ما جاءنا شيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم».

---

(١) **معاذ بن جبل**: هو ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها كان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ١٨هـ وهو مشهور.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥٥؛ وأسد الغابة ٤/٤١٨ ــ ٤٢١.

(٢) **بشر بن البراء بن معرور**: هو ابن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي، من بني سلمة، شهد العقبة وبدراً وأحداً، ومات بخيبر سنة ٧هـ وذلك بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أكل منها مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .
انظر: أسد الغابة ١/٢١٨؛ وطبقات ابن سعد ٢/٢٠٢ و٣/٦١٨. والمسماة الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن منيع البصري الزهري ــ ٢٣٠هـ دار بيروت ودار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.

(٣) **داود بن سلمة**: هو الأنصاري، قال ابن حجر: له ذكر، ثم أورد هذا الأثر من رواية ابن أبي حاتم في التفسير ثم عقب بقوله: كذا رأيته في نسخة. ووقع في نسخة أخرى: «فقال لهم معاذ وبشر بن البراء أخو بني سلمة». كذا ذكره الطبري من هذا الوجه، فلعل الأول تصحيف.
انظر: الإصابة ١/٤٧٣.

(٤) هو: سيد بني النضير في زمانه، وصاحب كنزهم، وهو الذي نهى بني قومه عن نية إلقاء الحجر على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «هو يعلم». وهو زوج زينب بنت الحارث، التي أطعمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الشاة المسمومة في خيبر، وقد تزوج أم المؤمنين صفية بنت حيي فمات عنها، ومعنى ذلك أن سلّام قد مات قبل عام خيبر.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٤٧؛ والكامل ٢/٩٩ و١١٩ و١٥٠ و٢١٠.

(٥) هم قبيلة كبيرة من اليهود، كان رئيسهم حيي بن أخطب، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، غزاهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحاصرهم ــ بعد =

فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقال أبو العالية[2] وغيره: «كانوا ـ يعني اليهود ـ إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب[3] يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا، حتى نعذب المشركين ونقتلهم»[4]. فلما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً

= نقضهم العهد ـ وأجلاهم إلى الشام على أن لهم ما حملت الإبل، وفيهم نزلت سورة الحشر.

انظر: فتح الباري ٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣.

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

السيرة لابن هشام ٢/ ١٩٦، ورجال إسناد هذا الأثر ثقات سوى محمد بن أبي محمد، وقد ذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) **أبو العالية**: هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي البصري، وهو ثقة، فأما قول الشافعي: «حديث أبي العالية الرياحي رياح» فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط. ومذهب الشافعي: أن المراسيل ليست بحجة، فأما إذا أسند أبو العالية فحجة، وهو إمام مقرىء حافظ مفسر، أدرك زمان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه. وحفظ القرآن على أُبيّ بن كعب وذاع صيته، مات سنة ٩٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧؛ وتقريب التهذيب ١/ ٢٥٢.

(٣) **مشركوا العرب**: أولهم عمرو بن لحي من قَمَعة بن خِندق الخزاعي، فهو أول من غير دين إسماعيل ـ عليه السلام ـ فنصب الأوثان، وبَحَر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. وكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: « . . . لا شريك لك إلَّا شريكاً هو لك. . . » وكان لكل قبيلة صنماً، واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت: وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدي لها ويطاف وينحر.

انظر: السيرة لابن هشام ١/ ٧٨ ـ ٨٥.

(٤) في ك و ط (يعذب المشركين ويقتلهم) بالياء في الموضعين.

للعرب وهم يعلمون: أنه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] فأنزل الله هذه الآيات:

﴿. . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ. . .﴾[2].

وروى ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظَّفَري[3]، عن رجال من قومه قالوا: «ومما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله وهداه ـ أنا كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل الكتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: «قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم[4]، فكنا كثيراً ما[5] نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً من عند الله، أجبنا حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت[6] هؤلاء الآيات

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.
الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره: جامع البيان ٢/٣٣٤ (١٥٢٦) ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ونقله ابن كثير في تفسيره: تفسير القرآن العظيم ١/١٧٨.

(٣) في ك و ط (الطفري).

(٤) ارم: هم عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عموص بن سام بن نوح، ورسولهم: هو هود ـ عليه السلام ـ وقال مجاهد: إرم: أمة قديمة ـ يعني عادا الأول ـ كما قال قتادة والسري: إن ارم بيت مملكة عاد. قال ابن كثير: وهذا قول حسن جيد قوي.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٤١٦ ـ ٤١٧.

(٥) هكذا في ك و ط، وفي أ (مما) والأول أصح، وهو ما أثبتناه.

(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك (نزل) والأصوب ما في ط ولهذا اعتمدناه.

التي في البقرة:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

قال ابن إسحاق: «وحدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[2]، حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري[3]، قال: حدثني من شئت من رجال قومي، عن حسان بن ثابت الأنصاري قال: «والله أني لغلام يفعة[4]، ابن سبع سنين أو ثمان سنين، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يقول على أُطُم[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.
الأثر بمعناه في السيرة لابن هشام ٢/١٩٠. وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٣ (١٥١٩) ت: محمود شاكر. وقال: هذا له حكم الحديث المرفوع.. ورجحنا اتصاله».

(٢) هو الزهري، أبو عبد الرحمن، المدني، ثقة، من الطبقة الخامسة، مات قبل سنة ١٢٧هـ، في ولاية إبراهيم بن هشام.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٥٨؛ والكاشف ٢/١٨.

(٣) هو الأنصاري البخاري المدني، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البجلي: تابعي ثقة.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٤١.

(٤) في ط (يفقه).
من اليَفَاع: وهو ما ارتفع من الأرض مثل (سلام) وأيفع الغلام: شب.
انظر: المصباح المنير ص ٦٨١.

(٥) **الأُطُم**: القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح. وجمعه: آطام وأطوم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/١٥٧.

يثرب[1]، يصرخ: «يا معشر اليهود» فلما اجتمعوا عليه قالوا: «ما لك ويلك؟» قال: «طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة»[2].

وروى أبو زرعة[3]، بإسناد صحيح، عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة[4]، قال: «خرج[5] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو مُرْدِفِيَّ. ثم أقبل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في يوم حار من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل[6] فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يا ابن عمرو. ما لي أرى قومك قد شنفوك؟»[7].

---

(١) مدينة الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ سميت بأول من سكنها وهو: يثرب بن قانية، من ولد سام بن نوح. وقيل: إن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كره هذا فسماها طيبة وطابة. ويروى عن ابن عباس: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة.
انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٣٠.

(٢) السيرة لابن هشام ١/١٦٨، وإسناد هذا الأثر فيه مجهولون.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ، القرشي المخزومي. الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، قال إسحاق بن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل مات بالري آخر سنة ٢٦٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٣٦؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤.
أخبرني شيخي أ. د. محمد مصطفى الأعظمي: أن مسند أبي زرعة لا يزال في عالم المخطوطات.

(٤) مترجم له في ١٧٣/١ رسالة دكتوراه (من طبعتنا هذه) د. علي بن حسن بن ناصر.

(٥) في ك و ط زيادة (علينا).

(٦) هو ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط القرشي العدوي، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، كان موحداً في الجاهلية، توفي قبل مبعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ٢/١٤٣ ــ ١٤٤.

(٧) **الشَّنَف**: النظر إلى الشيء كالمعترض عليه أو كالمتعجب منه، أو كالكاره له. وشَنِف =

قال: «أما والله، إن ذلك لغير ثائرة[1] كانت مني فيهم، لكن أراهم على ضلال».

فخرجت أبتغي هذا الدين، فأتيت إلى أحبار[2] يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فخرجت حتى آتي أحبار خيبر، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام: «إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلَّا شيخ بالجزيرة». فخرجت، فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: «إن كل من رأيت في ضلالة، فمن[3] أنت[4]؟ قلت: أنا من أهل بيت الله[5]، ومن أهل الشوك والقَرْظ»[6].

فقال: «إنه قد خرج في بلدك نبي، أو خارج قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه وآمن به»، فرجعت فلم أحس شيئاً بعد، قال:

= له ــ كفرح ــ : أبغضه وتنكره فهو شَنِف. وفَطِن. والشانف: المعرض.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/٧٦٤.

(١) في ط (مأثرة) وهو تحريف.
الثائرة: طلب الثأر والدم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٣٩٤.

(٢) جمع حَبْر وهو العالم أو الصالح، ويجمع على حبور ــ أيضاً ــ.
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٧٣.

(٣) في ك و ط (ممن).

(٤) في ك و ط زيادة (قال).

(٥) هو الذي بمكة ــ حرسها الله ــ وهو البيت الحرام. وهو الكعبة زادها الله شرفاً.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٣٧؛ و٣/١١٦٨.

(٦) **القرظ**: هو استخراج الماء من الآبار.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٩٣.

«فأناخ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعيره، فقدمنا[1] إليه السفرة»[2]. قال زيد: «ما آكل شيئاً ذبح لغير الله» فتفرقا، فجاء رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فطاف بالبيت. قال زيد[3]: وأنا معه: وكان صنمان من نحاس يقال لهما (إساف) و (نائلة)[4] مستقبل الكعبة، يتمسح بهما الناس إذا طافوا، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا تمسهما ولا تمسَّح بهما».

قال زيد: فقلت في نفسي، وقد طفنا، لأمسنهما[5] حتى أنظر ما يقول، فمسستهما فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ألم تُنْهه؟» فلا والذي أكرمه، ما مسستهما حتى أنزل الله عليه الكتاب.

ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : إنه يبعث أمة وحده».

وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريباً من هذا

---

(١) في ط (قدمنا).

(٢) السّفْرة: طعام يصنع للمسافر. وسميت الجِلْدة التي يوعى فيها الطعام سفرة مجازاً. انظر: المصباح المنير ص ٢٧٩.

(٣) هو الراوي: زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) هما رجل وامرأة من جُرْهُم، لم يمهلهما الله ـ تعالى ـ حتى يَفْجرا في الكعبة، ولكنه قَبَّلها، فمُسخا حجرين، فأُخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبرة وعظة، فلما كان عمرو بن لحي: نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عُبدا من دون الله ـ تعالى ـ، وإساف هو ابن بغي، ونائلة هي بنت ديك.
انظر: الروض الأنف ١/١٠٥ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ـ ٥٨١هـ بتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

(٥) في ك و ط (لأمسهما).

اللفظ[1].

وقال ابن إسحاق: حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد[2] عن سلمة بن سلامة بن وقش[3]، قال:

---

(1) وهو عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : «أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بَلْدَح) قبل أن ينزل على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الوحي فَقُدِمْت إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سُفْرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلَّا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم. . .» الحديث.
وأخرج البخاري تعليقاً ـ عن سالم عن أبيه ـ مع الشك ـ عن موسى بن عقبة في رواية سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ـ أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويَتَّبِعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم فقال: «إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني»، فقال: «لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله»، قال زيد: «ما أَفِرُّ إلَّا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنَّى أستَطيعه، فهل تدلني على غيره»؟ قال: «ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً»، قال زيد: «وما الحنيف»؟ قال: «دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلَّا الله»، فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى. فذكر مثله فقال: «لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله»، قال: «ما أفر إلَّا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره»؟ قال: «ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً». قال: «وما الحنيف»؟ قال: «دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلَّا الله» فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرج. فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم».
أخرجهما البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢/٧ ـ ١٤٤ (٣٨٢٦ ـ ٣٨٢٧) من فتح الباري.

(2) **محمود بن لبيد**: هو ابن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي، أبو نعيم المدني، صحابي صغير، وَجُلّ روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٦هـ، وله ٩٩ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢٣٣/٢؛ وأسد الغابة ٣٤١/٤ ـ ٣٤٢.

(3) **سلمة بن سلامة بن وقش**: هو ابن زغبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل الأنصاري =

«كان بين أبياتنا يهودي، فخرج على نادي[1] قومه بني عبد الأشهل[2] ذات غداة، فذكر البعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثن، لا يرون أن بعثاً كائن بعد موت، وذلك قبل مبعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالوا: «ويحك يا فلان ـ أو ويلك[3] ـ وهذا كائن؟ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار، أن توقدوا[4] أعظم تنور في داركم، فتحمونه[5]، ثم تقذفوني فيه، ثم تَطَيِّنون عليَّ، وإني أنجو من تلك النار غداً. فقيل: يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: «نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن بيده»، قالوا: فمتى تراه[6]؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا

= الأشهلي، أبو عوف. شهد العقبتين والمشاهد كلها، ولاه عمر على اليمامة، مات سنة ٣٤هـ، وله ٧٠ سنة.

انظر: أسد الغابة ٢/٢٧٦.

في ك و ط (وقس) بالسين المهملة.

(١) في ك و ط (بادي) بالباء في أوله.

(٢) **بنو عبد الأشهل**: نسبة إلى عبد الأشهل بن جُشَمْ بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مُزَيْقِياء ـ ابن عامر ـ ماء السماء ـ ابن الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ـ وهو أدد ـ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان.

بطن من الأنصار.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ١/٦٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ ـ ٣٣٩.

(٣) ويح لزيد وويحاً له: كلمة رَحْمَة. والويل: حلول الشر.

انظر: ترتيب القاموس ٤/٦٦٥ ـ ٦٦٦.

(٤) في ك و ط (يوقدوا).

(٥) في ك و ط بالياء المثناة التحتية في المواضع الثلاثة.

(٦) في ط (نراه).

مضطجع بفناء[1] باب[2] أهلي وأنا أَحْدَث القوم فقال: «إن يستنفذ[3] هذا الغلام عمره يدركه». فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله، وإنه لحيٌّ بين أظهرهم، فآمنا به وصدقناه، وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا له: يا فلان، ألست الذي قلت ما قلت، وأخبرتنا؟ قال: «ليس به»[4].

وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ: أن غلاماً يهودياً[5] كان يخدم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فمرض، فأتاه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة. فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يا يهودي، أَنْشُدُك بالله[6] الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة[7] صفتي ومخرجي؟» قال: لا. قال الفتى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك[8]، وإني أشهد أن لا إلٓه إلَّا الله، وأنك رسول الله. فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أقيموا هذا من عند

---

(١) الفناء: ــ مثل كتاب ــ هو: سعة أمام البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه. انظر المصباح المنير ص ٤٨٢.

(٢) في ك و ط (بفنايات).

(٣) في ك (يستنقد) بالقاف وفي ط (يستقد).

(٤) السيرة لابن هشام ١/٢٢٥ وهذا الأثر رجال إسناده ثقات.

(٥) قال ابن حجر: لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته، إلَّا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب (العتبية) حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام (عبد القدوس) قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره.
انظر: فتح الباري ٣/٢٢١.

(٦) أي: ذكّرتك به، أو سألتك به مقسماً عليك.
انظر: المصباح المنير ٢/٦٠٥.

(٧) في دلائل النبوة زيادة (نعتي).

(٨) اللفظ في دلائل النبوة: «قال الفتى: يا رسول الله، إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك».

رأسه، وَلُوا[1] أخاكم». رواه البيهقي[2] بإسناد صحيح[3]. وقال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة[4]، قال: هل تدري عما كان إسلام أسيد[5] وثعلبة[6] ابني

---

(١) من وَلِيَه: إذا قام به، فهو ولي، والجمع: أولياء، قال ابن فارس: وكل من ولي أمر أحد فهو وليه.
انظر: المصباح المنير ص ٦٧٢.

(٢) هو: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، ولد سنة ٣٨٤هـ، درس على أبي عبد الله الحاكم، وتخرج، كان ديناً زاهداً ورعاً، مات بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، ونقل جثمانه إلى بيهق ودفن بها ـ على يومين من نيسابور ـ وكان له ٧٤ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣ ـ ١٧٠؛ ووفيات الأعيان ١/٧٥ ـ ٧٦.

(٣) وإسناده: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس. . .
انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٦/٢٧٢ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ ٤٥٨هـ، ت: د. عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٤) قريظة: اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة. وقريظة والنضير: أخوان من أولاد هارون النبي ـ عليه السلام ـ.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٦ لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري ـ ٦٣٠هـ دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٥) هو القُرَظي، أسلم وأحرز ماله وحسن إسلامه توفي في حياة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: أسد الغابة ١/١١٠.

(٦) وقيل: إن يامين لما أسلم قالت اليهود: والله ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلَّا أشرارنا. ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره «فأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك من قولهم:
﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة. .﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿. . . من =

سعيـة[1]، وأسد بن عبيـد[2]، نفـر من[3] هَـدْل[4]، لم يكـونـوا من بني قريظة وبني النضير، كانوا فوق ذلـك؟ فقلت: لا، قال: فـإنه قـدم علينا رجـل من الشام من يهـود يقال لـه: ابن الهيَّبَان[5]، فـأقام عنـدنـا، والله مـا رأينا رجـلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منـه، فقـدم علينـا قبـل مبعث النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بسنين، وكنـا إذا أقحـطنـا وقـلَّ علينـا المطر نقول: يـا ابن الهيَّبان، أخـرج فاستسق لنـا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمـام مخرجكم صـدقة! فنقـول: كم؟ فيقول: صـاعاً[6] من تمـر أو مُدَّيْن من شعير فنخـرجه، ثم يخـرج إلى ظاهـر حَرَّتنـا[7] ونحن معه،

= الصالحين﴾ [سورة آل عمران: الآيات ١١٢ ــ ١١٤].

وهو وأسيد وأسد من (بني هَدل) ليسـوا من بني قريـظة، فنسبهم فوق ذلـك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعـد بن معاذ. وقـد توفي في حياة النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أيضاً.

انظر: الإصابة ٢٨٧/١ و ٢٨٨؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٦٩/١.

(١) في ك و ط (سعيد).

(٢) هـو القُرَظي اليهـودي، وهو ابن عـم أسيـد وثعلبـة ابني سَعْيَة، ذكـره ابن حبـان في الصحابة.

انظر: طبقات ابن سعد ١٦٠/١؛ وأسد الغابة ٨٥/١؛ والإصابة ٣٣/١.

(٣) في ك و ط زيادة (بني).

(٤) في جميع النسخ بما فيها أ (هُذَيل) وهو تحريف.

هذه النسبة إلى (الهَدْل) وهم إخوة قريظة ودعوتهم في بني قريظة.

انظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣٨٢/٣.

(٥) هـو أبو عميـر، وهو رجـل يهودي قـدم من بيت المقدس إلى المـدينة، ينتـظر ظهور محمـد رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ لكي يتبعه ــ كمـا ورد في هذا الأثـر ــ وقد مات قبل البعثة ودفن بالمدينة.

انظر: البداية والنهاية ٨٠/٤.

(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك «صاع» والصحيح ما أثبتناه من ط.

(٧) **الحرة**: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. =

فنستقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب[1] قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة. فحضرته الوفاة، واجتمعوا إليه، فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير[2] إلى أرض البؤس والجوع[3]؟ قالوا: أنت أعلم. قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع[4] خروج نبي قد أظل[5] زمانه، هذه البلاد[6] مهاجره، فاتبعوه ولا تُسْتَبَقُن[7] إليه إذا خرج، يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي[8] الذراري والنساء ممن يخالفه، ولا يمنعنَّكم ذلك منه» ثم مات. فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شباناً أحداثاً: يا معشر يهود، والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان. فقالوا: ما هو به. قالوا: «بلى والله إنه لصفته» ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم

= انظر: مختار الصحاح: ١٢٩ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣م.

(١) جمع شِعْب وهو الطريق، وقيل: الطريق في الجبل.
انظر: المصباح المنير ص ٣١٣.

(٢) هو «الخميرة» ــ بتاء وبدونها ــ وهو ما يجعل في العجين. أراد بذلك الرخاء وسعة العيش.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٩.

(٣) المقصود بأرض الخمر والخمير أرض بيت المقدس، والمراد بأرض البؤس والجوع أرض المدينة أو الجزيرة العربية.
انظر: البداية والنهاية ٤/٨٠.

(٤) في ط (توقع).

(٥) من (أظلك فلان) إذا دنا منك كأنه ألقى عليه ظله.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٥.

(٦) في ط بزيادة واو.

(٧) في ط (تسبقن).

(٨) في ك و ط (سبي).

وأهاليهم. قال ابن إسحاق: فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم[1].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب، لما حدثه عن هرقل ـ وقد تقدم حديثه في أول الكتاب[2] ـ وذكر فيه: أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «إن يكن ما تقول حقاً، أنه نبي[3]، قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أَخْلُص[4] إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه».

وزاد البخاري في حديثه، وقال ابن الناطور[5]: وكان هرقل

---

(١) السيرة لابن هشام ١/٢٢٦، وإسناد هذا الأثر فيه مجهول. وقد أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق ـ أيضاً ـ من روايتين.
انظر: دلائل النبوة ٤/٣١ ـ ٣٢.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ١/٢٨١ ـ ٢٨٥ من طبعتنا هذه للزميل د. علي بن ناصر، والجواب الصحيح (طبع المدني) ١/٩٢ ـ ٩٦، قال الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ: «وكان هرقل من أجل ملوك النصارى في ذلك الوقت، وقد أخبر غير واحد: أن هذا الكتاب إلى الآن باق، عند ذرية هرقل، في أرفع صوان، وأعز مكان، يتوارثونه كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق إلى الآن عند (الفنش) صاحب (قشتالة وبلاد الأندلس) يفتخرون به، وهذا أمر مشهور معروف».

(٣) في ك و ط (لنبي، وقد).

(٤) أخلص: أصل.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٤.

(٥) في ط (الناظور) بالظاء المعجمة.
هو بالطاء المهملة، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة، وهو بالعربية حارس البستان. ووقع في رواية الليث عن يونس «ابن ناظورا» فعلى هذا هو اسم أعجمي، وقد روى أبو نعيم في الدلائل أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان، وقد كان أمير إيلياء «بيت المقدس».
انظر: فتح الباري ١/٤٠ ـ ٤١.

حَزّاء[1] ينظر في النجوم، فنظر فقال: «إن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة»؟ قال: تختتن اليهود، فلا يهمنك شأنهم، وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم[2]. ثم وجد إنساناً من العرب فقال: «انظروا، أمختتن هو»؟ فنظروا، فإذا هو مختتن. وسأله عن العرب فقال: يختتنون. وقال فيه: وكان برومية صاحب له، كان هرقل نظيره في العلم، فأرسل إليه وصار إلى حمص[3]، فلم يَرِمْ من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنه نبي[4].

وكذلك النجاشي ملك الحبشة، لما هاجر الصحابة إليه، لما آذاهم المشركون، وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم، وقرؤوا عليه القرآن، قال: فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا[5] عيسى بن[6] مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته[7]، فقال: وإن نخرتم، اذهبوا

(١) **الحزّاء**: هو الذي يشتغل بالزجر والكهانة.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٦٣٧.

(٢) في ط (فيقتلونهم).

(٣) **حمص**: بلد مشهور كبير، بين دمشق وحلب، في منتصف الطريق، يسمى باسم من أحدثه وهو حمص من مكنف العميلقي.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٤٢٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان. . . ، ١/٣١ ـ ٣٣ (٧) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/١٣٩٣ (١٧٧٣).

(٥) ما عدا: ما جاوز، من عداه عدواً.
انظر: مختار الصحاح ص ٤١٩.

(٦) في ط (ابن).

(٧) جمع بطريق: كلمة يونانية مأخوذة من كلمة «أب» في اللغة المذكورة، وهو لقب =

فـأنتم سيوم بـأرضي. يعني أنتم آمنون. وقـال هذا، لأن قـريشـاً أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا: «هؤلاء فارقوا ديننا، وخالفوا دينك»[1].

وفي الصحيـح[2]، حديث ورقـة بن نوفـل الـذي تـرويـه عـائشـة ــ رضي الله عنها ــ في بدء الوحي، قالت: «أول ما بدىء بـه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الوحي الرؤيا الصـادقة من[3] النـوم، وكان لا يـرى رؤيا إلَّا جـاءت مثل فَلَق الصبـح، ثم حُبِّب إليه الخـلاء، فكان يخلو بغـار حراء، فيتحنث فيـه ــ وهو التعبـد[4] ــ الليـالي ذوات العـدد ــ إلى أن قالت ــ: فأتت به خديجة ورقة بن نوفل، وكـان قد تنصـر في الجاهلية، وكـان يكتب من الإنجيل ــ مـا شاء الله أن يكتب ــ، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خبـر ما رأى، فقال ورقة: هـذا الناموس[5] الذي أنزل الله على موسى، ليتني

= لكل الذين يشتهـرون بخدمتهم لـلامبراطـورية أو الامبـراطور ولهم المقـام الأول في المملكة.

انظر: دائرة المعارف ٥/٤٧٧ ــ ٤٧٨ لبطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.

(١) في ك و ط زيادة (الحديث رواه أحمد وغيره).

رواه الإمـام أحمد ١/٢٠١ ــ ٢٠٣ قـال الهيثمي: «ورجال أحمـد رجال الصحيـح، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».

انـظر: مجمـع الـزوائـد ٦/٢٤ ــ ٢٧، وقـد ورد الحـديث في السيـرة لابن هشـام ١/٣٥٧ــ٣٦٢.

(٢) في ك و ط بالتثنية.

(٣) في ك و ط (في).

(٤) في أ (البعيد) وهو خطأ. والصواب مـا أثبتناه من ك و ط.

(٥) **الناموس**: صاحب سر الرجل، الذي يطلعه على باطن أمره، ويخصه بمـا يستره عن غيـره. وزعم ابن ظفر: أن النـاموس صـاحب سر الخيـر، والجاسـوس صاحب سـر الشر. والمراد به هنا جبريل ــ عليه السلام ــ وقـال: «على موسى» ولم يقـل: على =

كنت[1] جَـذَعاً أنصـرك[2] إذ يخرجـك قـومـك، قال: أَوَ مُخْـرِجيّ هم؟ قـال: لم يأت أحـد بمثل مـا جئت به إلاَّ عُـودِيَ، وإن يـدركني يـومـك أنصرك نصراً مؤزراً» ثم لـم ينشب[3] ورقة أن توفي[4].

= عيسى. مـع كونـه نصرانيـاً لأن كتاب مـوسى ــ عليـه السـلام ــ مشتمـل على أكثـر الأحكام بخلاف عيسى. وأما ما ذكره السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بنـاسوت المسيـح واتحد به. الروض الأنف: ١/٢٧٣.

فهـذا الـذي ذكـره السهيلي: محـال لا يعـرَّج عليـه في حق ورقـة وأشبـاهــه، ممن لم يـدخلوا في التبديـل، ولم يأخـذ عمن بدل. وقـد ورد بإسنـادين أحـدهمـا حسن والآخر ضعيف «ناموس عيسى» فعلى هذا كان ورقة يقول تارة نامـوس عيسى، وتـارة ناموس موسى، فعند إخبـار خديجـة له بـالقصة قـال لها: «نـامـوس عيسى» بحسب مـا هو فيـه من النصرانيـة، وعند إخبـاره النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال لـه: ناموس موسى. للمناسبة المذكورة آنفاً، وكل صحيح.

انـظر: فتح البـاري ١/٢٦؛ وغريب الحـديث ٢/١٩٩ لأبـي عبيد القـاسم بن سلاّم الهروي ــ ٢٢٤هـ مصورة عن ط ١، حيدرآباد الـدكن الهند، دار الكتـاب العربـي، بيروت ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

(١) سقطت (كنت) من ك و ط.

(٢) في ط زيادة (نصراً مؤزراً).

(٣) أي: لم يلبث. وأصل النشوب التعلق، أي: لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات. وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٣٤٠.
وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الـدعوة، وإلى أن دخـل بعض الناس في الإسـلام.
فإن ما في الصحيح أرجح وأصح.
انظر: فتح الباري ١/٢٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بُكَيْر. . . ، ١/٢٣ (٣) من فتـح البـاري ــ واللفظ للبخــاري وآخـره: «ثم فتـر الـوحي». ورواه مسلم كتــاب الإيمـان، باب بـدء الـوحي إلى رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، ١/١٣٩ ــ ١٤٥ (١٦٠ ــ ١٦١).

وقال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشرون رجلاً، أو قريب من ذلك ـ وهو بمكة ـ من النصارى، حين ظهر خبره بالحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم. فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الله ـ عز وجل ـ، وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا، فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به، وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده، اعترضهم أبو جهل[1] في نفر من قريش، فقالوا[2]: خيبكم الله من ركب، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم لترتادوا[3] لهم، فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم ـ أو كما قالوا لهم ـ، فقالوا: «سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم»[4]. ويقال: فيهم نزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟

---

(١) هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر سنة ٢هـ فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ـ أي جرحه جراحة لا يقوم معها ـ ثم تركه وبه رمق، ثم ذفف عليه ـ أسرع قتله ـ عبد الله بن مسعود، واحتز رأسه حين أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يُلْتَمَس في القتلى.

انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٨.

(٢) في ط (فقال).

(٣) **لترتادوا**: لتطلبوا.

انظر: ترتيب القاموس ٢/٤١٠.

(٤) في السيرة بقية كلامهم: «لم نأل أنفسنا خيراً».

﴿... ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ . . . ﴾[١]. الآية[٢].

وعن محمد بن عمر بن إبراهيم[٣] بن محمد بن جبير[٤]: حدثتني جدتي أم عثمان بنت سعيد[٥] بن محمد بن جبير[٦] عن أبيها سعيد[٧] بن محمد بن جبير بن مطعم[٨]، عن أبيه[٩] قال: سمعت أبي جبيراً يقول: لما بعث الله نبيه، وظهر أمره بمكة، خرجت إلى الشام، فلما

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٣.

(٢) في السيرة: إلى قوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [سورة القصص: الآية ٥٥]، بدلاً من قوله هنا: «الآية».
انظر: السيرة لابن هشام ٣٢/٢ والإسناد منقطع لم يصله محمد بن إسحاق.

(٣) في ك و ط (سعيد).

(٤) **محمد بن عمر بن إبراهيم**: هو من آل جبير بن مطعم القرشي، مكي، روى عن أم عثمان بنت سعيد، عن أبيها، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، روى عنه محمد بن يحيى.
انظر: الجرح والتعديل ١٩/٨ لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ــ ٣٢٧هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد. الهند ١٣٧١هـ.

(٥) في أ (سعد)، وقد صححناه من التاريخ الكبير للبخاري وك و ط والدلائل لأبي نعيم.

(٦) **أم عثمان**: لم أعثر لها على ذكر أو ترجمة، ولعلها المقصودة بقول الهيثمي في تخريج هذا الحديث: «. . . وفيه من لم أعرفهم».

(٧) في أ (سعد) وقد صوبناه كما تقدم.

(٨) هو سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم النوفلي المدني، ذكره ابن حبان في الثقات وهو مقبول من الطبقة الرابعة.
انظر: تقريب التهذيب ٣٠٤/١؛ وتهذيب التهذيب ٧٦/٤.

(٩) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي، النوفلي، أبو سعيد المدني، ثقة، عارف بالنسب، مات على رأس المائة.
انظر: تقريب التهذيب ١٥٠/٢؛ وتهذيب التهذيب ٦٣/٢.

كنت ببصرى[1]، أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم[2] أنت؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، قال[3]: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً[4] لهم، فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم؟ فنظرت فلم أرَ صورته، قلت: لا أرى صورته.

فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير، فيه صور أكثر مما في ذلك الدير. فقالوا لي: أنظر هل ترى صورته؟ فنظرت، فإذا أنا بصفة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته، وهو آخذ بعقب[5] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فقالوا لي: أنظر هل ترى صفته[6]؟ قلت: نعم. قالوا: هو هذا؟ وأشاروا إلى

---

(١) هي قصبة (عاصمة) كورة (منطقة) حَوْران بالشام وهي التي وصل إليها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي المشهورة عند العرب.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٠١.

(٢) يقصدون مكة المشرفة، والحرم: بمعنى الحرام مثل زمن وزمان. فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٤٣.

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (قالوا) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٤) **الدير**: بيت يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم، إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كان كنيسة أو بيعة وربما فرقوا بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى. قال الجوهري: ودير النصارى أصله الدار والجمع أديار، والديراني صاحب الدير. ودير بصرى: هو الذي كان به بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: معجم البلدان ٢/٥٠٠.

(٥) **العقب**: موخر القدم. وجمعه: أعقاب: وهي مؤنثة.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٣.

(٦) في ك (صورته).

صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قلت: اللهم نعم. أشهد أنه هو.

قالوا: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم.

قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده، رواه البخاري في تاريخه(١)، وقال فيه: قال الذي أراه الصور لم يكن نبي إلَّا كان بعده نبي، إلَّا هذا النبي ورواه أبو نعيم(٢) في دلائل النبوة(٣).

وروى موسى بن عقبة(٤) أن هشام بن العاص(٥)، ونعيم بن

---

(١) التاريخ الكبير الجزء الأول، القسم الأول ١٧٩ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ ٢٥٦هـ، حيدرآباد الدكن ١٣٦٢هـ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥ إلَّا أنه قال: «محمد بن عمر بن سعيد بن مجمد بن جبير» بدلاً من «محمد بن عمر بن إبراهيم...» واللفظ للبيهقي.

(٢) هو: الحافظ الكبير، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الصوفي الأحول، ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة، كان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد، توفي سنة ٤٣٠هـ، وله ٩٦ سنة.
انظر: ميزان الاعتدال ١/١١١؛ ولسان الميزان ١/٢٠١؛ وشذرات الذهب ٣/٢٤٥.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٥٥ ـ ٥٦ (١٢) ت: د. محمد رواس قلعة جي، وعبد البر عباس، ط ١، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٠هـ = ١٣٩٠هـ. قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٤٣، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم.

(٤) موسى بن عقبة، هو ابن أبي عياش الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه، إمام في المغازي، لم يصح أن ابن معين لينه، مات سنة ١٤١هـ وقيل بعدها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٨٦؛ وسير أعلام النبلاء ٦/١١٤ ـ ١١٨.

(٥) **هشام بن العاص**، هو ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، وهو أخو عمرو بن العاص، كان قديم الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة فحبس حتى قدم المدينة بعد الخندق، =

عبد الله[1]، ورجلاً آخر[2]، قد سماه[3]، بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر، قال: فدخلنا على جَبَلة بن الأيهم[4] وهو بالغوطة[5] ـ فذكر الحديث ـ

= كان قد فتن فافتتن استشهد بأجنادين سنة ١٣هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٦٣٦؛ والإصابة ٣/٦٠٤.

(١) **نُعَيْم بن عبد الله**، هو ابن أسيد بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، سمي (النحام) لما ورد عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها» ـ والنحمة: السعلة أو النحنحة الممدودة آخرها ـ أسلم قديماً، وشهد الحديبية، ولما قدم من هجرته اعتنقه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقبَّله، قتل يوم اليرموك شهيداً سنة ١٥هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٥٧٠؛ والإصابة ٣/٥٦٧ ـ ٥٦٨.

(٢) قال ابن حجر: «(عدي بن كعب) لا أعرفه. وقع ذكره في حديث غريب، روى المعافى في (الجليس) عن عبادة بن الصامت قال: بعثني أبو بكر إلى ملك الروم ومعي عمرو بن العاص، وأخوه هشام، وعدي بن كعب، ونُعَيم بن عبد الله فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم... ثم قال: ويحتمل أن يكون عدي بن كعب هذا هو أبو خيثمة والد سليمان: فقد سماه الأزدي كذلك».
انظر: الإصابة ٢/٤٧١.

(٣) ظاهر من هذا أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يكتب من حفظه ـ ولو أحياناً ـ إذ لو كان لديه كتاب المغازي لموسى بن عقبة لم يحتج إلى كلمة «قدسماه» ولاستطاع أن يذكر اسم الرجل صريحاً. وقد يكون لقوله: (قد سماه). سبب آخر. بل ربما تكون الجملة من قول غيره.

(٤) **جَبَلة بن الأيهم**، هو ابن جَبَلة بن الحارث بن أبي شمر ـ واسمه المنذر بن الحارث ـ وأمه مارية ذات القرطين، وهو الغساني الجفني، ملك النصارى من العرب، وغسان أولاد عم الأنصار، أوسها وخزرجها، أسلم وسكن المدينة، ثم ارتد وذهب إلى هرقل في القسطنطينية، وبقي فيها في نعيم دنيوي لا يخلو من حسرة على الإسلام، ثم مات سنة ٥٣هـ في خلافة معاوية.
انظر: البداية والنهاية ٨/٦٣ ـ ٦٦.

(٥) هي الكورة (المنطقة) التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلاً، يحيط بها جبال عالية جداً، وتمتد فيها أنهار تسقي بساتينها، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/١٠٠٥ ـ ١٠٠٦.

وأنه انطلق بهم إلى الملك وأنهم وجدوا عنده شبه الرَّبْعَة[1] العظيمة مُذَهبة، وإذا فيها أبواب صغار ففتح فيها[2] باباً، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء، فيها صورة بيضاء، وذكر صفة آدم، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح، ثم إبراهيم، ثم أراهم حريرة فيها صورة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال[3]: هذا آخر الأبواب لكني عجلته لأنظر ما عندكم، ثم فتح أبواباً أُخَر، وأراهم صورة بقية الأنبياء، موسى، وهرون، وداود، وسليمان، وعيسى بن مريم ــ عليهم السلام ــ وصفة لوط، وصفة إسحاق، وذكر أن هذا عندهم قديماً من عهد آدم، وأن دانيال صورها بأعيانها[4].

وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة، أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية ملك النصارى، أخرج له صور الأنبياء، وأخرج له صورة نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فعرفها[5].

والوجه الثالث: نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب وإخباره بأنه مذكور في كتبهم، مما يدل العاقل

---

(١) **الرَّبْعَة**: هي جؤنة العطار، وهي سُلَيْلَة مستديرة مغشاة أَدَما (جلدا) تكون مع العطارين.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٠ و١١٨.

(٢) في ك و ط (منها).

(٣) في ك و ط (فقال).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل في رواية مطولة ١/٣٨٥ ــ ٣٩٠؛ وأبو نعيم في الدلائل ١/٩.

(٥) أصل قصة دخول المغيرة على المقوقس بصحبة المالكيين الثلاثة عشر رواها الواقدي محمد بن عمر بن واقد ــ ٢٠٧هـ في المغازي ٢/٥٩٦ و٣/٩٦٤ ت: المستشرق د. **مارسدون** جونس مؤسسة الأعلمي: بيروت. ونقلها عنه في سير أعلام النبلاء ٣/٢٤ وليس فيها ذلك الصورة.

على أنه كان موجوداً في كتبهم، فإنه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر، أنه كان من أعقل أهل الأرض، فإن المكذبين له لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق، ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم، الذي لم يحصل لأحد مثله، لا قبله ولا بعده، فعلم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبر به، وهو من أحرص الناس على تصديقه، وأَخْبَرهم بالطرق التي يُصَدق بها، وأبعدهم عن أن يفعل ما يعلم أنه يكذب به.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، بل علم انتفاء ذلك. لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه وأعدائه، فإن هذا لا يفعله إلَّا من هو أقل الناس عقلاً، لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم، عند من يخبرونه، وهو ضد مقصوده، وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود على حقه فيأتي إلى من[1] يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهد ولا حضر قضيته، ويقول: هذا يشهد لي، وهذا يشهد لي.

فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية، فيقول أولئك: لسنا نشهد له، ولا حضرنا هذه القضية. فهذا لا يفعله عاقل، يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين، وأنهم يكذبونه[2]، ولا يشهدون له.

الرابع: أن يقال: لما قامت الأعلام على صدقه، فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة، وأن الأنبياء بشروا به، علم أن الأمر كذلك، لكن[3] هذا لا يذكر إلَّا بعد أن يقام دليل منفصل على نبوته.

---

(١) في ك و ط زيادة (لا).

(٢) هكذا في ط، وفي أ و ك (يكذبوه) والصحيح ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٣) في أ بدون (لكن) والأولى إثباتها كما في ك و ط.

والطريق الأول، هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب، وأظهر الأعلام على نبوته.

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنفات[1]، وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

واليهود يقرون باللفظ، لكن يدَّعون أن المُبَشَّر به ليس هو المسيح عيسى ابن مريم، وإنما هو آخر ينتظر. وهم ـ في الحقيقة ـ لا ينتظرون إلَّا المسيح الدجال[2]، وينتظرون ـ أيضاً ـ مجيء المسيح عيسى بن مريم إذا نزل من السماء، كما بسط في موضع آخر[3]، ويحرفون دلالة اللفظ، ويقولون[4]: إنها لا تدل على نبي منتظر، كما

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن د. أحمد حجازي السقا قد حاز على درجة الدكتوراه برسالته التي سماها البشارة بنبي الإسلام، في التوراة والإنجيل. وقد سألت د. صابر بن عبد الرحمن طعيمة: هل طبعت؟ فقال: إنها لم تطبع حتى الآن. (سألته سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

(٢) **الدجال**: رجل يخرج في زمن متأخر من عمر الدنيا، وتكون له أحوال عجيبة وخطيرة، وهو شاب، قطط ـ أي متجعد الشعر ـ عينه طافئة ـ أي خارجة عن صفة العين الطبيعية ـ ، يشبه رجلاً في عهد النبوة اسمه «عبد العزى بن قَطَن». ويبقى في الأرض ٤٠ يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه عادية. وله أوصاف كثيرة وردت في أحاديث صحاح وحسنة.
انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ **١٠/٣٣٢ ـ ٣٦٢**. لمجد الدين أبي السعادات، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦هـ ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان، **١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م**.

(٣) انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) **٢/١٨٦ ـ ١٨٧**.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (يقولوهن) وقد أثبتنا ما في ك و ط لأنه أولى.

قالوا في قوله: «سأقيم لبني إسرائيل[1] من إخوتهم مثلك يا موسى، أنزل عليه مثل توراة موسى، أجعل كلامي على[2] فيه»[3].

قال بعضهم: ليس هذا إخباراً[4]، بل[5] هذا استفهام إنكار، وقدروا ألف استفهام، وليس في النص شيء من ذلك.

فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح، وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدح في البشارة[6] بالمسيح، بل تبين دلالة النصوص عليه، وبطلان تحريف اليهود.

وكذلك البشارات بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الكتب المتقدمة، لا يقدح فيها تحريف أهل الكتاب، اليهود والنصارى، بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وبطلان تحريف أهل الكتاب.

الوجه الخامس: أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد ــ صلَّى الله

---

(١) في ك و ط زيادة (نبياً).
(٢) سقطت (على) من ك.
(٣) نصه في الترجمة الحديثة كما يلي: «يقيم لك الرب إلٓهك نبياً من وسطك، من إخوتك مثلي، له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلٓهك في (حوريب) يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلٓهي، ولا أرى هذه النار العظيمة ــ أيضاً ــ لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».
انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: **١٥ ــ ١٩**. العهد القديم: **٢٤٢**.
(٤) هكذا في ك و ط، وفي أ (أخبار) بغير النصب وقد صححناه من ك و ط.
(٥) في أ (بلى).
(٦) في ط (البشارات).

عليه وسلَّم ـ في مشارق الأرض ومغاربها، أعظم حادث حدث في الأرض. فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه، فإن شرع موسى وإن دام، فلم ينتشر انتشاره ودوامه، بل كان غاية ظهوره ببعض الشام. وأما شرع المسيح، فقبل قسطنطين لم يكن له ملك، بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها. وكانوا مستضعفين تُقْتَل(١) أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات. ولما انتشر تفرق أهله فرقاً متباينة، يكفر فيها بعضهم بعضاً.

ثم إن شرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ظهر في مشارق الأرض ومغاربها، وفي وسط الأرض المعمورة: الإقليم(٢) الثالث والرابع والخامس(٣)، وظهرت أمته على النصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم، كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها، ودام شرعه، فله اليوم أكثر من سبعمائة سنة(٤).

ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة، سواء كان صادقاً أو كاذباً، لا بد

---

(١) في ط (يقتل).

(٢) في ك و ط زيادة (الثاني و).

(٣) سقطت (الخامس) من ك و ط.

الإقليم الثالث: يبتدىء من المشرق، فيمر على شمال بلاد الصين إلى بلاد طنجة وينتهي إلى البحر المحيط، **والإقليم الرابع**: يبتدىء من أرض الصين ـ كذلك ـ إلى جزيرة قبرص وردوس وصقلية ثم البحر المحيط على الزقاق بين الأندلس وبلاد المغرب، **والإقليم الخامس**: يبتدىء من أرض الترك المشرفين ويأجوج المسرودين إلى بلاد الأندلس، وينتهي إلى البحر المحيط. أو أن الإقليم الثالث الحجاز ومدنه، والرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينها، والخامس الشام والروم والجزيرة.

انظر: معجم البلدان ١/٢٩ ـ ٣١؛ ومروج الذهب ١/٨٧.

(٤) حيث كان مولد المؤلف سنة ٦٦١هـ ووفاته سنة ٧٢٨هـ، والعبارة الآن يمكن أن تقال هكذا: فله اليوم أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

أن يخبر به الأنبياء، فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب، تحذيراً للناس[1] مع أن الدجال مدته قليلة، فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقاً، وأنه كاذب ليس برسول، لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال، فلو كان كاذباً، لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال، إذ ليس في العالم من زمان آدم إلى اليوم، كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام[2]، فكيف تغفل[3] الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذباً؟.

وإذا كان صادقاً: فالبشارة[4] للإيمان به، [5]أولى ما يُبَشِّر به الأنبياء من المستقبلات، ويُخْبر به، فعلم أنه لا بد أن يكون في الكتب ذكره. ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب، تزيد على مائة موضع، استدلوا بها على أنه مذكور، وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم، وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب إسلامهم ـ أو من أعظم سبب إسلامهم ـ علمهم بذكره في الكتب المتقدمة. إما بأنه وجد ذكره في الكتب، كحال كثير ممن أسلم قديماً وحديثاً. وإما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب، كالأنصار[6] فإنه كان من أعظم أسباب

---

(١) في ك و ط زيادة: «... من فتنته، وأنه كذاب يظهر على يديه أمور، يفتتن بها الناس».

(٢) في أ كتب فوق كلمة (والدوام) كلمة (بدا) وبجانبها رمز (صح) والظاهر أنها كلمة (أبداً).

(٣) في ك و ط (يغفل).

(٤) في ك و ط زيادة (به).

(٥) في ك و ط زيادة (من).

(٦) هم أهل المدينة، من الأوس والخزرج، الذين بايعوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه =

إسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته، وانتظارهم إياه، وأن من خيارهم من لم يوجب له أن[1] يسكن أرض يثرب مع شدتها، ويدع أرض الشام مع رخائها إلَّا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد إسماعيل.

ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال. وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه: كعمر بن الخطاب وغيره، وعدلهم وسيرتهم، عن المسيح وغيره، ما هو معروف عندهم. فإذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب، والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء، عُلم بذلك أن الأنبياء المتقدمين، ذكروه بالمدح والثناء، ولم يذكروه بذم ولا عيب.

وكل من ادَّعى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه، لم يكن إلَّا صادقاً في دعوى النبوة، إذ[2] يمتنع أن الأنبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[3].

وهذا مما يبين أنه لا بد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به، وأنهم لم يذكروه إلَّا بالثناء والمدح، لا بالذم والعيب، وذلك ــ مع دعوى

= وسلَّم ــ قبل الهجرة على الإسلام والنصرة، وكان العرب يسمون هذا الحي من الأنصار «الخزرج» خزرجها وأوسها. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٨٤.

(١) سقطت جملة (يوجب له أن) من أ و ك و ط، وقد أثبتناها من نسخة أكسفورد.

(٢) سقطت (إذ) من ك و ط.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

النبوة ـ لا يكون إلاَّ إذا كان صادقاً في دعوى النبوة، فتبين أنهم بشروا بنبوته، وهو المطلوب.

يبين ذلك[1] أن الأنبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من الأحداث، وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم، ويخربون بلادهم، ويسبونهم كـ (بخت نصر) و (سنجاريب)[2] ولكن هؤلاء الملوك لم يدَّعوا أنهم أنبياء، ولم يَدْعُوا إلى دين، فلم تحتج الأنبياء إلى التحذير من اتِّباعهم، وقد حذروا من اتِّباع من يَدَّعِي النبوة وهو كاذب.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد قهر أهل الكتاب، [3]وقتل من قتل وسبى من سبى، وأخرجهم من ديارهم، فلا بد أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجري عليهم في أيامه. وإذا كان كاذباً[4] مُدَّعِياً للنبوة، فلا بد أن يحذروهم من اتباعه. ومعلوم أن عامة أهل الكتاب

---

(١) في ط (تبين من ذلك).

(٢) (**سنجاريب**): اسم أكادي، وهو ملك أشور «بابل». (٧٠٤ ـ ٦٨٢ ق.م) وقد اعتلى العرش بعد وفاة والده سرجون، وقد سار بجيش كثيف إلى بني إسرائيل، ومعه ابن عمه «بختنصر» حتى نزل بيت المقدس، وكان ملك بني إسرائيل «صدقيا» مريضاً، فاقبل على الدعاء والتضرع فشفي، وأرسل إليه على عساكر سنجاريب ملَكَاً صاح بهم، فماتوا غير ستة نفر، فيهم سنجاريب وخمسة من كتابه فيهم «بختنصر» ـ في قول بعضهم ـ فأسرهم «صدقيا» ثم أوحى الله ـ تعالى ـ إلى أشعيا ـ فيما يقال ـ يأمره بإطلاق سنجاريب ومن معه فأطلقهم، فعادوا إلى بابل، وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات.

انظر: الكامل ١/١٤٤؛ والبداية والنهاية ٢/٣٣؛ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم): ص ٤٨٧.

(٣) في ك و ط تقدمت جملة (وسبى من سبى) على جملة (وقتل من قتل).

(٤) في ط (كاذياً) بياء مثناة وهو خطأ مطبعي.

ومن نقل عنهم إما أن يقول: ليس موجوداً في كتبنا، أو يقول: إنه موجود بالمدح والثناء، لا يمكن أحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير. ولو كان مذكوراً عندهم بالذم والتحذير، لكان من هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته، وعلى أمته بعد مماته، ويحتج به من لم يُسلم منهم على من أسلم.

فإنه معلوم أن كثيراً من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه، والحرص على إبطال أمره، ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد، وينسبوا[1] إليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره، حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن فسروا قول المسلمين «الله أكبر» بأن[2]«أكبر»: صنم، وأن النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم. وقال بعضهم فيه: إنه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثاً. عقوبة لزوجها بأنه لا ينكحها حتى يزني بها غيره. وقال بعضهم: إنه تعلم من «بحيرى[3] الراهب» مع علم كل من عرف سيرته أنه[4] لم يجتمع بـ (بحيرى) وحده، ولم يره إلاَّ بعض نهار[5] مع أصحابه، لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة، وأن (بحيرى) سألهم عنه، ولم يكلمه إلاَّ كلمات يستخبره فيها عن حاله[6]،

---

(١) في ط (ونسبوا).
(٢) في ط (بأنه).
(٣) في جميع النسخ وفي جميع المواضع رسمت هكذا (بحيرا) بخلاف الرسم الإملائي الحديث.
انظر: المفرد العلم في رسم القلم: ص ١٤١ لأحمد الهاشمي دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) في ط (بأنه).
(٥) في ك و ط زيادة (الواو).
(٦) في ط زيادة (الواو).

لم يخبره بشيء[1].

ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بأنه بعث بالسيف، حتى قد يقولوا: إنما قام دينه بالسيف، وحتى يوهموا الناس أن الذين اتبعوه إنما اتبعوه خوفاً من السيف، وحتى يقولوا: إن الخطيب إنما يتوكأ على سيف يوم الجمعة إشارة إلى أنه إنما يقوم[2] الدين بالسيف، إلى أمثال هذه الأمور، التي هي من أظهر الأمور كذباً عليه، يعرف أدنى الناس معرفة بحاله أنها كذب، وهم ــ مع هذا ــ يتشبثون[3] بها.

فلو كان عندهم أخبار عن الأنبياء توجب ذمه[4] والتحذير من متابعته، لكان إظهارهم لذلك. واحتجاجهم به، أقوى وأبلغ، وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم، قديماً وحديثاً، وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين، فإن هذا الأمر من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره.

فإذا لم يكن كذلك، عُلم أنه ليس في كتب الأنبياء ما يوجب تكذيبه[5]، وقد قام الدليل على أنه لا بد من أن تذكره الأنبياء وتخبر بحاله، فإذا لم يخبروا أنه كاذب، عُلم أنهم أخبروا أنه نبي صادق، كما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩١ ــ ١٩٤. وأخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٥/٥٩٠ (٣٦٢٠) قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه». قال بعضهم: «والظاهر أن الخبر لا يثبت، حيث ورد فيه: وبعث معه أبو بكر بلالاً. .» وقد كان أبو بكر حينذاك طفلاً صغيراً».

(٢) هكذا في ط وفي أ و ك (يقم) والأصح ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٣) التَّشَبُّث: التعلق، ورجل شَبِث ــ ككتف ــ : طبعه ذلك.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٦٤.

(٤) في ك و ط زيادة (وتكذيبه).

(٥) في ك و ط زيادة (وذمه).

شاع ذلك، وظهر واستفاض[1] من وجوه كثيرة.

فالكتاب الذي بعث به. مملوء بشهادة[2] الكتب له، والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة[3]، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك، وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل على صدقه في دعوى النبوة، وليس فيها ما يخبر بكذبه والتحذير منه، وهذا هو المطلوب.

وفي الجملة أمره أظهر وأشهر، وأعجب وأبهر، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر. ومثل هذا إذا كان كاذباً، فلكذبه لوازم كثيرة جداً تفوق الحصر، متقدمة ومقارنة ومتأخرة. فإن من هو أدنى دعوة منه إذا كان كاذباً، لزم كذبه من اللوازم ما يبين كذبه، فكيف مثل هذا؟ فإذا انتفت لوازم المكذوب[4] انتفى الملزوم.

وصدقه لازم لأمور كثيرة كلها تدل على صدقه، وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم، ماضيه ومقارنه ومتأخره. ومدعي النبوة لا يخلو من الصدق أو الكذب، وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات، فأدلة الصدق مستلزمة له، وأدلة الكذب مستلزمة له، والصدق له لوازم والكذب له لوازم. فصدقه يعرف بنوعين، بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه، وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاؤها انتفاء كذبه. كما أن كذب الكذاب يعرف بأدلة كذبه

---

(١) استفاض الخبر فهو مستفيض ومُستفاض فيه: إذا انتشر.
المصدر السابق ٥٤٢/٣.

(٢) في ك و ط زيادة (أهل).

(٣) في ك و ط زيادة (والأخبار متواترة عمن اطلع على ما فيها بذلك).

(٤) في ك و ط (المكذب).

المستلزمة لكذبه، وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم[1] انتفاؤها لانتفاء صدقه، والله أعلم.

والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته، وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه، وهو الذي يسمى قياس الخُلْف. فإن الشيء إذا انحصر في شيئين، لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر، ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر. ومدعي النبوة إما صادق، وإما كاذب، وكل منهما له لوازم. يدل انتفاؤها على انتفائه، وله ملزومات، يدل ثبوتها على ثبوته.

فدليل الشيء مستلزم له كأعلام النبوة ودلائلها، وآيات[2] الربوبية، وأدلة الأحكام[3] وغير ذلك. وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكاذب[4]، يقال: لو كان صادقاً، لكان متصفاً بما يتصف به الصادقون.

وكذلك كذب الصادق، يقال: لو كان كذاباً لكان متصفاً بما يتصف به الكذاب، فإنه قد عُرف حال الأنبياء الصادقين، والمتنبئين الكذابين، فانتفاء لوازم الكذب. دليل صدقه، كما أن ثبوت ما يستلزم الصدق. دليل صدقه. وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه، وبانتفاء لوازم صدقه، وهكذا سائر الأمور.



(١) هكذا في ط وفي أ و ك (المستلزمة) والأصوب ما في ط ولذلك أثبتناه.

(٢) في أ (أو آيات) والأصح ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.

(٣) في ك و ط زيادة (الشرعية).

(٤) في ك و ط (الكذاب).

في أ زيادة (أصل) وليست في ك ولا ط ولا نسخة أكسفورد، وقد وضع الناسخ فوقها رمز التهميش ولم أجد في الهامش إلاَّ رمزاً ـ كذلك ـ ويظهر لي أن الكلمة مقحمة من الناسخ.

فصـل

شهادات الكتب المتقدمة لمحمد ـ عليه الصلاة ـ وأمثلة منهـا

ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة[1]، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين[2] الملحدين[3]، كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه.

كما في قوله ـ تعالى ـ :

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾[4].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢/٢١٣ ـ ٢١٤، إلى جانب ما تضمنه الفصل السابق.

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف.

(٣) **الملحدون**: من الإلحاد، وهو في اللغة: العدول عن الاستقامة، والانحراف عنها، أو هو الجدال والمراء، والملحدون: هم أصحاب المذاهب المادية والطبيعية، التي لا تعترف بما وراء المادة، ولا تؤمن بغير المحسوس. قال الفيومي: قال بعض الأئمة: والملحدون في زماننا هم الباطنية، الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن ـ فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن.
انظر: مفاتيح الغيب ١٥/٧٥؛ ومعالم الثقافة الإسلامية ص ٢٦ لعبد الكريم عثمان ط ٥، مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م؛ والمصباح المنير ص ٥٥٠.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٨٨.

وقوله:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ . . .﴾[1].

وقوله: ﴿. . . قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ . . .﴾[2].

وقوله:

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ . . .﴾[3].

وقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤)﴾[4].

وقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾[5].

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٣. وفي ك و ط زيادة (وقوله: **﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾**)[سورة الأنعام: الآية ١١٤].

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦؛ وسورة الأنعام: الآية ٢٠.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٨٣، ٨٤.

(٥) سورة الإسراء: الآيتان ١٠٧ ــ ١٠٨.

وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: «جاء الله من طُور سَيْنا[1]»، وبعضهم يقول[2]: «تجلى الله من طور سينا، وأشرق من ساعير[3]، واستعلن من جبال فاران»[4].

قال كثير من العلماء ـ واللفظ لأبي محمد بن قتيبة[5] ـ ليس بهذا خفاء ـ على من تدبره[6] ولا غموض، لأن مجيء الله من طور سينا: إنزاله التوراة على موسى من طور سينا، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على

---

(١) **طُور سَيْنا**: بكسر السين ويروى بفتحها ـ وهو اسم جبل بقرب «أيلة». ـ مدينة على ساحل بحر القُلْزُم ـ الأحمر ـ مما يلي الشام. وعنده بُلَيْد ـ تصغير بلد ـ فتح في زمن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سنة ٩هـ صلحاً.

انظر: معجم البلدان ١/٢٩٢ و ٤/٤٨.

(٢) في ك و ط زيادة (في الترجمة).

(٣) اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم، وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا.

انظر: معجم البلدان ٣/١٧١.

(٤) تمام النص من الترجمة الحديثة: «وهذه هي البركة، التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سينا، وأشرق لهم من سعير، وتلالأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، ١ ـ ٣ العهد القديم ٢٦٢.

(٥) في ك و ط (واللفظ لمحمد بن قتيبة).

أبو محمد بن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينَوَري، وقيل: المروزي، النحوي اللغوي، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحَدّث بها، كانت ولادته سنة ٢١٣هـ ووفاته فجأة سنة ٢٧٠ او ٢٧١ أو ٢٧٦هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢ ـ ٤٣؛ ولسان الميزان ٣/٣٥٧ ـ ٣٥٩؛ واللباب في تهذيب الأنساب ٣/١٥.

(٦) في ط (تدبر).

المسيح، وكان المسيح من ساعير ــ أرض الخليل[1] بقرية تدعى (ناصرة) ــ وباسمها يسمى من اتبعه نصارى[2].

وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وجبال فاران هي جبال مكة. قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم[3].

قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن (هاجر)[4] و (إسماعيل) فاران؟

وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح. أو ليس (استعلن) و (عَلِنَ)

---

(١) **الخليل**، هو نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ وهو ابن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن آرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قنيان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح ــ عليه السلام ــ وسمي الخليل لقوله ــ عز وجل ــ:
﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٥].
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٢٣٣؛ والبداية والنهاية ١/١٣٩.

(٢) في ك و ط (سمي من اتبعه من نصارى).

(٣) راجعت ما وقع بين يدي من مؤلفات ابن قتيبة فلم أعثر على هذا النص.

(٤) **هاجر**: كانت جارية عند ملك مصر، فأعطاها سارة امرأة إبراهيم ــ عليه السلام ــ خادمة لها، ثم قالت سارة لإبراهيم: إن ربي قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولداً، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم فولدت له إسماعيل، ولإبراهيم من العمر ست وثمانين سنة، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة. وماتت هاجر بمكة بعد زواج ابنها إسماعيل لما بلغ الرشد ودفنت بالحِجْر، وكانت الروم تسمي العرب (سارقيوس) يعني: عبيد سارة بسبب هاجر فنهاهم نقفور عن ذلك.
انظر: الكامل ١/٧١ و١٩٣؛ والبداية والنهاية ١/١٥٠ ــ ١٥٥.

وهما[1] بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف[2].

فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام[3] وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟

وقال[4] ابن ظَفَر[5]: (ساعير) جبل بالشام، منه ظهرت نبوة المسيح[6]. قلت: وبجانب بيت لحم[7]، القرية التي ولد فيها المسيح، قرية[8] تسمى إلى اليوم ساعير، ولها جبل تسمى ساعير[9].

وفي التوراة: أن نسل العيص[10] كانوا سكاناً بساعير، وأمر الله

---

(١) في ط بدون عطف.

(٢) عَلِنَ الأمر: من باب دَخَلَ وطَرِب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٥٢؛ وانظر: اللسان ١٣/٢٨٨ ـ ٢٨٩ مادة: عَلن.

(٣) في ط (فهل تعلمون ظهر دين ظهور الإسلام).

(٤) في ك و ط زيادة (أبو هاشم).

(٥) هو: حجة الدين أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظَفَر الصَّقَلِّي، نشأ بمكة، وسكن حماة، وكان قصيراً لطيف الشكل، وله نظم وفضائل مات سنة ٥٦٥هـ بحماة.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(٦) لعل هذا القول في كتاب «خير البِشَر بخير البَشَر». لابن ظفر، وأظنه غير مطبوع إن لم يكن مفقوداً، والذي ذكره ابن خلكان.

(٧) هو: بُليد قرب البيت المقدس، المشهور أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد به، وقيل: هو بالخاء المعجمة، وقيل: لغتان.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٣٨.

(٨) هكذا في ك و ط زيادة (قرية) وليست في أ، وإثباتها أولى.

(٩) انظر: معجم البلدان ٣/١٧١.

(١٠) **العيص**: هو ابن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، وأمه: رفقا بنت بتويل، وأخوه التوأم يعقوب، و**العيص** أكبرهما، وقد ولدا وعمر إسحاق ٦٠ سنة، وزوجته هي: نسمة بنت عمه إسماعيل، وقد ولدت له الروم بن عيص، وكل بني الأصفر من ولده، وهو أحب من يعقوب إلى أبيه، وكان صاحب صيد.
انظر: الكامل ١/٤٦ و ٧١؛ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٦٤٩.

موسى أن لا يؤذيهم[1].

وعلى هذا، فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاً، جبل حراء[2] الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه، ومنه كان نزول أول الوحي على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وحوله من الجبال، جبال كثيرة، حتى قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل[3]. وذلك المكان يسمى فاران، إلى هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن[4].

والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران، ولا يمكن أحداً أن يدعى أنه ـ بعد المسيح ـ نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي. فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلَّا إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو ـ سبحانه ـ ذكر هذا في[5] التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول: جاء أو[6] ظهر، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن. وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد[7] به النور والهدى.

---

(١) انظر: سفر التكوين الإصحاح السادس والثلاثين ٨/٩؛ والعهد القديم ٥١.

(٢) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، ويقابله جبل ثبير وحراء أرفع منه.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٣٣.

(٣) بحثت عن مصدر لهذه المعلومة، فلم أصل إلى شيء.

(٤) فقد كان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يجاور ـ يعتكف ـ في كل سنة شهراً في حراء، فجاور في تلك السنة التي ابتدأ نزول القرآن عليه في شهر رمضان.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٥٢.

(٥) في ط (بالتوراة).

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ بالعطف، وما أثبتناه أرجح.

(٧) في ط (ازداد).

وأما نزول القرآن. فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران، فإن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت[1] في مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا سماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً[2].

والخلق يحتاجون[3] إلى السراج المنير، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل[4]: قد يَنْضَرّون[5] به بعض الأوقات. وأما السراج المنير. فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية.

وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «زويت[6] لي الأرض، [7] مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيْ لي منها»[8].

---

(١) في ك و ط (استعلنت).

(٢) الوهاج: الحار المضطرم الاتقاد.
انظر: البحر المحيط ٨/٤١١.

(٣) في ك و ط (محتاجون).

(٤) في ك و ط (بل قد) بدلاً من (وكما قيل).

(٥) في ك و ط (يتضررون).

(٦) زويت: جمعت وقبضت.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٩٦.

(٧) في ك و ط زيادة (فرأيت).

(٨) الحديث رواه مسلم عن ثوبان بلفظ: (إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...) الحديث. كتاب الفتن...، باب هلال هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٥ (٢٨٨٩) ورواه أبو داود بنحوه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ٤/٩٧ (٤٢٥٢). =

وهـذه الأمـاكن الثـلاث أقسم الله بهـا في القـرآن في قـولـه ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾[1].

فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة الذي[2] ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل، وأقسم بطور سنين[3]، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى، وناداه من واديه الأيمن من[4] البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين: وهي مكة، وهو[5] البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه، وهو الذي جعله الله حرماً آمناً، ويُتَخَطَّف الناس من حولهم[6]، خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً، فإن إبراهيم حرمه ودعا لأهله، فقال:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

= والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثاً في أمته، ٤/٤٧٢ (٢١٧٦) وابن ماجه بلفظ: (زويت لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها. . . قيل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لك. . .» أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ٢/٣٦٨ (٤٠٠٠) والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، ٤/٤٤٩. ورواه أحمد عن شداد بن أوس، ٤/١٢٣.

(١) سورة التين كاملة.
(٢) في ط (التي).
(٣) في ك و ط (سينا).
(٤) في ك و ط (في).
(٥) سقطت (هو) من ك و ط.
(٦) في ك و ط زيادة (وجعله آمناً).

﴿لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[١].

و[٢]قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً[٣] لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[٤].

فأخبر الله ـ تعالى ـ أن إبراهيم دعا الله بأن يجعل مكة بلداً آمناً، واستجاب الله دعاء[٥] إبراهيم وذكر ذلك في غير موضع[٦]، وبها بنى إبراهيم البيت كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[٧].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) سقطت واو (وقال) من ط.

(٣) مثابة: أي مرجعاً للناس يقبلون عليه من كل جانب.
انظر: صفوة التفاسير ١/٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٢٥، ١٢٦.

(٥) في ط (الدعاء).

(٦) سقطت عبارة (وذكر ذلك في غير موضع) من ك و ط.

(٧) سورة البقرة: الآيات ١٢٧ ـ ١٢٩. وفي ك و ط زيادة: (وقد استجاب الله دعاء إبراهيم، فبعث فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، وذكر ذلك في غير موضع).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾(٣)

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة قريش كاملة.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٧.

في ك و ط زيادة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت، أن لا تشرك بي شيئاً، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر، يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، =

فقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾[1]؛

إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة، التي ظهر فيها نوره وهداه، وأنزل فيها[2] الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن. كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء الله من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[3].

ولما كان ما في التوراة خبراً عنها، أخبر بها على ترتيبها الزماني، فقدم الأسبق فالأسبق. وأما القرآن، فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها، وذلك تعظيم[4] لقدرته ــ سبحانه ــ وآياته، وكتبه، ورسله. فأقسم بها على وجه التدريج، درجة بعد درجة، فختمها بأعلى[5] الدرجات. فأقسم أولاً بالتين والزيتون، ثم بطور سينا، ثم بمكة، لأن أشرف الكتب

= على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها، وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [سورة الحج: الآيات ٢٦ ــ ٢٩].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، والشهر الحرام والهدى والقلائد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات والأرض، وأن الله بكل شيء عليم﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٧].

(١) سورة التين: الآيات ١ ــ ٣.

(٢) في ك و ط زيادة (كتبه).

(٣) سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، ١ ــ ٣ العهد القديم ٣٦٢.

(٤) هكذا في ك و ط، ولم ترد (تعظيم) في أ وقد أثبتناها من ك و ط من أجل استقامة المعنى.

(٥) رسمت في أ و ك (باعلا) وقد أثبتنا ما في ط، حسب الرسم الإملائي الحديث. المفرد العلم في رسم القلم ص ١٤١.

الثلاثة: القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء، فأقسم بها على وجه التدريج، كما في قوله:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا[1] ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾[2].

فأقسم بطبقات المخلوقات، طبقة بعد طبقة، فأقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحاب الحاملات للمطر، فإنها فوق الرياح، ثم بالجاريات يسراً، وقد قيل: إنها السفن[3]، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب[4] المذكورة في قوله:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ[5] ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ[6] ﴿١٦﴾﴾[7].

فسماها جواري، كما سمى الفُلك جواري، في قوله:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾[8].

والكواكب فوق السحاب.

---

(١) الذاريات: هي الرياح الذي تذروا التراب فتفرقه، وتحمل الرمال من مكان إلى مكان.
انظر: صفوة التفاسير ٢٥١/٢٦.
(٢) سورة الذاريات: الآيات ١ ــ ٤.
(٣) وهو قول الأكثر.
انظر: جامع البيان للطبري ١٨٧/٢٦ ــ ١٨٨.
(٤) انظر: البحر المحيط ١٣٣/٨؛ وتفسير القرآن العظيم ٣٩١/٧.
(٥) التي تخنس نهاراً وتختفي عن البصر، جمع خانس. التي تغيب. انظر: صفوة التفاسير ٥٢٤/٣٠.
(٦) كنس: يقال كنس: إذا دخل الكِنَاس، وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء. انظر: المصدر والموضع السابق.
(٧) سورة التكوير: الآيتان ١٥، ١٦.
(٨) سورة الشورى: الآية ٣٢.

ثم قال:

﴿فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾.

وهي الملائكة، التي هي أعلا درجة من هذا كله[1].

وما ذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين، من تربية إسماعيل في برِّية «فاران» فهكذا هو في التوراة، قال فيها: (وغدا إبراهيم، فأخذ الغلام، وأخذ خبزاً وسقاء من ماء، ودفعه إلى هاجر، وحمله عليها، وقال لها: اذهبي! فانطلقت هاجر، فضلت[2] في برية سَبْع[3]، ونفد[4] الماء الذي كان معها، فطرحت الغلام تحت شجرة، وجلست في مقابلته على مقدار رمية بسهم[5]، لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام، فدعا مَلَكُ اللَّهِ هاجر، وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تَخْشَيْ فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام، وشُدِّي يدك[6] به، فإني جاعله لأمة عظيمة. وفتح الله عينيها[7] فبصرت بئر ماء، فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام، فَرَبَى وسكن في برية «فاران»[8].

---

(١) البحر المحيط ٨/١٣٣.

(٢) أي: ضاعت. مختار الصحاح ص ٣٨٣.

(٣) هي برية من أرض فلسطين بالشام كما قال ياقوت في معجمه ٣/١٨٥ واستعمال هذه الكلمة هو من تحريف أهل الكتاب ــ حيث أن من الواضح أنها برية مكة (فاران) كما هو ثابت لدينا نحن المسلمين.

(٤) في ط (نفذ). ونفد: أي فني وذهب.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤١١.

(٥) في ط (سهم) بدون باء.

(٦) في ك و ط (يديك) بالتثنية.

(٧) في ك و ط (عينها) بالإفراد.

(٨) في الترجمة الحالية هكذا: «فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقِربة ماء، وأعطاهما =

فهذا خبر الله في التوراة: أن إسماعيل ربى وسكن في برية فاران، بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء. وقد علم بالتواتر، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربى بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أن أرض مكة[1]، فاران[2].

= لهاجر، واضعاً إياهما على كتفها والولد، وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة: طرحت الولد تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، فجلست مقابلها، ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران...».
انظر: سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، ١٤ ــ ٢١ العهد القديم ٢٩.

(١) في ك و ط زيادة (من).
(٢) بعد هذا في ك و ط زيادة بمقدار صفحة وهي قوله:

والله ــ تعالى ــ قد أخبر في القرآن ــ في غير موضع ــ بكون إسماعيل كان بمكة، فقال عن الخليل:
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً، واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع، عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات، لعلهم يشكرون﴾ [سورة إبراهيم: الآيات ٣٥ ــ ٣٧].

وقال ــ تعالى ــ:
﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين * وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾. =

وهـذه البشارة[1] في التـوراة لهاجـر بإسمـاعيل، وقـول الله: «إني جاعله لأمة عظيمة، ومعظمة جداً جداً، وإن هـاجر فتحت عينهـا، فرأت بئر ماء فدنت منها»[2] إلى آخر الكلام[3].

وفي موضع آخر قال عن إسماعيل: «إنه يجعل يـده فوق[4] يـدي الجميع»[5].

ومعلوم باتفاق الأمم، والنقل[6]، أن إسماعيـل تربَّـى بـأرض مكة،

= إلى أن قال ـ عز وجل ـ(*):

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيـل، ربنا تقبـل منا إنـك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا منـاسكنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آيـاتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

(١) في ك و ط زيادة (التي).

(٢) في ك و ط زيـادة (وملأت المـزادة، وشربت وسقت الصبـي، وكـان الله معهـا ومـع الصبـي، حتى تربـى، وكان مسكنه في برية فاران).

(٣) ونصه في الترجمة الحالية: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركـه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. . .).
انظر: سفر التكوين، الإصحاح السـابع عشـر، ٢٠ العهد القـديم ٢٤؛ وبقية النص هو من النص المذكور منذ قليل.

(٤) في ك و ط (أيدي).

(٥) ونصه كما يلي: (. . . وقـال لها مـلاك الرب: هـا أنت حبلى فتلدين ابناً، وتـدعين اسمه (إسماعيـل)، لأن الرب قـد سمع لمـذلتك، وأنـه يكون إنسـاناً وحشيـاً ـ أي بريًّا ـ يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن. . .).
انظر: سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر، ١٢ ـ ١٣ العهد القديم ٢٣.

(٦) في ك و ط زيادة (المتواتر).

. . . .

(*) لم ترد هذه الإشارة لا في ك ولا ط، إنما أتبعت الآية رقم ١٢٥ بالآية رقم ١٢٧ مباشرة.

فعلم أنها «فاران»، وأنه هو وإبراهيم بنيا البيت[1] الذي ما زال محجوجاً من عهد إبراهيم، تحجه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم، كما حج إليه موسى بن عمران، ويونس بن مَتَّى، كما في الصحيح من رواية ابن عباس: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مر بوادي الأزرق[2]، فقال: «أي واد هذا؟»، فقالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «كأني أنظر إلى موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هابطاً من الثنية[3]، واضعاً أصبعيه في أذنيه، له جؤار[4] إلى الله ـ عز وجل ـ، بالتلبية[5]، ماراً بهذا الوادي». قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: هرشىٰ[6]، فقال: «كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء، عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خُلبة[7]، ماراً بهذا الوادي ملبياً».

---

(١) في ك و ط زيادة (الحرام).

(٢) في ك و ط زيادة (بين مكة والمدينة).
هو بلفظ اللون، وهو خلف قرية «أَمْجَ» بينه وبين مكة ميل واحد.
انظر: فتح الباري ٣/٤١٤.
ولقد عجبت من «ياقوت» ـ رحمه الله ـ حيث مر على ذكر هذا الوادي بقوله: وادي الأزرق بالحجاز، هكذا دون أي تفصيل!.
انظر: معجم البلدان ١/١٦٨.

(٣) الثنية، هي: الطريق في الجبل.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٢٤.

(٤) جأر ـ كمنع ـ جَأْراً وجُؤاراً: رفع صوته بالدعاء وتضرع، واستغاث. المصدر السابق ١/٤٣٢.

(٥) في ط (في التلبية).

(٦) في ك و ط (هو شيء).
هي ثنية في طريق مكة، قريبة من الجحفة، يرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد.
انظر: معجم البلدان ٥/٣٩٧.

(٧) **الخُلْبة**: هو الليف، وروي بتنوين ليف، وروي بإضافته إلى خلبة، فمن نون جعل =

وفي رواية: «أما موسى فرجل آدم[1]، جعد[2] على جمل أحمر مخطوم بخلبة»[3].

ولما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4] أوجب حجه على كل أحد، فحجت إليه الأمم من مشارق الأرض ومغاربها. والبئر

= خلبة بدلاً أو عطف بيان.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٣٠ ليحيى بن شرف الحزامي الحواربي الشافعي النووي ـ ٦٧٦هـ دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
أو هو الحبل الصلب الرقيق.
انظر: ترتيب القاموس ٢/ ٨٨.

(١) آدم: اسمر. مختار الصحاح ص ١٠.

(٢) في ط (جعل).
الجعد: المراد به جعودة البدن وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشَّعر.
انظر: مختار الصحاح ١٠؛ وصحيح مسلم ت: عبد الباقي، ١/ ١٥١. **هامش ٦**.

(٣) في ك و ط زيادة (ليف).
الحديث رواه مسلم بلفظ: سرنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين مكة والمدينة فمر بنا بواد فقال: «أي واد هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق. فقال: كأني أنظر إلى موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود ـ أحد رجال الإسناد ـ واضعاً صبعيه في أذنيه، له جؤار إلى الله بالتلبية، ماراً بهذا الوادي، قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية، فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هرشىٰ ولفت. فقال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة، ماراً بهذا الوادي ملبياً. والرواية جزء من حديث آخر يلي هذا الحديث المذكور. مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء. . . ، ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ (١٦٦) وفي رواية البخاري عن ابن عباس: . . . وأما موسى فرجل جعد، على جمل أحمر مخطوم بخلبة، كأني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي يلبي» كتاب اللباس، باب الجعد، ١٠/ ٣٥٧ (٥٩١٣) من فتح الباري.
ورواه ابن ماجه، أبواب المناسك، الحج على الرحل، ٢/ ١٥٥ (٢٩٢٣).

(٤) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ ولا ك.

الذي شرب منها إسماعيل وأمه، هي بئر زمزم[1]، وحديثها مذكور في صحيح البخاري[2]، عن ابن عباس، قال: أول ما اتخذ النساء المنطق[3] من قِبَل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً ليُعَفِّي أثرها على سارة[4].

ثم جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة

---

(١) هي البئر المباركة المشهورة بالمسجد الحرام بمكة ـ زادها الله شرفاً ـ ، وقد كانت في زمن إسماعيل ـ عليه السلام ـ ، وطوتها السيول، وتطاولت عليها الأيام، فلم يبق لها أثر، فأتى عبد المطلب فأمر بحفرها، ودُل على موضعها، فاستخرجها ووجد فيها غزالين من ذهب وأسيافاً فضرب الغزالين صفائح على باب الكعبة، وبقيت لسقاية الحاج، واختص بها العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ .
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٦٩ ـ ٦٧٠.

(٢) في ك و ط زيادة (عن سعيد بن جبير).

(٣) المِنْطَق: هو النِّطاق، وهو مثل إزار فيه تِكَّة ـ رباط ـ تلبسه المرأة، وقيل: هو حبل تشد به المرأة وسطها للمهنة، أو هو ما شَدَدْت به وَسْطَك.
انظر: المصباح المنير ص ٦١١.

(٤) وكان السبب في ذلك: أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة. ويقال: إن إبراهيم شفع فيها، وقال لسارة: حللي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها ـ أي تختنيها ـ فكانت أول من فعل ذلك. وقد لا يثبت ذلك السبب.
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٠ ـ ٤٠١.
هي: بنت هاران عم إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو ملك حران توفيت بالشام ولها ١٢٧ سنة، وقيل: بأرض الجبابرة من بلاد كنعان. وهي أصغر من إبراهيم بعشر سنوات و «سارة» اسم عبراني معناه: أميرة وأصله «ساراي».
انظر: الكامل ١/٧٠؛ والبداية والنهاية ١/١٥٠؛ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم ٤٤٣.

يومئذ أحد، وليس بها ماء[1]، ووضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء. ثم قَفَّا[2] إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، ليس فيه أنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قالت: إذا لا يضيعنا[3] ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية[4]، حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، فقال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ — حتى بلغ — ﴿يَشۡكُرُونَ﴾[5].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد[6] ما في السقاء، وعطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى[7]، انطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها[8]،

(١) في ك و ط زيادة (فوضعها هناك).
(٢) **قفا**: من القفاء أي ولاها قفاه ذاهباً عنها.
(٣) في ك و ط زيادة (وفي لفظ: وتبعته أم إسماعيل حتى بلغوا كداء، نادته من وراء: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله! قالت: رضيت بالله.
(٤) في ك و ط (البيت).
(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٦) في ط (نفذ).
(٧) في ك و ط زيادة (أو قال يتلبط).
(٨) **درع المرأة**: قميصها.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٠٣.

ثم سعت سعي الإنسان المجهود [1] ، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت، هل ترى من أحد؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «فلذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت[2] المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه[3]، تريد نفسها، [4]فسمعت ــ أيضاً ــ فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندك غَوَاث[5]، فإذا هي بالملك[6] عند موضع زمزم، فبحث بعَقِبه[7]، ــ أو قال: بجناحه ــ، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا، [8] تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يرحم الله أم

---

(١) من ظهرت عليه آثار المشقة.
انظر: المصدر السابق ١١٤.

(٢) في ك و ط زيادة (على).
انظر: ترتيب القاموس ٧٠٢/٢.

(٣) بفتح الصاد وسكون الهاء وبكسرها مُنَونة، كأنها خاطبت نفسها، فقالت لها: اسكتي.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٢.

(٤) في ك و ط زيادة (ثم سمعت) قبل: (سمعت ــ أيضاً).

(٥) بفتح أوله وضمه وهو العون والنصرة.
انظر: فتح الباري ٤٠٢/٦؛ والمصباح المنير ص٤٥٥.

(٦) في رواية «فإذا جبريل» وللطبري عن علي بإسناد حسن: «فناداها جبريل فقال: من أنت...».
انظر: فتح الباري ٤٠٢/٦.

(٧) **العقب**: موخر القدم.
انظر: المصباح المنير ص ٤١٩.

(٨) في ك و ط زيادة (وجعلت).

إسماعيل، لو تركت زمزم[١] لم تغرف من الماء، لكان[٢] عيناً معيناً»[٣].

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: «لا تخافوا[٤] الضيعة، فإن ههنا بيت الله، [٥]يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله». وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذه عن يمينه وشماله[٦]» وذكر تمام الحديث[٧].

---

(١) في ك و ط زيادة (أو قال: لو).

(٢) في ك و ط زيادة (زمزم).

(٣) أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض.
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٢.

(٤) في ط (لا تخافي).

(٥) في ط (يبنيه).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفّون: النَّسلان في المشي ٦/٣٩٦ ـ ٣٩٨ (٣٣٦٤) من فتح الباري.

(٧) في ك و ط بقية الحديث وهي: «فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم ـ أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عايفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي، وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيًّاً أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم؟ ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشَّب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زَوَّجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل. فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل، يطالع تركته فلم يجد، فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: بِشَرٍّ نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه. قال: «إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له، يُغَيِّر عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً، فقال: «هل جاءكم من أحد»؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا =

وكانت بئر زمزم قد عميت[1]، ثم أحياها عبد المطلب، جد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وصارت السقاية[2] في ولده: في

= فأخبرته أنَّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، وقال: «تغير عتبة بابك»، قال: ذاك أبي، قد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك فطلقها. ثم تزوج منهم أخرى، فلبث عنهم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده. فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنت؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «ولم يكن لهم يومئذٍ حب، ولو كان لهم، دعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عنهما أحد بغير مكة إلاَّ لم يوافقاه. قال: «فإذا جاء زوجك، فاقرئي عليه السلام، ومريه أن يثبت عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل قال: «هل أتاكم من أحد»؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت (في ك «فغسلت») عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير. قال: «فأوصاك بشيء»؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك: «أن تثبت عتبة بابك». قال: «وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك». ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له، تحت دوحة قريباً من زمزم. فلما رآه، قام إليه، فصنع كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني»، قال: «فاصنع ما أمرك (في ط زيادة «ربك») قال: «وتعينني»؟ قال: «وأعينك». قال: «فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك (في ك طمست جملة: قال فعند ذلك) رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿. . . **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٧]. قال: فجعلا يبنيان حتي يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿. . . **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾.

(١) استعار الشيخ المألف وصف العمى للبئر، كناية عن الخفاء والانطماس، والعلاقة: عدم الاهتداء.
انظر: المصباح المنير: ٤٣١.

(٢) هي: مصدر من (سقى) قال الحسن: كانت السقاية بنبيذ الزبيب. =

العباس وأولاده، يسقون منها، ويسقون ـ أيضاً ـ الشراب الحلو، والشرب من ذلك سنة[1].

والله ـ تعالى ـ قال في إسماعيل: «إني جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جداً جداً»[2]. وهذا التعظيم المؤكد بـ «جداً جداً» يقتضي أن يكون تعظيماً مبالغاً فيه[3]. فلو قدر أن البيت الذي بناه لا يحج إليه أحد، وأن ذريته ليس منهم نبي[4]، كما يقوله كثير من[5] أهل الكتاب، لم يكن هناك تعظيم مبالغاً فيه جداً[6] جداً، إذ أكثر ما في ذلك أن يكون له ذرية. ومجرد كون الرجل له نسل وعقب، لا يَعْظُم به إلَّا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله.

وكذلك قوله: «أجعله لأمة عظيمة» إن كانت تلك الأمة كافرة، لم تكن عظيمة، بل كان يكون أباً لأمة كافرة، فعلم أن هذه الأمة

انظر: التفسير الكبير ١٥/١٣، م ٨.

(١) والدليل قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما رواه أبو ذر: «إنها مباركة. إنها طعام طُعْم». رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، ٤/١٩٢٢ (٢٤٧٣)، وروى ابن عباس أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «إن آية ما بيننا وبين المنافقين: لا يتضلعون من زمزم». قال في الزوائد: «هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون»، وعن جابر قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «زمزم لما شرب له» قال السيوطي: والمعتمد تصحيحه. والحديثان رواهما ابن ماجه، أبواب المناسك، الشرب من زمزم، ٢/١٨٩، (٣٠٩٧ ـ ٣٠٩٨).

(٢) انظر: سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، ٢٠ العهد القديم: ٢٤.

(٣) سقطت من ك و ط (فيه).

(٤) في ك و ط (شيء).

(٥) في ك و ط (كفرة).

(٦) في ك و ط (بجدا).

العظيمة، كانوا مؤمنين، وهؤلاء يحجون البيت، فعلم أن حج البيت مما يحبه الله ويأمر به. وليس في أهل الكتاب إلاّ المسلمون، فعلم أنهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه، وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت، أمة أثنى الله عليها، وشرفها، وأن إسماعيل عظمه الله جداً جداً، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة، وهذا هو كما امتن الله على نوح وإبراهيم بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾(١).

وقال في الخليل:

﴿... وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾(٢).

فعلم بذلك أن في(٣) إسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون، وأن إسماعيل معظم جداً جداً، كما عظم الله نوحاً وإبراهيم، وإن كان إبراهيم أفضل من إسماعيل. لكن المقصود أن هذا التعظيم له ولذريته: إنما يكون إذا كانت ذريته معظمة على دين حق، وهؤلاء يحجون إلى هذا البيت، ولا يحج إليه بعد مجيء محمد غيرهم(٤).

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٧. وفي ك و ط زيادة «ولما قال في نوح: ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ [سورة الصافات: الآية ٧٧].
كان في ذريته أهل الإيمان كلهم».

(٣) في أ (ولما قال في).

(٤) في ك و ط زيادة: «قال ـ تعالى ـ:
﴿... **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**...﴾.
[سورة آل عمران: الآية ٨٠].
قالت اليهود أو بعض أهل الكتاب: «فنحن مسلمون».

ولهذا لما قال الله[1] ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ . . . ﴾[2].

فقالوا: لا نحج، فقال:

﴿ . . . وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ . . . ﴾[3].

و ـ أيضاً ـ فهذا التعظيم المبالغ فيه، الذي صار به ولد إسماعيل فوق الناس، لم يظهر إلاَّ بنبوة محمد، فدلَّ ذلك على أنها حق ومبشر[4] به.

* فهذا نعت محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا نعت المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته، من مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانه دائم، لم يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها *[5].

ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، من كلام «شمعون» بما رضوه من ترجمتهم، وهو «جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء[6] والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[7].

---

(١) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.

(٢) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿ . . . من استطاع إليه سبيلاً﴾.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٤) في ك و ط (مبشر) بدون عطف.
في أ (مبشراً) بالنصب والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٥) ما بين النجمتين سقط من ك و ط، وهو بمقدار ثلاثة أسطر.

(٦) في ك و ط (السموات) بالجمع.

(٧) ونصه في الترجمة الحالية: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه، =

* فهذا تصريح بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، الذي جاء بالنبوة من جبال «فاران» وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته.

ولم يخرج أحد قط، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته *[1] مما يسمى «فاران» سوى محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ . [2]والمسيح لم يكن في أرض فاران ألبتة. وموسى إنما كُلِّمَ من الطور، والطور ليس من أرض فاران وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران. فلم ينزل الله فيها التوراة، وبشارات التوراة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الإنجيل[3] بجبل (ساعير).

ومثل هذا كما[4] نقل في[5] نبوة (حبقوق)[6] أنه قال: جاء الله من التيمن[7]، وظهر القُدُس[8] على جبال (فاران) وامتلأت الأرض من

= جلاله غطى السماوات والأرض، امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته.

انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ــ ٤، العهد القديم: ١٠٤٦.

(١) ما بين النجمتين بمقدار سطرين أو أكثر سقط من ك.

(٢) في ك و ط (فإن).

(٣) سقطت جملة (بجبل الطور، وبشارة الإنجيل) من أ وإثباته أجود.

(٤) في ك و ط (ماء).

(٥) في ك و ط (عن).

(٦) اسم عبري معناه: «يعانق»، أو ربما اسم نبات حديقة، وهو نبي في يهوذا، ويستفاد من المزمور المنسوب له أنه كان من سبط لاوي. وأنه أحد المغنّين في الهيكل. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٢٨٧.

(٧) اسم عبري معناه: اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية. المصدر السابق ص ٢٢٨.

(٨) **القدس**: يراد به موضع ظهور مجده ــ تعالى ــ للشعب. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٧١٨.

تحميـد (أحمـد) وملك بيمينـه رقـاب الأمم، وأنـارت الأرض لنـوره، وحملت خيله في البحر[1].

ومن ذلـك ما في التـوراة[2] التي بأيـديهم في السفر الأول منهـا، وهي خمسة أسفار في الفصل التاسـع في قصة هـاجر، لمـا فارقت سارة وخاطبها المَلَك[3] فقـال: «يا هـاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟». فلما شرحت لـه الحال قـال: ارجعي فإني سـأكثر ذريتـك وزرعك حتى لا يُحْصَوْنَ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً نسميه[4] إسماعيل، لأن الله قد سمع تذللك وخضـوعك، وولـدك يكون وحشي[5] النـاس، ويكون يـده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون[6] على تَخّوم[7] جميع إخوته[8].

---

(١) انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ــ ٨، العهد القديم: ١٠٤٦.

(٢) **التـوراة**: لفظ عبراني معنـاه: التعليم والشريعـة، وهو الكتـاب الذي أنـزله الله على موسى ــ عليه السلام ــ ويطلق ــ تجوزاً ــ على مجموع كتب العهـد القديم والكتب الملحقة بها وهي ٣٩ سفراً.

انظر: مقارنة الأديان اليهودية ٢٣٨ ــ ٢٤٠ د. أحمـد شلبـي، ط ٥، مكتبة النهضـة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، والبحر المحيط ٢/٣٧٠.

(٣) وهو المَلاك وجمعه ملائكة، والكلمة الأصلية في كل من العبرانية واليونانية المترجمة بملاك يراد بها رسول، حيث تشير إلى أناس لا إلى أرواح سماوية، غير أنه في أكثـر الأماكن يشار بها إلى أرواح خادمة مرسلة للخدمة من أجل العتيدين.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٩٢٠.

(٤) في ك (سميته) وفي ط (تسميته).

(٥) في الترجمة الحالية: وأنه يكون إنساناً وحشياً. في الموضع المذكور هنا.

في ط (وحي).

(٦) في ك و ط زيادة (مسكنه).

(٧) **التخوم**: هو صف من الأشجار أو كومة من الحجارة توضع على زوايا الحقل.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٢١٣.

(٨) انظر: سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر ١١ ــ ١٢، العهد القديم ٢٣.

قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى، وكانوا مع موسى[1] أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد، ثم[2] مع (يوشع) بعده إلى زمن داود، ومَلَك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله، وسُلط عليهم بعد ذلك (بخت نصر)، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم يد[3]، ثم بعث المسيح وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني[4]، حيث أفسدوا في الأرض مرتين، ومن حينئذ زال ملكهم وقَطَّعهم الله في الأرض أمماً، وكانوا تحت حكم الروم والفرس[5] لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم، لا أهل الكتاب ولا الأميين، فلم يكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع، حتى بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا[6]:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[7].

---

(١) لم يرد اسم (موسى) في أ. وقد أثبتناه من ك و ط.

(٢) سقطت (ثم) من أ.

(٣) في ك و ط (أمر).

(٤) وكان ذلك في سنة ٧٠ ميلادية، حيث أخذ القائد «تيطس» الروماني المدينة، وأحرق الهيكل، وباع كثيرين من شعبها في السبي، عندما ثار اليهود على روما.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ١٣٥.

(٥) في ك و ط زياد (والقبط و).

(٦) في أ (قال) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

فلما بعث، صار[١] يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين. فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة «وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به» وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر.

فإن قيل: هذه بشارة بملكه وظهوره؟. قيل: الملك ملكان، ملك ليس فيه دعوى نبوة، وهذا لم يكن لبني إسماعيل على الجميع، وملك صدر عن دعوى نبوة. فإن كان مدعي النبوة كاذباً:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[٢].

وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يَدَّعِ نبوة كـ (بختنصر) و (سنجاريب).

ومعلوم أن الإخبار بهذا لا يكون بشارة، ولا تفرح سارة وإبراهيم بهذا، كما لو قيل: يكون جباراً طاغياً، يقهر الناس على طاعته، ويقتلهم، ويسبى حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل «فإن الإخبار بهذا لا يكون بشارة، ولا يَسرّ[٤] المُخبَر بذلك، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك[٥] يعدل، وكان علوه محموداً لا إثم فيه، وذلك في[٦] مدعي النبوة لا يكون إلّا وهو[٧] صادق لا كاذب.



(١) في ك و ط (صارت).

(٢) كان الأولى ربط الآية الشريفة بالسياق هنا بمثل جملة: (فيصدق عليه قوله ـ سبحانه ـ :).

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٤) في ط (بشر).

(٥) أي صاحب السلطان من ولد إسماعيل.

(٦) في ك و ط (من).

(٧) سقطت (وهو) من أ.

فصـل

بشارة من الزبور وتفسيرها

وقال داود في الزبور في قوله: «سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له[1] أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على[2] مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين[3]، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»[4].

وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ـ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة، في أذانهم

---

(١) في ك (من) بدلاً من (له).

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (عن)، و (على) أولى وأظهر.

(٣) مفرده شفرة: وهي حد السيف.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٢٩.

(٤) وهو في الترجمة الحالية من سفر المزامير. المزمور التاسع والأربعين بعد المائة وهو تسع فقرات، ونصه: «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود ليرنموا له، لأن الرب راض عن شعبه، يُجَمِّل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم، ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب، كرامة هذا الجميع أتقيائه، هللويا». العهد القديم ٧٣٦.

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية، كما قال جابر بن عبد الله: (كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا علونا كَبَّرنا، وإذا هبطنا سَبَّحْنا، فوضعت الصلاة على ذلك). رواه أبو داود وغيره[1]: وفي الصحيحين عن ابن عمر[2]، قال: كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا قفل من الجيوش، أو السرايا، أو الحج، أو العمرة. إذا أوفى على ثنية أو فَدْفَد[3]، كبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إلَه إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[4].

---

(١) في ك و ط (البخاري).
رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، **٣/٣٣** **(٢٥٩٩)** وإسناده معضل، كما نقل عبد القادر الأرناؤوط عن ابن علان عن الحافظ في (أمالي الأذكار).
انظر: جامع الأصول ٢/٥٧١ ــ ٥٧٢ (١٠٥٠).

(٢) في أ سَقْط في حدود صفحة، يبدأ من هنا، حيث جاء فيها بعدها جملة: (. . . عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)، ثم أشار بعد هذا إلى وجود سقط ينوي إثباته في الهامش بهذا الرمز ــ ولكنه لم يثبت شيئاً، وقد رجَّحنا أنه الموجود في ك و ط، حيث جاء فيها: وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر، بدل قوله في أ: وفي الصحيحين عن ابن عمر. . .)، وسأشير إلى نهاية السقط في موضعه القادم ــ إن شاء الله ــ.

(٣) **الفدفد**: هو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع، وقيل: هو الفلاة التي لا شيء فيها، وقيل: غليظ الأرض ذات الحصى، وقيل: الجَلد من الأرض ــ أي الصلبة المستوية المتن ــ في ارتفاع، وجمعه: فدافد.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٩/١١٣ م ٥.

(٤) رواه مسلم، واللفظ له، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، **٢/٩٨** **(١٣٤٤)**، ورواه البخاري، كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، **٣/٦١٨ ــ ٦١٩** **(١٧٩٧)** من فتح الباري.

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: (صلَّى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونحن معه بالمدينة ـ الظهر أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء[1]، حمد الله وسبح وكبر، ثم أَهَلَّ بعمرة وحج)[2]، وذكر الحديث.

وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني. قال: «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شَرَف»[3]. فلما أن ولَّى الرجل قال: «اللهم اطو له البعد[4]، وهَوِّن عليه السفر». رواه الإمام أحمد[5] والترمذي[6] والنسائي[7].

---

(١) **البيداء**: اسم لأرض ملساء، بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب. تُعَدُّ من الشرق أمام ذي الحليفة.
انظر: معجم البلدان ١/٥٢٣.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الحج، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال ... ، ٣/٤١١ (١٥٥١).

(٣) **الشرف**: هو المكان العالي.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٠٠.

(٤) طوى الله البعد لنا: قرَّبه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١١٤.

(٥) المسند للإمام أحمد، ٢/٣٣١ و٤٤٣.

(٦) كتاب الدعوات باب ٤٦، ٥/٥٠٠ (٣٤٤٥) وقال: «هذا حديث حسن».
هو: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى صاحب الجامع، أحد الأئمة، ثقة حافظ، من الطبقة الثانية عشرة، مات سنة ٢٧٩هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٩٨؛ ووفيات الأعيان ٤/٢٧٨؛ وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٠ ـ ٢٧٧.

(٧) طلبت الحديث عند النسائي في السنن الكبرى فلم أعثر عليه.
ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد، التكبير على كل شرف في السفر، =

وروى ابن ماجه[1] منه[2]: «أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شَرَف»، وروى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجيوشه إذا علوا شَرَفاً[3] كبروا، وإذا هبطوا، سبحوا»[4].

وهم يكبِّرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم، عيد الفطر، وعيد النحر: في الصلاة والخطبة، وفي ذهابهم إلى الصلاة[5]، وفي

= ٩٨/٢، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ورمز له الذهبي (م). أي بالموافقة.

هو: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النَّسائي ـ بفتح النون ـ قرية بخراسان ـ ويقال أيضاً: النسوي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ٣٠٣ هـ، وله ٨٨سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١٦/١؛ وسير أعلام النبلاء ١٢٥/١٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٣٠٦.

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني، صاحب السنن، أحد الأئمة، حافظ صنف السنن والتفسير والتاريخ، مات سنة ٢٧٣هـ، وله ٦٤سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٣ ـ ٢٨١؛ ووفيات الأعيان ٢٧٩/٤؛ وتقريب التهذيب ٢٢٠/٢.

(٢) في ط (عنه).

سنن ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير ١٣٠/٢، (٢٧٩٧) وقد قال الترمذي: هذا حديث حسن عندما خرجه برقم ٣٤٤٥.

(٣) في ك رسم بدلاً من (شرفاً) هذا الرسم (الثنا).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، ٣٣/٣ (٢٥٩٩)، رواه البخاري بمعناه، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ وعن ابن عمر، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبطوا، وباب التكبير إذا علا شرفاً، ١٣٥/٦ (٢٩٩٣ ـ ٢٩٩٥) من الفتح، وأخرجه الإمام أحمد بمعناه ـ أيضاً ـ كما في المسند ٤٠٢/٤، ورواه الدارمي في سننه كتاب الاستئذان، باب ما يقول عند الصعود والهبوط، ٢٨٨/٢.

(٥) في ك و ط زيادة (موضع).

أيام (منى)[١] الحجاج، وسائر أهل الأمصار[٢] يكبرون عقيب الصلوات فإمام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير[٣].

وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه كان يكبر[٤] بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون، حتى تَرْتَجّ[٥] منى تكبيراً[٦].

[٧]وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما[٨]. ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم[٩]، كما كان نبيهم يقول عند الذبح: «بسم الله والله

---

(١) «منى» في دَرَج (طريق) الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يُمنى (يراق) فيه من الدماء، وحَدُّه من مهبط العقبة إلى وادي مُحَسِّر، وعليه أعلام منصوبة، هو في داخل الحرم، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال.
انظر: مراصد الاطلاع ١٣١٢/٢ ـ ١٣١٣.

(٢) مفرده: مصر، وهو المدينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٢٥.

(٣) في ط (الحمد والتكبير).

(٤) في ك و ط زيادة (في قبة).

(٥) **ترتج**: أي تضطرب وتتحرك، وهي مبالغة في اجتماع رفع الأصوات.
انظر: فتح الباري ٤٦٢/٢.

(٦) رواه البخاري معلقاً، كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى . . . . . ، ٤٦١/٢ ـ ٤٦٢. من فتح الباري، قال ابن حجر: وصله سعيد بن منصور من رواية عبيد بن عمير، ووصله أبو عبيد من وجه آخر بلفظ التعليق، ومن طريقه البيهقي.

(٧) في ك و ط زيادة (وقال).

(٨) أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ٤٥٧/٢ ـ ٤٥٨. من فتح الباري، قال ابن حجر: لم أره ـ أي هذا الأثر ـ موصولاً عنهما، وقد ذكره البيهقي ـ أيضاً ـ معلقاً عنهما، وكذا البغوي.

(٩) **القرابين**: جمع قربان: وهو ما يتقرب به إلى الله ـ تعالى ـ، والهدي ما أهدي إلى =

أكبر»[1] ويكبرون إذا رموا الجمار[2]، ويكبرون على[3] الصفا والمروة، ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن[4]، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه.

قال ـ تعالى ـ لما ذكر صوم رمضان الذي يقيمون له عيد الفطر: قال ـ تعالى ـ[5]:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[6]، [7].

ولما ذكر الهدي الذي يُقَرَّبْ في عيد النحر، وهو يوم الحج الأكبر قال:

= مكة، والضحايا: جمع أضحية: وهو ذبح بهيمة الأنعام، في وقت مخصوص. تقرباً إلى الله ـ سبحانه ـ وأصل تسميتها من الضُّحى وهو أول النهار.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٧٩ و١٤ ـ ١٥ و٤/٤٩٤، وانظر الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ١/٤٧٠ ـ ٤٧٥ لأبي محمد، موفق الدين، عبد الله بن قدامة المقدسي ـ ٦٢٠هـ، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(١) رواه البخاري، كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الذبح ١٠/٢٣ (٥٥٦٥) بمعناه، ورواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب استحباب التضحية . ،٣/١٥٥٦ (١٩٦٦).
(٢) **الجمار**: مفردها جمرة، ومعناها الحصاة، وهي موضع رمي الجمار بمنى بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ .
انظر: معجم البلدان ٢/١٦٢.
(٣) في ط (عند).
(٤) **الركن**: هو الركن الشرقي . . موضع الحجر الأسود عند باب الكعبة المعظمة.
انظر: المصدر السابق ٤/٤٦٤.
(٥) ليس في ط (قال تعالى).
(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٧) في ك و ط زيادة (قال).

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، [2].

والنصارى يسمون عيد المسلمين «عيد الله أكبر»[3] لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم[4]: أهل الكتاب، ولا غيرهم ـ غير المسلمين ـ وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق[5]، والنصارى لهم[6] الناقوس[7].

---

(١) سورة الحج: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) **البدن**: الإبل السمينة، سميت بدناً لبدانتها وضخامة أجسامها، وشعائر الله: أي من أعلام الشريعة، وصواف: أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، ووجبت جنوبها: أي سقطت على الأرض بعد نحرها، وهو كناية عن الموت، والقانع: المتعفف، والمعتر: السائل.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٩٠.

(٣) في ط (الأكبر).

(٤) في ك و ط زيادة (لا).

(٥) **البوق**: آلة موسيقية على هيئة القرن، كانوا ينفخون فيها في الأعياد، وفي الإعلام بالحرب، وما أشبه ذلك. وكانت أبواق الكهنة من الفضة. وعندهم عيد الأبواق: وهو أول يوم من أكتوبر (تشرين الأول)، وسمته الحاخامية: يوم ميلاد العالم، وفيه كانوا يبوقون بالأبواق، إلَّا إذا وقع العيد يوم السبت.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٩٥.

(٦) في ك و ط (شعارهم).

(٧) هو الذي يضربه النصارى لأوقات صلاتهم: خشبة كبيرة طويلة، وأخرى قصيرة، واسمها الوبيل.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤٢٦.

وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة، فإنما هو شعائر[1] المسلمين، فإن الأذان شعار المسلمين، وبهذا يظهر تقصير[2] من فسر ذلك بتلبية الحجاج.

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذاناً أو رأى مسجداً وإلَّا أغار»[3].

وفي لفظ مسلم: «كان يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار.

فسمع رجلًا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «على الفطرة»، ثم قال: أشهد أن لا إلَه إلَّا الله. فقال: «خرجت من النار»[4].

[5]وكذلك قوله: «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد، وقوله: «يسبحونه على مضاجعهم» بيان لنعت المؤمنين، الذين يذكرون الله، قياماً وقعوداً وعلى

---

(١) في ك و ط (شعار).

(٢) هكذا في ط، وقد سقطت من أ و ك (تقصير) ولا يستقيم الكلام بدونها فلذلك أثبتناها.

(٣) رواه البخاري بمعناه، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ٢/٨٩ (٦١٠) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة . . . ، ١/٢٨٨ (٣٨٢).

سقطت الألف من (أغار) في أ، وقد صوبناها من الصحيح، وفي ك و ط: إذا غزا أقواماً لم يغز حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح».

(٤) هذا اللفظ ليس في أ، وقد أثبتناه من ك و ط، وهو عند مسلم في كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة. . . ، ١/٢٨٨ (٣٨٢).

(٥) في ك و ط زيادة: «وعن عصام المزني قال: كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا بعث السرية يقول: «إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه».

جنوبهم، ويصلي[1] أحدهم قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب، فلا يتركون ذكر الله في حال، بل يذكرونه حتى في هذه الحال، ويصلون في البيوت على المضاجع[2]. بخلاف أهل الكتاب.

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله ـ تعالى ـ :

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

وقوله:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[4].

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله[5] قال: كنا جلوساً عند رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ نظر[6] القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون[7] في رؤيته، فإن

---

(١) في ك و ط زيادة (الفرض).

(٢) كلمة (المضاجع) منطمسة في ك.

(٣) سورة الروم: الآيتان ١٧ ـ ١٨.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٥) هو: ابن جابر ـ وهو الشَّليل ـ ابن مالك بن نصر بن ثعلبة، ينتهي نسبه إلى أنمار بن إراس، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، البجلي، أسلم قبل وفاة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة وروي عن عمر «جرير يوسف هذه الأمة». مات في قَرْقِيسياء سنة ٥١هـ.
انظر: أسد الغابة ١/٣٣٤؛ وسير أعلام النبلاء ٢/٥٣٠ ـ ٥٣٧.

(٦) في ك و ط زيادة (إلى).

(٧) تُضَامون: أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ، وروى ـ بفتح أوله والتشديد ـ من الضم، والمراد نفي الازدحام.
انظر: فتح الباري ٢/٣٣.

استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة[1] قبل غروبها فافعلوا؛ ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا[2] وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) ﴾[3].

وهذا معنى قول داود: سبحوا الله تسبيحاً جديداً[4]، والتسابيح التي شرعها الله جديداً: كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديداً. ولما أقامها جبريل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «هذا وقتك، ووقت الأنبياء قبلك»[5].

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات، كما يدل[6] التسبيح المقدم، والتسبيح الجديد[7] كما يدل عليه سائر الكلام. ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم، [8]لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل

---

(١) سقطت كلمة (صلاة) الثانية من ك و ط.

(٢) ما بين النجمتين لم يرد في ك و ط.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٤) في ك و ط زيادة (يعني).

(٥) رواه أبو داود بلفظ: «يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك...». كتاب الصلاة، باب في المواقيت، ١/١٠٧ (٣٩٣)، والترمذي بلفظ أبي داود، أبواب الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة...، ١/٢٧٨ ـ ٢٨٠ (١٤٩) قال أبو عيسى: «حديث ابن عباس حديث حسن صحيح». وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري برقم (٥٢١) بلفظ: «بهذا أمرت...» وعند مسلم برقم (٦١٠).

(٦) في ك و ط (وذلك هو).

(٧) في ك و ط زيادة (للمسلمين).

(٨) في ك و ط (ولم...).

النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف.

ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] وأمته، ويغفلون ما[2] عندهم من أن[3] الله أمر موسى بقتال الكفار، فقاتلهم بنو إسرائيل بأمره، وقاتلهم يوشع، وداود وغيرهما من الأنبياء، وإبراهيم الخليل قاتل، لدفع الظلم عن أصحابه.



(١) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٢) في ك و ط (عما).

(٣) في أ كرر الناسخ (أن) مرتين.

فصل

(1)وقال داود في مزاميره ـ وهي الزبور ـ : من أجل هذا بارك الله عليه إلى الأبد، فتقلد(2) ـ أيها الجبار ـ بالسيف، لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، آركب كلمة الحق وسمة التأله(3)، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة(4) يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك(5). بشارة أخرى من الزبور

قالوا(6): فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود، سوى محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة، كما قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «نصرت بالرعب مسيرة

---

(1) في ك و ط زيادة (قالوا).

(2) **تقلد السيف**: وضع سيفه في علبته ووضعها على أحد منكبيه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٦٧٤.

(3) **سمة التأله**: أي طريق التنسك والتعبد.
انظر: مختار الصحاح ٢٣و٣١٢.

(4) في ك و ط (لهيبة).

(5) نص الترجمة الحالية: «فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك ـ أيها الجبار ـ ، جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون».
انظر: سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعين: ١ ـ ٥، العهد القديم: ٦٧٢.

(6) في أ (قال)، وقد أثبتنا ما في ك و ط لأن المقصود هم: العلماء.

شهر»[1]. وقد أخبر داود أنه له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نبي الرحمة، ونبي الملحمة[2]. وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين. بخلاف من كان ذليلاً للطائفتين، من النصارى المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً.



---

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف... ١/٤٣٥ ــ ٤٣٦ (٣٣٥) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، المقدمة ١/٣٧٠ (٥٢١) ولفظه: «نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر».

(٢) المَلْحَمَة: القتال.
انظر: المصباح ص ٥٥١.

فصل

بشارة ثالثة من داود ـ عليه السلام ـ

قالوا: وقال داود في مزمور له: «إن ربنا عظيم محمود جداً»[1] وفي ترجمته[2]: «إلّهنا قدوس[3]، ومحمد قد عمَّ الأرض كلها فرحاً. قالوا: فقد نص[4] داود على اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها.

قلت: قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو، وروي أنه[5] عبد الله بن سلام[6] «أخبرنا ببعض صفة رسول الله

---

(۱) **في الترجمة الحالية**: «رنموا للرب، باركوا اسمه، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصة، حدثوا بين الأمم بمجده.. بين جميع الشعوب بعجائبه. لأن الرب عظيم وحميد جداً».

انظر: سفر المزامير، المزمور السادس والتسعون ۲ ـ ٤. العهد القديم: ٧٠٤.

(۲) في ك و ط (ترجمة).

(۳) **القدوس**: هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وقيل: هو الذي كثرت بركته.

انظر: تفسير الخازن بذيل صحائف البيضاوي ٦/٢٤٣.

(٤) **النَّصُّ على الشيء**: التعيين عليه.

انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٨٢.

(٥) سقطت (أنه) من أ.

(٦) في ك و ط زيادة (في غير البخاري).

سبقت ترجمته.

تقدم ص: ٢٣٥، والرواية عن عبد الله بن سلام، أخرجها الدرامي، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب... ١٠/٥؛ والبيهقي: الدلائل ١/٣٧٦.

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة فقال: «إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن»[1]. وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء، وليست موجودة في نفس كتاب موسى[2].

وتقدم أن لفظ التوراة، يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب[3] لا يخصون بذلك كتاب موسى.

وإذا كان هذا معروفاً عندهم، في التوراة والإنجيل[4]، يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب، يتناول[5] ذلك كتاب موسى، وزبور داود، وصحف سائر الأنبياء، سوى الإنجيل، فإنه ليس عند أهل الكتاب، وإنما هو عند النصارى خاصة.

وأما سائر كتب الأنبياء، فالأُمَّتان تُقِرُّ بها[6] ويؤيد ذلك أن الله

---

(١) سفر أشعياء، الإصحاح الثاني والأربعون، ١/٢٠؛ والعهد القديم: ٨٢٢ وفيه: «هُوَ ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته»... إلخ.

(٢) **كتاب موسى**: هي سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية ــ هذه الأسفار الخمسة وتسمى (الناموس) ــ فيما يظن ــ وهي في أول العهد القديم: ٧ــ٢٦٣.

وانظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٢٢.

(٣) في ك و ط زيادة: (وكذلك ما يوجد كثيراً من قول كعب الأحبار وغيره. ممن ينقل عن أهل الكتاب: «قرأت في التوراة» إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب).

(٤) في ك و ط زيادة «وقد خوطبوا بهذه اللغة»، فإن قوله ــ تعالى ــ في القرآن: ﴿**يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**﴾.

(٥) في ك و ط (فيتناول).

(٦) في ط (يقران بها).

كثيراً ما يَقْرن[1] في القرآن بين التـوراة والإنجيل وبين القـرآن[2]، وإنما يذكر الزبور مفرداً، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓمٓ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [3] ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ . . . ﴾[4].

وقـولـه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ . . . ﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ . . . ﴾[6].

وأهل الكتاب [7] يجـدونه مكتـوباً في الكتب التي بـأيديهم، وهـو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة.

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب، فلا يستريب عـاقل في كثـرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب. ومعلوم أن الله أراد بـذلك الاستشهـاد

---

(١) يَقْرن: يجمع بين شيئين.
انظر: المصباح المنير ص ٥٠٠.

(٢) كلمة (بين القرآن) لم ترد في ك ولا ط.

(٣) هذه الآية الكريمة لم ترد في أ، وإثباتها أولى.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤.

(٥) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٧) في ك (القرآن).

بوجوده في تلك الكتب، وإقامة الحجة بذكره فيها. فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى. فإذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب، كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين، كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة، وتصديق بعضها بعضاً.

وقد أمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقاً كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[1].

وقال: ﴿... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾[2].

والزبور ذَكَره مفرداً في موضعين من القرآن في قوله:

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[1] .

فذكـره مفـرداً .

وذَكَر كتاب موسى بهذه الإضافة، لا بلفظ التـوراة في غير مـوضع فقال :

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ[2] وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾[3] .

وقـــال :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

إلـى قولـه[4] :

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٥ .

(٢) أي: وجـاء شاهـد من الله وهو مـا أوحاه إلى الأنبيـاء من الشرائـع المطهـرة المكملة المعـظمة المختتمـة بشريعـة محمد ـ صلوات الله وسـلامه عليـه وعليهم أجمعين ـ ولهذا قال ابن عباس وغيره: إنـه جبريـل ـ عليه السلام ـ . وعن علي وغيره: هـو محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكـلاهما قـريب في المعنى. لأن كلًّا من جبـريل ومحمد ـ عليهما السلام ـ بلغ رسالة الله ـ تعالى ـ ، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥ .

(٣) سورة هود: الآية ١٧ .

(٤) هكذا في ك و ط، ولم ترد في أ، وإثباتها أولى حيث لم ترد الآية رقم ١١ .

﴿ . . . وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾(١) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ . . . ﴾(٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾(٣) .

وإذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب الذي(٤) عند أهل الكتابين(٥) جميعاً، والزبور(٦) وغيره داخل في هذا الاسم(٧)، وكان ظهور اسمه ونعته في التوراة، ووجودهم ذلك فيما عندهم، وتكرره في غاية القوة، وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون أبناءهم واضحاً بيناً، (٨)إن قُدِّر(٩) هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يُكْتَم منها شيء، بل هي باقية كما كانت.

● ● ●

(١) سورة الأحقاف: الآيتان ١٠ و ١٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٣) أي: آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه، تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، جزاءً على إحسانه في العمل. وقيامه بأوامر الله وطاعته.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٣ ـ ٣٦٤.
سورة الأنعام: الآية ١٥٤.
(٤) في ك و ط (التي).
(٥) في ك و ط (الكتاب).
(٦) لم ترد كلمة (الزبور) في ط.
(٧) في ك و ط بدون عطف.
(٨) هنا عطف بالواو في ك و ط.
(٩) في ك و ط زيادة (أن).

فصل

بشارة رابعة من داود ـ عليه السلام ـ

وقالوا: قال داود في مزموره «لترتاح البوادي وقراها، ولتَصِرْ[1] أرض (قيذار)[2] مروجاً[3]، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل[4] الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر»[5].

[6]فلمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد؟ ومَنْ (قيذار) سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ ومَنْ سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب؟



---

(١) في ك (لتنصر).

(٢) هو ابن إسماعيل بن إبراهيم، خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ وأمه: السيدة بنت مُضَاحن بن عمرو الجُرْهمي، وله من الأخوة أحد عشر هم: نابت وأدبيل ومبشا ومسمع ودما وماس وأدد وطور ونفيس وطما وقيدمان. ومن نابت وقيدر نشر الله العرب.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٤.

(٣) **المروج**: مفرده: مرج، وهو الموضع ترعى فيه الدواب.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٢٢.

(٤) مفردها: قُلَّة، وهي: أعلى الجبل. انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٩.

(٥) وجدناه في سفر أشعيا، الإصحاح الخامس: ٢٦ ـ ٢٨؛ والإصحاح الرابع والخمسون: ١ ـ ١٧. العهد القديم: ٧٨٧ و٨٢٥ ـ ٨٢٦. بالمعنى في الترجمة الحالية.

(٦) في ك و ط زيادة (قالوا).

فصل

بشارة خامسة من داود ـ عليه السلام ـ

[1]قال داود في مزمور له «ويحوز[2] من البحر إلى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، ويخِر[3] أهل الجزائر بين يديه، ويَلْحَس أعداؤه التراب، ويسجد له ملوك الفرس، وتَدِين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويُخَلِّص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويُصَلَّى عليه ويبارك في كل حين»[4].

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته، لا على المسيح، فإنه[5]

---

(١) في ك و ط زيادة (قالوا وقال).

(٢) في ك و ط (يجوز) بالجيم.

(٣) في ك و ط (بحر).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه: «ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تَقْدُمَة. ملوك شيا وسباء يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين، إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. يُصَلي لأجله دائماً. اليوم كله يباركه».

انظر: سفر المزامير، المزمور الثاني والسبعون، ٨ ـ ١٥، العهد القديم ٦٨٨.

(٥) في ك و ط (فإن) محمداً.

حـاز من البحر الـروميِّ[1] إلى البحـر الفـارسي[2]، ومن لـدن الأنهـار، بجيحـون وسيحـون[3]، إلى منقـطع الأرض بـالمغـرب[4]، كمـا قـال: «زُوِيَت لي الأرض، مشـارقهـا ومغـاربهـا وسيبلغ ملك أمتي مـا زُوِيَ لي منها[5]».

وهو يُصَلّى عليه ويُبَارَكُ في كل حين: في كل صلاة: في الصلوات الخمس وغيرها، يقـول كل من أمتـه: اللهم صلِّ على محمـد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. فيُصلي عليه ويُبارك.

---

(١) ويسمى (بحـر المغرب) تـطل عليه بـلاد المغرب ومصـر والشـام من جهـة الجنـوب وبلدان الأنـدلس وغيرهـا من جهة الشمـال حتى يتصل ببـلاد رومية «قسـطنطينيـة»، ويسمى الآن (البحر الأبيض المتوسط).
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٦٦.

(٢) هو شعبة من بحر الهند الأعظم، وحَدُّه من البر من نواحي مكـران إلى عَبّادان، وهـو فوهة دجلة التي تصب فيه، أول سواحله من جهة البصرة إلى بليدة تسمى «المحورة» في طرف جزيرة عبادان.
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٦٦.

(٣) في ك و ط (كسيحون وجيحون).
جيحون: هو وادي خراسان، وعليـه مدينـة اسمها (جيحـان) ينسب إليه مخـرجه من جبل يقال له أيو ساران، يتصل بناحية السند والهند وكابل، وهو عدة أنهار تجتمع فيه ويمـر بعدة بـلاد حتى يتصـل إلى خـوارزم، ثم يصب في بحيـرة بـاسم هـذا البلد.
و «سيحون» نهر مشهور بما وراء النهر، قرب «خُجَنْد» بعد «سمرقند» وهـو يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر، حتى تمشي على جليده القوافل في حدود بلاد الترك.
انظر: المصدر السابق ١/٣٦٥ و ٢/٧٦٤.

(٤) هـو آخـر حـدود أفـريقيـة من الغـرب إلى آخـر جبـال السـوس التي وراءهـا البحـر المحيط ــ ومنقطع الشيء حيث ينتهي إليه طرفه.
انظر: المصدر السابق ١٢٩٣؛ والمصباح المنير ص ٥٠٩.

(٥) سبق تخريجه.

ومنه[1] خرت أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة قبرص[2]، وأهل جزيرة[3] الأندلس[4].

وخضعت له ملوك الفرس، فلم يبق منهم إلَّا من أسلم أو أدَّى[5] الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. بخلاف ملوك الروم، فإن فيهم من لم يسلم ويؤدي الجزية فلهذا خص ملوك فارس، ودانت[6] له الأمم، التي[7] تعرفه وتعرف أمته، كانت إما مؤمنة به، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم. وأنقذ الضعفاء من الجبارين.

وهذا بخلاف المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن، ولا حازوا[8] ما ذكر، ولا صُلِّيَ عليه وبورك عليه في اليوم والليلة، فإن القوم يدَّعون إلَهيته[9].

---

(١) في ك و ط (وقد،).

(٢) بالصاد أو السين، وهي جزيرة كبيرة، شرق البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، وهي تعد الثالثة في الكِبَر، والثانية في القيمة التاريخية والاقتصادية بجانب صقلية.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٦٣؛ ودائرة معارف وجدي ٧/٦٠٣.

(٣) في ك و ط (جزائر).

(٤) **الأندلس**: اسم أطلقه المسلمون العرب على كل شبه جزيرة أسبانيا بطريق التغليب، هي بلاد كبيرة فيها عامر وغامر (صحراء)، يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر. . . .
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٢٣؛ ودائرة معارف وجدي ١/٦٥٧.

(٥) في أ (الراوي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٦) دانت: ذلت وطاعت.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٤٢.

(٧) في ك و ط زيادة (فعامة الأمم). وليس في ك (التي).

(٨) في ك و ط (جازوا) بالجيم.

(٩) في ك و ط (فإن النصارى يدعون إلَهية المسيح) وفيها بعد ذلك زيادة: (فلا يصلون عليه، وإنما يصلون له).

فصل

شهادة سفر أشعياء: «راكب الحمار وراكب الجمل»

وقالوا[١] ـ في نبوة أشعياء ـ : قال أشعياء: «قيل[٢] لي قم نظاراً، فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين مقبلين[٣]: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصحابها للمنحر»[٤].

قالوا: فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار.

وبمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سقطت أصنام بابل[٥].



(١) في أ (وقال: وفي) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (فقيل).

(٣) في أ (مقبلة).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه: «لأنه هكذا قال لي السيد: أذهب أقم الحارس، ليخبر بما يرى، فرأى ركاباً أزواج فرسان، ركاب حمير. ركاب جمال. فأصغى إصغاء شديداً، ثم صرخ كأسد: أيها السيد، أنا قائم على المرصد دائماً في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة، كسرها إلى الأرض».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون ٦ ـ ٩؛ والعهد القديم ٨٠١.

(٥) سقطت (أصنام) من ك و ط. وجاءت (بابل) في ط هكذا (يابل).

فصل

بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح وبمحمد وإنذارها بالدجال

ومما ينبغي أن يعرف: أن الكتب المتقدمة بشَّرَتْ بالمسيح، كما بشرت بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال.

والأمم الثلاثة: المسلمون واليهود والنصارى، متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال، وحذرت[1] منه كما قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح: «ما من نبي إلَّا وقد أنذر أمته المسيح الدجال، حتى نوح أنذره[2] أمته، وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: (ك ف ر)، يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء»[3].

والأمم[4] الثلاثة متفقون على أن الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود. فالأمم الثلاثة متفقون على الإخبار بمسيح هدى، من نسل داود،

---

(١) في أ (وحذرته) والهاء زائدة نسخاً ــ بلا شك ــ.

(٢) في ك و ط (أنذر).

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم من عدة روايات، كتاب الفتن... باب ذكر ابن صياد، وباب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٤/٢٢٤٥ ــ ٢٢٤٩، (١٦٩ و ٢٩٣٣) بلفظ: (كاتب وغير كاتب). وأصله عند البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ١٣/٩ ــ ٩١ (٧١٢٧ ــ ٧١٣١) من فتح الباري.

(٤) في أ (فالأمم).

ومسيح ضلالة، وهم متفقون على أن مسيح الضلالة لم يأتِ بعد[1]، ومتفقون على أن مسيح الهدى سيأتي ـ أيضاً ـ[2].

ثم المسلمون[3] والنصارى متفقون على أن مسيح الهدى، هو عيسى بن مريم، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسى بن مريم مع إقرارهم بأنه من ولد داود.

قالوا: «لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها»[4] وزعموا أن المسيح بن مريم إنما بعث بدين النصارى، وهو دين ظاهر البطلان[5].

والنصارى تقر[6] بأن المسيح مسيح الهدى بعث، ومقرون[7] بأنه سيأتي مرة ثانية، لكن يزعمون أن هذا الإتيان الثاني هو يوم القيامة، ليجزي الناس بأعمالهم، وهو ـ في زعمهم ـ هو الله، والله الذي هو اللاهوت[8] يأتي في ناسوته، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك.

وأما المسلمون، فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء على وجهه، وهو

---

(١) في ك و ط زيادة (وسيأتي).

(٢) سقطت (أيضاً) من ك و ط.

(٣) في ك و ط زيادة (واليهود).

(٤) وهو كما في سفر المزامير: «وتسجد قدامك كل قبائل الأمم».
انظر: المزمور الثاني والعشرون، ٢٧؛ والعهد القديم ٦٥٨.

(٥) في ك و ط زيادة «ولهذا إذا خرج المسيح الدجال اتبعوه، فيخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان. ويسلط المسلمون على اليهود، فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر: «يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعالَ فاقتله»، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح».

(٦) في ط (يقرون).

(٧) في ك و ط (يقرون) بالياء.

(٨) يقصدون بكلمة (لاهوت) ذات الرب ـ سبحانه ـ.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٨٢٠.

موافق لما أخبر به خاتم الرسل، حيث قال في الحديث الصحيح: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[1].

وأخبر في الحديث الصحيح: أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب، نزل عيسى بن[2] مريم على المنارة البيضاء[3] شرقي[4] دمشق، بين مهرودتين[5]، واضعاً يديه على منكبي ملكين. فإذا رآه الدجال انماع، كما ينماع الملح في الماء، فيدركه فيقتله بالحربة[6]، عند باب لُد الشرقي[7]، على بضع عشرة خطوات منه»[8]. وهذا تفسير قوله

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى... وفي أوله: «والذي نفسي بيده...» ٦/٤٩٠ (٣٤٤٨) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى... ١/١٣٥ (١٥٥).

(٢) في ك و ط (ابن) وهي في أثناء السطر.

(٣) وهي إحدى منائر القبة المعروفة بقبة النسر في مسجد دمشق، وهي الكبرى ولها منارتان غيرها، وقد كانت «ديدبانا» للروم، وأقرت على ما كانت عليه، وصيرت منارة.
انظر: معجم البلدان ٢/٤٦٧.

(٤) في ط (شرفي) بفاء موحدة قبل الياء وهو خطأ مطبعي.

(٥) في ك و ط: بالذال المعجمة و«المهرودتين»: بالذال المعجمة أو الدال المهملة ـ وجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين، والأكثر بالمهملة ـ: هي ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران، وقيل هي شقتان، والشقة: نصف الملاءة.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/٦٧ م ٩.

(٦) هي آلة حرب.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦١.

(٧) لُدّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.
انظر: معجم البلدان ٥/١٥.

(٨) أخرجه مسلم بنحوه، كتاب الفتن... باب ذكر الدجال... ٤/٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٣ (٢١٣٧).

ـ تعالى ـ :

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1].

أي: يؤمن بالمسيح قبل أن يموت، حين نزوله إلى الأرض، وحينئذٍ لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا يبقى دين إلَّا دين الإسلام، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب.

ولكن النصارى ظنوا[2] مجيئه بعد قيام القيامة، وأنه هو الله، فغلطوا في ذلك، كما غلطوا في مجيئه الأول، حيث ظنوا أنه هو الله. واليهود أنكروا مجيئه الأول، وظنوا أن الذي بُشِّرَ به ليس[3] إياه، وليس هو الذي يأتي آخراً، وصاروا ينتظرون غيره، وإنما هو بعث إليهم أولاً فكذبوه، وسيأتيهم ثانياً، فيؤمن به كل من على وجه الأرض، من يهودي ونصراني[4]، إلَّا من[5] قتل أو مات، ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه، ورموا أمه بالفرية، وقالوا: إنه ولد زنا. وهؤلاء الذين غَلَوْا فيه، وقالوا: إنه الله.

ولما كان المسيح ـ عليه السلام ـ نازلاً في أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، صار بينه وبين محمد ـ من الاتصال ـ ما ليس بينه وبين غير محمد، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «إن أولى الناس بابن مريم لأنَا، إنه ليس بيني وبينه

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.
(٢) في ك و ط زيادة (أن ذلك).
(٣) في ك و ط زيادة (هو).
(٤) في أ (ونصارى) وهو خطأ نسخي.
(٥) (إلَّا) سقطت من ط.

نبي»[١]. وروي «كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها»[٢]. وهذا مما يظهر به مناسبة اقترانهما، فيما رواه أشعياء، حيث قال: «راكب الحمار وراكب الجمل».



---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذكرفي الكتاب مريم...﴾، ٦/٤٧٧ (٣٤٤٢) من فتح الباري بلفظ: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد عَلّات، ليس بيني وبينه نبي». رواه مسلم بلفظ البخاري، وبلفظ آخر، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ــ عليه السلام ــ ٤/١٨٣٧ (٢٣٦٥)؛ ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء... ٤/٢١٨ (٤٦٧٥)؛ والمستدرك، كتاب التاريخ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم... ٢/٥٩٢؛ ورواه أحمد في المسند ٢/٣١٩ و٤٣٧.

(٢) هذه الرواية ذكرها ابن الأثير، جامع الأصول ٩/٢٠٢، من زيادة رُزين عن أنس بن مالك بلفظ: «لن تهلك أمة أنا أولها، ومهديها أوسطها والمسيح آخرها»، وقد حكم عليها الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٥/٣٦. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق ــ بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، حيث نقلها السيوطي عن أبي نعيم في كتابه «أخبار المهدي» عن ابن عباس.

فصل

بشارة أشعياء بشأن مكة

قالوا: وقال أشعياء النبي ـ عليه السلام ـ متنبياً[1] على مكة ـ شرفها الله ـ : «ارفعي إلى ما حولك بصرك، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن يصير إليك ذخائر البحر[2]، وتحج إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل الموبَلة[3]، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ[4]، ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب»[5] يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن إسماعيل.

---

(١) في ك و ط (مثنياً).

(٢) في ك و ط (البحرين).

(٣) الموبَلة: المثقلة.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٥٦٧.

(٤) أرض باليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام، تفرق أهلها في البلاد، وصار كل قوم منهم إلى جهة، لما جاءهم سيل العرم، كما في القرآن الكريم.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٨٧.

(٥) نص الترجمة الحالية: «ارفعي عينيك حواليك، وانظري، قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتي بنورك من بعيد، وتُحمل بناتك على الأيدي، حينئذٍ تنظرين وتتبهرين، ويخفق قلبك ويتسع، لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غني الأمم، تغطيك كثرة الجمال بُكْران مديان، وعيفة كلها تأتي من شبأ، تحمل ذهب ولباناً، وتبشر بتسابيح الرب، كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الستون ٤ ـ ٧؛ والعهد القديم ٨٤٠.

قالوا: فهذه الصفات كلها حصلت بمكة، فحملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران ـ الهدايا والأضاحي ـ و (فاران) هي البرية الواسعة التي فيها مكة، وضاقت الأرض عن قطرات الإبل الموبَلة الحاملة للناس وأزوادهم إليها، وأتاها أهل سبأ، وهم أهل اليمن.



فصل

بشارة ثالثة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ معلناً باسم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إني جعلت أمرك[3] يا محمد، يا قدوس الرب[4]، اسمك موجود من الأبد»[5]. قالوا: فهل بقي بعد ذلك لزائغ فقال، أو لطاعن مجال؟ وقول أشعياء: إن اسم محمد موجود من الأبد، موافق لقول داود الذي حكيناه: أن اسمه موجود قبل الشمس[6].

وقوله: «يا قدوس الرب» يعني يا من طهره الرب، وخلصه من[7] بشريته واصطفاه لنفسه.



(١) في ط (نبي).
(٢) في أ (عليه السلام).
(٣) في ك و ط زيادة (محمداً).
(٤) **قدس الرب**: أي ما يُكَرَّس لله من شخص أو شيء.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٧١٨.
(٥) تتبعت سفر (أشعياء) كله، وبحثت في غيره فلم أهتدِ لشيء ولعلي أجده أو أُدل عليه من جهة طالب علم ناصح.
(٦) وأقول في مسألة عزوه كما قلت في النص الذي قبله.
(٧) في ك و ط زيادة (شوائب).

فصل

شهادة رابعة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء ــ وشهد لهذه الأمة بالصلاح والديانة ــ «سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً، فيصفر لهم من أقاصي الأرض، فيأتون سراعاً»(١).

والنداء، هو ما جاء به النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من التلبية في الحج(٢)، وهم الذين جعلوا لله الكرامة، فوحدوه وعبدوه، وأفردوه بالربوبية، وكسروا الأصنام، وعطلوا الأوثان. والعلم المرفوع: هو النبوة. وصفيره: دعاؤهم إلى بيته ومشاعره، فيأتونه سامعين مطيعين.



(١) ونصه في الترجمة الحالية بالعربية: «فيرفع راية للأمم من بعيد، ويُصْفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً، ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون، ولا تنحل حزم أحقائهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم، الذين سهامهم مسنونة، وجميع قسيهم ممدودة، حوافر خيلهم تحسب كالصوان، وبكراتهم كالزوبعة، لهم زمجرة كاللبوة، ويزمجرون كالشبل، يُهرون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا منقذ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر، فإن نُظِر إلى الأرض فهو ذا ظلام الضيق، والنور قد أظلم بسحبها».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الخامس ٢٦ ــ ٣٠؛ والعهد القديم ٧٨٧.

(٢) انظر ما رواه البخاري، كتاب الحج، باب التلبية ٣/٤٠٨ (١٥٤٩ ــ ١٥٥٠)؛ وما رواه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها ٢/٨٤١ ــ ٨٤٣، (١١٨٤).

فصل

بشارة خامسة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي ـ، والمراد مكة شرفها الله ـ تعالى ـ[1]: سيري واهتزي أيتها العاقر، التي لم تلد[2]، وانطقي بالتسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي[3] ـ. يعني بأهله: بيت المقدس، ويعني بالعاقر: مكة شرفها الله، لأنها لم تلد قبل نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ[4]. ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت للأنبياء، ومعدن الوحي، فلم تزل تلك البقعة ولادة.



---

(١) ليس في أ كلمة التقديس.

(٢) في ط (تلدي).

(٣) تقول الترجمة الحالية: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات الأمل قال الرب، أوسعي مكان ضجتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الرابع والخمسون، ١ ــ ٣؛ والعهد القديم ٨٣٥.

(٤) في ك و ط (عليه السلام).

فصل

بشارة سادسة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي، ـ ونص على خاتم النبوة ـ : «وُلِدَ لنا غلام، يكون عجباً وبشراً، والشامة[1] على كتفيه[2]، أركون السلام، إلّه جبار، وسلطانه سلطان السلام، وهو ابن عالمه، يجلس على كرسي[3] داود[4].

قالوا: الأركون، هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة المعظمون. ولما أبرأ المسيح مجنوناً من جنونه، قال اليهود: «إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين إلَّا بأركون الشياطين» يعنون عظيمهم. وقال المسيح في الإنجيل: «إن أركون[5] العالم يدان»[6] يريد إما إبليس

---

(١) المقصود بالشامة: خاتم النبوة ـ كما ذكر المؤلف ـ وهي لغة: أثر أسود في البدن وفي الأرض.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٨٨.

(٢) في ط (كنفيه) بالنون.

(٣) سقطت (كرسي) من أ، وقد أثبتناها من ك و ط.

(٤) نص الترجمة الحالية: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلّهاً قديراً، أبا أبدياً، رئيس السلام، لنمو بأسه وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح التاسع ٦ ـ ٧؛ والعهد القديم ٧٩٠.

(٥) في ك و ط زيادة (هذا).

(٦) انظر إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ٣ ـ ٣١؛ والعهد الجديد ١٤٣.

أو الشرير العظيم الشر من الآدميين، وسماه إلّهاً على نحو قول التوراة: «إن الله جعل موسى إلّهاً لفرعون»[1] أي حاكماً عليه ومتصرفاً فيه، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه: «إنكم آلهة»[2].

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهي شامته، فلعمري[3] لم تكن الشامة لسليمان، ولا للمسيح، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود، يعني أنه سيرث بني إسرائيل، نبوتهم وملكهم، ويبتزهم[4] رياستهم.



(١) سفر الخروج، الإصحاح السابع ١؛ والعهد القديم: ٧٩.

(٢) مزامير داود، المزمور الثاني والثمانون ٦؛ والعهد القديم ٦٩٦.

(٣) اللام في (لعمري) لام الابتداء، والعمر: ــ بفتح العين وضمها ــ: البقاء، وألزموا الفتح القسم، ويجوز حذف اللام، وقال أبو الهيثم: لعمرك: لدينك الذي يعمر، وأنشد:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

أي عبادتك الله. وقال ابن الأعرابي: عمرت ربي: أي عبدته، فعلى هذا لعمري: لعبادتي. وقال بعض أصحاب المعاني: لا يجوز أن يضاف إلى الله، لأنه لا يقال: لله ــ تعالى ــ عُمر، وإنما يقال هو أول أزلي، وكأنه يوهم أن العُمر لا يقال إلَّا فيما له انقطاع، وليس كذلك، العَمر والعُمْر: البقاء.

وقد روى ابن جرير بإسنادين أن ابن عباس يعتبر هذا قسماً، ثم روى بإسناده عن النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله: وحياتي». قلت: وهذا لا يخفى ــ قطعاً ــ على الشيخ المؤلف، ويظهر أنه لم يجد ذلك ثابتاً عن ابن عباس والنخعي.

انظر: البحر المحيط ٤٦٢/٥؛ وجامع البيان للطبري: ١٤/٤٤.

(٤) أي: يستلبهم.

انظر: مختار الصحاح ص ٥٠.

فصل

بشارة سابعة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء في وصف أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ستمتليء البادية والمدن من أولاد قيدار، يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر[1]. [2]وقيدار، هو ابن إسماعيل باتفاق الناس[3]، وربيعة ومضر من ولده[4]، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من مضر[5].

وهذا الامتلاء والتسبيح[6]، لم يحصل لهم إلَّا بمبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[7].



---

(١) نص الترجمة الحالية: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون من البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالغ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الثاني والأربعون ١٠ ــ ١٣؛ والعهد القديم ٨٢٣.

(٢) في ك و ط زيادة (قلت).

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٤؛ والكامل ١/٧١؛ والبداية والنهاية ١/١٩٣؛ و ٢/١٨٤.

(٤) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٢٢.

(٥) انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢.

(٦) في ك و ط زيادة (في البر والبحر).

(٧) في ك و ط زيادة (والتسبيح: الصلوات الخمس، وقد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً، فهم يصلون الخمس في البر والبحر).

فصل

قالوا: وقال أشعياء ـ والمراد مكة ـ: «أنا رسمتك على كفي، وسيأتيك أولادك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخونك[1]، فارفعي بصرك إلى ما حولك، فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك، فتسمي باسمي إني أنا الحي، لتلبسي[2] الحلل، وتزيني بالإكليل[3]، مثل العروس، ولتضيقن خراباتك[4] من كثرة سكانك والداعين فيك، وليهابَنَّ كل من يناوؤك، وليكثرن أولادك حتى تقولي من رزقني[5] هؤلاء كلهم؟ وأنا وحيدة فريدة، يرون رقوب[6]، فمن ربى لي هؤلاء، ومن تكفل لي بهم»[7]؟

بشارة ثامنة من أشعياء

قالوا: وذلك إيضاح من أشعياء بشأن الكعبة، فهي التي ألبسها الله

---

(١) في ك و ط (يخربك).

(٢) في أ (لتلبس) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) هو شبه عصابة للرأس تزين بالجواهر، ويسمى التاج إكليلاً.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٧.

(٤) **الخرابات**: المواضع.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧١.

(٥) في ط (يقول من رزق).

(٦) **الرَّقُوب**: الذي لا ولد له.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٤.

(٧) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الرابع والخمسين ١ ـ ١٧؛ والعهد القديم: ٨٣٥ ـ ٨٣٦.

الحلل الديباج الفاخرة، ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك، ومكة: هي[1] التي ربا[2] الله لها الأولاد من حجاجها، والقاطنين بها. [3]وذلك أن مكة هي التي أخرج عنها كل من أراد أن يخيفها ويخربها، فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة، لم يهنها أحد من البشر قط، بل أصحاب الفيل[4] لما قصدوها، عذبهم الله العذاب المشهور، ولم تزل عامرة محجوجة، من لدن إبراهيم الخليل.

بخلاف بيت المقدس، فإنه قد أخرب مرة بعد مرة، وخلا من السكان، واستولى العدو عليه وعلى أهله، وكذلك إخباره بإهانة كل من يناويها: هو للكعبة دون بيت المقدس[5] قال ــ تعالى ــ:

﴿... وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[6].

والحجاج بن يوسف[7] كان معظماً للكعبة ــــــــــــ

---

(١) في ك (وهي).

(٢) في ط (بارك).

(٣) في ك و ط زيادة (قلت).

(٤) أصحاب الفيل: هم أبرهة الأشرم، ملك اليمن، وجيشه الذي غزا البيت الحرام لتخريب الكعبة، والفيل آسمه (محمود) بعثه النجاشي ملك الحبشة لأبرهة، فأهلكهم الله بالحجارة التي تحملها الطيور، بعد أن رفض الفيل المذكور مهاجمة الكعبة، ولم يفلح تعذيبهم له بالقيام بتلك المهمة.
انظر: تفسير القرآن العظيم، سورة الفيل: الآية ٨، ص٥٠٣ ــ ٥٠٦.

(٥) في ك و ط زيادة (كما).

(٦) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٧) هو ابن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن قسي ــ وهو ثقيف ــ الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، وأمه: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، مات مريضاً مسلطاً عليه الزمهرير سنة ٩٥هـ، وشهد مرضه الحسن البصري، وله ٥٤ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ١/٢٩ ــ ٥٤ (١٤٩)؛ و سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٣ (١١٧).

لم يَـرْمُها بمَنْجَنِيق[1]، وإنمـا قصد ابن الـزبير[2] خاصـة[3]. وأمـا كثـرة أولادهـا، وهم الـذين يحجـون إليها[4] ويستقبلونهـا في صلاتهم، فهم أضعـاف أضعاف أولاد بيت المقدس.



---

(١) بفتح الميم وكسرها: آلة ترمى بها الحجارة وهي معربة، أصلها فارسي، مأخـوذة من (جه، نيك) أي أنا ما أجودني، يجمع على منجنيقات، ومجانق، ومجانيق.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٨٦.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أبو بكـر، وأبو خبيب، كـان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، تـولى الخلافـة تسع سنين، قتـل في ذي الحجة سنة ٧٣ هـ في مكة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٠٥.

(٣) أي لم يقصدها لذاتها لما رماها بالمنجنيق.

(٤) في ك و ط (أو).

فصل

بشارة تاسعة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء، ـ حاكياً عن الله تعالى ـ «أشكر حبي[1] وابني أحمد[2]». فسماه الله حبيباً وسماه ابناً. وداود ابناً، غير أن الله خصه عليهم بمزية فقال: «حبي[3] ابني أشكره» فتعبد أشعياء بشكر[4] محمد، ووظَّف[5] عليه وعلى قومه شكره وإجلاله، ليتبين قدره ومنزلته عنده. وتلك منقبة[6] لم يؤتها غيره من الرسل.

وقال أشعياء: «إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»[7]. وهذا إفصاح من أشعياء باسم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَلْيُرِنَا، أهل الكتاب نبياً نصَّت الأنبياء على اسمه صريحاً، سوى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.



(١) في ك و ط (حبيبي).

(٢) تتبعت سفر أشعياء فما وجدت هذه العبارة ولا قريباً منها.

(٣) في ك و ط (حبيبي).

(٤) في ط (الشكر).

(٥) في ط (ووجب) وقد جاء في أ و ك (ووضف) بالضاد، وصححناها من المعجم.
وظف: من الوظيفة: وهي ما يقدر للإنسان في كل يوم من طعام أو رزق.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٨.

(٦) في ك و ط (منزلة).
المنقبة: الفعل الكريم.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢٠.

(٧) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح السادس والستون ١٢؛ والعهد القديم ٨٤٦.

فصل

بشارة محمد ﷺ من حبقوق

قالوا: وقال حبقوق ـ وسُمي محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صريحاً[1] مرتين في نبوته ـ: «إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل[2] فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزه، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح[3] الأرض، فتضعضعت[4] له الجبال القديمة، وانخفضت الروابي، وتزعزعت[5] ستور أهل مدين»[6].

---

(١) سقطت من ك (صريحاً) ومن ط (وسلم ـ صريحاً).

(٢) في ك و ط (جبال).

(٣) في ك و ط (فأم فسيح ـ هكذا).

(٤) من تضعضع: أي خضع وذل وافتقر.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٦.

(٥) **الزعزعة**: تحريك الريح للشجرة ونحوها، أو كل تحريك شديد.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٥٢.

(٦) في ك و ط زيادة (ولقد حاز المساعي القديمة).
نص الترجمة الحالية: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبال فاران، سِلاَه، جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت أكام القدم، مسالك الأزل له، رأيت خيام كوشان تحتَ بَلِيَّة، رجفت شقق مديان».
انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ـ ٧؛ والعهد القديم ١٠٤٦.

ثم قال: «زجرك في الأنهار[١]، وإقدام[٢] صوامك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت[٣] مراكب الإيفاد[٤]، وستنزع[٥] في قسيك[٦] أعراقاً[٧] ونزعاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب[٨] السيل، وتغيرت المهاوي تغيراً[٩] ورعباً، رفعت أيديها وجلاً وخوفاً، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك[١٠]، وتدَوَّخ الأرض غضباً[١١]، وتدوس الأمم زجراً[١٢]، لأنك ظهرت بخلاص أمتك، ______

(١) **زجرك في الأنهار**: من زجرت البعير حتى ثار ومضى. انظر: اللسان ٣١٩/٤، مادة: زجر.

(٢) في ك (واختدام) وفي ط (واختتام).

(٣) في ط (وعلوق).

(٤) في ك و ط (الإيفاد). **والإيفاد**: الإشراف والارتفاع.
انظر: ترتيب القاموس ٦٣٦/٤.

(٥) في ك و ط (وسينزع).

(٦) في ك (قيسيك)، وهو جمع قوس وهو آلة الرمي.
انظر: ترتيب القاموس ٧١٤/٣.

(٧) من أعرق في الدلو: إذا جعل الماء فيها دون الملء.
ترتيب القاموس ٢٠٥/٣.

(٨) **الشؤبوب**: الدُّفْعة من المطر.
انظر: ترتيب القاموس ٦٦١/٢.

(٩) في ط (تعبرت المهاوي تعبراً).
المهاوي: الجبناء.
انظر: ترتيب القاموس ٥٤٨/٤.

(١٠) **النيازك**: هي: الرماح القصيرة.
انظر: ترتيب القاموس ٣٥٧/٤.

(١١) في ط (غصباً).

(١٢) **الزجر**: النهي والمنع.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٩.

وإنقاذ تراث آبائك»[1].

قالوا: وهذا تصريح بمحمد، ومن رام[2] صرف نبوة حبقوق هذه عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقد رام ستر[3] النهار، وحبس الأنهار، وأنَّى يقدر على ذلك؟! وقد سماه باسمه مرتين، وأخبر بقوة أمته، وسير المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير[4] آثارهم. وهذه النبوة لا تليق إلَّا بمحمد، ولا تصلح إلَّا له، ولا تدل إلَّا عليه. فمن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعاً[5]. وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن، وهي ناحية مكة والحجاز، فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جاء من ناحية

---

(١) بقية الإصحاح المتقدم كما في الترجمة الحالية: «. . . هل على الأنهار حمي يا رب، هل على الأنهار غضبك، أو على البحر سخطك، حتى أنت ركبت خيلك مركباتك، مركبات الخلاص، عريت قوسك تعرية، سباعيات سهام كلمتك. سلاه. شققت الأرض أنهاراً، أبصرتك ففزعت الجبال، سيل المياه طما، أعطت اللجة صوتها، رفعت يديها إلى العلاء، الشمس والقمر وقفا في بروجهما، لنور سهامك الطائرة، للمعان برق بحدك، بغضب خطرت في الأرض، بسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك، لخلاص مسيحك، سحقت رأس بيت الشرير، معرياً الأساس حتى العنق، سلاه، ثقب بسهامه رأس قبائله، عصفوا لتشتيتي، ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية، سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة.
انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٨ ـ ١٥؛ والعهد القديم ١٠٤٦.

(٢) رام الشيء: طلبه.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٤.

(٣) في ك (سير).

(٤) جوارح الطير والسباع: ذوات الصيد.
انظر: المصدر السابق ص ٩٨.

(٥) في ك و ط زيادة (قلت).

اليمن، وجبال فاران هي جبال مكة ـ كما قد تقدم بيان ذلك ـ، وهذا مما لا يمكن النزاع فيه.

وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد، بأنوار[1] الإيمان والقرآن التي ظهرت منه ومن أمته؛ وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم، فأمر ظاهر، فإن أمته هم الحمادون، لا بدَّ لهم من حمد الله في كل صلاة و[2]خطبة، ولا بد لكل مُصَلٍّ في كل ركعة من أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ . . .﴾[3].

فإذا قال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

قال الله: حمدني عبدي.

فإذا قال:

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾.

---

(١) في ك و ط (فأنوار).

(٢) في ك و ط زيادة (كل).

(٣) سورة الفاتحة: الآيات ١ ـ ٣.
لا أتصور أن أحداً يمكن أن يفهم من كلام الشيخ المؤلف هنا: أنه يمكن الاقتصار على ما أورده الشيخ من سورة الفاتحة. ولا أعلم أحداً قال به من كافة المذاهب، ولكن الشيخ ذكر الجزء وأراد الكل.
هذا (ويجب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصحيح من المذهب (أي الحنبلي)، وهذا مذهب مالك والأوزاعي والشافعي. وعن أحمد: أنها لا تجب إلاَّ في ركعتين من الصلاة، ونحوه: عن النخعي والثوري وأبي حنيفة... وعن الحسن: أنه إن قرأ في ركعة واحدة أجزاه... وعن مالك: أنه إن قرأ في ثلاث أجزاه، لأنها معظم الصلاة).
انظر: المغني لابن قدامة ٤٨٥/١.

قال: أثنى عليَّ عبدي.

فـإذا قـال:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ  ﴾.

قال: مجَّدني[1] عبدي[2].

فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها بالتحميد وإذا رفعـوا رؤوسهم من الـركـوع يـقـول إمـامهم: سمـع الله لمن حمـده، ويقـولون[3] جميعـاً: ربنا ولـك الحمـد، ويختمـون صـلاتهم بتحميـد، يجعل[4] التحيات له والصلوات والطيبـات، وأنواع تحميـدهم لله[5] مما يطول وصفه.

● ● ●

---

(١) التمجيد: التعظيم والثناء.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٠٤.

(٢) هذا جزء من حديث قدسي، رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قـراءة الفاتحـة في كل ركعة... ١/٢٩٦ (٣٩٥). ورواه مالك في المـوطأ، كتـاب الصلاة، بـاب القـراءة خلف الإمـام... ١/٨٤. ورواه أبـو داود بـرقم (٨٢١) والـتـرمـذي بـرقم (٢٩٥٣)؛ والنسائي ٢/١٣٥.

(٣) في ك (يقولوا).

(٤) في ك و ط (بتحميده، بجعل).

(٥) في ك و ط (تحميدهم فيه والثناء عليه).

فصل

بشارة من حزقيال

قالوا: وقال حزقيال(١) ـ وهو يهدد اليهود، ويصف لهم أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «وإن الله مظهرهم(٢) عليكم، وباعث فيهم نبياً، ومنزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم، فيقهرونكم(٣) ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني(٤) قيدار في جماعات الشعوب، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، محيطون(٥) بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار نعوذ بالله من النار»(٦).

(٧)وذلك أن رجال بني قيدار، هم (ربيعة) و (مضر) أبناء عدنان(٨)، وهما جميعاً من ولد قيدار بن إسماعيل، والعرب كلهم من

---

(١) في ك و ط (دانيال).
سبقت له الترجمة.
(٢) في ك و ط (يظهرهم).
(٣) في ك و ط (يقهرونكم).
(٤) سبقت (بني) من ك و ط.
(٥) في ك و ط (فيحيطون).
(٦) انظر: سفر حزقيال، الإصحاح العشرين ٤٥ ـ ٤٩؛ والعهد القديم ٩٤٩.
(٧) في ك و ط زيادة (قلت).
(٨) **عدنان**: من سلالة إسماعيل بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقد كره الإمام مالك ـ رحمه الله ـ رفع النسب إلى ما بعد عدنان، ولم يكرهه غيره كابن إسحاق والبخاري وغيرهما، قال ابن عبد البر: والذي عليه الأئمة في هذا الشأن في نسب عدنان، قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن =

بني عدنان، وبني قحطان. فعدنان ــ أبو ربيعة ــ ومضر وأنمار من ولد إسماعيل، باتفاق الناس[1]. وأما قحطان، فقيل: هم من ولد إسماعيل، وقيل: هم من ولد هود[2]. ومضر ولد إلياس بن[3] مضر[4]، وقريش، هم من ولد إلياس بن مضر. وهوازن مثل عقيل[5]، وكلاب[6]، وسعد بن بكر، وبنو نمير[7]، وثقيف وغيرهم، هم من ولد إلياس بن مضر.

وهؤلاء انتشروا في الأرض، فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات[8]

= نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ــ عليهما السلام ــ.
انظر: البداية والنهاية ٢/١٩٣ ــ ١٩٥.

(١) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٢٢ و١٦. والبداية والنهاية ٢/١٥٦.

(٢) انظر المصدرين السابقين والمواضع ــ نفسها ــ.

(٣) في ط (ابن) وليست في أول السطر.

(٤) اتفقت جميع النسخ على زيادة: (وإلياس بن مضر) بحيث تكون العبارة هكذا: (ومضر ولده الياس بن مضر، إلياس بن مضر وقريش هم من ولد وإلياس بن مضر)، والذي يظهر لي أن تلك الزيادة ليست في محلها، وربما تكون من النساخ.

(٥) هم: بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ و٢٧٣ و٢٩٠.

(٦) هم: بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: المصدر السابق: ٢٥٥ و٢٧٣ و٢٨٢.

(٧) هم: بنو نمير بن عامر بن صعصعة، وأولاده: ضنة وكعب وعامر والحارث.
انظر: المصدر السابق ص ٢٧٨.

(٨) رسمت في أ: (الفراة)، وهو النهر المعروف واسمه بالفارسية «فالاذروذ» وهو يخرج =

ودجلة[1]، سكنت[2] مضر في حران[3] وما قرب منها، فسميت ديار مضر، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها، فسميت ديار ربيعة[4].



= من بلاد قاليقلان ثغور أرمينية حتى ينتهي إلى نهر دجلة ثم إلى البحر الحبشي.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٢١؛ ومروج الذهب ١/١٠٣.

(١) **دجلة**: هو النهر العظيم المشهور الذي يشق بغداد ثم المدائن ثم إلى واسط ثم يصب في البطائح ثم البحر وطوله ١٢٠٠ كلم.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٥١٥؛ ودائرة معارف وجدي ٤/١٨.

(٢) في أ (فسكنت).

(٣) مدينة قديمة بين الرها والرقة، وهي مهاجر الخليل ـ عليه السلام ـ وكانت منازل الصابئة من الحرانيين.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٣٨٩.

(٤) في ك و ط زيادة «وقال: (تنزل الملائكة على خيل)، وهذا مما تواترت به الآثار، أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض، فإنها نزلت يوم (بدر) لنصر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته، ونزلت يوم الأحزاب، وأحاطت ببني قريظة».

فصل[1]

بشارتان من دانيال ـ عليه السلام ـ

وقال دانيال ـ عليه السلام ـ : وذكر محمداً رسول الله[2] ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ باسمه، فقال: «ستنزع في قِسِيك[3] إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء»[4].

فهذا تصريح بغير تعريض[5]، ـــــــــ

---

(١) كَتَب البسملة الشريفة قبل كلمة (فصل) في ط، حيث أن هذا الموضع هو أول الجزء الرابع من طبعة (الكردي)، والذي تبعه فيه (المدني) في طبعته ـ أيضاً ـ ولم أجد لذلك التقسيم (الفني) أي أثر في أ ولا أكسفورد، بخلاف ك، حيث جاء فيها بعد هذا الموضع بصفحة تقريباً إشارة إلى بداية الجزء، وسأذكرها في موضعها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

(٢) لم ترد جملة (رسول الله) في ك ولا ط.

(٣) في ك (قيسيك) بزيادة ياء بعد القاف.

(٤) النص الذي وجدته في الترجمة الحالية: «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي. ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض».

انظر: سفر دانيال، الإصحاح السابع، ١٣ ـ ١٤؛ والعهد القديم ١٠٠٠.

(٥) **التعريض**: ضد التصريح، يقال: عَرَّضَ لفلان وبفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه ومنه المعاريض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء، وفي المثل النبوي: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»، أي سعة.

انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٥؛ وفتح الباري ١٠/٥٩٤.

وقال: «هذا لفظ حديث أخرجه المصنف ـ أي البخاري ـ في الأدب المفرد، والطبري في التهذيب، والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات . . . وللمصنف في الأدب المفرد. . . عن عمر قال: أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب؟».

وتصحيح ليس فيه تمريض[1].

فإن نازع في ذلك منازع فليوجدنا[2] آخر، اسمه محمد له سهام تُنزع، وأمر مطاع لا يُدفع.

وقال دانيال النبي ـ أيضاً ـ حين سأله بَخْتَ نَصَّر، عن تأويل رؤيا[3] رآها، ثم نسيها: «رأيت أيها الملك صنماً عظيماً، قائماً بين يديك، رأسه من ذهب، وساعداه من الفضة، وبطنه وفخذاه من النحاس، وساقاه من الحديد، ورجلاه من الخزف[4]، ورأيت حجراً لم تقطعه يد إنسان، قد جاء وصك[5] ذلك الصنم فتفتت وتلاشى، وعاد رفاتاً، ثم نسفته الرياح، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً، حتى ملأ الأرض كلها، فهذا ما رأيتَ أيها الملك؟».

فقال بَخْتَ نَصَّر: صدق فما تأويلها؟

قال دانيال: «أنت الرأس الذي رأيته من الذهب، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة، وهما دونك، ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونهما[6]

---

(١) **التمريض**: التوهين، خلاف التصحيح الذي هو البراءة من كل عيب.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٩٩ و ٤/٢٢٩.

(٢) في ط (فليوجد لنا).

(٣) **الرؤيا**: ما يرى في المنام.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٨.

(٤) **الخزف**: كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٥٠.

(٥) **صَكّه**: أي ضربه شديداً بعريض، أو عام.
انظر: المصدر السابق ٢/٨٣٨.

(٦) في ك و ط (دونها) بدون ميم.

وهي شبه[1] النحاس، والمملكة الرابعة: تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء. فأما الرِّجلان التي رأيت من خزف. فمملكة ضعيفة، وكلمتها متشتتة[2]. وأما الحجر الذي رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته، فهو نبي يقيمه الله، إلّه السماء والأرض، من قبيلة بشريعة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض، وأممها حتى تمتلىء منه الأرض ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك»[3].

[4]فهذا نعت [5] محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا نعت[6] المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق[7] جميع ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته، في مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانه[8] دائم لم[9] يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها[10].



---

(١) هكذا في أ (شبه) وفي ك و ط (التي تشبه).
(٢) في ك بدل هذه الكلمة رمز غير معروف، وفي ط (سحيقة).
(٣) هكذا أورده الشيخ المؤلف مختصراً، وانظر نص الترجمة الحالية، سفر دانيال، الإصحاح الثاني بكامله؛ والعهد القديم ٩٩٠ ــ ٩٩٢.
(٤) في ك و ط زيادة (قلت).
(٥) في ك و ط (بعث).
(٦) في ك و ط (بعث).
(٧) في ك و ط (دون).
(٨) في ك و ط (وسلطانهم) بالجمع.
(٩) في ك و ط (لا).
(١٠) في ط (وأوساطها).

فصل

بشارة ثالثة من دانيال ـ عليه السلام ـ

(١)وقال دانيال النبي ـ أيضاً ـ سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء (٢)* أو يجعل ذلك في غيرهم؟ قال دانيال(٣): فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله ـ تعالى ـ(٤) يقول: «إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علي، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بخت نصر، فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم(٥)، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راضٍ عنهم، ولا مقيلهم عثراتهم(٦)، فلا يزالون من سخطي حتى أبعث مسيحي ابن(٧) العذراء البتول، فأختم(٨)

(١) في ك و ط زيادة (وقالوا).

(٢) من النجمة إلى آخر هذا الموضع ـ النجمة الأخرى، أي إلى قوله: في ك بسم الله الرحمن الرحيم، ويه ثقتي، ليس في ك، وهو بمقدار صفحة.

(٣) قال: (دانيال) ليست في ط.

(٤) ليس في ط كلمة التقديس.

(٥) في ط (مسجدهم).

(٦) في ط (عثرات) بدون الضمير المتصل.

(٧) في أ (بن) بدون ألف.

(٨) في ط (واختم) بالواو.

عليهم عند ذلك[1] باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة[2] حتى أبعث نبي بني إسماعيل، الذي بَشَّرْتُ به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي فبشرها[3] فأوحي[4] إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء[5]، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره[6]، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو فأدنيه، وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة[7]، حافظاً لما استودع، صادعاً[8] بما أمر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ[9] ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق،[10] رؤوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى

---

(١) في ط (ذلك عليهم باللعن).

(٢) **المسكنة**: الخضوع والذل.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٥٨٩.

(٣) في ط (وبشرها) بالواو.

(٤) في ط (وأوحى) بالواو.

(٥) هكذا في ك و ط، وفي أ (السيما) والأصوب ما في ط، ولهذا أثبتناه.

(٦) **ضمير الإنسان**: قلبه وباطنه.
انظر: المصباح ٣٦٤.

(٧) **الغبطة**: حسن الحال.
انظر: المصباح ٤٤٢.

(٨) في ط (صادقاً فيما).

(٩) **الرجل الفظ**: الشديد الغليظ القلب، إذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه.
انظر: المصباح ٤٧٨.

(١٠) من ط (بالأسواق).

توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه[١].

* قال الناقل لهذه البشارة: قالوا: *[٢]، ثم سرد دانيال قصة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حرفاً حرفاً[٣]، مما[٤] أملاه عليه الملك، حتى وصل[٥] آخر أيام أمته بالنفخة[٦] وانقضاء الدنيا، ونبوته كثيرة[٧]، وهي[٨] الآن في أيدي[٩] النصارى، واليهود يقرأونها[١٠].

[١١] * ومهما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيّها، واتصال مملكتهم بالقيامة ـ[١٢]قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وفيها من وصف محمد

---

(١) انظر: سفر دانيال، الإصحاح التاسع بكامله؛ والعهد القديم ١٠٠٣ ــ ١٠٠٤.
(٢) ما بين النجمتين سقط من ط.
(٣) سقطت (حرفاً حرفاً) من ط.
(٤) في ط (بما).
(٥) في ط (أوصل).
(٦) **النفخة**: قيل هي النفخ في كل صورة إنسان فتحيا، والصواب أن النفخ هو في الصور، والمراد به القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ــ عليه السلام ــ، وقد ورد في حديث إسناده فيه ضعيف: أن النفخ في الصور يكون ثلاث مرات، الأولى: نفخة الفزع والناس أحياء، وتطول هذه النفخة وترتج لها الأرض، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث. انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٧٧ ــ ٢٧٨.
(٧) سقطت (نبوته كثيرة) من ط، والمقصود بها: السفر المنسوب إليه، من العهد القديم.
(٨) في ط (وهذه البشارة).
(٩) في ط (عند اليهود والنصارى).
(١٠) في ط زيادة (ويقولون: لم يظهر صاحبها بعد).
(١١) من هذه النجمة بداية سقط من ط، وسأشير إلى نهايته لاحقاً ــ بإذنه تعالى ــ.
(١٢) من هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

وأمته بالتفصيل ـ[1] ما يطول وصفه، وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق، كما ذكر ذلك العلماء، منهم أبو العالية: ذكر أنهم لما فتحوا (تُسْتَر)[2] وجدوا دانيال ميتاً، ووجدوا عنده مصحفاً. *[3].

قال أبو العالية: أنا[4] قرأت ذلك المصحف، وفيه صفتكم[5] ولحون كلامكم[6]، وكان أهل الناحية[7]ـ إذا أجدبوا[8] كشفوا عن قبره، فيسقون[9]، فكتب أبو موسى[9] في ذلك إلى عمر بن الخطاب،

---

(١) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٢) تُسْتَر: تعريب (شوشتر) كانت أعظم مدينة بخوزستان، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ، وكان يُعمل بها ثياب وعمائم فائقة.
انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) إلى النجمة نهاية السقط من ط.
المصحف: بضم الميم وكسرها ـ، هو ما جمعت فيه الصحف.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٥٧.

(٤) في ط (فأنا).

(٥) في ط زيادة (وأخباركم وسيرتكم).

(٦) **لحن الكلام**: فحواه ومعناه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٩٥.

(٧) أي أهل (تستر) وما جاورها، **والناحية**: الجهة.
انظر: ترتيب القاموس ٤/ ٣٨٨.
في ط زيادة (يعني أرض السوس، حيث دانيال مدفون بها).

(٨) في أ (أجذبوا) بالذال المعجمة، والنقطة تحريف، وفي ط (أجديوا).

(٩) ورد شيء مشابه لهذا بشأن أبي أيوب الأنصاري في ص ١٤٥، (طبع المدني) وقد قام الشيخ: علي صبح المدني بالتعليق عليه تعليقاً جيداً، وسأعرض له في موضعه ـ بإذن الله تعالى ـ.

(٩) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار الأشعري، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة ٥٠هـ وقيل بعدها.
انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥؛ وتقريب التهذيب ١/ ٤٤١.

فكتب إليه عمر: «أن أحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً، وادفنه بالليل في واحد منها، لئلا يفتتن[1] الناس به»[2].



---

(١) الإفتتان: الضلال والإضلال والإثم.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٤٧.

(٢) أخرجه البيهقي بمعناه في الدلائل، باب صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة والإنجيل... ١/٣٨١ ـ ٣٨٢. ورجال إسناده مُوثَّقون وهم، أبو عبد الله الحاكم، عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي، عن يونس بن بكير، عن أبي خلدة: خالد بن دينار، عن أبي العالية ـ رُفَيْع بن مهران.

(٢) ما بعد هذا زيادة في ط فقط بمقدار صفحة من قوله: (فصل قالوا: قال كعب). ثم اتفقت الزيادة مع ك في قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي) فقط.

وهذه هي الزيادة بتمامها (فصل. قالوا: قال كعب ـ وذكر صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة، ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة ـ : «أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، مولده بكَّا، وهجرته طابا، وملكه بالشام، وأمته الحامدون، يحمدون الله على كل نجد، ويسبحونه في كل نزلة، ويغضون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، =

. . . .

وصفهم في الجهاد والصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد في النهار، لهم دويٌّ كدويِّ النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كُنَاسة». فصل. قالوا: قال ابن الزناد: حدثني عبد الرحمن بن الحارث، عن عمر بن حفص، وكان من خيار الناس، قال: «كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الإسلام. فيها اسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين تبار، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان، يتَّزِرون على أوساطهم، ويرصدون الشمس، ويغضون أطرافهم ويخوضون البحور إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة».

فصل: قالوا أشعياء ــ وذكر قصة العرب ــ فقال: «ويدرسون الأمم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة، وقسيٍّ موترة من شدة الملحمة»، وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم بدر، ويوم حنين، وفي غيرها من الوقائع.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي(*).

(*) وإلى هنا تنتهي الزيادة في ط أولاً ثم في ك.

فصل[1]

مانقل من بشارات المسيح بمحمد، والتعليق المفصل عليها

قالوا: وقال يوحنا الإنجيلي[2]: قال يسوع[3] المسيح ـ في الفصل الخامس عشر من إنجيله ـ: «أن الفارقليط[4] روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء»[5].

---

(١) ليس في ك كلمة (فصل) وفي ك و ط زيادة: (في كلمة الإنجيل وتفسيرها).

(٢) ويسمى: التلميذ الحبيب أو (يوحنا الشيخ). أو (الرسول) وهو ابن زبدي، من بيت صيدا في الجليل، وأمه سالومة. وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة، وكان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه الخصوصيين وهم بطرس، ويعقوب، ويوحنا وله في العهد الجديد خمسة أسفار منسوبة إليه، مات في (أفسس) سنة ٩٨ م.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١١٠٨ ـ ١١١٠.

(٣) يسوع: هذه هي الصيغة العربية للاسم العبري (يشوع) وهو اسم لشخصين في العهد الجديد، ومعنى الاسم: (يهوه مخلص): الأول هو: المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ والمسيح لقبه ويسوع اسمه الشخصي. والثاني: يهودي يدعى: (بسطس)، وكان عاملاً مع بولس ورفيقاً له في رومية.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٠٦٦.

(٤) كلمة عبرانية معناها: أحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد كتبها ـ النصارى ـ بفتح الفاء ـ وهي بكسرها ـ ليكون معناها: المحامي والمؤيد والشفيع والنائب عن غيره. . . وهكذا، وقد جاء بدل هذه الكلمة في الترجمات الحالية كلمة (المُعَزِّي).
انظر: إثبات نبوة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: ١٦٦ لأحمد بن الحسين الزيدي ـ ٤٢١هـ ت: خليل الحاج، المكتبة العلمية، بيروت، وإظهار الحق: ٥٤٠ هامش رقم (٣٢) د. أحمد السقا.

(٥) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، ٢٦؛ والعهد الجديد ١٤٣.

وقال يوحنا ـ التلميذ[1] ـ أيضاً ـ عن المسيح، أنه قال لتلاميذه: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاماً لأني سآتيكم عن قريب»[2].

وقال يوحنا[3]: قال المسيح: «من يحبني يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه يأتي، وعنده يتخذ المنزل، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم، أستودعتكم سلامي[4]، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع، فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلى الأب، فإن أنتم ثبتم في كلامي، وثبت كلامي فيكم، كان لكم كل ما تريدون، وبهذا يمجد أبي»[5].

وقال ـ أيضاً ـ : «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، روح الحق الذي من أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به، ولا تشكوا فيه»[6].

وقال ـ أيضاً ـ : «إن خيراً لكم أن أنطلق، لأني إن لم أذهب

---

(١) هو يوحنا الإنجيلي السابق ـ نفسه ـ ، وهذا لقب آخر له.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، ١٥ ـ ١٩؛ والعهد الجديد ١٤٣.

(٣) هو الإنجيلي والتلميذ نفسه.

(٤) في ك و ط (وأمي).

(٥) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر، ٣ ـ ١٤؛ والسادس عشر ٥ ـ ١٦؛ والعهد الجديد ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٦) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر، ٢٦ ـ ٢٧؛ والعهد الجديد ١٤٤. وهو بمعناه.

لم يـأتكم الفارقليط، فـإذا انطلقت أرسلتـه إليكم، فهو يـوبخ[1] العـالم على الخـطيئـة[2]، وإن لي كـلامـاً كثيـراً، أريـد أن أقـولـه، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك[3] يرشـدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنـده، بل يتكلم بمـا يسمع، ويخبـركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب»[4].

وقال يوحنا الحواري[5]: قال المسيح: «إن أركـون العالم سيـأتي وليس لي شيء»[6].

وقـال مَتَّى التلميذ: قـال المسيح: «ألم يقـرأوا أن الحجـر الـذي أرذله[7] البناءون، صـار رأساً للزاويـة[8] من عند الله، كـان هذا ــ وهـو عجيب في أعيننا ــ ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت[9] الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى، تـأكل ثمـرها، ومن سقط على هـذا الحجر

---

(١) **وبَّخْته**: لُمْتُه وعَنَّفْته وعتبت عليه، وقال الفارابي: عيرته.
انظر: المصباح المنير ص ٦٤٦.

(٢) في أ (الخطبة) وهو تحريف.

(٣) في ك و ط زيادة (الذي).

(٤) انظر: إنجيل يـوحنا، الإصحـاح السادس عشـر، ٧ ــ ١٤؛ والعهد الجـديد ١٤٥. وهو بمعناه.

(٥) هو يوحنا المذكور ــ سابقاً ــ نفسه.

(٦) بحثت عن هذا النص في مضانه فلم أعثر عليه.

(٧) **الأرذل**: الدون الخسيس، أو الرديء من كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٢٩.

(٨) سميت زاوية البيت لأنها جمعت قطراً منه.
انظر: المصباح المنير ص ٢٦٠.

(٩) **الملكوت**: العز والسلطان.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٨٢.

ينشرح، وكل من سقط هو عليه يمحقه»[1].

وقال يوحنا التلميذ ـ في كتاب رسائل التلاميذ، المسمى بفراكسيس ـ : «يا أحبابي[2]، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن مَيِّزُوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء فكان[3] جسدانياً، فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن[4] بأن يسوع المسيح جاء، وكان جسدانياً، فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب، الذي سمعتم به، وهو الآن في العالم»[5].

وقال شمعون الصفا[6]، رئيس الحواريين ـ في كتاب فراكسيس ـ : «أنه قد حان أن يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداء»[7].

قلت: وهذا اللفظ، لفظ الفارقليط، في لغتهم ذكروا فيه أقوالاً: قيل: إنه الحماد، وقيل: إنه الحامد، وقيل: إنه المعز، وقيل: إنه الحمد، ورجح هذا طائفة، وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم إنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: «من عمل حسنة تكون له فارقليط

---

(١) يمحقه، يبطله ويمحوه.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٠٩.
انظر: إنجيل متى، الإصحاح الحادي والعشرين، ٤٢ ـ ٤٤؛ والعهد الجديد ٣٣ ـ ٣٤؛ وإنجيل لوقا، الإصحاح العشرين، ١٧ ـ ١٨؛ والعهد الجديد ١٠٩.

(٢) في ك و ط (يا أخاي).

(٣) في ك و ط (وكان) بالواو.

(٤) في ك و ط (يؤمن).

(٥) انظر: رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الرابع، ١ ـ ٣؛ والعهد الجديد ٣٢٨.

(٦) هو شمعون المذكور ٢/٢٤٥. (رسالة دكتوراة). د. علي بن حسن بن ناصر.

(٧) بحثت في سفر شمعون في العهد الجديد، فلم أهتد إليه.

جيد ـ أي حمد جيد ـ وقولهم المشهور في[1] تخاطبهم: فارقليط، وفارقليطان، وما زاد على الجميع ـ أي حمد ـ ومِنْه كما نقول نحن: يدٌ ومِنَّة[2]. ومن قال: معناه المخلص، فيحتجون بأنها كلمة سريانية، ومعناها: المخلص، وقالوا: هو مشتق من قولنا: «راوف»[3] ويقال بالسريانية «فاروق» فجعل فارق. قالوا: ومعنى «ليط» كلمة [4]تزاد والتقدير كما يقال في العربية: رجل هو، وحجر هو، وبدر هو، وذكر هو. قالوا: وكذلك[5] يزاد في السريانية «ليط». والذين قالوا: هو المعز، قالوا: هو في لسان اليونان[6]، المعز.

ويعترض على هذين القولين بأن[7] المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية، بل عبرانية[8]. ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية، وتُرجم عنه بلغة أخرى، كما أَمْلوا أحد الأناجيل باليونانية[9]، والآخر بالرومية[10]،

---

(١) في ك و ط (مخاطبتهم).

(٢) في ك و ط (يقول تحويد ومنه) وبعدها زيادة (هنا رويده يأتي بعد قوله: وواحد منها بقي عبرانياً) وقد وقفت طويلاً أمام هذه العبارة حتى تمكنت ـ بحمد الله ـ من حَلِّها.

(٣) هكذا «راوق» راء فألف فواو فقاف وفي ك (زار) وفي ط (حار) وفي أكسفورد (فاروق).

(٤) في ك و ط (يراد منها التثبت).

(٥) في ك و ط (يراد) بالراء المهملة.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (اليوناني) وما في ك و ط أولى.

(٧) في ط (يان).

(٨) **العبرانية**: لغة اليهود، ويقال: عبرية. وهي من اللغات الثرية، أنزل بها الله التوراة والإنجيل.

انظر: ترتيب القاموس ٣/١٣٩؛ ودائرة معارف وجدي ٦/٨٩.

(٩) في ك و ط زيادة (وآخر بالسريانية).

(١٠) **الرومية**: هي اللغة المنسوبة إلى جيل من ولد الروم من عيصو.

انظر: ترتيب القاموس ٢/٤١٦.

وواحـــد[1] بقي عبـرانيـاً. * [2]وأكثـر النصــارى على أنــه المخلص، والمسيح نفسه يسمونه المخلص، وفي الإنجيل الذي بـأيديهم أنـه قال: «إني لم آت لأزين العالـم، بل لأخلص العالم»[3] والنصارى يقـولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصاً» *.

وقد اختلف فيه، فمن[4] النصـارى من قال: هـو روح نزلت على الحواريين، وقد يقولون: إنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ، ففعلت الآيات والعجائب، ولهذا يقول من خبر[5] أحوال النصـارى: إنه لم ير أحداً منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفارقليط الموعود به.

منهم من يـزعم أنه المسيـح نفسـه، لكـونـه جـاء بعـد الصلب[6] بأربعين يوماً، وكونه قام من قبره[7]. وتفسيره بالروح بـاطل، وأبـطل منه

---

(١) في ك و ط زيادة (منها).

(٢) ما بين النجمتين ــ والذي يقارب الأسطر الثلاثة ــ ليس في ك ولا ط.
انظر: قاموس الكتاب المقـدس (عندهم) ٤٦٨؛ وراجـع الجواب الصحيـح (رسالـة دكتوراه) ٢/ ٨٠ ــ ٨٢ من طبعتنا هذه.
وانظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٥٦.

(٣) انظر: إنجيل متى، الإصحاح التاسـع عشر، ٢٣ ــ ٢٦؛ والعهـد الجديـد ٣٠، بما يقارب معناه.

(٤) هكذا في ك و ط، وفي أ (عن) والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٥) خَبَر: أي علم، والاسم من الخُبْر.
انظر: مختار الصحاح ص١٦٨.

(٦) في ك (أربعين).
الصَّلْب: هـو تعليق الإنسان على صليب تنفيـذاً لحكم القتـل فيـه، وكـان يتم ذلـك بربط اليدين والرجلين بهذا الصليب، أو بصـورة أفظع وذلـك بتسمير أجـزاء الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، وكانت هذه الطريقة معروفة لدى أمم كثيرة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٥٤٥.

(٧) في أ كتب الناسخ جملة: (وهذا ضعيف) ثم شطبها.

تفسيره بالمسيح لوجوه:

منها: أن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب: أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ[1] ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ...﴾[2].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين ـ قال[3]: «اللهم أيده بروح القدس»[4]، وقال: «إن روح القدس معك ما زلت تنافح[5] عن نبيه»[6].

وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطا دل على أن الفارقليط أمر غير هذا[7]. ـ وأيضاً ـ فمثل هذه ما زالت يؤيد بها الأنبياء

---

(١) حاد الله ورسوله: أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما.
انظر: صفوة التفاسير ٢٨/٣٤٣ م ٣.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
بروح منه: أي نصره وتأييده، لأن به يحيا أمرهم.
انظر: المصدر السابق ٢٨/٣٤٤ م ٣.

(٣) سقطت (قال) من ك و ط.

(٤) روح القدس: المراد به هنا جبريل ـ عليه السلام ـ.
انظر: فتح الباري ١/٥٤٨.

(٥) تنافح: أي: تكافح وتخاصم.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤١٠.

(٦) سبق تخريجه ٣/١٣٥. رسالة دكتوراة. د. عبد العزيز العسكر.

(٧) في ك و ط (هذه) بالتأنيث.

والصالحون[1] وما بشر به المسيح أمر عظيم، يأتي بعده أعظم من هذا.

ـ وأيضاً ـ فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا، وإنما تناسب رجلاً يأتي بعده نظيراً له، فإنه قال: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم إلى الأبد)[2]. فقوله: (فارقليطاً آخر) دل على أنه ثان لأولٍ كان قبله، ولم يكن معهم في حياة المسيح إلاَّ هو، لم تنزل عليهم روح، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيراً له[3]، ليس أمراً معتاداً يأتي للناس.

و ـ أيضاً ـ فإنه قال: (يثبت معكم إلى الأبد) وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم[4] إلى آخر الدهر. ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره، فعلم أن الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد. وهذا يبين أن[5] الثاني صاحب شرع[6] لا ينسخ، بخلاف الأول. وهذا إنما ينطبق على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذي أخبر به، يشهد له، ويعلمهم كل شيء، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، وأنه يوبخ العالم على خطيئته[7] فقال: (والفارقليط الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (والصالحين) وهو سائغ إذا كان البناء للفاعل والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، ١٥ ـ ١٦؛ والعهد الجديد ١٤٢.

(٣) أي: مثيله.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٦.

(٤) في أ (معكم).

(٥) في ك و ط زيادة (هذا).

(٦) هكذا في ك و ط، وفي الأصل بياض بمقدار كلمة، ولعلها ما ثبت في ك و ط.

(٧) في ك و ط (الخطيئة) بالتعريف.

شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم)[1].

وقال: (إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، [2]هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه)[3].

وقال: (إن خيراً لكم أن أنطلق، لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عند نفسه[4]، بل يتكلم بما يسمع، ويخبر[5] بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب)[6].

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين.

وهذا لا يكون ملَكاً لا يراه أحد، ولا يكون هدى ولا علماً في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلَّا إنساناً عظيم القدر، يخاطب الناس

---

(١) تقدم عزوه في ص ٢٨٤.

(٢) في ط ــ فقط ــ بالعطف (وهو) وفيها ــ أيضاً ــ سقطت ألف (أرسله).

(٣) تقدم عزوه في ص ٢٨٥.

(٤) في ك و ط (من عنده).

(٥) في ك و ط (يخبركم).

(٦) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، ٧ ــ ١٤؛ والعهد الجديد ١٤٥.

بما أَخبر به المسيح، وهذا لا يكون إلَّا بشراً رسولاً، بل يكون أعظم من المسيح، بَيَّن أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح[1]، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقه الرب، حيث قال: [2](إن لي كلاماً كثيراً، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما[3] يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب)[4].

وهذه الصفات لا تنطبق إلَّا على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وذلك أن الإِخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته، وعن ملكوته، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل، ولهذا قال علي[5] ـ رضي الله عنه ـ: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟»[6].

وقال ابن مسعود: «ما من رجل يحدث قوماً[7] بحديث لا يبلغه[8]

---

(١) في ك و ط زيادة (من خطاب الناس في أمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك).

(٢) في ك و ط زيادة (واو العطف).

(٣) في ك و ط (بكل).

(٤) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، ١٢ ـ ٢٤؛ والعهد الجديد ١٤٥.

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (عليه السلام) وما في ك و ط أولى، ولهذا أثبتناه.

(٦) رواه البخاري معلقاً، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم..، ١/٢٢٥، من فتح الباري، وليس فيه (ودعوا ما ينكرون) ولكن قال ابن حجر: وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له... (ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج.

(٧) في ك و ط (حديثاً).

(٨) في ك و ط (تبلغه).

عقولهم، إلاَّ كان فتنة لبعضهم»[1]. وسأل رجل ابن عباس عن قوله ـ تعالى ـ:

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ. . .﴾[2].

قال: «ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟[3]، وكفرك بها تكذيبك بها»[4]. فقال لهم المسيح ـ عليه السلام ـ: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله)، وهو الصادق المصدوق في هذا، لهذا ليس في الإنجيل من صفات الله، وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر إلاَّ أمور مجملة، وكذلك التوراة: ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلاَّ أمور مجملة، مع أن موسى كان قد مَهَّد الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله)، ثم قال: (ولكن إذا جاء روح الحق، ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق)، وقال: (إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم بجميع ما للرب).

فدل هذا على أن هذا الفارقليط، هو الذي يفعل هذا دون المسيح. وكذلك كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة، ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبق شيء يأتي به غيره، وأخبر محمد ـ صلَّى الله عليه

---

(١) رواه مسلم بمثله، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ١/١١ (٥)، كما أخرجه في كتاب جامع بيان العلم وفضله ص ١٣٤، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣هـ، ط ١، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٣) في أ زيادة (أي لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت) ويظهر أنها تصرف من الناسخ.

(٤) هذه مجموع روايتين أخرجهما ابن جرير في جامع البيان ٢٨/١٥٣.

وسلَّم ــ بكل ما يأتي من أشراط[1] الساعة، والقيامة، والحساب[2]، والصراط[3]، ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، [4]ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة، لا[5] توجد لا في التوراة ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: (إنه يخبر بكل ما يأتي).

ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة، كما قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصابعه[6]، السبابة والوسطى»[7]. وكان إذا ذكر الساعة، علا صوته، واحمر وجهه، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش[8]. وقال:

---

(١) **أشراط**: علامات، مفرده: شَرَط، من باب ضرب.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٩٧.

(٢) **الحساب**: كناية عن المجازاة على الأعمال، إذ كانت ناشئة عنه. وقيل: كناية عن العلم، وقيل: عن القبول، وقيل: عن القدرة والوفاء.
انظر: البحر المحيط ٢/١٠٧.

(٣) **الصراط** ــ في اللغة ــ: الطريق الواضح، وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم. وهل هناك صراطان أو صراط واحد؟ رجح السيوطي أنه صراط واحد، والقنطرة: هي طرف الصراط مما يلي الجنة ــ نسأله ــ تعالى ــ دخولها.
انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرة المضية، في عقد الفرقة المرضية ٢/١٨٩ ــ ١٩٠ لمحمد بن أحمد السفاريني ــ ١١٨٨هـ، ط ٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ.

(٤) في ك و ط (فلهذا) بالفاء.

(٥) هكذا في ك و ط بالتاء، وأما في أ فبالياء والأول أولى.

(٦) في ط ــ فقط ــ (بأصبعيه).

(٧) سبق تخريجه ١/ ٤٢٠. رسالة دكتوراة. د. علي بن حسن بن ناصر.

(٨) رواه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة ٣/١٨٨ ــ ١٨٩، بنحوه، وأصله عند مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/٥٩٢ (٨٦٧) =

﴿ إِنِّي نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقال: (أنا النذير العُرْيان)[2].

فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت[3] به نبي من الأنبياء، كما نعته به المسيح حيث قال: (إنه يخبركم بكل ما يأتي) ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ــ صلَّى الله عليه

= بلفظ: (كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه...).

(١) بعد هذا في أ جملة (وقال إنما مثلي ومثلكم) وفوقها إشارة إلى سقط، ولكن لا يوجد تتمة في الهامش.
سورة سبأ: الآية ٤٦.
الحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ٨/٥٠١ (٤٧٧٠) من فتح الباري، رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ــ تعالى ــ: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ١/١٩٣ (٢٠٨).

(٢) رواه البخاري بمثله، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ١١/٣١٦، (٦٣٨٢) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على أمته... ٤/١٧٨٨ (٢٢٨٣).
النذير العريان: رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد امرأته، فانصرف إلى قومه فحذرهم، فضرب به المثل في تحقيق الخبر، وقيل: بل الأصل فيه: أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه، فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه، ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لنفسه ولما جاء به ــ مثلاً بذلك، لما أبداه من الخوارق والمعجزات، الدالة على القطع بصدقه، تقريباً لأفهام المخاطبين مما يألفونه ويعرفونه.
انظر: فتح الباري ١١/٣١٦ ــ ٣١٧.

(٣) في ك و ط (يخبر).

وسلَّم ـ[1]، فضلاً عن أن يوجد[2] شيء نزل[3] على قلب بعض الحواريين[4].

و ـ أيضاً ـ فقال: (ويعرفكم جميع ما للرب) فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لكل ما يستحقه الرب.

وهذا لم يأت به أحد غير محمد، حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة، هذا كله. ومعلوم أن ما نزل على الحواريين، لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون، وهذا الفارقليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح.

و ـ أيضاً ـ، [5]فالمسيح قال: (إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا

---

(١) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٢) في أ و ك زيادة (عن) ويبدو أنها ليست في محلها.

(٣) في ك و ط (ينزل).

(٤) يقول د. القس لبيب مشرقي: «إن الذي أضفى صفة القانونية على أسفار العهد القديم هم كتَّاب الأسفار أنفسهم، وقد شعروا وهم يكتبون بدافع من الروح القدس أنهم يكتبون قوانين الحياة للشعب، ثم أظهرت محتويات ما كتبوه صحة رأيهم وصوابه، فقد كان ما كتبوه قانوناً إلَهياً حقاً. وهناك رأي آخر يقول: إن الذي أعطى صفة القانونية لهذه الأسفار هم الكتاب المقودون بالروح القدس، ومعهم قادة الدين من اليهود والمسيحيين، الذين قبلوا هذه الأسفار بإرشاد الروح القدس ـ أيضاً ـ، وقد ذكر الكاتب المذكور ما يشابه ذلك بالنسبة للعهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٤٦٧ ـ ٤٦٨. هذا قصارىٰ ما لدى أهل الكتاب من قيمة علمية لكتابهم: ظنون ومشاعر وآراء بشرية.

(٥) في ك و ط زيادة (أن).

فيه)[1]. فبين أنه أخبرهم[2] به ليؤمنوا[3] به إذا جاء ولا يشكوا[4] فيه، وأنه يشهد له، وهذه صفة من بشر به المسيح. ويشهد للمسيح كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . . ﴾[5].

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلَّا محمد[6] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فإنه أنذر جميع العالم[7]، من أصناف الناس، ووبخهم على الخطيئة: من الكفر والفسوق والعصيان، وبخ[8] جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم، ووبخ المجوس، وكانت مملكتهم أعظم الممالك، ووبخ أهل الكتابين: اليهود والنصارى، وقال في الحديث الصحيح عنه: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا[9] من أهل

(١) سبق عزو هذا النص ٥/ ٢٨٥.
(٢) في ك و ط (أخبركم).
(٣) في ك و ط (لتؤمنوا).
(٤) في ك و ط (تشكوا).
(٥) سورة الصف: الآية ٦.
(٦) في ط (محمداً) بالنصب، وهو عربي جيد، والأرجح عند البصريين والكوفيين الإتباع، إما على البدل أو عطف النسق.
انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٠٨ ــ ٣٠٩.
(٧) في ك و ط (العالمين).
(٨) في ك و ط (ووبخ).
(٩) مقتهم: من المقت، وهو أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر: ما قبل بعثة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٧/١٩٧ ــ ١٩٨ م ٩.

الكتاب»[1]. لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي، بل وبخهم وقرَّعهم[2] وتهددهم.

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر أنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع. وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه، ليس هو شيئاً تعلمه من الناس، أو عرفه باستنباطه، وهذه خاصة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن المسيح ومن قبله من الأنبياء كانوا يتعلمون من غيرهم، مع ما كان يوحى إليهم فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم ينطق إلا بما يسمعه من الوحي، فهو مبلغ لما أرسل به، وقد قيل له:

﴿... بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ...﴾[3].

فضمن الله له العصمة إذا بلغ رسالاته، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق، وألقى إلى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه، خوفاً أن يقتلوه، كما يذكرون عن المسيح وغيره.

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده، وأنهم لا يطيقون حمله. وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم، إذا أخبرهم

---

(1) رواه مسلم، كتاب الجنة... باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٧ (٢٨٦٥). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٦٢.

(2) من التقريع: وهو التعنيف.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٣١.

(3) سورة المائدة: الآية ٦٧.
أي: يمنعك من أن ينالوك بسوء. وهذا وعد من الله بالحفظ والكلاءة.
انظر: صفوة التفاسير ٦/٣٥٥.

بحقائق الأمور. ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أيده الله تأييداً لم يؤيده لغيره، فعصمه من الناس، حتى لم يخف من شيء يقوله، وأعطاه من البيان والعلم، ما لم يؤته غيره، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب، ما ليس في كتاب غيره.

وأيد أمته تأييداً أطاقت[1] به حمل ما ألقاه إليهم، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة، ثم لم يحملوها، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تستطيعون حمله)[2]. ولا ريب أن أمة محمد أكمل عقولاً، وأعظم إيماناً، وأتم تصديقاً وجهاداً. ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم.

وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم، قال ــ تعالى ــ:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن الله

---

(١) أي: قدرت عليه.
انظر: المصباح ص ٣٨١.

(٢) في ك و ط زيادة (وروي أن المسيح قال: جئتكم بالأمثال وهو يجيئكم بالتأويل).

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥ ــ ٢٨٦.

قال: «قد فعلت»[1].

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له، وأنه يعلمهم كل شيء، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، ومعلوم أن هذا لا يكون إلَّا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس، لا يكون هذا شيئاً في قلب طائفة قليلة. ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلَّا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق، حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته[2] عليه اليهود، وعما غلت[3] فيه النصارى، فهو الذي شهد له بالحق. ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم: (ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود).

وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس، يشهدون[4] عليهم بما علموه من الحق، إذ كانوا وسطاً[5] ـــــــــــــــــــــــ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الله ـ سبحانه ـ لم يكلف إلَّا ما يطاق ١/١١٦ (١٢٦).

(٢) أي: اختلقت عليه من الكذب.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٨٦.

(٣) من غلا في الأمر غلواً: إذا جاوز حده.
انظر: المصدر السابق ٣/٤١٤.

(٤) في أ و ك (يشهدوا) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٥) فسرت (وسطاً) بعدة تفاسير، فقيل: عدولاً، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين، قال أبو حيان: «وقد روى ذلك عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . . وإذا صح ذلك عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجب المصير في تفسير الوسط إليه» وأقول: نعم قد ثبت ذلك عند البخاري مرفوعاً كما رواه في كتاب الاعتصام، باب: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً». . . ١٣/٣١٦، من فتح الباري، قال الحافظ =

عـدلاً[1]، لا يشهدون بباطل، فـإن الشاهد لا يكون إلاَّ عدلاً[2] بخلاف من جار في شهـادتـه، فـزاد على الحق أو نقص منه، كشهادة اليهود والنصارى في المسيح.

و ــ أيضاً ــ فإن معنى الفـارقليط، إن كان هـو الحامـد أو الحمّاد أو الحمـد أو المعز، فهـذا الوصف ظـاهـر في محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فإنه وأمته، الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح[3] خطبته، ومفتاح صلاته ولما كان حمـاداً جوزي بـوصفه، فـإن الجـزاء من جنس العمـل، فكـان اسمـه محمـداً وأحمـداً[4]. وأمـا محمـد فهـو على وزن مكـرم ومُعَـظَّم ومقـدس[5]، وهو الـذي يحمد حمـداً كثيـراً مبـالغـاً فيـه[6]، ويستحق ذلك، فلما كان حماداً لله[7]، كان محمداً، وفي شعر حسان بن ثابت:

= ابن حجر: «هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من بعض الـرواة كما وَهَم فيـه بعضهم». فتح الباري ١٧٢/٨.
انظر: البحر المحيط ٤٢١/١.

(١) العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم.
انظر: ترتيب القاموس ١٧١/٣.

(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت جملة (إلاَّ عدلاً) من أ حيث أثبتناها من ك و ط.

(٣) مفتاح الشيء وفاتحته: أوله.
انظر: ترتيب القاموس ٤٤٣/٣.

(٤) ليس في أ كلمـة (أحمد) وقـد أثبتنـاهـا من ك و ط، حيث أن سيـاق الكـلام نـاقص بدونها.

(٥) سقطت كلمة (مقدس) من ك و ط.

(٦) في أ جاء اسم الجلالة المعظم بدل كلمة (فيه).

(٧) في ك و ط (فلما كان أحمد).

وشـق لـه مـن اسـمـه لـيـجـلـه   فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

وأما أحمد، فهو أفعل التفضيل: أي[2] أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره، يقال هذا أحمد من هـذا، أي هذا أحق بـأن يحمد من هـذا، فيكـون فيه تفضيـل له على غيـره في كونـه محمـوداً[3]. فلفظ (محمـد) يقتضي فضله في الكميـة، ولفظ (أحمد) يقتضي[4] فضله في الكيفيـة. ومن الناس من يقول: أحمد، أي أكثر حمداً من غيره. فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد.

وقـال من رجح أن معنى الفـارقليط في لغتهم هو الحمـد ـ كما تقدم ـ : فإذا[5] كان كذلك فهو ما جاء في القرآن:

﴿ . . . وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . . ﴾[6].

---

(١) شق له: من الشق وهو نصف الشيء، أو النـاحية من الشيء. ليجله: أي ليعـظمه، من الجلال.
انظر: مختار الصحاح ٣٤٣ و١٠٧.
البيت من ثاني الطويل، مطلق مجرد موصـول، والقافيـة متدارك، والقصيـدة لحسان يمدح النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أولها:
أغـر عـليـه لـلنـبـوة خـاتـم   مـن الله مشـهـود يـلوح ويـشـهـد
والبيت المذكور ليس لحسان، وإنما هو لأبـي طالب، وقد ضمنه حسان شعره.
انـظر: شرح ديـوان حسان بن ثـابت الأنصاري ٧٨، وضعـه وضبـطه عبـد الـرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية بمصر، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م. والسيـرة النبويـة لابن كثير ٢١١/١.
(٢) سقطت (أي) من أ و ط.
(٣) في ك و ط (محمداً).
(٤) في أ بياض بمقدار كلمة، وظاهرٌ أن ما أثبتناه من ك و ط هو المقصود.
(٥) في ك و ط (وإذا) وقد كانت العبارة مستغلقة تماماً.
(٦) سورة الصف: الآية ٦.

قالوا: ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد، مثل ما نقول في لغتنا: ضارب ومضروب. وأما من فسره بالمعز، فلم يعرف ـ قط ـ نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزهم محمد، فهو أحق باسم المعز من كل إنسان.

وأما معنى المخلِّص. فهو أيضاً ظاهر فيه، فإن المسيح هو المخلص الأول، كما ذُكِر في الإنجيل، وهو معروف عند النصارى أن المسيح ـ صلوات الله عليه ـ [1]سمي مخلِّصاً، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشر بفارقليط آخر، فإنه قال: (وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخراً، يثبت معكم إلى الأبد[2]). فهذه[3] بشارة بمخلص ثان يثبت معهم إلى الأبد، والمسيح هو المخلص الأول. وأما ما ينزل في القلوب، فلم يسمه أحد مخلصاً، ولا فارقليطاً، فلا[4] يجوز أن يفسر كلام المسيح إلَّا بلغته ومعانيه المعروفة[5]، التي خاطب بها، وكذلك سائر الأنبياء، بل[6] وسائر الناطقين.

وقد وصف هذا المخلِّص الثاني بأنه يثبت معهم إلى الأبد. ومحمد هو المخلص الذي جاء بشرع باقٍ إلى الأبد، لا ينسخ.

و ـ أيضاً ـ فإن في الإنجيل: إنجيل يوحنا، أن المسيح قال: ([7]أركون العالم سيأتي،

---

(١) في ك و ط زيادة (قد).
(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ١٥ ـ ١٦، العهد الجديد ١٤٢.
(٣) في ك (فهذا) هكذا، وفي ط (فهذا).
(٤) في ك و ط (ولا).
(٥) في ك و ط زيادة (في لغته).
(٦) (بل) زيادة من ك و ط، وإثباتها جيد.
(٧) في ك و ط زيادة (إن).

وليس لي شيء)[1].

وقد ذكروا أن الأركون بلغتهم العظيم[2] القدر، والأراكنة؛ العظماء، وقد كانوا يقولون عن المسيح: (إن أركون الشياطين يعينه) أي عظيم الشياطين. وهو من افتراء اليهود على المسيح. فقول المسيح ـ عليه السلام ـ: «أركون العالم» إنما ينطبق على عظيم العالم، وسيد العالم، وكبير العالم. وقد أخبر أنه سيأتي، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحداً مثله. ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم، غير محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا من بشارة المسيح به.

وقد سئل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: ما كان أول أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور، أضاءت له قصور الشام»[3].

وبالجملة، فمعلوم باتفاق أهل الأرض[4]، أنه لم يأتِ بعد المسيح من ساد العالم، باطناً وظاهراً، وانقادت له القلوب والأجساد، وأطيع في

---

(١) ونصه في الترجمة الحالية: «لا أتكلم معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء».
انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ٣٠؛ والعهد الجديد ١٤٣.

(٢) في ط (عظيم).

(٣) في ك و ط زيادة (ببصرى).
مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٢، وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان».
انظر: مجمع الزوائد ٨/٢٢٣. وأخرجه ابن إسحاق، كما في السيرة لابن هشام ١/١٧٥.

(٤) في ك و ط زيادة (والاضطرار).

السر والعلانية، في محياه وبعد مماته، في جميع الأعصار، وأفضل الأقاليم شرقاً وغرباً[1]، غير محمد، فإن الملوك يطاعون ظاهراً لا باطناً، ولا يطاعون بعد موتهم، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة، ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة، بخلاف الأنبياء.

ومحمد[2] أظهر دين الرسل قبله، وصدقهم، ونوه بذكرهم وتعظيمهم، فبه آمن بالأنبياء والرسل ــ قبل[3] موسى والمسيح وغيرهما ــ أمم عظيمة، لولا محمد لم يؤمنوا بهم. ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب، كانوا مختلفين فيهم[4] كاختلاف أهل الكتاب في المسيح، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما، بما هو معروف عندهم.

و ــ أيضاً ــ فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صدق المسيح في أخباره، بأنه أركون العالم، فقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر. آدم فمن دونه تحت لوائي، أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا»[5].

وهو صاحب لواء الحمد، وهو صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة، فهو سيد العالمين حقاً، وهذا

(١) في ك و ط زيادة (أحد).
(٢) سقطت واو العطف في ط.
(٣) في ك و ط (مثل).
(٤) في ك و ط (فيه).
(٥) سبق تخريجه ١/ ٤١٠ من طبعتنا هذه. رسالة دكتوراه.

مطابق لقول المسيح: (إنه أركون العالم) فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

وقول المسيح: (إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء) تضمن الأصلين: إثبات الرسول، وإثبات التوحيد، وأن الأمر كله لله، وهو تحقيق شهادة: أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله. وقول المسيح: (ليس لي شيء) تنزيه له مما نسب إليه من الربوبية[1]، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق، قال الله ـ تعالى ـ لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ... ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ... ﴾[3].

وقال:

﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ (أي ملجأ وملاذاً)[4]. إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

---

(١) الربوبية: نسبة إلى الرب ـ على غير قياس في اللغة ـ والمقصود: هو إشراك المسيح في بعض صفات الرب ـ سبحانه ـ من قبل النصارى.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٨٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٤) انظر: البحر المحيط ٨/٣٥٣.

(٥) سورة الجن: الآيات ٢١ ـ ٢٣.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[1].

و ــ أيضاً ــ ففي نبوة أشعياء أنه وصف محمداً بأنه أركون السِّلم[2]، والسِّلم[3] والسلام: الإسلام[4]، فهو يبين أنه سيد دين الإسلام. ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه، وانتشر ذكر[5] دين الإسلام في الأرض، كما ظهر لمحمد، فمحمد أركون الإسلام الذي يجمع كل خير وبر، كما أن إبليس أركون الشر، قال ــ تعالى ــ : عن نوح:

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢) ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٢) وهو في الترجمة الحالية كما يلي: «أيها العطاش جميعاً، هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة، تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً، لماذا تَزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع، استمعوا إليَّ استماعاً، وكلوا الطيب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم، أميلوا آذانكم، وهلموا إلي، اسمعوا فتحيا أنفسكم، أقطع لكم عهداً أبدياً، مراحم داود الصادقة، هو ذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب.
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الخامس والخمسون ١ ــ ٥؛ والعهد القديم ٨٣٦.

(٣) في ك بدون واو.

(٤) في أ سقطت كلمة (الإسلام)، وهي ضرورية لاستقامة المعنى، وفي ك بعطف (الإسلام) وهو خلل أيضاً، ولذلك أثبتنا ما في ط.

(٥) في ك و ط (ذكره من بينهم).

(٦) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

=

فهذا نوح: أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، يَذْكُر أنه أُمِر أن يكون من المسلمين.

وقالت السحرة ــ لما أسلموا ــ وأراد فرعون قتلهم ــ:

﴿... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا [1] وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾[2].

وقال:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ...﴾[3].

وقال:

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[4].

= **أجمعوا أمركم وشركاءكم**: أي فاعزموا أمركم وادعوا شركاءكم، ودبروا ما تريدون لمكيدتي. **غمة**: مستوراً. **اقضوا إلي**: أنفذوا ما تريدونه في أمري. **تنظرون**: تؤخرون.

انظر: صفوة التفاسير ١١/٥٩٢ م ١.

(١) أي: أفض علينا صبراً يغمرنا.

انظر: صفوة التفاسير ٩/٤٦٥ م ١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول، فأكتبنا مع الشاهدين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٥٢، ٥٣].

فإن قيل: فقد سمى المسيح الفارقليط روح الحق، وسماه روح القدس. وقال ـ تعالى ـ عن إبراهيم:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(١).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٢).

وقالت بلقيس:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

قيل: قد قال يوحنا في كتاب، أخبار الحواريين المسمى (افراكسيس)(٤): (يا أحبابي، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أن كل روح تؤمن(٥) بأن

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ـ ١٣٢.
سفه نفسه: أي استخف نفسه وامتهنها. اصطفيناه في الدنيا: أي اخترناه من بين سائر الخلق بالرسالة والنبوة والإمامة.
انظر: صفوة التفاسير ١/٩٦ م ١.
(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.
(٣) سورة النمل: الآية ٤٤.
(٤) في ك و ط: (يومين).
سألت د. صابر طعيمة عن هذا الاسم، فأفادني: أنه ربما كان مأخوذاً من كلمة (فرين) الآرامية، والتي تعني: الصفاء والنقاء، ومن ذلك سميت طائفة (الفريسيون) من النصارى بعد ما حورت الكلمة قليلاً. مكالمة هاتفية يوم ١٤٠٦/٦/٢٥هـ.
(٥) في ك و ط (يؤمن).

يسوع المسيح قد جاء، فكان جسدانياً[1] فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأن المسيح[2] جاء، وكان[3] جسدانياً، فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم)[4].

وإذا كان كذلك علم أن الروح ــ عندهم ــ يتناول النبي المرسل ــ من البشر ــ ، وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد، هو روح القدس، وهو روح الحق كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ . . . ﴾[5].

وقال:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ . . . ﴾[6].

وقال:

﴿ . . . مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . . ﴾[7].

وهذا الروح إنما جاء بمجيء محمد، والكلام الذي نزل به، هو

---

(١) انظر: مادة (جسد) في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٢٦٠ ــ ٢٦١.

(٢) في ك و ط زيادة (قد).

(٣) في ط (فكان).

(٤) نص الترجمة الحالية: «أيها الأحباء: لا تصدقوا كل روح. بل امتحنوا الأرواح، هل هي من عند الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح، الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم».
انظر: رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الرابع، ١ ــ ٣؛ والعهد الجديد ٣٢٨.

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٦) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣ ــ ١٩٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ٩٧.

الذي بلَّغه محمد، ولهذا قال الله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ . . . ﴾[1] .

فاصطفى الله جبريل من الملائكة، واصطفى محمداً من البشر، ولهذا يضاف[2] القول الذي هو القرآن إلى قول[3] هذا تارة[4]، وإلى قول هذا تارة، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ[5] مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾[6] .

فهذا الرسول هنا جبريل: وقال ــ تعالى ــ في[7] الآية الأخرى:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[8] .

فهذا الرسول هنا محمد، وأضافه إلى كل منهما بلفظ الرسول: لتضمنه أنه بلغه عن مُرْسِله، لم يقل: «إنه لقول ملك، ولا نبي» بل كفَّر من قال: إنه قول البشر، كما ذكر[9] ـــــــــــــــ

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.
(٢) في ك و ط (يشير).
(٣) في ك و ط (نزول)، وفي أ كتب كلمة (نزول) ثم شطبها وأبدلها بـ (قول).
(٤) **التارة**: الحين والمرة.
انظر: ترتيب القاموس ١/٣٨٥.
(٥) أي: عظيم المكانة شريف المنزلة.
انظر: البحر المحيط ٨/٤٣٤.
(٦) سورة التكوير: الآيتان ٢٠، ٢١.
(٧) ليس في ك ولا ط (الآية).
(٨) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٤٣.
(٩) الضمير المستتر هنا يعود إلى الباري ــ عز وجل ــ .

ذلك عن الوحيد[1]، وقد قال ــ تعالى ــ في القرآن:

﴿ . . قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ . . . ﴾[2].

ومعلوم أن الرسول نفسه لم يُنْزَل[3]، بل أبدل الرسول من الذكر، لأن الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أموراً[4] متلازمة، يلزم من ثبوت واحد، ثبوت الآخرين، ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين، فيلزم من كون القرآن حقاً: كون جبريل ومحمد حقاً، وكذلك يلزم من كون محمد حقاً: كون جبريل والقرآن حقاً، ويلزم من كون جبريل حقاً: كون القرآن ومحمد حقاً.

ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة[5]، والكتب والرسل في مثل قوله:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ . . . ﴾[6].

---

(١) **الوحيد**: هو المشار إليه في قوله ــ سبحانه ــ:
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [سورة المدثر: الآية ١١].
وهو الوليد بن المغيرة، وذلك في دار الندوة لمشركي أهل مكة.
انظر: جامع البيان للطبري ٢٩/١٥٦ ــ ١٥٨.

(٢) سورة الطلاق: الآيتان ١٠، ١١.

(٣) في ط (ينزله) بالهاء.

(٤) في أ (أمور) بغير النصب. والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

(٥) من هنا سقط من ك و ط بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

فتعليم محمد وتذكيره وشهادته هو تعليم روح القدس وروحه، والأخبار بأن المَلَك ينطق على لسان البشر، أو الجني ينطق على لسان البشر: كثير، كما في حديث ابن عمر: «كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر»[1]، ويقال: ما ألقى هذا على لسانك إلاَّ الشيطان» ويكون مع هذا البشر ينطق بقدرته واختياره، ليس هو كالمصروع[2] الذي يتكلم الجني على لسانه وهو لا يدري ما يقول، فلهذا يقال: هذا قول الرسول البشري، وهو قول الرسول الملكي.

ويقال: الفارقليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/١٠٦، عن وهب السؤالي قال: خطبنا علي ـ رضي الله عنه ـ فقال: مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين! قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنه ـ، وما يبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال الهيثمي في الزوائد ٩/٦٦ ـ ٦٧، وعن طارق بن شهاب قال: «كنا نتحدث أن السكينة تنزل على لسان عمر»، رواه الطبراني ورجاله ثقات، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن صالح، كاتب الليث، وقد وثق، وفيه ضعف، وأخرجه أحمد ـ أيضاً ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ: «ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر». وذلك من طريقين، أحدهما حسن، والآخر صحيح.
انظر: فضائل الصحابة ٣٥٨ (٥٢٣ ـ ٥٢٤) لأحمد بن حنبل ـ ٢٤١هـ، ت: محمد عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٢) الصَّرع: صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية. وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك «بقراط» في بعض كتبه زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٨٤ لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ ٧٥١هـ، ط ١، المطبعة المصرية بمصر ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م.

يعلمكم، وهو يذكركم، ونحو ذلك، فإن الفارقليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعاً، وقول أحدهما هو قول الآخر، ومعروف في اللغة بدل الاشتمال كقوله:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ[1] ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ . . .﴾[2].

والشهر: ليس هو نفس القتال، لكن لما اشتمل على القتال أبدل أحدهما من الآخر، وقوله:

﴿. . . قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا . . .﴾[3].

ومن هذا النمط[4] أبدل الرسول من الذكر لاشتماله عليه، وهذا: الثاني اشتمل على الأول، والرسول البشري كان الرسول الملكي يتصل به في الباطن، فيثقل عليه الوحي حين ينزله.

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وَعَيْت[5] ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة:

---

(١) الألف واللام في كلمة (الشهر) للعهد، وهو شهر رجب ـ اتفاقاً ـ ويحتمل أن تكون للجنس فيراد به الأشهر الحرام: وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. وسميت حرماً لتحريم القتال فيها.
انظر: البحر المحيط ٢/١٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١١.

(٤) **النمط**: يطلق اصطلاحاً على الصنف والنوع.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢٦.

(٥) أي: حفظته وعرفته.
انظر: جامع الأصول ١١/٢٨٢.

ولقد رأيته ينـزل عليه في اليـوم الشديـد البرد فيفصم عنـه وإن جبينه[1] ليتفصد[2] عرقاً»[3].

والفصم: الفـك والفصل من الأمـور اللينـة[4]، كمـا قـال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

وبالقاف: هو الكسر الذي يكون في الأمور الصلبة.

فبين أن الملك حين ينزل الوحي عليـه يتصل بـه، ويلتبس به[6]، ثم بعد ذلك ينفصل عنه وينفك عنه، وهذا الاشتمال والانفصال أبلغ من غيره، فيحسن معه أن يكون إبدال أحـدهما من الآخـر أحسن من غيره. فيقال: هذا القرآن بلغه الرسول النبـي، وبلغـه جبريـل عن الله، ونظائـر هذا متعددة في جميع بشارات المسيح. يذكـر أن الأب وهو في لغتهم: الله الـذي يـرسـل الفـارقليط. وفي بعضهـا قـال: «أنـا أطلب من الأب

---

(١) **الجبين**: ناحية الجبهة، من محاذاة النزعة (موضع انحسار الشعر عن جانبـي الجبهة) إلى الصـدغ (مـا بين العين إلى أصـل الأذن)، وهمـا جبينـان، عن يمين الجبهـة وشمالها، فتكون الجبهة بين جبينين.
انظر: المصباح المنير ص ٩٠.

(٢) مأخوذ من الفصد، وهو قطع العِرْق لإسالة الدم. شبه جبينه بالعِـرْق المفصود مبـالغة في كثرة العرق.
انظر: فتح الباري ١/٢١.

(٣) الحديث رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: حـدثنا عبـد الله بن يوسف. . . ، ١/١٨، ومسلم، كتـاب الفضائـل، باب عـرق النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في البرد وحين يأتيه الوحي، ٤/١٨١٦ (٢٣٣٣) بمعناه.

(٤) انظر: فتح الباري ١/٢٠ ــ ٢١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٦) هكذا (يلتبس به). واللفظ الأنسب هنا (يتلبس).

يعطيكم فارقليطاً آخر، يثبت معكم إلى الأبد»، وفي بعضها: «والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء» فقد بين أن الله يرسله، وأنه يطلب من الله أن يرسله.

وأما قوله: في بعض الألفاظ: «فإذا انطلقت أرسلته إليكم» فيكون معناه: إني أرسله بدعاء أبي، وطلبي منه أن يرسله. كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولاً أو يولي نائباً أو يعطي أحداً، ويقول: أنا أرسلت هذا ووليت هذا وأعطيت هذا، أي: كنت سبباً في ذلك. ومما ينبغي أن يعلم أن الله إذا قضى ما يُكوِّن الشيء فإنه يقدر له أسباباً يكون بها، ومن تلك الأسباب دعاء طائفة من عباده به، فيكون في ذلك من النعمة في إجابته دعاء هذا وهذا وهذا.

ومحمد دعا به الخليل ـ عليه السلام ـ فقال:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

مع أن الله قد قضى بإرساله وأعلن باسمه قبل ذلك، كما قيل له يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[2] وقال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل[3] في طينته»[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٢) سبق تخريجه ٣/ ٣٨٠. رسالة دكتوراة. د. عبد العزيز العسكر.

(٣) منجدل: أي ملقى بالجدالة وهي الأرض.
انظر: اللسان ١١/ ١٠٤ ـ مادة: جدل.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨. من طرق بألفاظ، كلها عن عرباض بن سارية بلفظ: (إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم. . .) الحديث، وبلفظ (وخاتم) وبلفظ (إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين. . .) الحديث، وأورده =

وهذا كما أن الله قضى بنصره يوم بدر، ومن أسباب ذلك استغاثته بالله، وكذلك بما يقضيه من إنزال الغيث يكون من أسبابه دعاء عباده له، ونظائره كثيرة. فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل محمداً، ويكون هذا من أسباب إرساله، لكن إبراهيم سأل في الدنيا، فذكر الله ذلك، بخلاف سؤال المسيح، فإنه كان بعد صعوده إلى السماء.



= الهيثمي بلفظ (عند الله) بالنون، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوائد ٨/٢٢٣. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين...، ٢/٦٠٠، بلفظ (في أول الكتاب...)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

فصل

براهين قرآنية مستقلة، على نبوته ﷺ

والقرآن ــ نفسه ــ قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعاً متعددة، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين، مثال ذلك: إخباره لقومه بالغيب الماضي، الذي لا يمكن بشراً أن يعلمه، إلاَّ أن يكون نبياً، أو يكون ممن تلقاه عن نبي. وقومه يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، ولا من أهل الكتاب ولا غيرهم. وهذا نوعان:

منه: ما كان يسأله عنه المشركون وأهل الكتاب، لِيُنْظر هل هو نبي أم لا؟.

وكان قومه يرسلون إلى أهل الكتاب، البعيدين عنهم، مثل من كان بالمدينة وغيرها من أهل الكتاب، يطلبون منهم ما يسألونه عنه، فيرسلون إليهم ليسألوه عن ذلك، ويمتحنون بذلك هل هو نبي أم لا.

ومنه: ما كان الله يخبره به ابتداء، ويجعله علماً وآية لنبوته، وبرهاناً لرسالته، مع ما في ذكر هذه القصص من الاعتبار لأمور أخرى، فكان كل من هذين[1] النوعين دليلاً وعبرة على نبوته، من طريقين، فكان دليلاً وعبرة على نبوته من جهة إخبار بالغيب، الذي لا يعلمه إلاَّ نبي، وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين، التي توجب اتباع سبيل المؤمنين، الذين اتبعوا مثله، وتَجَنُّب سبيل الكافرين، الذين خالفوا مثله، وحكم الشيء حكم

(١) رَسْمُها هكذا (هذى) وقد صوبتها.

نظيره. فإذا كان من كان مثله ومثل من اتبعه سعيداً، وحال من خالف مثله ومثل من اتبعه شقياً، كان في هذا دلالة وعبرة توجب اتباعه، وتنهى عن مخالفته، وهذا ـ أيضاً ـ دليلاً[1] على نبوة من قبله من[2] الأنبياء من وجهين: من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به، من غير مواطأة[3] بينهم وبينه، ولا تشاعر[4]، لم يأخذوا عنه، ولم يأخذ عنهم.

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصّلة، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلّا بتواطىء، فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة، علم أن كلًا من المخبِرَيْن صادق، قال ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[5].

وقص قصته في السورة، إلى أن قال:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ[6] ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ

---

(١) هكذا، وربما يكون هذا خطأ نحوياً، أو على توجيه بعيد. وأن تكون (دليل) بالرفع، أقرب.
إلى هنا انتهى السقط من ك و ط الذي بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٢) في ك و ط زيادة (من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة، فكان الأمر كما أخبروا، وهذا آية لنبوتهم. وإخبارهم بنبوته دليل على نبوته، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره دليلاً على نبوة من قبله وعلى نبوته. وكما أن إخباره هو ـ أيضاً ـ عنهم ـ مع بعد العهد ـ خبراً لم يتعلمه من بشر، دليلاً على نبوته، وقد أخبر بنبوتهم، فثبتت نبوته ونبوتهم ـ صلّى الله عليهم أجمعين ـ. الجهة الثانية:) ويتفقان مع أ من هنا في قوله: (أنهم أخبروا عنه).

(٣) **المواطأة**: ـ على الأمر ـ أي الموافقة.

(٤) **والتشاعر**: من: أشعره فشعر، أي أدراه فدرى.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٧ و ٣٣٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ٧.

(٦) **يمكرون**: أي عندما تآمروا على أخيهم واحتالوا عليه وعلى أبيه.
انظر: صفوة التفاسير ١٣/ ٦٩.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ (١) فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

إلى قوله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأَٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ (٢) مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (٣).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٤).

---

(١) أي: كم من العلامات الدالة على وجود الله ــ جل وعلا ــ ووحدانيته الكائنة في السمٰوات والأرض، كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأشجار، وسائر ما فيهما من العجائب. المصدر السابق والموضع نفسه.

(٢) أي: عظة وتذكرة لأولي العقول النيرة. و (ما كان حديثاً يفتري)، أي: ما كان هذا القرآن أخباراً تروى أو أحاديث تختلق.
انظر: المصدر السابق ١٣/ ٧٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٤) سورة الكهف: الآية ٨٣.

وقال:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وقال:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ[2] كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ لما قص قصة نوح من سورة هود، وهي أطول

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٢) بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له: الرقيم، ويزعم بعضهم: أنهم ببلاد الروم. قالوا: هو لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا. والكهف المذكور الذي فيه أصحاب الكهف: بين عمورية ونيقية، وبينه وبين طرسوس مسيرة عشرة أيام أو أكثر ــ (حسب سير القدماء) ــ وروى عن ابن عباس: أصحاب الرقيم سبعة، وأسماؤهم: يمليخا، مكسملينا، مشلينا، مرطونس، دبريوس، سرابيون، إفستطيوس. واسم كلبهم: قطمير، واسم ملكهم دقيانْدس، واسم مدينتهم التي خرجوا منها، أفسس، ورستاقها (ناحيتها): الرس. واسم الكهف: الرقيم، وقيل غير ذلك في أسمائهم.
انظر: معجم البلدان ٣/ ٦٠ ــ ٦١.
هذا وقد ذكرت جريدة (المسلمون) اللندنية في عددها ذي الرقم ١٠٩ الصادر في يوم ١٤٠٧/٧/٧هـ أن باحثاً مسلماً هو (محمد تيسير ظبيان) أردني الجنسية، اكتشف مكان الكهف، واسمه (الرجيب) ويبعد عن مدينة عمان سبعة عشر ١٧ كلم، وهذه التسمية (الرجيب) إنما هي (الرقيم) وهي قرية صغيرة يقيم بها أناس من قبيلة (الشوابكة) وقد تم إجراء حفريات بهذا الكهف ووجدت به ثمانية قبور ومجموعة من الأثريات، ويؤكد هذا الباحث أن الزعم بأن الكهف يوجد في (أفسس) زعم باطل لا أساس له، وأن السبب فيه هو أن المؤرخين ورجال الكنيسة يصرون على أن (أفسوس) هي التي يوجد بها الكهف لأنها كانت عندهم من أهم المراكز الرئيسة للدعوة النصرانية، وقبل ذلك كانت للبوذية.

(٣) سورة الكهف: الآية ٩.

ما قصه في قصة نوح ـ[1]:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ[2] لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

فذكر ـ سبحانه ـ أن هذا الذي أوحاه إليه[4] من أنباء الغيب، ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا. فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك، لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر [5] إلَّا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون ـ أيضاً ـ أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم، وهم لا يعلمون ذلك، صار هذا حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر قومه. ومثل[6] ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه[7].

وأخبرهم عن قصة[8] نوح[9]، ومكثه فيهم ألف سنة إلَّا خمسين

---

(١) في ك (ما قصه في القرآن من قصة نوح) وفي ط (ما قصه الله في القرآن من قصة نوح).

(٢) **العاقبة**: آخر كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٦٨.

(٣) سورة هود: الآية ٤٩.

(٤) هكذا في ط، وفي أ و ك (إليك) وضمير الغيبة أنسب نظراً لما بعده.

(٥) **يعاشر**: أي يخالط.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٣٤.

(٦) في ك و ط زيادة (هذا).

(٧) في ط (زوجته).

(٨) سقطت كلمة (قصة) من ك و ط.

(٩) في ك و ط زيادة (ودعاؤه على قومه).

عاماً، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب: مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده.

وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان[1]، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذهاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل[2] مع بنيه، كقصة يوسف وما جرى له بمصر، وقصة موسى مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته كالعصا واليد البيضاء، والقمّل والضفادع والدم، وفلق[3] البحر وتظليل الغمام[4] على بني إسرائيل، وإطعامهم المنّ والسلوى[5]، وانفجار الماء من الحجر اثني عشر عيناً لسقيهم، وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم[6]، وقصة داود، وقتله لجالوت[7]، وقصة الذين خرجوا

---

(١) **جمع**: ضيف، مثل: ضيوف، وهم الذين ينزلون بدار غيرهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٦.

(٢) في ك و ط (يعقوب).

(٣) **الفلق**: من باب ضرب، هو الشق.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١١.

(٤) **الغمام**: السحاب الأبيض، الواحدة: غمامة. ظللوا به ليقيهم حر الشمس.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣٤.

(٥) **المن**: الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس فيه عمل ولا كد. والسلوى: طائر مثل الحمام.
انظر: المصدر السابق ١/١٣٨.

(٦) أي: رفعته الملائكة فوق رؤوسهم.
انظر: المصدر السابق ٣/٤٩٩.

(٧) هو ملك العمالقة، قتله داود ـ عليه السلام ـ، حيث قذفه في القتال بأحجار معه، فوقع الحجر بين عينيه، فثقب رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ =

من ديارهم[1] وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل.

إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى، وعيسى بن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك، وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار، مفصلة مبينة بأحسن بيان، وأتم معرفة، مع علم قومه، الذين يعرفون أحواله، من صغره إلى أن ادّعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم.

فكان[2] هذا من أعظم[3] الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلاَّ نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو[4] أخذه عن نبي، تعيّن أن يكون نبياً.

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، من طرق:

أحدها: أن قومه المعادين له، الذين هم من أحرص الناس على

= منه إلى غيره فانهزم عسكر جالوت ــ بإذن الله ــ.
انظر: الكامل ١/١٢١ ــ ١٢٤.

(١) سقطت (من ديارهم) من أ.
(٢) في ك و ط (كان).
(٣) في ك و ط (عظيم).
(٤) في ك و ط زيادة (قد).

القدح في نبوته، مع كمال علمهم ــ لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر ــ لطعنوا عليه[1] بذلك وأظهروه، فإنهم ــ مع علمهم ــ بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان، ومع حرصهم على القدح[2] فيه، يمتنع أن لا يقدحوا فيه، ويمتنع أن لا يظهر ذلك.

الثاني: أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون: أنه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك.

الثالث: أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب ــ مع عداوته لهم[3] ــ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك، لنقل ذلك وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله[4].

الرابع: أنه حيث بعث، كان الناس إما مشركاً، وإما كتابياً، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه. وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين ــ من قريش وغيرهم ــ لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه وكذبوه، فلو كان فيهم من علّمه، أو يعلم أنه تعلّم من غيره، لأظهر ذلك.

الخامس: أن مثل هذا لو كان، فلا بد أن يعرفه ــ ولو خواص الناس ــ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك

---

(١) أي: ضربوه ووخزوه بالقول.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٧٩.

(٢) **القدح**: الطعن.
انظر: المصدر السابق ٣/٥٦٧.

(٣) أي: بعد قيام دولته وعلو شأنه وامتناعهم عن الاستجابة لدعوته.

(٤) في ط فقط (نقلها).

يشيع، ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية[1]، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن، كما عرف في مثل ذلك.

فكيف، وكان أخص أصحابه، وأعلمهم بحاله، أعظمهم محبة وموالاة؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن.

فإنه علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق، يعلمون[2] أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا.

علم الناس ما علمه قومه[3] أن هذا[4] أنبأه به الله، وكان هذا من أعلامه[5] وآياته وبراهينه، وهذا مما يبين[6] الله في القرآن أنه من آياته، وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم، وفرط[7] عداوتهم له، لم يمكن أحداً منهم أن يقول له: بل فينا من كان يعلم ذلك، وأنت كنت تعلم ذلك، وقد تعلمته منا أو من غيرنا. فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم،

---

(١) في ك و ط (نظائر ذلك).
(٢) في ك و ط (يخبرون).
(٣) في ك و ط زيادة (من).
(٤) في ك و ط زيادة (إنما).
(٥) جمع علامة وهي السِّمة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٣٠٢.
في ط (إعلامه) بكسر الهمزة.
(٦) في ك و ط (بيّن).
(٧) من أفرط في الأمر: إذا جاوز فيه الحد، يقال: إياك والفرط في الأمر.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٩.

ومع فرط عداوتهم له، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك.

ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة، كانوا كلهم يعلمون كذبه، وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون[1] أن هذا كذب ظاهر عليه، كما كان بعضهم يقول: إنه مجنون، وبعضهم يقول: إنه كاهن. وبعضهم يقول: إنه ساحر. وبعضهم يقول: إنه[2]، تعلمه من بشر. وبعضهم يقول: أضغاث أحلام.

فحكى الله أقوالهم[3]، مبيناً لظهور[4] كذب من قال ذلك، وأنه قول ضال حائر، قد بهره حال الرسول، فحار فلم يدر ما يقول، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ[5] عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا

---

(١) في ك و ط (يعترفون).

(٢) في ك و ط زيادة (معلّم).

(٣) أي: نقله.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦٨٦.

(٤) في ك و ط (ظهور).

(٥) **الفرقان**: القرآن، لأنه الفارق بين الحق والباطل، والنشور: بعث الأموات. الإفك: الكذب. والزور: البهتان. أساطير: أحاديث خرافة. اكتتبها: أمر أن تكتب له.
انظر: صفوة التفاسير ١٨/٣٥٤.

وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

فأخبر عمن قال ذلك، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب، فإن هذه القصص المذكورة في القرآن، لم يكن بمكة من يعرفها، فضلاً عن أن يمليها، كما قال:

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ...﴾[2].

وقال:

﴿...مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ...﴾[3].

ولهذا قال:

﴿[4] أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾[5].

فأخبر أن هذا من عِلْم من يعلم السر، إذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلاَّ من جهة أخبار الأنبياء، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء.

ثم ذكر ما اقترحوه[6] فقال:

---

(١) سورة الفرقان: الآيات ١ ــ ٦.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.
(٣) سورة هود: الآية ٤٩.
(٤) في ط زيادة قوله ــ تعالى ــ: (قل).
(٥) سورة الفرقان: الآية ٦.
(٦) **الاقتراح**: ارتجال الكلام، واستنباط الشيء من غير سماع.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٨٤.

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ (١) أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ (٢) يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾(٣).

أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهوراً لا يخفى على الناظر، ولهذا قال:

﴿ . . . فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾.

إذ كان ظاهراً أن هذا ضلال عن طريق الحق، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق(٤) إليه سبيلاً.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٥) ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ (٦) عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى

---

(١) **الكنز**: الذهب والفضة، أو المال المدفون.
انظر: المصدر السابق ٣/٨٧.

(٢) **الجنة**: الحديقة ذات النخل والشجر.
انظر: المصدر السابق ١/٥٤٣.

(٣) سورة الفرقان: الآيتان ٧، ٦.

(٤) سقطت كلمة (الحق) من ك.

(٥) **الرجيم**: من الرجم: وهو القتل، وأصله الرمي بالحجارة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٦.

(٦) **سلطان**: أي تسلط وقدره.

ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ[1] وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ
ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ
نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ[2] أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3] .

فأخبر عما افتراه بعضهم، من قوله: إنما يعلمه هذا[4] القرآن بشر.

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل: إنه مولى لبني الحضرمي[5]، والنبي لا يحسن أن يتكلم[6] بلسان[7] العجمي، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام[8] العربي. فلما قالوا: إنه افترى

---

(١) **يتولونه**: أي يطيعونه ويتخذونه لهم ولياً.
انظر: صفوة التفاسير ١٤/١٤٣.

(٢) أي: لسان الذي يزعمون أنه علّمه، وينسبون إليه التعليم.
انظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) سورة النحل: الآيات ٩٨ ـ ١٠٣.

(٤) في جميع النسخ (هدى) وهي بالتأكيد اسم إشارة (هذا) مشار به إلى القرآن ولكن على طريقة الإملاء القديمة من كتابة الألف الممدودة بألف لينة، ـ ولو أحياناً ـ .

(٥) هو جبر الرومي النصراني، غلام لبعض بني الحضرمي، وقيل اسمه: يعيش، وقيل: بلعام. وقيل: كانا غلامين روميين، يقرآن كتاباً لهما بلسانهما.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٦) سقطت (يتكلم) من أ و ك فأثبتناها من ط، و ط تحتاج إلى (أن) قبل (يتكلم) ليستقيم السبك.

(٧) في ط (باللسان).

(٨) في ك و ط (اللسان).

هذا[1] القرآن، وأنه علمه إياه بشر، قال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ . . . ﴾ .

أي يضيفون إليه هذا التعليم، وينسبونه إليه، وعبّر عنه[2] بلفظ الإلحاد، لما فيه من الميل، فقال[3]: لسان هذا الشخص الذي قالوا: إنه يعلمه القرآن، لسان أعجمي، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلى رجل عربي، بل إلى هذا الأعجمي، لكونه كان[4] يجلس ــ أحياناً ــ إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وذلك الأعجمي لا يمكنه التكلم[5] بهذا الكلام العربي، بل هو أعجمي، ومحمد لا يعرف بالعجمية، لكن غاية ذاك الأعجمي ــ كعبد بني الحضرمي ــ : أن يعرف قليلاً من كلام العرب، الذي يحتاج إليه في العادة، مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات، كلفظ الخبز، والماء، والسماء، والأرض، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من[6] القرآن.

فبيَّن ــ سبحانه ــ ظهور كذبهم فيما افتروه، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من[7] تعلمه أنباء الغيب، من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد، ولم يُنقل عن

---

(١) في ك (هدي) وفي ط (هدى).

(٢) أي: أعرب عنه وأبان وأفصح.
انظر: ترتيب القاموس ١٣٨/٣ و ١٨١.

(٣) هنا محذوف مقدر من عبارة الشيخ هي: (ما معناه)، على طريقة ابن جرير الطبري في تفسيره.

(٤) في ك و ط زيادة (ربما).

(٥) في ك و ط (أن يتكلم).

(٦) في ك و ط زيادة (سور).

(٧) في ك و ط (في).

أحد منهم أنه قال قولاً يخفى بطلانه، بل ما يظهر كذبه لكل أحد.

فتبيَّن أنه لم يمكنهم أن يقولوا: إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد. وهذه القصة: قصة نوح ـ لا سيما قصته[1] في سورة هود كما تقدم ـ لا يعلمها إلَّا نبي أو من تلقاها عن نبي. فإذا عرف أنه لم يتلقاها[2] عن أحد علم أنه نبي، ولهذا قال ـ تعالى ـ في آخرها:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4].

والقول في سائر القصص، كالقول فيها.

وكما قال ـ في سورة يوسف ـ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5].

وقال ـ في سورة آل عمران، لما ذكر قصة زكريا ومريم ـ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[6].

وقال ـ في قصة موسى ـ:

---

(١) في ك و ط زيادة (المستوفاة).

(٢) في ط (ينقلها).

(٣) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٤) سورة هود: الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ[1] إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا[2] فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ . . . ﴾[3] الآية.

والإنسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر، فنبه بقوله: (وما كنت لديهم) على أنه[4] إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك، إذ كان معلوماً عند كل من عرفه: أنه لم يسمع ذلك من بشر، وأنه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5]؟.

بيَّن بذلك أن تلاوته عليهم هذا الكتاب، وإدراءهم: أي إعلامهم به، هو بمشيئة الله وقدرته، لا من تلقاء نفسه، كما قال ـ تعالى ـ[6]:

---

(١) هو جانب الجبل الغربي، الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه، على شاطىء الوادي.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٠.
(٢) أي مقيماً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٣) سورة القصص: الآيات ٤٤ ـ ٤٦.
(٤) في ك و ط (أنك).
(٥) سورة يونس: الآية ١٦.
(٦) في ك و ط (قبل هذا).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ[1] إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ . . . ﴾[2] الآية.

فبيَّن أنه لبث فيهم عمراً من قبله، وهو لا يتلو شيئاً من ذلك، ولا يعلمه[3]، ولا يعلمهم به، فليس الأمر من جهته، ولكن من جهة الله، الذي لو شاء ما تلاه عليهم، ولا أدراهم به، وتلاوته[4] عليهم وإدراؤهم به هو من الإعلام بالغيوب الذي لا يعلمها إلَّا نبي، وبيَّن أن ذلك من الإرسال[5] الذي يحبه الله[6] ويرضاه، لا من الكوني الذي قدره[7]، وهو لا يحبه ولا يرضاه، كإرسال الشياطين، ولهذا كان[8] يعرضون عليه أن يصير ملكاً عليهم، وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم، فيقول: «لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر، لم أستطع أن أدعه»[9] وهذه الثلاث هي

---

(١) أي من قبل نفسي.
انظر: صفوة التفاسير ١١/٥٧٧.
(٢) سورة يونس: الآيتان ١٥ ــ ١٦.
(٣) سقطت (ولا يعلمه) من ك و ط.
(٤) في أ (تولاته) وهو خطأ نسخي بحت.
(٥) في ك و ط زيادة (الديني).
(٦) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.
(٧) في ك و ط زيادة (وقضاه).
(٨) في ك و ط (كانوا).
(٩) رواه البخاري في التاريخ الكبير بمعناه ج ٤، ق ١/١٥.
وأخرجه الطبراني بمعناه ــ أيضاً ــ في الأوسط والكبير، وأبو يعلى ــ بمعناه =

مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان، والمال، والنساء) فيعرض[1] عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها، ويبيّن[2] أنه لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ [3] عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ [4] إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا
قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ [5] مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا
يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[6].

= ـ أيضاً ـ ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع ٦/١٤ ـ ١٥. وأخرجه البيهقي في الدلائل ـ بمعناه ـ أيضاً ـ ٢/١٨٧، وهو في السيرة لابن هشام ١/٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(١) في ك (فعرض)، وفي ط (فأعرض).

(٢) في ك و ط (وبين).

(٣) أي يصرفونك.

(٤) تركن إليهم: تميل إليهم وتسايرهم على ما طلبوا.
انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٣.

(٥) أي: لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. يستفزونك: يخرجونك من أرض مكة بمكرهم وإزعاجهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) أي: طريقة وعادة. تحويلاً: تبديلاً أو تغييراً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة الإسراء: الآيات ٧٣ ـ ٧٧.

بيَّن ــ سبحانه ــ أنهم كادوا[1] أن يمنعوه بكل طريق، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته. فمع الإدارة الجازمة، والقدرة التامة يجب وجود المقدور، وإذا تعذر أحدهما امتنع. فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم فيغير ما أوحى إليه، فعصمه الله وثبته.

ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه، حتى يعجز عن تبليغ رسالة[2] ربه، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة، أسوة من[3] تقدمه من الرسل، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة، أخرج نبيها منها[4]، ثم أهلكها، لا يهلكها وهو بين أظهرها، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وهذا بعد قوله:

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[5].

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[6].

---

(١) في ك و ط (طلبوا).

(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ (رسالته)، وما في ك و ط أصح فلهذا أثبتاه.

(٣) في ط ــ فقط ــ (بمن).

(٤) في ك و ط (من بينها).

(٥) سورة الأنفال: الآيتان ٣٢ ــ ٣٣.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

فلمـا خرج من بينهم بـالهجرة أتـاهم الله بعـذاب أليم يـوم (بـدر) وغيره. فقوله:

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ . . . ﴾[1].

إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته.

وقـولـه:

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ. . . ﴾[2].

إشارة إلى سعيهم في تعجيزه.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3].

بيَّن ــ سبحانه ــ من حاله ما يعلمه العـامة والخـاصة، وهـو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متـواتر عنـد من غاب عنـه وبلغته أخبـاره من جميع الناس: أنه كان أمياً لا يقرأ كتاباً، ولا يحفظ[4] كتـاباً من الكتب، لا المنزلة ولا غيرها، ولا[5] يـقـرأ شيئـاً مكتوباً، لا كتاباً منـزلاً ولا غيره، ولا يكتب بيمينـه كتـابـاً ولا ينسـخ شيئـاً من كتب النـاس، المنــزلـة ولا غيرها[6].

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يـأخذ تلقينـاً وحفظاً، وإمـا أن

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٣.

(٢) السورة السابقة: الآية ٧٦.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

(٤) في ك و ط (يخط). وما في أكسفورد موافق لما في أ.

(٥) في ط بدون عطف.

(٦) في ط (غيره).

يأخذ من كتابه، وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه، ولا يقرأ مكتوباً. والذي يأخذ من كتاب غيره، إما أن يقرأه، وإما أن ينسخه، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ.

و[1]قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ [2] ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن
يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[3].

إلى قوله:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ
عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ
فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ
﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ
يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ [4] ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ [5] ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) أي كتب الأنبياء السابقين.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٣٩٥ م ٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ــ ١٩٧.

(٤) أي الضالون.

(٥) **يهيمون**: أي يسلكون في المديح والهجاء كل طريق، يحمدون الشيء بعد أن ذموه، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه. أيّ منقلب ينقلبون: أيّ مرجع؟ وأيّ =

مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾(١).

فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾(٢).

وقال:

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾(٣).

وعلماء بني إسرائيل(٤): يعلمون ذكر إرسال محمد، ونزول الوحي عليه، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ . . . ﴾(٥).

وقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(٦).

وقال:

= مصير؟ يرجعون إليه ويصيرون إليه؟ فإن مرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، ومصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير.
انظر: المرجع السابق ١٩/٣٩٧ ـ ٣٩٨ م ٢.

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ـ ٢٢٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(٤) سقطت من أ جملة (وعلماء بني إسرائيل) فأثبتناها من ك و ط.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٤.
ليس في أ إلّا كلمة (فلا) وهي ليست في ك ولا ط، وقد أتممنا الآية مراعاةً لما في أ.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

وقال:

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[2].

ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر.

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته، وعرشه وملائكته، وخلقه السموات والأرض وغير ذلك، بمثل ما أخبرت به الرسل قبله. وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وبالعدل والصدق، والصلاة والزكاة، ونهى عن الشرك عن الشرك والظلم والفواحش، كما أمرت ونهت الرسل قبله.

والسّور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة، التي اتفقت عليها الرسل، التي لا بد منها، وهي الإسلام العام، الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره.

وأما السّور المدنية، ففيها[3] هذا، وفيها ما يختص به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الشرعة والمنهاج. فإن دين الأنبياء واحد، كما ثُبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: (إنا

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٢.

(٢) السورة السابقة: الآية ٥٣. وقد فصل الشيخ المؤلف بين الآيتين، مع تجاورهما في المصحف من أجل التنبيه على المعنى الموجود في كل آية منهما، أو لأي سبب آخر.

(٣) في أ (فيها).

ـ معشر الأنبياء ـ ديننا واحد)(١)، قال الله(٢) ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ الطَّيِّبَٰتِ وَاعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ(٥) وَكَانُوا۟ شِيَعًا(٦) كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٧).

وأما الشرعة والمنهاج، فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن:

---

(١) رواه البخاري بلفظ (والأنبياء إخوة لِعَلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد) كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب...﴾ ٦:٤٧٨ من الفتح، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤:١٨٣٧ [٢٣٦٥] بمثله.

(٢) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٥) فرقوا دينهم: أي بدلوه وغيروه، وآمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

(٦) شيعاً: فرقاً، كل فرقة منها تزعم أنها على شيء. انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٣٢٣.

(٧) سورة الروم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (1).

وقـال:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا (2) لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ (3) كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ. . .﴾ (4).

إلى قولـه:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ. . .﴾ (5).

وأما القبلة: فلم يجعل ما ابتدعـه أهل الكتـاب من القبلة، فلذلك قال:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا. . .﴾ (6).

لم يقـل: إنا جعلنـا لكل وجهـة، كما قـال في المنسك والشـرعة والمنهاج، وقال ـ تعالى ـ:

---

(1) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(2) أي مكاناً للذبح تقرباً إلى الله.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٨٩.

(3) **القانع**: المتعفف. والمعتر: السائل. المصدر السابق ١٧/٢٩٠.

(4) أي لن يصـل إليه ـ تعـالى ـ شيء من لحومهـا ولا دمائهـا، ولكن يصل إليـه التقوى منكم بامتثال أوامره، وطلبكم رضوانه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(5) سورة الحج: الآيات ٣٤ ـ ٣٧.

(6) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾[1].

فإنه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولى. مع علمهم بأنه لم يعاشر أحداً من أهل الصحف الأولى، ولا استفاد منهم علماً، كان هذا من أعظم الآيات من الله.

وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة، كابن سينا وأمثاله: (إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال) ويقولون: (إن النفس أو العقل، هو اللوح المحفوظ وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء)، ويقولون: (النبوة مكتسبة، لأن هذه صفتها) ويقولون: (إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية)، وزعموا[2] أنها اللوح المحفوظ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض، لأن العلم بالسبب، يوجب العلم بالمسبب[3]. فإن هذا مبني على مقدمات باطلة، قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر[4]:

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٣.

(٢) في ك و ط (ويزعمون).

(٣) راجع ما كتبه (دي بور) في كتابه: تاريخ الفلسفة في الإسلام، وخاصة الباب الرابع من كتابه المذكور: ١٧٦ وما بعدها، ثم ما كتبه عن فلسفة ابن سينا ـ بالأخص ـ: ٢٥٣ ـ ٢٦٨، ترجمة د. أبي ريده. وكذلك ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل ٢/١٧٣ ـ ٢٠١ من مسائل الإلّهيات عن ابن سينا.

(٤) راجع ما كتبه الشيخ المؤلف في فساد مذهب الفلاسفة من كتابه القيم درء تعارض العقل والنقل ٨/١٦١ وما بعدها. وفي مواضع أخرى منه؛ وكتاب النبوات ـ له أيضاً ـ: ١٦٨ وما بعدها. دار الفكر، بيروت.

منها: إثبات العقل الفعال.

ومنها: دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلَّا حركة الفَلَك.

ومنها: أن المحرك له هو النفس.

ومنها: اتصال نفوسنا بتلك النفس.

والمقصود ــ هنا ــ أن هذا لو كان حقاً فإنما يفيد علماً بالمستقبل الذي تكون الحركة الحاضرة سبباً له. أما ما قد مضى[1] بمئين أو ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك ــ حين مبعث الرسول ــ كان سبباً له، وإنما تكون الحركة الموجودة في زمانه سبباً للمستقبل، لا للماضي، وحينئذٍ فلا يكون تحريك النفس للفلك سبباً للعلم بهذه الأمور، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ، وهو في أم الكتاب، وهو[2]:

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

وأخبر ــ سبحانه ــ أنه:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[4].

---

(١) في ك و ط زيادة (قبل ذلك).

(٢) سقطت (وهو) من ك و ط.

(٣) مكنون: مصون ومحفوظ. **المطهرون**: الملائكة، الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣١٥.
سورة الواقعة: الآيات ٧٨ ــ ٧٩.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٣.

وقال ـ في آية أخرى ـ :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[1].

وقال في موضع آخر:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . . ﴾[2].

وقال:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ[3] (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ[4] (٢١)
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ[5] (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ[6] (٢٤)
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ[7] (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ
مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) ﴾[8].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٣) أي: صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله ـ جل وعلا ـ.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٥٢٥.

(٤) أي: مطاع هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء. المصدر والموضع السابق.

(٥) أي: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى جبريل ـ عليه السلام ـ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح، ورسول الله على الأرض، وهذه هي الرؤية الأولى، وذلك في أوائل البعثة، في الأبطح بمكة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٢٠.

(٦) أي: متهم أو بخيل، قرئت متواترة بالضاد والظاء.
انظر: المصدر السابق ٨/٣٦٢.

(٧) **فأين تذهبون**: أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم للقرآن مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله ـ عز وجل ـ.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢٨.

=

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1].

فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة، نزله به على رسول اصطفاه من البشر، فقال:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ[2] (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ (٥٢)﴾[3].

فنزه كلاً من الرسولين عما قد يشتبه به.

نزه المَلَك أن يكون شيطاناً، ونزه البشر أن يكون شاعراً أو كاهناً، وبيّن برهان ذلك وآيته، فقال:

= وقد زاد في ك و ط الآية الباقية وهي قوله ــ تعالى ــ :
﴿وما تشاؤون إلَّا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.
أي: يختار رسلاً من الملائكة ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه، ويختار رسلاً من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده، والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٩٩.

(٢) هو نياط القلب: وهو العرق الذي القلب معلق فيه، أو هو القلب ومراقه (ما سفل من البطن فما تحته) وما يليه.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٢٤٥.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٥٢.

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾(١).

فبيَّن أنه ما يصلح لهم النزول به، بل هم منهيون عن ذلك، وهم ممتنعون عن ذلك، لا يريدونه(٢)، لمنافاته لمقصودهم، وأنهم لو أرادوا(٣) لعجزوا عن ذلك، فلم يستطيعوه، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلى، وهم إنما يقدرون(٤) على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه.

فبيَّن قوله:

﴿ . . . وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ . . . ﴾:

أنهم لا يريدون تنزيله.

وبقوله:

﴿ . . . وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾:

أنهم عاجزون عن تنزيله.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ـ ٢١٢.
أي: بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله.
انظر: المصدر السابق ٦/١٧٥.

(٢) هكذا في ط، وفي أ (يريدونهم) وفي ك (لا يريدوه) وما أثبتناه أصوب.

(٣) في ك و ط زيادة (ذلك).

(٤) هكذافي ك و ط (يقدرون)، وفي أ (يقدروا) والأصح ما في ك و ط.

أمـا[1] كـونهم لا يـريـدون، فـلأنـه لا ينبغي لهم، (وينبغي): مضـارع[2] بغى يبغي: أي طلب وأراد، فالـذي لا ينبغي للفـاعـل، هـو الذي لا يطلبه ولا يريده، إما لكـونه ممتنعـاً من ذلك، أو لكـونه ممنـوعاً منه. والشيطان إنما يريد الكذب والفجور، لا يريد الصدق والصلاح.

وما جاء به الرسول، مناقض لمراد الشياطين غـاية المنـاقضة، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمـد، فنـزول[3] القرآن عليـه. فيمتنـع أن تفعـل الشيـاطين مـا لا يـريـدون إلَّا نقيضه، وهم ــ أيضاً ــ ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتـأتى منهم، كمـا أن السـاحـر لا ينبغي لـه أن يكـون نبيـاً. والمعـروف بـالكذب والفجـور لا ينبغي له ــ مـع ذلـك ــ أن يكـون نبيـاً[4]، ولا أن يكون حاكماً ولا شاهداً ولا مفتياً، إذ الكذب والفجور ينـاقض مقصود[5] الحكم والشهـادة والفتيـا، فكـذلـك مـا في طبـع الشيـطان[6] من إرادة الكـذب والفجور ينـاقض أن تتنزل بهـذا الكـلام، الـذي هـو في غـايـة الصدق والعدل، لم يشتمل على كذبة[7] واحدة، ولا ظلم لأحد.

ثـم قـال:

﴿... وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾.

---

(١) في ط زيادة واو.

(٢) في أ (مطاوع)، والظاهر أنه تحريف من الناسخ.

(٣) في ك و ط (ونزول).

(٤) في ك و ط (رسولاً).

(٥) في ك و ط (مقتضى الرسالة والحكم).

(٦) في ك و ط (الشياطين).

(٧) كَذبة: بنصب الكاف، حيث أنه اسم مرّة، ولو كان اسم هيئة لكسرت.

انظر: أوضح المسالك، إلى ألفية ابن مالك ص ٤٤٠.

فإنهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون، بما حرست بـه السماء من الشهب، كما قال ــ عن الجن ــ :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾[1].

وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وأن السماء[2] حـرست حرسـاً لم يعهده النـاس قبل ذلـك، ورأى الناس ذلـك بـأبصـارهم، فكـانـوا قـد عـاينـوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمىٰ بهـا لطرد الشيـاطين، فعزلـوا بـذلك عن سمـع الملأ الأعلى، وكـان ما عـاينه الكفـار ــ [3]من الـرمي الشـديـد العـام ــ الـذي انتقضت بـه العـادة المعـروفـة من[4] رمي الشهب ــ[5] دليلاً على سبب خارق للعادة، ولم يحدث ــ إذ ذاك ــ في الأرض أمر لم تجر بـه العادة إلاَّ ادعـاءه للرسالـة، فلم يعرف قبله[6] من نـزل عليه الكـلام كنزولـه عليه. إذ كـان موسى ــ عليـه السـلام ــ إنمـا أنزلت عليه التوراة مكتوبة[7]، لم تنزل عليه منجمة[8] مفرقة، ملقـاة إليه

---

(١) سورة الجن: الآيتان ٨، ٩.

(٢) في ك و ط زيادة (حين مبعثه).

(٣) بداية جملة اعتراضية.

(٤) في ك و ط (في) بدلاً من (من).

(٥) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٦) في ك و ط زيادة (ولا بعده).

(٧) والدليل قوله ــ تعالى ــ :
﴿وكتبنـا لـه في الألـواح من كـل شيء مـوعـظة وتفصيـلاً لكـل شيء...﴾ [سـورة الأعراف: الآية ١٤٥].

(٨) أي: نجماً بعد نجم، وكانت تنزل منه الآية والآيتان.
انظر: اللسان ١٢/٥٦٩.

حفظاً، حتى تحتاج السماء إلى حراستها عن استراق سمعها. والزبور تابع لشرع التوراة، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة. لم ينزل كتاب مستقل[1] إلَّا التوراة والقرآن كما قال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

ولهذا يقرن ـ سبحانه ـ بين التوراة والقرآن كثيراً كما في قوله:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

إلى قوله:

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[3].

وقال:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ[4] وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً[5] ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ

---

(١) في ط (مستقبل).

(٢) سورة القصص: الآية ٤٩.

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

(٤) أي: ويتبعه شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة. ولهذا قال ابن عباس وغيره: إنه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال علي وغيره: هو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكلاهما قريب في المعنى، لأن كلاً من جبريل ومحمد ـ صلوات الله عليهما ـ بلّغ رسالة الله ـ تعالى ـ، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥.

(٥) أي: أنزله الله إلى تلك الأمة إماماً لهم، وقدوة يقتدون بها، ورحمة من الله بهم، =

مَوۡعِدُهُۥۚ . . .﴾[1].

قال[2] سعيد بن جبير وغيره: «والأحزاب[3] هي الملل كلها»[4]، قال: وهذا تصديق قول النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلّا دخل النار»، وقرأ هذه الآية:

﴿. . . وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ . . .﴾[5] ».

وقالت الجن:

﴿. . . إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ . . .﴾[6].

وقال النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ: (إن هذا والذي جاء به

= فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال ـ تعالى ـ:
﴿. . . أولئك يؤمنون به . . .﴾.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٤٦.

(١) سورة هود: الآية ١٧.

(٢) في ط (وقال).

(٣) في ك و ط بدون عطف.

(٤) جامع البيان، ت: شاكر، ١٥/٢٧٩ ـ ٢٨١. قال شاكر: (هذه الآثار عن سعيد بن جبير، والتي روى فيها الخبر مرسلاً، رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٤٢، موصولاً مرفوعاً من حديث ابن عباس، وذلك من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي عمرو البصري، عن سعيد، عن ابن عباس، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٥) سورة هود: الآية ١٧.
سبق تخريج الحديث ٢/٩٠ رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

(٦) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.
في ك و ط زيادة (الآية).

موسى ليخرج من مشكاة[1] واحدة[2]).

[3]ـ وأيضاً ـ فكان معروفاً عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع، فلما رأوا أن السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع، وعلمت الجن ذلك كما تقدم، وقد قالت الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[4].

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب، وهذا[5] أمر خارق للعادة، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم، حتى نظروا: هل الرمي بالكواكب التي في الفَلَك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب، علموا أنه لأمر حدث[6]. وأَرسلت

---

(١) المشكاة: الكوّة (الفتحة) غير النافذة. قال الكلبي: «وهو حبشي معرب». النهر الماد من البحر المحيط بهامش البحر المحيط، كلاهما لأبي حيان، ٦/٤٥٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٢٠١ ـ ٢٠٣ و٥/٢٩٠ ـ ٢٩١.
قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».
انظر: المجمع ٦/٢٧.

(٣) في ك و ط زيادة (وقال ورقة بن نوفل للنبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يا ابن أخي هذا هو الناموس، الذي كان يأتي موسى).

(٤) سورة الجن: الآيتان ٨، ٩.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿وإنّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض؟ أم أراد بهم ربهم رشداً؟﴾.

(٥) سقطت (هذا) من أ و ك، وقد أثبتناها من ط لأنها ضرورية لاستقامة الأسلوب.

(٦) انظر: ما رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ١/٢١٩ ـ ٢٢٠. وما رواه البيهقي في الدلائل ٢/٢٤٠ ـ ٢٤١.

الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن، فعلموا[1] أنه كان لأجل ذلك[2].

---

(١) في ك و ط (فعلمت).

(٢) في ك و ط زيادة بمقدار صفحة أو أكثر كما يلي: (كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلَّا لأمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلقوا نحو تِهامة إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا:

﴿... **إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**﴾.

فأنزل الله على نبيه:

﴿**قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن...**﴾.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:

(كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة، فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوا حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك. فلما بعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلَّا رُمى بشهاب يحرق ما أصاب. فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلَّا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن السدي: زعم أن السماء لم تكن تحرس إلَّا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر. فكانت الشياطين قبل محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، حتى لما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نبياً رُجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء. لما رأوا من شدة =

وهذا من أعلام النبوة ودلائلها.

وقبل زمان البعث[1] وبعده، كان الرمي خفيفاً، لم تمتلىء به السماء، كما ملئت حين نزول القرآن، وقال[2] ـ تعالى ـ:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[3].

والأفاك: الكذاب. والأثيم: الفاجر[4]، كما قال:

﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ[5] ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[6].

= النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم، فقال لهم، عبدياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر الطائف، أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها، فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) وإن أنتم لم تروها، فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم. وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشم، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نَصِيْبِيْن قدموا مكة، فوجدوا نبي الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله ـ عز وجل ـ شأن أمرهم على نبيه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(١) هكذا في سائر النسخ (البعث) و (المبعث) أنسب.

(٢) في ك و ط (وقوله).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٨٣/٦.

(٥) **لنسفعن بالناصية**: أي لنأخذن بالناصية، والمراد بها جميع الشخص: أي سحباً إلى النار، وقيل: هو من سفعته النار والشمس: إذا غيرت وجهه إلى حال شديد، وقال التبريزي: قيل: المراد لنسوّدن وجهه، من السفعة: وهي السواد، وكَفَت (أي الناصية) من الوجه لأنها في مقدمته. انظر: البحر المحيط ٤٩٥/٨.

(٦) سورة العلق: الآيتان ١٥، ١٦.

قال[1] [2]في الحديث المتفق على صحته: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن[3] الفجور يدعو[4] إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[5].

فالشياطين تنزل على من يَحْصُل مقصودها بنزولها عليه، وهو المناسب لها في الكذب والفجور[6]. فأما الصادق البار، فلا يحصل به مقصود الشياطين، فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر، وإنما يطلب الكذب والفجور.

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين، لم تُجَرب عليه كَذبةٌ واحدة. ولما جاءه الروح بالوحي لم يخبر بخبر واحد كذب، لا عمداً ولا خطأ.

ومن تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يخبر بالكذب، فإن الشياطين يلقون إليهم السمع، ولا يلقون إليهم ما سمعوه على وجهه، بل يكذبون فيه كثيراً. إذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم. [7]والشياطين وإن كان كلهم كاذباً، فليس كل من ألقى

---

(١) في ك و ط (وقال) بالواو العاطفة.

(٢) في ك و ط زيادة (النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٣) سقطت (إن) من ط.

(٤) في ك و ط (يهدي).

(٥) سبق تخريجه رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر، والحديث رواه البخاري في صحيحه وغيره.

(٦) في ك و ط (والإثم).

(٧) في ك و ط (فإن).

السمع يكذب فيما يلقيه، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه، [1]ولكن أكثرهم يكذبون، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم[2].

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه المَلَك[3]، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم، فرق بيّن[4]، يُعْرف بأدنى معرفة بحال الاثنين. ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبِر ببعض الأمور الغائبة، بيّن ــ سبحانه ــ أن هذا يكون ــ وإن صدق في بعض الأخبار ــ كاذباً فاجراً، والذي يأتيه[5] بالكذب، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر، وهذا مما يبين أن النبي لايكون إلَّا باراً معصوماً أن يُصِر على ذنب.



(١) في ك و ط زيادة (ولو مرة).

(٢) في ك و ط زيادة (وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: (إن الملائكة تنزل في العنان ــ وهو السحاب ــ، فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم).

(٣) في ك و ط زيادة (الكريم).

(٤) في ك و ط (مبين).

(٥) في ك و ط زيادة (أيضاً يأتيه).

فصل (١)

الدلائل القاطعة عند أهل مكة، على صدق الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونبوته

وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة، ما زالوا معترفين بصدقه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنهم لم يجربوا عليه كذباً، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة، وأنه ليس بساحر. وكانوا في أول أمره يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب، يسألونهم عنه، لأن مكة لم يكن بها ذلك.

ففي الصحيحين عن ابن عباس: أن أبا سفيان بن حرب، حدثه قال: «انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل، قال: وكان دِحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هِرَقل. فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت أنا. فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، فدعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَني فَكَذِّبوه،

---

(١) سقطت (فصل) من ك.

قال: فقال[1]: «وأيم الله! لولا مخافة أن يؤثر عليَّ كذب لكذبت عليه. ثم قال لترجمانه: سله[2] كيف حَسَبُهُ[3] فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب[4]، قال: فهل كان في آبائه مَنْ مَلَكَ؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا[5]». وذكر باقي الحديث:

وفي الصحيحين[6] عن عبد الله بن مسعود، حديث سعد بن معاذ، لما قال لأمية[7]: إنهم قاتِلوكَ (يعني النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه) وفزع منه لذلك، وقال لامرأته ذلك، فقالت والله ما يكذب محمد. وقال هو ــ في رواية أخرى ــ: والله ما يكذب محمد، وعزم أن لا يخرج خوفاً من هذا، وقال: والله لا أخرج من مكة. وأراد التخلف عن بدر، حتى قال له أبو جهل: إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي تخلفوا معك. فقال: أما إذا غلبتني فلأشترينَّ أجود بعير بمكة ــ وذكَّرته امرأته بقول سعد، فقال: ما أريد أن

---

(١) في ك و ط (قال أبو سفيان).

(٢) رسمت في أ هكذا (سأله).

(٣) في ك و ط (نسبه).

(٤) في ط (نسب).

(٥) رواه البخاري بمعناه، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان... ١/٣١ ــ ٣٣ (٧). من فتح الباري. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى هرقل... ٣/١٣٩٣ (١٧٧٣).

(٦) هذا ظن من الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ وصوابه: «الصحيح».

(٧) هو ابن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي، من جبابرة قريش، أدرك الإسلام ولم يسلم، بل مات كافرا في وقعة بدر، قتله رجل من الأنصار من بني مازن سنة ٢هـ. انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٧١.

أكون معهم إلاَّ قريباً»[1].

وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم أن أُبَـي[2] بن خلف[3] لما

---

(١) القصة رواها البخاري، كتاب المغـازي، باب ذكـر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مَنْ يُقْتل ببدر، ٢٨٢/٧ (٣٩٥٠) من فتح الباري. ورواهـا الإمام أحمـد في المسند ٣٠٣/٥ ت أحمـد شاكـر، ورواها البـزار وفيها أنـه نزل على عتبـة بن ربيعـة. قـال الهيثمي: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح». المجمع ٧٢/٦ ـ ٧٣.
جاءت هذه الرواية في ك و ط هكذا: قال: «انطلق سعد فنـزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام، فمر بالمدينة ينزل على سعد، فقـال لسعد: انتـظر، حتى إذا انتصف النهـار وغفل النـاس، انـطلقتَ فـطفت، فبينمـا سعـد يـطوف، إذا أبو جهل. فقال: من هذا الـذي يطوف بـالبيت؟ فقال: أنـا سعد، فقـال أبو جهـل: تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبـي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي» ثم قال سعد: والله لإن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن مُتَّجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقـول لسعد: لا تـرفع صـوتك، وجعـل يمسكه، فغضب سعـد فقال: دعنـا عنـك، فـإني سمعت محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يزعم أنه قاتلك، قال إياي؟ قال: نعم، قال: والله مـا يكذب محمـد إذا حدث، فـرجـع إلى امـرأتـه فقـال: أمـا تعلمين مـا قـال أخي اليثـربـي؟ قالت: ومـا قال؟: قـال زعم أن محمداً يـزعم أنه قـاتلي، قـالت: فـوالله ما يكذب محمد. قال: فلما خرجوا إلى (بدر) وجاء الصَّرِيخ، قالت لـه امرأتـه: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربـي؟ قال: وأراد أن لا يخرج، فقال له أبـو جهل: إنـك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يـومين، فسار معهم فقتله رسول الله».
وفي رواية أنه قال: والله ما يكذب محمد، وعـزم أن لا يخرج خـوفاً من هـذا، حتى قال له أبو جهل: إنـك متى يراك النـاس قد تخلفت وأنت سيـد أهل الـوادي تخلفوا معك. فقال أما إذا غلبتني فلأشترين أجود بعيـر بمكة. وذكـرته امـرأته بقـول سعد، فقال: ما أريد أن أكون معهم إلاَّ قريباً.

(٢) في ط (أمية).

(٣) هـو ابن وهب بن حـذافـة بن جمـح بن عمـرو، قتله رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بيده يوم أحد سنة ٣هـ وقد مات بموضع يقال له: سَـرْف ـ على ستة أميـال من مكة ـ والمشركون قافلون (راجعون) به إلى مكة.
انظر: السيرة لابن هشام ٨٩/٣ و ١٣٥.

بلغــه أن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قــال: أنـا أقتله، ثم طعنــه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فخدشه، وجعل أصحابـه يُجَزعـونه ويقـولـون: إنمـا هـو خـدش وليس بشيء، فقـال: والله لـو كـان بمُضَـرَ لقتلهم، أليس قــال: «لأقتلنـك»[1]. وعن مجــاهـد[2] قــال: مــولاي السائب بن أبـي السائب[3]: كنت فيمن بنى البيت، وأن قـريشاً اختلفـوا في الحَجَـر[4]، حين أرادوا أن يضعـوه، حتى كـادوا يقـع بينهم قتــال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخـل[5] من الباب، فـدخل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكانوا يسمونه في الجاهلية: الأمين.

---

(١) السيـرة لابن هشام ٣/٨٩؛ والمغـازي للواقدي ١/٢٥٢؛ والبـداية والنهـايـة ٤/٢٣ و ٣٢.

(٢) هــو ابن جبـر المكي، أبــو الحجـاج المخــزومي المقـري، مــولى الســائب بن أبـي السائب، قال ابن حبان: مات سنة ١٠٢ أو ١٠٣ وهو ساجد، بمكة وكان مولده سنة ٢١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٤٢ ــ ٤٤.

(٣) في جميع النسخ (السائب بن يزيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه، أما الســائب بن يزيـد فهو مولى عطاء من فوق.
انظر: أسد الغابة ٢/١٧٠.

واسم أبـي الســائب صيفي بن عــائــذ بن عبـد الله بن عمــر بن مخــزوم القــرشي المخـزومي، وقيل ابن أبي الســائب «نميلة» وكان شـريـك النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قبل المبعث بمكة، وقيـل غيره، وقـد اختلف في إسلامـه، والراجـح أنه من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم. وهو مولى مجاهد بن جبر من فوق.
انظر: المصدر السابق، ٢/١٦٣ ــ ١٦٤.

(٤) وهو الحَجَر الأسود، ويقال له: الركن. لأنه مبني في الركن.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٠٩.

(٥) سقطت كلمة (يدخل) من أ، وأثبتناها من ك و ط.

فقالوا: يا محمد قد رضينا بك[1].

وعن عقيل بن أبي طالب[2] قال: «جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا[3]، ويسمعنا

---

(1) انظر المصدر السابق ١/٢٠٩ ـ ٢١٠. ورواه الإمام أحمد في المسند بمعناه ٣/٤٢٥، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه هلال بن خباب وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح». المجمع ٣/٢٩١ ـ ٢٩٢. وقال في موضع آخر: «وهو ثقة».
انظر: المجمع ٨/٢٢٩.
في ك و ط زيادة بمقدار نصف صفحة كالتالي: «وقال ابن إسحاق في قصة بناء البيت، واختلاف قريش فيمن يضع الحجر، وإنهم مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم اجتمعوا في المسجد، فتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عامئذٍ أسن قريش كلهم، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد جاء، رضينا. هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «هَلُم ثوباً» فأُتي به، فأخذ الركن (يعني الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال: «ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً»، ففعلوا. حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثم بنى عليه. وكانت قريش تسمي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين).

(2) هو ابن عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يكنى أبا يزيد، أسلم قبل الحديبية، وهاجر سنة ٨هـ وشهد غزوة مؤتة. ومات في خلافة معاوية سنة ٦٠هـ وقيل بعدها. انظر: أسد الغابة ٣/٥٦٠ ـ ٥٦٣؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٩.

(3) **النادي**: هو المجلس يندو (يجلس) فيه من حواليه ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا عنه لم يكن ناديا. **والجمع**: الأندية هذا رأي صاحب التهذيب، والراجح أن النادي: مُجْتَمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله.
انظر: لسان العرب ١٥/٣١٧، مادة: ندي.

ما يؤذينا، فإن رأيت أن تكفه[1] عنا فافعل. قال: فقال لي: يا عقيل، التمس ابن عمك. قال: فأخرجته من كِبْس من أكْبَاس شِعب أبي طالب، فأقبل يمشي، حتى انتهى إلى أبي طالب، فقال له: يا ابن أخي، والله ما علمت إن كنت لي مطيعاً وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم، فتسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم؟ قال فحلق ببصره إلى[2] السماء فقال: «والله ما أنا بأقدر على أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار «فقال أبو طالب: إنه ـ والله ـ ما كذب قط، فارجعوا راشدين، رواه البخاري في تاريخه[3]، وأبو زرعة في الدلائل[4]، ورواه ابن إسحاق قريباً من هذا اللفظ وقال: «فأخرجته من حِفْش ـ وهو بيت صغير ـ[5] وقال فيه: فظن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن قد بدا لعمه، وأنه خاذله ومُسْلِمه، وضعف عن القيام معه، فقال: «يا عم لو وُضِعَت الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه»[6].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت[7] قال: قال أبو ذر:

---

(١) في ك و ط (يكف).
(٢) في ك و ط (نحو).
(٣) التاريخ الكبير للبخاري، مجلد ٧، القسم الأول من الجزء الرابع من: ٥٠ ــ ٥١ بمثله.
(٤) لم يذكر فؤاد سزكين لأبي زرعة الرازي غير كتاب الزهد فقط.
انظر: تاريخ التراث العربي، م ١، ج ١/٢٨٢؛ والإعلام ٤/١٩٤.
(٥) انظر: ترتيب القاموس ١/٦٧٢.
(٦) السيرة لابن هشام ١/٢٨٤ ــ ٢٨٥ بمعناه.
(٧) هو الغفاري البصري، قال العجلي: بصري تابعي ثقة، وذكره البخاري في (التاريخ) الأوسط، في فصل من مات بين السبعين إلى الثمانين، وهو من الطبقة الثالثة. تهذيب التهذيب ٥/٢٦٤.

خرجنا من قومنا غفار[1]، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أُنيس[2] وأمنا[3]، فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس، فجاء خالنا فثنا[4] علينا الذي قيل له، فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لك فيما بعد. فقربنا صِرمتنا[5]، فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا بثوبه[6] يبكي، وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر[7] أنيس رجلاً[8] عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا[9] الكاهن[10] فخير

---

(١) هم بطن ضخم، وهم ينتسبون إلى غفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٨٦ و ١٨٠ و ١٢.

(٢) هو ابن جنادة الغفاري، وقد اختلف في نسبه اختلافاً كثيراً.
انظر: الإصابة ١٥٧/١.

(٣) لم أقف لأم أبي ذر على ترجمة.

(٤) **خالف**: أي ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهو ضد الاتفاق. **ومرادهم**: أن أنيس يريد بهم الفساد. **ثنا**: من الثني، وهو الأمر يعاد مرتين.
انظر: المصباح المنير ١٧٩ و ٨٧.

(٥) **كدرته**: أي أزلتَ صفاءه. **لا جماع لك**: أي لن نجتمع بك بعد هذا. **الصّرمة**: هي الناقة التي لا لبن لها.
انظر: المصدر السابق ١٠٩/١ و ٥٢٧/٢؛ واللسان ٣٣٧/١٢ مادة: صرم.

(٦) في ك و ط (ثوبه).

(٧) **نافر**: أي غالب.
انظر: ترتيب القاموس ٤١٢/٤.

(٨) سقطت (رجلاً) من أ.

(٩) في ك و ط (فأتيا).

(١٠) الواحد منهم: كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار.
انظر: المصدر السابق ٣٦٣/١٣، مادة كهن.

أنيساً، فأتى بصرمتنا ومثلها معها. قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بثلاث سنين. قلت: لمن؟ قال: لله. قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاءً، حتى إذا كان من آخر الليل أُلقِيتُ كأني خِفَاء[1]، حتى تعلوني الشمس. فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني. فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث[2] علي[3]، ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة[4]، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء، فما يلتئم[5] على لسان أحد يقرى[6] بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر[7]، قال: فأتيت مكة فضعُفت[8] رجلاً منهم فقلت: أين هذا الذي

---

(١) **الخفاء**: هو الكساء الذي يغطي به السقاء (القربة).
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٣.
في ط (خفا).

(٣) أي أبطأ عليَّ.

(٢) في أ و ط (فرات) والصواب ما أثبتناه من ك. انظر: اللسان ٢/١٥٧، مادة: ريث.

(٤) الواحد منهم: كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار.
انظر المصدر السابق ١٣/٣٦٣، مادة كهن.

(٥) يلتئم، من الملاءمة، وهي الموافقة، أي لا يتوافق مع الشعر على لسان أي شاعر.
انظر: اللسان ١٢/٥٥٨، مادة لوم.

(٦) سقطت (يقري) من أ.

(٧) في ك و ط زيادة: «قال: نعم، وكن على حذر من أهل مكة، فإنهم قد سبقوا له وتجهموا».

(٨) في ط (فضفت) وهو تحريف، ومعنى: **استضعفته**: أي وجدته ضعيفاً فألقيت عليه السؤال.
انظر: المصدر السابق ٩/٢٠٣، مادة ضعف.

تدعونه الصابىء؟ فأشار إليّ فقال: الصابىء، فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة[1] وعظم حتى خررت مغشياً علي. . .» وذكر الحديث وصفة إسلامه ــ رضي الله عنه ــ بلفظ مسلم[2].

وفي حديث البخاري عن ابن عباس: أن أبا ذر أرسل أخاه، وقال: اعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتني[3] فيما أردت، فتزود وحملَ شَنه[4] له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد[5]. . .» وذكر تمام الحديث.

وعن جابر بن عبد الله قال الملأ[6] وأبو جهل: لبد غَلَبَنا أمر

---

(١) كان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ (صبأ) عنوا أنه: خرج من دين إلى دين، **المدرة**: واحدة المدر، وهو قطع الطين اليابس.
انظر: المصدر السابق ١٠٧/١، مادة صبأ. و ١٦٢/٥، مادة مدر.

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر. . . ١٧٣/٧ (٣٨٦١) من فتح الباري، بمعناه. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر، ١٩١٩/٤ (٢٤٧٣).

(٣) أصل استعمال الشفاء في البرء من المرض، ثم نقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس.
انظر: اللسان ٤٣٧/١٤، مادة شفى.

(٤) أي قربة خَلَقٌ (بالية) صغيرة.
انظر: ترتيب القاموس ٧٦٦/٢.

(٥) سبق تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٦) هم أشراف القوم، سمو بذلك لملاءتهم، بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة =

محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلمه، وأتانا[1] ببيان من أمره.

قال[2] عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، فما يخفى عليّ إن كان كذلك. فأتاه فلما خرج إليه قال أنت ـ يا محمد ـ خير أم هاشم[3]؟ وأنت[4] خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله[5]؟ فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا؟ فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة، فكنت رأسنا ما بقيت. وإن كان بك الباه[6]، زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت. وإن كان بك المال، جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعد[7]، ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ساكت لا يتكلم، فلما

= الرأي، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدر هيبة، والجمع «أملاء».
انظر: المصباح المنير ص ٥٨٠.

(١) في ك و ط (فأتانا).
(٢) في ط (وقال).
(٣) هو ابن عبد مناف بن قصي من كلاب أبو نضلة. وأمه: عاتكة بنت مرة بن هلال، تولى السقاية والرفادة، ومات بغزة وله ٢٠ سنة وقيل: ٢٥ سنة، وهو أول من مات من بني عبد مناف، وكان موسراً جواداً.
انظر: الكامل ١/٢٦٧ و٢/١٠؛ والبداية والنهاية ٢/٢١٠ و٢٥٣.
(٤) في ك و ط (أنت).
(٥) أي: والد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. مات وأم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حامل به.
انظر: السيرة لابن هشام ١/١١٤ و١٦٧.
(٦) الباه: النكاح والجماع.
انظر: ترتيب القاموس ١/٣٤٥.
(٧) في ك و ط (بعدك).

فرغ قرأ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

إلـى قولـه :

﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[1] .

فأمسك عتبة على فيه، وناشد[2] بالرحم[3] أن يكف، ورجع إلى أهله، فلم يخرج إلى قريش، فاحتبس عنهم عتبة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلاَّ قد صبأ[4] إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاَّ من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فأتاه أبو جهل فقال: يا عتبة ما حبسك عنا إلاَّ أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب، وأقسم أن لا يكلم محمد أبداً، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيءٍ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ . . . ﴾ .

---

(١) سورة فصلت: الآيات ١ ـ ١٣.

(٢) من (نَشَدتك) الله، وبالله (أنشدكِ) ذكّرتك به واستعطفتك، أو سألتك به مقسماً عليك.
انظر: المصباح المنير ص ٦٠٥.

(٣) **الرحم**: موضع تكوين الولد، ثم سميت القرابة والوُصْلَة من جهة الولاء (رَحِماً)، فالرحم: خلاف الأجنبي، وهو أنثى في المعنيين.
انظر: المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٤) في ط (صبى).

إلـى قولـه:

﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[1].

فأمسكت بفيه، وناشدتـه الرحم أن يكف، وقـد علمتم أن محمداً إذا قـال شيئاً لم يكـذب، فخفت أن ينـزل بكم العـذاب» رواه أبـو بكـر أحمد بن مردويـه[2]، في كتاب التفسيـر[3] عن محمد بـن فضيـل[4] عن الأجلح[5] عن الـذيال بن حـرملة[6] عنـه،

(١) سورة فصلت: الآيات ١ ــ ١٣.

(٢) هـو أحمد بن موسى بن مردويه بن فُوْرَك بن موسى بن جعفر الأصبهـاني، أبو بكـر. الحافظ المجود العلامة، محدث أَصْبهان ولـد سنة ٣٢٣هـ ومـات سنة ٤١٤هـ. لـه كتاب التفسير الكبير والتاريخ والأمالي والمستخرج على صحيح البخاري.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٣٠٨ ــ ٣١١.

(٣) لم يذكر د. سزكين شيئاً عن تفسير ابن مردويه سوى قوله: «ومنـه نقول في الإصـابة لابن حجر...»، ثم ذكر مواضعها هناك.
انظر: تاريخ التراث العربي م ١ ج ١/٤٦٣ (٣٠٣).

(٤) محمـد بن فضيل، هـو ابن غـزوان بن جـريـر الضبـي مـولاهـم، أبـو عبـد الـرحمن الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٩٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠٠ ــ ٢٠١؛ وتهذيب التهذيب ٩/٤٠٥ ــ ٤٠٦.

(٥) الأجلح هو عبد الله بن حجيَّة، ويقال: معاوية، الكندي، أبو حجيـة، ويقال، اسمـه يحيـى، والأجلح: لقب. وثقه ابن معين وغيره وضعفه آخرون، مات سنة ١٤٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/١٨٩.

(٦) الـذيال بن حـرملة، هو الأسـدي، كوفي، وثقـه ابن حبـان، قـال ابن حجـر: نسبـه البخاري.
انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمـة الأربعة: ١٢٢، لأحمـد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، دار الكتاب العربـي، بيروت.
في ك و ط (الدبال).

ورواه يحيى ابن[1] معين عن محمد بن فضيل، ورواه أبو يعلى الموصلي[2] في مسنده[3]، ورواه عبد بن حميد[4] عن شيخ أبي يعلى ابن أبي شيبة[5].

وفي بعض الطرق: «إن كنت تزعم أن هؤلاء خيراً[6] منك فقد عبدوا الآلهة. وإن كنت تزعم أنك خيراً[7] منهم فتكلم حتى نسمع» ورواه ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم[8] عن

---

(١) هو ابن عون الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات بالمدينة النبوية سنة ٢٣٣هـ وله بضع وسبعون سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٥٨.

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، الإمام الحافظ، الثقة، محدث الجزيرة. شيخ الإسلام. ولد سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٧هـ أثنى عليه وعلى مسنده كثير من الأئمة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٣ ــ ١٨٢؛ وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩.

(٣) مسند أبي يعلى بدأ في الآونة الأخيرة يخرج من عالم الكتب الخطية حيث قام كل من د. فالح الصغير والشيخ مسفر بن سعيد بن دماس والشيخ عبد الله بن حمود التويجري بالعمل على تحقيق أكثر المسند المذكور، على هيئة رسائل دكتوراه. ولعلهم أو بعضهم يكملونه، وقد قامت إحدى دور النشر بنشر عدة أجزاء منه بشيء من التحقيق.

(٤) عبد بن حُمَيد هو ابن نصر الكِسِّي، أبو محمد، قيل اسمه: عبد الحميد. ثقة، حافظ، مات سنة ٢٤٩هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٢٩؛ وتهذيب التهذيب ٦/٤٥٥.

(٥) هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي: أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي، ثقة، حافظ شهير، وله أوهام، وقيل كان لا يحفظ القرآن من الطبقة العاشرة. مات سنة ٢٣٩ هـ وله ٨٣ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٥١ ــ ١٥٤.

(٦) في ط (خير).

(٧) في ط (خير).

(٨) ويقال: ابن أبي زياد، ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد، المدني، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال اسم أبي زياد: ميسرة، ويقال =

محمـد بن كعب، قال: حُـدثت أن عتبة بن ربيعـة وكان سيـداً حليماً. . «وذكـر الحـديث إلى أن قـال ـ»: لمـا جلس إليهم قـالـوا: مـا وراءك يـا أبا[1] الـوليد؟ قـال: ورائي أني ـ والله ـ قد سمعت قـولاً ما سمعت بمثله قط، والله مـا هو بـالشعر ولا السحـر ولا الكهانـة، يا معشـر قريش أطيعـوني، واجعلوها[2] بـي، خلوا بين هـذا الرجـل وبين مـا هـو فيـه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب[3] فقد كُفيتمـوه بغيـركم، وإن يظهر على العـرب فملكه ملككم، وعـزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. فقالوا: سحرك[4] ـ والله ـ يا أبا الوليدَ بلسـانه، قال: هذا رأيـي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[5]. ثم ذكر شعر أبـي طـالب يمدح عتبة فيما قال[6].

= إنهمـا اثنان. قـال النسائي: ثقـة، وذكره ابن حبـان في الثقات، وقـال البخاري: لا يتابع على حديثه.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٦٤؛ وتهـذيـب التهذيب ١١/٣٢٨.

(١) سقطت ألف (أبا) من أ.
(٢) في ك و ط (واجعلوني).
(٣) من رماه فأصابه.
انظر: المصباح المنير ١/٣٥٠.
(٤) في ط (أسحرك).
(٥) السيرة لابن هشام ١/٣١٣ ـ ٣١٤.
(٦) في السيرة لابن هشام لم يذكر الشعر بعد الرواية، ولعل فيما يقصـده الشيخ المؤلف قصيدة أبـي طالب التي في السيرة ١/٢٩١ ـ ٢٩٩، وفيها قوله:

وسـائـل أبـا الـوليـد مـاذا حبـوتنـا ... بسعيـك فينـا معـرضـاً كـالمخـاتـل
وكنت امــرأ ممـن يعــاش بــرأيــه ... ورحـمتــه فـينـــا ولست بجـاهــل
فعتبـة لا تسمـع بنـا قـول كـاشـح ... حسـود كـذوب مبغض ذي دغــاول

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قدم ضماد[1] مكة وهو رجل من أزدشنوءة، وكان يرقي من هذه الريح[2]، فسمع سفهاء من[3] أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله أن يشفيه على يدي، قال فلقيت محمداً، فقلت: إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهلم[4]. فقال محمد[5]: «إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه[6]، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن[7] محمداً عبده ورسوله، أما بعد» قال:[8] فقال: أَعِدْ عَلَيَّ كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثلاث مرات، فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر[9].

---

(١) ضماد: هو ابن ثعلبة الأزدي، كان صديقاً للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الجاهلية، وكان رجلًا يتطبب ويرقي ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام.
انظر: أسد الغابة ٢/٤٣٨.

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون ومس الجن، وفي غير رواية مسلم: «يرقى من الأرواح»، أي الجن، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس، فهم كالروح والريح.
انظر: شرح النووي لمسلم ٩/١٥٧. م ٣.

(٣) ليس في ك و ط (من).

(٤) هلم: تعال. انظر: مختار الصحاح ص ٦٩٨.

(٥) هكذا في سائر النسخ، والذي في متن مسلم (رسول الله).

(٦) في ط زيادة (ونسترشده).

(٧) في ك و ط زيادة (أشهد).

(٨) سقطت (قال) قبل (فقال) من ك و ط.

(٩) في أ (تاموس السحر) هكذا، وفي ك و ط «قاموس البحر» وقد أثبتنا ما في متن صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٣ (٨٦٨) وما في شرح النووي له ٦/١٥٧ م ٣. قال النووي هما: ضبطناه بوجهين: أشهرهما: ناعوس ـ بالنون والعين، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس =

قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فقال: «وعلى قومك»، فقال: وعلى قومي، الحديث[1].

وعن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة[2] جاء إلى النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فقرأ[3] عليه من القرآن:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[4].

قال: أعد، فأعاد النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فقال: «والله إن له الحلاوة، وإن عليه لَطَلاوة[5]، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله

ــ بالقاف والميم ــ وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم، وقال القاضي عياض: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها: قاعوس ــ بالقاف والعين ــ وفي غيرها: تاعوس ــ بالتاء المثناة فوق ــ وفي أخرى: ناعوس ــ بالنون والعين ــ وقاموس البحر ــ وسطه أو لُجَّته أو قعره الأقصى.

(١) رواه مسلم بمثله، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٣/٢ ــ ٥٩٤ (٨٦٨).

(٢) هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها، كان قد حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هَرِم فعاداه وقاوم دعوته، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وله ٩٥ سنة.
انظر: الأعلام ١٢٢/٨ لخير الدين الزِّركلي ١٣٩٦هـ، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

(٣) في ك و ط زيادة (فقال اقرأ علي).

(٤) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٥) الطَّلاوة ــ بفتح الطاء وضمها ــ : الرونق والحسن والبهجة والقبول في النامي وغير النامي، والضم اللغة الجيدة، وهو الأفصح.
انظر: لسان العرب ١٤/١٥، مادة طلي.

لمغدق[1]، وما يقول هذا البشر».

وفي لفظ[2]: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: ولم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعوض مما قِبَلَه. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ[3] قومك أنك منكر لها[4] وأنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله[5] ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه[6] ولا بقصيده[7] مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لَطَلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليَحْطِم[8]

---

(١) المغدق: المطر الكبار القطر.
انظر: المصدر السابق ١٠/٢٨٣، مادة غدق.

(٢) في ك و ط زيادة (قال ابن عباس).

(٣) في ك و ط (ولا تبلغ) بدل قوله: (قولاً يبلغ).

(٤) في ك و ط (منكر له).

(٥) في ط (والله).

(٦) الرَّجزَ: ضرب من الشعر، وزنه: مستفعلن، ست مرات، سمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه. وزعم الخليل: أنه ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات، وأثلاث، والأرجُوزة: القصيدة منه، جمعه: أراجيز.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٠٦.

(٧) هكذا في ط، وفي أ و ك (قصيدة) وما أثبتناه أولى.
القصيد: ما تم شطر أبياته، وليس إلاَّ ثلاثة أبيات فصاعداً، أو ستة عشر فصاعداً.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٦٢٩.

(٨) من الحَطْم، وهو الكسر.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦٦٦.

ما تحته. قال: لا ترضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فـدَعْنِي حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يَأْثره عن غيره. فنزلت:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾[1].

رواه عبد الرزاق[2] عن مَعْمَر[3] عن أيوب[4] عن عكرمة عنه[5].

وفي رواية أخرى: «أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفـر من قريش، وكـان ذا سن فيهم، وقد حضـر الموسم فقـال: إن وفود العـرب ستقـدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هـذا، فأجمعـوا[6] فيه رأيـاً واحداً ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد بعضكم قول بعض، فقالـوا:

---

(١) سورة المدثر: الآية ١١.
رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٩/١٥٦، بنحوه.

(٢) عبد الرزاق: هو ابن همام بن نافع الحِمْيَـري، مولاهم، أبـو بكر الصنعـاني، الثقة، الشيعي، حافظ مصنف شهير، عميَ في آخـر عمره، فتغيـر، مات سنـة ٢١١هـ وله ٨٥سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٦٣ ــ ٥٨٠؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٠٥.

(٣) معمر: هو ابن راشد الأزدي، مولاهم، البصري، أبو عـروة، نزيـل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلَّا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، مات سنة ١٥٤هـ وله ٥٨ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٦؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣.

(٤) أيـوب، هو ابن أبـي تميمـة ــ كيسان ــ السختيـاني، أبـو بكـر البصـري، ثقـة ثَبْت حجة، من كبار فقهاء العُبَّاد. مات سنة ١٣١هـ وله ٦٥ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٨٩؛ وتهذيب التهذيب ١/٣٩٧.

(٥) أي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ.
تتبعت المصنف لعبد الرزاق فلم أوفق في العثور على هذا الحديث فيه.

(٦) أجمعوا، أي اتفقوا، من الإجماع.
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٣٠.

فأنت يا أبا عبد شمس[1] فقل، وأقم لنا رأياً نقوم به. فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع، فقالوا نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان، فما هو بزمزمة[2] الكهان. فقالوا نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه، فما هو بخنقه[3] ولا تخالجه[4] ولا وسوسته[5]. قالوا: فنقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه[6] وقريضه[7] ومقبوضه ومبسوطه[8]، فما هو

---

(١) هي كنية الوليد بن المغيرة.

(٢) **الزمزمة**: الصوت البعيد له دوي، وتراطن العلوج على أكلهم وهم صُمُوت، لا يستعملون لساناً ولا شفة، لكنه صوت تديره ـ أي العلوج ـ في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٧٦.

(٣) من الخُنَاق، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق.
انظر: اللسان ١٠/٩٢، مادة: خنق.

(٤) من تخلج المجنون في مشيته، أي تجاذب يميناً وشمالاً.
انظر: المصدر السابق ٢/٢٥٨، مادة خلج.

(٥) من الوَسْوَسة وهي الصوت الخفي.
انظر: المصدر السابق ٦/٢٥٤، مادة وسس.

(٦) **الهزج**: كل كلام متدارك متقارب، وبه سمي جنس من العروض.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٥٠٧.

(٧) **القريض**: اسم عام للشعر.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢٩.

(٨) **المقبوض**: من القبض في زحاف الشعر، وهو حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء، نحو النون في فعولن، أينما تصرفت، ونحو الياء من مفاعيلن، وكل ما حذف خامسه فهو مقبوض، وإنما سمي مقبوضاً ليفصل بين ما حذف أوله وآخره ووسطه. والمبسوط: هو البسيط: جنس من العروض، سمي به لانبساط أسبابه، قال أبو إسحاق: انبسطت فيه الأسباب، فصار أوله مستفعلن، ففيه سببان متصلان في أوله.
انظر: لسان العرب ٧/٢١٥ و ٢٦٠، مادة قبض. و: بسط.

بالشعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، قد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بِنَفْثه ولا عَقْده[1]. فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لَغَدِق، وإن فرعه لَجَنَى[2]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلَّا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلَّا حذروه إياه، وذكروا له أمره[3]. فأنزل الله ـ تعالى ـ في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

إلى قوله:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[4].

وأنزل في النفر الذين كانوا معه:

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾.

أي أصنافاً[5].

---

(١) **النفث والعقد**: فعل السحرة، عندما يعقدون عقداً في خيوط أو غيرها وينفثون عليها ويرقون الرقى السحرية. انظر: البحر المحيط ٨/٥٣١.

(٢) **الجنى**: على وزن الحصى، وهو ما يجنى من الشجر ما دام غَضّاً.
انظر: المصباح المنير ص ١١٢.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٨٨.

(٤) سورة المدثر: الآيتان ١١ ـ ٢٦.
سبب النزول، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٠٧، وقال: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي.

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/١٩٩ ـ ٢٠١.
انظر: لسان العرب ١٥/٦٨، مادة عضا.

وروى ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قام النضر بن الحارث[1] فقال: «يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر، ما ابتليتم[2] بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا ــ والله ــ ما هو بسحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم[3]، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر. لقد روينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه[4] ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا ــ والله ــ ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون، فما هو بخنقه ولا تخليطه[5]، يا معشر قريش، انظروا في

---

(١) **النضر بن الحارث**: هو ابن علقمة بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى: أبا قائد، وكان أشد قريش في تكذيب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس، ويخالط اليهود والنصارى، أسره المقداد يوم بدر، وأمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بضرب عنقه فقتله علي بن أبي طالب صبرا بالأُثيل (واد بنواحي المدينة) أو بالصفراء سنة ٢ هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٧؛ والكامل ٢/٤٩.

(٢) من الابتلاء، وهو الامتحان.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢.

(٣) من سجع الرجل كلامه ــ كما يقال نظمه ــ: إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر، ولم يكن موزوناً.
انظر: المصباح المنير: ص ٢٦٧.

(٤) في ك و ط (مخرجه).

(٥) من التخليط في الأمر، أي الإفساد فيه.
انظر: اللسان ٧/٢٩٢، مادة خلط.

شأنكم، فإنه ــ والله ــ لقد نزل بكم أمر عظيم»[١]. وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وينصب له العداوة[٢].

قال[٣]: وحدثني الزهري[٤] قال: حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان، والأخنس ابن شريق[٥]، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر، تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة

---

(١) أورده ابن هشام في السيرة ١/٣٢٠، بمثله.

(٢) المصدر السابق ١/٣٢١.

(٣) أي: ابن إسحاق.

(٤) الزهري، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة ١٢٥هـ، أو قبل ذلك بسنة أو سنتين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠٧؛ وسير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ ــ ٣٥٠.

(٥) اسمه: أُبَيّ بن عمرو بن وهب الثقفي أبو المغيرة أو أبو ثعلبة، حليف بني زهرة بن كلاب، قال ابن هشام: وإنما سمي الأخنس لأنه: خنس بالقوم يوم بدر، وهو من بني عِلَاج وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة. وتنسب له أبيات في رثاء عثمان بن عفان نسبها إليه: سيف بن عمر.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٠١ و٣/٣٣٧؛ والبداية والنهاية ٧/١٩٦.

الثالثة، فعلو كذلك، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق، أخذ عصاه، ثم أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا، والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف[1] الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَب، وكنا كَفَرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به ولا نصدقه أبداً»[2].

وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة، أن أبا جهل قال له مثل ذلك، وقال: إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي[3] قالوا: فينا الندوة[4]،

---

(١) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ ــ ١٤.

(٢) السيرة لابن هشام ١/٣٣٧. وقد أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٠٦ عن ابن إسحاق بهذا الإسناد ــ أيضاً ــ.

(٣) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهم عمرو وهاشم، والمطلب وعبد شمس ونوفل، وأولادهم.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢/١٤.

(٤) من النادي، وهو المجلس الذي يندو ــ أي يجتمع ــ إليه من حواليه، ولذلك سميت دار الندوة بمكة، كان إذا حدث بهم أمر نَدَوْ إليها، فاجتمعوا للمشاورة، فكان بنو قصي بمثابة رؤساء لمجلس الشورى أو (البرلمان) في مكة آنذاك.
انظر: معجم البلدان ٥/٢٧٩.

فقلنا: نعم. فينا الحجابة[1]. فقلنا: نعم. فينا السقاية[2]. فقلنا: نعم. وذكر نحوه[3].

وقد كانوا يرسلون[4] إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

قال: محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: «بَعَثَت قريش النضر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي معيط[5] إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: اسألوهم[6] عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول[7]، وعندهم عِلْمُ ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله،

---

(١) أي: حجابة الكعبة المعظمة، وهي سدانتها وتولي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها.
انظر: لسان العرب ١/٢٩٨، مادة حجب.

(٢) هي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها، ويسقى الحاج منه.
انظر: اللسان ١٤/٣٩٢، مادة سقي.

(٣) أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٠٧؛ وقد أوردها ابن كثير في السيرة ١/٥٠٧ ولم يعلق على إسنادها.

(٤) في ط (يرسلونه).

(٥) هو ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف ــ صبرا (وهو مأسور) وذلك يوم بدر، سنة ٢هـ كافراً. ويقال: قتله علي بن أبي طالب.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٥ ــ ٣٦٦.

(٦) سقطت الألف من (اسألوهم) في أ.

(٧) يقصدون التوراة.

وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: «سلوه عن ثلاث، نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقول[1]، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية[2] ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف[3]، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه. وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم».

فأقبل النضر وعقبة، حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأَخْبَرُوهم بها. فجاؤوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فقالوا: يا محمد: خَبِّرنا، فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: أخبركم، وجاءه[4] جبريل من الله بسورة الكهف، فيها خبر ما سألوه عنه، من أمر الفتية، الرجل الطواف، وقول الله:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[5].

---

(١) أي متكذب وقائل قولاً باطلاً.
انظر: جامع البيان للطبري ٦٦/٢٩.

(٢) جمع فتى، وهو الشاب الحدث، وهذا جمع قلة. وأما جمع الكثرة فهو (فتيان).
انظر: المصباح المنير ص ٤٦٢.

(٣) صيغة مبالغة من (طاف) بالشيء، أي استدار به.
انظر: المصدر السابق: ص ٣٨٠.

(٤) في ط (جاء).

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

قال ابن إسحاق: بلغني أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ افتتح السورة فقال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[1].

يعني محمداً، أنك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته:

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾.

أي أنزله قيماً: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه[2]، وذكر تفسير السورة إلى قوله:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾[3].

أي وما قدروا من قدري، وفيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حجتي، ما هو أعظم من ذلك[4].

قال[5] مجاهد: «ليس بأعجب[6] من آياتنا من هو أعجب من ذلك»[7].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١.
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥/١٩١ ـ ١٩٢ بالإسناد نفسه.
(٣) سورة الكهف: الآية ٩.
(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٩٧، حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، وذكره بنحوه.
(٥) في ك و ط زيادة (قال) ثانية.
(٦) في ك و ط زيادة (آياتنا) قبل قوله: (من آياتنا).
(٧) السيرة لابن هشام ١/٣٢١ ـ ٣٢٤، وبعضه بمعناه. وقد أورد بعضه ابن كثير في تفسيره ٥/١٣٢ ـ ١٣٤. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٢٦٩ ـ ٢٧١.

وفي تفسير العوفي[1] عن ابن عباس: «الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب، أفضل من شأن أصحاب الكهف»[2].

قلت[3]: والأمر على ما ذكره السلف، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإن مكثهم نياماً لا يموتون، ثلاثمائة سنة، آية دالة قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء، ليس كما يقوله أهل الإلحاد. وهي آية على معاد الأبدان كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ. . .﴾[4].

وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان.

وإخبار النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقصتهم من غير أن يُعَلِّمه بشر، آية على نبوته، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة، الإيمان بالله، واليوم الآخر، والإيمان برسوله[5]، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب، بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك.

---

(١) **العوفي**: هو عطية بن سعد بن جنادة الجدلي، الكوفي، أبو الحسن تابعي شهير، ضعيف، صدوق، يخطىء كثيراً، كان شيعياً مدلساً، من الطبقة الثالثة، مات سنة ١١١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٢؛ وميزان الاعتدال ٣/٧٩.
أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥/١٩٨ وأورده ابن كثير في تفسيره ٥/١٣٥.

(٢) أخرجه ابن جرير، في جامع البيان ١٥/١٩٨، حدثني محمد بن سعد، قال ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس، وذكره.

(٣) سقطت (قلت) من أ.

(٤) سورة الكهف: الآية ٢١.

(٥) في ط (رسله).

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه[1] عنها، ليعلموا[2]: هل هو نبي صادق أم كاذب؟ فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ...﴾[3].

وقال:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

إلى قوله:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

إلى قوله:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

إلى قوله[4]:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا

---

(١) في ك (يسألوه).

(٢) في أ (ليعملوا) وهو تحريف نَسْخي.

(٣) سورة الكهف: الآية ٨٣.

(٤) في ك و ط نقص في الآيات، وسقطت كلمة (إلى قوله).

عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها:
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾(٢).

أي يسألونك(٣) عن ذاك، ويسألونك عن هذا.

والقرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه أحد من البشر، إلاَّ من جهة الأنبياء، الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة، لا يؤخذ خبرها قط إلاَّ عن نبي كموسى ومحمد، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات(٤)، لا من أولياء الله(٥)، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم.

وأهل الملل متفقون على ما دل عليه العقل الصريح، من أن هذا

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٢) سورة الكهف: الآية ٨٣.
(٣) سقطت (عن) من ط.
(٤) قال عماد الدين الأموي «... ومنها الكشف: وهو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين».
انظر: حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ٢/٢٧٣.
(٥) أولياء الله، أي المطيعون لله.
انظر: المصباح المنير ٦٧٣.

لا يعلم إلَّا بخبر نبي. فإذا كان محمد[1] قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الأنبياء، وأخبر بما يعلمونه، مما لا يعلمه أحد إلَّا بالتعلم منهم، وقد عرف أن محمداً لم يتعلم هذا من بشر، كان هذا آية[2] وبرهاناً قاطعاً على نبوته. ثم العلم بأن محمداً لم يتعلم هذا من بشر يحصل في حياته[3]، أما قومه المباشرون له، الخبيرون بحاله فكانوا[4] يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر، فقامت عليهم الحجة بذلك، وأما من لم يعرف حاله إلَّا بالسماع فيعلم ذلك بطرق:

منها: تواتر[5] أخباره، وكيف كان؟ من حين ولد، إلى أن مات، كما هي مستفيضة مشهورة[6] متواترة، يعلمها من كان[7] له خبرة بذلك، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى، فإن محمداً ظهر أمره، وانتشرت أخباره، وتواترت أحواله، أعظم من جميع بني آدم، فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفى على الناس، فكيف مثل هذا؟!

ومنها: أنه[8] أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب، مثل

---

(١) في أ و ك (محمداً) وقد صوبناه من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (بينة).

(٣) في ك و ط (بوجوه).

(٤) في ك و ط (وكانوا).

(٥) الخبر المتواتر، هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، بأن يكونوا جميعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره.
انظر: تدريب الراوي ٢/١٧٦.

(٦) قيل هما بمعنى واحد، أي المستفيض والمشهور، وهو الخبر الذي تزيد نَقَلَتُه على ثلاثة، سمي بذلك لوضوحه أو لانتشاره.
انظر: المصدر السابق ٢/١٧٣.

(٧) سقطت (كان) من ك و ط.

(٨) في ك و ط زيادة (قد).

قصة هود، وصالح، وشعيب، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وعيسى، مثل تكليم المسيح في المهد[1]. ومثل نزول المائدة، فإن هذا لا يعرفه أهل الكتاب، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك، فيمتنع أن يقال: إن هذا تعلمه من أهل الكتاب، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك، بل قد أراهم[2] وغيرَهم آثار المنذَرين، الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل، كقوم عاد وثمود وغيرهم.

فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل، وعقوبة الله لمن يكذبهم. ويستدل قومه وغيرهم[3] على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور، التي لم يتعلمها من أهل الكتاب، بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم، ويكون هذا مما يدل على أنه لم يتعلم[4] من أهل الكتاب شيئاً[5]، كما قد يظنه بعضهم، وذلك من الوجهين كما تقدم.

ومنها: أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له، وحرصاً على تكذيبه والطعن فيه، وبحثاً عما به يقدحون فيه. فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر، لكانوا يعلمون ذلك، ويقدحون به فيه، ويظهرونه، ولكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره. فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه، مع

---

(١) المهد: فراش الصبي.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٣٨.
(٢) في ك و ط (رأواهم).
(٣) في أ (وغيره) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٤) في ك و ط زيادة (ذلك).
(٥) سقطت (شيئاً) من ك و ط.

علمهم بحاله، ورغبتهم في القدح به[1]. ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور. فلما كان داعيهم تاماً، ولم يقدحوا، علم أن ذلك لعجزهم. وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله: دليل على أنهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر.

ومنها: أن يقال: مثل هذا لو وقع، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم[2] والدواعي على نقله[3]، بل كان المتبعون له المؤمنون به، إذا اطلعوا على ذلك فلا بد أن يشيعوه ويعلنوه، فكيف المخالفون له، المكذبون له؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطأوا، كما لا يجتمعون على تعمد الكذب، فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك، بل يجتهد الملوك والرؤساء في إخفاء ما يبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه، ويُحَلِّفون أولياءهم على كِتمان ذلك، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك، ثم يظهر ذلك، كما فعل القرامطة الباطنية[4]، من أهل

---

(١) في ك و ط (فيه).

(٢) من هم بالشيء، يَهمُّ هَمّاً: نواه وأراده وعزم عليه.
انظر: اللسان ٦٢/١٢، مادة: همم.

(٣) في ك و ط زيادة كلمة (ويشيع).

(٤) هم من الإسماعيلية، وهم أصحاب قِرمط، وكان ظهوره سنة ٣٧٠هـ، وقيل إن قرمط اسم لقرية من قرى واسط، منها (حمدان) الذي اخترع ما عليه القرامطة، وهو قرمطي، وأتباعه كذلك، وكان ظهوره فيها، ومذهبهم: أن إسماعيل بن جعفر، خاتم الأئمة، وهو ـ في زعمهم ـ حي لا يموت، ويقولون بإباحة المحرمات ـ قاتلهم الله ـ.

انظر: التحفة الاثني عشرية: ١٧.

البحـرين[١] بني[٢] عبيد الله بن ميمـون القداح[٣]، وكمـا عرف النـاس أن النصيرية[٤] لهم خـطاب يسـرونـه إلى أوليائهم وإن لـم يعلم أكثـر الناس ما ذلك الخطاب الذي يسرونه.

لا سيمـا والذين آمنـوا بحمده واتبعـوه ــ أولاً ــ من المهاجـرين، كانوا مؤمنين به باطنـاً وظاهـراً، هجروا لأجله الأوطـان والأهل والمـال، وصبروا على أنواع المكاره والأذى: طائفة[٥] كبيرة ذهبت إلى الحبشـة،

(١) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعُمان من جـزيرة العـرب، وعُمان: آخرها ومدينتها هَجَر، وبينها وبين البصرة ١٥ يوماً، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر. أي ٥٠٠ كلم في الأول و١٠٠٠كلم تقريباً وهي منطقة الأحساء حالياً.
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٦٧.

(٢) (بني) معطوف على المجرور (أهل).

(٣) هم الفاطميون ــ الأدعياءالكذبة ــ ، والقداح، هو أبو محمـد، المدعي أنـه علوي، وتلقب بـالمهدي، وقـد اختلف في نسبه اختـلافـاً كثيـراً جـداً، حتى قيـل: إن أبـاه يهـودي، صبـاغ بسلميـة، وإنمـا لقب بعبيـد الله: زوج أمـه، الحسين بن أحمـد بن ميمـون القداح، وقـد بنى المهديـة، ومات بهـا سنة ٣٢٢هـ، ولـه ٦٣سنة، وكـانت ولايته على أفريقية ٢٤ سنة، ولما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده: أبو القـاسم، الملقب بالخليفة القائم بأمر الله، وكتم موت أبيه لمدة سنة.
انظر: البداية والنهاية ١١/١٧٩ ــ ١٨٠.

(٤) هم أتبـاع (نصير) غـلام علي بن أبـي طالب، الـذين ألهوا علياً ــ رضي الله عنـه ــ وعلى هـذا فهم طائفـة من غلاة الشيعـة، حيث زعموا أن الـروح الإلّهية ظهـرت في علي ــ رضي الله عنه ــ كما ظهر جبريل ــ عليه السـلام ــ بصورة بشـر، وكما ظهـر الشيـطان بصـورة إنسـان، ويـزعمـون أن عليـاً يسكن السحـاب، ويـرون التخميس والحجـاب والبـاب، وحب ابن ملجم، وتنـاسـخ الأرواح وتعـظيم الخمـر وشجـرة العنب، وبينهم الخطاب السري، ويبيحون الزواج من البنات والأخوات والأمهـات، ويعتقدون بالاسم والمعنى والأيتام الخمسة.
انظر: دراسات في الفرق: ٣٨ ــ ٤٦، د. صابر طعيمة، مكتبة المعارف بـالريـاض ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٥) في ك و ط (فطائفة).

مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه[1]. وطائفة كانوا بمكة يُعذبون: هذا يقتل[2]، وهذا يخرج به إلى بطحاء مكة في الحر، وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر[3]، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعاً عرياناً[4].

ثم إنهم هجروا أحب البلاد إليهم، وأفضلها عندهم: مكة ـ أم القرى ـ إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها، وتركوا أموالهم بمكة، قال ـ تعالى ـ:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ . . . ﴾[6].

---

(١) منهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير ـ رضي الله عنهم ـ.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٣٤٤.

(٢) كما قتلت سمية أم عمار بن ياسر.
انظر: المصدر السابق ١/٣٤٢.

(٣) في ك و ط زيادة (فلا يكفر).
انظر: المصدر السابق ١/٣٤٣.

(٤) في ط (عرباناً) وهو خطأ مطبعي.

(٥) سورة الحشر: الآية ٨.

(٦) سورة الحج: الآيتان ٣٩ ـ ٤٠.

وقال[1] ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2].

وقـولـه[3]:

﴿ . . . يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ . . . ﴾[4].

وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعاً واختيـاراً، قبل أن يؤمـر أحد بقتال.

فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة، لا يقاتل أحداً، ولم يؤمر بقتال، بل كان لا يُكْرَه أحد على الدين كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ . . . ﴾[5].

وكانوا خلقاً كثيراً، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعـوا شخصاً، قد جاء بدين لا يوافقه عليه[6] أحـد، وطلب منهم أن يؤمنوا بـه ويتبعوه، ويفارقوا دين آبـائهم، ويصبروا على عـداوة الناس وأذاهم، ويهجـروا[7] لأجله مـا ترغب النفـوس فيه، من الأهـل، والمال، والوطن، وهو ـ مع

(١) في أ اتصلت الآية اللاحقة بالسابقة بدون فصل عند قوله:
﴿ . . . من ديارهم. . . ﴾.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.
(٣) في ك و ط (وقال).
(٤) سورة الممتحنة: الآية ١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
(٦) في ك و ط زيادة (في زمانه).
(٧) في ك و ط (هجروا).

ذلك ـــ لم يعط أحداً منهم مالاً، ولا كان له مال يعطيهم إياه، ولا ولى أحداً ولاية[1]، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها، ولا أكره أحداً ولا بقرصة في جلده، فضلاً عن سوط أو عصا، أو سيف. وهو ـــ مع ذلك ـــ يقول عما يخبرهم به من الغيب: «الله أخبرني به، لم يخبرني بذلك بشر»[2].

فلو كانوا ـــ مع ذلك ـــ يعلمون أن تعلمه من بشر، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض. ويمتنع[3] في جِبِلَّة[4] بني آدم وفطرهم، أن يعلموا أنه كاذب، وأنه قد تعلم هذا من بشر، وليس فيهم من يخبر بذلك، مع أنهم كانوا كثيرين، لا يمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان، بل ولا داعي لهم، يدعوهم إلى ذلك. ويمتنع أن لا يعلموا ذلك، وهم بطانته[5] المطلعون على أحواله، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله.

والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً، لم ينزل جملة، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب، بين الذين آمنوا به، وباطنوه، واطلعوا على أسراره، وهو لا يعلم شيئاً من ذلك، ثم يخبرهم به[6]، وهم مطلعون على أمره، خبراً بعد خبر، وسؤالاً بعد سؤال، وهذا كان

---

(١) أي: لم يقلد أحداً عملاً وحكماً ولا إمارة. انظر: مختار الصحاح: ٣٣٧.

(٢) هذا معنى ما ورد في الكتاب والسنة، من إثبات نبوته ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ وإيحاء الله ـــ تعالى ـــ له، ونفي تلقيه عن غيره ـــ عز وجل ـــ.

(٣) في ط (وتمتنع).

(٤) أي: خِلْقَة.
انظر: مختار الصحاح ص ٩٢.

(٥) هم: ولِيجَته وخواصه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧.

(٦) سقطت (به) من ط.

بمكة، وليس بها أحد من علماء أهـل الكتاب، لا اليهـود ولا النصارى، ثم هاجر إلى المـدينة وبهـا خلق كثير من اليهـود: قينقاع[1] والنضيـر[2] وقريظة، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها، أو أقل أو أكثر، وهم ـ أيضاً ـ يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلاَّ نبـي، فيخبرهم بهـا، ويتلو عليهم مـا سألـه عنه المشركون من الغيب، ومـا أخبـرهم بـه، ويتلو عليهم هـذا الغيب الذي أوحاه الله[3] إليه، ويبين أن الله أعلمه ذلـك، لم يعلمه إيـاه بشر، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى، والطائفتان ليس فيهم من يقول: إن هذا تعلمـه منا، أو من إخـواننا، أو نـظرائنا، ولا إنك قرأته في كتبنا، مع أنه لـو كان قـد تعلم ذلك منهم، لكـان شيوخـه منهم، وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم يمتنع أن يصدقوه باطناً وظاهراً، بـل تصديقهم الكتـاب الأول، وعلمهم بكذب من ادعى نـزول كتابٍ ثانٍ، وقد تعلم منهم، يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهـروا كذبـه، ويقـولوا للنـاس: تعلم منا نحن أخبـرناه بـذلـك. لا سيمـا مـع مـا فعله باليهود: من القتل والحصار والجلاء[4] والسبـي، وغير ذلك.

وهـذا لو وقـع، لكان من أعـظم ما تتـوفر الهـمم والـدواعي على نقله، ينقلُه المـوافق والمخالف. فلمـا لم يقل[5] ذلـك أحـد، ولم ينقله أحد، مع ما أظهره من الأخبار[6] المتواتـرة، التي علمها الخـاص والعام،

---

(١) في ط (يهود بني قينقاع).
(٢) الذي فـي ط تقديم (قريظة) على (النضير).
(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ ولا ك.
(٤) **الجلاء**: هو الخروج من البلد والإخراج ـ أيضاً ـ.
انظر: مختار الصحاح ص ١٠٨.
(٥) في ك و ط (ينقل).
(٦) في ك و ط زيادة (المستفيضة).

بأن هذا مما أنبأني الله، لم يخبرني به بشر، كان هذا دليلاً قاطعاً بيناً، في أن هذه الأخبار الغيبية، التي لا يعلمها إلَّا نبي، أعلمه الله بها، أو من تعلَّمها من نبي[1]: هي مما أنبأه الله به، ولم يُعلِّمه ذلك بشر، وهذا من الغيب، الذي قال الله فيه ـ في السورة التي[2] فيها استماع الجن للقرآن، وإنذار قومهم به حيث قال ـ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾[3]﴾.

إلى قوله:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ[4] لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا[5] ﴿٢٥﴾

---

(١) في ك و ط زيادة (أعلمه الله بها) علاوة على العبارة الأولى المشابهة.

(٢) في ك و ط زيادة: (ذكر).

(٣) تعالى جد ربنا: أي تعالت عظمة ربنا وجلاله. صاحبة: أي زوجة.
انظر: صفوة التفاسير ٢٩/٤٥٨.

(٤) **لبدا**: أي كاد يركب بعضهم بعضها من شدة الازدحام. **ملتحداً**: أي ملجأً ونصيراً. **بلاغاً**: أي إلَّا إذا أبلغت رسالة ربي، ونصحتكم وأرشدتكم، فحينئذ يجيرني ربي من العذاب.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٦١.

(٥) **أمداً**: أي بعيد له مدة طويلة. رصداً: أي ملائكة وحرساً.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٦١ ـ ٤٦٢.

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [١].

فقوله ــ تعالى [٢] ــ :

﴿ . . . فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ . . . ﴾ [٣].

يبيِّن أنه غيب يضاف إليه يختص به، لا يعلمه أحد إلَّا من جهتـه، بخلاف ما يغيب عن بعض النـاس ويعلمه بعضهم، فـإن هذا قـد يتعلَّمه بعضهم من بعض [٤].

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل، وهي غير المسائل التي كان يُسأل عنهـا وهو بمكـة، كما كـان مشركـوا قريش يـرسلون إلى اليهود بالمـدينة، يسـألونهم [٥] عن محمـد، فيرسـل [٦] اليهود بمسـائل، يمتحنون بها نبّـوته، وذلـك مثل مـا في صحيح البخـاري عن أنس قال: «جاء عبد الله بن سلَّام إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مَقْدَمَـه

(١) سورة الجن: الآيات من ١ ــ ٣، ومن ١٩ ــ ٢٨.

(٢) ليس في ط كلمة التقديس.

(٣) في ط زيادة قوله ــ تعالى ــ : (أحداً).

(٤) في ك و ط زيـادة إتمام السـورة الكريمـة. ثم جاء بعـدها: فهـذه أنباء الغيب، التي أوحـاهـا إليـه، هي من الغيب الـذي لا يـظهـر الله عليـه أحـداً، إلَّا من ارتضى من رسـول، فإنـه يسلك من بين يديـه ومن خلفه رصـداً، يرصـدون من يأتيـه من إنسي وجني، فيدفعونه:

﴿ . . . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم . . . ﴾.

(٥) في أ و ك (يسألوهم) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٦) في أ (يرسلون) وفي ك (يرسلوا) والأولى ما اخترناه من ط.

المدينة[1] فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاَّ نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، والولد ينزع[2] إلى أمه تارة وإلى أبيه»[3]. قال: «أخبرني جبريل آنفاً». قال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، «أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة[4] كبد حوت[5]. وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة، نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه» فقال: «أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنك رسول الله» قال: يا رسول الله: إن اليهود قوم بُهْت[6]، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك. فجاءت اليهود، فقال لهم النبي[7] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله»؟ قالوا أعاذه[8] الله من ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إلٓه إلاَّ الله، وأشهد

---

(١) مقدمه: وقت مجيئه من الهجرة إلى المدينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢٤.
(٢) أشراط: جمع شرط، وهو: العلامة. ينزع: أي يذهب في الشبه.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٣٤ ــ ٦٥٤.
(٣) في ط زيادة (تارة) مرة ثانية.
(٤) الزيادة: هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم غاية في اللذة.
انظر: فتح الباري ٢٧٣/٧.
(٥) في ك و ط (كبد الحوت).
(٦) بُهْت: جمع بهيت، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.
(٧) في ك و ط (رسول الله).
(٨) أي: عصمه.
انظر: اللسان ٤٩٩/٣. مادة: عوذ.

أن محمداً رسول الله. فقالوا: «شرنا وابن شرنا» وتنقصوه. قال[1]: فهذا ما كنت أخاف وأحذر[2].

وروى مسلم ـ في صحيحه ـ عن ثوبان، قال: «كنت قائماً عند رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فجاء حَبْر من أحبار اليهود وقال[3]: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ قال: قلت ألا تقول: يا رسول الله؟ قال: إنما سميته باسمه الذي سمّاه به أهله. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: إن اسمي الذي سمّاني به أهلي محمد. فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ينفعك شيء إن حدَّثتك»، قال: أسمع بأذني، فنكت[4] بعود معه. فقال له: «سل». فقال اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «في الظلمة دون الجِسْر»[5]، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين». فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون؟ قال: «زيادة كبدنون[6]». قال: وما غذاؤهم

---

(١) في ك و ط (فقال).

(٢) في ط (واحذره).

(٣) رواه البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب، حدثني حامد بن عمر. . ، ٧/٢٧٢ (٣٩٣٨) من فتح الباري. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٠٨.

(٤) في أ (نكث)، وقد أثبتنا ما في الصحيح.

(٥) أي: الصراط. إجازة: أي عبوراً وجوازاً. تحفة: ما يخص به الرجل ويهدي إليه ويلاطف.
انظر: شرح النووي لمسلم ٣/٢٢٧.

(٦) أي: الحوت، وجمعه: نينان.
انظر: المصدر والموضع السابق.

على إِثْرِه؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً». قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلَّا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك». قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا[1] بإذن الله، وإذا علا مني المرأة[2] مني الرجل آنثا بإذن الله»، فقال اليهودي: صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف. فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إنه سألني هذا الذي سألني عنه، وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني به الله ــ تعالى ــ»[3].

وروى أبو داود الطيالسي[4]، حدَّثنا عبد الحميد بن بهرام[5]، عن

---

(١) في ط (ذكراً).

(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت كلمتا (مني المرأة) من أ فأكملناه منهما.

(٣) في ك و ط زيادة: «رواه عبد بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس، عن عبد الحميد، عنه».
مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة... **٢٥٢ (٣١٥)**.

(٤) هو سليمان بن داود بن الجارود، الفارسي ثم الأسدي ثم الزبيري، مولى آل الزبير بن العوام، الحافظ الكبير، البصري، صاحب المسند، أثنى عليه كثير من الأئمة، وأخذ عليه عدم التحديث من أصله ــ أي من كتاب ــ وأنه غَلَطَ في عدة أحاديث، وقد استشهد به البخاري في موضع واحد من كتابه، مات سنة ٢٠٤هـ بعدما عمر طويلاً.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٣٧٨ ــ ٣٨٤؛ وتقريب التهذيب ١/٣٢٣.

(٥) هو: الفزاري المدائني، صاحب شهر بن حوشب، وثقه أبو داود ويحيى بن معين، مات قبل سنة ١٧٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٣٣٤ ــ ٣٣٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٦٧.

شَهْـر بن حوشب[1]، عن ابن عبـاس، قال: حضـرت عصابـة من اليهود يوماً إلى النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: يا رسـول الله، حدِّثنـا عن خِلال نسألـك عنها، لا يعلمهـا إلَّا نبـي. فقال: «سلوني عمَّ شئتم، ولكن إجعلوا لي ذِمَّـة[2] الله، ومـا أخـذ يعقـوب على بنيـه[3]، إن أنـا حدَّثتكم بشيء تعرفـونه صـدقاً، لتتـابعوني على الإسـلام». قالـوا: لك ذلك. قل: «فسلوني عمَّ شئتم» قالوا: أخبـرنا عن أربـع خلال؛ أخبـرنا عن الـطعام الـذي حرَّم إسـرائيل على نفسـه من قبل أن تُنَـزَّل التـوراة. وأخبرنا عن ماء الرجل: كيف يكون الذكر منـه حتى يكون ذكـراً، وكيف يكـون الأنثى حتى يكون أنثى. وأخبـرنا كيف هـذا النبـي في النوم، ومن وليك[4] من الملائكة؟ قال: «فعليكم عهد الله وميثاقه، لئن أنا حـدثتكم لتتابعوني». فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال. «أنشدكم بالذي أنـزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسـرائيل ــ يعقـوب ــ مرض مـرضاً شديداً، طال سقمه فيه، فنـذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه: ألبـان الإبل، وأحب الطعام إليه: لحوم الإبل». قالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «اللهم اشهد عليهم». قال: «فأنشـدكم

(١) هـو أبو سعيـد الأشعري الشـامي، مولى الصحـابيـة أسمـاء بنت يـزيـد بن السكن الأنصارية، كان من كبار علمـاء التابعين، قـرأ القرآن على ابن عبـاس، وثقه الإمـام أحمد والعِجْلي ويحيى بن معين، مات سنة ١٠٠هـ وله ٨٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٧٢ــ ٣٧٨؛ وتهذيب التهذيب ٤/٣٦٩.

(٢) ذمة: عهد. انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٦٨.

(٣) لعله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يقصد ما ذكره ــ تعالى ــ:
﴿**قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به، إلَّا أن يحـاط بكم، فلما آتوه موثقهم، قال: الله على ما نقول وكيل**﴾ [سورة يوسف: الآية ٦٦].

(٤) في ك و ط (الأمي في التوراة ومن وليه).

بالله، الذي لا إله إلاَّ هو، الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان الولد والشبه له ـ بإذن الله ـ». قالوا: اللهم نعم. فقال: «اللهم اشهد» قال: «أنشدكم بالله، الذي لا إله إلاَّ هو، وأنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه». قالوا: اللهم نعم. قال[1]: «اللهم اشهد». قالوا: أنت الآن: حدِّثنا من وليك[2] من الملائكة، فعندها نجامعك[3] أو نفارقك. قال: «وليي جبريل ـ عليه السلام ـ ولم يبعث الله نبياً قط إلاَّ وهو وليه» قالوا: فعندها نفارقك، لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك. قال: «فما يمنعكم أن تصدقوا[4]؟» قالوا: إنه عدونا من الملائكة. فأنزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿... [5] مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا [6] ...﴾.

إلى قوله:

﴿... فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[7].

---

(١) في أ (قالوا) وهو تحريف نسخي.

(٢) أي: نصيرك.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٦٥٨.

(٣) نجامعك: أي نجتمع بك ونتفق معك.
انظر: المصدر السابق ١/٥٣٠.

(٤) في ط (تصدقوا به).

(٥) في ك و ط (قل).

(٦) في ك و ط زيادة (لما بين يديه).

(٧) سورة البقرة: الآيتان ٩٧، ٩٨.
رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٣٥٦ (٢٧٣١). مصور عن الطبعة الأولى بحيدر =

ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها: لا يعلمها إلاَّ نبي: أي ومن تعلمها من الأنبياء، فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء ـ أيضاً[1] ـ: «لا يعلمها إلاَّ نبي أو رجل أو رجلان». فكانوا[2] يمتحنونه بهذه المسائل، ليتبين: هل يعلمها؟ وإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلاَّ نبي كان نبياً. ومعلوم أن مقصودهم بذلك أنما يتم إذا علموا أنه لم يعلم[3] هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم. وإلاَّ فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس، لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء.

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب، كانوا يعلمون أن أحداً من البشر لم يُعَلِّمه ما عند أهل الكتاب من العلم، إذ لو جوزوا[4] ذلك عليه، لم يحصل مقصودهم من امتحانه. هل هو نبي أم لا[5]؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم ما لا يعلمه إلاَّ نبي من أهل الكتاب، كان من جنسهم، فلم يكن في علمه بها[6] وإجابتهم[7] عنها دليلاً[8] على نبوّته.

فلا بد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل

= آباد الدكن بالهند، ١٣٢١هـ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق بيروت. وإسناد هذا الحديث رجاله موثقون، كما مر بنا في تراجمهم.

(١) أي في الحديث السابق عند الطيالسي.

(٢) في ك و ط (وكانوا).

(٣) في ك و ط (يتعلم).

(٤) في أ (جوزو) وهو نقص إملائي.

(٥) في ط (أو لا).

(٦) في ك و ط (علمهم بها) بدون (في).

(٧) في ك و ط (أحاديثهم).

(٨) في أ و ك (دليل) والأصوب ما أثبتناه من ط.

الكتـاب. وهذا كـان بالمـدينة بعـد أن أقام بمكـة بضع عشـرة[1] سنـة. وانتشر أمره، وكذَّبه قومه، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه. فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتـاب يتعلم منه، أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلَّم منه، لكان ذلك يقدح في مقصـود هؤلاء السائلين.

فتبيَّن أنه كان معلوماً عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر ــ لا سيما ــ ولو كان قـد تعلمه من أهـل الكتاب ــ وقـد كذبهم وحـاربهم ــ لأظهـروا ذلـك، ولشـاع في أهــل الكتـاب، فكــان[2] إذا أجابهم، قالـوا: هذا تعلَّمتـه من فلان، وفـلان منا، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا. وهذا كما كانوا يـرسلون إلى قومـه: من قريش، ليسـألوه عن مسائل، ويقولون: إن أخبـركم بهنَّ فهو نبـي مـرسل، وإلَّا فهـو متقوِّل. ويقولون: سلوه عن مسائل لا يعلمها إلَّا نبـي.

فهذا من أهل المدينة، ومن قريش قومه، يبيِّن أن قومـه المشركين وأهـل الكتاب كـانوا متفقين على أنـه لم يتعلم شيئاً من ذلـك البشر، إذ لـو جوزوا ذلـك لم يحصـل مقصـودهم بـذلـك، ولم يجـز أن يقـولـوا: لا يعلمها إلَّا نبـي. فإنهم كـانوا جميعـاً يعلمون أن من أهـل الكتاب من يعلم[3] هذه المسائل، وبذلك يُعْرف هل يجيب فيها بمـا قالتـه الأنبياء، أو بخلاف ذلك؟ ويعلمون أن من كان تعلمها[4] من أهل الكتـاب، ومن تعلم منهم، لا يـدل جوابـه عنها على نبـوّتـه، كمـا لـو أجـاب عن تلك

---

(١) في ك و ط (عشر).

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) في ك و ط (تعلم).

(٤) في ك و ط (يعلمها).

المسائل بعض أهل الكتاب، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض[1] المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب، التي لا يعلمها إلّا نبي، فإن ذلك لا يدل على نبوّته، لأنه قد تعلَّم ذلك من الأنبياء.

فدلَّ على أن مرادهم بقولهم: لا يعلمها إلّا نبي: أي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم من[2] بشر إلّا نبي، ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعاً متفقين على أنه لم يتعلم من بشر، مع انتشار أخباره. ومع اطلاع قومه على أسراره، ومع ظهور ذلك ـ لو وجد ـ ومع أنهم لو جوزوا تجويزاً أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن، لم يجز أن يُستدل بها على نبوّته، فدلّ على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر، لا في الباطن، ولا في الظاهر، وهذا طريق بيِّن، يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر، سوى الطرق المذكورة هنا.



---

(١) زيادة اللام في (بعض) تدل على أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ يرى جواز تعدية الفعل بالجار ولو كان متعدياً، حيث أن الفعل (سأل) متوفرة فيه علامتا المتعدي وهما: صحة اتصاله بهاء ضمير غير المصدر وإمكان أن يبني منه اسم مفعول تام.
انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ٢٧٥.
هذا مع احتمال أن تكون اللام زيادة نسخية، بالرغم من اتفاق جميع النسخ عليها، حتى نسخة أكسفورد.

(٢) ليس في ك و ط (من).

فصل

جلاء آيات النبوة وتنوعها وكثرتها

ولما كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً إلى جميع الثقلين: جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم. وهو خاتم الأنبياء ـ لا نبي بعده ـ كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه، أن تكون آيات نبوته، وبراهين رسالته، معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء.

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية، ما يبين به أن القرآن حق، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ[1] بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

أخبر ـ سبحانه ـ أنه سيري عباده[3] الآيات في أنفسهم، وفي الآفاق، حتى يتبين لهم أن القرآن حق، فإن الضمير عائد إليه، إذ هو

(١) **شقاق**: عداوة. **الآفاق**: أقطار السموات والأرض. **شهيد**: مطلع على كل شيء لا تخفى عنه خافية.
انظر: صفوة التفاسير ١٢٨/٢٤ ـ ١٢٩.

(٢) سورة فُصِّلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) في ك و ط (العباد).

الذي تقدم ذكره، كما قال:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

والضمير في (كان) عائد إلى معلوم.

يقول أرأيتم إن كان القرآن من عند الله، ثم كفرتم به، من أضل ممن هو في شقاق بعيد. فإنه على هذا التقدير، يكون الكافر[2] في شقاق بعيد، قد شاق الله ورسوله، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق، حيث كان في شق[3]، والله ورسوله في شِق، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ[4] وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٢) سقطت (الكافر) من أ.

(٣) أي: جانب. انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٣٨.

(٤) جمع سبط، وهم القبيلة من اليهود. وهم أولاد يعقوب النبي ــ عليه السلام ــ وسموا بذلك من السَّبْط: وهو التتابع، أو من السَّبَط: وهو الشجر، مفرده: سبطة، شبهوا بالشجر لكثرتهم، وعددهم اثنا عشر قبيلة من اثني عشر ولداً، هم أولاد يعقوب، وهم ستة أشقاء: رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون، وأما يوسف وبنيامين، وكذلك: دان ونفتالي، وكذا: جاد وأشير فكل اثنان منهم شقيقان. انظر: ترتيب القاموس ٢/٥١٠؛ وسفر التكوين، الإصحاح التاسع والعشرون: ٣١ ــ ٣٥ والإصحاح الثلاثون: ١ ــ ٢٤ العهد القديم: ٤٢ ــ ٤٣. والبداية والنهاية ١/١٩٥.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦ ــ ١٣٧.

بيَّن أن من تـولى عن ذلك، لم يكن متبعـاً للحق قاصـداً له، فـإن هذا الذي قلتموه، لا يتولى عنه من أهل الكتاب من قَصْدُه الحق، وإنمـا يتولى عنه من قصده المشاقـة والمعاداة، لهـوى نفسه، وهـذا يكفيك الله أمره.

والقرآن إن كان من عند الله، ثم كفر به من كفر، فـلا أحد أضـل ممن هو في مثل حاله، إذ هو في شقاق بعيـد. وإن قُدِّر أنـه لم يعلم أنه حق، فهو ضال. والشقاق قد يكون مع العنـاد، وقد يكـون مع الجهـل، فإن الآيات إذا ظهرت، فأَعْرَض عن النظر الموجب للعلم، كان مشـاقاً، ولهذا قال عقب[1] ذلك:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2].

فـأخبر أنـه سيُري عبـاده من الآيات الأفقيـة والنفسية، مـا يبين أنه حق، ثم قال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[3].

فـإن شهادتـه وحده كـافية بـدون ما ينتـظر من الآيـات، كمـا قـال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4].

وشهادته للقرآن ولمحمد، تكون بأقواله التي أنزلها قبـل ذلك على أنبيائه كما قال ــ تعالى ــ عن أهل الكتاب:

(١) في ك و ط (عقيب).
(٢) سورة فصلت: الآية ٥٤.
(٣) سورة فصلت: الآية ٥٤.
(٤) سورة الرعد: الآية ٤٣.

﴿ . . . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

وتكون بأفعاله[2]وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين، الدالة صدق رسله، فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

والقرآن ــ نفسه ــ هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[3] وإتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ[4] كان البشر لا يقدرون على مثله: لا[5] يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء ولا السحرة ولا غيرهم، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[6].

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة (سبحان)[7] وهي مكية، ــــــــــــ

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

(٢) في ك و ط زيادة (وتكون بأقواله، التي أنزلها على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فإن القرآن نفسه آية بينة، ومعجزة قاهرة).

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٤) في أ (إذا) والأصوب ما في ك و ط، وهو ما أثبتناه.

(٥) في ط زيادة الواو (ولا).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
ظهراً: أي معيناً.
انظر: ترتيب القاموس ٢/١٣٢.

(٧) هذه أول كلمة شريفة من سورة الإسراء، وانظر البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٩ ــ ٢٧٢ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

صَدَّرها[1] بـذكـر الإسراء الذي كان بمكة بـاتفاق الناس. وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم، عن جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثـل هـذا القرآن، لا يـأتون بمثله، بـل يعجزون عن ذلـك، وهذا فيـه آيـات لنبوته:

منهـا إقدامـه على هذا الخبـر العظيم، عن جميـع الإنس والجن، إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجـزون عنه: [2]هـذا لا يقدم عليه من يطلب النـاس أن يصدقـوه، إلا وهو واثق بـأن الأمر كـذلك، إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، فيفسـد عليه ما قصده، وهذا لا يقدم عليه عاقـل، مع اتفـاق الأمم: المؤمن بمحمد، والكافر به، على كمال عقله ومعرفته وخبرته، إذ ساس العالم سيـاسة[3] لم يَسُسْهم أحد بمثلها.

ثم جَعْلُه هذا في القرآن، المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة، الـذي يُقرأ به في الصلـوات، ويسمعه[4] العام والخـاص، والولي والعـدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر، وإلَّا لو كان شاكاً في ذلك، لخاف أن يـظهر كـذبه عنـد خلق كثير، بل عند أكثـر من اتبعـه ومن عـاداه، وهـذا

(١) مثل: صدر النهار، أي أوله ومتقدمة.
انظر: المصباح المنير: ٣٣٥.
(٢) في ط زيادة الواو (وهذا).
(٣) وهي الأمر والنهي والإدارة بصفة عامة.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٤٦.
وتجدر الإشارة هنا إلى كتاب الشيخ المنشور بعنوان: السياسة الشرعيـة، في إصلاح الراعي والرعية، ط ٤، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م.
(٤) في ك و ط (وسمعه).

لا يفعله من يقصد أن يصدقه الناس، فمن يقصد أن[1] يصدقه الناس، لا يقول مثل هذا، ويظهره هذا الإظهار، ويشيعه هذه الإشاعة، ويخلده هذا التخليد، إلاَّ وهو جازم عند نفسه بصدقه.

ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلاَّ أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ عِلْم العالِمَ بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، هو من أعظم دلائل كونه معجزاً، وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر، عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أُمِرَ ببلاغه إلى جميع الخلق، وهو ــ وحده ــ كاف في العلم بأن القرآن معجز.

دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة، على أنه معجز، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته، مع كمال الرغبة والحرص على معارضته. وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة. فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامّة عُلم عجز جميع الأمم عند معارضته، وهذا برهان ثان[2] يعلم به صدق هذا الخبر، وصدق هذا الخبر آية لنبوته، غير العلم بأن القرآن معجز، فإن[3] ذلك آية مستقلة لنبوته، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات.

فإن كونه معجزاً يعلم بأدلة متعددة، والإعجاز فيه[4] وجوه

(١) في ك (قصد)، وفي ط سقطت (يقصد أن) وجاءت في السطر الثاني، قبل كلمة (ويخلده).
(٢) في ك (بان) وفي ط (بين).
(٣) في ك و ط (فلذلك) بدون (فإن).
(٤) في ك و ط زيادة (من).

متعددة، فتنوعت دلائل إعجازه، وتنوعت وجوه إعجازه، وكل وجه من الوجوه، هو دال على[1] إعجازه، وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل، ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾[2] ﴾.

فهو كاف في الدعوة والبيان، وهو كاف في الحجة[3] والبرهان.



(١) في ك و ط (فهو دليل إعجازه).

(٢) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٠ ــ ٥١.

(٣) في ك و ط (الحجج).

فصل[1]

التحقيق في اسم المعجزة والآية والكرامة وإطلاقهن

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) وتسمى (دلائل النبوة)، و (أعلام النبوة[2]).

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و (البينة) و (البرهان) كما قال ـ تعالى ـ في قصة موسى:

﴿... فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ ...﴾[3].

في العصا واليد، وقال الله[4] ـ تعالى ـ في حق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[5]:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[6].

---

(١) في ك و ط زيادة (في إظهار معجزاته).

(٢) في ك و ط زيادة (ونحو ذلك).

(٣) سورة القصص: ٣٢.

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

(٥) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٤.

وقد قال في مطالبة أهل الدعاوى الكاذبة بالبرهان:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ[2]:

﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾[3].

وقال:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ[5]:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٣) سورة النمل: الآية ٦٤.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٦) سورة القصص: الآيتان ٧٤ ــ ٧٥.

وأما لفظ (الآيات) فكثير في القرآن، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا[1] فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ . . . ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5]:

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[6].

آية أخرى: وقول فرعون له:

﴿ . . . فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[7].

---

(١) أي: ليفسدوا فيها ويفسقوا.
انظر: صفوة التفاسير ٨/٤١٦ م ١.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٠١.
في ك و ط زيادة (. . . فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم . . .).
ذكر الله ـ عز وجل ـ للآيات التسع لموسى ـ عليه السلام ـ لا يقدح في ثبوت غير التسع من الآيات، وقد عدَّ أبو عبد الله الفخر الرازي منها ست عشرة آية، مذكورة في القرآن الكريم، ثم قال: (وقد اتفقوا على سبع منها، وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقي الاثنان، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما. . .).
انظر: التفسير الكبير للرازي ٢١/٦٥ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٦) سورة النمل: الآية ١٢.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٣١.

وقال قوم صالح له[1]:

﴿... فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾[2].

وقال:

﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[3].

وقال المسيح:

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ[4] وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[5].

وقال في حق محمد:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾[6].

---

(١) سقطت (له) من ك و ط.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٥٤، ١٥٥.
أي: تشرب ماءكم يوماً، ويوماً تشربون أنتم الماء. صفوة التفاسير ١٩/٣٩١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٣.

(٤) أي: أشفي الذي ولد أعمى، كما أشفي المصاب بالبرص ـ بإذن الله ـ.
والبرص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج.
انظر: المصدر السابق ٣/٢٠٣؛ وترتيب القاموس ١/٢٥٠؛ وتسهيل المنافع: ص ١٨١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٥.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ [سورة الشعراء: الآية ١٩٧].

وقـال:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾[1].

وقـال:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ[2] وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾[4].

وقـال:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ[6]:

---

(١) سورة القمر: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) أكنة: أغطية. وقرا: ثقلاً وصمماً يمنع من السمع.
انظر: صفوة التفاسير ٧/٣٨٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٠ ـ ٥١.

(٥) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾(1).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ . . . ﴾(2).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(3).

وقال: ــ لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء ــ قال في آخر كل قصة:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(4).

وقال:

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

إلى أن قال في آخرها:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾.

---

(1) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(2) سورة يونس: الآية ١٥.

(3) سورة يونس: الآية ١٠١.

(4) سورة الشعراء: الآيات ٨ ــ ٩ و ٦٧ ــ ٦٨ و ١٠٣ ــ ١٠٤ و ١٢١ ــ ١٢٢ و ١٣٩ ــ ١٤٠ و ١٥٨ ــ ١٥٩ و ١٧٤ ــ ١٧٥ و ١٩٠ ــ ١٩١.

إلى قوله:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقــال:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[4].

وأما لفظ المعجز، فإنما يدل على أنه أعجز غيره، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ ... وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[5].

وقــال:

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ... ﴾[6].

---

(١) معرضون أي لا يفكرون فيها ولا يعتبرون. انظر: صفوة التفاسير ١٣/٦٩.
سورة يوسف: الآيتان ٧ ـ ١٠٥.
(٢) لم ترد كلمة التقديس في أ.
(٣) سورة الفتح: الآية ٢٠.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.
ربوة: أي مكان مرتفع من أرض بيت المقدس. ذات قرار ومعين: مستوية يستقر عليها، وماء جارٍ ظاهر للعيون.
انظر: صفوة التفاسير ١٨/٣١٠.
(٥) سورة الزمر: الآية ٥١.
(٦) سورة الشورى: الآية ٣١.

ومن لا يثبت فعلاً إلَّا لله، يقول: المعجز هو الله، وإنما سمي غيره معجزاً مجازاً. وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إلَّا[1] إذا فُسر المراد به وذُكر شرائطه، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاًإلَّا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة.

والسلف ــ كأحمد وغيره ــ كانوا يسمون هذ وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات، إذا[2] لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك. بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه.

وقد يسمون الكرامات آيات، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول[3]، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعَلَم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي[4]. وبسط هذا له موضع آخر[5].

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كثيرة متنوعة، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب[6]، وبيَّنا أن

---

(١) سقطت (إلَّا) من ك و ط.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والذي يظهر لي أنها (إذ).

(٣) في ك (المدلول) وفي ط (للدلول).

(٤) في ك و ط زيادة (وقد يقال: إنهم سموها معجزات لأن كرامات الأولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه، ولهذا سموها آيات ــ أيضاً ــ، أو لأنها تعجز غيرهم، وهي آية على صحة طريقهم).

(٥) انظر الجواب الصحيح ١/ ٣٩٩ من طبعتنا هذه وما بعدها.
وانظر: كتاب النبوات: ٢/ ١٤ و ٢٨ وما بعدها.

(٦) انظر كتاب النبوات ص ٣٠.

من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة، لكن الآيات نوعان:

ومنها: ما مضى وصار معلوماً بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى.

ومنها: ما هو باقٍ إلى اليوم، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكالعلم والإيمان الذي[1] في أتباعه، فإنه من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، فإنها ــ أيضاً ــ من أعلام نبوته، وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، ووقوع ما أخبر[2] بوقوعه، كقوله «لا تقوم الساعة[3] حتى تقاتلوا الترك[4]» وقوله: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من[5] أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[6] وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستماية، وشاهد الناس أعناق الإبل[7] ببصرى[8].

---

(١) في ك و ط (اللذين).
(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ زيادة: (به) ولا أرى لها محلاً ممكناً.
(٣) هكذا في ك و ط، وقد سقطت كلمة (الساعة) من أ.
(٤) سبق تخريجه ٣/ ١٦١. رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.
(٥) في ك و ط (بأرض).
(٦) سبق تخريجه ٣/ ١٦٢. رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.
(٧) في ك و ط زيادة (في ضوء النار).
(٨) وقد ظهرت في يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ واستمرت شهراً، أو أكثر، وكان هذا في شرقي المدينة، من ناحية وادي شظا، مقابل جبل أحد، وقد زلزلت المدينة بسببها، وسمع أهلها أصواتاً مزعجة، قبل ظهورها بخمسة أيام، وقد شاهد غير واحد من الأعراب ببصرى صفحات أعناق إبلهم، كما نقل ذلك القاضي صدر الدين علي بن أبي قاسم التيمي الحنفي عن والده الشيخ صفي الدين. أحد مدرسي بصرى. وقد لجأ أهل المدينة في تلك الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها.
انظر: المصدر السابق ٦/٢٥٣ ــ ٢٥٤.

وظهر[1] دينه وملته بالحجة والبرهان، واليد والسنان[2]، وَمَثَلُ المثلات[3] والعقوبات التي تحيق[4] بأعدائه، وغير ذلك، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله، وغير ذلك.



(١) في ك و ط (وظهور).

(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ (واللسان) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) **المثلات**: هي العقوبات لأمثال المكذبين.
انظر: صفوة التفاسير ١٣/ ٧٥.

(٤) **تحيق**: من الحوق، وهو الإحاطة.
انظر: ترتيب القاموس ١/ ٧٤١.

فصل(١)

بحث في الإعجاز القرآني

والقرآن(٢) كلام الله، وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاص على غيره، كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلاَّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(٣).

والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه: جملة وتفصيلاً. أما الجملة، فإنه قد عَلِمَت الخاصة والعامة من عامة الأمم، علماً متواتراً أنه هو الذي أتى بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم.

والقرآن ــ نفسه ــ فيه تحدي الأمم بالمعارضة، والتحدي(٤) هو أن يحدوهم: أي يدعوهم فيبعثهم(٥) إلى أن يعارضوه، فيقال فيه: حداني على هذا الأمر: أي بعثني عليه، ومنه سمّي حادي العِيْس، لأنه بحداه يبعثها على السير(٦).

---

(١) سقطت (فصل) من أ، وفي ك و ط زيادة (في معجزات القرآن).

(٢) في ط (القرآن).

(٣) رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي...، ٩/٣ (٤٩٨١) من فتح الباري.

(٤) في ك و ط (والمتحدي).

(٥) في ك و ط (ويبعثهم) بالواو بدلاً من الفاء.

(٦) انظر: اللسان ١٤/١٦٨، مادة: حدا.

وقـد يريـد بعض الناس بـالتحدي دعـوى[1] النبـوة، ولكنـه أصله الأول، قال ــ تعالى ــ في سورة الطور:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾[2].

فهنا قال:

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ[3] ﴾.

في أنه تقوله، فإنـه إذا كان محمـد قادراً[4] على أن يتقـوله، كمـا يقـدر الإنسان على أن يتكلم بمـا يتكلم به، من نـظم ونثـر، كـان هـذا ممكناً للناس، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله.

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال ــ تعالى ــ:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ[5] ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[6].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ

---

(١) في أ (دعوة) وما أثبتناه من ك و ط أصح.

(٢) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٣) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٤) في ك و ط (قادراً) بالنصب. وفي أ (قادر) والصواب ما أثبتناه.

(٥) أي: اختلقه وأتى به من عند نفسه.
انظر: صفوة التفاسير ١٢/٩.

(٦) سورة هود: الآية ١٣.

﴿مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، هم وكل من استطاعوا من دون الله، ثم تحداهم بسورة واحدة، هم ومن استطاعوا قال:

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2].

وهذا أصل دعوته، وهو الشهادة بأنه لا إله إلا الله[3]، والشهادة بأن محمداً رسول الله.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[4].

كما قال:

﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[5].

أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترى، كما قال:

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[6].

---

(١) سورة يونس: الآيتان ٣٧ ــ ٣٨.

(٢) سورة هود: الآية ١٤.

(٣) لم ترد جملة (الشهادة بأن لا إله إلا الله) في ط ــ فقط ــ.

(٤) سورة هود: الآية ١٤.

(٥) في ك و ط زيادة ﴿... **وكفى بالله شهيداً**﴾.
سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٦) سورة يونس: الآية ٣٧.

أي: مـا كان لأن يفتـري، يقول: مـا كان ليفعـل هـذا. فلم ينف مجرد فعله، بل نفي احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنى: ما يمكن، ولا يحتمل، ولا يجوز أن يفتري هذا القرآن من دون الله. فإن الـذي يفتريـه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك، وهذا التحدي كان بمكة، فـإن هذه السـور مكية[1]، سور يونس، وهود، والطور.

ثم أعاد التحدي في المدينة بعـد الهجرة، فقـال في (البقرة) وهي سورة مدنية:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ثم قال:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[2].

فذكر أمرين:

أحدهما: قوله:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ . . . ﴾.

---

(١) قيل في تعريف المكي والمدني عدة تعـريفات، أشهـرها: أن المكي: مـا نزل قبـل الهجـرة، والمدني: مـا نزل بعـد الهجرة وإن كـان بمكة. وقـد رجـح الـزركشي أن المكي: خطابُ المقصود به ـ أو جُل المقصود به ـ أهـل مكة. . . كـذلك بـالنسبة إلى أهل المدينة. والتعريف الأول أظهر.
انظر: البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧ ـ ١٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣ ـ ٢٤.
في ك و ط زيادة ﴿. . . أُعِدَّت للكافرين﴾.

يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق، فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب، الذي وعد به المكذبين، وهذا[1] دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة، بعد أن دعاهم بالحكمة، وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

والثاني: قوله:

﴿... وَلَن تَفْعَلُواْ ...﴾.

و (لن) لنفي المستقبل، فثبت الخبر[2] أنهم فيما يستقبل من الزمان، لا يأتون بسورة من مثله، كما أخبر قبل ذلك، وأمره أن يقول في سورة (سبحان)، وهي سورة مكية، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة، بنص القرآن والخبر المتواتر، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة، ما يبين ذلك بقوله:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

فعم[4] بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم، لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي والدعاء، هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما علم

---

(١) في ط (هذا).
(٢) في ك و ط (للخبر).
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٤) في ك و ط زيادة (بأمره له أن يخبر).

من أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق يمكن، تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، كما تقدم[1]. وتارة يجتمعون في مَجْمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه، وصاروا يضربون له الأمثال، فيشبهونه بمن ليس مثله[2] لمجرد شبه ما، مع ظهور الفرق. فتارة يقولون: مجنون. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: شاعر. إلى أمثال ذلك من الأقوال، التي يعلمون[3] هم وكل عاقل سمعها ـ أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة[4]، مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه ـ مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم[5] هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر، يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز[6] جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بحيلة وبغير حيلة. وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأت أحد

---

(١) ص: ٥/ ٤٧٢ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) في ك و ط (بمثله).

(٣) في ط (يعلمونها).

(٤) من عارضه في المسير: أي سار حياله. وعارضه بمثل ما صنع، أي أتى إليه بمثل ما أتى.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٥.

(٥) هنا بياض في أ بمقدار كلمة وأكاد أجزم بأنه ليس هناك أي سقط.

(٦) في ك (بعجر عن) وفي ط (يعجز عن).

بنظيره، وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط. ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط. بل هو آية بينة معجزة، من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة، في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله ـ تعالى ـ وأسمائه، وصفاته، وملائكته، وغير ذلك.

ومن جهة معانيه، التي أخبر بها عن الغيب الماضي. وعن الغيب المستقبل. ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة، كما قال ـ تعالى ـ[1]:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ[3]:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[4].

وقال:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

---

(١) في ك و ط تقدمت آية سورة الكهف على آية سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥٤.

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك[2]، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.

ومن أضعف الأقوال، قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي، مع تمام[3] الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة[4]، أو بسلبهم[5] القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله ــ تعالى ــ[6] لزكريا:

﴿ ... ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[7].

* وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام[8] * فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قُدِّر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم ــ جميعهم ــ عن هذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة، من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل

---

(١) سورة الزمر: الآيتان ٢٧ ــ ٢٨.

(٢) في ك و ط (ولا يناقض ذلك).

(٣) في ك و ط (مع قيام) في أ (عن تمام) وقد اخترنا ما في أكسفورد.

(٤) في ك و ط (الجازمة).

في ك و ط تقدم قوله: (وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام) وسيأتي بعد ذكر الآية.

(٥) في ك و ط (أو سلبهم) بدون باء في أولها.

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٧) سورة مريم: الآية ١٠.

(٨) هذه الجملة بين النجمتين تقدمت عن هذا الموضع في ك و ط كما أشرنا.

هذا[1] البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله، أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم ـ مع ذلك ـ من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

ولو قُدِّر أن واحداً صنف كتاباً، يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً، يقدر أمثاله[2] أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه، كان هذا من أبلغ[3] العجائب الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن، قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم ـ كلهم ـ طاعتي، ومن لم يطعني، كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله.

فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين.

فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه[4] ـ فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل:

---

(١) في أ (هذه) وتذكير اسم الإشارة هنا أولى.

(٢) سقطت (أمثاله) من ط.

(٣) سقطت كلمة (أبلغ) من ك و ط.

(٤) هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

معجزتي أنكم كلكم، لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد، كإحداث غير المعتاد ـ فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقاً[2] على تقدير النقيضين: النفي والإثبات، فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر.

فهذا غاية التنزل، وإلَّا فالصواب المقطوع به، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3] نفسه من تلقاء نفسه، على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه، لكل من له أدنى تدبر[4]، كما قد أخبر الله به[5] في قوله:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[6].

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه.

---

(١) نهاية الجملة الاعتراضية.
(٢) في ك و ط زيادة (للعادة).
(٣) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.
(٤) **التدبر في الأمر**: التفكر فيه.
انظر: اللسان ٤/٢٧٣ مادة: دبر.
(٥) في ك و ط (أخبر في قوله).
(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

وقد انْتَـدَب[1] غير واحد لمعارضته، لكن جـاء بكلام فضـح به نفسـه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قـرآن مسيلمة الكـذاب، كقـولـه: (يـا ضفـدع بنت ضفـدعين، نِقِّي كم تَنِقِّين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين)[2].

وكذلك ــ أيضاً ــ يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعـه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كمـا وجد زكريا[3] عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه.

وأيضاً فلا نـزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمـد والمكذبين لـه، إنه كان قصده أن يصدقه الناس ولا يكذبـوه، وكان ــ مـع ذلك ــ من أعقـل النـاس وأخبرهم وأعـرفهم بما جـاء به، ينـال مقصوده، سـواء قيل: إنـه صـادق أو كـاذب، فـإن من دعى النـاس إلى مثـل هـذا الأمـر العـظيم، ولم يزل حتى[4] استجابوا له طوعاً وكرهاً، وظهرت دعوته وانتشرت ملتـه هذا الانتشار، هو من عظماء الرجال على أي حال كان. فإقـدامه ــ مـع هـذا القصد ــ في أول الأمـر وهو بمكـة، وأتباعـه قليل، على أن يقـول خبـراً، يقطع بـه أنه لـو اجتمع الإنس والجن على أن يـأتــوا بمثل هـذا القـرآن لا يـأتـون بمثله، لا في ذلـك العصـر، ولا في سـائـر الأعصـار

---

(١) أي: استجاب لدواعي المعارضة.
انظر: مختار الصحاح ٦٥١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣/٢٨٤؛ والكامل ٢/٢٤٤؛ والبداية والنهاية ٦/٣٢٦.

(٣) **المقصود**: هو زكريا النبي ــ عليه السلام ــ وراجـع سورة آل عمـران: ٤١، وسورة مريم: الآية ١٠.

(٤) سقطت (حتى) من أ وقد أشار الناسخ إلى سقط ولكنه لم يثبت شيئاً.

المتـأخرة، لا يكـون إلَّا مع جـزمه بـذلك، وتيقنـه له، وإلَّا فمـع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يـظهر كـذبه فيفتَضِـح، فيرجـع الناس عن تصديقه.

وإذا كان جازماً بذلك، متيقناً له، لم يكن ذلك إلَّا عن إعـلام الله لـه بذلـك. وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسـان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كـلامه، إلَّا إذا علم العـالم أنه خـارج عن قدرة البشر. والعلم بهذا يستلزم كـونه معجـزاً، فإنـا نعلم ذلك، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقاً للعادة، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم، وإلَّا كان العلم جهلاً، فثبت أنه ــ على كل تقدير ــ يستلزم كونه خارقاً للعادة[1].

وأما التفصيل، فيقال: نفس نظم[2] القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أسـاليب الكلام المعـروفـة، ولم يـأت أحـد بنـظيـر هـذا الأسلوب، فـإنه ليس من جنس الشعـر، ولا الـرجـز، ولا الخـطابة، ولا الـرسائـل[3]، ولا نظمه نظم شيء من كـلام الناس: عـربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق[4] للعادة، ليس له نظيـر في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل[5]، يعرفه من له نـظر وتدبر.

---

(١) في ك و ط بعـد هذا زيادة وهي: (ولو قـال مفتر: بـل أنا أقـول: الذي أخبـر بهـذه الغيوب وأتى بهذه العجائب، كان جاهلاً أخرق، ولا يدري ما يقول. قيل له: فهـذا أبلغ في الإعجاز وخرق العادة أن يكون مجنوناً قد أتى بهذه الغيـوب والعجائب التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين).

(٢) **النظم**: هو التأليف، وضم شيء إلى آخر. انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٩٦.

(٣) في ك و ط تقدمت (الرسائل) على (الخطابة).

(٤) في أ (خارقا) بالنصب والأصح ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٥) مع كثرة التفاصيل والتنبيهات والدقـائق، فالشيـخ المؤلف ــ رحمه الله تعـالى ــ يرى نفسه أنه ينزع إلى الإيجاز والاختصار.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاتـه، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبـي ولا غيـر نبـي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكـة، والعرش، والكـرسي، والجن، وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمر بـه القرآن، من الـدين، والشرائـع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبَيَّنـه من الدلائـل هو ــ أيضـاً ــ كذلك.

ومن تدبر مـا صنفه جميـع العقلاء في العلوم الإلٓهيـة، والخلقية، والسيـاسـة[١]، وجـد بينـه وبين مـا جـاء في الكتب الإلٓهيــة: التـوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء[٢]، وجد بين ذلك وبين القرآن من التفـاوت[٣]، أعظم ممـا بين لفظه ونـظمـه، وبين سـائـر ألفـاظ العـرب ونظمهم.

فالإعجاز في معنـاه، أعظم وأكثـر من الإعجاز في لفـظه، وجميع عقلاء الأمم[٤] عاجزون عن الإتيان بمثـل معانيـه أعظم من عجـز العرب عن الإتيـان بمثل لفـظه. وما في التـوراة والإنجيل: ولـو قـدر أنـه مثـل القرآن، لا يقدح في المقصود، فإن تلك كتب الله ــ أيضـاً ــ ، ولا يمتنع أن يأتي نبـي بنظير آية نبـي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى. وقد وقـع إحياء الموتى على يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثـلاً

---

(١) في أ (والسياسة) والأولى ما اعتمدناه من ك و ط.

(٢) في ك زيادة (تفاوت عظيم ووجد) وهي في ط (تفاوتاً عظيماً) بـالنصب، وليست هذه الزيادة في أ.

(٣) في ط (التفات).

(٤) في ك و ط (بني آدم).

لمعاني القرآن، لا في الحقيقة، ولا في الكيفية، ولا[1] الكمية؟! بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن، وتدبر الكتب.

وهذه الأمور من ظَهَرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه. ومن لم يظهر له ذلك، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله، كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي وإخباره بعجزهم، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد.

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد، كالحوادث المشهودة، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك. وفيها ما يختص به مَنْ عَرَفَه، مثل دقائق التشريح[2]، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود[3] به على عباده جوداً عاماً ميسراً.

فلما كانت حاجتهم إلى النَّفَس أكثر من حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان ـ سبحانه ـ قد جاد بالهواء جوداً عاماً في كل مكان وزمان[4]، لضرورة الحيوان إليه، ثم

---

(١) في ط زيادة (في).

(٢) التشريح: علم تعرف به جميع أجزاء جسم الإنسان. وارتباطها بعضها ببعض، والمراد المتكونة منها.
انظر دائر معارف وجدي ٥/٣٧٤.

(٣) **الجود**: العطاء السخي.
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٢.

(٤) في ط (زمان ومكان).

الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت[1] وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد.

فكذلك دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة. فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا[2] يحتاج إليه العامة، مثل تماثل الأجسام واختلافها، وبقاء الأعراض أو فنائها، وثبوت الجوهر الفرد[3] أو انتفاؤه، ومثل مسائل المستحاضة، وفوات الحج وفساده، ونحو ذلك، مما يتكلم فيه بعض العلماء.



---

(١) **القوت**: ما يؤكل ليمسك الرمق (الحياة).
انظر: المصباح المنير ص ٥١٨.

(٢) سقطت (لا) من ك و ط.

(٣) **الجوهر الفرد**: هو الذي ليس له في الحال جزء بالفعل، وفي قوته أن يتجزأ أجزاء غير متناهية كل منها أصغر من الآخر.
انظر: الملل والنحل ٢/٢٠١.

فصل

شخصية الرسول وشريعته وأمته، وكرامات الصالحين منها، كل ذلك من آياته

وسيرة الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالح أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد وإلى[2] أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله[3]، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً: من صميم سلالة إبراهيم، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي[4] بعد إبراهيم إلَّا من ذريته، ونجعل له ابنين: إسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره، ودعا إبراهيم لذرية[5] إسماعيل: بأن يبعث فيهم رسولاً منهم، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى، وبلد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

---

(١) في ك و ط زيادة (من آياته).

(٢) في ك و ط (إلى).

(٣) من الفصيلة: وهم عشيرة المرء ورهطه الأدنون، أو أقرب آبائه إليه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٩٧.

(٤) في ك و ط زيادة (من).

(٥) في أ (لذريته) وهو خطأ.

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل، ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم، وكل وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وممن[1] كفر بعد النبوة، لا يعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جرب[2] عليه كَذْبة قط، ولا ظلم، ولا فاحشة، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، وكان أمياً من قوم أميين، لا يعرف، لا هو، ولا هم، ما يعرفه أهل الكتاب: التوراة والإنجيل. ولم يقرأ شيئاً عن علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يَدَّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة، فأتى بأمر هو[3] أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبرنا بأمر، لم يكن في بلده وقومه، من يعرف مثله[4].

ثم[5] اتبعه أتباع الأنبياء، وهم ضعفاء الناس، وكَذَّبه أهل الرياسة وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم. والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة[6]،

---

(١) سقطت (ممن) من ك و ط.

(٢) في ك و ط (جرت) بالتاء وفي أ (جرب) بالباء.

(٣) في ط (وهو).

(٤) في ك و ط زيادة: «ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار، ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به، ولا ظهر كظهوره، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره».

(٥) في ك و ط زيادة (إنه).

(٦) رسمت (لرهبة) في أ هكذا (أرهبه).

فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم، ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه. وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى، وهم صابرون محتسبون، لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة. وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم، فتجتمع في الموسم قبائل العرب، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة، ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب، وجفاء[1] الجافي، وإعراض المعرض، إلى أن اجتمع بأهل يثرب، وكانوا جيران اليهود، قد سمعوا أخباره منهم، وعرفوه، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر، الذي تخبرهم به اليهود، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة، فآمنو به وبايعوه[2] على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة، إلَّا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر، ثم حسن إسلام بعضهم، ثم أُذِنَ له في الجهاد، ثم أُمِرَ به، ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظُلْمٌ لأحد، ولا غدرٌ بأحد، بل كان أصدق الناس، وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد، مع اختلاف الأحوال عليه، من حرب وسلم، وأمْنٍ وخوف، وغِنًى وفقر، وقِلَّةٍ وكثرة، وظهوره على العدو تارة، وظهور العدو عليه تارة، وهو

(١) أي: غلظته وفظاظته.
انظر: المصباح المنير ص ١٠٤.
(٢) في ك و ط (تابعوه).

ـ على ذلك[1] ـ لازم[2] لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب، التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرةً ولا معاداً، فصاروا أعلم أهل الأرض، وأَدْيَنهم، وأعدلهم، وأفضلهم. حتى أن النصارى لما رأوهم ـ حين قدموا الشام ـ قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء. وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع ظهور أمره، وطاعة الخلق له، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ـ مات ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ ولم يخلف درهماً ولا ديناراً، ولا شاة ولا بعيراً له، إلَّا بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً[4] من شعير، ابتاعها لأهله[5]، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، فحكم بأنه لا يورث، ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك.

---

(١) في ك و ط زيادة (كله).

(٢) في ك (لازماً)، وفي ط (ملازم).

(٣) الجملة الدعائية ليست في أ ولا ك.

(٤) في جميع النسخ «وسقاً». وقد رجحنا أنها خطأ وصوبناها من صحيح البخاري وغيره.

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ... ، ٦/٩٩ (٢٩١٦) من فتح الباري بلفظ: «توفى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»، وقال يعلى: حدثنا الأعمش: «درع من حديد» ورواه مسلم، بمعناه، كتاب المساقاة، باب الرهن.. ، ٣/١٢٢٦ (١٦٠٣)، ورواه الترمذي برقم (١٢١٤)؛ وابن ماجه برقم (٢٤٦٤)؛ وأحمد في المسند ١/٣٠٠.

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويُشرَع الشريعة شيئاً بعد شيء. حتى أكمل الله دينه الذي بعث به، وجاءت شريعته أكمل شريعة، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلَّا أمر به، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلَّا نهى عنه، لم يأمر بشيء فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقيل[1]: ليته لم ينه عنه، وأحل الطيبات، لم يحرم شيئاً منها كما حُرِّم في شرع غيره، وحرم الخبائث، لم يحل منها شيئاً كما استحله غيره. وجمع محاسن ما عليه الأمم، فلا يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر: إلَّا وقد جاء به على أكمل وجه، وأخبر بأشياء ليست في[2] الكتب[3].

فليس في الكتب إيجاب لعدل، وقضاء بفضل، وندب إلى الفضائل، وترغيب في الحسنات، إلَّا وقد جاء به وبما هو أحسن منه.

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها، وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع.

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعباداتهم[4] وطاعتهم لله

---

(١) في أ (قيل).
(٢) في ك و ط زيادة (هذه).
(٣) في ك و ط زيادة (تلك).
(٤) في ك و ط (عبادتهم).

بغيرهم، ظهر أنهم أدْيَنُ من غيرهم. وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله، وصبرهم على المكاره في ذات الله، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً. وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم. وهذه الفضائل به نالوها، ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو[1] بتكميله، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة.

فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم: بعضها من التوراة، وبعضها من الزبور، وبعضها من النبوات، وبعضها من المسيح، وبعضها ممن بعده كالحواريين[2]، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم، حتى أدخلوا ـ لَمَّا غيروا دين المسيح ـ في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح.

وأما أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود، والتوراة والإنجيل والزبور إلاَّ من جهته، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال ـ تعالى ـ في الكتاب الذي جاء به:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ

---

(١) سقطت (هو) من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (ومن بعد الحواريين).

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[2] لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[3].

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئاً من الدين من غير ما جاء به، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فلا[4] يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله.

لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم، اعتبروا به، وما حدثهم[5] أهل الكتاب، موافقاً لما عندهم: صدقوه، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه، أمسكوا عنه، وما عرفوا أنه باطل: كذبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه، من أقوال متفلسفة الهند أو[6] الفرس أو اليونان

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(٢) أي: لا يكلف المولى ـ سبحانه ـ أحداً فوق طاقته.
انظر: صفة التفاسير ٣/١٨١.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) في ك و ط (ولا).

(٥) في ك و ط زيادة (به).

(٦) في ك و ط بالعطف بالواو.

أو غيرهم، كان ــ عندهم ــ من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين[1] الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك، كانوا مذموماً مدحوراً عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، [2]الظاهرون إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[3].

وقد تنازع بعض المسلمين، مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً، ودين محمد خصوصاً.

ومن خالف[4] في هذا الأصل كان ــ عندهم ــ ملحداً مذموماً، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً، قام به أكابر علمائهم وعبادهم، وقاتل عليه ملوكهم، ودان[5] به جمهورهم، وهو دين مبتدع، ليس هو دين المسيح، ولا دين غيره من الأنبياء.

والله ــ سبحانه وتعالى[7] ــ أرسل رسله بالعلم النافع والعمل

---

(١) في ك و ط (المسلمين).
(٢) في ك و ط زيادة (وهم).
(٣) سبق تخريجه ١/ ٩٢ من طبعتنا هذه.
(٤) سقطت (في) من ك و ط.
(٥) في ك و ط (وكان).
(٦) أي: تعبدوا به.
انظر: المصباح المنير ص ٢٠٥.
(٧) ليس في أ كلمة التقديس.

الصالح، فمن اتبع الرسل، حصل له سعادة الدنيا والآخرة. وإنما دخل في البدع من قصر في اتِّباع الأنبياء، علماً وعملاً.

ولما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[1] بالهدى ودين الحق، تلقى ذلك عنه المسلمون أمته.

فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أخذوه عن نبيهم، مع ما يظهر لكل عاقل: أن أمته أكمل الأمم، في جميع الفضائل العلمية والعملية. ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو[2] من الأصل المعلِّم. وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علماً ودينا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله:

﴿... إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴾[3].

لم يكن كاذباً مفترياً، فإن هذا القول لا يقوله إلَّا من هو من خيار الناس وأكملهم، إن كان صادقاً، أو هو من شر الناس وأخبثهم، إن كان كاذباً.

وما ذكر من كمال علمه ودينه، يناقض الشر والخبث والجهل، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله:

﴿... إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية.
(٢) في ك و ط (فهو).
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

لأن الذي لم يكن صادقاً: إما أن يكون متعمداً للكذب أو مخطئاً، والأول: يوجب أنه كان ظالماً غاوياً، والثاني: يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً. وكمال علمه ينافي جهله، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمداً للكذب، ولم يكن جاهلاً يكذب بلا علم، وإذا انتفى هذا وذاك، تعين أنه كان صادقاً عالماً بأنه صادق، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (١) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٢) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ عن المَلَكِ الذي جاء به:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾(٤).

ثم قال عنه:

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾.

أي: بمتهم، أو بخيل، كالذي لا يُعَلِّم إلاَّ بجُعْل(٥)، أو لمن يكرمه:

---

(١) أي: وما اعتقد باطلاً قط، بل هو في غاية الهدى والرشاد.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٢٧٢.

(٢) أي: لا يتكلم عن رغبة نفسية ولا عن رأي شخصي.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة النجم: الآية ٤.

(٤) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢١.

(٥) من الجعالة: وهي تعيين مبلغ مالي لمن يعمل له عملاً، من رد آبق أو ضالة أو بناء

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ .

ـ إلى قوله ـ :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾[1] .

بيَّن ـ سبحانه ـ أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصِّل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر: وهو الكذب والفجور، لا يقصد الصدق والعدل، فلا يقترن إلَّا بمن فيه كذب[2]، إما عمداً وإما خطأً، فإن الخطأ في الدين هو[3] من الشيطان ـ أيضاً ـ كما قال ابن مسعود ـ لما سئل عن مسألة ـ : «أقول فيها برأيي[4]، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[5] .

أو خياطة وسائر ما يستأجر عليه من الأعمال.

انظر: الكافي في فقه الإمام. . .ابن حنبل ٢/٣٣٢.

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٩٥ ومن ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٢) في ط زيادة (فجور).

(٣) سقطت (هو) من ك و ط.

(٤) في جميع النسخ (برأي) وقد صوبناه من الأصول.

(٥) رواه أبو داود بمعناه، كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يُسَمِّ صداقاً حتى مات، ٢/٢٣٧ (٢١١٦). والنسائي، بمثله، كتاب النكاح، باب إباحة التزوج بغير صداق ٦/١٢٢، والدارمي عن أبي بكر، كتاب الفرائض، باب الكلالة ٢/٣٦٥ ـ ٣٦٦ =

فالرسول بريء من تنزُّلِ الشيطان عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول، فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه[1] من الشيطان، وإن كان خطؤه مغفوراً له، فإذا لم يُعْرَف له خبر أخبر به كان فيه مخطئاً، ولا أَمْرٌ[2] أَمَرَ به كان فيه فاجراً. عُلم أن الشيطان لم ينزل عليه، وإنما ينزل عليه مَلَكٌ كريم، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

● ● ●

= والإمام أحمد في المسند ٤/٢٧٩. والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، من تزوج ولم يفرض صداقاً ٢/١٨٠، بمثله، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) في أ رسمت (خطاه) وفي ك (وخطاوه).

(٢) سقطت (أمر) من ك و ط.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ـ ٤٣.

في ك و ط ذكر الآية الأولى: «إنه لقول رسول كريم» فقط، ثم عقب عليها بجملة: «إلى آخر الآية».

فصل[1]

نَقْل الناس لصفاته ــ عليه السلام ــ الدالة على كماله

وقد نقل الناس صفاته الظاهرة[2]، الدالة على كماله، ونقلوا أخلاقه، من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك. ونحن نذكر بعض ذلك:

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب[3] قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خَلْقاً، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير»[4].

وعنه قال: «كان[5] بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمَّة[6] إلى

---

(١) في ك و ط زيادة (في صفاته).

(٢) في ك و ط (الطاهرة) بالطاء المهملة.

(٣) هو ابن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي، ابن صحابي، نزل الكوفة، استصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَة ــ قرين ــ مات سنة ٧٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٩٤؛ وأسد الغابة ١/٢٠٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٦/٥٦٤ (٣٥٤٩) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي . . .، ٤/١٨١٩ (٢٣٣٧).

(٥) في ك و ط زيادة (رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٦) الجمة: الشعر الذي نزل إلى المنكبين.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/٩١. م ٨.

شحمة أذنيه، عليه حلة[1] حمراء، ما رأيت شيئاً قط أحسن منه»[2].

وفي البخاري: وسئل البراء: أكان وجه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر»[3].

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال: «كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا سُرَّ[4]، استنار وجهه، حتى كأنه فِلْقة[5] قمر»[6].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ضخم الرأس والقدمين، لم أَرَ قبله ولا بعده مثله، وكان بَسِطَ الكَفين[7]، ضخم اليدين».

---

(١) **والحلة**: ثوبين من جنس واحد.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٨.

(٢) رواه مسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي..، ٤/١٨١٨ (٢٣٣٧). ورواه البخاري بمثله. كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥١) من فتح الباري.

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥٢) من فتح الباري.

(٤) من السرور: وهو الفرح والبهجة، ضد الحزن.
انظر: المصباح المنير ص ٢٧٤.

(٥) **فِلْقَة**: قطعة.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨١.

(٦) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥٦) من فتح الباري ومسلم، بمثله، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب...، ٤/٢١٢٧ (٢٧٦٩).

(٧) في ك و ط «بسيط» وبسط الكفين: ليونتهما، وهو وصف لخلقهما.
انظر: فتح الباري ١٠/٣٥٩.

وسئل عن شعره، فقال: «كان شَعِراً رَجِلاً، ليس بالجعد ولا بالسَبْط[1]، بين أذنيه وعاتقه»[2].

وفي الصحيحين عن سِمَاك بن حرب عن جابر بن سمرة[3]، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العَقِبَين»[4] وفسرها سماك[5] بن حرب، فقال: واسع الفم، طويل شق العين، قليل لحم العقب[6].

---

(١) في ط (البسط).
رجلاً: أي: إذا مشِط فكان بين السبوطة والجعودة. والسبط: هو الذي يسترسل فلا ينكسر منه شيء كشعور الهنود. والجعد: هو الذي يتجعد. أي يلتوي ويتقبض كشعور السودان.
انظر: المصدر السابق ١٠/٣٥٧ ــ ٣٥٨.

(٢) العاتق، هو ما بين المنكب (الكتف) والعنق.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١٥٠.
رواه البخاري بمثله وليس فيه «ضخم الرأس» كتاب اللباس، باب الجعد، ١٠/٣٥٦ ــ ٣٥٧ (٥٩٠٥ ــ ٥٩١٢). وروى مسلم آخره بمثله، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي . . .، ٤/١٨١٩ (٢٣٣٨). ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ضخم الرأس واللحية» ١/٢١٦.

(٣) جابر بن سمرة: هو ابن جُنَادة، السُّوائي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين هجرية.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٢٢.

(٤) رواه مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في صفة فم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وعينيه وعقبيه، ٤/١٨٢٠ (٢٣٣٩). ولم يروه البخاري في صحيحه. ورواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في صفة النبي ٥/٦٠٣ (٣٦٤٧).

(٥) في ط (فسرهما بن سماك).

(٦) المصدران والموضعان السابقان.

وفي الصحيحين عن أنس [1]، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ليس بالطويل البائن[2]، ولا بالقصير، ولس بالأبيض الأمَهق[3]، ولا بالآدم، ولا بالجعد القَطِط[4]، ولا بالسَّبْط»[5].

وفي الصحيحين عنه، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أزهر اللون[6]، كأن عرقه اللؤلؤ[7]، إذا مشى تكفأ[8]، وما مسست ديباجة ولا حريراً[9] ألين من كف رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولا شممت مسكاً ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله

---

(١) في ك و ط زيادة (ابن مالك).

(٢) أي: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.
انظر: فتح الباري ٦/٥٦٩.

(٣) في ك و ط (الأبهق) بالباء وفي أ بالميم.

(٤) **الأمهق**: الأبيض الشديد البياض، الذي لا تخالطه حمرة. والآدَم: الأسمر. والقطط: شديد الجعودة كشعر الزنجي.
انظر: المصدر والموضع السابق؛ والمصباح المنير ص ٥٠٨.

(٥) في ط (ولا بالبسط).
رواه البخاري، بمثله، كتاب المناقب، باب صفة النبي، ٦/٥٦٤ (٣٥٤٨) من فتح الباري. ورواه مسلم بمعناه، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي... وباب في صفة شعر النبي...، ٤/١٨١٨ ــ ١٨١٩ (٢٣٣٧ ــ ٢٣٣٨). ورواه في الموطأ، كتاب صفة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ باب ما جاء في صفة النبي...، ٢/٩١٩.

(٦) **أزهر اللون**: هو الأبيض المستنير، وهو أحسن الألوان.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/٨٦. م ٨.

(٧) أي: في الصفاء والبياض.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) أي: يتمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها.
انظر: لسان العرب ١/١٤٢، مادة: كفأ.

(٩) في ك و ط (حريرة) بالتاء المربوطة.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ »[1].

وروى الدارمي[2] عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أفلج[3] الثنيتين[4]، إذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه»[5].

وروى عن ابن عمر، قال: «ما رأيت أحداً أنجد[6] ولا أجود ولا

---

(١) رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي . . .، ٤/١٨١٥ (٢٣٣٠). وروى البخاري بعضه، كتاب المناقب، باب في صفة النبي ٦/٥٦٦ (٣٥٦١).

(٢) **الدارمي**: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي أبو محمد، الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل متقن، مات سنة ٢٥٥هـ وله ٧٤ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٢٢٤ ـ ٢٣٢؛ وتقريب التهذيب ١/٤٢٩.

(٣) في ك و ط (أبلج).

(٤) هن أربعة أضراس في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٢٤.

(٥) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي . . .، ١/٣٠.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف».
انظر: المجمع ٨/٢٧٩.
وأخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ٣٠ ـ ٣١ (١٤) ط ١، ت: محمد عفيف الزعبي، جدة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م والبيهقي في الدلائل ١/٢١٥ وكلاهما عن ابن أبي ثابت. وروى الطبراني عن أبي قرصافة حديثاً بمعناه، قال الهيثمي: «وفيه من لم أعرفهم».
انظر: المجمع ٨/٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٦) **من النَّجْد**: وهو الشجاع الماضي فيما يُعْجِز غيره.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٢٦.

أشجع ولا أضوأ[١] من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ»[٢].

وعن أنس قال: «دخل علينا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال[٣] عندنا، فعَرِق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت[٤] العرق فيها، فاستيقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «أم سليم[٥]، ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو[٦] أطيب من الطيب»، أخرجاه في الصحيحين[٧].

وروى الدارمي عن جابر، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) من الضوء: وهو النور.
انظر: المصدر السابق ٣/٤٣.

(٢) رواه الدارمي، المقدمة، باب في حسن النبي ١/٣٠ وفيه زيادة «وأوضأ» من الوضاءة: وهي الحسن والبهجة.

(٣) أي: نام للقيولة ــ وهي الظهيرة ــ.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٥٩.

(٤) السَّلْت: هو التنحية والإزالة.
انظر: المصباح المنير ص ٢٨٤.

(٥) هي: بنت مِلْحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جُندَب بن عامر بن غَنَم بن عدي بن النجار، الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، قيل: اسمها «سهلة»، وقيل غير ذلك، كانت زوجة لمالك بن النضر، والد أنس بن مالك، ثم تزوجها أبو طلحة الأنصاري فولدت له أبا عمير ثم عبد الله فولد له إسحاق وإخوته التسعة كلهم حمل عنه العلم. ومناقبها كثيرة شهيرة.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٤٥؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٧٢.

(٦) في ك و ط (وأنه).

(٧) سقطت (في الصحيحين) من ك و ط.
رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي . . .، ٤/١٨١٥ (٢٣٣١). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم، ١١/٧٠ (٦٢٨١) من فتح الباري.

وسلَّم ــ لا يسلك طريقاً فيتبعه أحد، إلَّا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه»[1].

وفي حديث أم معبد[2] المشهور، لما مر بها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الهجرة، هو وأبو بكر، ومولاه، ودليلهم، وجاء زوجها[3] فقال: «صفيه لي يا أم معبد»، فقالت: «رأيت[4] رجلاً ظاهر الوضاءة، حلو المنطق[5]، فصل[6] لا نزر ولا هذر[7]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن»[8].

---

(١) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي ١/٣٢. ورواه البيهقي في الدلائل بنحوه ٦/٦٩ وبالإسناد نفسه. وبه ــ أيضاً ــ أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢/٥٧١ بمثله، ت: عبد البر عباس ومحمد رواس قلعة جي ط ١، المكتبة العربية، حلب ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

(٢) هي عاتكة بنت خالد بن خفيف بن منقذ بن ربيعة الخزاعية، وهي أخت حبيش بن خالد، له صحبة ورواية. ويقال له: الأشعر وكان منزل أم معبد بقديد، وذكر الواقدي أنها عاشت إلى عام الرمادة في عهد عمر.
انظر: الطبقات الكبرى ١/٢٣٠؛ والروض الأنف ٢/٢٣٥؛ والإصابة ٤/٤٩٨.

(٣) هو: الخزاعي، مختلف في اسمه قيل: اسمه حبيش. وتوفي أبو معبد في حياة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ٥/٢٩٢.

(٤) سقطت (رأيت) من ك و ط.

(٥) أي: لذيذ الكلام.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٦.

(٦) من قول فصل: أي حق ليس بباطل.
انظر: لسان العرب ١١/٥٢١ مادة: فصل.

(٧) النزر: القليل الذي يدل على العِيْ. والهذر: الكثير.
انظر: أسد الغابة ١/٤٥٣.

(٨) رواه الحاكم في المستدرك. كتاب الهجرة، حديث أم معبد في الهجرة. ٣/١١٠٩.
وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وساق طرقه، قال الذهبي: =

وروى أبو زرعة[١] عن محمد بن عمار بن ياسر[٢]، قال: قلت للرُّبيع بنت معوذ بن عفراء[٣]: صفي لي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: «يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة»[٤].

وفي الصحيحين عن أنس[٥]، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت[٦]، فتلقَّاهم

= «ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح». وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢/٤٣٦ ـ ٤٣٨. والبيهقي في الدلائل ٢/٤٩١ ـ ٤٩٣؛ مختصراً ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ١/٤٥١ ـ ٤٥٢.

(١) في ك و ط زيادة (بإسناده).
أبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولى عياش بن مطرق، الرازي، أحد الأئمة الحفاظ، أثنى عليه كثير من الأئمة. كان مولده سنة ٢٠٠هـ ووفاته ٢٦٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٣٠ ـ ٣٣.

(٢) محمد بن عمار بن ياسر: هو العنسي، مولى بني مخزوم، مقبول، روى له أبو داود، قتل بعد سنة ١٦٠هـ.
انظر: تقريب التقريب ٢/١٩٣.

(٣) الربيع: هي بنت معوذ بن الحارث ـ وعفراء أم معوذ ويعرف بها ـ بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وعفراء: هي بنت عبيد بن ثعلبة النجارية، والربيع لها صحبة، وروى عنها أهل المدينة. كانت من المبايعات تحت الشجرة.
انظر: أسد الغابة ٤/٤٢١ و ٦/١٠٧؛ وتقريب التقريب ٢/٥٩٨.

(٤) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي. . .، ١/٣١.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله وثقوا».
انظر: المجمع ٨/٢٨٠. ورواه البيهقي في الدلائل ١/٢٠٠.

(٥) زاد في ك و ط: (ابن مالك).

(٦) قِبَلَ الصوت: أي تجاهه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١٩.

رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ راجعاً وقـد سبقهم إلى الصـوت، وقـد استبرأ الخبـر[1] وهو على فـرس[2] لأبـي طلحة عُـرْي[3] في عنقـه السيف وهو يقول: «لن تراعوا». وقال: «وجدناه بحراً»[4]، وكان الفرس قبل ذلك بطيئاً، فعاد لا يجارى[5].

وفي الصـحيـحيـن عن ابـن عبــاس، قــال: «كــان رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أجود النـاس بالخيـر، وكان أجـود مـا يكـون في[6] رمضــان حين يلقـاه جبـريل، فيـدارسـه القــرآن، فلرسـول[7] الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أجود بالخير من الريح المرسلة»[8].

وفي الصحيحين عن البــراء بن عــازب، قــال: كـنــا إذا احمــر

---

(١) أي: طلب آخره لقطع الشبهة.
انظر: المصباح المنير ص ٤٧.

(٢) اسمه «المندوب».
انظر: فتح الباري ٥/٢٤٠.

(٣) عري: أي ليس عليه سَرْج ولا أداة، ولا يقال في الآدميين بل يقال: عريان.
انظر: المصدر السابق، ٦/٧٠.

(٤) أي: واسع الجري.
انظر: فتح الباري ٦/٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٢ مرة في صحيحه، بنحوه وبألفاظ مختلفـة، كتاب الجهـاد، باب الشجـاعة في الحـرب والجبن، ٦/٣٥ و ٧٠ وغيـرهمـا (١٨٢٠ و ٢٨٦٧) من فتـح البـاري، وأخرجـه مسلم بمثله، كتاب الفضـائل، بـاب في شجـاعـة النبـي ــ عليـه السلام ــ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٢ ــ ١٨٠٣ (٢٣٠٧).

(٦) في ك و ط زيادة (شهر).

(٧) في ط (فرسول) بدون لام.

(٨) رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب كان النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أجود النـاس. . .، ٤/١٨٠٣ (٢٣٠٨). ورواه البخاري بمثله كتاب فضائـل القرآن، بـاب كان جبريل يعرض القرآن على النبـي. . .، ٩/٤٣ (٤٩٩٧). من فتح الباري.

البأس[1] نتقي به[2]، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (يعني رسول الله[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)[4].

وعن علي بن أبي طالب، قال: «لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى العدو منه»[5] ذكره[6] البيهقي بإسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن أنس، قال: «خدمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشر سنين، والله ما قال لي: «أفاً»[7] قط، ولا قال لي[8]

---

(١) **احمرار البأس**: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٢/١٢١ م ٦.

(٢) في ك (يتقي) بالياء في أوله.

(٣) في ك و ط (النبي).

(٤) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/١٤٠١ (١٧٧٦).
والظاهر أنه ليس عند البخاري خلافاً لما ذكر الشيخ المؤلف.

(٥) رواه البيهقي في الدلائل، ٣/٦٩ ـ ٧٠ بمثله. ورواه الإمام أحمد في المسند ١/١٢٦. قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/١٢ ـ ١٣.

(٦) عبر الشيخ المؤلف بكلمة «ذكره». بدلاً من «رواه» أو «أخرجه» إما لمجرد المرادفة، أو إشارة إلى أن البيهقي وإن كان من المُحَدثين والرواة إلَّا أنه من المتأخرين فهو من الطبقة الرابعة عشرة من طبقات السيوطي ص ٤٢٧ ـ ٤٣٢.

(٧) كلمة «أف» تقال عند تَكَرُّه الشيء، وعند التضجر من الشيء.
في ك و ط (لم فعلت وهلا فعلت كذا).
في ك و ط (أف). و (أفاً) هي في رواية مسلم بالنصب والتنوين، وذكر بعضهم أن فيها لغات كثيرة أوصلها إلى ٣٩ لغة.
انظر: فتح الباري ١/٤٦٠.

(٨) سقطت (لي) من ك و ط.

لشيء: «لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا»[1].

وفي رواية في الصحيحين ــ أيضاً ــ قال: «خدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا؟ وكان أحسن الناس خلقاً»[2].

* وفي الصحيحين عن جابر، قال: «ما سئل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شيئاً، فقال: لا»[3] *.

وفي الصحيحين عن أنس[4] قال: «ما سئل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على الإسلام[5] شيئاً إلَّا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه

---

(١) آخر الحديث في أ: (... لم فعلته، لما فعلت كذا). وفي ك و ط: (ولا قال لشيء لم فعلت، وهلا فعلت كذا). وقد أثبتنا ما في صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أحسن الناس خلقاً ١٨٠٤/٤ (٢٣٠٩). ورواه البخاري بلفظ آخر، كتاب الأدب، باب حسن الخلق...، ٤٥٦/١٠ (٦٠٣٨) من فتح الباري.

(٢) في أ: (صنعته). وما أثبتنا هو ما في ك و ط، وهو ما جاء في صحيح مسلم غير أن قوله: (وكان من أحسن الناس خلقاً). هو في رواية منفصلة. كتاب الفضائل باب كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أحسن الناس خلقاً، ١٨٠٤/٤ ــ ١٨٠٥ (٢٣٠٩ ــ ٢٣١٠) ويظهر أن هذه الرواية ليست عند البخاري خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(٣) ما بين النجمتين ليس في ك ولا ط.
رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء...، ٤٥٥/١٠ (٦٠٣٤) من فتح الباري ورواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شيئاً قط، فقال: لا، وكثرة عطائه ١٨٠٥/٤ (٢٣١١).

(٤) في ك و ط (جابر).

(٥) الظاهر أن معنى قوله: «على الإسلام» بتقدير محذوف هو: على الدخول في الإسلام، أو على نصرة الإسلام أو نحو ذلك.

غنماً بين جبلين[1]، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة[2]».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أشد حياء من العذراء[3] في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه»[4].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو، وذكر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[5]».

---

(١) أي: كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.
انظر: شرح النووي ١٥/٧٣. م ٨.

(٢) **الفاقة**: الفقر والحاجة.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١٥.
رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً قط فقال: «لا» وكثرة عطائه، ٤/١٨٠٦ (٢٣١٢).
ويبدو أن الحديث ليس عند البخاري، خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(٣) هي: الجارية البكر.
انظر: المصباح المنير: ص ٣٩٩.

(٤) رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ١٠/٥١٣ (٦١٠٢) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/١٨٠٩ ـ ١٨١٠ (٢٣٢٠).

(٥) من **الفحش**: وهو كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، لكن استعماله في القول أكثر. والمتفحش هو الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه.
انظر: فتح الباري ١٠/٤٥٣.
رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٥٩) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/١٨١٠ (٢٣٢١).

وروى البخاري عن أنس قال: «لم يكن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سباباً ولا فحاشاً[1] ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المَعْتَبَة[2]: ماله تربت جبينه[3]».

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: «ما خير رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لنفسه قط، إلَّا أن تنتهك حرمة[4] الله[5]».

وعنها قالت: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده شيئاً قط، لا امرأة ولا خادماً، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء[6] قط فينتقم من صاحبه، إلَّا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله»[7].

---

(١) في أ (فاحشاً) وقد أثبتنا ما في الصحيح، وهو ما في ك و ط.

(٢) **المَعْتَبة**: هي مصدر عتب عليه يعتِب عتباً وعتاباً ومعتبة ومعاتبة. قال الخليل: **العتاب**: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة المَوْجِدة. المصدر والموضع السابق.

(٣) أي خَرَّ لوجهه فأصاب التراب جبينه، وهذا من الكلام الذي يجري على اللسان ولا يراد حقيقته.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، ١٠/٤٥٢ (٦٠٣١). من فتح الباري.

(٤) في ك و ط (محارم).

(٥) **حرمة الله**: أي حرمات الله.
انظر: فتح الباري ٦/٥٧٥.
رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري، بمثله، ورواه مسلم، بمثله، كتاب الفضائل، باب مباعدته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للآثام.. ، ٤/١٨١٣ (٢٣٢٧) فالحديث متفق عليه.

(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك (شيئاً) بالنصب والأصوب ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٧) سبق تخريجه ٣/ ١٠٤ رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.

وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: «كان خلقه القرآن»[2].

وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة[3]، حدثنا أبو إسحاق[4]، حدثنا أبو عبد الله الجَدَلي[5] قال: سمعت عائشة، وسألها عن خلق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أو يغفر» شك أبو داود[6].

---

(١) سقطت (خلق) من ط.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل. . .، ١/٥١٣ (٧٤٦). ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل: ٢/٤٠ (١٣٤٢). والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب قيام الليل ٣/١٩٩. وابن ماجه، أبواب الأحكام، الحكم فيمن كسر شيئاً ٢/٤٢ (٢٣٥٥). والدارمي، كتاب الصلاة، باب صفة صلاة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥. وأحمد في المسند ٦/٩١. والحاكم في المستدرك ٢/٦١٣.

(٣) **شعبة**: هو ابن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بِسْطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، وهو أول من فتَّش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنَّة وكان عابداً، مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٥١.

(٤) **أبو إسحاق**: هو عمرو بن عبد الله الهَمْداني السَّبِيعي، مكثر، ثقة عابد، اختلط بآخره، مات سنة ١٢٩هـ أو قبلها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٧٣؛ وتهذيب التهذيب ٨/٦٣.

(٥) في أ (الهذلي) وصوابه ما أثبتناه من الأصول و ك و ط.
هو عبد، أو عبد الرحمن بن عبد، الكوفي، وثقه أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي. بصري تابعي ثقة.
انظر: تهذيب التهذيب ١٢/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٦) مسند الطيالسي: ٢١٤ (١٥٢٠) ورواه الترمذي، بمثله، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/٣٦٩ (٢٠١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه الحاكم[1] في مستدركه على الصحيحين[2].

وفي الصحيحين عن علقمة[3] قال: سألت عائشة: كيف كان عمل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: «لا، كان عمله دِيْمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يستطيع[4]».

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام[5]، وقد سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ[6] عن خلق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) هو: محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري، أبو عبد الله، الحافظ، صاحب التصانيف، إمام صدوق، ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة، ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرضه للشيخين مات سنة ٤٠٥هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٠٨؛ ولسان الميزان ٥/٢٣٢؛ وشذرات الذهب ٣/١٧٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين، كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، ٢/٦١٤، والحديث بلفظ: «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكتوب في الإنجيل، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت، فقيه عابد، ولد في حياة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومات بعد الستين وقيل بعد السبعين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣١؛ وتهذيب التهذيب ٧/٢٧٦.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ١١/٢٩٤ (٦٤٦٦). من فتح الباري، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم. . .، ١/٥٤١ (٧٨٣).

(٥) **سعد بن هشام**: هو ابن عامر، الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك ثقة، قتل بأرض مُكران بالهند غازياً.
انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٨٣.

(٦) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

فقالت: «ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: «فإن خلق نبي الله القرآن»[1].

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «بعثت لأتمم صالح[2] الأخلاق»[3].

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال: «قام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى تورمت قدماه، فقيل: يا رسول الله: أليس قد غفر الله لك[4] ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً»[5].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: «ما عاب رسول الله

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ١/٥١٢ (٧٤٦).

(٢) في ط (مكارم).

(٣) رواه في المستدرك: كتاب التاريخ، آيات رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . .، ٢/٦١٣، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٨١ والبزار بمثله، قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار. . . ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة».
انظر: المجمع ٩/١٥. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال». «وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف».
انظر: المجمع ٨/١٨٨.

(٤) سقطت (لك) من ط.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب «ليغفر لك الله. . .» ٨/٥٨٤ (٤٨٣٦) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال. . .، ٤/٢١٧١ ـ ٢١٧٢ (٢٨١٩).

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ طعاماً قط، إن اشتهاه[1] أكله، وإلَّا تركه»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وأبو الشيخ الأصبهاني[3] من حديث بَهْز بن حكيم[4]، عن أبيه[5] عن جده[6] أن أخاه أتى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «جيراني على ما أُخذوا[7]» فأعرض عنه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «إن الناس يزعمون أنك نهيت عن الغي[8]، ثم تستخلي[9] به»، فقال: «لأن

---

(١) في ط (اشتهاء).

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ طعاماً، ٩/٥٤٧ (٥٤٠٩). من فتح الباري. ورواه مسلم، بنحوه، كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام، ٣/١٦٣٢ (٢٠٦٤).

(٣) **أبو الشيخ الأصبهاني**: هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حَيَّان، الإمام الحافظ الصادق، محدث أصْبَهان، ولد سنة ٢٧٤هـ أثنى عليه كثير من الأئمة، إلَّا أنه كان ينقل كثيراً من الأخبار الواهية في كتبه، مات سنة ٣٦٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٢٧٦ ــ ٢٧٩؛ وطبقات الحفاظ: ٣٨٢ (٨٦٤).

(٤) **بَهْز بن حكيم**: هو ابن معاوية القشيري، أبو عبد الملك، صدوق، مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٤٩٨.

(٥) أبوه: هو حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القشيري، وثقه العجلي، وقال النسائي: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في الثقات.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٤٥١.

(٦) جده: هو معاوية بن حَيْدَة بن كعب القشيري، صحابي، نزل البصرة، ومات بخراسان. وذكر البخاري أنه سمع من النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: الإصابة ٣/٤٣٢؛ و تهذيب التهذيب ١٠/٢٠٥.

(٧) **الأخذ**: الأسر والحبس.
انظر: المصباح المنير ص ٧.

(٨) في ك و ط (البغي).

(٩) **تستخلي به**: أي تفعل الغي بنفسك.
انظر: المصدر السابق ١/١٨١.

كنت أفعل ذلك أنه لعلي وما هو عليهم، خلوا له جيرانه[1]».

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[2] عن أنس بن مالك قال: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهته[3] لذلك»، رواه عن عبد الرحمن بن مهدي: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد[4]، عنه[5].

وروى عنه[6] أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس «أن الله أرسل إلى نبيه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مَلَكاً من الملائكة معه جبريل فقال الملك: «إن الله خيره بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون مَلِكاً

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٤، وأبو داود، كتاب الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره ٣/٣١٤ (٣٦٣١). بلفظ مختصر. والترمذي كتاب الديات، باب ما جاء في الحبس في التهمة، ٤/٢٨ (١٤١٧). مختصراً جداً. وقال: «حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده حديث حسن».

(٢) لم يرد في ك و ط: (وأبو داود والترمذي).

(٣) في ك و ط (كراهيته).

(٤) في ط (حدثنا).

حميد: هو ابن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس، وعابه «زائدة» لدخوله في شيء من أمر الأمراء، مات سنة ١٤٢ أو ١٤٣هـ وهو قائم يصلي وله ٥٧ سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٢؛ وتهذيب التهذيب ٣/٣٨.

(٥) في ك و ط (ورواه أبو داود والترمذي) وفي ط سقطت الواو العاطفة قبل الجملة المذكورة.

أي عن أنس ــ رضي الله عنه ــ.

رواه الإمام أحمد في المسند ٣/١٣٤، ولم يخرجه أبو داود خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف، ورواه الترمذي بنحوه ٥/٩٠ (٢٧٥٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٦) سقطت (عنه) من ك و ط. والمقصود: عبد الرحمن بن مهدي.

نبياً، قال: فالتفت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده: أن تواضع، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «لا بل أكون عبداً نبياً» رواه[1] النسائي والبخاري في تاريخه»[2].

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فمرض، فأتاه[3] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله»؟ فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[4].

وعن ابن أبي حازم[5]: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كَلَّم

---

(١) في ك و ط (ورواه).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ آخر ٢/٢٣١، قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح». ثم أورد مثل هذا الحديث عن ابن عباس وقال: «رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس». ورواه عبد الرزاق في المصنف بنحوه، كتاب الجامع، باب الكبر، الأكل متكأ ١٠/٤١٧ (١٩٥٥١). ورواه ابن حبان.
انظر: موارد الظمآن للهيثمي، كتاب علامات نبوة نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باب في زهده. . .، ٥٢٥ (٢١٣٧).
وأخرجه البغوي في شرح السنة ٣/٤٧٣، وابن حبان برقم (٢١٣٧)، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٠٠٢) وفي السلسة الضعيفة برقم (٢٠٤٤).

(٣) في ك و ط (فعاده).

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي. . .، ٣/٢١٩ (١٣٥٦) من فتح الباري. ولم أجده عند مسلم. ورواه أبو داود بمثله، كتاب الجنائز، باب في عيادة الذمي، ٣/١٨٥ (٣٠٩٥). ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٢٧. والحاكم في المستدرك ٤/٢٩١.

(٥) سقطت (ابن) من جميع النسخ وسقوطها يوهم بأنه: (أبو حازم الأشجعي) وليس =

رجلاً فأرعد[1]، فقال لـه رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «هوِّن عليك[2] فإني لست بمَلِك، إنمـا أنا ابن امـرأة من قريش، كـانت تأكـل القَـدِيْـد[3]» رواه ابن الجــوزي[4] من طـرق، بعضهــا متصـلاً عن ابن مسعود، قال ابن الجوزي[5] «وروي[6] متصل»، والصـواب إرسالـه كما تقدم.

= كذلك وإنما هو قيس بن أبي حازم واسمه حصين بن عوف ــ وقيل غير ذلك ــ البجلي الأحمسي، أبـو عبـد الله الكـوفي، ولأبيـه صحبـة، ولم تثبت رؤيتـه، أجمعـوا على الاحتجاج به، مات سنة ٨٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٩٨ ــ ٢٠٢؛ وتهذيب التهذيب ٨/٣٨٦ ــ ٣٨٩.

(١) **أرعد**: من الرِّعْـدة، وهي النافض يكـون من الفزع وغيـره. و **الارتعاد**: الاضـطراب والارتجاف.
انظر: اللسان ٣/١٧٩ مادة رعد.

(٢) من **الهَوْن**: وهو الرفق والدعة والسكون.
انظر: لسان العرب ١٣/٤٤٠ مادة هون.
رواه ابن ماجه بنحـوه، أبواب الأطعمـة، باب القـديد، ٢/٢٤٢ (٣٣٥٥). قـال في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: «هذا إسناد صحيح، رجـاله ثقـات». كما نقله الأعظمي بهامش ابن ماجه.

(٣) القـديد: هـو اللحم المقدد، أي: مـا قُطِع من اللحم وشُـرر، وقيل: مـا قـطع منـه طوالاً، وهو اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى: مفعول.
انظر: المصدر السابق ٣/٣٤٤، مادة: (قدد).

(٤) هـو عبد الـرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيـد الله بن عبد الله بن حَمَّـادي، يصـل نسبه بـالصديق أبـي بكـر ــ رضي الله عنه ــ الشيـخ العلامـة الحافظ المفسـر جمـال الدين، أبـو الفرج، البغـدادي الحنبلي الـواعظ، ولـد سنـة ٥١٠هـ ذكـر لـه الذهبـي أسماء ثلاثة وثمانين كتاباً، وأحصيت كتبه قبل موته ٢٥٠ كتاباً، وامتحن في أواخر عمره لمدة خمس سنوات حيث حبس في سفينة، وتوفي سنة ٥٩٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥ ــ ٣٨٤؛ وشذرات الذهب ٤/٣٢٩.

(٥) في ك و ط زيادة (وجرير).

(٦) في ط (أوروى). =

وفي الصحيح عن أنس[١]، «أن امرأة كان في عقلها شيء، قالت[٢]: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. قال: «يا أم فلان، خذي في أي الطرق شئت، قومي فيه حتى أقوم معك»، فخلا معها يناجيها[٣] حتى قضت حاجتها». رواه مسلم[٤].

وعن أنس قال: «كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فتدور به في حوائجها حتى تفرغ، ثم يرجع»، رواه البخاري في الأدب[٥].

= **المتصل**: هو ما اتصل إسناده بسماع كل واحد من رواته ممن فوقه، أو إجازته إلى منتهاه، مرفوعاً كان أو موقوفاً على من كان. والمرسل: هو قول التابعي الكبير كقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيب قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: كذا، أو فَعَلَه.

انظر: تدريب الراوي ١/١٨٣ و١٩٥.

(١) في ك و ط زيادة (ابن مالك).

(٢) في ك و ط (فقالت).

(٣) من نجوته نجواً، أي: حدثته سراً.

انظر: مختار الصحاح ص ٦٤٨.

(٤) رواه مسلم بنحوه. كتاب الفضائل، باب قرب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الناس وتبركهم به، ٤/١٨١٢ ــ ١٨١٣ (٢٣٢٦). ورواه أبو داود برقم (٤٨١٨). وأحمد في المسند ٣/٢٨٥.

(٥) أي في كتاب الأدب من صحيحه، باب الكبر، بمعناه، ١٠/٤٨٩ (٦٠٧٢) من فتح الباري، قال الحافظ ابن حجر: «قال حماد: ولم أر في شيء من نسخ البخاري تصريحه عنه بالتحديث» ــ يقصد محمد بن عيسى ــ الراوي عنه البخاري ــ قال الحافظ: «وأخرجه أحمد عن هشيم شيخ محمد بن عيسى فيه، وإنما عدل البخاري عن تخريجه عن أحمد بن حنبل لتصريح حميد ــ أي الطويل ــ في رواية محمد بن عيسى بالتحديث، فإنه عنده عن هشيم: «أنبأنا حميد عن أنس» وحميد مدلس، والبخاري يخرج له ما صرح فيه بالتحديث». ورواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب البراءة من الكبر، والتواضع، ٢/٤٢٢ (٤٢٣٠). قال الأعظمي: قال البوصيري في الزوائد: «هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان».

وروي عن ابن أبي أوفى[1] قال: كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجته»[2].

وعنه[3] قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويُقَصِّر الخُطبة، ولا يستنكف[4] أن يمشي مع العبد، ولا مع الأرملة[5] حتى يفرغ من حاجتهم»، ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه[6].

وروى أبو داود الطيالسي عن أنس، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة

---

(١) ابن أبي أوفى: هو عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، صحابي، شهد الحديبية، وعُمر بعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ومات بالكوفة سنة ٨٧هـ وهو آخر من مات بها من الصحابة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٢.

(٢) رواه النسائي بمثله، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة، ٣/١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) أي: عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) أي: لا يأنف ولا يتنزه ولا يتكبر.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤٤٠.

(٥) هي المرأة التي لا زوج لها.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٧.

(٦) رواه الدارمي، المقدمة، باب تواضع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/٣٥، بمثله. ورواه الحاكم بنحوه، كتاب التاريخ، كتاب آيات رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢/٦١٤ في روايتين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي بنحوه وعزاه للطبراني، وقال: «إسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/٢٠.

المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خِطامه ليف»[1].

وروى مسلم في صحيحه عن أنس، قال: «ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ »[2].

وروى البخاري عنه، قال: «مر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على صبيان فسلم عليهم»[3].

وروى ابن عباس، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة[4]، ويجيب دعوة المملوك»[5].

وعن قدامة بن عبد الله [6]: «رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي وفيه: (من ليف) ٢٨٥ (٢١٤٨). وإسناد هذا الحديث فيه أبو عبد الله مسلم الأعور، وهو ضعيف.
انظر: الضعفاء الكبير ٤/١٥٣ (١٧٢٢) لمحمد بن عمرو العقيلي ٣٢٢هـ، ت: د. عبد المعطي قلعجي ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الصبيان والعيال. . .، ٤/١٨٠٨ (٢٣١٦).

(٣) هذا أقرب إلى لفظ مسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، ٤/١٧٠٨ (٢١٦٨). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان، ١١/٣٢ (٦٢٤٧) من فتح الباري.

(٤) يقال: اعتقل شاته: إذا وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها.
انظر: اللسان ١١/٤٦٢ مادة: عقل.

(٥) أورده الهيثمي بمثله وعزاه إلى الطبراني، وقال: «إسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/٢٠.

(٦) **قدامة بن عبد الله**: هو ابن عمار بن معاوية العامري، من بني نفيل بن عمرو بن كلاب العامري، ثم الكلابي، يكنى أبا عبد الله، أسلم قديماً وسكن مكة ولم يهاجر، وشهد حجة الوداع. وأقام بركبة في البدو من بلاد نجد وسكنها.
انظر: أسد الغابة ٤/٩٣؛ وتقريب التهذيب ٢/١٢٤.

وسلَّم ــ على بغلة شهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك»[1] رواهما أبو الشيخ.

وعن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قط مستجمعاً ضاحكاً[2] حتى أرى منه لَهَواته[3]، إنما كان يتبسم[4]، وكان إذا رأى غيماً[5] أو ريحاً عُرف[6] في وجهه، فقلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟. قال: «يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذب قوم بالرِّيح، وقد أتى العذاب قوماً» وتلا قوله ــ تعالى ــ:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ... ﴾[7].

أخرجاه في الصحيحين[8].

---

(١) رواه الترمذي بنحوه، كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية طرد الناس عند رمي الجمار، ٢٣٨/٤ (٩٠٣)، وقال أبو عيسى: «حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح». ورواه النسائي بمثله، كتاب المناسك، باب الركوب إلى الجمار...، ٥/ ٢٧٠ وابن ماجه، أبواب المناسك، باب رمي الجمار راكباً ٢/ ١٨٤ (٣٠٧١).

(٢) أي: مبالغاً في الضحك لم يترك منه شيئاً.
انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٠٦.

(٣) لهواته: جمع لهاة، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) في ط (يبتسم).

(٥) الغيم: السحاب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٨٧.

(٦) (ذلك) زيادة في ك و ط.

(٧) سورة الأحقاف: الآية ٢٤.

(٨) رواه البخاري، بنحوه، كتاب التفسير، سورة الأحقاف، باب: «فلما رأوه =

وفي الصحيحين ـ أيضاً ـ عن أنس، قال: «كنت أمشي مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية[1]، فأدركه أعرابي فجبذ[2] بردائه جبذاً شديداً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أثرت بها حاشية البُرْد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك. قال: فالتفت إليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فضحك، ثم أمر له بعطاء»[3].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي[4] فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت، قام، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم»[5].

= عارضاً...» ٥٧٨/٨ (٤٨٢٨ ـ ٤٨٢٩) وفي كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ٥٠٤/١٠ (٦٠٩٢). من فتح الباري. ومسلم بنحوه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ٦١٦/٢ ـ ٦١٧ (٨٩٩).

(١) هل طرف الثوب مما يلي كَفَّته.
انظر: فتح الباري ٥٠٦/١٠.

(٢) جبذ، بمعنى: جذب.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ٥٠٤/١٠ (٦٠٨٨) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ٧٣٠/٢ ـ ٧٣١ (١٠٥٧) بمثله.

(٤) في ك و ط (يقوم).

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، ٤٦٣/١ (٦٧٠) بمثله. ورواه الترمذي بمعناه، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ١٤٠/٥ (٢٨٥٠). ورواه النسائي، كتاب =

وفي رواية أخرى صحيحة: «كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر، والشيء من أمورهم، فيضحكون ويتبسم»[1].

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وسألها الأسود[2]: ما كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصنع في أهله؟ فقالت: «كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)[3]، فإذا حضرت الصلاة خرج»[4].

ومن[5] رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة[6]،

= السهو، باب قعود الإمام في مصلاه بعد التسليم ٣/٨٠ ـ ٨١، بمثله. ورواه الإمام أحمد بمعناه ٥/١٠٥.

(١) هذه الرواية هي للإمام أحمد في مسنده، ٥/٨٦ وإسنادها: حدثنا سليمان بن داود، ثنا شريك، عن سماك، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «نعم، فكان طويل الصمت. . .» الحديث بنحوه. ورجال إسناد هذه الرواية ثقات، كما ذكر الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: أنها صحيحة.

(٢) هو ابن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، أو أبو عبد الرحمن، مخضرم، ثقة مكثر فقيه، مات سنة ٧٤هـ أو ٧٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٧٧.

(٣) هذا من قول آدم بن أبي إياس شيخ الإمام البخاري.
انظر: فتح الباري ٢/١٦٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله؟ ١٠/٤٦١ (٦٠٣٩). من فتح الباري. بمثله والترمذي بمثله. كتاب صفة القيامة، باب (٤٥)، ٤/٦٥٤ (٢٤٨٩).

(٥) في ك و ط (وفي).

(٦) عروة: هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة، فقيه مشهور، من الطبقة الثانية. مولده في أوائل خلافة الفاروق مات سنة ٩٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٩.

قال: «سأل رجل عائشة، هل كان يعمل في بيته؟ فقالت[1]: «كان يخصف[2] نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[3].

وروى الطيالسي: ثنا شعبة، ثنا الأعور[4]، قال: سمعت أنساً، يقول: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خُطامه من ليف»[5].

* وروى مسلم في صحيحه عن أنس، قال: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ»[6].

وروى عنه البخاري، قال: «مر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على صبيان فسلم عليهم» *[7].

---

(١) في ك و ط (قالت).

(٢) أي: يخرز.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٧.

(٣) رواه الإمام عبد الرزاق في المصنف، كتاب الجامع، باب عمل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ١١/ ٢٦٠ (٢٠٤٩٢). قال الحافظ في الفتح ١٠/ ٤٦١: «أخرجه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان».

(٤) في جميع النسخ (الأغر) والصواب (الأعور). كما أثبتناه من مسند الطيالسي وغيره.
الأعور: هو ابن كَيْسان الضبي الكوفي المُلاَئي البراد، أبو عبد الله، ضعفه الأئمة وقال عنه الدارقطني مرة: مضبوط الحديث، روى له الترمذي وابن ماجه.
انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٦؛ وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٦؛ وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٥.

(٥) مسند أبي داود الطيالسي ٢٨٥ (٢١٤٨) وتقدم أن أحد رجال الإسناد الأعور وهو ضعيف.

(٦) سبق تخريجه، ص ٤٧١.

(٧) سبق تخريجه، ص ٤٧١. ما بين النجمتين ليس في ك و لا ط.

وفي صحيح مسلم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ[1] قالت: «ما شبع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثة أيام من خبز بُرٍّ تباعاً[2] حتى مضى لسبيله»[3].

وعنها قالت: «كنا ــ آل محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يمر بنا الهلال والهلال، ما نوقد بنار لطعام، إلَّا أنه التمر والماء، إلَّا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعث أهل كل دار بفريزة[4] شاتهم إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. وكان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يشرب[5] من ذلك اللبن» أخرجاه في **الصحيحين**[6].

وفي صحيح البخاري قال أنس: «ما رأى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رغيفاً مرققاً[8] حتى لحق بالله، ولا أرى شاة

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ.

(٢) أي ما عدا المتفرقة.

(٣) أي: لحق بالرفيق الأعلى وقبضه الله ــ تعالى ــ انظر: فتح الباري ١١/٢٩١.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه مسلم، بمثله. كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٤/٢٢٨١ (٢٩٧٠).

(٤) من الفَرْز، وهو عزل الشيء عن الشيء وتمييزه، والفِرْزة: القطعة مما عزل.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٦٧.

(٥) (يشرب) سقطت من أ.

(٦) رواه البخاري بنحوه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي...، ١١/٢٨٣ (٦٤٥٩). من فتح الباري. ومسلم بنحوه، كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٤/٢٢٨٣ (٢٩٧٢).

(٧) هو الملين المحسن.
انظر: فتح الباري ٩/٥٣٠.

(٨) هو الملين المحسَّن.
انظر: فتح الباري ٩/٥٣٠.

سميطاً[1] بعينه قط»[2].

وفي صحيح البخاري عنه: «ما أكل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على خِوان[3] ولا في سُكْرَجَّة[4] ولا خُبِز له مرقَّق»[5]. فقيل له: على ما كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفر»[6].

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب: أنه خطب وذكر ما فُتح على الناس، فقال: «لقد رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يتلوى يومه من الجوع، ما يجد من الدقَل[7] ما يملأ به بطنه»[8].

---

(١) من المسموط، وهو الذي أزيل شعره بالماء المسخن، وشوى بجلده، أو يطبخ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري، وهو من فعل المترفين. المصدر السابق ٥٣١/٩. قلت: وهو الذي يسمى في الحجاز «المندي». حالياً. أو ما شابه ذلك.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب شاة مسموطة...، ٥٥١/٩ ـ ٥٥٢ (٥٤٢١) من فتح الباري، وابن ماجه بنحوه، أبواب الأطعمة، باب الرقاق، ٢٤٧/٢ (٣٣٨٢).

(٣) هو المائدة (الطاولة) ما لم يكن عليها طعام.
انظر: فتح الباري ٥٣١/٩.

(٤) هي صحاف (أواني) صغار، يؤكل فيها، منها الكبير والصغير.
انظر: المصدر السابق ٥٣٢/٩.

(٥) في ط (مرفق) بفاء ثم قاف.

(٦) السفرة: أصلها الطعام الذي يعد للمسافر، ثم استعملت لما يوضع بين الأرض وأواني الطعام.
انظر: المصدر السابق ٥٣١/٩.
رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق...، ٥٣٠/٩ (٥٣٨٦). من فتح الباري.

(٧) هو تمر رديء.
انظر: شرح النووي ١٠٩/١٨. م ٩.

(٨) رواه مسلم بنحوه، كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٢٢٨٥/٤ (٢٩٧٨).

وفي صحيح البخاري عن أنس: أنه مشى إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بخبز شعير وإهالة سَنِخة[1]، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيراً، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آل محمد صاع بُرّ ولا صاع حب»، وإنهم يومئذ تسعة أبيات[2].

وفيه عن عائشة، قالت: «كان فراش رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من أدَم[3] حَشْوُه ليف»[4].

وفي صحيح مسلم[5] من حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لما ذكر اعتزال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نساءه ــ قال: فدخلت على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في خزانته، فإذا هو مضطجع على حصير، فأدنى إليه إزاره وجلس، وإذا الحصير قد أثر بجنبه، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئاً يرد البصر غير قبضة من شعير

---

(١) **الإهالة**: ما أذيب من الشحم والإلية، أو كل دسم جامد، أو ما يؤتدم به من الأدهان.
والسَّنِخَة: متغيرة الريح.
انظر: فتح الباري ١٤١/٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرهن، باب في الزهد في الحضر، ١٤٠/٥ (٢٥٠٨) من فتح الباري.

(٣) هو باطن الجلد الذي يلي اللحم.
انظر: مختار الصحاح ص ١٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه...، ٢٨٢/١١ (٦٤٥٦).

(٥) في ك و ط (الصحيحين).

وقبضة من قرظ[1] نحو الصاعين، وإذا أَفِيْق[2] معلقة، فابْتَدَرَتْ عيناي[3]. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ فقلت: «يا رسول الله، وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وهذه خزانتك[4] وهذه الأعاجم[5] كسرى وقيصر في الثمار والأنهار»، فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلَت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا». وفي رواية: «أو ما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»، قال: بلى، قال: «فالحمد[6] لله ــ عز وجل ــ». قال: فقلت: «أستغفر الله»[7].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[8].

---

(١) في جميع النسخ (قرض) والصواب (قرظ) كما في الصحيح واللسان، وهو شجر يدبغ به، وقيل: ورق السَّلم يدبغ به الأَدَم.
انظر: لسان العرب ٧/٤٥٤ مادة: قرظ.

(٢) في ط (أفق) وهو بفتح الهمزة وكسر الفاء: جلد لم يتم دباغه.
انظر: شرح النووي ١٠/٨٣ م ٥.

(٣) أي: سالتا بالدموع.
انظر: المصدر السابق ٤/٤٨ مادة (بدر).

(٤) اسم للموضع الذي يجمع فيه المال.
انظر: المصدر السابق ١٣/١٣٩ مادة (خزن).

(٥) في ك و ط زيادة (وفي رواية).

(٦) في ك و ط (فاحمد).

(٧) رواه مسلم بعدة روايات، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن...، ٢/١١٠٥ ــ ١١١٣ (١٤٧٩). ورواه البخاري مختصراً جداً، كتاب اللباس، باب ما كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يتجوز من اللباس والبسط، ١٠/٣٠١ ــ ٣٠٢ (٥٨٤٣) من فتح الباري.

(٨) قوتاً: أي كفافاً، وهو الذي لا يرهق إلى ذل المسألة، ولا تكون فيه فضول تبعث =

وروى الطيالسي بإسناد صحيح عن ابن مسعود، قال: «اضطجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على حصير[1] فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه عنه وأقول: «بأبي أنت وأمي[2] يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه؟»، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلاَّ[3] كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

ورواه[5] الحاكم في صحيحه عن ابن عباس أن عمر دخل على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وذكر[6] نحوه[7].

= على الترفه والتبسط في الدنيا.
انظر: فتح الباري ٢٧٥/١١.
رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، المقدمة ٢٢٨١/٤ (١٠٥٥) والبخاري بلفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتاً» كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه. . .، ٢٨٣/١١ (٦٤٦٠) من فتح الباري. ورواه الترمذي برقم ٢٣٦٣.

(١) هو كل ما نُسِج من جميع الأشياء.
انظر: ترتيب القاموس ٦٥٣/١.
(٢) في أ (بأبي وأمي أنت) وقد أثبتنا ما في ك و ط لاتفاقه مع المسند.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ سقطت (إلاَّ) وقد صححناه من ك و ط.
في ك و ط زيادة (رواه أحمد).
(٤) المسند لأبي داود الطيالسي ٣٦، (٢٧٧). وقد حكم الشيخ المؤلف ـ يرحمه الله ـ على الإسناد بالصحة، حيث أن رواته المسعودي عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن علقمة وكلهم ثقات.
(٥) في ك و ط (وروى).
(٦) في ك و ط (فذكر).
(٧) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم، ٣٠٩/٤، بنحوه. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٤٥/١، وانظر: الفتح الرباني ٨٣/٢٢.

وفي الترمذي عن أنس بن[1] مالك، قال: حج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على رحل رث وقطيفة»[2]، ورواه البخاري ـ أيضاً ـ عن أنس[3] في (كتاب الحج) قال: «حج أنس على رحل رث، ولم يكن شحيحاً[4]، وحدّث أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حج على رحل وكانت زاملته»[5].

وفي صحيح[6] الحاكم عن أنس: أن النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في ط (ابن).

(٢) الرحل: رحل البعير، وهو أصغر من القتب. ويستعمل للركوب عليه. والقطيفة: دثار مُخْمل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٧ و٥٤٣.
رواه الترمذي في الشمائل(*)، باب ما جاء في تواضع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢٦٤ (٣١٧): بأتم من هذا، ويشهد له الحديث بعده.

(٣) في ك و ط (عن أنس ـ أيضاً ـ).

(٤) أي: لم يكن بخيلاً.
انظر: المصباح المنير ص ٣٠٦.

(٥) الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، من الزَّمْل، وهو الحمل. والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه، بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة والزاملة.
انظر: فتح الباري ص ٣/٣٨١.
رواه البخاري وليس فيه (رث) كتاب الحج، باب الحج على الرحل ٣/٣٨٠ (١٥١٧). من فتح الباري، ورواه ابن ماجه بلفظ آخر قال ابن حجر في الموضع السابق: «إسناده ضعيف». أبواب المناسك، الحج على الرحل ٢/١٥٤ (٢٩٢٢). وهو بمثل رواية الترمذي في الشمائل المذكورة هنا، وهما من رواية الربيع بن صبيح السعدي عن يزيد بن أبان، عن أنس.

(٦) كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ (مستدرك الحاكم). فوصف (الصحيح) لا ينطبق تماماً عليه.

(*) المقصود هو كتاب الشمائل المحمدية (مجلد واحد).

وسلَّم ــ لبس خشناً، وأكل خشناً، ولبس الصوف، واحتذى المخصوف[1]. قيل للحسن: ما الخشن؟ قال: غليظ الشعير، ما كان يسيغه[2] إلَّا بجرعة ماء»[3].



انتهى المجلد الخامس
ويليه المجلد السادس وأوَّله:
فصل [في فضل أمة محمد على غيرها]

---

(١) أي: لبس الحذاء الذي هو فيه كترقيع الثوب.
انظر: المصباح المنير ص ١٢٦ و ١٧١.

(٢) أي: لا يسهل مدخله في الحلق.
انظر: المصباح المنير ص ٢٩٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، ٤/٣٢٦. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، قال الذهبي: «لم يصح، نوح ــ أي ابن ذكوان ــ واه، ويوسف ــ أي: ابن أبي كثير ــ مجهل» (هكذا).

فهرس موضوعات الجزء الخامس



الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدّين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلّد السّادس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الجواب الصحيح

لمن بدّل دين المسيح

(٦)



فـصـل(1)

فضل أمة محمد على غيرها في الإيمان والعمل آية لنبوته

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم ـ وذلك مستلزم لكونه رسولاً صادقاً كما تقدم، وهو آية وبرهان على نبوته، فإن كل ملزوم، فإنه دليل على لازمه.

(2)إن الأمم نوعان: نوع لهم كتاب منزل من عند الله، كاليهود والنصارى. ونوع لا كتاب لهم، كالهند، واليونان، والترك، وكالعرب قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وما من أمة إلَّا ولا بد لها من علم وعمل، بحسبهم، ويقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم ـ وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان، بل لكل حي(3)، كما يهدي الحيوان(4) لجلب ما ينفعه بالأكل والشرب، ودفع ما يضره باللباس والكِنّ(5)، وقد خلق الله فيه حباً لهذا، وبغضاً لهذا. قال ـ تعالى ـ:

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾(6).

---

(1) في ك و ط زيادة (في المعاد).

(2) في ك و ط زيادة (أعلم).

(3) في ك و ط (حيوان).

(4) في ك و ط (إلى).

(5) الكِنُّ، هو وقاء كل شيء وستره، وهو البيت ـ أيضاً ـ.
انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٦٠ مادة (كنن).

(6) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٣.

وقال موسى[1]:

﴿... رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2].

وقال في أول ما أنزل على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[4].

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق ــ تعالى ــ وفي الإقرار بالمعاد[5] بعد الموت: إما للأرواح فقط، وإما للأبدان فقط، وإما لمجموعهما، كما هو قول سلف الأمة[6]: المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة، ومتفاضلون فيما يحمدونه[7] ويستحسنونه من الأفعال والصفات، وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك.

---

(١) في ك و ط زيادة (لفرعون).

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.
بعد هذا زيادة في ك و ط: وقال الخليل:
﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [سورة الشعراء: الآية ٧٨]

(٣) سورة العلق: الآيات ١ ــ ٥.

(٤) سورة البلد: الآيات ٨ ــ ١٠.
النجدان، هي: الخير والشر.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٥٦٢.

(٥) في ك و ط (بمعاد).

(٦) سقطت (الأمة) من ك و ط.

(٧) في ك و ط (يجدونه).

لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم، والصدق خير من الكذب، والعلم خير من الجهل، فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم.

وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء، فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب، وإن كان على وجه قاصر، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم، وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب سلف المسلمين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم، من أهل السنة والحديث، من الفقهاء والصوفية والنظار: وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان(١) جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى، ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين، القيامة الصغرى بالموت، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة، حيث قال في أولها:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٢) ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٣) ۝٦ وَكُنتُمْ

---

(١) في ك و ط (الروح والبدن).

(٢) أي: فتت تفتيتاً حتى صارت كالدقيق المبسوس ــ وهو المبلول.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣٠٥ ــ ٣٠٦ م ٣.

(٣) أي: غباراً متطايراً في الهواء، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل النافذة، المنبث: المتفرق.
انظر: المصدر والموضع السابق.

أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (١).

ثم ذكر ـ سبحانه ـ حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى، وقال في آخر السورة:

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٢) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٣) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٤) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ (٥) مِّنْ حَمِيمٍ (٦) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (٧).

(٨) وكذلك في سورة القيامة:

---

(١) سورة الواقعة: الآيات ١ ـ ٩.
في ك و ط زيادة آية: (في جنات النعيم).

(٢) هو الحلق، بعد الفم، وهو موضع النَّفس ومجرى الطعام والشراب.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٦.

(٣) أي: محاسبين ومجزيين.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣١٥ م ٣.

(٤) روح: استراحة. انظر: المصدر السابق ٢٧/٣١٦ م ٣.

(٥) النزل: أول شيء يقدم للضيف.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) الحميم: السائل الحار الذي يصهر البطون لشدة حرارته.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة الواقعة كاملة، ما عدا الآيتين: ٩٥ ـ ٩٦ الأخيرتين.
في ك و ط زيادة الآيتين الأخيرتين: **﴿إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم﴾**.

(٨) في ك و ط زيادة (قال).

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ[1] أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ[2] بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ[3] يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ[4] وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ[5] إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ .

فذكر القيامة الكبرى، ثم قال ــ في آخر السورة ــ :

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ[6] وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾[7] .

ولبسط هذا[8] موضع آخر، فإن ذِكْرَ ما ينال[9] الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية.

---

(١) النفس اللوامة: هي النفس المؤمنة التقية، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٤.

(٢) هو: أطراف الأصابع.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) أي: يستمر على الفجور، ويقدم على الشهوات والآثام.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) أي زاغ البصر وتحير، وانبهر من شدة الأهوال والمخاطر.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٥ م ٣.

(٥) أي: لا ملجأ له ولا مغيث من عذاب الله.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) التراقي: أعالي الصدر. من راق: من يُطِب ويشفي هذا المريض.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٧.

(٧) سورة القيامة: الآيات ١ ــ ٣٠.

(٨) في ك و ط (وبسط هذا له).

(٩) في ك و ط (تناله).

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة، فكثير جداً، لأن محمداً[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم الأنبياء، وقد بعث بين يدي الساعة، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره، كما ذكر المسيح ـ في صفته ـ فقال: «إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للرب»[2].

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة. وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو[3] قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة.

والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط، وأن الأبدان لا تعاد. وهذا لم يقله أحد من أهل الملل، لا المسلمين، ولا اليهود، ولا النصارى. بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى.

ولكن من تفلسف من هؤلاء، فوافق سلفَه من الصابئة والفلاسفة المشركين، على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة، وخاطبوهم بإثبات الصفات لله وليس له[4] حقيقة، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق،

---

(١) في أ سقطت الألف من (محمداً) وقد صححناه من ك و ط.

(٢) انظر: الإصحاح السادس عشر ١٣ ـ ١٥، من إنجيل يوحنا، العهد الجديد ١٤٥.

(٣) في ك و ط زيادة (من).

(٤) في ك و ط (لها).

وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله، ولا معرفة شيء من أمر المعاد.

وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء[1] ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء، من المسلمين، واليهود، والنصارى. وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل، لظهور أديانهم، وهو في الباطن على هذا الرأي. وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط، منهم من يقول: بأن الأرواح تتناسخ، أما في أبدان الآدميين، أو أبدان الحيوان مطلقاً، أو في موضع[2] الأجسام النامية. ومنهم من يقول بالتناسخ[3] للأنفس الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ.

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً، كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك وغيرهم، والمتفلسفة أتباع (أرسطو) كالفارابي وأتباعه، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال: قيل: بالمعاد للنفس[4] العالمة والجاهلة. * وقيل: بالمعاد للعالمة دون الجاهلة *[5] وقيل: بإنكار الاثنين، والفارابي ـ نفسه ـ قد قال الأقوال الثلاثة. وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر[6]، إذ المقصود

---

(١) في ط (هؤلاء).
(٢) في ك و ط (جميع).
(٣) في ك و ط (في) بدلاً من اللام.
(٤) في ك و ط (الأنفس) بالجمع.
(٥) ما بين النجمتين سقط من ك و ط وقد وضعت ط للجملة السابقة رقم ١ و ٢ جميعاً.
(٦) انظر: مجموع الفتاوي ٤/٢٦٢ وما بعدها.

هنا أن كل ما عند أهل الكتاب، بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح، فهو عند المسلمين.

وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تُنال بها السعادة والنجاة. وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم والفواحش، ولهم علوم إلهية، وعبادات بحسبهم، ويعظمون أهل العلم والدين منهم. والهند واليونان والفرس[١] في ذلك أكمل من كفار الترك، والبربر ونحوهم، مع أن هؤلاء ــ أيضاً ــ فيهم[٢] قسط من ذلك[٣].

ومعلوم عند الاعتبار أن الأمم الذين لهم كتاب، كاليهود والنصارى، أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم، في الفضائل العلمية والعملية، فإن ما لم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار[٤]، أو[٥] بالمنام والإلهام[٦]، وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الأمم[٧].

وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والإلهامية وغيرها، شارك[٨]

---

(١) في ك و ط تقدمت (الفرس) على (اليونان).

(٢) في ك و ط تقدمت (فيهم) على (قسط).

(٣) في ك و ط زيادة (بحسبهم).

(٤) الاعتبار، هو التدبر والنظر والمقايسة.
انظر: لسان العرب ٤/ ٥٣٠. مادة: عبر.

(٥) في ك و ط بالعطف بدلاً من (أو).

(٦) الإلهام: ما يلقى في الروع ــ النفس ــ فيبعث على الفعل أو الترك. وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده.
انظر: المصدر السابق ١٢/ ٥٥٥ مادة (لهم).

(٧) في ك و ط (العلم).

(٨) في ك و ط (يشارك).

أهل الكتاب فيه مَنْ لا كتاب له. ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء، ليس في قوة من ليس بنبي أن يعلمها، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات المنزلية[1] والمدنية. فإن جنس أهل الكتاب ولو كان منسوخاً مبدلاً، [2]أحسن حالاً ممن لا كتاب له.

وأما[3] في العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر، فرجحانهم فيه ظاهر.

وأما علوم وأعمال يكون ضررها راجحاً، كالسحر والطلسمات[4] وما يتوسل به من الشرك إلى استخدام الشياطين ونحو ذلك، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أَقْوَمُ به[5]، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا لما ذكر الله ـ سبحانه[6] ـ في قصة سليمان براءته عن

---

(١) في ك (المكية) وفي ط (الملكية).
(٢) في ك و ط زيادة (هم).
(٣) في ك و ط (أما).
(٤) من (طلسم الساحر) أي كتب الطلاسم، و (الطِلَسْم) و (الطِلَّسم) هو فيما يزعمون ـ تسلط القوى السماوية الفعالة على القوى الأرضية المنفعلة، بواسطة خطوط وأوفاق معينة، وقد اشتغل المصريون القدماء والبابليون والكلدانيون والسريانيون بعلم الطلاسم، وكان له عندهم المؤلفات الكثيرة، ولكن لم يترجم منها إلَّا القليل، وقد اشتغل به في المشرق جابر بن حيان ـ كبير السحرة ـ وبعده مسلمة بن أحمد المجريطي في الأندلس.
انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٧٧٠.
(٥) من قام بالأمر: إذا تكفل به واعتنى بشأنه.
انظر: المصدر السابق ١٢/٥٠٣ مادة (قوم).
(٦) في ك و ط وردت كلمة التقديس (تعالى).

ذلك، وكانت الشياطين قد(1) كتبت كُتُبَ كفر وسحر، ودفنتها تحت كرسي سليِّمان، فلما مات أظهروا ذلك، وقالوا: إنما كان يسخر الجن بهذه الأسماء والعزائم، فصدقهم فريقان. فريق قدحوا في سليمان بل كفروه، من أهل الكتاب، وقال(2): من فعل ذلك فهو كافر. وفريق قالوا: نحن نقتدي بسليمان، ونفعل كما كان يفعل، وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن، ويقولون: إن سليمان كان يستخدمهم بها، حتى يقولوا: إن هذه الأسماء كانت مكتوبة على تاجه، وهذا صورة خاتمه، وهذا كلام (آصف بن برخيا)(3) إلى أمثال ذلك مما يضيفونه إليه، وهو كذب على سليمان(4).

وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ

(1) سقطت (قد) من ك و ط.
(2) في ك و ط (وقالوا).
(3) هو: ابن خالة النبي سليمان ـ عليه السلام ـ، وهو الذي أحضر عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى بيت المقدس، في طرفة عين، وهو من الصِّديقين، وكان لا يُرد عن أبواب سليمان، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل ـ حاضراً كان سليمان أو غائباً ـ وقيل: هو رجل من مؤمني الجان كان ـ فيما يقال ـ يحفظ الاسم الأعظم، وقيل: هو رجل من بني إسرائيل من علمائهم.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٤٩٧؛ والبداية والنهاية ٢/٢٣ ـ ٢٤.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٩٣ ـ ١٩٦.

وَمَـٰرُوتَ(١) وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ(٢) وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

فذم ـ سبحانه ـ من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله، واتبع ما تتلوه الشياطين على عهد سليمان، وبين ـ سبحانه ـ أن سليمان لم يكفر، ولكن الشياطين كفروا، وأنهم يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل، وأن الملكين: هاروت وماروت(٤)، ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

وأخبر ـ سبحانه ـ أنهم لا يضرون به أحداً ـ إلاَّ بإذن الله ـ

---

(١) هما من الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن. في قول جماعة كثيرة من السلف، وقد ورد في قصة هاروت وماروت، وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات، ومن الناس من قرأ (الملِكين) بكسر اللام ـ ويجعلهما ـ عِلجين من أهل فارس، قاله الضحاك. ومنهم من يقول: بأنهما ملكان من السماء، ولكن سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما ـ إن صح به الخبر، ويكون حكمهما كحكم إبليس ـ إن قيل أنه من الملائكة ـ خلافاً للراجح، وقد روى ابن منده أن مجاهداً ـ المفسر ـ لا يسمع بأعجوبة إلاَّ ذهب إليها، وأنه ذهب إلى حضرموت فرأى بئر هوت، وذهب إلى بابل فرآها ـ أيضاً ـ.
انظر: البداية والنهاية ١/٤٨ ـ ٤٩ و ٩/٢٢٦.

(٢) **خلاق**: أي نصيب، أو جهة عند الله، أو دين.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٢٠٧.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٠١ ـ ١٠٣.

(٤) في ك و ط تقدم ذكر (هاروت وماروت) على كلمة (وإن الملكين).

وأنهم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ثم قال:

﴿... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ...﴾:

أي من[1] نصيب، أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لا نصيب له في الآخرة، وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من الهوى، [3]وذلك ضار لهم لا نافع، كما قال في المشرك[2]:

﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ...﴾[4].

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[5].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أنه[6] بالإيمان والتقوى، يحصل من ثواب الله ما هو خير لهم من هذا، فإنهم إنما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم، وهذا خير لهم، وهذا كقوله:

﴿... إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا[7] إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾[8].

---

(١) سقطت (من) من ك و ط.

(٢) الهوى: محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه.
انظر: لسان العرب ١٥/٢٧٢، مادة: (هوا).

(٣) في أ لم تتضح الميم فصارت كأنها (الشرك).

(٤) سورة الحج: الآية ١٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٣.

(٦) في أ تقدمت (أنه) قبل (سبحانه) والأصوب تأخيرها كما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٧) أي: امضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة، والسعي هنا بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وفسره الحسن: بالسعي بالقلوب والنية والخشوع.
انظر: صفوة التفاسير ٢٨/٣٨١.

(٨) سورة الجمعة: الآية ٩.

فإن ما تطلبه النفوس فيه لها لذة، يجعل[1] خيراً بذلك الاعتبار، لكن إذا كان الألم زائداً على اللذة، كان شره أعظم من خيره.

والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فهي تأمر بما تترجح[2] مصلحته، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد، وتنهى عما ترجحت مفسدته، وإن كان فيه مصلحة مرجوحة، كتناول المحرمات من الخمر وغيره. ولهذا أمر ـ تعالى ـ أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا. فالأحسن: إما واجب، وإما مستحب، قال ـ تعالى ـ:

﴿. . . فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا. . .﴾[3].

وقال:

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم. . .﴾[4].

فأمر باتباع الأحسن والأخذ به. وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ. . .﴾[5].

فاقتضى أن غيرهم لم يهده، وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن، وهو مشكل، وقد تكلم الناس فيه، ونظيره قوله ـ تعالى ـ:

---

(١) في ك و ط (فجعل).
(٢) في ك و ط (ترجح).
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ٥٥.
(٥) سورة الزمر: الآيتان ١٧، ١٨.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ . . . ﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ . . . ﴾[2].

مع قوله ــ تعالى ــ في موضع آخر:

﴿ . . . وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ . . . ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ . . . ﴾[4].

وقال:

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ[6] :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[7].

في موضعين.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.
أي: يفسد ويهيج بين الناس الشر، ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يفلت بها اللسان.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٦٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٢؛ وسورة القصص: الآية ٥٤.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٦) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط.

(٧) سورة الأنعام: الآية ١٥٢؛ وسورة الإسراء: الآية ٣٤.

وقد يقال هذا نظير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ . . . ﴾(1) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(2) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(3) .

وقوله :

﴿ . . . وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(4) .

وقوله :

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(5) .

وقوله :

﴿ . . . فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(6) .

---

(1) سورة الجمعة : الآية ٩ .
(2) سورة النمل : الآية ٥٩ .
(3) سورة الشعراء : الآية ٩٧ ـ ٩٨ .
(4) سورة طه : الآية ٧٣ .
(5) سورة الأعلى : الآية ١٧ .
(6) سورة النساء : الآية ٥٩ .
تأويلاً : عاقبة ومآلاً .
انظر : صفوة التفاسير ٥/ ٢٨٤ .

وقوله:

﴿... أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿... اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

وقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[4].

ونظائر هذا كثيرة، مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه، وإن كان الأول واجباً، والثاني محرماً.

وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على[5] * مفسدة مرجوحة، والمنهي عنه يشتمل على * مصلحة مرجوحة، فيكون باعتبار ذلك في

---

(١) سورة مريم: الآية ٧٣.
نديا: مسكناً وعيشاً ومنتدى ومجلساً.
انظر: صفوة التفاسير ١٦/٢٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.
الحنيف: هو المائل عن الأديان كلها، المستقيم على الإسلام.
انظر: البحر المحيط ١/٤٠٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٦.

(٥) ما بين النجمتين سقط من ط.

هذا خير وحسن. وفي هذا شر وسيِّىء، لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجباً[1]. فقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم . . . ﴾[2].

هو أمر بـالأحسن من فعل المـأمور أو تـرك المحظور، وهـو يتناول الأمر بالواجب والمستحب، فإن كلاهما[3] أحسن من المحرم والمكروه. لكن يكون الأمر أمر إيجاب، وأمر استحباب، كما أَمَر بالإِحسان في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

والإِحسان منه واجب، ومنه مستحب.



(١) جاءت هذه العبارة في ط هكذا: (لكن لما كان هذا خيراً وأحسن كان واجباً).

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٥.

(٣) في ط (كليهما).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

فصل (١)

توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات والحلال والحرام وغير ذلك

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل ـ في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ـ ممن لا كتاب له، فمعلوم أن أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ(٢) أكمل من طائفتي أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وأعدل، وقد جُمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل. فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية إلَّا وأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكمل منهم فيها.

فأما العلوم: فهم أحذق ـ في جميع العلوم ـ من جميع الأمم، حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية، كعلم الطب ـ مثلاً ـ والحساب، ونحو ذلك، هم أحذق فيها من الأمتين، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين، بل أحسن علماً وبياناً لها من الأولين(٣) الذين كانت هي غاية علمهم(٤). وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوز(٥) بنفاق وإلحاد، ولا قدر له عندهم، لكن حصل(٦) له بما يعلمه من

(١) في ك و ط زيادة (في وجوب العدل، ومقصود العبادات وصفاتها).

(٢) في ك و ط (أمته). فلم يذكر الاسم الشريف ولا الجملة الدعائية.

(٣) في ك و ط (الأوائل).

(٤) الشيخ المؤلف يتحدث عن عصر النهضة الذي سبق الفترة التي عاش فيها، أما الحال هذه الأيام (القرن ١٤ الهجري ٢٠ الميلادي) فالانحطاط والتخلف لدى المسلمين مؤسف جداً، وتقدم الأمم الأخرى عليهم لا يحتاج إلى دليل.

(٥) في ط (منبوذ) والمعنى: مُلَقَّب بنفاق وإلحاد، فيقال: فلان المنافق والملحد. انظر: اللسان ٥/٤١٣، مادة نبز.

(٦) في ك و ط (يحصل).

المسلمين من العقل والبيان[1] ما أعانه على الحذق في تلك العلوم، فصار حثالة[2] المسلمين أحسن معرفة وبياناً لهذه العلوم من أولئك المتقدمين.

وأما العلوم الإلٓهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب، كالعرش، والملائكة، والجن، والجنة، والنار، وتفاصيل المعاد، فكل[3] من نظر في كلام المسلمين فيها، وكلام علماء اليهود والنصارى، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم. ومعلوم أن علم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم، وأما العبادة، والزهد، والأخلاق، والسياسة المنزلية[4] والمدنية فالكلام فيها مبني على أصل: وهو معرفة المقصود بها، وما به[5] يحصل المقصود.

فنقول: للناس في مقصود العبادات مذاهب:

منهم من يقول: المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها، لتستعد[6] بذلك للعلم، وليست هي مقصودة في نفسها، ويجعلونها من قسم الأخلاق، وهذا قول متفلسفة اليونان، وقول من اتبعهم من الملاحدة والإسماعيلية[7] وغيرهم، من المتفلسفة الإسلاميين،

---

(١) في أ (أما) ويظهر أن الألف قبل الميم زيادة من الناسخ ولهذا صححناه من ك و ط.

(٢) **الحثالة**: الرديء من كل شيء، وحثالة الناس: رُذَالتهم.
انظر: اللسان ١١/١٤٢، مادة حثل.

(٣) في أ (وكل) وما أثبتناه من ك و ط أجود.

(٤) في ك (المكية) وفي ط (الملكية).

(٥) سقطت (به) من ط.

(٦) في ك و ط (ليستعد).

(٧) هم الذين يعتقدون الإمامة إلى جعفر بن إسماعيل بن جعفر الصادق، سابع الأئمة، وزعموا أن الإمامة بعده إلى ابنه إسماعيل، وهم فرقتان. الأولى: فرقة منتظرة لإسماعيل المذكور، مع اتفاق المؤرخين على موت إسماعيل في حياة أبيه. الثانية: =

كالفارابي وابن سينا وغيرهما، ومن سلك طريقهم[1] من متكلم، ومتصوف، ومتفقه. كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد، والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد، وابن عربي، وابن سبعين. لكن أبو حامد يختلف كلامه، تارة يوافقهم، وتارة يخالفهم.

وهذا القدر، فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام[2] الجمع بين ما جاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ـ أرسطو وأمثاله ـ ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية، إذ[3] كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم. وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات، وما للسحرة من العجائب، هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، هذا قصده الشر، وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بُسط الكلام عليه في موضع آخر[4]. فإنه مبني على إنكار الملائكة وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم.

ثم أن هؤلاء لا يقرون من المعجزات إلَّا بما جرى على هذا

= فرقة جعلوا الإمامة إلى جعفر ثم جعلوها بعده في ابنه موسى، وزعموا أنه حي لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر وتسمى «الموسوية» و«الممطورة».
انظر: الفرق بين الفِرق: ص ٦٢ ـ ٦٤؛ والملل والنحل ١/١٩١ ـ ١٩٢.

(١) في ك و ط (طريقتهم) بزيادة تاء بعد القاف.
(٢) من رام الشيء: إذا طلبه وبابه قال.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٤.
(٣) في أ (إذا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.
(٤) في ك و ط (في غير هذا الموضع).
انظر في هذه الرسالة، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

الأصل، وأمكن أن يقال فيه هذا، مثل نزول المطر، وتسخير السباع، وإمراض الغير وقتله، ونحو ذلك. وأما[1] قلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإخراج الناقة من الهضبة، وانشقاق القمر وأمثال ذلك، فلا يقرون به. وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق[2]، بسبب أفعال الجن، وبسبب أفعال الملائكة. وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم: مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذلك إلَّا من هو من أجهل الناس، وكذلك من فسرها بقوى النفس، وهذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب.

وأما الملائكة فأمرهم أجلُّ[3]، وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال ــ تعالى ــ:

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[4].

وقال[5]:

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾[6].

وقد ذكر الله ــ تعالى ــ[7] في كتبه من أخبارهم وأصنافهم

---

(١) في ك و ط (فأما).

(٢) في خوارق العادات، من خرق الثوب، إذا شقه، وخرق الأرض جابها.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٣.

(٣) أي: أعظم.
انظر: المصباح ١٠٠.

(٤) سورة النازعات: ص ٥٠

(٥) هكذا في ك و ط (قال) وليست في أ، وقد أثبتناها فاصلاً بين الآيتين حيث أنهما من سورتين.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٤.

(٧) لم ترد كلمة التقديس في أ.

ما يطول وصفه، وآثارهم موجودة في العالم، يعرف ذلك بالاعتبار، كما قد بسط في موضعه[1]. إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس، في العبادات. وهؤلاء غاية ما عندهم في العبادات، والأخلاق، والحكمة العملية، أنهم رأوا النفس، فيها شهوة وغضب، من حيث القوة العملية، ولها نظر من جهة القوة العلمية. فقالوا: كمال الشهوة في العفة، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة، وكمال القوة النظرية في العلم. والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل.

وما ذكروه من العمل متعلق بالندب، لم يثبتوا خاصية النفس التي هي[2] محبة الله وتوحيده، بل ولا عرفوا[3] ذلك، كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلاَّ قليل، مع[4] كثير من الباطل، كما[5] بسط الكلام عنهم في موضعه[6].

ومحبة الله وتوحيده، هو الغاية التي فيها صلاح للنفس، وهو عبادة الله وحده لا شريك له. فلا صلاح للنفس، ولا كمال لها إلاَّ في ذلك، وبدون ذلك تكون فاسدة، لا صلاح لها، كما قد بسط الكلام على ذلك

---

(١) انظر هذه الرسالة ص ١٠٩ ـ ١١٠. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/ ٣٣٢ ـ ٣٤٠ وذلك ضمن حديث الشيخ ـ رحمه الله ـ في تفسير سورة الإخلاص، فقد توسع في تفسيرها، وتفسير المعوذتين واستغرق ذلك مجلداً كاملاً من مجموع الفتاوى، وهو الجزء الرابع من كتاب التفسير.

(٢) في ك و ط (الذي هو).

(٣) في ك و ط زيادة (كمال).

(٤) في ك و ط (مشتمل على).

(٥) في ك و ط زيادة (قد).

(٦) في ك و ط (عليهم في موضع آخر).
وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٢٧٣ وما بعدها.

في موضع آخر. ولهذا كان هذا[1] هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، [2]، قال الله ــ تعالى ــ :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3].

وقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4].

وقال:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

---

(١) سقطت (هذا) من ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (وهو جماع دعوة المرسلين).

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

الطاغوت: كل معبود من دون الرب كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال.

انظر: صفوة التفاسير ١٤/١٢٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا[1] كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2].

وقال ــ لمَّا ذكر قصص الأنبياء ــ:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ[5] لَا تَبْدِيلَ

---

(١) **زبرا**: أي فرقاً عديدة، وأدياناً مختلفة، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع.
انظر: صفوة التفاسير ١٨/٣١٢.
زبرا: جمع زبور: أي كتباً مختلفة، يعني جعلوا دينهم أدياناً، وزبرا: قطعاً، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فَرِحٌ ببطاله، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق.
انظر: الكشاف ٣/٣٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١ ــ ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان ٩٢ ــ ٩٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.
أقيموا الدين: أي اجعلوه قائماً محفوظاً من غير خلاف فيه ولا اضطراب.
انظر: صفوة التفاسير ٢٥/١٣٥.

(٥) أي خلقة الله التي خلق الناس عليها، وهو فطرة التوحيد.
انظر المصدر السابق ٢١/٤٧٨.

لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم، عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل (لا إله إلا الله) ولهذا[3] بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس[4] وتزكو وتكمل إلاَّ بهذا، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿... وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾[5].

أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان[6].

وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ...﴾[7].

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠ ـ ٣٢.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) في ك و ط (وبهذا) بالباء في أوله.
(٤) في ك و ط (فلا تصلح جميع النفوس).
(٥) سورة فصلت: الآية ٦.
(٦) انظر: تفسير الكشاف ٣/٤٤٣.
(٧) سورة النساء: الآية ٤٨ و ١١٦.
في ط زيادة: (وهذا).

في موضعين من كتابه، وهذا أول الكلمات العشر التي أنـزلها الله على موسى حيث قال: «أنا الله[1] * لا إله إلا أنا آلهك الـذي أخرجتـك من أرض مصـر، من التعبد، لا يكـون لك إلـه غيري، لا تتخـذ صـوراً ولا تمثـالاً، مـا في السمـوات من فـوق، ومن في الأرض من أسفــل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، إني أنا ربك العزيز»[2].

وقد شهد المسيح ـ عليه السـلام ـ أن هذا هـو أعظم وصيـة في النـاموس[3] * فعبـادة الله وحده لا شـريك لـه، وأن يكون الله أحب إلى العبـد من كل مـا سواه، هـو أعظم وصيـة وكلمـة جـاء بهـا المـرسلون، كموسى، والمسيح، ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وضد هـذا هو الشرك الذي لا يغفره[4] الله ـ تعالى ـ، قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا[5] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ . . . ﴾[6].

---

(١) من هذه النجمة بياض بنسخة أ بقدر ما وجدنا في ك و ط. والذي أكملناه منهما.

(٢) نص الترجمة الحالية مـا يلي: «وراء الرب إلهكم تسيـرون، وإياه تتقـون، ووصايـاه تحفظون، وصوته تسمعون، وإيـاه تعبدون، وبـه تلتصقون، وذلـك النبـي أو الحاكم ذلك الحلم يُقْتل، لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم، الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم».

انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر ٤ ـ ٥؛ والعهد القديم ص ٢٢٦.

(٣) إلى هنا انتهى البياض بالأصل.

(٤) في أ سقطت هاء (يغفره).

(٥) أي رؤساء وأصناماً.

انظر: صفوة التفاسير ٢/١١١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع[1]، وبُين أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال، إلاَّ بأن يكون الله معبودها ومحبوبها، الذي لا أحب إليها منه، ولهذا كثر في الكتب الإلّهية الأمر بعبادة الله وحده. ولفظ (العبادة) يتضمن كمال الذل بكمال الحب. فلا بد أن يكون العابد محباً للإلّه المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل. فمن أحب شيئاً ولم يَذِل له لم يعبده، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده ــ وكمال الحب والذل[2] لا يصلح إلاَّ لله وحده، فهو الإلّه المستحق للعبادة، التي لا يستحقها إلاَّ هو، وذلك يتضمن كمال الحب والذل، والإجلال والإكرام، والتوكل والعبادة.

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها[3] ومنتهى مرادها وبغيتها، ومن[4] حيث هو ربها وخالقها. فمن آمن بالله[5] رب كل شيء وخالقه، ولم يعبد إلاَّ[6] الله وحده، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، وأخشى عنده من كل ما سواه، وأعظم عنده من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب: بحيث يحبه مثل ما يحب الله، ويخشاه مثل ما يخشى الله، ويرجوه مثل ما يرجو الله، ويدعوه مثل ما يدعوه، فهو

---

(١) انظر: درء التعارض العقل والنقل ٣/٢٦٩ وما بعدها.
وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (المؤلف) ١١/٤٠١ وما بعدها.

(٢) تقدمت كلمة (الذل) على كلمة (الحب) في ك و ط.

(٣) في ك و ط زيادة (الذي هو محبوبها).

(٤) سقطت العاطفة من أ.

(٥) في ك و ط (فمن أقر بأن الله).

(٦) سقطت (إلاَّ) من أ و ك و ط، وقد أثبتناها من إكسفورد.

مشرك[1] الشرك الذي لا يغفره الله. ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه، وكان حكيماً[2] شجاعاً.

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية، ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس، وتنجو من العذاب، كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية، ليس فيها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس، ولا من الأخلاق ما هو دين حق، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

وهذه الفضائل الأربع[5] التي ذكرها[6] المتفلسفة، لا بد[7] منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها.

والمتفلسفة لم يَحُدّوا[8] ما يحتاج إليه بحد يبين مقدار ما تحصل به

---

(١) في أ (شرك).
(٢) في ك و ط (حليماً).
(٣) ليس في أ كلمة التقديس.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦٢.
(٥) أي العفة في الطعام والنكاح والحكمة والشجاعة.
(٦) في ك و ط (ذكرتها).
(٧) سقطت (بُدَّ) من أ.
(٨) حَدُّ كل شيء: نهايته.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٦.
في جميع النسخ (يجدوا) والظاهر أن المعنى لا يستقيم إلَّا بالحاء كما أثبتنا.

النجاة والسعادة. ولكن الأنبياء بينوا ذلك، وقد قال ــ سبحانه ــ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا [1] وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمها[3] تحريماً مطلقاً، لم يُبح منها شيئاً لأحد من الخلق، ولا في حال من الأحوال. بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير، وغير ذلك، فإنه يحرم في حال، ويباح في حال. وأما الأربعة فهي محرمة مطلقاً.

فالفواحش متعلقة بالشهوة. والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب، والشرك بالله فساد أصل العدل، فإن الشرك ظلم عظيم، والقول على الله بلا علم فساد في[4] العلم، فقد حرم ــ سبحانه ــ هذه الأربعة، وهي فساد الشهوة، والغضب، وفساد العدل والعلم.

وقوله:

﴿ . . . وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا . . . ﴾[5] .

يتضمَّن تحريم أصل الظلم[6] في حق الله، وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله ــ تعالى ــ[7] وهو عبادته وحده، لا شريك له، فإن

---

(١) أي: حجة وبرهاناً.
انظر: صفوة التفاسير ٨/٤٤٤.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.
(٣) في ك زيادة اسم الجلالة المعظم.
(٤) سقطت (في) من ك و ط.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٣.
(٦) في أ (العلم) وهو خطأ نسخي ظاهر.
(٧) لم ترد في أ كلمة التقديس.

النفس لها القوتان: العلمية والعملية، وعمل الإنسان عمل اختياري، والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد.

وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته، فإن الإنسان حساس، يتحرك[1] بالإرادة، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أصدق الأسماء الحارث وهمام»[2]. والإرادة لا بد لها من مراد، وكل مراد فأما أن يراد لنفسه، وأما أن يراد لغيره ـ والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه.

فالقوة العملية تستلزم أن يكون للإنسان مراد، وذلك المراد لنفسه هو[3] علة فاعلة للعلة الفاعلة[4]، ولهذا قيل: العامة تقول:

---

(١) في ك و ط (متحرك).

(٢) رواه أبو داود. كتاب الأدب، ، باب في تغيير الأسماء ٤/٢٨٧ (٤٩٥٠)؛ والإمام أحمد في المسند ٤/٣٤٥؛ والبخاري في الأدب المفرد.
انظر: فضل الله الصمد ٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨ (٨١٤) لفضل الله الجيلاني، ط ٢ المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٨هـ، قال الحافظ ابن حجر: «وكأنّ المؤلف ـ رحمه الله ـ لَمَّا لم يكونا ـ أي هذا الحديث وحديث عند مسلم ـ على شرطه، اكتفى بما استنبطه من أحاديث الباب» ـ أي باب من سمى بأسماء الأنبياء.
انظر: فتح الباري ١٠/٥٧٨، قال الجيلاني في الموضع المذكور آنفاً ـ ما معناه: ورجال هذا الحديث ثقات غير أحمد بن الروتنيسي وعقيل بن شبيب وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات، وهو من رواية عبيد الله بن عبيد الكلاعي، وله صحبة في قول الأكثرين. خلافاً لمن قال بأنه مرسل.
الحارث: الكاسب، وهمام: فعال من هَم يَهم فهو هَام، وإنما كان همام أصدق الأسماء، لأن الإنسان كاسب وهمام بالطبع، ولا يكاد يخلو من كسب وهم.
انظر: جامع الأصول ١/٣٥٩.

(٣) في ك و ط زيادة (المحبوب لنفسه، وهو الإله الذي يستحق أن يكون محبوباً لذاته، وهذا هو العلة الغائية الذي هو).

(٤) في ك و ط (فاعلية للعلة الفاعلية).

«قيمة كل امرىء ما يحسنه»[1]، والعارفون يقولون: «قيمة كل امرىء ما يطلب» وفي بعض الكتب المتقدمة: «إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى هِمّته».

وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس، وإنما جعلوا كمالها[2] العملي في تعديل الشهوة والغضب، بالعفة والحلم، وهذا غايته ترك الإسراف في الشهوة والغضب، والشهوة: هي جلب ما ينفع البدن ويبقي النوع، والغضب دفع ما يضر البدن. ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته[3]. مع أنهم إنما تكلموا[4] فيما يعود إلى البدن، وجعلوا ذلك إصلاحاً للبدن، الذي هو آلة للنفس[5]، وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم.

وقد بسطنا غلطهم في هذا الأصل، من وجوه، في غير هذا الموضع[6]، وبينا أن النفس لها كمال في العمل[7] والإرادة، كما أن لها

---

(١) في ك و ط (يحسن) بدون هاء.
هذا من الحكم المنسوبة للإمام علي.
انظر: نهج البلاغة ٤/١٨ لمحمد بن الحسين بن موسى، الشريف الرضي ــ ١٤٠٦هـ دار الهدى الوطنية، بيروت.
(٢) في ك و ط (كلامها).
(٣) في ك و ط (كدأبه).
(٤) في ك (نظروا).
(٥) في ك و ط (النفس).
(٦) انظر: كتاب النبوات ٧٧ ــ ٩٢، فقد عقد الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ هناك فصلاً كاملاً حيث ناقش هؤلاء وغيرهم، وجاء فيه ذكر كثير من أعلامهم، كالطرسوسي والمازري وابن عقيل وأبو البيان وابن حمدين ورفيق أبي حامد أبو نصر المرغيناني وابن عربي وابن سبعين وغيرهم.
(٧) في ك و ط (العلم).

كمالاً في العلم، وأن العلم المجرد ليس كمالاً لها ولا صلاحاً، ولو كان كمالاً، لم يكن ما عندهم من العلم ما هو[1] كمال النفس[2]، وبينا غلط الجهمية الذين قالوا: «الإيمان هو مجرد العلم»[3]، وأن الصواب قول السلف والأئمة: «إن الإيمان قول وعمل»[4]، أصله: قول القلب وعمل القلب، المتضمن علم[5] القلب وإرادته.

وإذا كان لا بد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلاَّ به، ولا تكمل إلاَّ به، وذلك هو إلهها، فليس لها إله يكون به صلاحاً[6] إلاَّ الله، ولهذا قال الله[7] ــ تعالى ــ:

﴿... لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ...﴾[8].

وليس ذلك للإنسان فقط، بل وللملائكة والجن، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون، لهم علم وعمل اختياري[9]، ولا صلاح لهم إلاَّ بمرادهم المحبوب لذاته، وهو معبودهم، ولا يجوز أن يكون معبوداً محبوباً لنفسه إلاَّ الله، فلو كان في السموات والأرض إله إلاَّ الله لفسدتا. فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له.

---

(١) سقطت (ما) من أ و ط وأثبتناها من ك.
(٢) في ك و ط (للنفس).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين ١٣٢ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ــ ٣٢٤هـ، تصحيح هلموت ريتر، ط ١ دار إحياء التراث العربي: بيروت.
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣٧٣ لمحمد بن علي بن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ ط ٦، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ.
(٥) في ك و ط (عمل).
(٦) في ك و ط (صلاحها).
(٧) في ط أثبت اسم الجلالة المعظم.
(٨) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
(٩) الملائكة ليس لهم اختيار في أعمالهم، ولا أدري لماذا أطلق الشيخ المؤلف ولم يستثن!

وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء، فضلاً عما تسعد به. ومما يبين ذلك أن (أرسطو) معلمهم الأول، هو وأتباعه، إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية، فقالوا: «الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية، فقوامه بحركته الاختيارية، وفساده بعدمها، وقوام حركته بما يتحرك لأجله، فإن الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية، التي يتحرك لأجلها، وغايته التي يتحرك لأجلها، هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها»[1].

فجعلوا قوام العالم[2] كله بالعلة الأولى من حيث هو متشبه به، لأن المتحرك باختياره لا بد له من مراد. ومعلوم أن الحركة الإرادية تطلب مراداً محبوباً لنفسها[3]، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها مشبهاً[4] به، فإن كل متحرك بالإرادة لا بد له من مراد محبوب لنفسه، فإن الإرادة لا بد لها من مراد، والمراد يكون إما مراداً[5] لنفسه، وإما[6] لغيره، والمراد لغيره إنما يراد لذلك الغير، فلا بد أن يكون ذلك الغير مراداً لنفسه، أو منتهى[7] إلى مراد لنفسه، وإلَّا لزم التسلسل في العلل الغائية، وذلك باطل، كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية، بصريح

---

(١) انظر: الملل والنحل ٢/ ١٢٠.
(٢) في أ (العلم) وقد اخترنا ما في ك و ط.
(٣) في ك و ط (لنفسه).
(٤) في ك (متشبهاً) وفي ط (تشبهاً).
(٥) في أ (مراد) بغير النصب.
(٦) في ك و ط زيادة (مراداً) قبل كلمة (لغيره).
(٧) في ك و ط (ينتهي).

العقل واتفاق العقلاء. وبسط هذا له موضع آخر[1].

و[2]إذا كان الفاعل باختيار يستلزم مـراداً لنفسه محبوبـاً، فلا بـد أن يكون لما يتحرك في السمٰوات بـإرادته سـواء كان هؤلاء، المـلائكة، أو مـا يسمونـه ــ هم ــ نفساً، من محبـوب مراد لـذاته، يكـون هو الإلٰـه المعبـود المـراد بتلك الحـركـات، وكـذلـك نفس الإنسـان، حـركتهـا بالإرادة[3] من لوازم ذاتها، فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهـو الإلٰه، وهذا المحبوب المراد لذاتـه هو الله ــ تعـالى ــ ويمتنع أن يكـون غيره، كما قد بُسط هذا في موضع آخر، وبُين أنـه يمتنع[4] أن يكـون موجـوداً بغيره، بل هو واجب الوجود بنفسه، فيمتنع أن يكون مراداً لغيره بل مراد لنفسه.

وكمـا[5] يمتنع أن يكـون للعـالم ربَّـان قـادران، يمتنـع أن يكـون للعالم إلٰهان معبودان، فإن كـون أحدهمـا قادراً، ينـاقض كون[6] الآخـر قـادراً، لامتناع[7] اجتمـاع القـادرين على مقـدور واحـد، وامتنـاع كـون أحدهما قادراً على الفعل حين يكـون الآخر قـادراً عليه، وامتنـاع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافؤ[8].

---

(١) سقطت كلمة (آخر) من أو أثبتناها من ك و ط.
وانظر: درء التعارض ٨/٢١٦ ــ ٢٣٨.

(٢) سقطت الواو من أ وأثبتناها من ك و ط.

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بالإرادية) بزيادة ياء والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٤) في ك و ط (أنه كما يمتنع).

(٥) سقطت (كما) من أ وقد أثبتناها من ك وط لدواعي السياق.

(٦) في أ (كونه) ولا نرى مبرراً لزيادة الهاء.

(٧) في أ (امتناع) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٨) رسمت في النسخ كلها (التكافي) والأصح ما أثبتناه.

كذلك يمتنع أن يكون إلهان معبودان محبوبان لذاتهما، لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته، يناقضه أن يكون غيره معبوداً لذاته، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا، وبعض ذلك لهذا، وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا، فإن الشركة نقص في الحب، فلا[1] تكون حركة المتحرك بإرادته له،فلا يكون أحدهما معبوداً معمولاً له إلا إذا لم يكن الآخر كذلك، فإن العمل لهذا يناقض أن يكون له شريك، فضلاً عن أن يكون لغيره.

وكل من أحب شيئين فإنما يحبهما لثالث غيرهما، وإلَّا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوباً لذاته، إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه وتطمئن إليه، بحيث لا يبقى لها مراد غيره، و[2]هذا يناقض أن يكون له شريك.

والقول الثاني[3]: [4]قول من يقول: إن الله عوض[5] الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت، فإن الإنعام بالثواب لا يحسن بدون التكليف، لما فيه من الإجلال والتعظيم، الذي لا يستحقه إلَّا مكلف، كما يقول ذلك القدرية[6]، من المسلمين وغيرهم.

---

(١) في ك و ط (ولا).
(٢) في ك و ط (ولهذا).
(٣) تقدم القول الأول ٦/٢٣.
(٤) في ك و ط زيادة (في مقصود العبادات).
(٥) في ك و ط (عرض).
(٦) في ك و ط زيادة (كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب).
هم الذين ينكرون إضافة الخير والشر إلى القدر، وقد حدثت هذه البدعة في آخر أيام الصحابة على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري وتبعهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وقد زاد الأخير على الذي قبله في مسائل القدر. =

وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفاً في الواجبات العقلية. وقد يقولون إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل، والعلم ذريعة إليه، حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله ــ تعالى ــ يقولون[1]: إنما وجبت لأنها لطف[2] في أداء الواجبات العقلية العملية.

والقول الثالث: قول من يقول: بل الله أمر بذلك لا لحكمة مطلوبة، ولا بسبب بل لمحض المشيئة، وهذا قول الجبرية[3] المقابلين[4] للقدرية، كالجهم[5]، والأشعري[6]، وخلق كثير من

= انظر: الملل والنحل ١/٣٠؛ ومقالات الإسلاميين ص ٥٥٠؛ والفرق بين الفرق ص ١١٤ ــ ١١٥.

(١) في أ (يقولوا) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) سقطت كلمة (لطف) من ط.

(٣) هم الجهمية، أتباع جهم، الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وأنه لا فعل لأحد ــ في الحقيقة ــ إلاَّ لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك وإنما فعل ذلك بهما الله ــ تعالى ــ إلاَّ أنه خَلَق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة واختياراً، كما خلق له طولاً ولوناً.
انظر: الفرق بين الفرق ص ١١٤ ــ ١١٥ و ٢١١؛ ومقالات الإسلاميين ص ٢٧٩.

(٤) لم تظهر الميم في كلمة (المقابلين) في أ كما في ك و ط.

(٥) هو ابن صفوان، السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وكان من موالي بني راسب. وكَتَب للحارث، قتل سنة ١٢٨هـ بأمر نصر بن سيار.
انظر: لسان الميزان ٢/١٤٢.

(٦) هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إليه تنسب الطائفة الأشعرية، مولده سنة ٢٧٠هـ كان معتزلياً ثم تاب، وصنف الكتب في الرد على أهل البدع، وكان فيه دعابة ومزاح كثير، مات سنة ٣٣٠هـ. =

المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم.

القول الرابع: قول سلف الأمة وأئمتها، وهو أن نفس معرفة الله ـ تعالى ـ ومحبته مقصودة لذاتها، وأن الله ـ سبحانه ـ محبوب مستحق للعبادة لذاته، لا إله إلاَّ هو، ولا يجوز أن يكون غيره محبوباً معبوداً[1] لذاته، وأنه ـ سبحانه ـ يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم، ويفرح بتوبة التائب، ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم[2] ويذمهم، وأن في ذلك من الحكم البالغة، وكذلك[3] من الأسباب ما يطول وصفه في هذا *[4] الخطاب، كما قد بُسط في موضعه، إذ المقصود ـ هنا التنبيه على أن المسلمين * في هذا[5] أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة.

وإذا عُرف[6] مذاهب الناس في مقاصد العبادات، فهم ـ أيضاً ـ مختلفون في صفاتها. فمن الناس من يظن أن كل ما[7] كان أشق على النفس وأشد إماتة[8] لشهوتها فهو أفضل. وهذا مذهب كثير من

= انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٨٤ ـ ٢٨٥ وتبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى... الأشعري ٣٤ و١٤٦ لعلي بن الحسن بن عساكر ـ ٥٧١هـ دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(١) تقدمت (معبوداً) على كلمة (محبوباً) في ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (ويلعنهم).

(٣) سقطت الواو من أ.

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أثبتناه من ك و ط حيث أنه بمقدار سطر ولأنه ظاهر أن في السياق بتراً وانقطاعاً.

(٥) سقطت (في هذا) من ك و ط.

(٦) فس ط (عرفت).

(٧) في أ: رسمت هذه الكلمة هكذا (كلمنا) ويظهر أن النون زيادة من الناسخ.

(٨) في أ (أمانة) وهو نقص نسخي.

المشركين: الهند[1] وغيرهم، وكثير من أهل الكتاب اليهود، والنصارى، وكثير من مبتدعة المسلمين.

و[1]**الثاني**: قول من يقول: إن أفضلها ما كان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية.

والثالث: قول من يقول: فَضْلُ بعضها على بعض لا علة له، بل يرجع إلى محض المشيئة.

والرابع: ـ وهو الصواب ـ أن أفضلها ما كان لله أطوع وللعبد أنفع. فما كان صاحبه أكثر انتفاعاً به، وكان صاحبه أطوع لله به[3] من غيره، فهو أفضل، كما جاء في الحديث: «خير العمل أنفعه»[4].

وعلى كل قول: فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم. أما عن الأول: فأولئك يقولون: «كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل». ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين[5]: الهند وغيرهم، ومن النصارى، ومبتدعة هذه الأمة، ولكن يقال لهم: الجهاد أعظم مشقة من

---

(١) في ك و ط (والهند).

(٢) في ك و ط زيادة (القول).

(٣) سقطت (به) من ك و ط.

(٤) أورده في المقاصد الحسنة بلفظ: (خير العمل ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وخير الناس أنفعهم للناس) عن زيد بن خالد، مرفوعاً، وعزاه للطبراني، ولم أجده في المجمع.
انظر: المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ٢٠١ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ـ ٩٠٢هـ تصحيح عبد الله الصديق، ط ١، دار الكتب العلمية. بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٥) في ط زيادة (في).

هذا كله، فإنه بَذْل النفس وتعريضها للموت، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها، وفيه جهاد النفس في الباطن، وجهاد العدو في الظاهر»[1].

ومعلوم أن المسلمين أعظم جهاداً من اليهود والنصارى. فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه، والنصارى لا يجاهدون على دين.

وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفاً في الواجبات العقلية[2]، فلا ريب أن عبادات المسلمين ـ كصلاتهم وصيامهم وحجهم ـ أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل.

وأما على قول نفاة التعليل، وردّ ذلك إلى مشيئة الله: فيكون الأمر في ذلك راجعاً إلى محض مشيئة الله وتعبده[3] للخلق. وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله، الذي جاء به الرسل، يكون متعبداً بما أمر الله به. بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم، من غير أن يأتيهم بها رسول الله[4] من عند الله.

وأما على القول الرابع: فإن[5] عِلْم: أن الله أمر به، يتضمن طاعة الله. وهذا إنما يكون في عبادات أمر الله بها، وهي عبادات المسلمين

---

(١) في ك و ط زيادة (وتلك العبادات توجد من الضعفاء).
(٢) سقطت (العقلية) من أ.
(٣) في ط (وتعبد).
(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك ولا ط.
(٥) في ك و ط (فإنما).

دون من ابتدع كثيراً من عباداتهم أكابرهم[1].

وأما انتفاع العباد بها، فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب. فليتدبر الإنسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم[2]، يظهر له[3] الفرق بينهم وبين غيرهم.

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال، كالطهارة، والاصطفاف، والركوع، والسجود، واستقبال بيت إبراهيم، الذي هو إمام الخلائق، والإمساك فيها عن الكلام، وما فيها من الخشوع، وتلاوة القرآن، واستماعه، الذي يَظْهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب، لكل متدبر منصف، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم.

وأما حكم المسلمين في الحدود والحقوق، فلا يخفى على عاقل فضله. حتى إن النصارى ــ في طائفة من بلادهم ــ ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين، إذ لم يكن لهم شرع[4] يحكم به الناس. وليس في الإنجيل حكم عام، بل عامته وإنما فيه[5] الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق، وهو مما يأمر به المسلمون ــ أيضاً ــ.

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين، متوسطين بين اليهود

---

(١) (أكابرهم) بدل من (من ابتدع) بدل كل من كل.
(٢) كررت (عدلهم) في أ مرتين وهو خطأ نسخي ظاهر.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (لهم) والأصح ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.
(٤) في ك و ط زيادة (تمام).
(٥) سقطت (وإنما فيه) من ك و ط.

والنصارى، في التوحيد،والنبوات، والحلال والحرام[1]، وغير ذلك، مما يبين أنهم أفضل[2] من الأمتين، مع أن دلائل هذا كثيرة جداً، وإنما المقصود، التنبيه على ذلك، وحينئذ ففضل الأمة، يستلزم فضل متبوعها.



---

(١) في ط تقدمت (الحرام) على (الحلال).

(٢) في ك و ط (أكمل).

فصـل

أقسام مدعي النبوة، ودلالة ذلك على صدقه ـ عليه السلام ـ

ومما يبين أمر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام:

إما أن يكون نبياً صادقاً، مرسلاً من الله، كما أخبر عن نفسه، بمنزلة نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى، وداود وسليمان، وغيرهم من الأنبياء، الذين ذكرهم الله، في قوله ـ تعالى ـ[1]:

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2].

وإما أن يكون ملكاً مسلماً[3] عادلاً، وضع ناموساً سياسياً[4]،

(١) ليس في ك ولا ط كلمة القديس.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٦٢ ـ ١٦٦.

(٣) سقطت كلمة (مسلماً) من ك و ط.

(٤) أي: علماً ونظاماً سياسياً.
انظر: لسان العرب ٦/٢٤٤، مادة نمس.

وقانوناً[1] عدلياً، ينفع[2] به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة بمبلغ[3] علمه، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس، مثل واضعي النواميس من اليونان، والهند، والفرس وغيرهم. وإن كان واضع الناموس مختصاً بقوة قدسية، ينال بها العلم بسهولة و[4]قوة نفسية، يتصرف[5] فيها تصرفات خارجة عن العادة، ويكون له قوة تخييلية، تمثل له في نفسه أشكالاً نورانية، وأصواتاً يسمعها في داخل نفسه، فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول (ابن سينا) وأمثاله من المتفلسفة: إنها خواص النبي، ومن قامت به كان نبياً، والنبوة مكتسبة عندهم.

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق، ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين، أتباع الأنبياء، كالخلفاء الراشدين، وحواريي عيسى، وأصحاب موسى، جعلناها من هذا القسم، إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة، بحسب ما معه من العلم والعدل، فهذا القسم الثاني. وإما أن يكون رجلاً كاذباً، فاجراً أفاكاً أثيماً، يتعمد الكذب والظلم، أو يتكلم بلا علم، فيخطىء خطأ من يتكلم بلا علم.

ومن يظن الكذب صدقاً، والباطل حقاً، والضلال هدى، والغي

---

(١) **قانون**: قيل: هي فارسية، وقيل: رومية، وهو مقياس كل شيء وطريقه، جمعه: قوانين. قال ابن سيده: (وأراها دخيلة).
انظر: المصدر السابق **١٣/٣٤٩**، مادة قنن.

(٢) في ك و ط (ينتفع).

(٣) في ك و ط (ليبلغ).

(٤) في ك (له وقوة) وفي ط (وله قوة).

(٥) في ط (ينصرف).

رشداً، والظلم عدلاً، والفساد صلاحاً، وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والإيجاب، بأن يصدقوه بما(١) أخبر، ويطيعوه فيما أمر به وأوجبه(٢) باطناً وظاهراً، من غير أن يخير(٣) أحداً في(٤) اتّباعه وتصديقه وطاعته، ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه، لا في الباطن ولا في الظاهر. لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.

وذلك لأنه، إما أن يكون قصده الإثم والعدوان، أو قصده البر والعدل. فإن كان قصده الأول، فهو ظالم فاجر، ومثل هذا لا يكون إلاَّ كاذباً عمداً أو خطأ. وإن كان قصده البر والعدل، فلا يخلو ــ مع ذلك ــ إما أن يكون عالماً بكل ما يخبر به من الغيوب، جازماً بصدق نفسه جزماً لا يحتمل النقيض، عالماً بأن ما يأمر به(٥) عدل، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه، وإما أن لا يكون جازماً بذلك. فإن كان جازماً بذلك: كان هذا هو النبي المعصوم، الذي لا يخبر إلاَّ بحق(٦)، ولا يأمر إلاَّ بعدل:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٧).

بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه، فإن

(١) في ك و ط (فيما).
(٢) في ك و ط (أوجبه وأمر به) وسقطت (به) من أ.
(٣) في ك (يخبر).
(٤) في ك و ط (على).
(٥) في ك و ط زيادة (هو).
(٦) في ك و ط زيادة (وصدق).
(٧) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

هذا قد يـأمر بـأشياء يجـوز أن تكون المصلحـة والعدل والصـدق[1] في خلافها[2]، ويخبر بأشيـاء باجتهـاده، يجوز أن يكـون الأمر فيهـا بخلاف ذلك، ولا بد أن يَغْلِط في بعض ما يخبر به من العلميات، وما يأمـرهم[3] بـه من العمليات، فـإنه لا معصـوم إلاَّ الأنبياء، ولهـذا لم يجب الإيمـان بكل ما يقوله بشر، إلاَّ أن يكون نبياً، فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي بـه النبـي.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ[5] وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾[6]. الآية.

وإذا كان الأمر[7] كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمداً ذكـر أنه رسـول

---

(١) سقطت (والصدق) من ك و ط.

(٢) في ك و ط زيـادة (ويخبر بـأشياء بـاجتهاده، يجـوز أن تكون المصلحـة والعـدل في خلافها).

(٣) في ك و ط (يأمر).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٥) أي: جهة المشرق أو المغرب.
انظر: صفوة التفاسير ٢/١١٧.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٧) سقطت (الأمر) من ك و ط.

كإبراهيم وموسى وعيسى. بل أخبر أنه سيد ولد آدم[1]، وأن آدم فمن[2] دونه تحت لوائه يوم القيامة، وأنه لما أسري به وَعَرَج إلى ربه، علا على الأنبياء كلهم، على إبراهيم، وموسى وهرون، ويحيى وعيسى[3]، وغيرهم، وأخبر أنه لا نبي بعده، وأن أمته هم الآخِرون في الخلق، السابقون يوم القيامة، وأن الكتاب الذي أنزل إليه أحسن الحديث، وأنه مهيمن[4] على ما بين يديه من الكتب، مع تصديقه لذلك[5].

وحينئذ، فإن[6] كان عالماً بصدق نفسه، فهو نبي رسول، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب، فهو من أظلم الناس وأفجرهم:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[7].

وإن كان يظن صدق نفسه وليس كذلك، فهو مخطىء غالط ملبوس عليه، وإذا كان كذلك، فلا بد أن يخطىء فيما يخبر به من الغيوب، ويظلم فيما يأمر به من العدل، ولا يتصور استمراره على هذا، بل لا بد أن يتبين له ولغيره أنه صادق أو كاذب.

فإن من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق،

---

(١) في أ (إبراهيم).
(٢) في ك و ط (ومن).
(٣) في ك و ط تقدم ذكر (عيسى) على (يحيى) ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ.
(٤) أي: أنه أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، فجمع الله فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وتكفل ـ تعالى ـ بحفظه بنفسه المقدسة. انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/١١٩.
(٥) سقط النصف الأول من هذه الكلمة من أ، وقال الناسخ في الهامش: لعله (لذلك).
(٦) في ك و ط (فإذا).
(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

يكـون من أجهـل النـاس وأظلمهم وأبعـدهم عن التمييـز بين الحق والباطل، والصـدق والكذب والخيـر والشر، فـإن هذا بمنـزلة من اشتبـه عليه النبـي الصادق بالمتنبـي الكذاب[1]، وهذا من أجهل الناس. [2]إذا اشتبـه عليـه حـال غيـره، فكيف بمن اشتبـه عليـه حـال نفسـه ولم يعلم ما يقوله، أصدق هو[3] أم كذب؟

ومن كـان جاهـلاً مع هـذه الدعـوى العظيمـة، التي لم يَدَّع بشـر مثلها، ومع كثرة ما يخبـر به من الغيـوب الماضيـة والمستقبلة، ويأمـر به وينهى عنـه، من[4] الأمـور الكليـة، والسنن العـامـة[5]، والشـرائـع والنـواميس، فـلا بـد أن يكـون فيهـا من الضـلال والغي مـا يبين لأكثـر الخلق.

فـإذا كـانت[6] أخبـاره عن المـاضي والمستقبـل، يصـدق بعضهـا بعضاً، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم، والكتاب الذي جـاء به، كتـاب متشابه مثاني، يشبه بعضه بعضاً في الصدق، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[7].

---

(١) في ك و ط (بالنبي الكاذب).

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف.

(٣) في ك و ط جاء الضمير هو في الموضع الأول وسقط في الموضع الثاني وجـاء في ك في الموضع الأخير (أو) بدلاً من (أم).

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (عن) والأولى ما في ك و ط ولهذا أثبتناه منهما.

(٥) هذه الكلمة رسمت في أ وكأنها (العامية) أو (العلمية) ويمكن قراءتهـا أيضاً (العـامة) كما هي في ك و ط.

(٦) في ك و ط (كان).

(٧) سورة النساء: الآية ٨٢.

فإنه لو كان من عند غير الله، لوجب أن يكون فيه تناقض، لامتناع قدرة البشر على أن تخبر بهذه الأخبار، وما فيها من الغيوب، ويأمر بهذه الأوامر، مع سلامة ذلك من التناقض. ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك.

وإذا[1] كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد عُلم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرى الصدق والعدل، وأنه ما جُربت[2] عليه كَذبة قط، وعلم أنه كان جازماً بما يخبر به، مع عظم الأخبار وكثرتها، [3]ـ وهو وحده ـ قام يدعو الناس إلى ما جاء به، ومن عادة طالب المُلْك والرياسة ـ ولو كان عادلاً ـ أن يستعين بمن يعينه، كأقاربه وأصدقائه ونحوهم، وأن يبذل للنفوس من العاجل، ما يرغبها به، كالمال والرياسة، ويُرَهب من خالفه.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا الناس وحده وهو بمكة، فآمن به المهاجرون، ثم آمن به الأنصار بالمدينة، ثم آمن به أهل البحرين[4]، ولم يعط أحداً منهم درهماً، ولا كان معه ما يخيفهم به، لا سيف، ولا غيره. بل مكث[5] بمكة بضع عشرة سنة، هو[6] والمؤمنون به مستضعفين[7]، لم يكن له مال يبذله لهم، ولا سيف يخيفهم به.

---

(١) في ك و ط (فإذا).
(٢) في ك و ط (جرت).
(٣) في ك و ط زيادة (أنه).
(٤) وهي منطقة الأحساء حالياً.
انظر: معجم البلدان ١/٣٤٧.
(٥) في ك و ط (أقام).
(٦) في ك و ط (وهو).
(٧) في ك و ط (مستضعفون).

وكان أعظم من آمن به، أبو بكر الصديق، مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه، ومحبتهم له وعلو قدره فيهم، أنفق ماله كله في سبيل الله، حتى قال له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما تركت لأهلك؟» قال: «تركت لهم الله ورسوله»(١) ولم يعطه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ درهماً واحداً يخصه به، ثم تولى الأمر بعده، وترك ما كان معه للمسلمين، واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله، ومات وهو فقير من فقراء المسلمين. وتولى بعده عمر بن الخطاب، وفتح أعظم ممالك العالم، مملكة فارس والروم، فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر.

وأميره الكبير (أبو عبيدة)(٢) أزهد الخلق في(٣) الأموال، وأعبدهم للخالق، وأرحمهم للمخلوق، وأبعدهم عن هوى النفس، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيه: «إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه

---

(١) أورده البخاري معلقاً حيث قال: (كفعل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين تصدق بماله) كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلَّا عن ظهر غنى، ٣/٢٩٤ من فتح الباري، ورواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك ـ أي الخروج من المال، ٢/١٢٩ (١٦٧٨). والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ٥/٦١٤ (٣٦٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والدارمي، كتاب الزكاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ١/٣٩١. والحاكم في المستدرك ١/٤١٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، الفهري المكي، أحد السابقين الأولين، وشهد له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة، توفي سنة ١٨هـ وله ٥٨ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١/٥ ـ ٢٣؛ وتقريب ١/٣٨٨.

(٣) في ك و ط زيادة (ولايته).

الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1]. وأميره على فارس (سعد بن أبي وقاص)[2] الذي كان مستجاب الدعوة، وكان من أزهد الناس[3]، وكان آخر من بقي من أهل الشورى، والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق[4]، لا يزاحم أحداً. فقال له ابنه[5] عمر[6]: تركتَ الناس يتنازعون[7] المُلك وجلستَ ههنا؟ فقال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني[8] النقي الخفي»[9].



(١) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ٨/٩٤ (٤٣٨٢) من فتح الباري، ومسلم بمثله ـ أيضاً ـ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة...، ٤/١٨٨١ (٢٤١٩).

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو إسحاق، القرشي الزهري المكي، أحد العشرة وأحد السابقين الأولين، شهد بدراً والحديبية، توفي بقصره بالعقيق ـ على سبعة أميال من المدينة، وحمل إليها سنة ٥٥هـ وله ٨٢ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١/٩٢ ـ ١٢٤؛ وتقريب ١/٢٩٠.

(٣) في ك و ط (الخلق).

(٤) هو: واد من أودية المدينة لربيعة، وقد كان فيه نخل كثير وسيوح (مياه جارية) وآبار.
انظر: صفة جزيرة العرب ص ٢٦٤ و٢٩٧ للحسن بن أحمد الهمداني ـ ٣٤٤هـ، ت: محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

(٥) في ك و ط (ابن).

(٦) هو ابن سعد بن أبي وقاص، أمير السرية الذين قاتلوا الحسين ـ رضي الله عنه ـ ثم قتله المختار، وكان ذا شجاعة وإقدام، قتل هو وولداه صبراً.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٧) في ك و ط زيادة (في).

(٨) ليس في أ (الغني) وفي ك و ط (النقي) وما أثبتناه هو ما في الصحيح.

(٩) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٤/٢٢٧٧ (٢٩٦٥). وأخرجه أحمد في المسند ١/١٦٨.

فصل

من آيات النبوة: قصة الفيل وحراسة السماء

ومن آيات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودلائل نبوته التي[1] في القرآن، قصة الفيل، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[2] ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ[3] ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ[4] مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾[5].

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل، وأن أهل الحبشة: النصارى ساروا بجيش عظيم، معهم فيل، ليهدموا الكعبة، لما أهان بعض العرب كنيستهم، التي باليمن، فقصدوا إهانة الكعبة، وتعظيم كنايسهم. فأرسل الله عليهم طيراً أهلكهم[6] وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم.

---

(١) سقطت (التي) من ط.

(٢) أبابيل: جماعات متتابعة، بعضها في إثر بعض.
انظر: صفوة التفاسير ٢٠/٦٠٥.

(٣) سجيل: طين متحجر.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٤) كعصف مأكول: ورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم خرج منها.
انظر: المصدر والمرجع السابق.

(٥) سورة الفيل، كاملة.

(٦) في ك و ط زيادة (عامتهم).

فعُلم بذلك أن هـذه الآية لم تكن لأجـل جيران البيت حينئـذ، بل كـانت لأجل البيت، أو لأجـل النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، الـذي ولد به[1] في ذلك العام عنـد البيت، أو لمجموعهمـا، وأي ذلك كـان، فهو من دلائل نبوته.

فإنه إذا قيل: إنما كانت آية للبيت وحفـظاً له، وذبـاً عنه لأنـه بيت الله الذي بناه إبراهيم الخليل. فقد عُلم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلى إليه، إلا أمة محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، ومحمد[2] هو الذي فرض حجه والصلاة إليه. فإذا كـان هذا البيت عنـد الله خيـراً[3] من الكنـائس التي للنصـارى، حتى إن الله أهلك النصـارى أهل[4] الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانة البيت. عُلم أن دين[5] أهـل هذا البيت خيـر من دين النصـارى، والمشـركـون ليسـوا خيـراً من النصــارى. فتعين أن أمـة محمــد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ خيـر من النصارى، وذلك يستلزم أن نبيهم صـادق، وإلا فمن كانـوا متبعين لنبـي كـاذب، فليسوا خيـراً[6] من النصارى، بـل هم[7] شرار الخلق، كـأتباع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وغيرهما، وقال ـ في القرآن ـ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾[8].

(١) سقطت (به) من ك و ط.
(٢) لم ترد كلمة (ومحمد) في ط.
(٣) في ك و ط (خير) بالرفع.
(٤) سقطت (النصارى أهل) من ك و ط.
(٥) لم ترد كلمة (دين) في ط.
(٦) في أ (خير) بغير النصب والأصح ما في ك و ط. بالنصب ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك و ط زيادة (من).
(٨) سورة الفيل: الآيات ١ ـ ٣.

والأبابيل جماعات في تفرقة[1]، فوج بعد فوج[2](ترميهم بحجارة من سجيل) أي من طين مستحجر[3]، (فجعلهم كعصف مأكول) كالتبن[4] الذي أُكِل.

وقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

إستفهام في معنى التقرير، وهذا يقتضي أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه، وقد قررهم على ذلك، لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق. [5]ومن آياته الظاهرة التي في القرآن، ما ذكره من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، بخلاف ما كانت العادة جارية به، قال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾.

---

(١) في ط (متفرقة).

(٢) سقطت كلمة (فوج) الثانية، من ط.

(٣) في ك و ط زيادة بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذا، وهي كالآتي: (وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية (سنك) و (كل) بالفارسية هي الطين، ويقولون في الجمع (كيلان) أي أطيان، لأن الألف والنون في الفارسية للجمع فيقولون (مسلمان، وفقيهان، وعالمان): أي مسلمون وعلماء وفقهاء. ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ويعرفون معناها، والقرآن نزل بلغتهم العربية، والمعرب عربي).

(٤) التبن: ساق الزرع بعد دياسة.
انظر: المصباح المنير ص ٧٢.

(٥) في ك و ط قبل هذا (فصل).

إلى قوله:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾[١].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[٢].

وهذا[٣] كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقرؤه على الناس، وهم يقرؤنه، ولم ينكره أحد، ولا ارتاب به مؤمن، ولا احتج به عليه كافر، فدل[٤] أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن، من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع.

ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم، فإن امتلاء السماء بالشهب، أمر يراه الناس كلهم، فلو لم يكن كذلك، لكان الناس يكذبون بهذا، مؤمنهم وكافرهم، فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤا، يمتنع اتفاقهم على الكذب، وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب، وعلى كتمان ما يعلمونه، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب.

---

(١) سورة الجن: الآيات ١ ـ ١٠.
(٢) سورة الشعراء: الآيات ١١٠ ـ ١١٢.
(٣) في ط (قد).
(٤) في ك و ط زيادة (على).

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا كان موجوداً ـ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ـ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت، فلما لم ينكر ذلك أحد، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب، الذي لم يُعهد مثله، حتى صاروا يشكون: هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا: إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم، فلما رواه فيما دونها، علموا أنه لأمر حدث. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: (انطلق رسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في طائفة من أصحابه عامدين[1] إلى سوق عكاظ[2]، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب[3]، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين السماء، أرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا[4] مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا: ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون

---

(١) أي قاصدين.
انظر: فتح الباري ٨/٦٧٠.

(٢) **عكاظ**: نخل في واد، بينه وبين الطائف مسيرة ليلة (٤٠ كلم تقريباً) وبينه وبين مكة ثلاث ليال (١٢٠ كلم تقريباً) كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له (الأثيداء) وبه كانت حرب الفجار، وهو أعظم أسواق العرب.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٩٥٣.

(٣) جمع شهاب: وهو شعلة من نار ساطعة.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٩.

(٤) الضرب في الأرض: السير فيها لابتغاء الرزق أو غيره.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٨.

مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر[1] الذين أخذوا نحو تهامة، وهي بنخل[2]، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو[3] يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا:

﴿ . . . إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾[4].

فأنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ . . .﴾[5].

وفي لفظ البخاري بنخلة قريباً من مكة، وهو الصواب.

---

(١) النَّفَر: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة، ، ومثله: النَّفير والنَّفْر والنَّفْرة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٢.

(٢) **نخل**: موضع بنجد، من أرض غطفان، وهو في طرف الشام من ناحية مصر، وقيل: منزل لبني مرّة بن عوف، أو بني ثعلبة، على ليلتين من المدينة (٨٠ كلم تقريباً).
وقد رجح الشيخ المؤلف أنه (نخلة).
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٣٦٤.

(٣) في ط (وكان الرسول).

(٤) سورة الجن: الآيتان ١ ـ ٢.

(٥) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾.
سورة الجن: الآية ١.
رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة **﴿قل أوحي إليّ﴾** ٨/٦٦٩ (٤٩٢١) من فتح الباري. ومسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقرآة في الصبح . . .، ١/٣٣١ـ ٣٣٢ (٤٤٩).

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال، والصواب: أنه كان الرمي[1] بها ـ كما هو الآن ـ أحياناً، كما ثبت في صحيح مسلم، عن ابن عباس، ورواه ـ أيضاً ـ أحمد في مسنده، أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بينما هو في نفر من الأنصار إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم: «ما كنتم تقولون في هذا النجم، الذي يرمى به في الجاهلية»؟ قالوا: كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك. وُلِد[2] مولود. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ليس ذلك كذلك، ولكن الله إذا قضى في خلقه أمراً يسمعه أهل العرش، فيسبحون، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم، فيسبح من تحت ذلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض: لم سبحتم؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم. فيقولون: ألا تسألون من فوقكم مم سبّحوا؟ فيسألونهم[3]، فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا: الأمر الذي كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيتحدثون به، فتسترقه الشياطين بالسمع، على توهم منهم واختلاف، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض، فيحدثونهم، فيخطئون ويصيبون، فيحدث[4] الكهان»[5].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن

---

(١) في ك و ط (يرمى).

(٢) في ط زيادة واو العطف.

(٣) في ك و ط (فيسألون).

(٤) في ك و ط (فيتحدث به).

(٥) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤/١٧٥٠، (٢٢٢٩). والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ، ٥/٣٦٢ (٣٢٢٣). وأحمد في المسند ١/٢١٨.

الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقاً، قال: «تلك الكلمة من الحق، يخطفها[1] الجني، فيقذفها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مائة كَذبة»[2].

وروى البخاري في صحيحه، عن عائشة أنها سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «إن الملائكة تنزل في العَنَان، وهو السحاب، فتذكر الأمر، قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[3].

وفي صحيح البخاري ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء[4] ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَاناً[5] لقوله، كأنه سلسلة على

(١) **الخطف**: الأخذ والاستلاب بسرعة.
انظر: المصباح المنير ص ١٧٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الطب، باب الكهانة، ١٠/٢١٦ (٥٧٦٢) من فتح الباري ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهان، ٤/١٧٥٠(٢٢٢٨)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/٣٠٤ (٢٢١٠). من فتح الباري.

(٤) يفسر ذلك رواية الطبراني: (إذا تكلم الله بالوحي...).
انظر: فتح الباري ٨/٥٣٨.

(٥) خضعانا: من الخضوع، وهو مصدر بمعنى: خاضعين.
انظر المصدر والموضع السابق.
في ك و ط (خضعاً).

صفوان[1]، فإذا فُزِّع[2] عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: (الحق، وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا، بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها[3] على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا[4]: كذا وكذا. الكلمة التي سمعت من السماء، فَيُصَدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[3].

ورواه محمد بن إسحاق، عن الزهري، وقال ــ في آخره ــ: «ثم إن الله ــ عز وجل ــ حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة، فلا كهانة»[4]. ورواه مَعْمَر عن الزهري، وقال: «فقلت للزهري: أوكان يرمي بها في الجاهلية؟ قال نعم. قلت: يقول الله:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ . . .﴾[5] الآية.

قال: غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي ــ صلَّى الله عليه

(١) في ك و ط (الصفوان).
(٢) أي زال الفزع والخوف.
(٣) في ك و ط زيادة (إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها).
(٤) سقطت (كذا) الثانية من أ، والصواب إثباتها كما في الصحيح.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم. . .)، ٨/٥٣٧ ــ ٥٣٨، (٤٨٠٠). من فتح الباري.
ورواه الترمذي مختصراً، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة سبأ، ٥/٣٦٢ (٣٢٢٣).
(٤) السيرة لابن هشام ١/٢٢٠.
في ط (كهلانة).
(٥) سورة الجن: الآية ٩.

وسلَّم ـ[1]. وروى الطبري[2] عن داود[3]، ثنا عاصم بن علي[4] بن عاصم[5] عن عطاء بن السائب[6] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي، وكان الوحي إذا أوحي، سمعت الملائكة كهيئة الحديدة رمى[7] بها على الصفوان[8]، فإذا سمعت الملائكة صلصلة[9] الوحي، خرّ[10] لجباههم من في السماء

---

(١) المسند للإمام أحمد ٢١٨/١، بإسناد رجاله ثقات، وأورده الهيثمي مختصراً في المجمع ١٢٩/٧ م ٤، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم الحافظ، أبو جعفر، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، قال ابن خزيمة: (ما على أديم الأرض أعلم منه). كانت ولادته سنة ٢٢٤هـ.وتوفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤ ـ ٢٨٢؛ وطبقات الحفاظ: ٣١٠.

(٣) داود: هو ابن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني الحافظ العلامة عالم الوقت، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر، ولد سنة ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٧٠هـ سير أعلام النبلاء ٩٧/١٣ ـ ١٠٨.
انظر: لسان الميزان ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٤.

(٤) في ك و ط زيادة (ثنا علي).

(٥) عاصم بن علي بن عاصم: هو ابن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، صدوق يخطىء ويصرّ، رمي بالتشيع، مات سنة ٢٠١هـ وله أكثر من ٩٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٣٩/٢؛ وتهذيب التهذيب ٣٤٤/٧.

(٦) هو أبو محمد، ويقال: أبو السائب، الثقفي الكوفي، صدوق، اختلط ـ ضعفت ذاكرته ـ مات سنة ١٣٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢٢/٢؛ وتهذيب التهذيب ٢٠٣/٧.

(٧) في ك و ط (يرمى).

(٨) هو الحجارة الملس، ويستعمل اللفظ في الجمع والمفرد.
انظر: المصباح المنير ص ٣٤٤.

(٩) الصلصة: صفاء صوت الرعد.
انظر: اللسان ٣٨٢/١١، مادة صلل.

(١٠) في ط (خروا).

من الملائكة[١]، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فينادون قال ربكم:

﴿ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٢].

قال: فإذا نزل إلى السماء الدنيا، قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتاً، وكذا وكذا حياة، وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خصباً، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبتدي ـ تبارك وتعالى ـ، فنزلت الجن، فأوحوا إلى أوليائهم من الأنس ما[٣] يكون في الأرض. فبينما هم كذلك، إذ بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[٤] فزجرت[٥] الشياطين[٦]، ورموهم بالكواكب، فمنعوا، فجعل لا يصعد أحد إلَّا احترق، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، فقالوا: هلك[٧] من في السماء. وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحر كل يوم بعيراً لآلهتهم، فينطلق صاحب الغنم، فيذبح كل يوم شاة، فينطلق صاحب البقر، فيذبح كل يوم بقرة. فقال لهم رجل: ويلكم لا تهلكوا أموالكم، فإنّ معالمكم[٨] من

---

(١) سقطت جملة (من في السماء من الملائكة) من ط.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٣.

(٣) في ك (مما) وفي ط (بما).

(٤) في أ (عليه السلام).

(٥) الزجر: المنع والنهي والانتهار.
انظر: اللسان ٤/٣١٨، مادة زجر.

(٦) في ك و ط زيادة (عن السماء).

(٧) في ك و ط (أهلك).

(٨) جمع معلم، وهو ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه.
انظر: اللسان ١٢/٤١٩، مادة علم.

الكـواكب التي تهتـدون بهـا، لم يسقط منهـا شيء. فـأقلعـوا[1]، وقــد أسـرعـوا في أمـوالهم[2]. وقـال[3] إبليس: حـدث في الأرض حـدث، فأتوني[4] من كل[5] مكان في الأرض بتربة، فجعـل لا يؤتى بتربـة أرض إلا شمها، فلما أتى بتربة تِهامة قال: «ههنا حدث الحدث». فصرف الله إليه نفراً[6] من الجن، وهو يقرأ القرآن، فقالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . . .﴾[7].

حتى ختم الآية، فولوا:

﴿. . . إِلَىٰ قَوْمِهِم[8] مُّنذِرِينَ﴾[9].

---

(١) الإقلاع عن الأمر: الكف عنه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٨.

(٢) أي في إفنائها.

(٣) في ك (وكان إبليس حدث) وفي ط (وكان إبليس قال).

(٤) في ك و ط (فإني).

(٥) في ط زيادة (مكان في).

(٦) هم جماعة الرجال من ثـلاثة إلى عشـرة، وقيل إلى سبعـة، ولا يقال (نفـر) فيما زاد على العشرة.
انظر: المصباح المنير ص ٦١٧.

(٧) سورة الجن: الآية ١.

(٨) سقطت من ط (إلى قومهم).

(٩) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.
أورد الحافظ في الفتح ٨/٦٧١ أول هذا الأثر وشطراً كبيراً من آخـره وعزاه للطبـري وابن مـردويه وغيـرهما بـالطريق التي ذكـر المؤلف نفسها، وقـد تتبعت مضانـه عنـد الطبري في التفسير والتاريخ فلم أعثر عليه.
ولم يشر السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥/٢٣٦ مصور طبعة بـولاق، دار المعرفة، بيروت. لم يشر إلى رواية الطبـري هذه، وكـذلك فعـل تلميذه الإمـام محمد بن يوسف الصـالحي الشامي ــ ٩٤٢هـ في كتـابه: سبـل الهدي والـرشاد في

ورواه أبو زرعة عن موسى بن إسماعيل[1] عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه، ورواه البيهقي من طرق[2] عن حماد بن سلمة عن عطاء ـ أيضاً ـ .

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث، ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وقبل ذلك لم يكن الحرس شديداً، ولا[3] كانت السماء مملوءة حرساً وشهباً ـ كما هي الآن[4] ـ يرمى[5] بها أحياناً، وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع: أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلى حديث غيره، مختفياً بسماعه، مسترقاً له، فكانت الشياطين تسترق (أي تستمع) ما تقوله الملائكة. فلما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صار أحدهم إذا سمع[6] وجد الشهاب قد أرصد له، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك.



= سيرة خير العباد ٢/٢٦٤ ـ ٢٧٩. ت: د. مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، وقبلهما ابن كثير لم يذكر رواية الطبري، السيرة النبوية ١/٤١٥ ـ ٤٢١.

وقد أخرجها أبو نعيم في الدلائل ١/٢٩٣ بالطريق نفسها التي ذكر المؤلف ـ عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ وبلفظ مقارب، وبالطريق نفسها أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٤٠ بمثله.

(١) **موسى بن إسماعيل**: هو المنقري التبوذكي، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار الطبقة التاسعة، ولا التفات إلى قول ابن خراش: «تكلم الناس فيه». مات سنة ٢٢٣هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٨٠؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٣٣٣ ـ ٣٣٥.

(٢) سقطت (من طرق) من ك و ط.

(٣) في ط (بل).

(٤) سقطت (الآن) من ط.

(٥) في ك و ط (ترمى).

(٦) في ك و ط (استمع).

فصل

من آيات النبوة ما ثبت بالقرآن أو بالتواتر وهو أكثر

وقد ذكرنا بعض آياته التي في القرآن، لأن من أهل الكتاب من يقول: لا نصدق إلاَّ بما في القرآن، كما في التوراة والإنجيل، [1]من آيات موسى والمسيح، إذ كان نقل القرآن عنه متواتراً، لا يستريب فيه أحد، فنبهنا على بعض ما في القرآن، مع أن آياته التي ليست في القرآن كثيرة جداً.

وليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون في القرآن، بل كما تواتر عنه من شريعته ما ليس في القرآن، وهو من الحكمة التي أنزلها الله عليه ــ كذلك ــ وتواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس في القرآن، وهو من براهينه وآياته[2]، وقد قال ــ تعالى ــ في غير موضع:

﴿... وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾[3].

فالحكمة نزلت[4] عليه، وهي منقولة في غير القرآن.

وقد تواتر عنه كون الصلوات[5] خمساً، والفجر ركعتين[6]،

(١) في ك و ط (ما فيهما).
(٢) في ك و ط تقدمت (آياته) على (براهينه).
(٣) سورة النساء: الآية ١١٣؛ وانظر: سورة البقرة: الآية ١٢٩؛ وآل عمران: ١٦٤؛ والجمعة: ٢.
(٤) في ك و ط (منزلة).
(٥) في ط (الصلاة).
(٦) في أ (ركعتان). وما أثبتناه من ك و ط أصوب.

والمغرب ثلاثاً، والباقي أربعاً أربعاً[1]، والرباعية في السفر ركعتان، وتواتر عنه سجود السهو. [2]كذلك متواتر[3] عنه أنواع من المعجزات والأخبار المتواترة[4] في أصناف آياته وبراهينه كثيرة جداً، لا يمكن إحصاؤها، وهي مشتملة على جنسي: العلم والقدرة: على أنواع من الإخبار بالغيوب المستقبلة، مفصلة، كأنما رآها بعينه، لم يأت منها خبر إلَّا كما أخبر به، وهذا أمر لم يكن قط إلَّا لنبي.

أما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء، فيكذبون كثيراً، كما يصدقون أحياناً[5]، ويخبرون بجمل غير مفصلة.

وأما أهل الولاية والصلاح: فأعظمهم كشفاً[6]، يخبر عن ذلك بأمور قليلة، لا تبلغ عشر معشار ما أخبر به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[7]، ولا يخبرون بها مفصلة كخبره، وعلى أنواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات. إما من باب العلم والخبر والمكاشفة[8]. وإما من باب القدرة والتأثير والتصرف.

---

(١) في أ و ك (أربع أربع).
(٢) في ط زيادة الواو العاطفة.
(٣) في ك و ط (تواتر).
(٤) في ك و ط (المأثورة).
(٥) سقطت (أحياناً) من أ.
(٦) الكشف: هو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم، فيُكشف للعبد عنه كأنه يراه رأي العين. انظر: حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بهامش قوت القلوب ٢/٢٧٣.
(٧) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.
(٨) المكاشفة هي الكشف المذكور آنفاً.

وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات، شيء كثير، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ[1] وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[2].

فغَلَبت الروم فارس في بضع سنين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى[3]، وكقوله ـ تعالى ـ[4] :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا . . . ﴾[5].

وكان كما أخبر.

وروى الدارمي[6]

---

(١) أي أقرب أرضهم إلى فارس.
انظر: صفوة التفاسير ٢١/٤٧١.

(٢) سورة الروم: الآيتان ١ ـ ٢.

(٣) انظر الجواب الصحيح (ط المدني) ١/٨٨.

(٤) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط.

(٥) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿ . . . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. . . ﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

(٦) **الدارمي**، هنا: هو أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان الدارمي السرخسي، الإمام الفقيه الحافظ الثبت، أبو جعفر، ولد سنة نيف وثمانين ومائة، وسمع الحديث، وأكثر التطواف، وتوسع في العلم، وبَعُد صيته وتولى قضاء سرخس، مات بنيسابور سنة ٢٥٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٤٥؛ وتقريب التهذيب ١/١٥. وقد كنت أظن أنه الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن)، صاحب =

عن أُبَي بن كعب(١) قال: «لما قدم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه المدينة(٢)، وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلَّا في السلاح، ولا يصبحون إلَّا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين، لا نخاف إلَّا الله ـ عز وجل ـ؟ فنزلت:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .﴾(٣).

إلى آخر الآية(٤).

وكان كذلك، استخلف الله المؤمنين في الأرض، ومَكَّن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

= السنن، ثم دلني عليه كتاب أسباب النزول: ص ٢٤٨ لعلي بن أحمد الواحدي ٤٦٢هـ، عالم الكتب، بيروت.

(١) هو ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء ويكنى أبا الطفيل ـ أيضاً ـ من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً قيل سنة ١٩ وقيل سنة ٣٢هـ وقيل غير ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٨؛ وأسد الغابة ٦١ ـ ٦٣.

(٢) في أ (بالمدينة).

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) قال الهيثمي في المجمع ٧/٨٣، (رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات). ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، ٢/٤٠١، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الدلائل ٣/٦. وقد عزاه السيوطي ـ أيضاً ـ إلى ابن المنذر وابن مردويه والضياء في المختارة.
انظر: الدر المنثور ٥/٥٥.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[1] .

وكان كما أخبر ووعد. وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ . . .﴾[2] .

وكان كما أخبر.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ . . .﴾ .

إلى قوله:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3] .

فأخبر أنهم لن يفعلوا، وكان كما أخبر.

وأخبر أنه قال للمسيح :

﴿. . . وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ . . .﴾[4] .

وكان كما أخبر.

وأنزل في مكة:

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٣ ــ ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٥ .

(١) ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾(٢).

وقـــال:

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٣).

فكان كما أخبر.

وقـــال:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا(٤) بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(٥).

وكانوا(٦) كما أخبر.

وقـــال:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ(٧)، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ

---

(١) في ك و ط زيادة: قوله ــ تعالى ــ :
﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾.

(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
في ك و ط زيادة (فكان كما أخبر هزم الجمع، وولوا الدبر).

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٢.

(٤) أي: ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة.
انظر: صفوة التفاسير ٦/٣٣٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٦) في ك و ط (كان).

(٧) يقصد هؤلاء اليهود: أنه ــ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ــ بخيل يقتر الرزق على العباد.
انظر المصدر السابق ٦/٣٥٢.

يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا (١) وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ. . . ﴾(٢).

وكان كما أخبر.

وقـــال:

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ(٣)، إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ(٤)، وَبَآءُو(٥) بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ(٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٧).

وقـــال:

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ. . . ﴾(٨).

---

(١) في ك و ط لم يَرِد قوله ـ تعالى ـ:
﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء، إلى يوم القيامة﴾.
وجاء فيهما (إلى قوله).

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) أي وجدوا.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٢٢.

(٤) أي: إلَّا إذا اعتصموا بذمة الله ـ تعالى ـ وذمة المسلمين.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٢٢.

(٥) أي رجعوا.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٦) أي الفاقة والخشوع.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١١١ ـ ١١٢.

(٨) سورة الفتح: الآية ٢٢.

وقـــال:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ . . .﴾[1] .

وكـان كذلـك، فلم يقـاتلوهم بعـد نـزول الآيـة إلّا انتصـر عليهم المسلمـون. ومـا زال الإسـلام في عـز وظهـور، حتى ظهـر على أهـل المشرق والمغرب.

وقال ــ تعالى ــ[2] خطاباً لليهود:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ . . .﴾[3] .

وقـــال:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾[4] .

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٤.

(٢) ليس في أ كلمة التقديس.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٤ ــ ٩٦.

في ك زيادة قوله ــ تعالى ــ:

﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾.

وفي ط زيادة مما بعدها وهي قوله ــ تعالى ــ:

﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾. سورة البقرة: الآية ٩٤ ــ ٩٦.

(٤) سورة الجمعة: الآية ٦.

في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:

﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين﴾.

فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبداً، وكان كما أخبر، فلا يتمنى اليهود الموت أبداً. وهذا دليل من وجهين: من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا من أعجب الأمور، الخارقة للعادة، وهم ــ مع حرصهم على تكذيبه ــ لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه، بإظهار تمني الموت.

وقال ــ في سورة المدثر ــ:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾.

إلى قوله:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ[1] ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وقال عن أبي لهب ــ عمه ــ:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ[3] ﴿١﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[4].

وكان[5] كما أخبر به، مات الوليد كفّاراً[6] ومات أبو لهب كافراً[7].

---

(١) سقر: اسم من أسماء جهنم.
انظر: صفوة التفاسير ٢٩/٤٧٧.

(٢) سورة المدثر: الآيات ١١ ــ ٢٨.

(٣) أي: هلكت يداه، وخاب وخسر وضل عمله.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٦١٨.

(٤) سورة اللهب: الآيات ١ ــ ٣.

(٥) في ك و ط (فكان).

(٦) في ك و ط (كافراً).

(٧) في أ (كافر).

وقال ـ في سورة الفتح ـ :

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾[1] .

وقال :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

وقال :

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ[3] : سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾[4] .

وهـذا كله وقع كمـا أخبر، فحصلت لهم الغنـائم الكثيرة، ودخلوا المسجـد الحـرام آمنين، ودعيت الأعـراب إلى قتـال الـروم والفـرس، يقاتلونهم أو يسلمون، فلا بد من القتال أو الإسلام ليس هنـاك هدنـة بلا قتال[5]، كما كان يكون قبل نزول الآية[6].

(١) سورة الفتح : الآية ٢٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٧ .

(٣) جمع أعرابي، وهو البدوي .
انظر : اللسان ١/٥٨٦، مادة عرب .

(٤) سورة الفتح : الآية ١٦ .

(٥) في ك و ط زيادة (ولا إسلام) .

(٦) في ك و ط (آية الجزية) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[1].

فدخل الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح، فما مات[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي بلاد العرب كلها[3] موضع لم يدخله الإسلام.

وقال ـ تعالى ـ عن المنافقين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ ﴾[4].

وكذلك كان، فروى أهل التفسير والمغازي والسِّير: أن هذه الآية نزلت في المنافقين، كعبد الله بن أبيّ[5]، وعبد الله[6] . . . .

---

(١) سورة النصر كاملة.

(٢) في ك و ط زيادة (النبي).

(٣) سقطت (كلها) من ك و ط.

(٤) سورة الحشر: الآيتان ١١ ـ ١٢.

(٥) عبد الله بن أُبَيّ: هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، وكان طويلاً جداً، يركب الفرس فتخط رجلاه في الأرض، مات سنة ٩هـ.
انظر: الأعلام ٤/٦٥.

(٦) في ك و ط (عبيد الله).

بن نبتل[١]، ورفاعة بن تابوت[٢] ونحوهم، كانوا يقولون لبني النضير - وهم اليهود حلفاؤهم - :

﴿... لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ...﴾[٣] الآية.

فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلك. وكذلك كان. وضرب الله لهم مثلاً بالشيطان:

﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[٤].

كذلك المنافقون وبنو النضير.

● ● ●

---

(١) عبد الله بن نبتل: هو ابن الحارث، من بني لوذان بن عمرو بن عوف، هو وأبوه من المنافقين.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٦٨ - ١٦٩.

(٢) ورد اسمه في السيرة (التابوت) بالتعريف.
هو رفاعة بن زيد بن تابوت، أحد بني قينقاع، وكان عظيماً من عظماء يهود وكهفاً للمنافقين، مات أثناء رجوع النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦هـ.
انظر المصدر السابق ٣/٣٠٤.

(٣) سورة الحشر: الآية ١١.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٦.

فصل

إخباره ـ عليه السلام ـ بالكثير من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة ودلالتها على نبوته

وآياته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية[1]. وإخباره[2] عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير ـ كما تقدم بعض ذلك ـ وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر.

ففي الصحيحين عن حذيفة[3]، قال: قام فينا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مقاماً ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلَّا حدث به، حفظه من حفظه ونَسِيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه[4] فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[5].

(١) في ك و ط تقدمت (الفعلية) على (الخبرية).

(٢) في جميع النسخ (فإخباره) وما أثبتناه من أكسفورد.

(٣) **حذيفة**: هو ابن حسل بن جابر العبسي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين ومن نجباء أصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو صاحب السر، قتل أبوه خطأ في أحد، وكان يسمى اليمان، وآخى رسول الله بينه وبين عمار. ولاه عمر على المدائن، وبقي عليها إلى أن مات بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٦١ ـ ٣٦٩؛ والإصابة ١/٣١٧.

(٤) في أ (فأداه) وهو خطأ نسخي.

(٥) رواه البخاري، كتاب القدر، باب (... وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ١١/٤٩٤ =

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب[1]، قال: «صلَّى بنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الفجر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت[2] الشمس»، قال: «وأخبرنا بما كان وما[3] هو كائن، فأحفظنا أعلمنا[4]. وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم، قال: بينا[5] أنا عند النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ جاءه[6] رجل فشكى إليه الفاقة[7]، ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: (يا عدي، هل رأيت الحيرة)[8]؟ فقلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: (فإن طالت

= (٦٦٠٤) من فتح الباري بمعناه، ورواه مسلم بلفظه، كتاب الفتن. . ، باب إخبار النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما يكون إلى قيام الساعة، ٤/٢٢١٧ (٢٨٩١). ورواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٤ (٤٢٤٠).

(١) عمرو بن أخطب: هو الأنصاري الخزرجي، المدني، الأعرج، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة، وله بها مسجد يعرف به، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٤٧٣ ـ ٤٧٤؛ وتقريب التهذيب ٢/٦٥.

(٢) في ك و ط (غابت).

(٣) في ك و ط (وبما).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما يكون إلى قيام الساعة، ٤/٢٢١٧ (٢٨٩٢).

(٥) في ط (بينما).

(٦) في ك و ط (جاء).

(٧) جاءت في أ (القافة) وهو خطأ نسخي.

(٨) الحِيْرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٤٤١.

بك حياة لترين الظعينة[1]، ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلاَّ الله)، قال: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارطيء[2]، الذين سعروا البلاد[3]؟ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»، قلت: كسرى[4] بن هرمز! قال: (كسرى بن هرمز! ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله عنه[5]، فلا يجد أحداً يقبله منه! ولَيَلْقَيَن اللَّهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه تَرْجُمان يترجم له، فليقولن[6] له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلاَّ جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلاَّ جهنم). قال عدي: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول:

---

(١) الظعينة: كل جمل يركب، ويعتمد عليه، وهذا هو الأصل، وإنما سميت المرأة ظعينة لأنها تركبه، وكان إقبالها وإدبارها به، فسميت به.
انظر: غريب الحديث ٤/٤٣٧.

(٢) في ك و ط (ذعار) بالذال المعجمة.
دُعّار: جمع داعر: وهو الشاطر الخبيث المفسد. والعامة تقوله بالذال المعجمة، فكأنهم ذهبوا إلى معنى الفزع، والمعروف الأول، والمراد قُطَّاع الطريق، وطيىء قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتِم ــ رضي الله عنه ــ المتحدث، وبلادهم ما بين العراق والحجاز وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي: كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.
انظر: فتح الباري ٦/٦١٣.

(٣) **سعروا البلاد**: أوقدوا نار الفتنة، وملؤوا الأرض شراً وفساداً، من استعار النار، وهو توقدها.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) سقطت من أ جملة (قلت: كسرى) وأتممناها من ك و ط.

(٥) في ك و ط (منه).

(٦) في ك و ط (فيقولن).

(اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة).

قال عدي: فرأيت الظعينة، ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلَّا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (يخرج الرجل ملء كفه)[1].

قلت: وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء[2] كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله، ظهر كما أخبر، في زمن عمر بن عبد العزيز[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/ ٦١٠ ـ ٦١١ (٣٥٩٥) بمثله. من فتح الباري.

(٢) في ك و ط (ملىء).

(٣) هذا وقد روى الإمام مسلم ٢/ ٧٠١ (١٥٧) في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة. . ، عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً). ورواه أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠ و٤١٧. و (المروج): هي الرياض والمزارع، أو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، كما في تعليق عبد الباقي على صحيح مسلم، وكما قال الشيخ المؤلف، فقد وقعت الآية الأولى في عهد عمر بن عبد العزيز. انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠؛ والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٣. أما الآية الثانية ـ المذكورة في حديث مسلم هذا ـ فإنها قد بدأت إرهاصاتها في الظهور، حيث أن بلادنا وهي من بلاد العرب قد قامت فيها نهضة زراعية كبيرة ـ بحمد الله ـ فأصبح المرء يشاهد المروج الخضراء في طول البلاد وعرضها. وهذا الحديث يجعلنا نتفاءل بازدياد هذه النهضة الزراعية واستمرارها. وأما الأنهار فلا نستبعد أن توجد وذلك بتقدير الله ـ سبحانه ـ ثم بما أنتجته الحضارة المعاصرة من أدوات ومعدات، بجانب جودة الإدارة وإحسان التدبير، وبما يتوقع من التحولات المناخية بسبب التغيرات الكيميائية على سطح الأرض، نتيجة الثورة الصناعية التي أخذت تظهر آثارها بقوة.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة[١]، قال: كنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزوة، قال[٢]: فأتى النبيَ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة[٣]، فإنهم لقيام ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قاعد. قال: (فقالت لي نفسي: أئتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه)[٤]، قال: ثم قلت: لعله نَجِيٌّ[٥] معهم. فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي. قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)[٦].

---

(١) **نافع بن عتبة**: هو ابن أبي وقاص الزهري، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص وأخو هاشم المِرْقال، له صحبة، وأبوه عتبة هو الذي كسر رباعية رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم أحد، ومات عتبة كافراً قبل فتح مكة الذي أسلم فيه نافع.

انظر: أسد الغابة ٥٢٨/٤؛ والإصابة ٥٤٥/٣؛ وتهذيب التهذيب ٤٠٨/١٠.

(٢) سقطت (قال) من ك و ط.

(٣) **الأكمة**: تل، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غَلُظ، وربما لم يغلظ. والجمع أكم وأكمات.

انظر: المصباح المنير ١٨/١.

(٤) أي: يقتلونه غِيلة، وهو القتل في خفاء وغفلة وخديعة.

انظر: شرح النووي لمسلم ٢٦/١٨. م ٩.

(٥) أي: يناجيهم، ومعناه: يحدثهم سراً.

انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط اختلافات عما في الصحيح و أ تركنا ذكرها، وفي أ لم ترد جملة (ثم فارس فيفتحها الله) وقد أثبتناها من الصحيح.

صحيح مسلم، كتاب الفتن. . .، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، ٢٢٢٥/٤ (٢٩٠٠).

وروى البخاري عن عوف بن مالك[١]، قال: «أتيت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة تبوك[٢] وهو في قبة أَدَم[٣]. فقال: «أعدد ستاً[٤] بين يدي الساعة. موتي. ثم فتح بيت المقدس. ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم[٥]. ثم استفاضة[٦] المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً. ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلَّا دخلته. ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[٧]، كل غاية اثنا عشر ألفاً»[٨].

---

(١) عوف بن مالك: هو ابن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن، أو غير هذه الكنية، ممن شهد فتح مكة، وله جماعة أحاديث، وكان من نبلاء الصحابة، مات سنة ٧٣هـ بدمشق.
انظر: أسد الغابة ٤/١٢ ــ ١٣؛ وسير أعلام النبلاء ٢/٤٨٧ ــ ٤٩٠.

(٢) وكانت في رجب سنة ٩هـ وقد صالح فيها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أهل أَيْلة وأهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية. وكتب لهم كتاباً، ثم قفل إلى المدينة.
انظر: السيرة لابن هشام ٤/١٦٩.

(٣) أي بيت مدور من جلد مدبوغ.
انظر: المصباح المنير ص ٩ و٢ و٤٨٧.

(٤) في ك و ط (أعدوا أشياء).

(٥) هو: داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.
انظر: فتح الباري ٦/٢٧٨.

(٦) أي: كثرته.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) الهدنة: الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه. وبنو الأصفر: هم الروم. والغاية: الراية، سميت بذلك لأنها غاية المتبع، إذا وقفت وقف.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) وقع كثير من التحريفات والاختلافات بين ما في النسخ وبين ما في الصحيح تركنا أكثرها، وأثبتنا ما فيه.
صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، ٦/٢٧٧ (٣١٧٦) من فتح الباري.

قلت: ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب[١]، ثم بعد ذلك وقع الطاعون[٢] العظيم بالشام (طاعون عَمَواس)[٣] في خلافة عمر ـ أيضاً ـ [٤]، ومات فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح وخلق كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما[٥] أخبر به حيث أخذهم طاعون كعِقَاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان، حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها، وكثر المال[٦] حتى كانت الفَرَس تُشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت[٧] من العرب إلاّ دخلته لما قتل عثمان، ووقعت الفتنة، بين المسلمين أو الملوك[٨]، ــــــــــ

---

(١) وكان ذلك سنة ١٥هـ.
انظر: الكامل ٢/٣٤٨.

(٢) هو مرض من أنواع الحمى الخبيثة، سريع العدوى، وصفه المميز له: ظهور دمل كبير للمصاب، وخراج وغنغرينة، وقد علم أنه يتولد من الجراثيم المضرة، المتسببة من البقايا الحيوانية المتعفنة.
انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٧٣٧.

(٣) عِمَواس: كورة (منطقة) من فلسطين، قرب بيت المقدس، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس.
انظر: معجم البلدان ٤/١٥٧.

(٤) وكان سنة ١٨هـ وعدة من مات فيه خمسة وعشرين ألفاً.
انظر: الكامل ٢/٣٩٠ ـ ٣٩٢.

(٥) في ك و ط (مما).

(٦) سقطت (وكثر المال) من ك و ط.

(٧) في ك و ط تقدمت كلمة (بيت) على الجار والمجرور (من العرب).

(٨) في ك و ط (اتسعت).

(٩) سقطت (أو الملوك) من ك و ط.
لعل الشيخ قصد بكلمة (الملوك) الإشارة إلى أن الفتنة إنما سببها النزاع والشحناء بين القيادات، وليست بين عامة المسلمين.

يوم الجمل ويوم[1] صفين.

وفي الصحيحين عن خبـاب بن الأرتّ، قـال: «شـكـونـا إلى رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهـو متـوسـد بُـرْدة[2] لـه في ظـل الكعبـة، وقد لقينـا من المشركين شـدة، فقلنـا: ألا تـدعـو الله لنـا، ألا تستنصر لنا. قال فجلس محمراً وجهه، ثم قال: (والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل، فيمشط بأمشاط الحديد، ما بين لحم وعصب، ما يصرفـه ذلك عن دينه، ويؤخذ فتحفر لـه الحفرة[3] فيـوضع المنشـار على رأسه، فيشق بـاثنتين، ما يصـرفه عن دينـه، وَلَيُتِمَّن الله هذا الأمـر، حتى يسيـر الراكب من صنعاء[4] إلى حضرموت[5]، لا يخشى إلاَّ الله ــ عـز وجل ــ

---

(١) سقطت (يوم) الثانية من ك و ط.

(٢) هو: كساء أسود مربع، فيه صِغَر، تلبسه الأعراب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٧.

(٣) في ك و ط (الحفيرة).

(٤) صنعاء: هي العظمى، باليمن، وكان اسمها قديماً (أزال) وسمتها الحبشـة: صنعاء، ومعنـاه: الحصينة، وهي مـدينة اليمن وأحسن بـلادها، تشبـه دمشق لكثرة فـواكهها ــ فيما قيل ــ.

انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٥٤. وهي الآن عاصمة الجمهورية اليمنية.

(٥) حضرموت: اسمـان مركبـان، وهي ناحيـة واسعة، في شـرقي عدن، بقـرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف.
انظر: المصدر السابق ١/٤٠٩.

قال الحافظ في الفتح ٦/٦١٩: ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهمـا أبعد بكثير، أي من المسافة بين صنعاء اليمن وحضرموت. والأول (يقصـد صنعاء اليمن) أقـرب، قال يـاقوت: «هي قـرية على بـاب دمشق عند بـاب الفـراديس...» قلت: ــ (والقائل هو الحافظ) ــ: «وسميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن».

أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»[1]. وفي صحيح البخاري[2] عن أبـي هريرة عن النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ قال: «لا تقـوم الساعـة حتى تقاتلوا[3] الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذُلْف الأنف[4]، كأن وجوهَهم المَجَانُّ المُطَرَّقة[5]، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلون قوماً نعـالهم الشعر»[6].

قلت: وهؤلاء الـطوائف كلهم قـاتلهم المسلمـون كمـا أخبـر ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمر هـذه الطوائف معـروف، فإن قتـال الترك

---

(١) رواه البخـاري بمثله، كتاب المنـاقب، باب عـلامات النبـوة في الإسـلام، ٦/٦١٩ (٣٦١٢) من فتح الباري، والظاهر أنه ليس عند مسلم، خلافاً لقول الشيخ المؤلف. وهو عند أبـي داود برقم (٢٦٤٩) وعند النسائي ٨/٢٠٤.

(٢) في ك و ط (وفي الصحيحين واللفظ للبخاري).

(٣) في أ: (تقاتلون) ولم أجدها في الصحيح بهذا الإعراب.

(٤) **ذلف**: يروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة وهـو الأشهر، قيـل: معناه: الصغـر، وقيل: هو الاستواء في طرف الأنف ليس بحد غليظ، وقيل: تشمير الأنف عند الشفة العليا، وقيل: هو غلظ في الأرنبة، وقيل: تطامن فيها، وقيل: ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته، وقيل: قصره مع انبطاحه.
انظر: فتح الباري ٦/٦٠٨.

(٥) أي: أن وجوههم تشبه التـرسة ـ آلـة الحرب ـ في بسـطها وتـدويرهـا، وبالمـطرقة لغلظها وكثرة لحمها، ومعنى المطرقة: أي التي ألبست الجلود.
انظر: المصدر السابق ٦/١٠٤ و٦٠٨.

(٦) نعـالهم الشعر: قيـل: المراد بـه: طول شعـورهم حتى تصيـر أطـرافهـا في أرجلهم موضع النعال. وقيل المراد: أن نعالهم من الشعر المضفور.
انظر: المصدر السابق ٦/٦٠٨.
رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ٦/١٠٤ (٢٩٢٨) من فتح الباري.
ورواه مسلم في عـدة روايات، كتـاب الفتن وأشراط السـاعة، بـاب لا تقوم السـاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكـون الميت من البلاء، ٤/٢٢٣٣ ـ ٢٢٣٤ (٢٩١٢).

من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة، كبار وصغار من كتب المسلمين[1]، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق[2]، الذين هذه صفتهم، التي لو[3] كُلف من رآهم بعينه أن يصفهم، لم يحسن مثل هذه الصفة.

وفي الصحيحن عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[4]. وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستماية[5]، ورآها الناس، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم[6].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء[7]، أن رسول الله

(١) هذه إحصائية تقريبية لعدد الكتب التي شاهد الشيخ فيها حديث قتال الترك وغيرهم. وذلك شاهد من كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ على سعة اطلاعه.

(٢) يقصد المغول أو التتر، جنود جنكيزخان.

(٣) سقطت (لو) من أ.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث الشريف في المجلد الخامس من طبعتنا هذه.

(٥) هي بالضبط في ليلة الأربعاء بعد العشاء اليوم الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت. كما نقل ابن حجر في الفتح ١٣/٧٩ عن القرطبي في (التذكرة). وقد أشار الشيخ المؤلف إلى ذلك ص ٤٩٠ الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه (حمدان الحمدان).

(٦) ولا يستبعد عدم إنضاجها اللحم بالرغم من إحراقها الحجر، فقد يكون أن الله ـ عز وجل ـ قد سلبها خاصية الإفادة للناس. وهذه أفران (الأشعة Microwave) التي تجعل الماء يغلي في كوب من الورق دون أن يحترق الكوب.

(٧) هي بنت الصديق، زوج الزبير بن العوام، من كبار الصحابة، عاشت ١٠٠ سنة وماتت سنة ٧٣ أو ٧٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٨٩؛ وأسد الغابة ٦/٩ ـ ١٠. =

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال لعمار بن ياسر[1]: «تقتلك[2] الفئة الباغية»[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله)»[4].

وفي الصحيحين عن جابر[5] عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[6].

= الظاهر أن الصحابية المقصودة هي (أم سلمة) وليست (أسماء) حيث أنها هي الراوي عند مسلم، وروت عنها أم الحسن البصري ثم الحسن.
انظر: صحيح مسلم ٤/٢٢٣٦.

(١) **عمار بن ياسر**: هو ابن عامر بن مالك العنسي، أبو اليقظان، مولى بني مخزوم، صحابي جليل مشهور، من السابقين الأولين، بدري، قتل مع علي بصفين سنة ٣٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٨؛ وأسد الغابة ٣/٦٢٦ ــ ٦٣٢.

(٢) في ط (تقتله).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المساجد، ١/٥٤١ (٤٤٧). بلفظ: (تقتله) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...، ٤/٢٢٣٦ (٢٩١٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ٦/١٥٧ (٣٠٢٧) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...، ٤/٢٢٣٦ ــ ٢٢٣٧ (٢٩١٨).

(٥) في ك و ط زيادة (ابن عبد الله).
جابر هنا: هو ابن سمرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ.

(٦) سبق تخريجه ١/٣١٥ رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «لتفتحن[1] عصابة من المسلمين»، أو قال «المؤمنين، كنز آل كسرى الذي في الأبيض»[2]. والأبيض قصر كان لكسرى[3].

وفي صحيح البخاري وغيره[4] عن أبي بكرة[5] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال عن الحسن[6]: «إن ابني هذا سيد،

---

(١) **العصابة**: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. والعُصْبة والعِصابة جماعة ليس لها واحد.
انظر: اللسان ١/٦٠٥ مادة (عصب).

(٢) **والأبيض**: من عجائب الدنيا ـ آنذاك ـ لم يزل قائماً إلى أيام الخليفة العباسي (المكتفي) قريباً من سنة ٢٩٠هـ ثم نُقِض وبني به التاج بدار الخلافة.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٢.
رواه مسلم، كتاب الفتن. . ، باب لا تقوم الساعة حتى يمرء الرجل. . . ، ٤/٢٢٣٧ (٢٩١٩). وقال مسلم: قال قتيبة ـ أي ابن سعيد ـ: (من المسلمين) ولم يشك.
والظاهر أنه ليس عند البخاري، خلافاً لقول الشيخ المؤلف.

(٣) في ك و ط زيادة (وفَتَح هذا الكنز سعد في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ).

(٤) سقطت (وغيره) من ك و ط.

(٥) **أبو بكرة**: هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، صحابي مشهور بكنيته، وقيل اسمه: مسروح، أسلم بالطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٠٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٥ ـ ١٠.
في ك و ط زيادة (ابن ابنته، وهو يخطب على المنبر).

(٦) الحسن: هو ابن علي بن أبي طالب الهاشمي، سِبْط رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم سنة ٤٩هـ وله ٤٧سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٦٨؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٢٤٥ ـ ٢٧٩.
في ك و ط زيادة (ابن ابنته، وهو يخطب على المنبر).

وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1].

قلت: فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول[2] بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة[3]، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانت متحاربتين بصفين[4]، عسكر علي، وعسكر معاوية[5]. وفي الصحيحين عن ابن عباس، أن رجلاً[6] أتى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: يا رسول الله، إني رأيت الليلة في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للحسن بن علي . . .، ٥/٣٠٦ ــ ٣٠٧ (٢٧٠٤) من فتح الباري. ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، ٤/٢١٦ (٤٦٦٢) بمثله. والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين. . .، ٥/٦٥٨ (٣٧٧٣) بمثله. والنسائي، كتاب الجمعة، مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر، ٣/١٠٧.

(٢) الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ يترك الجملة الدعائية أحياناً، لكي يشعر القارىء أو السامع أنها ليست واجبة.

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/١٦٢.

(٤) في ك: (نصف) في الموضعين، وفي ط: (صف) في الموضعين كذلك.
صفين: موضع بقرب الرِّقة، على شاطىء الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس.
انظر: معجم البلدان ٣/٤١٤.

(٥) كانت هذه الوقعة سنة ٣٧هـ غرة صفر، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفاً من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، ومدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام.
انظر: المصدر والموضع السابق.
معاوية: هو ابن ــ أبي سفيان ــ صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن، الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ٦٠هـ وقد قارب الثمانين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥٩؛ وأسد الغابة ٤/٤٣٣ ــ ٤٣٦.

(٦) قال ابن حجر في الفتح ١٢/٤٣٣: لم أقف على اسمه.

المنام ظُلة تَنْطِف[1] السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فمنهم المستكثر والمستقل، ثم إذا سبب[2] واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به، فعلوت، ثم أخذ به رجل بعدك، فعلا، ثم أخذ به رجل آخر، فعلا، ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع، ثم وصل له فعلا.

قال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي: لَتَدَعَنِّي فلأعْبُرَه، فقال: «أَعْبِر»[3] فقال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام. وأما الذي تنطف من السمن والعسل فهو القرآن:[4] * حلاوته ولينه. وأما ما يتكفف: فالمستكثر من القرآن * والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحق الذي أنت عليه، فأخذت به، فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك، فيعلو، ثم يأخذ به رجل، فيعلو، ثم يأخذ به رجل آخر، فينقطع به، ثم يوصل له، فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله: أصبت أم أخطأت؟ فقال: «أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً» قال: فوالله يا رسول الله، لتخبرني بالذي أخطأت[5]. قال «لا تقسم»[6].

---

(١) أي سحابة لها ظل، وتنطف: تقطر.
انظر: المصدر السابق ١٢/٤٣٤.

(٢) السبب: الحبل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) في ط (عبر).
من التعبير: وهو التفسير.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٩.

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وانبتار السياق واضح فلهذا أثبتناه.

(٥) سقطت تاء (أخطأت) من ط.

(٦) رواه البخاري بنحوه، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ١٢/٤٣١ (٧٠٤٦) من فتح الباري. ومسلم بنحوه ـ أيضاً ـ كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا ٤/١٧٧٧ (٢٢٦٩).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه[1] ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «بينا أنا نائم، رأيتني على قليب، عليها دلو[2]، فنزعت منها ما شاء الله. ثم أخذها ابن أبي قحافة[3]، فنزع منها، ذنوباً أو ذنوبين[4]، وفي نزعه ضعف، ـ والله يغفر له ـ ثم استحالت غرباً[5]، فأخذها[6] ابن الخطاب، فلم أَرَ عبقرياً[7] من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن»[8]، وفي رواية: «فاستحالت الدلو غرباً في يد عمر»[9]، قال الشافعي: (رؤيا

---

(١) ليست الجملة الدعائية في أ.

(٢) القليب: البئر غير المطوية. الدلو: آلة استخراج الماء من البئر.
انظر: الفتح ٤١٢/١٢.

(٣) هو أبو بكر الصديق.

(٤) **الذَّنُوب**: الدلو المملوء بالماء.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٥) **استحالت**: أي: تحولت. والغرب: هو الدلو العظيمة المتخذة من جلود البقر.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط (فأخذ).

(٧) **العبقري**: السيد، وكل فاخر من حيوان وجوهر، والأصل أنها وصف للبساط الجيد، ثم أطلقوه في كل شيء عظيم في نفسه.
انظر: المصدر السابق ٤١٣/١٢.

(٨) **العَطَن**: هو ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل. والضرب: هو بروك الإبل. وهذه إشارة إلى كثرة الفتوح واتساع أمر الإسلام واستقرار قواعده.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري، كتاب التعبير، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف، ٤١٤/١٢ (٧٠٢١) من فتح الباري بمثله. ورواه مسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ ١٨٦٠/٤ (٢٣٩٢).

(٩) رواه البخاري بلفظ: (ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً. . .)، كتاب التعبير، باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس. . .، ٤١٢/١٢ (٧٠١٩) من فتح الباري.

الأنبياء وحي)[١]، وقوله: (في نزعه ضعف) قِصَر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد[٢] الذي بلغه عمر في طول مدته.

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: أن امرأة[٣] سألت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك يا رسول الله[٤]؟ قال: أي كأنها تعني الموت[٥]. قال: «[٦]إن لم تجديني، فائتي أبا بكر»[٧].

وروى أبو داود الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني[٨]، وعن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل عن النبي ــ صلَّى الله عليه

---

(١) الدلائل للبيهقي ٦/٣٤٥.
(٢) في ك و ط (المزيد).
(٣) قال الحافظ في الفتح ٧/٢٤ لم أقف على اسمها.
(٤) في ك و ط زيادة (يا رسول الله) قبل كلمة (أرأيت).
(٥) قائل هذه العبارة: (أي كأنها تعني الموت). هو جبير بن مطعم راوي الحديث، وهو الظاهر، وهو ما جزم به القاضي عياض.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٦) في ك و ط (فإن).
(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لو كنت متخذاً خليلاً. قاله أبو سعيد، ٧/١٧ (٣٦٥٩). من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ٤/١٨٥٦ (٢٣٨٦).
(٨) أبو ثعلبة الخشني: صحابي، من أهل بيعة الرضوان، لا يكاد يعرف إلَّا بكنيته، وقيل أن اسمه: جرهم بن ناشم وقيل غيره، نزل الشام أو داريا أو قرية البلاط وله بها ذرية، مات وهو ساجد في الصلاة في جوف الليل سنة ٧٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٥٦٧ ــ ٥٧١.

وسلَّم ــ قال: «إن الله بدأ هذا الأمر[1] نبوة ورحمة وكائناً خلافة ورحمة، وكـائناً ملكـاً عضوضـاً[2]، وكائنـاً عنوة[3] وجبـرية[4] وفسـاداً في الأمة، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله ــ عز وجل ــ»[5].

وروى أبـو داود[6] عن سمـرة بـن جنـدب[7] أن رجـلاً قـال: «يـا رسول الله، إني رأيت كـأن دلواً دلي[8] من السمـاء، فجاء أبـو بكـر ــ رضي الله عنه ــ[9] فأخذ بعراقيها[10] فشرب شرباًضعيفاً، ثم جاء عمـر

---

(١) أي الولاية العامة على المسلمين.

(٢) الملك العضـوض: الشديـد، الذي فيـه عسف وعنف، وبضم العين ــ جمع عض: وهو الخبيث الشرس.
انظر: اللسان ٧/١٩٠ مادة عضض.

(٣) في ك و ط (عتوة).
عنوة: أي قهر أو إذلال، كالأسر.
انظر: غريب الحديث ٢/١٨٦ ــ ١٨٧.

(٤) جبرية: من الجبر والقهر والعتوّ.
انظر: اللسان ٤/١١٣، مادة جبر.

(٥) مسند الطيالسي ٣١ (٢٢٨) وإسناده فيه ضَعْف.

(٦) في ك زيادة (أظنه الطيالسي) وفي ط (الطيالسي).

(٧) هـو ابن هلال الفـزاري، حليف الأنصـار، صحـابي مشهـور، لـه أحـاديث، مـات بالبصرة سنة ٥٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣٣.

(٨) دلي: أرسل وأنزل.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٩.

(٩) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.

(١٠) عراقي الدلو: هو ما ثني منها ثم خرز مثنياً.
انظر: المصباح المنير ص ٤٠٥.

فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع[1]، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي، فأخذ بعراقيها فانتُشِطت[2]، وانتضح[3] عليه منه شيء»[4].

وفي السنن عن سفينة[5]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكاً»[6]. فكان هذا

---

(١) يقال: تضلع الرجل: إذا امتلأ شبعاً ورياً.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٣.

(٢) انتُشِطَت: جُذِبَت.
انظر: اللسان ٧/٤١٤، مادة نشط.

(٣) من النضح، وهو الرش.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٨٦.

(٤) سنن أبي داود. كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ (٤٦٣٠٧). وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢١. وقد أورده الحافظ في الفتح ١٢/٤١٣ ـ ٤١٤ وعزاه إلى أحمد وأبي داود واختيار الضياء، ولم يعلق على إسناده.

(٥) هو مولى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي أعتقته، قيل: اسمه مهران أو رومان أو عبس، وكنيته: أبو عبد الرحمن، سمي سفينة لأنه كان مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في سفر فكلما أعيا (تعب) بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئاً كثيراً، وهو مشهور، وله أحاديث.
انظر: أسد الغابة ٢/٢٥٩؛ وتقريب التهذيب ١/٣١٢.

(٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٤/٢١١ (٤٦٤٦ ـ ٤٦٤٧) بلفظ: (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء). ورواه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ٤/٥٠٣ (٢٢٢٦) بلفظ: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك). قال أبو عيسى: «وهذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلاَّ من حديث سعيد بن جمهان». ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٢٠ والحاكم في مستدركه ٣/٧١ وقال: «وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعاً إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ»، وسكت عليه الذهبي.

العام تمام الثلاثين سنة من موته، ودخل في ذلك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي[1].

وفي الصحيحين عنه[2] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: (زويت[3] لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)[4]. وفي صحيح مسلم[5]: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها وأعطيت الكنزين، الأحمر والأبيض[6]، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها[7] بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[8]، وأن ربي قال لي: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،

(١) في ك و ط زيادة وهي: (قلت: وتمامها ستة أشهر، التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط ــ رضوان الله عليه وعلى سائر أصحاب رسول الله، وأهل بيته الطاهرين ــ).
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/١٥٨ ــ ١٦١.

(٢) في ك و ط (عن النبي).

(٣) زويت: بمعنى: جمعت.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/١٣، م ٩.

(٤) هذا هو أول الحديث الذي بعده، وهو ليس عند البخاري، خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف، وهذا اللفظ قريب من لفظ ابن ماجه عن ثوبان: (زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها... وقيل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لك...). سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ٢/٣٦٨ (٤٠٠٠).

(٥) في ك و ط زيادة (عن ثوبان قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٦) الأحمر والأبيض، هما: الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/١٣.

(٧) في ك و ط (يهلكهم).

(٨) أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة ــ أيضاً ــ: العز والملك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة[1]، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها[2] حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً)[3].

وهذا أخبر به في أول الأمر، وأصحابه في غاية القلة، قبل فتح مكة[4]، وكان كما أخبر، فإن ملك أمته انتشر في الشرق والغرب، ولم ينتشر في الجنوب والشمال، كانتشاره في الشرق والغرب، إذ كانت أمته أعدل الأمم، فانتشرت دعوته في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض، كالثالث، والرابع، والخامس[5]، وقد تقدم قوله: ———

(١) أي: لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام. قلت: وهذا ما شهدت به أيامنا هذه سنة ١٤٠٥هـ، حيث وقع القحط (الجفاف) في بعض ديار المسلمين في أفريقيا، وتضرر بذلك أخوان لنا هناك، ولكن بقية المسلمين ولله الحمد لم يعمهم ذلك، مما مكنهم ــ بفضل الله ــ من تقديم العون لإخوتهم. وهذه من وقائع ــ معجزة نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المستمرة.
انظر: المصدر السابق ١٤/١٨، م ٩.

(٢) جمع: قطر: وهو الناحية والجانب.
انظر: اللسان ٥/١٠٦، مادة قطر.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن...، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٥ (٢٨٨٩) بمثله. ورواه أبو داود، بنحوه، وفيه زيادة، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٧ ــ ٩٨ (٤٢٥٢). والترمذي بمثله، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثاً لأمته ٤/٤٧٢ (٢١٧٦). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) وكان سنة ٨هـ في شهر رمضان في اليوم الثالث عشر أو العشرين.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٥٤٢.

(٥) الأقاليم خطوط وهمية، وهي التي تعرف الآن بخطوط الطول وخطوط العرض، فالإقليم الثالث: يبدأ من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين إلى الإسكندرية ثم البحر المحيط. والرابع: يبدأ من أرض الصين والتبت ويمر على جبال كشمير إلى =

«[1]هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده»[2] وذاك كسرى بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين، ثم ولي بعده ولاة متضعفون[3]، فكان آخرهم (يزدجرد)[4] وإليه الإشارة باللفظ الآخر: «إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[5].

وهذا أخبر به، وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض[6]، فصدق[7] الله خبره في خلافة عمر وعثمان، فهلك كسرى وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس، ولم يبق بعده كسرى، ولم يبق

= البحر المحيط على الزقاق ـ المضيق ـ بين الأندلس وبلاد المغرب، والخامس: يبتدىء من أرض الترك إلى بلاد الأندلس والبحر المحيط.
انظر: معجم البلدان ١/٢٥ ـ ٣١.

(١) في ط زيادة (إذا).

(٢) رواه البخاري، وفيه (ثم لا) بدل (فلا) كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ٦/١٥٧ (٣٠٢٧) من فتح الباري.

(٣) في ط (مستضعفون).

(٤) **يزدجرد**: هو ابن شهريار بن كسرى، وقد مُلك على الفرس وله ٢١ سنة، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وقد هزمه المسلمون في (جلولا) وقتله رجل من أهل مرو، والترك يطلبونه، فقتلوا الرجل، وأخذوا منه متاع كسرى، وذلك سنة ٣١هـ.
انظر: البداية والنهاية ٧/٣٠ و ١٢٦ و ١٥٨.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦٢٥ (٣٦١٨). من فتح الباري ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل. . .، ٤/٢٢٣٧ (٢٩١٩).

(٦) كما لو قال ذلك زعيم دولة من دول المسلمين بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، أو الاتحاد السوفيتي في هذه الأيام من سنة ١٤٠٦هـ.

(٧) في ك و ط (وصدق).

للمجوس والفرس ملك، وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها، ولم يبق بعده من هو ملك على الشام، ولا مصر، ولا الجزيرة من النصارى، وهو الذي يُدْعى قيصر[1].

قال الشافعي: «كانت قريش تنتاب[2] الشام انتياباً كثيراً، وكان كثير من معاشها[3] منه، وتأتي العراق فيقال: لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خوفها من انقطاع معاشها[4] بالتجارة من الشام والعراق، إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام، مع خلاف[5] ملك الشام والعراق لأهل الإسلام، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده) فلم يبق بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده.

وقال: (إذا هلك قيصر، فلا[6] قيصر بعده) فلم يكن بأرض الشام قيصر، فأجابهم على ما قالوا، وكان كما قال[7]، قطع الله الأكاسرة عن

---

(١) هذا هو لقبه في عُرف العرب، ويقال لمن ملك الشام مع الجزيرة ـ جزيرة العراق ـ من الروم.
انظر: السيرة لابن كثير ٥١٣/٣.

(٢) أي: تقصده، وتأتيه مرة بعد مرة.
انظر: اللسان ٧٧٥/١، مادة نوب.

(٣) في ك و ط (معايشها).

(٤) في ك و ط (معايشها).

(٥) في جميع النسخ: (وخلاف) والذي في الدلائل: (مع خلاف) وهو أظهر وأوضح للمعنى.

(٦) في أ (ولا) ولا يستقيم المعنى بالواو.

(٧) الذي في الدلائل: «فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده، وأجابهم على ما قالوا له، وكان كما قال لهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام...» إلخ.

العراق وفارس. وقيصر عن الشام.

وقال ــ في كسرى ــ : (مزق الله ملكه)[1] فلم يبق للأكاسرة ملك، وقال في قيصر: (ثبت ملكه)[2] فثبت ملكهم ببلاد الروم وتنحى

---

(١) الذي عند البخاري مرسلاً، يقول الزهري: «فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ (أن يمزقوا كل ممزق). صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى وقيصر ٨/١٢٦ (٤٤٢٤) من فتح الباري. قال الحافظ ابن حجر: «وهو موصول ــ أي عند غير البخاري ــ بالإسناد المذكور ــ أي عند البخاري ــ وفي حديث عبد الله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: (اللهم مزق ملكه).

انظر: المصدر السابق ٨/٢٢٧. وذكر ابن كثير في السيرة ٣/٥٠٨ أن محمد بن إسحاق روى عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي سلمة أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فلما بلغ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: مَزَّقَ ملكَه).

(٢) الظاهر أن هذه الرواية لم ترد موصولة في أي من مصادر السنة المشهورة، ولذا قال البيهقي في الدلائل ٤/٣٩٣ ــ ٣٩٤ (. . . وما روي من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : (ثَبت ملكه). وقد روى بإسناده عن عمر بن إسحاق ــ مرسلاً ــ قال: كتب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى وقيصر، فأما قيصر فوضعه، وأما كسرى فمزقه، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: (أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية)، وقد ذكر الحافظ في الفتح المبين ١/٤٤ بإسناده عن أحد رجال الملك المنصور قلاوون وهو سيف الدين فليج (أو قلج ــ اسم تركي) المنصوري أنه أرسل إلى الفرنج، فالتقى بملكهم، فأخرج له كتاباً، قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، وما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا. قال الحافظ: ويؤيد هذا ما وقع في حديث سعيد بن أبي راشد. . . أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عرض على التنوخي ــ رسول هرقل ــ الإسلام فامتنع، فقال له: «يا أخاتنوخ إني =

عن الشام. وكل هذا يصدِّق بعضه بعضاً»[1].

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير[2] قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يُبِسُّون[3] فيتحملون[4] بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون: ثم تفتح الشام، فيأتي قوم يُبِسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[5]. وفي رواية «فيخرج من المدينة»[6].

فأخبر ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن

= كتبت إلى ملككم بصحيفة، فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير).
انظر: مسند الإمام أحمد ٣/٤٤١ ـ ٤٤٢.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٣٩٤.

(٢) في جميع النسخ: (ابن زهير): وهو سفيان بن أبي زهير ـ واسمه الفَرْد ـ وقيل: نمير ـ بن مرارة بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، الأزدي الشّنوي، من أزد شنؤة، صحابي معدود في أهل المدينة، قال ابن عبد البر: (ورواية ابن الزبير والسائب بن يزيد عنه تدل على جلالته وقدم مرتبته).
انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٦٧ بهامش الإصابة، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ـ ٤٦٣هـ.

(٣) أي: يسوقون دوابهم أو يزينون لأهلهم البلد التي يقصدونها.
انظر: الفتح ٤/٩٢.

(٤) في ك و ط (متحملون).

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ٤/٩٠ (١٨٧٥) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ٢/١٠٠٩ (١٣٨٨).

(٦) هذه رواية أخرى لمسلم ٢/١٠٠٨ (١٣٨٨). في الكتاب والباب المذكورين.

أطـاعهم إلى هذه الأمصـار، ويطلبـون الـريف[1] وسعـة الـرزق، قـال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وفي صحيـح مسلم عن أبـي ذر عـن النـبـي ـ صلَّى الله عـليـه وسلَّم ـ أنـه قـال: «ستفتـح مصـر وهي أرض يسمى فيهـا القيـراط[2]، فاستوصوا بأهلها خيراً»[3]، وفي رواية: «فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحمـاً[4]، فـإذا رأيتم رجلين[5] يقتتـلان على مـوضـع لبنـة فـاخـرج منها»[6].

---

(١) في ك (الشريف) وفي ط (الشرف) وهو تحريف.
ورد التصريح بـه فيما رواه الإمـام أحمد في المسنـد ٢/٣٣٨ و ٣٤٩، بلفظ: (تفتح البلاد والأمصار، فيقول الرجال لإخوانهم: هلموا إلى الريف...). قال الحافظ في الفتح المبين ٤/٩٣، وفي إسناده ابن لهيعة ولا بأس به في المتابعات.
الريف: الخصب والسعة في المآكل. وجمعه أرياف فقط، أو هو ما قـارب الماء من جزيرة العرب وغيرها، والجمع: أرياف وريوف.
انظر: اللسان ٩/١٢٨، مادة ريف.

(٢) **القيـراط**: جزء من أجـزاء الدينـار والدرهم وغيـرهما، وكـان أهل مصـر يكثرون من استعماله والتكلم به.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٦/٩٧. م ٨.

(٣) الروايتان بنحـوهما في صحيـح مسلم، كتاب فضـائل الصحـابة، بـاب وصية النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأهل مصر، ٤/١٩٧٠ (٢٥٤٣). ورواه الإمـام أحمد في المسند ٥/١٧٣ ـ ١٧٤.

(٤) الـذمة: هي: بمعنى الـذمام، وهـو الحرمـة والحق، والـرحم: هـو كـون هـاجـر أم إسماعيل منهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) في أ (رجلان) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو الذي في الصحيح.

(٦) انظر: التخريج السابق.

فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة، بابني[1] شرحبيل بن حسنة[2] وهما يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها[3].

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صُرَد[4]، قال: سمعت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول حين أُجلِيَ[5] الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»[6] وكذلك كان. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو[7] أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إذا فُتحت عليكم فارس والروم أي قوم وأنتم». قال عبد الرحمن بن

---

(١) ابنا شرحبيل: هما ربيعة وعبد الرحمن.
انظر: صحيح مسلم ٤/١٩٧٠.

(٢) حسنة: هي أم شرحبيل، وهو ابن عبد الله بن المطاع بن عبد الله بن الغطريف، الكندي، أو التميمي، يكنى أبا عبد الله، حليف بني زهرة، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه، جابر وجنادة، ولاه عمر على بعض نواحي الشام إلى أن توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ.
انظر: أسد الغابة ٢/٣٦٠ ــ ٣٦١.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٩٧٠.

(٤) هو ابن الجون الخزاعي، أبو مطرف الكوفي، صحابي مشهور، قُتل بعين الوردة سنة ٦٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٢٦.

(٥) أُجْلِي الأحزاب، رجعوا عنه، وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله ــ تعالى ــ لرسوله. وذكر الواقدي أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤هـ.
انظر: الفتح ٧/٤٠٥. وقد راجعت المغازي فلم أظفر بذلك.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٧/٤٠٥ (٤١١٠) من فتح الباري وفي الحديث زيادة (نحن نسير إليهم).

(٧) في ط (عمر).

عوف[1]: نقول: كما أمرنا الله[2]. قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أَوَ غير ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين، فتحملون[3] بعضهم على رقاب بعض»[4].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أنه لما أنزل الله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5].

سئل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن هؤلاء الآخرين، فقال: «لو كان الدين معلقاً بالثريا[6]، لناله رجال من أبناء فارس». وفي لفظ: (لو كان الإيمان). وفي لفظ (العلم)[7] وكان كما أخبر، فإنه حصل في

---

(١) هو: ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة ومات سنة ٣٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٩٤؛ وأسد الغابة ٣/٣٧٦.

(٢) أي: نحمد الله ونشكره، ونسأله المزيد من فضله.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/٩٦. م ٩.

(٣) الذي في الصحيح (فتجعلون).

(٤) رواه مسلم بمثله، كتاب الزهد والرقائق، المقدمة ٤/٢٢٧٤ (٢٩٦٢) وابن ماجه بمثله، أبواب الفتن، باب فتنة المال ٢/٣٧٨ (٤٠٤٤).

(٥) سورة الجمعة: الآيتان ٢، ٣.

(٦) **الثريا**: من الكواكب، كثيرة العدد ضيقة المحل، لا يُتَكلم به إلَّا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير.
انظر: اللسان ١٤/١١٢، مادة ثرا.

(٧) رواه البخاري بلفظ (الإيمان) وباقيه بمعناه، كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب =

التابعين وتابعيهم وهلم جرا[1]، من أبناء فارس، مثل الحسن البصري، ومحمد بن سيرين[2]، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر وأضعاف هؤلاء، من نالوا ذلك.

ولما نزل قوله ــ تعالى ــ:

﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ...﴾[3].

= قوله:

﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾.

٨/٦٤١ (٤٨٩٧) من فتح الباري. ورواه مسلم بلفظ البخاري وبلفظ (الدين) وبقيته بمعناه وفيه زيادة: (حتى يتناوله). كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، ٤/١٩٧٢ (٢٥٤٦). وأما لفظ (العلم) فهي عند الإمام أحمد في المسند قال الهيثمي: «قلت: هو في الصحيح ــ غير قوله: (العلم). رواه أحمد وفيه شَهْر وثقه أحمد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح».

انظر: المجمع ١٠/٦٤.

وأورد رواية هي بلفظ الرواية التي ذكرها الشيخ المؤلف هنا، قال الهيثمي: «وعن قيس بن سعد ــ وذكرها ــ ثم قال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح».

(١) معنى هذه الجملة: تعالوا على هيئتكم كما يسهل الوصول عليكم. وأصل ذلك من الجر في السَّوْق، وهو: أن تترك الإبل والغنم ترعى في سيرها.

انظر: مجمع الأمثال ٢/٣٦٦ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني ــ ٥١٨هـ، طبع عبد الرحمن محمد ١٣٥٢هـ، مصر.

(٢) **محمد بن سيرين**: هو أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري، الإمام، شيخ الإسلام، مولى أنس بن مالك، كان أبوه من سبي جرجرايا ــ بين واسط وبغداد ــ أدرك ثلاثين صحابياً، وكان حافظاً متقناً، مات سنة ١١٠هـ بعد الحسن بمائة يوم.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٦٠٦ ــ ٦٢٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

سئـل عنهم فقـال: «هم قـوم هـذا» وأشـار إلى أبي مـوسى الأشعري، وقال: «إني لأجد نَفَس الرحمن[1] من قِبَل اليمن»[2].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «أتاكم أهل اليمن[3]، هم أرق قلوباً، وألين أفئدة، الأيمان يماني، والفقه يماني[4]، والحكمة يمانية»[5].

---

(١) نفس الرحمن: اسم وضع موضع المصدر الحقيقي، من نفّس تنفيساً، ونفساً، أي: فرّج تفريجاً.
انظر: اللسان ٦/٢٣٦، مادة نفس.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك بمثله، وليس فيه: (إني لأجد نَفَس الرحمن...). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، المستدرك ٢/٣١٣. والفقرة الأخيرة من الحديث وردت في رواية عند الإمام أحمد في المسند ٢/٥٤١، بلفظ: (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن).

(٣) فسر بعض أهل العلم (اليمن) بغير ظاهرها حيث قالوا: إن المقصود بها مكة، أو مكة والمدينة، أو الأنصار ـ لأنهم يمانون في الأصل ـ وقد رد عليهم الإمام ابن الصلاح بأن: اتباع ظاهر الحديث أولى، وهو الذي ترجحه مجموع رواياته، والحال الذي قيل فيه ـ وهو غزوة تبوك ـ وأنه: لا مانع من إجراء الكلام على ظاهر وحمله على أهل اليمن حقيقة، لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه، إشعاراً بتميزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي أعقاب وفاته أويس القرني وأبي مسلم الخولاني ـ رحمهما الله ـ وشبههما ممن سلم قلبه وقوى إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن، في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٣٢ ـ ٣٣.

(٤) (والفقه يماني) سقطت من ط.

(٥) أخرجه مسلم من عدة روايات بنحوه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه...، ١/٧١ ـ ٧٣ (٥٢). ورواه البخاري بلفظ: (والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية). كتاب المناقب، باب قول الله ـ تعالى ـ : =

فلما ارتد من ارتد عن الإسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه، فقاتل الصديق بهم أهل الردة، وغلب بهم أبو بكر وعمر كسرى وقيصر.

وقال لعثمان[1]: «إن الله مقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه»[2].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: (بينا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حائط[3] من حوائط المدينة، وهو متكيء، يركز بعود[4]

= ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...﴾.
٥٢٦/٦ (٣٤٩٩). من فتح الباري.
هم أرق قلوباً وألين أفئدة: معنى ذلك أن قلوبهم ـ والفؤاد بمعنى القلب ـ أنها ذات خشية واستكانة، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة. والفقه: هو الفهم في الدين، ثم اصطلح على أنه: إدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها. والحكمة: هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله ـ تعالى ـ المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل. والحكيم: من له ذلك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(١) في ك و ط زيادة (ابن عفان).
(٢) رواه الترمذي بنحوه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، ٦٢٨/٥ (٣٧٠٥) وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وأحمد في المسند ٧٥/٦ و ١٤٩.
(٣) الحائط، هنا: البستان.
(٤) يركز بعود: يضرب بأسفله ليثبته في الأرض.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٧٠/١٥ م ٨.

في الماء والطين[1]، إذ استفتح رجل فقال له[2]: (افتح وبشره بالجنة)، فإذا هو أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال له[3]: (افتح له وبشره بالجنة) فذهبت[4] فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال له[5]: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فذهبت فإذا هو عثمان، ففتحت له[6] وبشرته بالجنة، فقلت[7] له الذي قال، فقال: اللهم صبراً، والله المستعان»[8].

وفي الصحيحين حديث حذيفة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمر: «إن بينك وبينها باباً مغلقاً، يوشك ذلك الباب أن يكسر» فسأله مسروق[9]: من الباب؟

---

(١) في ك و ط (فقال).
قوله: (يركز بعود في الماء والطين) ربما يؤخذ من هذه العبارة وأمثالها مشروعية استخدام (المسبحة) أو (السبحة) من أجل التشاغل والتسلية وإعمال الفكر، كما يستخدمها الآن كثير من المسلمين والمسلمين العرب بخاصة.

(٢) سقطت (له) من ك و ط.

(٣) سقطت (له) من ك و ط.

(٤) في أ (فذهب).

(٥) سقطت (له) من ك و ط.

(٦) سقطت (له) من ك و ط.

(٧) في ك و ط (وقلت).

(٨) هذا اللفظ مثل لفظ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، ٤: ١٨٦٧ (٢٤٠٣). ورواه البخاري بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ٧: ٤٣ (٣٦٩٣) من فتح الباري.

(٩) هو ابن الأجدع الوداعي الهمذاني التابعي، أبو عائشة، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين، ثقة فقيه عابد، مات سنة ٦٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣ ـ ٦٩؛ وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٢.

فقال: (عمر)[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ستكون الفتن[2]، القاعد فيها * خير من القائم، والقائم *[3] خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي[4]، من تشرف لها تستشرفه[5]، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»[6].

ورواه[7] أبو بكرة وقال فيه: (فإذا وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم، فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض، فليلحق

---

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ١٣/٤٨ (٧٠٩٦) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، ٤/٢٢١٨ (١٤٤).

(٢) في ك و ط (فتن).

(٣) ما بين النجمتين سقط من أ.

(٤) المراد بالقاعد في الفتنة: هو الذي يكون مع النَّظَّارة (المشاهدين) ولا يقاتل، والقائم: المباشر لها. والماشي: الداخل في أسبابها، والساعي: أعلاهم في ذلك، بحيث يكون سبباً لإثارتها. وقد فسره بعضهم تفسيراً أبعد عن ظاهر الحديث من هذا.
انظر: فتح الباري ١٣/٣٠.

(٥) أي من تطلع لها، بأن يتصدى ويتعرض لها ــ على سبيل الإثارة، وليس من أجل الإخماد ــ ولا يعرض عنها، تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك.
انظر المصدر السابق ١٣/٣١.

(٦) أي ليعتزل فيه، وليسلم من شر الفتنة. المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ١٣/٢٩ ــ ٣٠ (٧٠٨١ ــ ٧٠٨٢) بمثله، من فتح الباري. ومسلم، بلفظ قريب من هذا، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ٤/٢٢١١ ــ ٢٢١٢ (٢٨٨٦).

(٧) في ك و ط (رواه).

بأرضه»[1].

قال: فقال رجل، يا رسول الله، أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء[2]، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»[3].

فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى[4] الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء[5] سهم فيقتلني؟ قال: «يبوء[6] بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»[7].

وفي صحيح أبي حاتم[8]، قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ويل للعرب، من شر قد اقترب، أو فتنة عمياء صماء بكماء، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ويل للساعي[9] فيها من الله يوم القيامة»[10].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن...، باب نزول الفتن...، **٤/٢٢١٢ ـ ٢٢١٣** (٢٨٨٧).

(٢) في أ (النجاة) وما أثبتناه من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(٣) في ك و ط (اللهم هل بلغت) مرة واحدة.

(٤) في جميع النسخ (أحد) وما أثبتناه من الصحيح.

(٥) في ك و ط (نحى).

(٦) أي: يحتمله.

انظر: ترتيب القاموس **١/٣٣٨**.

(٧) رواه مسلم بمثله، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن...، **٤/٢٢١٢ ـ ٢٢١٣** (٢٨٨٧).

(٨) هو ابن حبان البستي ـ رحمه الله ـ.

(٩) في ك و ط (ويل الساعة).

(١٠) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ٤٦١ (١٨٦٧) بلفظ (من فتنة).

قلت: وبعد النظر في إسناد هذا الحديث تبين أنه إسناد جيّد.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «إني لأرى الفتن، تقع خلال بيوتكم[1]، كمواقع[2] القطر[3]».

وفي الصحيحين من غير وجه[4] أنه لما قال له ذو الخويصرة[5]: يا محمد، أعدل فإنك لم تعدل. فقال: «ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل».

فقال بعض أصحابه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنه يخرج من ضئضئي[6] هذا أقوام، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم،

---

(١) أي نواحيها. شبه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط المطر في الكثرة والعموم.
انظر: فتح الباري ٤/٩٥.

(٢) في ط (مواقع).

(٣) القطر: المطر، الواحدة: قطرة.
انظر: المصباح المنير ٥٠٨.
رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة، ٤/٩٤ (١٨٧٨). من فتح الباري.

(٤) أي أكثر من طريق.

(٥) **الخويصرة**: تصغير الخاصرة، وهي الشاكلة، وما بين الحرقفة والقصيرى. وذو الخويصرة، قيل: هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي، ذكره الطبري. كانت له صحبة، أمره عمر على قتال الهرمزان وعلى ما غلب عليه، وفتح سوق الأهواز ونزل بها، وشهد صفين، ثم صار من الخوارج. ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وقتل في حروبهم معه سنة ٣٧هـ. قال ابن حجر: «ذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنه قتل معهم يوم النهروان. قال: فسألت عن ذلك فلم أجد أحداً يعرفه».
انظر: أسد الغابة ٢/٢٠؛ و ١/٤٧٤ ـ ٤٧٥؛ والإصابة ١/٣٢٠؛ وترتيب القاموس ٢/٦٣.

(٦) **الضئضيء**: النسل والعقب.
انظر: الفتح ٨/٦٩.

يقـرؤن القرآن، لا يجـاوز حناجـرهم، يمرقـون من الإسلام كمـا يمـرق السهم من الرمية[١]، آيتهم أن فيهم رجـلاً مخدّج اليـد[٢]، على عضده مثل البضعة من اللحم، تدردر[٣] عليها شعرات»[٤].

وفي روايـة في الصحيحين: «تمـرق مـارقـة على حين فـرقـة من المسلمين، يقتلهم أدنى[٥] الطائفتين إلى الحق»[٦].

وهؤلاء ظهـروا بعد مـوته ببضـع وعشرين سنـة، في أواخر خـلافة علي، لمـا افتـرق المسلمـون، وكـانت الفئـة بين عسكـر علي وعسكـر معـاوية، وقتلهم علي بن[٧] أبـي طـالب وأصحابـه، وهم أدنى الطائفتين إلى الحق، والـطائفـة الأخــرى قتلوا عمـار بن يـاسـر، وهي الــطائفـة

---

(١) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك.
انظر: اللسان ١٤/٣٣٦، مادة رمي.

(٢) أي ناقص اليد.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٠.

(٣) في ك و ط (تدور).
البضعة: القطعة. تدردر: تضطرب.
انظر: الفتح ٦/٦١٩.

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦١٧ ــ ٦١٨ (٣٦١٠) من الفتـح. ومسلم بنحوه ــ أيضـاً ــ كتـاب الـزكـاة، بـاب ذكـر الخـوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٤ (١٠٦٤).

(٥) في ط (أدين).

(٦) هي عنـد مسلم بنحوهـا، كتاب الـزكاة، بـاب ذكر الخـوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٥ ــ ٧٤٦ (١٠٦٤) وعند أبي داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٤/٢١٧ (٤٦٦٧). والظاهر أن البخاري لم يخرجها في الصحيح، خـلافاً لمـا ذكره الشيخ المؤلف.

(٧) في أ و ط (ابن) مع أنها في أثناء السطر.

الباغية[1]. وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم، فطلبوا[2] هذا المخدج فلم يجدوه، حتى قام علي ـ بنفسه ـ ففتش عليه، فوجده مقتولاً، فسجد شكراً لله[3].

وفي الصحيح عنه أنه قال: «ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة»[4]. وهؤلاء ظهروا بعده بمدة[5]، فكانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر، ويؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: (إنكم سَتَلْقون بعدي أثرة[6]، فاصبروا

---

(١) **الطائفة الباغية**: هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل.
انظر: اللسان ١٤/٧٨، مادة بغا.
وذلك سنة ٣٧هـ. انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/١٠ ـ ٤٢ و ٦٤ ـ ٦٦ و ٧٢ ـ ٩٣ و ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) في ك و ط (وطلبوا).

(٣) انظر: صحيح مسلم ٢/٧٤٨ ـ ٧٤٩؛ والكامل ٣/١٧٥؛ والبداية والنهاية ٧/٢٨٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار. . .، ١/٤٤٨ (٦٤٨) بنحوه، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت، ١/١١٧ (٤٣٢). والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في تعجيل الصلاة. . .، ١/٣٣٢ (١٧٦). وابن ماجه، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في إذا أخروا الصلاة عن وقتها، ١/٢٢٨ (١٢٤٦).

(٥) ومنهم: زياد بن أبيه، كما ذكر أبو العالية البرّاء (نسبة إلى بري النبل)، رواه النسائي، كتاب الإمامة، باب الصلاة مع أئمة الجور، ٢/٧٥.

(٦) أي: أن الأمر والحكم سيكون في غير المخاطبين، فيختص الحكام أولئك دونهم بالأموال.
انظر: الفتح ٧/١١٨.

حتى تلقوني على الحوض»[1]. فلقوا بعده من استأثر عليهم، ولم يعطهم حقهم. وفي الصحيحين عنه أنه قال: «ستكون بعدي أمراء، يطلبون منكم حقهم، ويمنعونكم حقكم». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، واسألوا الله حقكم»[2].

وفي الصحيحين عنه أنه سارّ فاطمة، فقال لها ـ وهو في مرضه الذي توفي فيه ـ: «إني أقبض، في مرضي هذا» ثم أخبرها: أنها أول أهله لحوقاً به. وفي رواية: «وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين»[3].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أسرعكن بي لحاقاً: أطولكن يداً» قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب[4]، لأنها كانت تعمل بيدها

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض). ١١٧/٧ (٣٧٩٢) بمثله من الفتح. ومسلم بلفظه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، ١٤٧٤/٣ (١٨٤٥).
الحوض: هو حوض النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم القيامة.
انظر: الفتح ١١٨/٧.

(٢) رواه البخاري بمعناه، كتاب الفتن، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها) ٥/١٣ (٧٠٥٢) من الفتح. ومسلم بمثل لفظ البخاري، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول ١٤٧٢/٣ (١٨٤٣). وهذا الحديث يفهم مجموعاً مع النصوص الأخرى التي توجب النهي عن المنكر والنقح، وتحرم المداهنة والكتمان. وتجعل القتيل بسبب أمره للحاكم بالمعروف ونهيه له عن المنكر سيداً للشهداء.

(٣) كلا الروايتين أخرجهما البخاري بمثلهما، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦٢٧/٦ ـ ٦٢٨ (٣٦٢٣ ـ ٣٦٢٤) من فتح الباري. وهما في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عليها الصلاة والسلام، ٤//١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ (٢٤٥٠) بنحوهما.

(٤) هي أم المؤمنين، زينب بنت جحش، زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الأسدية، من أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب. عمة رسول الله =

وتصدق[1].

وفي صحيح البخاري وغيره عن أم حرام[2] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية[3] مغفور لهم»[4]. وفي صحيح البخاري، عن أم حرام ـ أيضاً ـ،

= ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانت قديمة الإسلام. ومن المهاجرات، كان اسمها برّة فسماها زينب، توفيت سنة ٢٠هـ.
انظر: أسد الغابة ٦/١٢٥ ـ ١٢٧.

(١) رواه مسلم بلفظه إلَّا قوله: (. . . بي لحاقاً) فهو عند مسلم (لحاقاً بي)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، ٤/١٩٠٧ (٢٤٥٢) والبخاري بنحوه إلَّا أن فيه (سودة) بدل (زينب) وقد رجح الحافظ ابن حجر أن ذلك وهم من أبي عوانة أحد رواة الحديث، قال ابن الجوزي: «والعجب من البخاري كيف لم ينبه عليه». ورواية البخاري له في كتاب الزكاة، باب ـ بعد ـ باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، ٣/٢٨٥ ـ ٢٨٦ (١٤٢٠) من فتح الباري.

(٢) في جميع النسخ، (ابن عمر) وهو غير صحيح، ولم يرده الشيخ المؤلف، والدليل على ذلك قوله في الحديث الذي بعده: (عن أم حرام ـ أيضاً).
أم حرام: هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حَرام، الأنصارية، خالة أنس بن مالك، صحابية مشهورة، ماتت في خلافة عثمان ودفنت بجزيرة قبرص.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦٢٠.

(٣) ويقال: قسطنطينة ـ بإسقاط ياء النسبة ـ كان اسمها بيزنطة فنزلها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سوراً، وسماها باسمه، وصارت دار ملك الروم، اسمها الآن ـ اسطنبول.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٩٢.

(٤) أخرجه البخاري عن أم حرام بلفظ: (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. . .) كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ٦/١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح. ورواه أحمد في المسند ٤/٣٣٥ بلفظ: (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)، قال الراوي: فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني فحدثته، فغزا القسطنطينية.

قالت: «سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم» قالت: ثم قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «لا»[1].

وغزاها المسلمون في خلافة معاوية، وكان يزيد[2] أميرهم، وكان في العسكر[3] أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في بيته، لما قدم المدنية مهاجراً، ومات ودفن تحت سورها، وذكروا أنهم كانوا إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ٦/١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح. ومن الحديث تؤخذ مشروعية المشاركة الشخصية للمرأة في الجهاد والحياة العامة.

(٢) يزيد: هو ابن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، مقدوح في عدالته، ولد في خلافة عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٠هـ وامتنع من بيعته الحسين وابن عمر وابن الزبير، يروى أن رجلاً قال عند عمر بن عبد العزيز: أمير المؤمنين يزيد. فضربه عشرين سوطاً، مات سنة ٦٣هـ وله ٣٨ سنة.
انظر: لسان الميزان ٦/٢٩٤.

(٣) في ك و ط (المعسكر).

(٤) روي هذا عن مجاهد. كما روي عنه خلاف ذلك، وهو إيصاؤه بمحو أثر القبر، وتنفيذ يزيد لهذه الوصية.
انظر: أسد الغابة ٢/٢٥ ــ ٢٦.
وانظر: الكامل ٣/٢٢٧ ــ ٢٢٨؛ والبداية والنهاية ٧/١٥٩. ولقد كان منتظراً من الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ أن يحذف هذه العبارة الأخيرة (وكانوا إذا أجدبوا...) وإذا لم يحذفها من كلامه، فكان المطلوب منه ــ رحمه الله ــ أن يعلق عليها بما يتفق والعقيدة الصحيحة في منع التوسلات غير المشروعة، حيث أن هذا من التوسل ببدن الإنسان الصالح، وهو خارج عن الأنواع الثلاثة المشروعة، ولعلها سبقة قلم، وقد علق عليها الشيخ المدني في طبعته تعليقاً جيداً في الجواب الصحيح (ط المدني) ٤/١٤٥.

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية، في[1] خلافة عبد الملك، غزاها ابنه مَسْلَمة[2]، وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجداً[3].

وفي الصحيحين عن أنس قال: كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت[4]، فدخل عليها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه[5]، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: مم تضحك؟ فقال[6]: «عرض علي ناس من أمتي، يركبون ثبج[7] هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة»، فقالت أم حرام: أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: مم تضحك؟ فقال:

---

(١) في ك و ط (وفي).

(٢) مسلمة: هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير، قائد، من أبطال عصره، يلقب بالجرادة الصفراء، كان أولى بالخلافة من سائر أخوته، خدعه اليون صاحب الروم، مات بالشام سنة ١٢٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤؛ وتاريخ الأمم والملوك ٦/٥٣١.

(٣) الأصوب أن ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ.
انظر: المصدر السابق ٦/٥٣٠ ـ ٥٣١؛ والكامل ٤/١٤٦ ـ ١٤٧؛ والبداية والنهاية ٩/١٧٤.

(٤) عبادة بن الصامت: هو ابن قيس، الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة ـ بفلسطين ـ سنة ٣٤هـ، وله ٧٢ سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، قيل: كان طوله عشرة أشبار.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٩٥.

(٥) أي: تبحث رأسه عن القمل.
انظر: اللسان ١٥/١٦٢، مادة فلا.

(٦) في ط (قال) بدون فاء.

(٧) أي: وسطه ومعظمه.
انظر: اللسان ٢/٢٢٠، مادة ثبج.

«عرض علي ناس من أمتي» كما قال في الأولى، فقالت[1]: يا رسول الله، أدع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين». قال أنس: «فركِبَت البحر، زمان معاوية بن أبي سفيان، فصُرعت عن دابتها، لما خرجت من البحر، فماتت[2]». وهذا كان في خلافة عثمان، ومعاوية نائبه[3].

وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان، وفتحوا جزيرة قبرص، وجاؤا بسبيها إلى دمشق. وكان أبو الدرداء[4] حياً بدمشق، فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا الدرداء، هذا يوم قد أعز الله فيه الإسلام؟ فقال: «إنما أبكي أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة، فأضاعت أمر الله فيه[5]، فأصارها الله إلى ما ترون، ما أهون العباد على الله إذا ضيعوا أمره؟»[6].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يسلط

---

(١) في أ (فقال).

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، ٦/ ١٠ (٢٧٨٨ ـ ٢٧٨٩) من الفتح. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر ٣/١٥١٨ (١٩١٢) بنحوه.

(٣) انظر: الفتح ١١/٧٥.

(٤) أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أحد، كان عابداً، مات في آخر عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٩١.

(٥) سقطت (فيه) من ك و ط.

(٦) الأثر أخرجه الطبري في تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢٦٢.
وانظر: الكامل ٣/٤٨؛ والبداية والنهاية ٧/١٥٣.
ولما ضيع المسلمون أمر الله ضاعت منهم قبرص، وذبح فيها المسلمون على أيدي النصارى، ولما حكم حزب السلامة الإسلامي في تركيا في السبعينيات من القرن ١٩ الميلادي اتخذ القرار باسترجاع الجزيرة، وتم استعادة نصفها الشمالي.

على أمتي عـدواً من غيـرهم فيجتـاحهم[1]، فـأعــطانيهـا، وســألتـه أن لا يهلكهم بسنـة عامـة، فأعـطانيها، وسـألته أن لا يجعـل بأسهم بينهـم، فمنعنيها»[2].

وثبت عنـه في الصحيحين، أنه قـال: «لا تزال طـائفـة من أمتي، ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[3].

وهـذا أخبر بـه حين كانت أمتـه أقـل الأمم، فـانتشـرت الأمـة في مشـارق الأرض ومغاربهـا، وكان كمـا أخبر بـه، فـإن هـذه الأمـة ـ ولله الحمـد والمنّة[4] ـ لم يـزل فيها طـائفة ظـاهرة بـالعلم والدين والسيف، لم يصبهـا ما أصـاب من قبلها من بني إسـرائيـل وغيـرهم، حيث كـانـوا مقهورين مع الأعداء، بل إن غلبت طائفة في قـطر من الأرض، كانت[5]

---

(١) أي: يستأصلهم ويأتي عليهم ويهلكهم.
انظر: اللسان ٢/٤٣١. مادة جوح.

(٢) رواه مسلم بلفظ: (. . . سألت ربـي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بـأسهم بينهم فمنعنيها)، كتـاب الفتن وأشراط الساعة، باب هـلاك هذه الأمـة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٦ (٢٨٩٠)، والتـرمذي بلفظ أقـرب إلى المذكـور، كتـاب الفتن، بـاب مـا جـاء في سؤال النبـي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثـاً لأمته، ٤/٤٧١ ـ ٤٧٢ (٢١٧٥)، قـال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غـريب صحيح. وفي البـاب عن سعد وابن عمـر». قلت: وهذا رواه عن خباب. وابن ماجه بلفظ: «العدو، والغـرق». أبواب الفتن، بـاب ما يكـون من الفتن، ٢/٣٦٨ (٣٩٩٩). وأحمد في المسند ٥/٢٤٧ عن معاذ.

(٣) سبق تخريجه ١/٩٢. الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه.

(٤) المنّة: الإحسان والإنعام.
انظر: اللسان ١٣/٤١٧، مادة منن.

(٥) في ك و ط (كان).

في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة، ولم يسلط على مجموعها عدواً من غيرهم، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «صنفان من أهل النار لم أرهما[2]: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت[3] المائلة، لا يدخلن[4] الجنة، ولا يجدن[5] ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[6].

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة، وعلى رؤوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي، يسمون العمامة[7] سنام الجمل.

وفي حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومُبِيْر»[8].

---

(١) فتن: محن وابتلاء.
انظر: المصباح المنير ص ٤٦٢.

(٢) في ك و ط زيادة كلمة (بعد).

(٣) هي الإبل الخراسانية، وهو معرب عن الفارسية، وبعضهم زعم أنه عربي، والبختي واحد البخت، جمعه: بخاتي وبخات، وهي الآسيوية، ذات السنامين، ويسميها العرب: العوامل.
انظر: دائرة معارف وجدي ١/ ٣٠ و٢/ ٥٠.

(٤) في أ (لا يدخل).

(٥) في أ (ولا يجد).

(٦) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، ٣/ ١٦٨٠ (٢١٢٨).

(٧) في ط (العمائم).

(٨) المبير: المهلك، الذي يسرف في إهلاك الناس.

=

وظهر الكذاب من ثقيف، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي[1]، الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين[2]، وقتل عبيد الله بن زياد[3] وغيره من قتلة الحسين، ثم أظهر أنه يوحى إليه، وأنه ينزل عليه، حتى قيل لابن عمر[4] ــــــــــــــــــــــــــــــــ

= انظر: اللسان ٤/٨٦، مادة بور.
رواه مسلم بلفظ: (. . . أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حدثنا: أن في ثقيف كذاباً ومبيراً). كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ٤/١٩٧٢ (٢٥٤٥). وهو عند الترمذي برقم (٢٢٢٠)و(٣٩٤٤) برواية ابن عمر، وفي المسند لأحمد ٢/٢٦.

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، الكذاب، كان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلة الدين. ذكره ابن عبد البر في الصحابة لأن له رؤية فيما يغلب على الظن، قتله مصعب بن الزبير هو و ٦٠٠٠ ممن استأمن إليه صبراً سنة ٦٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٥٣٨ ــ ٥٤٤؛ وميزان الاعتدال ٤/٨٠؛ ولسان الميزان ٦/٦.

(٢) **الحسين**: هو الإمام الشريف، سِبط رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وريحانته من الدنيا ومحبوبه، أبو عبد الله، الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد في شعبان سنة ٤هـ واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وله ٥٦ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٢٨٠؛ وتقريب التهذيب ١/١٧٧.

(٣) هو ابن أبيه، أبو حفص، أمير العراق، كان جميل الصورة، قبيح السريرة، قيل: أمه مرجانة، من بنت ملوك الفرس، جرت له خطوب، وأبغضه المسلمون لِما فعل بالحسين، قُتل على يد المختار الكذاب، في أول سنة ٦٧هـ بالخازر.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٥٤٥ ــ ٥٤٩.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وله ١٤ سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ٧٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٣٥؛ وأسد الغابة ٣/٢٣٦ ــ ٢٤١.

وابن[1] عباس عنه، قيل لأحدهما: إنه يوحى إليه، وللآخر: إنه ينزل عليه. فقال أحدهما:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[2].

وقال الآخر:

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾[3].

وأما المُبِيْر، فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان مبيراً سفاكاً للدماء بغير حق، انتصاراً لمُلك عبد الملك بن مروان، الذي استنابه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: لقد قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي فيجمعه إلى صدره، فإنه لن ينسى شيئاً سمعه». فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً سمعته منه[4].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر

---

(١) في أ (بن) بدون ألف.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.
انظر: البداية والنهاية ٨/٢٩١.

(٤) هذا لفظ مسلم، وهو مجموع من روايتين، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي...، ٤/١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ (٢٤٩٢). ورواه البخاري بمعناه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ١/٢١٥ (١١٩) من الفتح.

خليفة، كلهم من قريش»[1]. وفي لفظ «إلى اثني عشر أميراً»[2]، وفي رواية لأبي داود الطيالسي: «كلهم يجتمع عليهم الأمة»[3]، وفي رواية فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون الهَرْج»[4].

قال أبو بكر البيهقي: (وفي الرواية الأولى بيان العدد، وفي الأخرى[5] بيان المراد بالعدد، وقد بين وقوع الهرج، وهو القتل[6] بعدهم)[7].

وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة من قريش، ٣/١٤٥٣ (١٨٢١) واللفظ له، وأبو داود، كتاب المهدي، ٤/١٠٦ (٤٢٨٠). وأحمد في المسند ٥/٩٣ و٩٨. والبخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ١٣/٢١١ (٧٢٢٢) بلفظ: (يكون اثنا عشر أميراً) ـ فقال كلمة لم أسمعها ـ فقال أبي: أنه قال: (كلهم من قريش).

(٢) هذا اللفظ لأحمد في المسند ٥/٩٧ ـ ٩٨ و١٠١، قال الألباني: «وهذا إسناد ـ أي إسناد هذه الرواية ـ صحيح على شرطهما».
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/١٠٦ (٣٧٦) لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٣) يظهر لي أن كلمة (الطيالسي) مقحمة، لأن الرواية المذكورة هي عند أبي داود السجستاني، كتاب المهدي، ٤/١٠٦ (٤٢٧٩). ولم أجدها عند الطيالسي، وإنما الذي عنده مثل الرواية الأولى، وهذه الأخيرة إسنادها فيه لِيْن حيث أن في إسنادها: إسماعيل بن أبي خالد وهو كما قال ابن حجر: (مقبول) أي لين الحديث، وقد تفرد بهذه الجملة: (كلهم تجتمع عليه الأمة).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/١٠٦ (٣٧٦).

(٤) أبو داود، كتاب المهدي، ٤/١٠٦ (٤٢٨١). وإسنادها جيد. قال الحافظ في الفتح ١٣/٢١١: (وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر).

(٥) في ك و ط (الثانية).

(٦) غريب الحديث ٤/٧٧.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٥٢٠.

ابن عبد الملك[1]، ثم وقع الهرج والفتنة العظمى، وأنما يزيدون على العدد المذكور إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ معهم من كان بعد الهرج.

وفي الصحيحين عن جابر قال: قال لي[2] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هل لك من أنماط[3]؟»، قلت: يا رسول الله، وأنى يكون لي أنماط؟ فأنا أقول اليوم لامرأتي: نحي[4] عنك أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إنها ستكون لكم أنماط؟»[5].

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «بينا أنا نائم، أُريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب، ففظعتهما[6] فكرهتهما، فأذن لي، فنفختهما[7]، فطارا، فأولتهما كذابين

---

(١) هو ابن مروان بن الحكم، الخليفة، أبو العباس الدمشقي الأموي، ولد سنة ٩٠هـ خلافته سنة وثلاثة أشهر، اتهم بالخمر والشذوذ الجنسي، قتل سنة ١٢٦هـ وله ٣٦ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٧٠ ـ ٣٧٣.

(٢) سقطت (لي) من ك و ط.

(٣) الأنماط، جمع نمط، وهو بساط له خمل رقيق.
انظر: الفتح ٦/٦٣٠.

(٤) من: نحيت الشيء، أي: عزلته.
انظر: المصباح المنير ص ٥٩٦.

(٥) رواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦٣٩ (٣٦٣١) من الفتح. ومسلم بمعناه، كتاب اللباس والزينة، باب جواز اتخاذ الأنماط، ٣/١٦٥٠ (٢٠٨٣).

(٦) في ك و ط (فقطعتهما) وفي أ (فقطعها). وما أثبتناه من الصحيح.
أي اشتد عليَّ أمرهما.
انظر: الفتح ٨/٩٣.

(٧) في ك (فأذن لي في نفخهما فنفختهما) وفي ط (فأذن لي في نفختهما).

يخرجان بعدي»[1].

قال عبيد الله: «أحدهما العنسي الذي قتله فيروز[2] باليمن، والآخر مسيلمة»[3].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، قال ـ وهو مستقبل المشرق ـ: «ها، إن الفتنة ها هنا، [4]إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»[5].

وفي بعض طرق البخاري: قام خطيباً، فأشار بيده نحو مسكن عائشة، فقال: وذكر الحديث[6].

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين، ومنها خرج[7] مسيلمة

---

(١) رواه البخاري موصولاً ومعلقاً بنحوه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وباب قصة الأسود العنسي، ٨/٨٩ و٩٢ (٤٣٧٤ ـ ٤٣٧٥ و ٤٣٧٩).

(٢) في جميع النسخ: (عبد الله) والأصوب ما أثبتناه من الصحيح.
في ك و ط زيادة (الديلمي).
فيروز: هو الديلمي، أبو عبد الله، وقيل، أبو عبد الرحمن، هو ابن أخت النجاشي، ويقال له: الحميري، وهو من فارس، من فرس صنعاء، روى عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عدة أحاديث، وتوفي في خلافة عثمان.
انظر: أسد الغابة ٤/٧١ ـ ٧٢.

(٣) انظر: الفتح ٨/٩٢.

(٤) في ك و ط زيادة (ها) ثانية.

(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٦/٣٣٦ (٣٢٧٩) من الفتح. ومسلم من عدة روايات، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق...، ٤/٢٢٢٨ ـ ٢٢٢٩ (٢٩٠٥).
قرن الشيطان: الأمة التي غلبها الشيطان وأضلها وجعلها من أهل الشرور.
انظر: الفتح ١٣/٤٦.

(٦) هذه الطريق عند البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ...، ٦/٢١٠ ـ ٢١١ (٣١٠٤) من الفتح.

(٧) في ك و ط (يخرج).

الكذاب، الذي ادعى النبوة، وهو أول حادث حدث بعده، واتبعه خلائق، وقاتله خليفته الصديق.

وروى أبو حاتم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابِين، منهم صاحب اليمامة[1]. ومنهم صاحب صنعاء العنسي[2]. ومنهم صاحب حِمْيَر[3]. ومنهم الدجال، وهو أعظمهم فتنة» وصاحب اليمامة: هو مسيلمة. قال[4]: وقال أصحابي: قال: «هم قريب من ثلاثين كذاباً»[5].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون، دجالون كذابون، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يفيض المال، وتظهر الفتن، ويكثر

---

(١) **اليمامة**: معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى جوا والعروض، سميت باليمامة بنت سهم بن طسم، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام. (٣٥٠ كلم). ويذكر عبد الله بن خميس بأن حدودها الطبيعية من الجنوب الرّمل (الربع الخالي) من تحت نجران، وشمالاً بالثويرات شمال الزلفي، وما واجه الثويرات شرقاً حتى السياريات والدهناء وما واجهها غرباً حتى المستوي. وشرقاً: الدهناء، وغرباً: هضبة نجد، أو ما يسمى بالدرع العربي.
انظر: معجم البلدان ٥/٤٤٢ والمجاز بين اليمامة والحجاز ١٢.

(٢) هو الأسود العنسي.

(٣) **حمير**: من أصول القبائل التي باليمن واسمه: العرنجج بن سبأ وهو عامر بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩.

(٤) القائل هو جابر ــ رضي الله عنه ــ.

(٥) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب الفتن، باب ما جاء في الكذابين والدجال، ٤٦٧ (١٨٩٣).
قلت: وبعد النظر في إسناد هذا الحديث تبين أنه إسناد جيد.

الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل»[1].

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال: ركب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حماراً، وأردفني خلفه، ثم قال: «يا أبا ذر، أين أنت[2] إن أصاب الناس جوع شديد، حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟» فقال: الله ورسوله أعلم، قال: «تعفف». قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد، حتى يكون البيت بالعبد[3]، كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «اصبر». «يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، حتى تغرق حجارة الزيت[4]، من الدماء كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك»، فقال: أرأيت إن لم أُتْرَك؟ قال: «فأت من أنت منه، فكن فيهم» قال: فآخذ[5] سلاحي؟ قال: «إذا

---

(١) هذا الحديث عند مسلم في عدة أحاديث فقوله: (لا تقوم الساعة... يزعم أنه رسول الله) في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...، ٤/٢٢٣٩ ـ ٢٢٤٠ (١٥٧). وقوله: (... حتى يفيض المال) هو بمثله من كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ٢/٧٠١ (١٥٧) وقوله: (وتظهر الفتن) من كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه...، ٤/٢٠٥٧ (١٥٧). وقوله: (ويكثر الهرج...) هو بمثله من كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ٤/٢٢١٥ (١٥٧).

(٢) في ك و ط (أرأيت).

(٣) في ط (بالوصيف).

البيت هنا: القبر. والمراد أن الناس يُشْغَلون عن دفن موتاهم، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبراً لميت ويدفنه إلَّا يعطى عبداً أو قيمته.

انظر: مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن، وتهذيب ابن قيم الجوزية ٦/١٤٦، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م.

(٤) **أحجار الزيت**: موضع بالمدينة. بذل المجهود في حل أبي داود ١٧/١٦٦. لخليل أحمد السهارنفوري ـ ١٣٤٦هـ، دار اللواء بالرياض.

(٥) في ك و ط (فإن أخذ).

تشاركهم فيه، ولكن إن خشيت أن يَرُوعَك شُعَاع السيف فأطلق[1] طرف ردائك على وجهك، يبوء بإثمك وإثمه»[2].

وفيه عن ابن مسعود، قال: أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو في قبة من أدم، فيها أربعون رجلاً، فقال: «إنكم مفتوحون[3] ومنصورون[4]، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار»[5].

وأما الفتوح التي فتحت عليهم، والنصرة التي نصروا، فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدّم ذكره، ووقع ما أخبر به.

وروى أبو حاتم في صحيحه عن ابن عباس، قال: «مرض أبو طالب فأتته قريش، وأتاه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فشكوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا[6]. قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي؟ قال: «يا عم،

---

(١) في ك و ط (فألق).

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب الفتن، باب كيف يفعل في الفتن ٤٦٠ (١٨٦٢). ورواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، ٤/١٠١ (٤٢٦١) بنحوه. وابن ماجه، أبواب الفتن، باب التثبت في الفتنة ٢/٣٧٠ (٤٠٠٦) بنحوه. والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، ٤/٤٢٤، بنحوه، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين...»، ووافقه الذهبي.

(٣) في ط (فاتحون) ومعنى (مفتوحون): مفتوح لكم.

(٤) في الموارد، زيادة: (ومصيبون). بعد قوله: (ومنصورون).

(٥) موارد الظمآن...، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٥٦ (١٨٤٤).

(٦) أي: يذمها ويعيبها.
انظر: اللسان ٨/٤٠٥، مادة وقع.

إنما أردتهم على كلمة واحدة، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم[1] بها العجم الجزية»[2] فقال: وما هي؟ «قال لا إله إلاّ الله». فقاموا، فقالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً. . . .»؟ قال: ونزلت:

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾.

إلى قوله:

﴿. . . إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[3].

وفي صحيح ابن حبان عن اسماعيل بن[4] أبي خالد[5]، عن قيس بن أبي حازم[6] قال: لما أقبلت عائشة قربت[7] ببعض مياه

---

(١) في ك و ط (لهم).

(٢) الجزية: المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، وهي فِعلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله.
انظر: اللسان ١٤/١٤٧، مادة جزي.
سورة ص: الآيات ١ ــ ٥.

(٣) موارد الظمآن. . .، كتاب التفسير، سورة ص: ٤٣٥ (١٧٥٧).
قلت: وقد تبين لي بعد النظر في إسناد هذا الحديث أنه إسناد جيد.

(٤) في أ (إسماعيل بن أبي قيس قال: لما أقبلت. . .) وقد أثبتنا السّقط من الأصول ومن ك و ط.
في أ: (ابن). والأولى حذف ألفها.

(٥) إسماعيل بن أبي خالد: هو الأحمسي، مولاهم، البجلي، ثقة ثبت، مات سنة ١٤٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٦٨؛ وتهذيب التهذيب ١/٢٩١.

(٦) قيس بن أبي حازم: هو البجلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، مخضرم، ويقال: له رؤية، مات بعد سنة ٩٠هـ أو قبلها، وقد جاوز المائة، وتغير.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٢٧؛ وتهذيب التهذيب ٨/٣٨٧.

(٧) في ك و ط (مرت).

بني عـامر[1]، طـرقتهم ليلاً، فسمعت نبـاح الكلاب، فقـالت: (أي ماء هذا)؟ قالوا: ماء الحوأب[2]، قالت: (مـا أظنني رافعة)[3] قـالوا: مهـلاً ـ يرحمك الله ـ تقـدمين، فيراك المسلمـون، فيصلح الله بك. قـالت: (مـا أظنني رافعة[4]، أني سمعت رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «كيف بإحداكنَّ ينبح عليها كلاب الحوأب»[5]؟.

وفيه أيضاً عن[6] ابن أبـي طالب قال: قـال لي عبد الله بن سـلام ـ وقـد وضعت رجلي في الغـرز[7] وأنـا أريـد العـراق ـ: «لا تـأت[8]

---

(١) هم بنـو عـامـر بن ربيعـة بن كـلاب بن ربيعـة بن صعصعـة بن معـاويـة بن بكـر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٣ و ٢٨٢.

(٢) في أ و ك (الحوب) حسب الرسم القديم.
الحوأب: موضع في طريق البصرة، محاذي البقرة، ماء أيضـاً من مياههم، وهـو من المياه الأعداد (الجارية) وقديم جاهلي، وحوله جبال سود، وقد سمي بالحـوأب بنت كلب بن وبرة. وهي أم تميم وبكر والغوث.
انظر: معجم البلدان ٢/٣١٤.

(٣) في ك و ط (إلاَّ راجعة).
أي: لست بمتقدمة.
انظر: اللسان ٨/١٣٠، مادة رفع.

(٤) في ك و ط (إلاَّ راجعة).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه، كتاب معرفة الصحابة، ٣/١٢٠. وأورده الهيثمي وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف».
انظر: المجمع ٨/٢٨٩.
وهو في موارد الظمآن ٤٥٣ (١٨٣١). والسلسلة الصحيحة للألباني ١/٧١٤.

(٦) في ك و ط زيادة (علي).

(٧) الغرز: فراش من جلد، يوضع فوق الدابة للركوب عليها.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٣٨٢.

(٨) في الموارد، زيادة (أهل).

العراق، فإنك إن تأتهم أصابك ذنب السيف[1]».

قال علي: «وأيم[2] الله، لقد قالها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ» قال أبو الأسود[3]: «فقلت ــ في نفسي ــ: ما رأيت كاليوم رجلاً محارباً يحدِّث الناس بمثل هذا»[4].

وهذا وأمثاله مما أخبر به ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ [5] من المستقبلات، فوقع بعده كما أخبر، ورأى الناس ذلك. وأما ما أخبر به، مما لم يقع إلى الآن، فكثير. وقد أخبر بأشياء من المغيبات، ووقعت في زمانه، ووجدت[6] كما أخبر، كما في الصحيحين، عن سهل بن سعد[7]، عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ــ يوم خيبر[8] ــ:

---

(١) ذنب كل شيء: آخره، وجمعه: ذناب، وهو العقب والمؤخر.
انظر: اللسان ١/٣٩٠، مادة ذنب.

(٢) **أيم**: اسم وضع للقسم، والتقدير: أيمن الله قسمي.
انظر: ترتيب القاموس ١/٢٠٣.

(٣) **أبو الأسود**: هو الدؤلي، ويقال: الديلي، العلامة الفاضل، قاضي البصرة، واسمه: ظالم بن عمرو ــ على الأشهر ــ ولد في أيام النبوة، قال العجلي: ثقة، كان أول من تكلم في النحو، مات في طاعون الجارف سنة ٦٩هـ وله ٨٥ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٨١ ــ ٨٦.

(٤) موارد الظمآن، كتاب المناقب، باب في فضل علي ــ رضي الله عنه ــ: ٥٤٥ (٢٢١٠).
قلت: وهذا الحديث إسناده جيد.

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٦) في ط (ووجد).

(٧) **سهل بن سعد**: هو ابن مالك بن خالد الأنصاري، الخزرجي الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة مشهورة، مات سنة ٨٨هـ وقيل: بعدها. وقد جاوز المائة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣٦.

(٨) وكان يوم خيبر في أول سنة سبع للهجرة.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٣٤٤.

«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»[1] فكان كذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حنيناً فقال ـ لرجل ممن يدعي الإسلام ـ: «هذا من أهل النار» فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت له آنفاً: إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً، [2]وقد مات، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إلى النار» فكاد بعض المسلمين أن يرتاب[3]. فبينا[4] هم على ذلك، إذ قيل: فإنه لم يمت، ولكن به جرحاً شديداً. فلما كان من الليل، لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذلك فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلَّا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[5]. ورواه سهل بن

---

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ١٤٤/٦ (٣٠٠٩) من الفتح. ومسلم بلفظ: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله). كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ١٤٤١/٣ (١٨٠٧).

(٢) في ك و ط زيادة (فأصابته جراحة).

(٣) يفسر ذلك رواية الطبراني عن أكثم بن الجون الخزاعي قال: قلنا يا رسول الله، فلان يجزيء في القتال! قال: (هو في النار). قلنا: يا رسول الله! إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ قال ذلك أخباث النفاق...).
انظر: الفتح ٤٧٢/٧ ـ ٤٧٣.

(٤) في ك و ط (فبينما).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ١٧٩/٦ (٣٠٦٢) من الفتح. ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ١٠٦/١ (١١٢).

سعد[1].

وفي الصحيحين عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبا مرثد الغنوي[2]، والزبير بن العوام[3]، والمقداد[4]، وكلنا فارس، فقال: «إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[5]

---

(١) رواية سهل بن سعد للحديث بلفظ آخر، هي عند البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٧/٤٧١ (٤٢٠٢) من الفتح. وعند مسلم تالية لرواية أبي هريرة في الموضع السابق.

(٢) **أبو مرثد الغنوي**: هو كنّاز بن حصين بن يربوع بن طريف بن قيس عيلان، حليف حمزة بن عبد المطلب، وكان تربه ـ أي مثيله في السن ـ شهد هو وابنه مرثد بدراً، مات سنة ١٢هـ وله ٦٦ سنة، وكان طويلاً كثير الشعر.
انظر: أسد الغابة ٥/٢٨٢؛ وتقريب التهذيب ٢/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٣) **الزبير بن العوام**: هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله، القرشي، الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ٣٦هـ بعد أن انصرف من وقعة الجمل.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٥٩.

(٤) **المقداد**: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن قضاعة البهراوي، المعروف بالمقداد بن الأسود، أبو معبد، وقيل: أبو الأسود، وهو قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة ثم خرج مع المشركين هو وابن غزوان فالتقوا بسرية المسلمين فانحازا إلى المسلمين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، مات في خلافة عثمان بالجرف وحمل إلى المدينة، وله ٧٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٤/٤٧٥ ـ ٤٧٨.
جمع أسماء الأربعة علي وأبي مرثد والزبير والمقداد، مستفاد من مجموع روايات البخاري، ولم يجتمعوا في رواية واحدة.
انظر: الفتح ٧/٥٢٠.

(٥) **خاخ**: موضع بين الحرمين، وروضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٤٤٤.

فـإن بهـا امـرأة[1]، معهـا كتـاب من حـاطب إلى المشـركيـن»
فأدركناها تسير على بعير لها خبب[2]، فقلنـا لها: أين الكتـاب؟ فقالت:
ما معي كتاب، قال فأنخنا بها[3]، فـالتمسنا الكتـاب في رحلها، فلم نـرَ
كتاباً، قال: قلنا: ما كذب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لتخرجن
الكتـاب أو لنجردنـك[4]. قال: فلمـا رأت أني أهويت إلى حجـزتهـا[5]
وهي محتجزة بكساء، أخرجت الكتاب من عقاصها[6]، فأخذنا الكتاب،
فأتينا بـه رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فإذا فيـه: (من حاطب بن
أبـي بلتعـة إلى ناس من المشـركين بمكة، يخبـرهم ببعض أمـر رسـول
الله[7] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)[8]. فقال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه
وسلَّم ــ: «يا حاطب، [9]ما هذا؟» قـال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امـرأ

(١) في ط زيادة (ظعينة). واسم المرأة سارة أو أم سارة أو كنود، وقيل، إنها كـانت مولاة العباس.
انظر: الفتح ٧/ ٥٢٠.

(٢) **الخبب**: نوع من المشي السريع، واسع الخطى، وهو أقل من العَنَق.
انظر: المصباح المنير ص ١٦٢.

(٣) أي: قمنا بأمر البعير بالبروك فبرك.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٤.

(٤) **التجريد**: التعرية من الثياب.
انظر: مختار الصحاح ص ٩٩.

(٥) أي مد يده إلى رباط سراويلها ومعقد إزارها.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٤ و ٧٠٣.

(٦) أي: ضفيرة شعرها.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٦.

(٧) في ك و ط (النبـي).

(٨) من هنا تكرار في أ بمقدار سطر.

(٩) في ط زيادة (حملك على).

ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون أهليهم[1] بمكة، فأحببت ـ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ـ أن أتخذ يداً[2] يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3].

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريد يغزوهم[4] فأعلمه الله بذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «نعى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للناس النجاشي، في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلّى وكبّر أربع تكبيرات». وفي رواية عن جابر قال: «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلَّى على أصحمة النجاشي»[5].

وفي لفظ من رواية أبي هريرة قال: «قد مات اليوم عبد الله

---

(١) في ك و ط (أهلهم).

(٢) اصطناع النعمة والإحسان، وجمعها: يدي. كعصى. وأيد ـ أيضاً ـ.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٤٢.

(٣) رواه البخاري في أكثر من موضع مثل: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح...، ٧/٥١٩ (٤٢٧٤) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر...، ٤/١٩٤١ (٢٤٩٤).

(٤) في ك و ط (غزوهم).

(٥) سبق تخريجه ١/١٦٦ الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

صالح[1] أصحمة» فأمنا وصلّى عليه[2]. وفي رواية عمران بن حصين قال: «إن أخاكم[3] قد مات، فصلّوا عليه» يعني النجاشي[4].

وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب[5]، ورواها عروة بن الزبير، ومحمد بن اسحاق بمعناه قال: «ثم إن المشركين اشتدوا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كأشد ما كانوا حتى بلغ بالمسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وأجمعت قريش في[6] مكرها، [7]أن يقتلوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم، جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شعبهم[8]، ويمنعوه ممن أراد قتله. فاجتمعوا على ذلك، مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله

---

(١) في أ (عبد الله صالحاً) وفي ك (عبد الله صالح) وفي ط (عبد الله الصالح) وقد أثبتنا ما في متن صحيح مسلم.

(٢) رواها البخاري بلفظ: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة). كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ٧/١٩١ (٣٨٧٧) من الفتح. ومسلم، واللفظ له، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، ٢/٦٥٧ (٩٥٢).

(٣) في ك و ط (أخاً لكم). وهذا لفظ مسلم.

(٤) رواها مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، ٢/٦٥٧ (٩٥٣) بمثلها.

(٥) في ك و ط زيادة (قصة الصحيفة).

(٦) سقطت (في) من ط.

(٧) في ط زيادة: (على).

(٨) الشعب: هو الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض، والمراد به هنا: شعب بني هاشم بن عبد مناف، وقد كان منزل بني هاشم. غير مساكنهم، وهو الذي يعرف بشعب ابن يوسف.
انظر: سبل الهدى والرشاد ٢/٥٠٩.

إيماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، واجتمعوا على ذلك، [١] اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا[٢] أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للقتل، وكتبوا[٣] في مكرهم صحيفة وعهوداً[٤] ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلم يتركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً، إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ».

زاد ابن إسحاق في روايته قال: «حتى كان يسمع صوت[٥] صبيانهم يتضاغون[٦] من وراء الشِّعب من الجوع، وعَدَوْا[٧] على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة، وزلزلوا

---

(١) في ك و ط زيادة (واو).

(٢) في ط (أجمعوا).

(٣) الكاتب هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، قال ابن هشام: ويقال: (النضر بن الحارث) والمشهور أنه منصور بن عكرمة، وهو الذي شلّت يده، فما كان ينتفع بها، وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٣٧٦. والسيرة لابن كثير ٢/٤٨.

(٤) في أ و ك (عهود) بغير النصب كما في ط.

(٥) في ك و ط (تسمع أصوات).

(٦) **يتضاغون**: يبكون ويصيحون.
انظر: اللسان ١٤/٤٨٥، مادة ضغا.

(٧) في ك و ط (وغدوا) بالغين المعجمة.
مفرده: عدا، أي ظلم وتجاوز الحد، وهو عاد، والجمع: عادون.
انظر: المصباح ص ٣٩٧.

زلـزالاً شديـداً». قال[1] مـوسى بن عقبة ـ في تمـام حديثـه ـ : «وكان أبـو طالب إذا أخـذ الناس مضـاجعهم، أمر رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد مكراً به واغتياله، فإذا نوّم[2] الناس أمر أحد بنيه، أو إخوته، أو بني عمـه، فاضـطجع على فـراش رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وأمر رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين، تلاوم رجال من بني عبد منـاف، ومن بني قصي، ورجـال سواهم من قـريش، قـد ولـدتهم نسـاء بني هـاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع[3] أمرهم من[4] ليلتهم، على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله ـ عـز وجـل ـ على صحيفتهم التي فيـهـا المكـر برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الأرضة[5]، فلحست[6] كل ما كـان فيهـا من عهد وميثـاق. ويقال كـانت معلقـة في سقف البيت، فلم تتـرك

---

(١) في ك و ط زيادة (قال) أخرى.

(٢) صيغة مبالغة من: نام.

(٣) في أ (واجتمعوا) وما أثبتناه من ك و ط أصح.

(٤) سقطت (من) من ط.

(٥) الأرضة: دودة بيضاء شبه النمل تظهر في أيام الربيع، وهي ضربان:
١ ـ صغار مثل كبار الذر، وهي آفة الخشب خاصة.
٢ ـ ومثـل كبار النمـل ذوات أجنحة، وهي آفـة كل شيء من خشب أو نبـات غيـر الرطب.
انظر: اللسان ١١٣/٧، مادة أرض.

(٦) من لحس الدود الصوف لحساً، إذا أكله.
انظر: المصباح المنير ص ٥٥٠.

اسماً لله ـ عز وجل ـ فيها إلا لحسته، وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم. وأَطْلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلَّم ـ لأبي طالب. فقال أبو طالب: «لا والثواقب[١]، ما كذبني»[٢] فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل[٣] من قريش، فلما رأوهم عامدين[٤] بجماعتهم، أنكروا ذلك، وظنوا أنهم أخرجوا[٥] من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلَّم ـ ، فتكلم أبو طالب فقال: «قد حدثت أمور بينكم. لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بينكم وبيننا صلح».

وإنما قال ذلك[٦]، خشية أن ينظروا في صحيفتهم[٧] قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها، لا يشكون أن الرسول مدفوع[٨] إليهم فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا، وترجعوا إلى أمر، يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد، جعلتموه خطراً[٩]، لهلكة

---

(١) الثواقب: النجوم، جمع ثاقب، وهو النجم المضيء.

(٢) ما كذبني: ما حدثني بحديث كذب.
انظر: سبل الهدى والرشاد ٢/٥١١.

(٣) أي مجتمعون فيه.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٢.

(٤) عامدين: قاصدين.
انظر المصدر السابق ص ٤٢٨.

(٥) في ك و ط (خرجوا).

(٦) سقطت (ذلك) من أ.

(٧) في ك و ط (الصحيفة).

(٨) في أ و ك (مدفوعاً) والصواب الرفع كما في ط وهو ما أثبتناه.

(٩) الخطر: الإشراف على الهلاك.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٠.

قومكم وعشيرتكم وفسادهم[1]. فقال أبو طالب: «إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نَصَف[2]، فإن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: أن الله ـ عز وجل ـ بريء من هذه الصحيفة، التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا، وتظاهركم[3] علينا بالظلم[4]، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال، فأفيقوا[5]، فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو[6] استحييتموه». قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة، فوجدوا الصادق المصدوق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب. قالوا: والله إن

---

(١) في ك (وفسادتكم) وفي ط (وفساد دينكم).

(٢) **فيه نصف**: فيه عدالة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٣.

(٣) **تظاهركم**: تعاونكم.
انظر: مختار الصحاح ٤٠٦.

(٤) الذي ورد في رواية ابن إسحاق أن المطعم بن عدي لما قام إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلَّا (باسمك اللهم) وقال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لأبي طالب: (يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلَّا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان...). وقد جمع الإمام محمد بن يوسف الصالحي بين هاتين الروايتين بأنهم: كتبوا نسخاً فأكلت الأرضة من بعض النسخ اسم الله ـ تعالى ـ، إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ كره فعلهم ذلك فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم، وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله ـ تعالى ـ إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ لم يرضَ هذا الفعل ـ والله أعلم بحقيقة ذلك.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٦؛ وسبل الهدى والرشاد ٢/٥٠٨.

(٥) **أفيقوا**: استيقظوا وراجعوا عقولكم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨٤.

(٦) في أ (واستحييتموه) بالعطف، والصواب التخيير كما في ك و ط.

كان هذا إلَّا سحر[1] من صاحبكم، فارتكسوا[2] وعادوا لشر ما كانوا[3] عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسلمين، وعلى رهطه، والقيام بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالسحر والكذب غيرنا، فكيف[4] ترون؟ فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت[5] والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر، لم تفسد صحيفتكم، وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسم، وما كان فيها من بغي تركه. أفنحن السحرة أم أنتم؟.

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف، وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء[6] بني هاشم. منهم أبو البختري[7]، والمطعم بن عدي[8]،

---

(١) في ط (سحراً).

(٢) **من الركس**: وهو رد الشيء مقلوباً، وبابه نصر.
انظر: مختار الصحاح ص **٢٥٤**.

(٣) في ط (وعادوا شراً مما كانوا).

(٤) في ك و ط سقطت الفاء الأولى من (فكيف).

(٥) **الجبت**: الصنم والكاهن والساحر، والسحر، والذي لا خير فيه.
انظر: ترتيب القاموس **١/٤٣٥**.
في ك و ط (الخبث).

(٦) في ط زيادة (من).

(٧) **أبو البختري**: هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، قتل يوم بدر سنة **٢هـ** كافراً، قتله المجذر بن ذياد ـ بالذال المعجمة ـ البلوي ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: السيرة لابن هشام **١/٢٨٣** و **٢/٣٦٦**؛ وأسد الغابة **٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩**.

(٨) **المطعم بن عدي**: هو ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي، هو الذي أجار رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عندما رجع من الطائف، في المحاولة ـ غير الناجحة ـ =

وزهير بن أبي أمية ابن المغيرة(١)، وزمعة بن الأسود(٢)، وهشام بن عمرو(٣)، وكانت الصحيفة عنده، وهو من بني عامر بن لؤي(٤) في رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قد قُضي بليل.

وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر في شأن صحيفتهم، ويمتدح النفر الذين تبرؤا(٥) منها ونقضوا ما كان فيها من عهد، ويمتدح النجاشي(٦). قال موسى بن عقبة: فلما أفسد الله صحيفة مكرهم، خرج

= لدعوة ثقيف، مات المطعم قبل الهجرة، وبكاه حسان بن ثابت.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٨٥ و٢/١٤ ــ ٢٠.

(١) **زهير بن أبي أمية بن المغيرة**: هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأمه: عاتكة بنت عبد المطلب، وقد أجارته أم هانىء بنت أبي طالب هو والحارث بن هشام يوم الفتح، وقد بايع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم حنين، وأعطاه من الغنائم.
السيرة لابن هشام ٢/١٤ و٤/٥٣ ــ ٥٤ و١٣٧ ــ ١٣٨؛ وأسد الغابة ٢/١٠٩.

(٢) **زمعة بن الأسود**: هو ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أصيب يوم بدر مع أخويه عقيل والحارث، وقد قتله ثابت بن الجَذع أخو بني حرام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي وثابت. السيرة لابن هشام ٢/١٥ و١٢٥ و٣٠٢ و٣٦٦.

(٣) **هشام بن عمرو**: هو ابن ربيعة بن الحارث بن حنيف أو حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، ذكره ابن إسحاق في المؤلفة ممن أعطاه الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دون المائة من غنائم حنين، كان كثر التردد على بني هاشم في الشعب وذكر ابن إسحاق قصته في نقض الصحيفة ومخاطرته في ذلك بنفسه ــ رحمه الله ــ.
انظر: أسد الغابة ٤/٦٢٨؛ والإصابة ٣/٦٠٥ ــ ٦٠٦.

(٤) **عامر بن لؤي**: هو ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢.

(٥) في أ: (تبرأ) وظاهر أن الواو سقطت نسخاً.

(٦) وهي اللامية، وأولها:
خَلِيْلَيَّ ما أذني لأول عاذل   بصغواء في حق ولا عند باطل =

النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[1] فعاشوا وخالطوا الناس»[2].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود[3] قال: «انطلق سعد بن معاذ معتمراً، فنزل على أمية بن خلف، أبي صفوان، وكان أمية بن خلف إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة، نزل على سعد بن معاذ. فقال[4] لأمية: «انظر لي ساعة خلوة، لعلي أن أطوف بالبيت»، قال: انتظر، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت. قال: فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان من هذا[5] معك؟ قال: هذا سعد. فقال أبو جهل: ألا أراك تطوف

= خليلي إن الرأي ليس بشركة ولا نهنه عند الأمور البلابل
ولما رأيت القوم لا ود عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد ذكر منها ابن كثير ٨٣ بيتاً، قال ابن هشام: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها»، قال ابن كثير: «هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً... وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً». وقد انتقده د. مصطفى عبد الواحد على هذا الرأي، ثم عَذَره بأنه ليس من أهل النقد أو الخبرة بالشعر، ثم قال: «والقصيدة تخلو من طابع ذلك العصر في الألفاظ والمعاني والأساليب».

انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٩٩.

وانظر: السيرة لابن كثير ١/٤٨٦ ــ ٤٩١؛ وسبل الهدى والرشاد ٢/٥٠٦.

(١) في ط زيادة (ومن معه).

(٢) انظر: الدلائل للبيهقي ٢/٣١١ ــ ٣١٥؛ والسيرة لابن هشام ٢/١٤ ــ ١٧؛ وتاريخ الأمم والملوك ٢/٣٤١ ــ ٣٤٣.

(٣) هو ابن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة ٣٢هـ بالمدينة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٥٠؛ وأسد الغابة ٣/٢٨٠ ــ ٢٨٦.

(٤) في ك و ط زيادة (سعد).

(٥) في ط زيادة (الذي).

بالبيت آمناً وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً. فقال له سعد ــ وقد رفع صوته عليه ــ : لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة.

قال: فقال له أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، سيد أهل الوادي. فقال[1] سعد: دعنا منك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: إنه قاتلك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، وقال: والله ما يكذب محمد، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري إلى ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي، فقلت له: بمكة؟ فقال: لا أدري. فقالت[2]: والله ما يكذب محمد، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنصر[3] أبو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم، قال: فكره أمية أن يخرج، فأتاه *[4] أبو جهل * فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت ــ وأنت سيد أهل الوادي ــ تخلَّفوا معك، فلم يزل أبو جهل حتى قال: إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة[5]. قال[6]: يا أم صفوان

---

(١) في ك زيادة (له).

(٢) في أ (وقال) والأصوب هو ما في ك و ط وهو المثبت.

(٣) في ك و ط (ستنفر).

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط.

(٥) يعني: فاستعد عليه للهرب إذا خفت شيئاً.
انظر: الفتح ٧/٢٨٤.

(٦) في ك و ط زيادة (أمية).

جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان قد[1] نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز[2] معهم إلَّا قريباً. قال: فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلاً إلَّا عقل بعيره، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر[3].

وعن كعب بن مالك قال: كان أبي بن خلف[4] أخو بني جمع[5]، قد حلف وهو بمكة، ليقتلن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فلما بلغت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حلفته، قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ عز وجل ـ». فأقبل أبي مقنعاً[6] في الحديد، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريد

---

(١) في ك و ط (أوقد).

(٢) **أجوز**: أسير.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري بمثله، في روايتين، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة. . .، ٦/٦٢٩ (٢٦٣٢) من الفتح، وكتاب المغازي. باب ذكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من يقتل ببدر، ٧/٢٨٢ (٣٩٥٠) من الفتح، كما أخرج قصة قتله ببدر، في كتاب الوكالة. باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب. . .، ٤/١٤٨٠ (٢٣٠١) من الفتح.

(٤) أبي بن خلف: هو ابن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده ـ كما في هذا الحديث ـ في غزوة أحد سنة ٣هـ.
انظر: السيرة لابن هاشم ٣/١٣٥.

(٥) **بنو جمح**: بطن من قريش، وجمح: هو ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٩١.

(٦) **مقنعاً**: مغطياً رأسه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٥٣.

قتله، فاستقبله مصعب بن عمير[1] من[2] بني عبد الدار[3] يقي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير. وأبصر النبي[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ترقوة[5] أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع[6] والبيضة[7]، فطعنه فيها بحربته[8]، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك! إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أنا أقتل أبياً»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز[9] لماتوا أجمعون،

(١) **مصعب بن عمير**: هو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، العبدري، أبو عبد الله، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، قتل بأحد شهيداً قتله ابن قمئة الليثي، وله ٤٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٤/٤٠٥ ـ ٤٠٦؛ والإصابة ٣/٣٢١.

(٢) في ك و ط (أخو).

(٣) **عبد الدار**: هو ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢/١٤.

(٤) في ك و ط (رسول الله).

(٥) **الترقوة**: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ـ ولا تُضم التاء ـ.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٧.

(٦) أي: الدرع الواسعة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٨٤.

(٧) أي: الخوذة من الحديد.
انظر: اللسان ٧٠/١٢٧ مادة بيض.

(٨) **الحربة**: آلة يقاتل بها.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦١٠.

(٩) **ذو المجاز**: موضع سوق بعرفة بمكة، على ناحية ماء يقال له: كبكب على مسافة ثلاثة أميال من عرفة، كانت تقوم به سوق في الجاهلية لمدة ثمانية أيام.
انظر: معجم البلدان ٥/٥٥.

فمــات إلى النــار»[1]. ورواه مــوسى بن عقبــة، عن ابــن [2] شهــاب الزهري، عن سعيد بن المسيب[3]، [4]وذكره الواقدي[5] بإسناده، وهـذا لفـظه[6]. وهو ممـا ذكره عـروة بن الزبيـر في مغازيـه، وابن إسحـاق[7] وغيره[8].

وذكر موسى بن عقبة في مغازية أن عمير بن وهب الجمحي[9] لما رجع فَلُّ[10] المشركين إلى مكة وقـد قتل الله من قتـل منهم، أقبل عميـر

---

(١) انـظر: الدلائـل للبيهقي ٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩. من روايـة عـروة بن الـزبيـر؛ والـدلائـل لأبـي نعيم ٢/٦٢٠ ـ ٦٢١ من رواية عروة كذلك.

(٢) سقطت ألف (ابن) في أ.

(٣) وأخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٤٦. من رواية سعيد بن المسيب.

(٤) هو ابن حَزْن (على وزن سهل وبضد معناه) ابن أبـي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات سنة ٩٤هـ وله ٧٩ سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٠٦؛ والكاشف ١/٣٧٢.

(٥) **الـواقدي**: هـو محمد بن عمـر بن واقـد الأسلمي، مـولاهم، الـواقـدي، المـدني، أبو عبد الله، القاضي، صاحب التصانيف، وأحد أوعيـة العلم ـ على ضعفه ـ كـان جـواداً مشهوراً بـالسخاء، ولي قضـاء الجانب الشـرقي من بغداد، ومـات وهـو على القضاء سنة ٢٠٧هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٦٢ ـ ٦٦٦؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٦١.

(٦) المغازي للواقدي ١/٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٧) السيرة لابن هشام ٣/٨٩.

(٨) في ك و ط (وغيرهما) بالمثنى.

انظر: السيرة لابن كثير ٥/٦٣ ـ ٦٤.

(٩) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، أبو أمية، كـان له قـدر وشـرف في قـريش. وهـو ابن عم صفـوان بن أميـة بن خلف، أسلم ودعـا إلى الإسلام في مكة، وشهد غزوة تبوك.

انظر: أسد الغابة ٣/٧٩٧؛ والبداية والنهاية ٥/٨.

(١٠) هم المنهزمون.

انظر: مختار الصحاح ص ٥١٢.

حتى جلس إلى صفوان[1] بن أمية في الحِجْر[2]. فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر. قال: أجل والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئاً، لرحلت إلى محمد فقتلته، إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها، أقول قدمت على ابني [3]أفدي هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله، وقال له: عليّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة. فحمله صفوان وجَهَّزَه، وأمر بسيف عمير فصقل وسُمّ، فأقبل عمير حتى قدم المدينة، فنزل بباب المسجد، وعَقَل راحلته، وأخذ السيف فعمد لرسول[4] الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فنظر عمر بن الخطاب إليه[5] وهو في نفر من الأنصار يتحدثون. فقال عمر: «عندكم الكلب، هذا عدو الله، الذي حرش بيننا

---

(١) صفوان: هو ابن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشي، الجمحي، المكي، صحابي، من المؤلفة، مات أيام قتل عثمان، وقيل سنة ٤١هـ أو ٤٢هـ في أوائل خلافة معاوية ـ رضي الله عنهم ـ .
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٦٧.

(٢) أي: حِجْر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٢١.

(٣) في ك و ط (أنني).
هو وهب بن عمير بن وهب الجمحي، شهد بدراً مع المشركين، ثم أسلم، وأرسله النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم الفتح إلى صفوان بن أمية الجمحي يؤمنه ويدعوه إلى الإسلام. قال الحافظ ابن حجر: «والمعروف أن هذه القصة لأبيه. عمير بن وهب... وذكره البخاري في الصحابة ولم يورد له شيئاً ومات وهب بالشام مجاهداً».
انظر: أسد الغابة ٤/٦٨٦؛ والإصابة ٣/٦٤٣.

(٤) في ط (إلى رسول الله).

(٥) تقدمت (إليه) قبل (عمر) في ك و ط.

يوم بدر، وحزرنا[1] للقوم»، ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أن قال: قال[2] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ما أقدمك»؟ قال: أسيري عندكم ففادونا[3] في أُسرائنا، فإنكم العشيرة والأهل. قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال عمير: قبحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا شيئاً؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت. فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أصدقني ما أقدمك؟» قال: ما قدمت إلاَّ في أسيري. قال: «فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحِجْر؟». ففزع عمير وقال: ماذا شرطت؟ قال: «تحملت له بقتلي، على أن يعول بيتك ويقضي دينك، والله حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وأن لا إلٓه إلاَّ الله، كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر، لم يطلع عليه أحد غيري وغيره، فأخبرك الله به». وذكر بقية الحديث[4].

---

(١) من الحزر، وهو التقدير والخرص.
انظر: مختار الصحاح ص ١٣٣.

(٢) في ك زيادة: (وذكر الحديث إلى أن قال: قاله له). وفي ط: (وذكر الحديث إلى أن قال له).

(٣) في ك و ط (ففادنا).

(٤) السيرة لابن هشام ٢/٣١٦ ـ ٣١٨، مرسلاً، قال ابن حجر في الإصابة ٣/٣٧: وجاء من وجه آخر موصولاً، أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر، عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني، عن أنس أو غيره، وقال ابن منده: «غريب لا نعرفه عن ابن عمران إلاَّ من هذا الوجه». قال الهيثمي: «رواه الطبراني ـ أي: عن محمد بن جعفر بن الزبير ـ مرسلاً وإسناده جيد»، ثم أورد له رواية أخرى، وقال بعدها: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وقد رواها الطبراني عن أبي عمران الجوني، قال: «لا أعلمه إلاَّ عن أنس . . .».
انظر: المجمع ٨/٢٨٦ ـ ٢٨٧. وقد حرف فيه اسم (الجوني) إلى (الحولي) وهو =

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أقواماً من بني سُلَيم[1] إلى بني عامر[2] في سبعين[3]. فلما قدموا قال لهم خالي[4]: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإلاَّ كنتم مني قريباً. [5]، فأمنوه. فبينما هو يحدثهم عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ أومأوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه[6]، قال[7]: «فزت ورب الكعبة»، ثم مالوا

= عبد الملك بن حبيب الأزدي ـ ١٢٨هـ؛ تقريب التهذيب ١/١٥٨.

(١) بنو سليم: نسبة إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة مشهورة، والمنتسب إليها لا يحصون.
انظر: اللباب ٢/١٢٩.

(٢) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٣ و ٢٨٢ و ٢٨٥.

(٣) ذكر الحافظ أن هنا وهما: حيث إن المبعوث إليهم بنو عامر، وأما بنو سليم فغدروا بالقراء وهم السبعون، والوهم في هذا السياق من حفص بن عمر شيخ البخاري.
قال: «ولعل الأصل: (بعث أقواماً معهم أخو أم سليم إلى بني عامر). فصارت من بني سليم، وقد تكلف لتأويله بعض الشراح . . .».
انظر: الفتح ٦/١٩.

(٤) هو حرام بن ـ ملحان ـ مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، شهد بدراً واحداً، وقتل يوم بئر معونة ـ كما في هذا الحديث ـ سنة ٤هـ.
انظر: أسد الغاب ١/٤٧٣؛ والسيرة لابن كثير ٣/١٣٩ ـ ١٤٤.

(٥) في ك و ط زيادة (فتقدم).

(٦) يفسر ذلك روايتا الطبري عن جبار بن سلمى، قال: (. . . إني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره. . .)، وقول أنس: (. . . فخرج رجل من كِسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر. . .). انظر: تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٤٨ و ٥٥٠.

(٧) في ك و ط (فقال).

على بقية أصحابه فقتلوهم، إلَّا رجل[1] أعرج صعد الجبل وآخر معه، فأخبر جبريل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنهم قد لقوا ربهم، فرضي الله[2] عنهم، وأرضاهم، فكنا نقرأ: (أن بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نسخ[3]، فدعا عليهم أربعين صباحاً، على رِعْل[4] وذكوان[5]، وبني لِحْيان[6] وعُصَيَّة[7] الذين عصوا الله ورسوله[8]. وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة[9]

---

(١) في ك و ط (رجلاً). وما في أ موافق للفظ البخاري. الحديث رقم (٢٨٠١) من الفتح.

(٢) لم يرد اسم الجلالة المعظم في أ.

(٣) في ك و ط زيادة (بعد).

(٤) **رِعْل**: هم بطن من بني سليم، ينتسبون إلى رعل بن عوف بن امرىء القيس من بهتة بن سليم، والنسبة إليهم: رعلي.
انظر: الفتح ١٩/٦؛ واللباب ٣١/٢.

(٥) **ذكوان**: بطن كبير من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهو ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم.
انظر: اللباب ٥٣١/١.

(٦) هم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ و ١٩٦.

(٧) **عصية**: هم بطن من امرىء القيس بن بهتة، وهم بنو عصية بن خفاف امرىء القيس بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١.

(٨) رواه البخاري بمثله، كتاب الجهاد، باب من ينكب في سبيل الله، ١٨/٦ ــ ١٩ (٢٨٠١) من الفتح. ومسلم، بمعناه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١١/٣ (٦٧٧).
في ط (لأنظر إليه بين السماء والأرض).

(٩) **عامر بن فهيرة**: هو أبو عمرو، مولى أبي بكر الصديق، وكان مولّد من مولدي الأزد، أسود اللون، مملوكاً لأخي عائشة لأبيها، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة سنة ٤هـ وله ٤٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٣٢/٣ ــ ٣٣.

قال عنه عامر بن الطفيل[1]، لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض»[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي[3] قال: خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة تبوك، فأتينا وادي القرى[4] على حديقة[5] لامرأة، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) لم يذكر نسبه، ذكره الطبري والترمذي في الصحابة، وأورده المستغفري في ترجمة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي. وهو خطأ صريح، فإن هذا مات كافراً، وقصته معروفة، والظاهر أن المذكور (أسلمي) إن صح الحديث الذي رواه الطبري والبغوي في ترجمة عامر بن مالك. قال عبد الله بن بريدة الأسلمي: حدثني عمي عامر بن الطفيل...

انظر: الإصابة ٢/٢٥١.

(٢) في ط (لأنظر إليه بين السماء والأرض).

الذي عند البخاري هكذا: (وعن أبي أسامة، قال: قال هشام بن عروة فأخبرني أبي، قال: «لما قتل الذين ببئر معونة، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: ــ أي ابن مالك بن جعفر الكلابي (الغادر) ــ من هذا؟ فأشار إلى قتيل. فقال له عمرو بن أمية ــ وهو الوحيد الذي لم يقتل ــ: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع). وهذه الرواية في البخاري تابعة للحديث رقم (٤٠٩٣) من باب غزوة الرجيع، كتاب المغازي ٧/٣٨٩ من الفتح.

(٣) **أبو حميد الساعدي**: هو المنذر بن سعد بن المنذر ــ أو ابن مالك ــ قيل: اسمه، عبد الرحمن، وقيل: عمرو، صحابي مشهور شهد أحداً وما بعدها، وعاش إلى خلافة يزيد سنة ٦٠هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٤١٤؛ وأسد الغابة ٥/٧٨.

(٤) هو: واد بين المدينة والشام، من أعمال (مناطق) المدينة، كثير القرى.

انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٤١٧.

(٥) قال البخاري: «قال أبو عبد الله ــ يعني نفسه ــ: كل بستان عليه حائط فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة».

انظر: الفتح ٣/٣٤٤.

وسلّم ــ : «أخرصوها»[1] فخرصناها، وخرصها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشرة أوسق[2]. قال: «أحصيها[3] حتى نرجع إليك ــ إن شاء الله تعالى[4]ــ» فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ستهب عليكم ــ الليلة ــ ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد[5]، فمن كان له بعير، فليشد عقاله» فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء »[6].

وروى[7] الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليَسَر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو، أحد

---

(١) من الخرص، وهو حزر ما على النخل من الرطب تمراً.
انظر: الفتح ٣/٣٤٤.

(٢) الوسق: ستون صاعاً، بصاع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو خمسة أرطال وثلث.
انظر: اللسان ١٠/٣٧٨، مادة وسق.

(٣) في ك و ط (أحصها).
أي: احفظي عدد كيلها، وأصل الإحصاء: العدد بالحصى، لأنهم كانوا لا يحسنون الكتابة، فكانوا يضبطون العدد بالحصى.
انظر: الفتح ٣/٣٤٥.

(٤) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٥) في ك و ط زيادة (منكم).

(٦) جبل طيء، هما أجأ وسلمى، بينهما وبين المدينة ثلاث مراحل (٥٠٠ كلم تقريباً)، وطيء: هو جلهمة بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.
انظر: معجم البلدان ١/٩٤ و ٩٧.
رواه البخاري، بمثله، كتاب الزكاة باب خرص التمر، ٣/٣٤٣ (١٤٨١) من الفتح.
ومسلم بمثله، كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٤/١٧٨٥ (١٣٩٢).

(٧) في أ (ورواه) وهو تحريف ظاهر.

بني سلمة[1]. فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: (كيف أسرته يا أبا اليَسَـر)[2]؟ فقال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وقال للعباس: «يا عباس، أفد نفسك، وابن[3] أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث[4] وحليفك عتبة بن جحدم[5] أخو بني الحارث[6] بن فهر»[7]. قال: فإني قد كنت مسلماً

---

(١) **أبو اليَسَر**: هو كعب بن عمرو بن عباد، السلمي، الأنصاري، صحابي بدري جليل، مات بالمدينة سنة ٥٥هـ وقد زاد على المائة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٣٥.

(٢) سبب هذا السؤال ما روي أن ابن عباس قال: «قلت لأبي: كيف أسرك أبو اليسر، ولو شئت لجعلته في كفك؟ قال: يا بني لا تقل ذاك، لقد لقيني وهو أعظم في عيني من الخَنْدَمَة»، قال الهيثمي: «رواه الطبراني والبزار، وفيه علي بن زيد وهو سيِّىء الحفظ، وبقية رجاله وثقوا». والخندمة: جبل بمكة. وقد كان العباس طويلاً جسيماً، وكان أبو اليسر قصيراً. فقد روي عن جابر: أسر العباس فلم يوجد له قميص يقدر عليه»، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن خالد وهو ضعيف، وقد وثق».
انظر: المجمع ٦/٨٥؛ وأسد الغابة ٤/١٨٤.

(٣) في ك و ط (وابني) بالتثنية.

(٤) **نوفل بن الحارث**: هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، يكنى أبا الحارث، وهو ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان أحسن أخوته، ومن سائر من أسلم من بني هاشم، آخى الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بينه وبين العباس، وكان ممن ثبت يوم حنين، وتوفي بالمدينة سنة ١٥هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٥٩٤؛ والإصابة ٣/٥٧٧؛ والبداية والنهاية ٧/٦٢.

(٥) هو عتبة بن عمرو بن جحدم.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٧.

(٦) سقط من ط قوله: (وحليفك عتبة بن جحدم أخو بني الحارث) وبقيت (ابن فهر).

(٧) هم بنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قبل ذلك وإنما استكرهوني. قال: «الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك» وقد كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أخذ منه عشرين أوقية[1] ذهباً. فقال: يا رسول الله، أحسبها لي من فداي. قال: «لا، ذلك شيء أعطانا الله منك». قال: فإنه ليس لي مال. قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت عند أم الفضل[2]، وليس معك أحد غيركما؟ فقلت: إن أصبت في سفري هذا، فللفضل[3] كذا، ولقُثَم[4] كذا، ولعبد الله كذا؟» قال: فو الذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها وأني أعلم أنك لرسول الله[5].

= انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ و ١٧٦.

(١) الأوقية سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءاً.
انظر: اللسان ١٥/٤٠٤، مادة وقي.

(٢) هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، زوج العباس، وأخت ميمونة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال ابن حبان: «ماتت بعد العباس في خلافة عثمان».
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦١٣.

(٣) **الفضل**: هو ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأكبر ولد العباس، استشهد في خلافة عمر.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١١٠.

(٤) **قثم**: هو ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي، صغير، مات سنة ٥٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٣٥٣، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه راو لم يُسَم، وبقية رجاله ثقات. ولبعضه شاهد عند أحمد بلفظ: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله ليس هذا أسرني، أسرني رجل من القوم أنزع، من هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (قد آزرك الله بملك كريم). قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٦/٨٥ ـ ٨٦.

وفي صحيح البخاري: لما أرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجيش في غزوة مؤتة، وأَمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحه»[1].

فروى[2] البخاري عن أنس بن مالك، قال: نعى[3] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر، فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فأصيب، وإن عيني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[4].



(١) جاء هذا النص في ك و ط مع زيادة في آخره هكذا (عن نافع عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فإن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة). قال ابن عمر: «كنت معهم ففتشته يعني ابن رواحة فوجدنا فيما أقبل من جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنة ورمية».
رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٧/٥١٠ (٤٢٦١) من الفتح. ورواه أحمد في المسند ٥/٣٠٠.

(٢) في ك و ط (وروى).

(٣) أي: أخبرهم بموته.
انظر: الفتح ٧/٥١٢ ـ ٥١٣.

(٤) رواه البخاري، وليس فيه التصريح بالاسم (خالد بن الوليد) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ـ رضي الله عنه ـ ٧/١٠٠ (٣٧٥٧) وفي المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ٧/٥١٢ (٤٢٦٢) من الفتح.

فصل

آيات النبي المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير

وآياته[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المتعلقة[2] بالقدرة والفعل والتأثير أنواع، الأول منها: ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر[3] * وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة[4] لما بعث، كمعراجه إلى السماء * فقد ذكر الله[5] انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

أحدهما[6]: كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفَلَك[7]، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء، من انشقاق السموات، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ

(١) سقطت الواو من ط.
(٢) في ك و ط (المعلقة).
(٣) ما بين النجمتين تقدم في أ فجاء بين كلمة (والتأثير) وكلمة (أنواع).
(٤) في أ (الثابتة).
(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.
(٦) في ط (إحداهما).
(٧) أي الإجرام السماوية.

جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (١) ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ (٢).

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر(٣) دون الشمس وسائر الكواكب، لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم(٤)، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفَلَك، إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه(٥) الانشقاق، لكل من يراه، ظهوراً لا يتمارى فيه، وأنه ــ نفسه ــ إذا قبل الانشاق فقبول(٦) محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه. وكان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، مثل صلاة الجمعة والعيدين، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها، والاعتبار بما فيها، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة.

وفي صحيح مسلم: أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي(٧):

---

(١) أي: واعظ لهم عن التمادي في الكفر والضلال.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٨٤.

(٢) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٧.

(٣) سقطت (القمر) من ك.

(٤) فمتوسط بعد القمر عن الأرض مائتين وثمانية وثلاثين ألف ميل، بينما تبعد الشمس عن الأرض واحداً وتسعين مليون ونصف مليون ميل.
انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٥٠٠.

(٥) في ط (يظهر الانشقاق فيه).

(٦) في ط (فقبوله).

(٧) هو الحارث بن عوف، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني، اختلف في شهوده بدراً، يعد في أهل المدينة، جاور بمكة سنة ومات بها، ودفن في =

«ما كان يقرأ به[1] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الأضحى والفطر»؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ (قاف[2] والقرآن المجيد) واقتربت الساعة وانشق القمر»[3].

ومعلوم بالضرورة في مُطَّرِد العادة، أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك، فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين. ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له، واتباعهم إياه. فلو لم يكن انشق، لما كان يخبر به ويقرؤه على جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «إن أهل مكة سألوا نبي الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين»[4].

= مقبرة المهاجرين بفَخّ سنة ٦٨هـ وله ٧٥ أو ٨٥ سنة.
انظر: أسد الغابة ٥/٣٢٥؛ والإصابة ٤/٢١٥ ــ ٢١٦.

(١) سقطت (به) من ك.

(٢) في ط فيها بـ (ق).

(٣) رواه مسلم بمثله، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين. ٢/٦٠٧ (٨٩١).

(٤) في ك و ط (فرقتين).
رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، ٤/٢١٥٩ (٢٨٠٢). وهو بهذا اللفظ ليس عند البخاري.
قال الحافظ ابن حجر: «قال العماد ابن كثير: في الرواية التي فيها (مرتين) نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين. قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات، ثم راجعت نظم شيخنا ــ يقصد: الحافظ أبا الفضل، ــ فوجدته ــ يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:

فصار فرقتين فرقة علت ... وفرقة للطَّوْد منه نزلت
وذاك مرتين بالإجماع ... والنص والتواتر والسماع

فجمع بين قوله: (فرقتين) وبين قوله: (مرتين) فيمكن أن يتعلق الإجماع بأصل =

وعنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين»[1].

ورواه الترمذي، وزاد فيه[2]: فنزلت:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ. . .﴾.

إلى قوله ــ تعالى ــ:

﴿. . . سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[3].

يقول: ذاهب[4].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شِقَّتين[5]، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «اشهدوا»[6].

= الانشقاق، لا بالتعدد. . . وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر بحجج لا تستحق أن يلتفت إليها».

انظر: الفتح ١٨٣/٧ و ١٨٥.

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر، ١٨٢/٧ (٣٨٦٨) من الفتح. ورواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، ٢١٥٩/٤ (٢٨٠٢).

(٢) في ك و ط (زاد الترمذي).

(٣) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر، ٣٩٧/٥ (٣٢٨٦) بلفظ (مرتين). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) **الشِّقة**: نصف الشيء.

انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٣.

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة اقتربت الساعة، باب: «وانشق القمر» «وإن يروا آية يعرضوا»، ٦١٧/٨ (٤٨٦٤) من الفتح. ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٢١٥٨/٤ (٢٨٠٠).

وعن ابن مسعود ـ أيضاً ـ قال: «رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة، قبل مخرج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شِقَّة على جبل أبي قُبَيس[1]، وشقة على السّويداء[2]، فقال كفار قريش ـ أهل مكة ـ هذا سحر، سحركم به ابن أبي كبشة[3]، انظروا السُّفار[4] فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم، فقد صدق، وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم، فهو سحر. قال: فسئل السفار، وقدموا من كل وجه، فقالوا: (رأينا). رواه البخاري ومسلم[5].

---

(١) أبو قُبَيس: هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها، وجهه إلى قعيقعان، ومكة بينهما، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) لأنه استودع فيه الحجر الأسود أيام الطوفان ـ فيما يقال ـ.
انظر: مراصد الاطلاع ١/ ٢٠.

(٢) قال ابن منظور: «السُّويداء: موضع بالحجاز». وقال ابن حجر: «ناحية خارج مكة عندها جبل».
انظر: اللسان ٣/ ٢٣١، مادة سود. والفتح ٧/ ١٨٤.

(٣) المقصود هو الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وذكر بعض جماعة من أجداد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من قِبل أبيه ومن قِبل أمه كل واحد منهم يكنى أبا كبشة، وقيل: هو أبوه من الرضاعة، واسمه: الحارث بن عبد العزى، وقيل: هو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة، واسمه: وجز بن عامر بن غالب.
انظر: الفتح ١/ ٤٠.

(٤) السُّفَّار: جمع مسافر.
انظر: المصباح المنير ص ٢٧٨.

(٥) بل رواه البيهقي في الدلائل مُفَرَّقاً في روايتين كلاهما عن عبد الله بن مسعود، الأولى من طريق أبي معمر، والثانية من طريق مسروق، بمثلها.
انظر: الدلائل ٢/ ٢٦٥ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
ورواه أبو نعيم في الدلائل ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ من روايتين كلاهما من طريق مسروق =

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال: «انشق القمر على زمان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ».

وروى مسلم عن ابن عمر في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[2].

قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ انشق القمر فلقتين[3]، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «اللهم اشهد»[4].

وعن جبير بن مطعم قال: «انشق القمر ونحن بمكة، حتى صار فرقتين على هذا الجبل، [5]وعلى هذا الجبل، فقال الناس: سحرنا محمد[6]! قال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم». رواه

= عن ابن مسعود، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٣٨ (٢٩٥) من طريق أبي الضحى، قال ابن حجر في مقدمة الفتح: ٥١: «ورويناها بعلو في (المعرفة لابن منده)». وليس لهاذين اللفظين أثر عند البخاري ولا مسلم خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة اقتربت الساعة، باب: «وانشق القمر...» ٨/٦١٧ (٤٨٦٦) من الفتح.

(٢) سورة القمر: الآية ١.

(٣) الفِلْقة: إذا شق القضيب باثنين، فكل شِق فِلْق، وفلقة الجَفْنة: نصفها، والكسرة ـ أيضاً ـ.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٢٠.

(٤) رواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٤/٢١٥٩ (٢٨٠١).

(٥) في ك و ط زيادة (فقال).

(٦) في ط زيادة الجملة الدعائية. وليست في محل مناسب.
سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر، ٥/٣٩٨ (٣٢٨٩).

الترمذي[1].

وكـذلك صعـوده ليلة المعراج إلى مـا فوق السمـوات، وهذا ممـا تواترت به الأحاديث، وأخبر به القـرآن، أخبر بمسـراه ليلاً من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهـو بيت المقـدس، وفي مـوضـع آخـر بصعوده إلى السموات، فقال ــ تعالى ــ:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2].

فأخبر ــ هنا ــ بمسراه ليلاً بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك، ليريه من آياته.

ومعلوم أن الأرض قـد رأى سائـر[3] النـاس مـا فيهـا من الآيـات، فعلم أن ذلـك ليريـه آيات لم يـرها عمـوم الناس، كمـا قال في السـورة الأخرى:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ[4] عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ[5] ﴿١٤﴾

---

(١) قـال الحـافظ ابن كثيـر عن انشقـاق القمـر في عهـد النبـوة: «... ثبت ذلـك في الأحاديث المتواترة بالأسـانيد الصحيحـة... وهذا أمـر متفق عليه بين العلمـاء... وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».
انظر: تفسير القرآن العظيم ٧/٤٤٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١.

(٣) سقطت (سائر) من ك و ط.

(٤) أفتمارونه: أفتجادلونه.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٢٧٣.

(٥) قال المفسرون: هي التي في السمـاء السابعـة قرب العـرش، والسدرة شجـر النبق، تنبـع من أصلها الأنهـار، وهي عن يمين العرش، وسميت سـدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة، ولا يعلم أحد ما وراءها إلاَّ الله ــ عز وجل ــ.
انظر: المصدر والموضع السابق.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[1].

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ :

﴿... وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ...﴾[2].

قال: «هي رؤيا عين، أريها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليلة أسريَ به»[3].

فكان[4] في إخباره بالمسرى (لنريه من آياتنا)[5] بيان أنه رأى من آياته ما لم يره الناس، وقد بين ذلك في السورة الأخرى، فإنه[6] رأى جبريل عند سدرة[7] المنتهى:

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[8].

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٢ ـ ١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء) باب: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاَّ فتنة للناس» ٨٠/٣٩٨ (٤٧١٦) من الفتح. ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ١٨، ومن سورة بني إسرائيل ٥/٣٠٢ (٣١٣٤). والظاهر أنه ليس عند مسلم، خلافاً لما قال الشيخ المؤلف.

(٤) في ك (وكان) وفي ط (كان).

(٥) في ك و ط (ليريه من آياته).

(٦) في ك و ط (وأنه).

(٧) في ك و ط بالتعريف (السدرة).

(٨) سورة النجم: الآيتان ١٦، ١٧.
فسرها ابن مسعود بأنه: فَراش من ذهب. وذلك في حديث تفرد به مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سورة المنتهى ١/١٥٧ (١٧٣). ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٤٢٩. وروى الطبراني حديثاً عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر =

وأنه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى. وذكر في تلك السورة المسرى، لأنه أمكنه أن يقيم[1] عليه برهاناً. فإنه لما أخبرهم به، فكذبه من كذبه، وتعجبوا من ذلك، سألوه عن نعته وصفته[2]، فنعته لهم، لم يخرِم[3] من النعت شيئاً، وأخبر خبر عيرهم[4] التي كانت في الطريق[5]، فظهر لهم صدقه، وكان صدقه[6] في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما أراه[7] من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء.

وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي، أو بتسخير[8] الجن، كما في قصة بلقيس حيث:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ[9] أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ[10] وَإِنِّي عَلَيْهِ

= الرازي ــ أحد الرواة ــ قال: «... فغشيها نور الخَلَّاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر...».
انظر: جامع البيان ص ٢٧ ــ ٥٦.

(١) في أ (يقم) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٢) في ك و ط (صفاته).
(٣) أي: لم ينقص ولم يقطع.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٤.
(٤) العِيْر: هي الإبل التي تحمل الطعام، ثم غلب على كل قافلة.
انظر: المصباح المنير ٢/٤٤٠.
(٥) سيأتي إثبات ذلك قريباً.
(٦) في ك (صدقهم).
(٧) في ك و ط (ما رآه).
(٨) في ك و ط (تسخيراً).
(٩) أي: مارد من مردة الجن.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٤٠٩.
(٣) أي: مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم، وكان غَرَضُه =

﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1]

فإن قَطْع الجسم للمسافة البعيدة أنما كان لِمَا أوتيه سليمان من الملك، كما كانت الريح:

﴿. . . تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ[2] ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾[3].

وهذا تسخير ملكي.

وقَطْعُ ـ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [4]كان لما أراه الله من الآيات، التي ميّزه بها على سائر النبيين، وكان ذلك فتنة: أي محنة وابتلاء[5] للناس، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه. وأحاديث المعراج، وصعوده إلى ما فوق السموات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة والنار، والملائكة والأنبياء في السموات، والبيت المعمور[6]، وسدرة المنتهى وغير ذلك، معروف

= أن يأتيه به في أقل من نصف نهار.
انظر: المصدر والموضع السابق.
قال المفسرون: هو (آصف بن برخيا) وكان من الصديقين، يعلم اسم الله الأعظم. وهو الذي أتى بالعرش بلمح البصر.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(١) سورة النمل: الآيتان ٣٩، ٤٠.
(٢) المعنى: تسير بأمره لينة طيبة، حيث قصد وأراد.
انظر: المصدر السابق ٢٣/ ٦٠.
(٣) سورة ص: الآيات ٣٦ ـ ٣٨.
(٤) أي: قطعه المسافة في الإسراء.
(٥) اللسان ١٣/ ٣١٧، مادة فتن.
(٦) **البيت المعمور**: في السماء السابعة، يطوف به أهل السماء السابعة كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وقد وجد الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إبراهيم الخليل مسنداً =

متواتر في الأحاديث، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله. يظهر به تحقيق قوله ــ تعالى ــ:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ . . . ﴾[1].

فالدرجات التي رُفِعَها محمد ليلة المعراج، وسيُرْفَعها في الآخرة، في المقام[2] المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، الذي ليس لغيره مثله[3].

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة[4]، وأبي ذر، ومن رواية ابن عباس، وأبي[5] حبّة الأنصاري[6] وغيرهم.

= ظهره إلى البيت المعمور، وفي كل سماء بيت يصلي إليه أهلها، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٠٣/٧ ــ ٤٠٤.

(١) روح القدس: هو جبريل ــ عليه السلام ــ.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٤٩/١.
سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) في ك و ط (كالمقام).

(٣) في ك و ط (مثلها).

(٤) مالك بن صعصعة: هو: ابن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الأنصاري الخزرجي، ثم المازني. روى عن النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ حديثين، وكأنه مات قديماً.
انظر: أسد الغابة ٢٥١/٤؛ والإصابة ٣٤٦/٣؛ وتقريب التهذيب ٢٢٥/٢.

(٥) في أ (وأبا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٦) أبو حبة الأنصاري: هو الأوسي البدري، قيل: اسمه عامر، وقيل: مالك، وكذلك وقع الاختلاف في كنيته هل أبو حبة بالباء أم بالنون أم بالياء، وصوب أبو عمر بن =

فروى أنس: أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «أتيت بالبُرَاق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره» قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»[1]، قال: «فربطته بالحلقة التي تربِط بها الأنبياء» قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال: جبريل ــ عليه السلام ــ «اخترت الفطرة» ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قيل: وقد[2] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه[3]. قال: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير[4]. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ــ عليه السلام ــ فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قيل: و[5] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابنَيْ الخالة، عيسى ويحيى بن زكريا ــ عليهما السلام ــ، فرحبا بي، ودعوا لي بخير[6].

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل: فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه

= عبد البر أنه بالباء ــ الموحدة التحتية ــ وقد خلط بينه وبين آخر استشهد يوم أحد، ورُجح أنه غيره، وأن هذا تأخر إلى أيام معاوية.
انظر: أسد الغابة ٥/٦٥؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٦٦ ــ ٦٧.

(١) في أ (القدس).
(٢) في ط زيادة همزة الاستفهام هكذا (أوقد).
(٣) سقطت (قد بعث إليه) من أ.
(٤) سقطت (بخير) من ك و ط.
(٥) في ك (قد بعث) وفي ط (أو قد بعث).
(٦) في ك و ط (الخير).

وسلَّم ــ . قيل[1]: وقد[2] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ــ عليه السلام ــ وإذا هو قد أعطي شطر[3] الحُسن[4]، قال: فرحب بي، ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، قيل: وقد[5] بعث إليه، قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرحب[6] ودعا لي بخير: قال الله ــ عز وجل ــ :

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[7].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ــ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد

---

(١) في أ (قال) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ط (أوقد).

(٣) في ط زيادة (من).

(٤) قال ابن حجر: «حمله ابن المنير على أن المراد: أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ . والذي دعاه إلى ذلك ما رواه الترمذي عن قتادة قال: «ما بعث الله نبياً إلاَّ حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت. . .» الشمائل المحمدية: ٢٥٤ (٣٠٣) وهو أثر مرسل». قلت: والذي أرجحه أن جمال الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحسنه كان معتدلاً لم يخرج عن حدوده المألوفة في زمنه، بخلاف جمال يوسف ــ عليه السلام ــ فقد شبهه نسوة امرأة العزيز بالمَلَك، وقَطّعن أيديهم. كما في سورة يوسف: الآية ٣١، ولم يرد فيما أعلم عن أحد ممن لقى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من العرب أو العجم من وصف حسنه وجماله بذلك.

انظر الفتح: ٧: ٢١٠.

(٥) في ط (أوقد).

(٦) في ط زيادة: (بي).

(٧) سورة مريم: الآية ٥٧.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قيل: [1]وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] فرحب[3] ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ـ عليه السلام ـ ، فرحب[4] ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ ، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قيل: وقد [5] بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مسند[6] ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقِلال[7] قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي[8]، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله[9] إليَّ

---

(١) في ك (فقيل). وفي ط (فقيل أوقد).
(٢) في ك و ط (عليه السلام).
(٣) في ك و ط زيادة (بي).
(٤) في ط زيادة (بي).
(٥) في ط (أوقد).
(٦) في ط (مسند) بغير النصب.
(٧) القلال: الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها. وهي التي وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله: «إذا بلغ الماء قلتين».
انظر: الفتح ٢١٣/٧.
(٨) في ط (غشيها).
(٩) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

مـا أوحى، ففرض عليَّ خمسين صـلاة في كـل يـوم وليلة. فنـزلت إلى مـوسى ــ عليه السـلام ــ ، فقال: مـا فـرض ربـك على أمتـك؟ قلت: خمسين صـلاة. قـال ارجـع إلى ربـك فـاسـألـه التخفيف، فـأن أمتـك لا تـطيق[1] ذلك، فـإني قد بلوت[2] بني إسـرائيـل وخبـرتهم[3]. قـال: فــرجعت إلى ربـي فقلت: رب خفف عن أمتي، فحط عنـي خمـسـاً. فـرجعت إلى مـوسى ــ عليــه السـلام ــ ، فقلت: حُط عني خمس[4]. قال: فإن أمتـك لا يطيقـون ذلك، فـارجع إلى ربـك فاسـأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين [5] ربـي ــ تبارك وتعالى ــ وبين موسى ــ عليه السـلام ــ ، حتى قـال لي: يـا محمـد، إنهن خمس صلوات كـل يـوم وليلة، لكـل صلاة عشـر، فتلك خمسـون صـلاة، ومن هَمّ بحسنـة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملهـا كتبت له عشـراً[6]، ومن هم بسيئة فلم يعملها، لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ــ عليه السلام ــ فأخبرته. قال: إرجع إلى ربك فاسألـه التخفيف. فقال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «فقلت: قد رجعت إلى ربـي حتى استحييت منه».

وفي روايـة، قـال: «فـأُتيت فـانــطلق بـي إلى زمـزم فشــرح عن

---

(١) في ك و ط (يطيقون).

(٢) بلوت: جربت واختبرت.

انظر: مختار الصحاح ص ٦٥.

(٣) خبرتهم: علمتهم وعرفتهم:

انظر: مختار الصحاح ص ١٦٨.

(٤) في ك و ط (خمساً).

(٥) في ك و ط زيادة (يدي).

(٦) في ك و ط (عشر) بدون نصب.

صـدري، ثم غسـل بمـاء زمـزم، ثم أُنـزلـت طست من ذهب، مملؤة حكماً[١] وإيماناً، فحشى بها صدري».

وفي رواية: «فشق من النحر إلى مراقّ[٢] البطن».

وقال ــ عن البيت المعمور ــ: «فقلت: ما هذا؟ قـال: بناء بنـاه الله لملائكته، يـدخل فيـه كـل يـوم سبعـون ألف ملك، يقـدسـون الله، ويسبحونه، لا يعودون إليه» وفي حديث أبـي ذر: «فنزل جبريل ففـرج[٣] صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغهـا في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيـدي، فعرج بـي إلى السماء الدنيا، فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل لخازن سماء الدنيـا: افتح، قال: من هذا؟ قال: [٤]جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد[٥] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فلما علونا السمـاء، فإذا رجـل عن يمينه أَسْوِدة، وعن يساره أسودة، قال: فإذا نـظر عن يمينه ضحـك، وإذا نـظر عن[٦] شمالـه بكى. قـال: مـرحبـا بـالابن الصـالـح، والنبـي الصـالح. قـال: قلت: يا جبـريل من هـذا؟ قـال: هـذا[٧] آدم، وهـذه الأَسْـوِدَة عن يمينه وعن شمـاله نَسَمُ بَنِيْـه[٨]، فأهـل اليمين: أهل الجنة،

---

(١) في ك و ط (حكمة).
(٢) في ط (مرافق).
(٣) في ط (فشرح).
(٤) في ك و ط زيادة (هذا).
(٥) في ط (رسول الله).
(٦) في ك و ط (قبل).
(٧) سقطت (هذا) من ك و ط.
(٨) أي نفوسهم وأرواحهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٥٨؛ واللسان ١٢/٥٧٣، مادة نسم.

والأسودة التي عن شماله أهل النار»[1].

قال الزهري: «وأخبرني ابن حزم[2] أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ثم عَرَجَ[3] بي، حتى ظهرت بمستوى أسمع منه[4] صريف الأقلام[5]».

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: «لما أسري برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها قال:

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[6].

---

(١) لفظ هذا الحديث هو بمثل لفظ مسلم، مجموع من روايتين، كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى السماوات وفرض الصلوات، ١/١٤٥ ــ ١٤٩ (١٦٢ ــ ١٦٣). ورواه البخاري بلفظ آخر، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/٣٠٢ ــ ٣٠٣ (٣٢٠٧) وفي مناقب الأنصار، باب المعراج، ٧/٢٠١ ــ ٢٠٢ (٣٨٨٧) من الفتح.

(٢) ابن حزم: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري المدني، القاضي، اسمه وكنيته واحد، وقيل: أنه يكنى أبا محمد، ثقة عابد مات سنة ١٢٠هـ وقيل غير ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ٥/٣١٣ ــ ٣١٤.

(٣) الضمير المستتر هنا يعود إلى جبريل ــ عليه السلام ــ وضبط الكلمة من الصحيح.

(٤) في ك و ط (فيه).

(٥) ظهرت: علوت، المستوى، قيل: المصعد، وقيل: المكان المستوي. وصريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٢٢١.
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء. . .، ١/١٤٩ (١٦٣).

(٦) سورة النجم: الآية ١٦.

قال: فَرَاش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم[1] يشرك بالله شيئاً من أمته المقْحِمات»[2]. وعنه[3] في قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[4].

قال[5]: إن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى جبريل في صورته[6] له ستمائة جناح»[7].

وفي الصحيحين، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ـ صلَّى الله

---

(١) في ك و ط (لا).

(٢) **المقحمات**: هي الذنوب العظام الكبائر، التي تهلك أصحابها، وتوردهم النار وتقحمهم إياها. والتقحيم: الوقوع في المهالك. ومعنى هذه الجملة: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله ـ تعالى ـ غفر له المقحمات. والمراد بالغفران هنا ـ فيما يرجح ـ: عدم الخلود في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً.

انظر: شرح النووي لمسلم ٣/٣.

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهي، ١/١٥٧ (٢٧٩). إلاَّ أن فيه تقديم «من أمته» على كلمة «شيئاً».

(٣) أي: عن ابن مسعود ـ أيضاً ـ .

(٤) سورة النجم: الآية ٩.

(٥) في أ (قال النبي) وفي ط (أن النبي) وقد صوبناهما من ك.

(٦) في ط زيادة الواو هنا.

(٧) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ١/١٥٨ (١٧٤) ورواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين. . . ، ٦/٢١٣ (٣٢٣٢ و ٣٢٣٥) مجموع من روايتين من الفتح.

عليه وسلَّم ـ قال: «لما كذبتني قريش، قمت في الحِجْر، فجلّى[1] الله لي بيت المقدس، فطفقت[2] أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[3]».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لقد رأيتني في الحِجْر. وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها[4]، فكربت كربة، ما كربت مثلها[5] قط»، قال: «فرفعه الله لي[6] أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[7].

[8]وصعود الأدمي ببدنه إلى السماء قد ثبت في أمر المسيح،

---

(١) أي: كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته.
انظر: الفتح ٧/٢٠٠.

(٢) طفق بمعنى جعل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٩٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ٧/١٩٦ (٣٨٨٦) من الفتح. ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١/١٥٦ (١٧٠).

(٤) أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها. تعليق عبد الباقي على مسلم ١/١٥٧.

(٥) في المتن عند مسلم (مثله) قال الشارح: والضمير في (مثله) يعود على معنى الكربة، وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشيء، . . . والكربة: الغم الذي يأخذ بالنفس.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٢٣٨.

(٦) في ك و ط (إلى).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ١/١٥٦ ـ ١٥٧ (١٧٢) وبقية الحديث: «. . . وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. . . ، فذكر موسى وعيسى وإبراهيم، وأنه صلَّى بهم ثم سلَّم عليه (مالك) ـ عليه السلام ـ صاحب النار، وأن مالكاً ابتدأه بالسلام».

(٨) في ك و ط زيادة (قلت).

عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ ، فإنه صعد إلى السماء، وسوف ينزل إلى الأرض. وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين، فإنهم يقولون: إن المسيح صعد إلى السماء ببدنه وروحه، كما يقوله المسلمون ويقولون: إنه سوف ينزل إلى الأرض ــ أيضاً ــ ، كما يقوله المسلمون، وكما أخبر به النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الأحاديث الصحيحة. لكن كثيراً[1] من النصارى يقولون: إنه صعد بعد أن صلب، وأنه قام من القبر. وكثير[2] من اليهود يقولون: إنه صلب، ولم يصعد، ولم[3] يقم من قبره. وأما المسلمون، وكثير[4] من النصارى فيقولون: إنه لم يصلب، ولكن صعد إلى السماء بلا صلب.

والمسلمون ومن وافقهم من النصارى، يقولون: إنه ينزل إلى الأرض قبل القيامة، وأن نزوله من أشراط الساعة، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة. وكثير[5] من النصارى يقولون: إن نزوله هو يوم القيامة، وإنه هو الله الذي يحاسِب الخلق. وكذلك إدريس صعد إلى السماء ببدنه، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلى السماء ببدنه.

ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعُمدته[6] شيئان:

أحدهما: أن الجسم الثقيل[7] لا يصعد، وهذا في غاية الضعف،

---

(١) (كثيراً) جاء في أ بغير النصب وكذلك في ك. والأولى ما أثبتناه من ط.

(٢) في ط (كثيراً).

(٣) سقطت (يصعد ولم) من ك و ط.

(٤) في ك زيادة (ومن وافقهم).

(٥) في ط (كثيراً).

(٦) **عمدته**: معتمده ومقصوده الأعظم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٢٩.

(٧) في ط (الصقيل).

فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن إلى الشام في لحظة[1] ولما[2] قال سليمان:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[3].

ومثل حمل الريح لسليمان ـ عليه السلام ـ وعسكره، لما كان يحمل البساط في الهواء، وهو جالس عليه بأصحابه، ومثل حمل قرى قوم لوط[4]، ثم إلقائها في الهواء، ومثل المسرى إلى بيت المقدس، الذي ظهر صدق الرسول بخبره.

وبهذا يظهر جوابهم عن أنكارهم انشقاق القمر، فإن عمدتهم فيه:

---

(١) في أ رسمت (الحظة) بزيادة ألف في أولها، وهو خطأ نسخي.
اللحظة: أصلها: النظرة بمؤخر العين من جانب الصدغ أو من جانب الأنف، ثم استعملت في الزمن اليسير جداً.
انظر: اللسان ٧/٤٥٩، مادة لحظ.

(٢) في ك و ط سقطت الواو العاطفة.

(٣) سورة النمل: الآيات ٣٨ ــ ٤١.
لم تكمل الآية الأخيرة في ك، فقد انتهت عند قوله: (أتهتدي).

(٤) **وأعظمها**: سدوم ثم صبعة وعمرة ودوما وصعوة، وكان أهلها أربعمائة ألف، وهم أصحاب الكفر والفاحشة.
انظر: الكامل ٢/٥٧ و ٦٩.

أن الفلك لا يقبل الانشقاق، وقد عرف فسد ذلك عقلاً وسمعاً، وتواتر[1] عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات، وإيضاح الرد على هؤلاء، أن ما يثبتونه من أن الحركة لا بد لها من (جهة) و (محدد) يحدد الجهات، إنما يدل على الافتقار إلى جنس المحدِّد، لا يدل على الاحتياج إلى محدِّد معين[2].

فإذا قدر أنه خُلِق وراء المحدد محدداً آخر وخرق الأول، حصل به المقصود. وهكذا عامة أدلتهم أنما تدل على شيء مطلق، لكن يعينونه بلا حجة، فيغلطون في التعيين، كدليلهم على دوام الفاعلية، أو الحركة، أو زمانها[3]، فإن ذلك لا يدل على الحركة الفلكية، وأن الزمان هو مقدار الحركة، بل إذا كان الله قد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل، لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض هي مقدار حركة الشمس،التي هي مما خلق في تلك الأيام.

بل وقد أخبر الله ــ تعالى ــ أنه كان عرشه على الماء، قبل أن يخلق السموات والأرض، وأخبر أنه خلق السموات من دخان، وهو بخار الماء. فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخر، لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة،لم يكن هذا مناقضاً لما دلَّ عليه العقل.

---

(١) في ط (تواترت).

(٢) بعد هذا في أ كلمتان لم أستطع قراءتهما، وبعدهما سقط بمقدار نصف صفحة، وقد اتفقت عليه ك و ط إضافة إلى النسختين المساعدتين (أكسفورد) و (المكتبة السعودية بالرياض) فلذلك أثبتناه في الأصل. وسأشير إلى نهايته.

(٣) في أكسفورد (زمنها).

ورجال كثير[1] في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان إلى مكان في الهواء، وهذا مما تواتر عندنا، وعند من يعرف ذلك.

وأيضاً فمعلوم أن النار والهواء الخفيف تحرك[2] حركة قسرية فيهبط، والتراب والماء الثقيلان، يحركان حركة قسرية فيصعد، وهذا مما جرت به العادة.

والشبهة الثانية: ظن بعض المتفلسفة، كأرسطو[3] وشيعته، أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق، وحجتهم على ذلك في غاية الضعف، فإنهم قالوا: لو كانت تقبل الانشقاق، لكان المحدد للأفلاك، المحرك لها، يتحرك حركة مستقيمة، والحركة المستقيمة تحتاج إلى خلاء خارج العالم، ولا خلاء هناك.

وهذه الحجة فاسدة من وجوه:

منها: أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى، لا فيما دونه، كفلك القمر وغيره، وهذا مما أجابهم به الرازي[4] وغيره.

ومنها: أن وجود أجسام[5] خارج الفلك، كوجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء[6]. * وقوله بنفي الخلاء خارجه كقوله بنفي الخلاء عن

---

(١) في ك و ط (كثيرون).
(٢) في ك و ط (تحركه).
(٣) في أ (أرسطوا) بزيادة ألف في آخره.
(٤) الرازي المقصود به أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي، صاحب التفسير الكبير.
(٥) في ك و ط (الأجسام).
(٦) سقطت جملة (يحتاج إلى خلاء) من ك و ط.

حيزه *[1] فإن كان الخلاء عدماً محضاً، فهو منتف في الجانبين. وإن قيل: إنه أمر وجودي، لزم أن يحتاج إليه في الموضعين، وحينئذٍ فيبطل القول بنفيه.

وكذلك ما يذكرونه في[2] قدم العالم. فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما أخبرت به الرسل، ولكن قد تناقض ما يظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل، كما قد بسط في غير هذا الموضع[3].

والنوع الثاني[4]: آيات الجو، كاستسقائه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ واستصحائه[5]، وطاعة السحاب له، ونزول المطر[6] بدعائه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[7] ــ.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك: أن رجلاً دخل المسجد في

---

(١) العبارة التي بين النجمتين يقابلها في ك و ط «فقول القائل: إن ذلك يحتاج إلى خلا كقوله: إن وجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء، وقوله بنفي الخلاء عن حيزه».

(٢) في ط (من).

(٣) إلى هنا نهاية السقط من أ.

(٤) في أ (الثالث) والصواب أنه (الثاني) كما في ك و ط وكما يدل على ذلك السياق (النوع الثاني من آيات النبوة، المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير: آيات الجو).

(٥) **الاستسقاء**: طلب السقيا والمطر. والاستصحاء طلب الصحو، وهو انكشاف الغيم (السحب)، قال السجستاني: «والعامة تظن أن الصحو لا يكون إلاَّ ذهاب الغيم، وليس كذلك وإنما الصحو تفرق الغيم مع ذهاب البرد».
انظر: المصباح المنير ١/٢٨١ و ٣٣٤.

(٦) في ك و ط (وطاعة السحاب في حصوله وذهابه).

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ.
بعد هذا في ك و ط (ونزول المطربدعائه).

يوم جمعة، من باب كان نحو دار القضاء[1] ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يخطب، فاستقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا[2]. قال: فرفع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا». قال أنس: «فلا[3]والله، ما نرى في السماء من سحاب ولا من قزعة[4]، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سَلْع[5] من دار، فوالذي نفسي بيده، ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال[6] الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته»[7]. وفي رواية أخرى: «فطلعت من ورائه سحابة، مثل التُّرْس[8]، فلما توسطت السماء، انتشرت، ثم

---

(١) هي دار مروان بن الحكم بالمدينة، كانت لعمر بن الخطاب، فبيعت في دَينه بعد موته، وقيل: هي دار الإمارة بالمدينة.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٥٠٧.

(٢) في ط (يغثنا).

(٣) في ك و ط (ولا).

(٤) أي: سحاب متفرق أو قطع من السحاب رقاق وأكثر ما يجيء في الخريف.
انظر: الفتح ٢/٥٠٣.

(٥) سَلْع: جبل بسوق المدينة.
انظر: معجم البلدان ٣/٢٣٦.

(٦) في أ (امثلال) وظاهر أنه خطأ نسخي.

(٧) رواه مسلم بلفظه مثله إلى قوله: «ولا من قزعة...» والباقي بمعناه، كتاب صلاة الاستقساء، باب الدعاء في الاستقساء ٢/٦١٢ ـ ٦١٣ (٨٩٧).
ورواه البخاري بنحوه، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢/٤١٣ (٩٣٣) من الفتح.

(٨) أي: أنها مستديرة، والترس: هو ما يَتوقى به المقاتل.
انظر: الفتح ٢/٥٠٣، وانظر: اللسان ٦/٣٢، مادة ترس.

أمطرت، قال: فلا والله، ما رأينا[1] الشمس سبتاً. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله[2] يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب[3]، وبطون لأودية، ومنابت الشجر». قال: فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت، حتى رأيت المدينة في مثل الجَوْبة[4]، وسال الوادي قناة[5] شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا أخبر بجود»[6].

ومن هذا الباب، نَصْر الله[7] بالريح التي قال الله فيها:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[8].

---

(١) في ك و ط (رأيت).

(٢) في ك و ط زيادة (أن).

(٣) هو الجبل المنبسط ليس بالعالي، أو الرابية الصغيرة.
انظر: الفتح ٢/٥٠٥.

(٤) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد بها هنا: الفرجة في السحاب.
انظر: الفتح ٢/٥٠٦.

(٥) قناة: علم على أرض ذات مزارع ناحية أحد، وواديها أحد أودية المدينة المشهورة.
انظر: الفتح ٢/٥٠٦.

(٦) رواها البخاري بنحوها، كتاب الاستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، ٢/٥١٩ (١٠٣٣) من الفتح، ورواها مسلم بمثلها، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/٦١٤ (٨٩٧).

(٧) في ك و ط زيادة (له).

(٨) سورة الأحزاب: الآية ٩.

قال مجاهد: «يعني ريح الصَّبا[1]، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم[2] (وجنوداً لم تروها): يعني الملائكة»[3].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «نصرتُ بالصَّبا، وأهلكَتْ عاد بالدَّبُور»[4].

وفي المغازي والسير [5] قصة الأحزاب، وكيف أرسلت عليهم الريح و[6] الملائكة وانهزموا بغير قتال معروف.

نصرفه ـ عليه السلام ـ في الحيوان من آيات نبوته

والنوع الثالث[7]: تصرفه في الحيوان: الإنس والجن والبهائم.

---

(١) ومهبها المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. ومقابلتها الدبور.
انظر: اللسان ١٤/٤٥١، مادة صبا.

(٢) جمع فسطاط، وهو بيت من شعر.
انظر: مختار الصحاح ٥٠٣.
في ك و ط زيادة (حتى أظعنتهم).

(٣) رواه ابن جرير الطبري.
انظر: جامع البيان ٢١/١٢٨.

(٤) **الدبور**: تكون اسماً وصفة، وهي تهب من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل من التذكرة.
انظر: اللسان ٤/٢٧٢، مادة دبر.
رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «نصرت بالصبا» ٢/٥٢٠ (١٠٣٥) من الفتح. ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور ٢/٦١٧ (٩٠٠).

(٥) في ك و ط زيادة (والتفسير).

(٦) سقطت الواو من ط.

(٧) في أ (الرابع) والصواب أنه (الثالث) كما هو في ك و ط وكما يدل عليه تتبع السياق، وقد حصل في عد الأنواع خلل في جميع النسخ كما يأتي ـ إن شاء الله ـ.

فــروي عن عبــد الله بن جعفــر[1] قــال: «أردفني رســول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذات يوم، فأسر إليَّ حـديثاً لا أحـدث به أحـداً من الناس»، قال: «وكـان أحب ما استتـر به هـدف أو حائش نـخـل[2]، فدخل حائط رجل من الأنصـار فإذا جمـل، فلما رأى النبـي[3] ـ صلَّى الله عليــه وسلَّم ـ، حَنَّ وذرفت عينـاه، فــأتــاه النبـي ـ صلَّى الله عليــه وسلَّم ـ، فمسح رأسه وذفِـرَاه[4] فسكن، [5]قال: «لمن هـذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يـا رسول الله. فقال له رسول الله[6] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ: «ألا تتقي الله في هذه البهيمـة التي ملكـك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبـه»[7] روى[8] مسلم بعضه[9]،

(١) **عبد الله بن جعفر**: هو ابن أبـي طالب الهاشمي، أحد الأجـواد، ولد بـأرض الحبشة وله صحبة، مات سنة ٨٠هـ وله ٨٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٤٥٦ ـ ٤٦٢.

(٢) **الهدف**: ما ارتفع من الأرض. حائش نخل: حائط النخل، وهو البستان. ويقال له: حـش ـ أيضـاً ـ. انظر: شرح النووي لمسلم ٣/٣٥.
إلى هنا انتهت رواية الإمام مسلم، كتاب الحيض، باب ما يستتر به لقضاء الحاجـة، ١/٢٦٨ ـ ٢٦٩ (٣٤٢).

(٣) في ك و ط (رسول الله).

(٤) الذفرى: هو الموضع الذي يعـرق من البعير خلف الأذان، وهمـا ذفريـان من الناس ومن جميع الدواب، وهي مأخوذة من ذفر العرق.
انظر: اللسان ٤/٣٠٧، مادة ذفر.

(٥) في ك و ط زيادة (ثم).

(٦) في ك و ط (النبـي).

(٧) في ك و ط (تذيبه).
تدئبه، يريد: تكده وتتعبه.
انظر: مختصر شرح أبـي داود ٣/٣٨٧.

(٨) في أ (رواه) والأولى (روى) وهو كما في ك و ط.

(٩) تم تخريج رواية مسلم أثناء الحديث.

وبعضه على شرطه، ورواه أبو داود[١] وغيره[٢].

وروى[٣] أحمد، و[٤]الدارمي وغيرهما، عن جابر، قال: أقبلنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من سفر، حتى إذا دفعنا[٥] إلى حائط من حيطان بني النجار[٦]، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلاَّ شد عليه[٧]، فذكروا ذلك للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فجاء حتى أتى الحائط، فدعا البعير، فجاء واضعاً مشفره[٨] إلى الأرض، حتى برك[٩] بين يديه. قال: فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «هاتوا خطامه، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه». قال: ثم التفت إلى الناس، فقال:

---

(١) هو في مسند أبي داود بمثله، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٣/٢٣ (٢٥٤٩).

(٢) ورواه أحمد في المسند ١/٢٠٤ وبأطول منه ١/٢٠٥. ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٩٩ ـ ١٠٠، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) في ك و ط زيادة (الإمام).

(٤) سقطت الواو من أ.

(٥) دفعنا: جئنا.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٦.

(٦) بنو النجار: هم بنو تيم اللات ـ وإنما قيل له: النجار لأنه اختتن بقدوم، وقيل لأنه ضرب رجلاً بقدوم ـ ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. فهم قبيلة من الخزرج، وفيها بطون وأفخاذ وفصائل.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٧) شد عليه: حمل عليه يريد البطش به.
انظر: اللسان ٣/٢٣٥، مادة شدد.

(٨) المشفر للبعير: كالشفة للإنسان.
انظر: اللسان ٤/٤١٩، مادة شفر.

(٩) برك: أي استناخ، ضد القيام.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٩.

«إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلَّا يعلم أني رسول الله، إلَّا عاصي الجن والإنس»[1].

وروى الطبرَاني[2] عن جابر، قال: خرجنا في غزوة ذات الرقاع[3]، حتى إذا كنا بحرة واقم[4]، عرضت امرأة بدوية بابن لها، [5]إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان. قال: «فأدنيه مني» فأدنته[6]. فقال: «افتحي فمه» [7]، فبصق فيه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣١٠ بمثله، ورواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر ١٠/١١ بنحوه. قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف».
انظر: المجمع ٩/٧.

(٢) **الطبراني**: هو أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، كان حافظ عصره، أقام في الرحلة (في طلب العلم) ثلاثاً وثلاثين سنة، وله ألف شيخ، مولده سنة ٢٦٠هـ بطبرية وإليها ينسب، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها سنة ٣٦٠هـ كان يقول عن المعجم الأوسط: «أنه روحي». لأنه تعب عليه.
انظر: وفيات الأعيان ٢/٤٠٧؛ ولسان الميزان ٣/٧٣؛ وشذرات الذهب ٣/٣٠.

(٣) كانت في سنة ٤هـ. وهي بعد غزوة بني النضير، وسميت بذلك لأنهم رفعوا راياتهم، أو أنها شجرة بالموضع الذي نزلوا فيه، وقد لقي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم قتال.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٢١٣ ـ ٢١٤.

(٤) هي الحرة الشرقية من حرتي المدينة، وفي هذه الحرة كانت الوقعة المشهورة، في عهد يزيد بن معاوية.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٣٩٦.

(٥) في ك و ط زيادة (فجاءت).

(٦) في ك و ط زيادة (منه).

(٧) في ك و ط زيادة (ففتحته).

[1]وقال: «اخسأ عدو الله، وأنا رسول الله»، [2]ثلاث مرات، ثم قال: «شأنك بابنك، ليس عليه بأس، فلن يعود إليه شيء مما كان يصيبه».

وذكر قصة الشجرتين، إلى أن قال[3]: فنزلنا في واد من أودية بني محارب[4]، فعرض له رجل من بني محارب يقال له (غورث بن الحارث)[5] والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ متقلد سيفه، فقال: يا محمد أعطني سيفك هذا، فسله، فناوله إياه[6]، ونظر إليه ساعة، ثم أقبل على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: يا محمد من يمنعك

(١) في ك و ط (ثم).

(٢) في ك و ط زيادة (قالها).

(٣) في ك و ط زيادة (ثم خرجنا فنزلنا منزلاً، صحراء ديمومة، ليس فيها شجرة، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لجابر: «يا جابر انطلق فانظر لي مكاناً»، يعني للوضوء، فخرجت أنطلق فلم أجد إلَّا شجرتين مفرقتين، لو أنهما اجتمعتا سترتاه. فرجعت إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: يا رسول الله، والله ما رأيت شيئاً يسترك إلَّا شجرتين مفرقتين، ولو أنهما اجتمعتا، سترتاك. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «انطلق إليهما فقل لهما: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: اجتمعا». قال: فخرجت فقلت لهما، فاجتمعتا حتى كأنهما في أصل واحد. ثم رجعت فأخبرت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فخرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى قضى حاجته، ثم رجع فقال: ائتهما فقل لهما: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لكما: «ارجعا كما كنتما كل واحدة إلى مكانها». فرجعت فقلت لهما: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لكما: «ارجعا كما كنتما»، فرجعتا، ثم خرجنا...».

(٤) **بنو محارب**: هم بنو محارب بن خصَفة بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/١٧١؛ والفتح المبين ٧/٤١٨.

(٥) جاء في المسند الكبير لمسدد ما يصرح بعدم إسلام غورث، ومنهم من ظنه رجل آخر اسمه دعثور بن الحارث، أسلم، وأسلم على يديه ناس كثير من قومه، والظاهر أنهما رجلان في قصتين مختلفتين.
انظر: أسد الغابة ٢/٧ ـ ٨؛ والإصابة ٣/١٨٨ ـ ١٨٩.

(٦) سقطت (إياه) من أ.

مني؟ فارتعدت يده حتى[١] سقط السيف من يده، فتناوله[٢] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثم قال: «يا غورث، من يمنعك مني»؟ قال: لا أحد. قال: ثم أقبلنا راجعين، فجاء رجل من أصحاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بِعُش طير يحمله، وفيه فراخ، وأبواه يتبعانه، ويقعان على يد الرجل، فأقبل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على من كان معه، فقال: «أتعجبون بفعل هذا الطير[٣] وبفراخهما؟». زاد في رواية: «فربكم أرحم بكم من هذا الطير[٤] بفراخه». ثم أقبلنا راجعين، حتى إذا كنا بحرة واقم، عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها بوطب[٥] من لبن وشاة[٦]، فأهدته له. فقال: «ما فعل ابنك؟ هل أصابه شيء مما كان يصيبه؟» قالت: لا، والذي بعثك بالحق، ما أصابه شيء مما كان يصيبه، وقَبِل هديتها. ثم أقبلنا راجعين[٧] حتى إذا كنا بمهبط من الحرة، أقبل جمل يَرْقُل[٨]، فقال: «أتدرون ما قال هذا الجمل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جمل جاءني يستعدي على سيده،

---

(١) في أ (على) وفي ك و ط (حتى) وقد صوبناه منهما.
(٢) في ط (فناوله).
(٣) في ك و ط (هذين الطيرين بفراخهما).
(٤) في ك و ط (الطائر).
(٥) الوطب: سقاء اللبن أو اللبن خاصة، وهو جلد الجذع فما فوقه.
انظر: اللسان ١/٧٩٧، مادة وطب.
(٦) في أ: (برطب ولبن وشاة) وفي ط: (برطب ولبن شاة).
(٧) سقطت (راجعين) من ك و ط.
(٨) في جميع النسخ: (يرفل) بالفاء، والأصوب أنه بالقاف كما في المجمع ٩/٨؛ من أرقلت الناقة إرقالاً، وهو ضرب سريع من السير.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٥.

يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين[1]، حتى إذا أجربه وأعجفه، وكبر سنه، أراد نحره، اذهب معه يا جابر إلى صاحبه، فائت به». فقلت: ما أعرف صاحبه يا رسول الله. قال: «إنه سيدلك عليه». قال فخرج بين يدي معنِقاً[2]، حتى وقف بي في مجلس بني خَطْمة[3]، فقلت: أين رب هذا الجمل[4]؟ قالوا: فلان. فجئته فقلت: أجب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فخرج معي حتى جاء إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فقال له رسول الله[5] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إن جملك هذا يستعدي عليك، يزعم أنك حرثت عليه زماناً حتى أجربته[6] وأعجفته[7] وكبر سنه، ثم أردت نحره». قال[8]: والذي

(١) في أ (سنتين) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط، وهو ما في المجمع ٩/ ٨.

(٢) من العَنَق، وهو ضرب من السير فسيح سريع.
انظر: المصباح المنير ص ٤٣٢.

(٣) **خَطْمة**: اسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ــ مُزَيْقياء ــ ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢ و ٣٤٣.

(٤) رب كل شيء: مالكه، والرب: اسم من أسماء الله ــ تعالى ــ ولا يقال في غيره إلاَّ بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للمَلِك.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٨.

(٥) في ك و ط (النبي).

(٦) **الجرب**: مرض بسبب خِلْط غليظ يحدث تحت الجلد، من مخالطة البلغم الملح للدم يكون معه بثور.
انظر: المصباح المنير ص ٩٥.

(٧) من عَجِف الفرس عَجَفا: أي ضعف وهزل.
انظر: المصباح المنير ص ٣٩٤؛ ومختار الصحاح ص٤١٤.

(٨) في ك و ط (فقال).

بعثك بالحق، إن ذلك كذلك[1]. فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «بعنيه»، قال: نعم، يا رسول الله. فابتاعه منه، ثم سيبه[2] في الشجر حتى نصب سناماً، فكان إذا اعتل[3] على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم[4] شيء أعطاه أياه، فمكث بذلك زماناً[5].

وهذا الحديث له شواهد[6]، أخرج[7] أهل الصحيح منه قصة الشجرتين[8]، وقصة الذي شهر السيف على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[9] وقصة الطير:

---

(١) في ك و ط (لكذلك).

(٢) **سيب**: تُرك لا يركب ولا يحمل عليه.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٥٤.

(٣) من العلة: وهي المرض.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٥١.

(٤) جمع ناضح: وهو البعير يستقى عليه.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٤.

(٥) الحديث أورده الهيثمي برواياته بنحوه، وقال: قال محمد بن طلحة: كانت غزوة ذات الرقاع تسمى «غزوة الأعاجيب» قلت: (والقائل الهيثمي): «في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الأوسط، والبزار باختصار كثير، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله ثقات».
انظر: المجمع ٩/٧ ـ ٩.

(٦) **شواهد الحديث**: هي الأحاديث الأخرى التي بمعناه.
انظر: تدريب الراوي ١/٢٤٢.

(٧) في أ (أخرجاه) والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) رواها مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر ٤/٢٣٠٦ ـ ٢٣٠٧ (٣٠١٢).

(٩) أخرجها البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٦/٩٦ (٢٩١٠) من الفتح وفي كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع...، ٧/٤٢٦ (٤١٣٥ ـ ٤١٣٦) من الفتح، جاء في هذا الموضع تسمية =

رواها[1] أبو داود الطيالسي[2]، وقصة الصبي، ذكرها غير واحد[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي[4] قال: «ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: بينما نحن نسير معه، إذ مررنا ببعير يُسْنى عليه[5]، فلما رآه البعير جرجر[6]، ووضع جِرانه[7] بالأرض، فوقف عليه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «أين صاحب هذا البعير؟» فجاء، فقال: «بعنيه». فقال: بل

= الرجل، ولكن في أثر معلق. ورواها مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف ١/٥٧٦ (٨٤٣).

(١) في ك (رواه).

(٢) مسند أبي داود الطيالسي ٣٣٦/٤٤.

(٣) رواها أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس.
انظر: الخصائص الكبرى ٢/٧٠.
رواها الدارمي في سننه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/١٠. وأحمد في مسنده ١/٢٥٤ و ٢٦٨. قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني وفيه فرقد السبخي، وثقه ابن معين والعجلي، وضعفه غيرهما».
انظر: المجمع ٩/٢.

(٤) هو يعلي بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، أسلم وشهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، وكان من أفاضل أصحاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يكنى أبا المرازم، سكن الكوفة، وكان من أصحاب علي.
انظر: أسد الغابة ٤/٧٤٩.

(٥) أي: يستقى عليه الماء من البئر.
انظر: مختار الصحاح ص ٣١٨.

(٦) أي: كثرت أصواته.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٦٩.

(٧) جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨٢.

نهبه[1] لك[2]. وهو لأهل بيت، ما لهم معيشة غيره. فقال: «أما إذ ذكرت هذا من أمره، فإنه يشتكي إليَّ كثرة العمل وقلة العلف، فأحسنوا إليه». وفي رواية: «أنهم أرادوا نحره». ثم سرنا فنزلنا منزلا[3]، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنطلق إلى هاتين الشجرتين، فقل لهما: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لكما: أن تجتمعا». فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتُزِعت كل واحدة منهما من أصلها، فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها، فالتفَّتا جميعاً. فقضى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حاجته من ورائهما، ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بأمره. وأتته امرأة بصبي لها به لمم[4]، فقالت: يا رسول الله: إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين، يأخذه في كل يوم مرتين. فتفل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في فيه، وقال: «أخرج عدوَ الله، أنا رسولُ الله» فبريء. فلما رجعنا، جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط، قالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه رَيْباً بعدك[5]. فأخذ أحد الكبشين والأقط، ورد الكبش الآخر[6].

---

(١) في ط (أهبه).

(٢) في ك و ط زيادة (يا رسول الله فقال: «لا بل بعنيه»، فقال: «بل نهبه لك»).

(٣) في ك (من منزلنا منزلاً) وفي ط (من منزلنا، فقال النبي).

(٤) أي: طرف من جنون.
انظر: المصباح المنير ص ٥٥٩.

(٥) أي: لم يبلغنا منه ذلك اللمم، ولم نتوهمه بعدك.
انظر: المصباح المنير ص ٢٤٧.

(٦) في أ زيادة: (وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ). وقد أسقط الناسخ هذه العبارة من موضعها، ثم أعادها في الهامش ـ أيضاً ـ وظاهر أنها مقحمة هنا إقحاماً لا مبرر له.
المسند للإمام أحمد ٤/ ١٧٣ و ١٧٤ وأورده الهيثمي بمثله. وبروايتيه، وقال: «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه. وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». ثم =

وروى هذه القصة، أبو يعلى الموصلي عن أسامة بن زيد ــ رضي الله عنه ــ ، ورواه الحاكم في صحيحه قال[1]: «سافرت مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرأيت منه عجباً. . .» وذكر الحديث. وفيه أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ــ للمرأة لما أخرج الشيطان من ابنها ــ: «إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع» ورواه الدرامي ــ أيضاً ــ[2].

وروى الدرامي عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالت: يا رسول الله إن ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيخبث علينا، فمسح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صدره ودعا، فثغ ثغة[3] خرج من جوفه مثل الجُِرو[4] الأسود فشفي[5].

وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله[6]

= أورد رواية الطبراني والتي قال فيها الجمل: «حتى إذا كبرت أرادوا أن ينحروني».
ثم أورد حديث المرأة والصبي وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٩/٥ ــ ٦.

(١) في ك و ط زيادة (فيه).
المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٢/٦١٧ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة»، ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه. . .، ١/١٠.

(٣) في ك و ط (فثع ثعة).
أي قاء قيئة.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٠٦.

(٤) الجرو: الصغير من كل شيء، ولعل المقصود هنا ولد الكلب.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨٤.

(٥) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه ١/١١ وإسناده ليس بالقوي.

(٦) في ك و ط (النبي).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في سفر، فدخل رجل غَيْضة[1] فأخرج منها بيضة[2] حُمَّرَة[3]، فجاءت الحمرة تَرِف[4] على رأس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه. فقال: «أيكم فجع[5] هذه»، فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها[6]. فقال: «رده رحمة لها»[7].

وروى الحاكم في صحيحه عن سَفِيْنة مولى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «ركبنا البحر في سفينة، فانكسرت السفينة، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني في أَجَمَة[8] فيها أسد، فلم يَرُعْني[9] إلَّا به.

---

(١) في جميع النسخ بالظاء، والصواب ما أثبتناه من كتب اللغة والمسند.
الغيضة: الشجر الملتف.
انظر: اللسان ٧/٢٠٢، مادة غيض.

(٢) في ك و ط (بيض).

(٣) الحمّرة: طائر من العصافير.
انظر: اللسان ٤/٢١٤ مادة حمر.

(٤) من الرفرفة: وهي تحريك الطائر جناحيه وهو في الهواء، فلا يبرح مكانه.
انظر: اللسان ٩/١٢٥، مادة رفف.

(٥) من الفجيعة: وهي الرزية الموجعة بما يَكْرُم.
انظر: اللسان ٨/٢٤٥، مادة فجع.

(٦) في أ (بيضها) بالجمع، والأصح الأفراد كما في ك و ط، وهو ما في المسند.

(٧) مسند أبي داود الطيالسي ٤٤ (٣٣٦) بمثله. ورواه أحمد في المسند بنحوه، بروايتين ١/٤٠٤. وإسناد أبي داود فيه (المسعودي) وقد اختلط قبل موته، فإن كان (أبو داود) سمع منه في غير بغداد فهو قبل الاختلاط، وبقية رجال الإسناد ثقات.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٨٧.

(٨) **الأجمة**: الشجر الكثير الملتف.
انظر: ترتيب القاموس ١/١١٨.

(٩) من الروع: وهو الفزع.
انظر: المصدر السابق ٢/٤١٣.

فقلت: يا أبا الحارث[1]، أنا مولى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فطأطأ رأسه، وغمز بمنكبه شِقِّي، فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق، فلما وضعني على الطريق همهم[2] فظننت أنه يودعني»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده،[4] عن عائشة قالت: «كان لآل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحش[5]. إذا خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اشتد ولعب وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد دخل: ربض، فلم يترمرم[6] كراهية أن يؤذيه»[7]، ورواه أبو نعيم[8].

---

(١) أبو الحارث، والحارث، من أسماء الأسد.
انظر: المصدر السابق ٦١٢/١.

(٢) من الهمهمة: وهي ترديد الصوت في الصدر.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٩٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه. كتاب معرفة الصحابة، ذكر سفينة مولى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ٦٠٦/٣ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) في ك و ط زيادة (وأبو يعلى الموصلي).
المسند للإمام أحمد ١١٢/٦ و ١٥٠ و ٢٠٩.

(٥) الوحش: حيوان البر.
انظر: مختار الصحاح ص ٧١٢.

(٦) أي: سكن ولم يتحرك، وأكثر ما يستعمل في النفي.
انظر: اللسان ٢٥٦/١٢، مادة رمم.

(٧) في ك و ط زيادة (ولفظه للإمام أحمد).
الحديث أورده الهيثمي في المجمع ٤/٩ وفيه زيادة (ما دام رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في البيت...)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٨) في الدلائل ٤٩١/٢ (٢٧٧) مختصراً.

وروى عنها[1] أحمد ــ أيضاً ــ أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان في نفر من المهاجرين والأنصار. فجاء بعير فسجد له، فقال أصحابه: يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر: فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: [2] «لو[3] كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد: لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل[4] من جبل أصفر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض، كان ينبغي لها أن تفعله» رواه[5] أحمد[6] عن عفان[7]، وابن ماجه[8]، [9]عن[10] ابن أبي شيبة[11]، عن

(١) في أ (عنهما).

(٢) في ك و ط زيادة (اعبدوا الله ربكم وأكرموا أخاكم) وليس في ك اسم الجلالة المعظم. كما لا يوجد في ط جملة: (يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك).

(٣) في ك و ط (ولو).

(٤) في ط (تنتقل).

(٥) في ك و ط زيادة (الإمام).

(٦) المسند للإمام أحمد ٧٦/٦ بمثله، وفيه الزيادة التي في ك و ط.
وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد وإسناده جيد».
انظر: المجمع ٩/٩.
وأخرجه أبو نعيم مختصراً في الدلائل ٤٩١/٢ (٢٧٨).

(٧) هو ابن مسلم الباهلي، أبو عثمان الصفار البصري، ثقة ثبت، مات سنة ٢١٩هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٣٠/٧.

(٨) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب حق الزوج على المرأة ٣٤١/١ (١٨٥٧) وليس فيه قصة البعير.

(٩) في ك و ط زيادة (بعضه).

(١٠) في ك و ط زيادة (أبي بكر).

(١١) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي، الإمام العلم، سيد الحفاظ، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي، أخو الحافظ عثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن أبي شيبة الضعيف وعبد الله من أقران الإمام أحمد بن حنبل مات سنة ٢٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١ ــ ١٢٧.

عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، ثنا أبي[1]، ثنا علي بن زيد[2]، ثنا سعيد[3]، عن عائشة.

وقصة هذا الجمل رواها جماعة[4].

وروى الإمام أحمد في مسنده[5] عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب[6] على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى

---

(١) هو سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج، الأثور التَّمَّار، المدني القاضي، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور.
انظر: تقريب التهذيب ٣١٦/١.

(٢) هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده، وأكثر العلماء يرون تضعيفه وقال العجلي: «كان يتشيع. لا بأس به»، وقال مرة: «يكتب حديثه وليس بالقوي». وقال مثل هذا يعقوب بن شيبة والترمذي، مات سنة ١٢٩هـ أو ١٣١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣٢٢/٨ ـ ٣٢٤.
في ك و ط (يزيد).

(٣) هو سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ.

(٤) **من الصحابة**: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن عباس وعائشة، وأبي هريرة، وثعلبة بن أبي مالك، ويعلى بن مرة وغيرهم. من الرواة الإمام أحمد والبيهقي وأبو نعيم والطبراني والبزار والدارمي وابن أبي شيبة.
انظر: الخصائص الكبرى ٥٦/٢ ـ ٥٧ المسمى كفاية الطالب اللبيب، في خصائص الحبيب، لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١هـ مصور عن طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٠هـ بالهند، دار الكتب العلمية، بيروت.
في ك و ط زيادة (من الصحابة).

(٥) المسند للإمام أحمد، بمثله، ٨٣/٣ ـ ٨٤.

(٦) من قولهم: عدا عليه اللص: إذا سرقه.
انظر: اللسان ٣٤/١٥، مادة عدا.

الذئب على ذَنَبه[1] فقال: «ألا تتقي الله، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟ فقال: ياعجباً، ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: «ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق». قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأخبره. فأمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فنودي: (الصلاة جامعة)[2] ثم خرج، فقال للأعرابي: «أخبرهم» فأخبرهم. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «صدق والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجلَ عَذَبَةُ سوطه[3] وشراك نعله، ويخبره فَخِذُه ما أحدث أهله بعده»[4].

وروى[5] الترمذي آخره وصححه[6]، قال البيهقي: «إسناده

---

(١) الذئب والكلب يقعى كل منهما على أسته، مفترشاً رجليه، وناصباً يديه.
انظر: اللسان ١٥/١٩٢، مادة قعا.

(٢) جامعة: حال من الصلاة، والمعنى: عليكم الصلاة في حال كونها جامعة الناس.
انظر: المصباح المنير ص ١٠٩ ــ ١١٠.

(٣) عذبة السوط: طرفه.
انظر: المصباح المنير ٢/٣٩٨.

(٤) الحديث أورده الهيثمي بنحوه، وأورد بجانبه رواية أخرى لأبي سعيد ــ راوي هذا الحديث ــ ثم قال: «رواه أحمد والبزار بنحوه، باختصار، ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٨/٢٩١.

(٥) في أ (رواه) والأولى ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٦) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع، ٤/٤٧٦ (٢١٨١).
قال أبو عيسى: «وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي».

صحيح، وله شاهد من وجه آخر»[1]. ورواه أحمد عن أبي هريرة، قال: «وكان الراعي يهودياً فأسلم»، وقال فيه: «أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين، يخبركم بما مضى، وما هو[2] كائن بعدكم»[3].

وفي الصحيحين عن أنس، قال: كان بالمدينة فزع فاستعار النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرساً لأبي طلحة وكان يقطف[4] فلما رجع، قال: «[5]وجدنا فرسكم هذا بحراً»[6]، وكان بعد ذلك لا يجارىٰ[7].

وفي الصحيحين، عن سلمة بن الأكوع[8]، وسهل بن سعد، عن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٢.
(٢) في ك و ط (بما).
(٣) المسند للإمام أحمد ٢/٣٠٦، قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٩٢: «هو في الصحيح (يقصد رواية أبي هريرة) باختصار، رواه أحمد، ورجاله ثقات».
(٤) في رواية البخاري: «كان يقطف أو كان فيه قطاف...» على الشك والمراد أنه كان بطيء المشي.
انظر: الفتح ٥/٢٤١.
(٥) في ك و ط زيادة «إن».
(٦) (يقال للفرس بحر إذا كان واسع الجري، أو لأن جريه لا ينفد كما لا ينفد البحر). قاله الأصمعي.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٧) لا يجاري: أي لا يسبق في الجري.
انظر: الفتح ٦/٧٠.
رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد، باب الفرس القطوف، ٦/٧٠ (٢٨٦٧) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ــ عليه السلام ــ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٣ (٢٣٠٧).
(٨) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، أبو مسلم، وأبو أياس الحجازي المدني، مات سنة ٩٤هـ بالمدينة وله قريباً من ٩٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٢٦ ــ ٣٣١؛ وتقريب التهذيب ١/٣١٨.

النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ في غزوة خيبـر: أنه أرسـل إلى علي، وهو أرمد العين[1]، فقال: «لأعطين الـراية[2] رجـلاً يحبه الله ورسـوله، ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبصق في عينيه فبـرأ[3]، كأن لم يكن به وجع قط، وأعطاه الراية، فقال علي: يـا رسول الله، أقـاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «انفذ على رسلك[4]، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهـم إلـى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ــ تعالى ــ فيـه[5]، فـوالله لأن يهـدي الله بـك رجـلاً واحـداً خيـر لـك من حُمْـر النَّعَم»[6].

وعن عاصم بن عمر بن قتـادة، عن أبيه قتـادة بن النعمان[7]: أنـه

---

(١) رمـد العين: مرض من أمـراض العين، وهو يكـون عن مادة حـارة وعن بلغم، وعن سوداء، ويكثر في البلاد الحارة.
انظر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة ص ١٠١.

(٢) الـرايـة: بمعنى اللواء، وهـو العَلَم الـذي في الحـرب، يعلم بـه مـوضـع صـاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش. وقد يدفعه لمقدم العسكر، وقد صرح جماعـة من أهل اللغة بترادفهما.
انظر: الفتح ٧/٤٧٧.

(٣) في ط (فبريء).

(٤) أي: امضِ على راحة وهون.
انظر: الفتح ٧/٤٧٨.

(٥) في ط (فيهم).

(٦) حُمْر النَّعَم: لون من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لـك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها، وكانت مما تفاخر به العرب.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخـاري بنحـوه، كتـاب المغـازي، بـاب غـزوة خيبـر، ٧/٤٧٦ (٤٢١٠) من الفتـح. ومسلم بنحـوه، كتـاب فضـائـل الصحـابـة، بـاب من فضـائـل علي. . .، ٤/١٨٧٢ (٢٤٠٦).

(٧) هـو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، الأمير المجاهد، أبو عمر الأنصاري الـظفري =

أصيبت عينه يوم بدر[1]، فسألت على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «لا» ودعاه، وغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[2]. وفي رواية: فرفع حدقته، حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته، وقال: «اللهم أكسبه[3] جمالاً»، فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت، رواه عنه أهل المغازي[4].

= البدري، من نجباء الصحابة، وهو أخو أبو سعيد الخدري لأمه، توفي سنة ٢٣هـ بالمدينة وله ٦٥ سنة ونزل عمر في قبره.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٣١ ــ ٣٣٣؛ وتقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(١) في ك و ط جاء بدلاً من قوله (يوم بدر) قوله: (في الغزو مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم أحد).

(٢) أخرجه البيهقي بدون قوله: «فكانت أحسن عينيه وأحدّهما». في الدلائل ٣/٩٩ ــ ١٠٠. قال ابن حجر في الإصابة ٣/٢٢٥: «وأخرج البغوي وأبو يعلى عن يحيى الحمَّاني عن أبي الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت...» وذكر الحديث بنحوه... ومن طريق يعقوب بن محمد الزهري، عن إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جده وذكر الحديث مختصراً... قال عاصم: «فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال:
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا»
قال أبو نعيم في الدلائل ٢/٦٢٢؛ «وفي حديث منصور بن أحمد المعدل: فردها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيده، فكانت أصح عينيه وأحدهما». وأورد الحديث الهيثمي في المجمع بنحوه ٨/٢٩٧ ــ ٢٩٨ وقال: «رواه الطبراني وأبو يعلى وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف».

(٣) في ك (اكسه) وفي ط (أكسها).

(٤) هذه الرواية أوردها بمثلها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٣ برواية عبد الرحمن الغسيل حدثنا عاصم... إلخ. ورواها ابن سعد في الطبقات ١/١٨٧ ــ ١٨٨. وقد جاء من طرق أخرى أن ذلك في غزوة أحد، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات ٣/٤٥٣ قال ابن كثير في السيرة ٣/٦٦. «وروى الدارقطني بسند غريب. وساقه عن =

وأنشد ولده[1] بحضرة عمر بن عبد العزيز، وهو خليفة، أقره من حضر ولم ينكروه:

أنا ابن الذي سالت على الخد[2] عينه
وردت بكف المصطفى أيما رد[3]

فلولا أنه كان معروفاً عند التابعين لم يُقِرّوه، وهم إنما تلقوا هذا عن الصحابة.

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب، قال: «بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أبي رافع اليهودي[4] رجالاً من الأنصار[5]،

= قتادة قال: «أصيبت عيناي يوم أحد، فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأعادهما مكانهما، وبصق فيهما فعادتا تَبْرقان». وأخرج ذلك ابن إسحاق مرسلاً كما في السيرة لابن هشام ٣/٨٧، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢/٦٢١ ـ ٦٢٢. قال الهيثمي في المجمع ٦/١١٣: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه». وقد ذكر ذلك الحاكم في المستدرك ٣/٢٩٥ بدون إسناد. ورواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٢/٥١٦.

(١) هو عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني. مقبول، من الطبقة الثالثة. انظر: تقريب التهذيب ٢/٦٢.

(٢) في أ (الجفن) وظاهر أنه تحريف نسخي.

(٣) في ك و ط (أحسن الرد) وزاد في ك و ط بيتاً آخر وهو:

فعادت كما كانت لأحسن حالها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

وهو في أسد الغابة ٤/٩٠ من رواية الأصمعي وفي السيرة لابن كثير ٣/٦٧.

(٤) أبو رافع: هو سلّام بن أبي الحُقيق الأعور، وهو من بني النضير، ومن الذين حَزّبوا الأحزاب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

(٥) الذين خرجوا لقتل أبي رافع: هم عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم، وروي أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حكم لسيف عبد الله بن أنيس =

وأمَّر عليهم عبد الله بن عَتِيْك[1]، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز[2]، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس[3]، قال عبد الله لأصحابه: «اجلسوا مكانكم، فإني منطلق، ومتلطف[4] للبواب لَعلّي أدخل».

قال: «وأقبل[5] حتى دنا من الباب»[6]، وذكر قصة قتله، إلى أن

= بأنه الذي قتل أبا رافع. وذلك سنة ٥هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٦٠ و٣/٢٨٦ ــ ٢٨٨.

(١) عبد الله بن عتيك، هو الأنصاري، من بني مالك بن معاوية، وقد نسبه خليفة بن خياط، فقال: عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مري بن كعب بن غنم بن مسلمة بن الخزرج، وقد شهد أحداً، وقيل: أنه شهد صفين مع علي، وقيل: بل قتل يوم اليمامة.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٠٢ ــ ٢٠٣.

(٢) يحتمل أن حصنه كان قريباً من خيبر في طرف أرض الحجاز. انظر: الفتح ٧/٣٤٢.

(٣) في ك و ط زيادة (بسرحهم).

(٤) سقطت الواو من أ.

(٥) في ك و ط (فاقبل) بالفاء.

(٦) في ك و ط ذكر بقية القصة وهي: «ثم تقنع بثوبه، كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت. فلما دخل الناس أغلق الباب ثم أغلق الأغاليق علي ودخل. (سقط الحرفان ــ خل ــ من كلمة «ودخل» من ك) قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسْمَر عنده، وكان في علالي له (في ط: عدلي) فلما ذهبت عنه أهل السمرة، صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل، قلت: إن القوم لو نذروا بي، لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم، وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت. قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنت شيئاً وصاح. فخرجت من البيت، فمكثت غير بعيد، =

قال: «ثم وضعت[1] السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعلمت أنني قد قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً، حتى انتهيت إلى درجة، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، ثم انطلقت، حتى جلست عند الباب، فقلت: لا أبرح حتى أعلم، أقتلته أم لا؟ فلما صاح الديك، قام الناعي على السور، فقال: أنعي[2] أبا رافع. قال[3]: فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاة[4] النجا، قد[5] قتل الله أبا رافع. قال فانتهينا إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وحدثناه، فقال: «أبسط رجلك». فبسطها[6] فمسحها فكأنما لم أشتكها[7] قط»[8].

= ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فضربته (وفي ك (فأضربه) والأصح ما في ط وهو ما أثبت) ضربة أثخنته، ولم أقتله.

(١) في ك و ط زيادة (صيب).

(٢) في ك و ط سقطت (فقال) وفي ط (بنعي).

(٣) سقطت (قال) من ك و ط.

(٤) في ك و ط (النجاء).

(٥) سقطت (قد) من ك و ط.

(٦) الذي في صحيح البخاري (فبسطت رجلي) وفي أكسفورد (فبسطتها) ولا أرى مانعاً من ورود جميع هذه الألفاظ، حيث أنه ربما ثقل عليه بسط رجله، لكونها مكسورة، فساعده الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على ذلك، فأسند الفعل إلى الرسول في لفظ، وأسنده إلى نفسه في لفظ آخر، مع أن الراجح ما جاء عند البخاري، وهو ما ذكرته في أول هذا التعليق.

(٧) في ك و ط (يشكها).

(٨) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ـ عبد الله بن أبي الحقيق، ويقال: سلام بن أبي الحقيق...، ٧/٣٤٠ ـ ٣٤١ (٤٠٣٩) من الفتح.

وفي البخاري عن يزيد بن أبي عبيد[1]، قال: «رأيت في ساق سلمة بن الأكوع أثر ضربة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، قال: «فأتيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فنفث[2] فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة»[3].

وفي الترمذي وغيره عن عثمان بن حنيف[4]: أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: ادع الله ــ تعالى ــ أن يعافِيَني. قال: «إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت الله»[5]، قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، فيصلي[6] ركعتين، ويدعو[7] بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك[8] وأتوجه[9] * إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد * إني أتوجه بك إلى

---

(١) هو يزيد بن أبي عبيد المدني، مولى سلمة بن الأكوع، من بقايا التابعين الثقات، توفي سنة ١٤٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٦.

(٢) النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٧١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/٤٧٥ (٤٢٠٦) من الفتح ورواه أبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى ٤/١٢ (٣٨٩٤).

(٤) عثمان بن حنيف: هو ابن واهب الأنصاري، الأوسي، أبو عمرو المدني. صحابي شهير، مات في خلافة معاوية ــ رضي الله عنهما ــ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٨.

(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

(٦) في ك و ط (ويصلي).

(٧) في أ (ويدعوا).

(٨) سقطت (أسألك) من ك و ط.

(٩) ما بين النجمتين سقط من ك وترك له بياض.

ربـي، في حاجتي هذه فتقضيها لي[1]، اللهم فشفعه في»[2].

وفي رواية قال: «يـا رسول الله، ليس لي قـائد، وقـد شق عليَّ»، وذكـر الحديث. فقـال عثمان: «والله مـا تفرقنـا، ولا طال الحـديث بنا، حتى دخل الرجل، وكأنه لم يكن به ضـر قط»، قال التـرمذي: «حـديث صحيح»[3].

التـأثيـر فـي الأشجـار والخشـب، مـن آيات نبوته ـ عليه السـلام ـ

النوع الثالث[4] آثاره في الأشجار والخشب:

ففي[5] الصحيحين عن جـابـر بن عبـد الله قـال: «كـان المسجـد مسقـوفاً على جـذوع النخل، فكـان النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا خطب يقوم إلى جـذع منها، فلمـا صُنع المنبـر، فكان[6] عليـه، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[7]، حتى جاء النبـي ـ صلَّى الله عليه

(١) سقطت (فتقضيها لي) من ط.

(٢) رواه التـرمـذي في سننـه بمثله، كتـاب الـدعـوات، بـاب ١١٩ حـدثنـا محمـد بن غيلان. . .، ٥/٥٦٩ (٣٥٧٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيـح غريب. لا نعـرفه إلَّا من هذا الوجه من حديث أبـي جعفـر وهو الخـطمي، وعثمان بن حنيف هـو أخو سهل بن حنيف». ورواه أحمد في المسند ٤/١٣٨.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/١٦٨ من ثلاثة طرق. وليس عند الترمذي هذه الرواية ولا قول عثمان.

(٤) هذا هو النوع الرابع ـ كما هو واقع السياق ـ وقد سبقه:
١ ـ آيات العالم العلوي.
٢ ـ آيات الجو.
٣ ـ تصرفه في الحيوان.
وسيستمر العد على هذا النحو الناقص.

(٥) في ط (وفي).

(٦) في ك و ط (وكان).

(٧) العشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر، إلى أن تلد. انظر: اللسان ٤/٥٧٢، مادة عشر.

وسلَّم ـ فوضع يده عليها فسكنت»[1] وفي رواية: «فصاحت النخلة، صياح الصبي»[2]. وفي الصحيح[3] عن جابر: أن امرأة من الأنصار[4] قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؟ فإن لي غلاماً نجاراً[5]. قال: «إن شئت»[6] فعملت له المنبر. فلما كان يوم الجمعة، قعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على المنبر الذي صنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عليها، حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي [7] يسكت، حتى استقرت[8].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٠٢ (٣٥٨٥) من الفتح. ولم يروه مسلم خلافاً لما ذكر الشيخ المؤلف ولكن رواه النسائي بمعناه، كتاب الجمعة، باب مقام الإمام في الخطبة ٣/١٠٢.

(٢) رواها البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٠١ ـ ٦٠٢ (٣٥٨٤) من الفتح.

(٣) في ك و ط (الصحيحين).

(٤) رجح الحافظ ابن حجر أن النجار كان مولى لسعد بن عبادة، فيحتمل أن يكون في الأصل لامرأته، ونسب إليه مجازاً، واسم امرأته: فكيهة بنت عبيد بن دليم، وهي ابنة عمه، أسلمت وبايعت.
انظر: الفتح ١/٤٨٦.

(٥) تعددت الأقوال في تسميته وأقر بها: ميمون.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط زيادة (قال).

(٧) في ط زيادة (أخذ).

(٨) رواه البخاري وفيه زيادة في آخره، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». كتاب البيوع، باب النجار، ٤/٣١٩ (٢٠٩٥) من الفتح قال الحافظ هنا: «يحتمل أن يكون فاعل (قال) راوي الحديث، لكن صرح وكيع في روايته، عن عبد الواحد بن أيمن، بأنه ـ أي فاعل (قال) ـ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عنه».

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال: سرنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حتى نزلنا وادياً أفيح[1]، فذهب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة[2] من ماء، فنظر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي[3]، فانطلق رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى إحداهما، فأخذ بغصنين من أغصانها، فقال: «انقادي علي ــ بإذن الله ــ» فانقادت معه كالبعير المخشوش[4] الذي يصانع[5] قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ ــ بإذن الله ــ» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف فيما بينهما فلأم[6] بينهما، حتى جمع بينهما، فقال: «التئما علي ــ بإذن الله ــ تعالى ــ» فالتأمتا عليه، فخرجت أحْضِر[7] مخافة أن يحس رسول الله

---

(١) أفيح: واسعاً.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/١٤٣.

(٢) الإداوة: المِطْهرة.
انظر: مختار الصحاح ص ١١.

(٣) شاطىء الوادي: جانبه.
انظر: شرح النووي ١٨/١٤٣.

(٤) أي: الذي يجعل في أنفه خشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) من مصانعة الفرس: وهو أن لا يعطى جميع ما عنده من السير. أو المداراة.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٨٦٠.

(٦) في ط (فلئم).

(٧) أحضر: أي أعدو وأسعى سعياً شديداً.
انظر: شرح النووي ١٨/١٤٣.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقربي، فيتباعد[1]، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة[2]، فإذا[3] برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، وذكر الحديث[4].

وعن ابن عباس قال: جاء رجل من بني عامر[5] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: يا رسول الله، أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإنني من أطب الناس، قال «ألا أريك آية؟» قال: بلى. فنظر إلى نخلة فقال: «ادع ذلك العذق» فجاءه ينقز[6] حتى قام بين يديه ـ فقال له «أرجع» فرجع[7].

---

(١) في ك و ط (فتباعدت).
(٢) اللفتة: النظرة إلى جانب.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٣) في ك و ط زيادة (أنا).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر...، ٤/٢٣٠٦ (٣٠١٢).
(٥) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، قبيلة كبيرة. منهم لبيد بن ربيعة الشاعر، له صحبة، وخلق كثير.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣٠٦.
(٦) في ك و ط (ينفر).
ينقز: من النقز، وهو الوثبان صعدا في مكان واحد.
انظر: اللسان ٥/٤١٩، مادة نقز.
(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وله بقية، وفيه: (أطيب) بدلاً من (أطب)، وأورده الهيثمي بمعناه، وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة». وفيه تحديد العامري بأنه من عامر بن صعصعة.
انظر: المجمع ٩/١٠.
في ك و ط زيادة (فقال العامري يا آل بني عامر، ما رأيت أسحر منه). قال =

وفي رواية الترمذي: جاء أعرابي إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة: تشهد[1] أني رسول الله[2]»، قال: نعم فدعاها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فجعل ينزل من النخلة، حتى سقط إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ثم قال: «ارجع» فعاد، فأسلم الأعرابي[3].

وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه، قال له النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي. قال: «هل لك في خير؟» قال: ما هو[4]؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» فقال[5] ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السَّلَمة[6]»! فدعاها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تَخُد الأرض[7] حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي

= الترمذي: «حديث حسن صحيح»، ورواه الدارمي ــ أيضاً ــ قال: فجاءت النخلة تنفر بين يديه ثم قال لها: «ارجعي» فعادت إلى مكانها.

(١) في ك و ط (أتشهد).

(٢) في ط زيادة: الجملة الدعائية، ولا مناسبة لمجيئها هنا وهي إضافة من الطابع حتماً.

(٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي...، ٥/٥٩٤ (٣٦٢٨). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

(٤) في ك و ط (وما).

(٥) في ك و ط (قال).

(٦) السلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها، ويسمى ورقها: القَرَظ، لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح.
انظر: اللسان ١٢/٢٩٦، مادة سلم.

(٧) تخد الأرض: من خد السيل الأرض: إذا شقها بجريه.
انظر: اللسان ٣/١٦١، مادة: خدد.

إليه[1] فقال: أن اتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت فكنت معك[2] * ورواه الدارمي ـ أيضاً ـ «قال فيه: فجاءت النخلة، تنقز بين يديه، ثم قال لها «ارجعي» فعادت إلى مكانها *[3].

وفي الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن[4] قال: سمعت أبي[5] يقول: سألت مسروقاً: من آذن[6] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك (يعني[7] ابن مسعود)، أنه قال: آذنته بهم شجرة»[8].

وفي الترمذي عن علي قال: كنت مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في ك و ط (إلى قومه).

(٢) سنن الدارمي بنحوه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/٩ ـ ١٠.

(٣) سنن الدارمي بمثله، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه، ١/١٣.
ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٤) معن بن عبد الرحمن: هو ابن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي، أبو القاسم، القاضي، ثقة، روى له الشيخان.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٧.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيبة بن صاحب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عبد الله بن مسعود، الهذلي المسعودي، الكوفي، أخو أبي العميس، ولد بعد سنة ٨٠هـ كان فقيهاً كبيراً يخدم الدولة وله منزلة وهو صدوق، اختلط قبل موته، فمن سمع منه في بغداد فهو بعد اختلاطه. مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٩٢ ـ ٩٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٨٧.

(٦) آذن: بالمد: أعلم.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢.

(٧) في ك و ط زيادة(عبد الله).

(٨) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن، ٧/١٧١ (٣٨٥٩) من الفتح. ومسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح...، ١/٣٣٣ (٤٥٠).

وسلَّم ــ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلاَّ وهو يقول: «السلام عليك، يا رسول الله»[1] رواه الحاكم في صحيحه[2].

وروى الإمام أحمد، عن أنس بن مالك قال: «جاء جبريل إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذات يوم، وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة. فقال له: «ما لك؟»[3] قال: فقال: «فعل هؤلاء وفعلوا». [4]فقال له جبريل: «أتحب أني أريك آية؟» فقال[5]: «نعم». فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: «أدع تلك الشجرة» فدعاها، فجاءت تمشي، حتى قامت بين يديه، فقال: «مرها فلترجع إلى مكانها». فقال لها: «ارجعي» فرجعت، حتى عادت إلى مكانها. فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «حسبي»[6] ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده[7].



(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي... ٥/٥٩٣ (٣٦٢٦) وقال: «هذا حديث غريب».

(٢) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٢/٦٢٠. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وهو في مسند أبي يعلى ٦/٣٥٨ ــ ٣٥٩ (٣٦٨٥ ــ ٣٦٨٦) قال المحقق: «وإسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) رسمت في أ هكذا «ملك».

(٤) في ك و ط زيادة (قال).

(٥) في ك و ط (قال).

(٦) حسبي: بمعنى: يكفيني.
انظر: مختار الصحاح ص ١٣٥.
رواه أحمد في مسنده مختصراً، ٣/١١٣.

(٧) أورده الهيثمي في المجمع ٩/١٠ عن عمر بن الخطاب بمعناه، وقال: «رواه البزار وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى حسن».

فصل

تكثير الماء والطعام والثمار من آيات النبوة

والنوع الرابع[(١)]: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة، وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر:

أما الماء: ففي الصحيحين عن أنس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا بماء، فأتي بقدح رَحْراح[(٢)]، فجعل القوم يتوضؤن قال: «فحزرت[(٣)] ما بين السبعين إلى الثمانين»[(٤)]. وفي رواية عنه: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خرج في بعض مخارجه ومعه أناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجدوا ما يتوضؤن به، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدحٍ فيه ماء يسير، فأخذه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم

---

(١) هذا هو النوع الخامس ـ كما يدل عليه واقع السياق ـ.

(٢) في أ: «رجاج» والصواب من الصحيح، كما هو في ك وط.
رَحراح: هو الواسع القصير الجدار.
انظر: شرح النووي ص ١٥ ـ ٣٨.

(٣) حزرت: قدرت.
انظر: المصباح المنير ص ١٣٣.

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب الوضوء، باب الوضوء من التَور، ١/٣٠٤ (٢٠٠) من الفتح بأطول من هذا. ومسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩) وفيه: «ما بين الستين...» بدل «السبعين».

قال: «قوموا فتوضؤا» وكانوا سبعين أو نحوه[1].

وفيهما عن أنس ـ أيضاً ـ : أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه بالزوراء. (والزوراء بالمدينة، عند السوق والمسجد ثمة)[2] دعا بقدح فيه ماء، فوضع فيه كفه، فجعل ينبع بين أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه[3].

وفي الصحيحين عنه قال: «رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بوضوء، فوضع في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس، حتى توضؤاً من[4] عند آخرهم»[5].

---

(١) رواها البخاري بنحوها، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨١ (٣٥٧٤) من الفتح.

(٢) هذا من قول أحد الرواة، ولعله قتادة الراوي عن أنس.
وانظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٧٤.
ثمة: بمعنى هناك وهو اسم إشارة للبعيد.
انظر: مختار الصحاح ص ٨٧.

(٣) في ك و ط زيادة (قال: قلت كم كانوا يا أبا حمزة، قال: كانوا زهاء الثلاثمائة). وفي رواية: (بماء لا يغمر أصابعه).
رواه مسلم واللفظ له بمثله. والزيادة التي في ك و ط هي تمام الحديث، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩).
والبخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨٠ (٣٥٧٢) من الفتح.

(٤) من هنا بمعنى إلى، وهي لغة.
انظر: شرح مسلم ١٥/٣٩.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨ (٣٥٧٣) من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩).

وفي الصحيحين عن جابر قال: «قد رأيتني مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد حضرت صلاة العصر، وليس معنا ماء غير فضلة، فَجُعِل في إناء فأتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأدخل يده فيه، وفَرّج أصابعه،[1] وقال: «حيّ على الوضوء، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو[2] ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة»، قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: «ألفاً وأربعمائة»[3].

وفي صحيح البخاري عن جابر ـ أيضاً ـ قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين يديه ركوة[4]، فتوضأ، فجهش[5] الناس نحوه، قال: «ما لكم»؟ قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب، إلَّا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[6].

---

(١) في ك و ط (ثم).

(٢) لا آلو: أي لا أقصر، والمراد أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة.
انظر: الفتح ١٠/١٠٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، ١٠/١٠١ (٥٦٣٩) من الفتح، بمثله. ورواه مسلم مختصراً وفي أكثر من رواية، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجبش. . .، ٣/١٤٨٤ (١٨٥٦).

(٤) الركوة: دلو صغير.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٨.

(٥) من الجهش: وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٥.

(٦) صحيح البخاري، بنحوه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٧/٤٤١ (٤١٥٢) من الفتح.

وفي البخاري عن البراء بن عـازب قال: «تعـدون أنتم الفتح فتـح مكة، وقد كان فتح مكـة[1] فتحاً، ونحن نعـد الفتح بيعـة الرضـوان يوم الحـديبية، كنـا مع رسـول الله[2] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أربـع عشـرة مائة، والحديبية بئر، فنزحنـاها، فلم نتـرك فيها قـطرة، فبلغ ذلك النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأتاها،فجلس على شفيرها، ثم دعـا بإنـاء من ماء، فتوضأ، ثم تمضمض ودعا[3]، ثم صبه فيها، فتركناهـا غير بعيـد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنـا نحن وركابنـا، وكنا ألفـاً وأربعمائـة، أو أكثر من ذلك»[4].

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: «قدمنا الحديبية مـع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونحن أربـع عشرة مـائة أو أكثـر من ذلك[5] وعليها خمسون شاة لا ترويها، فقعد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على جَبَا الركية[6]، فإما دعا، وإما بصق فيها،قال: فجاشت[7] فسقينا واستقينا»[8].

---

(١) سقطت كلمة (مكة) من أ.

(٢) في ك و ط (النبي).

(٣) سقطت (ودعا) من ط.

(٤) رواه البخـاري بنحوه، وهـو هنا مجمـوع من روايتين، كتاب المغـازي، بـاب غـزوة الحديبية، ٧/٤٤١ (٤١٥٠ ــ ٤١٥١) من الفتح.

(٥) (أو أكثر من ذلك) سقطت من ك و ط.

(٦) الجبا: هو ما حول البئر، والركي: هـو البئر، والمشهـور في اللغة: ركي بغيـر هاء، ووقع هنا ركية بالهاء، وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره.
انظر: شرح النووي ١٢/١٧٥.

(٧) جاشت: ارتفعت وفاضت.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) صحيـح مسلم، كتـاب الجهـاد والسيـر، بـاب غـزوة ذي قـرد وغيـرهـا، ٣/١٤٣٣ (١٨٠٧) بمثله. وليس فيه: «أو أكثر من ذلك».

وعن ابن عباس قال: «ودعا[1] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بلالاً، فطلب بلال الماء، ثم جاء، فقال: لا والله، ما وجدت الماء. فقال النبي[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «فهل من شن»؟[3] فأتاه بشن، فبسط كفيه فيها[4]، فانبعثت من[5] يده عين. قال: فكان ابن مسعود يشرب، وغيره يتوضأ»[6].

وعن جابر بن عبد الله قال: «غزونا أو سافرنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ونحن يومئذ بضع عشرة ومائتين، فحضرت الصلاة، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «هل في القوم من طهور»؟ فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء، وليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في قدح، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم انصرف وترك القدح، فركب الناس ذلك القدح، وقالوا: تمسحوا تمسحوا، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «على رسلكم» حين[7] سمعهم يقولون ذلك، فوضع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كفه في الماء والقدح، فقال[8]: «بسم الله»

---

(١) سقطت الواو من ك و ط.

(٢) لم ترد (النبي) في ط.

(٣) في ط زيادة (ماء).

(٤) في ك و ط (فيه).

(٥) سقطت (من) من أ، وعند الدارمي: (تحت يديه).

(٦) سنن الدارمي، بنحوه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/١٣. وقد أورده الهيثمي في المجمع ٨/٢٩٩ ـ ٣٠٠ م ٤، مطولاً وفيه زيادة، وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، والبزار باختصار وأحمد إلَّا أنه قال: «فانفجر من بين أصابعه عيون». وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط». قلت: وإسناد الدارمي لا بأس به.

(٧) في أ (حتى).

(٨) في ك و ط (وقال).

ثم قال: «أسبغوا الطهور». فوالذي ابتلاني ببصري[1] لقد رأيت العيون عيون[2] الماء تخرج من بين أصابعه، فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون»[3] رواهما الدرامي في مسنده.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في سفرٍ فقل الماء: «فقال اطلبوا فضلة من ماء»، فجاؤا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «حيّ على الوضوء[4] المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[5].

وروى مسلم في صحيحه، عن معاذ بن جبل، قال: «خرجنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوم أخّر الصلاة، ثم خرج، فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال:

---

(١) يعني أنه عمي في آخر عمره.
انظر: الفتح ٧/٤٤٤.

(٢) سقطت (عيون) من ط.

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/١٣ ـ ١٤. والحديث إسناده جيد.

(٤) في ك و ط (الطهر).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨٧ (٣٥٧٩) من الفتح.

«إنكم ستأتون غداً ــ إن شاء الله ــ عين[1] تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم، فلا يمس من مائها شيئاً، حتى آتي». فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان. والعين مثل الشراك: تَبِضُّ[2] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هل مسيتما[3] من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال[4] ما شاء الله أن يقول، [5] ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً[6]، حتى اجتمع شيء، قال: وغسل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر[7]، أو قال[8]: غزير[9]، فسقى[10] الناس، ثم قال: «يوشك ــ يا معاذ، إن طالت بك حياة ــ أن ترى ما هاهنا[11] قد ملىء جناناً»[12].

---

(١) المقصود بالعين هنا التي يخرج منها الماء.
انظر: اللسان ١٣/٣٠٣، مادة عين.

(٢) أي: أنها ذات ماء قليل جداً كشراك النعل، تَبِضُّ: تسيل. شرح النووي لمسلم ١٥/٤١. م ٨.

(٣) في ك و ط (مسستما).

(٤) في ك و ط زيادة (لهما).

(٥) في ك و ط زيادة (قال).

(٦) سقطت (قليلاً) الثانية من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٧) منهمر: كثير الصب والدفع.
انظر: شرح النووي ١٥/٤١.

(٨) هذا الشك هو من أبي علي الحنفي الذي روى عنه الدارمي، وهو شيخ مسلم.

(٩) هكذا في ك و ط وفي أ (غزيراً) بالنصب والصواب ما في ك و ط ولهذا حذفنا علامة النصب.

(١٠) في ك و ط (فاستقى).

(١١) في ط (ماء هاهنا).

(١٢) صحيح مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي... ٤/١٧٨٤ ــ ١٧٨٥ (٧٠٦). =

وفي صحيح مسلم [1] حديث جابر، الذي رواه عبادة بن الوليد[2]، وقد تقدّم أوله في قصة الشجرتين وانقيادهما ثم افتراقهما، ووضع الغصن على القبرين[3]، وقال في آخره: «فأتينا العسكر، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «يا جابر، ناد بوضوء»، فقال: ألا وضوء، ألا وضوء. قال: قلت يا رسول الله: ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الماء في أشجاب[4] له، فقال لي: «انطلق إلى فلان[5]، فانظر هل في[6] أشجابه من شيء؟» قال: فانطلقت إليه، فنظرت فيها، فلم أجد فيها[7] إلا قطرة في عزلاء[8] شجب، لو أني أفرغه لشربه يابسه[9].

= وها هي نبؤته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تتحقق هذه الأيام على نطاق واسع ــ وإن كانت ربما قد تحققت في الماضي بشكل ما، وذلك بفضل الله ــ تعالى ــ .
جنانا: أي بساتين وعمراناً، جمع (جنة).
انظر: شرح النووي ١٥/٤١. م ٨.

(١) في ط زيادة (من).
(٢) عبادة بن الوليد: هو ابن عبادة بن الصامت الأنصاري المدني، أبو الصامت، ويقال له: عبد الله ــ أيضاً ــ ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: «كنيته أبو الوليد».
انظر: تهذيب التهذيب ٥/١١٤.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (القبر) والأولى ما أثبتناه منها.
(٤) **أشجاب**: جمع شجب: وهو السقاء (القربة) التي قد أخلقت وبليت وصارت شناً، يقال شاجب: أي يابس.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/١٤٥.
(٥) في ك و ط زيادة (الأنصاري).
(٦) سقطت (في) من أ.
(٧) سقطت (فيها) من ط.
(٨) عزلاء شجب: أي فم القربة. انظر: ترتيب القاموس ٣/٢١٨.
(٩) شربه يابسه: معناه: أنه قليل جداً، فلقلته مع شدة يبس باقي الشجب، لو أفرغه لأذهبه اليابس منه ولم ينزل منه شيء.
انظر: المصدر السابق ١٨/١٤٦.

فأتيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: يا رسول الله، لم أجد فيها إلا قطرة، في عزلاء شجب، لو أني أفرغه لشربه يابسه. قال: «اذهب فأتني به»، فأتيته به[1]، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، ثم قال: «يا جابر، ناد بجفنة[2] الركب» فقلت يا جفنة الركب[3]. فأُتيتُ بها تحمل، فوضعتها بين يديه، فقال[4] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده في الجفنة، فقال: «خذ يا جابر، فصُبَّ عليَّ، وقل: بسم الله» فصببت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت. فقال: «يا جابر، ناد من كانت له حاجة بماء» قال: فأتى الناس، فاستقوا[5] حتى رووا. قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟. فرفع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يده من الجفنة وهي ملأى»[6].

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: «كنت مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في مسير له، فأدلجنا[7] ليلتنا، حتى إذا كان

(١) سقطت (به) من أ.
(٢) في ك و ط (لجفنة).
(٣) **جفنة الركب**: الإناء الذي يطبخ فيه ما يشبع الجماعة، والنداء على تقدير «صاحب» أي يا صاحب جفنة الركب أحضرها.
انظر: المصدر السابق ١٤٦/١٨.
(٤) قال هنا: بمعنى فعل.
(٥) في أ (فأسقوا) وقد أثبتنا ما في ك و ط وهو ما في متن الصحيح.
(٦) رواه مسلم بمثله، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل...، ٢٣٠٧/٤ ـ ٢٣٠٨ (٣٠١٣). ومالك في الموطأ مختصراً، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر ١٤٣/١ ـ ١٤٤.
(٧) الإدلاج: سير أول الليل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٠٩.

وجه الصبح، عَرَّسْنا[1]، فغلبتنا أعيننا، حتى بزغت الشمس، فكان أول من استيقظ منا أبو بكر الصديق، وكنا لا نوقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من منامه، حتى يكون هو الذي يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، ثم استيقظ عمر، فجعل يكبر، حتى استيقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فلما رفع رأسه، ورأى الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا، فسار بنا، حتى ابيضت الشمس: نزل، فصلى بنا الغداة: فاعتزل رجل من القوم: لم يصل معنا، فلما انصرف قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ما منعك أن تصليَ معنا؟» قال أصابتني جنابة ولا ماء! قال له: «عليك بالصعيد، فإنه يكفيك» فتيمم بالصعيد[2] فصلى، ثم عجَّلني في ركب بين يديه، يطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مَزَادَتَين[3]، فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إيهاه إيهاه[4]، لا ماء لكم. فقلت: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة، قلنا: انطلقي إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً، حتى انطلقنا بها، [5]واستقبلنا بها رسول الله

---

(١) من التعريس: وهو نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٣.

(٢) **الصعيد**: التراب. وقال ثعلب. هو وجه الأرض.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٣) **سادلة**: مرسلة مُدْنِية. والمزادة أكبر من القِربة، سميت بذلك، لأنه يزاد فيها جلد آخر من غيرها.
انظر: شرح النووي ٥/١٩٠.

(٤) **إيهاه**: بمعنى هيهات، والمراد: البعد من المطلوب، واليأس منه.
انظر: المصدر السابق ٥/١٩١.

(٥) في ك و ط (فاستقبلنا).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فسألها، فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها موتِمة[1] لها صبيان أيتام. فأمر براويتها فأنيخت، فَمَجَّ في العزلاوين[2] العلياوين، ثم بعث براويتها فشربنا، ونحن أربعون رجلاً عطاشا، حتى روينا، وملأنا كل راوية، وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسلنا صاحبنا، غير أنا لم نسق بعيراً، وهي تكاد تتضرج[3] من الماء يعني المزادتين، ثم قال: «هاتوا ما عندكم» فجمعنا لها من كسر وتمر، وصر لها صرة، وقال[4]: «اذهبي فأطعمي عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك[5] شيئاً» فلما أتت أهلها قالت: لقد رأيت أسحر البشر، أو أنه النبي كما زعم، كان من أمره ذيت وذيت[6]. فهدى الله ـ عز وجل ـ ذلك القوم بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا»[7].

---

(١) في ك و ط (مويمة) بالياء بدلاً من التاء، وكلاهما صحيح.

(٢) المج: زَرْق الماء بالفم. والعزلاء: هو المشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ويطلق ـ أيضاً ـ على فمها الأعلى.
انظر: شرح النووي ٥/١٩١.

(٣) **تتضرج**: تتشقق.
انظر: المصدر الموضع السابق.
في متن الصحيح: «تنضرج» بتاء ونون، وليس بتائين كما في جميع النسخ.

(٤) في ك و ط زيادة (لها).

(٥) في ط (مائك).
أي: لم ننقص من مائك شيئاً.
انظر: المصدر السابق ٥/١٩٢.

(٦) في ط (زيت وزيت) بالزاي.
ذيت وذيت، بمعنى: كيت وكيت وكذا وكذا. المصدر والموضع السابق.

(٧) رواه مسلم واللفظ أقرب إلى لفظه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة...، ١/٤٧٤ ـ ٤٧٦ (٦٨٢). والبخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٦/٥٨٠ (٣٥٧١) من الفتح.

وفي الصحيحين عن أبي قتادة[1] قال: خطبنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء غداً ـ إن شاء الله ـ»، فانطلق الناس لا يلوي[2] أحد على أحد ـ وذكر حديث النوم في الوادي ـ فقال: ثم دعا بميضأة، كانت معي، فيها شيء من ماء، فتوضأ منها وضوءاً، دون وضوء، وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: «احفظ علينا ميضأتك، فسيكون لها نبأ»[3]، ثم قال: «[4] أصبح الناس فقدوا نبيهم» فقال: أبو بكر وعمر: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعدكم لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أيديكم، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا». قال: فانتهينا إلى الناس، حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا عطشاً، فقال:

---

(١) أبو قتادة: هو الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي بن بُلْدُمة السلمي المدني. شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدراً. ومات سنة ٥٤هـ على الأصح والأشهر.
انظر: أسد الغابة ٢٥٠ ـ ٢٥١؛ وتقريب التهذيب ٢/٤٦٣.

(٢) لا يلوي: أي لا يعطف ولا يلتفت.
جامع الأصول ١١/٣٤٢.

(٣) **النبأ**: الخبر، والمراد: أنها سيكون لها شأن يتحدث به الناس. وفي هذا بحد ذاته معجزة، وإرهاص لمعجزة قادمة!
انظر: جامع الأصول ١١/٣٤٣.

(٤) قبل هذا كلام محذوف، والقائل هو رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حيث إنه لما صلى بهم الصبح بعد ارتفاع الشمس وقد سبقهم الناس وانقطع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهؤلاء الطائفة اليسيرة عن الناس، قال لأصحابه: «ما تظنون الناس يقولون فينا؟ فسكت القوم، فذكر لهم مواقف الناس هناك من تأخره ومن معه، وهو ـ أي التأخر ـ معنى قوله: «أصبح الناس فقدوا نبيهم».
انظر: شرح النووي ٥/١٨٨.

«لا هُلك عليكم» ثم قال: «أطلقوا لي غُمَري»[1] قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ما في الميضأة تكابوا عليها. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أحسنوا المَلاء[2]، كلكم سيروى» قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصب، وأسقيهم، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ثم صب[3] فقال لي: «اشرب»، فقلت: لا أشرب حتى يشرب رسول الله، قال: «إن ساقي القوم آخرهم شرباً» فشربت وشرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: فأتى الناس الماء جامِّين رواء»[4].

قال عبد الله بن رباح[5]: «إني لأحدث بهذا الحديث في مسجد

---

(١) **الغُمَر**: القدح الصغير.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٢) **الملاء**: الخُلُق، وجمعه: أملاء، وليس الملء من الامتلاء. المصدر والموضع السابق.

(٣) في ك و ط زيادة (رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٤) **جامِّين**: مستريحين من التعب والإعياء. رواء: جمع راوٍ: وهو المستكفي من الماء. المصدر والموضع السابق.
رواه مسلم بمثله، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة...، ١/٤٧٢ (٦٨١)، ورواه أبو داود مختصراً، كتاب الصلاة، باب فيمن نام عن صلاة أو نسيها، ١/١١٩ (٤٣٧). والحديث لم يخرجه البخاري في الصحيح خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

(٢) **عبد الله بن رباح**: هو الأنصاري، أبو خالد المدني، سكن البصرة، وثقه العجلي وغيره، اشترك في قتال الأزارقة من الخوارج مع المهلب. توفي في حدود سنة ٩٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٥/٢٠٦ ـ ٢٠٧.

الجامع[1]، إذ قال لي عمران بن حصين: انظر كيف تحدث. فأنا أحد[2] الركب تلك الليلة. فقلت: أنت أعلم. فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار. قال: أنتم أعلم بحديثكم. قال عمران: لقد شهدت تلك الليلة، وما شعرت أن[3] أحداً حفظه كما حفظتُه»[4].

وفي مسند الإمام أحمد، ورواه أبو يعلى الموصلي عن البراء بن عازب قال: «كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأتينا على ركي ذمة[5] قال: فنزل ستة، أنا سابعهم، أو سبعة أنا ثامنهم. قال: فأُدليت إليَّ دلو، ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على شُفَة الركي[6]، فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها، فرفعت إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: فكدت بإنائي أجد[7] سقياً اجعله في حلقي، فما وجدت. قال: فغمس رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يديه فيها، وقال[8] ما شاء الله أن يقول، فأعيدت إلينا الدلو وما فيها، قال:

(١) **مسجد الجامع**: هو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فعند الكوفيين يجوز ذلك بغير تقدير، وعند البصريين لا يجوز إلَّا بتقدير، وهو هنا: مسجد المكان الجامع انظر: شرح النووي ٥/١٨٩.
(٢) في ط (أحدث).
(٣) سقطت (أن) من ك و ط.
(٤) صحيح مسلم ١/٤٧٤.
(٥) في ط (زمة).
ركي ذمة: قال الأصمعي: «الذمة: القليلة الماء».
انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١/٤٢.
(٦) **شفة**: شفى كل شيء من حرفه.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٢.
في ط (شفتي).
(٧) في ك و ط (آخذ).
(٨) في ك و ط (فقال).

«فرأيت[1] آخرنا، أُخرج بثوب[2] مخافة الغرق، قال: وساحت»[3].

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه طرف منه، عن زياد[4] بن الحارث الصداي[5]، قال في آخره: ثم قلنا: يا نبي الله، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء، وسعنا ماؤها، واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف: قل ماؤها، فتفرقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكل من حولنا[6] عدو، فادع الله في بئرنا أن يسعنا ماؤها، فنجتمع عليها ولا نتفرق. فدعا بسبع حصيات، فعركهن[7] في يده، ودعا فيهن، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيت[8] البئر فألقوا واحدة واحدة، واذكروا اسم الله ــ عز وجل ــ»، قال الصداي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها[9].

---

(١) في ك و ط (فقد رأيت).

(٢) سقطت (بثوب). من ط.

(٣) في ك و ط (وساخت) بالخاء المعجمة.
المسند للإمام أحمد ٤/٢٩٢. وأورده الهيثمي في المجمع ٨/٣٠٠، وفي آخره: «ثم ساحت: يعني جرت نهراً» وقال: «هو في الصحيح، باختصار كثير، ورواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح». ومسند أبي يعلى الموصلي، مختصراً ٣/٢١٥ ــ ٢١٦ (١٦٥٥)، قال المحقق حسين أسد: «وإسناده صحيح». ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٤) في ط (زيادة).

(٥) **زياد بن الحارث الصداي** أو الصدائي، هو حليف بني الحارث بن كعب بن مذحج، وصداء: حي في اليمن، بايع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأذن بين يديه، ونزل مصر. أسد الغابة ٢/١١٧؛ وتقريب التهذيب ١/٢٦٦.

(٦) في ط (حوالينا).

(٧) عَرَكَ الشيء: دلكه.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٨.

(٨) في ط (أتيتم).

(٩) المسند للإمام أحمد ٤/١٦٩، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في =

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «أصبح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذات يوم، وليس في العسكر ماء، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ليس في العسكر ماء. قال: «هل عندك شيء؟» قال: نعم. قال: «فأتني به» قال: فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أصابعه في[1] فم الإناء، وفتح أصابعه. قال: فانفجرت من بين أصابعه عيون، وأمر بلالاً فقال: «نادِ في الناس: الوضوء المبارك»[2].



= الرجل يؤذن ويقيم آخر، ١٤٢/١ (٥١٤)، وسنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في من أذن فهو يقيم ٣٨٣/١ (١٩٩) قال أبو عيسى: «وحديث زياد إنما نعرفه من حديث الإفريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث». وقد رد المعلق أحمد محمد شاكر ذلك وقال بأنه ثقة وأن من ضعفه فقد أخطأ. وذكر أسباب تضعيف علماء الحديث له وبيان عدم وجاهتها. وأضاف أحمد شاكر قائلاً: «وهذه الزيادة موجودة في تهذيب الكمال للحافظ المزي بإسناده، ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٥٧/١ أن أحمد أخرج الحديث بطوله، ولكني لم أجده فيه مطولاً، فلا أدري هل سقط من نسخة المسند التي طبع عليها، أو سها الحافظ، فظن أنه في المسند وليس فيه؟» ورواه ابن ماجه، أبواب الأذان، باب السنة في الآذان ١٣٠/١ (٧٠٢) كلهم رووه مختصراً دون هذه القصة. وقد أورده الهيثمي في المجمع ٢٠٣/٥ ــ ٢٠٤ مطولاً جداً، وقال: «في السنن طرف منه. رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (يقصد الأفريقي) وهو ضعيف، وقد وثقه أحمد بن صالح، ورد على من تكلم فيه. وبقية رجاله ثقات».

(١) في ك و ط (على).

(٢) المسند للإمام أحمد ٢٥١/١، وأورده الهيثمي في المجمع بمعناه ٢٩٩/٨ ــ ٣٠٠، ثم قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، والبزار باختصار، وأحمد. . . وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط» (ضعفت ذاكرته).

فـصـل

فصص تكثير الطعام من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام

وأما تكثير الطعام، ففي الصحيحين عن جابر قال: «لما حُفر الخندق رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خَمِصاً[1]، فانكفأت[2] إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول[3] الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خمصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً[4] فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن[5] قال: فذبحتُ وطحنتْ، ففرغت إلى فراغي[6] فقطعتها في برمتها[7]، ثم وليت إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومن معه. قال: فجئت فساررته، فقلت: «يا رسول الله، إنا

---

(١) **الخمص**: الضامر البطن.
انظر: جامع الأصول ١١/٣٥٥.

(٢) انكفأت: انقلبت ورجعت.
انظر: شرح النووي ١٣/٢١٥.

(٣) في جميع النسخ (رسول) وقد أثبتنا ما في الصحيحين.

(٤) جراباً: وعاء من جلد. شرح النووي ١٣/٢٢٦.

(٥) بُهيمة: تصغير بَهْمة، وهي الصغيرة من أولاد الضأن، والداجن: ما ألف البيوت.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) فرغت إلى فراغي: أي انصرفت إلى فِراغي: والفِراغ: حوض من أدم واسع ضخم، أي أنه قام بتقطيع الذبيحة في هذا الإناء، ثم وضعه في البرمة.
انظر: اللسان ٨/٤٤٥، مادة فرغ.

(٧) برمتها: قِدْرَها.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٠.

ذبحنا بُهيمة لنا، وطَحَنت صاعاً من شعير عندنا، فتعال أنت ونفر معك». فصاح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع لكم[1] سوراً فحَيَّ هلا[2] بكم» وقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم، حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: «بك وبك»[3] قال: «قد فعلت الذي قلت لي». فأخرجت له عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق فيها وبارك، ثم[4] قال: «ادع[5] لي خابزة، فلتخبز معي[6]، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها» وهم ألف. فأُقسم بالله، لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا[7]، وإن برمتنا لتغِطُّ[8] كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[9].

---

(١) سقطت «لكم» من ك و ط.

(٢) **سورا**: كلمة فارسية: أي صنع طعاماً دعا الناس إليه.
حي هلا: أي هلموا مسرعين، وهي كلمة استدعاء فيها حث.
انظر: اللسان ٤/٣٨٨، مادة سور؛ والفتح ٧/٣٩٩.

(٣) **بك وبك**: أي ذمته ودعت عليه، وقيل: معناه: بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم، وقيل: معناه: جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك.
انظر: شرح النووي ١٣/٢١٧.

(٤) سقطت (ثم) من أ.

(٥) في ط: «ادعي».

(٦) في ك و ط (معك).

(٧) انحرفوا: مالوا عن الطعام.
انظر: الفتح ٧/٢٩٩.

(٨) **تغط**: تغلي وتفور.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٩) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٧/٣٩٥ ــ ٣٩٦ (٤١٠٢) =

وفي رواية، قال جابر: «إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية[1] شديدة، فجاؤا إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالوا: «هذه كِدْيَة عرضت»، فقال: «أنا نازل». فقام وبطنه معصوب بحجر[2]، ولبثنا ثلاثاً لا نذوق[3] ذواقاً. فأخذ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المِعْول[4]، فضرب، فعاد كثيباً أَهْيَل[5]. فقلت: يا رسول الله، أئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: [6] رأيت من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً ما في ذلك صبر. قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت

= من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك...، ٣/١٦١٠ (٢٠٣٩).

(١) كدية: قطعة صلبة صماء.
انظر: الفتح ٧/٣٩٦.

(٢) فائدة ربط الحجر على البطن أنها ـ أي البطن ـ تضمر من الجوع، فيخشى انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر، وشد عليها العصابة، استقام الظهر. قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الخطابي: أشكل الأمر في شد الحجر على البطن من الجوع على قوم، فتوهموا: أنه تصحيف، وزعموا أنه «الحُجَز» بضم أوله وفتح الجيم بعدها زاي، جمع الحُجْزة التي يشد بها الوسط. قال: ومن أقام بالحجاز وعرف عادتهم عرف أن الحجر واحدة الحجارة، وأن المجاعة تعتريهم كثيراً، فإذا خوى بطنه لم يمكن معه الانتصاب فيعمد حينئذٍ إلى صفائح رقاق في طول الكف أو أكبر فيربطها على بطنه وتشد بعصابة فوقها فتعتدل قامته بعض الاعتدال.

انظر: الفتح ٧/٣٩٦ و ١١/٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٣) في ط (يذوق).

(٤) المعول: المسحاة.
انظر: الفتح ٧/١٩٦.

(٥) كثيباً أهيل: رملاً مجتمعاً يسيل ويجري ولا يتماسك.
انظر: جامع الأصول ١١/٣٥٥؛ والفتح ٧/٣٩٧.

(٦) في ك و ط زيادة (إني).

العناق[1]، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة. ثم جئت إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والعجين قد انكسر[2]، والبرمة بين الأثافي[3]، قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيِّمٌ لي[4]، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له. قال[5]: «كثير طيب». قال: «قل لها، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي» قال: «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال: ويحكِ جاء النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم[6]، إلى أن قال: فلم يزل يكسر ويغرف[7] حتى شبعوا، وبقي بقية. قال: «كل هذا وأهد[8] فإن الناس أصابتهم مجاعة»[9].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: «قال أبو طلحة لأم

---

(١) **العناق**: الأنثى من المعز.
انظر: الفتح ٣٩٧/٧.

(٢) **انكسر**: أي لان ورطب وتمكن منه الخمير.
انظر: الفتح ٣٩٧/٧ ــ ٣٩٨.

(٣) الأثافي، الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة.
انظر: الفتح ٣٩٨/٧.

(٤) **طُعَيِّم لي**: طعام لي، على طريقة المبالغة في تقليله. قالوا: من تمام المعروف تعجيله وتحقيره.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) في ك و ط (فقال).

(٦) في ك و ط زيادة (قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: (أدخلوا، ولا تضاغطوا). فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ننزع).

(٧) في ط (يفرق).

(٨) في أ و ك: (وأهدي) والصواب حذف الياء.

(٩) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٣٩٥/٧ (٤١٠١) من الفتح.

سليم: قد سمعت صوت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، قال: فذهبت به، فوجدته جالساً في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم. فقال: «بالطعام»، فقلت: نعم[1]، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لمن معه: «قوموا». قال: فانطلق وانطلقت معهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة: حتى لقي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ معه حتى دخل، فقال[2] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، [3]: «هلمي يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فَفُتَّ، وعَصَرت عليه أم سليم عُكَّة[4] لها فأَدَمته، ثم قال فيه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا[5]، ثم قال: «ائذن

---

(١) جملة (فقال بالطعام، فقلت نعم) سقطت من ط.

(٢) سقطت (فقال) من ك و ط.

(٣) في ط زيادة (وقال).

(٤) **العُكَّة**: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالباً، والعسل.
انظر: الفتح ٦/ ٥٩٠.

(٥) هنا زيادة في ك و ط: (ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم). وفي ط زيادة أخرى: (فأكلوا حتى شبعوا).

لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم حتى أكل القوم كلهم، وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون»[1]. وفي طريق البخاري. «ثمانون»[2] وقال في رواية: «ثم أكل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبو طلحة وأم سليم وأنس، وفضل فضلة، فأهديناها لجيراننا»[3].

وفي صحيح مسلم عن سلمة قال: «كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة خيبر، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ــ يعني من التمر ــ فبسط نِطْعاً[4] فنثرنا عليه أزوادنا، قال: فتمطَّيْت[5] وتطاولت[6]، فنظرت فحزرته كربضة شاة، ونحن أربع عشرة مائة. قال: «فأكلنا، ثم تطاولت فنظرته فحزرته كربضة الشاة»[7].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وسلمة بن الأكوع، واللفظ لمسلم، [8]عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال:

---

(١) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٦/٥٨٦ ــ ٥٨٧ (٣٥٧٨) من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره...، ٣/١٦١٢ (٢٠٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب مَنْ أكل حتى شبع، ٩/٥٢٦ ــ ٥٢٧، (٥٣٨١) من الفتح.

(٣) أخرجها مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره...، ٣/١٦١٤ (٢٠٤٠).

(٤) النِّطع: فراش متخذ من جلد.
انظر: المصباح المنير ص ٦١١.

(٥) في ط (فطيت).

(٦) في ك و ط (فتطاولت).

(٧) في ك و ط (شاة).
صحيح مسلم، بمثله، كتاب اللقطة، باب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها ٣/١٣٥٤ (١٧٢٩).

(٨) في ط (وعن).

«كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في مسير، قال: فنفذت أزواد القوم، حتى هموا بنحر بعض حمائلهم[1]، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها. قال ففعل، فجاء ذو البر ببره، وذو التمر بتمره، وذو النوى بنواه. قيل: وما كانوا يصنعون بالنوى[2]؟ قال: يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوادهم. قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة»[3].

وفي لفظ آخر[4] قال: «لما كان يوم غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، فقالوا يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «افعلوا». قال: فجاء عمر فقال: «يا رسول الله، إن فعلت قَلَّ الظهر»[5]. وفي رواية، «ما بقاؤهم

---

(١) وردت (حمائلهم) بالحاء والجيم وكلاهما صحيح، وهو هنا بالحاء وهو جمع حمولة: وهي الإبل التي تحمل. وبالجيم جمع جمالة جمع جمل.
انظر: شرح النووي ١/٢٢٣.

(٢) سقطت (بالنوى) من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/٥٥ ــ ٥٦ (٢٧). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، ٥/١٢٨ (٢٤٨٤) من الفتح.

(٤) سقطت جملة (وفي لفظ آخر) من ك و ط.

(٥) المراد بالظهر هنا: الدواب، سميت ظهراً لكونها يركب على ظهرها، أو لكونها يستظهر بها ويستعان على السفر.
انظر: شرح النووي ١/٢٢٥.
أخرجها مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/٥٦ (٢٧).

بعد إبلهم، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله أن يجعل[1] في ذلك». فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «نعم»، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، وجعل الآخر يجيء بكف تمر، وجعل يجيء الآخر[2] بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالبركة، ثم قال «خذوا في أوعيتكم»، قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملاؤه[3]، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة...» الحديث[4].

وروى البخاري[5] من حديث سلمة بن الأكوع[6]، قال: «خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة، فأصابنا جَهْد[7] حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمرنا نبي الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فجمعنا مزاودنا[8]، فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال

---

(١) في ط زيادة (البركة)، قال النووي في شرحه ١/٢٢٥: «هكذا وقع في الأصول التي رأينا، وفيه محذوف تقديره يجعل في ذلك بركة أو خيراً أو نحو ذلك...».

(٢) في ك و ط (الآخر يجيء).

(٣) في ط (ملئوه).

(٤) هذه الرواية مجموعة من رواية للبخاري وهو قول عمر: «وما بقاؤهم بعد إبلهم». كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ٦/١٢٩ (٢٩٨٢) من الفتح. وبقيتها من رواية مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ــ ومنها الرواية التي قبلها، ١/٥٦ (٢٧).

(٥) هذه الرواية لمسلم وليست للبخاري كما يتضح من التخريج.

(٦) في ك و ط زيادة (بنحوه).

(٧) **جهد**: مشقة.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٤.

(٨) **المزاود**: جمع مزود، كمنبر، وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد، وهو ما تزوده المسافر لسفره من الطعام. انظر: التعليق على صحيح مسلم ٣/١٣٥٤.

فتطاولت لأحزره كم هو؟ فحزرته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة. قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا[1] جُرُبَنَا[2]. فقال نبي الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[3]: «هل[4] من وضوء؟» قال: فجاء رجل بإدواة فيها نطفة[5]، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقة[6]، أربع عشرة مائة، ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «فرِغ الوضوء»[7].

وفي صحيح مسلم عن جابر: أن أم مالك[8] كانت تهدي للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في عكة لها سمناً، فيأتيها بنوها، فيسألون الأُدُم[9]، وليس عندهم شيء، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي

---

(١) في ك (حشينا) وفي ط (حشينا جروبا).

(٢) جربنا: جمع جراب: أي الوعاء الذي يجعل فيه الزاد.
انظر: التعليق على صحيح مسلم ٣/١٣٥٥ لعبد الباقي.

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٤) في ك و ط (فهل).

(٥) **نطفة**: قليل من الماء.
انظر: شرح النووي ١٢/٣٤.

(٦) في ك و ط (بدغفقة دغفقة).
الدغفقة: صب الماء صباً شديداً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) هذا لفظ مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها، ٣/١٣٥٤ ــ ١٣٥٥ (١٧٢٩) ورواه البخاري بمعناه ومختصراً، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ٥/١٢٨ (٢٤٨٤).

(٨) **أم مالك**: هي الأنصارية، لها حديث رواه مسلم.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٨٩؛ وتقريب التهذيب ٢/٦٢٤.

(٩) الأدم: ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان.
انظر: اللسان ١٢/٩، مادة أدم.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتجد فيها[1] سمناً، قال: فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «عصرتيها؟» فقالت: نعم. قال: «لو تركتيها ما زال قائماً»[2].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر ـ أيضاً ـ، قال: «جاء رجل إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق[3] شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم»[4].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «تزوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ زينب فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي[5] أمُّ سليم حَيْساً[6]، فجعلته في تَورٍ[7] من حجارة، فقالت: يا أنس، اذهب

---

(١) في ك و ط (فيه).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٤ (٢٢٨٠).

(٣) في ط (ونبق).
الوسق: ستون صاعاً، قال الخليل: الوسق حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢١.

(٤) **قام لكم**: بقي حاضراً موجوداً.
انظر: شرح النووي ١٥/٤٠.
صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٤ (٢٢٨١).

(٥) سقطت (أمي) من ك و ط.

(٦) **الحَيس**: تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن، ثم يدلك باليد، وربما جعل معه سويق.
انظر: المصباح المنير ص ١٥٩.

(٧) التَور: الإناء.
انظر: اللسان ٤/٩٦، مادة تور.

بهـذا إلى رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فقـل: بَعَثَت بهـذا أمي إليك، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسـول الله. قـال: فذهبت بهـا إلى رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فقلت: إن أمي تقرئك السـلام، وتقول: إن هـذا لك منـا قليل. فقـال: «ضعه» ثم قال: «اذهب فادع فـلاناً وفـلاناً وفـلاناً، ومن لقيت» وسمى رجـالاً. قال فـدعوت من سمى، ومن لقيت، قـال الجعد[1] وهـو الـراوي عن أنس: عـدد كم[2] كانـوا؟ قال: كـانوا زهـاء ثلاثمـائة[3]، وقـال لي رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: «يا أنس هـات التـور» قـال: فـدخلوا حتى امتـلأت الصفة والحجـرة. فقال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ليتحلق عشـرة عشرة، وليـأكل كـل إنسان ممـا يليه». قـال فـأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفـة، ودخلت طائفة، حتى أكلوا كلهم. فقال: «يـا أنس، إرفـع» فـرفعت، فمـا أدري حين وضعت كـان أكثـر أم حين رفعت؟ قـال: وجلس طـوائف منهم يتحـدثـون، وذكـر نـزول آيـة الحجاب[4].

---

(١) الجعد: هو ابن دينار اليشكري، أبـو عثمان الصيـرفي البصري. يقـال له: صـاحب الحلي، وثقه ابن معين الترمذي وغيرهما.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٨٠.

(٢) في ط زيادة (كم) ثانية.

(٣) زهاء ثلاثمائة: قدر ثلاثمائة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٧٧.

(٤) رواه البخـاري بنحـوه، كتـاب النكـاح، بـاب الهـديـة للعـروس، ٩/ ٢٢٦ ــ ٢٢٧ (٥١٦٣) من الفتـح. ومسلم في كتاب النكـاح، باب زواج زينب بنت جحش...، ٢/ ١٠٥١ (١٤٢٨) واللفظ له.
آية الحجاب المصرح بها في حديث مسلم هي قوله ــ تعالى ــ:
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبـي إلاَّ أن يؤذن لكم إلى طعـام غير نـاظرين إناه...﴾ الآية [سورة الأحزاب: الآية ٥٣].

وروى البخاري عن أنس ـ أيضاً ـ : إن أم سليم عمدت إلى مدٍ من شعير، جشته[1] وجعلت منه خَطِيْفة[2]، وعصرت عُكة[3] عندها، ثم بعثتني إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأتيته وهو في أصحابه، فدعوته. قال: «ومن معي؟» فجئت فقلت: إنه يقول «ومن معي؟» فخرج إليه أبو طلحة، فقال يا رسول الله، أنما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل فجيء به، وقال: «أَدخل عشرة» حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ثم قام، فجعلت أنظر، هل نقص منها شيء؟[4].

«وعن سمرة بن جندب قال: كنا مع رسول الله [5] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نتداول قصعة من غدوة[6] إلى الليل، يقوم عشرة، ويقعد عشرة، فقلنا: ما كان يمد[7]؟ قال: فمن أي شيء تعجب؟ ما كانت

---

(١) **جشته**: جعلته جشيشاً، وهو الدقيق غير الناعم.
انظر: الفتح ٩/٥٧٤.

(٢) خطيفة: على وزن عصيدة وبمعناه. قيل: أصله أن يؤخذ لبن، ويذر عليه دقيق، ويطبخ، ويلعقها الناس، فيخطفونها بالأصابع والملاعق فسميت بذلك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) **العكة**: بضم أوله فقط؛ هي آنية السمن، أصغر من القربة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٨٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة. . .، ٩/٥٧٤ (٥٤٥٠) من الفتح.

(٥) في ك و ط (النبي).

(٦) الغدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.
انظر: المصباح المنير ٢/٤٤٣.

(٧) في ك و ط (ما كانت تمد).

تمد إلا من ههنا، وأشار بيده إلى السماء» رواه النسائي[1] والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[2]، ورواه الدارمي[3] والحاكم في صحيحه[4].

وفي البخاري عن أبي هريرة: أنه كان يقول: «والله الذي لا إلٓه إلا هو، إن كنت لأعتمد على الأرض[5]، من الجوع، وإن كنت لأشد الحَجَر[6] على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني[7]، فلم[8] يفعل، *[9] ثم مر عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر فلم يفعل * ثم مر بي أبو القاسم

(١) لم يرد هذا الحديث في سنن النسائي حسب علمي.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٥/٥٩٢ (٣٦٢٤).

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بنزول الطعام من السماء، ١/٣٠.

(٤) المستدرك، كتاب التاريخ ٢/٦١٨ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٢. والبيهقي في الدلائل٦/٩٣ بإسنادين قال في أحدهما: «هذا إسناد صحيح». وأبو نعيم في الدلائل ٢/٥٥١.

(٥) لأعتمد على الأرض: أي ألصق بطني بالأرض، وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيد من شد الحجر على بطنه، أو هو كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشياً عليه.
انظر: الفتح ١١/٢٨٤.

(٦) في ط (الحجز) بالزاي.

(٧) ليستتبعني: يطلب مني أن أتبعه.
انظر: الفتح ١١/٢٨٥.

(٨) في ك و ط (فمر ولم يفعل).

(٩) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: [1] «أبا هر». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق» ومضى، فاتبعته فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخلت، فوجد[2] لبناً في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: هدّاه[3] لك فلان أو فلانة. قال: «أبا هر» قلت. لبيك يا رسول الله، قال: «الحق[4] أهل الصفة[5] فادعهم لي». قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال، إذا أتته صدقة [6] بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «خذ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَرْوى، ثم يرد عَلَيّ القدح * فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ

---

(١) في ط زيادة (يا).

(٢) في أ (فوجدت).

(٣) في ط (أهداه) وأهدى وهدّى بمعنى، والهدية: ما أتحفت به.
انظر: اللسان ١٥/٣٥٧ ـ ٣٥٨، مادة هدى.

(٤) في ك و ط زيادة (إلى).

(٥) **الصفة**: من البنيان شِبْه البهو الواسع الطويل السمك، وهو موضع مظلل في مسجد المدينة. وكان عدد أهل الصفة أربعمائة.
انظر: اللسان ٩/١٩٥، مادة: صفف، ودائرة معارف وجدي ٥/٥٢٣.

(٦) هكذا في ك و ط، وفي أ زيادة (قد) وهي زيادة نسخية.

القدح، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح *[1] حتى انتهيت إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال[2]: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بَقِيْتُ أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، * فقال: «اشرب» فشربت *[3] فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً: قال: «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[4].

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[5] قال: كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثين ومائة، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هل مع أحد منكم طعام؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن. ثم جاء رجل مشعان[6] طويل، بغنمٍ

---

(١) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٢) في ك و ط (قال) وفي ط زيادة (يا).

(٣) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه...، ١١/٢٨١ــ٢٨٢ (٦٤٥٢) من الفتح بمثله. ورواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٣٦، ٤/٦٤٨ ــ ٦٤٩ (٢٤٧٧).

(٥) هو ابن الصديق، شقيق عائشة، أخر إسلامه إلى قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح، ومات في طريق مكة فجأة سنة ٥٣هـ وقيل بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٧٤.

(٦) سقطت (مشعان) من ط ولكن قبلها زيادة (منفش الرأس، ثائر الرأس).
مشعان: منفش الشعر، ثائر الرأس.
انظر: اللسان ١٣/٢٤٠، مادة شعن.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥/٢٣٢: «فسره المصنف (يقصد البخاري) في =

يسوقها فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أبيعاً أم عطية؟» أو قال: «هبة». قال: بل بيع. فاشترى منه شاة، فصُنعت، وأمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بسواد البطن[1] أن يشوى، وأَيْم الله ما في الثلاثين ومائة إلا من قد حز له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حَزة[2] من سواد بطنها، إن كان شاهداً[3] أعطاه، وأن كان غائباً خبأ[4] له، فجعل منها قصعة، فأكلوا أجمعون، وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناها[5] على البعير»[6] أو كما قال[7].



= آخر الحديث في رواية المستملي بأنه الطويل جداً، فوق الطويل. وزاد غيره: مع أفراد (أي شدة) الطول شعث الرأس».

(١) **سواد البطن**: هو الكبد، أو كل ما في البطن من كبد وغيرها.
انظر: الفتح ٥/٢٣٢.

(٢) الحَزة: القطعة من اللحم تقطع طولاً، والجمع: حُزز.
انظر: المصباح المنير ص ١٣٣.

(٣) الشاهد: الحاضر.
انظر: المصباح المنير ص ٣٢٤.

(٤) في ك و ط (أخبأ).

(٥) في ك و ط (فحملناه).

(٦) رواه البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين ٥/٢٣٠ (٢٦١٨) من الفتح بمثله. ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف...، ٣/١٦٢٦ (٢٠٥٦) بمثله.

(٧) **جملة**: (أو كما قال) شك من أحد الرواة عند الشيخين.

فصل

من آيات النبوة: تكثير الثمار

وأما تكثير الثمار، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله أن أباه[1] استشهد، وترك دَيْناً، وترك ست بنات، فلما حضر جداد[2] النخل، قال: أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد، وترك ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء. قال: «اذهب فبيدر[3] كل تمر على ناحية» ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه، كأنهم أُغْروا بي[4] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون، أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال لي[5]: «ادع لي أصحابك» فما زال يكيل لهم، حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤديَ الله عن والدي أمانته، ولا أرجع إلى أَخواتي بتمرة،

---

(١) **أبو جابر**: هو عبد الله بن عمرو بن حرام، الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو جابر، كان عَقَبِياً بدرياً نقيباً، كان نقيب بني سلمة هو والبراء بن معرور، أستشهد يوم أحد سنة ٣هـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٤٢.

(٢) **جِداد**: بكسر الجيم وفتحها، وهو قطع ثمارها.
انظر: المصباح المنير ص ٩٢.

(٣) **بيدر**: أي اجعل التمر في البيادر، كل صنف في بيدر، والبيدر، هو الموضع الذي تهيأ فيه التمور والحبوب للحفظ.
انظر: الفتح ٦/٥٩٣؛ والمصباح المنير ص ٣٨.

(٤) **أغروا بي**: هيجوا بي.
انظر: الفتح ٥/٤١٤.

(٥) سقطت (لي) من ك و ط.

فسلم الله البيادر كلها، حتى إني لأنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كأنها لم تنقص تمرة واحدة[1]. وفي رواية: أن أباه ترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره[2] جابر، فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليشفع[4] إليه، فجاءه وكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النخل، فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جد له فأوف له» فجد له[5] بعد ما راح رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثين وسقاً، وفضل له سبعة عشر[6] وسقاً، فجاء جابر ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل. فقال: «أخبر بذلك ابن الخطاب» فذهب جابر إلى عمر، فأخبره، فقال عمر: «لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليبارَكَن فيها»[7].

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، حديث مزود[8] أبي

---

(١) صحيح البخاري، بمثله، كتاب الوصايا، باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة، ٥/٤١٣ (٢٧٨١) من الفتح.

(٢) **استنظره**: طلب منه التأخير في الأمر.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٩٥.

(٣) في ك و ط (النبي).

(٤) في ك و ط زيادة (له).

(٥) في أ (فجده).

(٦) في ك و ط (سبع عشرة).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب إذا قاصَّ أو جازفه في الدين تمراً بتمر أو غيره، ٥/٦٠ (٢٣٩٦) من الفتح بمثلها.

(٨) المزود: وعاء التمر يعمل من أدم (جلد).
انظر: المصباح المنير ص ٢٦٠.

هريرة، قال أحمد: ثنا[1] يونس[2]، ثنا حماد بن زيد[3]، عن المهاجر[4]، عن أبي العالية، عن أبي هريرة قال: «أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بتمرات، وقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال فصفهن بين يديه، قال: ثم دعا، فقال لي: «اجعلهن في مزودك، فأدخل[5] يدك ولا تنثره»، قال: «فجعلت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله، ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حَقْوي[6]، فلما قتل عثمان انقطع من حَقْوي فسقط»، رواه الترمذي عن عمران بن موسى القزاز[7]، عن

---

(١) **ثنا**: رمز يستعمله أهل الحديث لكلمة: حدثنا. على سبيل الاختصار وقد يحذفون الثاء ـ أيضاً ـ.
انظر: تدريب الراوي ٢/٨٦.

(٢) يونس: هو ابن محمد بن مسلم البغدادي، أبو محمد، المؤدب، ثقة ثبت، مات سنة ٢٠٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٨٦.

(٣) حماد بن زيد: هو ابن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريراً، مات سنة ١٧٩هـ وله ٨١ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٩٧.

(٤) **المهاجر**: هو ابن مَخْلد، أبو مخلد، مولى البكرات، مقبول.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٧٨.

(٥) في ك و ط (وادخل).

(٦) **الحَقو**: موضع شد الإزار من الخاصرة، ثم توسعوا حتى سموا الإزار الذي يشد على العورة حقوا.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٥.

(٧) في ك و ط (الفرار) وفي التقريب ٢/٨٥ (الفزاري).
عمران بن موسى القزاز: هو أبو عمرو البصري. وثقه النسائي في موضع، وقال: «لا بأس به»، في موضع آخر. وقال أبو حاتم: «صدوق»، ووثقه مسلمة بن قاسم والدارقطني. مات بعد سنة ٢٤٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٨/١٤١.

حماد، بنحوه، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه»[1].

ورواه الحافظ عبد الغني[2] وغيره[3] من طريق أخرى، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزاة، فأصابهم عوز من الطعام، فقال: «يا أبا هريرة عندك شيء؟» قلت:[4]شيء من التمر في مزود لي[5]، قال: «جيء به» فجئت بالمزود، ، وقال: «هات نطعاً» فجئت بالنطع، فبسطه[6]، فأدخل يده، فقبض على التمر، فإذا هو إحدى وعشرين[7] تمرة، قال: ثم قال: «بسم الله» فجعل يضع كل تمرة ويسمي، حتى أتى على التمر، فقال به هكذا، فجمعه، فقال: «ادع فلاناً وأصحابه» فأكلوا وشبعوا وخرجوا، ثم قال: «ادع فلاناً وأصحابه» فأكلوا وشبعوا وخرجوا، قال: وفضل تمر. قال[8]: فقال لي: «اقعد» فقعدت، فأكل وأكلت، قال: وفضل تمر فأخذه، فأدخله في المزود، فقال: «يا أبا هريرة، إذا أردت شيئاً فأدخل

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ٥/٦٨٥ ـ ٦٨٦ (٣٨٣٩)؛ والمسند للإمام أحمد ٢/٣٥٢؛ والفتح الرباني ٢٢/٥٦.

(٢) **الحافظ عبد الغني**: هو ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، محدث الإسلام. تقي الدين، أبو محمد، صاحب التصانيف ولد سنة ٥٤١هـ وكان عابداً ورعاً ماشياً على قانون السلف، مات سنة ٦٠٠هـ.

انظر: طبقات الحفاظ ٤٨٧ ـ ٤٨٨؛ والبداية والنهاية ١٣/٣٨ ـ ٣٩.

(٣) كالبيهقي وأبي نعيم كما سيأتي في تخريجه.

(٤) في ك و ط زيادة (لا، إلاَّ).

(٥) في ك و ط (مزودي).

(٦) في ك و ط (فبسط) بدون هاء.

(٧) في ط (وعشرون).

(٨) سقطت (قال) من ك و ط.

يدك، [1]ولا تكفأ فيكفأ عليك»، قال: فما كنت أريد تمراً إلَّا أدخلت يدي، فأخذت منه خمسين وسقاً في سبيل الله ــ عز وجل ــ وكان معلقاً خلف ظهري فوقع زمان عثمان، فذهب[2]».

ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور[3]، عن أبيه[4]، عن أبي هريرة، قال: «أُصبت بثلاث بموت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكنت صويحبه وخويدمه، وبقتل عثمان، والمزود، وما المزود!! كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأصاب الناس مخمصة[5]، فقال لي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هل من شيء يا أبا هريرة؟» فقلت: نعم، شيء من تمر في مزود. قال: «فأتني به» فأتيته به، فأدخل[6] يده، فأخرج قبضة فبسطها، ثم قال: «ادع لي عشرة»، فأكلوا حتى شبعوا، * ثم أدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم قال: «ادع لي عشرة» *[7] فما زال يصنع كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، ثم قال: «خذ ما جئت به، وأدخل يدك واقبض، ولا

---

(١) في ك و ط زيادة (فخذ).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/١٠٩ وأبو نعيم مجموعاً من روايتين ٢/٥٥٨ ــ ٥٥٩.

(٣) **يزيد بن أبي منصور**: هو الأزدي، أبو رَوْح البصري، لا بأس به، ووَهَمَ من ذكره في الصحابة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٧١.

(٤) أبو يزيد: هو الحارث بن منصور الواسطي، أبو منصور ــ الزاهد، ويقال: أبو سفيان، صدوق يَهِم.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٤٤.

(٥) المخمصة: المجاعة.
انظر: مختار الصحاح ص ١٩٠.

(٦) في ك و ط (فأخذ).

(٧) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

تَكْفِه»، قال أبو هريرة: فقبضت[1] على أكثر مما جئت به. ثم قال أبو هريرة: ألا أحدثكم عما أكلت منه؟ أكلت[2] حياة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأطعمت، وحياة أبي بكر وأطعمت، وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت، فلما قتل عثمان انتهب بيتي وذهب المزود»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده: ثنا يعلى بن عبيد[4]، ثنا إسماعيل[5]، عن قيس، عن دُكَين بن سعيد المزني[6]، قال: «أتينا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أربعين وأربعمائة نسأله الطعام، فقال لعمر: «إذهب فأطعمهم»[7]، فقال: يا رسول الله[8] ما بقي إلَّا

---

(١) في ك و ط (قبضت).

(٢) هنا محذوف تقديره: زمن حياة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/١١٠ ـ ١١١ بنحوه. وأبو نعيم في الدلائل ـ أيضاً ـ بمثله، ٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩ (٣٤٢).

(٤) **يعلى بن عبيد**: هو ابن أبي أمية، الكوفي، أبو يوسف الطنافسي، ثقة إلَّا في حديثه عن الثوري ففيه لين، مات سنة بضع ومائتين هجرية وله ٩٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٧٨.

(٥) إسماعيل: هو ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم، البجلي، ثقة ثبت. مات سنة ١٤٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٦٨.

(٦) في جميع النسخ: (المدني) بالدال، وصوابه (المزني) بالزاي كما في المسند وكتب الرجال. وهو ما أثبتناه.
دكين بن سعيد المزني: ويقال: الخثعمي، له حديث واحد...، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة.
انظر: الإصابة ١/٤٧٦.

(٧) في ك و ط (فأعطهم).

(٨) في أ زيادة الجملة الدعائية، وهي زيادة نسخية حتماً.

آصع[1] من تمر ما أراه يقيظني[2]، قال[3]: قال: «فأطعمهم»، قال: «سمع[4] وطاعة». قال: فأخرج عمر المفتاح من حُجْزَتِه[5]، ففتح الباب، فإذا شبه الفَصِيْل[6] الرابض من تمر، فقال لنا: «خذوا»، فأخذ كل رجل[7] منا ما أحب، ثم التفتُّ وكنت من آخر القوم، وكأنا لم نرزأ[8] تمرة»[9]. ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف[10] عن

---

(١) آصع: هذا جمع بالقلب (أي المقلوب) ومفرده صاع الذي جمعه أصواع، فقد نقلت الهمزة من موضع العين (عين الكلمة) إلى موضع الفاء مثل أبار وآباء وقد جعله أبو حاتم من خطأ العوام ورد عليه بذلك ابن الأنباري.
انظر: المصباح المنير ص ٣٥٢.

(٢) في ك و ط (ما أرى تقبضني).
يقيظني: قال وكيع. القيظ في كلام العرب أربعة أشهر. والقيظ: حُمَّارة الصيف الذي يسميه الناس: فصل الصيف.
انظر: أسد الغابة ٢/٩؛ ومختار الصحاح ص ٥٥٩؛ والمصباح المنير ص ٥٢١.
في جميع النسخ (يقيضني) بالضاد، والذي في المسند وكتب اللغة (يقيظني) بالظاء وهو ما أثبتناه.

(٣) سقطت إحدى كلمتي (قال) من ك و ط.

(٤) في ك و ط (اذهب فأعطهم) قال: (سمعاً).

(٥) **الحُجْزَة**: معقد الإزار.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٤.

(٦) **الفَصِيل**: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٠٥.

(٧) سقطت (رجل) من ك و ط.

(٨) رزأ الشيء: نقصه.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٣٠.

(٩) مسند الإمام أحمد ٤/١٧٤ وأورده الهيثمي في المجمع ٨/٣٠٤ ـ ٣٠٥ وقال: «روى أبو داود منه طرفاً ـ رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح». ورواه أبو نعيم في الدلائل ٢/٥٤٨ ـ ٥٤٩ (٣٣٣).

(١٠) عبد الرحيم بن مطرف: هو ابن أنيس بن قدامة الرؤاسي أبو سفيان الكوفي، نزيل =

عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد[1]، عن قيس بن أبي حازم[2]، عن دكين[3]، قال أبو عبد الله المقدسي[4]: «وإسناده على شرط الصحيح».



= (سروج) ثقة، مات سنة ٢٣٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٠٤.

(١) في ك و ط (خلد) بدون ألف حسب الرسم القديم.

(٢) في أ (أبـي حازم).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اتخاذ الغرف ٤/٣٦٠ ـ ٣٦١، (٥٢٣٨) بلفظ: (أتينا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فسألناه الطعام، فقال: (يا عمر اذهب فأعطهم)، فارتقى بنا إلى عِلِيَّة فأخذ المفتاح من حجزته ففتح).

(٤) **أبو عبد الله المقدسي**: هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، الإمام الناقد البارع في فنون العلم، وخاصة الحديث وفنونه ومعرفة الرجال والعلل، لازم الشيخ المؤلف مدة وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي، مات مريضاً سنة ٧٤٤هـ عشر جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون بدمشق، ولم يكمل الأربعين.
انظر: البداية والنهاية ١٤/٢١٠؛ وشذرات الذهب ٦/١٤١.

فصل

تسخير الأحجار له ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته

وأما النوع الخامس[1]، تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له. ففي صحيح البخاري عن أنس قال: «صعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أُحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: «اسكن» وضربه برجله «فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»[2].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[3].

وفي الترمذي عن عليٍّ قال: (كنت مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله»[4] ورواه الحاكم في صحيحه[5].

---

(١) هذا هو النوع السادس، حسب واقع السياق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لو كنت متخذاً خليلاً، ٧/٢٢ (٣٦٧٥) وفي باب مناقب عمر بن الخطاب. . .، ٧/٤٢ (٣٦٨٦) وفي باب مناقب عثمان بن عفان بن عمرو. . .، ٧/٥٣ (٣٦٩٧) من الفتح.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . .، ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٧). والترمذي بنحوه، كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي. . .، ٥/٥٩٢ ـ ٥٩٣ (٣٦٢٤). ولم يَرِد عند البخاري خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف. ـ رحمه الله تعالى ـ .

=

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال[1]: «غزونا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حنيناً[2]، فلما واجهنا العدو تقدمته فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه[3] بسهمٍ فتوارى عني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وأصحاب النبي[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فولى أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وارجع[5] منهزماً، وعليَّ بردتان، متزراً بإحداهما[6] مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاريّ فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منهزماً، وهو على بغلته الشهباء[7]، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لقد رأى

= (٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ٥، ٦/٥٩٣ (٣٦٢٦): وقال: «هذا حديث غريب»!!

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٢/٦٢٠ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) في ط (فقال).

(٢) غزوة حنين: كانت بعد الفتح سنة ٨هـ وقعت بين المسلمين بقيادة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبين ثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وكان المسلمون اثنا عشر ألفاً.
انظر: السيرة لابن هشام ٤/٨٠.

(٣) في ط (فرميته).

(٤) في ك و ط (محمد).

(٥) في ط (فرجعت).

(٦) في أ (بأحدهما).

(٧) ركوبه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ البغلة في موطن الحرب، وعند اشتداد البأس، هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه ـ أيضاً ـ يكون معتمداً يرجع إليه المسلمون... وإنما فعله عمداً وإلاَّ فقد كانت له أفراس معروفة.
انظر: شرح النووي ١٢/١١٤ ـ ١١٥. =

ابن الأكوع فزعاً» فلما غشوا النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من الأرض واستقبل به[1] وجوههم، فقال: «شاهت[2] الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله»[3].

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال: «شهدت مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث[4] ابن عبد المطلب[5] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فلم نفارقه، ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على بغلة له بيضاء[6] أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي[7]، فلما التقى المسلمون والكفار،

= **الشهباء**: من الشهب والشهبة: وهو لون بياض، يصدعه سواد من خلاله.
انظر: اللسان ص ٥٠٨، مادة شهب.

(١) في ط (بها).

(٢) شاهت ــ قَبُحت.
انظر: المصدر السابق ١٢٢/١٢.

(٣) صحيح مسلم، بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠٢/٣ (١٧٧٧).

(٤) في ك و ط (الحرث).

(٥) **أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب**: هو ابن هشام بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأخوه في الرضاعة، ومن الذين يشبهونه، وكان شاعراً مطبوعاً، أسلم وحسن إسلامه توفي سنة ٢٠هـ وهو الذي حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام.
انظر: أسد الغابة ١٤٥/٥ ــ ١٤٧.

(٦) ورد في حديث سلمة بن الأكوع السابق وصف البغلة بالشهباء وهي واحدة لا يعرف له بغلة سواها، وهي التي يقال لها: دلدل.

(٧) تعددت الأقوال في اسم والد فروة فقيل عامر وعمرو ونباتة ونعامة، ورد أنه أرسل رسولاً إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بإسلامه، وأهدى له تلك البغلة، وكان يسكن عمان بالشام، وكان عاملاً للروم على من يليهم من العرب، فلما بلغ الروم =

ولى [١] المسلمون مدبرين، فطفق[٢] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يَرْكُض بغلته قِبَلَ الكفار. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكفها[٣]، وأبو سفيان آخذ بركاب * رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ *[٤] إرادة أن لا تسرع[٥] فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أي عباس، نادِ أصحاب الشجرة[٦]» فوالله لكأن عطفتهم[٧] حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. يا لبيك يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار[٨] يقولون: يا معشر الأنصار. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج[٩] فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرع، فنظر رسول الله

= إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم. قال ابن إسحاق: زعم الزهري أنهم لما قَدَّموه ليقتلوه قال: (بلغ سراة المسلمين بأنني سَلْمٌ لربي أعظمي وبناني). انظر: أسد الغابة ٤/٥٦ ـ ٥٧.

(١) في ط (وولى).

(٢) في ط (طفق).

(٣) في ك و ط زيادة (إرادة أن لا تسرع).

(٤) ما بين النجمتين ليس في أ وقد أكملناه من ك و ط.

(٥) تقدمت جملة (إرادة أن لا تسرع) في ك و ط على قوله (وأبو سفيان آخذ...).

(٦) في ك و ط (السمرة).

الشجرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، والمعنى: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. وقد ذكر الحازمي أن العباس كان يقف على سَلْع فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة فيُسْمِعهم. قال وبين سلع والغابة ثمانية أميال. انظر: شرح النووي ١٢/١١٥.

(٧) في ك و ط (عطفهم).

(٨) أي الاستغاثة والمناداة إليهم.

انظر: المصدر السابق ١٢/١١٦.

(٩) **الحارث بن الخزرج**: هو ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقيا بن عامر ـ ماء السماء بن حارثة ـ الغطريف ـ بن امرىء القيس بن =

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هذا حين حمى الوطيس[1]»، ثم أخذ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حَصَيات فرمى وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة»، قال فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً[2]، وأمرهم مدبراً، حتى هزمهم الله[3]، وقد قال الله ـ تعالى ـ عن يوم بدر ـ :

﴿. . . وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ. . .﴾[4].

= ثعلبة بن مازن بن الأزد. وكان سكنهم بالسُّنح، على ميل من مسجد الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفيهم كان يسكن أبو بكر الصديق.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ و ٣٢٨ و ٣٦١.

(١) **الوطيس**: هو شبه التنور يسجر فيه، ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .
انظر: شرح النووي ١٢/١١٦.

(٢) **كليلاً**: غير قاطع، تشبيه بحد السيف الذي هذه صفته، والمعنى: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.
انظر: المصباح المنير ص ٥٣٨؛ وشرح النووي ١٢/١١٧.

(٣) صحيح مسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، **٣/١٣٩٨ ـ ١٣٩٩** (١٧٧٥).

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٧.
أورد الهيثمي في المجمع ٦/٨٤ قول حكيم بن حزام: «لما كان يوم بدر أُمِر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخذ كفا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزمنا، فأنزل الله ـ عز وجل ـ :
﴿. . . **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**. . .﴾.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وعن ابن عباس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لعليّ: «ناولني كفا من حصى» فناوله، فرمى به وجوه القوم فما =

وروى ابن إسحاق عن جماعة، منهم عروة، والزهري، وعاصم بن عمر[1] وغيرهم قالوا: «فكان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في العريش[2]، هو وأبو بكر، ما معهما غيرهما، وقد تدانى القوم بعضهم من بعض، فجعل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يناشد[3] ربه، ما وعده من نصره ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة[4] لا تعبد»، وأبو بكر يقول: بعض[5] مناشدتك ربك، يا رسول الله، فإن الله سينجز لك ما وعدك من نصره، وخفق[6] رسول الله

= بقي أحد من القوم إلَّا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت. . .، وذكر الآية، قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وقد ورد عن ابن المسيب والزهري أنها نزلت في شأن قتله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأبي بن خلف يوم أحد كما رواه الحاكم عنهما في المستدرك ٢/٣٢٧ وصححه ووافقه الذهبي، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا القول عن هذين الإمامين (يقصد ابن المسيب والزهري) غريب جداً، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة».
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٢.

(١) في أ و ك و ط (عمرو) والصواب ما جاء في نسخة أكسفورد. وهو ما أثبتناه، والمقصود هو عاصم بن عمر بن قتادة.

(٢) **العريش**: مفرد جمعه عرش وعروش، وهي المُظالّ التي تسوى من جريد النخل، ويطرح فوقها الثُّمام.
انظر: اللسان ٦/٣١٥، مادة عرش.

(٣) **يناشد**: يطالب.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٧١.

(٤) **العصابة**: الجماعة من الناس والخيل والطير.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦.

(٥) في ط (بعد).

(٦) **خفق**: أخذته سِنَة من النعاس، فمال رأسه دون سائر جسده.
انظر: المصباح المنير ص ١٧٦.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خفقة ثم هَبَّ[1]، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله ـ عز وجل ـ ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه[2] النقع (يقول الغبار)[3]» ثم خرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فعبأ أصحابه وهيأهم، وقال: «لا يعجلن رجل[4] منكم بقتال حتى نؤذنه[5] فإذا أكثبكم القوم (ـ يقول قربوا منكم ـ)[6] فانضحوهم[7] عنكم بالنبل[8]»، ثم تزاحم الناس، فلما تدانى بعضهم من بعض، خرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخذ حفنة من حصباء[9]، ثم استقبل بها قريشاً، فنفخ بها وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه»، ثم قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «احملوا[10] عليهم يا معشر المسلمين» فحمل المسلمون،

---

(١) هب: استيقظ.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٩.

(٢) **ثناياه**: ركبتاه ومرفقاه.
انظر: اللسان ١٤/١٢٣، مادة ثني.

(٣) هذا تفسير من أحد الرواة. وهو في مختار الصحاح ص ٦٧٦.

(٤) سقط (رجل) من ط.

(٥) في ك و ط (يؤذنه) بالياء.

(٦) وهذا تفسير من أحد الرواة ـ أيضاً ـ وهو في اللسان ١/٧٠٢، مادة كثب.

(٧) **انضحوهم**: ارموهم.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٨٦.

(٨) **النبل**: السهام، وقيل السهام العربية.
انظر: اللسان ١١/٦٤٢، مادة نبل.

(٩) الحفنة : ملء الكفين. والحصباء: صغار الحصى.
انظر: المصباح المنير ١٣٨ و ١٤٢.

(١٠) احملوا: من الحملة: وهي الكرة في الحرب.
انظر: ترتيب القاموس ١/٧١٢.

وهزم الله قريشاً، وقتل من قتل من أشرافهم، وأسر من أسر منهم»[1].

وفي حـديث ابن أبـي طلحـة[2]، عن ابن عبـاس فقـال[3] لـه جبريل: «خـذ قبضة من تـراب» * فأخذ قبضـة من تراب *[4] ورمى بهـا وجوههم، فما في[5] المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمـه تراب، من تلك القبضة، فولوا مدبرين[6].



(١) السيرة لابن هشام ٢/٢٧٩ ــ ٢٨٠.

(٢) في ك و ط زيادة (الوالبـي).

ابن أبـي طلحـة: هو علي بن أبـي طلحـة سـالم بن مخـارق، مـولى بني العبـاس، سكن حمص، أرسـل عن ابن عبـاس ولم يـره، صـدوق قـد يخـطىء، مـات سنـة ١٤٣هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣/١٣٤؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٩.

(٣) في ط (قال).

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أكملناه من ك و ط.

(٥) في ك و ط (من).

(٦) رواه ابن جـريـر في جـامـع البيـان ٩/٢٠٥؛ والبيهقي في الـدلائـل ٣/٧٨ ــ ٧٩ وأبو نعيم في الدلائل ٢/٦٠٤، كلهم من طريق علي بن أبـي طلحة، وعلى هذا فهو حديث مرسل.

فصل

تأييد الله لرسوله بالملائكة: من أعلام نبوته

النوع السادس[1] من آياته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2]: تأييد الله له بملائكته، قال[3] الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[4] الآية.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ في الخندق[6]:

---

(١) هذا هو النوع السابع حسب واقع السياق.

(٢) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.

(٣) في أ (فقال).

(٤) سورة الأنفال: الآية ٩.

مردفين: متتابعين، يتبع بعضهم بعضاً.

انظر: صفوة التفاسير ٩/٤٩٥.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٢٤ ـ ١٢٥.

مسومين: معلمين على السلاح ومدربين على القتال.

انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٢٨.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٩.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ في حنين:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ[2] عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ في الهجرة:

﴿ ... ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ... ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ في بدر:

﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ... ﴾[5].

وفي[6] الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس، عن عمر ابن الخطاب، قال: «لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ـ صلّى الله عليه

---

(١) أي: في غزوة الخندق أو الأحزاب.
(٢) السكينة: السكون والطمأنينة.
انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٣٦.
(٣) سورة التوبة: الآية ٢٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.
(٦) في أ (ففي).

وسلَّم ـ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى أسقط[1] رداءه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على[2] منكبيه، ثم التزمه من ورائه[3]، فقال: «يا نبي الله كفاك[4] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله ـ عز وجل ـ :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[5].

فأمدَّه الله بالملائكة.

قال أبو زُمَيل[6]: فحدثني ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة

---

(١) في ك و ط (سقط).

(٢) في ط (عن).

(٣) أي: اعتنقه وضمه إلى صدره من ورائه، ويؤخذ من ذلك مشروعية المعانقة والالتزام من الخلف كما هي من الأمام، وتلك هيئة لم أشاهدها طيلة حياتي، وأظن أن الناس في بلادنا لا يحبذونها.
انظر: المصباح المنير ص ٥٥٣.

(٤) في أ (كفاك كذالك) وفي ك (كذاك) وقد أثبتنا ما في ط لأنه أصوب.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٦) **أبو زُمَيل**: هو سِماك بن الوليد الحنفي اليمامي ثم الكوفي، ليس به بأس.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٤٩ ـ ٢٥٠؛ وتقريب التهذيب ١/٣٣٢.

سوط فوقه، وصوت[1] الفارس يقول: «أَقْدِم حيزوم[2]» فنظر إلى المشرك[3] أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه[4]، وشق وجهه، كضربة بالسوط، فاخضر[5] ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين...»[6] وذكر الحديث.

وذكر البخاري في هذا الحديث: فخرج، ــ يعني النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو يقول:

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[7].

وقال ابن إسحاق: «حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم[8]، عن

---

(١) في ط (وسوط).

(٢) حَيْزوم: فرس جبريل ــ عليه السلام ــ.
انظر: شرح النووي ١٢/٨٥.

(٣) في ط (المشركين).

(٤) الخَطْم: الأثر على الأنف.
انظر: المصدر السابق ١٢/٨٦.

(٥) هذا الاخضرار آية أخرى، حيث يدل على أن الآلة القتالية غير عادية، وإلَّا لو كانت عادية لما اخضر شيء من ذلك أبداً.

(٦) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة...، ٣/١٣٨٣ (١٧٦٣).

(٧) سورة القمر: الآية ٤٥.
وروى البخاري طرفاً من حديث مسلم فيه الجملة المذكورة، في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي...، ٦/٩٩ (٢٩١٥) من الفتح، وأما قصة الملائكة ففي رواية أخرى مختصرة في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ٧/٣١١ ــ ٣١٢ (٣٩٩٢ ــ ٣٩٩٥) من الفتح.

(٨) عبد الله بن أبي بكر بن حزم: هو الإمام الحافظ أبو محمد الأنصاري، صاحب =

بعض بني ساعدة[1] قال: «سمعت أبا أسيد[2] مالك بن ربيعة[3] ـ بعدما أصيب بصره ـ يقول: «لـو كنت معكم ببدر ـ الآن ـ ، ومعي بصـري، لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمـارى[4]، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحى الله إليهم:

﴿ . . . أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾[5].

وتثبيتهم[6]: أن الملائكة تأتي الرجل، في صورة الرجل يعرفه[7]، وتقول له: «أبشروا، فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم، كروا

= المغازي، وشيخ ابن إسحاق، ثقة، مات سنة ١٣٥هـ وله سبعون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣١٤ ـ ٣١٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٠٥.

(١) **بنو ساعدة**: هم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقياء ـ بن عامر ـ ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
انظر: جمهرة أنساب العرب **٣٢٩** و **٢٣١** و **٣٦٥**؛ واللباب **٢/٩٢**.

(٢) في ك و ط (أسد) بالتكبير.

(٣) **أبو أسيد، مالك بن ربيعة**: هو ابن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج، مشهور بكنيته، شهد بدراً وأحداً وما بعدهما، كان قصيراً أبيض الرأس واللحية كثير الشعر، مات سنة ٦٠هـ وله ٧٨سنة، وقيل غير ذلك في وفاته وعمره.
انظر: الإصابة **٣/٣٤٤**.

(٤) لم يورد ابن هشام من رواية ابن إسحاق إلاَّ إلى هذا الموضع فحسب السيرة لابن هشام ٢/٢٨٦.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٦) **سقطت**: (وتثبيتهم) من جميع النسخ وهي في الدلائل للبيهقي والتفسير والسيرة لابن كثير.

(٧) في ك و ط (تعرفه).

عليهم». فلما رأى إبليس الملائكة، نكص[1] على عقبيه، وقال:

﴿... إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ...﴾[2].

وهو في صورة[3] سراقة، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه، ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه على موعد من محمد وأصحابه، ثم قال: «واللات والعزّى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً»[4].

وفي الصحيحين، عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت (يوم أحد) عن يمين النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعن يساره، رجلين عليهم ثياب بيض، يقاتلان عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده» ـ ويعني جبرائيل[5] وميكائيل عليهما السلام ـ[6]:

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: «أصيب سعد يوم الخندق،

---

(١) **نكص**: من النكوص: وهو الإحجام عن الشيء يقال: نكص على عقبيه: أي رجع. انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

(٣) في أ (سورة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل عن ابن إسحاق ٥٢/٣ ـ ٥٣.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١٨/٤؛ والسيرة ٤٧/٢ كلاهما لابن كثير.

(٥) في ك و ط (جبريل).

(٦) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الفضائل باب في قتال جبريل...، ١٨٠٢/٤ (٢٣٠٦) في روايتين. ورواه البخاري مختصراً، كتاب المغازي باب: **﴿إذ همت طائفتان...﴾**، ٣٥٨/٧ (٤٠٥٤) من الفتح.

رماه رجل من قريش (ابن[1] العَرَقة)[2] رماه في الأكحل[3]، فضرب عليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خيمة في المسجد يعوده من قريب. فلما رجع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الخندق، وضع[4] السلاح، فاغتسل فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ، وهو ينفض عن رأسه من الغبار، فقال: «وضعت السلاح! والله[5] ما وضعناه، اخرج إليهم»، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فنزلوا على حكم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الحكم فيهم إلى سعد، قال: «إني[6] أحكم فيهم أن يقتل المقاتلة. وأن تسبى الذرية والنساء، وتقسم أموالهم»[7]. وفي بعض طرق البخاري: «فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار»[8].

---

(١) سقطت ألف (ابن) في ط.

(٢) ابن العرقة: هو حِبان بن قيس، أحد بني عامر بن لؤي، والعرقة: أمه، واسمها: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم، تكنى أم فاطمة، سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة أم أمها هالة. الروض الأنف ٣/ ٢٨٠.

(٣) **الأكحل**: هو عرق في وسط الذراع.
انظر: الفتح ٧/ ٤١٣.

(٤) في ك و ط (ووضع).

(٥) في ك و ط (فوالله).

(٦) في ك و ط (فإني).

(٧) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأحزاب... ٧/ ٤١١ (٤١٢٢) من الفتح. ورواه مسلم بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد...، ٣/ ١٣٨٩ (١٧٦٩).

(٨) **المعنى**: أحاط به فصار عليه مثل العصابة.
انظر: الفتح ٦/ ٣١.
صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار، ٦/ ٣٠ (٢٨١٣) من الفتح.

وروى البخاري عن أنس قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق[1] بني غُنْم[2]، موكب جبريل ـ صلوات الله عليه ـ، حين سار رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى بني قريظة»[3].

وفي المغازي من غير[4] طريق: أن الصحابة رأوا جبريل في صورة (دحية الكلبي)[5] وأنه معتمّ بعمامة أرخى طرفها بين كتفيه، وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعثه الله إلى بني قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويلقي الرعب في قلوبهم[6]».

وروى البخاري عن ابن عباس: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال يوم بدر: «هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب»[7].

وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله ـ صلَّى الله عليه

---

(١) **الزقاق**: السكة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٧٣.

(٢) **بنو غنم**: بطن من الخزرج، وهم بنو غنم بن مالك بن النجار، منهم أبو أيوب الأنصاري وآخرون، ووهم من زعم أن المراد بهم هنا بنو غنم، حي من تغلب.
انظر: الفتح ٦/٣١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأحزاب ٧/٤٠٧ (٤١١٨) من الفتح.

(٤) سقطت (غير) من ك و ط.

(٥) **دحية**: هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي جليل نزل المزّة ومات في خلافة معاوية.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٣٥؛ وأسد الغابة ٢/٦.

(٦) السيرة لابن هشام ٣/٢٤٥.

(٧) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ٧/٣١٢ (٣٩٩٥) من الفتح. ورواه الإمام أحمد في المسند ١/١٤٧.

وسلَّم ــ : «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم: يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال[1]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال [3]، لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني مَلَك الجبال، وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وأنا مَلَك الجبال، وقد بعثني إليك ربك، لتأمرني بأمرك ما شئت[4]، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[5]». فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «بل أرجو أن

---

(١) في ك و ط (كلاب).

ابن عبد ياليل بن عبد كلال: هو كنانة، وقيل: مسعود، وكان من أكابر أهل الطائف، جاء كنانة مع وفد الطائف سنة ١٠هـ. لكن ذكر المديني أن الوفد أسلموا إلَّا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك.

انظر: أسد الغابة ٤/ ٢٠٠ ــ ٢٠١؛ والفتح ٦/ ٣١٥.

(٢) **قرن الثعالب**: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، تلقاء (مقابل) مكة، على يوم وليلة (٥٠ كلم تقريباً) وأصل القرن الجبل المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير.

انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٣٢.

(٣) الظاهر أنه لم يرد في النصوص تسميته ــ عليه السلام ــ .

(٤) في ك و ط (فيما).

(٥) في ط زيادة (لفعلت).

الأخشبان: تثنية: الأخشب، وهما جبلان يضافان تارة إلى مكة، وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما: أبو قبيس والآخر قيعقعان.

انظر: معجم البلدان ١/ ١٢٢.

يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً»[1].



(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. . .، ٦/٣١٢ ـ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح بمثله. ومسلم بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ ـ ١٤٢١ (١٧٩٥).

فصل

النوع السابع[1]: في كفاية الله له أعداءه، وعصمته له من الناس، وهذا فيه آية لنبوته من وجوه: حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته

منها: أن ذلك تصديق لقوله ـ تعالى ـ:

﴿فَاصْدَعْ[2] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3].

فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين.

وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب، بقوله:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ[4] فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ[5] وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6].

---

(١) هذا هو النوع الثامن، حسب واقع السياق.

(٢) اصدع: اجهر بتبليغ أمر ربك.
انظر: صفوة التفاسير ١٤/١١٦.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٤) شقاق: عداوة وخلاف. انظر: صفوة التفاسير ١/٩٩.

(٥) فسيكفيكهم الله: أي سيكفيك يا محمد شرهم وأذاهم ويعصمك منهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦ ـ ١٣٧.

فأخبره الله[1] أنه يكفيه هؤلاء الشاقين[2] له، من أهل الكتاب، وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ . . . ﴾[4].

فهذا خبر عام، بأن الله يعصمه من جميع الناس.

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر، وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه، بأنواع عجيبة، خارجة عن العادة المعروفة.

ومنها: أنه نصره، مع كثرة أعدائه، وقوتهم وغلبتهم[5]، وأنه كان وحده جاهراً[6] بمعاداتهم، وسب آبائهم، وشتم آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، والطعن في دينهم، وهذا من الأمور الخارقة للعادة. والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش، وعظماء العرب، وكان أهل مكة أهل الحرم[7]، أعز الناس وأشرفهم، يعظمهم جميع الأمم.

أما العرب فكانوا يدينون لهم، وأما غيرهم من الأمم، فكانوا

---

(١) ليس في أ اسم الجلالة المعظم.
(٢) في ك و ط (المشاقين).
(٣) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٥) في ك و ط (وغلبهم).
(٦) في ك و ط (وجاء هو).
(٧) سقطت (أهل الحرم) من ك و ط.

يعظمونهم به[1]، لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى، كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل، لَما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر.

وهؤلاء بنو[2] إسرائيل ابن[3] خليل الله، وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده، من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم. فكان أهل مكة معظَمين، لأنهم جيران البيت، ولأنهم أشرف بني إسماعيل. فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى[4] هاشم من قريش، واصطفى محمداً[5] من بني هاشم. وكان قد عاداه[6] أشراف هؤلاء، كما عادى المسيحَ أشراف بني إسرائيل.

وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم، ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم. وكذلك كفى الله محمداً من عاداه، وانتقم منهم، ولم ينفعهم أنسابهم[7] ولا فضل مدينتهم.

فإن الله إنما يثيب بالإيمان والتقوى، لا بالبلد والنسب، وقال[8] ـ تعالى ـ :

---

(١) الضمير يعود إلى الحرم.
(٢) في أ (بنى) والصواب الرفع.
(٣) في أ (بن).
(٤) في ك و ط زيادة (بني).
(٥) في أ (محمد) بغير النصب، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٦) في أ (عادوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.
(٧) في ك و ط (انتسابهم).
(٨) في ك و ط (فقال).

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ [1] ،
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

وقــال :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ
لَهُمْ ﴾ [3] .

وقــال :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا [4]
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴾ [5] .

وقد سمّى أهل العلم بعض من كفاه الله إياه[6] من المستهزئين، وكانوا معروفين مشهورين ـ عند الصحابة ـ بالرياسة والعظمة في الدنيا، فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم، الذي أكرم الله نبيه به.

---

(١) لكل نبأ مستقر: أي لكل خبر من أخبار الله ـ عز وجل ـ وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.
انظر: صفوة التفاسير ٣٩٧/٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) سورة محمد ـ عليه السلام ـ: الآية ١٣.

(٤) رغدا: سعة وكثرة.
انظر: صفوة التفاسير ١٤٦/١٤.

(٥) سورة النحل: الآيتان ١١٢ ـ ١١٣.

(٦) سقطت (إياه) من ك و ط.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: «هل يُعَفِّر محمد وجهه[1] بين أظهركم؟» قيل: نعم. قال: «واللات والعزى[2]، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته»، فما فجأهم[3] منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه. فقيل له: مالك؟ قال: «إن بيني وبينه لخندقاً[4] من نار، وهولا[5] وأجنحة»، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لو دنا مني، لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»[6]، وأنزل الله ــ تعالى ــ :

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ [7] ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ

---

(١) **يعفر محمد وجهه**: يسجد ويلصق وجهه بالعَفَر، وهو التراب.
انظر: شرح النووي ١٧/١٣٩.

(٢) **اللات**: اسم صنم كانت تعبده ثقيف ــ **والعزى**: شجرة سَمُرة كانت لغطفان يعبدونها، بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة فبعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خالد بن الوليد فهدم البيت، وأحرق السمرة، ولم تكن قريش تعظم شيئاً من الأصنام تعظيمها.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١١٩٣ و ٢/٩٣٧.

(٣) في ط (فاجأهم).

(٤) في أ (لخندق) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(٥) في ط: (وهؤلاء أجنحة).

(٦) عند مسلم بعد هذا قوله: «قال: فأنزل الله ــ عز وجل ــ لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه ــ. . .» ثم ذكر الآيات، ثم قال: زاد عبيد الله (يقصد شيخه ابن معاذ) في حديثه قال: «وأمره بما أمره به». وزاد ابن عبد الأعلى (ويقصد شيخه ــ أيضاً ــ محمد بن عبد الأعلى القيسي): «فليدع ناديه يعني: قومه».
انظر: مسلم ٤/٢١٥٥.

(٧) أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأن الذي نهاه هو ــ اللعين ــ أبو جهل.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٥٨٢.

﴿بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ[1] ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ[2] ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[3].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب، حديث هجرة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبي بكر من مكة إلى المدينة، قال فيه: «واتبعنا[4] سراقة بن مالك بن جعشم، ونحن في جَدَد[5] من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أُتينا، فقال[6]: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا عليه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فارتطمت فرسه إلى بطنها[7] فقال: «إني قد علمت أنكما دعوتما عليّ، فادعوا لي، والله لكما أن

---

(١) **لنسفعا بالناصية**: أي لنأخذنه بناصيته ــ مقدم شعر الرأس ــ فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها.
انظر: المصدر السابق ٣٠/٥٨٣.

(٢) **الزبانية**: خزنة جهنم، الملائكة الغلاظ الشداد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) **واقترب**: تقرب بالسجود إلى ربك.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة العلق: الآيات ٩ ــ ١٩.
رواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: ﴿**إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى**﴾ ٤/٢١٥٤؛ (٢٧٩٧). ورواه البخاري مختصراً جداً، كتاب التفسير، باب ﴿**كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية...**﴾ ٨/٧٢٤ (٤٩٥٨) من الفتح.

(٤) سقطت (واتبعنا) من ط.

(٥) **الجَدَدْ**: هو المستوي من الأرض. والذي عند مسلم (جلد) وهما روايتان.
انظر: شرح النووي ١٨/١٥٠.

(٦) في ط (قال).

(٧) ارتطمت فرسه إلى بطنها: أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الجلد (أي الصلبة والجدد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

أرد عنكما الطلب، فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، فلا يلقى أحداً إلا رده»[1].

وفي لفظ: «فساخ[2] فرسه في الأرض إلى بطنه، ووثب عنه، فقال: يا محمد، قد علمت أن[3] هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك عليَّ لأُعَمِّين على من ورائي»[4].

وفي الصحيحين عن ابن شهاب، من رواية سراقة ـ نفسه ـ قال: «جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبي بكر[5]، دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج[6]، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني رأيت آنفاً أسودة[7] بالساحل،

---

(١) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠ (٣٠٠٩)، ورواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٢٢ (٣٦١٥).

(٢) ساخ: بمعنى ارتطم وغاص.
انظر: شرح النووي ١٨/١٥٠.

(٣) سقطت (أن) من أ.

(٤) لأُعَمين على من ورائي: يعني لأخفين أمركم عمن ورائي ممن يطلبكم وألبس عليهم حتى لا يعلم أحد.
انظر: المصدر والموضع السابق.
صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرحْل ٤/٢٣١٠ (٣٠٠٩) بمثل هذا اللفظ.

(٥) ليس في أ (وأبي بكر) وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(٦) بنو مدلج: هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، بطن كبير من كنانة.
انظر: اللباب ٣/١٨٣.

(٧) أسودة: أشخاصاً.
انظر: الفتح ٧/٢٤١.

أراهما محمداً وأصحابه[1]. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، ثم لبثت ساعة، ثم قمت فدخلت بيتي، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها[2] عليَّ، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه[3] الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها[4] تقرب بي[5] حتى دنوت منهم وعثرت بي[6] فرسي، فخررت عنها، فقمت[7]، فأهويت بيدي إلى كنانتي[8] فاستخرجت منها الأزلام[9]:

---

(١) في أ (وصحابه).

(٢) في ط (فتجسها).

(٣) زج الرمح: هو الحديدة التي في أسفل الرمح.
انظر: الفتح ٧/٢٤١.

(٤) رفعتها: أسرعت بها السير.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) تقرب بي: التقريب: السير دون العدو وفوق العادة، وقيل: أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط (في).

(٧) في ك و ط زيادة: (عنها).

(٨) **الكنانة**: جعبة السهام من أدم (جلد).
انظر المصباح المنير ٢/٥٤٢.

(٩) **الأزلام**: هي عند العرب ثلاثة أنواع:
أحدها: الثلاثة التي يتخذها كل إنسان لنفسه في أحدها: أفعل، وفي الآخر: لا تفعل، والثالث غُفْل، فيجعلها في خريطة (كيس) فإذا أراد فعل شيء أدخل يده في الخريطة منسابة وأتمر بما خرج له: الآمر أو الناهي، وإن خرج الغفل أعاد الضرب.
والنوع الثاني: كان سبعة أقداح، عند هبل في جوف الكعبة. =

فاستقسمت بها:[1] فخرج[2] الذي أكره[3]، فركبت وعصيت الأزلام، فقربت بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر[4] الالتفات، ساخت يدا[5] فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها[6] غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام. «فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[7]. . .» وذكر تمام الحديث.

= **والنوع الثالث**: أقداح الميسر وهي عشرة.
انظر: البحر المحيط ٣/٤٢٤ ــ ٤٢٥.

(١) في ك و ط زيادة (أضرهم أم لا؟).

(٢) في ك و ط (فيخرج).

(٣) فخرج الذي أكره: أي لا تضرهم.
انظر: الفتح ٧/٢٤١.

(٤) سقطت (يكثر) من أ وقد أثبتناها من ك و ط.

(٥) في أ (يدي).

(٦) في ك (إذ لأثر يديها) وفي ط (إذ لا تريد بها) هكذا.

(٧) رواه البخاري معلقاً. كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي. . .، ٧/٢٣٨ ــ ٢٣٩ (٣٩٠٦)، قال الحافظ ابن حجر هنا في الفتح ٧/٢٤٠: «هو موصول بإسناد حديث عائشة (يقصد قول البخاري) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل، قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين. . .» ٧/٢٣٠ (٣٩٠٥) من الفتح وقد أفرده البيهقي في الدلائل وقبله الحاكم في الإكليل من طريق ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن مسلم هو الزهري به». وكذلك أورده الإسماعيلي منفرداً من طريق معمر والمعافى في الجليس من طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري. =

وفي الصحيحين عن جابر قال: «غزونا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ غزاة قبل نجد[1]، فأدركنا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في القائلة[2]، في واد كثير العضاة[3]، فنزل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إن رجلاً أتاني، وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، والسيف صلتاً[4] في يده. فقال: من

= وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٤٨٥ ــ ٤٨٩ موصولاً بأكثر من طريق عن الزهري، وأورد ما قاله سراقة رداً على أبي جهل:

أبا حكم . . . لو كنت شاهداً   لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجِبْت ولم تشكك بأن محمداً   نبي وبرهان، فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه، لأنني   أرى أمرَه يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود النصر فيه بإلبها   لو أن جميع الناس طُراً تسالمه

والحديث ليس عند مسلم، خلافاً لإشارة الشيخ المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ .

(١) في رواية أخرى: «كنا مع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذات الرقاع . . .» ٧/٤٢٦ (٤١٣٦) من الفتح.
تعددت الأقوال في تحديد المراد بنجد ويستخلص منها جميعاً: أن ما سال من جبال السروات مشرقاً فهو نجد، وما سال مغرباً يفسح الجبال فهو حجاز، وخالف الجبل إلى البحر فهو تِهامة.
انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز؛ لمحمد الجاسر ٢١٧ ــ ٢١٨.

(٢) **القائلة**: وسط النهار وشدة الحر.
انظر الفتح ٧/٤٢٧.

(٣) في ك (الغضاة) وفي ط (الفضاء).
العضاة: كل شجر يعظم، له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقاً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) صلتاً: مجرداً من غمده.
انظر: الفتح ٧/٤٢٧.

يمنعك مني؟ قلت: الله، فشام[1] السيف، فها هو ذا جالس»، ثم لم يعرض له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكان ملك قومه، فانصرف حين عفا عنه. فقال: «لا أكون في قوم هم حرب لك»[2].

وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: «كان فلان[3] يجلس إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فإذا تكلم النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اختلج بوجهه[4]، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «كن كذلك»، فلم يزل يختلج حتى مات»[5].

---

(١) في ك و ط (فسام) بالسين المهملة.
شام السيف: غَمَده ورده في غمده، يقال: شام السيف: إذا سله، وإذا أغمده، فهو من الأضداد، والمراد هنا: أغمده.
انظر: شرح النووي ١٥/٤٥.

(٢) رواه مسلم واللفظ له بمثله إلى قوله: ثم لم يعرض له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو نهاية الحديث عنده، كتاب الفضائل، باب توكله على الله ــ تعالى ــ وعصمة الله ــ تعالى ــ له من الناس ٤/١٧٨٦ (٨٤٣). ورواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر ٦/٩٧ (٢٩١٣) من الفتح، ورواه البيهقي في الدلائل ٣/٣٧٥ ــ ٣٧٦.

(٣) هو الحكم بن أبي العاص، أبو مروان أمير المدينة.
انظر: أسد الغابة ١/٥١٤ ــ ٥١٥.

(٤) **اختلج بوجهه**: حرك شفتيه وذقنه استهزاء وحكاية لفعل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .
انظر: المصدر والموضع السابق، مادة خلج.

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ ٢/٦٢١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ورد عليه الذهبي بأن ضرار بن صرد ــ أحد رواة الحديث ــ واهٍ.
وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/٣٧٤: «ضرار بن صرد التيمي، أبو نعيم الطحان الكوفي، صدوق له أوهام، وخطىء ورمي بالتشيع من العاشرة مات سنة ٢٩هـ روى له البخاري في خلق أفعال العباد».
=

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: كان رجل[1] نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فعاد نصرانياً، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له[2]. فقال: رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم أجعله آية» فأماته الله، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: مثل الأول، فحفروا له وأعمقوا، فلفظته الثالثة، فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذاً»[3].

وروى الإمام أحمد من حديث[4] ابن إسحاق قال: حدَّثني يحيى بن عروة[5]، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما كانت تُظْهِر من عداوته؟» قال: «حضرتهم وقد اجتمع

= وروى هذا الحديث البيهقي في الدلائل عن شيخه الحاكم ــ أيضاً ــ ومن طريق ضرار المذكور ٦/٢٣٩.

(١) سقطت (رجل) من ط.
عند مسلم: «كان منا رجل من بني النجار...».

(٢) قال الحافظ في الفتح ٦/٦٢٥: «في رواية الإسماعيلي: وكان يقول: ما أرى يحسن محمد إلا ما كنت أكتب له».

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٦/٦٢٤ (٣٦١٧) من الفتح. ورواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٤٥ (٢٧٨١)؛ وأحمد في المسند ٣/٢٢٢.

(٤) في ك و ط زيادة (محمد).

(٥) يحيى بن عروة: هو ابن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عروة، المدني. أمه أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص، كان قليل الحديث وثقه النسائي وغيره.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٥٨.

أشـرافهم يـومـاً في الحِجْـر[١]، فـذكـروا رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفَّـه أحلامنـا[٢]، وشتم آباءنا، وعاب ديننـا[٣] وفرق جمـاعـاتنـا، وسب آلهتنـا، لقد صبـرنا منـه على أمر عـظيم. أو كما قـالـوا. فبينمـا هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طـائفاً بـالبيت، فلما أن مـر بهم، غمزوه ببعض مـا يقول[٤]. قـال: فعرفت ذلـك في وجهه، ثم مضى، فلمـا مـر الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهـه، ثم مضى، فمر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح[٥]» فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجـل[٦] إلا كأنما على رأسه طائـر واقع، حتى إن أشـدهم فيه وصـاة قبل ذلـك، ليرفؤه[٧] بأحسن مـا يجد من القـول، حتى أنه ليقـول: «انصرف[٨] يا أبا

---

(١) **الحِجْر**: هو حجر إسماعيل بجوار الكعبة.
انظر: الفتح الرباني ٢٠/٢١٩.

(٢) **سَفَّه أحلامنا**: نسب عقلاءنا إلى الجهل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سقطت (وعاب ديننا) من ط.

(٤) غمزوه ببعض ما يقول: أي أشاروا إلى قوله بأعينهم وحواجبهم استهزاء به.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) الذبح هنا مجاز من الهلاك. فإنه من أسرع أسبابه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في أ (رجلًا).

(٧) **ليرفؤه**: رسمت في جميع النسخ (ليرفأه) وما أثبتناه أصوب.
ويرفؤه: كيمدحه وزناً ومعنى، أي يسكنه ويرفق به ويدعو له.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) في ك و ط زيادة (انصرف) ثانية.

القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً». فانصرف رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، حتى إذا كان من الغد، اجتمعوا في الحجر، وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه[1]، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك، طلع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم[2] أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر[3] دونه يقول ــ وهو يبكي ــ:

﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ...﴾[4]؟

ثم انصرفوا عنه[5]».

وذكر البخاري بعد حديث عروة، عن عبد الله بن عمرو، قال: «وقال عبدة[6]

---

(١) سقطت (عنه) من ك و ط.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط كما يستفاد من حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري. كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «لو كنت متخذاً خليلاً» ٧/٢٢ (٣٦٧٨) من الفتح.

(٣) في ك و ط زيادة (الصديق).

(٤) سورة غافر: الآية٢٨.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢/٢١٨، وأورده الهيثمي في المجمع ٦/١٥ ــ ١٦، وقال: «في الصحيح طرف منه (كما هو مذكور هنا) رواه أحمد، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٦) عَبْدة: هو ابن سليمان الكلابي الكوفي، أبو محمد، الحافظ الحجة القدوة، ثقة ثبت، مات سنة ١٨٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٥١١؛ وتقريب التهذيب ١/٥٣٠.

عن هشام[1] عن أبيه، قيل لعمرو بن العاص[2]. . .»[3].

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[4].

قال: والمستهزؤن (الوليد بن المغيرة) و (الأسود بن عبد يغوث الزهري)[5] و (الأسود بن المطلب)[6] أبو زمعة، من بني أسد بن

---

(١) **هشام**: هو ابن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي الزبيري المدني، أبو المنذر القرشي، الإمام الثقة، شيخ الإسلام، ولد سنة ٦١هـ وتوفي سنة١٤٦هـ ببغداد وصلى عليه المنصور وله ٨٧سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤/٦ ـ ٤٧؛ وتقريب التهذيب ٣١٩/٢.

(٢) أي أنه في رواية أخرى معزواً إلى عمرو بن العاص ـ نفسه، وهو في رواية أحمد من حديث عبد الله بن عمرو، ومعنى ذلك أن هشام بن عروة خالف أخاه يحيى بن عروة في الصحابي راوي الحديث، ويرجح رواية يحيى، ويحتمل أن يكون عروة سأل عمراً مرة وعبد الله بن عمرو سأل أباه أخرى.
انظر: الفتح ١٦٩/٧؛ وصحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧ ـ ١٦٦ (٣٨٥٦) من الفتح.

(٣) **عمرو بن العاص**: هو ابن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية وهو الذي فتحها، مات بعد سنة ٤٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٧٢/٢؛ وأسد الغابة ٧٤١/٣.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٥.

(٥) **الأسود بن عبد يغوث**: هو ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.
انظر: السيرة لابن هشام ٣٠١/١.

(٦) في ك و ط (**عبد المطلب**).

عبد العزى[1]، و (الحارث[2] بن عيطل السهمي)[3] و (العاص بن وائل)[4] فأومأ[5] جبريل إلى أكحل الوليد بن المغيرة، فقال له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ما صنعت»؟ قال: كُفيته. وأومأ إلى الأسود بن[6] المطلب إلى عينيه، فقال: «ما صنعت»؟ فقال: كُفيته. وأومأ إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فقال: «ما صنعت»؟ قال: كفيته. وأومأ إلى الحارث السهمي إلى بطنه، فقال: «وما صنعت»؟ قال: كفيته. وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل، فقال: «ما صنعت»؟ قال: كفيته. فأما الوليد فمر برجلٍ من خزاعة[7] وهو يريش نبله[8] فأصاب أكحله

---

(١) **الأسود بن المطلب**: هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.
انظر: المصدر السابق ١/٢٨٣؛ واللباب ١/٥٢ ـ ٥٣.

(٢) رسمت في أ و ك (الحرث) هكذا، هنا وما بعده. وهو رسم إملائي قديم.

(٣) **الحارث بن عيطل**: الظاهر أنه (ابن عيطلة) فقد روى ابن جرير بإسناده في جامع البيان ١٤/٧١ عن أبي بكر الهذلي قال: قلت للزهري: إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد: هو الحارث بن عيطلة. وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس، فقال: صدقا، كانت أمه تسمى عيطلة، وأبوه قيس. وفي السيرة لابن هشام ٢/٣٧١ هو أبو العاص ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم. قتله علي بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دجانة، يوم بدر سنة ٢هـ.

(٤) **العاص بن وائل**: هو ابن هاشم أو ابن هشام بن سعيد بن سهم. من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب.
انظر: المصدر السابق ٢/٥٢.

(٥) رسمت في كل النسخ (فأومى) هنا وما بعده والأصوب ما أثبتناه.

(٦) في ط زيادة (عبد).

(٧) في ط (خذاعة).

(٨) يريش نبله: يعمل له ريشاً ويلزقه عليه.
انظر: اللسان ٦/٣٠٨، مادة ريش.

فقطعها. وأما الأسود بن المطلب[1]، فَعَمِي. فمنهم من يقول: عَمِي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت سَمُرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ ويقولون: ما نرى شيئاً. فجعل يقول: هلكت ها هو ذا أطعن في عيني بالشوك. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر[2] في بطنه، حتى خرج خُروْه[3] من فيه فمات. وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف على حمار، فربض به في شبرقة[4] يعني شوكة، فدخلت في أخمص قدمه[5] فمات، وقيل: دخلت في رأسه شبرقة فمات[6].

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال[7]: ثنا يونس بن

---

(١) في ط (عبد المطلب).

(٢) ويسمى (الصفر) وهو داء في البطن، يصفر منه الوجه.
انظر: اللسان ٤/٤٦٠، مادة صفر.

(٣) الخُرء ـ بضم الخاء ـ : العذرة.
انظر المصباح المنير ص ١٧١.

(٤) في أ (شرقه) في هذا الموضع والذي يليه، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
الشبرقة: هو المعروف بالحسك. وهو نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، وورقه كورق الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب.
انظر: جامع البيان ١٤/٧٠؛ وترتيب القاموس ١/٦٤١.

(٥) **الأخمص**: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.
انظر: مختار الصحاح ص ١٩٠.

(٦) أخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل ٢/٣١٦ ـ ٣١٨.

(٧) سقطت (قال) من ك و ط.

حبيب[١]، ثنا أبو داود[٢]، ثنا أبو عوانة[٣]، ثنـا أبو بشـر[٤]، عن سعيد. وروى بـإسناده عن الـربيع بن أنس، قـال: أراد صاحب اليمن[٥] أن يؤي[٦] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأتاه الوليد: فزعم أن محمداً ساحر. وأتاه العاص بن وائل: فأخبره أن محمداً تعلم أساطير الأولين. وأتاه آخر: فزعم أنه كاهن، وآخر زعم[٧] أنه شاعر. وآخر قال[٨]: إنه مجنون. فأهلكهم الله، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه. وذكر تفصيل عذابهم. وروى مثله عن عكرمة.

---

(١) **يونس بن حبيب**: هو العجلي مولاهم الأصبهاني، وثقه ابن أبي حاتم، مات سنة ٢٦٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٥٩٦ ـ ٥٩٧؛ والبداية والنهاية ١١/٤٢.

(٢) **أبو داود**: هو الطيالسي.

(٣) **أبو عوانة**: هو وضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي البزاز، الحافظ، مشهور بكنيته، مولى يزيد بن عطاء، ثقة ثبت متقن الكتابة، مات سنة ١٧٦هـ.

انظر: الكاشف ٣/٢٣٥؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٣١.

(٤) في ط (أبو سير) هكذا.

أبو بشر: هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية اليشكري الواسطي، بصري الأصل، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد، توفي سنة ١٢٥هـ.

انظر: الكاشف ١/١٨٣؛ وتقريب التهذيب ١/١٢٩.

(٥) **صاحب اليمن**: هو الحارث بن عبد كلال الحميري، كتب إليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتاباً وبعث به المهاجر بن أبي أمية المخزومي، يعد في أهل اليمن، وليست له صحبة.

انظر: السيرة لابن هشام ٤/٢٥٥؛ وأسد الغابة ١/٤٠٤.

(٦) في ك و ط (يأوي).

(٧) سقطت (زعم) من ط.

(٨) في ك و ط (زعم).

وقال محمد بن إسحاق: «ثنا يزيد بن رومان، عن عروة[1] وغيره[2] من العلماء، أن جبريل أتى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهم يطوفون بالبيت فقام رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى جانبه، فمر به الأسود بن [3] المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى[4]، فمات منها. ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى جرح بأسفل كعبه، كان أصابه لما مر برجلٍ يريش نبله، فخدش رجله، وليس بشيء، فانتقض فمات. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى إخمص قدمه، فذكر مثل ما تقدَّم من رواية ابن عباس.[5]. ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين. ومن المشهور عند[6] أصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة[7] بن أبي لهب، وكان أبو لهب لما عادى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمر ابنيه[8] أن يطلقا ابنتي النبي ــ صلَّى الله عليه

(١) في ك و ط (عكرمة).
(٢) الذي في السيرة (أو غيره).
(٣) في ك و ط زيادة (عبد).
(٤) من **الاستسقاء**: وهو أن ينتفخ البطن وغيره من الأعضاء ويدوم عطش صاحبه.
انظر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة ص ٦٥ لإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق، طبع عبد الحميد حنفي بمصر ١٣٥٦هـ.
(٥) السيرة لابن هشام بنحوه ٢/٥١ ــ ٥٢. وإسناد هذه الرواية إسناد جيد.
(٦) في أ (عن).
(٧) **عتيبة**: ــ بالتصغير ــ ابن أبي لهب: وأبو لهب اسمه: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، تزوج أم كلثوم ثم طلقها فعوضها الله بعثمان بن عفان، وقتل الأسد عتيبة وهو ذاهب إلى الشام ــ كما تذكر هذه الرواية.
انظر: الروض الأنف ٣/٦٨؛ والإصابة ٤/٤٨٩ ــ ٤٩٠.
(٨) وهما عتيبة المذكور وعتبة وقد أسلم عام الفتح هو وأخوه معتب وشهدا الطائف =

وسلَّم ــ : رقيـة[1] وأم كلثوم[2] قبـل الدخـول، وقال عتيبـة لرسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : كفرت بـدينك وفـارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبـك[3]، ثم تسلط عليـه بـالأذى وشـق قميصـه، فقـال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»[4] فخرج في نفـر من قـريش، حتى نـزلـوا في مكـان من الشـام، يقـال لـه: (الزرقاء)[5] ليلاً، فأطاف بهم[6] الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقـول: يا ويل[7] أخي، هو والله آكلي، كما دعـا محمد عليّ، قتلني وهـو بمكة

= وحنين وكانا فيمن ثبت وأقام بمكة ولم يأتيا المدينة: ولهما عقب.
انظر: الروض الأنف ٣/٦٨؛ وأسد الغابة ٣/٤٦٥.

(١) رقية بنت رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أمها خـديجة، تـزوجها عثمـان بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة وولد له هنـاك ولداً سمّـاه عبد الله، وكـان عثمان يكنى بـه فبلغ الغلام ٦ سنين ثم مات بسبب نقرة ديك سنة ٤هـ وماتت رقية بالحصبة بعد بدر سنة ٤هـ.
انظر: أسد الغابة ٦/١١٣ ــ ١١٤.

(٢) أم كلثوم بنت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمها خديجة. تزوجت عثمان بعـد رقية، ولم تلد منه، وتوفيت سنة ٩هـ.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٨٤؛ والإصابة ٤/٤٨٩ ــ ٤٩٠.

(٣) في ط (لا تجيبني ولا أجيبك).

(٤) قال ابن منظور: وفي الحديث: «أما تخاف أن يأكلك كلب الله؟...».
انظر: اللسان ١/٧٢٢، مادة كلب.

(٥) **الزرقاء**: موضع بالشام بنـاحية (معـان) وهو نهـر عظيم يجـري في أرض فيها شجـر ورمال كثيرة، وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة، وهو يصب في الغور.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٦٢.

(٦) **أطاف بهم**: ألمَّ بهم وقاربهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٠.

(٧) في ك و ط (ويل) بدون (ياء) الندبة.

وأنا بالشام، فعدا[1] عليه الأسد من بين القوم، وأخذ برأسه فذبحه»[2].

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: «لما طاف الأسد بهم تلك الليلة، وانصرف[3] عنهم، قاموا وجعلوا عتيبة في وسطهم، فأقبل الأسد يتخطاهم، حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه»[4].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور[5] بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلىٰ[6] جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم[7] فأخذه، فلما سجد النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) **عدا**: وثب.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١٧٤.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٢/٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٣) في جميع النسخ بدون عطف، وهو ضروري لاستقامة السبك.

(٤) **فدغه**: شدخه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٥٨.
أخرجها البيهقي ـ أيضاً ـ في الدلائل ٢/٣٣٩. وقد أخرج هذه القصة أبو نعيم في الدلائل ٢/٥٨٥ ـ ٥٨٩ من عدة روايات: اثنتان من طريق ابن إسحاق واثنتان من طريق الواقدي.

(٥) **الجزور**: الناقة التي تنحر.
انظر المصباح المنير ص ٩٨.

(٦) في جميع النسخ رسمت (سلا) والأصوب ما أثبتناه.
السلى: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، يقال ذلك من البهائم، أما من الآدميات فالمشيمة، وقيل: إنه يقال فيهن ـ أيضاً ـ : سلى.
انظر: الفتح ١/٣٥٠.

(٧) في رواية عند مسلم: «. . . إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . .» ٣/١٤١٩.

وسلَّم ـ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض[1]، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ساجد ما رفع[2] رأسه، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة، فجاءت وهي جويرية[3] فطرحته [4] ثم أقبلت عليهم تسبّهم، فلما قضى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك وخافوا[5] دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن[6] هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة[7]، والوليد بن عتبة[8]، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع لم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذي سمّى صرعى

---

(١) المعنى: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جداً، فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.
انظر: تعليق عبد الباقي على متن مسلم ٣/١٤١٨.

(٢) في ك (ما يرفع) وفي ط (لا يرفع).

(٣) في أ (جورية).

(٤) في ك و ط زيادة (عنه).

(٥) في أ (أخافوا).

(٦) في أ (ابن) وهي في أثناء السطر.

(٧) **شيبة بن ربيعة**: هو ابن عبد شمس بن عبد مناف، قتل مشركاً يوم بدر سنة ٢هـ، قتله حمزة بن عبد المطلب.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٦.

(٨) الوليد بن عتبة: هو ابن ربيعة من بني عبد شمس بن عبد مناف، قتل يوم بدر كافراً مبارزة مع علي فقتله علي.
انظر: المصدر السابق ٢/٢٧٧ و ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر»[1].

وعنه قال: «استقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ القبلة، ودعى على ستة نفر»، فذكره[2]. وفي رواية: «غير أن أمية بن خلف، كان رجلاً ضخماً، فقطعت أوصاله، فلم يلقَ في البئر»[3]. وقال: «غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً»[4].

ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه[5] ويسمعونه، من انتقام الله ممن يسبه ويذم دينه، بأنواع من العقوبات[6]، وفي ذلك من القصص الكثيرة، ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه، من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة، التي تبين كلاءة[7] الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتعظيمه لقدره،

---

(١) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤١٨ (١٧٩٤). ورواه البخاري بنحوه، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى عن ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد صلاته ١/٣٤٩ (٢٤٠) من الفتح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي...، ٣/١٤٢٠ (١٧٩٤). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على كفار قريش ٧/٢٩٣ (٣٩٦٠) من الفتح.

(٣) صحيح البخاري، ولفظه: «... قبل أن يلقى في البئر» كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، ولا يؤخذ لهم ثمن ٦/٢٨٢ ـ ٢٨٣ (٣١٨٥) من الفتح. واللفظ المذكور عند مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي...، /١٤١٩ (١٧٩٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي...، ٣/١٤٢٠ (١٧٩٤).

(٥) في ط (يروونه).

(٦) في أ (عقوبات).

(٧) الكلاءة: الحفظ.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٥.

ورفعه لذكره، وما من طائفة من الناس إلا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب، ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام، إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلى أن يسب العدو الرسول[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فحينئذ يستبشر[2] المسلمون بفتح الحصن، وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك قريباً، كما قد جربه المسلمون غير مرة، تحقيقاً لقوله ــ تعالى ــ :

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[3].

ولمَّا مزَّق كسرى كتابه مزَّق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم.

إجابة دعواته ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته

النوع الثامن[4]: في إجابة دعوته، وإجابة الدعاء: منه ما تكون إجابته معتادة لكثيرٍ من عباد الله، كالإغناء والعافية ونحو ذلك. ومنه ما يكون المدعو به من خوارق العادات: كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة، وإطعام النخل في العام مرتين[5]، مع أن العادة في

(١) في أ و ك و ط (لرسول الله) وقد أثبتنا الصواب من نسخة أكسفورد.
(٢) في أ (يستبشروا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.
(٣) **الأبتر**: المنقطع من كل خير.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٦١١.
سورة الكوثر: الآية ٣.
(٤) هو النوع التاسع والأخير، حسب واقع السياق.
(٥) روى الترمذي قول أبي العالية: «. . . وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين. . .»، وقال: «هذا حديث حسن». سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك ٥/٦٨٣ (٣٨٣٣). ورواه البيهقي في الدلائل ٦/١٩٥.

مثله مرة، ورد بصر الـذي عمي[1]، ونحو ذلـك مما يـأتي وما تقـدم من أدعيته.

ومعلوم أن من عـوّده الله إجابـة دعائـه، لا يكون إلا مـع صـلاحـه ودينـه، ومن ادعى النبوة، لا يكـون إلا من أبرّ الـنـاس إن كان صـادقاً، أو من أفجرهم إن كان كاذباً، وإذا عوده الله إجابة دعائه، لم يكن فاجـراً بـل بـراً، وإذا لم يكن مـع دعـوى[2] النبـوة إلا بـراً تعين أن يكـون نبيـاً صادقاً، فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكـذب، ويمتنع أن يكـون ضالاً، يظن أنـه نبـي، وأن الذي يـأتيه مَلَك، ويكـون ضالاً في ذلـك، والذي يـأتيه الشيـطان، فإن هـذا حال من هـو جاهـل بحال نفسـه، وحال من يـأتيه، ومثل هذا لا يكون أضل منه، ولا أجهل منـه، لأن الله ــ تعالى ــ جعـل بين المـلائكة والشيـاطين، وبين الأنبيـاء الصـادقين، وبين[3] المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه غيـره من الفروق[4]، بـل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار، ولأن ما يأتي بـه الأنبياء من الأخبـار والأوامـر مخـالف[5] من كـل وجـه لمـا يـأتي بـه الشيطان، ومن استقرأ أحوال الرسـل وأتباعهم وحـال الكهان والسحـرة، تبين له ما يحقق ذلك.

---

(١) وهو حبيب بن فديك أو فويك السلاماني، وقتادة بن النعمـان الذي أصيبت عينـه يوم بدر أو أحد. وحـديث حبيب المذكـور أورده الهيثمي في المجمع ٨/٢٩٨. وقـال: «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم».
وانظر: أسد الغابة ١/٤٤٧.

(٢) في أ (دعوة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) سقطت (بين) من أ.

(٤) سقطت (من الفروق) من ك و ط.

(٥) في ك و ط (مضادة).

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي[1] إنك نبي صادق، والله أرسلني إليك، يكون من أعظم الناس كذباً، والكذب يستلزم الفجور، فلا بد أن يأمره بما ليس براً بل إثماً[2]. ويخبره بما ليس صدقاً بل كذباً، كما هو الواقع، ممن تضله الشياطين من جهلة العُبَّاد، وممن يزين له أنه نبي أو أنه المهدي[3] أو خاتم الأولياء، وكل هؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم، ولا بد أن يكذب في بعض ما تخبره به، تحقيقاً لقوله ــ تعالى ــ :

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[4].

وحينئذٍ: فمثل هذا لا يكون ــ مع دعوى النبوة ــ من الأبرار، الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابةً خارجة عن العادات، بل لا يكون مع دعوى النبوة إلا من الأفَّاكِين الفجار، وإذا كان صادقاً في دعوى النبوة، عالماً بأنه صادق ثبت أنه نبي.

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ ــ فيما يُبَلِّغونه عن الله ــ باتفاق الناس، وحينئذ: فكل ما يبلغه عن الله فهو حق، وهو

---

(١) في أ (نبي).

(٢) سقطت من ط جملة (بما ليس براً بل إثماً، ويخبره).

(٣) وأقرب شاهد على قول الشيخ المؤلف ما وقع من بعض أبناء المسلمين المغرورين من الفتنة العظيمة في الحرم المكي الشريف في أول أيام سنة أربعمائة وألف هجرية، حيث انتهكت حرمة المسلمين والبيت العتيق، ثم انتهت تلك الفتنة، وانتهت معها حياة أكثر تلك الفئة وحياة أناس غيرهم من المسلمين ــ رحمهم الله جميعاً ــ ، نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة. . .

(٤) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١ ــ ٢٢٢.

المطلوب، ومن كان يأتيه صادق وكاذب، مثل (ابن صياد)[1] ومثل كثير

---

(١) ابن صياد: هو صاف بن صياد: كان من اليهود أو دخيلاً في جملتهم في المدينة، وكان يَبْلُغ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خبرُه وما يدّعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذلك ليُزَور به أمره، ويَخْبُر شأنه، فلما كلمه علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئي من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، وقد كان فتنة، امتحن الله به عباده المؤمنين، كما امتحن قوم موسى في زمانه بالعجل، وقد كان ابن صياد دجالاً من الدجاجلة، والظاهر أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يوحَ إليه في أمره بشيء، وإنما أُوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يقطع في أمره بشيء، والقطع بأنه هو الدجال ـ كما فعل بعض الصحابة ـ اجتهاداً منهم، يتعارض مع قصة الجَسّاسة التي رأى فيها تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ الدجال الحقيقي في جزيرة من جزائر البحر موثقاً بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هل خرج أم لا؟ وقد توهم بعضهم أن حديث مسلم في قصة تميم الداري هو حديث غريبٌ فَرْد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس ـ التي روته في صحيح مسلم ـ أبو هريرة وعائشة وجابر، وأخرجه أحمد وأبو داود مختصراً وابن ماجه وأبو يعلى، هذا وقد أسلم ابن صياد وولد له أولاد، وسافر مع أبي سعيد الخدري وغيره إلى مكة ـ حاجاً ـ ثم مات بالمدينة، وصلوا عليه بها، وكشفوا عن وجهه، كما تقول رواية مرجوحة في نظر ابن حجر نظراً لتعارضها مع رواية أبي داود بإسناد حسن. ويرى الحافظ ابن حجر: أن ابن صياد شيطان تبدّى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه، إلى أن تجيء المدة التي قدر الله ـ تعالى ـ خروجه فيها. والذي يظهر لي أن رأي ابن حجر وجيه، ولكنني أرجح: أن صاف بن صياد رجل عادي كان يهودياً أو مع اليهود، وكان يتعاطى الكهانة وأنه قد وجدت فيه ـ على سبيل الاتفاق والمصادفة ـ بعض أوصاف الدجال الشكلية والخِلْقية، ثم أنه أسلم وحج ـ وأنه لم يَحْسُن إسلامه، بدليل قوله لأبي سعيد الخدري: «أما والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه» (يقصد الدجال الحقيقي)، قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض عليّ ما كرهت. ثم أنه مات ـ كما تقول الرواية المرجوحة في نظر ابن حجر ـ وشهد عليه الناس بالموت. وبذلك يتم الجمع بين النصوص، وتتضح المسألة ـ في رأيي ـ تماماً. وقد أطلت =

من العُبَّاد الذين لهم إلهام من الملك، ووسواس من الشيطان بأنه نبي، ويقول: أنا أرسلني الله، فلابد أن يتبين كذبه، ولو ببعض الوجوه، مثل: أن يخبره بكذب، فإن مثل هذا الشيطان الذي قال له: أنه نبي، لا بد أن يكذب فيما يخبره به.

ومثل إخبار الصادق له: بأن هذا كذب[1]، فإذا أتاه الشيطان بالكذب لا بد أن يخبره الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذلك، بخلاف الإخبار بأمور جزئية، إذ إخباره بأنه نبي صادق مع أنه ليس كذلك: يهلكه هلاكاً عظيماً، ويفسد على الصادق جميع ما يأتيه به. لأن ذلك يستلزم أن يُصَدِّق ذلك الكاذب في كل ما يخبره به، إذ قد اعتقد أنه نبي، وحينئذٍ فلا يكون عنده كاذباً، ولا يعرف أنه كاذب.

فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب، بل أضل من هؤلاء[2]: يظن أن كل ما يأتيه فهو صادق، ولهذا كل من كان يأتيه إخبار ملَكي صادق، وإخبار شيطاني كاذب، فلا بد أن يعرف أنه يأتيه كاذب، لأنه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب ــ كما هو الواقع ــ.

= التعليق عليها لأهميتها ــ في نظري ــ وكثرة النصوص فيها والاختلاف عليها من الصحابة إلى عصر ابن حجر.

انظر المصادر حسب تسلسلها: معالم السنن للخطابي بهامش مختصر سنن أبي داود ٦/١٨٢ ــ ١٨٣؛ والفتح ١٣/٣٢٧ ــ ٣٢٨؛ وصحيح مسلم، كتاب الفتن...، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤١ ــ ٢٢٤٢ (٢٩٢٧)؛ وجامع الأصول ١٠/٣٦٢ ــ ٣٧٥ (٧٨٥٩ ــ ٧٨٦٩).

(١) في ك و ط (كاذب).

(٢) في ط زيادة (من).

ولهذا يوجد الكهان الذين يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً، وكذلك العُبَّاد الذين لهم خطابات ومكاشفات، بعضها[1] شيطاني، وبعضها ملَكي، يتبين لهم[2] الكذب فيما يأتيهم به الشيطان ــ كما هو الواقع ــ فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني إلا ولا بد أن يخبره بكذب، يظهر له أنه كذب، وحينئذ: فإذا صَدَّق هذا الكاذب في إخباره النبوة كان مصدقاً للكاذب، ولأن الصادق الذي يأتيه مخبراً له بالصدق، ناصحاً له، لا بد أن يبين له ذلك، فلا يصر على اعتقاد[3] أن من يأتيه صادق ــ وهو في نفس الأمر كاذب، ولا يعلم أنه كاذب ــ إلا من هو أفاك أثيم، والله ــ تعالى ــ يقول:

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾[4].

فتنزلها[5] على الأفاك الأثيم، وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين، فقد يكون على من ليس بأفاك أثيم، فإن من لم يكن مدعياً للنبوة * لم يكن من هذا الباب، وإن كان مدعياً للنبوة *[6] فيمتنع أن يقره الصادق الذي يأتيه على ذلك، بل لا بد أن يبين له هذا إن جُوِّز ذلك.

فإن الناس تنازعوا: هل يجوز أن يلقي الشيطان على لسان النبي

---

(١) سقطت (بعضها) من أوقد أثبتناها من ك و ط.

(٢) في ك و ط (له).

(٣) في ك و ط (اعتقاده).

(٤) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١ ــ ٢٢٢.
أفاك أثيم: كذاب فاجر، مبالغ في الكذب والعدوان.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٣٩٧.

(٥) في ط (فينزلها).

(٦) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

ما ينسخه الله ويمحاه[1] أم لا يجوز ذلك؟ وعلى كل حال يمتنع أن يُقَرَّ على خطأ.

والمقصود هنا ذكر بعض أدعية النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي شوهد إجابتها، وقد تقدَّم ذكر بعض أدعيته، مثل دعائه على الملإ من قريش، فقتلوا (يوم بدر) وألقوا في القليب. ومثل: دعائه على (عتيبة بن أبي لهب) ومثل دعائه على الذي كَذَب عليه بأن يجعله آية. ومثل دعائه لما قَلَّ الزاد وجمعوه على نطع، فكثَّره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في (غزوة تبوك)، ومثل دعائه في (غزوة الخندق) فكفى الطعام، وهو صاع من شعير لألف نفر[2]، وكذلك دعاؤه لما نُزِحَت (بئر الحديبية) فكثر ماؤها، حتى كفى الركب، وهم ألف وخمسمائة ورِكابهم[3].

وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فأبصر، ودعاؤه في الاستسقاء، فما رد يديه إلا والسماء قد أمطرت، ودعاؤه في الاستصحاء، وإشارته إلى السحاب فتقطع[4] من ساعته، ودعوته على (سراقة بن جعشم) لما تبعهم في الهجرة، فغاصت فرسه في الأرض، ودعاؤه (يوم بدر) و (يوم حنين) وقال الله له يوم بدر:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[5].

---

(١) في ط (يمحوه أو).

(٢) استعمل الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ كلمة (نفر) هنا للواحد، كما نستعملها في العامية هذه الأيام، والمعروف في اللغة أنها بمعنى: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة. انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٢.

(٣) في أ (وركبانهم)، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) في ك و ط (فقطع).

(٥) سورة الأنفال: الآية ٩.

وأمثـال ذلـك.

وفي الصحيحين عن جابر قال: لما نزل:

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ...﴾.

قال النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أعوذ بوجهك»:

﴿...أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قال: «أعوذ بوجهك»:

﴿...أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا[1] وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ...﴾[2].

قال: «هاتان أهون أو أيسر»[3].

وفي الصحيحين: عنـه ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال: «سـألت ربـي ثـلاثاً، فـأعطاني اثنتين، ومنعني واحـدة. سألتـه أن لا يهلك أمتي بسنة عامـة[4] فأعـطانيها، وسـألته أن لا يسلط عليهم عـدواً من غيرهم، فيجتاحهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها، فلن

---

(١) يلبسكم شيعاً: يخلطكم فرقاً متحزبين، على أهواء شتى فينشب القتال بينكم.
انظر: صفوة التفاسير ٣٩٧/٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

(٣) رواه البخـاري، كتـاب الاعتصـام بـالكتـاب والسنـة، بـاب قـول الله ــ تعـالى ــ: «أويلبسكم شيعـاً» ١٣/٢٩٥ ــ ٢٩٦ (٧٣١٣) من الفتح. ورواه التـرمـذي بنحـوه، كتاب تفسير القـرآن، باب ومن سـورة الأنعام: الآيـات ٥/٢٦١ ــ ٢٦٢ (٣٠٦٥). ولم يخرجه مسلم، خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ.

(٤) **سنة عامة**: قحط يعمهم. بل إن وقع القحط كان في نـاحية يسيـرة بالنسبـة إلى باقي بلاد الإسلام ــ فللَّه الحمد والشكر على جميع نعمه.
انظر: شرح النووي ١٨/١٤.

يزال الهرج[1] إلى يوم القيامة»[2].

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، قال: «جعل عمي يرتجز[3]، ويقول:

تا الله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

---

(١) في المختار ٦٩٤: الهرج: الفتنة والاختلاط. وفسره النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أشراط الساعة بالقتل. كما هو عند البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ١٣/١٣ ـ ١٤ (٧٠٦١ ـ ٧٠٦٧) من الفتح، وقال الحافظ هنا ١٣/١٨ ـ ١٩: «وأخطأ من قال: «نسبة تفسير الهرج بالقتل للسان الحبشة وَهْمٌ من بعض الرواة وإلا فهي عربية صحيحة»، فهي لا تستعمل في اللغة العربية إلا على طريق المجاز، لكون الاختلاط مع الاختلاف يفضي كثيراً إلى القتل... واستعمالها في القتل بطريق الحقيقة هو بلسان الحبشة...».

(٢) رواه مسلم بنحوه وفيه «الفرق» بدل «العدو» كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٢١٦/٤ (٢٨٩٠) والأقرب لمعنى ما ذكره الشيخ الرواية التي قبل هذا عند مسلم، فكأن الحديث مجموع من الروايتين، وليس فيهما: «فلن يزال الهرج...»، ورواه الترمذي، بنحوه، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثاً لأمته ٤٧١/٤ (٢١٧٥). وعنده الرواية الأخرى كما عند مسلم. ورواه النسائي بنحوه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل ٢١٧/٣. ورواه بن ماجه بنحو رواية مسلم، أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن ٣٦٨/٢ (٣٩٩٩). ورواه مالك في الموطأ بنحوه، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء ٢١٦/١ (٣٥) وقوله: «فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة». موقوف على ابن عمر كما هو الشأن في الحديث كله. ولم يَروِ البخاري هذا الحديث خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

(٣) في ك و ط (يرجز).

عم سلمة: هو عامر بن ـ الأكوع ـ سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى، كان شاعراً، أصاب نفسه يوم خيبر فدفن في غار في جبل هو ومحمود بن مسلمة في مكان يسمى الرجيع.

انظر: طبقات ابن سعد ١٠٧/٢ و ٣٠٣/٤ ـ ٣٠٤.

ونحن من فضلك مـا استغنينـا فـثبـت الأقـدام أن لاقيـنـا
وأنـزلـن سكينـة علينـا

فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من[1] هذا؟» قالوا عامر. قال: «غفر لك ربك». قال: وما استغفر رسول الله ـ[2] صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لإنسان يخصه إلا استشهد. قال: فنادى عمر بن الخطاب ـ وهو على جمل له ـ: يا نبي الله لولا متعتنا بعامر؟. قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم (مَرْحَب)[3] يَخْطِر بسيفه[4]، ويقول[5]:

قـد علمت خيبـر أنـي مـرحب شاكي السلاحِ[6] بطل مجرَّب
إذا الحـروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قـد علمت خيبـر أنـي عـامـر شـاكي السـلاح بـطل مغـامـر[7]

(١) من هنا اختلف الخط في ك.
(٢) في ك زيادة كلمة التقديس بعد اسم الجلالة المعظم.
(٣) مَرْحَب: هو اليهودي، صاحب حصن خيبر بارزه عامر بن الأكوع ثم علي فقتله، وجاء برأسه إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: البداية والنهاية ٤/١٨٠ ـ ١٨٩.
(٤) في ط (يخط).
يَخْطِر بسيفه: يرفعه مرة ويضعه أخرى.
انظر: شرح النووي ١٢/١٨٤.
(٥) في ك و ط زيادة (هو).
(٦) شاكي السلاح: ذو شدة وشوكة وحدة في سلاحه.
انظر: جامع الأصول ٨/٣٢٣.
(٧) **المغامر**: الذي يقتحم المهالك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف (مرحب) في تُرْس عامر، وذهب عامر يسل سيفه، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت في نفر من أصحاب النبي ـ صلَّى الله تعالى[1] عليه وسلَّم ـ يقولون[2]: بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عامر. قال رسول الله ـ صلَّى الله تعالى[3] عليه وسلَّم ـ: «من قال ذلك؟» قلت ناس من أصحابك. قال: «كذب من قال ذلك، بل[4] له أجره مرتين»[5].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قالت أم سليم: يا رسول الله، خادمك أنس: أدع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[6].

وروى البخاري، قال: دخل النبي ـ صلَّى الله ـ تعالى ـ عليه وسلَّم ـ على أم سُليم، فأتته بتمر وسمن، فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه»، ثم قام إلى ناحية البيت، فصلى غير مكتوبة، فدعى لأم سليم وأهل بيتها. فقالت أم سليم: يا رسول الله، إن

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس.
(٢) في أ (يقول).
(٣) ليس في أ كلمة التقديس.
(٤) سقطت (بل) من أ.
(٥) رواه مسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قَرَد وغيرها ٣/١٤٤٠ ـ ١٤٤١ (١٨٠٧).
(٦) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب دعوة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله ١١/١٤٤ (٦٣٤٤) من الفتح. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٢٨ (٢٤٨٠).

لي خُوَيْصَة فقال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس. قال: فما ترك آخرة ولا دنيا إلَّا دعا[1] به «اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه». فإني[2] أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أُمَيْنَة[3] أنه دُفن لِصُلْبي[4] إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة»[5]. وفي رواية لمسلم: «دعا لي بثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة»[6].

وفي الترمذي وحسَّنه، عن أبي خلدة[7]: قال: «قلت لأبي العالية: سمع أنس من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟. قال: خدمه عشر سنين، ودعا[8] له النبي ـ صلَّى الله ـ تعالى[9] ـ عليه وسلَّم ـ وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان[10]

(١) في ط رسمت (دعى).
(٢) في ك و ط زيادة (لمن).
(٣) أُمينة: هي بنت أنس بن مالك الأنصارية، لها ذكر في صحيح البخاري.. وروى عنها أبوها في الطاعون... ولها ذكر آخر في الأدب، وهي مقبولة، من الطبقة الثالثة.
انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٠١؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٩٠.
(٤) لصلبي: أي أولاده شخصياً دون أولاد أولاده.
(٥) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم، ٤/٢٢٨ (١٩٨٢) من الفتح بنحوه.
(٦) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٢٩ (٢٤٨١) بنحوه.
(٧) أبو خلدة: هو خالد بن دينار التميمي السعدي، مشهور بكنيته، البصري، الخياط، صدوق، من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٥٢هـ.
انظر: الكاشف ١/٢٦٨؛ وتقريب التهذيب ١/٢١٣.
(٨) في ط (دعى).
(٩) ليس في أ كلمة التقديس.
(١٠) في ط (كان).

فيها ريحان يجيء منه ريح المسك»[1].

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، قال: «كنت أدعو أمي[2] إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما أكره، فأتيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اللهم أهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف[3] فسمِعَتْ أمي خَشْف[4] قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعتُ خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها[5] وعجلت عن خمارها[6]، ففتحت الباب، فقالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلّه إلَّا الله[7] وأن محمداً رسول الله. فأتيته وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك، ٥/٦٨٣ (٣٨٣٣).

(٢) **أم أبي هريرة**: اسمها: أميمة، ويقال: ميمونة.
انظر: أسد الغابة ٦/٤٠٦.

(٣) **مجاف**: مردود (ومغلق).
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٩.

(٤) **الخشف**: الحركة والحس والصوت، وقيل: الحس الخفي.
انظر: اللسان ٩/٧١، مادة خشف.

(٥) **درع المرأة**: قميصها.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٠٣.

(٦) **الخمار**: غطاء رأس المرأة.
انظر: اللسان ٤/٢٥٧، مادة خمر.

(٧) في ك و ط زيادة (أشهد).

استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وقال خيراً، فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «اللهم حبب عبدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين «فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلَّا أحبني»[1].

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة[2]، فقال: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة. قال: «كم سُقْت إليها؟» قال: وزنَ نواة من ذهب. قال: «فبارك الله لك، أَوْلِم ولو بشاة»[3].

وفي الصحيحين: أنه لما قَدِمَ آخىٰ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري[4]، فَعَرَض عليه سعد[5] أن يناصِفَه أهلَه ومالَه، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك

---

(١) صحيح مسلم، بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ (٢٤٩١).

(٢) المراد بالصفرة: صفرة الخلوق، والخلوق: طيب يصنع من زعفران وغيره.
انظر: الفتح الرباني ٩/٢٣٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب كيف يدعى للمتزوج ٩/٢٢١ (٥١٥٥) من الفتح بنحوه. ومسلم بنحوه، كتاب النكاح، باب الصداق وكونه تعليم قرآن وخاتم حديد. . .، ٢/١٠٤٢ (١٤٢٧).

(٤) **سعد بن الربيع**: هو ابن عمرو بن عدي، يكنى أبا الحارث ويعرف بابن الحنظلية، استُصغر يوم أحد، وهو أخو سهل بن الحنظلية وهما من بني حارثة من الأنصار، استشهد يوم الخندق.
انظر: أسد الغابة ٢/١٩٧؛ والإصابة ٢/٢٧.

(٥) في ك و ط زيادة (ابن الربيع).

ومالك، دلني على السوق[1]. فظهرت بركة دعوة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فبلغ من مال عبد الرحمن ما قاله الزهري: أنه تصدق بأربعمائة ألف دينار، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة بعير في سبيل الله. قال: وكان عامة ماله من[2] التجارة[3].

وقال محمد بن سيرين: اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف[4] ثُمنهن، فكان ثلاثمائة وعشرين[5] ألفاً[6].

وقال الزهري: أوصى عبد الرحمن لمن شهد بدراً، فوجدوا مائة، لكل رجل منهم أربعمائة دينار[7].

وقال عبد الله بن جعفر، ___________________

---

(١) في ك و ط زيادة (فما انقلب إلَّا بسمن وأقط، ثم تابع الغد. وذكر الحديث).
رواه البخاري، بنحوه، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين المهاجرين والأنصار، ٧/١١٢ (٣٧٨٠) من الفتح. ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ، ٤/٣٢٨ (١٩٣٣). ولم يخرجه مسلم، خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

(٢) سقطت (من) من ك و ط.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٩٩. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٨١، قال المعلق عليه: «ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين الزهري وابن عوف».

(٤) فقد مات عن ثلاث نسوة، إحداهن: تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم، من كلب، وهي أول كلبية نكحها قرشي. وقد ذكر له ابن سعد ثلاث عشرة امرأة ممن ولدن له، من أزواج وأمهات أولاد.
انظر: طبقات ابن سعد ٣/١٢٧ ـ ١٢٨.

(٥) في أ (عشرون).

(٦) سير أعلام النبلاء ١/٩١؛ والبداية والنهاية ٧/١٦٤، وفيه: وكان نساؤه أربعاً، فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً.

(٧) سير أعلام النبلاء ١/٩٠؛ ووأسد الغابة ٣/٣٨٠؛ والإصابة ٢/٤١٧.

حدثتني أم بكر[1] بنت المسور[2]: أن عبد الرحمن باع أرضاً بأربعين ألف دينار، فقسمها في فقراء بني زهرة[3]، وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين[4].

وقال محمد بن عمرو[5]: عن[6] أبي سلمة[7] أن عبد الرحمن أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة، فقومت مائة[8] ألف[9]. وفي الترمذي

---

(١) في أ (بكير) والصواب ما أثبتناه من ك و ط، ومن المسند والمستدرك وكتب التراجم.

(٢) أم بكر: هي بنت المسور بن مخرمة، مقبولة، من الطبقة الرابعة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦١٩.

(٣) هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢ ــ ١٤، ١٢٨.

(٤) رواه أحمد في المسند ٦/١٠٣ ــ ١٠٤ و ١٣٥ والحاكم في المستدرك ٣/٣١٠ ــ ٣١١ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «ليس بمتصل».

(٥) **محمد بن عمرو**: هو ابن علقمة بن وقاص، الليثي المدني، صدوق، له أهام، من الطبقة السادسة، مات سنة ١٤٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٩٦؛ والكاشف ٣/٨٤.

(٦) في ك و ط (ابن أبي سلمة).

(٧) أبو سلمة: هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله. وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر إمام، مات سنة ١٩٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٣٠؛ والكاشف ٣/٣٤٢.

(٨) في ك و ط (قومت بأربعمائة).

(٩) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ ٥/٦٤٩ (٣٧٥٠) بلفظ: «أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين يبعث بأربعمائة ألف»، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وفي الحديث الذي قبله: «... وكان قد وصل أزواج النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ بما يقال: يبعث بأربعين ألفاً». وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».
ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٣١١ بلفظ: «... أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة =

وصححه ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنَّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»[1]، فكان[2] عمر بن الخطاب أحبهما إلى الله، فأسلم عمر. وروي أن الدعوة كانت في يوم الأربعاء فأسلم يوم الخميس[3]، وأعز الله به الإسلام. قال عبد الله بن مسعود: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» رواه البخاري[4]. وظهر من عز الإسلام في إمارته شرقاً وغرباً، وفتح الشام والعراق ومصر، وكسر عساكر كسرى وقيصر، ما تحقق به إجابة الدعوة.

وفي الصحيحين أن ابن عباس وضع للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما أتى الخلاء وَضوءاً، فقال لما خرج: «من وضع هذا؟» فقيل: ابن عباس. فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[5].

= بيعت بأربعين ألف دينار». وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ٥/٦١٧ (٣٦٨١) بمثله، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب...» وموارد الظمآن، كتاب المناقب، باب فضل عمر... : ٥٣٤ ــ ٥٣٥ (٢١٧٩).

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٣/٢٦٨ قال الهيثمي: «وعن أنس بن مالك أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دعا عشية الخميس... فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه القاسم بن عثمان البصري وهو ضعيف». انظر: المجمع ٩/٦٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب...، ٧/٤١ (٣٦٨٤) من الفتح.

(٥) رواه البخاري، دون قوله: «وعلمه التأويل» كتاب العلم، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم علمه الكتاب» ١/١٧٠ (٧٥) من الفتح، قال الحافظ هنا: «وذكر الحميدي في المجمع أن أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين =

وفي روايــة، قــال: «ضمني رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إلى صدره، وقال: «اللهم علمه الكتاب». وفي رواية: «الحكمة»[1] وظهرت إجابة دعوته حتى كان يسمىٰ: البحر»[2].

وقال فيه ابن مسعـود: «لو أدرك ابن عبـاس أسناننـا لما عشـره منا أحـد»[3] وكان عمـر يقدمـه ويـدخله مـع كبـراء[4] الصحـابـة[5]، وعِلْم ابن عباس مشهور في الأمة.

وفي الصحيحين عن جابـر، قـال: «كنت أسيـر على جمــل قـد

= بلفظ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». قال الحميدي: «وهذه الـزيادة ليست في الصحيحين»، قلت: وهو كما قـال. نعم هي في رواية سعيـد بن جبير. . . عنـد أحمد وابن حبان والطبراني ورواها ابن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلاً، وأخرج البغوي في معجم الصحابة: . . . «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». ووقـع في بعض نسخ ابن ماجه. . . بلفظ: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» وهذه الزيـادة مستغربة. . . وقد وجدتها عند ابن سعد.

ورواه مسلم بلفظ: «اللهم فقهه». كتاب فضائل الصحابة، بـاب فضائـل عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ٤/١٩٢٧ (٢٤٧٧).

(١) كلا الروايتين في صحيـح البخاري، كتـاب فضائـل الصحابـة، باب ذكـر ابن عباس ــ رضي الله عنهمــا ــ ٧/١٠٠ (٣٧٥٦) من الفتـح. قــال البخـاري: «والحكمــة الإصابة في غير النبوة».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتـاب معرفـة الصحابـة، ٣/٥٣٥، عن مجاهـد، وأبو نعيم في الحلية ١/٣١٦.

(٣) أخـرجه ابن سعـد في الـطبقـات ٢/٣٦٦ والحـاكم في المستـدرك، كتـاب معـرفـة الصحابة ٣/٥٣٧؛ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبـي.

(٤) في ك و ط (أكابر).

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٩ ــ ٣٧٠؛ والبداية والنهاية ٤/٣٢١ و٨/٢٩٩.

أعيا[1] وأردت أن أُسَيبه[2] قال: فلحقني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فضربه، ودعا له، فسار سيراً لم يسر مثله»[3]. وفي رواية: «فقال لي: «ما لبعيرك؟» فقلت: عليل. قال: فتخلف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فزجره[4] فدعا[5] له، فما زال يسير بين يدي الإبل قدامها. فقال: «كيف ترى[6] بعيرك». قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: فتبعنيه...»[7] وذكر الحديث[8].

وفي الترمذي وغيره[9]، قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»[10]، وفي لفظ: «اللهم أجب دعوته،

---

(١) **أعيا**: تعب.
انظر: الفتح الرباني ٥/٣١٥.
(٢) **أسيبه**: اتركه وسومه يسيب حيث شاء.
انظر: اللسان ١/٤٧٨، مادة سيب.
(٣) رواه مسلم واللفظ له بنحوه، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ٣/١٢٢١ (٧١٥).
ورواه البخاري بنحوه، كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز، ٥/٣١٤ (٢٧١٨) من الفتح.
(٤) في أ: (في حرة) وفي ك و ط: (في حيزه) وقد أثبتنا الصواب من متن الصحيح.
(٥) في ط رسمت (فدعى).
(٦) في ك و ط (برىء) بدلاً من (كيف ترى).
(٧) في ك و ط (فبعنيه).
(٨) رواها مسلم بمثلها، كتاب المساقات، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ٣/١٢٢١ ـ ١٢٢٢ (٧١٥).
(٩) في ط زيادة الواو.
(١٠) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ٥/٦٤٩ (٣٧٥١). ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٤٩٩، كتاب معرفة الصحابة، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وسدد رميته»[1]، فكان سعد لا يرمي إلاَّ يصيب[2]، ولا يدعو إلاَّ أجيب[3].

وروى الحاكم في صحيحه عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: «مرضت فعادني رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأنا أقول: «اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان بلاء فصبِّرني»، فقال: «اللهم اشفه، اللهم عافه»، ثم قال لي[4] «قم» فقمت، فما عاد إليَّ ذلك الوجع بعد»[5].

وفي الصحيحين عن أم خالد[6]، قالت: أُتي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بثيابٍ فيها خميصة[7] سوداء صغيرة، فقال:

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ٣/٥٠٠ وقال: «هذا حديث تفرد به يحيى بن هاني بن خالد الشجري، وهو شيخ ثقة من أهل المدينة». ووافقه الذهبي.

(2) فقد قال علي بن أبي طالب: «سمعته (أي الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) يقول: (أي لسعد) يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي». رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد...، ٥/٦٥٠ (٣٧٥٥) وقال: «هذا حديث صحيح».

(3) فقد دعا على الرجل الذي كان يشتم علياً فساخت به دابته فرمته على هامته فانفلق دماغه ومات. رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ٣/٥٠٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(4) سقطت (لي) من ك و ط.

(5) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ ٢/٦٢٠ ــ ٦٢١ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(6) **أم خالد**: هي بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشية الأموية. اسمها: أَمة. صحابية بنت صحابي، ولدت بأرض الحبشة، فتزوجها الزبير بن العوام، وعُمِّرت حتى لَحِقها موسى بن عقبة.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٢٥؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٩٠.

(7) **الخميصة**: كساء أسود، له علم (طراز) فإن لم يكن له علم فليس بخميصة.
انظر: جامع الأصول ١٠/٦٧٧.

«من ترون نكسوه هذه الخميصة؟» فسكت القوم، فقال: «أئتوني بأم خالد»، فأتي بي رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فألبسنيها فقال: «أَبلي وأَخلقي»[1] مرتين، فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إليَّ، ويقول: «يا أم خالد، هذا سَنَا». والسنا بلسان الحبشة: «الحسن»، فبقيت حتى دكن[2]، وعن أبي يزيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «ادن مني» فمسح بيده على رأسي ولحيتي، ثم قال: «اللهم جمله، وأدم جماله».

---

(١) أَبليْ: أمر بالإبلاء، وأَخلِقِيْ، أمر بالإخلاق، والمقصود الدعاء، وهما بمعنى قال الخليل: «أبلِ وأخلق: معناه عش وخرق ثيابك وارقعها، وأخلقت الثوب: أخرجت باليه ولفقته». ووقع في رواية.. الفَرَبْري: «وأخلفي» بالفاء، وهي أوجه من التي بالقاف، لأن الأولى تستلزم التأكيد إذ الإبلاء والإخلاق بمعنى... ويؤيدها ما أخرجه أبو داود بسند صحيح: «... نبلي ويخلف الله».
انظر: الفتح ١٠/٢٨٠.

(٢) في ط (دكت) بالتاء.
رواه البخاري بنحوه، كتاب اللباس، باب ما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً، ١٠/٣٠٣ (٥٨٤٥) من الفتح وقوله: «فبقيت حتى دكن». من الدكن وهو لون يضرب إلى السواد، وهذه الجملة من قول الراوي وهي في رواية أخرى عند البخاري في كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها ١٠/٤٢٥ (٥٩٩٣) من الفتح والراوي هو عبد الله بن المبارك ــ رحمه الله ــ شيخ حبان شيخ البخاري وهي بلفظ: «فبقيت حتى ذكر». يعني من بقائها.. والتقدير: ذكر الراوي زمناً طويلاً، وقال الكرماني: «المعنى صار شيئاً مذكوراً عند الناس بخروج بقائه عن العادة». قال الحافظ ابن حجر: «قلت: وكأنه قرأه «ذكر» بضم أوله، لكن لم يقع عندنا في الرواية إلَّا بالفتح، ووقع في رواية ابن السكن: «حتى ذكر دهراً...» وفي رواية أبي ذر ــ المحدث ــ عن الكشميهني «حتى دكن» أي صار أدكن: أي أسود... وقد جزم جماعة بأن رواية الكشميهني تصحيف».
انظر: الفتح ١٠/٤٢٥ ــ ٤٢٦. وقد روى هذا الحديث أبو داود في كتاب الأدب، باب فيما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً ٤/٤٢ (٤٠٢٤) بمثله، ولم يروه الإمام مسلم خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

قال الرواي عنه[١] : فبلغ بضعاً وثمانين سنة، وما في لحيته بياض إلا نزر يسير، ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبض وجهه حتى مات، رواه الإمام أحمد[٢]، وقال البيهقي: إسناده صحيح[٣]، ورواه الترمذي، وقال: مسح رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يده على وجهي فدعا[٤] لي. قال عزرة[٥]: إنه عاش مائة وعشرين سنة، وليس في رأسه إلا شعرات بيض. وقال حديث حسن[٦].

وقال البخاري في تاريخه: ثنا[٧] يعقوب بن إسحاق[٨]، عن حنظلة بن حنيفة بن حذيم[٩]، قال حِذْيَم[١٠]: يا رسول الله، إني رجل ذو

---

(١) الراوي المقصود: هو علباء بن أحمر، التابعي، الراوي عن أبي زيد.

(٢) المسند للإمام أحمد ٥/٧٧ و ٣٤١.

(٣) الدلائل للبيهقي ٦/٢١١.

(٤) في ك و ط (ودعا).

(٥) في جميع النسخ: «عروة، وهو تحريف، وعَزْرة: هو ابن ثابت بن أبي زيد بن أخطب، الأنصاري، بصري ثقة، من الطبقة السابعة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠.

(٦) سنن الترمذي، بمثله، كتاب المناقب، باب رقم ٦، ٥/٥٩٤ (٣٦٢٩) وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٧) **سقطت** (ثنا) من أ و ك وقد أثبتناها من ط.

(٨) **يعقوب بن إسحاق**: هو ابن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقري، النحوي، صدوق من صغار الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٠٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٧٥.

(٩) في ط، (حزيم) في الموضعين.
حنظلة بن حنيفة بن حذيم: هو المالكي، أبو عبيد، وقيل إنه: حنظلة بن حذيم بن حنيفة، فقيل: إنه من بني حنيفة، وقيل: هو التميمي السعدي، وفد مع أبيه وجده وهو صغير على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: أسد الغابة ١/٥٤٠ ـ ٥٤١؛ و تقريب التهذيب ١/٢٠٦.

(١٠) حِذْيَم: هو ابن عمرو السعدي، من بني سعد بن عمرو بن تميم، صحابي، له =

سن، وهـذا أصغر بنيَّ، فَسَمِّت عليـه[١]، قال: «تعـال يا غـلام» فـأخـذ بيدي، ومسح بـرأسي، وقال: «بـارك الله فيك ــ أو بـورك فيك» فـرأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم، فيمسح بيده، ويقـول: «بسم الله». فيذهب الورم. وفي رواية: والشاة والبعير[٢].

ويُذكر عن أبـي سفيان، واسمه مدلولك[٣]: أنـه ذهب[٤] إلى النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فأسلم، فـدعـا لـه النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، ومسح رأسه بيده، ودعا له بالبركة، فكان مقدم رأسه موضع يد النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أسـود وسـائـره أبيض. ذكـره أيضـاً البخاري في تاريخه[٥].

= حديث. سكن البصرة.
انظر: أسد الغابة ١/٤٧٠؛ وتقريب التهذيب ١/١٥٦.

(١) سَمِّت عليه: من التسميت: أي ذكر الله ــ تعالى ــ على الشيء.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٠٨.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ٣٧، وليس فيه الرواية الثانية (الشاه والبعير).

(٣) **أبو سفيان، مدلوك**: أو مدرك الفزاري، مولاهم، أسلم مع مـواليه حين قـدموا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٤٨٩.

(٤) في ك و ط زيادة (به).

(٥) قـال ابن حجـر في الإصـابـة ٣/٣٩٥ (٧٨٦٠) وروى البخـاري في التـاريـخ، وابن سعد، والبغوي، والطبراني، من طريق مطر بن العـلا الفزاري، حـدثتني عمتي آمنـة أو أمية بنت أبـي الشـعثـاء، وقطبـة مولاة لنـا، قالتـا: سمعنـا أبـا سفيـان، زاد البغوي في روايته: مدلوكـاً، يقول: «ذهب بـي مـولاي إلى النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأسلمت، فدعا لي بالبركة، ومسـح رأسي بيده. قـالت: فكان مقـدم رأس أبـي سفيان أسود، ما مسه النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسائره أبيض». وأخرجه ابن منده وأبو نعيم من وجه آخر، عن مـطر. . . قال الهيثمي في المجمـع ٩/٤٠٩، «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم».

وروى أحمد في مسنده، بإسناده عن أبي العلا[1] قال: كنت عند قتادة بن ملحان[2]، في مرضه الذي مات فيه، فمر رجل في مؤخر الدار، فرأيته في وجه قتادة. قال: كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مسح وجهه. قال: وكنت قبلُ ما رأيته إلا ورأيته كان على وجهه الدهان[3].

وفي مسند الإمام أحمد عن عروة بن أبي الجعد[4] قال: «عرض للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جلب[5]، فأعطاني ديناراً، وقال: «أي عروة، ائت الجلب، فاشترِ شاة! فأتيت الجلب، فساومت صاحبه، فاشتريت منه شاتين بدينار، فجئت[6] أسوقهما، فلقيني رجل، فساومني، فأبيعه[7] شاة بدينار، فجئت بالدينار وجئت بالشاة، فقلت:

---

(١) في ط رسمت هكذا (العلى).
أبو العلا: هو حيان بن عمير القيسي الجريري، البصري، ثقة، مات قبل المائة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٨.

(٢) **قتادة بن ملحان**: هو القيسي من بني قيس بن ثعلبة. له صحبة، يعد في البصريين، له حديث.
انظر: الإصابة ٣/٢٢٥؛ والاستيعاب بهامشه ٣/٢٥١؛ وأسد الغابة ٤/٨٩.

(٣) المسند للإمام أحمد ٥/٢٧ و ٨١ وأورده الهيثمي في المجمع ٩/٣١٩، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٤) سقطت (الجعد) من ك و ط.
عروة بن أبي الجعد: هو البارقي، ويقال: ابن الجعد، ويقال: اسم أبيه عياض، صحابي، سكن الكوفة، وهو أول قاضٍ بها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٨؛ وأسد الغابة ٣/٥٢٣ ــ ٥٢٤.

(٥) الجلب: ما يجلب للبيع من كل شيء، ويقال له أيضاً: الجلوبة.
انظر: الفتح الرباني ٢٢/٣٢٦.

(٦) في ك و ط زيادة (بهما).

(٧) في ك و ط (فاتبعته).

يا رسول الله، هذا ديناركم وهذه شاتكم» قال: «وصنعت كيف؟» فحدثته الحديث، فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه». فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة[1]، فأربح أربعين ألفاً، قبل أن أصل إلى أهلي. ورواه الإمام أحمد. وفي لفظ[2]: فكان لو اشترى التراب لربح فيه[3]. رواه البخاري عن أهل داره[4] عنه[5].

---

(١) الكناسة: محلة بالكوفة، حصلت عندها واقعة بين يوسف الثقفي وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم: خد العذراء، وسميت بالكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها.
انظر: معجم البلدان ٤/٤٨١ و ٤٩٠.

(٢) في ك و ط زيادة (آخر، قال الراوي عنه).

(٣) المسند للإمام أحمد ٤/٣٧٦ من ثلاثة طرق، ورواه أبو داود، كتاب البيوع، باب في المضارب يخالف ٣/٢٥٦ (٣٣٨٤ ـ ٣٣٨٦)؛ والترمذي في كتاب البيوع، باب (٣٤)، ٣/٥٥٠ (١٢٥٨)؛ وابن ماجه، أبواب الأحكام، باب الأمين يتجر فيه فيربح ٢/٥٥ (٢٤٢٥) وقد تكلم المنذري على إسناد هذا الحديث وقال عن أحد طرقه: «... وهو من هذه الطريق حسن...».
انظر: مختصر سنن أبي داود ٥/٥٠ ـ ٥١.
وقال أحمد البنا: قال المنذري والنووي: «إسناده صحيح لمجيئه من وجهين».
انظر: الفتح الرباني ٢٢/٣٢٦.

(٤) في ك و ط (الدار).
الذي عند البخاري لفظ (الحي) وهم قبيلة عروة، منسوبون إلى بارق: جبال باليمن، نزله بنو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ـ مزيقيا ـ، فنسبوا إليه. وأضاف الحافظ قائلاً: «وهذا يقتضي أن يكون سمعه من جماعة أقلهم ثلاثة».
انظر: الفتح ٦/٦٣٢ ـ ٦٣٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ٢٨، ٦/٦٣٢ (٣٦٤٢) من الفتح. قال ابن القيم: «وقد استدرك عليه (يقصد البخاري) روايته عن أهل الحي، وهم غير معروفين، وما كان كذلك فليس من شرط كتابه».
انظر: مختصر سنن أبي داود ٥/٤٩.

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشماله، فقال له: «كل بيمينك». قال لا أستطيع. قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه[1].

وروى مالك في موطئه عن زيد بن أسلم[2] عن جابر بن[3] عبد الله السلمي، قال: «خرجنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزوة بني أنمار»[4]. قال جابر: «فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: هلم يا رسول الله إلى الظل، قال: فنزل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، قال جابر: فقمت إلى غِرارة[5] لنا، فالتمست فيها، فوجدت فيها جرو قِثّا[6]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ٣/١٥٩٩ (٢٠٢١).

(٢) زيد بن أسلم: هو أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، الإمام الحجة القدوة، والده مولى عمر بن الخطاب، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مات سنة ١٣٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦؛ وتقريب التهذيب ١/٢٧٢.

(٣) في ك و ط (عن).

(٤) هي غزوة ذات الرقاع وكانت سنة ٥هـ.
انظر: شرح المواهب اللدنية ٢/٨٦ ـ ٨٧.
بنو أنمار: هم بنو أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان.
انظر: اللباب ١/٩١.

(٥) **الغِرارة**: شبه العِدل (الكيس الذي يحمل على الدابة).
انظر: المصباح المنير ص ٤٤٥.

(٦) في ط (جرد قنا).
الجرو: صغير كل شيء، حتى الحنظل والبطيخ ونحوه.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨٣.

فكسرته، ثم قربته إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «من أين لكم هذا؟» قلنا: خرجنا به من المدينة، قال: وعندنا صاحب لنا نجهزه، يذهب يرعى ظهرنا، قال: فجهزته، ثم أدبر، يذهب إلى الظهر، وعليه ثوبان له قد خَلِقا[1]، فنظر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «أما له ثوبان غير هذين؟» فقلت: بلى يا رسول الله، ثوبان في العَيْبة[2]، كسوته إياهما. قال: «ادعه فليلبسهما» ثم ولّى يذهب[3] فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ماله ضرب الله عنقه، أليس هذا خير له؟» فسمعه الرجل، فقال: يا رسول الله، في سبيل الله. فقال: «في سبيل الله» فقتل الرجل في سبيل الله»[4]. ورواه أبو زرعة عن سعيد بن سليمان[5]، عن الليث، عن هشام بن سعيد[6]،

---

(١) **خلقا**: بليا، من باب سهل.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٧.

(٢) **العيبة**: زبيل من أدم (جلد).
انظر: ترتيب القاموس ٣/٣٥١.

(٣) في ك جاء في العبارة هكذا (فدعوته فلبسهما، ثم ولى يذهب) وفي ط (ثم ولى يذهب، فدعوته فلبسهما).

(٤) رواه مالك في الموطأ، كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الثياب والتجمل بها، ٢/٩١٠، ورواه الحاكم بمعناه في المستدرك، كتاب اللباس ٣/١٨٣ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم... إلَّا أن الحديث عند مالك عن زيد بن أسلم عن جابر (يقصد أنه منقطع)». وسكت عليه الذهبي. وقال عبد القادر الأرناؤط: «وقد وصله الحاكم.. وإسناد حسن».
انظر: جامع الأصول ١٠/٦٦١.

(٥) سعيد بن سليمان: هو الضبي، أبو عثمان الواسطي، نزيل بغداد، البزار، ... ثقة حافظ... مات سنة ٢٥٥هـ وله ١٠٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٩٨.

(٦) **هشام بن سعيد**: هو الطالقاني، أبو أحمد البزاز، نزيل بغداد، صدوق، لم يعمر.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣١٨.

عن زيد بن أسلم، عن عطاء[1]، عن جابر.



(١) عطاء: هو ابن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة ٩٤هـ وقيل بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٣؛ وسير أعلام النبلاء ٤/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

فصل

ست طرق كبرى للقطع بنبوة محمد ـ عليه السلام ـ

في الطرق التي تبين[1] بها أن هذه الأخبار تفيد العلم.

وهذه الأخبار: منها ما هو في القرآن. ومنها ما هو متواتر: يعلمه العامة والخاصة، كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، ونحو ذلك، فإن كلاً[2] من ذلك تواترت به الأخبار، واستفاضت، ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف، فما من طبقة من طبقات الأمة إلاَّ وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن، وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن، وأكثر ممن سمع ونقل[3] أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو، وممن سمع ونقل نُصُب الزكاة وفرائضها. بل مواقيت الصلاة وأعدادها إنما شاع نقلها للعمل الدائم بها.

وأما هذه الآيات: فنقلها أكثر ممن[4] نقل مواقيت الصلاة، من جهة الأخبار المعينة، وذلك أن آيات الرسول كان كثيراً منها يكون بمشهد من الخلق عظيم، فيشاهدون تلك الآيات، كما شاهد[5] أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه، وظهور الماء

---

(١) في ك و ط (يبين).

(٢) في أ (كل) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) سقطت: (سمع ونقل) من أ وقد أثبتناها من ك و ط.

(٤) في ط (ممل).

(٥) في أ (شاهدوا).

الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها، ولم يتركوا فيها قطرة، فكثر حتى روى العسكر، وكما شاهد العسكر في (غزوة ذات الرقاع) الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت، وملأ منها جميع العسكر، وكما شاهد الجيش في رجوعهم من (غزوة خيبر) المزادتين مع المرأة، وقد ملؤوا كل وعاء معهم، وشربوا وهي ملأى كما هي.

وكما شاهد[1] أهل خيبر ــ وهم ألف وخمسمائة ــ الطعام، الذي كان كربضة الشاة، فأشبع الجيش كلهم، وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفاً[2] في تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها[3]، حتى كفاهم، وشاهدوا الطعام الذي جمعوه على نطع، فأخذوا منه حتى كفاهم. وكما شاهد أهل الخندق ــ وهم أكثر من ألف ــ كثرة الطعام في بيت جابر، بعد أن كان صاعاً من شعير وعناقاً، فأكلوا كلهم بعد الجوع، حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

وكما شاهد الثمانون نفساً كثرة الطعام لما[4] أكلوا في بيت أبي طلحة. وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء، لما توضؤوا من قدح، والماء ينبع من بين أصابعه، حتى كفاهم للوضوء[5]، وكذلك وليمة زينب، كانوا[6] ثلاثمائة، فأكلوا من طعام في تَوْر[7] من حجارة، وهو

(١) في أ (شاهدوا).
(٢) في أ (ألف) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٣) سقطت (ماؤها) من أ.
(٤) في ط (كما).
(٥) في ك و ط (الوضوء).
(٦) في ط (كانت).
(٧) التور: إناء يشرب فيه.
انظر: مختار الصحاح ص ٨٠.

باق، فظن أنس أنه أزيد مما كان، وكانوا يتداولون قصعة من غدوة إلى الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة، كما في حديث سمرة بن جندب، وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل[1] وكفاهم، وفضل، وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور، ينقله بعض من شاهده إلى من غاب عنه، فكان[2] استفاضة آياته وشهرتُها وتواتُرها في الأمة، أعظمَ من تواتر سجود السهو في الصلاة، فإن هذا إنما كان مرات قليلة، ولم يحضره إلَّا المصلون خلفه لتلك الصلاة، وكذلك نقلهم لنُصُب الزكاة، وفرائِضها، فإن هذا إنما سمعه منه طائفة قليلة، ونقلوه.

وكذلك حكمه[3] بالشُّفعة[4] فيما لا يُقْسَم، وقضاؤه بأن دية الخطأ على العاقلة[5]، وقضاؤه بأن الولد للفراش[6]، وللعاهر الحَجَر، ونهيه عن نكاح الشِّغار[7]، وتحريمه لطلاق الحائض، وطلاق الموطوءة قبل أن يتبين حملها، وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار، وتوريث

---

(١) سقطت (القليل) من أ.

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) في ط (حكمة).

(٤) الشفعة: هي انتزاع ملك المشتري بغير رضاء منه، وإجبار له على المعاوضة. وقد أثبتها الشرع ـ على خلاف الأصل ـ لمصلحة راجحة.
انظر: المغني لابن قدامة ٥/٣٠٨.

(٥) العاقلة: عصبة الرجل. وهم الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٧٩ و ٢٣٦.

(٦) معنى الفراش هنا: الزوج الرسمي أو السيد.

(٧) الشغار: نكاح كان في الجاهلية، وهو أن تُزَوِّج الرجل امرأة ما كانت، على أن يزوجك أخرى بغير مهر، وخص بعضهم به القرائب، فقال: لا يكون الشغار إلَّا أن تنكحه وليتك على أن ينكحك وليته.
انظر: اللسان ٤/٤١٧ مادة شغر.

الجدة السدس، ونهيه أن تنكح المرأة على عمتها وخالتها، وقوله: «فيما سقت السماء العشر، وما سقى بالدوالي[1] والنواضح نصف العشر»[2] وأمثال ذلك. إنما[3] سمعها طائفة من الأمة، هم أقل بكثير ممن شاهدوا[4] آياته، ثم إن الأمة متفقة على نقل ذلك، وهذه الأحكام متواترة عنه، معلومة بالاضطرار من دينه.

فإذا كان مثل هذه الأمور تواتر في الأمة، واتفقت على نقله، فكيف بما كان أشهر وأظهر عند من عاينه، وكان عِلْم الذين رأوه به، أظهر من علمهم بهذه الأحكام، وقد نقلوا ذلك إلى من غاب عنهم، فإنه ـ قطعاً ـ يجب أن يكون تواتر هذه الآيات في الأمة أعظم وأظهر، ولهذا لا يكاد يوجد مسلم إلَّا وقد عرف كثيراً من هذه الآيات، وسمعها ونقلها إلى غيره، بخلاف كثير[5] من الأحكام المتواترة عنه، المتفق على نقلها عند العلماء، فإن كثيراً من الناس لا يعرفها، ولا سمعها.

وإذا قال القائل: هذه مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي على نقلها، ولو كان كذلك لتواترت. قلنا: وكذلك هو[6] ـ ولله الحمد ـ توفرت الهمم والدواعي

---

(١) الدوالي: هي الدلو ونحوها.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٩.

(٢) رواه البخاري بلفظ آخر، كتاب الزكاة، باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، ٣/٣٤٧ (١٤٨٣) من الفتح. ورواه مسلم، بلفظ مختلف ـ أيضاً ـ كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر، ٢/٦٧٥ (٩٨١).

(٣) في ك و ط (وإنما).

(٤) في ك و ط (شاهد).

(٥) في أ (كثيراً) والأصوب ما اعتمدناه من ك و ط.

(٦) في ط (هي).

على نقلها، أكثر مما توفرت الهمم والدواعي على نقل أكثر آيات الأنبياء قبله، وأكثر مما[1] توفرت الهمم والدواعي على نقل الأخبار العجيبة من سِيَر الملوك والخلفاء، فإن من تدبر نقل هذه الآيات، وَجَد شهرتها في كل زمان، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرة ما نقل من أخبار[2] الأنبياء وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فإن مثل هذا لا[3] يجب في كونه متواتراً أن يتواتر عند كل أحد من الناس.

فإن أكثر ما تواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها، قد لا يسمعه كثير من الأمم من غيرهم، فضلاً عن تواتره عندهم، حتى أن كثيراً من الأمم الذين لا يعرفون الأنبياء، قد لا يكونوا قد سمعوا[4] بأسماء الأنبياء، ولا بأخبارهم، فضلاً عن تواترها عندهم.

وأكثر أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من أخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم، حتى أن أكثر المسلمين لم يسمعوا بأسماء خلفاء بني أمية[5] وبني العباس[6] وأسماء وزرائهم ونوابهم وقوادهم،

---

(١) في أ (ما) والصواب ما في ك و ط وهو المثبت هنا.

(٢) في ك و ط (ينقل من آيات).

(٣) سقطت: (لا) من ط.

(٤) في ك و ط (يكونون سمعوا).

(٥) **بنو أمية**: نسبة إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الذين ولوا الخلافة، منهم عثمان بن عفان وغيره.
انظر: اللباب ١/٨٥.

(٦) نسبة إلى العباس بن عبد المطلب ــ رضي الله عنه ــ فالسفاح وأبو جعفر كلاهما اسمه: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
انظر: الكامل ٤/٣٤٧؛ والبداية والنهاية ١٠/٥٨.

وبالحروب التي جرت بينهم، ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم مثل يوم أجنادين[1]، ويوم مَرْج الصُّفر[2]، ويوم فِحْل[3]، ومثل يوم الحرة[4]، ويوم مرج راهط[5]، وفتنة

---

(١) **يوم أجنادين**: كان سنة ١٥هـ بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص والروم بقيادة أرطبون، ولم يكن فيها نصر ولا هزيمة بعد قتال شديد وكثير من القتلى. وأجنادين موضع بالشام من فلسطين من كورة (منطقة) بيت جبرين.
انظر: البداية والنهاية ٧/٥٤ ـ ٥٥؛ ومراصد الاطلاع ١/٣٣.

(٢) **مرج الصفر**: المرج: مرعى الدواب، ويوم مرج الصفر كان في سنة ٦١٤هـ بين المسلمين والإفرنج، حيث غلب الإفرنج ولم يقدر على النجاة منهم إلاَّ القليل من أهل بيسان وما حولها، وقد نهب الإفرنج البلاد من بيسان إلى بانياس، وقد أسروا كثيراً وقتلوا وأحرقوا وأهلكوا. و(مرج الصفر) ناحية بدمشق.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٢٠؛ والكامل ٩/٣١٤ ـ ٣١٥؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٢٥٤.

(٣) فحل: موضع بالغور (غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق) وقد وقعت به معركة بين المسلمين، وعليهم: شرحبيل بن حسنة وبين الروم، وعليهم: سقلاب بن مخراق، فنصر الله ـ سبحانه ـ المسلمين، وقتلوا من الروم قريباً من ثمانين ألفاً، وكانت سنة ١٣هـ.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠١٨ و٢/١٠٠٤؛ والبداية والنهاية ٧/٢٥.
في ك و ط زيادة (ويوم اليرموك).

(٤) يوم الحرة: كان سنة ٦٣هـ بين أهل المدينة وعليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر وبين أهل الشام وعليهم مسلم (مسرف) بن عقبة، وقد هَزَم أهل المدينة واستباحها ثلاثة أيام ينهبها الجند، وقتل من أهل المدينة عشرة آلاف وسبعمائة وقيل أنه: حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/٤٨٠ ـ ٤٩٦؛ والبداية والنهاية ٨/٢١٧ ـ ٢٢١.

(٥) **مرج راهط**: بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج في الشعر، وراهط اسم رجل من قضاعة، وقد كان به المعركة بين أنصار ابن الزبير بقيادة: الضحاك بن قيس، وبين مروان بن الحكم انتصر فيها مروان وقتل الضحاك. وذلك سنة ٦٤هـ.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/٥٣٥ ـ ٥٤٠؛ ومعجم البلدان ٣/٢١ و٥/١٠١.

ابن[1] المهلب[2]، وفتنة ابن الأشعث[3]، والقراء مع الحجاج[4]، وحرب مصعب بن الزبير[5] مع المختار بن أبي عبيد[6]، وفتنة

(١) جاءت في أ و ك: (بن) والصواب إثبات الألف كما في ط.

(٢) وقد كانت بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك حيث إن يزيد قد حبس بأمر عمر بن عبد العزيز وبقي فيه حتى هرب منه في مرض عمر، فجمع أنصاره وهجم على البصرة فاستولى عليها ثم تقابل مع جيش يزيد بن عبد الملك بقيادة مسلمة بن عبد الملك فهزم ابن المهلب وقتل وانصرف أخوه المفضل ومن معه إلى واسط ثم إلى كرمان. وكان ذلك سنة ١٠٢هـ فطلبهم مسلمة وأسرهم وقتل المفضل وبعث برأسه إلى يزيد بدمشق.
انظر: الكامل ٤/١٥٧ ـ ١٧٥.

(٣) في أ و ك سقطت الألف من (ابن).
ابن الأشعث: هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ولاه الحجاج أمرة الجيش الذي وجهه إلى رتبيل ملك الترك فانتصر عليه وصالحه ثم بايعه جنده بالولاية العامة وخَلْع الحجاج ثم عبد الملك بن مروان ثم استولى على البصرة وقاتله الحجاج طويلاً فهزمه الحجاج ففر إلى رتبيل فأكرمه ثم غدر به وقتله وأرسل رأسه إلى الحجاج فطيف به في العراق ثم بالشام ثم بمصر سنة ٨٥هـ.
انظر: البداية والنهاية ٩/٣١ ـ ٥٤.

(٤) وقد كانت سنة ٨٢هـ وهي تابعة لفتنة ابن الأشعث، وبقيادته، في مكان يقال له، الزاوية وأوشك القراء على هزيمته ثم انتصر الحجاج وقتل جمعاً كبيراً في القراء وانصرف ابن الأشعث إلى الكوفة.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٥) مصعب بن الزبير، هو ابن العوام القرشي الأسدي، أمير العراقين أبو عيسى وأبو عبد الله. كان فارساً شجاعاً، جميلاً وسيماً، سفاكاً للدماء، وقتل سنة ٧٢هـ وله ٤٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٤٠ ـ ١٤٣.

(٦) وكانت سنة ٧٦هـ بعدما استولى المختار على الكوفة سار إليه مصعب فتقابلا فهزم المختار وكان ذلك بحروراء ثم تحصن بالقصر ثم خرج فقاتل حتى قتل. ثم قتل مصعب جميع أنصاره صبراً تبعاً لرضى العامة.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/٩٣ ـ ١١٦.

المنصور[1] مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن[2] بـالمدينـة، ومع أخيه إبراهيم[3] بالبصرة، ومثل جسر أبـي عبيد[4]، ويوم اليرموك[5] ويوم

(١) **المنصور**: هو عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي ــ أمه سلامة البربرية ولد سنة ٩٥هـ وضرب في الآفاق ورأى البلاد وطلب العلم، كان يسمى قبل الخلافة (عبد الله الطويل) وبعدها: أبا الدوانيق، مات سنة ١٥٨هـ ودفن قريباً من مكة، وله ٦٤ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٨٣ ــ ٨٩؛ وفوات الوفيات ٢/٢١٦ ــ ٢١٧.

(٢) في ك و ط (حسين).

محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن: هـو ابن علي بن أبـي طالب خـرج بالمـدينة وقاتله العباسيون فهزمهم أول الأمر ثم تفرق عنه أصحابه فقتل بـالمدينـة سنة ١٤٥هـ وأرسل رأسه إلى المنصور.

انظر: الكامل ٥/٢ ــ ١١.

(٣) في جميع النسخ (محمد بن إبراهيم) والصواب (إبراهيم) كما في كتب التاريخ.

إبـراهيم: هو ابن عبـد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب. اختفى من المنصور خمس سنين ثم ظهر بالبصرة سنة ١٤٥هـ ثم قتل بعد هزيمة جنده على يـد حميد بن قحطبة سنة ١٤٥هـ بالكوفة وله ٤٨ سنة.

انظر: الكامل ٥/١٥ ــ ١٩.

(٤) في ط (أبـي عبيدة) بتاء مربوطة.

أبـو عبيد: هـو ابن مسعود بن عمـرو بن عميـر بن عـوف. . الثقفي، والـد المختـار وصفية امرأة ابن عمر، أسلم في عهد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ واستعمله عمـر سنة ١٣هـ فسيـره في جيش كثيف فيهم جمـاعـة من أهـل بـدر، وإليـه ينسب الجسر. . .، وإنما نسب إليه لأنه كان أمير الجيش في الوقعة التي كانت عند الجسر فقتل أبو عبيد ذلك اليوم شهيداً، وكانت الوقعة بين الحيرة والقادسية، وتعرف الوقعـة ــ أيضاً ــ بيوم قسّ الناطف، ويوم المروحة، وكان أمير الفرس مراد نشـاه بن بهمن، واستشهـد معه من النـاس ألف وثمانمـائة. . .، وكـان المسلمون قـد قطعـوا جسـراً هناك، فلما انهزموا رأوا الجسر مقطوعاً. . . وحمى المثنى بن حارثة الشيباني النـاس حتى نصب الجسر فعبر من سلم عليه.

انظر: أسد الغابة ٥/٢٠٥.

(٥) سقطت (ويوم اليرموك) من ك و ط. =

القادسية[1]، ولا يعرفون أن المسلمين فتحوا قبرص، ولا غزوا[2] القسطنطينية مرتين: مرة في زمن معاوية ومرة في زمن بني مروان[3].

وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين. لا[4] بل أكثر العامة لم يسمعوا بأبي مسلم[5] صاحب الدعوة[6]، وبعبد الله بن علي بن

= **يوم اليرموك**: وكان سنة **١٣هـ** وكان عدد المسلمين ستة وأربعين ألفاً وكانوا بقيادة عدة أمراء ثم أمروا عليهم خالد بن الوليد وكان الروم بقيادة باهان وانتصر المسلمون فيها نصراً عظيماً، وأصيب من الروم مائة وعشرين ألفاً ومن المسلمين ثلاثة آلاف.
انظر: تاريخ الأمم والملوك **٣/٣٩٤ ــ ٤٠٦**.

(١) في ك و ط زيادة (بل وحربهم مع أهل الردة، مع أتباع طليحة الأسدي، ووفد براحة، ومثل حديقة الموت، مع أتباع مسيلمة الكذاب).
يوم القادسية: وكان سنة **١٤هـ** بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم وقد قتل رستم بعد ثلاثة أيام من القتال وهزم الجيش الفارسي شر هزيمة.
انظر: الكامل **٢/٣٠٩ ــ ٣٣٧**.

(٢) في ك و ط (حاصروا).

(٣) **بنو مروان**: نسبة إلى مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٨٧.

(٤) محيت (لا) من أ.

(٥) **أبو مسلم**: هو عبد الرحمن بن مسلم الخرساني، صاحب الدعوة العباسية، وهو شر من الحجاج، وفي آخر أمره قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان **٣/١٤٥ ــ ١٥٤**؛ ولسان الميزان **٣/٤٣٦ ــ ٤٣٧**؛ وشذرات الذهب **١/٢٠٥**.

(٦) أي: الدعوة إلى ولاية رجل من بني هاشم هو إبراهيم الإمام ثم عبد الله السفاح أخيه إلى أن وصلت إليهم الخلافة.
انظر: وفيات الأعيان **٣/١٤٧**.

عبد الله بن عباس[١]، وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان[٢] آخر خلفاء بني أمية، ولم يسمعوا ـ أيضاً ـ بدخول عبد الرحمن بن هشام[٣] إلى الأندلس وما جرى له فيها، ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد[٤]، الأمين[٥] ـــــــــــــــــــــ

(١) عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: هو ابن عبد المطلب، عم المنصور والسفاح، أحد دهاة الأرض، وكان من الشجعان الأبطال، سجنه المنصور في بيت أساسه ملح فسقط عليه ومات سنة ١٤٧هـ.
انظر: فوات الوفيات ٢/١٩٢.

(٢) في ك و ط زيادة (ابن محمد).
مروان: هو ابن محمد، آخر خلفاء بني أمية، الملقب الحمار والجعدي، نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ولد سنة ٧٢هـ، واشتهر بالفروسية والإقدام والدهاء، ومات سنة ١٣٢هـ وله ٦٢ سنة.
انظر: فوات الوفيات: ٤/١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) **عبد الرحمن**: هو ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، الداخل إلى الأندلس. كان يخطب (يعلن الخضوع) للمنصور أعواماً ثم ترك الخطبة ولم يتعرض لبني العباس ولم يتعرضوا له، وكان من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل في قضاياه. مات سنة ١٧٢هـ.
انظر: فوات الوفيات ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٤) **الرشيد**: هو هارون بن محمد بن المنصور ـ أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي، وأمه خيزران أم ولد، مات سنة ١٩٣هـ وله ٤٥ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٢٨٦ ـ ٢٩٥.

(٥) **الأمين**: هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة ولكنه كان سيِّىء الرأي كثير التبذير أرعن، خُلع ثم أسر وقتل صبرا سنة ١٩٩هـ وله ٢٧ سنة.
انظر: فوات الوفيات ٤/٤٦ ـ ٤٨.

والمأمون[1]. مع أن هذه الأمور هي متواترة عند أهل العلم بالسير وأخبار الناس والتواريخ.

وظهور هذه الآيات، التي هي دلائل النبوة وأعلامها، مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها في كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة، فهي أحق أن تجعل متواترة من هذه، ونقلة هذه الآيات من الخاصة[2]: أهل العلم، وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير، وكتب الأصول والفقه، التي توجد[3] فيها هذه الأخبار أصح نقلاً باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة، فإن تلك كثير من أخبارها منقطع الإسناد[4]، وفيها[5] من الأكاذيب ما لا يحصيه إلاّ الله، وإن كان أصل القصة قد يكون متواتراً، وهذه الآيات المشهورة في الأمة كثير من أجناسها متواتر عند أهل العلم[6]، وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة[7].

---

(١) **المأمون**: هو عبد الله بن هارون، أمير المؤمنين أبو العباس، ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ قرأ العلم في صغره وسمع الحديث وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة فَجَره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً ورأياً ودهاء وشجاعة وسؤدداً وسماحة.
انظر: فوات الوفيات ٢/١٣٥ ــ ١٣٩.

(٢) في ط (خاصة).

(٣) في ك (يوجد).

(٤) **منقطع الإسناد**: هو ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه.
انظر: تدريب الراوي ١/٢٠٧.

(٥) سقطت الواو من ط.

(٦) في ك و ط (العامة).

(٧) في ك (عند الخاصة: أهل العلم) وفي ط (خاصة أهل العلم).

بـل وكثير من[1] الفقهـاء والمتكلمين أو أكثـرهم لا يعـرفـون عـدد مغازي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ التي قاتل فيها أعداءه، وهي وقائع مشهورة، كل منها متواتر تواتـراً ظاهـراً عند أهـل العلم، مثل يـوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق، وغزوة بني المصطلق[2]، وغزوة خيبـر، وفتح مكة، ويوم حنين، وحصار الطائف[3].

فكثيـر من أهل العلم فضـلاً عن العامـة، وإن كانـوا سمعوا بهـذه الأسماء أو بعضها، فلا يعرفون أيها كان[4] قبل الآخـر؟ ولا يعرفـون بأي بقعة كانت تلك الغـزاة؟ بل ولا يعـرفون من كـان العدو فيهـا؟ ولا كيف كانت؟ بل أكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين، بل يقـول قائلهـم: يـوم بدر وحنين، ويظنون أن ذلك يوم واحد، وأنها غزاة واحدة، ولا يعرفـون أنهما غزاتـان، بينهما نحـو ست سنين، كانت بـدر في السنة الثـانية من

(١) في ك (بل كثير من الفقهاء) وفي ط (بل الفقهاء والمتكلمون).

(٢) **غزوة بني المصطلق**: وهي بين المسلمين بقيـادة رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وبين بني المصطلق بقيادة الحـارث بن ضرار أبـو جويـرية بنت الحـارث ــ رضي الله عنها ــ وذلك عند ماء لهم يقال له: المريسيع من ناحية قـديد على السـاحل، وهـزم الله بني المصطلق، وكان ذلك سنة ٦هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٣٠٢.
بنـو المصطلق: هـذه النسبة إلى المصـطلق واسمـه جـذيمـة بن سعـد بن عمـرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، بطن من خزاعة.
انظر: اللباب ٣/٢١٩ ــ ٢٢٠.

(٣) حصـار الطائف كـان في شوال سنـة ٨هـ وكـانت بعـد غـزوة حنين، واستمـر بضعـاً وعشـرين ليلة ثم انصـرف المسلمـون عنهم، ولم يؤذن فيهم (أي بـالقتـال) فقـدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٦٥٢ ــ ٦٦٣.

(٤) في ك (أنها) بالنون بدلاً من الياء، وفيها وفي ط (كانت) بالتاء.

الهجرة، وكانت حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة، وأن بدراً[1]: مكان بين مكة والمدينة، شامي مكة، ويماني المدينة[2]، وحنين: واد قريب من الطائف شرقي مكة[3]، وإنما قرن بينهما في الإسم، لأن الله أنزل فيهما[4] الملائكة، وأيد بها[5] نبيه والمؤمنين، حتى غلبوا عدوهم، مع قوة العدو في بدر، ومع هزيمة أكثر المسلمين أولاً بحنين، وأمتن[6] الله بذلك في كتابه في قوله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7].

وفي قوله:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا . . . ﴾[8].

١ ـ التواتر العام ٢ ـ والتواتر الخاص طريقان قطعيان للعلم بالنبوة

حتى بعض أكابر أئمة الفتيا المشهورين، قال له صاحبه ـ لما أنكر عليه طَلَبَ علم السِّير ـ: «تسكت، وإلَّا سألتك قدام الناس أيهما كانت قبل، بدر أو أحد، فإني أعلم أنك لا تعلمه[9]». مع أنه من المتواتر الذي لا يستريب فيه من له أدنى[10] معرفة بالأخبار، أن أحداً

(١) في أ (بدر) والصواب النصب.
(٢) معجم البلدان ١/٣٥٧.
(٣) المصدر السابق ٢/٣١٣.
(٤) في ط (فيها).
(٥) في أ (بهما).
(٦) **امتن**: أنعم. انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٨٨.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.
(٨) سورة التوبة: الآيتان ٢٥، ٢٦.
(٩) في ك و ط (لا تعلم ذلك).
(١٠) سقطت (أدنى) من أ.

كانت بعد بدر، وفي بدر انتصر المسلمون على الكفار، ويوم أحد استظهر الكفار. بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر: لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب، بل وعند غيرهم من علماء المسلمين، مثل: خراب بيت المقدس مرتين، ومجيء بخت نصر إلى بيت المقدس[1]، والله ــ سبحانه ــ قد[2] ذكر في القرآن المرتين، فقال:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي[3] ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ[4] وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا[5] ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ[6] عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا[7] ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣳٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾[8].

---

(١) في ك و ط زيادة (أولاً).

(٢) سقطت (قد) من ك و ط.

(٣) أي: أعلمهم الله وأخبرهم.
انظر: جامع البيان ١٥/٢٠.

(٤) أي: طافوا وسط البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب، لا يخافون من أحد.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٥٢.

(٥) أي كان ذلك التسليط والانتقام جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) الكَرّة: الدولة والغلبة.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) **أكثر نفيراً**: أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم.
انظر: المصدر السابق ١٥/١٥٣.

(٨) أي: ليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميراً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة الإسراء: الآيات ٤ ــ ٧.

وكانت الأولى بعد سليمان، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيى والمسيح، لما قتلوا يحيى بن زكريا، الذي يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمداني[1].

وكثير من المذكورين بالعلم يظن أن (بخت نصر) هو الذي قدم الشام لمّا قُتل يحيى بن زكريا[2]، وهذا عند أهل العلم من أهل الكتاب وعند من له خبرة من علماء المسلمين: باطل. والمتواتر: أن (بخت نصر) هو الذي قدم في المرة الأولى[3]. وكذلك كون شعيب ــ النبي ــ كان حمو[4] موسى ــ عليه السلام ــ كما تقوله طائفة من الجهال[5]، والمتواتر عند أهل الكتاب، وعند[6] المسلمين من الصحابة والتابعين، وغيرهم، خلاف ذلك[7]، وعند النصارى من أخبارهم وأخبار علمائهم وملوكهم، المتواترة * ما لا يعرفه المسلمون واليهود، وعند

---

(١) في ط (المعمدان).
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١١٠٦ ــ ١١٠٨.

(٢) انظر: جامع البيان ١٥/٢١ ــ ٢٢.

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٥٣٨؛ ومروج الذهب ١/٢٢٨؛ والكامل ١/١٤٧ ــ ١٥١؛ والبداية والنهاية ٢/٣٤ ــ ٣٩.

(٤) الحمو: كل من كان من قبل أحد الزوجين كالأخ والأب.
انظر: مختار الصحاح ص ١٥٣.

(٥) ورد هذا في رواية لابن أبي حاتم عن مالك بن أنس: أنه بلغه أن شعيباً ــ عليه السلام ــ هو الذي قص على موسى القصص.
انظر: الدر المنثور ٥/١٢٦.
بين الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ في أول هذا الكتاب (١/٢٨٧ ــ ٢٨٨ ط المدني) أن هذا القول غلط عند علماء المسلمين، مثل: ابن عباس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم.. ولم يثبت ذلك عن أحد من الصحابة والتابعين.

(٦) في ك و ط زيادة (علماء).

(٧) جاء عن الحسن أنه قال: «يقول ناس أنه شعيب وليس بشعيب ولكن سيد الماء يومئذ. وقيل: كان أثرون ابن أخي شعيب ــ عليه السلام ــ وقيل: اسمه يثربي، =

المسلمين من أخبار علمائهم وملوكهم المتواترة *[1] ما لا يعرفه أكثر الأمم.

بل عند كل طائفة من المسلمين من أخبار شيوخهم وأمرائهم وبلادهم المتواترة ما لم تُسمع من[2] غيرهم، وليس هذا بمنزلة من ادعى خبراً لم يكن يُعرف في الذين شاهدوا تلك القضية، كما لو ادعى مدع أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حج بعد الهجرة أكثر من حجة، وأنه كان يصوم شهر رمضان بمكة، وأنه كان بمكة أذان، أو أنه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات[3]. أو أنه كان يؤذن للعيدين، أو[4] كان يخطب للعيدين قبل الصلاة، أو أنه كان يصلي بالمدينة أكثر من عيد. أو أنه كان يصلي في السفر أربعاً، أو أنه صلى بمنى صلاة عيد النحر. أو أنه نص على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه[5] ـ أو غيره بالخلافة نصاً ظاهراً مشهوراً. أو أنه عزل أبا بكر عن الإمارة في الحجة وولى علياً، أو أنه صلى[6] في مرض موته غير أبي بكر، ونحو ذلك من الأخبار التي يعرف أنها كذب باطل[7]، لتواتر

= وقيل: يثرب. وقيل: كانت صاحبة موسى: صفيراً بنت يثرون، وقيل: صفوراً بنت رعاويل، وقيل: هو يثرون كاهن مدين. والكاهن: الحبر.
انظر: الدر المنثور ٥/١٢٦.

(١) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (يسمع به).

(٣) دبادب: جمع دبداب وهو الطبل. والبوقات: جمع بوق: وهو الذي ينفخ فيه ويزمر، وهو قديماً شبه منقار الطائر ملتوي الخرق.
انظر: اللسان ١/٣٧٢، مادة دبب و ١٠/٣١، مادة بوق، والمصباح المنير ص ٦٦.

(٤) في ط زيادة (أنه).

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٦) في ك و ط زيادة (بهم).

(٧) في ك و ط (وباطل) بالعطف.

نقيضها، ولأنها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره، ومع أنه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم.

وكذلك ما ينقله كثير من أهل الجهل، مثل ما يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره، ولا يوجد منقولاً عند أهل العلم بأحواله، بل يكذبون ناقله، مثل قول كثير من العامة أن الغمام كان يظله دائماً، فهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين، المعروفة عند علمائهم، ولا نقله عالم من علمائهم، بل هو كذب عندهم، وإن كان كثير[1] من الناس ينقله[2]، وإنما نقل أن الغمامة أظلته لما كان صغيراً، فقدم مع عمه إلى الشام تاجراً، ورآه بحيرا الراهب[3] ـ ومع هذا ـ فهذا لا يجزم بصحته، وكذلك ما ينقله بعضهم من أنه كان إذا وطيء أثر قدمه في الحجر، وفي الرمل لم يكن يؤثر، فهذا لم ينقله أهل العلم بأحواله، ولا واحد منهم بل هو كذب عليه.

وكذلك ما ينقله طائفة من الناس، من كثرة القتل بحروبه، أو المغازي[4] الكثيرة الذي[5] يذكر مثلها صاحب الكتاب الذي سماه

---

(١) في أ (كثيراً).

(٢) في ط (بنقله).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ١/١٩١ ـ ١٩٣؛ والدلائل لابن نعيم ١/ ١١٧ ـ ٢١١؛ وللبيهقي ٢/٢٤ ـ ٢٥؛ وطبقات ابن سعد ١/ ١٣٠ من طريق الواقدي وهو متروك كما في التهذيب ٩/٣٦٣ ـ ٣٦٨ عند أكثر العلماء وروي عن مصعب الزبيري توثيقه وكذلك عن ابن نمير وأبي عبيد.

(٤) في ط (والمغازي) بالعطف.

(٥) في ك و ط (التي).

بـ (نقلات الأنوار) ويقال له البكري[1]، فهذه[2] لمّا كان أكثرها لا يوجد في كتب المسلمين المعروفة، ولا نقلها علماؤهم، بل قد تواتر ما يخالفها، كانت كذباً ظاهراً عند أهل العلم بأحواله، وإن كان كثير[3] من الناس الجهال بأحواله قد يصدق بها.

ومثل ما ينقله طائفة[4]، أنه كان في غزوة[5] خيبر، نصب علي بن أبي طالب يده ليمر الجيش عليها، وأن البغلة مرت عليها، فقال[6]: (قطع الله نسلك) فانقطع نسلها. فهذا ليس في شيء من كتب أهل العلم بأحواله، ولا نقل ذلك واحد منهم، وإنما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب، أو جاهل، ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين، ويعلمون أنه تواتر نقيضه، وأنه لم يكن في غزوة خيبر بغلة واحدة، ولم يكن بالمدينة ولا بمكة[7] بغلة إلَّا بغلته التي أهداها له (المقوقس) النصراني، ملك مصر والإسكندرية، وإنما أهداها له بعد فتح خيبر، لمّا كتب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى

---

(١) **البكري** هذا: لعله أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، من أهل شلطيس، وسكن قرطبة، وقد أجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيره، وتوفي سنة ٤٨٧هـ وقد جمع كتاباً في أعلام نبوة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخذه الناس عنه فلعله ما أشار إليه الشيخ المؤلف، والأمر يحتاج إلى مزيد بحث.
انظر: كتاب الصلة ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ـ ٥٧٨هـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

(٢) في ط (فهذا).

(٣) في أ (كثيراً) بالنصب.

(٤) في ك و ط زيادة (من الناس).

(٥) في ك و ط (غزاة).

(٦) في ك و ط زيادة (لها).

(٧) في ك و ط تقدم ذكر مكة على المدينة.

ملوك الطوائف، يدعوهم إلى الإسلام، وهو إنما أرسل إلى ملوك الطوائف، بعد الحديبية وخيبر، لمّا رجع من خيبر، ويعلمون أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل، لم يكن لها نسل قط.

وكذلك ما ينقله بعض الكذابين، من أن طائفة من أهل البيت سُبُوا، فأركبوا[1] جمالاً فنبت لها سنامان، وأنها (البخاتي)، فهذا مما اتفق أهل المعرفة بالأخبار[2] على أنه كذب، [3]لم يسبِ المسلمون ــ قط ــ في وقت من الأوقات ــ أحداً من أهل بيت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، لا في خلافة بني أمية، ولا في خلافة بني العباس، والجمال البخاتي ما زالت هكذا، لم يتجدد لها السنام في الإسلام كما قال النبي[4] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، لما ذكر ما يحدث[5] النساء بعده، قال: «على رؤوسهن كأسنمة البخت»[6].

وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم، من أن الشمس ردت، لمّا فاتت علياً صلاة العصر، لكون النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نام في حجره[7]، وجعل بعضهم هذا من المعجزات، وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين، التي يعتمدون على ما فيها من المنقولات،

---

(١) في ك و ط (واركبوا) بالواو.
(٢) في ك و ط زيادة (عنه).
(٣) في ك و ط زيادة الواو.
(٤) لم ترد كلمة (النبي) في ك ولا ط.
(٥) في ك و ط (تحدث) بالتاء في أوله.
(٦) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات...، ٣/١٦٨٠ (٢١٢٨)، وكتاب الجنة...، باب النار...، ٤/٢١٩٢ (٢١٢٨). وأحمد في المسند ٢/٢٢٣ و ٣٥٥.
(٧) تأخرت الجملة الدعائية في ط بعد جملة (نام في حجره).

لا الصحاح ولا المساند[1]، [2]ولا المغازي والسير[3] ولا غير ذلك، بل بيَّن أهل العلم بالحديث أن هذا كذب، وليس له إسناد واحد صحيح متصل، بل غايته: أن يُروى عمن لا يُعرف صدقه، ولم يروه إلَّا هو، مع توفر الهمم والدواعي على نقله، فعلموا أنه كذب، وهذا باب واسع يبين أن علماء المسلمين يميزون[4] المنقولات بين الصدق والكذب، فيردون الكذب وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه، وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم، ويقبلون الصدق[5] وإن كان فيه شبهة[6] أشكال، وقد يحتج به المنازعون لهم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي، يقول: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلَّا ما لهم[7]». ومن ذلك مغازي حمزة[8] الشائعة بين كثير من جهال الترك وغيرهم[9]، لا يوجد في شيء من كتب العلم، بل قد تواتر عند أهل العلم أن حمزة لم يشهد غزوة إلا

---

(١) في ط (المسانيد).
(٢) في ك و ط زيادة (ولا التفسير).
(٣) في ط (ولا السير).
(٤) في ط زيادة (في).
(٥) سقطت (الصدق) من ك.
(٦) في ك و ط (وأشكال).
(٧) راجعت ما تيسر من مضان وجود هذا النص فلم أعثر عليه.
(٨) حمزة: المقصود هو حمزة بن عبد المطلب بن هشام، عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخوه في الرضاعة، أبو يعلى، وهو أسن من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بسنتين، وهو سيد الشهداء، أسلم في السنة الثانية من المبعث واستشهد في أحد يوم السبت ١٥/١٠/٣هـ وله ٥٧ سنة.
انظر: أسد الغابة ١/٥٢٨ ـ ٥٣١.
(٩) في ط (من جهال الناس).

غـزوة بـدر، ثم غـزوة أحـد، وقتـل يـوم أحـد شهيـداً، قتله وحشي بن حرب[1] وهذا متـواتر عنـد أهل العلم، ومـا كان من هـذه الآيات[2] في الصحاح، بل وكثير مما لم يخـرجه البخـاري ومسلم، فهذه عـامتها ممـا يقطع أهل العلم بـالحديث بصحتهـا، ويتيقنون[3] ذلـك، وهذا عنـدهم مستفيض متـواتر، وإن كـان بعض ذلك قـد[4] لا يتواتـر ويستفيض عنـد غيـرهم، فإن الأخبـار قد تتـواتر وتستفيض عنـد قـوم دون قـوم، بحسب عنايتهم وبها وطلبهم لها، وعلمهم بمن أخبر بهـا وصفاتهم ومقـاديرهم، ومـا دل من الـدلائـل على صـدقهم، وأهـل العلم بحـديث النبي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ [5]وأفعالـه وسيـرتـه، وأسبـاب نـزول القـرآن ومعانيه وغير ذلك، لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين ما لا يـوجد مثله لغيـرهم، كمـا أن أصحـاب مـالـك والشـافعي وأحمـد بن حنبـل وأبـي حنيفة وداود وغيرهم عنـد كل طـائفة من أقـوال متبوعهم ونصـوصه وأخباره ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعلم[6] ذلك.

والأطبـاء عنـدهم من كـلام أبقـراط، وجـالينـوس، ومحمـد بن

---

(١) وَحْشي بن حـرب: هـو الحبشي، من سـودان مكـة، مـولى بني نـوفـل، قـدم على الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع وفـد الطائف مسلمـاً، وأمره ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ كماروي ـ أن يغيِّب وجهه عنه، وشارك في قتل مسيلمة، ويكنى: أبـا أسامـة أو أبا حرب، وشهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان ـ رضي الله عنهما ـ .

انظر: أسد الغابة ٤/٦٦٢ ـ ٦٦٤؛ والإصابة ٣/٦٣١.

(٢) في ك و ط زيادة (والمعجزات).

(٣) في ك و ط (ويثبتون).

(٤) سقطت (قد) من أ.

(٥) في ك و ط زيادة (وأقواله).

(٦) في ك و ط (يعرف).

زكريا[١]، وأمثالهم ما يقطعون به، وغيرهم لا يعلم ذلك. وأهل الهيئة[٢] عندهم من كلام بطليموس، والرصد الممتحن المأموني[٣]، وثابت بن قرة، وأبي الحسين الصوفي[٤]، ما يعلمونه هم[٥]. وغيرهم لا يعلم ذلك، بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثير من مذاهب أهل الطب والحساب وتجارب الأطباء وأرصاد أهل الحساب. وغيرهم لا يعلم ذلك.

وعند أهل الكتاب: كاليهود، من أخبار هلال وسمابي[٦] وغيرهما

---

(١) **محمد بن زكريا**: هو الرازي، أبو بكر، طبيب حكيم كيماوي، ولد بالري، ونشأ بها، ثم اشتغل بعلم الإكسير، وكان في بدء أمره صائغاً، وكان يغني ويضرب بالعود، ثم اشتغل بالعلوم العقلية والأدبية، وتولى رئاسة البمارستان (المستشفى) العضدي في بغداد، وعمي في آخر عمره وتوفي ببغداد سنة ٣١١هـ.
انظر: البداية والنهاية ١١/١٤٩؛ وشذرات الذهب ٢/٢٦٣.

(٢) أي: أهل العلوم الفلكية والفضائية.

(٣) **الرصد... المأموني**: هو اسم للعمل الذي أمر به الخليفة المأمون بعد ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس فقد أمر باتخاذ الآلات للرصد بها في الشماسية ببغداد، وجبل قاسيون بدمشق، سنة ٢٦٤هـ وهي تسع آلات، وقد جمع المأمون علماء الفلك وطلب إليهم العمل على تشييد هذه المراصد، ولما توفي توقفوا عن العمل، وسجلوا ما توصلوا إليه وسموه (الرصد المأموني) وكان كبير العلماء يحيى بن أبي منصور ومعه ثلاثة آخرون.
انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٤٨٤ ـ ٤٨٥.

(٤) **الصوفي**: هو عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، عالم بالفلك، من أهل الري، له كتاب الكواكب الثابتة، وهو مطبوع، مات سنة ٣٧٦هـ.
انظر: الأعلام ٣/٣١٩؛ ومعجم المؤلفين ٥/١٦٢؛ والفهرست ص ٣٩٥.

(٥) سقطت (هم) من ط.

(٦) في ك و ط (وسماي) بدون باء.
حاولت الحصول على ترجمة لهذين الرجلين فلم أجد شيئاً، سوى ما أورده ابن الماوردي ـ ٤٥٠هـ في كتابه الأحكام السلطانية ٥٢ دار الكتب العلمية، بيروت =

من شيوخهم ما لا يعلمه غيرهم. وعند النصارى من أخبار الحواريين، ومن أخبار قسطنطين، والمجمع الأول بنيقية والمجمع[1] الثاني والثالث والرابع والخامس[2]، وغير ذلك من مجامعهم، وأخبارهم، ما يقطع به[3] علماؤهم وإن كان غيرهم لا يعلمون ذلك.

وأهل العلم بأيام الإسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان، ومغازيهم كوقعة أجنادين، ومرج الصُّفَّر، وغيرهما في خلافة أبي بكر، وكوقعة اليرموك، وخبر أبي عبيدة،[4] ــــــــــــــــ

= ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م، حيث ذكر شعراً قاله سماك اليهودي بشأن بني النضير عندما غزاهم المسلمون، وقد رد عليه حسان ــ رضي الله عنه ــ.

(١) في ط (المجتمع).

(٢) **المجمع الأول**: عقد بعد موت بولس السيمساطي، وكان معاصراً لملك الروم (فلودس قيصر بن أوس) وكان سنة ٣٢٥م.

والمجمع الثاني: كان بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول في القسطنطينية سنة ٣٨١م.

والمجمع الثالث: انعقد سنة ٤٣١م، ويعرف بمجمع أفسس الأول.

والمجمع الرابع: يعرف بمجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م بأمر من الامبراطور (ثار دوسيوس)، وحضره مائة وخمسون أسقفاً، وفيه فسدت الأمانة وظهرت طائفة اليعقوبية.

والمجمع الخامس: انعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١م وحضره أساقفة روما وبطريرك الاسكندرية ديسقورس.

انظر: مقدمة د. السقا لكتاب الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام ٢٤ ــ ٢٧ للقرطبي، طبع دار التراث العربي، القاهرة. ومحاضرات في النصرانية ١٢٢ ــ ١٤١.

(٣) في أ سقطت (به) والأصوب إثباتها.

(٤) في ك و ط (وجسر أبي عبيد) ولا ضير في إثبات أحد الأمرين، فإن كان الأول فالمقصود أبو عبيدة عامر بن الجراح ــ رضي الله عنه ــ في قتله أباه ــ في الله ــ يوم بدر، أو في قوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ له: (لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة =

وهزيمة الفرس[1]، وفتح مصر، وغير ذلك، مما كان في زمن عمر بن الخطاب، ما يقطعون به وإن كان غيرهم لا يعرفون ذلك.

وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك، وحوادث الوجود. بل أهل العلم بالرجال، يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلقمة، والأسود، وغير هؤلاء ما[2] لا يعلمه غيرهم.

وأهل العلم بالنحو، يعلمون من حال سيبويه، والأخفش، والمُبَرِّد[3]، والزَّجاج[4]، والفَرَّاء[5]، ـــــــــــــــــــــــــــــــ

= أبو عبيدة بن الجراح). أو في نزعه حلقتي المغفر (الخوذة) من وجنة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١/٨ ـ ٩؛ وإن كان الأخير، فقد مر بنا ص ٦/٣٣١.

(١) في معركة القادسية.

(٢) في ك و ط (مما).

(٣) **المبرد**: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد، أبو العباس، أديب نحوي لغوي أخباري نسابة، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ.

انظر: لسان الميزان ٥/٤٣٠ ـ ٤٣٢؛ ومعجم المؤلفين ١٢/١١٤.

(٤) **الزّجاج**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج ـ نسبة إلى خرط الزجاج لأنها كانت مهنته في أول حياته ـ ثم تركه واشتغل بالأدب، وهو من أهل الأدب والعلم والدين، توفي سنة ٣١٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١/٤٩ ـ ٥٠؛ وشذرات الذهب ٢/٢٥٩.

(٥) في ط (الفراءة).

الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي، أبو زكريا، أديب نحوي لغوي، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ وانتقل إلى بغداد =

والكِسائي[1]، ما لا يعلمه غيرهم.

والقراء يعلمون من قراءة أبي عمرو[2]، وابن كثير[3]، وحمزة[4]، والكسائي، وابن[5] عامر[6]، ويعقوب بن إسحاق، والأعمش[7]،

= وأدب ابني المأمون، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٦/١٧٦ ـ ١٨٢؛ ومعجم المؤلفين ١٣/١٩٨.

(١) **الكسائي**: هو علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي، أحد أئمة القراءات والتجويد في بغداد، مات بالري سنة ١٨٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٩٥ ـ ٢٩٧؛ وتهذيب التهذيب ٧/٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) **أبو عمرو**: هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي، ويعرف بالداني وبابن الصيرفي ـ قديماً ـ مقرىء حافظ مجود محدث مفسر ناظم، رحل من الأندلس وحج ثم رجع وتوفي بدانية سنة ٤٤٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٧٧ ـ ٨٣؛ ومعجم المؤلفين ٦/٢٥٥.

(٣) ابن كثير: هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد القاري، مولى عمرو بن علقمة الكناني، أحد الأئمة، مات سنة ١٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣١٨ ـ ٣٢٢؛ وتقريب التهذيب ١/٤٤٢.

(٤) سبقت ترجمته ٢/٤٢٤. الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

(٥) في أ سقطت ألف (ابن).

(٦) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي المقري، أبو عمران، أحد الأعلام، قرأ على المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان. مات سنة ١١٨هـ وله ٩٧ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٩٢ ـ ٢٩٣؛ وتقريب التهذيب ١/٤٢٥.

(٧) هو سليمان بن مِهران، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم الكوفي، رأى أنس بن مالك ولكنه يدلس، وقد كان مولده سنة ٦١هـ وتوفي سنة ١٤٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦؛ وتقريب التهذيب ١/٣٣١.

وخلف بن هشام[1]، وأبي جعفر[2]، ما لا يعلمه غيرهم.

فإذا كان آحاد أهل العلم، من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو[3] القراءات، بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم، ما لا يعلمه غيرهم، ويقطعون بذلك، فكيف بمن هو عند أتباعه أعلا قدراً من كل عالم، وأرفع منزلة من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله، وأعظم تحرياً للصدق فيها، ولرد[4] الكذب منها، حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة، في أخبار[5] جميع من روى شيئاً من أخباره، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل، ودققوا في ذلك، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم، ولا لأحد من هذه الأمة إلَّا لأهل الحديث، فهذا يعطي أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعهم[6] * وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه، من كل أحد، بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه *[7].

---

(1) **خلف بن هشام**: هو ابن ثعلب البزار المقري البغدادي، قرأ القرآن عن سليم وأخذ حرف نافع وحرف عاصم عن إسحاق ويحيى، وهو إمام في القراءات، مات سنة ٢٢٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٧٦ ــ ٥٨٠؛ وتهذيب التهذيب ٣/١٥٦ ــ ١٥٧؛ وتاريخ بغداد ٨/٣٢٢ ــ ٣٢٨؛ لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ــ ٤٦٣هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) **أبو جعفر**: هو يزيد بن القعقاع القاري المدني المخزومي مولى عبد الله بن عياش، كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارىء لذلك وتوفي سنة ١٢٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٦/٢٧٤ ــ ٢٧٦؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٥٨.

(3) سقطت (أو) من أ والصواب إثباتها.

(4) في ك و ط (وأرد للكذب).

(5) في أ (أخباره) والأولى حذف الهاء كما في ك و ط.

(6) في ك و ط (متبوعه).

(7) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أثبتناه من ك و ط، ونسخة أكسفورد. ولم يبق من العبارة في أ إلَّا كلمة (وكذبه).

فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون إلَّا صدقاً، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق، أولى أن[1] لا يكون ما جزموا بصدقه إلَّا صدقاً.

وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها، وجزموا بذلك، وإنما تنازعوا في أحاديث قليلة منها، وعامة ما ذكرناه من آيات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي في الصحاح، هي من موارد إجماعهم، المستفيضة عندهم، التي يجزمون بصدقها، ليست من موارد نزاعهم، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء، ويعلم خيرة أهله من كان خبيراً بهم، فهذه طريقان في تصديق هذه الآيات[2]: التواتر العام، والتواتر الخاص.

٣ ـ من طرق العلم القطعي بالنبوة: التواتر المعنوي

الطريق الثالث: التواتر المعنوي، وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف، فإن الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة، بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد، كما سمعوا أخباراً متفرقة، تتضمن شجاعة عنترة[3]، وخالد بن الوليد، وأمثالهما، وتتضمن[4] سخاء حاتم[5]،

---

(١) في ط (إذ).

(٢) في ك و ط (الآثار).

(٣) **عنترة**: هو ابن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن نطيعة بن عبس العبسي، شاعر من فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد، أمه حبشية اسمها (زبيبة) سرى إليه السواد منها واجتمع بامرىء القيس الشاعر وشهد داحس والغبراء وعاش طويلاً ومات مقتولاً.
انظر: البداية والنهاية ٢/٢٢٠؛ ومعجم المؤلفين ٨/١٤.

(٤) في هذا الموضع والذي يليه جاءت في ك و ط (يتضمن).

(٥) حاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أحزم بن هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، أبو سفانة الطائي، والد عدي بن حاتم الصحابي، كان جواداً ممدحاً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في =

ومعن بن زائـدة[1]، وأمثـالهمـا، وتتضمن حلم الأحنف بن قـيس[2]، ومعـاوية بن أبـي سفيـان، وأمثالهمـا، وتتضمن شعـر امـرىء القيس[3]، والنابغة، ولبيد، وأمثالهم من المتقـدمين، وشعر الفـرزدق[4]، وجرير[5]،

= الإسلام، وكان لحاتم مآثر عجيبة في كرمه ولكن لم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر، مات سنة ٤٦ق. هـ.
انظر: البداية والنهاية ٢/٢١٢؛ والأعلام ٢/١٥١.

(١) **معن بن زائدة**: هو ابن عبد الله بن زائدة بن مـطر بن شريـك بن الصلب، الشيباني، أبـو الوليـد، كان جـواداً شجاعـاً جزل العـطاء كثير المعـروف ممدحـاً مقصوداً، قتلته الخوارج بخراسان في ضيعة له غيلة سنة ١٥١هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٥/٢٤٤ ــ ٢٥٤؛ وشذرات الذهب ١/٢٣١ ــ ٢٣٣.

(٢) **الأحنف بن قيس**: هـو ابن معاويـة بن حصين التميمي السعدي البصـري، سيد بني تميم، كان داهية فصيحاً شجاعاً يضرب به المثل في الحلم والشجاعة ولـد سنة ٣هـ ولم يَرَ النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وتوفي بالكوفة سنة ٦٧هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٧/٩٣؛ ووفيات الأعيان ٢/٤٩٩.

(٣) **امرؤ القيس**: هو ابن حُجْر بن الحارث الكندي، من بني آكل المـرار، أشهر شعـراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجـد أو بمخلاف (منـطقة) السكـاسك باليمن، اشتهر بلقبـه قبل: اسمـه حُنْدج، وقيـل غير ذلـك، أبعده أبـوه إلى (دَمّون) بحضرموت، مات نحو سنة ٨٠ق. هـ.
انظر: البداية والنهاية ٢/٢١٨؛ والأعلام ٢/١١.

(٤) **الفرزدق**: هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمـد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، أبـو فراس، وجـده صعصعة صحـابـي، شاعـر، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة والأخبار مات بالبصرة سنة ١١٠هـ وله ١٠٠ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ٦/٨٦ ــ ١٠٠؛ ومعجم المؤلفين ١٣/١٥٢ ــ ١٥٣.

(٥) **جرير**: هو ابن عطية الخَطفي التميمي، أبو حزرة، شاعر ولد باليمامة، وعـاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، توفي باليمامة سنة ١١٠هـ وله أكثر من ٨٠ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ١/٣٢١ ــ ٣٢٧؛ ومعجـم المؤلفين ٣/١٣٠.

وعمر بن أبي ربيعة[1]، وأمثالهم، من المولدين، وشعر أبي نواس[2] والمتنبي[3] وأبي تمام[4] وأمثالهم من المحدثين، بل وسمعوا أقوالاً وفتاوى متفرقة، تتضمن فقه مالك، والثوري، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء، وأخباراً[5] متفرقة، تتضمن العدل وحسن السيرة، من عمر بن

---

(١) **عمر بن أبي ربيعة**: هو عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، أبو حفص، شاعر، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ فسمي باسمه، مات في الغزو غرقاً في البحر سنة ٩٣هـ وله ٧٠ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٣٦ ـ ٤٣٩؛ ومعجم المؤلفين ٧/٢٩٤.

(٢) **أبو نواس**: هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي بالولاء، أبو علي، أديب، شعره في الذروة، ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح وقد أكثر من النظم في المجون ولا سيما في الغلمان ويصرح كثيراً بالفاحشة، وذكر عنه التوبة في آخر عمره، مات سنة ١٩٩هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٧/٤٣٦ ـ ٤٤٩ (٤٠١٧)؛ وشذرات الذهب ١/٢٤٥ ـ ٢٤٧؛ ولسان الميزان ٧/١١٥ ـ ١١٦.

(٣) **المتنبي**: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، أبو الطيب، فاق أهل عصره في الشعر، وقُتل بالقرب من النعمانية من سواد بغداد في رمضان سنة ٣٥٤هـ وله ٥١ سنة.
انظر: تاريخ بغداد ٤/١٠٢ ـ ١٠٥ (١٧٥٨)؛ وفيات الأعيان ١/١٢٠ ـ ١٢٥؛ ولسان الميزان ١/١٥٩ ـ ١٦١.

(٤) **أبو تمام**: هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، الشاعر، أديب، ولد بحوران بقرية جاسم، وكان يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم، واتصل بالمعتصم ومدحه، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٨/٢٤٨ ـ ٢٥٣ (٤٣٥٢)؛ ووفيات الأعيان ٢/١١ ـ ٢٦؛ ومعجم المؤلفين ٣/١٨٣.

(٥) في ط (أخبار).

الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما من ولاة الأمور[1]، وسمعوا أخباراً متفرقة، تتضمن الزهد، عن مثل الحسن البصري، والفضيل بن عياض[2]، ومالك بن دينار[3]، وإبراهيم بن أدهم[4]، وغيرهم من الزهاد، وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن معرفة أبقراط، وجالينوس، ونحوهما بالطب، فيحصل بمجموع الأخبار علم ضروري، بأن الشخص موصوف بذلك النعت، وإن كانِ كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم، وإن كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر.

ومن هذا الباب العلم القطعي بالإيمان والموت ونحو ذلك، مما يحصل به استقامة موجب العلم[5] القطعي كعلم الناس بأن خديجة، وعائشة، ونحوهما من أمهات المؤمنين، وأن فاطمة، وزينب[6]، من

---

(١) في ك و ط (الأمر).

(٢) في ك و ط زيادة (وعامر بن عبد الله).
الفضيل: هو ابن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند ومات سنة ١٨٧هـ أو قبلها.
انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٤٢١ ـ ٤٤٢؛ وتقريب التهذيب ٢/١١٣.

(٣) **مالك**: هو ابن يحيى بن دينار السامي الناجي مولاهم، أبو يحيى البصري الزاهد، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً. مات سنة ١٣٠هـ وقيل قبلها.
انظر: وفيات الأعيان ٤/١٣٩ ـ ١٤٠؛ وتهذيب التهذيب ١٠/١٤ ـ ١٥.

(٤) **إبراهيم بن أدهم**: هو ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي الخراساني البلخي نزيل الشام مات سنة ١٦٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٧ ـ ٣٩٦؛ وتقريب التهذيب ١/٣١.

(٥) في ك و ط (استفاضة توجب).

(٦) زينب بنت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هي أكبر أخواتها من المهاجرات =

بنـات النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأن عـائشة بنت أبـي بكـر[1]، وأن أبا بكر، وعمر، وعثمان، تولوا الخلافة بعده، وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرته.

وإذا عـرف هذا فهـذه الأحاديث وأضعـاف أضعافهـا هي أضعـاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء، ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة أخبار[2] هؤلاء، وهي كاملة تتضمن أن محمداً[3] بن عبد الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ[4]، كان يجـري على يديـه من الآيات الخـارقـة للعـادة، والعجـائب العظيمـة، ما لا يعـرف[5] نظيـره عن أحد من النـاس، وعلم المسلمين بهـذا أعظم من علم أهـل الكتـاب بمـا ينقلونـه من[6] آيـات موسى وعيسى وغيرهما، فإن نقلة آيات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ غير القرآن، أضعاف أضعاف نقلة التوراة والإنجيل، فضـلاً عن غيرهمـا من أخبـار الأنبيـاء، فـإن التـوراة لم تكن جميعهـا محفـوظـة لعمـوم بني إسـرائيل، كمـا يحفظ القرآن عـامـة المسلمين، وعنـد خـراب بيت المقدس قل من يحفظها جداً، حتى تنازع الناس في تواتر نقلها.

وكـذلـك الإنجيـل: نقلتـه أقـل بكثيـر من نقلة آيـات محمـد

= السيدات، تزوجها في حياة أمها ابن خالتها أبو العاص، فولدت له أمامة وعلي، وماتت سنة ٨هـ.

انظر: طبقات ابن سعد ٨/٣٠ ـ ٣٦؛ وسير أعلام النبلاء ٢/٢٤٦ ـ ٢٥٠.

(١) في ك و ط زيادة (الصديق).

(٢) سقطت (أخبار) من ط.

(٣) في أ و ط (محمد).

(٤) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٥) في ط (يعرفه).

(٦) في ط (عن).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وإذا[1] قال النصارى هؤلاء كانـوا صالحين، وكان لهم آيات[2]، كما يذكرونه من آيات الحواريين، فأصحاب محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتابعـوهم صالحـون، ولهم من الآيات أعـظم مما للحـواريين وغيـرهم من الأمم، وفيهم من كان يحمـل العسكر على الماء، ومن كان يشرب السموم القاتلة، ومن يحيـي الله الموتى بدعوته، ومن يكَثِّر الطعام والشراب، وكتب كرامات الأوليـاء فيها من ذلـك أعظم ممـا عند أهـل الكتاب، وهم ينقلون أخبـار الأنبياء والصـالحين من كتب عندهم: مثل كتاب أخبار الحـواريين[3]، وكتاب سفـر الملوك[4]، ونحو ذلك، وما يذكرون من حجـة في صحة نقلهـا إلاَّ وحجة المسلمين فيمـا ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى.

٤ـ حضور الخلق الكثير للآية وتصديقها، طريق قطعي للعلم بالنبوة

الطريق الرابع: أن يقال: هذه الآيات التي ذكـرنا بعضهـا، كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير، كتكثير الطعام يوم الخندق، فـإنه كـان أهل الخندق: رجالهم ونساؤهم ألوفاً.

وكـذلك نبـع الماء من بين أصـابعـه، وفيضـان البئـر بـالمـاء يـوم الحـديبية، وكـانوا يـومئذ ألفـاً وخمسمائـة، وكلهم صالحـون، من أهـل

---

(١) في ك و ط (فإذا).

(٢) في ك و ط زيادة (أيضاً).

(٣) لعل المقصود ما يسمى (أعمال الرسل) في العهد الجديد، وما بعدها من الرسائـل، وهو ما عدا الأناجيل الأربعة، ومجموعها ثلاثة وعشرون سفراً.
انظر: العهد الجـديد ١٥٤ ـ ٣٥٧. هـذا وقد ذكـر الشيخ فيمـا سبق اسماً لهـا وهو (افراكسيس).

(٤) **سفر الملوك**: هو السفران الحادي والثاني عشر، من أسفار العهد القـديم وفي الأول ٢٢ إصحاحاً، وفي الثاني ٢٥ إصحاحاً، العهد القديم: ٤١٣ ـ ٤٩٢.

الجنـة، لا يعرف فيهم من تعمـد كَـذبـة واحـدة على النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وكذلك تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر، كانوا ألفاً وخمسمائة، وفي تبوك كانوا ألوفاً مؤلفة، وكان بعض من حضر هـذه المشاهـد نقل[1] هذه الآيات قدام آخرين ممن حضـرها، وينقلهـا لأقوام، فيـذهب أولئك فيخبرون بها أولئك، ويصدق بعضهم بعضاً، ويحكي هذا مثـل ما حكى هـذا، من غير تـواطىء وتشاعـر، وأدنى أحوالـه أن يقره ولا ينكـر عليـه روايتها، ونحن نعلم بموجب العادة الفطريـة التي جبل الله عليهـا عباده، وبمـوجب مـا كـان عليـه سلف الأمـة من اعتقـاد[2] الصـدق وتحـريـه، واعتقـادهم أن ذلـك واجب، ومن شـدة تـوقيهم الكـذب على نبيهم، وتعظيمهم ذلك، إذ قـد تواتـر عندهم عنـه[3] أنه قـال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ[4] مقعده من النار)[5].

فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه يكذب[6] عليه، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له، وكذب عليه، فقد علموا أنـه كذب

---

(١) في ك و ط (ينقل).
(٢) في ط (عن اعتياد) وفي ك و ط (اعتياد).
(٣) تقدمت (عنه) في ك و ط قبل (عندهم).
انظر: بحث تواتره في الفتح ١/٢٠٣.
(٤) فليتبوأ: أي ليتخذ لنفسه منزلاً، والأمـر: بمعنى الخبر أو التهـديد أو التهكم أو دعـاء على فاعل ذلك.
انظر: الفتح الرباني ١/٢٠١.
(٥) رواه البخـاري، كتـاب العلم، بـاب إثم من كـذب على النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، ١/٢٠٠ (١٠٧) من الفتح. ورواه مسلم، المقدمة، ١/١٠ (٣).
(٦) في ط (كذب).

عليه، فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك، وعلى تناقله بينهم، من غير إنكار أحد منهم لذلك، عُلم ـ قطعاً ـ أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة، وإن كان جمهورهم ليس منتصباً لتلقين القرآن، بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا المتلقن، ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة، وهذا يعلِّم هذا الصلاة: أن الظهر في الحضر أربع ركعات، والمغرب ثلاثاً، والفجر ركعتان، وهذا يقر هذا، فلما كان بعضهم يقر بعضاً على نقل ذلك، علم اتفاقهم على نقل ذلك، وهذا غاية التواتر.

وكذلك[1] ما نقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه، يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم، رده على الآخر ولم يوافقه[2]، وإن كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين، كتنازعهم: هل كان يجهر بالبسملة أم[3] لا يجهر بها؟ وهل كان يداوم على القنوت في الفجر؟ أم[4] كان يقنت أحياناً للنوازل؟ أم قنت مرة، ثم تركه؟، فهذا من أهون الأمور وأيسرها، إذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت، وعلى صحة صلاة من لم يقنت، ومن جهر ومن خافت، ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول، تنازعوا في الحكم، فعلم بذلك أن ما كان مشهوراً في الأمة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولم ينكره أحد من علمائها، كانت الأمة متفقة على نقله، كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة

(١) في ك و ط (فكذلك) بالفاء في أوله.
(٢) في ك و ط زيادة (عليه).
(٣) في ك (أو).
(٤) في ط (أو) في هذا الموضع والذي يليه.

المشهورة، وإن نقل ذلك أعظم من نقـل سائـر أخبار الأنبيـاء والعلماء والملوك والزهاد.

وكـذلك حجـه، فإنهم كلهم متفقـون على ما تـواتر عنـه، من أنه لم يحج بعد الهجـرة إلَّا حجة واحـدة، وهي التي تسمى حجة الـوداع، وإنما عاش بعدها نحواً من ثلاثة أشهر، وأنه لما حج أمر أصحـابه كلهم إلَّا من ساق الهدي منهم إذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة، أن يحـل من عمرته. وأنه لم يعتمر ــ هو ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه ــ بعد الحج إلَّا عائشة ــ وحـدها ــ ، وأنـه هو نفسـه لم يحل من حجتـه، [(١)] ولا أحـد ممن سـاق الهـدي معـه، وإنمـا اشتبـه على بعضهم بعض ألفـاظه، أو بعض الأمـور التي تخفى على أكثر النـاس، وكان الصحـابة ينقلون تمتع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ومرادهم بالتمتع: أنه قرن بين العمرة والحج، فظن بعض النـاس أنهم أرادوا أنه أخـر الإحرام بالحج إلى أن قضى العمرة، وقال[(٢)] بعض الصحابة: إنـه أفرد بـالحج. فظن بعض الناس: أنه حج واعتمر بعد الحج، وهذا لم ينقله[(٣)] أحد من العلماء، بل اتفقوا على أنه لم يعتمر بعد الحج، وروى بعض الصحابـة أنـه قرن، فـظن بعض الناس أنـه طاف طـوافين، وسعى سعيين، وهـذا لم ينقله أحـد عنه، وكـان من أسباب غلط كثيـر من الناس: أنهم كـانـوا يستعملون تلك الألفاظ في معان غيـر ما استعملتـه فيها الصحـابة، فغلط بعض الناس على بعض الصحابـة، وأما مـا فعله في الحج مشهـوراً فهو

---

(١) في ك و ط (حجه).
(٢) في ك و ط (وروى). وفي أ ــ نفسها ــ كتب (وروى) ثم شطبها أو أبدلها بـ (وقال).
(٣) في ك و ط (يقله).

متواتر، لم يختلف فيه النقل، ولا علماء النقل. ومن تدبر هذه الطريق: أفادته علماً يقينياً قطعياً بصحة هذه الآيات عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وكذلك الطرق المتقدمة، فإنا قد ذكرنا أن ما كان الناس أحوج إلى معرفته يسر الله دلائله للناس، أعظم من تيسير غيره، وحاجة الخلق إلى تصديق الرسول أشد من حاجتهم إلى جميع الأشياء، إذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة، ونجاتهم من العذاب، وبه يحصل صلاح العباد في المعاد والمعاش[1].

٥ ـ تواتر أنواع من آيات النبوة، عند كل صنف من العلماء

الطريق الخامس: أن ما من صنف من أصناف العلماء إلَّا وقد تواتر عندهم من الآيات ما فيه كفاية، فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات، متواتر ذلك فيها، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات، متواتر ذلك فيها. وكتب السير والمغازي والتواريخ مشحونة بذكر الآيات، متواتر ذلك فيها. وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات، متواتر ذلك فيها، وإن لم يكن هذا مقصوداً منها، وإنما المقصود الأحكام، لكنهم في ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها من الآيات ما هو متواتر عندهم، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيات، متواتر ذلك فيها، ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني، فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف، وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الإقرار والتصديق، وطريق التواتر المعنوي، وطريق تصديق أهل العلم بالحديث[2] بها وغير ذلك، يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة، وهذا أقل ما يكون، ويستدل بها على تواتر جنسِ جنسٍ منها[3]، كتواتر تكثير الطعام، وتواتر تكثير الطهور

(١) في ك و ط تقدم ذكر (المعاش) على (المعاد).
(٢) في ك و ط (أهل الحديث والعلم بها).
(٣) سقطت (منها) من ك و ط.

والشراب، وعلى تواتر نوعٍ نوعٍ منها، كتواتر نبع الماء من بين أصابعه، وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل، وتواتر شخصٍ شخصٍ منها، كتواتر حنين الجذع إليه، وأمثال ذلك، وكلما أمعن الإنسان في ذلك النظر، واعتبر ذلك بأمثاله، واعتبر وأعطاه حقه من النظر والاستدلال، ازداد بذلك علماً ويقيناً، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة، فليس في الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلَّا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك، وما من حال أحد من الأنبياء، والملوك، والعلماء، والمشايخ المتقدمين، وأقواله وأفعاله وسيرته إلَّا والعلم بأحوال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ، أظهر من العلم به، [2]وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن، كالعلم بالبلاد البعيدة، كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان، والهند والصين والأندلس، وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند، وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر، وعلم أهل الهند بالعراق والشام[3]، وأمثال ذلك من علم أهل[4] البلاد بعضهم بحال بعض، إلَّا وعلم الإنسان بحال المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وما هم عليه من الدين، وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه، أظهر من علمه بهذا كله.

وهذا مما يبين أنه ليس في الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة، إلَّا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك

(١) ليس في أ الجملة الدعائية.
(٢) في ك و ط زيادة (وأبين، ونقله أكمل وأتم).
(٣) سقطت (الشام) من أ.
(٤) سقطت (أهل) من أ.

الأمر، تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾[1] .

وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان، إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه، وذلك إنما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد من آياته التي هي الأدلة، وشرائعه التي هي المدلول: المقصود بالأدلة، فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبياناً على كل دين، كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين، والحمد لله رب العالمين.

كما أنه ما من دليل[2] يستدل به على مدلول، إلاَّ والأدلة على آيات الرب أكبر[3] وأكثر[4].

٦ ـ تصنيف العلماء في آيات النبوة

الطريق السادس: أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار، وجردوا لذلك كتباً، مثل: كتاب دلائل النبوة[5]، للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي، وقبله دلائل النبوة[6]:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) في ك و ط زيادة (عقلي).

(٣) في ك و ط (أكثر).

(٤) في ك و ط زيادة (والحمد لله رب العالمين).

(٥) وقد طبع منه جزآن بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ثم طبع في بيروت كاملاً في سبعة مجلدات باسم دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي وذكر أنه قابله على عشر نسخ خطية. وذلك سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، نشر دار الكتب العلمية.

(٦) وقد طبع في الهند طبعتان متقاربتان من جزئين في مجلد أولاهما سنة ١٣٢٠هـ بحيدر آباد وقامت دار عالم الكتب في بيروت بتصويره. والثانية سنة ١٣٦٩هـ ثم طبع بدمشق بتحقيق وتخريج عبد البر عباس و د. محمد قلعة جي، في جزئين، في مجلدين نشر المكتبة العربية بحلب، سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م وقد أثبت المحققان في المقدمة أن المنشور وما سبقه إنما هو المنتخب من دلائل النبوة لأبي نعيم وليس =

للشيخ[1] أبي نعيم الأصبهاني، وقبله دلائل النبوة[2]: لأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي القاسم الطبراني[3]، وقبلهما دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي، والشيخ[4] المصنف أبي بكر، عبد الله بن أبي الدنيا[5]، وللمصنف الحافظ[6] الإمام أبي إسحاق إبراهيم

= دلائل النبوة الأصلي، ورجحا أن يكون أبو نعيم هو نفسه صانع هذا المنتخب.
انظر: مقدمة الدلائل لأبي نعيم ١/٢٢ ــ ٢٦.

(١) في ك و ط زيادة (الحافظ).

(٢) دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني، ودلائل النبوة للطبراني، ودلائل النبوة لأبي زرعة، ودلائل النبوة لابن أبي الدنيا، ودلائل النبوة للحربي، ودلائل النبوة للفريابي، ودلائل النبوة للمقدسي: كل هذه الكتب السبعة لم تخرج من عالم المخطوطات حتى الآن، وهذه الكتب وغيرها لعلها لا تزال باقية، إن لم تفقد أو يفقد بعضها. هذا وأن مهمة البحث عنها، وإخراجها بطريقة علمية أنها لمهمة جليلة ينبغي أن يتصدى لها طلبة العلم، المنتسبون إلى أقسام الحديث والعقيدة في الجامعات الإسلامية، فالعناية بأدلة إثبات النبوة، تأتي في المرتبة الثانية ــ في نظري ــ بعد أدلة إثبات وجود واجب الوجود ــ سبحانه ــ بالنسبة لحاجات الناس الاعتقادية والوجدانية في هذه الأيام.

(٣) لم يذكر د. فؤاد سزكين كتاباً للطبراني بهذا الاسم، وإنما ذكر أن له أثراً بعنوان (حديث الضبي الذي تكلم بين يدي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) وهو في الظاهرية، مجموع ٧٦.
انظر: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الأول ص ٣٩٦.

(٤) في ك و ط (وللشيخ).

(٥) **ابن أبي الدنيا**: هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم البغدادي المؤدب الحافظ صاحب التصانيف المشهورة ومؤدب أولاد الخلفاء، مات سنة ٢٨١هـ وله ٧٣ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٩٧ ــ ٤٠٤؛ وتهذيب التهذيب ٦/١٢ ــ ١٣.
ذكر الذهبي اسم مؤلفه هذا وأنه بعنوان: أعلام النبوة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٤٠١.

(٦) سقط وصف (المصنف الحافظ) من ك و ط بالنسبة للحربي.

الحربي، و[1]أبي بكر[2] جعفر الفريابي[3]. وما صنفه الشيخ العالم أبو[4] الفرج ابن الجوزي، في كتابه المسمى بالوفا في فضائل المصطفى[5]. وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي من[6] دلائل النبوة، وهؤلاء وغيرهم يذكرون ما يذكرون من[7] الأسانيد المعروفة، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة.

وهؤلاء منهم من يميز ما[8] يذكره من الأحاديث بين ما في صحيحي[9] البخاري ومسلم، وما في غيرهما وإن كان صحيحاً

---

(١) في ك زيادة وصف (المصنف الحافظ) بالنسبة للفريابي.

(٢) سقطت (بكر) من جميع النسخ وما أثبتناه من كتب التراجم.

(٣) الفريابي: هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض التركي، الإمام الحافظ الثبت شيخ الوقت، أبو بكر القاضي، ولد سنة ٢٠٧هـ، وارتحل ولقي الأعلام وتميز في العلم وولي قضاء الدينور وصنف التصانيف النافعة ومات سنة ٣٠١هـ وله ٩٤ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٩٦ ـ ١١١، وشذرات الذهب ٢/٢٣٥.

كتابه (دلائل النبوة) يتناول معجزات الطعام، وله نسخة موجودة بالظاهرية، سيرة ٢٧ وأوراقها ١ ـ ١٦ وعليه سماع سنة ٥٧٤هـ.

انظر: تاريخ التراث العربي د. فؤاد سزكين، المجلد الأول، الجزء الأول ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٤) في أ و ك (أبي) والصواب من ط.

(٥) رسمت في أ هكذا (المصطفا).

وقد طبع بالقاهرة لأول مرة سنة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م على نسختي التيمورية والأزهر باسم: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد وذلك في جزئين يقعان في مجلدين، نشر دار الكتب الحديثة.

(٦) في ك و ط (في).

(٧) في ك و ط (بالأسانيد).

(٨) في ك و ط (فيما).

(٩) في أ (صحيح).

ـ أيضاً ـ ، كالبيهقي وابن[1] الجوزي والمقدسي . ومنهم من يذكر ذلك جميعه، بأسانيده، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه[2] أن يذكر ما رواه البخاري ومسلم، كأبي زرعة شيخ مسلم[3]، وأبي الشيخ ، وأبي نعيم وغيرهم . وآخرون يذكرونه[4] معزواً مسنداً إلى من رواه، وإن لم يذكروا إسناده، كما يفعله القاضي عياض السبتي[5]، في كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفى[6] . ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك، وطرق أخرى من[7] صحته، كما يفعله كثير من النظار، كالقاضي عبد الجبار[8]،

(١) في أ (وبن).

(٢) في ك و ط زيادة (إلى).

(٣) هو الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم.

(٤) في ك و ط زيادة (يذكرون ما).

(٥) **القاضي عياض**: هو ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي المالكي، أبو الفضل، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، شاعر خطيب، أصله من الأندلس ومولده في مدينة سبتة ووفاته بمراكش سنة ٥٤٤هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤٨٣/٣ ـ ٤٨٥؛ وطبقات الحفاظ ص ٤٧٠؛ ومعجم المؤلفين ١٦/٨.

(٦) وقد طبع وبهامشه مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا لأحمد الشمني ٨٧٢هـ وصورتها دار الكتب العلمية، بيروت من جزئين في مجلد واحد، ثم طبع بتحقيق علي محمد البجاوي في مجلدين من جزئين ونشرته دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م. هذا وللشفا شرح لأحمد الخفاجي المصري ١٠٦٩هـ باسم نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وقد طبع سنة ١٣٢٧هـ، بالمطبعة الأزهرية المصرية، وبهامشه شرح الشفا لعلي بن سلطان القاري، وقد خرج في أربع مجلدات كبار، وصورته دار الكتاب العربي، بيروت.

(٧) في ك و ط زيادة (يبين).

(٨) عبد الجبار: هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن الهمداني =

والجاحظ[1]، والماوردي القاضي[2]، وسُلَيْم الرازي الفقيه[3]، وغيرهم[4]، وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته، وبراهين رسالته، أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه. مثل: حجة الوداع، وعمرة الحديبية، وصد المشركين له، ومصالحته

= الاستراباذي المعتزلي صاحب التصانيف، عمر دهراً في غير السنة وكان من غلاة المعتزلة وهو فقيه أصولي متكلم مفسر مقلد للشافعي في الفروع كان مولده عام ٣٥٩هـ ووفاته سنة ٤١٥هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٢/٥٣٣؛ وشذرات الذهب ٣/٢٠٢؛ ومعجم المؤلفين ٥/٧٨.

وكتابه بهذا الشأن هو تثبيت دلائل النبوة، وقد حققه د. عبد الكريم عثمان، واعتمد في ذلك على نسخة خطية وحيدة، ونشرته دار العربية، بيروت ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

(١) **الجاحظ**: هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور، صاحب التصانيف في كل فن، توفي سنة ٢٥٥هـ بالبصرة وله أكثر من ٩٠ سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٧٠ ــ ٤٧٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/٥٢٦ ــ ٥٣٠.

ذكر الذهبي كتابه باسم: الحجة والنبوة. وذلك في ترجمته المشار إليها سابقاً.

(٢) **الماوردي**: هو علي بن محمد بن حبيب البصري، أبو الحسن، فقيه أصولي مفسر أديب سياسي، درس بالبصرة وبغداد وولي القضاء ببلدان كثيرة، وله منزلة عند ملوك بني بويه، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٨٢ ــ ٢٨٤؛ ولسان الميزان ٤/٢٦٠؛ ومعجم المؤلفين ٧/١٨٩.

وكتاب الماوردي هو المسمى: أعلام النبوة، وقد طبع في جزء لطيف ونشرته دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٣هـ بيروت، ثم صورته سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

(٣) **سُلَيم**: هو ابن أيوب بن سليم، أبو الفتح، الإمام شيخ الإسلام الفقيه الشافعي الأديب، كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة ومات غرقاً بعد الحج في بحر القَلْزَم (الأحمر) عند ساحل جدة في نهاية صفر سنة ٤٤٧هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٩٧ ــ ٣٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٤٥ ــ ٦٤٧.

(٤) في ك و ط (وأضعاف هؤلاء).

إياهم، وحِله[1] هو وأصحابه بالحديبية، ورجوعهم ذلك العام، وفتح خيبر[2]، وعمرة القضية[3]، وعمرة الجعرانة[4].

ومثل: حصاره لأهل الطائف[5]، وفتح مكة قبل ذلك، ومثل غزوة[6] النصارى عام تبوك وإرساله جيشاً لغزوهم[7] بمؤتة[8]، من مشارف[9] الشام، قريباً من الحصن المسمى بالكرك[10]، ومثل:

---

(١) أي من الإحرام بالعمرة.

(٢) في ك و ط زيادة (عقب ذلك).

(٣) وكانت سنة سبع هجرية في ذي القعدة، وسميت بذلك من المقاضاة التي كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قاضى المشركين عن أن يرجع عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلاَّ في جُلْبان (جراب) السلاح، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام. وهذه العمرة تسمى أيضاً عمرة القضاء وعمرة القصاص وعمرة الصلح. وهي المذكورة في سورة الفتح.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٤٢٨ ــ ٤٣٩؛ والسيرة لابن هشام ٤/١٢.

(٤) **الجعرانة**: منزل بين مكة والطائف وهي إلى مكة أقرب.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٣٣٦.
وذلك سنة ٨هـ في ذي القعدة ــ أيضاً ــ وكانت بعدما قسم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ غنائم حنين وهي عمرته الثالثة، والرابعة مع حجته، فجميعهن أربعاً. وقد أنكر ابن عمر ومولاه نافع هذه العمرة ولكن أطبق النقلة ممن عداهما على رواية هذه العمرة من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي.
انظر: المصدر السابق ٣/٦٩٢ ــ ٦٩٨.

(٥) في ك و ط زيادة (قبل ذلك).

(٦) في ط (غزوة) بتاء مربوطة.

(٧) في أ أبدلت الهاء عيناً في كلمة (لغزوهم) وهي سبقة قلم.

(٨) **مؤتة**: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٠.

(٩) في ك و ط (مشارق).

(١٠) **الكَرَك**: قطعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين بحر أيلة وبحر القَلْزم (الأحمر) وبيت المقدس، وهي على جبل عال.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١١٥٩.

=

غزوة[1] لليهود بخيبر، وغزوه[2] لليهود قبل ذلك، لمن كان عند المدينة، مثل بني قينقاع، والنضير، وقريظة. ومثل. إرساله أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع، ونبذه العهود، ومناداته أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. ومثل هجرته مع أبي بكر، و[3]عامر بن فهيرة، ورجل ثالث كان دليلاً لهم[4].

ومثل ما تواتر عنه أنه كان يصلي بالمسلمين في العيدين[5] بالمصلى، خارج المدينة، لم يكن يصلي العيد في مسجده إلاَّ مرة، نُقل أنه صلى في المسجد لأجل المطر، ولم يكن على عهده يصلي[6] أحد بالمدينة صلاة العيد إلاَّ خلفه، لم يكن يصلىٰ صلاتي عيد على عهده وعهد أبي بكر وعمر وعثمان[7]، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب، لما كثر الناس، وضعف أقوام عن الخروج إلى الصحراء، استخلف من يصلي

= وكانت وقعة مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ وكان أمير الجيش زيد، ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة وقد قتلوا جميعاً ثم تولى الإمرة خالد بن الوليد فانحاز بالجيش وانسحب حتى قدم المدينة. وكان عدد الروم ومن معهم من العرب من لخم وجذام والعين وبهراء وبليّ مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف.
انظر: السيرة لابن هشام ٤/١٥ ــ ٣٠.

(١) في ك (غزوا) وفي ط (غزو).
(٢) في ك (غزوهم) وفي ط (غزو).
(٣) في ك و ط زيادة (غلامه).
(٤) في ك و ط (يومي).
الرجل الثالث: هو عبد الله بن أرقط، رجل من بني الدِّيْل بن بكر، وأمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً. انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٢٩.
(٥) في ك و ط زيادة (الفطر والنحر).
(٦) من هنا ابتدأ خط الناسخ في أ التغير حتى اختلف تماماً وصار أقل جودة من سابقه.
(٧) في أ زيادة (وعلي) والصواب إسقاطها.

بهم في المسجد، وكما تواتر عنه أنه كان يصلي الجمعة بـأذان وإقامـة، لا يؤذن لهـا إلاَّ إذا قعـد على المنبـر، وكـذلـك كـان الأمـر على عهـد أبـي بكـر وعمر، فلمـا كان في أثنـاء خلافـة عثمان، كثـر الناس، فـأمر بالنداء الثـالث، على دار قريبـة من المسجد، من جهـة المشرق، يقـال لها: الزوراء، وكما تواتـر أن مسجده كـان[1] باللَّبِن[2]، وسقفـه كان من جذوع[3] النخل، وكانت حُجَر أزواجـه قِبلي[4] المسجد وشـرقيه، فلمـا كثر الناس زاد فيه عمر، ثم زاد فيه عثمان، وبنـاه بالقَصـة[5] والحجارة. ثم في إمارة الوليد[6] أمر نـائبه عمـر بن عبد العـزيز أن يشتـري الحُجَر، ويزيدها في المسجد فـدخلت حجرة عـائشة التي دفن فيهـا هو وأبـو بكر وعمـر في المسجد، من حينئذٍ[7]، وإنمـا كانت في حياتـه خارجة عن المسجـد[8] إلى سنة إحـدى وتسعين[9]، وقال ــ في مـرض مـوتـه ــ :

---

(١) في ك و ط (بناه).

(٢) **اللبن**: جمع لبنة، وهو (الطوب) من طين أو غيره، يبنى به.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٩١.

(٣) في ك و ط (وسقفه بجذوع).

(٤) **قبلي**: من القبلة، وهي جهة الكعبة المشرفة، وهي الجهة الجنوبية، حسب الجهات الأصلية.

(٥) **القصة**: هو الجص.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٦٣٣.

(٦) **الوليد**: هـو ابن عبد الملك بن مـروان بن الحكم الأموي، أبـو العباس، الخليفـة، الدمشقي، الذي أنشأ جامع بني أمية. بـويع بعهـد من أبيه وكـان مترفـاً دميماً سـائل الأنف طويلاً أسمر ورزق في دولته سعادة مات سنة ٩٦هـ وله ٥١ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٧ ــ ٣٤٨.

(٧) رسمت في أ (حين إذٍ).

(٨) في ك و ط (مسجده).

(٩) انظر: البداية والنهاية ٥/٢٧٣.

(لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، يحذر ما فعلوا. قالت عائشة: (ولولا ذلك لأُبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً)[1]، [2].

وكما تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، و[3]تواتر عنه أنه كان يضحي في عيد الأضحى، بل تواتر عند أهل العلم بأحواله تروكَه المشهورة[4]، كما تواترت أفعاله المشهورة، فتواتر عنه[5] أنه لم يكن يؤذن للعيدين ولا الكسوف ولا الاستسقاء[6]، وأنه صلى[7] الكسوف بركوعين[8] في كل ركعة صلاة طويلة، وتواتر عنه[9] كان يطوف بالبيت سبعاً، ويصلي ركعتين بعد الطواف ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين، وتواتر أنه كان يواصل، ونهى[10]

---

(١) سبقت ترجمته ١/٣٤٧. الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

(٢) لقد أوجز الشيخ المؤلف رأيه بإيراد هذا الدليل الصحيح، الظاهر الدلالة، على حَضْر فِعْلة الوليد بن عبد الملك، من إدخاله الحجرة الشريفة في المسجد النبوي، وليته أعطى هذه المسألة ما تستحق. وعذره في ذلك واضح بالنسبة لهذا الموضع، حيث أنه سيكون استطراداً. ولا أعلم موضعاً في آثار الشيخ استوفى البحث بالتفصيل في هذه القضية الهامة.

(٣) في ك و ط زيادة (كما).

(٤) قال المدني: يعني السنن التَّركية (بفتح التاء).
انظر: الجواب الصحيح (ط المدني ٤/٢٤٥).

(٥) سقطت (عنه) من ك و ط.

(٦) في ط (ولا للكسوف ولا للاستسقاء).

(٧) في ك و ط (في).

(٨) في ك و ط (ركعتين).

(٩) في ك و ط زيادة (وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعاً).

(١٠) في ك و ط (ينهى).

أصحابه عن الوصال[1]، ويقول: (إني لست كهيأتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[2]، وأنه لم يفرض صوماً إلَّا صوم شهر رمضان، ولم يفرض الحج على المستطيع إلَّا مرة[3]، وأنه فرض الصلوات الخمس، على كل بالغ عاقل، إلَّا الحائض والنفساء، وأنه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة، وكان الحيّض يؤمرن[4] بقضاء الصوم، ولا يؤمرن[4] بقضاء الصلاة.

وأنه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة، وأمر بالوضوء عند الصلاة، لمن بال أو تغوط، أو خرج منه ريح أو مذي، وأنه رخص في الاستجمار بثلاثة أحجار، ونهى عن الاستنجاء[5] باليمين، ونهى عن الاستجمار بالعظم والبَعْر، وقال: (إنها زاد إخوانكم من الجن)[6]. وأنه لم يكن يجمع المسلمين[7] على سماع كَف[8]، ولا دُف، ولا رقص.

---

(١) **الوِصال**: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد.
انظر: الفتح ٢٠٢/٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الصوم، باب الوصال...، ٢٠٢/٤ (١٩٦٤) من الفتح. ورواه مسلم بنحوه، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، ٧٧٦/٢ (١١٠٥).

(٣) في ك و ط زيادة (في العمر).

(٤) في ك و ط (يؤمرون).

(٥) في ك و ط (الاستجمار).

(٦) رواه البخاري بلفظ: (هما من طعام الجن). كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن ١٧١/٧ (٣٨٦٠) من الفتح. ومسلم بلفظ: (فلا تستنجوا بهما فإنهما من طعام إخوانكم). كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، ٣٣٢/١ (٤٥٠) ورواه أبو داود بمعناه، كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به ١٠/١ (٣٩) والترمذي واللفظ له، أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به ٢٩/١ (١٨).

(٧) في ك و ط زيادة (لا).

(٨) الكف أو الكفاف: آلة للعزف تسمى الحوقة أو الوترة أو العود.
انظر: اللسان ٣٠٥/٩، مادة كفف. وترتيب القاموس ٦٧/٤.

ولا صَعِقَ[1] لا هو ولا أصحابه عند سماع القرآن، بل كانوا تَوْجل قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتدمع عيونهم، وأنه لم يكن على عهده وعهد خلفائه[2] تعاد امرأة مطلقة إلى زوجها بنكاح يقصد به التحليل[3]، بل لعن المحلِّل والمحلل له، لأن ذلك ربما فُعل سراً.

وأنه أمر بعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وإفشاء السلام، وإجابة الدعوة. وأنه كان يصلي على الميت، و[4]يكبر[5] أربع تكبيرات، وقد كان أحياناً يكبر خمساً وسبعاً[6]، وأمر بتغسيل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه. وأنه حرم كل مسكر، وحرم بيع الدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين، والصاع بالصاعين، من الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب. وأنه أمر بصدقة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير. وأنه أباح الدواء. وقال: (تداووا عباد الله، فإنه لم يَنْزِل داء، إلَّا أُنزِل[7] له دواء إلَّا السام[8]). والسام:

---

(١) **الصعق**: أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً.
انظر: اللسان ١٠/١٩٨، مادة صعق.
في ط: ألحقت هذه الكلمة (صعق) بما قبلها، ووضع بعدها فاصلة، وفي أ: شكلت بفتح ثم كسر ثم فتح، وهي مستأنفة.

(٢) في ك و ط زيادة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي).

(٣) في ك و ط زيادة (ظاهراً).

(٤) زادت (كان) في ك و ط.

(٥) في ك و ط زيادة (عليه).

(٦) في ك (يكبر سبعاً وخمساً) وفي ط (يكبر سبعاً أو خمساً).
انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، ٢/٦٥٩ (٩٥٧).

(٧) في ك و ط (نزل).

(٨) رواه أبو داود بمعناه وقال (الهرم) بدل (السام) وهو عن أسامة بن شريك ــ رضي الله عنه ــ ، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ٤/٣ (٣٨٥٥) ورواه الترمذي بمثل =

الموت[1]، وأنه كان يتداوى بالحجامة وغيرها.

وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث، سوى ما في القرآن من صفة الجنة والنار، وذكر العرش، والملائكة، والجن، وإرساله إلى الثقلين، وما ذكره من أسماء الله، وصفاته، وما أخبر به من فتنة الإنسان في قبره، ومن عذاب القبر ونعيمه، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته، وخروجهم من النار بشفاعته وشفاعة غيره، ومن ذكر حوضه وما أخبر به من رؤية الله يوم القيامة، ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك.

وما تواتر عنه من أنه كان يرسل رسلاً إلى الملوك، يدعوهم إلى الإيمان بالله، وبما جاء به، كما أرسل إلى ملوك اليمن، وإلى ملوك الشام، ومصر، والعراق، وإلى ملوك المشركين، واليهود، والنصارى، والمجوس، بعد ما حارب اليهود مرة بعد مرة. وما تواتر عنه[2] أنه كان يركب الخيل، والإبل، والبغال، والحمير، وأنه رجم الزاني المحصن، مرة بعد مرة، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، وأنه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين.

وأنه جمع بين الصلاتين: الظهر والعصر بعرفة، وفي مزدلفة: جمع بين المغرب والعشاء، وأنه كان يصلي بمنى ركعتين ركعتين، وأمر

= رواية أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه ٤/٣٨٣ (٢٠٣٨) وقال: «وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح». وأصله عند البخاري برقم (٥٦٧٨)؛ ومسلم برقم (٢٢٠٤).

(١) اللسان ١٢/٣١٣، مادة سوم.

(٢) في ك و ط زيادة (من أنه كان إذا سافر من المدينة استخلف خليفة، وأنه كان يستكتب كتاباً يكتبون له، و...).

المسلمين[1] في حجة الوداع أن يحلوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرة، إلَّا من ساق الهدي، فإنه أمره أن يبقى على إحرامه، وأنه هو لم يحل من إحرامه، ولا اعتمر بعد الحج، لا هو ولا أحد ممن حج معه، إلَّا عائشة، لكونها كانت حائضاً، وأن[2] شهر رمضان فرض في السنة الثانية من الهجرة، فصام تسع رمضانات.

وأنه كان له أربع بنات وثلاثة بنين، وكان يكنى بأكبر أولاده: القاسم، فيدعى أبا القاسم، وأنه تزوج بنتي أبي بكر وعمر، و[3] زوج عثمان ابنتيه[4]، وزوج علياً بنتاً، وأنه آمن به من أعمامه حمزة والعبّاس، ولم يؤمن به أبو لهب ولا أبو طالب، مع أن أبا طالب كان يحوطه ويذُب عنه. وأنه استخلف أبا بكر ليصلي بالناس، لما مرض وثقل عن الصلاة، لم يصل أحد بإذنه مع حضوره غير أبي بكر في مرضه[5]، ولما ذهب ليصلح بين بني عمرو بن عوف[6]، وأنه كان من خواص أصحابه العشرة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[7]، وطلحة[8]، والزبير، وسعد بن

---

(١) في ك و ط زيادة (أنه أمر المسلمين كلهم).

(٢) لعله قد سقطت كلمة (صوم) هنا.

(٣) في ك و ط زيادة (أنه).

(٤) في أ (بنتا).

(٥) في ك و ط (مرض موته).

(٦) **بنو عمرو بن عوف**: بطن من الأنصار، وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقياء ـ بن عامر ـ ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف ـ بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.
انظر: اللباب ٢/٣٥٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢.

(٧) لم يرد (علي) في ط.

(٨) **طلحة**: هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي، أبو محمد، المدني، أحد العشرة، مشهور، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ وله ٦٣ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٧٩.

أبي وقاص، وسعيد بن زيد[1]، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وغير هؤلاء، كعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة[2]، وأبي طلحة، وأبي أيوب، وأُسيد بن حضير[3]، وأضعاف هؤلاء. وأنه بايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة[4]، وهم الذين أنزل الله فيهم:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ . . .﴾[5].

وأنه لما قدم المدينة بنىٰ مسجده[6] وكان في شماليه صُفّة ينزلها العُزَبَاء[7]، وأن المهاجرين والأنصار كلهم أسلموا طوعاً بلا رغبة، ولا

---

(١) **سعيد بن زيد**: هو ابن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات سنة ٥٠هـ أو بعدها.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٩٦.

(٢) **سعد بن عبادة**: هو ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، أبو ثابت أو أبو قيس المدني، شهد العقبة وغيرها، واختلف في شهوده بدراً، وكان يحسن الكتابة والعَوْم والرمي مات بحوران بالشام سنة ١٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٧٥ ــ ٤٧٦.

(٣) **أسيد بن حضير**: هو ابن سِماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي أبو يحيى، شهد العقبة الثانية، وكان أحد النقباء، وكان شريفاً في قومه، توفي في خلافة عمر سنة ٢١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٣/٦٠٣؛ و أسد الغابة ١/٩٢.

(٤) في ك و ط زيادة (أو وخمسمائة).

(٥) سورة الفتح: الآية ١٨.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿. . . **فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم** . . .﴾.

(٦) في ك و ط (مسجداً).

(٧) في ك و ط (يأوي إليها الغرباء).

رهبة، وأن المهاجرين آذاهم الكفار إيذاء عظيماً، حتى هاجر منهم طائفة إلى الحبشة[1] عند النجاشي، وأن النجاشي آمن به، وأنه لما مات أخبر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بموته يوم مات، وأنه صلَّى عليه بأصحابه في المصلى، كما يصلي على الميت الحاضر.

وأنه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة، ويخطب في العيد بعد الصلاة، وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا يؤذن للعيدين، ولا غير[2] الصلوات الخمس، وأن بلالاً كان يؤذن له بالمدينة، هو وابن أم مكتوم الأعمى[3]، وكان سعد القَرْظ[4] يؤذن لأهل قُباء[5]، وأبو محذورة[6] يؤذن لأهل مكة. وكما تواتر عنه وعن خلفائه، أنهم

(١) في أ زيادة (إلى) ومؤكد أنها زيادة من الناسخ.

(٢) في ط (لغير) بلام.

(٣) **ابن أم مكتوم**: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن عامر بن لؤي القرشي العامري واسم أمه: عاتكة وهو ابن خال خديجة، استخلفه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على المدينة ١٣ مرة وشهد القادسية وقتل بها شهيداً سنة ١٤هـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٧٦٠.

(٤) في جميع النسخ (القرض) بالضاد وقد صوبناه من كتب الرجال.
سعد القرظ: هو سعد بن عمارة بن سعد مولى الأنصار، ويقال، مولى عمار، وقيل له: سعد القرظ. لتجارته في القرظ، كان يؤذن بقباء فلما ترك بلال الأذان نقله أبو بكر إلى المسجد النبوي وتوارث عنه بنوه الأذان، وقال العسكري: «بقي إلى زمن الحجاج».
انظر: تهذيب التهذيب ١/٢٨٩.

(٥) **قباء**: أصله اسم بئر عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي على ميلين من المدينة.
انظر: معجم البلدان ٤/٣٠١ ــ ٣٠٢.

(٦) **أبو محذورة**: هو أوس بن معير، وقيل غير ذلك، صحابي مشهور، أسلم بمكة، ولم يهاجر، ولم يزل مقيماً بها حتى مات سنة ٥٩هـ وقيل ٧٩هـ وكان من أحسن =

لم يكونوا بمنى يصلون صلاة عيد، بل يرمون جمرة العقبة، وينحرون، كما أمر أهل الأمصار أن يصلوا، ثم ينحروا[1]، إلى أمثال هذه الأمور مما هو متواتر[2] عند كل من كان عالماً بأحواله.

ومنها: ما هو متواتر[3] عند جميع الأمة. ومنها ما هو متواتر عند جمهورها، وليس منها شيء إلاَّ وتواترت[4] آياته. وبراهينه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم فيها[5] ــ التي لم تذكر في القرآن أعظم من تواتر هذه الأمور، والكتب المصنفة في آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الأحاديث * أضعاف أضعاف ما يوجد من الأحاديث *[6] في مثل هذه الأمور، بل في[7] كل صنف من أصناف آياته من الأحاديث أضعاف ما يوجد في مثل ذلك، كتواتر إخباره بالغيوب المستقبلة، وتواتر تكثيره للطعام والشراب[8] مرات متعددة، [9] وتكثيره الطهور[10]، إما بنبع الماء بين أصابعه، وإما بفيضان الينبوع الذي يضع فيه بعض آثاره، وإما

= الناس صوتاً.
انظر: أسد الغابة ٥/٢٧٨ ــ ٢٧٩؛ وتقريب التهذيب ٢/٤٦٩.
في ك و ط (وأقام أبا محذورة).

(١) في أ (يصلون ثم ينحرون) وقد صوبناه من ك و ط.
(٢) في ك و ط (مما هي متواترة).
(٣) في ط (المتواتر).
(٤) في أ و ك (تواتر) وقد أثبتنا ما في ط.
(٥) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.
(٦) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط وأكسفورد.
(٧) سقطت (في) من ط.
(٨) سقطت (والشراب) من ك و ط.
(٩) في ك و ط زيادة (وتواتر).
(١٠) في ك و ط (للطهور والشراب مرات متعددة) وقد سقطت الراء من (طهور) في ط.

بفيضان الماء من الوعاء الذي برَّك[1] فيه، والماء باق بحاله لم ينقص.

فالأحاديث المتواترة في مثل هذه الأنواع أكثر من الأحاديث المتواترة في مثل تلك الأمور، التي هي متواترة. ولهذا كان شهرة هذه الأمور[2] في الأمة وفي أهل العلم بأحواله أعظم من شهرة كثير من تلك الأمور.

والمقصود هنا أن تواتر[3] آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتر[4] أمور كثيرة هي متواترة عند الأمة، أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن، فإن تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع[5]، حتى بينوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات، وهذا[6] غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به.

وهذه الأجناس الثلاثة غير ما في شريعته التي بعث بها، وغير صفات أمته، وغير ما يدل[7] من المعرفة بسيرته وأخلاقه، وصفاته، وأحواله، وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به. وعقوبته وانتقامه ممن كفر به، كما فعل بالأنبياء المتقدمين، فإن تعداد أعيان دلائل النبوة

---

(١) في ك (يبرك) وفي ط (يبارك).

(٢) سقطت (الأمور) من ك و ط.

(٣) في ك و ط زيادة (أنواع).

(٤) سقطت (تواتر) من ط.

(٥) انظر في ذلك مجموع فتاوي شيخ الإسلام ١٤/٦٤ و١٦/٢٢٦ و٢٦٧ و٥٣٦ ـ ٥٣٧.

(٦) في جميع النسخ (هذان) ولكن النون مشطوبة في أ.

(٧) في ط (بذل).

مما لا يمكن بشراً[1] الإحاطة به، إذ كان الإيمان به واجباً على كل أحد.

فيبين[2] الله لكل قوم، بل لكل شخص، من الآيات والبراهين ما لا[3] يبين لقوم آخرين.

كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول، ولكل قوم، بل ولكل إنسان، من الدلائل المعيَّنة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق، ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون، قال ـ تعالى ـ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . .﴾[4].

والضمير في ذلك عائد إلى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء، كما يدل على ذلك القرآن بقوله:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . . .﴾[5].

وقد قيل: إن الضمير عائد إلى الله، والصواب: الأول، كما قال:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ . . . .﴾.

---

(١) في أ (بشر) والأصوب ما اخترناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (فبين).

(٣) في أ (ما يبين) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

وهذا هو القرآن[1]. ثم قال بعد ذلك:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . . ﴾.

ثم قال:

﴿ . . . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

فأخبر أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية[3] المشهودة[4] المعقولة، ما يبين[5] أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق، فيتطابق العقل والسمع، ويتفق[6] العيان والقرآن، وتصدق المعاينة للخبر.

وإذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذي جاء به صادقاً، وأن الله ـ تعالى[7] ـ أنزله، وأنه يجب التصديق بما أخبر به[8]، والطاعة لما أوجبه وأمر به[9]، وذلك يتضمن إثبات الصانع وتوحيده، وأسماءه، وصفاته، وإثبات النبوات، وإثبات المعاد، وهذه هي أصول العلم والإيمان التي علقت بها السعادة والنجاة.



(١) انظر: جامع البيان ٥/٢٥؛ والبحر المحيط ٥٠٥/٧.
(٢) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.
(٣) العيانية: المرئية بالأعين.
(٤) في ط (والمعقولة).
(٥) في ك و ط (يتبين).
(٦) في أ (فيتفق).
(٧) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس.
(٨) في جميع النسخ إلاَّ أكسفورد (لما أخبر) وسقطت (أخبر به) من ك و ط.
(٩) في ك (لما أوجبه وأمر) بدون هاء وفي ط (لما أوجب وأمر) بدون (به).

فصل

أدلة قرآنية، على مجيء الرسل بالآيات

وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحياته، فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي، كما ظنَّه بعض أهل الكلام، بل لا بد من آيات في حياته، تدل على صدقه، تقوم بها الحجة، وتظهر بها المَحَجة[1]، كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «ما من نبي من الانبياء إلاَّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[2].

وقد قال ـ تعالى ـ في سورة إبراهيم ـ:

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾.

---

(١) المحجة: جادة الطريق.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٣.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما أنزل ٣/٩ (٤٩٨١) من الفتح. ومسلم، بنحوه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ١/١٣٤ (١٥٢).

إلى قوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (1).

إلى قوله:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى . . .﴾ (2).

الآيات (3).

فأخبر ـ سبحانه ـ (4) أن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، لا يعلمهم إلاَّ الله، أتتهم رسلهم بالبينات؛ فعلم أنهم جاءوا بالبينات.

وقال:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (5)

---

(1) لم يرد قوله ـ تعالى ـ:
﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.
في ك ولا ط.

(2) سورة إبراهيم: الآيات 1 ـ 10.

(3) في ك و ط (الآية).

(4) التسبيح لم يرد في ك ولا ط.

(5) سورة آل عمران: الآية 184.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ[1] وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا[2] تَتْبِيرًا ﴾[3].

فأخبر أنه ـ سبحانه ـ ضرب الأمثال لجميع هؤلاء، الذين أرسل[4] إليهم، وأهلكهم، فلم يعاقبهم إلاَّ بعد أن أقام عليهم الحجة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5].

فأخبر أنه لم يرسل إلاَّ رجالاً يوحى إليهم، لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء، وأنه أرسلهم بالبينات والزبر[6].

والزُّبُر: جمع زَبُور، وهي الكتب[7]، فإن منهم من أُنزل عليه

---

(١) الرس: هي البئر غير المطوية. أصحاب الرس: قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول الرس انهارت فخسفت بهم وبديارهم.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٣٦٢.

(٢) تبرنا: أهلكنا ودمرنا.
انظر: المصدر السابق ١٩/٣٦٣.

(٣) سورة الفرقان: الآيات ٣٧ ـ ٣٩.

(٤) في ط (أرسلهم).

(٥) سورة النحل: الآيتان ٤٣ ـ ٤٤.

(٦) لم ترد كلمة (الزبر) الأولى في ك ولا ط.

(٧) انظر: اللسان ٤/٣١٥، مادة زبر.

كتاب، ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا[1] فِيهَا نَذِيرٌ[2] ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[3].

أخبر أنه ليس أمة من الأمم إلاَّ خلا فيها نذير، كما قال:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والكتاب[5] المنير، وهذا من عطف الخاص على العام، لاختصاصه بوصف يختص به، كقوله:

---

(١) خلا: مضى.
انظر: تفسير البيضاوي ٥/١٨٤.

(٢) نذير: نبي أو عالم ينذر عنه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) فكيف كان نكير: أي كيف كان إنكاره ـ عز وجل ـ عليهم بالعقوبة.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة فاطر: الآيات ٢٤ ـ ٢٦.
في ك و ط ٢٤ ـ ٢٥ فقط.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٥) في ك و ط (بالكتاب).

﴿... وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ...﴾[1].

فإن الزبر من البينات، والكتاب المنير من الزبر، وهو كقوله:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾[2].

فإن الهدى من العلم، والكتاب المنير من الهدى.

وبين أنه أخذ الذين كفروا بهم[3]، وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين. ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال:

﴿... فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ...﴾[4].

وهذه السورة مكية[5]. ثم أنزل في آل عمران ــ وهي مدنية[6] ــ في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول، والمؤمنين به، وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيره ــ فقال:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ[7] لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ[8] وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ[9]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٨؛ وسورة لقمان: الآية ٢٠.

(٣) في ك و ط (بربهم).

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن ــ ١/١٩٣. وهي تسمى سورة الملائكة.

(٦) المصدر السابق ١/١٩٤.

(٧) القرح: الجراح.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٤٤.

(٨) حسبنا الله: أي الله كافينا وحافظنا ومتولي أمرنا.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٤٥.

(٩) فانقلبوا: فرجعوا. انظر: المصدر والموضع السابق.

بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

أي يخوفكم أولياءه ــ كما قاله جمهور العلماء[2].

ثم قال:

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا . . ﴾[3].

وسياق الكلام في بيان أن الكفار لا يضرون الله ولا عباده المؤمنين، بل ضررهم على أنفسهم، وأن ما حصل لهم من نعمة إنما هو استدراج وإملاء[4]، ــ إلى أن قال ــ :

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

بيَّن ــ سبحانه ــ أن هذا القول منهم: مع أنه كذب، فلم يقولوه إلَّا دفعاً للحق، لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك، إذ قد جاءهم رسل من

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٧٢ ــ ١٧٥.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣/١٢٠ ــ ١٢١؛ وتفسير القرآن العظيم ٢/١٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

(٤) **الإملاء**: هو المَدُّ في الآمال والأماني.
انظر: الكشاف ٣/٥٣٧.

(٥) سورة آل عمران: الآيات ١٨١ ــ ١٨٣.

قبله بالآيات البينات، والقربان الذي تأكله النار، ومع هذا قتلوهم. والكلام في مثل هذا الجنس، الذي يوالي بعضهم بعضاً، ويتبع بعضهم بعضاً، كاليهود، الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك.

ولهذا يذمهم[1] بصيغة الخطاب، كقوله:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

إلى قوله[2]:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً . . .﴾[3].

فالخطاب لجنس بني إسرائيل، وإن كان الذين عاينوا ذلك ماتوا.

ثم قال:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[4].

فحذف هنا الفاعل، وبنى الفعل للمفعول، إذ المقصود هنا: تسلية الرسول وتعزيته، لا ذكر عقوبة المكذبين، فلهذا كانت هذه أخص من تلك.



(١) في ك و ط (يخاطبهم).
(٢) في أ و ك بدون جملة (إلى قوله) وإثباتها أولى لأن الآيتين غير متواليتين.
(٣) سورة البقرة: الآيات ٥٠ ــ ٥٩.
جهرة: علانية.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

فصل

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم، فهذا من أعلام نبوتهم، ودلائل صدقهم، كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه، وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر[1]، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وإهلاك قوم شعيب بالظلة[2]، وإهلاك قوم لوط بإقلاب[3] مدائنهم، ورجمهم بالحجارة، وكإهلاك قوم فرعون بالغرق.

وقد ذكر الله القصص في القرآن، في غير موضع، وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم، كما يذكره[4] في سورة الشعراء، لما ذكر قصة موسى، قال:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

---

(١) **الصرصر**: ذات الصوت الشديد.
انظر: صفوة التفاسير **٢٩/٤٣٥**.

(٢) قال المفسرون: بعث الله عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت، هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادي بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً، وكان ذلك من أعظم العذاب.
انظر: المصدر السابق **١٩/٣٩٣**.

(٣) في ك و ط (بقلب).

(٤) في ك و ط (ذكره).

(٥) سورة الشعراء: الآية ٦٧.

ثم ذكر قصة إبراهيم، وقال ـ في آخرها ـ :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ومن ذلك: ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم، ومن لسان الصدق والثناء[2] والدعاء لهم، ولمن آمن بهم، كما قال ـ تعالى ـ في قصة نوح:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾[3] سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[4].

وكذلك في قصة إبراهيم:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[5].

أي: تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون. وكذلك في قصة موسى وهارون:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[6].

و ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٠٣.

(٢) في ك و ط (بالثناء).

(٣) وتركنا عليه في الآخرين: أي تركنا عليه ثناء حسناً في كل أمة إلى يوم القيامة. انظر: صفوة التفاسير ٢٣/٣٧.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٦) سورة الصافات: الآية ١٢٠.

(٧) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

وكذلك في قصة إبراهيم، قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[1] .

وقال ــ في قصة فرعون ــ :

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ[2] ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[3] .

ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ . . . ﴾[4] .

وقال[5] لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ . . . فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٤٩ ــ ٥٠ .
وجعلنا لهم لسان صدق عليا: يقول ــ تعالى ذكره ــ :
ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل بين الناس.
انظر: جامع البيان ١٦/٩٣.

(٢) اليم: البحر.
انظر: المصباح المنير ص ٦٨١.

(٣) سورة القصص: الآيات ٣٩ ــ ٤٢ .

(٤) سورة يوسف: الآية ١١١ .

(٥) في ط (قال).

(٦) سورة هود: الآية ٤٩ .

فأخبر أن العاقبة للمتقين، ثم إنه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة، ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة، كما قال ــ عن أهل النار ــ :

﴿ ... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(١).

كما ذكر الله الطريقين، في قوله:

﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝٤١ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥ ﴾.

ثم قال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

---

(١) سورة تبارك: الآية ٥.

(٢) سورة الحج: الآيات ٤٠ ــ ٤٦.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ(1) هَلْ مِن مَّحِيصٍ(2)؟ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(3).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ(4) أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾(5).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(6).

---

(1) نقبوا في البلاد: ساروا فيها، وطافوا وجالوا في أقطارها.
انظر: صفوة التفاسير ٢٦/٢٤٧.

(2) أي: فهل كان لهم من الموت من مهرب؟ وهل كان لهم من عذاب الله من مخلص؟.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(3) أي: أصغى إلى الموعظة، وهو حاضر القلب، ليتذكر ويعتبر.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة ق: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

(4) أي: وكانت نهاية المجرمين العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وهي نار جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ.
انظر: المصدر السابق ٢١/٤٧٣.

(5) سورة الروم: الآيتان ٩ ـ ١٠.

(6) سورة غافر: الآيتان ٢١ ـ ٢٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم [1] مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2].

وقال ـ لما قص قصص نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، في سورة هود ـ :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ [3] ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[4].

ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات، قال:

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[5].

---

(١) حاق بهم: نزل بهم.
انظر: جامع البيان ٢٤/٨٩.

(٢) سورة غافر: الآيتان ٨٢ ـ ٨٥.

(٣) تتبيب: تخسير وتدمير وإهلاك.
انظر: جامع البيان ١٢/١١٣.

(٤) سورة هود: الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨.

وفي سورة الحجر:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[1] ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ[2] ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[3] ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾[4].

والإمام المبين: هو الطريق المستبين الواضح[5]. بين ــ سبحانه ــ: أن هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس[6]، يرونها بأبصارهم، فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم، ودلالة نصر الله المؤمنين[7]، وانتقامه من الكافرين، على صدق الأنبياء[8]، من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم، فكون هذا فُعل لأجل هذا، و[9]كون ذاك سبب هذا، هو مما يعلم بالإضرار، عند تصور الأمر على ما هو عليه، كانقلاب العصا حية، عقب سؤال فرعون الآية، وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية، وأمثال ذلك.

مناقشة نفاة التعليل، في أمور الخوارق والآيات النبوية

والسؤال المشهور الذي يورد في هذا الموضع، على قول من

---

(١) **المتوسمين**: المعتبرين، المتأملين بعين البصر والبصيرة.
انظر: صفوة التفاسير ١٤/١١٤.

(٢) أي بطريق ثابت لم يندرس، يراها المجتازون في أسفارهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) في ك و ط زيادة (ثم قال) بين هاتين الآيتين.

(٤) سورة الحجر: الآيات ٧٥ ــ ٧٩.

(٥) انظر: جامع البيان ١٤/٤٧.

(٦) في ك و ط (الناس).

(٧) في ك و ط (للمؤمنين).

(٨) في أ (للأنبياء) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٩) في ط (أو).

ينفي التعليل في أفعال[1] الله، و[2]يجوّز على الله كل فعل؟ حيث قيل لهم: على أصلكم: لا يفعل الله شيئاً لأجل شيء، وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة، لأجل تصديق الرسول، ولا[3] عاقب هؤلاء لتكذيبهم له؟ ولا أنجى هؤلاء ونصّرهم لإيمانهم به؟ إذا كان لا يفعل شيئاً لشيء عندكم؟ وقالوا لهم ـ أيضاً ـ : إذا جوزتم على الرب كل فعل، جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب! ويقال لهم ـ أيضاً ـ : أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلا بعادة أو خبر الأنبياء، فقبل[4] العلم بصدق النبي لا يعلم شيء بخبره، والعادة إنما تكون فيما تكرر، كطلوع الشمس، ونزول المطر ونحو ذلك، والإتيان بالخارق للتصديق ليس معتاداً.

فيقال[5]: هذا السؤال ـ إن كان متوجهاً ـ فإنما يقدح[6] في قول هؤلاء الذين يقولون: لا يفعل شيئاً لأجل شيء، ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن، لا ينزهونه عن فعل سيء[7] الأفعال، وليس عندهم قبيحاً وظلماً[8] إلا ما كان ممتنعاً، مثل جعل الشيء موجوداً معدوماً، وجعل

---

(١) في ط (أعمال).

(٢) في ك و ط (أو).

(٣) في ك و ط (ولم) هنا والذي بعده، وقد توافقت أ وأكسفورد.

(٤) في أ (فقيل).

(٥) في ك و ط زيادة (في جوابه).

(٦) هذه الكلمة يمكن أن تقرأ (يندرج) في أ، وقد اتفقت النسخ الأخرى كلها على كلمة «يقدح» بما فيها نسخة أكسفورد والنسخة السعودية. وسوف تأتي بعد قليل واضحة في أ.

(٧) في ك و ط (من).

(٨) في ك و ط (قبيح وظلم).

الجسم في مكانين. ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة في إبطال مذهبهم، وقالوا: قولهم يقدح في العلوم الضرورية، ويسد باب العلم بصدق الرسل. قالوا: إذا جوزتم أن يفعل كل شيء، فجوِّزوا أن يكون[1] الجبال انقلبت ياقوتاً[2]، والبحار لبناً، ونحو ذلك، مما يعلم بالضرورة بطلانه، وجوِّزوا أن يخلق المعجزات على يدي[3] الكذابين، وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء، ولا بيان[4] فساد قولهم، ولكن المقصود: أن هذا السؤال إن كان متوجهاً، فإنما يقدح في قوله هؤلاء، لا يقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء، وأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ نجّى موسى ونصره لصدقه، ونبوته، وإيمانه، وأهلك فرعون لتكذيبه.

وكذلك نصر محمداً ومن اتبعه، على من كذبه من قومه، ونصر نوحاً على من كفر به، ونصر المسيح على من كذبه، ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[5].

---

(١) في ط (تكون).

(٢) **الياقوت**: نوع من الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة، منه الياقوت الأحمر، وهو حجر أحمر شفاف كثير اللمعان مبلور، وهو من أصلب المعادن بعد الماس، ومنه الأزرق والأصفر. ويسمى الياقوت بالإفرنجية: ياسنت.
انظر: دائرة معارف وجدي ١٠/٩٠٥.

(٣) في ك و ط (يد).

(٤) في ط (عن هؤلاء ببيان).

(٥) سورة غافر: الآية ٥١.

وقـــال:

﴿ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١) ﴾.

كما لا يقدح ما(٢) علم بالإضطرار من أن الله ينزل المطر في إبَانِه(٣)، لسقي المزارع، وأنه يسوق النيل لسقي أرض مصر، وأنه جعل أعضاء الإنسان لما(٤) فيها من المنافع، كالبطش باليدين، والمشي بالرجلين، والنظر بالعينين، والسمع بالأذنين، والنطق باللسان، وجعل ماء العين ملحاً لكونها شحمة، والملوحة تمنعها(٥) أن تذوب، وماء الأذن مراً(٦) ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ، وماء الفم عذباً ليطيب(٧) الطعام والشراب، وجعل ماء البحر مالحاً * لبقاء الأنام، فإنه لو كان عذباً فيموت فيه من الحيوان العظيم، فيفسد الريح، فيموت الآدميون والبهائم بهذه الريح *(٨) إلى ما لا يحصى من حكمة الله المشهودة في خلقه.

ونفاة التعليل يقولون: نحن نعلم أن هذا مقارن لهذا، بحكم العادة، التي أجراها الله، وإن لم يخلق شيئاً لشيء، وكذلك مَنْ نفى

---

(١) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

(٢) في ك و ط (فيما).

(٣) إبانه: وقته.
انظر: مختار الصحاح ص ٣.

(٤) في ك و ط (بما).

(٥) في ك (يمنعها).

(٦) في أ (مر) وقد صوبناه من ك و ط.

(٧) في ك (لتطيب) بالتاء.

(٨) ما بين النجمتين ليس في أ، وقد أثبتناه من ك و ط.

الأسباب مع نفي التعليل ـ أيضاً ـ يقولون: نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا، لا به، فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب ـ عندهم ـ، لكن يبقى عليهم: أن هذا لا يعلم إلا بالعادة، ولا عادة. فلا جرم[1] رجعوا إلى فطرتهم، من أن هذا أمر معلوم بالإضطرار، وإن كان مناقضاً لأصلهم الفاسد، وضربوا لذلك مثلاً بالمَلِك الذي أظهر ما يناقض عادته لتصديق رسوله.

لكن يقال لهم: الملك يفعل فعلاً لمقصود، فأمكن أن يقال: أنه قام ليصدق رسوله، وأنتم عندكم أن الله لا يفعل شيئاً لشيء، فلم يبق المثل مطابقاً، ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع، تارة يقولون: المعجزات دليلاً[2] على الصدق، لئلا يفضي إلى تعجيز الرب، فإنه لا دليل على الصدق إلا خلق العجز[3]، فلو لم يكن دليلاً لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق، وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه، وأحد قوليه، وسلكها القاضي أبو بكر[4]،[5] وأبو إسحاق

(١) لا جرم: أي لا بد، أو حقاً، أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم، فلذلك يجاب عنه باللام، فيقال: لا جرم لآتينك. ولهذا كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف: فلا جرم لقد رجعوا.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨١.

(٢) في ك و ط (المعجز دل)، والأولى أن تكون هنا (دليل) بالرفع حيث لا ناصب.

(٣) في ك و ط (المعجز).

(٤) القاضي أبو بكر: هو محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقِلَّاني، أو الباقِلَاني، ولد سنة ٣٣٨هـ، وهو يعد أعظم الأشاعرة بعد الأشعري، وتوفي سنة ٤٠٣هـ في بغداد.
انظر: تبيين كذب المفتري ص ٢١٧ ـ ٢٢٦؛ وشذرات الذهب ٣/١٦٨ ـ ١٦٩؛ والأعلام ٦/١٧٦؛ ووفيات الأعيان ٤/٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٥) في ك و ط زيادة (أحياناً).

الإسفرائيني[1]، وأبو بكر بن فَوْرَك[2]، وأبو محمد بن اللبان[3]، وأبو علي بن شاذان[4]، والقاضي أبو يعلىٰ وغيرهم.

والثاني[5] قالوا: نحن نعلم بالاضطرار *[6]أنه فعل هذا لأجل التصديق، كالمثل المضروب، وهذا هو القول الآخر، وهي طريقة أبي الحسن الأشعري في أماليه[7]، وهي طريقة أبي المعالي[8] وأتباعه

---

(١) **الأسفرائيني**: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الملقب بركن الدين، الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي، مات بنيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن بإسفراين.
انظر: وفيات الأعيان ١/٢٨؛ ومعجم المؤلفين ١/٨٣.

(٢) ابن **فورك**: هو الأستاذ محمد بن الحسن، المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني مات مسموماً في طريقه إلى نيسابور سنة ٤٠٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٢ ـ ٢٧٣؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٢١٤ ـ ٢١٦.

(٣) ابن **اللبان**: هو العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التيمي، عالم فقيه أصولي، سكن بغداد وولي قضاء إيْذَج وتوفي بأصبهان سنة ٤٤٦ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٣ ـ ٦٥٤؛ وشذرات الذهب ٣/٢٧٤؛ ومعجم المؤلفين ٦/١٢٥.

(٤) ابن **شاذان**: هو الإمام الفاضل الصدوق سيد العراق، الحسن بن أبي بكر أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي البزاز، الأصولي، ولد سنة ٣٣٩هـ وتوفي في نهاية سنة ٤٢٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٤١٧ ـ ٤١٨؛ وشذرات الذهب ٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) هذا معطوف على قوله سابقاً: (تارة يقولون: المعجز دل على الصدق).

(٦) من هنا إلى النجمة الثانية سقط من أ.
والمعنى لا يستقيم بدونه.

(٧) **أماليه**: أي ما أملاه على الناس مما لم يذكر له اسم، وهو ما عدا المؤلفات المستقلة.
انظر: تبيين كذب المفتري ص ١٣٥.

(٨) **أبو المعالي**: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن حَيُّويَة الجُوَيني الفقيه الشافعي، الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من =

كالرازي وغيره، وتنازعوا هل يمكن خلق ذلك على يد كذاب؟. فقيل: لا يمكن، لأنه لو أمكن لجاز وقوعه، وقيل: بل هو مقدور، لكن نعلم أنه لا يفعله* كما نعلم أنه لا يفعل كثيراً من الخوارق المقدورات، كقلب الجبل ياقوتاً، والبحر زيتاً[1].

قالوا: فنحن[2] نعلم بالضرورة أنه لا يفعلها، فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة أن لا يُعلم انتفاء وقوعها، بل قد يُعلم[3] عدم وقوعها بالاضطرار، وإن كنا نقول: إنها ممكنة مقدورة. وظهور المعجزات على يد الكذاب في دعوى النبوة من هذا الباب عندنا.

وقالوا: المعجز عَلَم على[4] صدق الأنبياء، فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه، وهذا القول حق، لكن منازعوهم يقولون: هو يستلزم نقيض ما نفوه، من كون الله يخلق شيئاً لشيء، ويخلق شيئاً بشيء، وما قالوا من كونه يَجُوز عليه فعل كل شيء، وكان ما ذكروه من الحق دليلاً على أن الخلق يعلمون ما يعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر، وأنه ــ سبحانه ــ منزه عن أن يفعل أشياء[5]، لا يجوز منه فعل كل شيء. وهم يقولون هنا: قد يكون الشيء ممكناً جائزاً مع العلم بأنه غير واقع، كانقلاب الجبال ياقوتاً،

= أصحاب الشافعي على الإطلاق، متفنن في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك كان مولده سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ ودفن في نيسابور.
انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ ــ ١٧٠؛ والبداية والنهاية ١٢٨/١٢.

(١) في ك و ط (زئبقاً).
(٢) في ك و ط زيادة (نجوز أشياء و).
(٣) في ك و ط (علم) بصيغة الماضي.
(٤) في أ (عين) ويظهر أنه تحريف نسخي.
(٥) في ك و ط (شيئاً).

والبحر زئبقاً[1]، وموت أهل البلد كلهم في لحظة، ومصير الأطفال علماء حكماء في لحظة واحدة.

وعلى هذا الجواب: يعتمدون كثيراً، كما يذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، والرازي، وغيرهم. ثم إنهم يقولون في العقل: أنه علوم ضرورية، كالعلم بوجوب الواجبات، وامتناع الممتنعات، وجواز الجائزات، فالممتنعات: كانقلابِ دجلة دماً، وأمثال ذلك من الأمور العادية، فيجعلون العادات واجبة تارة، وممتنعة أخرى، مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا.

ويقولون: نعلم أن هذا جائز ممكن، لا يتوقف على سبب، ولا له مانع كالآخر، ثم نعلم أن هذا واقع، وهذا غير واقع، لمجرد العادة، مع أن خرق العادة ليس له عندهم[2] ضابط، بل كل ما يجري[3] من العادات معجزات للأنبياء، فيجوز أن يكون عندهم للولي وللساحر. والفرق بينهما ــ عندهم ــ: التحدي أو عدم المعارضة. وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون: أسباب الآيات القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية، وهذه كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة، لكن النبي يقصد الخير والعدل، والساحر يقصد الشر والظلم.

---

(١) الزئبق: معدن سائل، يوجد في الكون منفرداً، ويوجد على حال أخرى، وهو سائل لماع يتجمد على درجة ــ ٤٠° تحت الصفر مئوية ويغلي على درجة ٣٦٠° ولا يتغير في الهواء.
انظر: دائرة معارف وجدي ٤/٥١٤.

(٢) في ط (عنده).

(٣) في ك و ط (يخرق).

وكذلك أولئك الذين وافقوا جهماً، على أصله في القدر، لا فرق عندهم بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة، لكن الولي مطيع لله، والساحر غير مطيع لله. هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب في أفعال الله ــ تعالى ــ .

وجمهور الناس يخالفونهم، ويقولون: هذا القول فاسد[1]، بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده، فإنه إذا تماثل هذا وهذا من كل وجه: فمن أين يُعلم وجود هذا أو وجوبه، وعدم هذا أو امتناعه. وإذا قيل: مستندي العادة. قيل له: منازعوك يقولون: هذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنك ــ أنت ــ تجوِّز انتقاض العادة، وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به، ولا حكمة انتقضت لأجلها، بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء والسحرة وغير ذلك، ولهذا قلتم ليس بين معجزات الأنبياء وبين[2] كرامات الأولياء والسحرة[3] فرق، إلاَّ مجرد اقتران دعوى النبوة، والتحدي بالمعارضة، مع عدم المعارضة، مع أن التحدي بالمعارضة قد يقع من المشرك، بل ومن الساحر، فلم يثبتوا فرقاً يعود إلى جنس الخوارق المفعولة، ولا إلى قصد الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته.

والثاني: أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع، يعلم بها اطرادها تارة، وانتقاضها أخرى، وبهذا يظهر الجواب عما قالوه: من أن انقلاب الجبل ذهباً، والبحر زئبقاً، والأناسي قروداً، ونحو ذلك ممكن معلوم

---

(١) سقطت (فاسد) من أ وقد استدركناها من ك و ط.

(٢) سقطت (بين) من ط.

(٣) في أ بإسقاط التاء المربوطة فتكون (السحر) والسياق دال على ما في ك و ط فلهذا أثبتناها منهما.

الجواز، مع العلم بأنه لم يقع، فإنهم يقال لهم: جمهور[1] الناس لا يسلمون لكم أن هذا ممكن إلاَّ مع لوازمه، وانتفاء أضداده، وحينئذ يقال[2]: لم قلتم إن هذا لا يستلزم أسباباً تكون قبله، وموانع ترتفع، كسائر ما يحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة. فإنه لا يحدث شيئاً إلاَّ بإحداث أسباب، ودفع موانع.

مثال ذلك: غَرَق قوم نوح، لم يكن ماء وجد بلا سبب، بل أنزل الله ماء السماء، وأنبع ماء الأرض، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ[3] (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ[4]﴾[5].

وكذلك عاد لما أهلكهم، أرسل[6] الريح الصرصر، سبع ليال وثمانية أيام حسوماً[7]، كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) سقطت (جمهور) من ط.

(٢) في ك و ط (فيقال).

(٣) وازدجر: أي انتهره قومه وزجروه عن دعوى النبوة، بالسب والتخويف والوعيد، بقولهم:
﴿... لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ [سورة الشعراء: الآية ١١٦].
انظر: البحر المحيط ١٧٦/٨.

(٤) **الدُّسر**: المسامير.
انظر: البحر المحيط ١٧٧/٨.

(٥) سورة القمر: الآيات ٩ ـ ١٣.

(٦) في ط زيادة (عليهم).

(٧) حسوماً: أي متتابعة لا تفتر ولا تنقطع.
انظر: صفوة التفاسير ٤٣٥/٢٩.

﴿ . . . (1) فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾(2)؟.

وكذلك ثمود، قال لهم صالح:

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ (3) أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا (4) لِّثَمُودَ ﴾(5).

وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات: آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلَّا بأسباب تقدمته، كآيات(6) موسى، من مثل مصير العصى حية، كانت بعد أن ألقاها، إما عند أمر الله له بذلك، لما ناداه من الشجرة، ورأى النار الخارقة للعادة(7)، وإما عند مطالبة فرعون له

---

(1) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً**. . .﴾ [سورة الحاقة: الآية ٦].

(2) سورة الحاقة: الآيتان ٧، ٨.

(3) كأن لم يغنوا فيها: أي كأن لم يقيموا في ديارهم، ولم يعمروها.
انظر: صفوة التفاسير ١٢/٢٣.

(4) بعداً: سحقاً وهلاكاً ولعنة.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(5) سورة هود: الآيات ٦٤ ــ ٦٨.

(6) في ك و ط (فآيات).

(7) سقطت (للعادة) من ك و ط.

بالآية، وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم. وكذلك سائر آياته، حتى إغراق فرعون، كان بعد مسير الجيش، وضربه البحر بالعصا، وكذلك تَفَجُّر[1] الماء من الحجر، كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه، واستسقاء قومه إياه، وهم في بَرِّية لا ماء عندهم.

وكذلك آيات نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، مثل تكثير الماء، كان بوضع يده فيه، حتى نبع الماء من بين الأصابع، أي تفجر[2] الماء من بين الأصابع، لم يخرج من نفس الأصابع. وكذلك البئر، كان ماؤها يكثر، إما بإلقائه سهماً من كنانته فيها، وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها. وكذلك المسيح، كان يأخذ من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، إلى أمثال ذلك.

فأما جبل ينقلب ياقوتاً، بلا أسباب تقدمت ذلك، فهذا لا كان ولا يكون، وكذلك نهر يطّرد، يصبح لبنا بلا أسباب تقتضي ذلك، يخلقها الله، فهذا لا كان ولا يكون، ومن قال إن الشيء ممكن، فهذا يُعنى به شيئان: يعنى به الإمكان الذهني، والإمكان الخارجي.

فالإمكان الذهني: هو عدم العلم بالامتناع، وهذا ليس فيه إلَّا عدم العلم بالامتناع، وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالإمكان، فكل من لم يعلم امتناع شيء، كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار، لكن هذا ليس بعلم بإمكانه، ومن استدل على إمكان الشيء: بأنه لو قدر لم يلزم منه محال، من غير بيان انتفاء لزوم كل محال، كما يفعله طائفة من أهل الكلام، كالآمدي[3] ونحوه لم يكن فيما ذكره إلَّا مجرد الدعوى.

---

(١) في ك و ط (تفجير).

(٢) في ك (يفجر) بالياء في أوله.

(٣) الآمدي: هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين، كان حنبلياً ثم صار شافعياً، ألف عدة كتب منها: أبكار =

وأما الثاني: وهو العلم بإمكان الشيء في الخارج، فهذا يُعلم بأن يُعلم وجوده، أو وجود نظيره، أو وجود ما هو أقرب إلى الامتناع منه، فإذا كان حَمْل البعير للقنطار[1] ممكناً، كان حمله لتسعين رِطلاً[2] أولى بالإمكان، وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن إمكان ما يريد بيان إمكانه، كإحياء الموتى والمعاد، فإنه يبين ذلك: تارة ببيان وقوعه، كما أخبر أن قوم موسى قالوا:

﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ . . .﴾[3].

فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون.

وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فأحياه الله، كما قال:

= الأفكار، وكتاب رموز الكنوز، وكتاب أحكام الأحكام، وكتبه قرابة العشرين. درس بمصر ثم انتقل إلى حماة بالشام ثم إلى دمشق، ومات سنة ٦٣١هـ وكانت ولادته سنة ٥٥١هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٩٣ ــ ٢٩٤؛ ولسان الميزان ٣/١٣٤ ــ ١٣٥؛ ومعجم المؤلفين ٧/١٥٥.

(١) **القنطار**: وزن أربعين أوقية من ذهب، أو ألف ومئتا دينار، أو ألف ومئتا أوقية أو سبعون ألف دينار وثمانون ألف درهم أو ملىء جلد ثور ذهباً أو فضة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٧٠٠.

(٢) الرطل: اثنا عشرة أوقية، والأوقية: أربعون درهماً، والدرهم: ثمان وأربعون حبة بر أو شعير.

انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٥١ و ٤/٢٧٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ (١) فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

وكما أخبر عن الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم(٣). وكما أخبر عن الذي:

﴿... مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

وأخبر ــ سبحانه ــ بنظير ذلك في قصة إبراهيم حيث قال:

﴿... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥).

واستدل ــ سبحانه ــ بما هو أعظم من ذلك، وهو النشأة الأولى وخلق السموات والأرض(٦)، كقوله(٧):

---

(١) ادارأتم: اختلفتم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٠.
(٢) سورة البقرة: الآيتان ٧٢، ٧٣.
(٣) كما جاء في سورة البقرة: الآية ٢٤٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٦) سقطت جملة (وخلق السموات والأرض) من ط.
(٧) سقطت (كقوله) من ك مع أول الآية، وفي ط (قال).

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[1].

وقال:

﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ... ﴾.

إلى قوله[2]:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[3].

فاستدل ـ سبحانه[4] ـ على إمكان الإحياء بابتداء خلق الحيوان، وبخلق النبات، وذكر ذلك في القرآن في غير موضع، وبَسْط هذا له موضع آخر[5].

والمقصود: أن قول القائل: هذا ممكن، لا يحتاج إلى دليل، لا يكفي في العلم[6] بإمكانه عدم العلم بامتناعه، والله ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير. والممتنع ليس بشيء باتفاق العقلاء، وكل ما خلقه الله فلا بد أن يخلق لوازمه، ويمتنع أضداده، وإلَّا فيمتنع وجود الملزوم

---

(١) سورة يس: الآية ٨١.

(٢) في ك و ط أورد الآية كاملة.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) لم يرد التسبيح في أ.

(٥) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٣/٢٩٨ ـ ٢٩٩ و ٩/٢٢٤ و ١٧/٢٥١ ـ ٢٥٩.

(٦) في ط (العالم).

دون[1] اللازم، ويمتنع اجتماع الضدين، وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق، ولا أضداده المنافية لوجوده.

فالجزم بإمكان وجوده، بدون العلم بلوازمه وإمكانها وأضدادها وانتفائها: جهل، والله ــ سبحانه ــ قادر على تغيير ما شاءه من العالم، وهو يشق السموات، ويُسَيِّر الجبال، ويَبُسها بساً[2]، فيجعلها هباء منبثاً، إلى أمثال ذلك، مما أخبر الله به، كما يخلق سائر ما يخلقه بما ييسره[3] من الأسباب، وهذا مبسوط في موضع آخر[4].

آيات الأنبياء تكون قبل مبعثهم، وفي حياتهم، وبعد موتهم

والمقصود هنا: أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث، وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم، فقبل المبعث[5]: مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به[6] ومثل الإرهاصات[7] الدالة عليه. وأما حين المبعث فظاهر، وأما في حياته فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه. وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه، كما قال ــ تعالى ــ:

---

(١) في ك و ط (بدون).
(٢) **البس**: الفت.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨.
(٣) في ك و ط (يسره).
(٤) راجع ــ إن شئت ــ درء تعارض العقل والنقل ١٠٣/٨ ــ ١٠٨.
(٥) سقطت (المبعث) من ط.
(٦) سقطت (به) من ط.
(٧) **من الارهاص**: وهو المقدمة للشيء والإيذان به.
انظر: اللسان ٤٤/٧، مادة رهص.
في ك (الاتهامات) وقد صوبها في الهامش (الارهاصات).

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[2].

وقال للمسيح:

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ...﴾[3].

وقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾[4].

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جعلت له الآيات البينات، قبل مبعثه، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته، إلى الساعة[5] وإلى قيام

---

(١) سورة غافر: الآية ٥١.
الأشهاد: هم الذين يشهدون بأعمال العباد، من ملك ونبي ومؤمن.
انظر: صفوة التفاسير ٢٤/١٠٦.

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٤) سورة الصف: الآية ١٤.

(٥) سقطت جملة (إلى الساعة) من ك و ط.

الساعة، فإن ذِكْره[1] وذِكْر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة، كما قد بسط في موضعه[2].

والخليل دعا به فقال ــ في دعائه لذريته ــ :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ... ﴾[3].

ولمَّا ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف، وجرى ذلك

---

(١) زادت جملة (إلى الساعة) هنا في ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (وقد تقدم بعض ذلك).

وقد أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عباس، قال: لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مَرَّ به على كاهنة من أهل تُبَالة (بلد باليمن) متهودة قد قرأت الكتب يقال لها: فاطمة بنت مُرّ الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: يا فتى! هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل، فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه والحلال حل فأسْتَبِيْنَه

فكيف لي الأمر الذي تبغينَه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة... ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الخثعمية، فأتاها، فقالت: يا فتى ما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة... قالت: إني والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون في، وأبى الله إلَّا أن يصيره حيث أحب... وذكر شعراً قالته فاطمة.

ثم عقَّب أبو نعيم، بقوله: ففي ابتغاء اليهود واليهودية وضع هذا النور الذي انتقل إلى آمنة... وذِكْرهم بني زهرة، وأن هذا الأمر لا يكون إلَّا فيهم: دلالة واضحة على تقديم الخبر والبشارة بذلك في الكتب السالفة، وما يكون من أمر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وبعثته، كل ذلك آيات واضحة، وبراهين صحيحة لائحة على نبوته، وبعثته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

انظر: الدلائل لأبي نعيم ١/١٦٤ ــ ١٦٧.

وانظر صفحة ٢٢٧ وما بعدها، م ١، الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه، د. علي بن ناصر.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

العام قصة أصحاب الفيل المشهورة[1]، وكان يحصل له في مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة، قد ذُكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها[2] مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها. ومثل ما شوهد من أحواله في صغره. وأما انتصار الله له ولأتباعه، وإعلاء ذكره، ونشر لسان الصدق له، وإهلاك أعدائه، وإذلال من يحاده[3] ويشاقه، وإظهار دينه على كل دين باليد، واللسان، والدليل، والبرهان، فهذا مما يطول وصف تفصيله، قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[5].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١/٤٤ ـ ٦٣؛ والدلائل لأبي نعيم ١/١٧٨ ـ ١٨٩؛ والدلائل للبيهقي ١/٨٥.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١/١٧١ ـ ١٧٧؛ والدلائل لأبي نعيم ١/١٩٢ ـ ٢٠٣؛ والدلائل للبيهقي ١/١٣٣ ـ ١٤٩.

(٣) **يحاده**: يخالفه، ويمنع ما يجب عليه.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وأتباعهم المؤمنون وإن كانوا يبتلون في أول الأمر، فالعاقبة لهم، كما قال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً إلى ملك الروم، فطلب من يخبره بسيرته، وكان المسؤولون[2] حينئذ أعداءه، لم يكونوا آمنوا به، فقال: «كيف الحرب بينكم وبينه»؟ قالوا: «الحرب بيننا وبينه سجال[3]، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى»[4].

فقال: «كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة».

فإنه كان يوم بدر: نصر الله المؤمنين، ثم يوم أحد: ابتلى المؤمنين، ثم لم يَنْصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الإسلام.

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) في ك و ط (المشركون).

(٣) **سجال**: من السِجْل: وهو الدلو، أصله أن المستقيين بسِجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سجل: أي دلو ملأى ماء.
انظر: اللسان ١١/٣٢٥، مادة سجل.

(٤) **يدال**: أي نغلبه مرة ويغلبنا أخرى، من الدولة: وهو الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء.
انظر: المصدر السابق ١١/٢٥٢، مادة دول.

فإن قيل[1]: ففي الأنبياء من قد قتل، كما أخبر الله أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق، وفي أهل الفجور من يؤتيه الله ملكاً وسلطاناً، ويسلطه على مُذْنِبين[2]، كما سلط (بخت نصر) على بني إسرائيل، وكما يسلط[3] كفار المشركين وأهل الكتاب أحياناً على المسلمين[4]. قيل: أما من قتل من الأنبياء، فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيداً. قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ[5] كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]

ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه[7]، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[8].

---

(١) في ط (قيلي) وهو خطأ مطبعي.

(٢) في ك (مدينتين) وفي ط (المتدينين).

(٣) في ك و ط (سلط).

(٤) والشواهد في هذه الأيام على ذلك أكثر من أن تحصى.

(٥) ربيون: علماء ربانيون وعباد صالحون.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٣٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

(٧) حتف أنفه: أي بلا ضرب ولا قتل، وهو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات، وكانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه، فإن جرح خرجت من جراحته.
انظر: اللسان ٩/٣٨، مادة حتف.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ [1] بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . . . ﴾[2].

أي إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة، ثم الدِّين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة، من قتل منهم كان شهيداً، ومن عاش منهم كان[3] منصوراً سعيداً، وهذا غاية ما يكون من النصر، إذ كان الموت لا بد منه، فالموت على الوجه الذي يحصل[4] به سعادة الدنيا والآخرة أكمل، بخلاف من يهلَك هو وطائفته، فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم، وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهم اختاروا هذا الموت، إما أنهم قصدوا الشهادة، وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون[5] شهداء، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة، وفي الدنيا بانتصار طائفتهم، وببقاء لسان الصدق لهم: ثناء ودعاء، بخلاف من هلك من الكفار، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم، هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة هم من المقبوحين، وقيل فيهم:

---

(١) تربصون: تنتظرون.
انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٤١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٢.

(٣) سقطت (منهم كان) من ط.

(٤) في ك و ط (تحصل) بالتاء في أوله.

(٥) في أ (يصيروا) وقد صوبناه من ك و ط.

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ (١) وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾(٢).

وقد أخبر ــ سبحانه ــ أن كثيراً من الأنبياء قُتل معه ربيون كثير، أي ألوف كثيرة(٣)، وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. فإذا كان هذا قتلى(٤) المؤمنين، فما الظن بقتلى(٥) الأنبياء، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح.

وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب(٦) ذنوب المسلمين، كيوم أحد، فإن تابوا انتصروا على الكفار، وكانت العاقبة لهم، كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار، وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها، فإن النبي إذا قاموا بعهوده ووصاياه، نصرهم

---

(١) روى ابن جرير الطبري في جامع البيان **٢٥/١٢٥** بإسناده عن شريح الحضرمي، قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ألا لا غربة على المؤمن، ما مات مؤمن في غربة، غابت عنه فيها بواكيه، إلَّا بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : ﴿. . . **فما بكت عليهم السماء والأرض**. . . ﴾، ثم قال: «إنهما لا يبكيان على الكافر» وإسناده: حدثنا يحيى بن طلحة، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمرو، عن شريح.

(٢) سورة الدخان: الآيات **٢٥ ــ ٢٩**.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/١١١.

(٤) في ك و ط (قتل).

(٥) في ك و ط (بقتل).

(٦) في ك و ط (سبب).

الله، وأظهرهم على المخالفين له، فإذا ضيعوا عهوده، ظهر أولئك[1] عليهم، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجوداً وعدماً، من غير سبب يزاحم ذلك، ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً من غير مزاحمة: وصف آخر، موجب للعلم[2] بأن المَدَار علة للدائر.

وقولنا: من غير مزاحمة، وصف آخر يزيل النقوض الواردة، فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي، وأنه ــ سبحانه ــ يريد إعلاء كلمته ونصره، ونصر أتباعه على من خالفه[3]، وأن يجعل لهم السعادة، ولمن خالفهم الشقاء، وهذا يوجب العلم بنبوته، وأن من اتبعه كان سعيداً، ومن خالفه كان شقياً، ومن هذا: ظهور (بخت نصر) على بني إسرائيل، فإنه من دلائل نبوة موسى، إذ كان ظهور (بخت نصر) إنما كان لمّا غيروا عهود موسى، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بذلك، وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين، كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما. قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا

(١) سقطت (أولئك) من ط.
(٢) في ك و ط (يوجب العلم).
(٣) في ط (خالفهم).

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[1].

فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة، وظهور عدوهم[2] تارة، من دلائل نبوة موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3]، وكذلك ظهور أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم[4] تارة، هو من دلائل رسالة محمد وأعلام نبوته، وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم، في حياته وبعد موته، كما جرى لهم مع[5] يوشع وغيره، من دلائل نبوة موسى.

وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[6]، في حياته وبعد مماته مع خلفائه، من أعلام نبوته ودلائلها، وهذا بخلاف الكفار، الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحياناً، فإن أولئك لا يقول مطاعهم: إني نبي، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين، ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم، بل قد يصرحون: بأنا إنما نصرنا عليكم بذنوبكم، وأن لو اتبعتم دينكم لم نُنصر عليكم، وأيضاً ـ فلا عاقبة لهم، بل الله يهلك الظالم بالظالم، ثم يهلك الظالمين جميعاً، ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت، ولا يختارون القتل لِيَسْعَدوا بعد الموت، فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم، وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ٤ ـ ٨.
(٢) في ك و ط زيادة (عليهم).
(٣) في ك و ط زيادة (وآياته).
(٤) سقطت (عليهم) من ط.
(٥) في ط (من).
(٦) الجملة الدعائية ليست في أ ولا ك.

وبين أن ظهور محمد وأمته على أهل الكتاب: اليهود والنصارى، هو من جنس ظهورهم على المشركين، عُبَّاد الأوثان، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته، ليس هو كظهور (بخت نصر) على بني إسرائيل، وظهور الكفار على المسلمين، وهذه الآية مما أخبر بها موسى.

وَبَيِّنٌ أن الكذاب المدعي للنبوة لا يَتِم أمره، وإنما يتم أمر الصادق، فإن من أهل الكتاب من يقول: «محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا، مع صحة ديننا الذي نحن عليه، كما سلط (بخت نصر) وغيره من الملوك». وهذا قياس فاسد، فإن (بخت نصر) لم يدعِ نبوة، ولا قاتل على دين، ولا طلب من بني إسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى إلى شريعته، فلم يكن في ظهوره إتماماً[1] لما ادعاه من النبوة، ودعا إليه من الدين، بل كان بمنزلة المحاربين، قطاع الطريق، إذا ظهروا على القوافل، بخلاف من ادَّعى نبوة وديناً دعا إليه، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة، ثم نصره الله وأظهره، وأتم دينه، وأعلا كلمته، وجعل له العاقبة، وأذل مخالفيه، فإن هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة، فإنه دليل عليها، وذلك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة، فإنه ليس دليلاً عليها.

وقد يَغْرق في البحر أمم كثيرة، فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي، بخلاف غرق فرعون وقومه، فإنه كان آية بينة لموسى، وهذا موافق لما أخبر به موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن الكذاب لا يتم أمره، وذلك أن[2] الله حكيم، لا يليق به تأييد الكذاب على

(١) في ك و ط (إتمام).

(٢) في ك و ط (بأن).

كـذبـه، من غيـر أن يتبين[1] كـذبـه، ولهـذا أعظم الفتن فتنـة الـدجـال الكذاب، لما اقترن بدعـواه الإلٰهية بعض الخـوارق، كان معهـا ما يـدل على كذبه من وجوه:

منهـا: دعواه الإلٰهيـة وهو أعـور، والله ليس بـأعـور، مكتـوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء، والله ـ تعالى ـ لا يراه أحـد حتى يمـوت. وقـد ذكـر النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ هـذه العـلامات الثـلاث في الأحاديث الصحيحـة[2]، فأمـا تـأييـد الكـذاب، ونصـره، وإظهـار دعـوتـه دائمـاً، فهـذا لم يقـع قط، فمن يستـدل على مـا يفعله الرب ـ سبحـانه ـ بـالعـادة والسنـة، فهـذا هـو الـواقـع، ومن يستـدل[3] على ذلك[4] بـالحكمة، فحكمتـه تناقض أن يفعـل ذلك، إذ الحكيم لا يفعل هذا، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[5].

فـأخبـر أن سنـة الله[6] التي لا تبـديــل لهـا نصــر المؤمنين على الكافرين.

والإيمـان المستلزم لذلـك يتضمن طاعـة الله ورسولـه، فإذا نُقض

---

(١) في ك و ط (يبين).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الدجال ١٣/٩١ (٧١٣١) من الفتح، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٤/٢٢٤٨ ٢٢٤٩ (٢٩٣٣ ـ ٢٩٣٤).

(٣) سقطت (ومن يستدل) من ك و ط.

(٤) في ك و ط زيادة (أيضاً).

(٥) سورة الفتح: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٦) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ، وفيها (سنته).

الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه، كما جرى يوم أحد. وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ (١) لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ (٢) وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٣].

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلَّا سنة الأولين، ولا يوجد لسنة الله تبديل[٤]، تستبدل[٥] بغيرها، ولا تتحول، فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم؟.

وكذلك قال في المنافقين ـ وهم الكفار في الباطن دون الظاهر ـ ومن فيه شعبة نفاق:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ (٦) فِى ٱلْمَدِينَةِ

---

(١) جهد أيمانهم: أشد الأيمان وأبلغها.
انظر: صفوة التفاسير ٢٢/ ٥٨٠.

(٢) **مكر السيِّىء**: أي المكر السيِّىء بالرسول وبالمؤمنين ليفتنوا ضعفاء الإيمان عن دين الله.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة فاطر: الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٤) في ك (تبديلًا) بالنصب.

(٥) في ك و ط (لا تبدل).

(٦) **المرجفون**: ناس كانوا يرجفون بأخبار السؤ عن سرايا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيقولون: هزموا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين، يقال: ارجف بكذا: إذا أخبر به على غير حقيقة، لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت، من الرجفة: وهي الزلزلة.
انظر: الكشاف ٣/ ٢٧٤.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

والسنة: هي العادة[2] فهذه عادة الله المعلومة، فإذا نصر من ادَّعى النبوة واتباعه على من خالفه، إما ظاهراً وباطناً، وإما باطناً[3]، نصراً مستقراً، كان[4] ذلك دليلاً[5] على أنه نبي صادق، إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها.

ومن ادَّعى النبوة وهو كاذب، فهو من أكفر الكفار، وأظلم الظالمين، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ . . .﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾[7].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيات ٦٠ ـ ٦٢.

(٢) انظر: اللسان ١٣/٢٢٥ ـ ٥٢٦، مادة سنن.

(٣) في ك و ط (إما ظاهراً وإما باطناً).

(٤) في ك و ط (فإن).

(٥) في ط (دليل).

(٦) سورة الأنعام: الآية ٩٣.
بعد هذه الآية في ك و ط زيادة: وقال ـ تعالى ـ:
﴿**فمن أظلم ممن كَذَب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه**. . .﴾ [سورة الزمر: الآية ٣٢].

(٧) سورة الزمر: الآية ٣٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

ومن كان كذلك، كان الله يمقته، ويبغضه، ويعاقبه، ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة، قال: «إن الله يملي[٢] للظالم، فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٣].

وقال أيضاً في الحديث[٤] الصحيح عن أبي موسى، أنه قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «مثل المؤمن: كمثل الخامة من الزرع[٥] تفيئها[٦] الرياح، تقومها[٧] تارة وتميلها أخرى، ومثل

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٤.

(٢) **يملي**: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة. وهو مشتق من الملوة وهي المدة والزمان.

انظر: شرح النووي لمسلم ١٦/١٣٧.

(٣) سورة هود: الآية ١٠٢.

صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود، باب: (وكذلك أخذ ربك...) ٨/٣٥٤ (٤٦٨٦) من الفتح بمثله. ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ (٢٥٨٣).

(٤) سقطت كلمة (الحديث) من ط.

(٥) **الخامة**: الغضة الرطبة من النبات.

انظر مختار الصحاح ص١٩٣.

(٦) في ط (تقيمها).

(٧) في ك (تقيمها). وقد سقطت من ط.

المنافق: مثل شجرة الأرْز[1] لا تزال ثابتة على أصلها، حتى يكون انجعافها مرة واحدة»[2]. فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة[3]، فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذَمِّه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعاً، ويزول سريعاً، كدولة الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي[4] ونحوهم.

وأما الأنبياء: فإنهم يبتلون كثيراً، ليمحصوا[5] بالبلاء، فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه[6]، ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً، كالزرع، قال ـ تعالى ـ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ[7] فَـَٔازَرَهُۥ[8] فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

---

(١) **شجرة الأرز**: هو ذكر الصنوبر، وليس هو من نبات أرض العرب، ولا ينبت في السباخ، بل يطول طولاً شديداً ويغلظ.
انظر: الفتح الرباني ١٠/١٠٧.

(٢) صحيح البخاري بنحوه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ١٠/١٠٣ (٥٦٤٣) من الفتح. ومسلم، بنحوه من عدة روايات، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٤/٢١٦٣ ـ ٢١٦٤ (٢٨٠٩ ـ ٢٨١٠).

(٣) في ك و ط (عظمت دولته).

(٤) لم أجد له أي ذكر.

(٥) ليمحصوا: ليخلصوا من الشوائب.
انظر: مختار الصحاح ص ٦١٦.

(٦) في ط (ابتلاء).

(٧) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي فراخه).

(٨) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قواه).

سُوقِهِۦ (١) يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٢).

ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس. فاعتبار هذه الأمور، وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين، وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين، مما يوجب الفرق بين النوعين، وبيْن دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبيء الكذاب.

وقد ذُكر ابتلاء النبي والمؤمنين، ثم كون العاقبة لهم في غير موضع، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٤).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ

---

(١) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قوائمه).

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ
ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾
لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن
تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (1) .



(١) سورة يوسف: الآيات ١٠٩ ـ ١١١.

فصل

دلائل النبوة أخبار تحمل الترغيب والترهيب

ومما ينبغي أن يعرف، أن الأدلة نوعان:

نوع: يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه. **ونوع**: يحض ـ مع ذلك ـ على الرغبة فيه، أو الرهبة منه.

فالأول(١): من جنس الخبر المجرد.

والثاني: من جنس الحث والطلب والإرادة والأمر بالشيء، والنهي عنه، وذلك كمن علم أن في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات، أو نبات ليس له فيها غرض، لا حب، ولا بغض، فليس هو بمنزلة من علم أن في المكان الفلاني صديقه، وولده، ومحبوبه، وماله، وأهله، وأهل دينه، وفي المكان الفلاني عدوه، ومبغضه، ومن يقطع عليه الطريق، ويقتله، ويأخذ ماله. فكذلك دلائل النبوة، هي كلها تدل على صدق النبي، ثم يُعلم ما يخبِر به النبي من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لأنه أخبر عن الله بذلك، وهو صادق فيما يخبر به، فهذا طريق صحيح عام.

وأما إثبات نبوة الأنبياء: بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة والسعادة، والنصرة وحسن العاقبة، وما جعله لهم من لسان الصدق، وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب، وسوء العاقبة، وإتباعهم

(١) في أ (والأول)

اللعنة في الدنيا، مع عذاب الآخرة، فهذا يدل ـ مع صدق الأنبياء[1] ـ على الرغبة في اتباعهم، والرهبة من مخالفتهم، ففيه العلم بصدقهم، والموعظة[2]. والوعظ: هو أمر ونهي بترغيب وترهيب، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ...﴾[3].

أي يؤمرون به[4] وقال:

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

أي ينهاكم الله أن تعودوا لمثله، وهذه الطريق أكمل وأبلغ في حصول المقصود، فإنها تفيد العلم بصدقهم، والرغبة في اتِّباعهم، والرهبة من خلافهم، وتفيد[6] صحة الدين الذي دعوا إليه، وسعادة أهله، وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة أهله.

ولهذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقرأ في صلاة[7] العيد

---

(١) في أ (النبي)، وكذلك أكسفورد.

(٢) في ك و ط زيادة (للخلق).

(٣) سورة النساء: الآية ٦٦.

في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:

﴿... **لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً * وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً * ولهديناهم صراطاً مستقيماً**﴾ [سورة النساء: الآية ٦٦ ـ ٦٨].

(٤) في ك و ط زيادة (أي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به، وما يؤمرون به) وفي ك (ما يوعظون به: يؤمرون به).

(٥) سورة النور: الآية ١٧.

(٦) في ك و ط زيادة (ثبوت).

(٧) في ك و ط زيادة (المجامع الكبار، كصلاة).

بـ (قاف) و (اقتربت الساعة)[1] لمـا فيهما من بيـان ذلك، وسـورة قاف، كان يقرأ بها في الجمعة[2]، فـإنها جـامعة لإثبـات النبوات والمعـاد[3]، وبيـان حال متبعي الأنبيـاء ومخالفيهم في الـدنيا، كمـا قـال ــ تعـالى ــ فيها:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[4].



(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، بـاب ما يقـرأ به في صـلاة العيدين ١/٦٠٧ (٨٩١)؛ وسنن أبـي داود، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ١/٣٠٠ (١١٥٤)؛ وسنن التـرمذي، أبـواب الصلاة، بـاب ما جـاء في القـراءة في العيـدين ٢/٤١٥ (٥٣٤)؛ وسنن النسـائي كتاب صـلاة العيـدين، بـاب القـراءة في العيـدين بقاف واقتربت ٣/١٨٣؛ والموطأ، كتاب العيدين، باب ما جـاء في التكبير والقـراءة في العيدين ١/١٨٠.

(٢) صحيـح مسلم، كتاب الجمعـة، باب تخفيف الصـلاة والخـطبـة ٢/٥٩٥ (٨٧٣)؛ وسنن أبـي داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قـوس ١/٢٨٨ (١١٠٠)؛ وسنن النسائي كتاب الجمعة، باب القراءة في الخطبة ٣/١٠٧٣.

(٣) في ك و ط زيادة (مع ما فيهما من التوحيد وأصول الشرائع).

(٤) سورة قاف: الآيات ١٢ ــ ١٤.

فصل

من طلب آية ثانية وثالثة: هل يجاب؟ والحكمة من تتابع الآيات

ومما ينبغي أن يعلم: أن الله إذا أرسل نبياً وأتى بآية دالة على صدقه، قامت بها الحجة، وظهرت بها المحجة، فمن طالبهم بآية ثانية، لم تجب إجابته إلى ذلك، بل وقد لا ينبغي ذلك، لأنه إذا جاء بآية ثانية، طولب بثالثة، وإذا جاء بثالثة، طولب برابعة، وطلب[1] المتعنتين لا أمد له، ومعلوم أنه من قامت عليه حجة[2] في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، وقال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة، كان ظالماً متعدياً، ولم يجب[3] إجابته إلى ذلك، ولا يُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك، بل إذا قامت البينة بحق المدعِي حُكم له بذلك، ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية وثالثة ورابعة، لم يُجَب إلى ذلك. فحق الله الذي أوجبه على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى، إذا أقام بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله، أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة، فيتابع ـ تعالى ـ بين الآيات، كما أرسل محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بآيات متعددة، لعموم دعوته وشمولها، فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد

(١) في ك و ط (فإن طلب).
(٢) في ك و ط زيادة (وبينة).
(٣) في ك و ط (تجب).

كان أوكد، وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة من لا يَعْرف الآخر، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، وتُقَسى[1] قلوب الكفار عن الإيمان، لتتابع الآيات آية بعد آية، لينتشر ذلك ويظهر، ويبلغ ذلك قوماً آخرين، فيكون ذلك سبباً لإيمانهم، كما فُعِل بآيات موسى وآيات محمد، كما ذُكِر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون، لتظهر عجائبه وآياته[2]، وكما صدَّ المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى[3] يمانعوه، ويسعوا في معارضته، والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته، فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه، بخلاف ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك، فإنه قد كان يُظَن أنهم قادرون على معارضته، وكذلك ـ أيضاً ـ يكون في ذلك على[4] يقينه، وصبره، وجهاده، ويقين من آمن به[5]، وصبرهم، وجهادهم، ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة.

وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال، كما ذكره الله في كتابه، من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها، فتارة يجيبهم الله إلى ذلك، لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم، لما في ذلك من المضرة والمفسدة، عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون: إنه يفعل للحكمة. ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى

---

(١) في ك و ط (يقسي).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح السابع، ٤ ـ ٥؛ والإصحاح الثامن ٢٠؛ والإصحاح التاسع ١٣؛ والإصحاح الحادي عشر ١٠. العهد القديم ٧٩ و٨١ و٨٣ ـ ٨٥.

(٣) في ك و ط زيادة (يعارضوه، و).

(٤) في ك و ط (من).

(٥) هكذا في ك و ط (آمن به) وفي أ (من أمره) وما في ك و ط أولى.

محض المشيئة، ويقول: إقترن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله، وإن لم يفعل هذا لهذا.

وقد كان الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ربما طلب تلك الآيات، رغبة منه في إيمانهم بها، فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها، والله ــ تعالى ــ قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما، لما في ذلك من الحكمة العظيمة، كما دلَّ على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما، وقد بيَّن[1] أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها، أو لوجود المفسدة، قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ[2] ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا[3] مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ

---

(١) في ك و ط (تبين).

(٢) **يعمهون**: يتخبطون ويترددون متحيرين.

انظر: صفوة التفاسير ٤١١/٧.

(٣) **قبلاً**: مقابلة ومواجهة وعياناً ومشاهدة.

انظر: المصدر السابق ٤١٢/٧ ــ ٤١٣.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ١٠٩ ــ ١١١.

ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً[1] فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[2].

بيَّن ـ سبحانه ـ أنما منعه[3] أن يرسل بالآيات إلَّا تكذيب الأولين بها، الذي استحقوا بها الهلاك، فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال، وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث، وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش، عن جعفر بن إياس[4]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «سأل أهل مكة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا، قال: فقيل له: إن شئت تستأني بهم[5] وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أُهْلِكت من قبلهم، قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ . . .﴾[6].

---

(١) مبصرة: أيْ: آية بينة ومعجزة ساطعة واضحة.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٦٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٣) في ك (أنه إنما) وفي ط (أنه ما).

(٤) جعفر بن إياس: هو أبو بشر بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، مات سنة ١٢٤هـ وهو ساجد خلف المقام.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٥ ـ ٤٦٦؛ وتقريب التهذيب ١/١٢٩.

(٥) في ك و ط زيادة (نجتبي منهم).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٩.
أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٠٨ والإمام أحمد في المسند ١/٢٥٨ وأورده الهيثمي في المجمع ٧/٥٠ بروايتيه وقال: «ورجال الروايتين رجال الصحيح. إلَّا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم وهو وهم، وفي بعضها =

وروى ابن أبي حاتم وغيره، عن مالك بن دينار، قال: «سمعت الحسن[1] البصري في قوله:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ . . .﴾[2].

قال: رحمة لكم أيتها الأمة، أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم»[3].

وفي الإنجيل: أن اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء، فقال لهم المسيح: «الأمة الفاجرة تطلب آية، ولا تعطى إلا مثل آية نونان»[4].

= عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح. ورواه البزار بنحوه». وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢/٣٦٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

في ك و ط زيادة (رواه أحمد والنسائي من حديث جرير، عن الأعمش. وروى الإمام أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، أنبأنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران بن حكيم، عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، ونؤمن لك، قال: «وتفعلون؟»، قالوا: نعم. قال: فدعا، فأتاه جبريل، فقال: «إن ربك يقرئك السلام، ويقول: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة»، قال: «بل باب التوبة والرحمة»).

(١) في ك و ط زيادة (يعني).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٠٨. وإسناده: حدثني إسحاق بن وهب، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مسعود بن عباد عن مالك بن دينار عن الحسن.

(٤) في ط (يونان).

في ك و ط زيادة (يعني ذا النون).

نونان: تسمية بالنون وهو الحوت، وذو النون لقب يونس بن متى ـ عليه السلام ـ.

انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٦.

نص الترجمة الحالية: «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم! =

وقد كانت الآيات يأتي بها محمد[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آية بعد آية، فلا يؤمنون بها. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟
بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا[2]
وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ[3] ﴿٩﴾ وَلَقَدِ
ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4].

= نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية، إلَّا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

انظر: إنجيل متى، الإصحاح الثاني عشر ٣٨ ـ ٤٠ العهد الجديد ٢٠.

(١) لم يرد الاسم الشريف في ط.

(٢) مدراراً: حال من السماء، يوصف به المذكر والمؤنث، وهو للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة.

انظر: البحر المحيط ٤/٧٧.

(٣) أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم، فإنهم لو رأوا المَلَك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك، وهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور فلا بد أن يأتيهم الملك في صورة رجل.

انظر: المصدر السابق ٤/٧٩؛ وصفوة التفاسير ٧/٣٨٠.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٤ ـ ١١.

أخبر ـ سبحانه ـ بأن الآيات تأتيهم، وما تأتيهم من آية[1] إلاَّ أعرضوا عنها، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول، كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول، فإن الله يقول:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا[2] رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[3].

وأخبر بشدة[4] كفرهم، بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم: «إن هذا إلا سحر مبين». وبيَّن ـ سبحانه ـ أنه لو جعل الرسول ملكاً لجعله على صورة الرجل، إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول بشر لا ملك.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا[5] ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

---

(١) في ط (آيات).
(٢) **أمها**: أصلها وعظيمتها، كأمهات الرساتيق (المناطق) والأقاليم والأولى أن تكون مكة ـ شرفها الله ـ.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٨.
(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.
(٤) في ك و ط زيادة (عن قوة).
(٥) **ينبوعاً**: أي عيناً غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تنقطع.
انظر: الكشاف ٢/٤٦٥.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا[1] أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا[2] ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[3].

وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ولم يؤمنوا[4] أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم. ـ ويضاً ـ فهي مما لا يصلح الإتيان بها، فإن قولهم: حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعاً. يقتضي تفجير الينبوع بأرض مكة، فيصير وادياً ذا زرع، والله من حكمته جعل بيته بوادٍ غير ذي زرع، لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا، فيكون حجهم للدنيا لا لله، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يُفَجِّر[5] الأنهار خلالها تفجيراً، كان في هذا من التوسع في الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته. وكذلك إذا كان له بيت من زخرف، والزخرف: الذهب[6]. وأما إسقاط السماء كسفاً، فهذا لا يكون إلى[7] يوم القيامة،

---

(١) كسفاً: قطعاً قطعاً.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٧٦.

(٢) قبيلاً: كفيلاً بما تقول، شاهداً بصحته، أو مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه، أو جماعة. حالاً من الملائكة.
انظر: الكشاف ٢/٤٦٦.

(٣) سورة الإسراء: الآيات ٩٠ ـ ٩٥.

(٤) في ط زيادة (بها).

(٥) في ك و ط (ففجر).

(٦) انظر: اللسان ٩/١٣٢، مادة زخرف.

(٧) في ط (إلَّا).

وهو لم يخبرهم أن هذا لا[1] يكون إلَّا يوم القيامة. فقولهم: كما زعمت. كذب عليه، إلَّا أن يريدوا التمثيل، فيكون القياس فاسداً[2].

وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلاً، فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة. قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

وأما إنزال الكتاب فقد قال ـ تعالى ـ:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ[4] وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ[5] بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

---

(١) سقطت (لا) من ك وط.

(٢) في ط (فاسد).

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٤) يقال: عدا عليه أشد العداء والعدو والعدوان: أي: ظلمه وجاوز الحد، وهو نهي لهم عن العمل والكسب يوم السبت.
انظر: التفسير الكبير ١١/٩٨.

(٥) غُلْف: إما أن يكون جمع غلاف، المعنى: أنها أوعية للعلم، فلا حاجة لهم إلى علم سوى ما عندهم، وهو كذب على الأنبياء. وإما أن يكون جمع أغلف، وهو المتغطي بالغلاف، والمعنى: أن قلوبهم في أغطية فهي لا تفقه ما تقول الرسل.
انظر: المصدر السابق ١١/٩٩.

قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ[(١)] وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟
فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ
إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ
لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ . . . ﴾[(٢)].

بيَّن ــ سبحانه ــ أن المشركين سألوه إنزال كتاب وأن[(٣)] أهل الكتاب سألوه ذلك، وبيَّن ــ سبحانه ــ أن الطائفتين لا تؤمن[(٤)] إذا

---

(١) للمفسرين عدة أقوال في قضية الشبه، وقد جاء عن ابن عباس ــ بإسناد صحيح إليه ــ كما يقول ابن كثير ــ أن عيسى طلب من أصحابه أن يستعد أحدهم لإلقاء شبهه عليه، فتطوع لذلك أحدثهم سناً، فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه. ويرى ابن جرير أن الشبه ألقي على أصحابه جميعاً، وأما الرازي فقد استبعد إلقاء الشبه بهذه الصورة، وفسرها بأن اليهود لما لم يجدوا المسيح أخذوا رجلاً وقتلوه وصلبوه مكان المسيح تمويهاً على العامة، ولم يكتشف الناس ذلك، نظراً لقلة معرفتهم بالمسيح، لندرة اختلاطه بالناس، فهو بذلك يسند التشبيه إلى اليهود. هذا وأنني لا أرى موجباً للجزم بهذا الرأي أو ذاك، ما دام أن القرآن لم يصرح في هذه القضية بشيء، وأصح ما فيها من الآثار هو ما يثبت موقوفاً على ابن عباس. ويكفي أن يتفق العلماء على إدانة اليهود بمحاولة قتله ــ عليه السلام ــ وصلبه.
انظر: جامع البيان ٦/١٥ ــ ١٦؛ والتفسير الكبير ١١/١٠٢؛ وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٠٠ ــ ٤٠٣.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٥٣ ــ ١٦١.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ.
﴿. . . وأكلهم أموال الناس بالباطل، واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾.

(٣) سقطت (أن) من ط.

(٤) في ط (يؤمنون).

جاءهم[1] ذلك، وإنما سألوه تعنتاً، فقال ــ عن المشركين ــ :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك، وهو رؤية الله جهرة، فقال:

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ[3] ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ[4] وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[5].

فهم[6] مع هذا نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حق، إلى أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات أحلت لهم، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: أن هذه الأمة المكذبة بك، الذين لا يهتدون

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ سقطت (جاءهم) وهو سقط واضح.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٧.
(٣) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله (وأنهم عبدوا العجل كما قال)، وفي ط (لما قال).
(٤) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله: (وأن الله آتى موسى سلطاناً مبيناً، ورفع الطور فوقهم، وقال لهم لا تعدوا في السبت وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً، كما قال).
(٥) سورة النساء: الآية ١٥٣.
(٦) في ك و ط (وإنهم).

إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها، لم يك[1] في مجيئها منفعة لهم، بل فيها ما يوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها[2]، وتغليظ الأمر عليهم، فكان أن لا يَنْزِل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض الله على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يهلك قومه لمّا كذبوه فقال: «بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»[3]. كما في الصحيحين عن عائشة، أنها قالت للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلَال[4]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك،

---

(١) في ط (بك).
(٢) في ط زيادة (وبك).
(٣) هذا الحديث أخذه الشيخ بالمعنى من حديث ابن عباس السابق ٤٣٢/٦. ومن الحديث الذي بعد هذا. وهو حديث عائشة.
(٤) في ط (عبد كلاب).
ابن عبد ياليل: اسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه، وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال: اسم ابن عبد ياليل: مسعود، وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف...، وذكر موسى بن عقبة في المغازي... أنهم إخوة: عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو.
انظر: الفتح ٣١٥/٦.

وقد بعث إليك مَلَك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، وقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعثني إليك، لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]؟ فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئاً» أخرجاه[2].

و[3]لمَّا طُلِب من المسيح المائدة، كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه أحداً من العالَمين. قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب

---

(١) في ط زيادة (فعلت).
الأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله، وكأنه قعيقعان، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة.
انظر: الفتح ٦/٣١٦.

(٢) أخرجه البخاري، بنحوه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. . . ، ٦/٣١٢ ــ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من أذى المشركين والمنافقين ٤/١٤٢٠ ــ ١٤٢١ (١٧٩٥).

(٣) في ك و ط زيادة (لهذا).

(٤) سورة المائدة: الآيات ١١٢ ــ ١١٥.

الاستئصال، عذاباً عاجلاً يهلك الله به جميع المكذبين، كما أهلك قوم نوح، وكما أهلك عاداً وثمود، وأهل مدين، وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لمّا أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال، بل قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

بل كان[2] بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يُعَذب بعضهم، ويبقى بعضهم، إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر. ولهذا لم يزل[3] في الأرض أمة من بني أسرائيل باقية. قال ـ تعالى ـ لما ذكر بني إسرائيل ـ :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4].

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة القصص: الآية ٤٣.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿**بصائر الناس**﴾.
(٢) في أ (كانوا).
(٣) في ك و ط (تزل).
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.
(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣ ـ ١١٤.

وكان[1] من حكمته ورحمته ـ سبحانه وتعالى ـ لمّا أرسل محمداً أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال، كما أُهلكت الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم[2] بأنواع العذاب، كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب، كالمستهزئين الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

فعذَّب الله[4] كل واحد بعذاب معروف. وكالذي دعا عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يسلط عليه كلباً من كلابه[5] فكان يحترس بقومه، فجاءه الأسد وأخذه من بينهم[6] فقتله، وأمثال ذلك وقد تقدَّم ذلك[7].

وقال ـ تعالى ـ[8]:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا . . . ﴾[9].

---

(١) في ك و ط (فكان).

(٢) في ك و ط زيادة (بدون ذلك من).

(٣) سورة الحجر: الآيتان ٩٥ ـ ٩٦.

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ط.

(٥) في ك و ط فقال فيه: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

(٦) في ك و ط (فجاء الأسد، فتخطى الحلقة، حتى أخذه من وسطها فقتله).

(٧) في ك و ط زيادة (وأمثال ذلك، مما هو موجود إلى زماننا هذا) ولم ترد فيها جملة (وقد تقدم ذلك).
تقدَّم ذلك الخبر وتخريجه ٦/ ٢٩١.

(٨) في ك و ط زيادة (للكفار).

(٩) سورة التوبة: الآية ٥٢.

فأخبر أنه يعذب الكفار تارة[1] بأيدي عباده المؤمنين، بالجهاد، وإقامة الحدود. وتارة بعذاب غير ذلك، فكان يعذبهم بمثل هذه الأسباب، مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم، فإنهم لمّا كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادتا[2] وانقطعت المنفعة به عنهم، ولم يبقَ لهم ذرية تؤمن به، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب، ولو بالهزيمة والأسر، وقتل بعضهم، كما عذبوا يوم بدر، فإن في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم ـ مع بقائهم ـ والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها، فلا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها، فإن ذلك مما يدعوها إلى التوبة، كما يقال: من العصمة أن لا تقدر. فكان ما وقع بهم تعجيزاً وزاجراً وداعياً إلى التوبة. ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك، لم[3] يقتل منهم إلا قليل، وهم صناديد[4] الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة. كما روى أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال عن أبي جهل: «هذا فرعون هذه الأمة»[5]. وقد ذكر الله لموسى في التوراة: «إني أقسي قلب فرعون، فلا يؤمن بك لتظهر[6] آياتي وعجائبي».

---

(١) في ك و ط زيادة (بعذاب من عنده، وتارة).

(٢) في ك و ط (لبادوا).

(٣) في ط (ولم).

(٤) مفرده: صنديد، بوزن قنديل: السيد الشجاع. انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٠.

(٥) هذا جزء من حديث رواه أحمد والطبراني، أوردهما الهيثمي في المجمع ٦/٧٩ وقال: «رواه أحمد، وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة».

(٦) في ك و ط (لأظهر).

بَيَّن أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته، الدالة على صدق أنبيائه في الأرض، إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له، وبكتابة التوراة له، فأظهر الله من الآيات ما يبقي ذكرها في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون، ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين، وفرعون كان جاحداً[1] للصانع، منكراً لربوبيته، لا يقر به، فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله.

وأما بنو إسرائيل مع المسيح، فكانوا مقرين بالكتاب الأول، فلم يحتاجوا إلى مثل ما أحتاج إليه موسى. ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة، إذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثَبّت ذلك، وقومه كانوا مقرين بالصانع، وإنما كانت الحاجة داعية إلى تثبيت نبوته. ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم.

ومع هذا [3] فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل، كما استحقه قوم فرعون، وهود، وصالح، وشعيب وغيرهم. فلهذا يبين الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم[4]، إذ كانوا لا يؤمنون بها، ولكن تضرهم، إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذٍ، ومع وجود المانع، وعدم المقتضي، لا يصلح الفعل، على قول الجمهور القائلين بالحكمة، ومن لم يعلل

---

(١) في أ (جاحد).

(٢) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ ولا ك.

(٣) كان الأولى بالشيخ المؤلف أن يغير هذا اللفظ، أو يضيف كلمة ـ أيضاً ـ هنا كاعتذار عن التكرار، علماً بأن النسخ قد اتفقت على ورود هذه العبارة بهذه الصورة.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (ينعفهم).

فلا يطلب سبباً ولا حكمة[1]، بل يرد الأمر إلى محض المشيئة.

قال ـ تعالى ـ[2]:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ . . .﴾[3].

وهو يعلم أن قلوب هؤلاء، كقلوب أولئك الأولين، فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك، كقوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وغيرهم.

قال ـ تعالى ـ:

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب:

﴿. . . يُضَٰهِـُٔونَ[6] قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ . . .﴾[7].

---

(١) في ك و ط زيادة (أو يطلب سبباً بلا حكمة).

(٢) ليس في أ جملة (قال ـ تعالى ـ).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٤) سورة الذاريات: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٨.

(٦) يضاهئون: يشابهون.

انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٣١.

(٦) سورة التوبة: الآية ٣٠.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ [1] ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[2].

ذكر هذا في سورة (اقتربت)، التي ذكر فيها انشقاق القمر، وإعراضهم عن الآيات، وقولهم: هذا سحر مستمر، وتكذيبهم واتباعهم[3] أهواءهم، فقال ــ تعالى ــ :

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾.

ثم قال:

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[4].

أي من أنباء الغيب وما أخبر به، ما فيه، مزدجر: أي ما يزجرهم عن الكفر، إذ كان في تلك الإنباءات[5] بيان صدق الرسول، والإنذار لمن كذبه بالعذاب، كما عُذب المتقدمون[6]. ولهذا يقول عقيب

---

(١) الزبر، الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٢٩٠.

(٢) أدهى وأمر: أي أعظم داهية وأشد مرارة من القتل والأسر.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة القمر: الآيات ٤٣ ــ ٤٦.

(٣) في ك و ط (واتباع).

(٤) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٤.

(٥) كأنها رسمت في أ (الآيات).

(٦) انظر: جامع البيان ٢٧/٨٩؛ والبحر المحيط ٨/١٧٤؛ والكشاف ٤/٣٦.

القصة:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[1].

أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي، و[2]إنذاري بذلك قبل مجيئه[3] يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم[4].

ثم ذكر قصة المكذبين، كنوح، وهود، وصالح، ولوط، إلى قوله:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[5].

فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى، وجميع آيات الأنبياء قبله، وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب، وقدرته ومشيئته، إذ كانوا جاحدين للخالق، منكرين له فكذبوا بآياته كلها.

ثم قال: (أكفاركم) أيتها الأمة التي أُرسل محمد إليها[6]:

﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾.

الذين كذبوا نوحاً، وهوداً، وصالحاً، ولوطاً، وموسى:

﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[7].

---

(١) سورة القمر: الآيات ١٦ و١٨ و ٢١ و ٣٠.
(٢) في ك و ط زيادة (كيف كان).
(٣) في ك و ط (مجيئهم).
(٤) انظر: جامع البيان ٢٧/٩٦ ـ ٩٧.
(٥) سورة القمر: الآيتان ٤١ ـ ٤٢.
(٦) في ك و ط (أرسل فيها محمد).
(٧) سورة القمر: الآيتان ٤٣ ـ ٤٤.

وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم، إما أن يكون لكونكم خيراً منهم، فلا تستحقون مثل ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم، فتكون لكم براءة[1] في الزبر، فتعلمون ذلك بخبره، فإن[2] ما يفعله الله تارة يعلم بخبره، وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله. فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه، أو من هذا الوجه، هذا إن نُظر إلى ما فعل الله الذي لا طاقة للبشر به، وإن نُظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون:

﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[3].

فإنهم أكثر[4] وأقوى[5]. كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا[6] ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾[7].

أي أموالاً ومنظراً[8]، فقال ـ تعالى ـ:

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[9].

---

(١) في ك و ط (البراءة).

(٢) في ك و ط (بأن).

(٣) سورة القمر: الآية ٤٤.

(٤) في ط زيادة (منتصرون).

(٥) في ك و ط زيادة (من محمد وأتباعه).

(٦) أي يقولون: من أحسن مسكناً وأطيب عيشاً، وأكرم منتدى ومجلساً.
انظر: صفوة التفاسير ١٦/٢٢٥.

(٧) سورة مريم: الآيتان ٧٣ ـ ٧٤.

(٨) انظر: جامع البيان ١٦/١١٧ ـ ١١٩. وتفسير القرآن العظيم ٥/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٩) سورة القمر: الآية ٤٥.

أخبـر بهـزيمتهم وهـو بمكـة في قلة من الأتبـاع وضعف منهم، ولا يظن أحد[1] بالعادة المعروفة أن أمره يظهـر ويعلو قبل أن يهـاجر إلى المدينة، وقبل أن يقاتلهم.

وكان كما أخبر، فإنهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الأدبار، وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين. قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2].

وحيث ظهـر الكفار، فـإنما ذاك لـذنوب المسلمين التي أوجبت[3] نقص إيمـانهم، ثم إذا تابـوا بتكميل[4] إيمـانهم نصرهم الله، كمـا قـال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5].

وقـال:

﴿ . . . أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[6].

فـإذا كـان من تمـام الحكمـة والـرحمـة أن لا يهلكهم[7] هـلاك

---

(١) في أ (أحداً) وقد صوبنا من ك و ط.
(٢) سورة الفتح: الآيتان ٢٢ ــ ٢٣.
(٣) في أ (أوجب).
(٤) في ك و ط (فكمل).
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.
(٧) في أ (يهلك).

استئصال[1] كما أهلك المكذبين، وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال، كما أهلكت[2] الأمم قبلهم، كما قال:

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ. . .﴾[3].

كان أن لا يأتي بموجب[4] عذاب الاستئصال، مع إتيانه - سبحانه - بما يقيم الحجة، ويوضح المحجة، أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير، والمنفعة، والهدى، والبيان، والحجة على من كفر، وما امتنع منه دَفَعَ من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يتوبوا، ويؤمنوا، ويهتدوا، وكان[5] في إرسال محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة، والمنن السابغة، ما لم يكن في رسالة رسول غيره[6] - صلوات الله عليهم أجمعين -[7].



(١) في ك و ط (الاستيصال).
(٢) في ط (أهلك).
(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.
(٤) في ك و ط (بما يوجب).
(٥) في ك و ط (فكان).
(٦) في ك و ط (قبله).
(٧) في ك و ط زيادة (والحمد لله رب العالمين)، كما قال - تعالى -: **﴿وما أرسلناك إلَّا رحمة للعالمين﴾** [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

فصـل

كل ما يقال في إثبات النبوة متصل بطبيعة الخبر.

جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر، فإن قول القائل: إني رسول الله إليكم: خبر من الأخبار[1]، وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته إلينا هو بالأخبار. والخبر تارةً يكون مطابقاً لمخبَره، كالصدق المعلوم أنه صدق، وتارة لا يكون مطابقاً لمخبره، كالكذب المعلوم أنه كذب، وغير المطابق مع التعمد: كذب، ومع اعتقاد أنه صدق: إن[2] لم يكن معذوراً، كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ، والمحدث بلا علم: يسمى كاذباً ـ أيضاً ـ، كقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «كذب أبو السنابل[3] بن بَعْكَك»[4]، وقوله لمن قال:

---

(١) انظر: باب الكلام في الأخبار من كتاب المحصول في علم أصول الفقه، الجزء الثاني، القسم الأول ٣٠٥ إلى آخر الكتاب ص ٦٨١ للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ـ ٦٠٦هـ، ت: د. طه العلواني، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٢) سقطت (إن) من ك و ط.

(٣) **أبو السنابل**: هو ابن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار، القرشي، واسمه عمرو، وقيل: حبة، أسلم يوم الفتح، وهومن المؤلفة قلوبهم وسكن الكوفة، قيل: أنه أقام بمكة حتى مات.

انظر: أسد الغابة ٥/١٥٦ ـ ١٥٧؛ وتهذيب التهذيب ١٢/١٢١.

(٤) الحديث بتمامه عن أبي السنابل بلفظ آخر عند أحمد في المسند ٤/٣٠٥ وقد أورده الهيثمي عن عبد الله بن مسعود: أن سبيعة الأسلمية بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها، بعد خمس عشرة ليلة فدخل عليها أبو السنابل فقال: كأنك تحدثين نفسك بالباءة، ما لك ذلك حتى ينقضي أبعد الأجلين. فانطلقت إلى =

بطل عمل عامر بن[1] الأكوع ـ لما قَتَل نفسه خطأ ـ : «كذب من قال ذلك[2]، إنه لجاهد مجاهد»[3].

وقد تكون المطابقة في عناية المتكلم، وقد يكون في إفهام المخاطب، إذا كان اللفظ مطابقاً لما عناه المتكلم، ولم يطابق إفهام المخاطب، فهذا ـ أيضاً ـ قد يسمى كذباً وقد لا يسمى، ومنه المعاريض[4] لكن يباح للحاجة، وإن[5] لم يحصل به المقصود[6]، بل يكون مأموراً بالسكوت عنه إلاّ مع البينة، فقد يسمى كاذباً، لقوله[7] ـ تعالى ـ :

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ

= رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخبرته بما قال أبو السنابل، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «كذب أبو السنابل، إذا أتاك أحد ترضينه فأتي به»، أو قال: «فأتني» فأخبرها أن عدتها قد انقضت». قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، المجمع ٥/٢ ـ ٣ م ٣.

(١) في ط (ابن).

(٢) سقطت (ذلك) من أ.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/٤٦٤ (٤١٩٦) من الفتح، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسيرة، باب غزوة خيبر ٣/١٤٢٧ ـ ١٤٢٩ (١٨٠٢).

(٤) في أ: (المعارض). والصواب بإثبات الياء كما قال الحافظ في الفتح ١/٥٩٤.
المعاريض من الكلام: ما عُرض به ولم يُصرح، وأعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه: كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني، كالرجل تسأله: هل رأيت فلاناً؟ فيكره أن يكذب، وقد رآه فيقول: إن فلاناً ليُرىٰ. والتعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء. انظر: اللسان ٧/١٨٣، مادة عرض.

(٥) في ك و ط زيادة (كان الخبر).

(٦) انظر: الفتح الرباني ١/٥٩٣ ـ ٥٩٤؛ والمغني لابن قدامة ٦/٦٠٨ ـ ٦١٠. وهو عبد الله بن أحمد بن محمد ـ ٦٢٠هـ تصوير مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٧) في ك و ط (كقوله).

﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1].

والمقصود هنا: أن الخبر قد يُعلم أنه صدق، وقد يُعلم أنه كذب، وقد لا يُعلم واحد منهما، والعلم بأنه صدق له معنيان:

أحدهما: أن يعلم أنه مطابق لمخبَره من غير جهة المخبِر[2]، كمن أخبرنا بأمور يُعلم[3] أنها حق بدون خبره.

والثاني: أن يُعلم أن المخبِر به صادق فيه، وقد يجتمع الأمران بأن يُعلم ثبوت ما أخبر به، ويُعلم أنه صادق فيه، وقول محمد: (... إني رسول الله...)[4] هو من هذا الباب، كما سنبينه ــ إن شاء الله ــ . وكذلك كونه كذباً قد يراد به أنه على خلاف مخبَره، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب، وقد يعنى به أن قائله[5] يتعمد الكذب.

ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانها على نوعين: تارة يعلم أن صاحبها تعمد الكذب. وتارة يكون قد غَلِط، والصحابة لم يُعرف فيهم من يتعمد الكذب على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكذلك جمهور التابعين، لم يعرف فيهم من[6] يتعمد الكذب، ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف أنه كان فيها من يتعمد الكذب، بخلاف غيرهم من أهل

(١) سورة النور: الآية ١٣.
(٢) كأنها في أ (للخبر).
(٣) في ك و ط (نعلم).
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٥) في ك و ط (صاحبه).
(٦) في ك و ط زيادة (كان).

الأهواء، كالخوارج، فإنه لم يكن فيهم من يُعرف بالكذب، بل يقال: هم من أصدق الناس حديثاً. والرجل الفاسق المعروف أنه يكذب لا بد أن يَصْدق في بعض الأخبار[1]، فلا يكون في الناس من لا يخبر إلاَّ بكذب. ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ...﴾[2].

وفي القراءة الأخرى:

﴿فَتَثَبَّتُوا﴾[3].

فأمر بالتبين والتثبت إذا أخبر الفاسق بخبر، ولم يأمُر بتكذيبه بمجرد إخباره، لأنه قد يصدق أحياناً.

فلما[4] أمر ـ سبحانه ـ بالتبين والتثبت في خبر الفاسق: دل ذلك على أنه لا يجوز تصديقه بمجرد إخباره، إذ[5] كان فاسقاً، قد[6] يكذب، ولا يجوز ـ أيضاً ـ تكذيبه، قبل أن يُعرف أنه قد كَذَب، وإن كان فاسقاً، لأن الفاسق قد يصدق، وهذا كما قال ـ تعالى ـ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾.

---

(١) في ك و ط (أخباره).

(٢) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٣) وهي قراءة عامة أهل المدينة، وذُكر أنها في مصحف عبد الله (أي ابن مسعود) منقوطة بالثاء.
انظر: جامع البيان ٢٦/١٢٣.

(٤) في ك و ط (ولما).

(٥) في ط (إذا).

(٦) في ط (فقد).

وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا)[1].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا . . .﴾[2].

فأمرهم[3] بالتبين والتثبت في الجهاد، وأن لا يقولوا للمجهول حاله: لست مؤمناً. يبتغون عرض الحياة الدنيا. فيكون إخبارهم عن كونه ليس مؤمناً خبراً بلا دليل، بل لهوى أنفسهم ليأخذوا ماله، وإن كان ذلك في دار الحرب إذا ألقى (السلم)[4]، وفي القراءة الأخرى: (السلام)[5]، فقد يكون مؤمناً يكتم إيمانه، كما كنتم ـ أنتم ـ من قبل مؤمنين تكتمون إيمانكم فإذا ألقى المسلم[6] السلام، فذكر أنه مسالم لكم لا محارب، فتثبتوا وتبينوا[7] لا تقتلوه ولا تأخذوا ماله حتى تكشفوا أمره، هل هو صادق أو كاذب؟[8].

---

(١) لم ترد الجملة الاعتراضية في ط، وفي أ جاءت هكذا (فتبينوا) وهو خطأ نسخي.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٣) في أ (فأمره).

(٤) في ط (السلام).

(٥) في ط (السلم).

قراءة: «السلم» هي قراءة عامة قراء المكيين والمدنيين والكوفيين.

وقراءة: «السلام» هي قراءة بعض الكوفيين والبصريين. والأولى بمعنى الاستسلام والثانية بمعنى التحية.

انظر: جامع البيان ٥/٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٦) في ك و ط (إليكم).

(٧) في ك و ط (فتبينوا وتثبتوا).

(٨) انظر: جامع البيان ٥/٢٢١ ـ ٢٢٢، وما بعدها. وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٣٦ ـ ٣٣٩؛ والبحر المحيط ٣/٣٢٨ ـ ٣٣٠؛ والتفسير الكبير ١١/٣ ـ ٦ م ٦.

وهذا خبر يتضمن دعوى له، فإن المدعي مخبر، والمنكِر مخبر، والشاهد مخبر[1] والمقر مخبر، وكما نهاهم عن تكذيب المدعي بلا علم، نهاهم عن تصديق المنكِر المتهم ورمي[2] البريء بلا حجة، وتبرئته وتزكيته بلا علم، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3].

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عَرَف منه الخبر، فقال:

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾.

---

(١) سقطت (والشاهد مخبر) من ط.

(٢) في ك و ط (الذي يرمي).

(٣) سورة النساء: الآيات ١٠٦ ــ ١١٣.

إلى قوله[1]:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ[2] فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ . . . ﴾[4].

وهـذا نهي عن التكلم[5] بـلا علم، وهـو عـام في جميـع أنـواع الأخبار، وقد[6] يتناول ما أُخْبِر به الإنسـان، وما قـد يعتقده بغيـر الأخبار من الدلائل والآيـات والعلامـات، ليس له أن يتكلم بـلا علم، فلا ينفي شيئاً إلَّا بعلم، ولا يثبتـه إلَّا بعلم. ولهـذا كـان عـامـة العلمـاء على أن

---

(١) في ك و ط وردت الآية الكريمة:
﴿لـولا جاءوا عليـه بأربعـة شهداء، فـإذ لم يأتـوا بالشهـداء، فـأولئـك عنـد الله هم الكاذبون﴾.

(٢) أفضتم فيه: خضتم فيه من أمر عائشة.
انظر: جامع البيان ١٨/٩٧.

(٣) سورة النور: الآيات ١٢ ــ ١٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿. . . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.
أي: لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك، بل تثبت من كل خبر.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٥٩.

(٥) في أ (عني عن المتكلم) وهما خطأن نسخيان.

(٦) في ك و ط (وهو).

النافي للشيء عليه الدليل على ما ينفيه، كما أن المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته. وحُكي عن بعض الناس أنه قال: النافي ليس عليه دليل. وفَرّق بعضهم بين العقليات والشرعيات، فأوجبه في العقليات دون الشرعيات، وهؤلاء[1] اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب، فإن من أثبت شيئاً، فقال له آخر: أنا لا أعلم هذا، ولا أوافقك عليه، ولا أُسَلمه لك حتى تأتي بالدليل: كان هذا مصيباً، ولم يكن على هذا المانع ــ المطالب بالدليل ــ دليل، وإنما الدليل على المثبِت، بخلاف من نفى ما أثبته غيره، فقال له: قولك خطأ، والصواب في نقيض قولك، ولم يكن هذا كذا، فإن هذا عليه الدليل على نفيه، كما على ذلك المثبت الدليل على إثباته، وإذا لم يأت واحد منهما بدليل، كان كلاهما[2] بلا حجة.

ولهذا كان من أثبت شيئاً أو نفاه وطُلب[3] منه الحجة، فلم يأت بها، كان منقطعاً في المناظرة، وإذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة، فأجاب عنها، انقطع المعترض عليه وثبت قول الأول، وإن لم يُجب عن المعارضة انقطع المستدل، إذ[4] كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارِض المقاوِم، ولو أقام دليلاً قطعياً، فعورض بما لا يفيد القطع، كان له أن يقول: ما ذكرتُه يفيد العلم، والعلم لا يعارضه الظن، والبينات لا تعارض بالشبهات، التي هي من جنس كلام (السوفسطائية)[5]، فهو ــ سبحانه ــ نهى عن الكلام بلا علم

---

(١) في أ (وهذا) وهو خطأ نسخي.

(٢) في ك و ط زيادة (متكلماً).

(٣) في ك و ط (طلبت).

(٤) في ط (إذا).

(٥) **السوفسطائية**: هم مبطلوا الحقائق، وهذا الاسم مركب في اليونانية من: سوفيا: =

مطلقاً، وخص الكلام على الله بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(1).

ونهى عن اتباع خطوات الشيطان، وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم: فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(2).

= وهي الحكمة، ومن أسطس: وهي المموهة فمعناه: الحكمة المموهة. فهو بذلك اسم للمهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والإيهام. وهم ثلاثة أصناف: ١ ـ صنف نفى الحقائق جملة. ٢ ـ وصنف شكوا فيها. ٣ ـ وصنف قالوا: «هي حق عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل. وقد ذكر أحمد أمين وزكي نجيب أن مذهبهم يشبه مذهب البرجماتزم الحديث في الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل.

انظر: الفصل في الملل والنحل ٤٣/١ ـ ٤٥ لعلي بن حزم الظاهري ـ ٤٥٦هـ ت: د. محمد نصر ود. عميرة، ط ١ شركة مكتبات عكاظ، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م. وكتاب الصفدية للشيخ المؤلف ٩٧/١ ـ ٩٨ ت: د. محمد رشاد سالم. الرياض ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م. وإحصاء العلوم ٢٤ لمحمد بن محمد الفارابي ـ ١٣٩٩هـ، ت: د. عثمان أمين، ط الخانجي، القاهرة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م. وقصة الفلسفة اليونانية ١٠٧ لأحمد أمين وزكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.
(٢) سورة البقرة: الآيات ١٦٨ ـ ١٧٠.

وكذلك ذمَّ من يجادل ويحاج بلا علم، بقوله ــ تعالى ــ[1] :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[2] .

وقال :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ . . . إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ . . . ﴾[5] .

يتناول خبر كل فاسق ــ وإن كان كافراً ــ لا يجوز تكذيبه إلَّا ببينة، كما لا يجوز تصديقه إلَّا ببينة.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية[6]، ويفسرونها بالعربية[7]، فقال النبي

(١) في ك و ط (كقوله) وليس في أ ولا ك كلمة التقديس.
(٢) سورة الحج: الآية ٨، وسورة لقمان: الآية ٢٠.
(٣) سورة الحج: الآيتان ٣، ٤.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٦.
(٥) سورة الحجرات: الآية ٦.
(٦) في ك و ط (العبرانية).
(٧) في ك و ط زيادة (لأهل الإسلام).

ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ : «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق، فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل، فتصدقوه وقولوا:

﴿ . . . ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة، من إمساك الإنسان عما لا يعلم انتفاؤه وثبوته، هو مأثور عن غيره من الأنبياء، كما جاء عن المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكِلوه إلى عالمه»[2].

وعامة عقلاء بني آدم على هذا، ولهذا لا يجوز أن يُصَدِّق[3] بخبر منقول عن الرسول أو غيره إلاَّ بدلالة تدل على صدقه، ولا يجوز أن يكَذِبه إلاَّ بدلالة تدل على كذبه، وعلى هذا العلم والدين، وقد تكلم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
ورد الحديث في ك و ط هكذا: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿. . . آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم. . . ﴾.
وفي رواية: فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه».
صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، ٨/ ١٧٠ (٤٤٨٥) من الفتح بنحوه.

(٢) هذا الحديث من رواية ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أن عيسى ابن مريم قال: الأمور ثلاثة. . .» وذكره بنحوه، وقد أورده الهيثمي في المجمع ١/ ١٥٧، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون».

(٣) الضمير يعود إلى العاقل، أو الإنسان أو المسلم. . . إلخ.

العلماء وصنفوا كتباً كثيرة في الجرح والتعديل: في الرجال[1]، والأحاديث[2]. فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط، فهذا هو العدل المقبول خبره. ومنهم من يكون صدوقاً لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط، فيقولون في مثل هذا: هو صدوق تُكلم فيه من قبل حفظه. ومنهم من عرف بالكذب. وإذا رَوَى الحديث من هو سيِّىء الحفظ، أو من قد يكذب، لم يحكموا بذلك الحديث، ولم يثبتوه.

ثم تارة يقوم الدليل على كذبه، وتارة يتوقفون فيه، لا يعلمون أصدقٌ هو[3] أم كذب؟، ومثل هذا لا يُعتقد ولا يثبت ولا يحتج به، كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل مرضي أو هو خصم أو متهم ظنين[4]، فهذا إذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه أو خطئه، بل معنى ذلك أنه لا تقوم به حجة، ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه.

والمدعى عليه إذا كان صحاب يد أو ذمته بريئة، فهو[5] حجة ترجح جانبه، وقد ضم إليها الشارع[6] اليمين، كما في صحيح

---

(١) **مثل كتاب**: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ــ ٣٢٧هـ وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٧١هـ، ومثل كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ٢٤١هـ طبع طلعت ييكيت، أنقرة. تركيا، سنة ١٩٦٣م، وكتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي ــ ٤٧٨هـ، ت: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

(٢) مثل كتاب العلل لابن أبي حاتم، وكتاب العلل للدارقطني.

(٣) سقطت (هو) من ط.

(٤) ظنين: تَصَوُّر اتهاماته وأقواله عن ظن وليس عن معرفة وعلم.

(٥) في ك و ط (فمعه).

(٦) **الشارع**: هو الذي أنزل الشريعة أو الذي أُرسل بتبليغها، وهو الله ــ عز وجل ــ أو رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: اللسان ١٧٦/٨، مادة شرع.

البخاري، عن ابن عباس، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه»[1]، فإذا لم يكن مع المدعي إلَّا مجرد دعواه فجانب المنكِر أقوى من جانبه، لأن معه: أن الأصل في الأيدي: أنها محقة، والأصل: براءة الذمة، ولكن قد يكون المدعي صادقاً ولا يكون له حجة، وهذا كثير جداً، فلا يدفع بمجرد الأصل، بل يحلف المنكر، فيكون يمينه مع الأصل حجة، فيكون إنكار هذا مقابلاً لدعوى هذا، كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا، وترجح[2] المنكر بالأصل، فيبقى على ما كان، لا يسلم بحجة للمدعي ما ادعاه بمجرد دعواه، ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه، لأنه لم يأت بحجة تدفعه، فإذا حلف المنكر، كانت يمينه حجة، فصلت الخصومة، وقطعت الدعوى.

وإذا لم يأتِ المنكِر باليمين، بل نَكَل[3] عنها، ولا أتى المدعي بحجة: وُقِّف للأمر[4] عند أكثر العلماء. وعند بعضهم: يقضى على المنكِر بالنكول، فيجعل نكوله إما بدلاً لما طلب وإما إقراراً به. والأكثرون يقولون: بل ترد[5] اليمين على المدعي الطالب، الذي يقول: إنه يعلم

---

(١) رواه البخاري بنحوه، وله قصة، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: «إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم». ٨/٢١٣ (٤٥٥٢) من الفتح. ورواه مسلم وفيه: (ناس) بدل (رجال) و(رجال) بدل (قوم) كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، ٣/١٣٣٦ (١٧١١).

(٢) في ك (يرجح) بالياء في أوله وفي ط (رجح).

(٣) نكل: ينكل: جبن.
انظر: اللسان ١١/٦٧٧، مادة نكل.

(٤) في ك و ط (الأمر).

(٥) في ك و ط (يرد).

صدق نفسه فيما ادعاه، وأنه عالم بما ادعاه، فيقال له: احلف وخذ. فإن حلف أخذ، وإلاَّ دُفِعا[1]. ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوي. ومنهم من يحكم بالنكول، وإن[2] كان المنكر يقول: لا أعلم ما ادعى به[3]. وكل من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة.

والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل، وهو أظهر الأقاويل، وهو أنه إن كان المنكر هو العالم دون المدعي، كما إذا ظهر في المبيع عيب، وقد بِيْع بالبراءة[4]، فقال المشتري: أنا لم أعلم به. فإنه هنا يقال له ــ كما قال عثمان بن عفان لابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ: «احلف أنك بعته، وما به داء تعلمه»[5]، فإن حلف وإلاَّ قضي عليه بالنكول، كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول[6].

---

(١) في ط (دفع).

(٢) في ك (فإن) وفي ط (إن).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٩/٢٧١ ــ ٣٢٨ والكافي في فقه أهل المدينة المالكي ٢/٩٢١ ــ ٩٣٧ ليوسف بن عبد الله بن عبد البر ــ ٤٦٣هـ تحقيق د. محمد وِلْد ماديك، ط ١، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

(٤) البراءة في البيع: كأن يقول البائع: لا أعلم في هذه السلعة عيباً، أو أن يسمي له المشتري عيوباً فيبرأ البائع منها.
انظر: الجوهر النقي لابن التركماني ــ ٧٤٥هـ بذيل سنن البيهقي ٥/٣٢٨ ــ ٣٢٩.

(٥) في ك و ط (ذا يعلمه).

رواه البيهقي بإسناده عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر باع غلاماً له بثمانمائة درهم، وباعه بالبراءة، فقال الذي ابتاعه لعبد الله بن عمر: بالغلام داء ــ لم يسمه ــ فاختصما إلى عثمان بن عفان، فقال الرجل: باعني عبداً وبه داء لم يسمه لي، فقال عبد الله بن عمر: بعْتُه بالبراءة! فقضى عثمان بن عفان على عبد الله بن عمر باليمين أن يحلف لقد باعه الغلام وما به داء يعلمه، فأبى عبد الله أن يحلف له وارتجع العبد، فباعه عبد الله بن عمر بعد ذلك بألف وخمسمائة. السنن الكبرى ٥/٣٢٨.
ولم يعزه، أما صاحب: منار السبيل فقد عزاه لأحمد، قال الألباني: «صحيح، ولم =

وإن كان المدعي يقول: إنه يعلم ما ادعى به، كمن ادعى على آخر دَيناً أو عيناً[(١)]، فقال: أنا لا أعلم ما ادعيته، احلف وخذ[(٢)]، فإن لم يحلف لم يُعْط شيئاً.

والبينة في الدعاوى عند أكثر العلماء هي: ما يبين الحق ويظهره ويوضحه[(٣)]، كالدليل والآية والعلامة، فمتى ترجح جانب أحدهما حلف، مثل أن يقيم المدعي شاهداً، فإنه يحلف مع شاهده، ويقضى له بشاهد ويمين، كما مضت به سنة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[(٤)] ـ وهذا[(٥)] قول أكثر العلماء. ومنهم من يقول: اليمين دائماً في

= أره في مسند أحمد ولا هو مظنة وجود مثل هذا الأثر فيه فالظاهر أنه في غيره من كتب الإمام». إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨/٢٦٣ (٢٦٤٠) لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١ بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م. وقد أورده ابن قدامة في المغني ٤/١٩٨ وقال: «وهذه القضية اشتهرت فلم تنكر، فكانت إجماعاً».

(٦) في ط زيادة (بناء). وفي جميع النسخ (عليه) وقد شطب عليها في نسخة أكسفورد وهو ما رجحناه.

(١) في ك و ط (عيباً).

(٢) في ك و ط زيادة (فإنه يقال له كما قال عمر بن الخطاب: أنصفك خصمك احلف وخذ).

(٣) في ك و ط (تبين الحق وتظهره وتوضحه).

(٤) فقد روى ابن عباس أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قضى بيمين وشاهد. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد، ٣/١٣٣٧ (١٧١٢) ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد ٣/٣٠٨ (٣٦٠٨). وروى الترمذي في سننه عن أبي هريرة، قال: «قضى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باليمين مع الشاهد الواحد. قال: «وفي الباب عن علي وجابر وابن عباس وسُرَّق... وحديث أبي هريرة حديث حسن غريب». كتاب الأحكام، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد، ٣/٦١٨ (١٣٤٣).

(٥) في ك و ط (وهو).

جانب المدعى عليه، وكذلك لو كان في دعوى القتل لَوَث[1] ولَطْخ[2] وشبهة، وهو[3] علامات ترجح جانب المدعي، فإن أولياء المقتول يحلفون خمسين يميناً، ويقضى لهم بذلك عند أكثر العلماء[4]، كما مضت بذلك السنة[5].

وكذلك في اللعان[6] إذا حلف الزوج، وشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ووكدها بالخامسة، فقد أقام بينة على دعواه، فإن التعنت[7] المرأة وشهدت أربع شهادات، مؤكدة بالخامسة، أنه كاذب،

---

(١) **اللوث**: من التلوث، وهو التلطخ، يقال: لأنه في التراب ولوثه، وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت: إن فلاناً قتلني، أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما، أو تهديد منه له، ونحو ذلك.
انظر: اللسان ٢/١٨٥، مادة لوث.

(٢) هو بمعنى اللوث.
انظر: ترتيب القاموس ٤/١٤٤.

(٣) في ط (وهي).

(٤) وهي مسألة القَسَامة: وهي الأيمان التي يقسم بها أولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم، أو يقسم بها المتهَمون على نفي القتل عنهم، وهي مصدر، يقال: اقسم يقسم قسماً وقسامة: إذا حلف.
انظر: جامع الأصول ١٠/٢٧٩.

(٥) كما جاء من حديث سهل بن حثمة ـ رضي الله عنه ـ، رواه البخاري، كتاب الديات، باب القسامة، ١٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠ (٦٨٩٨) من الفتح ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ٣/١٣٩١ ـ ١٣٩٢ (١٦٦٩).

(٦) **اللعان**: مشتق من اللعن، لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة إن كان كاذباً، وقال القاضي: سمي بذلك لأن الزوجين لا ينفكان من أن يكون أحدهما كاذباً فتحصل اللعنة عليه: وهي الطرد والإبعاد. والأصل فيه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والذين يرمون أزواجهم، ولم يكن لهم شهداء إلَّا أنفسهم**...﴾ [الآيات من سورة النور: ٦ ـ ١٠].
انظر: المغني لابن قدامة ٧/٣٩٠.

(٧) اللام هنا في (التعنت) لام قمرية.

تعارضت البينتان والشهادتان، فلم يحكم بقول واحد منهما، لا يحكم بأنه قاذف، ولا يحكم بأنها زانية. وإن نَكلت فلم تحلف: فأكثر العلماء يقولون: يحكم بأنها زانية، وتعذب على ذلك، كما دل عليه القرآن لأنه اجتمع شهادة الزوج، ونكولها عن المعارضة، كما اجتمع في القسامة العلامة والأيمان[1]، وكما اجتمع الشاهد واليمين، وكما اجتمع في جانب المنكر: الأصل واليمين[2].

فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة، وبسطه له موضع آخر[3].

والمقصود هنا: أن الخبر إن قام دليل على صدقه أو كذبه وإلَّا بقي مما لم يصدقه ولم يكذبه[4]، وأهل العلم بالحديث إذا قالوا: هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح[5] أو ضعيف، أو سيِّىء الحفظ، أو ممن لم تقبل روايته، ونحو ذلك، فهو كقول القائل: هذا الشاهد مجروح، أو سيِّىء الحفظ، أو ممن لا تقبل شهادته، وهذا يفيد أنه لا يحكم به، لا[6] يفيد الحكم بأنه كاذب، بل قد يمكن أنه صادق، فلا يقال: إنه كاذب إلَّا بحجة.

---

(١) في ط (الإيمان) بكسر الهمزة.

(٢) وبه قال مكحول والشعبي ومالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وأبو إسحاق الجوزجاني وابن المنذر.
انظر: المصدر السابق ٧/٤٤٤.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٣٥١ و ٢٠/٣٩٠.

(٤) في ك و ط (نصدقه ولم نكذبه) والضمير في اللفظ الأول راجع إلى الدليل.

(٥) يقال: جَرَح الحاكم الشاهد: إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره، وقد قيل ذلك في غير الحاكم، فقيل: جَرَح الرجل: عض شهادته. وقد استجرح الشاهد، والاستجراح: النقصان والعيب والفساد، وهو منه.
انظر: اللسان ٢/٤٤٢، مادة جرح.
وانظر: تدريب الراوي ١/٣٤٥ ـ ٣٥٠.

(٦) في ك و ط (ولا).

وإن قالوا ـ عن الحديث ـ : إنه ضعيف. فهذا مرادهم، أي أنه لم يثبت، ولا يحتج به، ولا يجوز الحكم بصدقه. ليس مرادهم أنه بمجرد[1] ذلك يحكم بكذب الناقل، وينفي ما نقله، ويقول: إن هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي، بل إن قام دليل على انتفاء ما أخبر به حكمنا بذلك، وإلَّا سكتنا، لم ننفه ولم نثبته. فهذا أصل يجب معرفته، فإن كثيراً من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه، وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته، بل تراهم ما لم يعلموا إثباته، فيكونون قد قَفَوْا[2] ما ليس لهم به علم: وقالوا بأفواههم ما ليس لهم به علم، وهذا كثير من[3]أهل الاستدلال والنظر، وأهل الإسناد والخبر، فمن الأولين طوائف يطلبون الدليل[4] على ثبوت الشيء، فإذا لم يجدوه نفوه، ومعلوم أن عدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، إلَّا إذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك إما بعلم أو ظن غالب، فمن هؤلاء من يقول في صفات الله ما لم يقم دليل قطعي على إثباته، وإلَّا وجب القطع بنفيه، لأن صفات الله لا تثبت إلَّا بالقطع. وخالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع في الإثبات إلَّا بدليل قطعي، فلا يجوز القطع في النفي إلَّا بدليل قطعي على النفي، فلما[5] لم يجز أن نثبت إلَّا بعلم، فلا ننفي[6] إلَّا بعلم.

---

(١) في أ (مجرد) والباء من ك و ط.
(٢) من قفا أثره: أي اتبعه، وبابه عدا وسما.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٧.
(٣) في ك و ط (في).
(٤) سقطت (الدليل) من أ.
(٥) في ك و ط (فكما).
(٦) في ك و ط (يثبت... ينفي).

والنافي عليه الدليل، كما على المثبت الدليل، قال هؤلاء: هذه المسائل مبناها على القطع، فإنه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن، فإذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي. فقيل لهم: هذا حجة عليكم، فإنكم إذا نفيتم ما لم تعلموا نفيه، تكلمتم بالظن، وإذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع، نفياً كان الكلام أو إثباتاً، وليس يعلم في الأدلة الشرعية أو العقلية أن كل ما لم يقم دليل سمعي أو عقلي على إثباته، فإنه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه، بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم.

ومن هنا أخطأ كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب وأحكامه وأفعاله، حيث لم يعلموا دليلاً قطعياً يثبتها فنفوها، وكانت ثابتة في نفس الأمر، وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها، ولو قُدر عدم علم الناس كلهم بها، فللّه علم لم يعلمه العباد، ولله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، لم يعلمها الناس[1]، وليس إذا لم يُعلم[2] ثبوت الصفة يجب أن يُعلم انتفاؤها، بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها، وقد يشك

(١) فقد ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي. إلاّ أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً». فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى!، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها». رواه أحمد في المسند ١/٣٩١ وقد أورده الهيثمي في المجمع ١٠/١٨٦ ـ ١٨٧. وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار، إلاّ أنه قال: «وذهاب غمي» مكان «همي» ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان».

(٢) في أ (نعلم).

في ذلك، فلا يعلم ولا يظن واحد[1] منهما.

والواجب على الإنسان أن يقول ـ لما يعلمه ـ: أعلمه، ولما يظنه: أظنه، ولما يشك فيه: أشك فيه، والله ـ تعالى ـ لم يوجب على الإنسان أن يقطع بانتفاء شيء: إن لم يعلم أنه منتف، فمن قال: «وجب[2] علينا القطع بانتفاء ما لم يقطع[3] بثبوته ولا انتفائه». فقد غلط.

وهذا بخلاف ما يناقض صفات الإثبات، فإن هذا يجب نفيه عن الله. فقد علم بالأدلة القطعية[4]، أن الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص، مثل: إنه حيّ قيّوم، بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأنه غني عن كل ما سواه بكل وجه. فكل من قال قولاً يناقض هذا: عُلم أنه باطل، كالذين قالوا: إن له شريكاً، أو ولداً، أو أنه يشفع عنده الشفعاء بغير إذنه، ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له.

وما كان من الأمور مستلزماً لوازم لو كان موجوداً، فإنه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم، كالأمور التي لو كانت موجودة لوجب أن تنقل نقلاً متواتراً شائعاً، فإنه يستدل[5] بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم، كما لو قال قائل: إنه بُنِيَ بين العراق والشام، أو بين الحجاز

---

(١) في ك و ط (واحداً).
(٢) في ك و ط (أنه أوجب).
(٣) في ك و ط (نقطع).
(٤) في ط (العقلية).
(٥) في ط: (يقول).

والشام مدينة أعظم من بغداد[1]، والموصل وأصبهان[2]، ومصر: دُورها ثلاثة أيام[3]، ونحو ذلك، فإنه يعلم كذبه، فإن هذا مما تتوفر[4] همم الناس على نقله لو كان موجوداً، فإذا لم يستفض هذا وينتشر[5]، علم أن المخبر به كاذب.

وكذا لو ادعى مدعٍ: أنه يوم الجمعة أو العيد قُتل الخطيب، ولم يصل الناس يوم الجمعة، ولم يستفض هذا وينتشر، أو ادعى[6] أنه قُتل بعض ملوك الناس[7]، ولم يستفض هذا ولم ينتشر، أو ادعى أنه بُعث نبي بين المسيح ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[8] ــ أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن أو الإنجيل، واتبعه خلق كثير، وكذبه خلق كثير، فإنه يعلم كذب هذا، إذ مثل هذا لا بد أن يستفيض وينتشر.

وكذلك لو ادعى أن قريشاً أو غيرهم عارضوا القرآن، وجاؤا[9] بكتابٍ يماثل القرآن، وأنهم أظهروا ذلك وأبطلوا به حجة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فهذا مما يقطع بكذبه، لأن مثل ذلك ــ لو وقع ــ لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، وكذلك لو ادعى

---

(١) أصل اسمها من (باغ) ومعناها بستان. و(داد) اسم رجل، وقد بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ على نهر دجلة والفرات. قريباً من الكوفة بالعراق. وهي الآن عاصمة الجمهورية العراقية. انظر: معجم البلدان ١/٤٥٦ ــ ٤٦٧.

(٢) **أصبهان**: سميت بأَصبَهان بن فَلُّوج بن سام بن نوح ــ عليه السلام ــ وقد كانت مدينة عظيمة مشهورة وهي في أرض فارس، ويسمى الإقليم التي هي فيه باسمها، فتحها عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ.
انظر: معجم البلدان ١/٢٠٦ ــ ٢١٠.

(٣) في ط (وأنه بني دورها في ثلاثة أيام) والظاهر أنه تصرف من الطابع.
أي مسيرة ثلاثة أيام (١٥٠ كلم) تقريباً.

(٤) في أ (توفر).

(٥) في أ (فينتشر).

(٦) في أ (وادعى).

(٧) في ك و ط (بعض الملوك علانية بين الناس).

(٨) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٩) رسمت في أ (جاوو).

أن محمداً أمر بِحَجِ بَيْتٍ[1] غير البيت العتيق، أو أوجب صوم شهرٍ غير شهر رمضان، أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى، أو أمر بالأذان والإقامة لغير الصلوات الخمس، أو أنه قال ـ علانية بين الناس لأبي بكر، أو العباس، أو علي[2]، أو غيرهم ـ : هذا هو الخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، أو أن علياً دعا إلى نفسه في خلافة الثلاثة، وأمثال هذه الأمور التي لو وقعت، لكان لها لوازم، يستدل[3] بانتفاء اللازم على انتفاء الملزم، ثم هذه اللوازم منها جلي، ومنها خفي: يعرفه الخاصة.

فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب أحاديث، لا يَقْطع غيرهم بكذبها. لعلمهم بلوازم تلك الأحاديث، وانتفاء لوازمها[4]، كما يقطع من يعلم مغازي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه لم يقاتل في غزوة تبوك، وأن غزوات القتال إنما كانت تسعة مغازي، وأنه لم يغز بنفسه إلى اليمن، ولا العراق، ولا جاوز تبوك بعد النبوة، وأنه لم يحج بعد الهجرة إلَّا[5] حجة الوداع، ولم يصم إلَّا تسع رمضانات.

وهكذا يعلمون أن فلاناً أخطأ في هذا الحديث على فلان، لأنهم قد علموا من وجوهٍ ثابتةٍ، أن ذلك الحديث إنما رواه على صورة معينة، فإذا روى غير الثقة ما يناقض ذلك، علموا بطلان ذلك، وأنه أخطأ أو تعمَّد الكذب، مثل ما يعلمون كذب من زاد في قول النبي

---

(١) سقطت (بيت) من ط.

(٢) في ك و ط (للعباس أو لعلي).

(٣) في ك و ط (فيستدل).

(٤) أي ولعلمهم ـ أيضاً ـ بانتفاء تلك اللوازم.

(٥) في ط (لا).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا سبق[1] إلاَّ في خُف[2]، أو حافر، أو نَصْل»[3] فزاد بعض الناس فيه (أو جَنَاح)، لما رأى بعض الأمراء عنده حمام[4]، فعلموا أنه كذب تقرباً إلى ذلك الأمير[5].

وكما يعلمون كذب من روى أن مسيلمة وقومه كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإنما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوا[6] الزكاة، فإنهم قد علموا بالتواتر أن مسيلمة ادعى النبوة، واتبعه قومه على ذلك، وأنه كتب إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حياته يقول: «من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله» فكتب إليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب»[7] ويعلمون أنه

---

(١) السبق: بسكون الباء. مصدر سبقتُ اسبِق سبقاً، وبفتحها: الجُعْل (المبلغ المادي) الذي يقع السباق عليه. والرواية الصحيحة: بفتح الباء، والمعنى: أن الجعل والعطاء لا يستحق إلاَّ في سباق هذه الأشياء.
انظر: جامع الأصول ٥/٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الخف: كناية عن الإبل، والحافر، عن الخيل، والنصل: عن السهم، وذلك بتقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي ذو خف، وذو حافر، وذو نصل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السبق ٣/٢٩ (٢٥٧٤)؛ والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرهان والسبق ٤/٢٠٥ (١٧٠٠) وقال: «هذا حديث حسن»؛ والنسائي، كتاب الخيل، باب السبق ٦/٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ وابن ماجه، أبواب الجهاد، باب السبق والرهان ٢/١٥١ (٢٩٠٨)؛ وأحمد في المسند ٢/٤٢٥.

(٤) في ط (حماماً).

(٥) زيادة: (أو جناح) من وضع إبراهيم بن غياث النخعي، أبو عبد الرحمن، يعد في الكوفيين، وقد زاد هذه الزيادة تزلفاً للمهدي، ولما قام، قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب.
انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٥٠٥هـ ١/٤٢، ط ١، الدار السلفية، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ، واللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/٤٧٠؛ وميزان الاعتدال ٣/٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ ولسان الميزان ٤/٤٢٢؛ وتاريخ بغداد ١٢/٣٢٣ ـ ٣٢٧.

(٦) في ك و ط (يعطوه).

(٧) وقد كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع =

كان له مخاريق[1]، وأنه ظهر كذبه من وجوه متعددة، وأن أبا بكر[2] الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة، وقاتلوا قومه على ردتهم عن الإسلام، واتباعهم نبياً[3] كاذباً، لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة لأبي بكر[4].

وكذلك الأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة في حياة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقُتل في حياته، كل منهما عُرف كذبه،

= عمرو بن أمية الضمري، فكتب إليه مسيلمة جواب كتابه، ويذكر فيه أنه نبي مثله، ويسأله أن يقاسمه الأرض، ويذكر أن قريشاً قوم لا يعدلون، وقد جاء بهذا الكتاب رسولان هما: ثمامة بن أثال وعبد الله بن النَّواحة، ورد عليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بهذا الكتاب، الذي ذكر طرفه الشيخ المؤلف وبقية الكتاب: «... بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى». وبعث به مع السائب بن العوام أخي الزبير بن العوام، ويذكر أنه ـ عليه السلام ـ قال في مسيلمة: «العنوه، لعنه الله!».
انظر: السيرة لابن هشام ٤/٢٤٧؛ وطبقات ابن سعد ١/٢٧٣؛ والمصباح المضيء في كتاب النبي الأمي، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ٢/٢٩٠ ـ ٢٩٢ لمحمد بن علي بن حديدة الأنصاري ـ ٧٨٣هـ، ط ٢، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(١) **مخاريق**: من التخرق: وهو لغة في التخلق من الكذب. ومنه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿... **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه**...﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٠].
انظر: اللسان ١٠/٧٥، مادة خرق.
ومنها قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا. وقوله: والمبديات زرعاً، والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوؤه».
انظر: السيرة لابن هشام ٤/٢٢٣؛ والكامل ٢/٢٤٤.

(٢) في (أبي بكر) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) في ك و ط (متنبياً).

(٤) في ك و ط (إلى أبي بكر).

بتكـذيب النبـي الصـادق والمصـدوق لهمـا، وممــا[1] ظهـر من دلائــل كذبهما، مثـل الأخبار الكـاذبة التي تنـاقض النبوة، ومثـل الإتيان بقـرآن مختلق، يعلم من سمعــه أنـه لم يتكلم الله بــه، وإنمـا هــو[2] تصنيف الآدميين، كما قال أبو بكر الصديق لهم لمّا تـابوا من الـردة، وعادوا إلى الإسلام: «أَسْمِعوني قرآن مسيلمة» فلما أسمعوه إيـاه قال: «ويحكم[3]، أين يـذهب بعقولكم، إن هـذا كلام لم يخـرج من إل» أي لم يخرجٍ من رب[4]. ومثل ما كان يفعله ويأمر به من الفجـور والكذب، ومثـل اطّلاع أخص النـــاس بـه[5] على أنـــه كـان يكـــذب، ويستعين بمن يختلق لـه الكـذب، ومثل أنـه كان يعـدهم بأن جبـريل أخبـره أنه[6] سينصر، فلما حقت[7] الحقــائق، قـال لهم: «إنـــه لا جبـريــل لكم، فقـاتلوا عن[8] أحسابكم»[9] إلى أمثال هذه الأمور التي تدل على كذب الكاذب.

---

(١) في ك و ط (وبما).

(٢) في ك و ط زيادة (من).

(٣) ويح: كلمة رحمة، وويل: كلمة عذاب، وقيل: هما بمعنى واحد.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٣٩.

(٤) أخـرجه ابن جـرير في تـاريخ الأمم والملوك بمعنـاه ٣/٣٠٠؛ وذكـره ابن كثيـر في البـدايـة والنهاية ٦/٣٢٦.
وانظر: في معنى كلمة إل: اللسان ١١/٢٦، مادة ألل. وترتيب القاموس ١/١٧١.

(٥) سقطت (به) من ك و ط.

(٦) في ك و ط (بأنه).

(٧) **حقت**: تحققت. وصار الناس منها على يقين.
انظر: مختار الصحاح ص ١٤٧.

(٨) في ك و ط (على).

(٩) **جمع حسب**: وهو ما يعد من المـآثر، وهـو مصدر: حَسُب، والحسب والكـرم: يكونـان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، والرجل الحسيب: الكريم بنفسه، وأما المجد والشـرف: فلا يوصف بهما الشخص إلاَّ إذا كانا فيه وفي آبائه، والحسب مأخوذ من الحساب، وهو عَـدّ المناقب، لأنهم إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه. =

فالصدق له دلائل مستلزمة[1] له تدل على الصدق. والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب، ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر إلَّا بدليل، وما لم يعلم صدقه، ولا كذبه، ولا ثبوته، ولا انتفاؤه: فإنه يجب الإمساك عنه، ويقول القائل: هذا لم أعلمه، ولم يثبت عندي، ولا أجزم به، ولا أحكم به، ولا[2] أستدل به، ولا أحتج به، ولا أبني عليه مذهبي واعتقادي وعملي، ونحو ذلك. لا يقول: هذا أقطع بكذبه وانتفائه، وإن كنت أقطع أن من أثبته تكلم بلا علم، فالقطع بجهل مثبته، المعتقد له، غير القطع بانتفائه، فمن قطع فيه[3] بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه وإن لم يقطع بانتفاء ما أثبته في نفس الأمر، كمن[4] حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره، فمن حكم وقطع بخبره، من غير دليل يدل عى صدقه، حكمنا بأن هذا متكلم حاكم بلا علم، وإن لم يحكم بكذب الشاهد المخبر، لكن لا يجوز للإنسان أن ينفي علم غيره، وقطع غيره، من غير علم منه بالأسباب التي بها[5] يَعْلم ويُخْبِر، فإنه كثيراً ما يكون للإنسان دلائل كثيرة، تدل على صدق شخص معين، وثبوت أمر معين، وإن كان غيره لا يعرف شيئاً من تلك الدلائل.

وهذا ــ أيضاً ــ مما يغلط فيه كثير من الناس، ينظرون في أنفسهم

= انظر: المصباح المنير ١/١٣٤؛ وتاريخ الأمم والملوك ٣/٢٩٤ بمعناه؛ والكامل ٢/٢٤٦؛ والبداية والنهاية ٦/٣٢٤.

(١) سقطت (له) من ط.

(٢) سقطت (لا) من ط.

(٣) في ك و ط (بشيء).

(٤) في أ (كم) وقد صوبناه من ك و ط.

(٥) في ك و ط (يعلم بها).

ومبلغ علمهم، فإذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العلم بذلك الأمر، جعلوا غيرهم كذلك، من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير، وقد يقيمون حججاً ضعيفة على أنه غيرهم لا يعلم ذلك، مثل ما يفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار، ومن لم يساوهم في نظرهم وأدلتهم وقوة أذهانهم لا يعلم ما علموه، وكثير من الناس يعلم بالأخبار والنقل والاستدلال بذلك أموراً كثيرة، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر[1] وكمال معرفتهم بذلك لا يعلم ما علموه.

فلهذا، كان لأهل النظر العقلي طرق لا يعرفها أهل الأخبار. ولأهل الأخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد[2] العقول، ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته، والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لا يعرفها أهل الحديث والأخبار[3]، وعند هؤلاء من الأحاديث المتواترة عندهم، والآيات[4] المستفيضة عندهم، ما يعلمون بها صدق الرسول، وإن كان أولئك لا يعرفونها. بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم منها طريق أو طرق لا يعلمها آخرون، وهم مشتركون في الإقرار بالله وبرسوله، ولكل قوم طرق وأدلة غير طرق الآخرين وأدلتهم.

بل ما تواتر عندهم من أحوال الرسول: قد يكون المخبرون

(١) سقطت (والمخبر) من ط.
(٢) في أ (لا يعرف مجرد).
(٣) في ك و ط (الآثار).
(٤) في ك و ط (والآثار) ـ أيضاً ـ.

لهؤلاء[1]، الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه، غير المخبرين لأولئك، كما كان الصحابة المخبرون لأهل الشام بآيات الرسول، وبالقرآن، وشرائع الإسلام، غير الصحابة المخبرين لأهل العراق، ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء، وإن كان كل من الطائفتين لا يعلم أعيان أولئك الذين أخبروا أولئك.

وهكذا سائر العلوم: قد يكون الذي عَلَّم هؤلاء الفقه أو النظر[2]، أو النحو، أو الطب، غير الذي علم هؤلاء، وإن اشترك الجميع في جنس الفقه، والنظر، والنحو، والطب. وعَلِم ما عَلِمه هؤلاء[3] من الأعيان والأنواع، مع أن طريق هؤلاء ليس طريق أولئك، وإن اشتركوا في النوع.

وعامة ما يعلمه الناس بالحس، هو من هذا الباب، فإن الإنسان يحس بأحوال نفسه: من جوعه، وعطشه، وشبعه، وريه، وحبه، وبغضه، وشهوته، ونفرته، وألمه، ولذته، بل يحس بأعضائه كبطنه، وفرجه، ولا يحس بأحوال غيره، ولكن يشتركان في الجنس العام، فيشتركون في جنس الإحساس بجوعهم وشبعهم، وقد يشتركون في غير ما يحسونه، كاشتراكهم في رؤية الشمس، والقمر والهلال، والكواكب.

وقد غلط في مثل هذا طائفة من المتكلمين في المنطق اليوناني، فزعموا أن العلوم التجريبية، والتواترية، والحدسية، إن جعلوها[4] قسماً

---

(١) سقطت (لهؤلاء) من أ.

(٢) في أ (والنظر).

(٣) أليس من الأولى من جهة الأسلوب أن تستخدم كلمة (أولئك) هنا، حتى لا تتكرر الكلمة بعينها؟ كما هو موجود بالموضع الذي يليه.

(٤) سقطت (إن جعلوها) من ط.

غير التجريبية فإن فيهم[1] من يجعل الحدسية نوعاً من التجريبية، ومنهم من يجعلها جنساً آخر، فزعم هؤلاء أن هذه العلوم مختصة، لا تقوم بها الحجة على من لم يعلمها، دون الحسيات، والوجديات[2] والعقليات. وليس كذلك، بل كما أن هذه تكون مشتركة تارةً، ومختصة أخرى، فكذلك الحسيات، فإن كل أهل[3] زمان ومكان، يعلمون بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان، وأحوال أهله ما لا يشركهم فيه غيرهم. وكذلك الوجديات[4]: فإن من ابتلى بالغرائب في الأمور السياسية والبدنية، يعلم منها ما لا يشركه فيه غيره.

وكذلك العقليات: فإن من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع، فيعلم القدر المشترك الذي هو الحد الأوسط[5]، ويعلم من تَعَلُّقِ الحكم به ما لم يعلمه غيره.

فأجناس العلوم وطرقها منها ما هو مختص، ومنها ما هو مشترك، والمشترك منه ما يشترك فيه جنس بني آدم، ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة، فهذا أصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذا الباب.



---

(١) في ط (وفيهم).

(٢) في ط (الوجدانيات).

(٣) في ك و ط (أهل كل).

(٤) في ط (الوجدانيات).

(٥) **الحد في اللغة**: هو الفاصل بين المحدود وغيره. وفي الإصلاح: هو إما أن يكون بحسب الاسم وهو الحد اللفظي الذي يحتاج إليه في الاستدلال بالكتاب والسنة وكلام كل عالم. وأما بحسب الوصف، وهو تفهيم الحقيقة التي عُرفت صفتها، وهذا يحصل بالرسم والخواص وغير ذلك. والحد الأوسط كالحد المكرر في قياس الشمول مثل قولنا: كل مسكر خمر وكل خمر حرام.
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٩/٢٣٤ و٢٦٣ وصون المنطق والكلام ص ٢٣٥.

فصل

أحوال وشواهد صدق المخبر وكذبه

وإذا كان جنس من يُخْبِر قد يكون كاذباً، وقد يكون صادقاً، فقد علم أنه ليس كل واحد أخبر بخبر يصدق مطلقاً، ولا يكذب مطلقاً، فلم يقل أحد من العقلاء إن كل خبر واحد، أو خبر كل واحد يكون صدقاً، أو يفيد العلم، ولا أنه يكون كذباً بل الناس يعلمون أن خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم أنه صدق، وإن كان خبر واحد، وقد يقوم الدليل على كذبه، فيعلم أنه كذب وإن أخبر به ألوف، إذا كان خبرهم على[1] غير علم منهم بما أخبروا به، أو عن تواطىء منهم على الكذب، مثل: إخبار أهل الاعتقادات الباطلة بالباطل الذي يعتقدونه، وأما إذا أخبروا [2] عن علم منهم بما أخبروا به، فهؤلاء صادقون في نفس الأمر، ويعلم صدقهم تارة بتوافق[3] أخبارهم من غير مواطأة، ولو كانا اثنين، فإن الاثنين إذا أخبرا[4] بخبر طويل، أسنداه إلى علم، وقد علم أنهما لم يتواطآ[5] عليه، ولا هو مما قد[6] يتفق ـ في العادة ـ تماثلهما فيه في الكذب أو الغلط: علم أنه صدق.

---

(١) في ك و ط (عن).
(٢) في ك و ط زيادة (به).
(٣) في ك و ط (بتواتر).
(٤) في أ (أخبروا).
(٥) في ط (يتواطئا).
(٦) سقطت (قد) من ك و ط.

وقد يُعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل، تدل على صدقه، ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن[1] بخبره يعلم بها صدقه. وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه، ودينه، وتحريه الصدق، بحيث يُعلم قطعاً أنه لا يتعمد الكذب، كما يَعْلم علماء أهل الحديث ــ قطعاً[2] ــ أن ابن عمر، وعائشة، وأبا سعيد، وجابر بن عبد الله، وأمثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فضلاً عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأمثالهم، بل يعلمون علماً يقينياً أن الثوري، ومالكاً[3]، وشعبة[4]، ويحيى بن سعيد[5]، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبا زرعة، وأبا داود وأمثالهم لا يتعمدون الكذب في الحديث.

وقد تكون الدلائل صفات في المُخْبَر به مختصة بذلك الخبر، أو بنوعه[6]، يُعلم بها أن ذلك المُخْبِر لا يَكْذِب مثل ذلك الخبر، كحاجب

---

(١) سقطت (تقترن) من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (علماً يقينياً) وجاء بدل «قطعاً» كلمة (قطعياً) في ط.

(٣) في ك و ط (مالك).

(٤) هو شعبة بن الحجاج.

(٥) هناك أكثر من رجل بهذا الاسم في محيط علماء المسلمين الأوائل، ومن المؤكد أن الشيخ ــ رحمه الله ــ يقصد: يحيى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول القطان، الإمام الكبير الحافظ، ولد سنة ١٢٠هـ، سمع من سليمان التيمي وهشام بن عروة والثوري وغيرهم، وسمع منه سفيان وشعبة وأحمد وغيرهم، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة إذا لم يجد النص، مات سنة ١٩٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٩/١٧٥ ــ ١٨٨؛ وتهذيب التهذيب ١١/٢١٦.

(٦) في ك و ط (تنوعه).

الأمير إذا قال بحضرته لعسكره أن الأمير قد أذن لكم في الانصراف، أو أمركم أن تركبوا غداً، أو[1] أمَّر عليكم فلاناً، ونحو ذلك، فإنهم يعلمون أنه لا[2] يتعمد الكذب في مثل هذا، وإن لم يكن بحضرته، فكيف إذا كان بحضرته، وإن كانوا قد يكذبونه في غير هذا[3].

وقد تكون الدلائل: سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر، وإقراره[4] عليه، فإن العادة كما قد تمنع التواطؤ على الكذب، فإنها قد تمنع التواطؤ[5] على الكتمان، وإقرار الكذب، والسكوت عن إنكاره، فما توافرت الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر على كتمانه، كما يمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة، تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، في الحج، أو الجامع، أو العسكر، وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه، ثم لا ينقل ذلك أحد.

وإقرار الكذب والسكوت على رده أعظم امتناعاً في العادة من الكتمان، فإن الإنسان في العادة قد تدعوه نفسه إلى أن يسكت على[6] ما رآه وسمعه، فلا يخبر به. ولا تدعوه نفسه إلى أن يكذب عليه، ويخبر عنه بما يعلم أنه كذب عليه، فيقره ولا ينكره، إذ كانت عادة الناس إلى

---

(١) في ك و ط زيادة (قال: قد).

(٢) في ك و ط (لم).

(٣) في ك زيادة (لا) بخط كبير، وفي الهامش (كذا بخط الشيخ هنا «لا» هـ) ويبدو أنها كانت علامة لبداية كتابة ملغاة. وأن الإلغاء وهم من الناسخ نظراً لتكرر عبارة: (وقد تكون الدلائل. . .) إلخ، عند بداية هذا الإلغاء وما بعد نهايته، والتي سوف يشار إليها في موضعها وهي بمقدار ثلث صفحة من ك.

(٤) في ك (وإقراؤه) وفي ط (وأقروه).

(٥) في أ و ك رسمت (التواطي).

(٦) في ك و ط (عما).

تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم بالإخبار به[1].

وكذلك إذا كُذب في قصة[2]، وبلغ ذلك من شاهدها، فتوفُر الهمم على تكذيب هذا أعظم من توفرها على إخبارهم بما وقع ابتداء[3]، فإذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن إظهارها، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعاً[4].

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره، فإن الإنسان قد يرى حُمرة وجهه، فيميز بين حمرته من الخجل والحياء، وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم، وبين حمرته من الحمام، وبين حمرته من الغضب. وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل، وبين صفرته من الحزن والخوف، وبين صفرته من المرض، فكما أن سَحْنَته[5] ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية، من أمراضه المختلفة، حتى إن الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته، فلا يحتاجون مع ذلك إلى نبض وقارورة[6]. وكذلك[7] تعرف أحواله النفسانية، هل هو فرح مسرور؟ أو محزون مكروب؟ ويعلم هل هو محب صديق، مريد للخير؟

---

(١) في ك و ط (في الإخبار بما رأوه).

(٢) في ك و ط (قضية).

(٣) في ك و ط تقدمت (ابتداء) على جملة (بما وقع).

(٤) في ك زيادة (إلى) بخط كبير بارز مرتفعة عن السطر، وفي الهامش (إلى هنا). وتفسيرها كما أشرت منذ قليل.

(٥) السحنة: الهيئة واللون والحال.
انظر: اللسان ١٣/٢٠٤، مادة سحن.

(٦) القارورة هنا: هي الزجاجة التي يوضع فيها بول المريض، فقد كانت بمثابة المجهر أو المختبر.

(٧) في ك و ط (فكذلك).

أو هو مبغض عدو، مريد للشر؟ كما قيل:

تحدثني العينان ما القلب كاتم[1]

....

والعين تعرف من عيني محدثها

إن كان من حزبها[2] أو من أعاديها[3]

وكما قيل:

....

ولا خير في الشحناء[4] والنظر الشَّزْر[5]

---

(١) هذا شطر بيت من بحر الطويل، وشطره الأخير هو الآتي، وقد عزاه د. محمد رشاد سالم في فهرس درء تعارض العقل والنقل ١١/١٤٧ إلى سويد بن الصامت وقال د. طه العلواني في تحقيقه للمحصول للرازي ج ٢، ق ١/٣٠٦ وذكر من استشهد بهذا البيت ثم قال: «ولم أستطع معرفة الشطر الآخر للبيت ولا قائله».

(٢) في ك و ط (حربها) بالراء المهملة.

(٣) البيت من بحر البسيط، وقد أورده الشيخ المؤلف بدون فصل بينه وبين الشطر من بيت الذي قبله.

(٤) في ك و ط (السحناء) بالسين المهملة.

(٥) هذا هو الشطر الثاني ـ فيما أظن ـ للبيت الذي أورد الشيخ صدره قريباً، وعليه يكون البيت هكذا:

تحدثني العينان ما القلب كاتم ولا خير في الشحناء والنظر الشزر

والنظر الشزر: هو إذا نظر بمؤخر عينه متبغضاً، وهو نظر فيه إعراض كنظر المعادي، وقيل: هو النظر عن يمين وشمال، وليس بمستقيم الطريقة، قال الفراء: «شزرته أشزره شزراً، ونزرته أنزره نزراً: إذا أصبته بالعين».

انظر: معجم مقاييس اللغة، باب الشين والزاء وما ثلثهما ٣/٢٧٠ لأحمد بن فارس بن زكريا ـ ٣٩٥هـ ت: عبد السلام هارون، ط ٢، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، واللسان ٤/٤٠٤، مادة شزر.

ثم إذا تكلم مع ذلك[1]، دل كلامه على أبلغ مما يدل عليه سيما[2] وجهه، كما قال ـ تعالى ـ عن المنافقين ـ : ﴿**ولو نشاء لأريناكهم، فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول . . .**﴾[3] * فأخبر أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن القول *[4] وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة، والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فبين أنه في لحن قوله يُعلم أنه كاذب.

وقال ـ في حق المؤمنين ـ :

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ . . .﴾[5].

وقال ـ في حق الكافر ـ :

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[6].

أي له زنمة من الشر، أي علامة يعرف بها[7].

---

(١) سقطت (مع ذلك) من ك و ط.

(٢) السيما: العلامة.
انظر: الكشاف ٣/٥٣٧.

(٣) **لحن القول**: نحوه وأسلوبه، وقيل: اللحن: هو أن تلحن بكلامك: أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك، كالتعريض والتورية. وقيل للمخطىء: لاحن، لأنه يعدل بالكلام عن الصواب.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : الآية ٣٠.

(٤) ما بين النجمتين سقط من ط.

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٦) سورة القلم: الآية ١٣.

(٧) هذا تفسير ابن عباس وتلميذه سعيد بن جبير كما أخرجه ابن جرير بإسناده عنهما، جامع البيان ٢٩/٢٦، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٩٩؛ كتاب التفسير، وقال: =

وقد روي عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه[1] ــ : «ما أسر أحد سريرة إلَّا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»[2].

وقد بسطنا الكلام على هذه في مسألة[3] الإيمان[4]، وبينا أن[5] ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله وتعظيم، لا بد أن يظهر على الجوارح، وكذلك بالعكس. ولهذا يستدل[6] بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن، كما في الحديث الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إلَّا أن في الجسد مضغة[7] إذا

= «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٢٠ ــ ٢٢١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٥٣ إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والخرائطي في (مساوىء الأخلاق) والحاكم وصححه عن ابن عباس.

(١) لم ترد في ط الجملة الدعائية.

(٢) هذا الأثر ذكره ابن مفلح ولم يعزه إلى مصدر.
انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/١٥٣ لمحمد بن مفلح المقدسي ٧٦٣هـ تصوير ونشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

(٣) رسمت في أ و ك هكذا (مسئلة).

(٤) وهو الكتاب الذي ألفه الشيخ المؤلف باسم (الإيمان) وقد طبع مرات متعددة في دلهي بالهند سنة ١٣١١هـ وفي مصر سنة ١٣٢٥هـ وفي دمشق سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م. وهو يقع في مجلد، وقد قام شيخ الإسلام بالكلام على هذا الأصل الهام من أصول الدين بكلام شاف، أورد فيه كل ما يحتاجه المسلم لمعرفة اعتقاده، وما يكون حجة على المعاند في عناده وكفره، ففيه بيان حقيقة الإيمان وشعبه، والفرق بينه وبين الإسلام والإحسان، وفيه الرد على أهل البدع والضلالات.
انظر: مقدمة طبعة المكتب الإسلامي بدمشق، بقلم زهير الشاويش سنة ١٣٨١هـ.

(٥) سقطت (أن) من ط.

(٦) في ط (استدل).

(٧) **المضغة**: مقدار ما يمضغ في الفم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٢٦.

صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد[1] لهـا سائـر الجسد، ألا وهي القلب»[2]. وكما قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنـه ــ لمن رآه يعبث في الصـلاة: «لو خشـع قلب هذا لخشعت جـوارحه[3]». ومن هذا الباب قوله ــ تعالى ــ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[4].

وقوله:

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[5].

وقوله:

﴿. . . وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً. . .﴾[6].

---

(١) في أ (فسدت).

(٢) رواه البخاري بمعناه، كتاب الإيمان، بـاب فضل من استبـرأ لدينـه، ١/١٢٦ (٥٢) من الفتح. ورواه مسلم بمعناه ــ أيضـاً ــ كتاب المسـاقاة، بـاب أخذ الحـلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ ــ ١٢٢٠ (١٥٩٩).
ورواه أبو داود الطيالسي بنحوه في مسنده ٣/١٠٦ ــ ١٠٧ (٧٨٨).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في (النوادر) مرفوعاً بسند شديـد الضعف، قال الـزين العراقي في شرح الترمـذي: «وإنما يعـرف هذا عن ابن المسيب، وقـد رواه ابن المبارك في (الـزهد) مـوقوفـاً على سعيد بسنـد ضعيف ــ أيضاً ــ». قـال الألباني: «فـالحديث مـوضوع مـرفوعـاً، ضعيف موقـوفاً بـل مقـطوعـاً. ويـروى عن حـذيفـة ــ رضي الله عنه ــ».
انظر: رسالة الخشوع في الصلاة لابن الجوزي ١٧، ت: محمـد عفيفي، ط ١ نشر مكتبة الحرمين بارياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م وسلسلة الأحـاديث الضعيفة ١/١٤٣ ــ ١٤٤ (١١٠).

(٤) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٥) سورة المائدة: الآية ٨١.

(٦) سورة التوبة: الآية ٤٦.

فإن الإرادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد. والسفر في غزوة بعيدة لا يكون[1] إلا بعُدَّة، ومن هذا الباب أن عثمان قال لعمر، لمّا شاوره في المرأة التي أقرت بالزنا ـ : «إني أراها تستهل به استهلال من لا يعرف أنه حرام»[2]. فإنه لما رآها تجهر بما فعلته، وتحكيه من غير اكتراث، تبين له أنها لم تعتقد تحريمه، وأنه يذم وتعاقب عليه، ووافقه عمر، وعلي، وغيرهما على ذلك.

والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه، وبهجة وجهه سِيْما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه، حتى إن الرجل يكون في صغره جميل الوجه، فإذا كان من أهل الفجور مصراً على ذلك، يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أثَّره باطنه وبالعكس.

وقد روى عن ابن عباس أنه قال: «إن للحسنة لنوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، ووهنا في البدن، وبغضة[3] في قلوب الخلق»[4].

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب، لكن يعتقد اعتقادات

---

(١) في ك (تكون) بالتاء المثناة الفوقية.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الشبهات ٨/٢٣٨ وإسناده ــ كما قال الألباني في إرواء الغليل ٧/٣٤٢ (٢٣١٤): «إسناد ضعيف».

(٣) في ط (بغضاً).

(٤) أخرجه أبو نعيم بمعناه عن أنس بن مالك مرفوعاً كما في الحلية ٢/١٦٠ ــ ١٦١، وقال: «غريب لم نكتبه إلاَّ من هذا الوجه، تفرد به عمرو بن أبي قيس». كما أخرجه أبو نعيم ــ نفسه ــ عن الحسن بن صالح موقوفاً، الحلية ٧/٣٣٠.

باطلة كاذبة، في الله أو في رسله، أو في دينه، أو[1] عباده الصالحين، وتكون له زَهادة وعبادة، واجتهاد في ذلك، فيؤثر ذلك الكذب، الذي ظنَّه صدقاً وتوابعه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القَتَرة[2] والسواد ما[3] يناسب حاله، كما قال بعض السلف: «لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان، إن سواد البدعة لفي وجهه».

وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهوراً تاماً، [4]قال ـ تعالى ـ:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى[5] لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ[6] لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[7].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[8].

---

(١) في أ (وعباده) وفي ط (أو في).
(٢) في ط (الفترة) بالفاء.
القترة: جمع قتر، وهو الغبار.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢١.
(٣) في أ (وما يناسب) وعدم العطف أولى.
(٤) في ك و ط زيادة (كما).
(٥) مثوى: مقام ومأوى.
انظر: صفوة التفاسير ٨٦/٢٤.
(٦) بمفازتهم: بسبب سعادتهم وفوزهم بمطلوبهم وهو الجنة.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٧) سورة الزمر: الآيتان ٦٠، ٦١.
(٨) سورة آل عمران: الآيتان ١٠٦، ١٠٧.

قال[1] ابن عباس وغيره: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[2].

والمقصود أن ما في القلوب من قصد الصدق، والمحبة، والبر، ونحو ذلك، قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علماً ضرورياً من أبلغ العلوم الضرورية، وكذلك ما فيها من قصد الكذب، والبغض، والفجور، وغير ذلك. والإنسان يرافق في سفره من لم يره قط إلَّا تلك الساعة، فلا يلبث إذا رآه مدة وسمع كلامه، أن يعرف هل هو مأمون يطمئن إليه، أو ليس كذلك؟ وقد يشتبه عليه[3] في أول الأمر، وربما غَلِط، لكن العادة الغالبة أنه يتبين ذلك بَعْدُ لعامة الناس.

وكذلك الجار يعرف جاره، والمُعَامِل[4] يعرف معامله: ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل، فزكاه آخر، قال: «هل أنت جاره الأدنى، تعرف مساءه وصباحه؟» قال: لا، قال: «هل عاملته في الدرهم والدينار، الذين تمتحن بهما أمانات الناس؟» قال: لا، قال: «هل رافقته في السفر الذي ينكشف[5] فيه أخلاق الناس؟» قال: لا، قال: «فلست

---

(١) في ط (وقال).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٧١ ـ ٧٢ لهبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ـ ٤١٨هـ ت: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض وقد عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وأبي نصر ـ أي السجزي ـ في (الإبانة) والخطيب في (تاريخه) واللالكائي في (السنة) عن ابن عباس، وقال: (الضلالة) بدل (الفرقة) كما عزاه إلى الخطيب في رواية مالك والديلمي عن ابن عمر بنحوه، وقد عزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة عن أبي سعيد الخدري. وذكره ابن كثير في تفسيره ٧٦/٢. ولم أجده عند الطبري، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٣/٢.

(٣) في ك و ط زيادة (ذلك).

(٤) لم تظهر الميم الأولى جيداً في كلمة (المعامل) في أ.

(٥) في ك و ط (تنكشف) بالتاء في أوله.

تعرفه» وروي أنه قال: «لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد»[1]. وذلك أن المنافق قد يُظْهِر الصلاة فمن لم يَخْبُره لا يعرف باطن أمره كما قيل:

ذئب تــراه مصليــاً ... فـإذا مررت بـه ركع
يـدعو وجـل دعـائـه ... مـا للفريسـة لا تقع
وإذا الفريسة خيلت[2] ... ذهب التنسك والورع[3]

فإذا كان كـذلك، فمن نبأه الله واصطفاه للرسالـة، كان قلبـه من أفضل القلوب صدقاً وبراً، ومن افتـرى على الله الكذب، كـان قلبه من شر القلوب كذباً وفجوراً، كما قال عبـد الله بن مسعود: «إن الله نـظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فـوجد قلوب أصحـابه خيـر قلوب

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتـاب آداب القـاضي، بـاب من يـرجـع إليـه في السؤال ١٠/١٢٥. قال الصنعاني: «رواه ابن كثير (ويقصد: ذكره، فابن كثير مؤلف وليس براو) في الإرشاد... قال ابن كثير: «رواه البغوي بإسناد حسن».
انظر: سبل السلام ٤/١٢٩ لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ــ ١١٨٢هـ ط ٢، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م. وقـد راجعت مضان وجـود هذا الأثـر في شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي ــ ٥١٦هـ فلم أجده.

(٢) **خيلت**: تهيأت.
انظر: المصباح المنير ص ١/١٨٦.

(٣) هذه الأبيات من مجزوء الكامل، ولم أصل إلى قائلها، مع طول بحث. وقـد أوردها الشيخ عبد العزيز السلمان في كتابه: من معجزات النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ص ٧١، ط ٨، مطبعة المدينة، الـرياض ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م وجـاء بالبيت الثـالث منها هكذا:
عــجــل بــهــا عــجــل بــهــا ... إن الــفــؤاد قــد انــصــدع
وقد سألته عنها في زيارة له بمنزله بالعلياء بمدينة الرياض فلم نجد لها مصدراً.

العباد، فاتخذهم[1] لصحبة نبيه وإقامة دينه، فما رآه المؤمنون[2] حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون[3] سيئاً، فهو عند الله سيِّىء»[4].

وقال عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مستناً[5] فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد: أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[6].

وإذا كان من أعظم، بل أعظم أهل زمانه صدقاً وبراً، فإنه لا بد أن يظهر على فلتات لسانه، وصفحات وجهه، ما يناسب ذلك، كما أن الكاذب الكافر لا بد أن يظهر على وجهه، وفلتات لسانه ما يناسب ذلك. وهذا يكون تارة حين إخباره بما يخبر به، وتارة موجوداً في غير تلك الحال، فإن الرجل إذا جاء، وقال: إن السلطان، أو الأمير أو الحاكم، أو الشيخ، أو فلاناً أرسلني إليكم بكذا، فإنه قد يقترن بنفس إخباره من كيفيته وحاله ما يُعلم به أنه صادق أو كاذب. وإن كان معروفاً قبل ذلك

---

(١) في ك و ط (فاختارهم).

(٢) في ك و ط (المسلمون).

(٣) في ك و ط (المسلمون).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢١١ (٣٦٠٠) ت: شاكر. وأورده الهيثمي في المجمع ١/١٧٧، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني ـ في الكبير ـ ورجاله موثقون». ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ١/٣٣ (٢٤٦).

(٥) مستناً: سالكاً طريق غيره في الهداية والصلاح.
انظر: اللسان ١٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦، مادة سنن.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٥ عن ابن عمر، وليس فيه: «فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة... إلخ». وهذه الجملة عن ابن مسعود في الحلية ١/١٣٦.

بالصدق أو الكذب، كان ذلك دلالة أخرى، وقد يكون ممن يكذب، ولكن يُعرف أنه صادق في ذلك الخبر، دع من يستمر على خبر واحد بضعاً وعشرين سنة مع أصناف الناس، واختلاف أحوالهم.

ومما ينبغي أن يعلم أن الناس تختلف أحوالهم في المعرفة، والخبرة، والنظر، والاستدلال في جميع المعارف، فقد يتفطن الإنسان لدلالة لا يتفطن لها غيره، وقد يتبين له ما يخفى على غيره، حتى الأنبياء يتفاضلون، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ[1] غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ[2] فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾[3].

والمقصود: أن العلم بصدق الصادق، وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات قد يكون ضرورياً، وقد يكون[4] نظرياً، وهو ليس من الضروريات الكلية الأولية، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، بل من العلم بالأمور المعينة، كالعلم بحمرة الخجل، وصفرة الوَجَل[5]، وعدل العادل، وظلم الظالم، ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علماً ضرورياً، وإذا كان استدلالياً، فالمعرفة[6] بالعلم لا تحصل بمجرد وجود

---

(١) نفشت فيه. رعت فيه ليلاً فأفسدته.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/ ٢٦٩.

(٢) أي: مطلعين على حكم كل منهما عالمين به.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٤) في ك و ط زيادة (كسبياً).

(٥) الوجل: الخوف.
انظر: مختار الصحاح ص ٧١١.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (كالمعرفة) وما أثبتناه أولى.

الدليل في نفسه، بل لا بد من معرفة القلب به، والناس متفاوتـوت[1] في ذلك. والدليل أبداً هو ما استلزم المدلول، فكل ما كان مستلزماً للشيء، كان دليلاً عليه، لكن لا بد من معرفته ومعرفة أنـه مُسْتَلْزِم. ثم إذا حصل العلم صار ضروريـاً، وقد يكـون ضروريـاً بلا واسطة دليل معين، وليس العلم بالمعينات[2] كالعلم بصدق هذا وكذب هـذا، مما يحتـاج فيه إلى القياس الشمولي[3]، فإن ذلك إنما يفيد بتـوسط قضية كليـة، والمعينات قـد لا يحتاج فيهـا إلى ذلك، وإن كـان لا بد فيهـا من خبرة بحـال ذلك المعين.

وإذا كـان القائـل: إني رسول الله: إمـا أن يكون من خيـار الناس وأصدقهم، وأبرهم، وأفضلهم، وإما أن يكون من شرار الناس وأكـذبهم وأفجرهم. والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة، لا تكاد تنضبط، كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا، وكانت المعرفة بـذلك قـد تحصل عند سماع خبر هذا، وخبر هذا، ورؤية وجهه، وسماع كلامـه، وما يلزم ذلـك، ويقتـرن بـه من بهجـة الصـدق، ونـوره، ومن ظلمــة الكـذب، وسواده، وقبحه.

يتبين[4] بذلك أن كثيراً من الناس يحصـل لهم علم ضروري بـأن

(١) في ك و ط (متفاضلون) ورسمـها الناسخ في أ هكذا (متفافاوتون).
(٢) في ك و ط (المغيبات).
(٣) القياس الشمولي: هو انتقال الـذهن من المعين إلى المعنى العام المشتـرك الكلي، المتناولة له ولغيره.
انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/ ١١٩.
(٤) في ك (تبين) وفي ط (فتبين).

هذا النبي صادق، وهذا المتنبي كاذب، بمثل ذلك، من قبل أن يروا خارقاً للعادة[1].

وقول بعض المتكلمين: ما لم يكن خارقاً للعادة، لا[2] اختصاص للنبي به فلا يدل. فيقال له: لفظ (خرق العادة) لفظ مجمل، وإن تعين[3] دعوى النبوة صدقاً وكذباً ليس هو أمراً معتاداً، ولم يقع هذا إلَّا في أفراد من العالم[4]، وهو أقل بكثير من الأخبار بالمغيبات، فإن هذا أكثر في الوجود من دعوى النبوة، إذ كل نبي يخبر بالمغيبات، وليس كل من أخبر بها كان نبياً، وهؤلاء الذين يقولون هذا، يقول أكثرهم أو كثير منهم: إن دعوى النبوة، والتحدي، والمعْجِز مجموعها هو المختص بالنبي. وإلَّا فهم يقولون: إن ما كان معجزة لنبي جاز أن يظهر على يدي ولي، أو ساحر، وإنما يفرق بينهما[5] التحدي وعدم المعارضة، ومنهم من ينكر خرق العادة أن[6] يظهر على يد غير نبي، ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر، إلَّا ببر هذا، وفجور هذا، ومنهم من يَطْرِد[7] ذلك في النبي لا سيما متفلسفة اليونان[8]، فإنهم من أجهل

---

(١) في ك و ط زيادة (منفصلاً عنه).

(٢) في ك و ط (فلا).

(٣) في ك و ط (نفس).

(٤) في ك و ط (العالمين).

(٥) في ك و ط زيادة (دعوى النبوة مع).

(٦) في ك و ط تقدمت (أن) على جملة (خرق العادة).

(٧) من اطرد الأمر: أي تبع بعضه بعضاً وجرى.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٩.

(٨) في ك و ط زيادة (منهم).

الناس بأمر النبوة، إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء، وبما[1] جاؤوا به من الآيات والبراهين والعلم بصفاتهم، وإنما أخذوها من القياس على المنامات، فجوزا فيها مثل ما يجوز على النائم من الأحلام والتخيل، وما يصيب أهل المرة السوداء[2] مما يشبه ذلك.

وهذا هو الموجود في[3] عامة أتباع أرسطو، ولكن متأخروهم كابن سينا ضم إلى ذلك تصرفه في هيولي[4] العالم، لما بلغه من خوارقهم الفعلية، التي لم يكن يعرفها أولئك، إذ كان علم أرسطو هو ما[5] كان يعلمه قومه من اليونان، وهم أمة أولاد يافث[6]، لم يكن

---

(١) في ك و ط (ما).

(٢) وهو مرض سببه إكثار الإنسان من الأغذية السوداوية، كالعدس والدخن ولحم البقر والباذنجان ونحو ذلك، وهو يبتدي بفترة (خمول) في البدن، وشدة عطش وقلة نوم، وإذا لم يُعالح منه أدى ذلك إلى أمراض خطيرة، عسرة البرء، مزمنة، كالجذام والجرب والسكتة والصرع، وعلاماته يبوسة العين وسائر الجسم، وقلة النوم، وكثرة الشراب، وزيادة الوسواس، والفكر والبلغم، وأن يرى في نومه الأهوال والمخاوف والخيالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة، ويهرب من كل أحد، ويرى الأموات، ونحو ذلك.
انظر: تسهيل المنافع، في الطب والحكمة: ٦.

(٣) في أ كتب الناسخ كلمة (كلام) هنا، ثم شطبها.

(٤) الهيولى: تقال عند الفلاسفة على مراتب منها: الهيولى الأولى: وهي غير الصورة. ومنها: ما هي ذوات صور، فهذه منها: صور الأجسام البسائط، ومنها صور الأجسام الآلية، ومنها صور الأجسام السماوية.
انظر: لباب العقول: ٥٥.

(٥) في ك و ط (بما).

(٦) يافث: هو أحد أولاد نوح الثلاثة، وهو أبو الروم، وقيل: أبو الترك والسقالية، =

فيهم ما في أولاد سام(1)، كهود، وصالح، وغيرهما، ثم أولاد إبراهيم الخليل، الذي وعده(2) الله أن يجعل في ذريته النبوة والكتاب، حتى يكون علم النبوة مشهوراً فيهم.

وقد جعل الله ـ تعالى ـ من زمن الخليل في ذريته النبوة والكتاب، كما أخبر بذلك في القرآن، وهم(3) لم يكونوا من ذريته، ولا كانوا خبيرين بأحوال ذريته، وقد ذكر طائفة منهم، كمحمد بن يوسف العامري(4)، وصاعد بن صاعد(5) الأندلسي(6)، أن أساطينهم خمسة

= ويأجوج ومأجوج، وهو يافث بن نوح بن لامك بن فتشولخ ابن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن فينق بن أنوش بن شبث بن آدم أبي البشر ـ عليه السلام ـ.

انظر البداية والنهاية: ١: ١٠٠ و ١١٥.

(١) سام: ويقال: ساما، ابن نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ قيل: إنه ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقد أوصى إليه أبوه نوح عند موته، لأنه أكبر أولاده، وهو أبو العرب وفارس والروم، وامرأته (صلب) ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وولدت له أربعة أولاد، وعمِّر ٦٠٠ سنة.

انظر: الكامل ١: ٤١ ـ ٥٢ و ٤٤ و ٤٦.

(٢) في ك و ط (وعده) بالهاء في آخره.

(٣) في ك و ط زيادة (يعني الفلاسفة).

(٤) العامري: هو النيسابوري أبو الحسن، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراسان، أقام بالري واتصل بابن العميد (الوزير الكاتب) فقرأا معاً عدة كتب، له كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام) مطبوع. توفي سنة ٣٨١هـ، الأعلام ٧/١٤٨؛ ومعجم المؤلفين ١٢/١٢٧.

(٥) في ك و ط (عباد).

(٦) الأندلسي: هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد التغلبي، أبو القاسم =

ثم[1] أربعة: ابندقلس[2]، ثم فيثاغورس، ثم سقراط[3]، ثم أفلاطن، قدموا الشام واستفادوا من بني إسرائيل. ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم، بخلاف أرسطو، قالوا: فإنه لم يقدم الشام، وذكر هؤلاء، كمحمد بن يوسف العامري وغيره: أن أول من لُقب بالحكمة: لقمان[4]، وأن ابندقلس استفاد منه، ومن أتباع داود ــ عليه السلام ــ

= مؤرخ بحاث، أصله من قرطبة، ومولده في المرية، وولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي سنة ٤٦٢هـ وكان مولده سنة ٤٢٠هـ له كتاب: طبقات الأمم. مطبوع. انظر: الأعلام ٣/١٨٦؛ ومعجم المؤلفين ٤/٣١٧.

(١) سقطت جملة (خمسة ثم) من ك و ط.

(٢) ولد أبندقلس سنة ٤٩٥ق.م تقريباً، ومات سنة ٤٣٥ق.م، وهو أحد الفلاسفة اليونانيين الكبار، وكان في زمن داود ــ عليه السلام ــ وقد أخذ الحكمة عن لقمان بالشام، ثم انصرف إلى بلاد اليونان، وهناك طائفة من الباطنية تنتهي إلى حكمته وتزعم أن له رموزاً قلما يوقف عليها.
انظر: طبقات الأمم ٢١ لصاعد الأندلسي ــ ٤٦٢هـ نشر لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٢م. وقصة الفلسفة اليونانية ٦٦ وما بعدها. وتاريخ الحكماء للقفطي ١٥.

(٣) **سقراط**: هو ابن سفرنيسفوس الحكيم، ولد سنة ٤٧٠ق.م تقريباً في أثينا، وكان أبوه يصنع التماثيل فاشتغل سقراط مثل أبيه ثم انصرف إلى الحكمة والفلسفة، فأخذ من أنكسفوراس وأرخيابوس الطبيعي الأدب والأخلاق، واقتصر من الحكمة على الإلهيات فنهى عن الشرك والأوثان، ثم قتله ملوك اليونان بالسم سنة ٣٩٩ق.م.
انظر: الملل والنحل ٢/٢٨٩.

(٤) **لقمان**: هو ابن عنقاء بن سدون، ويقال: ابن ثاران، كان نوبياً من أهل أيلة، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة، ويقال: كان قاضياً في زمن داود =

فإنه كان في زمن داود، وإذا كان هذا قول هؤلاء النظار وأهل[1] الكلام والفلسفة، فمجرد خارق العادة ـ عندهم ـ ليس وحده مستلزماً للنبوة، حتى يكون وحده دليلاً، بل لا بد أن ينضم إلى ذلك التحدي وعدم المعارضة.

ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم، كأبي الحسن وأتباعه، هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب؟ فقيل: لا يجوز، لأنه عَلَم النبوة، فيمتنع أن يتخلف عنه مدلوله، كسائر الأدلة. وقيل: بل يجوز، ولكن الله لا يفعله. ثم قيل: لأنه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول، إذ لا طريق[2] إليه إلَّا المعجز ـ عندهم ـ ، وقيل: بل هو مقدور ممكن، ولكن نحن نعلم اضطراراً أنه لا يفعله، مثل كثير مما يمكن في العادة، ونعلم أن الله لا يفعله ـ وجميع من جمع بين القولين ـ وقال: مجموع ما يدل على النبوة ـ وهو الخارق السالم عن المعارض[3] ـ يمتنع أن يكون لغير نبي، بخلاف جنس الخارق. فقيل له: هذا الامتناع إما أن يكون عادياً، وإما أن يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبي، وذلك ممتنع، فإذا[4] كان ممتنعاً لاستلزامه أمراً ممتنعاً، وإذا كان انفلات[5]

= ـ عليه السلام ـ والمشهور عند الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً.
انظر: البداية والنهاية ٢/١٢٣ و ١٢٥.

(١) في ك و ط (من أهل).
(٢) في ك و ط زيادة (لنا).
(٣) في ك و ط زيادة (مع التحدي).
(٤) في ك و ط (فإنما).
(٥) في ك و ط (انقلاب).

العادة ليس عندك ممتنعاً، فلا بد لك من ذلك الجواب، وهو القول: بأنا نعلم ضرورة أن ذلك لم يكن، ثم إذا علمت أن هذا علم ضروري، وأن العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري، كالمثل الذي ضربته في إرسال الملك رسولاً، وقول رسوله: إن كنت صادقاً فغير عادتك بقيامك، ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول، فإن ذلك يوجب العلم الضروري بصدق الرسول.

وقيل لك: المَلِك تعلم[1] عادته، ويعلم أنه فعل ذلك للتصديق، والرب عندك لم يخلق شيئاً لشيء. فقلت: بل يخلق شيئاً مقارناً لشيء، كالعاديات، وهذا منها. فقيل لك: العادات[2] قد تكررت. فقلت: قد نعلم ذلك بلا تكرر. وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية، كدلالة اللفظ على قصد المتكلم. وقلت: قد نعلم قصده اضطراراً من غير سبق مُوَاضَعة[3]، وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت أنه يُعلم بها صدق الرسول ـ وإن كانت حقاً ـ فجمهور الناس يقولون: إنك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا، ويقولون: القول بأنه خلق المعجزة لقصد[4] التصديق، مع القول بأنه لا يخلق شيئاً لأجل شيء تناقضاً[5]. فقلت: لا يشترط في العلم الضروري العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا. فقيل

(١) في ك و ط (نعلم) في هذا الموضع والذي بعده.
(٢) في ك و ط (العاديات).
(٣) من (واضعه في الأمر) أي: وافقه فيه على شيء. انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٧.
(٤) في ك و ط (له قصد).
(٥) سقطت (تناقضاً) من ط.

لـك: هب أنه كـذلك، لكن لا يحصـل العلم الضـروري مع العلم بمـا يناقضه.

والمقصود أن ما يذكره هؤلاء وأمثالهم من النظار، بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومـة أسد[1] منهم وأصـوب فيما ينفـونه، فـإن الإنسان لمـا[2] يثبته أعلم منـه بمـا ينفيـه، وشهـادتـه على الإثبات أقوى من شهادتـه على النفي، وإن كان النفي قد يكون معلوماً، لكن غلط الناس فيما ينفونه ويُكَـذِّبون بـه، أكثر من غلطهم فيمـا يثبتونـه ويُصَدقون به، ولهذا قال ــ تعالى ــ:

﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ . . . ﴾[3].

ولهـذا تجـد من سلك طـريقـاً من الـطرق، إمـا في إثبـات العلم بالصانع، وإما في العلم بالنبوة، أو العلم بالمعاد، أو غير ذلك واحـد[4] يقول: لا طريق إلاَّ هـذا الطريق. يخـطيء في النفي أكثر من خـطئه في الإثبـات، ومنهم هؤلاء، فإنهم قـد ينفـون من العلم والـطرق مـا يعلمـه غيرهم بالاضطرار، ويثبتون ما يقولون أنه معلوم بـالاضطرار، وقـد يكون غيرهم أصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه، بل وفيما يثبتونه.

---

(١) في ك و ط (أشد) بالشين المعجمة.
أسد: من التسديد وهو التوفيق للسَّداد: وهو الصواب والقصد من القول والعمل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٩١.

(٢) في ك و ط (بما).

(٣) سورة يونس: الآية ٣٩.

(٤) في ط (وأي أحد).

ولهذا[1] الذين اتفقوا على أنه لا طريق إلَّا المعجزات، تنوعوا[2] في وجه دلالتها، فيثبت هؤلاء وجهاً يستدلون به، وينفون طريق غيرهم، وبالعكس. فإذا قالوا: ما سوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبي، فلا يدل على نبوته[3]. قيل لهم: الدليل هو الذي يكون مستلزماً للمدلول، يلزم من تحققه تحقق المدلول، ولفظ الخارق للعادة فيه إجمال ــ كما تقدم ــ، وحينئذ فنفس إنباء الله للنبي، واصطفائه لرسالته، وإقداره على التلقي من الملك[4]، هو من خوارق العادات، وذلك من المعجزات التي أعجز الله الخلق أن يفعلوه، وهو مختص بالأنبياء، وهذا الوصف أجل وأعظم قدراً من غيره من الخوارق، والمستلزم لهذا الخارق لا يكون إلَّا خارقاً، وهو الدليل، إذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم، ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم، والمعتاد الذي يوجد بدون النبوة لا يكون دليلاً[5].

وأما ما لا يوجد إلا وجدت النبوة، فهو دليل، فقد تبين أن كل ما يدل على صدق الرسول، وهو[6] خارق للعادة، يكون آية ونبوة على صدقه، وأما ما كان[7] خارقاً[8] للعادة ولا يستلزم النبوة، فليس يكون دليلاً. وقد يكون الشيء معتاداً بدون النبوة، ومع النبوة يكون خرقاً

(١) في ك و ط زيادة (كان).
(٢) في ك (يتنوعوا) وفي ط (يتنوعون).
(٣) في ك و ط (ثبوته) بالثاء المعجمة المثلثة.
(٤) في أ تأخرت جملة: (وإقداره على التلقي من الملك) بعد جملة (هو من خوارق العادات).
(٥) سقطت جملة (لا يكون دليلاً) من أ، وقد أثبتناها من ك و ط.
(٦) في أ (فهو).
(٧) في ك و ط (يكون).
(٨) في أ (خرقاً).

للعادة، بحيث يكون وجوده مع النبوة خرق[1] للعادة، بخلاف وجوده مجرداً عنها[2]، لأن النبوة خرق للعادة، فلا يكون مستلزماً لها إلَّا خارق للعادة.

فقول القائل: لا يعلم[3] صدقه إلَّا بالمعجزة، وهو الخارق للعادة: إن أراد به المعنى العام، وهو ما يستلزم صدقه، بطل تخصيصه ذلك بما يخلقه[4] منفصلاً عنه من الآيات. وإن أراد بذلك نوعاً مخصوصاً، مع اشتراك الجميع في الدلالة، ظهر بطلان نفيه[5].

وأما ما يوجد بدونها، كما يوجد معها، كالأمور التي تكون للصادق في دعوى النبوة، والكاذب فى دعوى النبوة، فهذه لا تدل، وما يظهره الله على يد النبي، من الأنواع التي بها يعرف صدقه، ليس فيها شيء يكون للكاذب.

بل الكاذب لا يكون له من الأدلة[6] إلَّا ما يستلزم كذبه، فكل ما يدل على كذب الكاذب لا يدل على صدق الصادق، وبالعكس، فإن دليل الكذب مستلزم له، ودليل الصدق مستلزم له، وهما ضدان، يمتنع أن يكون مدعي النبوة نبياً صادقاً، ومتنبئاً كاذباً، والضدان لا يجتمعان، فيمتنع أن يكون شيء واحد يدل على الضدين[7].

وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع:

---

(١) في ط (خرقاً).

(٢) سقطت (عنها) من أ.

(٣) في ط (يعلم).

(٤) في جميع النسخ (يخلفه) بالفاء الموحدة، وما أثبتناه من أكسفورد.

(٥) في ك و ط (قوله).

(٦) في ط (الدلالة).

(٧) في ك و ط زيادة (فتبين أن دليل الصدق يمتنع أن يدل على الكذب، ودليل الكذب يمتنع أن يدل على الصدق).

منها: أن كثيراً من الناس إذا رأوا الكاذب، وسمعوا كلامه، تبين لهم كذبه، تارة: بعلم ضروري، وتارة: بعلم استدلالي، وتارة: بظن[1] قوي. وكذلك النبي الصادق، إذا رأوه وسمعوا كلامه، فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري، أو نظري، وقد يكون أولاً بظن قوي، ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً، كما في المعلوم[2] بالأخبار المتواترة والتجارب، فإن خبر الأول يفيد نوعاً من الظن، ثم يقوى بخبر الثاني والثالث حتى يصير يقيناً[3].

وهذا الطريق سلكها طوائف من الناس، وممن نبه على ذلك: القاضي عياض. قال القاضي عياض: «إذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمنا[4] من جميل أثره، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمتر في صحة نبوته، وصدق دعوته» قال: «وقد[5] كفى هذا غير واحد في إسلامه، والإيمان به. فروينا عن الترمذي، وابن قانع[6]، وغيرهما بأسانيدهم: أن عبد الله بن سلّام قال: لما قدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت[7] وجهه،

---

(١) في ط (يظن).

(٢) في ك و ط (العلوم).

(٣) في ك و ط (يقينياً).

(٤) سقطت جملة (ما قدمنا) من أ، وهي في متن الشفا.

(٥) سقط (قد) من ك و ط.

(٦) ابن قانع: هو الإمام الحافظ البارع الصدوق ــ إن شاء الله ــ القاضي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي مولاهم، البغدادي، صاحب كتاب معجم الصحابة، ولد سنة ٢٦٥هـ وكان واسع الرحلة كثير الحديث بصيراً به وتوفي سنة ٣٥١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٥٢٦ ــ ٥٢٧؛ ولسان الميزان ٢/٣٨٣ ــ ٣٨٤.

(٧) في ط (رأيت).

عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»[1] رواه غير واحد، كعبد الوهاب الثقفي[2] ومحمد بن جعفر[3]، وابن أبي عدي[4]، ويحيى بن سعيد[5]، عن عوف بن أبي جميلة

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ٤٢، ٤/٦٥٢ (٢٤٨٥) قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، ويحيى بن سعيد، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن زرارة بن أوفى، عن عبد الله بن سلام قال: «لما قدم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المدينة انجفل الناس إليه (ذهبوا إليه مسرعين).

وقيل: قدم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت (وعند ابن ماجه: استبنت) وجه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. . .» الحديث. قال أبو عيسى: «هذا حديث صحيح».

وأخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد ـ نفسه ـ، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل ١/٢٤٢ (١٣٢٨)؛ وأخرجه أحمد في مسنده ٥/٤٥١؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، ٤/١٥٩ ـ ١٦٠ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) **الثقفي**: هو عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت، أبو محمد البصري، ثقة، تغير قبل موته بثلاث سنين، مات سنة ٩٤هـ وله ٨٠ سنة.

انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٤٩؛ وتقريب التهذيب ١/٥٢٨.

(٣) محمد بن جعفر: هو المدني البصري، المعروف بغُنْدَر، ثقة، صحيح الكتاب، إلاَّ أن فيه غفلة. مات سنة ٢٩٣هـ أو ٢٩٤هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٩/٩٦؛ وتقريب التهذيب ٢/١٥١.

(٤) **ابن أبي عدي**: هو محمد بن إبراهيم، أبو عمرو البصري، ثقة مات سنة ٩٤هـ على الصحيح.

انظر: تهذيب التهذيب ٩/١٢؛ وتقريب التهذيب ٢/ ١٤١.

(٥) **يحيى بن سعيد**: هو ابن قيس بن عمرو بن سهل (ويقال يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد، ولا يصح، قاله البخاري) الأنصاري البخاري أبو سعيد المدني القاضي، مات سنة ١٤٣هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ـ ٢٢٤؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٤٩.

الأعــرابـي[1]، عن زرارة بــن[2] أوفى[3]، عن عبـد الله بن سلام، وعن أبـي رمثـة البلوي[4] قـال: «أتيت النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ومعي لي[5] ابن لي، فأريته، فلما رأيته قلت: هذا نبـي الله»[6].

وروى مسلم في صحيحه وغيره، عن ابن عباس، أن ضِماداً قـدم

---

(١) **الأعرابـي**: هو البصري، أبو سهل، الإمام الحـافظ، ولـم يكن أعرابيـاً بل شُهِـر به، ولد سنة ٥٨هـ روى عن أبـي العـالية والعـطاردي وابن سيرين وغيـرهم، وعداده في صغار التابعين، حدث عنه شعبة وابن المبارك وغندر وغيرهم، رمي بالقدر والتشيع، قال الذهبـي: «لكنه ثقة مكثر»، مات سنة ١٤٦هـ.
انـظر: سير أعـلام النبلاء ٦/٣٨٣ ــ ٣٨٤؛ وتهـذيب التهـذيب ٨/١٦٦؛ وتقـريب التهذيب ٢/١٨٩.

(٢) في ك و ط زيادة (أي).

(٣) زرارة **بن أوفى**: هو أبو حاجب العامـري البصري، الإمـام الكبير، قـاضي البصرة، أحـد الأعلام، سمـع عمـران بن حصين وأبـا هـريـرة وابن عبـاس ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ وروى عنـه أيـوب السختيـاني، وقتـادة، وبهـز بن حكيم وآخـرون. قـال الذهبـي: «صح أنه قرأ في صلاة الفجر، فلما قرأ:
﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾. سورة المدثر: الآية: ٨.
خر ميتاً سنة ٩٣هـ.
انـظر: سير أعـلام النبلاء ٤/٥١٥ ــ ٥١٦؛ وتهـذيب التهـذيب ٣/٣٢٢؛ وتقـريب التهذيب ١/٢٥٩.

(٤) **أبـو رمثة البلوي**: لـه صحبة، سكن مصـر ومات بـأفريقيـة، وأمرهم أن يسـووا قبره وحديثه عند أهل مصر.
انظر: أسد الغابة ٥/١١١ (٥٨٨١)؛ والإصابة ٤/٧٠.

(٥) سقطت (لي) الأولى من ك و ط.

(٦) هـذا الحديث ذكـره القاضي عيـاض في الشفا ١/٣٤٣ ولم أعثـر عليـه عنـد غيـره. والظاهر أن الشيخ المؤلف قد نقله عنه بجانب ما سبقه من حديث عبد الله بن سلام.
انظر: الشفا، بتعريف حقوق المصطفى ١/٣٤٢ ــ ٣٤٣.

مكـة، وكان من أزد شنؤة، وكـان يـرقى[1] من هـذه الـريح[2]، فسمـع سفهاء من أهل مكة، يقولون: إن محمداً مجنـون. فقال: لـو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه[3] فقال: يا محمـد، إني أرقي من هـذه الريـح، وإن الله يشفي على يدي من شـاء الله، فهل لـك[4]؟ فقـال رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: «إن الحمـد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي لـه، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـك له، وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله، أما بعد»، فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاث مرات، قال: فقـال: «لقد سمعت قـول الكهنـة، وقول السحـرة، وقـول الشعـراء، فمـا سمعت بمثـل كلمـاتـك هؤلاء، ولقـد بلغن قامـوس البحر، هـات يدك أبـايعـك على الإسـلام، فبـايعه، فقـال رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: «وعلى قـومـك»؟ قال: «وعلى قومي. . .»[5] الحديث.

---

(١) **الرقية**: العوذة، إذا عوذ ونفث في عوذته.
انظر: اللسان ١٤/٣٣٢، مادة رقا.

(٢) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن، وفي غير رواية مسلم: يـرقى من الأرواح: أي الجن، سموا بذلك لأنهم لايبصرهم الناس فهم كالروح والريح.
انظر: شرح النووي لمسلم ٦/١٥٧.

(٣) في ط (فلقيته).

(٤) أي: فهـل لـك رغبـة في رقيتي؟ وهـل تميـل إليهـا؟ تعليق عبـد البـاقي على مسلم ٢/٥٩٣.

(٥) رواه مسلم بمثله، كتاب الجمعة، بـاب تخفيف الصلاة والخـطبة، ٢/٥٩٣ ــ ٥٩٤ (٨٦٨).

وقال جامع بن شداد[1]: «كان منا[2] رجل يقال له طارق[3]، فأخبر أنه رأى النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ بالمدينة، فقال: «هل معكم شيء تبيعونه؟» قلنا: هذا البعير. قال: «بِكَمّ؟» قلنا: بكذا وكذا، وسقا من تمر، فأخذ بخطامه، وسار إلى المدينة، فقلنا: بعنا رجل لا ندري من هو؟ ومعنا ظعينة[4]، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير! رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر، لا[5] يخيس بكم[6]، فأصبحنا فجاء رجل بتمر، فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر، وتكتالوا حتى تستوفوا. ففعلنا»[7].

---

(١) **جامع بن شداد**: هو أبو صخرة المحاربي، الإمام الحجة، أحد علماء الكوفة، حدث عن صفوان بن محرز وحمران بن أبان، وأبي بردة بن أبي موسى وغيرهم، وحدث عنه الأعمش، ومسعر، وشعبة، وغيرهم، مات سنة ١١٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٠٥ ــ ٢٠٦؛ وتهذيب التهذيب ٢/٥٦؛ وتقريب التهذيب ١/١٢٤.

(٢) في ك و ط (فينا).

(٣) **طارق**: هو ابن عبد الله المحاربي، من محارب بن خصفة، له صحبة، روى عنه جامع بن شداد، وربعي بن خراش، له حديثان أو ثلاثة.
انظر: أسد الغابة ٢/٤٥٣؛ وتهذيب التهذيب ٥/٤؛ وتقريب التهذيب ١/٣٧٦.

(٤) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٤.

(٥) في ك و ط (ولا).

(٦) من خاس فلان بوعده: يخيس: إذا أخلف، أو خاس بعهده: إذا غدر ونكث.
انظر: اللسان ٦/٧٥، مادة خيس.

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٨٠ ــ ٣٨١ من طريقين عن جامع بن شداد بنحوه.

وفي خبر الجَلَنْدِي[١] ملك غسان[٢]: لما بلغه رسول[٣] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يدعوه إلى الإسلام، فقال الجلندي: «والله لقد دلني على هذا النبي الأمي، أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِب فلا يبطر[٤]، ويُغْلَب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز بالموعود، وأشهد أنه نبي»[٥].

وقال نفطويه[٦] ــ في قوله تعالى ــ:

---

(١) **الجلندي**: هو جيفر بن الجلندي بن المستكبر بن الحراز بن عبد العزى بن معولة بن عثمان الأزدي العماني، كان رئيس أهل عَمان هو وأخوه عباد بن الجلندي، أسلما على يد عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى ناحية عَمان، ولم يقدما على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر.
انظر: أسد الغابة ١/٣٧١.

(٢) **غسان**: قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان، وهو باليمن، بين زبيد ورمع، فسموا به، والذي شرب منه جفنة والحارث، وهو محرق وثعلبة العنقاء وحارثة ومالك وكعب وعوف بنو عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد.
انظر: اللباب...، ٢/٣٨١ ــ ٣٨٢.

(٣) سقطت (رسول) الأولى من ك و ط، وفي ط (أن).

(٤) البطر: الطغيان بالنعمة. انظر: ترتيب القاموس ١/٢٨٦.

(٥) انظر: الروض الأنف ٤/٢٥٠؛ والمصباح المضيء ٢/٢٥٩.

(٦) **نفطويه**: هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي النحوي الواسطي، له التصانيف الحسان في الآداب، وكان عالماً بارعاً ولد سنة ٢٤٤هـ ولقب نفطويه لدمامته وأدمته (سمرته) تشبيهاً له بالنفط، وهذا اللقب على مثال (سيبويه) لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري على طريقته، ويدرس كتابه، مات سنة ٣٢٣هـ له كتاب غريب القرآن، وكتاب المقنع في النحو؛ وتاريخ الخلفاء، في مجلدين.
انظر: وفيات الأعيان ١/٤٧ ــ ٤٩؛ وسير أعلام النبلاء ١٥/٧٥ ــ ٧٧.

﴿... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ...﴾[1].

هو مثل ضربه الله لنبيه، يقول: يكاد منظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآناً، كما قال ابن رواحة:

لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تنبيك[2] بالخبر[3]

قلت[4]: وإيمان خديجة، وأبو بكر، وغيرهما من السابقين الأولين، كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن، الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه، ونفس كلامه وإخباره: بأني رسول الله، مع ما يعرف من أحواله، مستلزم لصدقه، إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه.

بل خديجة قالت له: «كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ[5]، وتقري الضيف[6]،

---

(١) سورة النور: ص ٣٥.
(٢) في ك و ط (تأتيك).
(٣) ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي، شاعر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: ٩٥، جمع ودراسة وتحقيق د. حسن محمد باجودة، نشر مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٢م.
(٤) في ط (قالت).
القائل هو الشيخ المؤلف ـ نفسه ـ.
(٥) **الكَلّ**: العيال والثَّقَل.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٦.
(٦) أي تحسن إليه.
انظر: اللسان ١٥/١٧٩، مادة: قرا.

وتُكسِب المعـدوم[1]، وتعين على نـوائب الحق»[2]. فكـانت عـارفـة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره، وتلاعب الشيطان به.

وأبو بكر كان من أعقل النـاس وأخيرهم، وكـان معظمـاً في قريش لعلمه، وإحسانـه، وعقله، فلما تبين لـه حالـه، علم علماً ضـرورياً أنـه نبـي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً: علماً وحالاً.

وكذلك (هرقل) ملك النصارى، لما أرسل إليه النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يدعـوه إلى الإسلام، سأل عن عشـرة خصـال، كمـا في الصحيحين عن ابن عباس قال: «حـدثني أبو سفيـان بن حرب، من فيـه إلى فيَّ[3]، قـال: انطلقت في المـدة التي كـانت بيني وبين رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ[4] قال: فبينـا أنا بـالشام إذ جيء بكتـاب من رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إلى هـرقـل، قـال: وكـان دِحْيَـة الكلبـي جـاء به، فـدفعه إلى عـظيم بُصرى، فـدفعه عـظيم بصـرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هل هنـا أحد من قـوم هذا الـرجل، الـذي يزعم أنـه نبـي؟ قالوا: نعم.

---

(١) أي تَكْسِب المال المعدوم، وتصيب منـه ما لا يصيب غيـرك. وكانت العـرب تتمادح بكسب المال. لا سيما قريش. وكان النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ محـظوظـاً في التجارة، وأنك مع ذلك تجود به في وجوه المكرمات.
انظر: الفتح ١/٢٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب بـدء الوحي، بـاب حدثنـا يحيى بن بكير. . .، ١/٢٢ (٣)؛ ومسلم، كتاب الإيمان، بـاب بدء الـوحي إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ١/١٣٩ ـ ١٤٢ (١٦٠).

(٣) من فيه إلى في: أي حديثاً شخصياً مباشراً (ومشافهة).

(٤) في ك و ط زيادة (هدنة).

قال: فدعيت في نفر من قريش: فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه.

فقال[1]: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

قال أبو سفيان: فقلت[2]: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، فدعا بترجمانه، فقال:

قل لهم: إني سائل هذا[3] عن هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبني فكذبوه.

قال: فقال أبو سفيان: وأَيْم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت عليه.

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟

قال: قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل كان من آبائه[4] مَلَك؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: ومن اتبعه؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

---

(١) في ك و ط (قال).

(٢) في ط (قلت).

(٣) سقطت (هذا) من ط.

(٤) في ك و ط زيادة (من).

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا، بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه، بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قال: قلت: يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منا ونصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه على مدة ما ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قال: قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذا الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت: أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك عن أتباعه، أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب، قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليدع

الكذب على الناس، ثم يذهب[1] ويكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، سخطة له[2]؟ فزعمت أن لا. فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة[3] القلوب[4]، وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لها العاقبة، وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

ثم قال[5]: بم يأمركم؟

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة والصلة، والعفاف.

قال: «إن يكن ما تقول فيه حقاً: إنه نبي[6] وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أَخْلُص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدميّ»، ثم دعا

---

(١) سقطت من ط (يذهب و).

(٢) يخرج بهذا من ارتد مكرها، أو لغير سخط لدين الإسلام، بل لرغبة في غيره، كحظ نفساني، كما وقع لعبيد الله بن جحش.
انظر: الفتح الرباني ١/٣٥.

(٣) في ط (خالطت بشاشته).

(٤) أي: شَرْحه القلوب التي دخل فيها.
انظر: الفتح الرباني ١/٣٧.

(٥) في ك و ط (سألتك).

(٦) في ك و ط (لنبي).

بكتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقرأه[1] فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، [2]إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن[3] عليك إثم الأريسيين[4]، و:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[5].

وفي رواية: فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وقال: فهذه[6] صفة نبي»[7].

وما استدل به ملك النصارى ــ هرقل ــ من العلم بصفاته هو

---

(١) سقطت (فقرأه فإذا فيه) من ك وسقطت (فقرأه) من ط وفيها (وإذا فيه).

(٢) في ط زيادة الجملة الدعائية، وهي ليست في محلها.

(٣) في ك و ط (فإنما).

(٤) جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس، على وزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء، والأريس: هو الأكّار أو الفلاح، قال الخطابي: «أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر».
انظر: الفتح الرباني ١/٣٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٦) في ط (فقال هذه).

(٧) رواه البخاري بمثلها، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الناس إلى الإسلام والنبوة، ٦/١٠٩ ــ ١١٠ (٢٨٤١) من الفتح.

استدلال على عينه، فإن الناس في النبوة على درجات: منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوة، فيصدق بجنس الرسل من البشر، لا يكذب بالجنس، كما كذب بذلك من كذب، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم.

ولهذا يقول ـ تعالى ـ:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٢).

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٣).

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٤).

لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد، بل كانوا مكذبين لجنس(٥) الرسل، وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ . . . ﴾(٦).

فاحتج بإنزال كتاب موسى، لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات، الدالة على صدقه، والإنجيل تبع للتوارة، ثم قال:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾(٧).

---

(١) في ك و ط زيادة (به).
(٢) سورة الشعراء: الآية ١٠٥.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٢٣.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٤١.
(٥) في ك و ط (لجميع).
(٦) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

لمَّا قام من الآيات الدالة على نزوله.

ولهذا يَذْكُر ــ سبحانه ــ في السور المكية من تثبيت أمر الرسل، وآياتهم، وبراهينهم[1]، وحسن عاقبتهم، ومن ضلال مخالفيهم، وجهلهم، وغيهم، وخذلانهم، وسوء عاقبتهم، ما فيه عبرة.

ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة، لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم، كالملاحدة وأهل البدع، الذين يعظمون الأنبياء، مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به، لشبهات انعقدت في قلوبهم، ظنّوها علوماً عقلية، وهي مناقضة لما أخبرت به الرسل، فيحتاجون إلى أن يوفقوا بينهما، وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ[2] بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[3].

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن، فقال ــ تعالى ــ:

(١) في ك و ط زيادة (ونصرهم).
(٢) في أ أشار إلى بقية الآية والآية التالية لها بإشارة: (إلى قوله: (بليغاً). وقد رأينا إثبات النص الكريم كما في ك و ط.
(٣) سورة النساء: الآيات ٦٠ ــ ٦٣.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾
وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ (١) أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم
مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ
﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(٣).

وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف:

أهل التخييل(٤): من الملاحدة المتفلسفة، والباطنية الذين يقولون: إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر، ليخيلوا(٥) إلى الجمهور ما ينتفعون به، ويعدون هذا من فضائل الرسل، وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع(٦).

---

(١) أي: ولتميل إليه.
انظر: البحر المحيط ٤/٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام: الآيات ١١٢ ــ ١١٦.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٣١.
(٤) في أ (التخيل).
(٥) في ك (فتتخيلوا) وفي ط (فخيلوا).
(٦) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام، الفتوى الحموية الكبرى ٥/٣١.

وأهل التحريف والتأويل: الذين يؤلون كلامهم على ما يخالف مرادهم، ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنى، مع أنه ليس في كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى، بل كلامهم يدل على إرادة خلافه[1].

وأهل التجهيل: الذين يقولون: ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا غيره، وإنما[2] يعلمه الله وحده، وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل، وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع[3].

وأما من قال: إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه، ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه، كما استأثر بعلم غيب الساعة، فهذا قول السلف والأئمة، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أن الكلام في النبوات تارة في جنسها، وتارة في شخص النبي المعين، و(هرقل) ملك الروم لم يكن محتاجاً إلى الإيمان بجنس النبوات، فإنه كان من أهل الكتاب، وأهل الكتاب يقرون بجنس النبوة، فإنهم يقرون نبوة[4] نوح، والخليل، وموسى، وأنبياء بني إسرائيل، والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والإنجيل.

والذين يحتاجون إلى معرفة النبي المُعَين نوعان:

نوع: عرفوا أنه يبعث نبي، وقد يعرفون بعض نعوته، فيحتاجون أن يعرفوا عينه، و(هرقل) وأمثاله من أهل الكتاب، كانوا من هذا النوع، وكانوا[5] يعلمون أن نبياً سيبعث، وإنما كانت حاجتهم[6] أن يعرفوا:

---

(١) انظر: المصدر السابق ٥/٣٢ ـ ٣٨.

(٢) في ك و ط زيادة (هو). وقد حكت (محيت) من أ. وبقي موضعها بياضاً.

(٣) انظر: المصدر السابق ٥ /٣٤ ـ ٣٥.

(٤) في ك و ط (بنبوة).

(٥) في ك و ط (فكانوا).

(٦) في ك و ط زيادة (إلى).

هل هو هذا النبي المذكور أم[1] غيره؟ فيكون ما يحتاجون إليه من دلائل صدقه أيسر ما[2] يحتاج إليه من لا يؤمن بالرسل، أو لا يعرف أن نبياً سيبعث، ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدري هل يبعث نبي أم[3] لا؟ يحتاج إلى تعلم[4] أن هذا المعين: هل هو من جنس الأنبياء الصادقين، أو من جنس المتنبئين الكاذبين؟ وهذا يُعْرف بما يخصه من آيات صدقه، وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله، فإن أصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، وهي الأمور التي لا تقبل النسخ، كالإخبار عن الله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر. فهذا مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، إذ كان كل ما يخبر به النبي، فهو صدق، والأخبار الصادقة لا تتناقض، ولا تقبل النسخ، ولكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض ذلك من بعض، وفي كلام بعضهم من الأخبار ببعض ذلك ما ليس في كلام بعض.

وما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو أكمل وأكثر مما أخبر به[5] موسى، والمسيح ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض أخبار الأنبياء، كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به، وهذا ممتنع، بل لا بد أن يكون المعارض العقلي[6] خطأ، ليس بمعقول صحيح، أو السمعي لم يثبت عنهم لفظه[7] أو دلالته، وكذلك الأخبار: لا بد أن يكون أحد

---

(١) في ط (أو).

(٢) في ك و ط (مما).

(٣) في ط (أو).

(٤) في ك و ط (أن يعلم).

(٥) سقطت (به) من أ.

(٦) كتبت في أ كذا (العلقي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٧) في أ (لفظه) وقبلها واو مطموسة، وقد أثبتت في ك و ط.

الخبرين كذباً أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر.

وأما الأصول الجامعة، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبر الوالدين، والصدق، والعدل، وتحريم الأجناس الأربعة، وهي: الفواحش: ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق، والإشراك بالله، وأن يقال عليه غير الحق، وذلك مثل ما ذكره في سورة الأنعام، والأعراف، وبني إسرائيل[١].

وقد تنازع الناس في مثل هذا: هل يمكن نسخه، وتنوع الشرائع به[٢]؟ على قولين: فمن جوز أن يأمر الله بكل شيء، وينهى عن كل شيء، رد ذلك إلى محض المشيئة، لا إلى صفات تقتضي الأمر بهذا دون هذا، فإنهم جوزوا دخول النسخ في هذا، وتنوع الشرائع فيه، كما يقوله جهم بن صفوان، والأشعري، ومن وافقه من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وإن كانوا[٣] يقولون: إنه لم[٤] يقع فيه نسخ.

وأما جمهور الناس من السلف والخلف، فإنهم لا يُجَوِّزون دخول النسخ في هذا، ولا تنوع الشرائع فيه. ولهذا كان دين الأنبياء واحداً[٥]، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

---

(١) هي سورة الإسراء.
سورة الأنعام: الآية ١٥١؛ وسورة الأعراف: الآية ٣٣؛ وسورة الإسراء: الآيات ٣١ ــ ٣٩.

(٢) في ك و ط (فيه).

(٣) في ك و ط زيادة (قد).

(٤) في أ سقطت (لم) والصواب إثباتها.

(٥) في أ (واحد)، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ...﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أنه قال: «إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[4].

وهذا مبسوط في موضع آخر[5].



(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث ٥/ ٣٤٢.

(٥) في ك و ط زيادة: (والحمد لله رب العالمين) وليس في أ وإنما فيها بعد ذلك بخط دقيق عبارة «الحمد لله وحده، وصلَّى الله على محمد، وعلى سائر النبيين». ثم جاء بعد ذلك قول الناسخ: «نجز الكتاب المسمى بـ (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ـ عليه وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام ـ تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاثين وسبعمائة، وقوبل على أصل صحيح ـ ثم كتبت عبارة (بخط مؤلفه) ثم شطب عليها، وكتب بعدها (نقل من خط مؤلفه).

فهرس موضوعات الجزء السادس

الموضوع	الصفحة



انتهى المجلد السادس

ويليه المجلد السابع

وفيه الفهارس

فهارس

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدّين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحرّاني
المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

إعداد
مكتب التحقيق بدار العاصمة

المجلّد السّابع

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

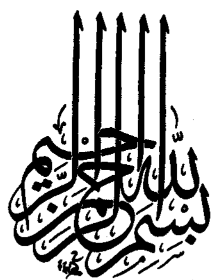
الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الفهارس

الصفحة


بسم الله الرحمن الرحيم

فهــرس الآيـــات

حرف الألف

حرف السين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس الأحاديث

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأشعار

زيد الطويل الأسود بن مالك	في داره بالأمس كان متكى	٥/ ٢٨
ساكن في القلب يعمره	لست أنساه فأذكره	٣/ ٣٤٤، ٣٦٧
سبحان من أظهر ناسوته	سر سنا لاهوته ثاقب	٣/ ٣٨٦
على محياه من سيما الأُلى	صحبوا خير البرية نور دونه القمر	١/ ٢١
فإن أطعك وأعص الوجد عدت عما	عن العيان إلى أوهام أخبار	٤/ ٣٩٨
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن	منادى أجابت من دعائي ولبت	٤/ ٥٠٠
فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً	فيها وقل لزوال العقل لا تزل	٤/ ٣١٤
في يده سيف نضاه فانتضى	فهذه عشر مقولات سوا	٥/ ٢٨
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم إذْ عصت مضر	١/ ٢٢
قد تخللت مسلك الروح مني	وبذا سمي الخليل خليلاً	٣/ ٣٤٤
قد علمت خيبر أني عامر	شاكي السلاح بطل مغامر	٦/ ٣٠٥
قد علمت خيبر أني لمرحب	شاكي السلاح بطل مجرب	٦/ ٣٠٥
كذاك قلوب أرباب التجلي	يرى في صفوها الله العظيم	٣/ ٣٤٤، ٣٩٤
كلانا مصلٍ واحد ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة	٤/ ٤٩٩
لما أتانا تقي الدين لاح لنا	داعٍ إلى الله فرد ماله وزر	١/ ٢١
لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت	٤/ ٤٩٩
لو لم يكن فيه آيات مبينة	كانت بديهته تُنبيك بالخبر	٦/ ٥١١
ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد	٣/ ٣٢٥، ٣٨٦، ٤/ ٤٩٦
مثالك في عيني وذكرك في فمي	ومثواك في قلبي فأين تغيب	٣/ ٣٣٦، ٣٦٨
مجانين إلا أن سر جنونهم	عزيز على أقدامه يسجد العقل	٣/ ١٨٧، ٤/ ٤٠١
من باح بالسر كان القتل شيمته	بين الرجال ولم يؤخذ له ثار	٤/ ٤٩٧
هم معشر حلوا النظام وحرقوا	السياج فلا فرض لديهم ولا نفل	٣/ ١٨٧، ٤/ ٤٠١

فهرس الكتـــب

فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

الأنبياء عليهم الصلاة السلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف السين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

موسى بن إسماعيل ٦/ ٦٧
موسى بن عقبة ٥/ ١٨٣، ٦/ ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٩
موmodus ٤/ ١٩٢
مونس ٤/ ٢١٧
ميخا ١/ ٤٢، ٣/ ١٣٩، ١٤٣، ٣٧٩
ميسرة غلام خديجة ٢/ ٧٢
ميسرة الفجر ٣/ ٣٨٠
ميمرا ٤/ ٢٣٧

حرف النون

نارون ٤/ ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٥
نافع ١/ ٣١١
نافع بن عتبة ٦/ ٨٤
النابغة الجعدي ٥/ ١٤٥
النابغة الذبياني ٥/ ١٤٦، ٦/ ٣٥١
النجاشي ١/ ١١٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٣٣٥، ٢/ ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٨٠، ٥/ ٦٩، ١٦١، ١٧٧، ٦/ ١٣٧، ١٣٨، ١٤٤، ٣٠١، ٣٥٢، ٣٧٥
النجيب بن المقداد ١/ ١١
النسائي ١/ ٢١٤، ٥/ ٢٢٨، ٤٦٧، ٦/ ٢٤٣
نسطور ٤/ ٨٧
نسطورس ٤/ ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

أعلام النساء